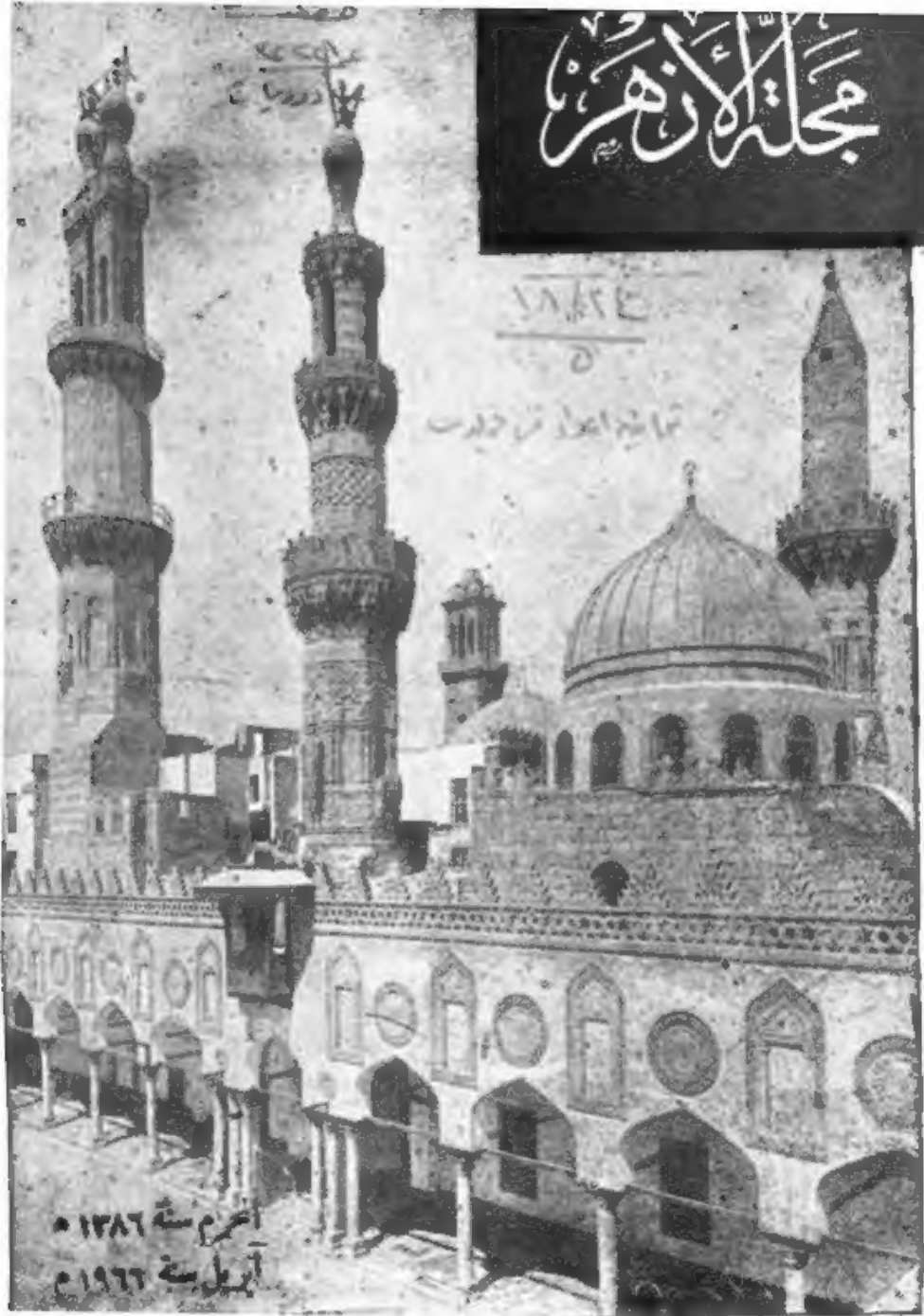


مجله انوار



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل لا اشتراك»
١٠ في المرسلة الحرة المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والدروس الطلاب تخفيض خاص

بصدور عن شيخنا الأزهر في (١٠) كل شهر عربي

الجزء الأول - السنة الثامنة والثلاثون - المحرم سنة ١٣٨٦ هـ - إبريل ١٩٦٦ م

سما الله تعالى



الربيع في الشعر الميطر

بقلم أحمد حسن الزيات

الملك ، وابن الساعات ، وابن نباتة ، والشاب
الظريف ، وابن مطروح ، والهاء ذهبي ،
من نوايح المتقدمين ، ثم قرأت ما قال شيوخ
الشعر وشبابه من صفوة المتأخرين ، فلم أجد
إلا كلاما عاما يقال في كل ربيع ، ووصفاً بجملا
يصدق على كل روضة ، تعبيرات مخفوظة من
أنسة الشعر ، وتشبيهات منقولة من موروث
البيان ، صاغها كل شاعر على حسب طاقته
وآلته لجاءت وصفاً لربيع مجهول لاحقيقة له
في الخارج ، ولا أثر له في الزمن .
أما الشعور لنفسى الذى يدرك الفاعل
- الأصيل - في جو معين ومظهر محدود
وذرة خاصة ، فيصل به بين النفس والطبيعة ،

إن الذين قضوا يوم شم النسيم البهيج المرح
على بساط الربيع ، يجتلون جمال الطبيعة
المتبرجة في الزهر والنهر ، ويستوهبون
أسرار الحياة المنبثة في السماء والأرض ،
يسوم أن يترادوا تعبير الشعر عما شهدوه
من جمال النيل ، وأحسوه من فتنة واديه
ولم يستطيعوا المتأف به ولا التعبير عنه .
وما كان أحب إلى نفسى أن أهمل لم هذا
السرور لو وجدت السيل إليه ، فإنى قرأت
ما نظم الشعراء المصريون قدامهم وعذونهم
في الربيع المصري ، فلم أجد فيه على قلته
وتبعيته صدقا في الشعور ولا مطابقة للواقع .
قرأت ما قال ابن وكيع التنبؤ ، وابن سناء

وبين الفكر والصورة ، وبين الفن والواقع ،
فذلك مالا أثر له فيه . ولعلك إذا استقيت
من أشعار العرب في الريح ، شعر ابن الرومي
في العراق ، وشعر البحري في الشام ، وشعر
ابن خفاجة في الأندلس ، وجدت سائرها
من هذا القبط المعري الذي تجد فيه الألفاظ
المهمة ، ولا تجد فيه المعاني المهمة .
فأشعارهم في الريح أشبه بأشعارهم
في الغزل ، أقلها نفس صادق يصدر من
القلب وينقل من الوجدان ، وأكثرها حسي
كاذب يصدر من الحافظة وينقل من الكتاب ؛
والمصريون أولى من غيرهم بالعذر إذا خلا
شعرهم من وحى الريح ؛ لأن الريح الذي
يزور الأرض في إبريل ومايو ، لا يزور
مصر إلا في أكتوبر ونوفمبر . فالحريرف
في مصر هو الريح الحق في فصرته وزينته
ومطره . فأينما تد بصرك في حقول الدرة
وقصب السكر والبرسيم لا تجد إلا رياضاً
شجراً من شراب وحب ، ومروجاً فيحاء
من زهور وكلا . ثم توى النيل في أعقاب
فيضاته كذوب البحر يصاب هادراً في الترع
والقنوات ، فيجمل من ضفاف الجداول ،
وحفا في الطرق ، وحواشي الغيطان ،
حلاسل زهرجندية من الرمحان والمشب .
لذلك اتفق شعراء الريف في وصف الحريرف
وأبدعوا . وأما ذلك الريح الجفرا في الذي
يقبل على مصر مع الرياح الخمسينية
والسواصف الرملية والتقلبات الجوية فإنه

أردأ فصول العام : يطرد النسيم بالسموم ،
ويخفق المطر بالغباء ، ويذبل الزهر بالحب ،
ويرى الطير بالبكم ، ويفسد المزاج
بالوخومة . ثم يسكون حوله بعد رحيل
شتاء هادي جميل ، في هوائه النفا ،
وفي جوه الصحو ، وفي سمائه الإشراق ،
وفي أيامه النشاط ، وفي لياليه الأنس . فإذا
رايت الريف في الشتاء ، رأيت الأرض على
مدى البصر قد غطتها بساط من السندس
الأخضر ، تخف خضرتها في حقول القمح
فتسكون كالورد ، وتثقل في البرسيم فتسكون
كالفيروزج ، فلا يجد الشاعر المعري وقد
انتقل من رقة هذا الشتاء إلى قسوة ذلك الريح
ما يجد الشاعر الأوربي من الحياة والمرح
والهجة والنشوة والطلاقة حين ينتقل من شتائه
المسكف بالتلوج إلى ربيعته المسكوب بالورد .
لريبع في الشعر الأوربي أرغم الأوتار
وأعذب الألحان من موسيقى الشاعر لأن
الشتاء في أوروبا عناء طويل وم ثقل : ظلام
متكاثف يحجب المياه ، ومطر واكف يغمر
الأرض ، وبرد قارس يهرا الأجساد ، وغمام
مترام يصد الأفق ، فلا ترى شعاعه شمس
ولا خفقة طائر ، وتلج مقراكب بطمر الغرى
فلا تجد عذبة في مرج ولا زهرة في حديقة ،
والناس هناك في حنين دائم إلى الريح ، لأنه
في دنيائهم حياة بعد موت . وابتهاج بعد
كآبة ، واشعوائهم فيما يبشرهم بمقدمه رفاقق
من الشعر الشاعر تقرؤها في البشرات الأولى

بقصيدتين من بحم الشعر وجيده ، إحداهما
طويلة مستقة ، أهداها إلى الكاتب القصص
(حول كين) والأخرى قصيدة تابعة جعلها
صدراً لقصيدته التي نظمها في المهرجان الذي
أقيم لتكريمه ، يقول في الأولى :

آذار أقبل قم بنا يا صاح
حي الربيع حديقة الأرواح
واجمع ندائى الظرف نهد لوائه

وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح غلخه لنفسك قسطها
فالفو ليس على المدى يحتاج

واجلس بضاحكة الرياض مصفا
لتجاوب الأرتار والأقداح
إلى أن يقول :

ملك النبات فكل أرض داره
تلقاء بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحر
قار وأبيض في الربى شاح
ليست لمقدمه الخنايل وشها

ومرحن في كتفه له وجناح
الورد في سرور القصور مفتاح
مقابل يثنى على الفتحاح

صاحى المراكب في الرياض يمز
دون الزهور بشوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلا

مر الغفاه على غدود ملاح
هناك الزدى من حسنه وهماه
بالليل ما نسجت يد الإصباح

كشيع الفد في النسيم ، ودليلب الحياة
في الفجر ، وعودة المصفور المهاجر إلى عشه ،
وحرير الجدول الجامد بعد صمته . فإذا أقبل
الربيع متمهم بما حرموه طويلا من جلوة
الطبيعة في الأفق المشرق ، والروح البهيج ،
والجو المعطر ، والطير الصادحة ، والضواحي
الأنيقة والغابات الوردية والمنزهات اللاعبة .

والربيع الأوربي على الجملة تغيير في النفس
وتجديد في الحياة والتغير والتجديد يلهمان القرائح
الخلقة شعرا يمزج فيه الوجدان بالوجود ،
ويتصل به الخيال بالحقيقة . أما شعراؤنا
المصريون فأى جديد يأتيهم به الربيع في آفاقهم
وفي أنفسهم ! إن الشمس والدفء والصحو
والطير والزهر والزرع والماء من خصائص
مصر الطبيعية ، لا تفك عنها طيلة العام ، حتى
ألفتها الشاعر والنفوس ، فلا تشاغبها لأنها
لا تنيب ، ولا تحتاجها لأنها لا تنقطع . ومن
هنا تشابهت الفصول الأربعة في حس الشاعر
فلا يكاد يرى اختلافا بينها إلا في حيوية
الشتاء وشاعرية الخريف ولذلك لم يجد
الشعراء ما يقولونه في الربيع ، فإذا قالوا
مدفوعين بغريزة المحاكاة أو بشهوة المعارضة
قالوا كلاماً قد يكون متعبد الألفاظ مجرود
القشايه ملون الصور ، ولكن الفرق بينه
وبين الشعر الصحيح ، يكون كالفرق بين
الجماد والمخ ، أو بين الدمية والمرأة .

ولقد نظرت في شعرا القديم والجديد فلم
أر شاعراً قبل شوق ولا بعده خسر الربيع

كل ريمانة بلعن ، كمرس
ألفت لفناء شتى قياته
نعم من السماء والأرض شتى
من معاني الربيع ، أو الخاتمة
هذه ، وتلك آيات من قصيدتي شوق في
الربيع ، وهما مثالا من الشعر العالي الطبقة
الرفيع النقى إذا وازناهما بالمأثور من الشعر
المصري في هذا الباب ، وربما اقطع نظيرهما
أو ندر في الشعر العربي كله ، ولكنتا إذا
وازنهما بما قرأنا في موضوعهما من الشعر
الأدبي شئت كفتها في هذه المزاينة .
فإن شوق وحده الله جرى على مذهب من
سبقوه ، فلم يعف فيهما ريماء بينه في إقليم
يصح أن يخلط به نفسه ، ويضيف إليه
شعوره ، ويعرض ما يرى فيه من فخر وطير
وعطر وقتون ، على ما يجد في نفسه من حب
وذكرى وثقوة وصباية ، فيألف المنظر
والناظر ، وينشد الشعر والشاعر ، إنما
وصف شوق ريماء عاما كما تخيله لا كما رآه
وكما تمثله لا كما أحسه ، فجاء الوصف معجبا
مهما قد يطرب بألفاظه ، ولكنه لا يؤثر
ولا يعرب بمعانيه ، والقصيدتان على أي
اعتبار معاوكة جميلة من الشعر المصري
الشعر العالي في تجسيد ذلك السر الذي بينه
الله كل عام في الربيع ، فيعيد الحياة ويرجع
الشباب ، ويعيد الأمل ، وينشر البهجة ،
وينشأ عنه في الدنيا هذا البعث المعجيب .

أحمد محمد الزيات

ينميك مصرعه ، وكل زائل ،
أن الحياة كندرة ورواح
وبقاتي الفسرين في أغصانها
كالندركب في صدور دماح
والياهم لطيفه وقيقه
كسريرة المنزه المصباح
هتاف خللي الفصول كأنه
في بلجة الإصباح ضوء صباح
ثم يقول في الأخرى :
مرحبا بالربيع في ريمانه
وبأنواده ، وطيب زمانه
زفت الأرض في مواكب ، إذا
وه وشب الزمان في مهرجانه
زل السبل ضاحك البشر يمشي
فيه مشى الأمير في بستانه
عاد حليا براحتيه ووشيا
طول أنهاره ، وعرض جنانه
لف في طليساته طرد الأثر
من قطاب الأديم من طليساته
ساحر ، قننة الميرون ، حبين
فصل الماء في الربا بهمانه
صبرى الخيال ، زاد على الطيب
سف وأرني عليه في ألوانه
صبغة الله ، أين منها رقائب
سل ، وعناقشه وشمير بناته ؟
ونم الروض جدولا ونسبا
وتلا طم أبكة غصن بانه
وشدت في الربا الرياحين مما
ككتفى الطروب في وجدانه

بَرَكَاتُ الْإِيْمَانِ

للأستاذ محمد محمد المذني

يقول الله عز وجل :

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

وحين يقول القرآن الكريم لو حصل كذا لكان كذا ؛ فإنما يحدث من سنة من سنن الله الكونية التي لا تبدل ولا تتحول ، كما لو قال قائل : إننا إذا ألقينا بحجر في الماء غاص في أحماقه ، أما إذا ألقينا فيه بقطعة من الكلوثفوك ، فإنها توم ولا تغوص .

إن الحياة كلها قوانين وسنن إلهية من هذا القبيل ، وتارة تكون القوانين والسنن مادية يعرفها المختفون بالعلوم الكونية ، وتارة تكون اجتماعية يدركها الدارسون لأحوال الأمم ، ومظاهر الاجتماع البشري ، فله سبحانه وتعالى يعرفنا في هذه الآية الكريمة بقانون من قوانين الاجتماع والجماعات ، فينبئنا أن المجتمع أو من التقي بفتح الله عليه ألواناً من بركات السماء والأرض ، وأن المجتمع المكذب المتمرد على الله يؤخذ بالتخفيف والياساء جزاء بما يكسب .

وهذه السنة الإلهية في القرآن الكريم بالنسبة لكل هداية جاء بها الكرم الإلهي على الناس .

فأله تعالى يذكرها في قصة آدم أبي البشر حين أمبطه إلى الأرض : « فَلَمَّا أَصْبَحُوا مِنْهَا جَمِيعاً ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يُمْزِقُونَ » . قال أمبطاً منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، وإمّا يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشق ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيضة حسنا ونحشره يوم القيامة أحمى قال رب لم حشرني أحمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم نفس ، وكذلك نحزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

وأله تعالى يذكرها في شأن هداية التنوير والإنجيل فيقول : « وَلَوْ أَنَّهُمْ أَتَمُّوا التنويرَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ، نَهْمُ أُمَّةٍ مَّقْتَصِدَةٍ وَكثِيرٌ مِنْهُمْ سَاهٍ مَا يَعْلَمُونَ » . بل إن الله تعالى أجرى الحديث عن هذه السنة الإلهية على لسان خلقه الخلق الذي يؤمن بوجودهم ولا تعرف كنهم ولا تشاهد عالمهم ، وهم الجن ، إذ يقول : « وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مِنْ عَيْنٍ جَارِيَةٍ » .

ووصف بها رسوله صلى بن مريم حيث
يقول :

وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني
بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بالذي
ولم يجعلني جباراً شقيماً .

بل وصف بها نفسه جل جلاله إذ يقول :
« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
ليكون للعالمين نذيراً » .
« تبارك الله أحسن الخالقين » .

« تبارك الذي يسده الملك وهو على كل
شئ قدير » .

« ذلكم الله وبكم تبارك الله رب العالمين » .
ويقين من هذا أن البركة ، ليست مجرد
هبات إلهية تمنح أو يحجب الله بها بعض خلقه
دون بعض على غير أساس من الاستحقاق والحق ،
والنعماء على عطايا وهبات لمن يستحقونها ،
فهي تنبثق وتتولد عن عمل العاملين ،
وإخلاص المخلصين ، وتقوى المتقين .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما نقص مال من صدقة ، والقصد أن هذا
المال الذي يعرف صاحبه حق الله فيه ،
ويخرج منه صدقة ، لا ينقص بإخراج هذه
الصدقة منه نقصاً معنوياً وإن نقص نقصاً
حسياً ، لأن الشأن فيمن يحرص على أداء
زكاة ماله أن يكون تقياً باراً بمجتمعه ووفقاً
رحيماً بالفقراء والمساكين ، إذا كان ما يفعله
ابتغاء مرضاة الله ، وذلك يحصله عجباً ،

أى لنختبرهم به . « ومن يعرض عن ذكر
ربه يسلكه هذا سبيلاً » - أى شديداً .
فهذه الآيات الكريمة كلها متضافرة على
تقرير هذا القانون الإلهي في شأن الاجتماع
البشري : أن الإيمان الصحيح ودين الحق ،
سبب لسعادة الدنيا ونعمتها بالحق والاستحقاق
وأن التكذيب والبطر والإعراض أسباب
للشقاء في الدنيا ، تجر على أصحابها كثيراً من
الاضطراب والفساد .

ولكن ما هي بركات الإيمان ؟ وما هو
الإيمان الذي تترتب عليه هذه البركات ؟
إن تحديد المراد الشرعي من هذا وذاك
يفيد الناس ، ويعصمهم من الغرور والخرى
في مساوى الخديعة والأوهام :

إن « البركة » هي الزكاة والنماء ونبوت
الخير الإلهي في القى . وقد وصف الله بها
كتابه الكريم حيث يقول :
« كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا
آياته وليتذكر أولو الألباب » .

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق
الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها ،
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على
صلاتهم يحافظون » .

ووصف به البينة التي أنزل فيها هذا
الكتاب حيث يقول :

« إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ،
فيها يفرق كل أمر حكيم » .

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله أولئك هم الصادقون .

فبين بذلك أن المظهر لا يخفى عن الخبير ،
وأن الله تعالى لا يروج عليه ما يروج على الناس
من الخديعة ، لأنه هو العليم بذات الصدور ،
وفي أمثال هؤلاء أيضا يقول الله عز وجل .

« إذا جاءك المنافقون قلوا شهد إنك
رسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم
جنة لفسدوا عن سبيل الله ، إنهم سوء
ما كانوا يعملون » .

وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أبي بن شيبة في هذا الدين وأصعبه ، فقال
« إن أليته شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن
محمد رسول الله ، وأصعبه الأمانة » .

فدل بذلك على أن الدين صبر واحتفال وأداء
لحقوق الله وحقوق الناس ، وليس مجرد
شهادة يتلفظ بها اللسان .

لهذا لا يمكن أن ترتبط البركات بالمعاصي
المهينة ، وفي النفس ما فيها ، وفي التصرفات
والسلوك ما يتنافى بها .

• • •

فإذا سألتني سائل : ماذا ترى في المدينة
الضريية وما فيها من الويتة والمتاع مع
الانصراف عن مقتضيات الدين والإيمان
الصحيح ؟ فأني أقول له : إن هذا من قبيل

ويجعل الناس يحرصون على ما ينفعه ، وعلى
أن يدفعوا عنه كل ما في إمكانهم أن يدفعوه
من سوء ، فيكون قد استفاد بما قدمه
في الدنيا ، وما عند الله غير وأبقى .

والإيمان الذي ترتبط به البركات ليس
هو الدعوى الاتصائية التي لا يقوم عليها
دليل من العمل والسلوك .

إن كثيرا من الناس يقولون : نحن
مؤمنون ، ولكن الأعمال هي التي تصدق
هذا القول أو تكذبه .

إنه لا يتفق مع الإيمان أن تكون القلوب
ممتلئة بالمقصد ، منطوية على الغل ، لأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنكم
لن تؤمنوا حتى تحابوا .

ولا يتفق مع الإيمان أن تؤثر على الله
ورسوله أحدا أو شيئا ، سلطانا ، أو جاما
أى أن تؤثر الباطل على الحق ، والفساد على
الصلاح والاستقامة على الاعوجاج والالتواء
فإن الله هو الحق ، وهو العدل .

وقد زعم قوم من الأعراب أنهم آمنوا
لمجرد أنهم نطقوا بالشهادتين ، وقد علم الله
ما في قلوبهم من الفساد ، فلم يقبل منهم هذه
الدعوى ، وذلك حيث يقول :

« قاله الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم
ولن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم » .

الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

١ - يقول الله تعالى في كتابه العزيز :
 « لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم
 رسولا من أنفسهم : يتلو عليهم آياته ،
 ويزكّيهم ، ويعلمهم الكتاب والحسنة ،
 وإن كانوا من قبل لنى خلال مبين . »
 وآيات القرآن كثيرة في هذا المعنى تركه
 كلها : أن بعث الله الرسول صلى الله عليه وسلم ،
 كانت نعمة عظيمة من الله ، سبحانه ، على
 جميع المؤمنين ، وأن هذا الفضل من الله ،
 سبحانه وتعالى ، إنما هو منة كريمة من
 لدن رب كريم .
 ذلك أن هذا الرسول ، صلى الله عليه
 وسلم ، إنما هو لسان صدق في تبليغ آيات

الله ، فهو يتلوها على المؤمنين ، إنه يتلوها
 عليهم بعد أن تلاها على نفسه ، ووحاها ،
 وتشرّبها روحه ، فأنطق بها ، وهاثها ،
 ومن أجل ذلك كان هذا الرسول ، صلى الله
 عليه وسلم ، مصدر توكية لهم . إنه وقد
 أصبح طائفة آيات الله أصبح - من أجل
 ذلك - مصدر توكية بالثال والقعدة
 والتأسي للمؤمنين .
 لقد تركى بآيات الله ، ولقد تركه آيات
 الله ، وإنه يتلوها ، ويحيهاها ، فهو يبشر بها
 بقوله ، أو يتلاوها ، ويبشر بها بمسلكه ،
 فهو بقوله يتلوها ، وهو بمسلكه يرسمها .
 ويعلمهم الكتاب : إنه لا يتلو غضب ،

(البقية على الصفحة السابقة)

المتاع الذي يتلوه الخراب والمذاب الآليم ،
 وذلك أن الله تعالى يقول في شأن نبيه نوح
 ومن : «
 « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات
 عليك وعلى أمم ممن معك ، وأمم سيئتهم
 ثم يحسبهم منا عذاب اليم . »
 فكل مدينة لا تقوم على الإيمان ورعاية
 مقتضياتها ، لا بد أن تقضى إلى مصير مظلم ،
 وعذاب للشعب مؤلم ، وها هي مدينة
 الغسرب المادية العمياء تنهبط بجماعاتها
 في مهاوى الرذيلة ، مما يؤذن بسوء المصير ،
 وصدق الله العظيم إذ يقول :
 « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
 قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد
 الله إن الله لا يخلف الميعاد . »
 محمد محمد الحنفي

الإفسان : قد تحققت بالفعل : حقها
وسوءه الكريم صلى الله عليه وسلم ، وحقها
في ذاته ، وحقها في مجتمعه ، حقها سلوكا ،
وحقها واقعا ، حقها هو في نفسه على
أكل ما يكون التحقيق ، وحقها تطبيقا
في مجتمعه على الصورة التي استطاعها
هذا المجتمع .

وقول : على الصورة التي استطاعها هذا
المجتمع ، لأن لكل نظام من النظم حد أدنى
لا يتأتى أن يكون النظام بدونه ، وحد أدنى
يشأس نحوه المخلصون .

ولقد تحققت الصورة الإسلامية في حدها
الأسنى في الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
وكان بذلك - بنص القرآن - أول المسلمين .
وتوسم الآيات القرآنية الكريمة ، كيف ،
ولم ، كان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
أول المسلمين ؟ يقول الله تعالى :

« قل : إن صلاتي ، ونفسي ، ومحياي ،
ومماتي ، لله رب العالمين ، لا شريك له ،
وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » .

لقد كانت أعماله ، وحياته كلها ، بل وجماعته
لقد كان كيانه كله : حركة وسكونا ، حياة
وموتنا ، لله رب العالمين ، فكان بذلك
أول المسلمين

ولقد تحققت الصورة على تفاوت لا يزل
من حدها الأدنى في آلاف من الصحابة
ورضوان الله عليهم .

ولنما يعلم أيضا ، إنه يشرح ويضمر ،
ويطبق ، ويقوم تطبيق الآخرين إذا
انصرفوا ، إنه يعلم القرآن .

وهو يعلم القرآن بعد أن انطبع به ، وبعد
أن أصبح هو قرآنا ، لقد أصبح فكره
قرآنا ، وأصبحت هواطفيه قرآنا ،
وأصبحت إرادته قرآنا !!!

ولقد عبرت عن ذلك السيدة عائشة
رضوان الله عليها خير تعبير وأخصره ،
حينما سئلت عن خلق رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، فقالت : رضوان الله عليها :
« كان خلقه القرآن » .

وما كان يتأتى أن يكون غير ذلك ، وكلمة
السيدة عائشة ، رضوان الله عليها إنما هي
كلمة بديهية عند كل متبصر : فالقرآن كان
يظل مبادئه يتمسك الناس أنها مجرد
مبادئ نظرية يستحيل تحقيقها في الخارج
لولا تطبيق فاعلا ، ولولا تحقق واقعا ،
وكان لا بد من أن تتحقق بالفعل ، وكان
لا بد من صورة حية تمثل فيها هذه المبادئ :
تتمثل فيها ذاتيا ، وتتمثل فيها من جهة
تطبيقها على الغير ، وقيادة الغير إلى الأخذ بها
في صورة تقرب منها بقدر الاستطاعة .
ولولا يمكن الأمر كذلك ، لظل الناس
يؤمنون بأنها مجرد مبادئ .

٢ - بيد أن هذه الصورة الخالصة
للأخلاق ، كما يحب الله ، سبحانه ، لبي

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ،
وعليك ما لم تكن تعلم » وكان فضل الله
عليك عظيماً .

وما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى :
فآيات الله يتلوها ، وكتاب الله يطلع ،
والحكمة التي أنزلها على قلبه يعظ بها .

يقول الإمام الشافعي ، رضي الله عنه :
فذكر الله الكتاب ، وهو القرآن وذكر
الحكمة ، فسمعت من أوحى من أهل العلم
بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله .
وهذا يشبه ما قال ، والله أعلم .

لأن القرآن ذكر وأثبتته الحكمة ،
وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب
والحكمة ، فلم يجر - والله أعلم - أن يقال :
الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله .

وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله وأن الله
اقتض طاعة رسوله ، وحتم على الناس اتباع
أمره - فلا يجوز أن يقال لقول : فرض
إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله .

لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله
مقروناً بالإيمان به .

وصلة رسول الله مبيطة عن الله معنى ما أراد
دليلاً على خاصه وطامه . ثم قرن الحكمة بها
بكتابه فأتبعها إياه ، ولم يجعل هذا لأحد
من خلقه غير رسوله .

لقد وجد المجتمع الإسلامي بالفعل :
ولقد اتفق بذلك فكرة هؤلاء الذين رأوا
في الماضي ، أو يرون في الحاضر أن الإسلام
مبادئ . لا تطبيق ، مبادئ . نظرية ، مبادئ .
خيالية يستحيل تطبيقها .

لقد تحقق الإسلام بالفعل ، فوجد مجتمعا
أسلم نفسه لله : وإن مجتمعا يسلم نفسه لله ،
لا يتأتى أن تتنحس الإنسانية عن غير منه .
هذا المجتمع الذي وجد إنما كان ثمرة من
تجاره ما د الرسول صلى الله عليه وسلم وكفاحه
في أن يخرج بالفعل الصورة التي أوحاها الله
إليه : لقد كان أثراً لتلاوة الرسول صلى الله
عليه وسلم آيات الله ، ولزكية الرسول
صلى الله عليه وسلم لمن حوله ، بمثابة القرآن ،
ولتعليمه صلوات الله عليه القرآن لمن حوله .
وشرب روح رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرآن ، واستلأت به ، وصفت بصفاته
وتركت به ، واستقارت بنوره ، ففاضت
بالحكمة : أثراً من آثار الهداية للتامة ،
ونتيجة للنور يغمر القلب ، والبناء يتلاد
في الفسواد : فكان الرسول ، صلى الله عليه
وسلم ، يعلم الكتاب ، ويعلم الحكمة ،
وما الحكمة إلا أساليب الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ينير بها قلوباً ، ويرشد بها
حقولاً ، ويقود بها عباد الله إلى الله ، وكما
أن الكتاب من عند الله ، فإن الحكمة
أيضا من عند الله ، يقول الله تعالى :

٣ - هذه الصورة التي ترسبها الآية الكريمة - التي صدرنا بها هذا المقال - هي الصورة التي تمناها سيدنا إبراهيم ودعا الله - سبحانه - حينما كان يرفع القواعد من البيت وإسماعيل فقال عليه السلام :

« وينا وابنت فهم رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم » .

ولقد صادفت دعوة سيدنا إبراهيم ما قدره الله ألا ، لقد وافقت التقدير الإلهي الأزلي الذي أراد الله سبحانه به أن يكمل الدين ، ويتم النعمة على المؤمنين ، وأن يكون خاتم الأديان هو الدين الأزلي الخالد الذي لا دين سواه ، والذي يرضاه الله ولا يرضى غيره ، وهو الإسلام :

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .
« إن الدين عند الله الإسلام » .

ولا يتأتى في حرف المنطق ، وفي منطق الحق ، وفي بدهية القول ، أن يكون الدين الخالد شيئاً آخر غير إسلام الوجه هـ .
وما دام الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أول المسلمين ، وما دام الدين عند الله هو الإسلام ، فالرسول إذن أول المتدينين على الإطلاق : إنه وصل إلى الدرجة التي سبق بها جميع من مضى ، وسبق بها جميع أبناء

عصره ، وسبق بها من يتأتى بعد : إنه أول المسلمين في الماضي البعيد ، والماضي الذي يبتدىء خلف بدء الإنسانية

وما من شك في أن آدم عليه السلام ، كان مسلماً ، ولكنه لم يكن أول المسلمين ، ولقد كان نوح مسلماً ، ولكنه لم يكن أول المسلمين وهكذا كان الأنبياء جميعاً ، صلوات الله وسلامه عليهم ، من المسلمين ، ولكن لم يكن أحدهم أول المسلمين : وما كان يتأتى أن يكون أحدهم أول المسلمين ، لأن الدين الذي جاءوا به ، صلوات الله عليهم وسلامه ، وإن كان إسلاماً ، فإن الصورة الكاملة الثابتة للإسلام ، إنما هي القرآن :

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، المائدة ٤٨ » .

ويقول سبحانه : « أنبئوا أحسن ما أول إليكم من ربكم » .

وهو أول المسلمين في الحاضر ، وهو أولهم في المستقبل إلى أن تقبّل الأرض غير الأرض والسموات ، وإلى ما بعد ذلك من آباء الله السرمديّة ، صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله .

وفي مقال تال تحدثت عن طابع الرسول صلى الله عليه وسلم وشماره ، وباقه التوفيق .

دكتور عبد الحليم محمود

وجوب دراسة الدين في مراحل التعليم الثلاث

للاستاذ الدكتور محمد رطلاب

أنصح الآلة على أن هذا العمل هو الوسيلة المثلى للاحتفاظ بجهدية القلب ورجولته ومقدرته على المقاومة والجلاد والكفاح . وبالتالي هو مقدمة الأعمال الوطنية الرئيسية وهو فوق ذلك أساس للوحدة التي هي الهدف الأعظم للنظام الحاضر كله . وإليك البيان :

يجب أن يمتزج الدين بكل أفكار الإنسان وأعماله في هذه الحياة ، لأن موضوع الأخلاق هو دراسة صلاتي بين الإنسان بعضهم ببعض ، ولا يمكن أن ينظم هذه الصلاتي تنظيمًا يحكمها غير الباري . الأهل في قانونه الحالك وهو الدين . ولأن واجب الإنسان نحو أسرته ومواطنيه ، ونحو أفراد الإنسانية جميعا منبجس من منبع واحد وهو واجب الإنسان نحو ربه ، من اتقى الله اتقى الناس :

والواقع المحسوس الذي نشاهده كل آن في الحياة العملية هو أن الإنسان ضعيف عاجز أمام أهوائه وشهواته وغرائزه الحيوانية ، وأنه في أشد الحاجة إلى صوته صوت الإيمان ليقرده في هذه الظلة الخيفة التي تحوطه من كل جانب ، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه ،

نشرت جريدة الجمهورية في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٥ أنه قد عرض على مجلس الأمة في جلسته السابقة على هذا التأريخ ، اقتراح بقتانون يجعل مادة الدين أساسية في جميع مراحل التعليم : الابتدائي والإعدادي والثانوي ، .

وقد أثارت هذه العبارة في نفسي ذكريات بعيدة المدى ، إذ أني قد نشرت هذا الاقتراح ذاته منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وبجملت وجوب العمل به ، وطالبت الحكومة إذ ذاك بتنفيذه على الفور ، بل رسمت لها تفاصيل دراسة الدين ومنهجها في مراحل التعليم الثلاث ولكن هذه المطالبة - برغم أنها كانت في أسلوب جدي ، بل فيه شيء من العنف - قد ذهبت صرخة في واد ، أو نفخة في رماد كما قال القدماء غير أن هذا الاقتراح الجديد قد أحاد لإنعاش هذا الأمل في نفسي ، ودفعني إلى المبادرة بتأييد مقترحيه من أعضاء مجلس الأمة والوقوف إلى جانبهم في مطالبة حكومتنا الرشيدة بإبرازه إلى حيز التنور حرصا على أبناء الوطن من التفكك الخلقي ، والانحياج الاجتماعي ، وسنقيم لها في الإلماحة التالية

ونسهر على احترامها وحفظها من عبث العابثين ، بل إنها تصل من نفوسنا أحيانا إلى مرتبة الإجلال والتفديس ، فإذا دوت في المكان هذه الجملة : « باسم القانون أفعل كذا » .

عند ذلك تخفق القلوب وتطلع النفوس . وتنحن الرؤوس ، وتسود المجلس الروبة ، ويهيم عليه السكون .

ولأريب أتنا لم نخلع على القانون هذه القداسة إلا لأنه يقر الأمن ويصون الحقوق ، ويفسر السلام والاطمئنان ، ولكن من يدقق النظر في أحوال الأمم وظواهرها الاجتماعية ، وخصائصها النفسية يتضح له تمام الانصاح أن المتنعمين من الجرائم منهم عشرة في المائة متأثرون بالأخلاق في ذاتها ، وعشرون يمشون القماون ، وسبعون يتجنبون الرذائل اتقاء الله وخوفا من عقابه الذي هم موقنون بأنه أشد وأقسى وأطول مدى من عقوبات القوانين الوضعية . فإذا كان الدين قد نال من النفوس البشرية هذا الحال الذي لم يفز القانون بنصفه ولا بثله ، فإنه يجب علينا كواطنين مخلصين لبلادنا ، وأغبين في صلاح أحوالنا الاجتماعية أن نتمى في نفوس الجواهر هذه العقيدة النبيلة ما دام لها على أخلاقهم هذا الأثر الجليل .

ومن أم وسائل تنمية الدين في النفوس دراسته في مدارس الدولة على اختلاف

إذ منذ الذي يستطيع أن يفرد الوجدان البشري إلا تلك القوة العليا التي تعبط بكل شيء ثم أي جزاء هو أكل رغبة في نظير الروح الخالقة من جزاء الله الأبدى الذي ميلتق بها في حياة طوية لا يدرك مداها ، ولا يعرف منتهىها ؟ وأي جزاء يسلى عن أحزان الحياة وآلامها أعلى من التفكير في هدأة الله التي ستوفي الصابرين أجرهم بغير حساب ؟ .

هذا كله بالنسبة إلى أثر الدين على الفرد ، وأما أثره على الجماعات فهو لا يقل أهمية مما تقدم ، إذ من هذا الذي يستطيع أن يفهمنا احترام الأنظمة المقررة ، ومعنى الفضيلة الأسرية ، والإذعان للسلطات الشرعية ، ويعودنا الصبر على المسكاره واحتمال الآلام وتخفيف وقع منظر الفروق الهائلة بين شقائقنا وسعادة غيرنا على نفوسنا أكثر من الدين ؟ .

وفي الحق أن الحكومة التي تنصر بأن عليها واجبا تزدي لأفراد الشعب لا تستطيع أن تأسس تعاليمها الأخلاقية منفصلة عن الدين بل يجب عليها أن تشركه على الأقل في تأسيس هذه الأخلاق إن لم تعتمد عليه اعتمادا كلياً ، وأن تصح له مكانا عظيما في مدارسها ومعاهدها ومنشئاتها ، ليستطيع أن يؤدي مهمته في تهذيب النفوس كما ينبغي ، لأننا جميعا نعمل على صيانة القوانين الوضعية ،

معه في نظريات الدين ، وأن يقوم أمامه بدور منقذ البراهين ، ومناقضة الأدلة ، وتحليل العمل والبواعث والأسباب .

فإذا درس الشاب الدين على هذا النحو المؤسس على العقل والتفكير ، ونشأ على احترامه وتقديسه كان له على أخلاقه العملية أثر لا يحصى إلا من أوتي من المرأة على تشويه الحقائق خطأ يمكنه من إنكار البديهيات .

غير أننا مع ذلك كله نشاهد أن بعض فلاسفة أوروبا المحدثين يرفعون الصوت عالياً بوجوب فصل الأخلاق عن الدين ، ويتحذرون لذلك أهدأوا سندرك هنا أهمها وأجدرها بالعناية ثم نرد عليها بما يدحضها في نظر المنطق الصحيح :

١ - أن كثيراً من الدول تعتنق كل واحدة منها ديانات مختلفة ، وأن نشر أخلاق دين من الأديان ، وإيمان أخلاق الأديان الأخرى يعد خنفاً لحرية معتنق تلك الأديان المهمة .

ونحن من جانبنا نرى أن هذا الاعتراض واهٍ من أساسه ، لأن الديانات على اختلاف ألوانها وطقوسها لا تتعارض مع الفضائل الجوهرية البتة .

فإذا نشرنا أخلاق الإسلام مثلاً في مصر ، فإنا لا نرتاب أقل أوتياب في أن المسيحيين المحلصين لهم سيستريحون لهذه الأخلاق

أنواعها ، وفي جميع مراحل التعليم فيها ، ولكن هيئة تلامم مع تطويع قول الطلاب ، وتوافق مع نفوس أفكارهم وروقيها ، فيدرس مثلاً في المدارس الابتدائية في ثوب بسيط سهل بعيد كل البعد عن التعقيد والتركيب ، كأن يعلم الطفل أن للكون إلهاً عظيماً جليلاً وهو الذي خلق كل هذه العوالم ، وهو لا يشاهد ولا يقع تحت الحس ، وهو غير عادل وعجب للأخلاق السامية كالصدق والأمانة ، والحلم والحياء ، ومبني لأهدأ هذه الصفات من : كذب وخيانة ، وذور ووقاحة ، وأن أول واجب علينا هو الاعتقاد بوجوده ثم العمل على إرضائه .

وفي المدارس الإعدادية يعلم التلميذ أن هذا الإله القادر اتصل في كثير من الأزمان المختلفة بقوم من البشر قد اختارهم من بين الناس لمبرات قد خلقها فيهم ، فأوحى إليهم أن يقوموا على الأرض بتبليغ أوامره إلى الناس ، وأن هذه الأوامر هي اتباع الخير الذي يوصلهم إلى السعادة واجتناب الشر الذي يقودهم إلى الشقاء ، ثم يجب على المعلم في هذه المرحلة أن يحرص في قلوب الفتي أن هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة ، وهي التي تفرق بين الإنسان والحيوان ، والتي يلقى فيها كل شخص جزاءه على عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فإذا انتقل الناشئ إلى مرحلة التعليم الثانوي وجب على الأستاذ أن يتبسط

للكائنات الحية . وإن هذه العالمية وذلك الثبات الضروريان لقوانين الأخلاقية لا يتحققان إلا إذا كان المنبع ثابتا وعالدا . ومن أكثر ثباتا وخلودا من مفتوح الديانات .

فشكل حافل تهمه الحالة الاجتماعية العامة يرى وجوب نشر الأخلاق الدينية حتى في البلاد اللادينية ، فكيف يلد كصر يستمد كثيرا من قوانينه المدنية وكل تشريعات الأحوال الشخصية من الدين .

ولحق ذلك فإن العلم يعترف في صراحة بأن كل الأسر الاجتماعية ، وأرق الأنظمة العمرانية مدينة بحياتها للدين وحده ، لانتلك الاخطاء المريعة ، والسطوات المروعة التي امتلأت بها نظريات العلماء كما يعلن أن العقل لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق . أما الدين فإنه يقرر دائما حقائق مطلقة ، وهذا الفرق كاف (رفته ولجدارته بأن يكون منبعا للأخلاق .

والذي أدهى إلى النعش والاستغراب هو أن (كانت) وله منزلة الفلسفة في المصور الحديثة . يعلن أن فصل الدين عن الأخلاق يعد ضربا من الخطأ الخطار على الحيثيتين : الأخلاقية والاجتماعية معا .

فإذا كن هذا هو رأي (كانت) - وهو يعد في تاريخ الحركة العقلية الأوروبية مدرسة

الإسلامية كل الاستراحة وسيجدون فيها أنواع السمادة الاجتماعية . على أن هؤلاء المعترضين يحرمون بأن الأخلاق الحرة لا تنال الاحترام إلا إذا كانت تقس لإرضاء المؤمنين والمخلفين جميعا ، وهي بالطبع لا يمكن أن ترضى المؤمنين جميعا على اختلاف أديانهم إلا إذا كانت تلتقي مع هذه الديانات كلها عند نقطة خاصة ، وهذا هو عين ما نذهب من أن جميع الديانات متفقة في المبادئ الأساسية وإن ، فلا معنى للخوف من أن نشر أخلاق دين بعينه يعدو على حرية الدين لا يستقونه .

٢ - أن المشاهد أن بعض الحكومات لادينية كجمهورية فرنسا : وأنه يكون من المتناقض أن تربط هذه الدول (اللادينية) الأخلاق بالدين بعد أن فصلت عنه قوانينها وتشريعاتها وسياساتها .

ويمكن أن يجاب على هذا الاعتراض بأن القياس هنا مع العارقي ، لأن القوانين المدنية والسياسية يمكن أن تتبع المصور المختلفة والأمزجة المتباينة . أما القوانين الأخلاقية ، فيجب أن تكون ثابتة لا تتأثر برمان ولا بمكان ، ولا ينبغي لها أن تتبع أهواء الوعاء والمشرعين اللادينيين ، وإلا كانت بشرية متناقضة تستحسن اليوم ما استهجت بالأمس . ولا ريب أن هذه الصفة تفقدها عالميتها التي هي ألوم لها من الهوى

على الاستزاء من شخص يبيع أخلاق دين
ويفصح على منوال قضاة الظاهرية ، وهو
يجمل أصوله ومبادئه كل الجمل ، لأن هذا
الدين يتهدم من رأسه ، ويؤول الاعتقاد به
من ذهنه عند أول حادثة شك أو الحاد
تهب على هذا الذهن الذي لم يتحصن بمعرفة
هذا الدين ، ولم يدعم إيمانه بالأدلة والبراهين
ومنى زال من قلبه الإيمان ، انمحط من نفسه
فلك القداسة العليا التي كانت تقوده إلى
الإيمان لما جاء في هذا الدين من فضائل
وأخلاق ، وليس لهذا كله من سبب
إلا الجهل بأسس الدين ومبادئه ، ذلك
الجهل الذي يدعو إليه هذا المربي الماهر
وأمثاله .

وإذا كان هذا المؤلف يخشى أن يدوس
الطلاب الذين فيجهدوا فيه ما يتناق مع العقل
فيصلوه ويتهاونوا به وبمبادئه من أخلاق
إذا كان يخشى هذا كما يلح في كتابه . فإننا
نؤكد له أن دين الإسلام لن يرتفع من هذا
التهديد ولن يزول وراء ستار الجهل خروفا
من استبداه مع العلم الحديث أو مع العقل
المثقف المستنير ، وإن لمستأنس لك هذا
برأى أحد كبار المستشرقين الفرنسيين ،
وهو الأستاذ ديزيري بلانفييه ، مؤلف
كتاب (في الدراسات الدينية) إذ قال حين
عرض للإسلام ما يلي :

بتمامها - ورأى الأكثرية المخترمة من الفلاسفة
الروحانيين والعقليين . فإنا نرى بعض
المعاصرين الذين يبالغون هذه الموضوعات
في مصر يتكيفون السبل السوية ويقهون
في مهام التقليد والانتقاد وراء هذه الشرذعة
المادية من فلاسفة أوروبا الذين حطتهم
أدلة الروحانيين ، وصيرت مذاهبهم خرائب
وأطلالا ، وإليك شيئا من هذه الأفكار
السطحية التي سار فيها بعض مؤلفينا على
أناس بعض فلاسفة الغرب اللاديين دون
تأمل ولا دوية .

يرى أحد المرين أن الواجب في دراسة
الدين في المدارس هو الاختصار على ذكر
ما في الدين من أخلاق وفضائل دون تعرض
إلى دراسة الدين نفسه ، ولا إلى تحليل
نظرياته الجدلية التي لا يعود منها على الطالب
إلا إنقال كاهل ، وكذ رأسه ، وإنهاك عقله
فيما لا يفيد ، بل يتبد قواء ، ويقتل
ملكاته ثم يستمر في تقديمه فيقول : إذا ماذا
يستفيد الطفل من معرفة أسماء الله الحسنى
وصفاته العلية إلى آخر ما قال .

ونحن نرى أن هذا الرأي بعيد عن التعمق
والدقة كل البعد ، ولو حملنا به لآب شبابنا
من الأخلاق الدينية على الرغاض صفر
الأيدي ، ولتقدمنا جميعا نحو الفضل
في اتباع تعاليم الله بخطوات واسعة ،
لأننا لا نرى أدعى إلى السخرية ولا أبعد

في العالم الآخر الذي سيلتقي فيه جزاء عمله
إن خيراً غير ، وإن شراً غير .
ومن أوائل عيزات الأخلاق الدينية أنها
مؤسسة على حب الله وإطاعة كل أوامره ،
ثم على حب المؤمنين إلى حد تسويتهم بالنفس
ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
ما يحب لنفسه .

ولا ريب أنه إذا أحب الإنسان عاقله
وأطاع أوامره ، وأحب لأخيه ما يجب
لنفسه ، فقد وصل إلى أرق درجات السكال .
هناك فضل آخر قد سكب نور الأخلاق
الدينية على بني الإنسان ، وهو أنه ربط
وحداناتهم وضمائمهم بالصورة الوثائق التي
لا تنقسم ولا تتحل ، وهي صورة الإيمان .
ولاشك أن لهذا الارتباط أثراً في حياتهم
الاجتماعية والسياسية لا يحده أي عالم
يواطن الأمور . بل إن الأمم المفككة
بسبب انحلال مقائدها أو جهلها بدينها وانحياض
أخلاقها ، لا تصل إلى مثلتهما بذلك
من جهود ، ولكن المسلمين يمدون ذلك
معداً ميسوراً واضحا في كتابهم الكريم الذي
يقول : « واتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا وإذا كروا فمتة الله عليكم إذ كنتم
أحداً . فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة
إخواناً » .

دكتور محمد غنوي

ومن جانب آخر ينبغي أن نذكر أن الدين
الإسلامي عالج كل مخالفة لهذه الأبراج
المقتضية التي تسقط من طهارة واحدة ،
لأن فيه قوة كاملة ، وصلابة وعتانة تجعله
قادراً على المقاومة مقدرة تامة ... ولأن اعتقد
أن الشرق إذا قلب على جهوده الزمان
وتخلص منه ، فإن الإسلام لن يضع أية عقبة
جديدة في سبيل التفكير الحديث . . . بقي
في هذه النقطة بعد الذي قد مناه أن نعلن -
تمنياً لها نحن بصدده - أننا نعلم علم اليقين
أن أسس الأخلاق الدينية مرتكزة على
الوحي الإلهي إلى الأنبياء عليهم السلام ،
ونعلم كذلك أن الله أوحى إليهم أنه سبحانه
أصل الخيرات والمعارف ، وأنبأهم بالضمير
الذي خلقهم منه ، وبطبيعتهم التي كانوا
يجهلون بها ، وبمصورهم العام وبرامجهم الذي
لا ينبغي أن يبدوا عنه قيد أمثلة لو أنهم
سادوا على التحرر الذي يجب لهم ، وأوحى
إليهم أيضاً أن عقل الإنسان في حاجة دائماً
إلى المرشد الأهل لهديه إلى سواء السبيل ،
وأن مصلحته الخاصة تقضي عليه بأن يطيع
وبه مقتضاً بأنه تعالى لا يأمر إلا بالخير ،
ولا يحض إلا على الفضيلة ، وأن هذه الحياة
الدنيا - على ما فيها من بهر ولائ - ليست
إلا معبراً يمرر عليه الإنسان إلى الحياة
الخالدة ، وأن حظ لا ينتهي منه هذا الأجل
الديني القصير ، بل سينتهي إلى ما قدر له

فِجْهَابَةُ الْفِرْلَاةِ

دَعْوَةُ الرَّحْمَنِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ

لِلْأَمَّةِ أَعْبَدِ اللطيفِ السَّيِّدِ

(أ) « وَاقِهِ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ » .
(ب) « وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » . آية - ٢٥ - يونس

(١)

على معرفته من طريق المساعدة . والتعقل .
ونحنج إلى توحيدهِ دون شك متافٍ وحدانيته
وقدرة .
فهدايتنا إلى الله من جانب الله . . وهذه
دعوة منه - سبحانه - بلسان الحال إلى
خ-وآل .

ثم جاءت الدعوة الناطقة على السطوة
تبارك ، بالنبية إلى ما خلق ، والتذكير بما
نسى ، والتوجيه إلى التماس النجاح عنده
بما نقول ، وبما نعمل في ضوء شرائعه .
٢ - وهذه الدعوة إلى دار السلام :
سواء كانت فيما نشهده من أمارات ألوهيته ،
أو فيما نسمع من طريق رسالاته ، دعوة
موصولة في كل زمان ، وعامة إلى سائر خلقه ،
وايست خاصة برجال ، ولا بنساء ، ولا
في جيل دون جيل . . وإن كانت متعاقبة
من رسول إلى رسول .

١ - دار السلام طيبة من طبقات الجنة
الثمانية ، وهي لأفصام من آثرهم الله بنعيم
خاص ، في مقابلة أعمال طيبة بأدوروا إليها
في دنياهم .

ولكن المراد منها في هذه الآية هو هموم
الجنة ، لأن الجنة كلها دار سلام ، وأمان ،
ونعيم ، ورضوان ، ومهما تنوعت طبقاتها
بالنسبة لثغرات الدوابح بين المقبولين
عند الله ، فالسلام من غضب الله قد اشتمل
جميع الفائزين بالجنة ، والأمان فيها قد تحقق
للفائزين ، فهم في رضوان ربهم خالدون .
ودعوة الله إلى الجنة دعوة رحيمة . أشرف
بها الدنيا قبل أن تعم بأهلها ، وتزدحم في
هذا الكون قبل أن يتلبد جو الحياة بالآثام .
وذلك لأن الله ملا دنياه بآيات وجوده ،
ونصب لنا مسالم هداية في ملكوته ، لتنفأ

واعبدوا وبكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، يعنى لتفعلوا كما وعدتكم .

يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب

الذى أنزل من قبل ، يعنى الكتب .

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا ، وهكذا من آيات خاصة .

ثم يعزم الله خطابه ووعدته في نحو قوله تعالى « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » ، وفي نحو قوله - سبحانه - « الذين أحسنوا ، الحسن ، وزيادة » ، فذلك وعد لكل مستجيب .

ومن هذه الأساليب المتنوعة في الدعوة إلى دار السلام نذكر رحمة الله بعباده جميعا في دنياهم .

ونؤمن بأنه فتح أبواب الإيمان للجميع ، ثم دعاهم جميعا إلى المبادرة . . ثم أتى عليهم مسئولية الاختيار ، وقال : « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » ، إنا اعتدنا للظالمين نارا ، أساطيرهم سرادقها . . .

(ب)

٤ - وهذا ما يكشف عنه شطر الآية : « ويهتدى من يشاء إلى صراط مستقيم » ، والمعنى : أن الله وحده يهتدى إلى الخير ، والإيمان من يهتد .

فن هو فاعل المشيئة التى تترتب عليها

وقد استقرت أخيرا في نداء القرآن إلى الناس عامة ، وعلى لسان محمد خاتم الرسل عامة : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا » .

وهذه الدعوة إلى دار السلام ذات ألوان في أسلوب القرآن ، وليست بصورة في وضع واحد ، فانه - تعالى - يقول مثلا : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » ، ويقول : « يا صنادي قاتلون » ، « قاتلون يا أولى الألباب » ، ويقول : « فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » ، « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » ، وهكذا من آيات كثيرة يوجه الله فيها الخطاب إلى جميع خلقه ، منذ خلقها الإسلام في أوجاء الدنيا .

ويفتح باب الأمل في وجه كل عبد من عباده ، ويضرب الأمثال في التنبيه ، والعبارة ، ويصدرهم بوعدته ، ووعيدته ، ويهتفهم في حضراته ، ويخيفهم من غضبه ، وعذابه . ٣ - وكل هذه التوجيهات دعوة منه تعالى إلى دار السلام ، وستظل دعوة الناس يجرها القرآن إلى نهاية الدنيا .

كما نجد آيات أخرى ، فيها خطاب للؤمنين خاصة - ليشتجعهم إلى المزيد من عمل الطاعات - وليعصرهم بأن لم حظوة هذه ليست لغيرهم وليعصر الكافرين بالحرمان إن لم يؤمنوا كذلك . .

يا أيها الذين آمنوا ، اركعوا ، واسجدوا

كتاب الحياة الأخرى

للدكتور عميد عبد الفتاح

أخرت اكتشافات علماء المضاء الحديثين للعالم الأثرية بعض شبابنا المتطلعين لحديثهم إلى الخوض في مشاكل الغيبيات والاندفاع في تباين المجهول ، كحقيقة الروح والنفس ومسائل الحياة الأخرى ، وغسيل لهم طموحهم الجائر أن قد أتبح لهم تتاول ذلك على ضوء تلك الاكتشافات ، وأن قد هيء لهم شرح الميثافيزيقا ، مادام في الامكان تناولها بضرب من التمثيل والتصوير وأسلوب

من النقاب أو المقابلة بين الصور الأثرية (الميثافيزيقية) والصور الفيزيقية . وبين يدي من الكتب المؤلفة حديثاً في الموضوع كتابان : أحدهما لسيد مصطفى الكيك بعنوان (بين عالمين عالم المادة وعالم الروح) في ١٥٠ صفحة من طبع دار المعارف مصر لسنة ١٩٦٥ والثاني لسيد عبدالرازق نوفل بعنوان (الحياة الأخرى) في ١٦٤ صفحة من طبع المكتبة الفنية الحديثة .

(بقية المنظور على الصفحة السابقة)

هداية الله ؟ هل هو العبد الذي يوجه إرادته الاختيارية إلى ناحية الطاعة ، بمعنى : يهدي العبد الذي يشاء لنفسه . وبناء على هذا تتحقق له هداية الله ، هذا احتمال قوي في الآية . فإن الله قال : فمن شاء فليؤمن ، وتلك مشيئة شخصية ، علم الله قديما حصولها من عبده ، ورتب عليها قضاءه ألا هداية هذا العبد ، الذي علم الله ما سيحصل منه . . . فإيمانه باختياره المعلوم قديما ، ومن قبل أن يوجد العبد ، أو يختار ، وربما كان قاهر المشيئة هو الله - تعالى - والمعنى : أن الله لما علم من عبده ما يختاره ، شاء له

الهداية ، فشيئة الله مبنية على مشيئة العبد ، ولهذا تجد القاية واحدة ، وهي أن مشيئة الإنسان ، هي حجر الأساس في الأحوال الاختيارية ، دون الأعمال الاضطرابية . . . فلا يصح أن يقول قائل : إن الإنسان مجهود في كل شيء ، ولا يختار في كل شيء . بل هو بين هذين الاختيارين . . . ولذلك دعانا الله كثيرا إلى العمل لدار السلام ، ثم تفاوتت درجات الناس في علمهم ، فيما لتفاوتهم في اختيارهم . وإن كلالا ليوفينهم ربك أعمالهم ، إنه بما يعملون خبير .

عبد المظفر السبكى

(النفس) الذي يحمل معه العقل حيث يحمل الإنسان بعقله وبدير وظائفه في أوساط مغامرة (الحياة الأخرى ص ٤٨) .

٢- ويشبه العالم الأثيرى في كثير من الوجوه عالمنا هذا ، وحواصنا هناك تستجيب كما تستجيب هنا لما يشيها ، وأهل ذلك العالم يجدون أنفسهم في أوساط تسكاد تكون شبيهة بأرسلطانها ، فهناك ينمو الشجر ويتنوع الزهور... والحياة النباتية كلها بدلا من الذبول تفقد تصدها وتختفى عن النظر ... وللقاطنين هناك نفس المشاعر التي لنا ... فهم يحسون بالزهور ويلبسونها ويقسمونها . (الحياة الأخرى قلا عن أثر فتدلاى ص ١٠٧/١٠٨) وللنفس (وتختلط في عباراتهم بالروح) شكل وصورة (بين عالمين ص ٢٢ ، ٢٤) إذ تلبس بعد الموت جسما آخر (أنهبيا) يشبه جسما في الدنيا ويأخذه ، إذ لا يوجد روح بلا جسم ولا جسم بلا روح ، وبذلك يتعارف الناس في حياة البرزخ (الحياة الأخرى ص ٣٠) .

٤- وقد تمكن العلم الحديث (كذا) من إخضاع الروح للدراسات المسلية : (في المعهد الروحى ياريس أجرت مدام كوردى الباشة والعالمة المعروفة تجارب للتيقن معمليا من وجود الروح ، بأن جاءت بثلاث كشافات كهربية وشحنها وطلبت من الوسيطة التي تمارس الوساطة الروحية أن تطرح روحها وتفرغ هذه الكشافات الثلاث

ونورد هنا أهم ماورد في الكتابين ، معرضين عن بعض المئات والتوافه وما أكثرها :
١- الإنسان ثنائى الجسد ، يتكون من جزأين : من جسده المادي المطبوع من مادة العالم الأرضى ، ومن جسده الروحى أو (النفس) المطبوع من مادة العالم الأثيرى (بين عالمين ص ٩٦ ، والحياة الأخرى ص ٢٣) .
وكلا الجسدين يتألف من ذبذبات يحددها علم الميكانيكا الموجية مع اختلاف هذه الذبذبات عدداً ، فبينما يتألف الجسم الطبيعى من جماع إشعاعات تراوح ذبذباتها بين ٤٠ ألف مليون و ٧٥٠ ألف مليون ذبذبة في الثانية الواحدة يتألف الجسد الأثيرى من جماع إشعاعات أكثر ، وبناء على ذلك يقع الجسد المادى داخل حدود الموجات المربعة لما له من كثافة نسبية ، أما الأثيرى فلا يرى لتفافيته المادة ، وحيث إن مستوى تكوين النفس الأثيرى داخل النطاق الأثيرى فهو داخل في مستوى التكوين الأثيرى للعالم الآخر الذى تنقل إليه بعد مفارقتها للجسد الأرضى ، وتبعا لذلك تكون النفس خارجة عن حدود العالم المنظور (بين عالمين ص ٢٨) .
٢- وعلى مثال الجسد الأثيرى تتكون الحياة البروزخية (حياة ما بعد الموت) المستمرة إلى البعث وقيام الساعة ، فالموت ليس هداما ولكنه انبهار للجسد وقيامه للنفس (بين عالمين ص ٤٠) .

هو فقدان الجسد المادى دون الأثيرى

إلى ما ذكره جلال الدين السيوطي في الاتقان (ج ١ ص ٤٤) في صدد حديثه عن كيفية نزول القرآن، إذ قال: وفي التنزيل طريقان أحدهما أن النبي انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل، والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه (بين طالين ص ٢٩).

تطبيق على ما تقدم:

(١) خلط الكاتبان هنا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فالإنسان مكون من جزأين جسم وروح مع ميل المذاهب الإسلامية إلى وضع النفس في المحل الأول

والروح بقاء بعد الموت وشعور بالآلم والراحة، كما وردت بذلك الآثار المستفيضة وقد اختلف الفلاسفة في تحديد النفس واحتملت ألفاظ القرآن معاني مختلفة لما كما اختلفت الفلسفة العقلية والمادية في تحديد العقل، ولا يزال الأطباء يضطربون فيه حتى اليوم ويفصل النزالي بينها بفروق اعتبارية ومثل ذلك ما شاع عند بعض الفلاسفة من أن النفس مبدأ الحس والحركة، والروح مبدأ الحياة، والعقل مبدأ الإدراك، وذلك وأى غير حاسم لأنه تعريف بالرسم. هل أنه مفيد من الوجهة المنهجية. والخلاف هنا غير ذي بال والحديث فيه غير خطير، إذ يختلف في نتائجه وغايته عن حديث كتابنا المعاصرين.

(ب) ولما لتساءل: أى علم حديث هذا الذي تمكن من إخضاع الروح لدراعات المعالجة؟

عن بعد، وفصلاً قامت الوسيطة بتفريغ شحنات الكهرباء عدة مرات وهي في مكانها بعيداً عنها، واستتجعت مدام كورى ومن معها أن ثمة شيئاً (كذا) خرج من جسد الوسيطة البعيدة عن الكشاف ثم لمسها ففرغت شحنة خلاله إلى جسم الوسيطة ثم إلى الأرض، وقد صدر عن ذلك تقرير من المعهد السيكلوجي بباريس ونشر في أكثر من صحيفة كمحاضر جمعية البحوث الروحية البريطانية...، ويستطرد الكاتب فيذكر نتيجة تجربة الدكتور (وارز) تدل على (أن الطاقة التي يفقدها الجسم بالموت جسم غير مادي أنزل من الجسم المادي في لحظة حدوث الموت وقد أمكن أن يرى باستخدام بخار الماء) (الحياة الأخرى ص ٣٢).

• وإذا كان الأثير هو المادة المشتركة بين العالمين الذين هما جزء من كون واحد فتغيير الاهتزاز الموجود داخل الذرة هو السبيل إلى الانتقال من العالم المادي إلى العالم الروحي أو من المرقى إلى غير المرقى.

فالسماوات السبع كرات تختلف فيها الاهتزازات قوة وكثرة وليس من المستطاع تنفيذها إلا مكيفين بالطاقة المعهدة من القوى الأثيرية (الحياة الأخرى ص ٩٩) ويشهد حديث المعراج بأن جبريل لم يستطع مواصلة الرسول في الصعود إلى السماوات العلى نظراً لعدم حصوله على الطاقة الذرية التي امتاز بها الرسول ويستند الكاتب هنا

(Les esprites) الروحيين وقد شامت بعض تجاربها وشهدت الكثير من اجتماعها في باريس ومن تلاميذها عندنا السيد / فهمي أبو الخير ومدونه .

إلى بحث هؤلاء يرجع كتابنا عن الروح والعالم الأثيري كما نهوا على ذلك في منج بهمهم (الحياة الأخرى ص ٩٦-٩٧) هل أنهم لا يعدمون أن يصيدوا أسانيدهم من خواطر غلاة الصوفية أو حسن بعض الفلاسفة ومن تلقائيات لا ضابط لها ولا حائط بما لا يمكن أن يستند به كركيزة لبحث على ، فضلا عن موضوعات شديدة المساس بدات الفوج وروائب حراء من النفس والروح والملا الأعلى .

(٣) وواضح أن هذه الاشتات المضطربة من مصادر كتابنا الثيبان لا يمكن أن يتم عن شيء في مجال الروح والنفس والحياة الأخرى . فقد حدد العلم نفسه موقفه من هذا المجال واستقل بعد هناء القوط بدرس ظواهر الموجود عن طريق التجارب والملاحظات ولم تجد الفلسفة نفسها بدا - بعد كانت - من أن تهز في الميتافيزيقا بعد أن تكشف حقها وحتم جدواها . ولقد تحدث فلاسفة الإشراف - وسبقهم النزالي - عن عالم الغيب والشهادة ووسائل العروج من الحجب بينهما إلى الجانب الإلهي ، ولكن كان مرجعهم في ذلك الذوق والوجدان لا تحليل الضوء وتجارب المعمل .

والحق أن النتائج الخطيرة للدراسات التي يشيها هؤلاء الكتاب على الجماهير هي قبل كل شيء امتداد لداوري بعض مستحضري الأرواح - ومستندة في أغلبها من بحوث الجمعيات الروحية التي انتشرت منذ طائفة القرن الحديث في أمريكا وأوروبا بعيدة عن محيط الجامعات مسلحة بتنظيم حديث من أجهزة إذاعية ، مجلات وكتب ونشرات ، ومن دعاة (دكاتره) يحاضرون بصفة منتظمة لبث أفكارهم والإسلام بالمكشوفات التي يدهونها نتائج تجاربهم وبحوثهم ، ويختلف إلى تلك الجمعيات وواد من المصابين بالشذوذ وبالعقد والشمكات النفسية .

ولا يخفى على من يتعرف عليهم أن التجارب التي يمحرونها على الوسطاء (Les Sujets) يتخيرون لها أشخاصا ذوي قابلية واضحة للاستهواء والتجرد من تنافر في أجسامهم مادة خاصة (fluide) قابلة للتأثر والتأثير ، وهذه المادة موجودة بقدر موفور في الدكتور القائم بالتجربة (أو عملية التنويم) حتى إذا تسلط على الوسيط بطريق النظر الحاد أو توجيه كفيه إليه أو المساس به أو به بعض آثاره التي لا مسك جسده نزع منه قواه وأخرجه عن وهبه وإرادته كما هي موفورة في العائن الذي يؤثر بنظرة في الجيوبان والجناد نفسه ، ومن مستلزماتنا حسابية شديدة تتجاوز حدود التصور - فهي هذه الجمعيات

موضوع الروح أو الحياة الأخرى من الهوان بحيث لا يجد من يتصدى له إلا ذلك السيد / فندلاى ١١١ ولعل كتابنا لم يعلوا أن شرح ظواهر الضوء في علم الفيزيكا - استناداً على وجود ما يسمى بالانير - قد انتهى العلماء من المدول منه منذ أوائل هذا القرن .

(٨) على أنه إذا كانت رسالة العلم قائمة على شرح ظواهر المعطيات للتجربة . واستنباط القوانين على أساس من الفروض والتجارب والأقضية والموادين وكان هؤلاء قد وصلوا برؤسهم إلى هذه الرسائل في دراسة الروح وعالم الميتافيزيكا فوقفوا على ملاحظها وخواصها وانتهوا إلى اليقين في خفاياها ومشاكلها (الحياة الأخرى ص ٢١ / ٤٧ / ٥٠ / ٩٥) فإذا بقي من العالم الغيبى بعد أن دخل المحل مع عالم المساعدة ؟ وماذا سوى أن نقول لم بعد أن سمعوا لمستر جون ويليس (إنه قد يحل في القريب المعاجل اليوم الذى يستطيع فيه المرء أن يرفع سماعة تليفون خاص ليناطب الموق في عالم الأرواح وبعد أن سمعوا بتلك الأجهزة التى تستخدم للاتصال المباشر بسلطان القبور ؟ (الحياة الأخرى ص ٥١) .

(٩) إن تسليمهم للتلفاق بالسيد فندلاى وإيمانهم المعقود بدماوى أمثاله يوم إلينا بأنهم على الأهبة لخطوة أخرى لن تكون غريبة ولا خطيرة ولا طرفة ، خطوة عن

واذكر هنا ما كتب الدكتور (اليكسس كريل) في موضوع الجسم والروح والمنهج الصالح للبحث :

(ولقد وقف الفلاسفة المظلماء حياتهم في جميع الأزمان والبلدان على بحث هذه المعضلات ولكنهم لم يصلوا إلى حلها وستظل بدون إجابة حتى يمكن اكتشاف وسائل جديدة للتغفل إلى عمق أبعد في العمور وإذا أردنا تقدماً لفهمنا هذا الجانب الجوهرى المحدود للكان الحى وجب علينا أن نقوم بدراسة دقيقة للظواهر التى يمكننا الحصول عليها بواسطة طرقنا الراعنة للملاحظة وكذا العلاقات الموجودة بينها وبين وجود النشاط الفسيولوجى

(الإنسان - ذلك المجهول ص ٩٩) . وهو منهج الدراسة العقلية وينصب بالطبع على دراسة الكائن المادى .

وإنه ليدعنى ما يصفه هؤلاء الكتاب على بحوثهم من صفات جامعية لا تتفق مع ما نعلم ويسلم غيرنا ما للجامعات من مواد ومنهج بارزة وعدة .

(د) وإذا كان من الممكن أن نسل - جدلاً - بمعطيات الميكانيكا الموجية في ضبط الطاقات الانثوية بالآلاف ملايين المرات أو الذبذبات فأنى لم الادعاء بتطبيق ذلك على الروح أو النفس وتقرير ذلك بما يدهون من تجارب السيد / آرثر فندلاى حتى كان

أن يكون من السمعيات التي تؤمن بها وتمسك
من تكليفها والخوض في شرحها .

وليس أولئك الذين يستجدون بالقرآن
في تعزيز مذهبهم أنه كتاب هداية ورحمة
وتوجيه للإنسانية ، وليس في ألفاظه
وهياراته السخية العامة بالمعاني والإشارات
شبه بالالفاظ الاصطلاحية المستخدمة في
التحديد المنطقي للمذاهب والنظريات ، حتى
ليضل هؤلاء الذين يعملون به البرهنة على
مذاهب وأولئك الذين يعملون به البرهنة
على عكسه ، ولقد شهد الكاتبان كم من المعاني
ذكرها القرآن للنفس .

وبعد :

فلقد شغل الناس بما كتب هؤلاء الناس ،
ولقد فتحوا ثغرة تلج منها الفتنة وتشيع فيها
الغشاة ويذيع بداخلها هواة الجديده وهواة
التجديد ، حتى لا يمكن بعد ذلك أن يكبح لهم
جراح أو يقذف طماع ، وكان حرياً بهم أن
يستوثقوا فيما يكتبون بالثقافت الأنياب من
هؤلاء الفيزيقي ورجال العقيدة وألا يستهويهم
ما يكشف العلم عن بعض جوانب الوجود ،
فعارفنا لا تزال في بدايتها ، وعقولنا في
مستهل زيادتها ، وليس لنا أن نخف أو نستخف
كلنا لمح بارق أو من جديد .

أشوقا ولما تمض لي ضيرة ليلة

فكيف إذا شط المثل بنا ههنا

عفي عن عبد الفتاح

البحث عن الله تعالى وتوّه ، أفيكون في قوة
الذبذبات وذووة الاهتزازات ؟

فالروح شبيهة بالإله الخالد كما يقول السيد
نوفل (ص ٤٠) الذي ينفي (ليس كئله
شيء) ويرتكز سيادته على رأى أفلوطين
في اتحاد النفس بالله . (عند أفلوطين اتحاد
النفس بالنفس الكلية) والاتحاد يقتضى
الوحدة بالتكوين أو التشابه ، (ص ١٧)
وسبحان من توّه عن العبيد ، وأيا كان
فالقول بالاتحاد - أفلوطينيا أو صوفيا -
لا يتفق ومبدأ التنزيه .

أفلا يتربق البسطاء الأغرار المسجعين
بالسيد نوفل أن يروا في حوائيك الباحة
كتبا عن الله ليصير به إل أن الله هو عقله
الأعظم وعلمه الأحكم ؟

(ز) ولقد شاعت حرية البحث هؤلاء
السادة أن يتناولوا الكتاب والهيئة وينزلوها
في غير تودع أو تحوط على ما رأى (أدثر
فندلاى) في شرح الروح والنفس والإسراء
والمرجاج ومعالم الحياة الأخرى .

ولقد غفلوا عن أن حقيقة الروح بما استأثر
الله بعلمه ولو كفوا أنفسهم قليلا بالنظر إلى
قوله تعالى :

« قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من
العلم إلا قليلا ، لعلموا أن جز الآية يؤيد
هذا الاستئثار بما لا يدع مجالاً للإنكار ،
أما حديث الإسراء والمرجاج فلا يخرج على

الجنس والملعون

للاستاذ عبد الجليل شلبي

هناك بعض ما لنشاط المبشرين ، وقد ذكر الكاتب نفسه أن حال المرأة في مصر وبعض البلاد الشرقية الأخرى غير حالها في الأقاليم النائية : إريقية وآسيوية ، فالمستول إذن عن هذه السوءات هم المبشرون والمستعمرون وإيسوا هم الشرقيين والمسلمين .

وأم التقاليد والعقائد التي ذكرها ترجع إلى هذه الأشياء .

١ — إن المرأة — في نظر الشرقيين — بحلة بالدنوب وهي بطبيعتها نجسة تمدى بتجاسسها كفضارة الكلاب والحنازير ، وأن النبي محمدا (ص) أوصى الرجال بعدم الإخلاص لها ، ولهذا أباح للرجل أن يتزوج من أربع نساء قانونا وأن يقسري ما شاء من الجوراء بينما لا يسمح للمرأة أن تظهر من جسمها إلا وجهها فقط للرجل الذي يابها والمعا له أو أهداها إليه .

وتفتيد هذه الدعاوى كلها والأصل الذي بنيت عليه قد بطول ويمتد ، ولكن الكاتب نفسه لم يذكر دليلا واحدا على صحة هذه المقترحات ، وقد عاتته فطنته فلم يقنع لما في كلامه من تضارب واختلاف ، فلو كانت المرأة كما يقول في نظر المسلمين نجسة تمدى بتجاسسها كالكلاب والحنازير ما قبلوا أن

هل المرأة جنس ملعون في نظر الإسلام ؟ هذا ما يقوله الكاتب اليهودي جورديان تروالر ورفيقته كلاوده ديفارجه في مقال نشر بهذا العنوان في مجلة شيترون الألمانية (١) .

وقد صور هذا الكاتب بقدر ما سمح له ضميره اليهودي كثيرا من عادات الشرقيين . وعلى الأخص سكان وسط إريقية . إزاء معاملة المرأة ، وهو يتبع بعناية وفضول كل عادة بقوّة ولو منقرضة فيبالغ في تصويرها مباينة لا يسمح بها إلا ضميره وضمير أمثاله من اليهود وأعداء الشرق من الغربيين ، وفي كثير من المواقف يطبع هواء فيختلق ثم يمزج هذه السوءات لتعاليم الإسلام .

وقبل أن نستعرض الصور التي ذكرها عن عادات الشرقيين في معاملة المرأة نذكر أن البلاد التي خصها الكاتب بالنقد والازدراء هي الأقاليم التي وزحت تحت هبة الاستعمار ودحا طويلا من الزمن وبعضها لا يزال يعاني أنقاله وبعضها حديث عهد بالاستقلال لم يفتق بعد من خواره ، وليست هذه البلاد مسلبة بقدر ما هي مسيحية ولا لنشاط الدعوة الإسلامية

(١) نلت مجلة الأزهر ترجمة المقال ونابح نصره واسم المجلة التي نشره من إداوة الشرع الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية .

ولدا غير شرعي، ولعل الكاتب وهو ألماني لا يجمل ما يحدث في بلاده من نتائج المخالعة وإفساد الشباب، ويشجع بينهم من جملة الشهوة ما يجعل الإفريقيين البدائيين أحسن منهم حالاً. وتعدد الزوجة ولا يجب هو الذي يمكن أن يظهر هذا الفساد. هل أن الإسلام لم يدع إلى تعدد الزوجات وإنما أباحه بشرط المقطرة بكل أنواعها وبشرط العدل أيضاً بين الزوجات، ومن ليس له كل هذه الطاقة كان آثماً بالزواج من غير واحدة. وفي القرآن فإن ختم ألا تعدلوا فواحدة. ولا توجد في الإسلام ولا في البلاد الإسلامية امرأة تباح ولا توجب كما يقول الكاتب وإنما هو مجرد اقراء.

وأما أن المرأة عملة بالخطيئة منذ بدء الخليقة وأنها بطبيعتها زاعة إلى الحرام بتلك شريعة التوراة^(١) وليست شريعة القرآن، فقد نص سفر التكوين على أن حواء هي التي أكلت من الشجرة المحرمة وجرت آدم معها إلى ارتكاب الخطيئة، وأن الله عاقبها لذلك بالام الحبل والوضع وقضى أن تخضع لسيادة الرجل حقبة لها. أما القرآن فلم يخصها بهذا الإثم ولا حملها وحدها وزره فرة يسوى بين آدم وحواء في هذا فيقول:

و نأكل منها فبدت لهما سوءاتهما، فوسوس

(١) قصد بها العهد للتداول للمسيح العهد القديم، ويحسم للأورثوذكس على أنه لم يكتب زمان موسى ولا الذي يليه

يستكثر منها هذا الاستكثار الذي ذكره، إذ لا يقبل أحد أن يستزيد من هذه النجاسة، وهو عطل في الأمرين جميعاً فلا النبي أوصى بعدم الإخلاص للمرأة، ولا الإسلام طلب كل هذا الاستكثار من النساء.

والذين قرأوا تاريخ النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعلمون أنه أوصى بالمرأة وأنصفها ولم يوصح حدها ومن ما توارث أقواله فيها: استوصوا بالنساء خيراً، اتقوا الله في الضعيفين؛ اليتيم والمرأة، حجب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عين في الصلاة، من كان هذه ثلاث بنات فاحسن تربيتن كن له حجاباً من النار قيل: واثنين، قال: واثنين.

فهل كان يوصي هكذا بها لثزارتها وحفارتها؟ أما إباحة الإسلام للرجل أن ينكح زوجتين أو يزيد إلى أربع فأمر تكفلفت كتب التشريع بشرحه وتناوله كثير من الباحثين في الإصلاح الاجتماعي قرأوا أنه أمر تدهو إليه الضرورات أحياناً وأن الوضع الاجتماعي يحتمه في بعض الظروف، وقد طالبت بعض فتيات في البرازيل وأمريكا الجنوبية بإباحة تعدد الزوجات لإناء كثرة النساء التي قضت على الكثيرات بالتمسك بالحرمان من الزوج والولد، وإزاء قيود الزوجية الشديدة وتحريم أكثر من زوجة أباح العرف في بعض البلاد الأوروبية - ومنها هولنده والنمسا - أن ترضى الفتاة غرضاً من طريق غير شرعي وأن تدجب

يدنها فيه وبين الرجل أما التوراة فقد جعلت عقوبتها هي الرجم بالحجارة حتى تموت (تثنية ٢٠/٢٢) ونصت التوراة أيضا أن المرأة إذا دافعت عن زوجها وهو في شجار فامسكت بمويرة خصمه فإن عقوبتها هي قطع يدها بنهر شفقة بيننا يؤدبها الإسلام بنهر هذه العقوبة فهي أكرم على القرآن بما هي على التوراة ، والقرآن في تشريعه الصلح مدنيا وجنائيا ، لا يفرق بين الذكر والأنثى ، فهو يقول : « من حمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة » .

وأما اعتزاز الفتاة بكارتها علامة على شرفها فلم يمنعها من ارضاعة البدنية ، وفي مصر معاهد خاصة بالبنات لهذه التربية وقد نشر الكاتب صورة منها ، ولا أدري كيف يرى المحافظة عليها حيا ، إنه على أقل تقدير أبعد عن الفسقة والمرأة الأوربية عرضة للشك والاثام إذ لا يدري أذلت بكارتها بسبب الرياضة العنيفة أم بسبب سقوطها أمام رجل أجني وقد ذكر الكاتب حالة رجل تركي تزوج من فتاة إنجليزية وأن الشك ينشئ قلبه ، لهذا السبب إذ فلواحتفظه فتاته بسلامة شرفها ما عرضت نفسها لهذا الاتهام ولا عرضته لهذا الشك .

ويظهر أنه يريد الناس جميعا أن يتصفوا بصفات اليهود من أهدار الشرف والاستهانة بالعفاف ، ونحن لا نضيق عنا أن الآتى

لها الشيطان ليبدى لها ما وورى عنها من سوءاتها ، فعلاما بفرور قلبا ذاقا العجزة بدت لها سوءاتها ، ومرة يذكر آدم وحده فيقول : وعصى آدم ربه فغوى .

فالمرأة ليست جنسا ملعونا في القرآن كتاب المسلمين وإنما الذي يحمل عليها اللعنة هي التوراة كتاب اليهود .

٢ — يذكر الكاتب أن المسيحية لا تعترفها بهذه الخطيئة الموروثة وقابلية الإنسان بسببها أن يزل تسامح مع المرأة إذا زلت ولا تنسده في حسابها ، بينما تحبس المرأة المسلمة عن الأعين وتعالها الرهبة بقدر ما يتطلب شرف الرجال ، والنقطة الرئيسية لإرهاها هي بكارتها ، ولحرصها عليها حرمت من الألعاب الرياضية العنيفة ، فإذا حدث لها رغم هذه المحافظة ما يهرج الشرف وجب أن تحصل على شهادة طبية بأن بكارتها لم تزل بعمل رجل وتعلن ذلك حتى لا تسوء بها الظنون . ولحرص على إعلان شرف الفتاة وأنها ما زالت تحتفظ بكارتها يفتضح الزوج ليلة الزفاف أمام الأقرباء ، وتنتشر بين الناس في الخارج قطعة من النقاش عليها دم البكارة . الخ .

ومن الحق إن الإسلام لم يفرض في المرأة هذه الخطيئة ، وقد اعترف الكاتب على نفسه . ولكن الإسلام مع هذا أدق في عقوبة العمداء وأدسم من التوراة ، فقوبة العمداء - إذا زلت هي الجلد لا فرق

أمام شيوخ المدينة فيبسطان الثوب الذي عليه دعاؤهما وإذن فلا يجوز له أن يرمينا بدائه ويصنعا بما في شريعته .

ولا توجد هذه العادة الآن إلا في بعض الشعوب المتأخرة وهي مع الأسف لم تنفج بتعاليم الإسلام ولا كل أهلها مسلمون وإنما هي التي تعاني تسلط المستعمر الأوروبي وخرافات المبشرين .

٢ - تعرض السكاتب لختان الإثني وما يسبب للزوجين من متاعب جنسية ، وأنه هو الذي يوجه الزوج إلى تعاظم الحشيش والإسراف فيه ليدفع عن نفسه وصحة الضعف الجنسي أمام برود زوجته وبطء استقامتها ، ولكن ذلك لا جدوى فيه لأن استدلال المرأة وهتك أنوثتها على مر الزمن هو الذي سبب برود زوجها قبل جسمها .

وقد بينا أن الإسلام لا يستذل المرأة ولا يقبل مراءتها .

وإذا هذا البحث النفس في عملية الختان وشعور المرأة أنها أقل من الرجل لا نجد قاعدة يحكم بمقتضاها . فقد يكون شعورها بنفاسة الزوج وأنه شيء ثمين بالنسبة لها مدعاة إلى شدة الاستجابة الجنسية واستتارة الروح والجسد جميعا .

والإسلام لا يحتم ختان الإثني ولا يعاقب على تركه ، وهو يسمى خفاضا لاختنا وهذه التسمية تشير بعدم المبالغة فيه .

الآدمية هي التي تمتاز بين الأنثى جميعا بهذا الفضل الطبيعي ، ومن حق زوجها وحده أن يزيله ، والإنسان وحده هو الذي يعتز بسلاتته ويدرك معاني القرابة ومطهرة الأسرة . فمن حق المرأة وهي وعاء الفضل أن تحتفظ بهذه المنحة الإلهية وأن تحافظ عليها حتى يزيلها من له الحق في إزالتها . وليس من حق اليهودي أي يهودي - أن يتحدث عن معاني النخوة وتشرّف وغيره الرجال على النساء فهذه معان يدركها غير اليهود .

وقد كان على السكاتب ليكون حديثه أدنى إلى الحق أن يذكر لنا أين رأى هذه العادات المقبوحة في إزالة البكارة أمام الناس أو إعلانها للآخرين ؟ إنه يذكر أنه طاف بكل هذا العالم الشرقي من المغرب الأقصى إلى ما وراء العراق وجلب أواسط إفريقيا وكشيرا من وربع آسية فهل رأى هذه العادات . إن كان رآها حقا . في بلد تنفج فيه تعاليم الإسلام أو هل هو يعرف فصا إسلاميا يدهو هذا ؟ .

إن الإسلام يدهو إلى المستحق في مجرد النوم المنفرد ، ويدفع الحد بالعفة ويلتزم للناس الأهدار فكيف تنسب إليه هذه العادات ؟ نود أن نذكر السكاتب اليهودي . أن إعلان دم البكارة أمام الناس هو تشريع يهودي لا إسلامي . وقد وضع الإصحاح الثاني والعشرون من سفر التثنية . أن الفتاة المتهمة من زوجها يخرج والنساء ووالدتها بعدزمتها

هو الحاكم الوحيد بين حكم العرب الذي يطلب الصلح مع إسرائيل .

واعتراف الكاتب بهذا هو اعتراف بأن أسلوبه يحاكي البحث العلمي وأن كتابته مجرد مقالات ولو كان حقا يعنى بالحقائق لذكر البلاد التي رأى فيها هذه العادات ويعينها وبين أصابع المثيرين وعمل المستعمرين ، والذي يذكر الحقيقة لا يتوقع التكذيب .

• — تناثرت خلال المقال مقولات كثيرة أهرضا عنها لوضوح أكاذيبها ، ومنها أن الإسلام يحرم إسعاف غير المسلم بدم الحياة . والإسلام لا يعرف هذا التعصب الذي وقد آوت حكومات الإسلام كثيرين من غير المسلمين وأسعفتهم بكل مطالب الحياة من طعام وطب وسكنى وغيرها ، وقد مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة يهودى فوقف لها وظن الناس أنه لا يعرف أن الميت يهودى فأخبروه به فقال أليس نفسا فهو يحترم الإنسان لإنسانيته لا لدينه ، أما التفرقة بين هنصر وآخر فهي شريعة التوراة وحسبنا أن بينا أن الكاتب لا يكتب للمسلم ولا للحقيقة وأن مقاله يحمل أدله كذبه ، والصور الفوتوغرافية التي نشرها توضح الفرق بين سكان بلد مسلم مستقل وسكان بلد مستعمر بقوده المبشرون بشرعية التوراة ؟

هيم الجليل شلي

وقد بحثت هذه المسألة من الناحية الفيزيولوجية البحتة ، وأصبح من الثابت في عالم الطب أن ترك الختان الفتاة أصلا . بسبب لها ومخوف في دور المرافقة متاعب جسمية بقوم ما يجب لها الختان المبالغ فيه من متاعب بعد الزواج وإن أحسن الحالات الآن أن تخفف ختاننا حينما نغير مبالغ فيه . وهو ما سماه الفقه الإسلامى خفاضا .

أما تعاطى الحشيش أو أى مخدر آخر فهو محرم في الإسلام ، والحكومات الشرقية تحرمه وتقاتل عليه أما الحكومات المستعمرة فإنها تشييه كآدات مفسدة للشعب تمكن المستعمر من إقامة أطول وسيادة أشد ، وقد اعتمدت فرنسا على هذا السلاح في استثمارها في شمال إفريقيا وفي كل مستعمراتها الأخرى فهو عيب المستعمر لا عيب الإسلام .

• — أحسن الكاتب بهافت دعاواه ، ومبالغات كذبه فراح يستدرك أن هذه العادات لا تخرى في جميع البلاد العربية وأن الحكومات الحديثة قضت عليها ، كما ذكر أن القرآن في كثير من آياته ينصف المرأة ولكن حالها ليس على ما رسم القرآن .

وحقا أنه يكاد المريب أن يقول خذوني ، فقد توقع الكاتب أن مقاله سيلقى معارضة من العلماء الشرقيين وذكر أنه لا يتم هذا التكذيب ، فقط يئى على الحاكم التوفى بورقية وله الحق في هذا الشأن ، فبورقيه

طلّاع الثقافة العربيّة في السّودان

للاستاذ عبد العزيز عبد الحق حامي

الأمين المساعد لجمع البحوث الإسلامية

السابع المجرى . ولكن كان لابد أن تنفضي ثلاثة قرون أخرى منذ هذا التاريخ ، حتى يتسنى أن نجد سودان وادي النيل داخلها في نطاق الشعوب العربية أي ابتداء من القرن المباشر المجرى وهو التاريخ الذي يحده لنا الأمر الفسري الوحيد مما خلفه السودان الإسلامي ، مثلاً في تراجم العلماء والأولياء والصلحاء المسروق بكتاب طبقات ود حنيف الله .

ولقد اعتمد عدد من الباحثين من هرب ومستعربين (١) على كتاب الطبقات هذا

١ - مقدمة : لم يكن سودان وادي النيل من البلاد التي اشتملت عليها الدولة العربية الأولى في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، ولذلك تأخر انتصار الثقافة العربية في وروحه مثلاً حدث لبلاد التي أسست أو قرّبت (٢) بطريق التطفل السلي . ولقد خضع هذا الانتشار لمختلف العوامل والملاسات التي كانت بعيدة من أي تنظيم سياسي أو حربي صادو من مراكز القوة الإسلامية في الدولة العربية الناشئة . واضطرقت فعل هذه العوامل وقتاً طويلاً إلى أن اكتمل التوغل الثقافي العربي بصورة جلية بعيد سقوط مملكة دنقلة في القرن

(١) من اعتمد على كتاب طبقات ود حنيف الله من الباحثين العرب المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد الحليم في كتابه تاريخ التربة في السودان - القاهرة سنة ١٩٤٩م كما كان من مراجع الدكتور عبد الحليم هادي في كتابه تاريخ الثقافة العربية في السودان - القاهرة سنة ١٩٥٣ . ومن من به من المستعربين هيلين البريتان في مقالات نشرها في مجلة : السودان في وسائل ومروقات في المجلد ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) استعملنا كلمة عرب هنا كأداة معناه اكتساب المروبة من طريق مصاهرة العرب واصصال اسمهم ، ولم يرد هذا المعنى في معجمات اللغة العربية والقصور بالعرب في هذه اللبغات هو العودة إلى سكنى البادية بعد سكنى الحضر والتعرب بعد الهجرة من الحضر إلى البادية . فالتحضر هو ما سيجي عند التمدد في القاسي وقد انقصر الحاج في خطبته في ذكره بأنه مهاجر وليس بأعراي ويسر الأعراي إذا قيل له : يا عربي والمعكس إذا قيل له : عرب . يا أعراي وكان التعرب بعد الهجرة إلى تربة من التري بمثابة الردة ، راجع هذه المادة في لسان العرب .

بنياً هذا الشرح وإتمامه أو سئل في استنساخه ليكون من الآثار النفسية في مخطوطات خواتمه .

ولم يتح لمؤرخ آخر أن يستدرك حل ما فات ودضيف الله ، فيسجل لنا تراجم الأعلام الذين نبهوا في ظل سلطنة الغور ، كما أنه ليس من الإنصاف أن نعد كتاب الطبقات الذي صنفه ودضيف الله قبل وفاته في سنة ١٢١٦ هـ (١) والذي كان معاصراً للشيخ عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ العصر العثماني في مصر ، هو مبلغ ما أنتجه السودانيون في عالم الفكر والتأليف الإسلامي ، إذ من الجائز أن يكون السودانيون في تلك القرون الثلاثة السابقة على الفتح التركي قد صنفوا كتباً أخرى أنه عليها يد المحدثين أو لم تصل إلينا بعد .

٢ — تأخر انتشار الثقافة العربية في السودان:
يرى من المستبعد كثيراً أن تكون الحياة

لكي يصوروا لنا الحياة الفكرية والدينية والاجتماعية لسودان وادي النيل خلال القرون الثلاثة السابقة على الفتح التركي لسودان في أوائل القرن الماضي ، مع أنه لا يسجل لنا في تلك الحقبة سوى تراجم علماء بملكية منار المعروفة باسم ملكة النونج دون أن يذكر لنا شيئاً عن علماء دولة إسلامية أخرى في السودان كانت معاصرة آنذاك فنونج الأوهي سلطنة دارفور التي كانت لا تقل - إن لم تزد - عن الدولة السردانية الأخرى قوة وازدهاراً ، فالصورة المستمدة من كتاب الطبقات تعد لذلك صورة ناقصة مبثورة . فقد ترددت دون ريب في جنبات السودان الأخرى أصداء لحياة فكرية ودينية لم يستوعبها ودضيف الله في تراجمه المائتين والستين ، فستدل على ذلك من مقدمة محمد ابن عمر الترنسلي لكتابه عن دارفور المسمى (تحذير الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان) في ترجمته لنفسه وآبائه ، كما وقف على ما يمال هذا في خبر طبر لم يفتن إليه مؤرخو الثقافة العربية في السودان ، وذلك في ترجمة المرتضى الزبيدي المتوفى في سنة ١٢٠٥ هـ في ذيل شرحه للقاموس المحيط للفيروز آبادي المسمى بتاج المروس في شرح القاموس الذي استغرق في تصنيفه أربعة عشر عاماً وقد جاء في هذه الترجمة أن سلطان دارفور - ولعله محمد الفضل (١٢٠٢ - ١٢٥٥ هـ) لما سمع

(١) هذا هو التاريخ المجري المقابل لتاريخ البلاد وهو سنة ١٨٠٩ الذي أوردته حل في مجله لأعلام السودان لورد أكوردته ١٩٥١ في ٢٦٨ ولم يبق للوقت حصده في استيفاء مادة الترجمة كما هي طاقته في جميع تراجم أعلام السودان وقد ذكر عبد الحميد جابدين في ثبوت مراجع كتابه تاريخاً آخر لوفاء ضيف الله وهو في سنة ١٢٢٤ هـ واجمع ٣٦٥ من كتابه تاريخ انتشار الثقافة العربية في السودان .

فيها الإشارات العابرة والبيانات القصيرة أو المطولة المتعلقة بالسودان عموماً ، والسودان الشرق بصفة خاصة ، والتي وددت في المصادر العربية المختلفة مثل كتب الأدب والتاريخ والتراجم المعروفة باسم كتب الطبقات ، ووفيات الجغرافيين والرحالة العرب وغيرها مما يشهد إلى البلاد السودانية وبقاؤه أحوالها جملة أو تفصيلاً ، ثم تجمع هذه الجزرات تصنيفاً زمنياً وموضوعياً ، ونشر تحت عنوان « المكتبة السودانية العربية » لتكون مصدراً يجمع بين دفتيه النصوص العربية المتعلقة بالسودان جميعاً ينقسم بالدقة والتقويم والإحاطة ، يرجع إليها الباحثون في تاريخ السودان الإسلامي والمتابعون لحركة اقتصاد الثقافة العربية في دبره .

وبما أن هجرة القبائل العربية إلى السودان ترتبط إلى حد كبير بما وقع من التطورات في تاريخ البلاد الإسلامية المجاورة ، ولا سيما ما يتعلق منها بالتقلبات الناشئة عن قيام الأسرات الحاكمة وسقوطها والنزاع جهات عربية إلى السودان فراراً من الأذى والاضطهاد ، ونظراً لما قام من اتصالات بين الإمارات الإسلامية في السودان وما يجاورها من الدول الأخرى وتأثيرها بما يقع في هذه الدول من أحداث ، فمن الراجح أن نظفر بمادة وفيرة عن السودان

الإسلامية في السودان وادي النيل ، قد بدأت لجاء سوية كاملة التكوين في القرن العاشر الهجري وذلك دون أن تسبقها لإرهاصات أو فترة نشأة مهد لها ، استغرقت فيما نرجح وقتاً طويلاً قبل هذا التاريخ . ولكن كيف السبيل إلى معرفة مراحل هذه التطورات السابقة التي مهدت لأفقار الثقافة العربية في السودان ؟ إن المصادر العربية الخاصة بالسودان الإسلامي قليلة أو هدية الأثر ، ومنها ما ياد فيها ياد من ذخائر الكتب العربية ، وقد حاول الرحالة السويصري « بوركهارت » (١٧٨٤ - ١٨١٧ م) في مطلع القرن الماضي أن يسترهل نسخة من كتاب تاريخ النوبة لـ عبد الله بن سليم الأسواني الذي أخذ عنه المقرئ في خطه ، ولكنه لم يظهر بطائل ، وكانت الكتب العربية آنذاك ، قل إنشاء مطبعة بولاق ، لا تزال مخطوطة لم يكن قد طبع شيء منها بعد .

وكنا قد رسمنا برنامجاً أعلن عنه أكثر من مرة في الجمعية التاريخية السودانية وكذا لدى المهتمين بالدراسات السودانية في مصر ، وهذا البرنامج شبيه بما قام به المشرق الإيطالي عمادى (١٨٠٩ - ١٨٨٩ م) في جملة النصوص العربية الخاصة بتاريخ وطنه جزيرة صقلية في عهد المسلمين والتي نشرها تحت عنوان « المكتبة العربية الصقلية » . وذلك بإعداد جزرات تدون

هناصر القوة والابتكار ، وجدت مظاهرها في قوالب محدودة من الفكر والمخاطفة ولذلك لا غرابة في أن يكون تفاعلها مع العقليّة السودانية ضعيف الاثر قليل الثمرة .

٣ - العوامل المختلفة التي عاقت انتشار

الثقافة العربية في السودان : قد يقال : إن تأخر السودان رادى النيل من ركب الثقافة العربية إبان عصورها الزاهرة في القرون الأولى للهجرة يرجع إلى أنه لم يكن من المراكز الرئيسية لحضارات الشرق القديم في العصور السابقة للإسلام ، إذ يلاحظ أن الثقافة العربية ازدهرت في مواطن أنتجت في الماضي ثقافات عربية مثل إيران والعراق والشام ومصر ، وأن السودان وادى النيل لم يكن في عداد تلك المواطن الحضارية ، مع أنه أخذ بنصيب من ثقافة الفراعنة والإغريق والرومان ، ولكن يرد على ذلك بأن الحركة الإسلامية قد نفشت الحياة والوفرة في بلاد لم تكن لها حضارات أصيلة سابقة كناسانيا وشر كبير من البلاد المغربية ، وعلى العموم فإن مسألة ازدهار الثقافات ، أو ضمورها ، ليست من المعاني التي يقوى التاريخ على تحليلها في حالات كثيرة .

ولكن يمكن أن نفرق بين ظاهرتين إحداهما تمهد للأخرى . الأولى هي تعريب السودان أي هجرة القبائل العربية إلى دياره والثانية هي اغتشار الثقافة العربية عندما فصل

فيما دونه الكتاب الوطنيون في البلاد المجاورة فضلاً عما يوجد منها في مصادر العصر المملوكي وفيما كتبه المؤرخون المسيحيون العرب ، ولا نظن أن استخلاص هذه المادة التاريخية مما يقوى على النهوض به فرد واحد ، إذ لابد أن يتضافر على إعدادها جمهرة من الباحثين المعنيين بالدراسات السودانية .

ويتضح مما سبق أن الثقافة العربية في السودان قد تأخر ظهورها عن بقية البلاد الأخرى المجاورة لجزيرة العرب التي اصطفت بصيغة عربية قوية بعيد الفتوحات الإسلامية الكبرى في القرن الأول الهجري كالعراق والشام ومصر وبلاد المغرب والتي لا تزال محتفظة بعمودتها إلى اليوم . وذلك دون أن نذكر شيئاً من بلاد أخرى أسلمت دون تعريب ، إذ لم يسبق أهلها من ذكريات الحكم العربي سوى العقيدة الإسلامية وما يتعلق بها دون اللغة العربية وثقافتها ، مثل بلاد أواسط آسيا وإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى . ولقد كان لهذا التأخر في تعريب السودان أثره في عرويته أثر هام على ثقافته العربية فيما بعد ، إذ أنه لم يتح له أن يشارك في عصور ازدهارها في دمشق وبغداد والقاهرة وقاس ، ولم يسهم أبناؤه في إنتاجها الفكري الأميل فلما وصلت في حوالى القرن العاشر الهجري كانت هذه الثقافة مكنته قد تطرق إليها الزمن والضعف وفقدت بعض ما كان لها من

يعد أقوى بكثير من المطابع العربى الجماعات العربية التى نزحت إلى الساحل الشرقى لإفريقية منذ عصر الأمويين فقد اقتصر تنظيمها السياسى على إنشاء ما يسمى بدولة المدن ولم تفلح فى ضم المناطق الخلفية إليها التى كان مبلغ أثر العرب فيها هو قيام لغة مملوكة من لهجات زنجية وهندية وعربية هى المعروفة اليوم باسم اللغة السواحلية .

ولم يحدث شئ من هذا فى السودان وادى النيل شئلى خط عرض ١٢ وهو الخط المصطلح عليه للتقسيم بين السودان الشمالى والسودان الجنوبى ، وإذا كانت هناك صيحات يرددوها المتعلون من أبناء السودان الجنوبى المتخرجة فى مدارس الإرساليات التبشيرية تزم أن السودانيين إفريقيون وأن من الواجب الاحتراز بالقومية الإفريقية دون القومية العربية لأن العرب دخلاء على الوطن السودانى وإذ كان قد نابهم فى هذه الدهوى بعض المفتونين بشقاة الغرب عن تأثر بالفرقة التى بشها الإدارة المختلفة السابقة بين الدخلاء والأصلاء من أبناء السودان ، لمعانا فى تحقيق وحدة الشعب السودانى فإن الاتجاه التاريخى للشعب السودانى الحديث ينزع نحو العربوية وهو اتجاه نمده من الناحية الثقافية اتجاهها أصيلاً وأكيداً .

عبد العزيز عبد الحى محمى

موجات الهجرة إلى حد يهد السبيل لغبية الثقافة العربية وسيطرتها على ما عداها من الثقافات المحلية ، وإن الخلط بين هاتين الظاهرتين قد أدى إلى قدر من الاضطراب فى دراسة تاريخ الثقافة العربية فى السودان فالمواق التى قد نراها مؤخرة لانتشار الثقافة العربية فى السودان سواء أكانت جغرافية أو تاريخية أو اقتصادية ، لا تكون لها نفس القوة فى الحيلولة دون التخلخل العربى عن طريق الهجرة من الظروف التاريخية التى حالت دون انتشار الثقافة العربية بقاء دولة دنقلة المسيحية حتى أوائل القرن السابع الهجرى ، ومن المواق الجغرافية وجود البحر الأحمر فاصلاً بين الجزيرة العربية والسودان ، أو الجندال الحائلة دون الملاحة فى بحرى النيل الغربى ، أو استغراق المنطقة الاستوائية لجزء كبير من أراضى السودان بيد أن هذه المواق لم تحمل منذ القدم دون هجرة القبائل العربية إلى السودان .

١ - هجرة القبائل العربية إلى السودان

الأول فى تريب السودان : يمكن أن نرى فى هجرة القبائل العربية إلى السودان فى موجات متواصلة منذ أواسط القرن الثانى للهجرة ، الهامة الأولى للثقافة العربية فى السودان ، فهذه الهجرات هى مصدر التطورات التاريخية التى وقعت فيما بعد وهى التى قوت لسودان وادى النيل طابعاً عربياً

الحرية الفردية في الإسلام

للأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم مهنا

يقول الله تعالى :

في جميع الآيات السابقة أسند الله سبحانه
الإرادة إلى الإنسان في وضوح وجلالة ،
فالإنسان إذاً في نظر الإسلام وكتابه الأول
حر مختار يريد في دائرة تصرفاته كلها ، وهذه
الحرية هي حجر الأساس في تقييم أعمال الفرد
سواء كان ذلك من ناحية العقيدة أو من
ناحية العمل .

١ - من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم وصلاًها
مذمومة ما عد حوراً (١) .

٢ - ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً (٢) .

٣ - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ،
والعاقبة للمتقين (٣) .

٤ - من كان يريد حرث الآخرة نزد
في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤث
منها ، وما له في الآخرة من نصيب (٤) .

٥ - يريدون ليطفئوا نوراً بأفواههم
والله ممن نوره (٥) .

٦ - بل يريد الإنسان ليفخر أمامه (٦) .

وإذا كان الناس قد تواضعوا هل أن
المجموعة الإنسانية المثل من التي يحكمها قانون
يتوفر للفرد في ذاته أن يكون حراً في اعتناق
دينه ، وحرراً في إبداء رأيه ، وحرراً في تصرفاته
الاجتماعية ، فإن المدارس للقرآن الكريم ،
وهو الدستور الأول لاتباع محمد النبي
صلوات الله وسلامه عليه - يحدد بلا مفرقة
أن الإسلام قد كفّل لكل فرد هذه الحريات
كلها في أوسع دائرة يطمح فيها إنسان .
الحرية في العقيدة :

في العقيدة يقول الله تبارك وتعالى :
لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد
من الغي (٧) ، ويكرر هذا المعنى في قوله

(١) سورة الاسراء آية ١٨ .

(٢) سورة الاسراء آية ١٩ .

(٣) سورة القصص آية ٢٨ .

(٤) سورة الشورى آية ٢٧ .

(٥) سورة الصف آية ٨ .

(٦) سورة الفاتحة آية ٥ .

(٧) البقرة آية ٢٥٦ .

الكتاب قتلوا إلى كلة سواء بيننا وبينكم
ألا نبيد إلا الله ولا شرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا أربابا من دون الله (١) .

ويؤكد الإسلام الحرية في اعتناق الإنسان
أدينه عندما حدد وظيفة الرسل عامة في قوله
تعالى : « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
ومنذرين » (٢) ، وعندما غابب الرسول
محمد عاتم أنبياءه بقوله : « يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً
إلى الله يباذنه وصراحاً منيراً » (٣) ، « إنا أرسلنا
عليك الكتاب للناس بالحق ، فن اعتدى
فنفسه ، ومن مثل فإنما يضل هليماً ، وما
أنت عليهم بوكيل » (٤) ، « فإن أصرضوا فلما
أرسلناك عليهم حفيظاً ، إن عليك إلا البلاغ » (٥)
« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » (٦)

ويؤكد القرآن مرة أخرى حرية الفرد
في اختيار دينه وتأسيس عقيدته حين يعقد
المقارنة بين المؤمن والكافر في مثل قوله
تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا

تعالى : « وفل الحق من ربكم ، فن شاء
فلؤمن ، ومن شاء فليكفر » (٧) . وتعمياً
مع هذه القاعدة رسم الإسلام لأمله الطريقة
المثل في الدهسة إلى دينهم ، وهي طريقة
الإقناع وإقامة الدليل وقرع الحجة بالحجة ؛
يقوله تبارك وتعالى : « ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
أحسن » (٨) ، ويقول جل عانه : « ولا
تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن
إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي
أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلنا وإلهم واحد
ونحن له مسلمون » (٩) . ويعطى القرآن
نفسه نماذج الطريقة التي يصدما حين يتحدث
إلى « عارضيه في مثل قوله تعالى : « قل هاتوا
برهانكم إن كنتم صادقين » (١٠) ، « قل هل
هتدكم من علم فتخرجوه لنا إن تقبعون إلا
الظن وإن أنتم إلا فخرصون » (١١) ، « قل
أرايتم ما تدعون من دون الله ، أروني ماذا
خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ؟
إيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من
علم إن كنتم صادقين » (١٢) ، « قل يا أهل

(١) آل عمران آية ٦١ .

(٢) الأنعام ٤٨ .

(٣) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) الزمر آية ٤١ .

(٥) التورى ٤٨ .

(٦) البقرة آية ٢١ ، ٢٢ .

(٧) السكه آية ٢٩ .

(٨) البهل ١٢٥ .

(٩) المنكهوت آية ٤٦ .

(١٠) البهل آية ٦٤ .

(١١) الأنعام آية ١٤٨ .

(١٢) الأحقاف آية ٤ .

ولم يكتف القرآن الكريم في تثليث هذا المبدأ بالباحية النظرية التي ذكرنا ، وإنما طبقها بنفسه تطبيقاً عملياً حين أهدر مظاهر الاعتقاد إذا لم تكن مصحوبة بإطمئنان النفس المنبعث عن الحسرية والاختيار والرزوى ، نلس ذلك في حديثه عن المنافقين الذين أكرموا هل أن ينطقوا بالإسلام نفية في مثل قوله تعالى : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فهدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون » (١) .

كما نلسه في حديثه عن أكره هل أن ينطق بكلمة الكفر وقد حمر قلبه بالإيمان في قوله جل شأنه : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٢) .

ويذهب القرآن الكريم في هذا المعنى إلى مداه فيهدر إيمان الكافر إذا كان عند حضور الموت لما فيه من معنى الإكراه ، يقول الله سبحانه وتعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إن تبت الآن » (٣) .

جرف هار قائمه به في نار جهنم ؟ » (١) . وقوله جل شأنه : « أفن كان مؤمنا كان فاسقا ؟ لا يستوون » (٢) ، « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (٣) ، « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء بحياهم ومآلهم ساء ما يحكمون » (٤) ، « أفنجعل المسلمين كالجحيم ، ما لكم كيف تحكمون ؟ » (٥) .

إن هذه التفرقة الواضحة بين المؤمن وغير المؤمن لا يمكن أن تنهم ولا أن تستأخ ما لم يكن الإيمان وعدمه مبني على حرية مطلقة للأفرد ، واختيار نفسى ، وإرادة مشرة .

ثم نهد القرآن أيضاً يؤكد هذه الحرية الدينية للأفرد مرة ثالثة حين يعنى المشرك من الحساب إذا استطاع أن يقيم البرهان على صحة اتجاهه فيها يستند - ولن يستطيع - يقول تبارك وتعالى : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه » (٦) ، وهذا منتهى ما يمكن أن يتصور من الإنصاف والعدل .

(١) النوبة آية ٩٠٩ .

(٢) السجدة آية ١٨ .

(٣) سورة من آية ٢٨ .

(٤) البقرة آية ٢١٧ .

(٥) سورة الفلم آية ٣٥ ، ٣٦ .

(٦) المؤمنون آية ١١٧ .

(١) - سورة المنافقون آية ١ ، ٢ .

(٢) - سورة النحل آية ١٠٦ .

(٣) - سورة النمل آية ١٨ .

في الصوامع فدهور وما فرغوا أنفسهم له ،
وسيجد كذلك أن عمر بن الخطاب الخليفة
الثاني كتب لأهل بيت المقدس هداً عقب
فتح المسلمين له قال فيه : « هذا ما أعطى عمر
أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم
أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ؛
لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم . »
وينقل الأستاذ أحمد أمين عن كتاب نهضة
الإسلام للأستاذ متز ، أن « ما يميز المملكة
الإسلامية عن أور النصرانية في القرون
الوسطى ؛ أن الأولى يسكنها عدد كبير من
معتنقي الأديان الأخرى غير الإسلام ،
وليست كذلك الثانية ، وأن الكنائس
والبيع ظلت في المملكة الإسلامية كأنها
غارجة عن سلطان الحكومة ، وكأنها
لا تكون جزءاً من المملكة ، معتمدة في ذلك
على اليهود وما أكتسبته من حقوق وقصص
الضرورة أن يعيش اليهود والنصارى بجانب
المسلمين ، فأما ذلك على خاق جو من التسامح
لا تعرفه أوروبا في القرون الوسطى . »

أحمد إبراهيم مرزوق

هذه الحرية الفردية في الاعتماد التي
تحدث القرآن عنها ، لم تكن في تاريخ المسلمين
نظرية فقط ، وإنما طبقوها تطبيقاً عملياً
في تشريعاتهم وفي معاملاتهم مع غير المسلمين
في أمورهم المختلفة ، ولعل أروع تطبيق لها
هو ما تعرفه جميعاً من أن المسلم يصل له أن
يتزوج بالكتابية مع بقائها على دينها ، ومن
أن الذميين الذين يعيشون في ظل الدولة
الإسلامية لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم
ما على المسلمين من واجبات ، فلم الحرية
الكاملة في عباداتهم وشهائهم وقضائهم .

وليس لإنسان أن يمتنع بما يدفع هؤلاء
أهبيت مال المسلمين من جزية ، فإنها ضريبة
الدفاع للدولة التي تحميهم ويعيشون في كنفها
لهم في نظرنا دليل على احترام الإسلام
لحرية الفرد في اختيار دينه .

والذي يقرأ كتب التاريخ الإسلامي سيجد
فدوية خليفة الرسول الأول أبي بكر الصديق
وعنه أنه لأمانة بن يزيد وجيشه قوله لهم :
« وسوف تمرون بأهوام قد فرغوا أنفسهم

الحقيقة في مشكلة فلسطين

للكاتب الهولندي ق. ه. ليونارد

ترجمته عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

- ٣ -

من دولة اليهود ، وهكذا يقضى على العرب أن يحكموا في غير استقلال بينما تكون الدولة الوحيدة المستقلة في فلسطين هي دولة اليهود . وعارض العرب مشروع التقسيم وقبله اليهود . ووضح أن قبولهم التقسيم يحقق غرضين في آن واحد . أولهما : استقلال بدولة وثانيهما : اتخاذها قاعدة لتوسع . واستغلالها في أغراض ترفعها الأخلاق .

ولها فقد حرصوا أن يضمنوا قبول المشروع وأنظمة المالية . استهدافا إلى تحقيق السيادة التي هي جديرة لمرحلهم التالية . قبل اليهود مشروع التقسيم ووافقوا هذه استجابة لرأى أول مثل لهم في الأمم المتحدة . آبا إيبان ، الذي رأى أن يتطلعوا إلى قرار آخر أكبر تصدره المنظمة المالية . وأن يعطوا الضمير المسيحي فرصة ليستريح .

هذا الضمير الذي أراح نفسه على حساب العرب الذين لم يسكنوا في يوم ما على لوم بالنسبة للمشكلة اليهودية .

وفي مجال المنظمة المالية . لم تكن اللجنة الخاصة بفلسطين قادرة على أن تقدم أكثرية

وفي سنة ١٩٤٧ عرضت بريطانيا المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة ، فقررت الجمعية العامة إرسال لجنة إلى فلسطين لبحث المشكلة واقتراح حل مناسب لها ، سميت باللجنة الخاصة للأمم المتحدة في فلسطين . وافترضت أغلبية هذه اللجنة مشروعا للتقسيم .

وأعلى مشروع تقسيم فلسطين لليهود الجزء الأكبر من الأرض المنتجة المأهولة بالسكان ، هذا الجزء . يشمل الشريط الساحلي الحصب الذي استوطنه الفلسطينيون منذ القدم وتركز فيه زراعة الموالح . وهو الذي أقام اليهود في أغلب نواحيه ، بالرغم من أن نصفه على الأقل يمتلكات عربية .

وخصص المشروع للعرب أقل جزء من الأرض المنتجة ، ويشكون معظم نصيبهم من الأرض الصحراوية الجرداء ، أرض يهودا ، أو أرض الآباء كما يسميها اليهود ، حيث لم يقيموا بالفعل .

ولكن يضمن المشروع استمرار الحياة للدولة العربية المقترحة جعلها تعتمد على اتحاد اقتصادي ، يستمد موارده وقروضه

وجود الصهيونية وسبب مطالبتها بدولة وهو الذي أوصى بأن جميع اليهود يجب أن يجمعوا في الدولة المقترحة . ولم يفهم بأي حال أن ذلك سرفه يكون على حساب فلسطين .

وعلى الفور وفي وقت بحث المسألة في اللجنة الخاصة للأمم المتحدة ، وبعد إقرارها لإمكان التقسيم ، ذاع بين اليهود الفلاطينيين ، أن الحدود ليست من الأشياء الخالدة . وهذا يشير إلى آمال اليهود وتطلعاتهم الواسعة كما صرح بها ابن جوردون ، عن المجلس الصهيوني العشرين سنة ١٩٤٧ ، بأن نسبة للشروع ، إن النقاش لم يكن حول قبول التقسيم لأرض فلسطين أو رفضه ، فإنه لا يوجد صهيوني واحد يمكن أن يستغنى عن أصغر جزء من أرض إسرائيل ، ولكن النقاش كان حول : أي الطريقين أسرع للوصول إلى الهدف العام ... ؟ ، وطبقاً لعدوى الدينيين اليهود فإن أرض إسرائيل هي الرقعة الواقعة بين نهر الفرات ونهر مصر ، النيل ، وتشمل وادي السويش وشبه جزيرة سيناء .

وقد اتخذ الصهيونيون غير الدينيين نفس المنهج حين وجدوا ، ابن جوردون ، يتصر مطالبهم ويبتسها حسب الظروف فوضعوها في حدود ثابتة واسعة تشمل شمال مصر وشبه جزيرة سيناء وتمتد إلى الفرات ثم ترتفع إلى جبال طوروس في شمال سوريا والبحر

كافية بالجمعية العامة للواقعة على مشروعيها . ولكن انتخابات الرئاسة الأمريكية لاحت في أفق هذا العام . وفي الأيام القليلة التي سبقت الاقتراع النهائي في الجمعية العامة على المشروع قام الهاربون من الصهيونيين ومن يطمعون في أصوات اليهود بتدبير ضغط عالمي فظيع . وذلك بأوامر مباشرة من البيت الأبيض . واستخدم الأمريكيون المستوطنون كل أشكال الضغط المباشر وغير المباشر على الدول الخارجة من نطاق الصلح الإقليمي ، من الدول التي لم تحدد موقفها تجاه مشروع التقسيم أو التي تعارضه .

وكان المستوطن والوسطاء البيت الأبيض يعملون على أن يتأكدوا من الحصول على الأكثرية الضرورية عند التصويت . وفي هذه الأيام القليلة كان عدد من الدول التي تعتمد على أمريكا اهتماماً ما قد غيرت موقفها . وبهذا مشروع التقسيم في الجمعية العامة . وإذا وجهنا إلى معالجة أنظمة الدولة لهذا الموضوع وجدنا أن قصر النظر في تناوله هو الذي أدى إلى هذه الفضيحة العالمية . فقد أصدرت توصية قصدت بها تبرير القرار أمام الضمير العالمي وهي : أن قيام الدولة اليهودية يجب أن يتيح تمهيداً ووقفاً للهجرة إليها ، ويفهم من هذا أن التقسيم لا يمكن أن يكون حلاً حقيقياً للمشكلة اليهودية .

هذه المشكلة التي كاد التطاع إلى حلها علة

حيثما كان موقعهم . أنه تاريخ الصهيونية السياسي يكشف أن الأهداف المطننة صراحة من المتطرفين الصهيونيين هي ذاتها ما يقتره المعتدلون منهم . ولكن الذي يختلف هو التوقيت والتاريخ .

ولقد أصبح معروفًا أنه في شهر سبتمبر ذاته . أي قبل شهرين من الموافقة على مشروع التقسيم في الأمم المتحدة وقبل ثمانية أشهر من تدخل الدول العربية . كانت الحاجات . الجيش السري للوكالة اليهودية . قد وضعت خططها لغزو المنطقة التي حددت لليهود في المشروع . وقبل ذلك بوقت طويل وفي يونيو سنة ١٩٤٥ كان ابن جوردون قد أتم جميع الترتيبات سرًا في نيويورك للحرب مع العرب حينما أقادروا بوطانها فلسطين . وحصل على موافقة بمئات حرية قيمة .

وفي سنة ١٩٤٧ . وتمت اسم مستعار نظم ضابط أمريكي يهودي برتبة كولونيل بتنظيم وتدريب قوات الحاجات وزودها بالامدادات العسكرية الكافية .

ولقد كان من الوهم أن يخف وجود ما جزء . مدير الجامعة اليهودية في القدس في أكتوبر سنة ١٩٤٧ فيتحدث باسم أهل قيم اليهودية مؤمنًا أنها انتهكت على يد الصهيونية ويرفع صوته بأشد تحذير لقمه لما يقسم به من روح العدوان والغزو .

وكان وما أن يتدور حرب فلسطين

الأبيض المتوسط . وكانت هناك خطة معدة وضمها مرتزل تربط بين التوسع وبين جمع اليهود ونحن نطالب بما نحتاج : بأ كبر قدوم المهاجرين وأكبر قدوم الأرض . أما وايزمان فإنه يقول : « سيظل اليهود إلى الأبد في جوع إلى أرض أكثر . وايمست فلسطين لإفريقيا يمكن فتح المنطقة التي تمتد من الأردن إلى العراق ومن الفرات إلى المحيط الهندي . »

وكانت خطته تتألف من خلق حقائق يعتمد عليها في بناء أوضاع تتخذ كسلم إلى هدف أبدي بحيث يستطيع أن يذكر هذه الأهداف عند الضرورة .

وإذا رجعنا إلى سنة ١٩٢١ رجعنا . قد جعل التفوق السكاني اليهود في فلسطين وسيلة لتوسع عبر نهر الأردن .

هذا حال من يسمون بالصهيونيين المعتدلين أما المتطرفون منهم فقد كانوا يتابعون نفس الأضراس بمنهج أكثر صراحة وأقصر مدى ففي سبتمبر سنة ١٩٤٧ حينما أعلنت اللجنة الخاصة بفلسطين مشروع التقسيم أعلنت « الاريجون » المنظمة الإرهابية الصهيونية « إتنا سوف لا قبل توصيات اللجنة الخاصة للأمم المتحدة وسوف نقاتل حتى نحصل على جميع حقوقنا . »

وهذا حرف حرب فلسطين والدول العربية المجاورة كما عرف أعضاء المنظمة العالمية . ما ينبغي أن يكون راضياً لديهم جميعاً

كانت قرية هريسة صغيرة منزلة تقع في نطاق القدس التي قرر مشروع التقسيم لها أن تكون دولية ، وفي منطقة لم يخطط لها المشروع أن تكون لليهود ، ولم يكن هناك أي هجوم أو مناوشة أو إكراه من جانب هذه القرية موجها ضد الصيونيين .

على أية حال فقد كان أمل هذه القرية زهاء ٤٠٠ نسمة أكثر من ٣٠٠ نسمة منهم من النساء والأطفال وكان الرجال في عملهم في البلد أو في الحقول فتمسكوا وأربقت دعاوهم بالسكان ، الفسالي على يد عصابات الأرجون ، وبعد المذبحة عقد قادة الأرجون مؤتمرا صحفيا صرح فيه القائد بقوله : (إن لنا حق الفتح والنزول والاستيلاء) .

وأخذ اليهود بمجموعة صغيرة من الفلاحين حملت على سيارة مصفحة في وضع النهار وطيف بهم في الحى اليهودى بالقسم ، وأعانهم اليهود وبصفوا عليهم ، وبعد ذلك أطلق سراحهم ، فنقلوا لمواطنيهم تمجرتهم المبررة ورجعهم وفرعهم .

ثم هربت بعد ذلك السلطات الرسمية الوكالة اليهودية عن استنكارها ، ومهما يكن فإن هذه الغارة قد نفذت وأقرنت بـ " بركة " مع قائد الهاجاناه الحلي الذي كان يرهب في إنشاء مطار في هذا المكان وتم الاتفاق على ذلك مع قائد الأرجون .

محمد حسان الربيع

في الدفاع الخافي من وجودهم في وطنهم بأنه مقاومة لدولة اليهود .

وكذلك فعل الانتداب البريطانى ، فإنه كما وضع سابقا - قد حرّمهم حق الدفاع عن النفس فضلا عن العدوان .

كما قدم وثيقة جديدة القانون العالمى الإيجابى (حمل تقسيم فلسطين) والآن فقط قد سمح للفلسطينيين العرب بالدفاع عن النفس في بلدهم ليرد عليهم بالعدوان وأخيرا جاء رد منظمة الأرجون على نفس الوثيقة بهذا التصريح (إن تقسيم أرض الوطن غير شرعى وسوف لا نعترف به ، إن توزيع الممتلكات والأفراد لاتفاق التقسيم سوف لا يجبر الشعب اليهودى ولا يرتبط به ، إن القدس عاصمة إسرائيل وسوف تحتفظ بها بأكملها لشعب إسرائيل وإلى الأبد) .

وعلاوة الاسراء بعد أن قبل مشروع التقسيم في الأمم المتحدة رأينا الوكالة اليهودية التي كان من المفروض أنها قيات هذا المشروع وجه دناها تدخل في مفاوضات ومباحثات مع منظمات الأرجون التي عارضت المشروع في صراحة ، وأخذت المناقشات وقتا طويلا ، بينما الاضمحلال والمعاذ تنشر في البلاد .

وفي بداية أبريل سنة ١٩٤٨ ختمت المفاوضات باتفاقى مفاضى - في التاسع منه ، وقبل خمسة أسابيع من إعلان قيام دولة إسرائيل ، ومن تدخل الدول المجاورة .

وحدثت غارة (دير ياسين) ، ودير ياسين

زمن الورد...

للأستاذ علي الجندى

إذا أقبلى الورد أهدى لنا
سروراً بأيامه مقبل (١)

ويقول آخر :
سقى الله ورد أصار خد وبيعتنا
فقد كان قبل اليوم ليس له عهد
وزن الورد هو شهر « نيسان » إبريل ،
و « أيار » مايو .

و « نيسان » يقول بعض المصريين :
وأهل بنيان تمفو الغصون
طراباً إلى لحن أطياره
ويهدى لنا الورد أنفاه
إذا حل معقود أزواره
وفي أيار يقول أبو الملاء الحمري :

تفتاق أيار نفوس الودى
وإنما الشوق إلى ورده
وقد قدر أيامه على ن الجهم بخمسين يوماً فقال :
زاور يهدى إلينا
نفسه في كل عام

حسن الوجه ذكى الريح
إلف للـ_____ دام

عمره « خمسون » يوماً ،
ثم يحصى بسلام
وقد وصف الثعالبي هذا الشعر بأنه
بما يدخل على الأذن بفهم إذن !

(١) مقبل كرتيل : مأخوذ من قرطهم : وجل
مقبل الشباب لم يظهر به أثر كبر .

كان الناس قديماً يرقبون زمن الورد رغبة
العبادة ، ويحتفلون بحلوه ، ويتحاضنون على
الاستمتاع بأيامه ، والحرص كل الحرص على
تملي السرور والبهجة فيه ، وعيشه ساعة
ساعة ، عيشة عريضة عميقة كأنها آخر زادم
من الحياة !

ومن أقوالهم في ذلك : الريح شباب
الزمان ، ومقدمة الورد والريحان . زمن
الورد موموق مرموق ، وكأه من الجنة
مسروق . قد ورد كتاب الورد ، بإقباله إلى
أهل الود . إذا ورد الورد . صدر البعد ،
مرحباً بأشرف الزمر ، في أطرف الدهر !
وقد كانوا يضربون به المثل في الحسن
والطيب ، وفي قصر عمره أيضاً .

يقول أبو تمام في مدح أبي المغيث الرائي :
ومن زمن البستنة وكأنه
- إذا ذكرت أيامه - زمن الورد

ويقول الصابي :
وزائرة لنا في كل حول

لها حظان من حسن وطيب
تال النفس - حين تشم منها -
منال العين من وجه الحبيب
كأن زمانها ففاض منه
- إذا طلعت - شباباً من مشيب
ويقول الرافضى :

ويقول آخر:

اطرب إلى الورد في أيام دونه
فالورد ضيف مريح في زيارته
خمسين يوما توافي والنفوس إلى
وقبائه شقيقة من طول غيبته
وبعضهم قدر زمانه بشهر واحد ، قال :
الورد ضيف فلا تهمل كرامته
فإنها طساقة كالنار تلتهب
صغياً له دائراً تحيا النفوس به
يجود بالوصل شهراً ثم يحتجب
وكان المتوكل العباسي لا يلبس أيام الورد
إلا الثياب الموردة ١١
وكان يفرش في أيامه الفرش الموردة ، كما
كان يورد الآلات ١٢
ودفع إلى الخليفة المأمون : أن سائكا
يعمل السنة كلها ، لا يتجمل في عيد ولا جمعة .
فإذا ظهر الورد طوى عمله ١٣
فإذا انقضى زمن الورد عاد لإياله ١٤
قال المأمون : لقد نظر إلى الورد بعين
جليه ، فينبغي أن نعينه ونساعده على سريته
أما زمن الورد عند الفساك والهباء وأهل
التصوف ، فهو كما يقول الصوفي الأشهر :
« إبراهيم الخواص » : إذا جاءت أيام الورد ،
أمر مني على بكثرة من بعض الله تعالى فيها :
ولكل شرعته ومنهاجه ونظره إلى الأشياء
وسبحان من أودع في كل قلب ما شأله ١٥
وليس يهاب زمن الورد إلا بقصر مدته ١٦
يقول في ذلك علي بن الجهم :

ما أخطأ الورد منك لوناً

وطيب وريح ولا مللاً
أقام حتى إذا أنستنا
بقربه أسرع انتقالاً
أخطه أبو سعيد الخالدي فقال :
أنت مثل الورد لوناً
ونسباً وملا
زارنا حتى إذا ما
سرنا بالقرب ذلاً
ويقول أبو الحسن علي بن أبي طالب الأندلسي :
وإذا ذكرت الورد فاعلم أنه
لنور أجمع في الرياض منار
طيب لأنفاس النفوس ومنظر
للعين إلا أنه « غدار »
يريد بغدار : أنه قبل الزنامة .
ويقول بعض الشعراء :
الورد أحسن ذات لو لم تكن
تلك الزيارة - حين زار - لساناً
ويقول الثعالبي : وعهدى بقهر واحد من
المضلاء ينظر قول ابن أبي البتل الشاعرة :
تفتح من الورد الليل بقوه
فإنك لم يفجأك إلا قساؤه
ودعوه بالتقبيل واقم والجبكا
وداع حبيب بعد حول قساؤه
ولأن الورد دليل البقاء فضل بعضهم عليه
الآس ؛ لدوام خضرته وطول لبته .
والآس ضرب من الزمان يضرب به المثل
في دوام الخضرة ، قال أبو حنيفة الديلمي :
الآس بأرض العرب كثير ، ينبعث في السهل

والجبل ، وخضرة دائمة ، وهو يشمو حتى
يكون شمرا عظيما ، وله زهرة بيضاء طيبة
الريح ، وثمرة سوداء ، إذا أبيضت تحول ، وفيها
مع ذلك حكمة ، وهو باليونانية « المرسن » .
يقول الأخيطل الأمازي في مدح الآس :
للآس فضل بقاءه ووفائه
ودوام نضارته على الأوقات
ويقول شاعر يفضله على الورد :
يحب الورد حينه ثم يمضي
والى الآس فتبقى كل حين
إنما الآس للوداد أساس
وهو يبقى على عمر السنين
ويقول آخر :
الآس صيد أنوار الرياحين
في كل وقت وحين في البساتين
يبقى على العمر لا تبلى نضارته
من الحفيف ولا من برد ، كانون ،^(١)
ويقول بعضهم :
الآس يبقى - وإن طال الزمان به -
والورد يمضي ولا يبقى على الزمن
ومن قول العباس الأحنف :
لا تجعل وصلنا كالورد حين يمضي
ذا خلة وأدبى الورد كالآس^(٢)
أخذه ابن زيدون فقال - يخاطب أباحفص
ابن برد الوزير الكاتب الأندلسي - :
لا يمكن هديك وردا
إن هدي لك آس
(١) كانون : شهر من المهور السريانية وهو
كانون الأول ، ويوافق من المهور الرومية
ديسمبر ، وكانون الثاني ويوافق يناير .
(٢) ذو خلة - ضم فسكون - : كل مالا يدوم .

وهو من تشبيه المنوى بالحس .
وقد كرره في موضع آخر فقال :
ولكنني شبيه بالورد هديما
وليس يدوم الورد والآس دائم
ومن المأثورات الطريفة ما كتب به
أبو دلف الجلي إلى عبد الله بن طاهر ، وهو :
أرى ودمك كالورد ليس بدائم
ولا خمر فيمن لا يدوم له ود
وحسبي لكم كالآس حسنا ونضرة
له زهرة تبقى إذا في الورد
لأجابه ابن طاهر بقوله فكان كما قبل :
« إن كنت رجحا فقد لايت إعصارا » :
وشبهت ردى الورد - وهو شبيهه -
وهل زهرة إلا وسيدها الورد
وودك كالآس أزيز مذاقه
وليس له في القليب قبل ولا بعد
وهو كلام دقيق المسلك لطيف المأخذ ،
فقد استطاع صاحبه أن يطل قضية مشهورة
كانت مسلبة قبله ، ويحتاج احتجاجا دقيقا
لفضل الورد على الآس بصفات اتزها من
كليهما فتم له ذلك ، وهو أول من صنع هذا .
وما يتصل بما نحن فيه : أن امرأة رأت
في منامها : أن زوجها أعطاها طاعة وودا !
فذهبت إلى بعض مؤولي الأحلام ، فقال
لها : إنه سيطلقك !
فقلت : ولم ذلك ؟
فقال : أما سمعت قول الفاعر :
ولكنني شبيه بالورد هديما
وليس يدوم الورد والآس دائم
فكان الأمر كما قال !
على الجندی

طائفة البهرة

دكتور محمد بن الزكي

نشأتها وتطوراتها

كلمة بهرة أو البهرمة، Behra تطلق في اللغة الهندية، السجراتية، على التجار، وهي لغة ولاية، كهرات، الواقعة في غربي شبه قارة الهندية قرب مدينة ممباي. أما الآن فلا تكاد تطلق إلا على جماعة من الشيعة الإمامية التي تنحسك بمعتقدات وتعاليم الفاطميين ويبلغ عدد أتباع الطائفة اليوم حوالي مليون ونصف مليون نسمة، وهم منتشرون في الهند وشرق إفريقيا واليمن والباكستان والشرق الأقصى والمجلتوا، وتعتبر الهند مركزهم الرئيسي ومقر سلطانهم. ويرجع تاريخ نشأة طائفة البهرة في الهند إلى تاريخ وصول دعوة الفديعة الإسماعيلية إليها في القرن الثالث الهجري، حيث أخذ أتباع الإسماعيلية في الاختفاء ونشر دعوته في طي الكهائن على أثر تضييق الخلفاء العباسيين على الشيعة، فاحتضنوا مدينة سليمة، في الشام مركزاً لنشر دعوته وأرسلوا دعواتهم إلى بلاد اليمن والبحرين والهند ومصر والمغرب.

ويقال إن إمام طائفة الإسماعيلية المستعيلة في اليمن قد بعث عالماً يدعى عبد الله الفارسي إلى الهند لينشر الدعوة الفاطمية فيها وبفضل

نشاط هذا الفادي، نالت الدعوة نجاحاً أرجاء شبه القارة الهندية، ثم هاجر إليها بعض أتباع الفاطميين من بلاد العرب ومصر واستوطنوا دكهرات، واشتغلوا بالتجارة واشتهروا بها، ويقولون عن سر تفضيلهم التجارة: إنها أبعد المهن من مواقع الرية ومواطن الظنة وأقربها إلى الكسب الحلال مع ما فيها من تيمن بالرسول عليه الصلاة والسلام، حيث كان يمارس مهنة التجارة قبل البعثة. ويعتقد أتباع طائفة البهرة بإمامة إسماعيل ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وبعد وفاة جعفر الصادق، الإمام السادس من طائفة الشيعة الإمامية انقسمت إلى قسمين: الإمامية الإسماعيلية (المذكورة)، والإمامية الموسوية الفاتية بإمامة موسى السكاظم الابن الأصغر لجعفر الصادق، وهو عديم الإمام السابع ولما مات إسماعيل في حياة أبيه حول أنصاره الإمامة إلى ابنه، محمد المستور، وصار عديم الإمام السابع، بحجة كون إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق، وعرفت هذه الطائفة بعد ذلك باسم السبعية، لتمييزهم عن طائفة الاثناعشرية، الذين يسرقون الإمامة إلى محمد

الفاطميون في تأسيس دولة شامسة الأرجاء وحضارة باهرة مشهورة بنظامها الإدارية وفنونها وعلومها ، وفي مقدمة معالم تلك الحضارة العظيمة التي خلفوها للعالم الإسلامي « الأزهر الشريف » . وقد أصبح الأزهر منذ إنشائه مسجد الدولة الفاطمية الرسمي ومركز نشر الدعوة الإسماعيلية في شتى أنحاء العالم . وقد أسند الخلفاء الفاطميون ورياسة الدعوة إلى موظف كبير يحمل لقب « داعي الدعوة » ، وكان يلقب « داعي القضاء في الرتبة » ، وربما يستند المنصبان إلى شخص واحد ، ويساعد داعي الدعوة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر تقييا ، ويكون له ثواب ينوبون عنه في مختلف البلاد الإشراف على الدعوة الفاطمية ، وأخذ العهد على المتبعين للذهب الإسماعيلي بالتمسك بأصول عقائد الطائفة ، وتتلخص هذه العقائد في : التصديق بما جاء في القرآن ، والعمل به ظاهرا وباطنا ، والاعتراف بالأنبياء وارسل ووصيهم ، وأن محمدا غانم النبيين ، والقول بوصاية علي وولاية الأئمة من ذريته . (١)

ومن قبله منصب داعي الدعوة كبار علماء الفقه وأصوله للذهب الشيعي ، وقد بلغت الدعوة الفاطمية ذروتها على يد الخليفة المعز لدين الله ، وقاضى قضائه أبي حنيفة التيمان المغربي ، وباب إبراهيم جعفر بن منصور البجلي ،

ابن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم . ويعتقد الشيعة الإسماعية الاثنا عشرية أن محمدا ، الإمام الثاني عشر ، قد اختفى من الدنيا وأمكنه سيظهر ويعلا الأرض عدلا ، ومن ثم سموه « الإمام المنتظر » .

وكان حيد الله المهدي (٢١٧ ٩٠٩ م) مؤسس الدولة الفاطمية الأولى في المغرب أول إمام ظهر على الأرض وجاهر بدعوته بعد أن عمد أئمة الإسماعيلية إلى الاختفاء ونشر دعوتهم سرا من مدينة سيلية المذكورة وقد أسس حيد الله المهدي الخلافة الفاطمية التي عرفت أيضا باسم دولة العبيديين فدية إلى حيد الله المهدي ، كما عرفت باسم دولة الفاطميين ، أو الفواطم ، ثم صادفت الدعوة الفاطمية نجاحا كبيرا في بلاد المغرب وشمال إفريقيا ، ولقب المهدي « أمير المؤمنين » ، وفي عام ٣٤١ هـ . ولى المعز لدين الله ، الخلافة الفاطمية ، وأخذ بعد المدة لنشر دعوتهم في مصر واتخاذها مقرا لخلافتهم ، وقد عهد المعز لدين الله إلى قائده جوهر الصقلي ليعيد المدة لفتح مصر واستولى جوهر على الإسكندرية أولا ثم تابع سيره حتى وصل إلى القاهرة عام ٣٥٨ هـ . وبعد أن استولى جوهر على مصر وضع أساس مدينة القاهرة المعزية . ثم نجح الفاطميون في نشر الدعوة الإسماعيلية وبسط سلطانهم على اليمن وجزيرة العرب والشام وآسيا الصغرى ، كما نجح

(١) القول بوصاية علي . . الخ هو لفظة الخلاف بين السنة ومولاء الشيعة .

وهكذا انتقلت قاعدة الدعوة الفاطمية ،
والمكاتيب الرئيسية للفاطميين ومقر الداعي
المطلق ، إلى الهند في عام ١٠٤٦ هـ ، ومنذ
ذلك الحين دخلت الدعوة في دور جديد من
التنظيم والتطور ، وبدأ الدعاة الذين تلقوا
الطائفة يديرون الشؤون الدينية والاجتماعية
والسياسية والاقتصادية العامة المختصة بأفراد
الطائفة المنتشرين في مختلف البلاد من مفرم
بأرض الهند ، وأصبح هذا الانتقال بمثابة
تحول خطير في تاريخ الدعوة الفاطمية الجديد
وصار الداعي المطلق الذي انتخبته الطائفة
في الهند - بعد انتقال مقر رئاسة الدعوة
إليها - هو الداعي الرابع والعشرين في سلسلة
الدعاة الفاطميين ، منذ عهد الإمام الواحد
والعشرين المحتفي بالين في عام ١١٣٢ م .

وتعد طائفة البهرة أنها دخلت في مرحلة
مدينة بالهند وانتقدت في الميادين العلمية ،
وهيئة هيئة والتنظيمية منذ أن تولى منصبه
الداعي المطلق (١) الواحد والخمسين الدكتور
طاهر سيف الدين ، في عام ١٩١٥ م وقام
بنشر ملحوظ في سبيل النهوض بالدعوة
الفاطمية في القرن العشرين ، وجمع ما توزع

وبعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر عقب
وفاة الخليفة المعتمد آخر الخلفاء الفاطميين
فيها عام ١٠٩٧ هـ انتقلت زعامة الدعوة
الفاطمية من مصر إلى اليمن . ولما انتقلت
أطراف حزة الإمام الواحد والعشرين من
سلسلة أئمتهم اختار بنفسه خليفة له باسم
الداعي المطلق ، ليثوب عن الإمام المحتفي
في الإشراف على أمور دينهم ودينهم

وتعد طائفة البهرة بوجود إمام يعيش
في الهند ، وهو يتولى مركزه بالتوارث
المباشر ابتداء من الإمام الواحد والعشرين ،
ولا يخلو زمان من هؤلاء الأئمة المستميرين ،
بينما يقوم الداعي المطلق بالدعوة العلنية
والإرشاد والإشراف الروحيين ، كما أنه
مصدر سلطة يحسبكم إليه أتباع الطائفة
وشؤونهم ، وظل الداعي المطلق للأئمة
يقيم بالين حتى عام ١٠٣٩ م (١٠٣٩) وبعد
أن انتشرت الدعوة الفاطمية في الهند وازداد
عدد أتباعها واتسع نطاق نفوذهم في شؤون
الطائفة قرر أن يتحول مركز الداعي المطلق
ومقر الدعوة لرئيس إلى الهند نظرا للعلاقات
التاريخية القديمة والوطيدة بين الهند والين
ولكون الهند ملتقى الأديان والطوائف
المعروفة التي تعيش جنباً إلى جنب منذ مئات السنين
وأمل في وصول الدعوة إلى أوسع الطوائف
المختلفة ، ومساعدة على انتشارها في أرجاء شبه
القارة وحواليها من بلدان الشرقيين : الأوسط
والأقصى المتاخمة لقاعدة الدعوة في الهند .

(١) لاحظ أن جماعة من البهرة خرجت على
الدكتور طاهر سيف الدين ، ولا تعرف بزعامة
الهندية ، وهم طائفة « البهرة السابانية » وعددهم
قليل واتحدوا مركزهم في مدينة « برودا » بكجرات
لدها ، وأما أتباع سيد طاهر سيف الدين فيرون
الآن باسم : طائفة « البهرة الهارودية » ومركزهم
بمدينة سورت في كجرات .

ومن كتبه في العقائد : كتاب ، المهمة ، ، وكتاب ، الفصيحة المختارة ، ، وفي السير والتاريخ : كتاب ، الدعوة للأاهرة ، (١) ، وشرح الأخبار ، وأرجوزة ذات المحن ، وفي الوعظ : كتاب المجالس والمسارعة ، وهو في ثلاث مجلدات ، وبعد أحسن ما ألف في وصف حياة الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب ، ويتناول هذا الكتاب أحكام الأئمة من أهل البيت ، ويرد على خصوم المذهب الفاطمي ، ويعطي صورة حية للأدب الفاطمي والعقائد الفاطمية .

ومن أم المصادر لتاريخ الفاطمي كتاب ، هيون الأخبار لسيدنا إدريس حماد الدين الإمام التاسع عشر ، المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ، ويوجد أقدم نسخ ، هيون الأخبار ، في مكتبة طنفة ، بهرة بالهند (٢) . وبلغ هذا الكتاب ضوئاً على تاريخ مصر الفكري والثقافي ، وعلى الخدمات التي قدمتها مصر في العصر الفاطمي لعلم والدين ، وقد قدم سلطان بهرة (راحل الدكتور طاهر سيف الدين صورة فوتوغرافية لتلك الفسحة الأثرية من ، هيون الأخبار ، إلى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، أثناء زيارته للهند في عام ١٩٦٠ ، وأودعت هذه النسخة القيمة بدار الكتب المصرية ، وأثناء زيارة السلطان الراحل لمصر في عام ١٩٣٧ قدمت إليه الحكومة المصرية

من مخطوطات الفاطميين ونوادير حكمهم وعلوهم وقنوتهم وقشرها في مؤلفات ، أو أجاد طبها أو أدرجها في الكتب التي ألفها باللغة العربية فظلاً ونشراً ، وله نحو خمسين كتاباً ومؤلفاً تتناول شتى مراحل تاريخ الدعوة الفاطمية وعلمها وقنوتها ووجاهها . وزار الدكتور طاهر سيف الدين القاهرة عام ١٩٣٧ م . وهو أول زعيم الفاطميين وفد إلى مصر بعد خروجهم منها قبل ثمانية قرون ، وقال مبيتنا هدف تلك الزيارة : إتيي جئت إلى القاهرة لأجد فيها بيتنا وبينكم تلك الروابط الأصلية القديمة وأوطئ صلات التوادد والتحاب

وتعتبر طائفة البهرة جميع العلماء الفاطميين الذين حكموا مصر من عهد الممزر لدين الله أئمة لهم ، ولا يذكرون أحداً من هؤلاء الخلفاء إلا مقروناً بلقب والإمام ، ويتخذون مؤلفات الفقهاء الفاطميين مراجعهم الدينية الرئيسية والكتب المعتمدة في المسائل الفقهية ، ومن أم الكتب المشتهرة لدى البهرة في الفقه ، كتاب : دعاتم الإحلام ، لأبي حنيفة النعمان المغربي ، الذي يسميه الفاطميون ، سيدنا القاضي النعمان ، لبيروا يفته وبين أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي ، ويعرف عندنا أيضاً ، بأبي حنيفة النخعي ، ، ومن مؤلفاته القيمة في الفقه : كتاب الطهارة ، وكتاب منهاج الفرائض ، وكتاب كيفية الصلاة ، وكتاب مختصر الإيضاح ، وغيرها .

(١) هو من الكتب الخطية بمكتبة جامعة القاهرة

(٢) مكتبة الدكتور طاهر سيف الدين بمدينة بومباي .

ينشر الدعوة الفاطمية في كل بقعة نزل فيها .
جعفر بن منصور البني

ومن أشهر فقهاء المذهب الفاطمي ،
 جعفر بن منصور البني ، الذي اعتنق الدعوة
 الفاطمية ، وترك ابن موطنه الأصل ،
 وقصد بلاد المغرب في سنة ٥٢٢ هـ . وكان
 جعفر بن منصور موضع تقدير لدى الخلفاء
 الفاطميين في المغرب ومصر حتى تولى منصب
 (باب الأوباب) - وهو أعلى من رتبة
 قاضي القضاة - أيام الموحدين افة الفاطمي .
 ومن أهم مؤلفاته : كتاب (تأويل الزكاة)
 و (كتاب الشواهد والبيانات) و (كتاب
 النعنائ) . ويعد هذا الكتاب من أهم المراجع
 التي تصدرت لبحث تاريخ فرق الشيعة بعد
 جعفر الصادق ، كالرواية الاثناعشرية ،
 والباطنية المنتسبة إلى الأباطح بن جعفر
 الصادق ، والمحمدية المنتسبة إلى محمد بن جعفر .
أصول عقائد الهرية :

تقتبس طائفة الهرية أصول عقائدها (١)
 من النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،
 صهر النبي عليه الصلاة والسلام وعن خلفائه
 من بعده ، الذين نشروا الدعوة في المدينة
 المنورة أولاً ثم بلاد المغرب بإفريقيا

(١) مقدمة كتاب دعوة الحق ، لفرع الجامعة
 الشيعية بمدينة سووت بالهند ، عام ١٩٦٢ هـ
 الإيجازية ، عن تاريخ حياة الإمام الواحد والحسين
 المذكورين طاهر سيف الدين .

قطاعات من الفسوجات الأثرية من عصر
 الفاطميين المحفوظة بدار الآثار المصرية ،
 وتتألف هذه الهدية الثمينة من ٣٩ قطعة أثرية
 وكل منها محفوظ في غلاف من الزجاج ومقر
 السلطان بمدينة برجى ، وكذلك قدمت إليه
 الحكومة المصرية خلال تلك الزيارة بعض
 النفود الاحمية المتداولة في عهد الفاطميين بمصر .
المؤيد الشيرازي

يمتبر (المؤيد في الدين هبة افة
 الشيرازي) من أشهر فلاسفة الدعوة
 الفاطمية ، وقد أصبح داعي الدعوة في سنة
 ٥٤٥ هـ ، وكان بارعا في العربية والفارسية ،
 وخلف كثيرا من الكتب التي تعد من أمهات
 كتب الدعوة الفاطمية ، وأبرزها كتاب المذهب
 الفاطمي (١) . ومن أشهر كتبه (المجالس
 المؤيدية) و (ديوان المؤيد) و (المجالس
 المستصرية) و (شرح المعاد) و (قصيدة
 الإسكندرية) و (كتاب أساس التأويل)
 و (كتاب الإيضاح والتبشير في فضل يوم
 الفدير) و (المسألة والجواب) وقد احدث
 المؤيد في الدين من أسرة اتخذت التشيع لها
 ديناء والفاطمية مذهبا . وتغلغل رسالة الدعوة
 الفاطمية في شيراز) وفي عام ٥٤٣٩ هـ رحل
 إلى مصر وقده الخليفة المستنصر الفاطمي
 (ديوان الإفتاء) ثم تقلد منصب (داعي
 الدعوة) ، واستطاع بقوة حجته وبلاغته أن

(١) يوجد بمكتبة جامعة القاهرة مخطوط مصور
 لكتاب (السيرة للمؤيد) برقم ٢٦٠٥٦ .

كل فرد من طائفة البهرة عند بلوغه الخامسة عشر من عمره ، ذكرًا أو أنثى ، ويعتبر هذا الميثاق بمثابة عهد ، يتعهد به كل مصنف لمبائدي البهرة ، بالتفك بما جاء فيه من أصول عقائدهم ، وتعاليم مذهبهم . ويطلق عليه بعد ذلك (المؤمن البالغ) . وقد قال أحد الأئمة العاطميين الذين تأخذ عنهم البهرة ، وهو الإمام المنتصر بالله العاطمي : (واعلم أن موضوع الحكم الدينية على الأوامر والنواهي الشرعية ككون موضوع النوى الروحانية على الأشكال الجسدية ، فن أحسست منه قنورا في الشريعة فأعلم أنه جنة شديدة على الشيعة ، وأخ من ديوان أهل الاستجابة اسمه ، وأقطع من مجالس الدعوة أثره) . وأن الدعاء الفائع عند البهرة ، والذي يوصى به دعايتهم دائما أتباعهم وغيرهم من المسلمين هو : « دعونا الصراط المستقيم ، وبنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة . وقنا عذاب النار . وبنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدقنا وهب لنا من لدك رحمة ، إنك أنت الوهاب (١) .

معادهم الدلية :

وأحرزت طائفة البهرة في حياة الداعي الراحل الواحد والخصين سيدنا طاهر سيف الدين تقدما ملحوظا لم يسبق له مثيل

(١) خطبة السيد : محمد برهان الدين داهي البهرة المال (٥٢) بالأزهر في مارس ١٩٦٦ .

ومصر واليمن . وتلخص أصول عقائدهم من مراجعهم ومصادرهم الرئيسية :

(١) توحيد الله وتزويده ونبي الإشراف إليه نفعيا باتا .

(٢) الاعتراف بالأنبياء والرسل وعصمتهم من كل خطأ وأن محمدا عاتم النبيين .

(٣) التصديق بما جاء في القرآن الكريم والعمل به ظاهرا وباطنا .

(٤) وجوب وجود إمام وحي في كل عصر لقيادة العالم وحل معرفة الحقيقة إليه حتى لا يخلو من الهداة والمرشدين ، الذين يرشدون الناس إلى طريق الحق والصواب مباشرة ، أو في حالة نسترهم بواسطة الدعاء .

(٥) القول بوساية على وولاية الأئمة من خديته .

(٦) وجوب الأخذ عن الأئمة ، أو عن الدعاة الذين ينوبون عنهم في جميع أمور الدين والدنيا ، فيما لم يرد فيه النص من الكتاب والسنة .

(٧) وجوب الجهاد في سبيل نشر دين الله بكل ما يملكونه من مال وقس ، حسب إرشاد داهي المطلق ، والعمل لبث رسالة الإسلام والبهنة العلمية ، والتقدم الاقتصادي .

(٨) وجوب التمسك بالشمائر الإسلامية بكل دقة - حسب المذهب العاطمي - وفيه من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

الميثاق :

إن أخذ (الميثاق) خطوة هامة في حياة

إنعاش المنى الفاطمي :

تدوم طائفة البهرة بإنعاش الفن الفاطمي العربي في العهد الحاضر ، حينما جسد الداعي الواحد والخمسون لطائفة البهرة السلطان طاهر سيف الدين المسجد السيفي المسمى بالجامعة السيفية بمدينة سورت بالهند ، أمر بعمل عرابه على طراز عراب الجامع الأزهر الفاطمي ، فتم نقش ذلك المهراب من المرمم الأبيض على شكل المهراب الأزهرى المسمى القديم . وكتبه الآيات القرآنية وأسماء الأئمة والدة الفاطميين على جدران المسجد بالخط الكوفي الذى كان مستعملا في العصر الفاطمي . وجدير بالذكر أن الدكتور طاهر سيف الدين قد كتب بخط يده العبارة الآتية على قوس المهراب : « بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم عاشقون ، هذا المهراب بمائل لمهراب الجامع الأزهر ، وتمتد كنت ذرت القاهرة المعزية في أرائل سنة ١٣٥٦ ألف وثلاثة وست وخمسين بعد المح وزيارة سيد المرسلين وتشرفت بالصلاة بالجماعة في عراب الجامع الأزهر وقد كان بنى هذا المسجد ولق نعمتنا الداعي الأجل العلامة سيدنا أبو محمد عبد على سيف الدين ، ثم إنى جمدت بناء هذا المسجد ووسعت وبنيت فرقه مسجد التسراة وفوق ذلك ثلاث منازل لدرسي العلوم الحكيمية والمعارف القدسية والأدب الفاطمي وغير ذلك من أمانين

خلال ثمانية قرون من تاريخ الدعاة الفاطميين ، في المراكز التعليمية والاقتصادية والتعليمية ، ومنذ أن تولى منصب « الداعي المطلق » في عام ١٩١٥ م قام برحلات في مراكز الطائفة في الهند وعارجها لتنظيم شئون الدعوة ، وتم تحت زعامته بناء أكثر من ٣٥٠ مسجداً ونحو ٣٠٠ مدرسة خاصة بآبائهم . ومن المعاهد العلمية الكبيرة ، الجامعة السيفية ، والأكاديمية العربية ، بمدينة سورت ، بولاية كجرات ، وتعتبر الجامعة السيفية مركز التعليم المذهب الفاطمي في العالم اليوم . ويقد إليه الطلاب من أبناء الطائفة من البلاد العربية والإيرانية والأوردية وغيرها .

وأقامت الطائفة مهنياً حاليًا لتعليم الفن بمدينة بومباي وذلك في عام ١٩٦٢ بمناصب العبد النعمي لتولى سيدنا طاهر سيف الدين منصب « الداعي المطلق » ، وكذلك أنشأت مؤسسة كبرى على طراز « مؤسسة فورد » للخدمات التعليمية والثقافية والتعليمية وتشجيع البحوث . والطائفة البهرة جموعية خاصة تعرف باسم « جمعية للشباب المسلم » ورأسها نجل الداعي الراحل ، السيد خزيمة قطب الدين ، وهو شقيق السلطان محمد برهان الدين ، والجمعية فروع في أنحاء الهند ومختلف بلدان إفريقيا ، وتقوم بخدمات مشكورة في سبيل نشر رسالتها واللغة العربية إلى جانب العناية بالرياضة البدنية والخدمات الاجتماعية .

الدعاة الفاطميين ، وقد قام السلطان محمد برهان الدين بزيارة القاهرة في مارس عام ١٩٦٦ لشاهدة المقصورة الفضية التي أهداها والده إلى مقام سيدنا الحميز وحق الله عنه بالقاهرة في أواخر عام ١٩٦٥ ، وأزاح عنها الستار رئيس الجمهورية العربية المتحدة السيد جمال عبد الناصر ، عقب صلاة عيد الفطر المبارك شوال ١٣٨٥ يناير ١٩٦٦ .

وفي ١٣ مارس ١٩٦٦ منحت جامعة الأزهر درجة العالمية (الدكتوراه) الفخرية للسلطان محمد برهان الدين تكريماً له ولوالده ولطائفة البهرة في شخصه ، وتقديراً لخدمات الطائفة في مختلف الميادين التعليمية والثقافية . وقد وجه السلطان محمد برهان الدين الدعوة إلى قضية الأستاذ الكبير الفصح أحمد حسن الباقودي ، مدير جامعة الأزهر ، لتفضل بالحنور إلى الهند للاشتراك في حفل التتويج الرسمي لمظلمته (داعياً) للطائفة ، وللوقوف على نشاطها في نشر العلوم الإسلامية والفنسة العربية في الهند ، فتفضل سيادته بقبول هذه الدعوة وغبه عنه في الإطلاع على حياة الطائفة ونشاطها في تلك البقاع ، وسامه في مساهمته التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وتوطيد دكن التعارف والتفاهم بين الجماعات الإسلامية في معارق الأرض ومنازلها ؟

محمد الدين المولوي
المدرس بجامعة الأزهر

العلوم ، ولقد اخترت بناء هذا المهراب على صورة ممراب الجامع الأزهر متبعاً بذلك المهراب الشريف حتى يدوم اتصال بركت الجامع الأزهر بسواى فيوض مؤسسه الإمام المزلدين الله إلى هذه الجامعة السيفية أبداً ، وهذه الجامعة كان أسسها سيدنا عبد على سيف الدين ثم إلى شيدتها بنشر فترن العلوم وتهذيب طلبة العلم بالأدب الفاطمى . حررت هذه الببارة وأنا ملوك آل محمد الفاطميين الطاهرين وداهيمهم أبو محمد طاهر سيف الدين سنة ألف وثلاثمائة وخمسين .

السلطان برهان الدين :

ولد الداعى المطلق الثانى والخمسون لطائفة البهرة السلطان محمد برهان الدين في ٦ مارس ١٩١٥ م أى بعد أربعين يوماً كاملة من تولي والده المرحوم الدكتور طاهر سيف الدين منصب الداعى الواحد والخمسين .

ولما بلغ محمد برهان الدين من الخامسة عشرة أخذ الميثاق ثم منح لقب « برهان الدين » وهو لقب يمنح لشخصيات بارزة في سبيل هذه الدعوة ، وفي عام ١٩٣٠ م رشحه والده خلفاً له لمنصب « الداعى المطلق » بعد وفاته .

وفي ١٢ نوفمبر ١٩٦٥ توفى السلطان طاهر سيف الدين بعد أن قاد الطائفة مدة خمسين عاماً كاملة وهى أكبر مدة قضاها داع فى تاريخ الدعوة الفاطمية . وتولى من بعده زعامة الطائفة نجله وولى بعده محمد برهان الدين ، فأصبح « الداعى المطلق » رقم ٥٢ ، وسلسلة

أثر الأزهر في الحركات الشعبية للدكتور إبراهيم على شعوط

- ٢ -

لم تكدم مصر تترجع أنفاسها من الجهد التي بذلتها في عابرة القرون ، حتى وجدت نفسها أمام طمع جديد من الإنجليز في الوطن العربي ، فبعد هزنى سنة سنوات فوجىء المصريين بحملة « فريزر » ، تهاجم رشيد وتهدد البلاد كلها بالاستعمار والدمار .

وداعاً علماء الأزهر والطائفة لقتال العدو وهم الفديفة التي تنطلق في وجهه باسم الدين والوطنية ، وتولى السيد عمر مسكرم زعامة حركة المقاومة ، وإقامة الاستحكامات ، وحضر الخنادق حول القاهرة ، يعمل بنفسه مع العاملين في الماسحة في الوقت الذي انتشر فيه علماء الأزهر وطلابه يهربون القرى والمدن دعوة إلى الجهاد والقتال ضد الإنجليز .

وبهذا الجهد وتلك القيادة الأزهرية ، اضطرت الحلة الإنجليزية أن تقادر البلاد بعد الفعل الفذيع الذي لقيته في مصر من كافة الجاهيل .

علماء الأزهر يفرضون رغبتهم في تعيين

الوالى :

ولما استقرت قيادة الشعب في أيدي العلماء ، أصبح من حق الشعب عليهم أن

أمام محمود الأزهر لكل ألوان التحدى ، لم يجد نابليون بدا من مغادرة مصر واجما إلى بلاده ، تاركا قائده « كليبر » يعمل على إخضاع المصريين لحكم فرنسا ، ولكن الأزهر الذي أوجع الثورة ، ولجأ براكين الغضب على المستعمرين للخلاص ، لم يجد بدا

من أن يحمل الخنجر بيده ليغمده في صدر خليفة نابليون ، ويضع حدا لهذا الاستعمار الذي صهر بمقدرات المصريين ، وكان الذي يمثل الأزهر في دور الخلاص الأخير هو الطالب الأزهرى « سليمان الحلبي » الذي قدم نفسه مختاراً ليكون قداً لدار الإسلام التي دنستها أقدام الطغاة من أهل الصليب وأغلق الأزهر ليشهد مصرع الفتى سليمان الحلبي ، الذي لقي الله وهو يهتف (صاحب الفرنسيين حين اخترق صدره برحشية ليس لها نظير .

وحمل الفرنسيون من مصر وهم يهبطون كل صيحة من الأزهر عليهم . وفتحت أبواب الأزهر لطلابه وعلمائه ليصنعوا من جديد المستقبل الكريم لهذه الأمة ، ويكونوا من الفئس الجديد فتيه آمنوا برهم واقتنفوا بوطنهم ، واستغفروا الموت في سبيله .

ومن خلال الأحداث في الثورة العراقية وضع دور الأزهر ورجله فيما قاموا به من أعمال جليلة، وتمخضت الأحداث عن ثورة ديلية عارمة، مشى على هديها الأزهر واستقاء بنورها. ثم فضحت في صدور لأزهريين مع في الجهاد الحق الذي هناك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وحمل شباب الأزهر مشعل الثورة في طريق القيادة الشعبية، وأعلنوا حرجهم ضد الحكم المستبدين ورؤسائهم الرجعيين، فكانت الخطوة الأولى في طريق الجهاد والتحرر إعلان الثورة ضد الشيخ محمد العباسي شيخ الإسلام والمطالبة بتخليه عنه لم يستطع إصدار فتوى بوجوب الحكم الدستوري في البلاد خوفاً من بطش الخديوي توفيق، وتم خلع الشيخ محمد العباسي من مشيخة الأزهر، وتنادى العلماء الأحرار بوجوب انتخاب شيخ جديد للسادة المالكية، وسلا انتخاب الشيخ هليش وتولى رئاسة السادة المالكية بالانتخاب لا بأمر من الخديوي كما جرت العادة، واعتبر انتخاب الشيخ هليش الذي عرف بالصراحة التامة والوطنية الصادقة مظهراً من مظاهر قوة علماء الأزهر ورسوخ قدمهم في الوطنية.

ولقد حقق الشيخ هليش أمل الأزهر

بمختاروا لهم الحكم الذين يتوسمون فيهم العدل. وكان محمد علي معروفاً لدى علماء الأزهر بصداقته وحبه للخير، فقرروا أن يرلوه على مصر، بعد أن أخذوا عليه العهد والمواثيق أن يسير في الناس سيرة حسنة، ثم طلبوا من الخليفة العثماني أن يوافقهم على اختيارهم لمحمد علي، فزل الخليفة على رغبة العلماء.

وفي حفل بهيج اجتمع فيه العلماء بوصفهم ممثلين للأمة وألبسوا محمداً علياً خلعاً الإمارة على مصر، ولكن محمداً لم يحفظ هذه اليد للصريين، ولم يضمم الخضر العلماء الذين ولوه، فكانت بينه وبين السيد عمر مكرم وإخوته العلماء صداوة صارخة أتت إلى نفي السيد عمر مكرم بعيداً عن القاهرة كما شرد باقي العلماء بأسلوب الخديوية والذور وبقيت هذه العداوة في صدور العلماء متأججة على أسرة محمد علي، يستحيثون الفرصة للتخلص من حكمهم وتقويض عرشهم فلما كانت الثورة العراقية سنة ١٨٨٢ م وعلى رأسها الزعيم أحمد عرابي الذي تخرج في الأزهر، وأتم دراسته الحسوية، كان العلماء هم سنده الذي يسند ويثبت أزره، فظهرت شخصيات أزهريّة أمثال السيد محمد أفندي النديم خطيب الثورة العراقية وذهيم الصحافة الحرة، والشيخ محمد عبده المصلح الاجتماعي الكبير.

أم هذه الاجتماعات الاجتماع الذي عقد في الأزهر على هيئة مؤتمر وطني ، وتماثل الخطاب فيه ، وعلى رأسهم السيد عبد الله النديم ، ثم قرر المجتمعون الاحتجاج على معاملة درويش باشا العلماء وإبداء الضغط على سياسة الحكومة ، وقد ترسب على هذه الحركة أن سحب المقترحات الأوربية التي أثارها هذه الاضطرابات ، وعادت البعثة التي جاءت من أوروبا للحصول على موافقة الحكومة بسدد أن واجهتها الأمة بهذا الموقف .

ولما نشلت اثورة المراهبة التي كان علماء الأزهر يمدونها بالوقود كان من الطبيعي أن تصب عليهم الامانات ، ويساموا كل أنواع العذاب .

وفي هذه المدة ، وفي المواقف الحرجة . ظهرت بطولات أزهرية ، صرورت مدى حق الإيمان بالفسكرة ، ومقدار الصبر على الميكره ، والشجاعة المنقطعة الظهير من علماء الأزهر مع عليهم بأن حبس المشتقة تقتظر أذهنهم .

من هؤلاء : الشيخ « حسن العدوي » الذي وجهت إليه تهمة الاشتراك في الفتوى بعزل الخديوي توفيق ، وهذه التهمة كذبية بأن تؤدي إلى الإعدام ، فلما استدعى من السجن إلى المحكمة ، ومثل : هل أقتبت بعزل الخديوي ؟ قال : لم أفعل ، ومع هذا :

وطوايح الشعب في كبار العلماء ، فأصدر فتوى بجلد قداسة الدين وعظمة الأزهرين ونصها : بما أن الخديوي قد حاول أن يبيع البلاد الأجانب وأطاع إشارات قناصل أوروبا فإنه لم يعد يصلح لأن يكون واليا على المسلمين المصريين ويجب لذلك خلع ، وصدق على هذه الفتوى جميع علماء الأزهر وأرسلوا بها الشيخ محمد خضير أحد العلماء الذين عرفوا بالجرأة ومعه عدد من الأعيان إلى درويش باشا ، الذي استدبه الخديوي لحفاقة وغدا العلماء والنظر في المريضة التي يحملونها معهم وما فيها من فتوى العلماء بخلع الخديوي .

وكانت هذه المريضة مرفوعة من عشرة آلاف من علماء الأزهر وطلابه وتتضمن المريضة مطالب قومية ، وأهدافا وطنية تقتضيهما فيما يأتي :

أولا : رفض طلبات الدول بالتدخل في شئون مصر السياسية والمالية .

ثانياً : خلع الخديوي الذي هجر عن تحقيق وحيات الشعب ومالاً الأجانب .

وكان من الطبيعي أن يستعمل درويش باشا ، كل أنواع القعدة مع العلماء ويلحق صفوف الأذى بالأزهر به ، وأحسن الشعب بما يصنع علماء ورجال الدين في بلده فثاروا الحواطر ، وعقدت اجتماعات ومؤتمرات وطنية في القاهرة والإسكندرية ، وكان من

فيه منبرا وخطيبا ، يبعث بكلماته الثورية في نفوس أبناء هذا الشعب جذوة الوطنية ، ويرسم لهم طريق البذل والتضحية والفداء . وفي كل يوم تخرج الحفود الشائرة من الأزهر لتعلن استقياءها من الاحتلال الإنجليزي وجيش الإنجليز يتعقب هذه الجوع بدافعه الرشاشة ، يحدد بها أبناء الأزهر الذين خلت أيديهم من السلاح ، وفي كل شدة وفي مصعنا كل ثورة يقدم الأزهر أبطالاً آمنوا برهيم ، فاحتقروا الجيش الإنجليزي وسلاحه وراحوا يستقبلون رصاص المدافع بصدرهم ، ويذكر الشهود الذين شامدوا هذه الثورة أن شاباً أزهرياً دخلته وطنيته إلى أن يحارل المحرم على مدفع من مدافع الإنجليز ، فألقى بنفسه على حراس المدفع ، واغتصب فعلاً من الحراس ، ولكنه لم يكف بوجه إلهم حتى أصابته رصاصة من بندلية أخرى فأردته قتيلاً بسعد أن حمل بطوة الأزهر والأزهريين .

وهكذا مضت ثورة ١٩١٩ م في طريقها قوية جبارة ، ينفذها الأزهر ، ويفتح أمامها أبواب الأمل في نصر حاسم وفوز أكيد ، وفي الوقت الذي كان فيه معظم حصاد المدافع الإنجليزية من الأزهرين كانت طلائع الأزهر في كل مكان من الوطن المصري ، يقطعون السكك الحديدية وخراطم التليفونات ، ويلقون القنابل على مصكرات العدو ،

إن جثمتوني الآن بفتوى بذلك فأني أوقمها لأنكم لا تستطيعون أن تذكروا أن الخديوي توفيق مستحق للعرس لأنه خرج من الدين والوطن .

فأى شجاعة هذه وأى إيمان لرجل في موقف يتوقع فيه الحكم عليه بالإعدام ، ومع ذلك يؤثر الموت شهيداً على أن يكتم الشهادة وقد حكم عليه بتجريد من جميع رتبة وامتيازاته . وهكذا أثبت الأزهر أنه جدير بأن يحمل المفضل فيده ، والمدفع في اليد الأخرى ليذك صروح الظلم ويرد كيد البغاة المتجبرين . ولما كانت ثورة سنة ١٩١٩ م كان النصر الأزهرى هو عمادها وجوهرها ، فقامت معها سعد زغلول ابن الأزهر ، الذي سواء خطيباً وأقامه ذهباً ، فما كاد خبر هذه الثورة يصل إلى حلقات العلم في الأزهر حتى تنهات وقبح صدره لإمدادها بالفرد والذهب ، واعتبر الشعب المصري أن المهدي العليم لهذه الثورة هو الأزهر ، لأنه يعلم أن جميع ثورات مصر وفروانها كانت تصدر من الأزهر ، وتفتعل فيه ، ويتولى شيوخه الأفاض الإشراف عليها وتوجيهها إلى الغاية المرجوة . ولجأة رأى الشعب بعينه أن الأزهر بيت الله يشتعل حاسة ، وتناجح فيه الوطنية المقبوبة ، وتلقى فيسه عشرات الألوف من القلوب الشائرة ، وأصبح رواد الأزهر يصدونه في أوقات النهار والليل فيجدون

الحاضرة لسلطان الإنجليز وقد أصبح الشيخ محمود أبو العيون حاكماً عاماً للحاضرة ، وكان مقر منصبه « مسجد المؤيد » ومنه تصدر بين الحين والحين القرارات والتعليمات التي استقر عليها رأى حكومة مجلس الثورة الأزهري ، فيقبلها الناس وينفذونها في رضا واطمئنان .

الفن الأزهري في الثورة :

لقد ألقي الأزهري بكل ثقته في الثورة وسخر إمكانياته في سبيلها ، فلما وجد أن الثورة وجداناً ثائر ومواظف ملتبة وأعصاب مشدودة أفصح للفن طريقاً وقدم الفنان سيد درويش أحد أبناء الأزهري أيضاً فاندفع سيد درويش في نيار الثورة الجارفة بكل قوة فكانت أغانيه وأناشيده تزيد الثورة اشتعالاً ، وتفعل في الجماهير كما كانت تفعل كلمات أحمد سعيد في معركة بور سعيد .

الأزهري في العدوان الثلاثي :

كان للأزهري جهاد جريء طاقته الشعب كلها والحب به حماس النفوس حتى اشتعلت المعركة وارتفع لها بها ، فأخذ الشعب يلتمس أهداه من غير وعى كالأسد المسور ، والأزهري من وراء المجاهدين ، يعلو الشباب شحنة الحواس ، ويحييهم في الموت ويعرض عليهم منازل الشهداء عند دبرهم ، حتى لم يبق وجل ولا امرأة ولا طفل إلا وقد بذل في هذه المعركة جهداً مشكوراً .

ويشتركون في اغتيال الإنجليز على غزة ، ويصدونهم من الطرقات كما تصاد المصافير وظهر في الشعب بموجة من الوطنية كانت مواهبهم الرحيدة هي قتل الإنجليز أينما كانوا .
قيادات أزهري في ثورة ١٩١٩ م :

هذه القيادات وشعبها مواهب مختلفة فمن من وشحنه موهبة الخطابة والتأثير في الجماهير أمثال الشيخ أحمد يوسف الذي لم تعرف المنابر إلا القليلين من أمثاله فصاحة وقوة في التعبير ، وفهماً حقيقياً للثورة ، وإدراكاً كاملاً لمقتضياتها ، ونزوماً دائماً إلى الجاهل مواطن العامة وشعور الجماهير ، ومنهم من وشحنه مكانه في الدرس والتوجيه أمثال المرحوم الشيخ مصطفى القاياتي الذي كان درسه في الأزهري عبارة عن تدريب الشباب على اعتناق روح الفداء والتضحية ، ولهذا كان اسمه بارزاً في كثير من المحركات الإنجليزية بتهمة التحريض على اغتيال الإنجليز في كل مكان .

الحكومة الأزهري :

ولعل من أم ما يلفت النظر في ثورة سنة ١٩١٩ م أن علماء الأزهري الذين منهم الشيخ مصطفى القاياتي والشيخ محمود أبو العيون والشيخ علي الزنكلوني ، والشيخ عبد ربه مفتاح ، والشيخ محمد عبد العليق دوار ، ألفوا حكومة مستقلة في قلب القاهرة يخضع لمبادئها الوطنيون ، ولا يعترفون بالحكومة

تأثير ابن خلدون في أسلوبنا المعاصر

د. الأستاذ محمد رجب البنيوي

إذا قرأت كتاباً أمد لسيا وجده يتحدث عن ابن خلدون علماً من أعلام الفكر الأندلسي؛ وإذا قرأت تاريخ الأدب المصري في عصر المماليك وجدت الحديث عن ابن خلدون قسماً من الانصب بوادي النيل، وإذا ألمت بالحركة الفكرية في المغرب شاهدت ابن خلدون قائداً من كبار قادتها في تونس؛

وذلك يؤكد منزلة هذا العملاق في الفكر العربي، وحرص كل قطر من الأقطار على نشر أبحاثه، ونحن هنا نتابع الأستاذ أحمد أمين في عمله أندلسيا، لأنه كما قال في ظهر الإسلام ٢٣٨ - ٢٢٥ من أصل أندلس بأشبيلية وهو وإن ولد في تونس فقد درس على علماء أندلسيين، وأقام بالأندلس زمناً

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ولم يقتصر دور الأزهري في العصور الثلاث على التنبؤ الروحية والفضائل الطفولية بل إنه اشترك في المعركة بكتابة ضخمة من طلاب الأزهري المدربين على القتال. ولقد كان لصور السيد رئيس الجمهورية بحكمة الأزهري في الثورات السياسية أمراً كبيراً في لجوءه إلى الأزهري، وإرسال نداءه للعالم الإسلامي من منبر الأزهري، فاستجاب لهذا النداء أمة العرب والإسلام.

وهكذا حتى وفر في أذهان الجنين أن الأزهري حبيب للدين يقوم أركانه ويحمي حماه. هذا هو الأزهري وهذا هو بلاؤه في القيادة الشعبية حين تحدثت الأزمات، وينادي منادى الجهاد.

وكشور برهيم على شعوط
أستاذ للتاريخ المساعد بجامعة الأزهر

دور الأزهري في حرب اليمن :
في اليمن كان للأزهري دور خطير في دفع الشجاعت والنهم الموجهة ضد الجمهورية العربية المتحدة التي كان ينشرها بين الشعب اليمني خصومهم من الرجعيين وصنائع الاستعمار

مشاكل ، أو تعرف قدم أمهم . فكانت حياتهم بين الأمة التي عاشوا فيها كلها شقاء وحنانة ، فقد أداء نفوذ عاطفه وصدق نظره إلى الاعتماد إلى كثير من مثل الحوادث التي تنساب الاجتماع البشري وعرف ما بينها من الارتباط والفتنة ، حتى وفرت في نفسه بصور قرائن عامة وأقيسة مطردة ، سالها قلبه دون أن يفتن لها أهل قرنه ، ولم يتكشف سرها ويتضح الباحثين صدق انطباقها على سن العمران والاجتماع إلا بعد انقضاء عدة قرون .

ولم يكن الانتفاع بمقدته وأسلوب كتابته فيها في وقت أظهر منه في العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون المرسل المجرد من تكلف البدع والمحسنات اللطيفة في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية هو القدوة الحسنة للصالحين والمجددين للبهنة الأدبية والعربية والسيامية من كتاب العربية في مصر والناسم وتونس وخاصة من ألف منهم في مثل موضوعاته أو كتب في الجرائد والمجلات لفة المطروح من الكتب ولأنه أرحب أسلوب أدبي على لفظة والمتوجين عن اللغة الأجنبية المانطين على أصل المعنى ، فهو الأستاذ الأكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضت الأخيرة .

هذا ما قاله أستاذنا السكندري بنقله عنه

من أحفل حياته ، قال أندلس به أولى وقد عاش بمصر غربا في ديه وطباعه ولهجته ، حتى إذا وفد مع علياتها على (فيمور لك) قارن بينهم وبينه في المظهر والهيئة ، ولولا مخالفته لإمام في مرأى العين ما لفت نظر الطاغية التي لأن الحديث كان جماعيا عن طريق الترجمان ، وهو مما يؤكد أن الرجل لم يتمصر في كسبه المشرق أهل أنا تتحدث عنه لأن لتدثر أثره القوي في نهضة مصر الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . لك أن تسجب سعي كيف عاش ابن خلدون والقاهرة ، وشرح العلم بالأزهر وتولى قضاء المالكية عدة مرات ونقل في شتى مدنها ليرعى شئون منعبه ، ويهني حصاد أوقافه ثم لا يبق ذلك في حياته تأثيرا ذا بال حتى إذا مضى القرون ، وأقبل عصر البحث كانت مقدمة ابن خلدون صاحبة التأثير الزمان فتضع للكتاب أسلوبا جديدا ، والكتابة منها واضح الأغراض .

لقد مسك الأستاذ الكبير المفقور له الشيخ أحمد الإسكندري أستاذ الأدب العربي ثلاثين عاما بدار العلوم ، وهو في كل عام من أعوامه الثلاثين يمل على طلابه هذه الفقرات من مذكرته الشهيرة عن الأدب العباسي .

وكان ابن خلدون أحد نوابغ العالم الذين عاشوا أفذاذا في حصور مظلة لم يستندم فيها

وأخذ يعمل كيت وكيت ، ، وهذه الشروط تتوفر في ، ، وقتنا على كذا ، ، وهذا الأمر وإن كان كذا إلا أنه كيت وكيت ، ، وإن كاتباً يقبل منه الخلقاً ويحتفى دون مناقشة لذر سيطرة بعيدة النفوذ ، ، وإذا كان من الممتنع أن يحمل حوايه دليل سبقه فإن من الطريف هنا أن يكون خطأه كذلك يتضمن هذا الدليل ، ،

ولإيضاح تأثير المقدمة في النهضة الأدبية المعاصرة . نذكر أنها طبعت لأول مرة بمصر سنة ١٨٥٧ م ، وكانت الأذهان إذ ذاك متطلعة إلى عهد جديد تلوح نباشه فيها أحقب احتكاك مصر بالمحضارة الأوروبية في عصر إسماعيل ، ثم جاء جمال الدين الأفغاني لينشر أفكاره من الاستقلال والحرية والكرامة ومحاربة الاستعمار والتجبر وحكم الفرد بما يؤدي إلى فساد الممران كما يقول ابن خلدون : وقد وجه التأثير الأفغاني تلاميذه إلى الكتابة السياسية في محاربة الاستبداد والتجبر ، والنهي عن الطغاة من المحتلين وصنائعهم من الحاكمين . فاتجه الأدب العربي من ناحية المضمون وجهة جديدة بعد أن كان مقصوراً على المراسلات الإخوانية والأوصاف الإثائية التي تطفح عند الظواهر القاتمة دون أن تمتد إلى البنية والتحليل ، وبدأ الأدب الاجتماعي المصالح والتفكير السياسي الثائري يأخذ طريقه إلى الأسجاع مقدماً أسلوب ابن خلدون في ترتيب

تليذه الباحث المفضل الأستاذ محمود رزق سليم في المجلد السادس من موسوعته عن عصر المالكي ثم يقول تعقيباً عليه ص ٢٢٥ .

« ولا ريب في أن أدباء النهضة تأثروا - إلى جانب ما تأثروا به - بأراء ابن خلدون ومنها آراؤه في أثر معاصره فكان لذلك أثر مضاعف جعلهم يتجهون لآسلافهم وينظرون إليهم نظرة طيبة ، ويرمون أدبهم بالضعف والاعطاط ويثابرون على دراسة وإثبات أخذوا في دراسته أخذوا وأراء ابن خلدون مصلطة على عقولهم فيدرسونها وبأفلامهم لومة من هذه الآراء ، ويدهي أن تأتي النتيجة وفق مقدماتها ، والأحكام ومن مقوماتها ، ولقد كثرت على عهد الواحد وفي ملاحظة طريفة في هذا المجال فقد رأى أن أخطاء ابن خلدون الأسلوبية في المقدمة قد انتقلت أيضاً إلى أفلام كتابنا وكأنها صواب لا يقبل التصحيح مما يدل على الثقة المفرطة في قدرته والولوع الهائم باحتفائه والدكتور يبسط بعض هذه الأخطاء حين يقول ص ٢٤٨ من كتابه عن ابن خلدون .

« وبلاحظ أن أسلوب ابن خلدون قد انتقل إلى كتابنا مجسيع ما فيه حتى بأخطائه نفسها ، فمن ذلك مثلاً التراكييب المخطئة الآتية : « لا بد وأن ، ، « لا يترك شيئاً إلا وأحصاه ، ، « لم يقتصر على هذا بل

تلاميذ الأفغانى ذكرأ وأصم فكرة ، وأقومهم طريقة ، فستخذ من أسلوبه دليلا على تأثير ابن خلدون فى الحركة الأدبية لعهد إذا تنقل هنا أثريين موجزين من آثاره : أحدهما قد خطه الإمام فى مطلع شبابه قبل أن يقع على أسلوب المقدمة ، وثانيهما كتبه الأستاذ بعد أن فضج فكره واستوى على سوية ، ونفدت عليه المقدمة الخلدونية من سدادها الصائب ما أحكم نسجه وأوثق عراه . كان شيخ محمد بن عبد الله - لأول عهد بالكتابة - ينشر مقالاته بجريدة الأهرام ، فهتم بالمقدمات الطويلة ويتناول الأغراض الثانوية ، ويحرص على الصيغ البديعية لا يشذ عن طريقة معاصريه متأثرا بمشاهيرهم فى التفتيق والتفتيق كأن يقول فى موضوع من الكتابة والقلم سنة ١٨٧٦ (وما انقشروح الإنسان فى أقطار الأرض ، وبعد ما بينهم فى الطول والعرض ، مع ما بينهم من المعاملات ، وموائيق المعاهدات ، احتاجوا إلى التفتيح فى شئونهم مع قناني أمكنتهم ، وتواعد أوطانهم فكان لسان المرسل إذاك لسان البريد ، وما يدريك هل حفظ ما يبدى المرسل وما يبعد ، وإن حفظ هل بقدر على تأدية ما يريد ، بدون أن ينقص أو يزيد ، أو يبعد القريب أو يقرب البعيد ، فكمن من رسول ، أعقبه سيف طول ، أو حلق مقول أو حرب تخمد الأنفاس ، وتعمر الأرماس

المقدمات واستخلاص النتائج ورصد الظواهر وتعليقها ؟ وإذا كان ابن خلدون قد تحدث فى مقدمته عن السياسة والملك وعاقبة الخرف وأثر الظلم والاضطهاد وحكم الفرد وحرر الدولة وأسباب قناتها وتدميرها ، وبني السلطان ورياء الخاشية فإنه بذلك قد أمد تلاميذ جمال الدين بأكثر ما يبتغون ، وأصاب أفكارا صائبة فى الحرية تفصيل بها الأعلام فى أنهار الصحف موقظة داعية ، فوجد دعاة الثورة سبيلا مقيدا للأقول فأفرغوا حماسهم فى انجاسه ، أما من ناحية الشكل فقد انطلق أسلوب ابن خلدون مسترحلا سيما دون قيد بديعى أو حلية لفظية ، فقدم بذلك النموذج المختار لما يريد جمال الدين ، ومعنى تلاميذه بما كونه عذوبة واسترسالا ؟ فحرروا من أوماع السجع والازدواج ، وكبروا قيود الجناس والطباق ، وساعدوا على هذا السجع المتحرر ما يذكرو فى صدورهم من طيب الحرية والمزة إذ أن الجذوة الملتببة التى أذكاهما جمال الدين فى نفوس تلاميذه ومصفوة الأدباء لعهد كانت أعظم من أن ينفذ شرارها تحت رماذ التكلب لأمضى والميت البديعى ، وما بقى لدينا من آثار جمال الدين على مجتمه قريب من منهج ابن خلدون على هريته - فى الفرد والاسترسال !

وإذا كان الأستاذ الإمام محمد عبده أنه

والثورة ، وفتح لها أبوابا للتفنن في الصنائع
والحذق في جميع لوازم الحياة ، وبعث
في أفراد المحكومين روح الشرف والخوة ،
وحلهم على التحلى بالزاي الشريفة من قشامة
والشجاعة وإباء الضيم ورفعهم إلى مكانة عليا
من الأمة ، ووطأ لهم سبيل الراحة والرفاهية
وتقدم بهم إلى كل وجه من وجوه الخير .
وإن كان حاكمها جاعلا سوء الطبع ساقلا
الهمة ، جبانا ضعيفا رأى أحق الجنان
خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الأمانة
تصرفه إلى مهاوى الخسران ، وحارب على
نواظرها غشاوات الجهل ، وجلب عليها غائلة
العمالة والفساد ، وجار في سلطته عن جادة
العدل ، وفتح أبوابا للعدوان فيتغلب القوى
على حقوق الضعيف ، ويحتل العظم ، وتفسد
الأخلاق ، وتخفض الكلمة ويغلب اليأس
فتند إليها أنظار الطامعين ، وتضرب الدول
النافعة بمنحالبها في أحشاء الأمة ، عند ذلك
إن كان في الأمة دمي من الحياة وبقية فيها
بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل
الرأى وأرباب الهمة من أفرادها ، وتعاونوا
على اجتثاث هذه الصخرة الخبيثة واستفصال
جذورها ، قبل أن تنشر الرياح بذورها
وأجزامها السامة الفتانة بيد جموع الأمة
فتميتها وينقطع الأمل من العلاج ؟

محمد رجب البيومي

ومع ذلك كله خلاف المرام ، ورمية من غير
وأم ، فالتجسوا إلى استعمال وقلم القلم ،
ووكلا الأمر إليه فيما به يتكلم) .

فما ترى في أسلوب الشيخ غير أنه يعترك
في غير ميدان فيتحدث عن فضيلة الكتابة
بالقلم كأنها من الخفاء بحيث ينفه عنها في عقل
سيار ، يتخذ له من الأجماع حل موشاة
يظنها تحدثت أقوى الرنين في الأسماع .
وأحق التأخير في النفوس ... لقد كان من
حظ الأدب دون نزاع أن يعدل عن أسلوبه
هذا عرضا وتعبيرا إلى أسلوب إصلاحى حتى
يتحدث عن ظلم الرعاة وبغى الحكام .
قريب من نهج ابن خلدون إذ يقول في العدد
الأربع عشر من مجلة العروة الوثقى التي كان
يصدرها بباريس مع أستاذه جمال الدين :
(إن الأمة ليس لها في شئونها حل ولا عقد ؛
وإنما هي عاضدة لحاكم واحد ، إرادته قانون
ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ،
فتلك أمة لا تثبت على حال واحد ،
ولا ينضبط لها سيرة فتتوردها السعادة والشقاء
ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الفنى
والفقر وكل ما يعرض عليها من هذه الأحوال
خيرها وشرها فهو تابع لحال الحاكم ، فإن كان
حاكما أصيلا رأى على الهمة وغيح المقصد ،
قوى الطبع ، ساس لأمة بسياسة العدل
ورفع فيها شأن العلم ، ومهد لها طريق اليسار

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للاستاذ علي العماد

- ٩ -

بينما قرأ ذلك ، قرأ الآخرين - وم
كثير - من كبار المفكرين ، أنهم يصدون كل
هذه الأمور من المغناطيسية الحيوانية ،
وتحريك الموائد ، وتحضير الأرواح ومناجاتها
والتنويم المغناطيسي ، ولتخاطب بالذات
والنفرات الروحية ، والكشف ، وما إلى
ذلك ، يصدونه من الحرافات القسمة ،
والأرواح الخادعة وكلها ليس إلا قبيحة
خطأ في الملاحظة يخرج أحياناً بالزور
المتعمد على عقل بسيط جامع التصديق^(١) .
ثم رى فريقاً ثالثاً من الباحثين أيضاً
لا يصدق ولا يكذب ، ومن هؤلاء المحرم
الأستاذ عباس العقاد الذي يرى أن حتى
الفكر الإنساني في قبول هذه الظواهر أرجح
جداً من حقه في إنكارها ، فلا استحالة
في ظاهرة من هذه الظواهر غير مستثنى عنها
النادر المستغرب بالناس ما بلغ من الندرة
والغربة في جميع الأزمان

ويؤكد ذلك في موضع آخر من كتاب
(الله) فيقول : وما من حقيقة دالية الا وهي
تطوى في سجلها تاريخاً طويلاً من تراخي

الروحية الحديثة والفرقة الحريم :
انسمت الأبواب الروحية ، وكثر
انصارها المؤمنون بها ، المدفعون عنها ،
والناس في شأنها بين مصدق ، ومكذب .
وبين مأخوذ بها ، وساغر منها .

فبينما نرى أحد المؤمنين - من وجاننا -
يؤكد أن العلم الروحي قد أصبح علماً تجريبيّاً
لا ليس فيه ، ولا غموض ، ونرى آخر
- من علماء أوروبا - يقرر بكل ما في وسعه من
قوة أن التواصل بين الأحياء والموتى لا شك
فيه ، وأنه مرفى حالات كثيرة تحدث وتنفذ
الموتى ، واستمع إلى أحاديثهم ونقاشهم مع
من كانوا يحضرون معه ، وأن هؤلاء الموتى
بالذات هم الذين طلبوا الحديث^(٢) ، ونرى
- أيضاً - أحد أعضاء الجمعية الملكية
البريطانية يعلن : إنني أقول لكم بكل تأكيد :
إنني أعرف أن بعض أصدقائي المتوفين
ما زالوا موجودين لأنني قد تكلمت معهم .

(١) على حافة العالم الأثيري - تأليف هـ آرثر
فندللي - ترجمة أحمد فهمي أبو الخير ص ٣٥ .

(١) كتاب (الله) للأستاذ العقاد ص ١٢ بضمف

البحث لإنعام أحوالهم هنا ... إلى آخر هذه المقالات .

وليس بمشتا هذا في مدى صدق هذه الآراء ، وبعدما أوقف بها من الحقيقة ، وإنما فبحث في شيء خاص ، ذلك هو محاولة بعض المشتغلين بالأبحاث الروحية من المسلمين أن يربطوا بين هذه الأبحاث وبين القرآن الكريم .

وإذا كانت استنباطاتهم تستقيم في بعض الأحيان فإنها تنحرف في أحيان أخرى ، ونحن لا نحب لأحد أن يعتسف في تأويل آيات القرآن بما يظن أنه المراد بهذا الرأي أو ذاك . فالقرآن عربي مبين ، هكذا أنزله الله تعالى على العرب ليفهمه ، وليحملوا بما فيه ، وقد فهموه ، وعمل منهم من حمل ، وما كلفهم الله إلا بما فهموه من معاني القرآن . فمحاولة التحمل في تفسير آية من آياته لتدل على شيء خاص عما أظهرته هذه الأبحاث الروحية غير مأمونة العواقب ، وربما أدت إلى أن يوصف الباحث بأنه يقول على الله ما لم يقله سبحانه .

ولقد قرأت بعض ما أغرب به فريق من هؤلاء الباحثين في تفسير بعض الآيات فما سرى ما صنعوا .

وقبل أن أسوق أمثلة من هذه الإغرابات أحب أن أثبت هنا لغة من لغات المفسر الكبير غفر الدين الرازي ، أرادها متناسبة كل المناسبة لما نحن بصدده الآن .

الاحياء والرجاء والامل في الثبوت ، وإن تكررت ذراعي الشك بل دواهي القنوط (١) .

ويقول : ولا يشعر العالم اليوم أنه يعطى العلم حقه من الوثاق حين يتبدى بالإنكار في هذا المجال أو يرجع الإنكار بغير دليل قاطع يقاوم أدلة التصديق فن لم قبلها من من العلماء لم يأنف من اعتبارها صالحة لقبول ، مع توافر الأدلة ، وتمحيص التجربة من الوهم ، وخطأ الملاحظة (٢) .

وهذا كلام جميل ، وهو أوسط كلام وأهدله في مثل هذا الموضع ؛ فالمسألة ترجع في كل شيء إلى قوة الأدلة وضعفها .

غير أن الأساس الذي بنى عليه الروحانيون أبحاثهم لم يقم عليه - إلى الآن - أي دليل إلا الادعاء ، فهم يقولون : إنه للإنسان جسمين ، أحدهما مادي هو الذي نراه ، والآخرى أنهى لا يمكن لمسه ولا رؤيته ، وإن كان مادياً ملبوساً بالنسبة للعوالم الروحية فإن يعيش فيها .

والموت - عندم - هو انفصال الجسم الأثيري عن الجسم المادي ، ثم يوظفون في الغرابة فيؤكدون أن الأجسام الأثيرية تعيش في عالم كمالنا تماماً ، فيه كل ما في عالمنا من مدارس وكليات ، وأن أصحاب الأعمال العظيمة في هذه الحياة لا يزالون يواصلون

(١) للمصدر السابق ص ٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٧ .

وما لم يكن المراد واضحاً فإن العمل خطأ
بين ، وانحراف لا ينبغي أن يقر لاتصاله
بكتاب الله تعالى .

جاء في بعض هذه الكتب (١) أن العلم الحديث
أثبت أن لكل إنسان حالة أي جواراً أو طيفاً
يحيط بجسده ، ويتحرك معه ولا يراه . هذه
الحالة تمتد حول الجسم بمقدار نصف المتر
أو المتر في الشخص العادي ، وتزيد عن ذلك
كثيراً في الشخص الموهوب .

ويقول الأرواح - كما يزعم الكتاب - إن
موضع العقل الروحي يرتفع حوالى عشرين
متريماً تراقق الأرواح .

هذا كلام لا صدقه ولا تكذبه ، ولا
اعتراض لنا على من يقوله أو يعتقد ،
ولكن الخطأ بعد ذلك في ربط هذا الكلام
بآيات القرآن .

فؤلف الكتاب يقول : إنه يستفاد اعتقاداً
جازماً أن هذه الحالة مادية إلا جلد نوراني
للإنسان هي الجلد الذي يشهد على صاحبه في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والذي جاء
ذكره في الكتب السابقة : « وقالوا للجلودم
لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل
شئ » وهو خلفكم أول مرة وإليه ترجعون .
وليس يشفع له في ذلك أن يؤكد وجود
هذه الحالة ، وأنها يمكن تصويرها بأجهزة
خاصة . والجلود كذا معروفة في لغة العرب .

(١) كتاب (الروح والدين) ص ١٠ ، ١١

جاء في تفسير قوله تعالى : « فوالقلم
وما يسطرون » : القول الخامس ، إن نون
هنا آخر حروف (الرحمن) فإنه يجتمع
من الرحمن (ن) اسم الرحمن - هكذا
فذكر الله هذا الحرف الأخير من هذا الاسم ،
والمقصود القسم بتام هذا الاسم ، وهذا
أيضاً ضعيف ؛ لأن تهويده يفتح باب
ترهات الباطنية .

فالإمام الرازي رد مثل هذا التفسير
المتعسف خشية أن يفتح للناس طريقاً من
الإغراب في تفسير القرآن الكريم ، كما كان
يفعل الباطنية ، فقد كانت لم تأويلات ليس
في باب الغرابة والتكذب أبعد منها ، فكانوا
يفسرون القرآن على ما يؤيد معتقدهم
الفاصلة .

وقد كان الرازي دقيقاً . وعفا - بن سبي
تفسيراتهم (ترهات) .

ولكن الحق أن هذه التفسيرات التي لجأ
إليها بعض من كتب من الباحثين الروحيين
لم تكن - فيما اعتقد - عن قصد سيئ ، وإن
كانت بعيدة عن الحق ، وأخطر ما فيها أنها
تدل على اتجاه غير محمود في فهم كتابنا العزيز .
فينبغي أن يعلم أن الزوج بالقرآن لا كل متحرك
يختصم فيه العلماء حول أبحاث لم تثبت بالدليل
القاطع صحتها ليس بما يؤمن معه العوالم التي
تعمل المؤول أو المفسر قائلاً على الله بغير
علم فهذه التواوين عرصة للتطور والتغيير ،

السماء أى الموالم الروحية لأهل الأرض ومساعدتهم . يقول تعالى : « والسماء ذات الرجوع » .

هذا فهمه ، وهذا تفسيره . فهو يريد أن يثبت النظريات الروحية بالاعتقاد على قول الله تعالى ، ولهم أن يروا أن الأرواح يعاون أهل الأرض في ميادين مختلفة ، ولكن ليس لهم أن يوصوا أن هذا الذى رآه (عليهم الحديث) هو مراد الله تعالى . وللمفسرين في كلمة (الرجع) ثلاثة تفسيرات: ذات الرجوع أى ذات المطر ، ورجع السماء إعطاء الخمر الذى يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان ترجمه وجما أى تعطيه مرة بعد مرة ، والرجع هو وجهها شمسا وقرها بعد منجمها . وأكثر المفسرين على رأى الأول .

ولكل إنسان أن يفهم آيات القرآن - في حدود المعاني القوية - على ما يستطيع ذهنه أن يدركه ، ولكن الخطأ أن يتخذ القرآن وسيلة لإثبات نظريات عليه ليست في مدلولات ألفاظه ، ولم يثبت العلم صحتها بعد . وإذا كان يراد لهذه النظريات أن تروج بين المتدينين باتخاذ القرآن وسيلة عن وسائل الفروج فهذا خطأ بين ، وانحراف عن الجادة لا يقره مسلم .

كما ترى نفس المؤلف يردد ما قاله زميله هن (الهالة) ويزيد عليه أنه وود في القرآن

واقه غاطب العرب بهذه اللمة المعروفة لهم ، فكيف ندعى أن الجلود معنى ليس في هذه اللغة التي نخطو عليها ، وتحديداتها . وأشد خطرا من ذلك أن الكتاب يقول: أنه يستند اعتقادا جازما أن هذا هو المراد ، أى أنه محرم بمراد الله تعالى .

ثم يستطرد فيرى أنه رأى العقل الروحي أى مركز الهالة قريبا من الرأس ، وعلى هذا وجد تفسير الآيات القرآنية التي نزلت في هذا المقام - مثلا - قوله تعالى : « وكل إنسان ألومته طائفة في خلقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

ونظرة واحدة من ملاك - يقول - تكشف له عن طبيعة الشخص الذي يتولاه ، وعلى الأحراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام . . . ولا تكلف نفسا إلا وسعها . . . ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظنون . . . فالسماء والكتاب إنما هي الهالة التي قالت بها الأرواح .

وفي بعض هذه الكتب (١) نفراً أن سكان العالم الروحي الذين أغفوا وأدركوا الحياة الروحية الصحية في نشاط دائم ، وأنهم مستخرون - مع أهل السماء - لمعاونة أهل الأرض ، وأن الله سبحانه قرر عودة سكان

(١) الرسالة الروحية في القرآن الكريم

وليس آيات القرآن هي وحدها التي استخدمت في تأييد النظريات الروحية ، بل إنهم لجأوا أيضاً إلى الأحاديث النبوية .

فالأرواح أخبرتهم بأن الطفل الذي يغادر الأرض صغيراً ينمو حتى يستكمل وجوته أو أنوثته ، فإذا ما بلغ هذا الطور ظل كاهو رجلاً كاملاً ، تام الفؤ ، أو امرأة كاملة الفؤ وأن له هناك مدارس وكنيات وبحثون مما يؤيد ذلك فيجسدونه في قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موت ولده إبراهيم ، وقد بلغ ثمانية عشر شهراً : (إن له لمرجعاً في الجنة) .

(وبعد) فمن لا نريد أن تدخل في بحث تفصيل عن تفسير القرآن بأرأى أو استخدام القرآن في إثبات النظريات العلمية ، أو في الإشارة إليها ، وإنما نريد أن نقول : إنه لا ينبغي مطلقاً أن نحاول اعتساف التأويل كلما هن لنا أو لنيرنا رأي جديد ظانين أن ذلك يخدم قضايانا أو يخدم القرآن .

فما لم يكن المراد واضحاً ، يمكن فهمه على أسلوب من أساليب العصب في كلامهم فإن ضرره أكثر من نفعه .

راه الهادي لأنوم طريق ؟

على العملى

المكريم ذكر لهذه الحالة ووصفها الله سبحانه وتعالى بأنها نور يبعث من المتقين : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » .

والأرواح تقول لم : إن الحالة مقياس دقيق للصحة الروحية وإن فيها الألوان المختلفة من أسود إلى أحمر إلى قرمزي إلى أزرق ، وبالجملة فهي تدل رائتها على جميع صفات صاحبها من أخلاق وصفة وتاريخ أى أنها (صحيفة الأعمال)

ونحن لا نمنع أن تكون الأحوال نوراً ، وأن يخلق الله نوراً كهذا النور المعروف يسمى بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم ، ويمكن ألا يمكن أن نقول : إن هذا النور هو هذه (الحالة) التي أخبرت عنها الأرواح وخبر الأرواح عندنا وعندكم لا يزال موضع شك .

ويعتقد هذا المؤلف فيمنع أن يكون المراد (روح الله) تخفيف الجزاء ، أو تكفير الخطايا . ولكنها عنده ما أرسله الله إلينا من رسالات سماوية توضح لنا الخير والشر ، وهي - كما يقول - ما حقق لنا من اتصال بعوالم الروح لترشد بها فيما نتمتعنا في مستقبل حياتنا الروحية .

وكيف تفسر مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (إلا أن يتمدق الله بفضله ورحمة) ؟

الجبّال في القرآن الكريم

لأستاذ الدكتور محمد أحمد النمراري

- ٣ -

الظروف لأمر من الأمور ، أما الحق سبحانه الذي لا يسره شيء ، والذي يسره أمر السموات والأرض فلا يمكن أن تكون هناك مباينة فيما يطالب به عباده ، إلا أن ترد على لسان بعض من يحكى عنهم القرآن من الإنس أو الجن أو الملائكة . وإذن فالآيات الكريمة الثلاث ليست من المباينة في شيء وإنما تقر حقيقة ، من الحق أن نسبة الولد إلى الله سبحانه هي من الضاعة ومن الإجماع في جنب الله بحيث تنفضه الغضب الذي لولا حل الله سبحانه ولولا حكمته لعل الله من أجله بالقيامة ليحاسنهم على ما يفترون إذ الأحداث الحادثة المذكورة في الآية الكريمة لن تتمع إلا عند

القيامة

ونسبة تلك الأحداث إلى السما والأرض والجبّال في الآية الكريمة هي من الإعجاز البلاغي ومن أدلة أن القرآن من عند الله إذ ليس يخطر ببال مخلوق أن يحكى عن السماء أنها تنفطر ، وعن الأرض أنها تنشق ، وعن الجبال أنها تهوى منهدة لقول يقوله فريق من عباده الله ينسبون به الولد إلى الله سبحانه

بقية بعد آيات الجبال والقيامة وآيات الجبال في القصص القرآني آيات إحدى عشرة جاءت الجبال فيها بلفظها في عشر سور ست منها مكية هي : مريم والناحية والنحل وإبراهيم والنبأ والنازعات ، وأربع منها مدنية هي الأحزاب والرحمة والنور والحج مرتبة هكذا حسب ترتيبها في نزول الوحي بها .

وآية سورة مريم هي ثالثة الآيات الكريمة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنفق الأرض وتخر الجبال هدا) .

وهي آيات قد تؤخذ على أنها من باب المباينة عند من لا يفقه كيف يكون قول من يغضب الولد إلى الله سبحانه سيؤدي في السموات من الانفطار ، والأرض من الانشقاق ، والجبال من الانهداد لكن المباينة لا تكون إلا في كلام محدود القدرة . ما يصحزون منه أو يعلنون أنه لا يمكن أن يشقق يقولون عند المباينة : إنه تحقق أو كاد ، في ظرف من

الأرض في سلك خصوصاً من حيث أثره في حياة الناس .

وأمرار الخلق ، خالق الجبال ، قد أمرنا في آية سورة الفاتحة أن نتوكل ونعتمد ، والآية هي فاتحة الآيات الكريمة الآتية : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت . » . وهنا نتفق بتلك السجبة مرة أخرى بحجية ذكر الجبال مع السماء والأرض على سواء . وإن جاء ذكرها بعد ذكر السماء وقبل ذكر الأرض لما بين رفعة السماء وارتفاع الجبال من تناسب ، وما بين نصب الجبال وبسط الأرض من تقابل . والجبال جزء من الأرض ، فأى سر ذلك وأية حكمة في رفعها عن سطح الأرض ؟ أو - إذا نظرنا إليها من الناحية المقابلة - أى سر ذلك وأية حكمة في خفض سطح الأرض من سطح الجبال ، وفي خفض سطوح الجبال بعضها عن بعض أو في رفع بعضها عن بعض كما نراه أن تقول : إن علوم الفلك وطبقات الأرض والجغرافيا الطبيعية وما إليها من فروع العلم هي الكيفية بالإجابة على ذلك وتبنياته لمن أراد التعمق ، وإلا فاني ما يعرفه الناس ، كل بقدر عقله وعقله ، ما يكفي الهداية إلى رب السماء والأرض والجبال .

ونستقرى بقية الآيات لئلا نرى هل بينها

ولعل هذه الصيغة الإيجازية وخطوها من التصريح بأن الله هو فاعل ذلك كله لو كان ، لعل ذلك هو الذي ييسر حمل الآية على المبالغة عند بعض الناس لكن الآية لم تغل من إشارة إلى أن تلك الأجرام الهائلة من سماء وأرض وجبال ، لا تنفطر ولا تنشق ولا تهد من نفسها ، والإشارة هي أولاً في المصدر المنسوب على التمييز في ختام الآية الكريمة (وتقر الجبال هذا) ، والهد هو المصدر القديم ، كما في القاموس ، والهدم لا بد له من فاعل ، ولا يقدر على هدم الجبال وهدها إلا الله سبحانه ، وإذا قد ظهر أن أحسن الأحداث الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة هو من فعل الله ، فالمحدثان الآخران هما من فعله أيضاً . يؤيد ذلك ويشير إليه الفعل المطاوع المستند إلى السماء وإلى الأرض لأن المطاوعة في الفعل تقتضي فعلاً متعدياً يناسبه ، وليس يقدر على شق الأرض وتقطيع السماء إلا الله سبحانه فانظر إلى هذا الإيجاز في الإيجاز وفي المعنى .

وحجية عن الجبال في الآية الكريمة يبنى ألا تنيب عن تأليها المعسكر لها ، تلك هي أن الجبال قد ذكرت مع السموات والأرض على سواء ، فلا بد أن يكون في الجبال من أمرار الخلق ومن الخصائص ما يجعل إهدادها جديراً أن يسلك مع تقطير السماء وانشقاق

وفي هذه الآية ذكرت الشمس والقمر والنجوم بدلا من السماء ، وذكرت الجبال والشجر والحداب بدلا من الأرض ، مادام المقام ، قام تمديد كل ما يسجد في الكون أى كل ما يعطيه سبحانه تمام الطاعة وينقاد لحكمه أتم انقياد . لم يستثن من هذا التحول إلا الناس ، فكثير منهم يسجد ويطيع ويلزم من هذا أن يأنهم لا يفعل ، فهو داخل في الكثير الذى حق عليه العذاب . لكن هذا الكثير ليس مقصودا على الكافرين والمعاصين من الناس بل يدخل الشياطين وعصاة الجن أيضا ، وإلا لدخل هؤلاء في الساجدين المنقادين الذين دل عليهم الاسم الموصول للماتل في قوله تعالى : (ومن في الأرض) ، وهذا غير مقبول ولا مقبول ولا يمكن أن يكون هؤلاء مسكونا عنهم مادام قوله تعالى : (وكثير حق عليه العذاب) يمكن أن يشملهم ويشمل المعاصين والمكافرين من الناس . لتكون الآية الكريمة شاملة حكم كل مخلوق خضع لله .

وآية سورة الحج هذه تبين النتيجة العملية لما أخبرت به آية آخر سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » الآية (٧٢) فإن الأمانة عند جمهور المفسرين فيما حكاه أبو حيان ، كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهى وشأن دين ودنيا . والشرح كله أمانة ، فهو نيا يبدو

ما تحققت فيه أيضا تلك العجيبة ، عجيبة ذكر الجبال مع الأرض والسماء على سواء فنجدها تحققت في أربع آيات من القسح الباقية : مكيتين ومدنيتين . في سورة النبا والتازعات المكيين ، وسورتي الأحزاب والحج المدنيتين .

أما المكيان فالأولى هي والجبال أوتاداً ، من قوله تعالى في سورة النبا : « ألم نجعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وخلقناكم زواجا ... وبنينا فوقكم سبأاً شداداً » .

والثانية هي والجبال أرساما ، من قوله تعالى في سورة التازعات :

« أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفعت سكاها فسواها ، وأغشط ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاً ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساما » .

وأما المدنيتان فهما آية آخر سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا » .

ثم الآية (١٨) من سورة الحج : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ، الآية .

وواضح أن موضوع هاتين الآيتين المدينتين غير موضوع الآيات المكية الأربع : آيات مريم والناشئة والنبأ والنازعات ، وإن اتفقت كلها في ذكر الجبال مع السموات والأرض أو السماء والأرض ، على سواء .

والاختلاف بينها في الموضوع كالاختلاف بينها في البيئة التي نزلت فيها ، فالبيئة المدنية غلب فيها الإسلام فلم تحتاج إلى ما احتاجت إليه البيئة المشركة المكية من إقامة الدليل على الله من آيات الله الواضحة الظاهرة في السكون ، ومن آياته في السماء والأرض والجبال على النحر المنجلي في آيات الناشئة والنبأ والنازعات ، أما آية مريم فالتخاطب بها فيها يبدو من كل بضئ البيئة المكية من التنصاري ، والوهر الشديد الذي فيها وفي الآيات التي فيها ، يذهب بها يوسوس به المشرقون من التنصاري من أن محمداً أخذ من نصاري مكة أو بعض رهبان الشام شيئاً مما جاء به من الدين ، لكن المهم فيما نحن بصدده أمران : أن ذكر الجبال على الخصوص وهي جزء من الأرض في آيات مست ذكرت فيها السموات والأرض أو السماء والأرض دليل ليس بمقدم دليل على الأهمية القصوى للجبال من ناحية ما أودع الله فيها من أسرار الخلق الدالة على عظمة الله وقوة مدته وحكمته سبحانه ، ومن ناحية عظم أثرها في حياة الناس وحياة غيرهم بما على الأرض من

أمانة العقل والاختيار وما يقبها في الدين من التكليف ومن الجزاء فالسموات والأرض والجبال هابت أن توصف بصفة العقل والاختيار مقرونين بشرط التكليف والجزاء ، بالضرورة إن أطاعت والعقوبة إن عصت ، وآثرت السلامة والنجاة في تمام الطاعة والانقياد لدنائه فيها ، غرماً وإشفاقاً أن يضلها النظر والاختيار فترى عن أمر الله تتعرض لعذابه . أما الإنسان فقد قبل أن يحمل ما أنشفت سموات والأرض والجبال من حمله ، واجبا أن يقوى على أداء ما يكلفه الله به ، طامعا أن يطيع ولا يمتص ، حتى إذا أبتل يابليس الذي لا يملك من نفسه إلا أن يوسوس إليه ويقترح عليه الكفر والمعصية مجرد اقتراح ووسوسة لا يملك معها أن يجبره ، وهو مع ذلك قد حذر أنه له عذر حينئذ . حتى إذا كان ذلك نسي العهد ، وأمرل وأساء الاختيار ، فكان ذلك منه سفهاً وجهلاً وظلماً لنفسه ولغيره من الناس ، اللهم إلا من أعطى الإمامة حقها في الكثير الغالب ، واستغفر الله وقاب إليه كلما خدعه الشيطان من شيء من دينه فكان عن قال الله فيهم : « فأولئك يبطل الله صيانتهم حسرات ، وكان الله غفوراً رحيماً ، ولم يكن من الكثير الذين حق عليهم العذاب .

مفتاح سر إصغافها وفتحهم إلى عظم البعد
بينها وبين الأرض ، وبين بعضها وبعض ،
وإلى أن لها ميلا مطلقا غير ليل الأرض ،
وإلى أن الله أخرج ضوءها أى ضوء
ما فيها من شمس ونجم لا مجرد ضوء شمسها
كما يقول الزمخشري وتبعه أبو حيان وغيره .
والعلم قد أثبت أن نجومها شمس يتفجر
الضوء منها يتفجر ذاتها كالذى يحدث فى
التفجر النوى فى القنابل الأيدروجينية
وما إليها ، بل أشد .

أما الأرض فقد لفتنا الله فى الآيات الثلاث
المتتالية بها إلى أنه سبحانه بسطها وأخرج
منها الماء والمرعى بعد أن كان قد خلق السماء
والأرض ، إذ خلق إحداهما يستلزم خلق
الأخرى لما بينهما فى اللمة من تقابل . فهما
خلقتا معا لا قبل ولا بعد بينهما كما تدل عليه
آيات سورة فصلت . ثم لفتنا سبحانه إلى
أرساء الجبال فى الأرض ، وهو أمر نرجو
أن نتناوله بنين هو ووتدية الجبال فى مقال
إن شاء الله . ويمكن الآن التنبيه إلى
ما فى الآيات الأربع الحكيمية حسب ترتيب
نزول الوحي بها ، من مثل رائع للفرق
بالناس فى معارج النظر إلى آيات الله فى السماء
والأرض والجبال حتى أن يهتدوا إلى
خالقها سبحانه ؟

محمد محمد النعمري

أحياء . وعليتنا نحن معشر أهل القرآن أن
نحيط بما عرفه العلم من ذلك . ونكشف
عالم يعرفه وأشار إليه القرآن
هكذا أمر . والامر الثانى هو التنوع
المجيب فيما ذكر عن السموات والأرض
والجبال فى تلك الآيات .
قاية مريم لم تزد على ذكر السموات
والأرض والجبال شيئا من صفاتها
أو خواصها ، لأن ما لها من الروعة فى
النفوس يكفى فى الرجاء الذى سيفت الآيات
من أجله .

وآيات الغاشية لفتت الناس من السماء إلى
رفعتها كيف كانت ، ومن الجبال إلى ارتفاعها
عن الأرض وتماسكها ، ومن الأرض إلى
كيف سطحتها الله حول الجبال .

وآيات النبا لفتت الله فيها الناس من
الأرض إلى أنه سبحانه قد سطحتها على وجه
يحملها صالحة للعيش عليها والراحة فيها كأنها
مهاد للإنسان ، وفتحهم من الجبال إلى سر
فيها لم يكشف الإنسان عن كنهه إلى الآن
وأشار الله إلى مفتاح كشفه فيها بالارتداد
ثم لفتهم من السموات إلى حدودها ،
وإلى أنه سبحانه قد خلقها يشد بعضها بعضا
شد البنيان بعضه بعضا ، بحيث لا تسقط
هلينا وهي فرقنا .

وآيات النازعات لفتت منكرو البعث
من الناس إلى أن الله بناها - وفى الفعل بنى

بحث نقدى : إن وإذا ...

للأستاذ كامل السيد شامس

١ - رأى القدماء

وما دام الشاعر يقصد إلى المجهول ، فينبغي أن يكون الحث على الخير أمراً مفكوكاً فيه ؛ فيكون الموضع لإن ، وأن يكون الهم بالشر أمراً مجزوماً به ، فيكون الموضع لإذا ؛ فهذا تأويل قوله (لو عكس لأصاب) . وهذا الأصل تستنده شواهد جمة .

فأما إن ، فقرأها في قوله سبحانه ، إن تبدوا الصدقات فتنها هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، فإن إبتاء الصدقة لا جزم بإبدائه ، ولا جزم بإخفائه ، فكان المقام لإن .

وفي قول الخاسي ، وقد قتل قومه أعاد ، فبات لا يدري أشار فيقتنى ، أم يعضو فيستقيد به الفيظ والأي : قومي هم قتلوا - أميم - أخى

فإذا وميت يصيبي مهي فلتن هفوت لأهزون جلالا

وإن سطوت لأومن عظمي فإن كلا من العفو والسطو أمر مفكوك فيه .

وأما إذا ، فقرأها في قوله سبحانه ، وإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم

قال الزمخشري : والجهل بموقع إن وإذا يزبغ كثير من الخاصة من الصواب ، فيخاطبون ، ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموضع في قوله يخاطب بعض الولاة ، وقد سأله حاجة فلم يقضها ، ثم شفع له فيها فقضاه : ذمت ولم نعمد ، وأدركت حاجتي

قول سواكم أجبرها واصطاعها أبي لك كسب الحمد رأى مقصر وقضى أضاق الله بالخير باعها إذا هي حثت على الخير مرة عصاها ، وإن حثت بشر أطاعها فلو عكس لأصاب (١) . انتهى .

ومراد أن حق البلاغة يقضى حل الفاعل أن يقول (إن هي حثت على الخير مرة عصاها ، وإذا حثت بشر أطاعها) ، فذاك هو العكس الذي يرى الزمخشري أنه الصواب :

وإنما كان هو الصواب ، لأنه يرى كما يرى جمهرة البلاغيين أن (إن) للفك ، ومدخولها النور القليل ، وأن (إذا) لتحقيق ، ومدخولها الكثير الفاضل

(١) الإيجاز ص ٩ مطبعة السعادة .

فإذا قلت إذا أتيتني آتاك وجب أن يكون
الإتيان معلوما .

ألا ترى إلى قوله عز وجل : (إذا السماء
انفطرت . . إذا الشمس كورت . . إذا
السماء انشقت) أن هذا واقع لا محالة .
ولا يجوز أن يكون في موضع إذا (إن) ،
لأن الله عز وجل يعلم ، و (إن) إنما تخرجها
الظن والتوقع فيما يختص به الخبر .

وقد عرض ابن السكيت (١) في أماليه
الفرق بين إذا وإن ، بما لا يخرج في مضمونه
ما ذكره المبرد في مقتضبه .

عل هذا الأصل دج نفاة البصرة ،
وذهبوا يتأولون ما خرج عليه ، وتفاء
البلاغيون من بدم بالقبول ، وتوسعوا
في التأول ، حتى إن الزمخشري عندما عرض
للآية الكريمة : (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطغروا بموسى
ومن معه) ، ورأى أن مدخول إذا ، وهو
جاء الحسنة ، محقق ، بدليل (قالوا : لنا هذه)
وأن مدخول إن ، وهو إصابة سيئة ، محقق
كذلك ، بدليل (يطغروا بموسى ومن معه)
ذهب يتأول ، فقال :

فإن قلت : كيف قيل (فإذا جاءتهم الحسنة)
يإذا وتعريف الجنس (٢) ، (وإن تصبهم
سيئة) بأن وتشكير السيئة (٣) .

(١) ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) أنظر الإيضاح ، ص ٩٠ ، ٩١ ، مطبعة السعادة .

إلى المرافق . ، قيام الذين آمنوا إلى الصلاة
أمر محقق لا شك فيه ، فسكان المقام لإذا .
وفي قول ابن عتقاء الغزالي يصف رجلا
اسمه حملة :

إذا قيلت العوراء أعني كأنه
ذليل بلا ذلك ، ولو شاء لا تنصر
استعمل إذا ، لأن قول العوراء من أي
قائل أمر مجزوم به .

وقد سبق إلى ذلك سيوريه . قال في
الكتاب (١)

وسأله - يعني الخليل - عن إذا ،
ما منهم أن يجازوا بها (٢) ، فقال : الفعل
في إذا بمنزلة في إذ ، إذا قلت أتذكر إذ تقول
فإذا فيما يستقبل بمنزلة إذ فيما مضى

ويبين هذا أن إذا تعجب . وقام معلوما ، ألا ترى
أنك لو قلت أتيتك إذا أحر البصر كان حسنا ،
ولو قلت أتيتك إن أحر البصر كان قبيحا ،
ف (إن) أبدا مبهمة . وكذلك حروف الجزاء .
وقد شرح المبرد في المنتضب معنى الإيهام
في حروف الجزاء (وهو يعني بها جوارم
الفعلين) ، فقال : (٣)

ألا ترى أنك إذا قلت : إن أتاني آتاك فأنت لا
تدري أيقع منه إتيان أم لا ، وكذلك من أتاني
أتيت فإنه معناه إن يأتي واحد من الناس آتاه .

(١) ج ١ ص ٤٢٣ .

(٢) مراده أن يجزوا بها ، ولا نهى للجزاء
أيضا .

(٣) ج ١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

بما زلنا على عبدنا ، لأنهم كانوا مرتابين
فلا شك هناك ، وحيث لا شك فإن إن
لا تكون شرطية لأن إن الشرطية لا بد أن
يكون مدخولها مفكوكا فيه ، وحيث إن
المعنى على تحقق ما بعدها فيا مضى ، وهذا
المعنى هو مفاد إذ ، فقد وجب أن نصير
إلى أن (إن) معنا معنى إذ .

ومثله قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا إن كنتم
مؤمنين » ، فدعائهم في صدر الآية بعنوان
الإيمان ، يمنع أن يكون هناك شك في إيمانهم
فإن هنا معنى إذ ، لتحقيق إيمانهم في الماضي .
وكذلك قوله عز وجل : « وأنتم لا تعلمون
إن كنتم مؤمنين » ، لتدخل المسجد الحرام إن
شاء الله آمنهم ، وقوله عليه الصلاة والسلام :
(وإننا إن شاء الله بكم لاحقون المعنى - والله
أعلم - إذ كنتم مؤمنين ، وإذا شاء الله) .
وقول الشاعر :

وسمعت حلفتها التي حلفت

إن كان معك غير ذي وقر
قال صاحب الإصناف ، والثوابد على هذا
البحر أكثر من أن تحصى . قلت : والذي
طرح لم هذا التخريج خلوا الكلام من الجواب
ومن دليله ، فصلحت (إذ) في مكان (إن)
دون إخلال بالمعنى .

ولكن كيف نقول الكوفية إذا جاءهم
صرح الجواب ، كقوله سبحانه وإن يؤمنوا

قلت : لأن جنس المسنة وقوعه كالواجب
لكثرته واتساعه ، أما السيئة فلا تقع إلا في
الضرورة ، ولا يقع إلا في... انتهى كلامه .
ولما وجد البلاغيون أن السبئية في الآية
مقارة لأن ، وأن الضرفي قوله تعالى : (وإذا
مضى الإنسان ضر) بمعنى السيئة في الآية
السابقة وقد اقترن بإذا ذهبوا إلى أن استعمال
إذا هنا نظرا إلى لفظ المضى ، المفيد في المقام
التوبيخى أن أساس قدر يسير من الضر
لأمثال هؤلاء حقه أن يكون في حكم المقطوع به
وليت شعري كيف يدافعون عن وجود
(إن) مع لفظ المضى في قوله سبحانه (وإن
مضى الشر فينوس قنوط) ؟

وقد اعتبروا من أسباب استعمال إن في
المقطوع به ، التجاهل ، والتوبيخ ، وتغليب غير
الجزوم بوقوعه على الجزوم بوقوعه وغير ذلك
بما هو مبسوط في كتب متأخرة البلاغيين (١)

وإذا كان هذا مسلك البصريين في التخريج
والتنطيس ، فإن مذهب الكوفيين كان أقرب
إلى التسليم بخروج إن على أصلها ، واعتبارها
بمعنى إذ ، أي أنها لا تحقق في الماضي ...
وقد أجزوا على هذا الاعتبار آيا من
الكتاب العزيز ، وطرفا من كلام العرب .
وقد بين ذلك صاحب الإصناف (٢) ،
في قوله سبحانه : « وإن كنتم في ريب

(١) اطرا الإيضاح ص ٩١٤٩ طبعة الجديدة .

(٢) لأج ٨٨ ، ص ٣٦٧ .

هجرة وجلاء

للاستاذ علي الخطيب

ما كان خروج بني إسرائيل من مصر هجرة .
 لما كانت مصر أرضهم ؛ إنما هي أرض
 استضافتهم حينما قضى الله بخروجهم ؛
 فكان أصدق وصف لهذا الخروج أن
 يسمى : جلاء .
 لكن مكة وطن النبي محمد صلى الله عليه
 وسلم ، وأحب الأرض إليه ، وهي أرض
 المهاجرين الأولين إلى الحبشة ، وأرض
 المهاجرين - قبل هجرته عليه الصلاة والسلام -
 إلى المدينة ... وذلك حفيظة لا نزاع فيها .
 ولذلك كان خروجه - صلى الله عليه وسلم -
 إلى المدينة هجرة .
 وهذا هو الفرق بين الهجرة والجلاء .
 في الأول رحيل ، ماله ، وفي الأخير
 رحيل ، طاريء ،
 وعلى ضوء الهجرة والجلاء يمكن أن
 نقسم صفات نفسية واضحة لعنصرين متباينين
 من بني الإنسان هما : العرب وبني إسرائيل .

(البقية على الصفحة السابقة)

وتتقوا يؤنسكم أجوركم ... أو دليل
 الجواب كقول طرفة :
 فإن كنت لا تستطيع دفع مني
 فدعني أبادرها بما ملكك يدي
 حيث لا حيل إلى تقدير إذ ، فما هي من
 حروف المجازاة :
 وقد قضى البصريون أكثر ما جاء به
 الكوفيون من شواهد على اعتبار أن العرب
 تستعمل إن في غير المشكوك فيه ، جريا على
 ما حدثهم في إخراج كلامهم مخرج الفك وإن
 لم يكن هناك شك .
 وإذا قد أنهيتم من بيان كلام القدماء من نخاء
 وبلاغيين ، فإننا نتبع ذلك - إن شاء الله
 تعالى - بما يعترض قاعدتهم ، ونختتم بما نراه
 حقيقة ملول الكلمتين والله المستعان .
 تأمل السبع شافعي

ضخمة ... لا يتركون من أموالهم شيئاً ...
خرجوا بأقاربهم وأغنائهم حتى السبعين
أخذوه قبل أن يمتنع ... وليس هذا فقط ...
فما أكثر ما نهبوا - كما يذكر العهد المتداول -
من المصريين من أرواني الفضة والامتعة وحمل
الذهب (١) واعترفهم بذلك بحمل القرآن
الكريم ... حملنا أوزاراً من دينة القوم ،
سلبوا ذلك كله ... ثم ضاقوا بموسى في
الطريق وعشروا هتاً لا يعترف بجلال الحق
ولا بقداصة النبوة ، ولا بأدب الطاعة ، وفي
هذا العهد جا . قولهم له :

« أخذتنا ثغور في البرية .. ماذا صنعنا
بنا حتى أخرجتنا من مصر ... ؟ ... أليس
هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قاتين :
كف هنا فنخدم المصريين ، لأنه خير لنا أن
نخدم المصريين من أن نموت في البرية ... »
وقال موسى : « ماذا أفعل بهذا الشعب ؟

بعد قليل يرجعوني ... » خروج ١٤ - ١١ ،
١٧ - ١٣ ، ١٤ .

والقرآن الكريم يصدق ذلك كله فيخبرنا
عن قولهم لموسى : « ... أؤذينا من قبل أن
تأتينا ومن بعد ما جئتنا » .

وهن صاح رسول الله محمد صلى الله عليه
وسلم ليعقوض « النفير » : أشيروا علي
أيها الناس . قال صديق معاذ رضي الله عنه :
والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا

(١) خروج ١٢ - ٣٤ إلى ٣٧ .

لقد كانت الهجرة حجة مباركة بين محمد
صلى الله عليه وسلم والصديق أبي بكر
رضي الله عنه .

وكان الرحيل رفقة نازرة بين موسى
صلوات الله وسلامه عليه وبين قومه
بنو إسرائيل .

كان مع محمد صلى الله عليه وسلم عربي صديق
يحفظ الرسول بنفسه وماله ... ويمجده
هجرة مبصرة لا تكون عبثاً عليه ، ويمجده
نفسه ، وآل بيته ، وطفلة تسمى في الظلام
إلى غار « ثور » ، فلا تهم في نفسها أو هام
الطفولة ، أو تردعها عازف الطريق .

وكان مع موسى صلوات الله وسلامه عليه
قومه بنو إسرائيل فأذوه بقارص الكلام ،
وألم لهم « فبرأه الله عما قالوا وكان عند
الله وجبها » .

...

وخرج المهاجرون من قريش .. فرأى ..
وجاعات ... يهرون بمحمد صلى الله عليه وسلم
مودعين لا يسألونه شيئاً أكثر من دعواته
الباقيات الصالحات ، لا يلقون عليه كلمة ...
وما أكثر وأغلى وأهم ما تركوا لكنه ...
بجانب دين الله - لا شيء ... وخرجوا
يودعون مكة عن حبه خالص ثم درجوا
إلى الصحراء متجدين من مؤنة تخفيفها آلام
الطريق وليس معهم إلا وعد الله بالنصر .

وجلاء بنو إسرائيل من مصر جماعة

طاف بنفوسهم رعب القتال قطارت قلوبهم
شماعا ونسوا موسى بل نسوا عهد الله
وصاحوا به : « إنا لنمردكون » .

تري ماذا كان يحدث لو أن الله أراد
أن يذكركم فرعون وجنوده ... ؟ .

ما كان بعيداً أن يتقدموا من التكليم عليه
الصلاة والسلام فيوقدوه ويسلبوه لفرعون
ثم ليكن ما يكون ، أليس أسوأ ما يكون
أن يعودوا لخدمة المصريين .. وقد كانوا بها
واضحين .

وكان موسى عليه الصلاة والسلام ملتفتاً
بنصر الله وحايته له ولم يقل : كلا ، إن
معي ربى سيدين .

• • •

ولقد كانت عشر سنوات بعد الهجرة —
هجرة محمد وأصحابه — كابية — بهذه النفوس
العربية — لإتمام الفتح ونصر دين الله وإعلاء
كلمته على ما سواه ، وترك الرسول عليه
الصلاة والسلام قمومه يستمدون لنشر
الإسلام على أوسع نطاق في الأرض من الشرق
إلى الغرب

وكأنفج موسى في بداية قمومه فما اعتدوا
وما أن ترك البحر ورأوا قوماً يعكفون على
أصنام لهم حتى قالوا لموسى : « اجعل لنا إلهاً
كما لهم آلهة » ، قال : « إنكم قوم تجهلون » .

ولما طلب منهم القتال انقضوا من حوله
فلم يملك إلا أن يهار لربه قائلاً : رب إنى

البحر فحشته لحضناه معك ما تختلف منا رجل
واحد ... وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً
إنا نصبر في الحرب ... صدق في اللقاء .

لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسر
هلى بركة الله .

أما القوم بنو إسرائيل فقالوا لموسى :
« إذهب أنت ووبك مقاتلاً إنا هنا قاعدون » .
• • •

وكان الصديق رضى الله عنه مصاحباً لمحمد
صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم ، وقد علا القافة
(نصاب الأثر) الأرض فرقهما وأقسموا
لأهل مكة : والله ما جازم مطلوبكم هذا الغار .

هنا حزن رضى الله عنه ، وطاف بذكره
مسير دين الله بعد محمد ... ماذا يحدث

لو أصيب عليه الصلاة والسلام بسوء ، واشتد
حزنه على دين الله وعلى رسوله وكان —
كما حدثت عاتية — رقيق القلب فذبت حينها
وقال للرسول : والله ما على نفسى أبكى ولكن
بخفة أن أرى فيك ما أكره .

وقد صدق رضى الله عنه ... فقد كان
شعاره : احرص على الموت فوهب لك الحياة

واطمأن رضى الله عنه إذ قال له الرسول
صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن إن الله معنا » .
وشتان بين الخوف ... والحزن ... هذا
يمكس جبنا ... وذاك يبين عن شهامة ...

وحب جارف لرسول الله وأمل في سلامته .
وحين لحق فرعون وجنوده بنو إسرائيل

تلك صفاته التي حفظها التاريخ فلا يلجأ
هوى ، ولا يدفع بها ملق .

أيها العرب في كل مكان :

هؤلاء هم بنو إسرائيل ولاتم ، أشد درجة
في صدورهم من الله ، وإنهم لينافونكم في ملح
ويخشونكم في جرح ، والله يخبركم عنهم كيف
يقالون

« لا يقالونكم جميعا إلا في قري محنة
أو من رواء جد . بأسمهم بينهم شديد ، تصبهم
جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفكرون »
هكذا أخبركم الله عنهم . وهكذا وجدتموهم
داخل المستعمرات في أرض فلسطين .

رسم الله لكم في وضوح موقفهم من الحياة
وموقفهم من القتال وموقفهم منكم ...
ألا هجرة إليهم تغذف بهم في البحر أو تستألف
بهم ، الرحيل ... الرحيل الأبدى الذي
كتب عليهم . إن النصر ملك يمينكم ، وجند
الله في دروعكم ، والفداء الكريم في قلوبكم ،
ولن يظلمكم الله وحده ، والله لا يد من
لفاء ... لقاء فاصل أخبر عنه محمد صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح فقال :

لتقاتلن اليهود ... حتى يقول الحجر : هذا
يهودي ورأى فاقله .

وسوف تنوء ظهور الذين يساندونهم ،
وايس خفف هذا الظهور إلا البحر ، وليس
أمامها إلا أنتم والله معكم وإن يترك أهلكم .

علي الطيب

[٦]

لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين .

وقضى موسى بعد الجلاء أربعين سنة في
قومه . لا عسرا كبتلك التي قضىها المصطفى
عليه الصلاة والسلام . فإطاعه بنو إسرائيل ،
وما انتفروا بدين الله ، وتناسوا ما استفظوا
من كتابه ثم ما توالفوا فلقين ، قال : فإنها عجرة
عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض فلأناس
على قوم الفاسقين .

...

وفي هذا بيان لنفسية العرب .
ونفسية بني إسرائيل .

في بني إسرائيل جبن وذلة وحب للحياة
على أي وجه تكون . . . وليس بعد الله على
ذلك شهيد قال تعالى : « ولتجدنهم أحرص
الناس على حياة » وقال سبحانه : « يرد أحدهم
لو يصر ألف سنة » وسخر سبحانه من
ادعائهم أنهم أكرم الخلق على الله : « قل إن
كانت لكم دار الآخرة عند الله خالصة
عن دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم
صادقين ، ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم
والله عليم بالظالمين » .

وما كانت هذه الصفات في هرق :

فأهرون الحياة على نفسه . . . وما أحرما
مطلبيا فيحرص عليه . هو الشجاع حتى تصمم
المروءة نكالة والوزير النفس حتى تشبه
الشهامة ، والمستقيم دقا حتى تتحقق الحرية .

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

- ١٠ -

أفندك الله ، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة ، من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ، وثانيا : أن الإجماع على أن فرض صيام رمضان كان بعد الهجرة ، لأن الآية التي أوجبت صيامه مدنية بالإجماع ، وقد ثبت عند الإمام أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث قيس بن سعد ابن عبادة قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة المعطر قبل أن تنزل الزكاة ، ثم نزلت فريضة الزكاة ، فلم يأمرنا ، ولم ينهنا ، ونحن نعلمه . فهذا دليل على أن فرضها بعد الهجرة وقبل السنة التاسعة

ولم يذكر لنا دليلا يدل على أنها فرضت قبل رمضان مع أن هذا الحديث ظاهره يدل على عكس ما نسب ابن حجر إلى الأكثر .

وأما حجة من قال : إنها فرضت في السنة التاسعة - وهو ما جزم به ابن الأثير - فهو ما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب الذي نزل في صفه ، ومنهم من ماعد الله لئن آتانا من فضله لتصدقن ولتكونن من الصالحين ، إل آخر الآيات ؛ وفي هذه قصة أن حاطبا قال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية

والجزية - كما يعرف المختص لتاريخ التشريع - شرعت في السنة التاسعة حينما أنزلت سورة براءة - وتليق في الحجة

تحدثنا - فيما مضى - عن الأطوار التي مرت بها فريضة الصلاة وفريضة الصوم حتى استقرنا على ما عليه المسلمون - الآن - . واليوم نتحدث عن فريضة الزكاة فنقول قال ابن حجر في فتح الباري ج ٣ ص ١٧١ طبعة المطبعة الخيرية ما حاصله : أن العلماء اختلفوا في أول فرض الزكاة ، فمنهم من قال : إنها فرضت قبل الهجرة ، ومنهم من يقول : إنها فرضت في السنة الثانية من الهجرة قبل فرض صوم رمضان ، ونسب هذا القول للأكثر من العلماء ، وهو ما اختاره النووي في الروضة ، ومنهم من قال : إنها فرضت في السنة التاسعة ، وبه جزم ابن الأثير .

وحجة من قال بفرضها قبل الهجرة حديث السيدة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة ، وفي هذا الحديث أن جعفرا رضي الله عنه قال للجاشي - في جملة ما أخبره به عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام » .

وهذه دلائل ابن حجر على أنها فرضت بعد الهجرة قبل السنة التاسعة - وهو الرأي الذي يدافع عنه بما حاراه .

أولا بحديث أنس بن مالك في وفاة خنم ابن ثعلبة - وكان ذلك في السنة الخامسة - وفي الحديث أن خنما قال للنبي صلى الله عليه وسلم :

وأزل الله - جل ثناؤه : - خذ من أموالهم صدقة (الآية) ونزلت فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلهن على الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : « مرا بملبة ، وبغلان - رجل من سلم - فخذاهما فانهما مخرج حتى أتيا ثعلبة فأسألاه صدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوله المفسومة : « ما هذه إلا جزية ما هذه إلا اخت الجزية ؟ ما أدوى ما هذا ؟ » إلى آخر القصة . والصلاة والزكاة والصوم التي هنا ما جعفر ابن أبي طالب رضى الله عنه في حديثه فنجاشي ليس - هي - الصلوات الخمس ولا الزكاة المعلوم ذات النصب والمقادير المهددة والصوم ليس - هو - صوم رمضان بل هي صلوات وزكوات وصيام كان يعتمد بها المسلمون أولا ، فالصلوات الخمس - كما هو معلوم - فرضت ليلة الإسراء ، وهو بعد هجرة الحبشة ، والصوم - كما عرف - كان صروفا قبل الهجرة ، ولكن صوم رمضان هو الذي فرض بعد الهجرة ، وهذا ما حقيقته في المغالين السابقين ، فليس هناك ما يمنع أن الزكاة كانت مفروضة قبل الهجرة - كما نطق بذلك الآيات المسكية ، ولكن كان لها نظام آخر ، لم يتعرض له المتبحرون للتشريع ؛ لأنه أصبح غير ذي موضوع ؛ وما لاشك فيه أنه كان نظام موازنة بين أغنياء المسلمين وفقرائهم . ثم إن حق الإمام في جباية أموال الزكاة حق ثابت ، لا نزاع فيه سواء كان ذلك في الأموال الظاهرة ، وهي السوائم والدرع ،

التي كان أبو بكر رضى الله عنه أسرها فيها . وهذا من المعجب أن يقع هذا الخلاف في تاريخ تشريع الزكاة ، ومن المتطوع به أن الحديث عن الزكاة ورد في نصوص كثيرة مكية تذكر على المثال لا الحصر ، يقول الله تعالى في سورة (المؤمنون) - وهي بفتح الميم - « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم عاشقون ، والذين هم عن الفومعرون ، والذين هم للزكاة فاعلون ،

ويقول جل شأه في سورة الروم وهي - أيضا - مكية - « وما آتيتهم من ربا لهم في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتهم من زكاة يربون وجه الله فأولئك هم المضعفون ، » وفي سورة الماعراج - وهي أيضا مكية : « إن الإنسان خلق خلقا هلوا ، إذا مسه الشر جزوما ، وإذا مسه الخير منوها ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم - لأئيل والمحروم ، »

والذي يظهر لي بعد تتبع الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب أن أصل مشروعية الزكاة كان قبل الهجرة - بل وفي أوائل سني الرسالة ، كما نطق بذلك حديث السيدة أم سلمة رضى الله عنها ، ولكن تحديد النصب وتحديد القدر وبيان المصارف المعروفة كان بعد الهجرة وكان أسرها موكولا إلى المولدين .

وأمر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ببمايتها من أبوابها وتوزيعها على مستحقها كان في السنة التاسعة في قصة ثعلبة بن حاطب التي احتج بها ابن الأثير على رأيه ما يأتي :

أحكام الشرع ، وهذا سيكون له موضع آخر سأحدث عنه إن شاء الله تعالى في بحث آخر .
وليس - أيضاً - من قبيل تطور الأحكام بالنص ما فعله عمر رضي الله عنه من منع المؤلفات لقرهه من سهمهم في الزكاة ، بل - كما ذكرت - في مقدمه هذا البحث من قبيل تطبيق النص عند تحقق مناط الحكم ، والتوقف في تطبيقه عند عدم تحقق المنطوق . وسنعود - بإذن الله تعالى - إلى تفصيل ذلك في موضع آخر .

والخلاصة مما تقدم أن الزكاة شرعية - أولاً - بمكة ، ولم تكن لها هذه القيود المعروفة والشروط المصطنعة ، ثم شرعت بالمدينة في أوائل الهجرة ، وقد بينت شروطها وأصبتها ومفاديرها ثم جعل حق الجباية للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ولمن قام مقامه ، وعلى هذا استقر التشريع ، ولا يجوز لمسلم أن يحدث - في تشريع الزكاة - شروطاً لم يرد بها نص من كتاب الله أو سنة رسول الله ، أو يزيد أو ينقص في أنصبة الزكاة أو قدرها ، أو يحدث مضاف غير التي وردت في كتاب الله ؛ فهذه - كلها - أمور استقر عليها أمر التشريع إلى يوم القيامة ، كما لا يجوز جباية زكاة من أموال لم يوجب فيها الشرع جباية الزكاة .

والى مقال آخر فتحدث فيه عن الحج وما أصابه من تطور بحول الله ومشيئته ؟

برر الخولي عبد الحميد - ط

أو الأموال الباطنة ، وهي الذهب والفضة وهروض التجارة ؛ بدليل قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » . والنص - وإن كان خطاباً للرسول الأكرم - بوصفه إماماً ، فقد قال الخليفة الأول أبو بكر - رضي الله عنه - : « والله لو منعوني عقال بغير كراهة لمطوئ لرسول الله لقاتلهم عليه » ، فلهم من النص عدم الخوصية ، والصحابة قد أقروه على ذلك ، وهم أعلم بقراءات التنزيل والتنزيل وأسرار التشريع .

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه لما رأى المال يتعنتون مع أبواب الأموال ، ويركبون الخطط لمعرفة أسرارهم المالية اكتفى بجباية زكاة الأموال الظاهرة التي يسهل معرفتها ، وكل إلى أبواب الأموال أن يؤدوا زكاة الأموال الباطنة إلى مستحقها . وليس صفيح أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه تعديلاً للنص بالاجتهاد ، ولكن من حق ول الأمر أن يظبط عنه من يقوم ببعض ما يجب عليه ممن يرى أن المصلحة تقتضي ذلك . والأغنياء - بقياهم بإعطاء الزكاة إلى مستحقها - وكلاء عن الإمام ، وإذا عرف أنهم لا يفرمون بما وكلاؤا به كان من حقه ، بل من واجبه أن يجبرها منهم بالوسائل التي يراها عاقلة لغرض إخراج من تشريع الزكاة . ومع هذا فإن عمل عثمان هذا ليس من قبيل تطور الأحكام بالنص ، وهو ما نتحدث عنه الآن - بل هو من قبيل رعاية المصلحة في تطبيق

استدراك على كتاب "كشف الظنون"

للأستاذ عبد الرحمن أحمد شادي

تقدیرنا لهم المؤلفین القدامی التي تسامت إلى
بذل هذا المجهود الذي يستغرق العمر ويستنفذ
الشباب، والذي التفت إليه المستشرقون قبلنا،
وقدوة المفقون منا بالحضارات الأجنبية
هنا تبعاً لتقدير المستشرقين لا بمننا كل ذلك
من الاستدراك على المؤلف الكمال وحده .
اطلعت على الكتاب في طبعة ١٣١١ هـ .
وهي في جزأين الأول من حروف الألف
إلى حرف الزاء من ٥٩١ والثاني من حرف
الزاي إلى الياء من ٦٦٢ .

(١) ولد المؤلف عام ١٠١٧ هـ وتوفي عام
١٠٦٧ هـ أو في العام التالي على التقدير الأقصی
وقد ذكرت فصوص كثيرة في الكتاب تدل
على (وفاة المؤلفين) غالباً أو (سنة التأليف) بعد
السنة التي توفي فيها المؤلف وانتقل إلى رحمة
ربه ١٠٦٨ هـ ١٣٥٠ ص ٣٢٥ حاشية السيد
عثمان آلات يازاي المتوفى بقرس سنة
١١٠١ هـ ، لإحدى ومائة وألف وفرغ من
تأليفها عام ١٠٨٤ هـ أربع ومائتين وألف .
١٣٥٠ ص ٤٢٨ توفي عثمان زاده بمصر سنة
١١٣٦ هـ ست وثلاثين ومائة وألف .

(١) راجع البحث عن الكتاب ومؤلف وثرات
الإدانية لهذه المات ٤٠٤ إبراهيم الايادي .

ألف ملا كاتب جلبي المعروف بحاجي
خليفة كتابه المشهور (كشف الظنون) عن
أسماء الكتب والعنون ورتب فيه أسماء
الكتب ترتيباً حكماً ولماً اللغة الفضل الأول
في هذا الترتيب الدقيق الذي تضع له
معاييرهم... ويسهل الكشف على طلاب البحث
وعبي العلم، وينهي المؤلف من التكرار .

وكشف الظنون معجم ضخم للكتابة
العربية في مدى ألف عام وزيادة، بذل فيه
مؤلفه مجهوداً عظيماً يستحق الحمد والثناء من
جيل المؤلف ومن الأجيال التالية، أضاع
فيه ذممة شبابيه وأغنى أديب حمراء ليحفظ
الآثار العقل والروح لا متناخرة عليه من
الأحداث والتكتبات والفناري الحديث للكتب
الآثار يعجب لهذه المهمة التي بذلها لإسلافنا
في تأليف الكتب الضخمة وأسفارهم الطويلة
في طلب العلم في وقت لم تكن الشهادات العالية
والدرجات العلمية فيه من الحوافز والحوافز .
وكثير من شبابنا لا تدنو منه إلى الصبر
على قراءة هذه الكتب، وهناك من شاع
بين التأليف والقراءة، فقد اكتسحت الثقافة
الخفيفة والأدب المصطنع وقصص الإثارة
الجنسية العقول والفلوب والأذهان، ومع

الغريب السابق في الدولة العثمانية المتوفى ١١٦٩
تسع وستين ومائة وألف .

ج ٢ ص ٣١ ترجم شيخ الإسلام محمد
أمين أفندي بن خليل الأسود المعروف بقره
خليل أفندي المتوفى ١١٦٨ ثمان وستين
ومائة وألف كتاب سلوان المطامع في مدوان
الطبائع إلى التركية .

ج ٢ ص ٢٤ وشرحه (والكلام على سنن
ابن ماجه) الفقيه أبو الحسن السند بن
عبد الحمادي المدني المتوفى ١١٣٩ تسع وثلاثين
ومائة وألف .

ج ٢ ص ٣٨ سياسة جند الخزانة وحراسة
حصن الصدرة للشيخ حسن بن عبد الكريم بن
محمد البرزنجي ١١٢٦ ست وعشرين ومائة وألف .

ج ٢ ص ٦٤ وشرح الفناء شهاب الدين
أحمد الحفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ تسع وستين
ومائة وألف وترجمه بالتركية شيخ الإسلام
المولى إسماعيل بن شيخ الإسلام إسماعيل أفندي
المتوفى ١١٤٧ سبع وأربعين ومائة بعد ألف .

ج ٢ ص ٦٦ تذييلات على كتاب الشقائق
العثمانية في علماء الدولة العثمانية ذيله السيد
إبراهيم بن السيد عبد الباقي المدعو بابن المعافي
المتوفى سنة ١١٣٦ بأمر شيخ الإسلام

فيض الله أفندي المتوفى ١١١٥ وبدأ المولى
المذكور من ترجمة صاحب الدليل عطائي
أفندي حتى وصل إلى سنة ١١١٢ وذيله الشيخ
الفاضل محمد بن الفقيه حسن الفيض المعروف
بالشيخ المتوفى سنة ١١٤٥ .

ج ١ ص ٤٢٤ شرح الفقيه الإسكندراني
المكي الضرر المالكي نزيل مكة المتوفى سنة
١١٤٤ أربع وأربعين ومائة وألف وشرح
الشيخ عثمان إمرأتي الكليس الراحل إلى
مكة في سنة ١١٦٨ ثمان وستين ومائة وألف
للجاورة بها .

ج ١ ص ٤٥٩ غيايا الزوايا فيما في الرجال
من البقايا . جلد لأديب العصر شهاب الدين
أحمد الحفاجي المصري المتوفى ١٠٦٩ ترجمة
لأديب عصره .

ج ١ ص ٤٧٣ دخل الأنوار في الصلاة
على النبي المختار . الفقيه قمارف أبي اليسر
محمد بن محمد الصفاق المصري ألفه في سنة
١٠٩٥ خمس وتسعين وألف .

ج ١ ص ٤٧٩ دوا كنوز لعبد الراسي
أن يفوز . الشيخ حسن بن محمد بن علي
الشرنبلالي الحنفي المتوفى ١٠٦٩ تسع وستين
وألف في الفقه .

ج ١ ص ٤٨٣ درة الحاج في سيرة
صاحب المعراج . كله الشاعر المشهور بناتي
الزهاوي المتوفى ١١٢٤ . أربع وعشرين
ومائة وألف .

ج ١ ص ٥١٤ ديران صاحب المنقب
بمستند خان التبريزي فارس من رجال هذا
العصر توفي ١٠٨٧ سبع وثمانين وألف

ج ٢ ص ١٩ سبع السيرة في أخبار ملوك
التتار بمجموعة تركية للمولى الشريف محمد رضا

التي كتبها المؤلف ومنها أخذت النسخ الأخرى الخطية ثم المطبوعة ، وهذا ليس باليسر ، والمطلوب على كل حال أن تراعى هذه الأخطاء ، وأن تكون كل طبعة جديدة خيراً من سابقاتها . ومن المأخذ الظاهرة في الكتاب ترك المؤلف لكثير من الوفيات حتى بلغ هذا الترك أحياناً في بعض الصفحات إلى صبع مرات في الصفحة الواحدة .

وربما ذكر وفاة المؤلف في مكان وتركها في مكان آخر من الكتاب .

(١) وقد اعتنى هـ جـ باشا إبراهيم ابن علي المتوفى سنة ١١٩٠ بالاستدراك على هذا ، النقص بالذات وأضاف إلى الكتاب بعض الزيادات وقد صدرت طبعة المستشرق فلوجيل معتمدة على استدراك وتصويبات هـ جـ باشا .

وقد تركت هذا الموضوع الأخير لأن سبقت إليه ، وكانت عناوين الكتب محل العناية والرعاية فخطي عليها الجمع حتى هند من تحروا منه داخل كتبهم ، وظل هذا الطغيان أمداً طويلاً ، حتى ضاعت معالمه في النهضة الأدبية الحديثة .

وتحروا منه المؤلفون داخل الكتاب وفي العنوان .

وعلى الله قصد السبيل ؟

عبد الرحمن المحمدي

(١) ترات الإنسانية الجريدة الثالث ص ١١٢
إبراهيم الأيوبي .

٢٣ ص ٦٨ ترجم المولى أحمد بن خير الدين الاندلسي المشهور بمواجه إسماعيل أفندي شمائل النبي إلى التركية وتوفي المترجم ١١٢٠ هـ ونظمه بالتركية مصطفى بن الحسين الحايي الأصل المشهور بمظلوم زاده علي البحود الستة عشر وأتمه سنة ١١٥٨ .

٢٣ ص ٨٠ سكوك المولى محمد بن مصطفى المشهور بمجاهد زاده المتوفى سنة ١١٠٠ مائة وألف

٢٣ ص ٩٩ الطريقة المحمدية في الملاحظة شرحها محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حسن باللغة التركية شرحاً حافلاً سنة ١٠٨٠ وشرحها المولى محمد الزهرى القيصري المتوفى سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف وشرحها أحمد بن أبي بكر بن محمد بن وضوان المافوقى المعروف بالكشفي المتوفى سنة ١١٩٠ ستين ومائة وألف وشرحها عبد الفتى التابلي الهـ شـ المتوفى ١١٤٤ أربع وأربعين ومائة وألف وترجمها بالتركية اعتقاد الطريقة الشيخ المعروف بالطريقة حـ أمير أفندي السيد مصطفى ابن السيد عبدالله المتوفى ١١٦٠ الخ .

فهذه أمثلة من الكتاب وقد تركت الكثير غيرها لأنها لعدم التطويل ، ولا يعقل أن يكتب حاجي خليفة ذلك وهو حي رجس بالقياس ، وربما كان مصدر هذه الأخطاء زيادات المذيلين على الكتاب ، وكان الأولى أن يفرق في الطبعة بين الكتاب وبين حواشيه وذيله وزياداته وتصويباته الخ . والجزم بذلك يستلزم الإحلال على النسخة الخطية الأم

أمير الكويت الراحل

للاستاذ حسن جاد

أقامت جامعة الأزهر حفل تأبين للنفوس له سمو الشيخ
عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت الراحل . وذلك في تمام
الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من
شوال ١٤٨٥ الموافق ١٥ من فبراير ١٩٦٦ بقيادة الشيخ محمد
عبد الله بنقر الجامعة في حي الأزهر .

وهن الكلمات التي قيلت فيه قصيدة للشاعر : حسن جاد
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية جاء فيها :

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| ساجع أرق القياي نواحه | خضبت دوحه (الكويت) جراحه |
| جدر الساق بالجميل المسجى | وارتمى فوقه مهبنا جناحه |
| موحش بنفض الحريف عليه | هرف أوداقه ، وتموى رياحه |
| راح عن روضة الريح المرجى | فشجاء غياهه ووراحه |
| إله يادروض حل شهدت طربحا | خنقت عذب شدة أتراحه |
| كم شدا بالأفراح فوق دوايبك ، | وروت ظلمها أفراحه |
| عزنى خطبه ومناح شجوى | وأنا شاعر الأسى صراحه |
| عربي أنا ، بكاه بكاه | وسلاحى على الخطوب سلاحه |
| وطنه الب واحد بتلاقى | من أقميه سقمه وصاحه |
| وإذا ربيع منه ركن تداعت | لأساه هضابه وبهناحه |
| إنما مصر للكويت شقيق | ضج في سيمه الهوى صياحه |
| روحه ملكه العواصف حتى | غاب في لجة الردى ملاحه |
| ولغثته وجفة جلد الأفق | دجاها فأسود منها وشاحه |
| مات (عبد الله الصباح) وولى | فصحا ليله ونام صباحه |

من بعد المنون أو يتقيه إن عدا وبيه وتد جماعه
هو ساق ، كل الآلام نداه ، سواء قباحه وملاحه
دائر الكأس مانظي نديما مذ أدبرت مريرة أقداحه
نحن أبناءه ، فيالك من ساق لأبنائه تشمّع واحه
لما هذه الحياة سراب ضل من غره بها لحاحه
غربة يقتدى إليها البرايا ولكل بعد القدر مراحه
وتفود الروح لأبد أن يطلق يوما من مجنن سراحه
وقد غيبه الحب هنا بيد الله وحده مفتاحه
زفرة بين أن تموت ونحيا عش كرىما بها مزرا طراحه

* * *

رحل العامل الذي صان ملكا شاد مضاه عزمه وكماحه
وبنى مجده ، ولم يأل حتى عمرت بالرخاء والعلم ساحه
ورعى الله في غناه فلم يبطر ولم يأنقب بظلم ضراحه
أربحى السخاء ما فارقته بسمة البذل أو عداه ارتباحه
كم حبا العلم جهوده ونداء وحى الدين بده وصلاحه
فاذا الأسود الدفوق نضار شمع في غمرة الدجى مصباحه
قوة الحاكمين مال ومدل إن أتبعنا القصب ثم فلاحه

* * *

عرف الأزهر الوفى له الفضل ، وقد مر جانبيه سماحه
تقحات له توالى نداهما طائراً ككاشدا توالى نفاحه
ومبات لنهضة الدين والعلم حبها للأزهريين راحه
وأقامت للأزهريات حصنا عصم الدين بيضه ودرماحه
قدوة أكبر رسالته الكبرى ، لمن ضاق بالمطاء شحاحه
واحسابه ، لا رياء تترضى غروره أمداحه

إنما المال لغني امتحان فيه خسارته وفيه رباح

• • •

له آل الصباح ماضل شعب أقهر في سماءه أصباح
كلنا مال للغروب صباح لاح منكم صبح يبع ليصبح
لخذوا الراحل الكريم مثالا رائع فتهج يحتذى إصلاحه
واحفظوا نعمة الإله بشكر عاطر يفرح الحى فراحه
واذكروا الأزهر الذى فرح النجم ذواه وأعرفه أدواحه
لم يزل يفرح التواب حتى أعجز الدهر سبقه ونجاحه
قبس ما خبا سناه لسار وسعين لم يفنه تراحه
وايدلوا النهوض بالدين والعلم ، فى أرضكم بفيض متاحه
صال باللفظ فيها لحاكم لا لماد على الخى يمتاحه
إن أوطانكم أحق وأولى من ضرب يجهى له متباحه
أشعلوه هل يهود جميعا وانقشوه صواعقا تجماحه
لفلسطين فى العروبة ذنب كل أبنائها عليهم جناحه
ولنعب الجنوب حق علينا تقنطيه دماؤه وجراحه
جرحه جرحنا ، وما غاب عنا ما جهناه بأرضه سفاحه

• • •

يا بنى السالم الصباح سلمم وصفا وردكم وطلب قراحه
الصباح الجديد أشرق فيكم لجلا غيمة الأسى وضاحه
وصل أرضكم أطل سناه فأدالت أحزانكم أفراحه
حسبك فى العزاء أن خلف الراحل منكم من لا يقل سلاحه
حامل من بنى الصباح عريق تفنديه من شعبه أرواحه

عبد الله

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

في المجتمع العربي

للأستاذ أحمد عبد الواحد إبراهيم

- ١ -

الجنس الموهوم :

(نيوزويك ١٤ فبراير سنة ١٩٦٦)

« برز جنس موهوم ، طبقة جديدة هربية من المراهقين المتخفين ، وقد صاحب الجنس الموهوم موجة من حالات الخطأ في معرفة خصياتهم بين الآباء والمدرسين وكتبه المحلات التجارية والخدم ورجال البوليس ، حتى لم يبق بين أنفسهم أحياء ، وقد قالت إحدى الفتيات : « إن الفتيان الذين أعرفهم يلبسون ذياً أكثر تأثراً من الفتيات اللاتي أعرفهن » .

ومعظم المراهقين يرفضون بهتف فكرة أن القوّة السائدة في الفروق الجنسية أعنى من المظاهر الخارجية ، وقد قال أحد الذكور من ذوي الشهور الطويلة : « أنا لا أرى شيئاً أثرياً في هذا ، إنني ألبس وأنصرف بالطريقة التي أحسها ، وأعرف أنني ذكر ، وحتى إذا كانت هناك فتاة صلعاء فإنني أعرف أنها بنت » . جنون الشباب الصاخب (الحنافس) :

وفي محاولة علماء النفس والأطباء النفسيين لتفسير الجنس الموهوم فإنهم يعرّفون - مع

بعض التردد - إلى جماعات (الموسيقى المرفقة) وفي دراسة للموسم الجنسي بين الكبار فسر أحد الأطباء النفسيين كتاباً بعنوان (الأجناس الخفية) تناول فيها التأثير النفسي لجماعة (الشباب الصاخب) على المراهقين : (استطاعت الفتيات أن تكونن من خصياتهن وكذلك الفتيان ، والآباء التي غنوها كانت بالضرورة غير جنسية ، وذلك علامة أبعد على أنهم مثلوا موضع التلاق العام للفتيان والفتيات) وتقول نظرية : (إن طريقة الشباب الصاخب في اللبس والسلوك قد انتظمت هؤلاء كنوع من التنمية الوتائية الجنسية) ويقول أحد الأطباء النفسيين : (إن الواحد منهم يستطيع أن يقول : إنه أو إنها ليست مختلفة عنى ، وهكذا تكون إقامة العلاقات أسهل لهم) .

ومن ناحية أخرى فإن خبراء المراهقة يعبرون أن الأساليب الجديدة هي شكل جديد لتمرد المراهقين على ما يحافظ عليه آباؤهم ، ويعبرو بعضهم هذا الاتجاه إلى المعارضة ولكن للجنس كله ، ويقول :

من الحديث عنه بعد ما تبين لم أن كل اختلاط من شأنه أن يهيج الفاعر الجنسية لا أن يهدمها ، وإذا كانت هذه المشاعر تحسبها ظروف الاجتماع التي لا تمكن من التنفيذ العمل فإن هذا على أي حال يحدث لنا من القلق النفسى والعصى بعد الهدوء المؤقت الذى قد تعده الاجتماعات المختلطة ، وعندئذ يحدث أحد أمرين : فإما أن يلجأ الشاب إلى تفرغ الشحنة المشتتة في مكان آخر لا تقوم حوله الحواجز ، أو يظل في قلقه المفسد للأصنام .

ولهذا تطرقوا إلى إباحتها الفاضل بين الفتيان والفتيات ... ولكن هذه الوسيلة قد فشلت أيضا في إيجاد السلامة النفسية والعصية ولم تزد على أن تستبدل به الجوع الدائم والبهمة التي لا تشبع فضلا عن حالات القلق الزائد .

ولعل هذا الاتجاه الذى أشارت إليه المجلة هو اندفاع المراهقين والمراهقات نحو التمازج الجنسى ، بعد الوصول إلى غاية الفوط في الاختلاط ، وقد أعان المجتمع هناك على هذا الانجلاء حين أصبح المجال لعمال التخنيك ، من الموسيقى الصاخبة التي تثير في كلا الجنسين مفاعر ملتهمة تتمتع بها الخصائص الأصلية في الجنس ، وحين هلل جماعة الشباب الصاحب ، المعروفين لدينا باسم « الحناقص » بغير صوره وأخبار

(منذ خمس سنوات كان المراهقون يرفضون الأعلام ، واليوم يلبسونها ، ولهذا يلبسون أشد ما يضائق من الملابس التي يستطيعون الحصول عليها ، التي هي بالنسبة الفتاة زى ذكورى ، وبالنسبة لرجال زى نسوى) .

وليس مستعجلا أن معظم علماء النفس يرجعون بالمرم على الأم فيما يختص برعاية المراهق الذكر ، في حالة عدم وجود تأثير قوى من ذكر خلال اليوم فإن متوسطى السن من الأولاد قد يرون أن الأم هي مركز القوة الحقيق في الأسرة ، وحين يحدث هذا فإن الذكر قد يصل طبيعيا إلى أن يقبل توجيهه الآتى ، بل حتى يتلصق في رذائل المراهقة .

وكيفما كان الأساس النفسى للمفرد الواحد فإن معظم الكبار في غاية الاهتمام بتبين ما إذا كان لومة طاهرة أو دافعا ثابتا دائما .

ولكن أحد الأطباء النفسيين يفتك في أن الجنس الواحد سينتوى حالا لأنه تسرب إلى المستوى الأدنى في المدارس العالية (١)

• • •

وظهور هذه الفتنة من الشباب في المجتمع الغربي ليس إلا إحدى المراحل التي وصل إليها في معالجتها أسماء بالكبت الجنسي .

فقد بدأ - في أول انحلاله - بأسطورة الاختلاط البرى ، وراح هذاؤه يهولون في قائمتها المطلقة وغيرها العجم ، ثم ذكروا

كل سنتين في سان فرانسيسكو قال أيزنبرات
في هذا العصر الذي تلا المسيحية يبحث
رجال العلم عن عقيدة عقلية ويسألون أسئلة
محيرة عن الأديان المبنية على الملائكة
والقديسين والبحث الجسدي وتنازع الأرواح
والميلاد المزدى ، وأخشى أن يعكس فعلنا
في تقديم برنامج الهداية عدم ثقة بعض المؤمنين
باليهودية ، ومظهراً طقسياً غير محبوب
تجاه عقيدتنا .

واستجابة لهذا أيزنبرات تحرك
المندوبون بمحذر ، وألقوا لجنة لكتسب غير
المتقين ، ووافقوا على سياسة الباب المفتوح
والدعوة لجميع المتقين للكنيسة للدراسة
والعبادة معنا . اهـ .

ولا يعكس هذا في نفوسنا نحن المسلمين -
سوى شعور التقصير إذا حل الرسالة وتبلغ
دعوتها إلى الملايين المضيفة من المسلمين في
قارات العالم ، وإلى الملايين من غيرهم من لم
تبلغهم دعوة سماوية ، أو بلغتهم على تحريف
وتفويه فلم يبلغوا منها حاجتهم ، والمسلمون
هم أصحاب هذا الدور بحكم عموم رسالتهم :
وما أرسلناك إلا كافة للناس ، وبهم كونهما
آخر الرسالات السماوية ، ولكن رسول الله
وعالم النبيين ، وديانة افطورة ، قطرة الله
التي تلمس الناس عليها .

أحمد عبد الوهاب إبراهيم
بمجمع البحوث الإسلامية

وتوجههم إلى أركان الدنيا الأربعة وطلوئهم
بأوسمة دولتها ملكة الإنجليز .

وفي المجتمع الإسلامي الحق لا توجد تلك
المهيجات العنيفة التي تعمل على استئثار الشهوة
على الدوام بدرجة غير طبيعية ، إذ أنماح
الإسلام لفريضة الجنس الإشباع في الجانب
الشرعي ، أما فيما عداه فقد ضلعت عن الانطلاق
المدرج بتحرير الزنا وتحرير مقدساته ومنع
التبرج والتبذل والحرص على زى عكشم للنساء
ومنع الإباحية في الاختلاط ، والمراعى فيه
- قى وقناة - يفضله بما يستفقد طاقته ،
ويحول أفكاره بما يعتلى به من مثل وأهداف
ثم يفتح له باب الوداج وهو العلاج الحقيقي
للمشكلة والحل الذي لا يفنى عنه حل آخر .

- ٢ -

اليهودية والتبشير :

(نيوزويك ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٦٥)

منذ ألى عام قبل ظهور المسيحية كانت
اليهودية عقيدة تبشيرية روحية ، تهدي
الكفار ومختر المتقين الجسد ، ولكن
أخبارها اليوم يبرنون على ألا يشجعوا من
كان يصح نحوهم إلى العقيدة ، ويقبلونهم فقط
بعد مدة طويلة من الدراسة والتفكير .

ويود الخبر د موريس أيزنبرات ، رئيس
الاتحاد اليهودي للطوائف العبرية الأمريكية
أن تعود إلى أيام الدعوة (الهداية) القديمة .
وفي أواخر الثامن والأربعين الذي يعقد

عقوبة الجسد للدكتور مختار القاضى

أو الجلد هي العقوبة الوحيدة التي تطبق على الحيوان .

هذه هي الحاجة الجدلوية ، وهي حجة ينقصها المنطق وإن كان لا ينقصها البرق . ذلك بأن الحبس يشترك مع الجلد في تعقيد نفسية المجرم وإلحاقه بالحيوان أيضا ، فالذي يفرق بين الإنسان والحيوان هو العقل والحرية أما العقل فالحيوان محروم منه بحكم طبيعته ، وأما الحرية فإن حرمان الحيوان منها حرمان صناعي من عمل الإنسان فالإنسان قد استبعد كثيرا من البهائم وحسبها قنصته كالصافير أو الحمها وصفونها ولبنها كالجمال والغنم والبقرة ، أو ليركها كالبنغال والخيول وغيرها فإذا حكم بحبس إنسان ، وفي طبيعته التطلع للحرية ، فإنما يكون حبسه إعاقة وإلحاقا له بالمعاريات ، فيشعر بالنقص ويتركب النفس وبأنه وضع في موضع غير كريم لارتكابه جريمة غير كريمة وهكذا .

وإذا ثبت أن الجلد في هذا الأمر يقوم على مقدمات عاطفية ، فلي القارئ أن يسألني ولماذا يخاف بعض الناس هذه العقوبة . عقوبة الجلد ، ولا يخافون عقوبة الحبس وهما متساويتان من حيث الخط من قدر

ويده لولا الذين يقرأون هذا المقال أن يعرفوا منذ البداية أني لا أكتب عن هذه العقوبة من زاوية الدين ، وأنى لم أكتب في مجلة الأزهر مقال هذا ، إلا لأنى أستاذ بجامعة الأزهر ، وأن كثيرين من قراء هذه المجلة هم أصدقاء أو زملاء أو تلاميذ في هذه الجامعة . وإذن سوف آخذ على نفسي أن أعرض الموضوع عرضا علميا اجتاهيا عاليا من التعصب لشرعة من الشرائع .

عقوبة الجلد عقوبة قديمة وردت في الشرائع السبانية كالتوراة ، والقرآن الكريم ، وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما طبقتها كثير من الشرائع الوضعية كالقانون الإنجليزي والقانون الفرنسي في حالات كثيرة ، وكانت تطبق في مصر إلى عهد قريب في جرائم الأحداث ، وفي المدارس وفي جرائم أخرى قلبية ، ثم ألغيت من مصر نهائيا .

ولقد ثار جدل بالنسبة لصلاحية هذه العقوبة بوجه عام ، وفي مصر بوجه خاص . ورأى المعارضين لتطبيق هذه العقوبة يثلخص في أمر واحد ، وهو أنها عقوبة وحشية تؤدي إلى تعقيد نفسية المجرم وشعوره بالإهانة واحتقار نفسه ، لأن عقوبة الضرب

وجرائم خلقية أخرى لا سبيل إلى عدها أو الإفصاح عن كنهها وإن كانت معرفتها لا تحتاج إلى عناء .

والسجون مصارف تصرف الدولة عليها في الطعام والشراب والكساء والنوم ودروس الإصلاح ، وهذا كله يكلف نفقات طائلة ، الدولة أحوج إليها لتنفقها في عمل منتج حتى وجدت حقبة أخرى تنوب عن حقبة السجن وتوق نهارها أو خيراً من نهارها .

وفي السجون تتعطل طاقات بشرية كانت تعمل خارج السجن فأودعت بين جدران أربعة لا تستطيع أن تعمل بأطمئنان حتى إذا وجد العمل داخل السجن ، وهو لا يمكن أن يوجد إلا لبعض الناس دون البعض الآخر .

وفي خارج السجن توجد أسر المسجونين وقد حرمت من رعاية مائتها المودع في السجن فيتشرد الأطفال وتسهل على المرأة سبل الجريمة الأخلاقية ، وقد تطلب المرأة الطلاق من زوجها المسجون ثم تزوج غيره ، فيكون لها من هذا وذاك أطفال يجمع بعضهم ويشيع بعضهم ، فتتوطد بين الإخوة معاهدات وإحن لا داعي لها ، ولا سبب لها إلا أن وب الأسرة الأول قد غاب في سجنه زساً لم تستطع المرأة أن تعبر على البقاء فيه من غير زوج .

فإذا أخرج الإنسان من السجن شربه وحرم من وظيفته إن كان موظفاً ومن عمله إن كان عاملاً هكذا ورد في القوانين هل تدري أن (فيكتور هوجو) هند ما كتب

الحتم المحكوم عليه بأحدهما ؟ والجواب هندي لا يحتاج إلى عناء كبير ، فخصوم هذه الحقبة إما غريبون متعصبون ضد حقبة وودت في الشريعة الإسلامية في القرآن والسنة فهم يهاجمون من طريق غير مباشر القرآن والسنة ، وإما شريقيون مستغربون ، عاشوا في أوروبا وثقفوا ثقافة الأوروبيين وتشبهوا لهم فهم يرددون أصوات سادتهم كما تردد البقاء ما تسمعه دون وهي صوي أن البقاء لا يزيد على ما تسمعه . أما أولئك فيحاولون أن يضيفوا إلى ما سمعوا حجة جديدة ودليلاً مبتكراً .

إن السجون قد تصلح للحفاظ على مجرم تعبت الهيئة الاجتماعية في إصلاحه فأرادت له أن يخبس أذاه عن الناس بوضعه في سجن يأكل فيه ويشرب ، والناس خارج السجن آمنون من شره وأذاه . أما أن يراد تزييل السجن أن ينصالح حاله ، فهذا لا يحدث في معظم الحالات . بل إن حال تزييل السجن قد يسوء أكثر من ذي قبل .

فالسجون مدارس يتعلم فيها نزلاتها الإجرام ، ويتداولون فيها دروساً في الخيل وطرق ارتكاب الجرائم والفرار من "مقررات والإيقاع رجال الشرطة وتصميمهم ، وتتوطد بين تلاميذ السجون صداقات وتوثق عهود واتفاقيات على الاتتمام من الهيئة الاجتماعية بعد ترك السجن .

وفي السجون ذاتها وقبل مبارعتها تتركب جرائم التهريب للنفقات والرشوة الحراس

ثم إن الجلد أودع للجرم من الحبس ، وخاصة في الجرائم الصغيرة ، فالجلد مؤلم للجرم ، ترتد منه فرائضه وتتأذى منه أعضاؤه ، أما الحبس فأبلامه على النفس بطل ، لأن المحبوس لا يحرم من طعام ولا شراب ، بل قد يكون حاله في السجن خيراً من حاله عند ما كان خارج السجن فلا يشعر بألم إطلاقاً ، أما عقوبة الجلد فهي (ديموقراطية) ، الألم يقاوى فيها الصغير والكبير ، والغنى والفقير بخلاف السجن ، يتأذى منه قوم ويرحب به آخرون .

إن المجتمعات الغفيرة التي يختل فيها ميزان المعيشة بين الحياة خارج السجن ودخله فينحط في الأولى عن الثانية لا ينتظر من السجن أن يصلح مذنباً ، هو في مجته خيراً مما كان عليه وهو حر طليق . والأموال التي تنفق على السجن أولى أن تنفق على المدارس والمستشفيات والمجتمعات المنطلقة إلى التمر والعروض الفنية الصناعية يجب ألا تعطى طاقات الناس ولو كانوا مجرمين ، إنما عليها أن تعاقبهم بغير السجن وتتركهم إلى أعمالهم ليضيفوا إلى الثروة القومية ثمار جهودهم ، وتتركهم إلى زوجاتهم وبنينهم ومن يعرفون . ذلك بأن الحبس يؤثر على أسرة المحبوس فلا تصبح العقوبة شخصية خاصة بالمجرم ذاته ، وإنما تتعدى إلى أشخاص آخرين لا ذنب لهم ، وبذلك تخرج على المبدأ السائد في العقوبة ،

قصته ، البؤساء ، إنما كان ثأراً على نظام السجن وأثار السجن بعد الخروج منه حين يحرم الإنسان من العمل بحجة أنه مجرم لا يجوز له أن يعمل بقية حياته في أي عمل كان .

هذا كله ينطبق على أولئك الذين يدخلون السجن وهم أغنياء ، ولكن هناك طائفة أخرى يدخلون السجن طائعين لأنهم يجدون داخل السجن شبعاً ورياء وحياة به تكون أيسر من حياتهم خارج السجن ، فهم يصنعون الإجرام للإثارة في السجن يأكلون ويشربون ويسمعون القصص ويهيمون لأنفسهم مجتمعاً داخل السجن ينعمون فيه بالأمن والدعة ، هؤلاء قد تعودوا البطالة والكل فوضعهم في السجن جريمة على المجتمع وعلى الثروة القومية .

فإذا انتقلنا به - هذا إلى عقوبة الجلد وجدنا هذه العقوبة خيراً من السجن في أكثر من موضع .

فهي قبل كل شيء عقوبة اقتصاد لا تكلف الدولة أكثر من عصا أو سوط ، ورجل يقوم بتوقيفها . ثم ينصرف المجرم ، وقد لا يسمع به أحد ، لأن توقيع العقوبة لا يستغرق زمناً يكفي للفضيحة ، كما يحدث في عقوبة السجن . وبعد ذلك يعود المجرم لعمله ولأسرته فلا تطلق عليه زوجته ولا يشرده طفله ولا تخرج من رعايته ابنته ، ولا يحتقره أحد منهم لأنهم قد لا يعلمون من أمره شيئاً .

عائد من الفلبين

للأستاذ محمد زيتون

- ١ -

هناك لنشر اللغة العربية والدين الإسلامى .
ولذلك يسرنى أن أحدث إخوانى القراء
من بعض مشاهداتى وملاحظاتى فى هذه
البلاد البعيدة التى تقع فى جنوب شرق آسيا
بين خطى عرض ٥ - ١٨ شمال خط
الاستواء وبين خطى طول ١٢٧ - ١٢٠
شرق خط جرينتش على شكل أرخبيل يمتد
جنوب شرق القارة الآسيوية بحوزة البالغة
٧١٠٠ جزيرة منها الكبير والصغير بمساحة
قدرها ١٠٥٦٠٠ ميل مربعاً يقم عليها ثلاثون
مليون نسمة منهم قرابة ثلاثة ملايين من
المسلمين . وهى ذات طقس ليس حاراً جداً

ثلاثة أهرام وثلاثة أشهر قضيتها فى البلاد
المثمرة التى لا ترى فيها إلا مياهاً زرقاء
أو أرضاً خضراء مكسوة بالمحاثش والأشجار
المثمرة وغير المثمرة ، حرارة معتدلة ومطر
غزير متصل وحياة بدائية بسيطة وإن بدت
درجة عالية من الحضارة فى بعض الأماكن .
وكانت مهمتى تقتضى أن أعيش بين إخوانى
المسلمين هناك وأنقل بين ديابهم وأعرف
ههم الكثير من الناحية الدينية والاجتماعية
والأخلاقية وعلاقتهم بالعرب والمسلمين ،
وأحاول علاج ما عالت الحقائق الواضحة للدين
الإسلامى الخفيف ، فقد كنت مبسوطة الأزرار

(بقية المقال على الصفحة السابقة)

وهل عرفت أن عمراً لما قرأ هذين البيتين
اغرورقت هيناء بالدموع وأخرج الخطيئة
من بطنه لأنه رأى أن العقوبة قد تعدت
إلى غير المجرم من بنيه ؟ .

هذه بعض الخواطر ولعل كبيراً مسؤولاً
يعمل على تهيئة هذه العقوبة فى بعض الجرائم
كجرائم التزويج ، إن فعل ذلك سوف يتضح له
والناس أن الجرائم قد تناقص عددها تناقصاً
ملحوظاً ، والله الموفق وهو أحكم الحاكمين .

مختار القاضي

[٧]

وهو ، شخصيتها ، والذى لحصه القرآن الكريم
فى قوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .
هل عرفت قصة الخطيئة مع سيدنا عمر بن
الخطاب حين كتب الخطيئة إليه من بطنه
قصيدة المشهورة التى ورد فيها :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الخواصل لا ماء ولا شمر
أقبت كسبهم فى قبر مظلة
فاغفر عليك سلام الله يا مهر

الشباب ذواتها تبدأ أقرباء الفتى يقدمون إلى أسرة الفتاة بعض المتاع مثل البقر والجاموس ، وأجرة الأرض ، والطعام المطبوخ وأحياناً نمطاً للمركب صغير فإذا رضى أهل الفتاة بهذا الزواج بدأ أهل الفتى بتقديم مجلس الأسرة لكي يتمقوا على هذا الزواج ، وانضمامهم على الزواج ليس مشورة فقط ، بل على كل عضو من أعضاء الأسرة أن يتقدم بمبلغ من المال لكي يشارك في المهر وفي تكاليف الزواج وهذا يعتبره المسلمون نوعاً من التعاون بين أعضاء الأسرة ، وفي بعض الأحيان إذا كان الذي يتزوج من أسرة مشهورة أو حاكمة فإنهم يعملون استعراضاً في المدينة لإعلاناً عن الزواج وبعد ذلك يتقدم كل واحد بطرف خطاب وفي المبالغ المتبرع به وقد كتب على الطرف اسمه والمبلغ الذي بداخل الظروف وقد شاهدت مرة استعراضاً لأجل جمع المال بسبب زواج شاب غني جداً وأبوه محافظ ويرى ما ليس في حاجة إلى المساعدة ولكنهم عملوا استعراضاً كبيراً جداً وهذا الناس ينالون بالتهنئات على القائمين بها أن جمع التبرعات لأجل زواج هذا الشاب والناس هناك يحبون الفخر فربما يكون الشخص غير قادر على المساعدة ولكنه في مثل هذه الظروف لا بد من أن يقدم مساعدة حتى ولو أدى إلى أن يتعرض من غيره ، وهذه في الحقيقة طريقة قد جاوزت طريق المساعدة لا سيما إذا كان الشاب غنياً وليس في حاجة

ولا بارداً غنية بحيواناتها الكثيرة وتباناتها المتنوعة وثروتها الزراعية ذات المحاصيل المختلفة وغاباتها الكثيفة ثم أسماكها وبحارها الذي يفوق الوصف منظرًا ومذاقًا .

وعن كيفية تكوين البنة الأولى - الأسرة - في المجتمع الفلبيني سوف أتحدث في هذا المقال .

من مآلات الزواج في الفلبين :

إن تفرق سكان الفلبين في الجزر التي يسكنونها وتباعدها عن بعض جملهم يختلفون في عاداتهم وقد لا يدم من جزيرة إلى أخرى بل ربما في الجزيرة الواحدة وذلك لصعوبة المواصلات في داخل كل جزيرة إما الكثرة الغابات وعدم وجود طرق مهيأة أو لوجود المرتفعات التي جعلت الاتصال شاقاً بين مكان وآخر كما أن تفرقهم في الأديان التي يدينون بها أدى إلى اختلاف عاداتهم في الزواج .

وفي هذا المقال أريد أن أتحدث عن مآلات الفلبين في الزواج ، وسأبدأ بالحديث عن الزواج بين المسلمين لا سيما وقد حضرت كثيراً من حفلات الزواج كما كنت بمقدد القرآن في كثير منها .

وأول خطوات الزواج هناك أن يبدأ الشاب فيتودد إلى البنت التي يريد أن يتزوجها أو يتحجب إليها . وهم يعطون الشاب مطلق الحرية في أن يمضي مع البنت إلى أن يحب أحدهما الآخر فإذا رضى البنت أن يكون

بعض المال إلى الداتو الأمير ، الحاكم غير المدنى ، وإن لم يكن حاكما من قبل الحكومة واسكن الناس يعترفون بإمارته وبطاعة أمره .

وأحيانا إذا لم يرش الداتو من الزواج لا يتم الزواج . وقد حدث مرة أن وصلت إلى راما في محافظة لاناولس ، دهوة من من أحد تلامذتى وكان يتزوج في محافظة كوتاباتو ، وكان لابد أن أركب الطائرة لكي أصل إلى مكان الزواج ولكن الطيران توقف لرداء الجو حينئذ فاكتملت بأن أرسل برقية أعتنه فيها بالزواج وأتقى له حياة سعيدة ، ولكن بعد حوالي شهر وصلني خطاب من تلميذى يخبرنى فيه بأن الزواج لم يتم لأن الأمراء ، قد امتنع بعضهم عن حضور حفلة الزواج وكان ذلك دليلا على عدم رضاهم من هذا الزواج ، وقد ضاعف التكليف الذى أنفقنا بسبب تسلط هؤلاء الأمراء .

وقد حدث ذلك في أوائل سنة ١٩٦٣ في محافظة كوتاباتو .

وربما يعتبر من حفلات الزواج المشهورة خاصة بين المسلمين زواج بنف رئيس جمعية المسلمين في الفلبين عضو مجلس الشيوخ السابق أحمد ألتو ، وقد حضر هذا الحفل كثير من علمية القوم في الفلبين وقد حضره سفير الجمهورية العربية المتحدة ومثلون من سفارة باكستان وأندونيسيا وثلاثة من الوزراء ، وبعض أعضاء مجلس الأمة وكثير من

إلى المساعدة ولكن الصفة الاجتماعية التى تقام بها هذه المادة جعلت المساعدة فرضا اجتماعيا حتى من الفقير .

وكذلك يبدأ أهل الفتاة بمقدون مجلسا ، أولا فإذا اتفق كل مجلس على هذا الزواج بدأ رؤساء الأسرتين يتفقون على المهر ، وقد أخبرنى أحد تلامذتى بأن أخاه عندما تزوج دفع إلى أهل العروس ١٢ حصانا ، ١٤ بقرة وثمانية كراباو جاموس ، وعندما سمع ذلك كنت أظن أن هذا هو المهر ولكنه أخبرنى بأن أخاه دفع فوق ذلك ٤٠٠ بيزو أى ما يعادل ٤٠٠ جنيه مصرى عندنا .

وبعد أن تتفق الأسرتان على المهر يحددون موعد ومكان الزواج ، وفي يوم الفرح يدهى الأصحاب والأحباب والأكارب ويذبح البقر ويقدم الأرز واللحم والسمك إلى الحاضرين وتنفى لهم بعض المتيات أعانهم التى يحشونها كما ترخص بعض الفتيات وقصاتهم الشعبية وقد يستمر ذلك طول الليل .

ثم تتم مراسم الزواج وبعد ذلك يبدأ أهل الفتاة بتقسيم المهر على الحاضرين وكل يأخذ من المهر حسب منزلته الإجتماعية أو حسب قرابته من الفتاة ، ولابد الزوج من أن يقدم إلى أهل الفتاة آلة ثمينة وقيمة من آلات الحرب والقتال مثلا يقدم سيفا أو رمحا وربما يقدم خنجرًا ثمينا على الذهب .

وفي بعض المقاطعات لابد أن يقدم الزوج

المدينة وفي وسط كل أمير خنجر وبهواره
خادمه الذي يحمل المظلة المزركشة بحميه بها
من الشمس وخلف الخفة ٢٠ من الأميرات
والوصيفات في ثيابهن الفاخرة المزركشة .
وعندما وصلت الخفة إلى مكان الاحتفال
قام والد العروس واستقبل ابنته العروس
واصطحبها من الخفة إلى المنصة التي يجلس عليها
كبار المدهوين والمدهوات . وجلست بهوار
أيتها على الحشية أيضا بعد أن خلعت حذاءها .
وبدأت مراسم الزواج بقراءة القرآن الكريم
ثم أقيمت خطبة الزواج وأتممت العقد وبعد
ذلك جلست الزوجة إلى جوار زوجها
وجلس والد الزوج إلى جوار والد الزوجة .
وبعد ذلك بدؤوا يقدمون بعض رقعاتهم
الهمجية فرقصت بعض الفتيات رقصة السلطنة
وبعضهم رقصة البامبو كما قدموا بعض الألحان
الموسيقية الوطنية ثم قدم شابان رقصة الحرب
التي دعش لها كل الحاضرين حتى كان يهليل
إليها أنا نعيش مع أقاصيص ألف ليلة وليلة
فأراقص كان في ثياب الحرب لا يبدو منه
إلا عيانه فقط وعليه ملابس الحرب القديمة
برعه وسيفه وخوذته وبدأ يمرض بعض
الحركات المعبية الهلابة على سروره بالحرب
والتي يغازل بها سيفه ودعه وخوذته قبل أن
يلبسها وكأنه ذاهب إلى حفلة زفاف وليس إلى
ميدان القتال ، وبعد أن انتهى برنامج الخفة
بدأوا يقدمون الطعام للحاضرين الذين حضروا

المحافظين ، وقد تمت حفلة الزواج في كلية
كامل الإسلام التي كنت أقوم بالتدريس فيها
وقد زينت المدعوة ومسرحها زينة تفوق
الوصف وأقيمت الأعلام الخاصة بهم أثناء
الحروب القديمة والتي يعزفون بها وفرش
المسرح بالسجاد ووضع على السجاد الحشايا
لكي يجلس عليها كبار المدهوين بعد أن
يغفلوا أحذيتهم الرجال في جانب والسيدات
في الجانب الآخر ، وقد لبس كل مدهو على
رأسه غطاء الرأس الذي يستعمله الوطنيون
هناك ، ثم بدأت حفلة الزواج بأن حضر
العريس من بيته ماشيا وقد لبس بدلة السلطان
الحربية التقليدية الحمراء المصلاة بالذهب
وفي وسطه الخنجر وبهواره من يحمل المظلة
المزخرفة بنقوش عجيبة ، ثم بهواره الحراس
يحملون سيفين طول كل واحد منهما مترين
ونصف ثم خلف الزوج على حذيتهم الأمراء
وبهوار كل أمير خادم يحمل المظلة المزركشة
التي تظله من الشمس . وبعد أن قاموا
باستعراض في شوارع المدينة وصلوا إلى
مكان الاحتفال فقام والد الزوج واحقبل
إبنته على مدخل مكان الاحتفال وصحبته إلى
المسرح حيث خلع حذاءه وجلس بهواره
على خشبة المسرح مع كبار المدهوين .
وبعد ذلك وصل موكب العروس وهي تهلس
في عفتها التي يحملها أقرباؤها الأمراء من
بيتها إلى مكان الاحتفال مارين بين شوارع

أقرباء الزوجة ، وطال حديث كل منهما في مكر الصوت حتى هلك السماع لأنهم يتكلمون باللغة المحلية فصالت بعض الحاضرين عما يقول هؤلاء الحطباء فأخبرني أن كل واحد بعدد ماثر أسره ومجدهما والابطلان الذين كانوا فيها وبعض المعارك التي خاضوها وأتهم أصحاب حسب ونسب وجاء وسلطان وأن كلا منهما كلفه الطرف الآخر، وبعد حوالي ثلاث ساعات من سماع هذا الحديث الطويل فنه فأنتمت مراسم الزواج على الطريقة الشرعية . هذه بعض عادات الزواج التي تحدثت بين المسلمين في الفلبين وقد رأيته بعضها ورأى الذين . كما كانت بجالا بيان خطأ بعض التقاليد التي يتبعونها ومعارضة الإسلام مثل تفريق المهر بين الأقارب وزواج المسلمات بالمسيحيين وغيرها من العادات بذلتنا جهدها في توضيح رأي الإسلام فيها . وإنه ليسرني أن أكتب شيئا من عادات الزواج بين القبائل غير المسلمة وذلك لأن قليلا من الفلبينيين من يمارس الزواج المدني وإن كان يقبل عليه كتمهم الآن . من عادات الزواج بين قبيلة « البرولاكان » Bulacan أن يذهب والدها الفتى إلى والدي الفتاة في ستر من ظلام الليل حتى لا يعلم أحد شيئا عن الزواج ، ثم يتشاورون بحضور رئيس القرية ، وبعد أن يتم الاتفاق بحوالى شهر يعلن الزواج .

حفلة الزواج وقد بلغني أنه ذبح في هذا الحفل ثلاثين بقرة وقدر المهر بعشرة آلاف بيزو أى حوالى ألف جنيه مصرى . والمغالة في المهور عادة مشهورة بين المسلمين أدت إلى إعراض النكاح المسلمين عن الزواج بالفتيات المسلمات حيث لا يستطيعون أن يدفعوا لمن هذا المهر الكبير وجملمهم يتزوجون بالمسيحيات حيث لا يكلفهم مبلغا كبيرا من المال . وهذه لاشك عادة غير محمودة ، لأنها أدت إلى هدم زواج البنات المسلمات وقله عدد الشبان الذين يتقدمون للزواج من الفتيات المسلمات .

كما أن هناك شيئا ربما لا يستطيع أن يتصوره الناس هندا وهو أن المهر يفرق بين أقرباء الزوجة ثم ينقل الزوج إلى بيت أسرة الزوجة لكي يكون فردا من أفراد أسرة الزوجة ويمش معهم كواحد منهم . ولا يكون هناك شيء من الأثاث الذي تقوم أسرة الزوجة بإعداده . كما يحدث هندا هنا وإنما الذي يحدث بين عامة الناس أن الأثاث عبارة عن حصير ومائدة وربما مرتبة وهذا هو أثاث الزواج . ولكن بين أسر الأغنياء يكون هناك سرير وصوان وبعض الكراسى الجلوس عليها .

وقد حضرت مرة زواجا في قرية تسمى قرية دومان ، في محافظة لاناودلس وابتدى الحفل بحديث من أقرباء الزوج ومحدث من

يرقص العريس مع العروس وتبدأ حفلة الزواج بتقديم الطعام والشراب. ثم يذهبون إلى المسجد حيث تم مراسم الزواج على يد البنديتا .

أما في جبل برونيس بين قبيلة كالنيس KALINGAS فليس الزوج هو الذى يدفع المهر وإنما والد الفتاة هو الذى يدفع المهر للزوج ويكون مثلاً في عدد من البقر وبعض أجولة الأرز .

والطلاق مسموح به بين هذه القبيلة وإذا وقع ترجع الزوجة ومعه المهر الذى دفعته وفي هذا الطلاق قد تسيل الدماء أحياناً .

كما يتم الزواج بين قبيلة مانجيار MANGYAN في جنوب شرق جزيرة مندورو بأن يتزين الفتى يأخذ هوده معه ثم يذهب إلى كوخ الفتاة وينقى لها فإذا وضيت الفتاة به زوجها ذهب معها إلى الغابة وفرش حصداً وجلس ينقى لها ويضرب العود إلى أن تهيبه هي أيضاً وتنفق له وذلك يكون دليلاً على كمال الرضا بين الفتى والفتاة وفي الصباح يذهب الفتى والفتاة إلى والدى الفتاة حيث يباركان لها هذا الزواج .

هذه بعض عادات الزواج التي شاهدها والتي سمعت عنها بين سكان الجزر هناك في الفلبين . وسوف نتحدث عن مظاهر الاختلافات الدينية في مقالة قادمة .

محمد زيتون

وفي جزيرة بنائى يبدأ العجبان يتفادلون بالتمر مع الفتيات ، وقد يستمر هذا إلى سنة أو أكثر ، وبعد أن ترضى الفتاة بالشاب يتم الزواج .

ولكن الأغرب من هذا ما يحدث في قبيلة ترومال Trial في محافظة الجبل ، وهو أن يجتمع النساء اللاتي يردن الزواج في بيت ثم يحضر الرجل ويختار التي يرضاها ، ثم يستمر معها يعاشرها معاشرة الأزواج إلى أن تلد ، فإذا ولدت تقام حفلة الزواج وتصبح زوجة له فإن لم تلد بعد عام أخذ غيرها لأن ثمرة الاتصال بين الرجل والمرأة لم تأت بالثمرة المرجوة وهي البنية ، ولذلك لا يكون هناك زواج .

أما بين قبائل باجوبس ، BAGABOS في جزيرة منداناو فيجلس الرجل والمرأة على حصير وحولها أردى على أوراق الموز فإذا أكل الزوج والزوجة منه ، أعلن أن الزواج قد تم بينهما .

ولكن بين قبيلة ديمريج ، NEGRITAGE يحضر الشاب والفتاة أمام رئيس القبيلة ويضع رئيس القبيلة يد الشاب في يد الفتاة ثم يأخذ رئيس القبيلة برأس الفتى والفتاة ، ويجعل رأسهما تلامسان أو ينقر أحدهما بالآخرى وبذلك يتم الزواج .

وفي غرب جزيرة باسيلان في قبيلة ياكنس YAKANS تزين الزوجة وتلبس أحسن الثياب وتضع المساحيق البيضاء على وجهها ثم

رُؤْيُ المؤرِّخِ الفقيهِ أبي شامة

للدكتور عباس حامى إسماعيل

وله ست عشرة سنة ، فلهذا كله على ذاكرة قوية وحافظة واحدة .^(١) ثم أخذ أبو شامة في طلب علوم اللغة والفقه والحديث والتاريخ وبعد أن أنهى شرح في التأليف فيها ، وأم مؤلفاته شرح المفصل للبخارى ، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز ، والباحث على إنكار البدع والحوادث ، والحديث المقتنى في مبحث المصطفى ، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، والدليل على الروضتين ، وضوء السارى إلى معرفة الباري والمؤمل في الرد إلى الأمر الأول ، وكتاب السواك ، وكتاب القيامة ، ونية الصيام وما في يوم الشك من الكلام ، ومشكلات الآيات ومشكلات الأخبار ، وبلغ أبو شامة رتبة الاجتهاد ، حتى يجب منه أحد تلامذته أن يظل منتصباً إلى الغاضى (٢) .

والواقع أن أبا شامة لم يبلغ ذلك المقام السامى من العلم إلا بعد أن تردد كثيراً على جامع دمشق ليقرا القرآن الكريم ، ويفقه الشيخ نضر الدين بن عساكر في القراءة والافتاء .

(١) ان الهام المنبيل : حذرات الذهب ج ٥

ص ٣١٨ .

(٢) أبو شامة : الدليل ص ٣ و ٤٨ - ٤٩ .

أبو شامة هو شهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل ، وعرف بأبي شامة لأن فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة ، وهو ينتمى إلى أسرة هريقة في بيت المقدس انتقلت إلى دمشق وأقامت في دوبرافوا آخر داخل الباب الشرقى حيث ولد في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٥٩٩ هـ (٩ يناير ١٢٠٣ م) وحكى أبو شامة عن أمه أنها رأت في منامها وهي حامل به : كأنها في أهل مكان من المتمدنة عند حلالها وأنها تؤذن ، فقصدت أمه حلها على عابر قبال .^(١) تدين ذكراً يقتصر ذكره في الأوض بالعلم والخير ، وأورد أبو شامة أنه ولد ليلة الجمعة وهي ليلة مباركة عند المسلمين ، وأن النجوم ما جمعت سنة ولادته في السماء شرقاً وغرباً وتطارت كالجراد المقتصر يمينا وشمالاً^(٢) .

وأحب أبو شامة التردد على المكاتب منذ طفولته المبكرة على خير حادة الأطفال ، فحسب أبوه منه ، غير أن أمه نهت أباه عن التعجب ، لأن هذا أوضح دليل على صدق حديثها ومال أبو شامة إلى حفظ القرآن بخلته حفظاً وهو دون العاشرة ، وأتقن القراءة السبع على الشيخ علم الدين البخارى

(١) أبو شامة الدليل ص ٢٦ - ٢٨

مع السلطان الكامل عند قلعة الجبل ، وشيع جنازته حتى دفن بقرافة العاصي .

وبالقساط تقابل مع خطيبها الشيخ أبي الطاهر المحلى مرآة ، وبالإسكندرية دار عمرو بن الحاجب أستاذ علم النحو والشيخ محمد القباري أحد الأولياء الصالحين على سبيل البركة (١) .

وصادف وجود أبي شامة في مصر حدوث الغلاء لانخفاض النيل إلى ثلاثة عشر ذراعا ، وبعث " القاضي بهاء الدين بن شداد من حلب لإحضار فاطمة عاتون ابنة السلطان الكامل وزوجة العزيز ملك حلب وأختها غازية عاتون زوجة المظفر ملك حماة ، وقدم الملك الأشرف وصه الملك شمر شاه بن مودود بن زنكي صاحب جزيرة ابن عمر ، ووصول محمد الدين بن العادل إلى القاهرة بعد أن كان مأسورا عند خوارزمشاه جلال الدين ومداركة السلطان الكامل الأجناد حفر النيل بين المقياس والقساط في شهر شعبان ورمضان وشوال من هذه السنة (يونيو ويوليو وأغسطس) وقدم رسول الخليفة المستنصر بالتقليد الكامل (٢) ، غير أن أم ما استقرى اهتمام أبي شامة في آخر هذه السنة فإنه حياة زاهد الإسكندرية الشيخ محمد القباري ، ذلك أن هذا الشيخ اشتغل بنفسه

ويسمع الحديث من الشيخ غر الدين بن هاشم في القرافة والافتاء ، ويسمع الحديث من الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء والنحو من تاج الدين الكندي ، والفقه من تقي الدين بن الصلاح كما توطدت مكانته العلمية بعد أسفار كثيرة ذلك أنه

حج سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٣ م) مع والده ، ثم حج من بعده سنة ٦٢٢ هـ واستطاع أبو شامة أن يجمع مرتين متتاليتين لرخص الأسفار واستقبال الأمن في الحجاز بفضل الجهاد الذي بذله الملك المسعود ابن الكامل الأيوبي صاحب مكة واليمن وقتذاك ، ولأن الملك المعظم هيب بن العادل الأيوبي مهد الطريق من الشام إلى الحجاز وزود حجاج الشام بالقرآن ثم سافر أبو شامة إلى بيت المقدس سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦ م) بحبة الفقيه عز الدين بن عبد السلام لإيارة الخليل والمسجد الأقصى وغيره من المقدسات وفي آخر ربيع الآخر سنة ٦٢٨ هـ (٦ مارس سنة ١٢٣١ م) سافر أبو شامة إلى مصر فدخل دمياط في جمادى الأولى ، والقاهرة والقساط في جمادى الآخرة ، والإسكندرية في ذي الحجة ، وفي القاهرة قابل الشيخ أبا الخطاب عمر بن دحية شيخ دار الحديث الكاملية وأخذ منه إجازة ، وصلى على جثمان المسلم النحوي يحيى بن محطى الزواوي

(١) تأس للرجع ص ٢٧ ، ١٣٢ ، ١٦٤ .

(٢) للقريري : السلوك ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

في زراعة بستانه ، وزاده أبو شامة وهو
يسق بجرار الماء من خليج الإسكندرية
على حماره رغم قلة الماء بالخليج لإهمال
تطهيره ، لم يدع القبارى الإرواء ليتحدث
مع ضيفه أبي شامة ، بل أجلسه مع غيره
من الضيوف قصر أهدم من ورج القبارى
قائلا : إنه حريص في تحصيل ثماره ، إلى حد
أنه إذا رأى ثمرة ساقطة تحت شجرة من أشجاره
ولا يشاهد سقوطها منها يتروح عن أكلها
خوفا من أن تكون من ثمر غيره ، قد حملها
طائر فسطط عنه في بستانه ، ولما فرغ
القبارى من عمله جاء إلى ضيفه وقدم لهم
بعضا من ثمار بستانه كما هي عادته مع كل من
يزوره من الملوك وغيرهم . والواقع أن بستان
القبارى بنى مزارا لكل طماع في بركته حتى
وفاته وباع من اعتقادهم في بركته أن تنافسوا
على شراء كل أثنائه حتى لإريق الوضوء ،
وتزايدوا عليه حتى يبيع بنحو عشرين ألف
درهم مع أن قيمته لا تزيد عن خمسين
درهما (١) .

ولم يلبث أبو شامة أن رجع إلى دمشق
في ٧ ربيع الآخر سنة ٦٢٩ هـ (أول فبراير
١٢٢٢ م) وكانت أولاد الأيمكة أكثر
من سنة بمصر حتى لا يفسدوا حياء دمشق ،
ولذا استثنى عن السفر إلى دقروا وإربل ،
لأنه قابل أعظم شيوعهما سنة حجته الأولى

(١) أبو شامة : قبله - ٢٢١ .

(١) نفس المرجع - ١٤٢ - ١٦٥ .

بأسراره وتحدث معه في أمور المسلمين وهو يمشي إلى جانبه ملاحظاً منكبته حتى كان الناس يسألونه عنه وعما يريد أن يفعل وهو يخبرهم ، وكانه واسطة بينه وبين الله . كذلك رأى أبو شامة في مقام آخر والفقير : ز الدين بن عبد السلام داخل باب الرحمة بيت المقدس ، وقد أراد أن فتحه من وقفوا خلفه يدفعونه لينطلق ، فزالا يعلجان الأمر حتى قبحا مصراحيه قبحاً تاماً بحيث أسند كل مصراع إلى الحائط الذي خلفه . ويروي أبو شامة أنه رأى هذه الرؤى في سنة ٥٦٢٤ (١٢٢٦ م) وهي السنة التي زار فيها بيت المقدس مع هو الدين بن عبد السلام ، ولما دارت هذه الرؤى حول بيت المقدس والصليبيين ، لا سيما أن المسلمين أرجفوا عن احترام السلطان الكامل تسليم بيت المقدس لفرديك ملك الألمان ولما برأطور الدولة الرومانية المقدسة (١) .

غير أن أعجب منامات أبي شامة هو منامه في جمادى الآخرة من هذه السنة أي سنة ٥٦٢٤ (مايو سنة ١٢٢٧ م) حين رأى كأن المسلمين في صلاة الجمعة في حر شديد وهو حافي عليهم من المطش ، ثم منامه كأنه في صدر الإيوان بالمدرسة العادية بدمشق ، وأن قاتلاً يقول الناس تنحوا قلبي صلى الله عليه وسلم يمر . ورأى بعض الصالحين له أنه متوجه إلى الحج وقد تزود تزوداً تاماً .

مشيخة دار الحديث الأشرفية خلفاً للشيخ تقي الدين بن الصلاح الذي توفي سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) وكان أباً شامة أراد أن يقول إن منصبه الجديد قد جرح عليه الانكاد لحسد الحساد ، فتوفي ابنه أبو المحرم محمد كما توفيت ابنته زينب بعده بأربعة أيام ، ثم جاء الغلاء لعبت الخوارزمية في البلاد ، وتولى أبو شامة كذلك مشيخة الإقراء بالنزبة الأشرفية ، والإقفاء في صدر الإيوان بالمدرسة العادية التي وقف كتبه على خرائنها ١ ، ولهذا كله زاد حساده الذين استكثروا عليه منزلة عليية وأخذوا يكذبونه ويسفهن آراءه ، والواقع أنه أوجد لهم مدخلاً إليه باعتقاده الراسخ في الأحلام ، وأدعائه اختراق حجب الغيب ، والإنبياء بما كان وسيكون ، فقال متعدها عن نفسه : « ووبعد منامات حسنة كانت مبشرات له بما وصل إليه من العلم وما يرجوه من الحسب ، كما قال : « سطر هذه المنامات وغيرها تحدثنا بنعم الله تعالى . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » ٢ ، ومن هذه المنامات التي أشادوا بها أنه رأى كأن حمر بن الخطاب قد أقبل إلى الشام متبعاً لأهله على الفرنج ، وبلغ من مكانته لدى حمر في هذا المنام أن عمر أفضى إليه

(١) البكي : طبقات الناصية ج ٥ ص ٦٢ .

(٢) أبو شامة : قبل ٢٨ - ٢٩ .

(١) نفس المرجع ص ٣٨ .

جرحه (١) . ثم قصر قصاب نصرائي على أبي شامة أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة وهو مضجع من أثر مرض ، فقال له الرسول : قم واخرج من الضلالة إلى الهدى واذهب إلى أبي شامة وأسلم على يده ، وأخبر الرسول أن صاحب مصر سوى يهدم عسكا ويملكها وأن القصاب سيحصل بمسجدها ، ثم حكى أن الرسول ارتفع بهذا هذا إلى السماء في صورة أكل من القنصر وأنتم من القدس ، وحين سأله القصاب عن إتهام سيده طلب منه أن يسأل ربه في الناس نصرهم على الكفرة ، وعندئذ تلبه القصاب وبق في حيرة من أمره ، فلما كان ليلة السبت رأى مثل ذلك المنام ثم ليلة الأحد كذلك ثلاث ليال متوالية ، فصم على أن يسلم وسأل عن يقال له أبا شامة فمد له المصباح عليه وأمره أبا شامة بالإسلام فأسلم (٢) وهذا الحلم إن دل على شيء فإنه يدل على أن الناس تحذوا إقتراب اليوم الذي يخرج فيه المذمومين من هكا آخر بلاد لم بالقام بعد أن استولى ييوس على أنطاكية وفلاون على طرابلس ، ولم يتحقق لهم هذا الحلم إلا بعد أن مضى ما يقرب من سبعين عاما على حلم القصاب ، وحققه لهم السلطان المملوك الأشرف خليل (٣) .

هذا عدا المنامات الأخرى التي وآما له أخوه الشيخ برهان الدين إبراهيم وهو أكبر منه بنحو تسع سنين : رأى أن أباهما يجتمعا على السلم ، وعندئذ انكشف لهما يديع المقدس والمسجد الأقصى (١) . ولا شك أن هذه المنامات تدل على أن أبا شامة استغرق فيها وما يؤيده هذا الاستنتاج منام آخر إبراهيم الدين حين رأى كأنه جالس إلى جانب أخيه الذي يكتب شيئا ويقرؤه ، فكان ما كتبه قوله تعالى : « سقند عندك بأخيك وفعل لكا سلطانا » (٢) .

ثم ذاع صيت أبي شامة بين الماشقة على أنه كثير الرؤى ، فوجدوا عليه ليفسر لهم أحلامهم ، ولا سيما بعد أن ادعى أبا شامة أنه يعرف علم الفلك : ويرقب النجوم ويفسر ظاهرق الكسوف والخسوف (٣) ، ومن جاءوا إليه الشيخ تقى الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني الذي أخبره أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يا رسول الله ، بالله ما أنا وجل جيد ؟ فقال : بل أنت وجل جيد ، ومنا صممت أبا شامة لأنه أدرك أن مريد به استولى عليه الخوف بدعوى أنه فاهز المائة ، وسبق أن قص له أنه حضر ختان ابن نور الدين زنكي ، ولعب الأمراء بالميدان احتفالا بختانه ، ولعب الصبيان مع الأمير في فراشه حتى يرى .

(١) نفس المرجع ص ١٩٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٢١ .

(٣) تم ذلك سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) .

(١) نفس المرجع ص ٢٨ - ٣٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٣٧ .

(٣) نفس المرجع ص ١٨٩ .

ومن ثم عكف أبو شامة في داره على إنجاز مؤلفاته ، فبعد أنه لم يتفرغ للتأليف كلية ، بل احترف الزراعة مثل الشيخ محمد القباري زاهد الإسكندرية ، ليأكل مما تزرعه يداه .
 حالاً طيباً بدلاً من أن يعيش على الأوقاف التي اعتبر أموالها حراماً ، وحدث أن مات به أحد أصدقائه لاشتغاله بالزراعة فرد عليه مدافعاً :

لا تلني على الفلاحة وأعلم
 أنها من أجل كسب وأثرى

وبها صلت ماء وجهي عن قننا
 من جيعاً وحشت في القوم حراً

إذ بها صار منزلي ذا غلال
 مع عيال من بعد ما كان فقراً

فعلبك المعاش يا طالب العلم
 ولم ولا ترك المنيعة كسراً

عجبا من مدرسين قضاء
 يقادرون في اللباس بطراً

وم في نفوسهم في عظيم
 يركبون البغال حراً وزهواً

حسدني جماعة قال منهم
 قائل : ذا ومن أين أنثرى ، (١) .

وتمكن أبو شامة من الاحتكاك بداره بعد فراغه من الزراعة ، لأنه وزق زوجة

صالحة هيأت له حياة منزلية ودنياً .
 مدح وجل زوجته مثلاً مدح أبو شامة

فوصفها بأنها : « ولودودود ، نظيفة لطيفة
 صبورة شكورة ، مطاوعة موافقة ، مطرزة

(١) أبو شامة : القيل ١٩٥ - ٢٦٦ .

ومهما يكن من أمر هذه المقامات ، فإن العلماء استشكلوا على أبي شامة أن يخلف أستاذه تقى الدين بن الصلاح في وظائفه ، وهو مشغول عنها بأحلامه ، فعنايتهم واعتبروه منجها . وزادت مضايقتهم له عندما أخذ أبو شامة يحاضر في التاريخ بدلاً من الفقه ، حتى أنه فرغ من إسماع كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النسوية والصلاحية سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) (٢) على حين أنه لم يته شيئاً من كتب الفقه . فلم يسه قبالة هذه المنايا إلا الاستقالة من كل وظائفه ، ولم يشر في كتبه إلى تاريخ استقالته ، ويبدو أنها حدثت سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) حين توجه ابن خلكان إلى دمشق ليتولى بعض وظائف أبي شامة (٣) الذي قال عندئذ : « دمشق في عصرنا مع فضلها بليت ، من القضاء بجهال وأوقاع ، (٤) . وبرر استقالته بأنه « يحب العزلة والافتراء ، غير مؤثر لقرود على أبواب أهل الدنيا ، متجنب المزاحمة على المناصب ، لا يؤثر على العافية والكفاية شيئاً . » واستطرد قائلاً : « أردت راحة سرى بما يضيئ صدري ، لما ألاق من جفاء وغدر وحسد واغتياب ، فباضياها لعمرى . فاخترت أن أنتهي واستقل بأمرى ، (٥) .

(١) نفس المرجع ص ١٨٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٥٥ .

(٣) أبو شامة : القيل ص ٢١٤ .

(٤) نفس المرجع ص ٢٣ : السبكي : ظلمات

الشافية ج ٥ ص ٦١ .

فقال في مقدمته : « حلقى على تأليفه كثرة موت المعارف ، فأودت إقباطهم لعل بمطالعتهم أجد قلبا على الآخرة يسامف » (١) . ولذا جاء كتابه هذا أقرب إلى كتب التراجم منه إلى كتب التاريخ ، وترجم لنفسه ، فحضر المثل لبعض من جاء بعده من الكتاب مثل ابن خلدون .

غير أن أباشامة لم يفس أن يشتغل بالإفتاء إلى جانب التأليف ، فتوافد الناس على داره ليفتيهم في شئون دينهم ودنيائهم ، ورغم هزله من وظيفة الإفتاء ، ذلك أنهم وجدوه حريصا على الاجتهاد في الأحكام المختلف فيها ، فيفتي بما يراه أقرب إلى الحق وإن كان المستفتى على خلاف مذهبه . على أن نبوغ أبي شامة في الإفتاء تبقيا للأداة جر عليه حسد الحساد وكيد الكائدين ، فدخل عليه اثنان وهو في بيته في سرورة المستفتين ، وضرباه ضربا مبرحا في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ هـ (٥ مارس ١٢٦٧ م) أحدث به طامات مستديمة ، وأحجم عن تبليغ أولى الأمر قائلا : « يقض الله تعالى لنا من يأخذ الحق ويشقى القليل ، إذا توكلنا عليه كنى لحسنا الله ونعم الركيل » (٢) . وظل أبو شامة عليلا من أثر هذا الضرب حتى توفي في ١٩ رمضان سنة ٦٦٥ هـ (١٣ يونيو ١٢٦٧ م) ٩

عباس ملحي ، سماه

خيطة ، مربية حانة ، تحفظ مال الزوج ، وتعمل حتى الكس والطيخ والنسل ، قائمة صوامع ، وقصر البيت في عينها أحل من المنزل » (١) . ويتعاون زوجته أمكنه أن يخصص بعض وقته لكتابة التاريخ ، وكأنه أراد أن يعتبر دراسة التاريخ نوعا من العبادة فقال : « إن في مطالعة كتب التاريخ معتبرا ، وفي ذكرها عن الغرور مزجرا » ، لا سيما إذا ذكر بعض من مات في كل عام من المعارف والإخوان والأقارب والجيران وذوي الثروة والصلطان ، فإن ذلك ما يرد ذوى البصائر في الدنيا ويوضحهم في العمل بالحياة العليا والاستعداد لمسام ملاقون ، والإفلاح مما هم عن قليل مفارقوه » (٢) . وحاز كتاب الروضتين إعجاب سامعيه فبعث سعد الدين ابن العلامة محي الدين بن العربي يستعيره منه قائلا :

هذه ثمار الروضتين ذكاتها
وجبت عليك فداة ثم نصابها
فامن على بها لعل اجتلي
فترات علم واحتاك سمابها
وأنا الكفيل بحفظها وبمفظها
ويكون أسرع من نذاك إياها
فلم يسع أبو شامة إزاء إعجابه بقوله :
إلا أن يعمد الكتاب ؛ ورغم حرصه الشديد عليه (٣) . أما كتابه الذيل على الروضتين

(١) نفس للرجع ص ١٩٦ - ١٩٨ .

(٢) نفس للرجع ص ٥٥ .

(٣) نفس للرجع ص ٧٠٠ .

(١) نفس للرجع ص ٥٥ .

(٢) نفس للرجع ص ٢٤٠ .

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

- ٨ -

أما جهالة مقدار ما يرتفع به الضرر من التعميـض عند إنقـاء التأميـن فلا تحول دون صحة الضمان ووجوده ذلك لأن الجهالة الممنوعة هي الجهالة التي تؤدي إلى استحالة تنفيذ الالتزام . أما ما لا يؤدي منها إلى ذلك كما كان مألها إلى الزوال فلا تمنع من صحة الضمان ألا يرى أن الكفالة بما سيمرضه فلان جائزة مع جهالة مقداره ، وأن الكفالة بما لك في ذمة فلان جائزة مع جهالة الكفيل بمقداره وأن الكفالة بما سيثبت لك في ذمة فلان جائزة مع الجهالة بمقداره وخلاصة المذهب في ذلك : أن الكفالة بمجهول المقدار جائزة عند الجميع خلافاً للشافعي والثوري والليث ابن زياد . وابن أبي ليلى والديلمية . وأهل الظاهر غير أن الحنابلة يشترطون في صحة كفالاته أن يكون مآله إلى العلم بمقداره ، وفي الواقع أنه شرط ليس محل خلاف إذ تقتضي الكفالة المطالبة ولا مطالبة بمجهول فلا بد أن يكون المال الملم به عند المطالبة به وعلى ذلك فضمن التعميـض في التأمين أو تحمل النبة لايحول دون صحة جهالة مقداره كما لا تحول دون صحة الكفالة بالدين جهالة مقداره .

وإذا قيل : إن هذا ضياء لما سيثبت في الذمة فيكون صاحبها مدنياً به وحيث المزمع ليس كذلك لأنه التزام بأداء ما يرتفع به الضرر من تعميـض سراء . ثبت ذلك التعميـض في ذمة أحد من الناس بسبب اعتدائه أم لم يثبت بأن وقع الضرر قضاء وقدرأ وعلى ذلك فلا وجه للمناظرة والقياس . قلنا في الإجابة عن ذلك : إننا لا نريد هنا قياساً على الكفالة بالدين المعلوم المنتظر وجوده أو الموهود بوجوده لنستدل به على جواز الضمان في التأمين وإنما نريد به الاستدلال على أن ضمان شيء أو تحمل تبعته مالا يستلزم أن يكون ذلك لشيء فعلا بل يصح أن يكون لشيء غير موجود موجود وهو محل خطر الوجود قد يوجد وقد لا يوجد . وإلا فإن محل الضمان في التأمين مغاير لمحل الضمان في الكفالة إذ محل الضمان في الكفالة هو الدين في ذمة المدين ، أما في التأمين فهو التعميـض مما أحدثه الخطر الحادث من ضرر وجوازه لا يقوم على هذا القياس وإنما يقوم كما سيأتي على أنه مباح جرى عليه التعامل لحاجة الناس إليه ولم يرد فيه دليل يدل على حظره وعلى ذلك فلا وجه للقياس .

٤ - الأساس الشرعي الذي يقوم عليه حكم التأمين :

يرى رجال القانون الذين كتبوا في عقد التأمين أنه عقد معاوضة . وهذا الرأي منهم على ما يدور في من تصريحهم بأنه يقوم على التعاون بين المستأمنين وأن الشركة المؤمنة ليست إلا وسيطاً بينهم مسيرة منهم لما يكون في نفوس المستأمنين عند إقدامهم على عقد التأمين مع شركة من شركات التأمين فليس يقوم في نفوس أكثرهم عندئذ إلا الموازنة بين ما يلزمون بدفعه إلى الشركة وما سينالهم منها بناء على هذا التعاقد من التعويض نتيجة التزامها بحجبه تحمل تبعه ما ينزل بهم من ضرر . ثم هو رأي إلى هذا يتفق مع الصورة الظاهرة للعقد وهي تلك الصورة التي فرضها التكييف القانوني الفني كوسيلة لإعطاء هذا التعاقد من القوة والأحكام والآثار ما العنود لتكون الأساس في الفصل إذا ما حدث بفأنه نزاع بين المتعاقدين . وقد ساعد على هذا التكييف ما ينشأ به العقد من عبارات وما يحويه من شروط ما يضئ عليه صورة المعاوضة . وإذا فرضنا أن هذا هو أساس التأمين وحقيقته وواقعه فليس ذلك بمائل دون جواز شرعاً لما بيننا من أنه هل هذا الرضخ يكون نوعاً جديداً من التعاقد وضرباً مستحدثاً من ضروب المعاوضة التي لا تنقف عند حد ولا تنتهي صورها عند صور معينة محصورة

وذلك بسبب تطور المعاملات المالية التاملية والائتمانات الاقتصادية وتغيرها والمبادلات بمضى الزمن وما يأتي به المستقبل من اكتشافات وعقوبات تدعو إلى هذا النوع من التعاقد والمبادلة ألا ترى أن اكتشاف الكهرباء وإرادة الانتفاع بها دعا إلى التعاقد على الحصول عليه فكان عقداً جديداً ليس هو بعقد البيع ولا بعقد الإجارة ولا يتناول له فئة من العنود المعروفة وإذا استطعنا في مستقبل الزمن أن نصل إلى إحراز حرارة الشمس وتوذيها للانتفاع بها رأينا أنفسنا في حاجة إلى عقد جديد بشأن ذلك مع الهيئة التي تقوم على تنظيم ذلك يومئذ وهكذا لا تنقف صور عقود المعاوضة عند حدود معينة .

وعلى ذلك فليس يمنع من جواز التأمين مع الشركات أن يمد عقد معاوضة أحد البدلين فيه التزام المستأمن بدفع أقساط مالية في أوقات معينة والبدل الآخر التزام شركة التأمين بتحمل تبعه ما يصيب المستأمن من ضرر نتيجة لزول كلثة معينة به . ويكون قيام الشركة بدفع التعويض نتيجة لازمة لتحميل التبعة أو لحدا الضمان الذي أفاد العقد . كما لا يمنع من جواز هذا العقد أيضاً أن يكون عقد ضمان لمساعد يحدث وأن يكون مقدار التعويض الذي يرتفع به الضرر مجهولاً عند إنفاء العقد وذلك لما بيننا في الفقرتين الثانية والثالثة .

وهذا النظر من رجال القانون على ماله من

لقيامهم بهذا العمل لجبرته وأمانته وتفرغه فتقوم هذه الهيئة بكل ما يقتضيه تحقيق هدفهم هذا من أعمال كجميع الاشتراكات وتشير المال ومباشرة التعاقد مع من يريد الانضمام إليهم ودفع التويض لمن يصيبه الخطر منهم إلى غير ذلك ، وذلك نظراً لآجر يعطى لها .

أما التأمين الاشتراكي بواسطة الشركات فإنه يبدأ بوجوده وحياته بظهور جماعة يرغبون في هذا العمل — عمل التأمين — لها يرون من قدرتهم عليه ويسره عليهم ولما يأملون فيه من جراء مالي مرضى أو مطمح فينصبون أنفسهم له ويتفرغون لأعماله ويقومون بالدعاية اللازمة ويدعون الناس إلى التعاقد معهم بوصف أنهم حلاء ووسطاء يعرضون أنفسهم وخدماتهم على من يرغب في التأمين من خطر معين أو أخطار معينة فيجتمع عليهم العدد العديد يتعاقدون معهم على ذلك ليقيموا جميع الأعمال التي يتطلبها التأمين بناء على التزامهم بذلك نتيجة التعاقد معهم — وعلى ذلك تثبت لهم صفة النيابة عن المستأمنين أو الواسطة بحكم هذا التعاقد ورضه وما سن له من قوانين وبذلك يصبح مركزهم من المستأمنين مركزاً — النائب والوسيط كما هو الحال في الهيئة التي تقوم بذلك في التأمين التعاوني فلا يرى فارق بين الحالتين إلا في النشأة والوجود — وعلى ذلك يرى أن من له القيام بأعمال التأمين في الحالتين : حال التأمين التعاوني وحال التأمين الاشتراكي

سند واقعي ليس بالنظر المحيط العميق الذي يصيب وحدة الأساس في جميع أنواعه واحد سواء فيه التأمين الاجتماعي والتأمين الاشتراكي الذين تقوم بهما الحكومات والتأمين التعاوني والجماعي والتأمين بالتعاقد مع الشركات وهذا الأساس قيامه في جميع أنواعه على التعاون بين المستأمنين — فالتعاون الاجتماعي الذي تقوم به الحكومات يقوم على ما تجمعه الحكومة التي تقوم بذلك من المستأمنين من مال تستقطعه من مرتباتهم لديها أو من مرتباتهم لدى من يستخدمونهم من أرباب الأعمال مضافاً إلى ذلك ما يدفعه أرباب الأعمال وما تدفعه الحكومة موفرة لهم ومن المحصلة يدفع التعويض لمن يستحقه وهذا من غرض شك يحقق التعاون بين المستأمنين من المال وبين أرباب الأعمال والحكومة في تخفيف الضرر أو دفعه .

وكذلك يبدو واضحاً كما بينا فيما سبق قيام التأمين التعاوني على التعاون وليس يختلف عنه في ذلك التأمين الاشتراكي مع الشركات فهما في الحقيقة نوع واحد له أساس واحد هو التعاون بين المستأمنين ولا اختلاف بينهما إلا من حيث النشأة ذلك أن التأمين التعاوني يبدأ بوجوده وحياته باجتماع المستأمنين وانعقادهم فيما بينهم على القيام بالتعاون بينهم في دفع ما ينزل بأحدهم من ضرر بسبب حادث هم معرضون له جميعاً ثم يتلوه ذلك قياسهم بتأليف هيئة منهم أو بمن يرونه أهلاً

ذلك - وإذا كان هذا هو أساس التأمين فإن التعاقد الذي يقرم على هذا الأساس تعاقد لا يخرج عن أصول الدين ولا يتعارض معها ويجب لذلك أن يكون الحكم واحداً في جميع أنواعه وعلى ذلك تكون التفرقة في الحكم بين التأمين التعاوني وبين التأمين الاشتراكي مع الشركات التي ذهب إليها بعض الباحثين إذا أجازوا النوع الأول دون الثاني لأن أساسهما إذ أنهما في الوضع والتكييف والأساس سواء فكلهما يقرم على التعاقد والالتزام والأساس فيهما واحد كما بينا والتعويض فيهما إنما يدفع من أموال المستأمينين التي جمعت منهم لهذا الغرض وكلا العقدين في الحالين عقد جديد مستحدث دعت إليه الحاجة والمصلحة - والدافع للتعويض فيهما هي الهيئة التي تمثل المستأمينين في الحالين . أما أنه عقد جديد مستحدث فلما هو ثابت من أنه لم تكن له بداية وجود إلا في القرون الوسطى . وقد بينا فيما سبق أنه قد خلا من كل سبب يدعو إلى حظره وأن ما أثير حوله من شبهات ليس له واقع ولا أساس وأنه إذا لم تكن المصلحة داعية إليه فهو على الإباحة الأصلية يجوز للناس أن يقدموا عليه وأن يتجنبوه دون إثم ولا لوم ولكننا قد بينا فيما سبق ما للتأمين من فوائد ومزايا وما يترتب عليه من مصالح أدت إلى ذوجه وتنوعه وانقاره وتغلبه في نطاق التأمينات على اختلاف أنواعها وفي مجال التجارة على اتساعه وفي

مع الشركات في مراكو الوصي أو النائب فليس له ملك ما يجمع من الأموال ورفقته من الأقساط ملكا مطلقا يتصرف فيه تصرف المالك كما يشاء ولكنه يصد ملكا للمستأمينين كما كان قبل أخذه منهم غير أن ملكيتهم له أصبحت بهذا التعاقد ملكية مقيدة بمقتضى القوانين التي سنّت في هذا الشأن وكما يأخذ القائمون بالعمل أجورهم من حصيلة المال الذي تحت أيديهم في التأمين التعاوني كذلك يكون الفرق الناتج من موازنة ما يجمع من الأقساط وما يستحق من التعويضات بعد احتجاز ما يجب احتجازه للاحتياط أجراً وربحاً للتأمين بالعمل ومن إليهم من أعضاء الشركة نظير العمل في رأس مالهم الذي أسهموا فيه ابتداء عند تكوين الشركة ليسكون دماثة لا يتجاوز ما قيامها وعملها وهذا الربح أيضاً مقيد بمقتضى القوانين حتى يكون لخصية الاحتياط ما يقربها ويدعمها .

من ذلك يبين أن الوضع في الحالين واحد وأن كلا منهما قائم على التعاون بين المستأمينين والتضامن بينهم جميعاً في دفع ما يصيب أحدهم من ضرر إصابة لحظي معين نزل به وذلك بواسطة ما يجمع منهم من مال يقوم على جمعه واستغلاله وحفظه على هيئة تنوب عنهم في الحالين . وليس يختلف في الحالين وضعها ولا حقوقها ولا ولايتها - ومن هذا يظهر أن أساس التأمين واحد في جميع أنواعه لا يختلف نوع منه عن نوع آخر في

فهو منتشر فيها كله ذائع في جميع مجالاتها الاقتصادية وإذا لم يكن هذا الانتشار عتقا للعرف العام فبم يتحقق إذن هذا العرف ؟ وليس يقدح في ذلك أن عدد المستأمنين بالنسبة إلى غيرهم قليل وأن من الناس من يشكركه إذ لا يشترط في أن يصهر الشيء عرفا عاما أن يباشره كل فرد من أفراد الأمة ولا أن يعمل به أكثرها من ناحية العدد ولا ألا يكون عليه إنكار فالعرف هو الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية (١) ويصهر عاما إذا ما تعارف عليه الناس في جميع الأمصار لجسروا عليه في معاملاتهم أو في حياتهم وتصرفاتهم كمقد الاستصناع وذلك متحقق في التأمين بل إن اشتراك عقد التأمين وشيوعه أشد وأعم من انتشار عقد الاستصناع وشيوعه ولم يقدح في أن يكون عقد الاستصناع عرفا عاما أن الشافعية ومن ذهب مذهبهم يشكرونه وليس يباشر الاستصناع كل فرد ولم يعمل إحصاء لمن يباشر الاستصناع ومن لم يباشره .

ومع ذلك فليس الإنكار هل التأمين إلا تأييدا على شبهات لا واقع لها ولو علم المنكرون أساسه ما أنكروا عليه ، وم عدد قليل من عنوا بالبحث فأخطأوا النظر فكان من ذلك إنكار .

ولما تقدم بيانه ولما هو واضح من أنه يؤدي إلى مصالح اجتماعية وفردية لها قيمتها

معظم وجوه التقاط الاقتصادي وإلى نهاية الحكومات بأمره تشريعا ومراقبة وتنظيما وإلى قيامها به مراعاة لمصلحة عمالها وموظفيها ثم إلى فرضه في نواح عديدة بما شرعته الحكومة من القوانين وهذا على امتداد انتشاره إلى ما يمسبب الإنسان من مرض أو عجز أو شيخوخة ثم إلى ما بعد حياته بالنسبة إلى ما قد تعرض له ورثته بسبب وفاته من حاجة أو قلة .

إن كل هذا مما يقطع بأنه مفيد وما يترتب عليه من مصالح أحلته في المجتمع الإنساني علا له خطره وألزته مكاة لها إشعاعها وممرها بسبب ما ظم بأمواله من منقذات ومصانع ومؤسسات كان لها أعظم الأثر في الثروة القومية والجمال الاقتصادي . وهي مع ذلك مصالح تحقق حكمة الشارع في كثير مما شرعه من الأحكام فهي تحقق التعاون في البر وقد أمر به في قوله : « وتعاونوا على البر والتقوى » والحفد وقد أمر به في كنه من المواطن منها قوله تعالى في بعضها : « وخذوا حذركم » ، والوقاية من المكروه والضرر وقد نفي ذلك الفاعل إذا قال : (لا ضرر ولا ضرار) إلى غير ذلك مما يدل على أن الفاعل الحكيم لم يهدف في تشريعه إلى العقود والاستقلال وعدم النظر إلى المواقب وترك الحيلة والحذر ، إن وصول التأمين إلى هذا المستوى من الانتشار والامية يدل على أنه قد صار عرفا عاما معروفا في جميع البلاد الإسلامية شرقية وغربية

(١) شرح القنبر ١ : ٢٨٢ .

على التأمين بناء على ما يصاحبه من شروط أو رغبة في الادعاء لم ينكر على التأمين نفسه وإنما أنكر شيئاً آخر .

الرأى في التأمين من الناحية الشرعية .

إن ما قدمناه من الأسباب يستوجب أن يكون حكم التأمين شرعاً هو الجواز وهي أسباب يجعلها فيما يأتى :

أولاً : أنه عقد جديد مستحدث لم يتناوله نص خاص ولم يشمل نص عام والاصل في ذلك الجواز والإباحة .

ثانياً : أنه عقد يؤدي إلى مصالح بينها وبينها ودونها ولم يكن من ورائه ضرر وإذا ثبتت المصلحة فثم حكم الله

ثالثاً : أنه أصبح عرفاً عاماً دعت إليه مصلحة عامة ومصالح شخصية والعرف من الأدلة الشرعية .

رابعاً : أن الحاجة تدعو إليه وهي حاجة تقارب الضرورة ومنها لا يكون للاشتباه موضع إذا فرض وكان فيه شبهة .

خامساً : أن فيه التزاماً أقوى من التزام الوعد وقد ذهب المالكية إلى وجوب الوفاء به قضاء .

هذا ما أدى به النظر فإن أصبت فإن الله وإن أخطأت فنى وما توفيقى إلا بالله . . .

على التخصيص

نفت نظر : طلب أحد كبار العلماء إلى المجلة أن تذكر القراء بأن هذا البحث لم يصدر بجمع البحوث قراراً فيه وقد سبق أن بينت المجلة السبب في نشره .

ووزنها فإنى أرى أن جوازه شرعاً لا ينبغي أن يكون محل خلاف . وفيما ذهب إليه بعض المالكية من وجوب الوفاء بالوعد قضاء مسوخ قوى صالح لأن يكون الرأى في التأمين هو الجواز والإلزام سواء نظرنا إلى رأى من ذهب إلى وجوبه مطلقاً أم إلى رأى من ذهب إلى وجوبه إذا كان على سبب التأمين لا يقل منزلة عن وعد أقيم على سبب إذ أنه يتضمن الإلزام يدفع التعويض عند زوال الضرر بالمستأمن وإذا كان الوعد واجب الوفاء قضاء فأولى أن يجب الوفاء بالالتزام بالتعويض في التأمين .

• — من النقطة الخامسة بما يصاحب

عملية التأمين :

أما ما يصاحب عملية التأمين من شروط أو رغبة في الادعاء فليس يحسم ذلك الحكم في عملية التأمين ذاتها لأن ذلك أمر خارج عنها ومن اليسير على المستأمن أن يجعل عقده خالياً من كل ذلك فلا يطلب ادعاءاً ولا يقبل شرطاً يجعل حراماً أو يحرم حلالاً إذا ما هذا ذلك من الشروط جائز أما ما قيل من أن شركات التأمين تستثمر أموالها في أعمال ربوية فإن المستأمن يستطيع كما قدمنا أن يبرأ منه بأن يشترط عليها ألا تستثمر ماله في عمل ربوى وبذلك يرى أن من أقام إنكاره

ما يقال عن الإسلام

الأخلاق الإسلامية

الأستاذ الدكتور محمد فوزي الإبراهيمي

الذي يجب عليهم أن يسبروا فيه ليعلموا إلى صلاح معاشهم ، أو بلغة القرآن ليهديهم إلى الصراط المستقيم . ولذلك سمي القرآن الهدى ، ومن سلك سبيل القرآن اهتدى .

غير أن القرآن ليس كتاباً مؤلفاً على أبواب وفصول كما هي الحال في الكتب التي يؤلفها البشر ، أو في كتب الأخلاق المتداولة . إنه كتاب سماوي ، نزل على محمد عليه السلام منجماً في عشرين عاماً بحسب المناسبات ، فيه الترهيب والترغيب ، والأمر والنهي ، والإقرار بالوحدانية ، ومجادة الكفار ، وحرب الأمثال بالأمم التي بدت حين كفر أهلها بأنعم الله ، وفيه بيان العبادات الأساسية كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وما لهذه العبادات من أثر في التقرب من الله ، والاتصال به ، ومعرفة ، وخشيته ، وفيه إلى جانب ذلك تشريعات خاصة بالمعاملات والتحكيم وعقاب السرقة والقتل وغير ذلك ، ثم فيه أيضاً قواعد السلوك التي تسمى بالأخلاق . إن الذي يقتضيه الآيات الواردة في القرآن من الأخلاق يرى أنها نحت على الإبهام ،

الأخلاق الإسلامية موضوع من أم الموضوعات وأعظمها خطراً ، لأن الأخلاق في الأمم هي الأساس المتين الذي تقوم عليه وروح الله الشاعر حين قال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

وقد ظهر الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، ولا تزال الدول الإسلامية باقية حتى اليوم ، وذلك بفضل ما يسودها من أخلاق إسلامية مشينة .

وعلى الرغم من أهمية الأخلاق ، ومن أن مفكرى الإسلام كتبوا في كل ما ينظر على الباطل من موضوعات ، إلا أن كتب الأخلاق قليلة جداً ، وما نجد في بطون الكتب المطولة من فصول تتصل بالأخلاق قليل أيضاً . وهذه تلك أن كتاب المسلمين الذي يرجعون إليه في أمور دينهم ، وهو القرآن الكريم ، هو كتاب دين كما أنه كتاب دنيا كذلك ، إنه كتاب أخلاق ، إنه هدى للتقوى .

والأخلاق هي السلوك الصالح الذي يجب على المرء أن يضبطه ليصلح من أمره في نفسه ، كما يصلح أمر المجتمع الذي يعيش فيه . وقد نزل القرآن ليبين للناس الطريق الصحيح

(دونالدسون) صاحب كتاب «دراسات في الأخلاق الإسلامية» طبع في طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ ، وأعيد طبعه سنة ١٩٦٣ ، والأستاذ (دونالدسون) معروف لقراء العربية من كتابه عن «عقيدة الشيعة» الذي نقل إلى اللغة العربية وقد يكون كتابه عن الشيعة ، وبخاصة الإسماعيلية ، جيداً في بابه ، لأن هذه الفرقة صاحبة عقيدة سرية ، ولها كتب خاصة بها ، وكل ما كان باطنياً سرياً فلا يقبل المناقشة الصريحة المعقولة .

أما الأخلاق الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة بوجه عام ، ونهى أمر واضح مكشوف لا سري ، وهي أخلاق تم كافة المسلمين في الشرق والغرب على السواء ما داموا متبعين لكتاب الله وسنة رسوله . جرى المؤلف على سنة غيره من المستشرقين الذين أوجعوا الفضائل الإسلامية إلى ما كان موجوداً عند العرب في الجاهلية من الكرم وحفظ الجار والحلم ، وغير ذلك ، والواقع أن الطبيعة البشرية مزيج من الفضائل ومن الرذائل ، وهذه الحصال موجودة في كل زمان ومكان لأنها مستمدة من طبيعة الإنسان نفسه وما فعله القرآن هو أنه امتدح الفضائل التي بها تزكو النفس وتقرب من الخير وتصلح المجتمع ، وذم الرذائل المفضية إلى هدم الأمة وضياعها وذلك في ضوء المبدأين المذكورين من قبل وهما : الإيثار والتقوى .

لا على الأثرة ، إنها في مجملها أخلاق اجتماعية ، لا أخلاق فردية . وليس معنى ذلك أن القرآن ينظر إلى المجتمع ويلقي الفرد ، ولكنه ينظر إلى الفرد في ضوء مصلحة المجتمع ، وإذا تضارب المصلحتان فلا يجب أن يؤثر الفرد مصلحة المجتمع ، وأن يضحي بنفسه في سبيله . والمبدأ الثاني الذي يستخلص من القرآن أن الأخلاق الإسلامية هي أخلاق تقوى ، بكل ما تحمل التقوى من معان سلبية وإيجابية أي تجنب الحرام ، والإقبال على الحلال ، والحرام والحلال - في الأخلاق - ليس الحرام والحلال المنصوص عليهما في التشريع والفقه ، وما رتب عليهما من جزاء كالسرقة التي يعاقب مرتكبها بقطع يده أو دفع الزكاة التي يثاب عليها صاحبها وإنما الذي يدخل في لبيل الأخلاق هي تلك الأفعال التي يقوم بعملها المسلم بحسن وضمير ، وبدافع من «التقوى» ولذلك قال الشاعر :

تقوى الإله مدار كل فضيلة

الإيثار والتقوى هاتان الأخلاق الإسلامية وسداها .

وهذا شيء لم يفتن إليه المستشرقون الذين ألفوا في الأخلاق الإسلامية ووازنوا بينها وبين الأخلاق اليونانية أو الأخلاق المسيحية . وكلاهما يختلفان اختلافاً أساسياً عن الأخلاق الإسلامية ولهذا لم يوفق معظم هؤلاء الكتاب ، ومنهم الأستاذ

أما أن نمحداً عليه الصلاة والسلام قد أخذ هذه التعاليم من المسيحية، وسميها كما يقال من (فلسفة ابن ساعدة) وغيره، فارد على ذلك يخرجنا عن موضوعنا، أما الذي نأخذه على المؤلف فهو أن الأمور الثلاثة التي ذكرها أدخل في باب أصول الدين منها في باب الأخلاق، وهذا الخطأ بين أصول الدين والفقه والعبادات والأخلاق يسود الفصل الذي عقده المؤلف عن أخلاق القرآن.

ومن قليل الاستطراد والإطناب الفصل الثالث الذي عقده عن أخلاق السنة والذي اضطررنا أن يشرح: ما الحديث؟ وما السنة؟ وما الحيرة؟ وأن يذكر أبواب كتب الحديث حتى يصل إلى ما يتصل بالأخلاق وهو باب الآداب، وكان الأجود أن يحدتنا المؤلف عن أخلاق النبي، باعتبار أن سلوكه قدوة يحتذى المسلمون، وباعتبار أن القواعد النظرية التي وردت في القرآن، حقتها النبي في هيئة أفعال، وهذا الفصل يبلغ الكتاب الثلث ويبقى ثلثان للأخلاق الفلسفية وغيرها، ولست أدري هل تعد الأخلاق الفلسفية، أي المستمدة من الفلسفة اليونانية من جملة الأخلاق الإسلامية أم لا، وقد ظهر في تاريخ الحضارة الإسلامية كتب تبحث في الأخلاق على الطريقة اليونانية ولكنها لم تؤثر في حياة المسلمين، إذ حجبها كتاب الله، ولم تستطع أن تبلغ إلى مقامه، ونحن نقى بوجه خاص

وتعد خطأ المؤلف بين أصول الدين والفقه وبين أصول الأخلاق حين تحدث في الفصل الثاني عن الأخلاق في القرآن، مثال ذلك أنه يذكر الآيات الخاصة بمسئولية حاملية القيمة والمضاهة، أي إرضاع الأم وليدها خمسة عشر شهراً وإجراءات الطلاق، والميراث وغير ذلك مما يعد من جملة التنظيم الفقهي لا الأخلاقي.

والعجب أن المؤلف قسم الأخلاق الإسلامية المستمدة من القرآن إلى أخلاق أخذ الرسول عليها في مكة، وأخرى في المدينة وهذه قصة لا محل لها؛ لأن القرآن كتاب واحد، وتعاليمه واحدة، ولا يفيد هذا التبعيض التاريخي في شيء، ما دام الباحث يرغب في معرفة الأخلاق الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان. ثم خرج المؤلف عما قصد إليه ليحدثنا في صفحة ٢١: «أن الأستاذ (تور أندريه) وغيره قد اعتبروا أن عمدا لا بد قد سمع التعاليم المسيحية، إذ يلاحظ غالباً في الوحي الذي هبط على محمد أسلوباً بلاعياً يفرد على وجه التقريب الأمور الآتية:

- (١) وصفا لأهم الله المتجلية في عنايته وبخاصة خلق الإنسان، وإزالة المطر الذي ينبت الزرع الذي يأكله الإنسان.
- (٢) واجب الإنسان بناء على ذلك أن يعبد الله وحده بالإيمان والعمل الصالح.
- (٣) الجواز الذي يصيب كل من يتخلى عن أداء واجبه،

للأخلاق الإسلامية ، ذلك أن الإسلام لم يته
عن الدنيا ، ولم يطالب الناس بالابتعاد عنها
والوحد فيها ، ولم يحرم زينة الله . ولذلك كان
ينبغي أن يضيف المؤلف الفزالي الذي بحث
في الفصل السادس إلى أخلاق الزهاد
في الفصل الثامن .

والفصل السابع خصص للوفين الإيرانيين ،
وبوجه خاص (ناصر خسرو) و (نضر الدين
الرازي) و (نصير الدين الطوسي) وقد كتب
الطوسي بالفارسية « أخلاق نصيري » واهتم
المؤلف به خاصة لأنه شيعي متصب ،
احتضنه الإسماعيلي (نصير الدين) الذي تضمن
في قلعة (مرتفعة) وكان نصير الدين من طائفة
الحشاشين الإسماعيلية ، وباسم كتب الطوسي
« أخلاق نصيري » على الطريقة اليونانية .
وهو يبدأ الكتاب بالتفرقة بين الإنسان
والحيوان ، وبوجوب القساى عن سلوك
البهائم ، والمذاذ البدنية من طعام وشراب
وملبس ونساء .

صفوة القول : بعد الكتاب نافعاً إلى حد
ما بما يكف عن آراء دخيلة على الإسلام ،
بجملها معظم أهل السنة ، ولكنه لم يأت
بجديد فيها يختص بالأخلاق الإسلامية الخاصة
المستمدة من القرآن والسنة ، والتي يعرفها
المسلمون في المشرق من كتاب الله وسنة نبيه
مباشرة ، ومن ممارستهم للعبادات فعلاً

أحمد فؤاد الأهواني

كتاب (ابن مسكويه) المسمى « تهذيب
الأخلاق » فإنه يناقش الأخلاق الموروثة عن
اليونانيين عن أفلاطون وعن أرسطو بخاصة ،
ومن مدونة الإسكندرية ، ولما كان الأساس
الذي تستمد عليه الأخلاق الأفلاطونية أو
(النيقوماجية) مختلفاً عن أساس الأخلاق
الإسلامية ، فلا جرم لا يحس المسلم وهو يقرأ
كتاب (ابن مسكويه) بأثر في نفسه ، وظل
الكتاب بعيداً عن الشعبية ، ولم نعرفه
إلا طائفة قليلة من المثقفين الذين كانوا
يقروونه للذة العقلية فقط . ومن الطبيعي أن
يحتل بهذا الكتاب جماعة المستشرقين ،
ولذلك فقد له المؤلف فصلاً على حدة ، كما
نقل بعض أجزاءه إلى اللغة الإنجليزية ، وهو
الفصل الذي يتحدث فيه عن السعادة . وقد
قلنا من قبل إن الأخلاق الإسلامية ليست
أخلاق سعادة ، وهي بقية اليونانيين .
ولكنها أخلاق تقوى ، لأنها أخلاق دينية .
ولم ينب عن بل المؤلف أن يعتقد فصلاً
الفزالي ، ولكن الفزالي كتب نوعين من
الأخلاق ، أحدهما على الطريقة اليونانية
في (ميزان العمل) ، والآخر على الطريقة
الإسلامية في (الإحياء) ولم يفتن المؤلف إلى
هذه التفرقة ، كما لم يفتن إلى أن أخلاق الإحياء
تنحو نحو الزهد والتصوف ، وهو الطريق
الذي اختاره الفزالي في آخر حياته ، وهذا
النوع من الأخلاق لا يمثل الاتجاه العلم

الكتاب

للأستاذ : محسن عبدالحسن

تأملات في المجتمع العربي

تأليف مالك بن نبي

عندما قامت الحضارة العربية الإسلامية على مدى فترة زمنية طويلة أربعة عشر قرناً من الزمان، تصنع الحياة على مدى القيم التي غرسها الإسلام في نفس الإنسان المسلم - كانت تضع هذا الإنسان في مكانه الملائم الصحيح من حركة مجتمعه الذي يدافع ويصاحد ويحمي ويموت من أجله ... كان الإنسان المسلم هو محور الحركة المستمرة لحضارته الخالدة. ولقد أعطى الإسلام للإنسان مبررات وجوده في عالمه الرحيب، فأعطى الإنسان للإسلام مادة حضارته، من عمله وجهده وطموحه ونبروته في شتى الميادين العلمية والعمرانية، وعندما تفتحت الدولة الإسلامية ومصرى الوطن في جسد حضارتها كان السبب في ذلك هو فقدان هذه الحضارة لمؤثراتها وقايلتها في ضمير الإنسان المسلم.

وعندما وقف الإنسان المسلم وحيداً يحيط من داخله قانداً لمبررات وجوده، أصبح لديه قابلية لا حدود لها ليستعيد ويستثمر ويستدل، ومن ثم أسلم قيادة نفسه

لغيره وتخلي عن حضارته يوم تخلى هو عن ضميره الواعي وشخصيته الفعالة - تخلى لإنسان جديد هو المستثمر والحضارة الجديدة هي الحضارة الاستيعابية بوسائلها الرهيبة. ولم يقف عند هذا الحد بل ترك لهذا الاستثمار والحضارة الدخيلة أن تصوغ له أسلوب حياته وطريقة تفكيره ... بل ولتدخل في شئون دينه، من حيث استعمالها لقيم هذا الدين الذي زيفته في كثير من الأحيان لقرض مزيد من القيود على حريته وحركته في حياته من طريق استخدامها لأدعياء الدين والمجاهلين به كعملاء ماجورين لها. كان ولا يزال الإنسان المسلم هو ضحية هذا التواطؤ العدواني بين هؤلاء وهؤلاء.

ولقد اهتم الفيلسوف الجزائري المسلم مالك ابن نبي بمشكلة هذا الإنسان ومشكلة حضارته الإسلامية ... فكانت سلسلة كتبه رائدة التي أصدرها تحت عنوان (مشكلات الحضارة) والتي بلغت تسعة كتب تشكل في مجموعها دراسة فريدة ورائدة في هذا المجال الحيوي. الذي اتخذ فيه الموقف من الإنسان المسلم مادة دراساته العميقة الواحية.

فبعد أن قدم لنا كتابه الأول - شروط النهضة - جاء كتابه الثاني « فكترة الإفريقية الآسيوية » الذي طالع فيه مشكلة الإنسان الإفريقي وموقفه من عالم اليوم من حيث مواجهته لقوى الإنسان الأوروبي وحضارته الاستعمارية إذ يقول في صفحة ٢٢ من هذا الكتاب : « لقد سيطرت على الحياة الدولية بكل أسف » إرادة القوة » التي لا تفارق حضارة القرن العشرين ، فهي قانون النفسية الغربية ، قانون يسجل التأخير الخلق لإسان الغرب ، حتى كأنه يعيش في القرن التاسع عشر . وأحياناً يبدو وكأنه يجر خطاه في القرون الوسطى عندما يستمد غذاءه الروحي من تادريج عمار التفتيش ومن سيرة فرسان الاستعمار . »

وبعد دراسة موضوعية القيم المختلفة التي تحكم عالم اليوم يقول لنا مالك بن نبي في نفس الكتاب صفحة ٢٦٧ : « وما لاجدال فيه أن الإسلام قد احتفظ بمعناه الذي صيغ به الحضارة الإسلامية كسيرة فريدة في التاريخ ، ولكن المسلم هو الذي فقد استخدامه الاجتماعي ، ومع هذا فقد احتفظ بالجوهر ، أي بهذا المعنى الروحي الضروري لحل مشكلة الفقر في العالم الراهن حيث لا يمكن أن تحمل الأزمات بوسائل القوة ، فالعالم يجب أن يتخذ من أخطار القوة ، وليسكي يتم إقناعه منها فن الواجب أن يحتفظ بحيله بحيث لا يغوص في أوسال السيطرة مرة أخرى . »

ومما نجد أن استفاد هو الإسلام ، وممكننا يستمر مالك بن نبي في كتابه الثاني في شرح وتحليل القيم الإسلامية على المستوى الآسيوي الإفريقي شارباً خلاصتها موقف الإنسان المسلم في عالم اليوم ، ثم يأتي بعد ذلك كتابه الثالث من « الظاهرة القرآنية » ليشرح لنا فيه جزءاً هاماً من موضوع مشكلات الحضارة على أساس مبادئ القرآن الكريم ، وفي كتابه الرابع « وجهة العالم الإسلامي » يستمر في نفس القضية وأسلوب معالجتها . . وقد ركز في كتابه الرابع على توضيح وجهة نظره فيما يقصده بالإسلام والعالم الإسلامي ، والمسلمين مهاجماً فيه أولئك الذين يرتزقون باسم الإسلام بعمالتهم لقوى الاستعمارية فيقول :

في صفحة ١٢١ كان لدينا في الجزائر بعض المناظر المضحكة المبكية ، فكنت ترى بعض دعاة التصوف المسمين (بالمرابطين) يذهبون الناس إلى الرجوع إلى الإسلام وهم يتلذذون بكأس خمر معتقة ، ويركبون السيارات الفاخرة التي منتهالهم إدارة الشؤون الإسلامية ، وفي صفحة ١٢٣ يقول : « وبمثل هذا تختار الإدارة الاستعمارية شخراً مطعونين في خلفهم لكي يمثلوا الشعب المسلم . »

ثم يتحدث في نفس الكتاب عن الأوضاع المادية والروحية للعالم الإسلامي فيقول في صفحة ١٨٩ : « وما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الحكم والمكيف

فبعد أن قدم لنا كتابه الأول - شروط النهضة - جاء كتابه الثاني « فكترة الإفريقية الآسيوية » الذي طالع فيه مشكلة الإنسان الإفريقي وموقفه من عالم اليوم من حيث مواجهته لقوى الإنسان الأوروبي وحضارته الاستعمارية إذ يقول في صفحة ٢٢ من هذا الكتاب : « لقد سيطرت على الحياة الدولية بكل أسف » إرادة القوة » التي لا تفارق حضارة القرن العشرين ، فهي قانون النفسية الغربية ، قانون يسجل التأخير الخلق لإسان الغرب ، حتى كأنه يعيش في القرن التاسع عشر . وأحياناً يبدو وكأنه يجر خطاه في القرون الوسطى عندما يستمد غذاءه الروحي من تادريج عمار التفتيش ومن سيرة فرسان الاستعمار . »

وبعد دراسة موضوعية القيم المختلفة التي تحكم عالم اليوم يقول لنا مالك بن نبي في نفس الكتاب صفحة ٢٦٧ : « وما لاجدال فيه أن الإسلام قد احتفظ بمعناه الذي صيغ به الحضارة الإسلامية كسيرة فريدة في التاريخ ، ولكن المسلم هو الذي فقد استخدامه الاجتماعي ، ومع هذا فقد احتفظ بالجوهر ، أي بهذا المعنى الروحي الضروري لحل مشكلة الفقر في العالم الراهن حيث لا يمكن أن تحمل الأزمات بوسائل القوة ، فالعالم يجب أن يتخذ من أخطار القوة ، وليسكي يتم إقناعه منها فن الواجب أن يحتفظ بحيله بحيث لا يغوص في أوسال السيطرة مرة أخرى . »

كتب «مشكلات الحضارة» وفي تأملات مالك بن نبي في المجتمع العربي نراه ينظر إليه من وجهة نظر فلسفته الحضارية الإسلامية ذات الخصائص المتميزة ، قضيه هذا أيضا هي الإنسان ومفاهيمه ووضع الاجتماع وهو يفرق دائما بين عالم الأشخاص وعالم الأشياء ، ويرفض أن يتحول الإنسان من عالم الأشخاص إلى عالم الأشياء فالإنسان هو الإنسان والآلة هي الآلة ولا يمكن أن يكونا شيئا واحدا .

ويعقد المؤلف فصلا كاملا عن الحقوق والواجبات . فيقول في صفحة ٣١ : « إن الباب الثاني الذي ينبغي أن نعود منه الحضارة بعد التخلص من قسوة السبل والمستحيل ، هو باب الواجب ، وأن نركز منطقيا الاجتماعى والسياسى والثانى على القيام بالواجب أكثر من تركيزنا على الرغبة في نيل الحقوق لأن كل فرد بطبيعته تواق إلى نيل الحقوق ولديه تقوى من القيام بالواجب . والمجتمع الذى يرتفع وينمو هو ذلك المجتمع الذى لديه رصيد من الواجب يفيض دائما على الحقوق ، . والإنتاج الاجتماعى يرتقى بقدر ما يكون النشاط الفردى موجهاً لخدمة حاجات غير فردية ، أى عندما يكون موجهاً من أجل مصلحة عامة . ويحتاج النشاط الفردى باستمرار إلى نوع من الفعالية النفسية في إطار الواقع الاجتماعى ، فنكل

بين الروح والمادة ، بين النية والسبب ، فهما اختل هذا التبادل في جانب أو في آخر كانت السقطة رهيبية .

« والحضارة الإسلامية قد فقدت تماسكها يوم فاتها أن ترمي سلامة هذه العلاقة بين العلم والضمير ، بين العناصر المادية والوجود الروحى ، ففرقت في هاوية الصوفية الخالصة وفي الفوضى التى سببت سقوطها ، وما نحن اليوم نشهد نهضة أخرى تقضى إلى احتلال آخر للحضارة الغربية التى فقدت معنى الروح تجدد نفسها بدورها على حافة الهاوية » ثم يقول في صفحة ١٩٠ . « فهذه العالم الإسلامى إذن ليست في الفصل بين القيم ، وإنما هي في أن يجمع بين العلم والضمير ، بين الخلق والفن ، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة حتى يتسنى له أن يشيد عالمه طبقاً لقانون أسبابه ووسائله أى طبقاً لمقتضيات غايته ، وهكذا يستمر فكر مالك بن نبي المستنير في معالجة مشكلة الحضارة الإسلامية ومشكلة الإنسان المسلم فيصدر بعد ذلك كتابه الخامس ، « مشكلة الثقافة » ثم كتابه السادس الصراع الفكرى في البلاد المستعمرة ثم كتابه السابع فكرة كومنولث إسلامى ، ثم كتابه الثامن « حديث في البناء الجديد » إلى أن يأتي كتابه التاسع « تأملات في المجتمع العربى » الذى نحن بصدد اليوم وهو امتداد لنفس الأفكار السابقة وفي نطاق سلسلة واحدة هي سلسلة

فأنى لمحمد صلى الله عليه وسلم وتطالب بإقامة حد الزنا عليها رغم الحفاء الذى أحاط بعملها فأنى توترها إلا أن يلج فى المطالبة بالحد بإصرار عجيب فصدما لى لأنها كانت حاملا وقال لها حتى تضنى حملك ، ولما وضعت عادت إليه مطالبة بإقامة الحد لأنصال اليفظة فى الضمير والتوتر فى القلب بسمق أصيل ، حتى أقیم عليها الحد . وكان هذا التوتر مظهراً من مظاهر الحياة الناشئة مع الإسلام تشاهد أثره فى سلوك الحاكم حين طالب الشعب بأن يقوم اهوجاجه ويسدل انحرافه ، وفى ذلك اعتراف ضمني بإمكان صدور الاهوجاج عنه كما فاعده فى شئون الرعية فى شخص ذلك الأحرار البسيط الذى يرد على سيدنا عمر بقوله : لو شاهدنا فيك اهوجاجا لقومناه بصيوفنا . والحفاء التى ظلت فى الجاهلية تسكب عبراتها على أخوها (صخر) سنين طويلة أصبحت فى صورة جديدة فريدة تحمد الله على أن شرفها باستشهاد أبنائها الأربعة فى سبيل الدعوة ، وهذا يعنى انتقال مجتمع يأكله من حالة (فتور إلى حالة توتر) وحركة وهذه الحركة حركة رنى فى جميع الاتجاهات ، فظاهرة البطولات كانت فى الجاهلية تهدف إلى الغزو والغفر ، أى تدور حول محور (أنا) فبدت فى صورة جديدة هى الاستشهاد فى سبيل مثل عليا لأن الإسلام رفع المصلحة أو مبررات النشاط إلى أعلى مستوى ، لجعلها

طاقة اجتماعية تصدح حتما من دوافع القلب ومن مبررات وتوجهات العقل ومن حركات الاضمنا ، وكل نشاط اجتماعى مركب من هذه العناصر . والفاعلية تكون أقوى فى الوسط الذى ينتج أقوى الدوافع وأقوم التوجهات وأنشط الحركات .

وعندما ننظر إلى أن اليد والقلب والعقل هى أساس الفعالية يجب أن نحدد معنى هذا بالفسة إلى مجتمعات متخلفة . وهنا يمكن لنا أن نقف على عنصر جديد وعلى مصطلح تسمى عليه ، وهو أن ترد المبررات والدوافع والأصباب القريبة والبعيدة التى تدفع إلى خلق نشاط فعال إلى حالة خاصة هى التوتر .

فالتجمع العربى قبل العهد القرآنى يختلف اختلافا كبيرا عنه بعد العهد القرآنى ، فإذا بحثنا عن إنتاجه قبل ذلك مثلا فى الفترة التى تقدر بأربعة آلاف عام من عهد إسماعيل إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم نجد ينحصر فى عشر معلفات وهذا معناه أن الطاقات الاجتماعية ، طاقات القلب والعقل واليد فى حالة غير حالة التوتر الاجتماعى الذى يدفع إلى الإنتاج بقوة وحرارة ، ولكن الإسلام استطاع أن يخلق حضارة خلال نصف قرن ، ومعنى ذلك أن الإسلام أتى بالمبررات الدافعة ليد والعقل والقلب لى تحقق مساندة حضارة ذات إشباع . ومن مظاهر التوتر فى هذا المجتمع الجديد تلك المرأة ذات الحضور الملى توتراً حينما

رسول الله صلى الله عليه وسلم
 العلامة المحقق المفضول له أحمد تيمور وباشاء
 قدم له العلامة المهندس أحمد عبده الشرباصي
 (الطبعة الثانية)

الكتاب كما يقول السيد / المهندس أحمد
 عبده الشرباصي في تقديمه ، كتاب عن سيرة
 النبي - صلى الله عليه وسلم - نموذج لتأليف
 (أحمد تيمور) ويمتاز بأسرٍ :

أولها : وجالاته التي تتيح للقارئ أن
 يستخلص فكرة عامة عن حياة الرسول
 في وقت قصير مع الإحاطة بأهم أحداث السيرة .
 والآخر : خلوه من الجازيات والمرويات
 الضعيفة التي كثيراً ما يتعلق بها بعض الكتّاب
 في السيرة النبوية .

ويحتوي الكتاب على فصول في أنساب
 العرب وطبقاتهم ، وممالك العرب قبل
 الإسلام ، وأخلاق العرب وعاداتهم ، ونسب
 النبي صلى الله عليه وسلم وأدوار حياته ، من
 ولادته إلى النبوة ، ومن النبوة إلى الهجرة ،
 ومن الهجرة إلى الوفاة ، هذا بالإضافة إلى
 فصول أخرى عن الغزوات وهدنها وبجملها ،
 وقبح مكة المكرمة ، وحجة الوداع ووصف
 النبي لأصحابه وغيرها من الدراسات القيمة ،
 ووقع الكتاب في ١٩٨ صفحة من القطع
 الكبير ونشرته لجنة نشر المؤلفات التيمورية ؟

نحسب أن هذا

في عالم الآخرين ، فالبطولة في الجاهلية تهدف
 إلى إظهار شأنا (أنا) ولكن الإسلام
 يحول محور البطولة لكي يحدد مبرراتها في عالم
 الآخرين ، أي أصبحت تعبر عن اهتمام أسى
 يرتبط بمسيرة ال (نحن) أكثر منه بال (أنا)
 ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ،
 ويصير ذلك تغييراً كاملاً لمجريات البطولة .

وهكذا يستمر الكتاب في دراسة آثار
 التغيرات الاجتماعية كنتيجة حتمية لاقتناع
 الإنسان بالمجريات الحيوية التي تعطي معنى
 وجوده - تلك المجريات التي تحصل أكثر
 فاعلية وأكثر تقدماً وادباً بطاً بمشاكل
 عصره ومشاكل وجوده ... ولعل أدوم
 ما استطاع مالك بن نبي أن يقدمه لنا في هذه
 السلسلة الفريدة من الدراسات هو إدجاءه
 أسباب تخلفنا إلى فقداننا لمبررات وجودنا عند
 ما انفصلنا عن المبادئ الأساسية التي شرعها
 لنا ديننا الإسلامي الحنيف ... والإسلام
 الذي نقصده هنا هو الإسلام كما يراه مالك
 ابن نبي وكما نراه منه قوة دافعة إلى حياة
 قاضية عادلة يحس فيها الإنسان بأهميته وينفسه
 وسط مجتمعه الذي يراه ، وليس الإسلام
 الذي حرقه أولئك الذين لا ينتظرون إليه
 إلا من زاوية مصالحهم الخاصة ومصالح
 أسياهم المستعمرين .

أولئك الذين قال عنهم مالك بن نبي - يدهون
 الناس إلى العودة إلى الإسلام وهم يتلذذون
 بكأس خمر معتقة ويكبون السيارات الفاخرة .

انبثاء وآراء

الفصحى والعامية في رأى مستشرق فرنسى

ب دعوة من جامعة الأزهر ألقى المستشرق
الفرنسى ريجيس بلاشير Regis Blachere
محاضرة بقاعة عباس محمود العقاد بكلية اللغة
العربية في ١٩٦٦/٣/٥ تناول فيها بلغة عربية
فصحى تاريخ دراسة العربية في فرنسا ابتداء
من مطالع هذا القرن ، وأشاد - في كلمته -
بالحاجم العربية وطريقتها المنطقية ، - على
حد قوله - في ربط المعاني بعضها ببعض ،
وأشار - في تلك الكلمة - إلى ميزة اللغة العربية
في احتفاظها بطبيعتها مدى هذه القرون ، وتلك
ميزة - كما قال - لا تتوفر لكثير من اللغات ،
تقد تغير طبيعة اللغة الفرنسية تغيراً أبدياً
في المصور الوسطى من اللغة القديمة كما أبعد
الفرنسية المعاصرة عن الوسطى والقديمة معا ،
وطالب بضرورة الاهتمام - بشكل الحروف ،
وبخاصة في الشعر حتى يقيس الاتساع بالعربية
بين أبناء الشعوب الذين يتكلمونها .

وفي السبت ١٩٦٦/٣/١٢ وفي نفس
القاعة عقد الأستاذ ندوة تحدث فيها عن مشكلة
الساعة ... العربية بين الفصحى والعامية ،
وحضر الندوة الملا من رجال الأدب
والصحافة في مصر وبخاصة أولئك الذين
يحملون لواء الحركة في شطريها ... وهي الحركة
التي أثار الفيلاد فيها من الفصحى الأستاذ
الفاخر هزير اباطة الذي حضر الندوة .
أشرف على الندوة الأستاذ الدكتور محمد
نابل رئيس قسم الأدب والنقد بكلية وقدم
المستشرق ... وقد حرصت مجلة الأزهر على
أن تحظى بكلمته في هذا الموضوع قال :
« قبل الشروع في كلمتي ينبغي أن أكرر لكم
شكري مبرراً عن جريل السرور الذي يملأ
نفسى لحضورك وإيرون أقترح أن أتحدث
إليك في قضية مرتبطة بالتطور الذي نشاهده
كلنا نظرتنا في اقتك الأصبية .
إن التطور الذي أدرك لتتكم الفريضة
لم يحس أسسها فقيت على صفاتها الأولى التي
كانت لها في عهد نزول القرآن الكريم ، وما
قد نفاذه من تغيير في هذه الأيام ، فهو
تغيير سطحي لا ينال أصلاً ولا ذوقاً بفسد
على هذه اللغة طبيعتها - فالنصحي الحديثة -
كما سبق أن قلت ، متينة الصلة بأصولها القديمة .
إن من بين الدواهي التي حملت على النطاق
عن لتتكم ألقى لاحظت بعض المتخصصين
في أوروبا يزعمون أن النصحي الحديثة لتتكم
لا تستحق أن نطيل فيها النظر ، وأنا - على
العكس - أزعج أنه لا بد من التأمل في جوهرها
فهذه اللغة الحديثة أداة قوية للتفاهم بين الغرب
والشرق ، وذلك ما أكرره دائماً ، فاللغة
عندى وعند المتخصصين توثق الارتباط

ب دعوة من جامعة الأزهر ألقى المستشرق
الفرنسى ريجيس بلاشير Regis Blachere
محاضرة بقاعة عباس محمود العقاد بكلية اللغة
العربية في ١٩٦٦/٣/٥ تناول فيها بلغة عربية
فصحى تاريخ دراسة العربية في فرنسا ابتداء
من مطالع هذا القرن ، وأشاد - في كلمته -
بالحاجم العربية وطريقتها المنطقية ، - على
حد قوله - في ربط المعاني بعضها ببعض ،
وأشار - في تلك الكلمة - إلى ميزة اللغة العربية
في احتفاظها بطبيعتها مدى هذه القرون ، وتلك
ميزة - كما قال - لا تتوفر لكثير من اللغات ،
تقد تغير طبيعة اللغة الفرنسية تغيراً أبدياً
في المصور الوسطى من اللغة القديمة كما أبعد
الفرنسية المعاصرة عن الوسطى والقديمة معا ،
وطالب بضرورة الاهتمام - بشكل الحروف ،
وبخاصة في الشعر حتى يقيس الاتساع بالعربية
بين أبناء الشعوب الذين يتكلمونها .

وفي السبت ١٩٦٦/٣/١٢ وفي نفس
القاعة عقد الأستاذ ندوة تحدث فيها عن مشكلة
الساعة ... العربية بين الفصحى والعامية ،
وحضر الندوة الملا من رجال الأدب
والصحافة في مصر وبخاصة أولئك الذين
يحملون لواء الحركة في شطريها ... وهي الحركة
التي أثار الفيلاد فيها من الفصحى الأستاذ

الأجنبية وبخاصة اللغة العربية هندی مكنق من توسيع حيز البشر عامة وللعرب خاصة .
 وعندما فرغ الدكتور بلاشير من كتابه أبدى استمده لآى استفسار او مناقشة ..
 وكان من المتوقع — وقد حضر الندوة فواد المعركة في ميدانها — أن يزوج إلى المنفعة أولئك السادة الذين يؤثرون طرح الفصحى غير أنه يبدو أن كلمة المستشرق لم تدع لمؤلاه حجة يمكن أن تكون ودما العامة ، فتقدم الأستاذ عبد الرحيم فودة مدير مجلة الأزهر وشكر باسم الأزهر سيادة المستشرق الذى بدأ من طبقة الاستشراق الحرة التى لا تنحط من الهجوم على الإسلام والعربية ميداناً للنشاط .
 ثم توالى كلمات الترحيب ، وكانت تنطوى كلها على الاتصاؤ للمصحى . كما أبانت عن ذيف النداءات المفرحة لهوى العامة فقد قال الدكتور كمال بغير الأستاذ بدار العلوم في تعقيبه : الحق أن المستشرقين — باستثناء عدد عدهو جداً خدموا — ولا يزالون يخدمون — لغتنا وأذكر أن واحداً منهم نهبني إلى شيء مهم ينطق بالإنجليزية العربية ، وبموضوع كتابه العربية بالحروف اللاتينية فأكد لي أن الإنجليزية العربية ليست وسيلة كتابية حسب . إنها — فوق ذلك — تتضمن خواص مهمة من خواص العربية نفسها ، خواص صوتية وحرفية ونحوية ، فمن إن طرحناها جانباً واستعملنا أبجديات أخرى فقدت العربية كثيراً من خواصها الأساسية التى لا تستطيع الإفصاح عنها إلا بالإنجليزية العربية ذاتها ؟

الثقاف ، وتيسر التفاهم بين البشر عامة ، وبين الشرق والغرب خاصة ، وكلما قرأت دراسة بعثة مما يصدر هنا أتحمق أن لفتكم الشريطة لا تنقصها قوة التعبير في كل الميادين ، ولست أسوق كلامي هذا عن طائفة ، في ضمني دواع لغوية وعلية تدفعني إلى هذا القول بما يهملكم على أن تستملوا الفصحى أداة للتفاهم .

وإذا كان في الفصحى صعوبات فليست ناجمة عنها ، وإنما سببها القصور في استعمالها إتي لا لك على رغم دراستي في العربية أشعر بتقصان يرجع إلى ما استغرقته من وقت في هفتون شباني منذ نصف قرن في دراسة اللغة العامة ، ولستكني تبين ، من خبرة ، كيف أن لغة العامة كانت حائلاً بيني وبين الإحلاص على الكنوز الثمينة التى خلفها العرب فأصحت أشجع باستمرار طلبتي في باريس على أن يقبلوا على الفصحى قبل كل شيء لا علمهم آلة تفيدهم وتشجعهم وتمكهم من التو إلى مستوى العلم والمعرفة الذى يفوقنى ولهذا أنه على خطر لغة العامة فأنا لا أشك أبداً أن الاهتمام بها يتجدد بالداوس من توسيع ثقافته . بقيت نقطة أصيلة أحدثكم بها من لغتكم التى حببت إلى منذ نصف قرن ، ولن أنسى ما وجدت من سرور بثلث الاخيرة التى وصلت إليها على قدر استطاعتي .

إن الإنسان يحب اللغة التى يتعلمها في صغره وقد أكبت سنين على لغتكم كانت مفيدة لثقافتى . إتي أود أن يتم التفاهم بين البشر وأصرف هباتي إليه ، والمعرفة باللغات

في تحييط العالم الإسلامي

وحسن أولئك رفيقاً . وإنا لله وإنا إليه
شيع الأزهري .
حسن مأمون

أسرة المرحوم الشهيد الرئيس عبد السلام
محمد عارف - بغداد :

في غمرة الأسى والحزن على مصاب العرب
والمسلمين بفقد الزعيم الراحل ترفع أكف
الضراعة إلى الله سبحانه في أن يسبح عليه
فيض رحته ، وأن يكرمه في مثواه جزاء
كفاحه وجهاده في سبيل العروبة والإسلام .
وإني إذ أبكي إليكم بعزاء الأزهري وعزائي
أسأل الله سبحانه أن يلمهم بالصبر ، وأن
يعوض العرب والمسلمين خيراً - وإنا لله وإنا
إليه راجعون .
شيخ الأزهري
حسن مأمون

● أرسل فضيلة الإمام الأكبر شيخ
الأزهري لجامعة العربية المذكورة التي تلقاها
من علماء المسلمين في . عدن ، احتجاجاً على
انتهاك السلطات البريطانية لحرمة المساجد .
وقد أرسلت الجامعة العربية صورة من
المذكورة إلى الأمانة العامة لميثاق الأمم المتحدة .

● أقامت جامعة الأزهري في يوم الأحد
٢١ من ذي القعدة ١٣٨٥ الموافق ١٢/٣/٦٦

كانت فكرة الطائفة التي أودت بحياة الرئيس
الراحل المغفور له المشير الركن عبد السلام
محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية - كارثة
في قلب كل مسلم وعربي ؛ فقد كان - رحمه
الله - إحدى الشخصيات التي توفرت فيها دأى
الوطنية وصدق العروبة والعمل لمجد الإسلام
وما كان على مصابه من صبر إلا فيما يشه
الإيمان من رضا بقضاء الله ويقين بقدرة الله وحده ،
ولا عليه من جزاء إلا فيما يستقبله من
وفاء ، عند الله ، وضراعة إليه - سبحانه -
أن يحصى العراق الحبيب شر الفتن ويجمع
أمره على الرشاد .

وقد شارك الأستاذ الأكبر الشيخ حسن
مأمون شيخ الجامع الأزهري الأمة العراقية
وأسرة الفقيد مصاحباً في رفيقه :

السيد الدكتور عبد الرحمن البراز رئيس
الجمهورية العراقية بالنيابة - بغداد :
« لجع الأزهري بفقد نصير العروبة
والإسلام المشير الركن الشهيد عبد السلام
محمد عارف - والأزهري إذ يمزى شعب العراق
وحكومته والأمة العربية والإسلامية لينهل
إلى المولى القدير أن يلمتنا جميعاً وفقده جميل
الصبر ، وأن ينزل الفقيد منازل الأبرار مع
الطيبين والصدّيقين والشهداء والصالحين ،

عبد وافتتح فضيلة الإمام الأكبر المهرجان مساء يوم الأحد ٢٦/٤/٢٠١٨ وشرف الحفل السيد الأستاذ الدكتور وكيل الأزهر والسيد صاحب الفضيلة المدير العام للمعاهد الأزهرية والسيد الأستاذ الأمين العام للتحصيل الأعلى للأزهر والسيد صاحب الفضيلة الأستاذ وكيل المدير العام للمعاهد الأزهرية.

وقد وزع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور والميداليات والجوائز على المعاهد وعلى الطلاب الفائزين في هذه المسابقات جميعاً .

● أعلنت في ٢٨/١٢/١٣٨٥ شروط قبول حملة الشهادة الإعدادية الأزهرية المأذونة في المرحلة الثانوية بمعاهد الأزهر ومدارس وزارة التربية والتعليم ، وسوف تقوم مكاتب التنسيق بالمحافظات بقبول أوراق الطالب ويعتبر أن يكون بين أوراق الطالب شهادة من إدارة المعاهد الأزهرية تثبت أنه لم يسبق له الالتحاق بالمعاهد الأزهرية الثانوية أو فصله منها . ويكون قبوله بصد ترقية درجاتهم تنافسياً في قائمة واحدة مع درجات حملة الإعدادية العامة بدور الملتحقين العامة والريفية ثم التعليم الفني الثانوي ، ثم مدارس التعليم الثانوي العام ويسمح بزيادة طاقم في سن الطالب الأزهرى ، ولا يجوز تحويل من المعاهد الأزهرية بمراحلها الثلاث إلى مدارس التعليم العام ؟

حفلاً جامعيًا في قاعة الشيخ محمد عبد المنعم العالمية الفخرية السلطان محمد برهان الدين صاحب سلطنة طائفة البحرة الإسلامية في الهند ، وألقي كلمة الاحتفال الأستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر . وقد حضر الحفل كبار الشخصيات الجامعية بالقاهرة .

● حل الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر - هند سفره إلى الهند لحضور حفل تنصيب سلطان البحرة - شهادة العالمية الفخرية التي أهدتها جامعة الأزهر إليه . وهذه الشهادة مكتوبة بالعربية والإنجليزية .

● أقامت الإدارة العامة لرعاية الشباب بالأزهر المعرض الفني الثامن لطلاب المعاهد الأزهرية بصالة العرض بوكالة القنصلية في المدة من ١٨ إلى ٢٨/٤/٢٠١٨ لعرض إنتاج الطلاب في الرسم والخط العربي والحواليات العملية والتصوير الضوئي ، وقد تفضل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بافتتاحه مساء يوم الخميس ٢٦/٤/١٨ . وقد شرف الحفل السيد الأستاذ عبد الفتاح حسن وزير الدولة لشئون الأزهر والسيد الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة .

● أقامت الإدارة العامة لرعاية الشباب بالأزهر مهرجان القرآن الكريم والآداب والفنون والتشكيل المسرحي بقاعة الشيخ محمد

THE STATISTICS OF AL AZHAR UNIVERSITY

FEBRUARY 1966

| STUDENTS | LICENCE (B. A.) | HIGHER SECTION (M.A. & Ph. D.) | TOTAL |
|---|----------------------|--------------------------------------|-------|
| 1 — Faculty of Law | 2004 | 515 | 2519 |
| 2 — » » Theology | 1968 | 233 | 2201 |
| 3 — » » Arabic Language | 2371 | 1372 | 3743 |
| 4 — » » Medicine | 797 | 4 | 801 |
| 5 — » » Engineering | 692 | — | 692 |
| 6 — » » Agriculture | 499 | 10 | 515 |
| 7 — » » Commerce and Administration | 1143 | — | 1143 |
| 8 — Girls College | 533 | — | 533 |
| 9 — Higher Institute for training | — | — | 395 |
| 10 — Higher section for Islamic and arabic studies | — | — | 2210 |
| 11 — Institute for preparation and guidance | — | — | 906 |
| B. A. (Licence) 13123 Higher Section 2535 (M.A. and Ph. D.) | Total 15658 | | |
| Foreign students. | 2808 | 398 | 3206 |
| Percentage of foreign students : | 22 % | 18 % | |

(Continued from page 6)

city as conqueror. The Prophet proclaimed a general amnesty and the whole population of Mecca hastened to swear allegiance. The prophet caused all the idols which were in the sanctuary to be destroyed, saying:

« ركن جا، الحق وزمق الباطل ... »
(And say : Truth hath come ;
falsehood hath vanished away)*

* Extracted from an Introduction of
Islam by Muhammad M. Pickthall.

assumed his office in 1964. He has come to embody in himself all that is best in the long history of Al Azhar scholars, as he is a great scholars of Islamic studies and Arabic literature, writer, poet, administrator, organiser, educationist and pious man of religion. Since then he has been working for the progress of the university and to put the house in order with characteristic energy and zeal. The special plans of reforms have come to fruition in his time; immediately after his assumption of office the new Faculties of Medicine, Engineering and Agriculture are inaugurated. This was a great event in the history of New Al Azhar, which brought it more in line with other great modern universities. He took serious care to complete the new buildings of Al Azhar university in its new premises in Nasr City of Abbasiya, five miles away from the ancient mosque of Al Azhar. In 1965 the new Faculties of Medicine, Engineering, Agriculture

and Commerce are already shifted to the new city. With the completion of other Faculties, the university hospital and a new Al Azhar Mosque on the pattern of its glorious Father mosque of Al Azhar, the new city will be one of the unique and picturesque centre of learning in the world.

His Excellency A. H. Al Baquri has in mind great plans to enable Al Azhar university to spread its message to the whole world at large and meet the increasing demand of the various institutions abroad, for lecturers and scholars of Islamic studies and Arabic Literature. He is playing an important role to renew and develop the influence of Al Azhar University in the world, to remove the barriers between it and other universities and educational institutions to achieve the ultimate aim of the great Al Azhar, that is to produce qualified scholars who may serve the humanity in the spiritual and academic spheres.

(Please turn over)

2— A minister of Al Azhar affairs shall be duly appointed by a decree of the President of the Republic.

3— The University Rector, who would be appointed by a decree of the president of the United Arab Republic, shall manage the universitys academic, administrative and financial affairs, and will represent the University before other bodies.

4— Having been the University of all Muslims, Al Azhar provided for equal opportunity of enrolment in its Faculties and sections attached to them, for muslim students from any country in the world.

5— Al Azhar is, as the supreme muslim educational institution, attaching great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other foreign universities and educational institutions in the World.

By this law, new Faculties were established, i. e. Faculties of Medicine, Engineering, Agriculture and Commerce. As one of the main aims of the university is to provide educational Facilities for women the new Al-Azhar university has established a girls college with its different branches of studies i. e. Islamic Studies, Medicine, Arts, Science, Philosophy, Psychology, etc. This college will be the nucleus of a Muslim University for

girls. It is recalled that women were getting their share in Al Azhar circles until recently. The history says that special study circles were held in many times for women in Al Azhar After shutting its doors in the face of women for many years, Al Azhar has, now come forward to give women the same chance which men are already getting in the fields of knowledge and sciences.

From the time of its foundation, Al Azhar has opened wide its doors to students and research scholars from all over the world. Special facilities offered to foreign students by providing them free education and lodging. In 1959 a University Hostel was established for Al Azhar in the name of Nasser City Of Islamic Missions. This city consists of 41, three storied - buildings. Now the number of foreign students in this new hostel are more than five thousand instead of about 2500 students in 1950. They are getting there, living quarters in modern, comfortable and healthy circumstances. Besides free meals and recreational facilities an allowance of not less than five egyptian pounds per month is paid to every student.

The present Rector of Al Azhar University, His Excellency Sheikh Ahmed Hassan Al Baquri, has

important turning point in the history of Al Azhar. In that year, by a new law, the study courses divided into stages and modern subjects were introduced to each stage. A grand ULAMA Committee was created and new modifications were made in rules of the appointment of teaching staff, admission of students and examination systems. In the year 1936 Al Azhar entered the first stage of a full scale modern university. According to the law No. 26 of 1936, the education in Al Azhar had been classified into stages i. e. The primary stage of four years, the secondary stage of five years, the Higher section of four years and the section of specialisation (تخصص) or license (إجازة) of two years.

Thus immediately after the promulgation of that law, three faculties were inaugurated. They are: The Faculty of Law and the Faculty of Arabic literature. Students completing the four year course of study with success in any of these faculties are granted the Higher certificates equal to B. A. Candidates admitted to the specialisation section were required to be holders of the higher certificate from Al Azhar or its equivalent, from a recognised higher institution and after completing the two year course of

study they were granted the certificate of ALIMIYA with licence (M. A.) in the subject in which they were specialised. There was another section of specialisation in the subject matter extending over a period of five or seven years after obtaining the higher certificate. Candidates completing this course of specialisation were granted the ALIMIYA degree with the title of USTAD, that is equivalent to Doctorate or PH. D.

When the revolution occurred in Egypt in 1952 and it started a complete and perfect reform in the country it paid due attention to Al Azhar in a manner compatible with the statutes and aims of this great international centre of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points:

1— Having regard to the special character of Al Azhar, as a university of all Muslims throughout the world, Al Azhar University should be independent of other universities in the United Arab Republic, by being attached to the Presidency of the Republic; Care has however been taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will be consistent with the special character of Al Azhar and the purpose of its studies.

As we mentioned, the Al Azhar was established as a centre for the service of Islam. Islam has two sides, the spiritual side and material side. The first one will serve the spiritual side of man, and the second will serve the material side of him. Islam gives to mankind a complete and perfect system dealing with all walks of life and the Holy Quran declared that the true religion is to follow man's original nature.

« فَأَقِمَّ وَجْهَكَ الدِّينَ حَنِيفًا . فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ .

(So set thy purpose for religion as a man by nature upright - the nature (framed) by God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men knew not) 30:30.

We can sum up the basic aims of Al - Azhar in the following three points : Firstly : communicating the message of Islam, in all its simplicity, moderation and clarity. Secondly : Paving the way to coordinate the relations among people in the light of religious principles. Thirdly : calling people to rise above colour and race fanaticism and distinction of people must be based upon the course of moral conduct and good deeds.

As the Holy Qur'an says :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتْقَاهُ .

(O mankind ! Lo ! we have created you male and female and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct) XLIX : 13. These bases are clearly represented in the teachings of Islam and in its social, economical and political systems. By carrying out this great human mission Al Azhar has carried out great service for all people and by its great efforts it has taken many people from darkness to light.

In its long history, various necessary reforms have been made, from time to time, both in the methods of study in the Al-Azhar and the rules of administration. Al Azhar entered in a new era from the time of Iman Muhammad Abdu (1848 - 1905 A. D.) who had made great efforts to introduce modern reforms into Al Azhar and many scholars followed him in that field.

As the result of those efforts several laws and regulations were adopted to reorganise and to develop Al Azhar. The year 1911 A. D. (1329 A. H.) was most

AL-AZHAR UNIVERSITY

An Introduction

By : A. M. Mohtaddin Always

AL-AZHAR is the oldest and the most famous University in the World. It was first housed in the glorious mosque of Al-Azhar more than one thousand years ago. The building of the mosque was started in the year 971 A.D. (359 A.H.) on the 14th of Ramadan, by GAWHAR the sicilian, commander of the Fatimid caliph, AL MUIZZU LI DINILLAH. He founded the mosque immediately after the building of the new capital city of Al Kahira (Cairo) for Fatimids. The building of the mosque of Al Azhar was completed on the 7th Ramadan 361 A.H. Since then it was a place of worship, and a centre of learning. The title of Al Azhar signifies the meaning of flourishing or shining. It is said that the name of Al Azhar came from Al Zuhra, a title of eldest daughter of prophet MUHAMMAD, FATIMA, from whom the Fatimid caliphs descended.

It was remained so far many centuries as a proof positive that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict bet-

ween religion and learning in the widest sense of the word. Al Azhar rose to the position of a most important educational institution for muslims and it has attracted students and research scholars from different parts of the world, and Egypt, since then, has become the unique destination to which students of Islamic studies and Arabic literature repair from all countries.

The system of education adopted Al Azhar since its inception was a simple and natural one. No conditions of admission were imposed on the seekers of knowledge. The student had full freedom to choose his own subject as well as his own professor. Al Azhar was the teaching centre of all branches of Islamic studies i.e. Tafsir (interpretation of the Quran) Hadith (Traditions of the prophet), Fiqh (jurisprudence) Tasawwuf (Mysticism) etc and all branches of arabic literature as well as it was the teaching centre of other sciences i.e. Geography, astronomy, engineering medicine - mathematics etc.

tradition: "My brothers from amongst the emigrants were engaged in earning their living, whilst Abu Hurayra used always to be with the Prophet, earning no more than his belly-full, thus, being present on those occasions when they were not present and memorizing that which did not memorize "

When the Muslims emigrated to Medina, Sa'd ibn al-Rabi al-Ansari invited 'Abd al-Rahman ibn 'Awf to live with him, and offered to give him half of his possessions. But 'Abd al-Rahman declined, thanked his host and chose to work as a trader in the markets of Medina, instead of being supported by him.

When 'Asim ibn 'Umar ibn al-Khattab got married, his father supported him from him the treasury for one month, then he ceased to support him and ordered him to work. He allotted him the produce of some of his possessions, and asked him to sell it, and to join in with other traders to earn his living and support himself and his family. 'Asim did as his father ordered him, and so we find the son of the Caliph engaging in work on the same basis as any ordinary Muslim.

Again, 'Ali ibn Abi Talib, the Prophet's cousin and son-in-law, did not find it degrading to work as a hireling. Ibn Maja quotes a hadith that Ibn 'Abbas said: "Once the

Prophet was in need. The news of this reached 'Ali and he went in search of work to obtain some money to help the Prophet. He came to a garden belonging to a Jew. 'Ali drew for him seventeen buckets of water at the rate of a date for each bucket, the Jew allowed him to choose seventeen excellent dates which he brought to the Prophet".

The direct exhortation to work is a recurring theme in both the Qur'an and the hadith. In the Qur'an, for example, it is stated that God has "appointed the night as a cloak" in which people may rest in order to regain the vigour necessary for work, and "appointed the day for earning a living, in order that they may seek His bounty by its light. Another quotation on the same theme is found in "surat al Mulk": "He has made the earth subservient to you, so walk in its paths, and make use of His provision." Again in surat "al-Nahl": "He has constrained the sea to be of service that you may eat meat, from it and bring forth from it ornaments which you wear, and you see the ships ploughing it that you (mankind) may seek His bounty and that you may give thanks. These quotations from the Qur'an have two basic morals: In the first place they express explicitly the exhortation to work. Secondly, that God's bounty has been made available in such a way as to encourage man and enable him to work.

said « I know that you are willing to relieve me, but I hate being distinguished over you, because God hates seeing a servant of His being distinguished over his companions. Then the Prophet got up and cut wood.

It is note worthy that wood-cutting was one of the most lowly occupations in the eyes of the Arabs, as appears from the Prophet's tradition : « It is better for one of you to cut a bundle of wood and carry it on his back then to ask (beg) anyone who may give him or not ». The Prophet did not hesitate to cut wood, in order to set a practical example for respecting labour, however lowly, it be. This principle of identifying prophecy with labour can be further illustrated by the fact that David, for instance, worked as a blacksmith, zakaria as a carpenter, and Moses as a hireling.

Besides all the Prophets worked as shepherd, as we have already mentioned, and all of them attended markets as the following Qur'anic verse pointed out : « And we have not sent before you any messengers but they most surely ate food and went about in the markets ».

The Prophet's companions were also labourers. Abu Bakr did not hesitate, the morning after he had

been chosen as a Caliph; to carry on his head the cloth he was engaged in selling. He hurried to the market, and wanted to resume his work as a trader, but 'Umar and Abu'Ubayda dissuaded him, saying : « How can you do this when you have been made responsible for the affairs of the Muslims ? » Abu Bakr answered « How, then, can I feed my dependents ? They said : « We will establish a salary for you ». And Abu Bakr was given half a sheep every day ».

The other companions of the Prophet were labourers also al-Bukhari quotes the following tradition ascribed to Aisha in the section of the Sahih entitled, "Earning one's living and working with one's own hands" : " The Companions of the Prophet performed their own menial work, and they smelt (i. e. because of work); so it was said to them " If only you would wash yourselves ! "

Also in al-Bukhari, we find the following hadith : " One day ' Umar ibn al-Khattab found himself unaware of some traditions of the Prophet and excused this by his being engaged in trading, saying : " Have I been unaware of some affairs of the Messenger of God ? I have been preoccupied with trading in the markets ! " The same point can be further exemplified by Abu Hurayra's

his family by a share of the booty. His position as head of the Islamic community did not, however, prevent him from lending a hand in more mundane responsibilities. He helped his servants in their daily work by patching up his clothes; soleing his goat; fastening up his camel; preparing fodder for his working she camel, sweeping his house; buying in markets; carrying his goods to the house; serving his guests; and even serving his servants, to the extent that Anas said: "I served him (the Prophet) for about ten years. By God I never accompanied him on a journey nor settled with him in a place but he served me more than I served him.

On certain occasions he took his part in more general activities of the community; such as building the mosque of Quba', and digging the ditch as a defence against Qu-raysh and their affiliated tribes. On the occasion of the building of the mosque of Quba', the Prophet carried the bricks on his shoulders like any other Muslim repeating whilst doing so:—

"Oh God, the reward is the reward of the thereafter.

Have mercy on the Helpers and the Emigrants."

So encouraged, the Muslims worked enthusiastically, reciting the following verse:—

"Were we to sit whilst the Prophet works,

That would be an erroneous act on our part.

On the occasion of digging of the trench, the prophet himself carried earth until it covered the whiteness of his belly, saying:

"Oh God, were it not for you, we would not find the right way;

Nor give alms, nor pray,

So send down reassurance upon us

And make firm our feet when we meet the enemy.

On another occasion, the Prophet came to the well of zamzam, while its workers were giving water to the thirsting people. The Prophet said to them: "Work You are carrying out a righteous labour! Were it not that you might be displaced (from your special work) I would descend until I put the rope (of the bucket) here! (pointing at his shoulder-blade).

In one of his trips, he suggested that a goat be cooked. One of his companions said, oh, Messenger of Allah, I undertake to slaughter it. Another said: I undertake to skin it. A third said: I undertake to cook it. The Prophet then said: « and I undertake to cut wood (for fuel) ». The Companions said: « Oh Messenger of Allah, we can cut wood instead of you ». The Prophet

THE MERITS OF LABOUR IN ISLAM - 3

By : M. Gamaluddin Ayyad, M. A.

Nothing can lend more dignity to labour and to labourers than the fact that the Prophet himself was a labourer. He worked as a hired hand looking after sheep belonging to some citizens in Mecca. Al-Bukhari quotes a hadith to this effect :- On one occasion, the Prophet said to his companions : "There is no prophet sent by God who has not worked as a shepherd." His companions then asked him : "You also ? He said : "Yes, I have looked after flocks for citizens of Mecca in return for small payment." It is of little significance to the theme we are dealing with that the Prophet should have worked as a shepherd, since he was at that time poor and needy. What is important is that he recalled that he had worked as a shepherd after his call to the prophethood. Had his previous occupation been a source of shame, it is unlikely that he would have mentioned it in the presence of his companions, or stated that all the prophets of God had worked as shepherds.

The Prophet also worked as a factor travelling to Syria to sell and

buy on behalf of Khadija, whom he later married.

Ibn Ishaq also narrates that the chiefs of Quraysh met with the Prophet to argue with him. They tried to tempt him by offering to give him money and make him their king, but he refused and called them to Islam. They asked him to ask his God to send an angel to confirm his claims; and to give him gardens and castles and treasures of gold and silver to enrich him and so make it unnecessary for him to do that which he had been doing, such as standing in the markets as they did, and earning a living as they did. Thus, they said, they might recognize the bounty and status he received from God. This reference in Ibn Ishaq suggests that the Prophet used to earn his living by trading even after his call to prophethood. It seems probable that he continued to do so during the whole Mecca period.

In the Medina period, when the proceeds of the expeditions undertaken by the Muslims began to flow into the coffers of the Islamic community, he was permitted by Qur'anic injunction, to support himself and

words "Bismika Allahumma" (in thy name, O! Allah). When they saw that marvel the ban was removed and the Prophet was again free to go about the city. The Prophet went on warning, pleading and teaching his message at length, while the Qureysh did all they could to ridicule his teaching and deject his followers.

At the season of the yearly pilgrimage the Prophet came upon a little group of men who heard him gladly. They came from Al-Madina (Yathrib) a city more than two hundred miles away from Mecca. The Jewish 'rabbis' had often spoken to the pagans of a Prophet soon to come among the Arabs, with whom, when he came, Jews would destroy the pagans. When the men from Yathrib saw Muhammad they recognised him as the prophet whom the Jewish rabbis had described to them. On their return to yathrib they told what they had seen and heard and the next season of pilgrimage a deputation came from yathrib purposely to meet the Prophet. They then returned home with a Muslim teacher and soon there was not a house in Yathrib wherein there was not mention of the messenger of Allah. In the following year seventy-three muslims from yathrib came to Mecca to vow allegiance to the prophet and invite him to their city. They swore to defend him as they would defend their own wives and children.

With the result of that pact (the second pact of Al-Aqabah) the Hijrah, the flight to yathrib (Medina) was decided. Qureysh hated Muhammad in their midst but dreaded what he might become if he escaped from them and they decided to destroy him now. They had chosen a slayer out of every clan. All these were to attack the prophet simultaneously and strike together as one man, thus his blood would be on all Qureysh. The Prophet was waiting Gods command and it came at the night appointed for his murder. The slayers were before his house. He gave his cloak to Ali, bidding him lie down on the bed. The slayers were to strike him as he came out of the house whether in the night or early morning. Then the Prophet of Allah left the house and a blindness fell upon the would be murderers so that he put dust on their heads as he passed by, without their knowing it. He went to Abu Bakr's house and called to him and they two went together to a cavern in the desert hills and hide there till the hue and cry was past, then they set out on the long ride to Madina. The thirteen years of humiliation, of persecution and of seeming failure were over. The ten years of success, the fullest that has ever crowned one man's endeavour, had begun. In the eighth year of the Hijrah the Prophet marched to Mecca and entered his native

(Continued on page 16)

THE "HIJRAH"

— M. ALWAYE

The Hijrah, the flight of the Prophet Muhammad (June 20th 622 A.D.) from Mecca to Medina, which counts as the beginning of the Muslim era was a turning point in the history of Islam. The Hijrah makes a clear division in the story of the Prophets' mission. For the thirteen years of his mission he had been a preacher only. After the Hijra he was a lawgiver, reformer, ruler of a state and perfect example for a growing social and political community.

At the end of the third year of his mission, the Prophet received the command to "arise and warn". For the first three years of his mission he preached only to his family and his intimate friends. When he began to preach in public pointing out the folly of idolatry in face of the tremendous laws of day and night, of life and death, of growth and decay, which manifests the power of Allah and attest His sovereignty, the 'Qureysh' became actively hostile to him. They tried to bring the Prophet to compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah. They came forward and offered to make him their king if he would give up attacking their gods

and idolatry. It was then, when their efforts at negotiation failed, that Qureysh went to his uncle Abû Tâlib offering to give him the best of their young men in place of Muhammad and to give him all that he desired, if only he would let them kill Muhammad. When Abû Tâlib refused their demand they grew more and more embittered and decided to boycott the Prophets' whole clan. They drawn up a document to the effect that none of them would hold any intercourse with that clan or sell to them or buy from them. Then for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold in Mecca.

Only at the time of pilgrimage could he go out and preach, or did any of his Kinsfolk dare to go into the city. At the season of the pilgrimage they posted men on all the roads to warn the tribes against the Prophet who was preaching in their midst. At last some elders of Qureysh felt worry of the boycott of their old friends and neighbours. They managed to have the document (Sahifah or deed of ostracism) which had been placed in the Kabah brought out for reconsideration. Then it was found that all the writing had been destroyed by white ants, except the

• ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قبمنا

عليك ومنهم من لم يلقى عليك

« Verily we sent messengers before thee, among them those of whom we have told thee, and some of whom we have not told thee; ... (XL : 78).

The law of nature is throughout the same, in every corner of existence, and so is divine guidance the same for mankind throughout the ages and in every corner of the earth. That universal path is submission (Islam) to the One Lord of the Universe and living a life of right action. Every religious leader, always invited men to follow the one common religion and to avoid differences and factions.

God created all men alike as human beings but they divided themselves into groups and factions on the basis of race, colour, language, nationality, etc. Mankind was thus divided and sub-divided by innumerable artificial differences. There remained but one single relationship, one sacred bond which still held mankind together and which could unite them again in spite of all differences; this, as every Prophet or Messenger of God pointed out, was the common worship of the one God. No matter how we may differ from each other, our God cannot be different; no matter what our race, colour, country or nationality, when we bow in submission before the Same God ;

all our earthly differences disappear and we feel as if the whole world is our home and the entire mankind our family; we are all children of the same Divine Father. Hence it was that the teachings of all Messengers of God were basically the Same confirming each other, and the Qur'an professed to do no more than confirm and reiterate the teachings of all the Prophets gone by.

• وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه
من الكتاب ومبيناً عليه ...

"And unto thee have We revealed the Scripture with the truth, confirming whatever Scripture was before it, and a watcher over it..." V. 48.

It may be asked why, if the founders of the various religions all taught the same basic principles, differences grew up between religions. The Quran explains that these differences are of two kinds, those which the followers of various religions have themselves created, through having turned or strayed away from the real teachings of those religions, and those genuine differences which are to be found in the canons and practices of those religions as, for instance, in the form of worship. These latter differences pertain not to the real teaching or spirit of a religion but only to forms and externals. They are but a secondary part of religion and such differences are both inevitable and necessary.

instinct, senses and intellect, is alike for all, without distinction of race or creed, time or place, and any guidance which is confined to a particular group or which seeks to divide mankind into different groups is false. There is but one true path, the universal path for all mankind and the Quran calls it Islam, i.e. unqualified and complete submission to God. This is the cardinal principle on which the entire teaching of the Quran is based.

(Mankind were one community; then they differed) X : 20.

Originally man led a natural life and there was no difference or clash with his fellowmen. Gradually, however, mankind, multiplied and its needs grew, giving rise to differences, clashes of interest and then open struggle, exploitation and oppression. The common life of harmony and content gave way under the growing stresses and strains; men came to hate each other and the strong oppressed the weak. When this happened, it became necessary to provide right guidance for mankind and to ensure that justice and truth should prevail. So it was that there was a succession of Divine Messengers who brought and affirmed the message of God.

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه »

(Mankind were one community, and Allah sent (unto them) prophets as bearers of good tidings and as warners, and revealed there-with the Scripture with the truth that it might judge between man kind concerning that wherein they differed;) 11 : 213.

This guidance was not confined to any particular race, community, time or place.

« إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً . وإن من أمة إلا خلا فيها نذير . . »

(Lo ! we have sent thee with the truth, a bearer of glad tidings and a warner; and there is not a nation but a warner hath passed among them) XXXV : 24.

It is sad to reflect that men at different times and in different places have appropriated to themselves the exclusive privilege of divine guidance and have believed that their own religion was the only right religion and their religious leader the one and only true Prophet or bearer of God's Message. The Qu'ran has over and over again stressed the universality of divine guidance and grace and proclaimed that there have been countless Messengers of God in various places and at different times and that it is not right to discriminate between them. « For every people (there has) been a guide » (XIII : 7). « For every people (was sent) a messenger » (X : 47).

highest place in creation. All these three stages of natural guidance have their well defined limits and cannot go beyond them. Instinct makes us aware of the needs of life and gives us the faculty of striving for the fulfilment of those needs, but it cannot enable us to acquire knowledge of the world outside our own being. That function is left to the senses, but senses too can only take us thus far and no further. The eye, for instance, sees but only under certain conditions; if there is no light or the distance is too great, we cannot see any object even though it is there to see. Our knowledge, therefore, remains imperfect, and there is need for deducing knowledge through reasoning from cause and effect and framing rules and principles of universal application. That is the function of intellect, but intellect too can guide us only up to a point, and beyond that there is need for further guidance. Just as the world of senses is strictly limited, so also are there definite restrictions which intellect cannot break through. Intellect is confined to the limits imposed by the senses for it can function only within the limits of such knowledge as we can reach through the five senses. What is there beyond the world of senses? Intellect is itself lost in wonder and can guide us no further.

Moreover, intellect is hardly an adequate or effective guide in practical life. Man is so pressed by desires and emotions that when there is conflict between reason and emotion the victory is very often with the latter. How often are we warned by reason to refrain from an act that is harmful or even fatal and yet are unable to resist the emotions which persuade us to that act! The most powerful arguments of reason cannot keep us from losing control of ourselves when in anger or from eating something harmful when compelled by hunger. If, therefore, He Who sustains and tends us has equipped us with senses, so that we may guard against instinct leading us astray, and endowed us with intellect, to correct the errors of the senses, does it not follow that He must have provided us with something else also to afford us guidance when intellect is exhausted and helpless? The Quran answers in the affirmative and says that this fourth stage of guidance is that of revelation or divine inspiration.

• إِنَّ مَلَيْنَا الْهَدَى •

(Lo! Ours it is (to give) the guidance) XCII : 12.

"The path of divine guidance is Al Huda (The Guidance)", the path of true and universal guidance. This guidance, like the guidance of

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Muharram
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

April
1965

THE QURAN'S CONCEPTION OF GOD - IX.

By : Moulana Abul Kalam Azad

« إهدنا الصراط المستقيم »

[Guide us on the Straight path]

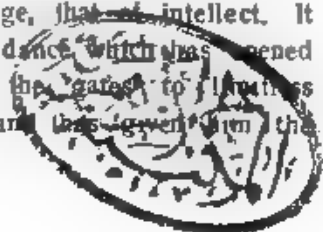
It has already been indicated that the divine attribute of the Preserver carries with it also the essential quality of Guidance, for without the guidance of nature no being can sustain itself. This guidance is the last gift of nature to enable every creature to get on its feet.

« سبع اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوى ،
والذى يدرئهم »

(The Lord Most High, Who has created and then bestowed order and proportion, Who has fixed a measure for every thing and then granted it guidance) LXXXVII: 2-3.

There are three stages of guid-

ance. The first is that instinct, which is present even in a new-born babe; no sooner is he born than he begins to cry for food and then without any external instruction, sucks at his mother's breast to find it. The second stage is that of the Senses, which give us the faculties of sight, hearing, taste, touch and smell, and it is through them that we acquire knowledge of the external world. These two stages of guidance are for animals also, but for man there is yet a higher stage, that of intellect. It is this guidance which was opened for man the gates to his progress and has given him the



رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة المجتمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
١٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
ولمديرية الطلاب بمحض فاضل

بقيادة شيخنا الأزهرى (أون كل شهر عربي)

الجزء الثاني - السنة الثامنة والثلاثون - صفر سنة ١٣٨٦ هـ - مايو ١٩٦٦ م

لله المنة والحمد

دين الله دين القوة

بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لمأساة فلسطين

بقلم أحمد حسن الزيات



وفهموا هروهم على نواحي الشرق
والغرب . فمن لم يكن قوى الرأس ،
قوى النفس ، قوى الإرادة ، قوى العدة ،
كان مسلما من غير إسلام ، وعربيا من
غير عروبة

الإسلام قوة في الرأس ، وقوة في اللسان
وقوة في اليد ، وقوة في الروح .

هو قوة في الرأس لأنه يفرض على العقل
توحيد الله بالحجة ، ولصحيح الشرع
بالدليل ، وتوسيع النص بالرأى ، وتعميق
الإيمان بالتفكير .

الإسلام دين القوة ؛ وهل في ذلك شك ؟
شأوه هو الجبار ذو القوة المتين ؛
ومبانيه هو محمد الصبار ذو المزيمة الأمين ،
وكتابه هو القرآن الذي تهدى كل إنسان
وأعجز ؛ ولسانه هو العرب الذي أغرس
كل لسان وأبان ، وقواده الخالدون (١)
م الذين أنضموا لسيوفهم رقاب كسرى
وقيسر ؛ وخطاؤه العمريون (٢) م الذين

(١) نسبة إلى خالد بن الوليد

(٢) نسبة إلى عمر بن الخطاب .

بالحركة . والزكاة قوة الضعيف بالتصدق . وتنمية المال بالتطهير ، وتمكين المجتمع بالتعاون . والحج قوة اجتاهية بالتحارف والتآلف ، وقوة سياسية بالتجاوز والتحالف وقوة اقتصادية بالبياعات والتسوق .

وإن أشد ما يجتمع به القوة وتتحقق عليه الحال هو الوحدة والجماعة ، وهما لسبب المعنوية الإسلامية . فالوحدة هي الأساس الذي حل ، والجماعة هي الصرح الذي قام ، كانت الوحدة هي الأساس لأنها توحيد لله بعد إشرارك ، وتوحيد للعرب بعد شتات ، وتوحيد للرأي بعد تفرق ، وتوحيد للغة بعد تباين ، وتوحيد للعبة بعد تدابر . وكانت الجماعة هي الصرح لأنها جمعة القلوب التي ألف بينها الله ، وجمعة الشعوب التي رفع شأنها محمد . ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالزهد الذي يكفر بوحدة العقيدة والامة يقتل ، والطائفة التي تبقى على جماعة المسلمين تقاوم ، والصلاة إنما يعظم أمرها ويضعف أجراها إذا أدت في جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات كل يوم ، ثم تتكرر في صلاة الجمعة كل أسبوع ، ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم في أداء الحج مرة . على الأقل . في كل عمر .

وهو قوة في اللسان لأن البلاغة هي معجزته وأداته . والبلاغة قوة في الفسكرة ، وقوة في المحافظة ، وقوة في العبارة .

وهو قوة في اليد لأن موحيه . وهو الحكيم الخبير . قد علم أن العقل بسلطانه واللسان ببيانه لا يفنيان عن الحق شيئاً إذا ما أضلّم الحس وتمكنت النفس وبعيت البصيرة ، فجعل من قوة العضل ذاتها من كلمته وداعياً إلى حقه ، ومنفذاً للحكمة ومقيداً لشربه . كتب على المسلمين القتال في سبيل دينهم ودينه ، وفرض عليهم إعداد القوة والمخيل لإرهاق العدو ومعدوه ، وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثل . ولكن القوة التي يأمر بها الإسلام هي قوة الحكمة والرحمة والعدل ، لا قوة السفه والقسوة والجور ، فهي قوة مزدوجة ، أو قوة فيها قوتان : قوة تهاجم البني والعدوان في الناس ، وقوة تدافع الأثرة والظلم في النفس .

والإسلام بعد ذلك قوة في الروح لأنه يحصن جوارها بالصيام والقيام والاعتكاف والارتياض والتأمل .

وأنت إذا عرضت على الفكر السليم الحكيم مبادئ العقيدة الإسلامية ، وجدتها كلها تتجه إلى القوة ، أو إلى ما يحصل به القوة . فالصلاة فطاقة جسدية بالوضوء ، وطهارة روحية بالذكر ، ورياضة بدنية

فيتواكلون تواكل الأغصنة دب فيهم الحد . ونجمهم الخطوب فيذرهم الطمع والهوى كأن الإسلام الذي كان عامل قوة واتلاف ، قد انقلب اليوم حلة ضعف واختلاف . وكان الدين كتنا نقول لهم بلسان الجهاد : أسدوا تسلوا ، يقولون لنا بلسان الاضطهاد : تنصروا تنصروا ولكن الإسلام دين الله لا يغيره الزمن ، ولا يهاويه الطبيعة ولا يعادي العلم ، ولا تلغى المذاهب ، وإنما المملوك اليوم هم أعقاب أمم وعكازة أجناس وبقياء نظم ورواسب حضارات ووبائب جهالات وطرائد ذل ، ففسدت مبادئ الإسلام في نفوسهم أشوبة كابفسد الشراب الخالص في الإنباء القدر .

إن جامعة الدول العربية كانت تعبيراً جليلاً لحلم ساد النفوس الطيبة حقبة من الزمن . ولكن الحلم فسد يقع ولا يقع ، والتعبير قد يصدق ، ولا يصدق . ولو كان ميثاق هذه الجامعة قسماً من نور الله وهدياً من سنة الرسول لما رأيناها في نكبة فلسطين تمد ولا تنجز ، ونقول ولا تفعل ، ولو ظل أمرها قائماً على الخطب الحاسية والوعود المغرية والتصريحات البنيقة والاجتماعات المتعاقبة ، لظلت في نفوس العرب والمسلمين مناط الثقة ومقعد الرجاء ومثابة الأمن ، ولكن طالعها السيء ابتلاها وهي لا تزال

على ذلك كأن إسلام محمد وأبي بكر وعمر . وعلى ذلك كانت مروية خالد وسعد ومهرو . كأن العرب والمسلمون حينئذ يحملون المصحف للحق والقيف للباطل . وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة ، حتى بلغوا من القوة أن فعل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش (١) ، وبلغوا من المروءة أن سهر المعتصم جيباً لإيقاظ امرأة (٢) . فلما شنت الوحدة ، وتفرقت الجبهة ، وصارت سيوف المسلمين خجلاً يحملها خطباؤهم على المنابر ، ومصحفهم تمام يلقها مرعاهم على الصدور ، أصبح دوحهم تبعاً لكل غالب ، وتراثهم خجلاً لكل غاصب ، وبلغوا من التخاذل والفشل أن الأندلسيين يجهلهم النصاري من أقطارهم بالأمس فلم يجدوا الرشيد ، وأن الفلسطينيين يشردم لليهود من ديارهم اليوم فلا يجهون المعتصم !

إن مسلمي هذا الزمن الآخر صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم في الدنيا على أخلاق المبيد ، يطاطسوا لإشراقهم فلا ينفي لهم جبين ، وتنقص أطرافهم فلا يحمي لهم أنف ، وتنزل بهم الشدة فيتخاذلون تحتها القطيع حاث فيه الذئب ، ويغير عليهم العدو

(١) إشارة إلى كتاب الرشيد إلى يقفور إمبراطور الروم .

(٢) إشارة إلى فتح المعتصم لصورية .

في صفى وصبر جيوش اليهود وأسلمة
الأمريكان ومكر الإنجليز ؛ ثم لا تتلق
من أخواتها الشقيقات إلا هتافا كهتاف
الحمام وحنانا كحنان الأوز ؛ بروق باسمه
من غير غيت ، وصكوك ضخمة من غير
وصيد .

لقد تكشفت مأساة فلسطين - واسرائيل -
من قلوب شتى ووجود متعارضة ، والإسلام
- كأدب - وحيدة وجماعة . فمن
نصم العروة بسند توثيقها ، ونقض
البين بسند توكيدها ، وفرق الكلمة بعد
توحيدها ، فهو مسلم من إيمان ،
وهربي من غير شرف ، وإنسان من
غير ضمير .

أحمد صبح الزيات

في زعمو النشأ وصفو المآدب بهرب
المسيونية المهيبة ، فتحسب الدول السج
وصورت كثنائها المظفرة إلى مصابك اليهود
في ثورة من الأناشيد والخطب . فلما صار
الامر جدأ والكلام فلأ وقفوا على
أطراف الميادين وقفة الحائر القلق هذا يتجه
إلى بريطانيا وفي يده التاج الناقص ؛ وذلك
يلتفت إلى أمريكا وفي كفه العقد المبرم ؛
والآخرون يتهيئون الامر وينتظرون في
ظلال الهدنة المفروضة ما تله الأحداث
ويقره مجلس الأمن .

وليس من هؤلاء الآخرين المنتظرين
والخلة مصر ؛ فقد قضت عليها حمايتها
للإسلام ورباطتها للعروة وأمانتها العامة
أن تقف وحدها في الميدان القادر تكافح

بارسول الله

شموبك في شرق البلاد وغربها
بأيمانهم نوران : ذكر وستة
وذلك ماضى مجدم وظارم
كأصحاب كهف في عميق سبات
فما بالهم في حالك الظلمات ؟
فما حرم لو يعملون لآق ١٩٠٠
«شوقى»

الرسالة الروحية للشباب الجامعي

للأستاذ محمد محمد المدني

إن أية نهضة إصلاحية لا بد أن تكون قائمة على أسس معنوية ، وأن يكون لها منبع روحي يمدّها ، ويبحث فيها القوة والاستمرار والقُدرة على المحاكاة والتجادة . والتاريخ يثبت أن العرب أمة صافية الجوهر ، أصيلة المذهب في صفات المروءة والشهامة والنجدة ، ولكنه يثبت في الوقت نفسه أن عنصرهم الأصيل ، وجوهرهم الكريم ، إنما لمع وبرز في العالم ذا برق أعاذ ، ونور وهاج ، حينما حلوا راية الإسلام واعتدوا بهدى القرآن ، والقرآن روح من أمراءه ، ونور يهدي به الله ، وصراط مستقيم وسبيله الله ، وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا يهدي به من نفعنا من عبادنا ، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم .

وإذن فالعروبة لم تبرز إلى العالم حين برزت أول مرة ، كعنصرية كل ما لها هو الانساب إلى عدنان أو قحطان ، ولكن كجوهر صافٍ صالح لأن يحمل دعوة إصلاحية عظمى للعالم كله . ولذلك يتجه الرأي العلمي السليم إلى تفسير قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، بأن هذه الحجرية ليست

شبابنا الجامعي هم الطليعة الأولى في جيش الحياة الواصف إلى المستقبل .

هم المقدمة من فصول الكتاب الذي ستشر صفحاته هذا يوم تعود القومية العربية بإذن الله كما كانت في أزمنه عصورها مصدر إصلاح عالمي واسع النطاق يقوم على أساس من العلم والهدى والإيمان والرغبة الصادقة في إنقاذ البشر من جميع صور الاستغلال والإذلال والظلم . هم سفراءنا إلى الأجيال القادمة الذين لن يطول بنا الزمان حتى نراهم بأعيننا ، ولكن سترغب عليهم أرواحنا ، وسنقتل إليهم أفكارنا ، وتأتيهم أبنائنا ، ويحكون لنا أوطاننا .

هؤلاء هم شبابنا الجامعي في مختلف جامعاتنا العربية قديماً وحديثاً ، من الأزهر الرابض تحت سفح المقطم منذ ألف عام أو تزيد ، إلى هذه الصروح الشاعرات من أطوار العلم في جزيرة القسطنطينية ، أو في مشارق عين شمس ، أو في مدينة (الإسكندرية) أم الفلسفات والمكتبات في عصور التاريخ ، أو في حاضنة الصعيد أسيرت ذات التاريخ العلمي المذهبي .

ومن حق هؤلاء الشباب علينا أن نقدم لهذه الرسالة إعداداً قوياً صالحاً ، وأن توجه إليهم كراثم جهودنا ، ونهديم زبد نجاحنا ، ونتمج بهم صراطاً مستقيماً يكونون به هادين مهتدين ، صالحين مصلحين .

تعالى يقول : « و الله الأسماء الحسنى قادعوه بها وذروا الذى يلحدون فى أسمائه » ، ودعوة الله بهذه الأسماء هى التعلق بها ، والتعلق لمعانيها وما توحى به وتفرغه على المؤمن : إن الله هو الرحيم ، فرحمته مبدأ الرحمة ، والمثل الأعلى الذى يوحى به هذا الاسم إلى المؤمن هو أن يكون رحيماً .

إن الله تعالى هو « البر » ، فالؤمن يجب أن يكون « برا » .

إن الله هو « العزيز » ، فيجب أن يستوحى المؤمنون من هذا الاسم كل معاني القوة . « و الله العزيز ورسوله وللمؤمنين » .

إن الله هو الغفور ، هو الودود ، هو الحكيم ، هو العليم ... إلى غير ذلك من صفات الجلال .

فدعوة الله بأسماءه الحسنى ليست هى مجرد ترديدها على سبيل الذكر المصانى ، والمد الإحصائى ، ولكن هى إدراك معانيها إدراكاً يحاط النفوس ، ويؤثر فيها ، حتى يطبعها بطابعها ، ويملاها بسطوتها ، ويدورها فى مدارها .

وإذا كان الله تعالى صفات أخرى بجانب صفات الجلال ، وهى صفات العظمة والجلال ، فإن لها أيضاً إيجاباً للمؤمنين .

إن الله هو « الجبار » ، ولكن جبروته فى موضعه - أى مع المتجبرين - عدل ورحمة : عدل ، لأنه جبار لمن ظلم ، ورحمة لأنه إنصاف لمن ظلم ... وهكذا .

ولذلك لا ينبغي أن ينظر إلى صفة من صفات الله وحدها ، ولكن ينظر إلى جميع الصفات

خيرية منصرفاً عن الناس على عناصر أخرى ، ولكنها خيرية مبدأ وفكرة ودعوة ، فإن من غفر العروبة أنها تجاوزت مع دعوة الإسلام ، ودانت لها ، وآمنت بها ، وحلتها إلى الناس . فالعالم لم يعرف العرب إلا وفى أيديهم مشكاة الهداية ، وراية الإصلاح ، ومقاييس الفضية والمثل الربية .

وإذا أردنا أن نفهم نهضتنا على أساس متين لا يمكن أن يتزلزل ، فإن هذا الأساس هو « الإيمان » :

- ١ - الإيمان بالله . ٢ - الإيمان بأنفسنا .
 - ٣ - الإيمان بالقيم . ٤ - الإيمان بالعلم .
- إنها أسس أربعة يجب أن يقوم عليها صرح البناء الذى أخذنا على أنفسنا أن نبنيه .

● فالإيمان بالله هو الأساس الأول ، وهو عقيدة باهتة هادية مشبعة ، وليست كما يزعم الملاحدة وأشباههم عقيدة مشبعة أو معوقة أو مكبة للمقول .

إن القلوب إذا فرغت من الإيمان بالله ضعفت أطم الأحداث وتزلزلت وانهارت مقاومتها ، ولكن المؤمن الصادق الإيمان قوى القلب ، يفتح عنه إيمانه هياب الظلمات ، ويهديه فى أوقات الخيرة .

والإيمان بالله هو ارتباط على بين الإنسان والمثل العليا ، لأن الله تعالى هو منبع هذه المثل ومصدرها ، وهذا المعنى هو المعبر عنه فى القرآن الكريم « بالأسماء الحسنى » ، فانه

ولذلك يقسم الله عباده إلى فريقين : فريق المصدقين بالحسن ، وفريق المكذبين بالحسن ، فالحسن هو القيم ، والتصديق بها هو الإيمان بقيامها ووجودها ووجوب رعايتها ، والتكذيب بها هو إنكارها والتحلل منها ، والخروج على مقتضياتها وأحكامها ، ومن صدق بالحسن يمرء الله ليسرى ، وهي حياة اليسر والسعادة ، ومن كذب بالحسن فانه ييسره للعسر ، وهي حياة الشقاء وملابسة الصعاب .
أما العلم فحسبنا أن نعلم أن الله تعالى كرمه ورفع أهله إلى مقام عظيم ، حيث ذكرهم معه ومع ملائكته فقال : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، وأنه جعل معرفة الحق ورويته رأى البيان من شأن أهل العلم حيث يقول : ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد .

وأولو العلم هنا ، ليسوا أصحاب العلم الديني فقط ، وإنما هم أهل كل علم : علم الحياة ، علم الآفاق ، علم السنن السكونية في مظاهرها المختلفة : في النبات ، في الحيوان ، في الإنسان ، في الجبال ، في الأنهار ، في عالم الأفلاك ، في كل ما يدرسه شبابنا الجامعي من علوم الدين والدنيا ، وفي كل ما تقوم عليه رسالة الإنسان باعتباره خليفة في الأرض ؟

محمد محمد العربي

ككل ، نعرف الله بجميع صفاته ، ومن هنا وأينا القرآن الكريم يتبع الصفات واحدة بعد واحدة دون عطف كأنها جميعا وصف واحد فيقول مثله هو الله الذي لا إله إلا هو الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر .

فن أهم ثمرات الإيمان العملية أن المؤمن يرتبط قلبه بربه ، أي بالمثل والصفات العليا ، فيستوحيا ويهفو دائما إليها ، ويدير حياته وتصايف أفعاله على هدى منها ، وفي نفاثاتها وقلسكها .

والإيمان بالنفس ثمرة من ثمراته الإيمان بالله ، لأن المؤمن يعلم أن الله وحده هو الذي يملك ناصيته ، وهو الذي له الملك وله الحكم ، وله الأسر ، وهذا لا يذل ، ولا ينازل عن نفسه ، ويعرف أنه هو وسائر الناس مقادير أمام ربوبية الله ، وأمام تقدير الله وحكم الله .

وهذا منبع القوة والكرامة وكسب النفس ، ولذلك نجد القرآن الكريم يقرن بين خسارة النفس وعدم الإيمان ، فيقول : « الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » ، والإيمان بالقيم هو الذي يجعل الحياة كريمة لها طعم ومذاق ، وهو الذي يعمل بالإنسان إلى صعيد فوق مستوى الحيوان الأعمى .

والذين يشكرون للقيم والفضائل هم الذين يضطربون حادة ، وإن ظنوا أنهم بمنجاة من الاضطراب إلى حين .

الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم

للدكتور عبد الحليم محمود

- ٢ -

كلا ، والله ما يخزيك أبداً ، إنك لتصل
الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدم ،
وتقري الضيق ، وتعين على نوائب الحق .

إن هذا الوصف الصادق للرسول ، صلى الله
عليه وسلم ، إنما يعبر في كل جملة من جملة من
الرحمة ، وهو وصف أتم به الرسول صلى الله
عليه وسلم ، طيلة حياته ، والآية القرآنية :

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، لا تخصيص
فيها ، لا من ناحية نوع الرحمة ، ولا من ناحية
موضوع الرحمة ، ويشرح هذه الآية في شمولها
وعموها : يشرحها في دقة وفي عمق ، موقف
كريم من مواقف التوجيه النبوي : لقد كان
الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يتحدث عن
الرحمة ، ويدعو إليها ، ويعرف بجزائها من
الدين . فقال بعض الصحابة رضوان الله عليهم :
« إنا نرحم أزواجنا وأولادنا وأهلينا » .

فلم يرش هذا القول رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم : لأنه فهم قاصر محدود لما ينبغي
أن يكون تاماً شاملاً ، إنه تقييد للطلق ، ولذلك
رد عليه الرسول ، صلى الله عليه وسلم بقوله :
« ما هذا أريد ، إنما أريد الرحمة العامة » .
وما من شك في أن من الرحمة : رحمة
الأزواج ، والأولاد ، والأهل ، وقد حث
على ذلك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عليه .
بيد أن ما أرواه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،

بقول الله تعالى عن طابع الرسالة الإسلامية ،
وعن طابع الرسول ، صلى الله عليه وسلم :
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

لقد كان إرسال الرسول ، صلى الله عليه
وسلم ، رحمة ، إذا نظرنا إلى الرسالة الإسلامية
وكان إرساله رحمة ، إذا نظرنا إلى شخصيته ،
يقول ، صلوات الله وسلامه عليه :

« إنما أنا رحمة مهداة » :

لقد كان رحمة مهداة من حيث الرسالة ،
وكان رحمة مهداة من حيث الذات .

لقد كان ينتسب صلوات الله وسلامه عليه
إلى الرحمن رحمة ، وينتسب إلى الرحمن صفات ،
وكان ينتسب إلى الرحيم رحمة ، وينتسب إلى
الرحيم صفات إنه - رحمة وصفاته - يبر في
حياته ، باسم الله الرحمن الرحيم مبشراً باسم الله
الرحمن الرحيم . إنه نبي الرحمة وإنها رسالة الرحمة ،
واقص سبحانه وقته إلى ، قد ربي رسوله على هيئة ،
واصلطمه لنفسه ، فنتجاً على الرحمة ، فهو ،
صلوات الله عليه وسلامه رحمة منذ ميلاده .
وإننا ، إذا أردنا تعبيراً بجملاً جامعاً لمعاني
الرحمة التي اتصف بها نبي الرحمة ، فإننا نجد
في وصف السيدة خديجة ، رضوان الله عليها
للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حينما فاجأه الوحي
وحديثها به وقال لها : « لقد خفيت على نفسي » .

فأله ، رضى الله عنها ، فوراً :

أما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قد كان مبروقاً ، مبرقاً كل من عرف رسول الله وحرف طابعه ، وعرف صفته الطابع بطابع الرسالة الإسلامية ، إنه أخذ الفدية ، ولقد كان أبو بكر ، رضي الله عنه ، أمثل الناس في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان اجتماعه من اتجاه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وهذا الاتجاه لرفيقي النار أبدى الله سبحانه بل زاد عليه حينما ظهر رسوله ، فيما بعد ، بأنه إذا وضعت الحرب أوزارها : له أن يمن وله أن يأخذ الفداء : ، فإما منا بعد وإما فداء . وقبل بدو ، أخذ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الفداء ، فقد قاضي في سرية عبد الله ابن جحش ، قبل بدو بنحو عام .

فلما كانت بدو ، سار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على سنته ، وتصرف مستلها طابع الرسالة التي أرسله الله بها ، ولكن بعض الصحابة ، وضوان الله عليهم ، نظر إلى موضوع الفداء نظرة مادية ، وأخذ في تقدير الفدية : وزناً وكيلاً ، وقيمة ومقداراً وكماً وكيفاً ، وأخذ في تكيف الفدية بحسب الغنى والفقر ... إن بعض الصحابة نظر إلى المسألة نظرة مادية ، فقول قول الله ، سبحانه وتعالى ، مصححاً الوضع لمؤلاء الذين لم يضعوا الأموال في وضعها الصحيح ، ولم ينووا ميزان التوجيه الإلهي .

يقول الخطيب القسطلاني في كتابه المواهب الدنية ، في ذلك : « فيه بيان ما خص به

لأنما هو أن تتخلل الرحمة في الكيان الإنسانية كله ، حتى تصبح ، وكأنها من فطرته وطبيعته وجبلته ، فيكون الإنسان وكأنه قبس من الرحمة الإلهية : ينثرها إذا سار ، وينثرها إذا جلس ، وينثرها أينما كان وينثرها حيثما حل .

وإذا كان كذلك فإنه يكون قد حقق الطابع العام للرسالة الإسلامية : رحمة للعالمين . ولقد حقق الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،

هذا الطابع : بقوله ، وحققه بفعله ، ولقد كانت الرحمة - وهي طابع الرسالة الإسلامية -

هي طابع تصرفاته ، وانظر إلى الحادثة التالية الحادثة التي نزل فيها قوله تعالى : « ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ،

وهي لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر سبعون ، استضاف النبي

صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العجم ، والمشرية والإخوان ، وإن أرى أن تأخذ منهم الفدية

فيكون ما أخذناه منهم قرة لنا على الكفار وحسب أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلت : والله ما أرى ما رأى

أبو بكر ، ولكني أرى أن تمسكتني من فلان (قريب لعمر) فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من

هليل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه ، يعني العباس ، فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه

ليس في قلوبنا هوادة ، أي ميل للمشركين ،

ثم إن الله سبحانه : لم يأمر المسلمين برد الفدية ، وما كان أيسر ذلك ، ولم ينقض الله سبحانه . ما أبرمه رسوله ، المبرأ من أن يسير إلا على بصيرة ، والمنزه عن أن يهدي إلا إلى الصراط المستقيم ، صراط الله .

هذه الفطرة الرحيمة حملت الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على أن يكافح طيلة حياته في غير فتور ، ولا هوادة ، لبداءة الإنسانية وإسماعها ، لقد كان ، صلى الله عليه وسلم ، يشق على نفسه في سبيل ذلك ويحملها من الأمور ما لا تطيق . حتى لقد قال الله له : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » .

وقال سبحانه : « فلذلك باغع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

ولقد رسم الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، موقفه من الناس ، ومثله بموقف رجل يحاول ما استطاع أن يمنع الناس عن القردى في نار يتهاقون على الاحتراق فيها ، ولعل الحادثة التالية تصور بعض جوانب التربية الرحيمة التي كان يستعملها الرسول : صلى الله عليه وسلم في سلوكه مع الناس . وهي ، وإن كانت خاصة برجل معين ، فإنها ليست بمقصودة عليه بل لمصافة العموم جاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له مستفسراً متودداً : أحشت إليك ؟ فقال الأعرابي لا : ولا أجلف ، فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم الرسول ، صلى الله عليه وسلم

وفضل من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فكانته قال : « ما كان هذا لني غيرك » ، ويقول الفاضل بكر بن العلاء : « أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتب له من إحلال الغنائم والفداء » ، والترجيح الإلحى في عامة رسائل السماء ، أنها رسالة رحمة ، ورسالة الرحمة ميزات ، وخصوصيات تفيض عن الرحمة نفسها ، وما كان لني من قبل ، ما كان لني من قبل نبي الرحمة أن يكون له أسرى حتى يمتحن في الأرض قلنا كانت رسالة الرحمة ، ولما كان نبي الرحمة : أبلغ الله له التصرف بحسب الرحمة ، وهو الفداء ، ثم زاده تكريماً على تكريم حيث زاده رحمة على رحمة ، لجعل له الخيار بين المثل والفداء . وإن كل نظرة تفيض من هذه النظرة وتصدر عنها لا ترى ولا تحس ولا تشعر بالجانب المادي ولكنكم يا هؤلاء الذين نظرتهم النظرة المادية : تريدون عرض الدنيا وتتخطونه مقياساً ، إنه ليس بمقياس ، إن المادة ليست في موازين الله مقياساً ، فإن الله يريد الآخرة ، ويريد للذين آمنوا به وبرسوله أن تكون ما يفيهم مستمدة من كتاب الله ومن توجيهات رسوله ، صلى الله عليه وسلم : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة ولأن أفضل الله على رسوله أنه سبحانه لم يقل : « أسوة » وحسب وإنما قال : « أسوة حسنة » ، وقال سبحانه .

« أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وكان إذا سئل أن يدهو على أحد عدل
عن الدماء عليه إلى الدعاء بالمداية والصلاح
وكان يريد باستمرار أن يشعر المسلمون ؛
بل الناس على وجه العموم ، بالتعاطف فيما
بينهم . مثل مرة : أى الناس أحب إليك ؟
فقال : أنفع الناس لناس . وسئل أى
الأعمال أفضل ؟ فقال : إدخال السرور على
المؤمن . وقال : أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم
خلقاً ، وألطفهم بأهل .

وكانت رحمته ، صلوات الله وسلامه عليه
عامة شاملة حتى لقد تناولت الحيوان الأحمم
لقد قال - يحكى عن الشفقة بالحيوان : -
« بيننا رجل يمشى ، فاشتد عليه العطش ، فزول
بشراً فشرب منها ، ثم خسر جرحاً منها ، فإذا
هو بكلب يلهث الثرى (يأكل الثرى من شدة
العطش) فقال : لقد بلغ بهذا السكب مثل
الذى بلغ بى ، فلاخفه ، ثم أمسكه بفيه ، ثم
رفق ، فسقى السكب ، فشكر الله له ففرقه ،
قالوا يا رسول الله : وإن لنا فى الجاهل أجراً ؟
قال (نعم) لكم فى كل ذات كبد عطية أجر .
وقال ، صلى الله عليه وسلم : « دخلت النار
امرأة فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها
وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش
الارض . »

لقد كان صلى الله عليه وسلم رحمة وكان
رحمة للعالمين .

الركنونه هير الحليم محمود

أن كفوا ، ثم قام ، ودخل منزله ، وأوصل
إلى الأعرابي ، وزاده ، ثم قال : « أحسنت
إليك ؟ فقال الأعرابي : نعم جزاك الله من
أهل وحشيرة خيراً ، فقال له النبي ، صلى الله
عليه وسلم : إنك قلت ما قلت وفى نفس
أصحابي شيء من ذلك . فإن أحببت فقل بين
أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم
ما فيها عليك .

ومحدث الأعرابي إليهم ، وطابعت أنفس
أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
بقول الأعرابي فقال ، صلوات الله وسلامه
عليه ، هذا التعقيب الرائع :

« إن مثل ومثل هذا الأعرابي : كشمل
وجمل كانت له ناقة شردت عليه ، فانبعا
الناس : فلم يزدوها إلا نفوراً ، فتأدام
صاحب الناقة أن خلوا بينى وبين ناقة ، فبأنى
أرفق بها وأعلم ، فتوجه إليها صاحب الناقة
بين يديها فأخذ لها من قام الأرض ، فردها
هونا هونا ، حتى جاءت واستناخت ، وشد
عليها وحلها ، واستوى عليها .

وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال
فقتلتموه دخل النار . »

لقد كانت نفس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، رحيمة حتى مع الأعداء .

لقد قيل له يوم أحد ، وهو فى أشد
المواقف حرجاً : لو لعنتهم ، يا رسول الله
فقال ، صلوات الله وسلامه عليه : « إنما
بعثت رحمة ، ولم أبعث لعناً . »

فيحاشيت القرآن

من تصوير القرآن لمشاهد الآخرة

للأستاذ عبد اللطيف التبكي

« ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ، يتعارفون
بينهم قد خسر الدين كذبوا بقاء الله ، وما كانوا مهتدين » .
آية - ٤٥ - يوسف

ولكن شامت حكمة الله في تدبيره أن يفضل
فيسوق إلينا بعض الغيب عنا قبل أوامه ،
ليكون ذلك تثقيفاً لنا ، وبصراً ، وعونا
لأنها منا حل إدراك ما يناط بنا من تكليف ،
وليكون استقناعاً لنا إلى حل الخير طمعاً في
جزائه ، وإلى تحاشي العصيان خوفاً من عواقبه .
٢ - ومن هذا الغيب الذي يصوره لنا
القرآن أن الكفار حينما يبعثون من
قبورهم في اليوم الآخر يتخيلون أن الأزمته
الطولية التي مرت على الأجيال في دنياها ،
ثم في قبورها لم تكن أكثر من ساعة واحدة
من ساعات النهار التي كانوا يهدونها في الحياة
الأولى ، وكانت تمر بهم في سمر لاه ، وحمل
باطل ، ويوم تقوم الساعة يقسم الجرمون .
ما لبثوا غير ساعة ... ولماذا يتخيلون
ذلك ؟ هل كانت أرواحهم في عناء حتى
انطوى عليهم الزمن سريعاً كما تنفض متع
الحياة ؟ لا ... ولكن لأنهم كانوا في دنياهم
يستبعدون البعث ، ولا يؤمنون بالغيب بعد ما

١ - هذا نبأ من أنباء الغيب عن الحياة
الآخرة بالنسبة للكافرين .
ومثل هذا النبأ ليس من العلم الذي تتعلق
به حواسنا ، ولا مما تتكهن فيه عقولنا .
ولكننا نؤمن به كغيب عرفناه من طريق
السمع والنقل عن كتاب الله ، أو تبليغ
الرسول - صلى الله عليه وسلم - .
ومن لم يؤمن بالغيب : فهو المكذب
ببقاء الله ، وهو الذي تشهد عليه الآية هنا
بأنه لم يكن من المهتدين .
ومع ما نعرفه من أن مواهب الإنسان ،
وجهوده الباشطة في مجال المعرفة قد انطلقت
في مجالها ، وأبعدت في دنيا العلم وأحاطت بالكثير
من طرائفه ، ولا تزال تبرز لنا عجائب مطوية هنا
في هذا الوجود : فإن تلك المواهب ، والجهد
لا تتجاوز عالم الشهادة ، ولا يتاح لها أن تتصل
لشيء بما استأثر الله به : ديناً ودنيا كالأجل ،
والأرزاق ، والمخطوط ، وكشئون الآخرة
وما هناك من أقدار . قل إنما الغيب لله .

وذلك كله من الغيب الذي يبادرنا الله به قبل أن
يحين موعده لتكون العبرة شاخصة أمام بصائرنا
جميعاً ، ولا يكون للكافرين معذرة هندية .
٤ - وهناك مواقف أخرى تتطلع فيها

المخادرة ، ويسرون فيها التهمة المكبوتة ،
ويشغلهم المم المحدث بهم من عاولة التصل ،
والاحذار ، ولا يسأل حم حيا ، عن
موتة أو دعوة كما كانوا يتعانون في الدنيا على
الإثم والمدون .

٥ - يرد الجرم لو يفتدى من هذاب يرمث
بينه ، وصاحبه ، وأخيه ، وفصيلته التي
تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه ،
هذا الفداء لو استطاعه .

ورب قائل : كيف نسي هذا علم الغيب
والمعروف كما سلف أن الغيب لله وحده .
والجواب : أن الله - تعالى - محيط علمه
بكل شيء بما كان ، أو يكون إجمالاً ، وتفصيلاً .
ولكنه رحمة بعباده يكشف لهم عن بعض
جوانب الغيب تبصيراً لهم بما هنالك ليتبينوا
الرشه من الغنى .

وليس معنى ذلك أننا شاركناه في علمه
المطلق ... ولا أنه يطلعنا على جميع غيبه ..
بل هي نسب محدودة من فيض علمه ، وبقدرة
ما نحتاج ... والذي نعلمه من ذلك لا يطل
على غيبته ، بل صار معلوماً لنا ولو إجمالاً
ولا يمحيطون بشئ من علمه : إلا بما شاء ..

٥ - ونحن نعلم أن الدنيا وما فيها كانت
غيباً عن عالم الشهادة ... ثم تطلعت إرادة الله

فيه من حياة فاته ، أو كانوا يرمعون لأنفسهم
كرامة عند الله ليست لسوام ، فمن يمدبهم
الله كما يمدب الآخرين لأن هؤلاء أبناء الله ،
وأحبائه كما يمدب اليهود .

فهؤلاء جميعاً يخرجون من الأجداث ،
وحينما يفجأهم الموقف الرهيب بأحوال القيامة
يتلاشون ذمهم الجاحد ، ويبدو لهم من كرب
الآخرة ما لم يكونوا يحتسبونه ، ويتأكدون
أن موعد القيامة كل حقاً ، وكان قريب
الحصول ، حتى كأن حياتهم ، وقبورهم لم
تستغرق أكثر من ساعة واحدة .

فهم حينئذ بين حاضر تبسدهم في لحظة
ولن يموت ... وبين حاضر تكشف لهم عن
هوان غير محدود .

٦ - وم حينئذ يتعارف بعضهم على
بعض بالتعسر ، وبالدهشة من ذلك المول
الذي طاشت له حقوقهم ، وم يتلادمون على
علم ما فرط منهم ، ويحاول كل اسرى أن
يلقي وزره على غيره .

فيقول الضعفاء في الدنيا الذين كانت لهم
السيطرة عليهم : إنا كنا لكم تبعاً ... لولا
أثم لكننا مؤمنين ،

ويقول الذين استكبروا : أنحن صدقناكم
عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين .
يعني لم نخضعكم من الإيمان ، وإنما كنتم
كفراً باختياركم .

وهكذا من الحوار الأسيف الذي يتردد
بينهم .. ويحكيه لنا القرآن منذ نزل القرآن .

وبالنسبة للنفخ في الصور : وإذا أنا يوم
القيامة ، وميكائيل بالنسبة للأرزاق ، هل
ما هو مذكور في مواضع من كتب السلف
والرسول كذلك .. هو النبي الذي يختاره
الله للنبوة ، أو يبعثه بالرسالة ... فإنه الله يوحى
إليه بما يشاء من عليه ليقوم ببليته إلى قومه ..
وسواء أكان الرسول ملكاً ، أو إنساناً فإن
الله يقضى إليه بشئ من الغيب عنده ...

وهكذا ما نحن فيه من حديث الآخرة ،
فهو غيب ، أخبرنا به الله ، تفضلاً علينا ...
كما أثنى على رسوله منا عن الأولين ، ونحن
علينا سهرم ، وما كنا ندرها ، لاها غيب
سابق ... والله ذو فضل على الناس .

وتلك كلها تصرفات هلوية ، اقتضتها حكمة
الله في خلقه ، فلا نستعين بها ، ولا نتصرف عن
تعلمها ، ولا ننسى أن القرآن حافل بالتوجيهات
إلى الإيمان بالغيب عامة ... حتى لا تنثر
في جهالتنا المطلقة ما يغيب منا ، ولا نفتر
بقشور علينا كما يفتر الماديون ، فيسكرون
ما يغيب عن حواسهم .

والله ينهنا إلى ذلك في قوله تعالى : « يعلمون
ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم
غافلون » .

ومهما يكن العلم فتنة لبعضنا فهو علم ضئيل
لا ينبغي أن نستعمل به : « وما أوتيتم من
العلم إلا قليلاً » .

عبد المطلب السبكي

بإرلاهما شيئاً فحينئذ على صفحة هذا الوجود
طبقاً لنا جرى به عمله ، وقضاه .

ونحن في كل وقت نستقبل من عالم الغيب
أفضية ، وأحداثاً لم تكن مكشوفة لنا ، ولم
نكن نعلمها حينما كانت محجبة عنا ، ثم
أصبحت ، شهودة لنا في غير إنكار ، ولا ريب .
فلا عروبة عندنا أن يخبرنا الله ببعض
الغيب في الآخرة عن أحوال القيامة ، وعن
الجنة ونعيمها ، وعن النار وشقائها ، وعن
المؤمنين والكافرين في أخرام بعد أن يقضى
الله بهم قضاء العادل .

٦ - وانقرروا في تراثنا العلى أن الله
- تعالى - حينما يأذن بتعميد أمر غيبي حان
موعده يعهد به إلى ملائكته الموكلين بتنفيذ
ما يريد ، فلا يعتبر هذا الأمر غيباً عند الله
كما كان ، بل أصبح معلوماً للملائكة ، وإنما
يظل غيباً منا نحن إلى آمد .

إذا وقع الأمر في موعده صار مشهوداً
لنا ، ولم يبق غيباً .

والله يقول في ذلك : « عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه أحداً ... إلا من أوتى
من رسول » .

ومعنى ذلك : أن الغيب سر عند الله ،
محبوب عن عباده ، ولا يظهر الله غيبه
إلا لمن اختاره من رسله ... والرسول هو
الملك الذي يقضى إليه المولى بشئ من عمله
الغيبى : كجبريل بالنسبة للوحى ، وكعزرائيل
بالنسبة للموت ، وكإسرافيل بالنسبة للرياح

اللغة العربية بين الفصحى والعامية للأستاذ عارف النكدي

وتفرقهم ، فصارت لهجات ولغيات ثم لغات مستقلة منفصلة بعضها عن بعض . هذا مذهب علماء اللغات .

وقد تكون لغات منذ نشأت لغات عديدة تبعا لتعدد الأناس الأولين ، وتعدد مواطنهم وهذا ملصوب علماء الأحياء .

وبأى الرأي أخذنا ؟ فقد انتهى الناس إلى أن يكون لكل أمة منهم لغة مستقلة منفصلة عن غيرها . ولو كان بعضها واحداً ، إلى زمن غير بعيد .

وصرفنا إلى يوم تعد فيه وحدة اللغة ، دليلاً على وحدة القوم ، بل وحدة الأمة . فليس الناس بأبناء الدم الواحد ، وإنما هم أبناء اللغة الواحدة . والقول بأن الأمة تتألف وحدة دموية بفعل التكاثر بالتوالد ، لا يخرج عن أن يكون خرافة ينكذبها التاريخ بما وقع فيه من فتوحات أدت إلى اختلاط العناصر وازدواجها وتداخلها بعضها في بعض ، تدخلا لا سبيل إلى فصله ولا إلى تمييزه . وإذا صدقت هذه القرابة الدموية على شعب من الشعوب ، فأنما تصدق على القبائل البدائية المنزلة ، التي لم تؤثر في الحضارة العالمية ، ولا أثرت هذه الحضارة فيها .

فالأمم والشعوب المعروف تاريخها ذوات

(الإنسان مدني) هكذا ما قاله الفقهاء والفلاسفة من قبلهم . وسواء أكانت مدنيته هذه بطبيعته ، ورغبة منه في الاجتماع ، أم كانت الحاجة له إلى التعاون طلباً للحاش ، فهو في الحالتين لا بد له من مجتمع بشري يمشي فيه ، والاجتماع يقتضي التعارف والتكامل ، ولا سبيل إليهما إلا باللغة .

واللغة بدأت أول ما بدأت صرخات وصيحات نفسية كان يعبر بها الإنسان عن خلجات نفسه وعن حاجاته . ثم ارتقت فارتقت فصارت أصواتاً وحركات وإشارات ثم تحولت ألفاظاً انتهت عليها الجمل ، ولإيضاح عن أغراضهم ومقاصدهم . وبدأت اللغة ضيقة ، على ما يبدأ الطفل لنته ، يعبر بها عن الأشياء الضرورية له ، المحيطة به ثم جعلت تلتسع مع الأيام . وتزداد بازدياد حاجات الإنسان ، وتنوع أغراضه . ثم أخذت ترتقي ، ولا تزال ، بارتقاء أبنائها في التفكير وفي العلوم والآداب ، وباتساع الدولة وامتداد سلطانها وما يتبع ذلك من مدنية وحضارة ووسائل مقومات العمران .

وقد تكون اللغة نشأة واحدة ، على فرض الإنسان الأول كائن واحداً ، ثم تشعبت هذه اللغة وتفرعت ، بتشعب الشعوب

هل لغتهم ، وبالفوا في حياتها - وتهدبها -
 حتى كان الغريب منهم ، إذا هو انقلب اليهم -
 ودخل فيهم فاستعرب ، جرى على سقمهم فسر
 لياليه يتلس العريضة في مظانها مستقرها
 جهده ، مستقنذا كده حتى يخرج وكأنه
 واحد من آحادهم ، لغة وأدبا ، وبلاغة
 وفصاحة في شعره ونثره وفي أماليه وتأليفه .
 بل لم يجلوا من أسواقهم التجارية ، أسواقا
 أدبية ، كانت من أسباب لقاء اللغة وصفاتها ،
 وتقريب مصطلحاتها وتهدب الفاظها . إلى
 أن نزل كتاب الله فأثني إليه العرب بمقام
 والعربية بمقايدها . فكان دستورهم الأعظم .
 يؤخذ عنه ويرجع إليه .

فإن انتشر العرب بالفتح ، وامتد سلطانهم
 إلى الشرق والغرب ، في آسيا - وإفريقية
 وأوروبا ، وطال بهم الزمن ، ووقع لهم
 الاختلاط بمجاورهم وكثر بينهما الأرواح
 والأصهار وتعددت المعاملات من تجارية
 وزراعية وصناعية بينهم وبين جيرانهم .
 كان من نتيجة ذلك وطبيعته أن تغد اللغة ،
 وأن يكون للعامة لغة سوقية لم تحف عندهم ،
 تعتمد مع الزمن إلى الخاصة .

يقول أبو عبيدة في الرقشيين :

(وكان أبوم خطيباً . وكذلك جدهم .
 وكانوا خطباء الأكاسرة . فلما سبوا وولد لهم
 الأولاد في بلاد الإسلام ، وفي جزيرة العرب
 نزعهم ذلك المرق ، فقاموا في أهل هذه اللغة

المحضرات والوحدات السيلية والقومية ،
 ما تمت وحدتها بالقرابة النحوية ، بل
 بالقرابة الصناعية من وحدة الإقليم ،
 والمادات ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة .
 وأهم من هذا كله والعامل فيه وحدة اللغة .
 هذا كان في الأمس الغابر البعيد ، وهو
 كائن إلى اليوم فليس في الأمم أمة يجمعها الدم
 الواحد ، وإنما هي جماعات جمعتها اللغة الواحدة .
 فالأميركان ، إن لم إلا بحرقة من شعوب
 الأرض . والفرنسيون خليط من الدول
 والجرمان وغيرهما . والإنجليز أنفسهم على
 اعتدادهم بنسبهم ، لا يخرجون عن أن يكونوا
 مزيجاً من شعوب كثيرة ، وأن تكون لغتهم
 تجمع بين السكونية واللاتينية . ولوكهم
 دهم سكوني وبرمان إلى اليوم ، وسيكون
 سكونيا وجرمانيا ويوفانيا غداً ، ونحن
 العرب هل عنصبتنا الجاهلية ، وإبائنا السابق
 أن نصير إلى غير عربي ، وامتاع العرب
 أن يدنوا لمجين ... ولو أنه سليمان
 ابن عبد الملك - نحن فينا أيضا العرب المستعربة
 وهم قوم تعلوا العربية واتخذوها لغة ،
 خصيتهم عربا . وقد عاقل أفصح من نطق
 بالعناد : (ليست العربية لأحدكم باب ولا أم ،
 وإنما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي)
 وإذا كان في الأمم أمة خرجت من هذا ، فلا سب
 لأقلية أو تاريخية ليس هنا موضع تفصيلها .
 عرف العرب قيمة اللغة ومكانتها ، فحرصوا

مقاهم في أهل تلك اللغة . فهم شعر وخطب وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرياء إليهم . ففسد ذلك الحرق ودخله الخور) . وزاد الأمر بلاء ، واللغة فساداً ، ضعف الدولة العربية . ثم صيرورة الحكم إلى غير العرب . فكان من الملوك والأمراء من لا يعرفون من العربية كثيراً ولا قليلاً . فرغب الناس عن العربية وعلومها لكساد سوقها ، وحاد الغنى والأديب لا يجد في العلم رزقه ، بعد أن كان الأدب واللغة سبباً من أسباب المكاسب والجاه والمناصب .

وكان الخطأ والحقن في المصدر الأول وما بعده ، نقيصة وضللاً . قال صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابهم : (أوشدوا أعانكم فقد ضل) . وقال المازني : سهرت عند المأمون فأجرى ذكر النساء فقال : (إذا تزوج الرجل امرأة لديها وجمالها كان فيها سداد من هوز) فقال المازني : قلت : نعم يا أمير المؤمنين عن رسول الله : (إذا تزوج الرجل المرأة لديها وجمالها كان فيها سداد من هوز) .

قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : كيف قلت (سداد) قلت نعم لأن السداد هنا نحن قال أرتلعتني ؟ قلت : إنما نحن هشيم . وكان لحننا - فتبع أمير المؤمنين لفظه . وكتب رجل صاحب بن عباد يطلب إليه حملاً . وغتم كتابه بقره : فإذا رأى أشغاله (يريد نفسه) فيه بعض أشغاله (يريد أشغال

الصاحب) فعل إن شاء الله . وكأنه أراد من هذا التجانس بين أشغاله وأشغاله أظهار بيانته تقريباً من الصاحب وهو هو بأدبه وفضله . غير أن الأمر وقع خلاف ما أراد ، إذ وقع له الصاحب : من يقول أشغالي لا يصلح لأشغالي . ويروي عن سيف الدولة ابن حمدان : أنه ما قال لقائم : اجلس :

إلى كثير من أمثال ذلك مما يروي عن الخلفاء والأمراء وأوزراء . من المبالغة في سلامة اللغة ، والرغبة في تخيير الراجح السليم من اللفاظ ، ونبيذ المرجوح السقيم ، والابتعاد عن صفة الخطأ والحقن . وتراخي الأسر حتى ما كان نقيصة وضللاً صار فضيلة وجمالاً . ولزم الخطأ المأمور والأمير والصغير والكبير . فقد أمر أحد الوزراء ببناء يوضع عليه اسم الأمير . فكتب الوكيل (أمر ببناء هذا المكان أبو فلان) وكان الوزير كان يرى أن (أبي) أجل قدراً وأرفع شأنًا للتعظيم . فلام الوكيل أن استعمل (أبو) بدلاً من (أبي) فاعتذره الوكيل بأن الإعراب اقتضى الرفع فـ (أبو) هنا قائل . فنضب الوزير وقال : ومتى رأيت الأمير قاعلاً يحمل العاين والهجارة) .

يقول ابن حزم : (إن اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها ، ودخول غيرهم عليهم في أما كتبهم أو ينقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم . فإني أفيده لغة الأمة وعلومها وأخبارها ما قال لقائم : اجلس :

إلى كثير من أمثال ذلك مما يروي عن الخلفاء والأمراء وأوزراء . من المبالغة في سلامة اللغة ، والرغبة في تخيير الراجح السليم من اللفاظ ، ونبيذ المرجوح السقيم ، والابتعاد عن صفة الخطأ والحقن . وتراخي الأسر حتى ما كان نقيصة وضللاً . ولزم الخطأ المأمور والأمير والصغير والكبير . فقد أمر أحد الوزراء ببناء يوضع عليه اسم الأمير . فكتب الوكيل (أمر ببناء هذا المكان أبو فلان) وكان الوزير كان يرى أن (أبي) أجل قدراً وأرفع شأنًا للتعظيم . فلام الوكيل أن استعمل (أبو) بدلاً من (أبي) فاعتذره الوكيل بأن الإعراب اقتضى الرفع فـ (أبو) هنا قائل . فنضب الوزير وقال : ومتى رأيت الأمير قاعلاً يحمل العاين والهجارة) .

أو كلهم يزعمون إلى اللغة العامية . وقد يكون الدكتور « فولارس » ألمانيا من السابقين أو كان السابق الذي تناول هذا البحث . فالف كتابا بالألمانية جمع فيه — على زعمه — قواعد اللغة العامية المصرية . كان ذلك لستين سنة وتزيد ، ثم تابعت طائفة من إخوانهم المستشرقين : منهم — في رأيهم — من رغبة في توحيد اللغة العربية وتبسيطها ومنهم — من سوء نية — خدمة للاستعمار بتمزيق وحدة الأمة العربية الفصحى ، تمكيناً لتزريق وحدتها السياسية والقومية .

ولم يتحصر هذا البحث في المستشرقين ، فعالمته جماعة من العرب كانوا لساناً واحداً في جانب اللغة الفصحى وتأيدوه . الا نقرأ قليلاً جداً ذهب به شعوبيته وعداؤه للعرب والعربية إلى الانتصار للعامية .

والذين انتصروا للعامية ولا سيما من المستشرقين كتبوا عنها وألفوا لها ، بلغاتهم لا بها . مجزأ منهم ومنها أن يودوا أهراسهم بها ، لاستحالة القراءة والكتابة بالعامية إلا بالجهل والشفقة .

إلا أن واحداً من أبناء العرب ، كتب كتاباً بالعامية ، جهل أحموكه الأصاحيك لا يقرأ وإذا هو قرأى بعد كذا ذهن وأعمال الروية فلا يفهم إلا بالتضجر والذليل والفرجة . ثم هو بعد يحتاج إلى الاستعانة بأبناء القرية التي أنجبها طائفتنا النعير .

قوة دراتها ونشاط أهلها . وأما من تلفت دولته ، وغلب عليهم هدوم واستقلوا بالحرف والحاجة والذل ، وخدمة أعدائهم ، فضعفون منهم موت الحاضر . ولربما كان ذلك لفتات لغتهم ، ونسيان أنسابهم ويهود علومهم) . (هذا موجود بالمعاينة ، معلوم بالمقل ضرورة) .

قتل الدولة العربية ، واختلاط العرب بغيرهم ، وغلب المعجم عليهم ، أفسد العربية ولولا كتاب الله لأحب بها جملة .

هذا الفساد جعل من اللغة العربية الواحدة لغتين اثنتين : لغة فصحى ، ولغة عامية وهي مشكلة لغوية وقومية ليس عند غيرنا من الأمم مثلاً . نعم : قد يكون عند بعض الأقوام ألفاظ وتمايز تستعملها العامة ، وأحياناً بعض الخاصة ، في أحاديثها الخاصة وفي بعض شئونها البيتية اليومية تختلف عن لغة الكتابة وقد لا تدخل فيها . ولكنها ألفاظ وتمايز معدودة لا تبلغ أن تكون لغة مستقلة ، كما يكاد يكون الحال عندنا . وليس من شك أنها مشكلة من أعقد المشاكل أن يكون للأمة الواحدة لغتان أصليتان . هذه المشكلة لتحت علينا بابا البحث في اختيار إحدى هاتين اللغتين ، واعتماداً اعتماداً تاماً شاملاً للكتابة والخطابة .

ولعل المستشرقين كانوا أول من فتح هذا الباب ، وطاخ هذا الموضوع . وكان أكثرهم

أنعمل هذه العامية عامة لجميع الأقطار العربية أم نجعل لكل قطر لغته .

فإذا كانت الأولى ، وأردنا أن نوحده هذه

اللغات العامية فنجعلها لغة واحدة ، أقدر

هؤلاء المأذولون مبلغ الصعوبة التي تواجه هذا

العمل العسير بل المستحيل ١٤

أليس رفع العامية إلى مستوى الفصحى

أيسر وأهون سيلا ، فأى قطر ينزل عن

عاميته لعامية قطر آخر لم يألفها ولم يفهمها .

إن مثل اللغة العامية في قطر بالنسبة إلى

اللغات العامية في الأقطار الأخرى ، مثل

الطفل في لغته ، يسمع الكلمة من أبويه

فيميدها معرفة ، فإذا هو كبر كان بين أن يعض

على لغته المحرفة أو يعدل إلى لغة يشته ،

ولما كان يصعب عليه أن يفهم الآخرين لغته ،

وأن يتفاهم وإياهم بها ، كان مستحيلا عليه ،

أن يفرض عليهم لغته ، كان لا بد له من أن

يستعمل لغة قومه ويشتته .

هذا . شئنا مع اللغة العامية . لا نملك أن

نفرس عامية قطر على عامية قطر آخر ولا

سبيل إلى التفاهم بها فليتنا أن نستعمل اللغة

الفصحى : لغة التي يرضى عنها جميع العرب ،

وفهمونها في جميع أقطارهم إلا من شذ

وقليل مام .

وإذا كانت الثانية ، وأريد لكل قطر لغته

العامية ، لغة خاصة به مستقلة عن أخواتها

فقد مزقنا هذه الوحدة اللغوية الجامدة لمختلف

وسكت المؤلف بعد ذلك سكوت أهل

الكهف . انقطع صوته . ومات كتابه .

ومأت فكرته معه .

والمقارنة بين اللغتين : الفصحى والعامية

مقارنة مع الفارق . لا تحتاج إلى دليل

إلا إذا احتاج النهار إلى دليل . فصلاح اللغة

الفصحى شامل لكل فرض من أغراض

الحياة والتعبير من كل جليل ودقيق من

المعاني الجليلة الشريفة الرفيعة ، إلى الحاجات

العامية السريعة الوضيمة . هذا على حين أن

اللغة العامية عاجزة عن تأدية معنى يخرج عن

المعاني الساذجة العامية المتعارفة . لذلك كان

صوت القائلين باللغة العامية ينقطع بين حين

وحين ويخرج ضعيفا خافتا ثم تذهب به الريح ،

وتبقى هذه اللغة الفصحى مرفوعة الرأس ثابتة

البيان والفصحى التي لم تؤثر فيها حروف

الزمان ولا تحسب الإحاجم لا تنوى عليها

محاولات استثمارية عزيزة وحبيجة واهية .

ولاسيا بعد أن زادت قدما وصوعا بانتشار

العلم والصحافة والإذاعة ، وقيام دول عربية

لها مجالها النيابية وقوانينها وبلاغاتنا

ومشوراتها وكلها لا تصلح لها إلا اللغة العربية

الصحيحة الفصيحة . نعم إن الفارق لمظيم بين

اللغتين من حيث الصلاح والقالية ، بما يجعل

المفاضلة بينهما مضنية للوقت . غير أنه بحث

أريد فلا بد لنا من ظم به على مجمل متسائلين :

إذا شئنا أن تعدل عن الفصحى إلى العامية

لها ولا ضابط ، ومعنى هذا أننا في قلق دائم ونطور مستمر ، ولغة تتجدد في كل عصر . ثم ما عسى أن تفعل لهذا التراث التليد الجليل الضخم الجبار الذي نعيش فيه ، منذ ألقى سنة وتزيد ، أطرحة كله غير مأسوف عليه وهو مفقرتنا الخالدة ، وهأثرتنا المحيية ، وتاريخنا الصادق الناطق ، ملوه الصفحات بالعلم الثاقب الرفيع والأدب الرائع البديع . من شعروثر ، أفتكر هذا كله من أجل لغة عامية سقيمة توركيبك لا تاريخ لها ولا آداب فيها . وشئ نعيده ، وهو أن هذه اللغة العامية لا تصلح للكتابة وإذا هي كتبت صعبت قراءتها وعز على الجمهور فهمها . وعلى العكس ما يكتب باللغة الصحيحة تفهمه حتى العامة التي لم تزت نصيباً من العلم ، ولا حظاً من الدراسة . تفهمه كما تفهم ما تنشره الجرائد ، وتذمه الإذاعات ، وما يلقى من خطاب ، وما يمدد من مقفورات . وهي لغة عامة لكل قطر يفهمها أهلوه فربما صحيحاً مستقيماً .

وهذا كتاب الله ، على قدمه ، وعلى علو أسلوبه ، وحكم سبكه . قل ما يعني من ألفاظه ومعانيه حتى على الطبقة العامية . فكيف يعدل عن الصحيح الراجح الذي يفهم ، إلى السقيم المرجوح الذي لا يفهم . فنبطل ما هو خير بما هو أدنى .

(يتبع)

حارف الشكري

الانقطار السرية وفيها حشرات الملايين من البشر إخواتنا في الحضارة والتاريخ وأبناء اللغة الواحدة . تفعل هذا في زمن يقرم فيه بعض العلماء على وضع لغة عالمية واحدة يتفاهم بها الناس أجمعون .

ثم لمصلحة من تمزق هذه الوحدة ، واقف على هذه اللغة فتصير اللغة الواحدة لغات ، وتعود الامة الواحدة أمة وشعوباً شتات . شتات .

وهنا تقلبنا على هذه المستحيلات كلها ، أفلا نريد لهذه العامية أن تصبح لغة حية ، وعلى في ألتاه الحية لغة لا قواعد لها ولا ضوابط . والقواعد والضوابط تستخرج في وضعها الأول من اللغة نفسها : من صحيح ألفاظها ، ومن ثابت استعمالها ومن وحدة أساليبها ، وبما فيها من قياس ومن إجماع أو اتفاق . فأين نجد هذا أو بعضه في اللغة العامية .

والامر أدهى وأمر ، إذا نحن تركناها مطلقة لا ضابط لها ولا قاعدة ، خلافاً لكل لغة باب مشرح على حصاريه ، وسهل ملقى على الغارب .

ومع هذا البساب المفتوح ، والحبل المطروح . يأتي يوم يكون لهذه اللغة العامية لغة عامة أخرى في جانبها . ما دام الاختلاط واقعاً ، والمصالح متشابكة . واللغة لا وازع

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّار

١١ - عشرات الطرق

القارىء المثقف ليحاور حيرة شديدة حين يحسن الظن بهذه الأقوال، وأصحابها الذين صدرت عنهم حين يكلف نفسه التماس التأويلات لها. وماذا ينقصنا في ديننا إن نحن جعلنا حديث هؤلاء من أنفسهم، أو حديث أنبيائهم عنهم؟ هذه الأحاديث التي تحمل الإنسان المنصف المتمسك بدينه على أن يتفكر لها، ويظن بها القائلون.

إن مقادير بعض هؤلاء قد تكون أسوأ، وأرفع حين تحوّلها حالة من التواضع، ومن إنكار الذات، وحين يقتصد المجهلون لها في أطرائها، والغلو في وصفها وتمجيدها.

وقد يما قيل: ما آمن بالله من أحب أن يعرف مكانه.

كل هذه الحواطر جالت في نفسى حين أخذت في قراءة كتاب ألفه أحد العلماء في الثناء على شيخه، وعلى أصحاب شيخه. قرأت فيه من الأقوال ما لا ينبغي أن يصدر عن عالم مثله. وقد كان من اليسير أن أترك هذا الكتاب دون الوقوف معه، ولتتوهم بشأنه، لو كان مؤلفه أحد الخاملين من العلماء، أو أحد الجاهلين من أتباع الطرق.

لا نشكر أن الله يمتن على بعض خلقه من العباد الصالحين، فيكشف عن بصيرته الحجاب غمضى بنور الله ما لا يراه غيره من الناس، والأدلة كثيرة وواضحة على ثبوت (كرامات الأولياء) ولا ينكر ذلك إلا مجادل أو جاهل. ولا شك أن في رجال (الطريق) الذين أقبلوا على عبادة الله بنفوس صافية، وقلوب خالصة، وتذبوا أنفسهم لإرشاد الصالحين، وعداية الماثرين ودافعوا عن الشريعة، وناضلوا في سبيل إعلاء كلمة الله.

لا شك أن في هؤلاء من سمى نفوسهم، وخلصت نياتهم، وقربوا من الله، فكانوا من عباده المقربين.

كل ذلك حتى لا تشكروه.

ولكن المغالاة في رفع هؤلاء عن درجاتهم والغلو في وصفهم بما لا يقبله مسلم صحيح العقيدة ليس من التفكير الديني السليم والأقوال التي تمحى عنهم يجب النظر فيها قبل تسجيلها في الكتب، وإذاعتها على الناس ولا ينبغي أن تكلف القارىء أن يتلبس لها التأويلات، فليس كل قارىء بقادر على أن يعرف مراد الأقوال البعيدة، بل إن

الذي حاز ما عند الأولياء من الكالات الإلهية والامرار الزبانية ، واحتوى على جميعها .
ثم يقول المؤلف : (وقد قال سيدنا رضى الله
عنه ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء من
براطنها وأسرارها وغياها وأمرها لوها إلا سيد
الوجود صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، حمدا لله
وشكرا ، وأما غيرنا فيعلم ظواهرها فقط) .
وهو الذي قال : إن الفيوض الله تفيض من ذات
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تلقاه أذوات
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ما قاض وبرز
من ذاتهم تتلقاه ذاتي ، وفي يتفرق على جميع
الخلائق من نشأة العالم إلى النسخ في الصور ، ول
علم خصصتها بيئي وبينه بلا واسطة لم يكن
لأحد بها علم ولا شعور إلا الله عز وجل) .
وأيسر ما يقال في هذا الكلام أن صاحب بفضل
نفسه على جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولذا كان (الشيخ) يشطح في بعض أسواقه
بما لا يليق أن يصدر عن (بظان) أيا كان
الواجب على (تلميذه) وهو عالم جليل أن
يستر هذا القول على شيخه ؟ .
وأبعد من هذا في (الشطح) ما قلناه أواف
عن شيخه من ادعائه (أن أصحابه لا يدخلون
المحشر مع الناس فيها من عظمة)
بل إنه - أعني شيخه - يتجرا فيقول :
(إن صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين
روحا إذا تاب بعدها) .

ويزدجرأة فيقول : (ليس لأحد من الأولياء
أن يدخل كافة أصحاب الجنة بغير حساب
ولاعقاب إلا أنا وحدي ، ولو بلغوا ما بلغوا

ولكن المؤلف - كما يقول عنه ناشر
الكتاب - (حامل السر المحمدي ، ووارث
النور الأحدي ، ومرجع التحقيق ، وقد
كان عضو المحكمة العليا بإحدى المدينت
المصرية) ، وقد أخذ عنه - كما يقول الناشر
أيضا - كثرة في مشارق الأرض ومقاربها ،
من كبار العلماء والأدباء ، وذوي الرأي ،
وله تأليف في جميع الفنون معقولها ومنقولها .
ويكنى أنه نظم كتاب (الشفا) للقاضي عياض
في نحو ثمانية آلاف بيت ، مما يدل على
سعة اطلاعه وفهمه .

بعد هذه المقدمة تعرض بعض ما ورد
في كتاب من كتبه عما فقهه مقالة في أمره
كان ينبغي أن يتخرج منها عالم مثله .

وقبل أن نذكر هذه الأمور ندير إلى الناشر
- أيضا - أنزم جانب المغالاة ، فهو يقول في
أوائل الكتاب عن بعض الفيوض : (وهو الذي كان
الفاصل بينه وبين رآمه صلاة الفتح) ويقول
عن آخر : (وكان مشهورا بالفتح ، وهو من
يجتمع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم في القطة) .
ومعنى العبارة الأولى أن ذلك الشيخ بعد أن
فارق الحياة كان لسانه يردد صلاة الفتح مع
فأله ، ومعنى العبارة الثانية أن النبي صلى الله
عليه وسلم لا يزال يجتمع ببعض الشيخوخ
في يقظتهم وكلا الأمرين مما لا يقبله إلا المغالون .
نقل مؤلف الكتاب عن (شيخه) فقال :
(وأما سيدنا رضى الله عنه فقال : أخبرني

سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنني أنا القطب
المكشوم منه إلى مشافهة لا مناما .

والقطب المكشوم في رأى هذا الشيخ (هو

ونترك (سيد المؤلف) قلل الفارسي قد أدرك مدى الانحراف في ادعاء هذه المزام، وفي حكايتها، ونشرها، مما يضل العامة، وأشياء العامة، وبما لا يتفق مع الأصول الصافية القوية للدين الإسلامي الواضح المستقيم. نترك سيد المؤلف لتفسير إشارة عابرة إلى ما يسيء على ذهن المؤلف الفاضل من الإغراق في الحكم، تحدث عن صلاة (الفاخر) وهي صيغة معروفة للصلاة على النبي عند رجال الطريق، فيقول: (إن المرة الواحدة منها بأربعمائة غزوة، كل غزوة بأربعمائة حجة... وإن المرة الواحدة منها تعدل ستمائة ألف صلاة من مطلق الصلوات، من صلاة كل ملك، وصلاة كل إنس، وصلاة كل جان).

هذه بعض فقرات من كتاب وصل عدد صفحاته إلى خمسمائة وخمسين صفحة، وقد طبع هنا في القاهرة بلد (الأزهر الشريف)، وفي هذه الأيام التي تعمل كل أجهزة الدولة فيها على تصفية الإسلام من كل الشوائب... ومع ذلك فلا يستحي أحد من نشر مثل هذا الكتاب:

أما الكتاب فهو: (كشف الحجاب عن تلاق مع الشيخ التيجاني من الأصحاب). وأما مؤلفه فهو (العلامة الأديب الورع الأديب القاضي الحاج أحمد سكرج).

واقه يهدينا جميعا إلى سواء الصراط

على الصمدي

من الذنوب، وعملوا ما عملوا من المعاصي). ويتطرح ناشر الكتاب فيطلعننا على السرفي ذلك ليقول مطلقا على هذه العبارة الأخيرة: (فقد سأل الله عز وجل أن لا يموتوا إلا على التوبة والولاية). فنشر الكتاب يؤكد مقال شيخه، ويحزم بأن دعوته أجيب، وأن جميع الاتباع يموتون على الولاية، فهم يدخلون الجنة بغير حساب مهما بلغوا من الذنوب؛ وعملوا من المعاصي ١١.

ولا يكتفى الشيخ بأن يدفع في أتباعه، بل هو يزعم أن الله أعطاه الشفاعة في مصره، يدفع في أهله إلا من أبغضهم فإنه لا يموت إلا كافرا، ولو حج وجاهد.

ويذكر (الشيخ) أن كل ذلك من سيد الوجود بوعده صادق ١١

ويستعازد الشيخ فيقول: (قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كل من نظر في وجهي يوم الجمعة ويوم الاثنين دخل الجنة بغير حساب) وعبارة الشيخ - كما نرى - مطلقة، فيدخل فيمن رآه في هذين اليومين المسلم، والمسلم، والوثني، والنصراني، واليهودي، فسلك هؤلاء لا يحتاجون في دخوله الجنة إلا إلى النظر في وجه الشيخ يوم الجمعة ويوم الاثنين! ويعود الشيخ إلى تفضيل نفسه على الصحابة، وعلى جميع العلماء والأولياء والعباد فيقول: (أعطاني الله في السبع المثاني ما لم يعطه إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام).

طلائع الثقافة العربية في السودان

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق حامي

الرئيس المساعد لجميع البحوث السودانية

- ٢ -

خلافة المتوكل أعوام يضع وأربعين ومائتين، ولما تغلب الترك على الدولة العباسية - ابتداء من خلافة المعتصم - كثرت الفتن بينهم وبين العرب فانتقلت بعض القبائل العربية إلى السودان .

وبلاحظ أن القبائل العربية الراغبة في مواصلة حياة الرعي لم تطلب لها الإقامة في بلاد كهر خصصت أرضها للزراعة ، فكانت تنزع إلى ربوع السودان اتجاهاً عاماً واسعاً وراء الرزق . وبما يسترعى النظر أن الاضطرابات السياسية في دولة الخلافة لم تؤد إلى هجرة جماعات من أصحاب الفرق والمذاهب الكلامية إلى السودان ، كما حدث في المواطن العربية على ساحل إفريقيا الشرق وبعض بلاد المغرب حيث نزلت إليها جماعات من فرق الخوارج والقيصة .

٦ - تاريخ وقروح الهجرات العربية :
لقد بدأ التغلغل العربي في السودان منذ القرن الثاني للهجرة . وبذهب بعض الباحثين في علم الاجناس البشرية إلى أن النماء العربية سبق لها أن تسربت إلى شرق القارة الإفريقية في العصور السابقة للإسلام ولعله كان من أثرها أن اللغة الآرامية في الحبشة تعد من

٥ - أسباب الهجرات العربية إلى السودان
ذكر المقرئ في خطته (جراس ٣٠٩) أنه من مجموعة جزائر ذلك في البحر الأحمر عبر من نجا من بني أمية عند هرجهم إلى الوبة ، ولا بد أن ذلك حدث بعد سنة ١٣٢ هـ أي في أواسط القرن الثاني للهجرة . ومع أن من نجا من بني أمية لم يكن جماً غفيراً ، فإن هذا الخبر يدلنا على أن التقلبات السياسية كانت من أسباب الهجرات العربية إلى السودان ، كأن إغارات (البجة) على حدود مصر الجنوبية وإذئاثهم للسلين في بلادهم حمل المأمون العباسي على إرسال عهدهم الذين ألجهم على رأس حملة لقتالهم أعادت الأمن إلى نصابه وأذهن فيها (كنون) رئيس (البجة) لشروط المسلمين في مساعدة أوردتهم المقرئ ، ومع أن هذه المعاهدة نقضت في أيام المتوكل فإنها أتاحت للإسلام أن ينتشر في منطقة (البجة) . وجاء في رسالة المقرئ عنوانها (البيان والإحراق من سكن أرض مصر من الأعراب) : أن أولاد (الكنز) من ربيعة وبني هلال وجهينة سكنوا أهل الصعيد واحتك الكنزيون بالبجة ثم صاهروهم وصارت لهم مرافق ببلادهم . وكانوا قد قدموا مصر في

ومديريت كردفان ودارفور ، ويشكل هذا في مجرى القبائل الجمعية التي تمثل عرب مدنان أو عرب الشمال في جزيرة العرب ، والقبائل الجنوبية التي تمثل عرب قحطان أو عرب الجنوب ، فهذا هو الأثر السلالي الناجم عن هجرة العرب إلى السودان ، وهناك أثر لغوي ، يمكن أن نسميه هروبة اللغة وقد نشأ عن غلبة القبائل العربية الجماعات الإفريقية السودانية ، وهي جماعات لم تتلاش نهائياً في المجتمع العربي الجديد ، واحتفظت بلغاتها الأصلية بالإضافة إلى ما أمسكتها أن تتعلم من اللغة العربية كالتوبيين والهجبة والنوويين والتوبابوين . ونظراً لأن ثقافة القادمين كانت أقوى من ثقافة السكان الأصليين ، وتغلبت الثقافة هنا بدلولها الواسع في علوم البشريات ، فقد أدت هذه الهجرات العربية إلى انحلال كثير من التقاليد الإفريقية وغلبة التقاليد العربية ، ونرى في غلبة الأخيرة بعد هروبة السلالة وهروبة اللغة الخطوة الثانية المهمة لانتشار الثقافة العربية في السودان .

٨ — انتشار القصص الشعبي : وقد جلب

العرب معهم مادة ثقافية أولية تمثلت في تقاليدهم التي نشروها في بيئتهم الجديدة بما أشرنا إليه آنفاً . ومن هذه المادة ما تداولوه من قصص شعبي أقبلا عليه أيام إقبال ، وهو يمثل مخاضات الحياة العربية وما أثرها ويردد ما اتسمت بما من شيم الحياة والحلم والسخاء

اللغات السامية . ويؤيد هذه الصلات بين الجزيرة العربية وإفريقية أن الحبشة كانت أول بلد فكر المسلمون الأوائل في الهجرة إليه حين اشتد كفار مكة في إيذاهم واضطهادهم وعلى العموم فإن الهجرات العربية تلاحقت متتمة منتصف القرن الثاني ولكن زاد عددها ابتداء من القرن الثالث الهجري عندما اضطربت أحوال الخلافة العباسية وانسلخت عنها دول كثيرة في أطرافها . وما يدل على مدى التغلغل العربي في قلب القارة الإفريقية أنه قبل أن يوفق الغربيون إلى كشفه منابع النيل في أوائل النصف الثاني من القرن الماضي كان النيل وروافده في السودان يحمل أسماء عربية مثل بحر الجبل وبحر النزال وبحر الزراف وبحر العرب فضلاع من مصبات المندى في ساحل إفريقيا الشرقية ش.كوة ودار السلام . (وقد أوضح الكاتب الفرنسي شاولدي لاوونسيه ، فضل العرب في ارتياد مجاهل إفريقيا في كتابه : كشف إفريقيا في العصور الوسطى الذي نشره بالفرنسية في القاهرة من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٢٧ م)

٧ — نتائج الهجرات العربية : وقد

كان الهجرات العربية المتلاحقة إلى السودان آثارها ، فضعف طليمتها هروبة الدم أو السلالة في المناطق التي استقرت فيها القبائل العربية كالمديرية الشمالية وأرض الجزيرة وسهل البطانة وبعض جهات البحر الأحمر

والتمثيل في تلك الأزمنة البعيدة ، كما زود القبائل العربية بما يؤنس وحشيتهم في وطنهم الجديد ، ويخفف عنهم ما كانوا يبذلونه من جهد في إعداد البيئة السودانية لتكون مستقراً لهم . وقد اشتمل هذا القصص على كثير من الأمثال والعبارات المأثورة تبلورت في تعبيراتها نجاوب أجيالهم المتعاقبة تحمل إلى الخلف يايبس الحكمة الصافية وموازين الخلق والهداية وترشد إلى ما يحسن بهم إتباعه ، إذا ما حاربهم أمور ومآزق ماثلة لما حدث لسلفهم .

٩- الدعاة الإسلامية للثقافة العربية في السودان
نظراً لأن تاريخ الهجرات الأولى للقبائل العربية إلى السودان كان سابقاً على قيام الطرق الصوفية فقد انتشر الإسلام في البداية في دبرج البلاد السودانية طبعاً بصورة التي كان عليها حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، ولعل حرب السودان آثروا الاقتداء بمذهب (مالك) في ذلك الحين وهو المذهب الذي انتشر في خارج الجزيرة العربية في بيئات مماثل تلك التي نشأ فيها في بلاد الحجاز . أما الطرق الصوفية فقد أخذت على طاعتها فيما بعد حين استوى عودها واتضحت نتائجها في نشر الدعوة الإسلامية بين كثير من النخعات السودانية إلى أن غدت أكبر ظاهرة تنسج بها الثقافة العربية في السودان .

ومما جدر ذكره أن الإسلام الهني انتشر

وضعه قصصيون مجهولون في مصر ، في عهد الدول الإسلامية المتقطعة ، واتخذ المؤلفون أبطالهم من وجالات التاريخ والأدب وبنوا هيكل قصصهم على وقائع تاريخية أو على ما دخل في روعهم بأنه من صلب التاريخ ثم أطلقوا عليها النان بتنسيقها بمواش وإضافات ، إثارة للتمتع الفنية وإشباعاً للخيول والمواطف وقد أنزلت النقادة الفرقة المحدثون مثلة رفيعة في تقديرهم وعدده من أبداع ما أنتجه الأدب العربي من الفرائد والروائع . ولسكننا نرى في طائفة عبارته وإسقاطها في مواضع غير فنية وإغفالها أحياناً للفرز الخلق ما يفسد إبداعها ويذهب بروعتها بيد أنه في جملة ما حفظ على الإطار الخامس للحياة العربية ، وأظن في ذكر فضائلها ومآثرها ، وفي ذلك سر شعبيته وشدة الإقبال على ترديده ومن هذا القصص فخرية بنى حلال وسيرة سيف بن ذي يزن وقصة عنترة العبي و غيرها وقد حملت القبائل العربية في السودان على التنويه بنسبتها إلى هدد من أولئك الأبطال كما احتفظت بوثائق عبارته عن جداول أنساب تؤكد اعتزامها إلى أصول عربية .

وإننا نطلق على انتشار القصص الشعبي في السودان أهمية كبرى باعتباره سجلاً للثقافة والمآثر التي بندهما المجتمع الإسلامي وقد كان على ما فيه من مأخذ قوة تهذيبية نافذة لا ترفى بثمة لم تنبسر فيها وسائل التربية

الأسواني : « إن أول من بث الإسلام في النوبة الهادي الثاني الذي أدهى أنه من ولد عثمان ابن عفان ، وصارت الدعوة من بعده ليزين من بني سيف بن ذي يزن ، وم هلي مذهب مالك ، والعدل قائم بينهم ، وم يابسون في الدين ، لا يأمنون ، وبنا بمصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق ، في حتى أربعين وستائة وصارت وفودهم تزل بها ، بيد أن المقرئ لم يحدد لنا تاريخ انتشار المذهب المالكي في بلاد النوبة : ومذهب المستشرق (مافينيون) في كتاب وجه الإسلام المطبوع بلندن سنة ١٩٣٢ ص ٨٤ إلى أن البلاد الواقعة شرق بحيرة تشاد كان أهلها حتى القرن الثامن الهجري يفلدون مذهب الشافعي ، وذلك نقلا عن المقرئ ولم يذكر لنا من أي مؤلفات المقرئ استقى هذا الخبر كما أننا لم نوفق في العثور عليه فيما بين أيدينا من مؤلفات هذا المؤرخ العظيم . ولعل في كتب طبقات المالكية ما يحدد لنا تاريخ انتشار المذهب المالكي في السودان .

وبينا كان المهرود التقليدي لتيارات الفكر العربي في شمال إفريقيا يتجه من الشرق إلى الغرب فقد كان هذا المهرود بالنسبة للسودان يتجه من الشمال إلى الجنوب ولكن شاركته تيارات عربية أخرى من الشرق إلى الغرب عبر البحر الأحمر ومن الجنوب الشرق إلى السودان ومن الشمال والشمال الغربي

في دبرج السودان كان غالبا من منارات الفرق ما بين منها أو اندثر ، ولقد امتدت هذه الخلاقات إلى بعض نواح في العالم الإسلامي كالجنوب الشرق الجزيرة العربية والساحل الغربي للمحيط الهندي وبعض جهات المغرب بما يضم جماعات من الخوارج أو الشيعة . ولكن لم يصل شيء منها إلى السودان إما لأنه لم يهاجر إلى البلاد السودانية أتباع هذه الفرق ، أو لأن الطابع الإسلامي للسودان اكتمل في فترة متأخرة نسبيا كانت فيها هذه الخلاقات بين الفرق الإسلامية قد هدأت بعد أن استقرت جبهة المسلمين في العالم الإسلامي على عقيدة أهل السنة أو لسبب آخر لا يزال غائبا علينا إلى الآن . ويضاف إلى هذه الظاهرة أن مصر مع أنها ظلت دولة شيعية طيلة قرنين من الزمان في عهد الفاطميين منذ أواسط القرن الرابع إلى أواسط القرن السادس الهجريين ، فإنه لم يبق بها أثر التشيع بعد سقوط هذه الدولة كما لم يقرب هذا التشيع إلى السودان .

وعلى ذلك فإن الإسلام انتشر في الديار السودانية غالبا من نزعات الفرق ومقالات المتكلمين ، إذ كان أوائل من هاجر إليه من العرب يقتدون بفقهاء الإمام (مالك بن أنس) ذكر المقرئ في خطه (١٥ ص ٢١٣) نقلا عن كتاب أخبار النوبة والمهرة وعلوة والبعة والنيل لصيد الله بن أحمد بن سليم

الذهبي من الطبقة الثالثة من التابعين ، ذلكم هو يزيد بن أبي حبيب البصري الذي اطنبت كتب الطبقات في ذكر مناقبه ، ولقد سنة ثلاث وخمسين واثناً بمصر وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة . ذكر الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ (١٣٠ ص ١٢١ و ١٢٢) أنه كان أسود نوبياً من أهل دنقلة وأنه كان مفتي أهل مصر وأول من أظهر العلم والمناقب والحلال والحرام وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الغريب والملاحم والفتن . وذكر المقرئ في خطبته أن الخليفة الأموي عمر ابن عبد العزيز جعل إليه الفتيا في مصر مع رجل آخر مثله من المال هو عبد الله بن أبي جعفر ، وثالث من العرب هو جعفر بن ربيعة وقد أنكر العرب على عمر بن عبد العزيز إسناد الفتيا إلى هذين الموليين فقال : ما ذهبي إن كانت المرأى تسمو بأنفسها صعداً وأنتم لا تسمون ؟ .

ومناك علم آخر نوبى الأصل مصرى الإمامة أشار إليه الفلقشندي في كتابه صبح الأعشى (٥٠ ص ٢٧٦) إذ قال : ومن هذه البلاد أى النوبة - نجم ذو النون المصرى الزاهد المشهور وإسماعيل المصرى لأنه سكن مصر فنسب إليها ، كان عبداً أعنته قريش وأدخلته في ولائها وتوفي سنة ٢٤٥ هـ . ذكر ابن خلكان أنه كان وحيد مصره هلياً وعبادة وحالاً ومعرفة بالأدب ،

من ليبيا وبلاد المغرب ، بل ومن الغرب من السودان الأوسط والسودان الغربى ولعل أقراها ما كان قديماً من شمال والشرق . ورجح أن حظ السودان وادى النيل من الثقافة العربية في هذه العصور كان أوفر من حظ بلاد : كاتم والجبرنو ومالى والتكرور ، نظراً لأن موقعه الجغرافى هو أقرب نسبياً للوالمين الثقافية الكبرى في العالم الإسلامى كالخجاز والعراق والحام ومصر . ومع ذلك فقد ترك لنا علماء السودان الأوسط والغربى من المؤلفات ما يربو على إنتاج نظرائهم في السودان الشرقى نخص بالذكر منها كتاباً في طبقات المالكية من أبناء منطقة الفيوم لأحد بابا النيكى جملة ذيل على ديباج ابن فرحون وأسماء : نيل الابتهاج بنظرين الديباج ، وكتاب تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدى ، وهذان من أعلام القرن الحادى عشر الهجرى . كما يفتونا أن تذكر كتاب تاريخ الفتاش لمحمود كمت ، وإعناق الميسور في تاريخ التكرور لمحمد بلو ، وتزيين الوردات لعثمان دان قودير ، وغير هذا من المؤلفات مما لا يتسع المقام لذكره .

غير أن الباهين من أبناء السودان الشرقى كان لهم نصيب في الاشتغال بالعلوم الإسلامية في القرون الأولى للهجرة وأحرزوا فيها من التفوق ما يثبت كفايتهم العقلية ، تذكر منهم فتيها جليلاً ورواية من رواة الحديث ، عدة

الإسلامية بما يشمل عليه من صانع إنسانية واجتماعية وتوجيه تهذيب يسد من سلوك الفرد وما يفتقر به من توسيع آفاق المعرفة والتأمل يعتبر متفقاً إلى حد كبير مع ما يسترطه الباحثون في الوقت الحاضر عند تعريفهم لدلول الثقافة غير أن البعض ينكر على الطرق الصوفية في السودان فسبها إلى التصوف ويحيل إلى تسميتها بالطرق الدينية خلوها في زعمهم من الخصائص التي عرفت بها حركة التصوف في العالم الإسلامي واشتغالها في الأعباء على ما بعد إحياء لتقاليد سابقة غير أنها لا ترى فيها شيئاً مغايراً لنظائرها في سائر البلاد الإسلامية، فالطرق الصوفية السودانية هي في غالبيتها فروع تمتد من مواطنها الأصلية خارج حدود السودان ، جعلت من البيئة السودانية مسرحاً لتعاظمها الروحي ، ليس في أساليبها وتعاليمها من خصائص تتفرد بها عن نظائرها في سائر البلاد الإسلامية. وقد أرجع بعض الباحثين الفرعنة ازدهار الطرق الصوفية في السودان إلى سطحية العقيدة الإسلامية لدى جمهرة الشعب السوداني ، غير أن هذا التلميل لا يثبت للنقد ، فقد أوردت دواوين الأدب العربي القديم كثيراً من النوادر عن سطحية العقيدة في نفوس أعراب البادية في جزيرة العرب ذاتها ؟

والمؤرخون المحدثون للثقافة العربية يبدون ورعاً نقطة التحول في تاريخ التصوف الإسلامي لأنه نقل حركة الزهد القديمة التي كانت تهب نحو اطراح متع الحياة الدنيا وزخارفها إلى حركة يطلب عليها الاستغراق في التأمل والتفكير فتغلها بذلك من الزهد إلى التصوف . فهو أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي ، وروى عنه القديري في رسالته (ص ١٣٥) أنه قال : التوحيد هو أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وحنه الأشياء بلا علاج ، وعلّة كل شيء منته ولا علّة لسنمه وليس في السموات العلولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله وكل ما تصور في وملك فاقه بخلاف ذلك ، وستل ذو النون عن التوبة فقال : توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من النفلة ، وقسم المعرفة ثلاثة أقسام : الأولى حظ مشترك بين عامة المسلمين ، والثاني معرفة خاصة بالفلاسفة والعلماء ، والثالث وهو العلم بصفات التوحيد خاص بالأولياء الذين يرون الله بقلوبهم . ولاحظ لما أثر عنه من الأقوال المبدالة على أثره في الفكرة الصوفية .

١٠ - الطرق الصوفية في السودان : تعد الطرق الصوفية ركناً من أركان الثقافة العربية في السودان ، فالصوف في نطاق السنة

الحضارة العيتيم

للأستاذ رشاد محمد خليل

جيداً . ذلك أن قيمة الشعر لا تتركز في مشاعرنا ولكن فيما نصنع من مشاعرنا من صور . وقد استطاع في قصيدته « أغنية حب لألفرد بروفروك » ، « على سبيل المثال - أن يبلور - الفكر ، في شعور ، والقصور في صورة حسية استطاع أن يبرز الحياة الداخلية في إطار من المفاهيم الطبيعية ، والطقس والأصوات والصور ... الخ ، بالإضافة إلى أنه نمي المنهج الجديد في استخدامه التحليل الفلسفي في الإطار العمري ، وخرج من المزج بينهما شعر تأمل هو حسي بمقدار ما هو عقل » (١) .

وفي قصيدة الأرض الخراب يتجلى منهج إليوت الأسطوري والمزى بصورة توشك أن تجعل من القصيدة (كرنفالاً) من الأحاسيس والألفاظ ، فإليوت لا يقول لنا مباشرة ما هي الأرض الخراب ، ولكنه يجبرنا أن نلث وراء بطله الخرافي « تريزياس » ، باحثين متقنين وراء الزمن ، لنفرض من كلمات الحكمة سرها المطلق .

« تريزياس » ، هذا بطل أسطوري ،

(١) مجلة الشعر - العدد الأول - السنة الأولى
مقال المنهج الأسطوري في الشعر المعاصر .

كيف بدأت مأساة الحضارة الحديثة ، وكيف تابعت فصولها الفاجعة ، وكيف تفكك في ظلها الرجال الجوف الذين عرفنا أمرهم في المقال السابق (٢) .

ذلك هو موضوع القصيدة الدرامية العظيمة والصعبة المعقدة في نفس الوقت : « الأرض الخراب The wast, Land » .

وبما كان « إليوت » ، كما يقول الدكتور هز الدين إسماعيل هو أوضح شاعر في العصر الحديث ، التفت إلى قيمة المنهج الأسطوري في الشعر نظرياً وعملياً . ولا شك في أن شعراء آخرين سبقوه قد ألهجوا ببعض أعمالهم الشعرية وفقاً للمنهج الأسطوري مع تفاوت ، لكن إليوت هو الشاعر الحديث الذي أكد في أعماله الشعرية ضرورة هذا المنهج وأهميته بالنسبة للشعر . وقد كان منذ البداية يؤمن بأن العاطفة الشخصية أو التجربة الشخصية إنما تمتد وتم في شيء غير شخصي . وليس المقصود بهذا الشيء غير الشخصي أنه منفصل عن التجربة أو العاطفة الشخصية ، فالشعر الذي ينتج من هذا لا يكون شعراً

(٢) مجلة الأزهر - ٦٥ - ٦٦ - السنة السابعة
والثلاثون مقال الرجال الجوف في الأرض الخراب

التفسير، واعترف بأن ما كتبه مسروفتون يعتبر أفضل توضيح لفكرة هذه القصيدة .
والشيء المفطور به على أى حال هو أن معاني الخصب والجذب ، والحياة والموت ، والحضرة والجناف والامطار والصخور . هي المعاني الرئيسية التي تدور حولها الرموز ، وتحوم حولها الأساطير .

يبدأ مقطع دفن الموتى بمحدث من فصول السنة على لسان « تريزياس » الذي يبدو عليه كراهيته للربيع فصل الخصب والحياة المفتحة . وملاحظ هنا أن تريزياس - هو رمز الإنسان الحديث - ابن الحضارة العقيم - مفضلاً عليه الشتاء الذي يكتم أنفاس الحياة ويشيع فيها روح الجذب :

إبريل أفسى الفهور - ينبت
الزئبق من الأرض الموات ، ويحفظ
الذهكري بالرغبة ، يحرك
الجدور الكثنية بأعطار الربيع
والعتاء يحفظنا في الهف ، وينطى
الأرض بثلوج النسيان ، مفضيا
الحياة الضئيلة بالدرنات الجافة
ولكننا مرعان ما نعرف لماذا يكره
الربيع إلى هذا الحد ، ولماذا يحب الشتاء ؛
لقد كان له أيضاً ربيع في مطلع شبابه ، ربيع
عرض نفسه عليه في صورة فتاة (ماري) ،
وعرض عليه الحياة والخصب ، ولكنه
رفض الخصب ، واختار الحرية ، وحده

تروي أساطير اليونان ، أنه كان ضحية تهذيب
الآلهة التي انتقصت منه بأن جعلته شخصية
تجمع بين الذكورة والأنوثة .

ولكن إليوت يترك الموضوع الأصلي
للأسطورة اليونانية ؛ ليفسح من حده حول
« تريزياس » أسطوره جديدة ، حافلة
بالأساطير والرموز .

وتقع القصيدة في حوالى خمسين بيت
مقسمة على خمسة مقاطع هي على الترتيب :
١ - دفن الموتى . ٢ - لعبة القطار .
٣ - موعظة النار . ٤ - الموت خرقاً .
٥ - ماقاله الرعد .

ويشكل كل مقطع في النهاية بناء (هارمونياً)
وعضوياً متكاملًا تجسد فيه مأساة الحضارة
العقيمة ، في الرجل العقيم .

وتشير الرموز التي تحتل بها القصيدة إلى
بجموعة من الحضارات : إغريقية ورومانية
وإسرائيلية وغربية حديثة .

وتقول مسروفتون في كتابها « من
الطقوس إلى الروفسية » from ritual to
romance ، إن فكرة القصيدة تدور حول
أسطورة الأرض الخراب التي طالت من
ضعف ملكها الجنس والإدارى ، وأنه لابد
لاسترجاع ذلك الخصب من أن يتم قارس
لبحث عن الكأس الغصبة « Grail » وهي
ومن قديم للراة ، وأن خصب هذه الأرض
أو جذها متوقف على العثور على هذه
الكأس ؛ وقد ارتضى إليوت نفسه هذا

تقتل إلا فسادها وطمعائها ، وأن المسح
عليه السلام كان قد حرب منها منذ أن تحول
(باباواتها) إلى أباطرة مستبدين ، يقتلون
ويُسجنون ويسلبون ، ويكذبون القروا
ويحتازون أملاك الفقراء .

لم يكن في مقدوره أن يتصور أنه لا مجال
لخيار ألبنة بين الإيمان ، والحرية أو العقل
وأن هذا وذاك هما جناحاه في رحلة القربة
في أفق هذا العالم ، وأن وظيفة الإيمان
هي أن يحقق للإنسان حريته على أكثر
الأسس صلاحية واستقراراً ، وعلى أكثرها
تعمقاً وأبعداً جذوراً .

ولكن ما الحياة ؟ وهو قد اختار ونفى
الأمر ، وسار في طريقه :

حيث الأنهار بلا ظل والجندب بشير الأهماب
وعلى الحجر الجاف لا تسمع خرير الماء لا شيء
هناك سوى ظل تحت هذه الصخرة الجراء
ثم تنوال رموز الجندب الواحد نور الآخر
نهر بهادف على الطريق ، قربة الغيب
الشهيدة « ميزو سريس » التي تقرأ له طالع
هذا هو (الكارت) الذي يخلصك : البحار
الفيثيق الغربي .

• • •

هذا هو الرجل ذو العمى الثلاث ، وهذه
هي العجلة وهذا هو التاجر الأهور .

ثم يتجسد الجندب والجفاف في مدينة لندن
وأهلها المكسودون السائرون بلا هدف .
يا مدينة الوم :

هذه المثقف أن الخصب والحرية لا يجتمعان :
وعند ما كنا أطفالاً نقيم في قصر الأرشيدوق
وأخرجني ابن عمي على مرافقة الجليلد
وكنيت حاتماً ؛ فقال : ماري ...

ماري امسكي بعبدة ثم انحدونا إلى أسفل
وفي الجبال قصص بالحرية .

فأنا أقرأ كثيراً بالليل ،
وأرحل شتاء إلى الجنوب

لقد عرضت عليه ماري الجنس ومن
الخصب ، ولكنه هجر ، والمجز هنا ومن
الجذب في شخصيته ، وفي الحضارة الغربية كلها :
ولكن حين هدنا متأخرين من حديقة الياسنت
ذراعاك مليتان وشعرك مبتل
عجزت عن الكلام ، وكنت عيناى

ولعل القارئ يستعيد في ذاكرته ذلك
الخيار المشنوم الذي وقع في مطالع الحضارة
الحديثة بين الإيمان (الخصب) وبين العقل
(الحرية) وكيف وجد الإنسان الغربي
نفسه مضطراً لأن يدبر ظهره للإيمان الذي
تجسد مع الأسف في كل ما كانت تمثل
الكثنية الكاثوليكية وقتئذ من جهل
وؤمنت وقمع وتسلط وفساد ، وظن أنه
اختار الصفة الرابعة حين حل (حريته)
أو (هذه) ومضى في الطريق ، لم يكن يحظر
في ذهنه قط أنه حل في نفس الوقت حقه
وجذبه ، ولم يفهم حينذاك أن الخيار الذي
تم كان خياراً مغلولاً ومضلاً ، وأن
الكثنية في نهاية القرون الوسطى لم تكن

« وأنت يا قارئ المناقب يا شيعى وشقيق،

• • •

وبهذا النداء ينهى إليوت المقطع الأول
ليبدأ مقطعه الثانى « لعبة الشطرنج » .

وهنا يتجسد لنا الجذب من طريق زمين
أحدهما يقهر إلى حياة الطبقة الأرستقراطية
التي تملك كل شئ ، وتعيش على الرغم من
ذلك تمس الضجر والسامة . والآخر يشير
إلى حبس الطبقة الفقيرة التي لا تملك
إلا غوغائيتها وضجيجها وضحائها .

وتريزياس يعمق من طريق استعراض
هاتين الصورتين إحساسه المر بالغم وبعمق
بالتالى إحساسه بآسائه وضيعته .

والصورتان مرسومتان ببراعة فنية فائقة
ولكن الأولى على الأخص تذكرنا
(بالأرام-كوا) العربى ، وروائع القسيساء
فكل لحظة أشبه بصدقة صغيرة فى هذا البناء
الزخرفى الذى يتجمع ببطء ومهارة ليكشف
الشكل الدقيق المركز الذى تعبر عنه اللوحة
أو الصورة .

وقد استغرق رسم صورة القاعة التي
تجلس فيها السيدة المتوفة قراءة تسعة وثلاثين
يئناً ، اشتركت في رسمها المفاهيم والتأويل
وصور الحائط والتلاتد والعطور والملابس
ونحس ، وأنصت أعضاها الآيات ، أن إحساسك
بالعنة والانهار بهذا الجو السحري ينمو
ببطء مع تتابع الآيات ، ولولا خشية الإطالة
لنقلت لك هذه الصورة الرائعة التي لا يمكن

[٣]

تحت الضباب الاسمر ، ضباب لمر شتاء
على جسر لندن تدفق جموع غفير
لكثرة نبيت أن الموت حصد جما غفيرا
وصعدت آفات قصيرة ، كل حين طويل
وثبت كل بصره أمام خطاه

ثم تتجسد صور الجذب هذه كلها في صورة
« ستيتسون » ، وستيتسون ، هذا هو كل الناس
الذين اختاروا طريق « تريزياس » ، ودققوا
خصبهم ، والفن يحاشون هذا الخصب
المدنون في أحضانهم يخشونه ويهربونه
ويحبسون حساب يقظته على حياتهم المجدبة .
هذا وأبى رجلا أعرفه فاستوقفته صانها
« ستيتسون » .

يا رفيق على السفينة في (ميلاي)
الجسد الذى زوعته في حديقته في العام
الماضى هل انضرا يا ترى ؟ وهل سبزه
هذا العام أم فاجأ الصقيع فأفقد مرقده ؟
لا نجمل السكب صديق البشر يقترب منه
والا نبتش منه بأظفاره وأخرجه

والسكب هنا يشير إلى « السكب الجبار »
وهو هم قدام المصريين الذى كان يشير
بموسم الزراعة والخصب « تريزياس » ، ينصح
هنا « ستيتسون » ، أوه الآخرين ، بأن يكون
حرصا على دفن خصبه وعدم تريضه
لحوامل الإثارة والحياة

وكان « تريزياس » يخشى أن يفلت من
مصره المجدب أحد قراء يتجه بنصيحته
الكريمة إلى القارى .

إن « تريزياس » تقتل بنا ذاكرته إلى حانة فقيرة بصمتها فيها (دغى) فسوة ، بضنين وقتن ، وكل وقتن ، وكل ليلة في ثروة فارغة ، تمتد ساعات وساعات ، بلا معنى .. بلا هدف ، تنصح أحدا من زميلاتها بشراء طقم أسنان لتعجب زوجها ، وأنه سيكون في حاجة إلى وقت طيب بعد هودته من الجيش وحديث بل عن الإجهاض والحبوب .. والأطفال .. وفي نهاية الليل يودهن صاحب الحانة كالعتاد قائلا :

طابت ليلتك ، يا سيداتي ، طابت ليلتك ، يا سيداتي الجيلات ، طابت ليلتك ، طابت ليلتك .

وبهذا يفسد الستار على شريط الذكريات ذكريات العقم والجسب في الطبيعة وفي « تريزياس » نفسه وفي الآخرين على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم ، العقم الذي يجعل الحياة فارغة من المعنى عالية من الهدف .

وقد طأ هذه الحالة كل الأبطال الوجوديين واللامعقوليين في العصر الحديث ، وقد تبلور هذا الإحساس المرر ، منذ الملاحظة التي أطلق فيها فيلسوف الوجودية الأول « كيركيغارد » صيغته ضد حقارة العصر ، وضعة المجتمع ، وتخاذل النفس البشرية أمام المادة ، وغلبة روح المصادمة عليها .

بل وصل الأمر إلى الحد الذي جعل (صارتز) يعلن على لسان بطله الحر « أوردست » وهو

التعبير هنا بنقل آيات منها لأن ذلك يفسد تركيبها الفلسفي سائى الدقيق ، وإذا توشتك أن تهتك جسدا في نهاية هذه الآيات لهذه المخلوقة التي تعيش في هذا النعيم حتى تطالع بصورة مناقضة تماما لهذا الجو الساحر ، صورة امرأة قلقة متعجزة ، لا تحس إطلاقا بهذا الجو الذي تعيش فيه ، ولا تكاد تختمل حياتها ، ولا حالها ، ولا زوجها ، وتستمتع إليها وهي تتحدث بعصية :

أعصابي الليلة متوترة ، نعم متوترة ، ابقى معي حدثني ... لماذا لا نتحدث أبدا ؟ تكلم

فيم تفكر ؟ فيم تفكر ؟ فيم .. ؟

أنا لا أعلم قط فيما تفكر .. فكر ؟

إني أتصور أننا في بحر الجردان

حيث يفقد المرقى عظامهم

ما هذه الضجة .. ؟

الريح تحت الباب ..

ما هذه الضجة الآن ؟ ماذا تفعل الريح ؟

لا شيء .. ثانية لا شيء ..

هل أنت لا تعرف شيئا ؟ هل أنت لا ترى

شيئا ؟ هل أنت لا تذكر شيئا ؟

« لا شيء » ٢١ ،

حياة جديدا .. جديدا تلك هي حياة هؤلاء الناس ، على الرغم من كل ما يملكون .

والآخرون .. المملقون .. الذين يعيشون

في قعر المجتمع ، أي نوع من الحياة يا ترى

يجارسون .. ؟

تأثير ابن خلدون في أسلوبنا المعاصر

د. ساذ محمد رجب البيوي

- ٢ -

هذا الأسلوب وما جرى مجراه في الدفاع عن الحرية من أقلام مجاهدة تحمل روح ابن خلدون ومطايبه ، ولا أعني بذلك أنه ينبع منه في التحليل والاستدلال ولكنه يعيش في جموه ويستلهمه ، وينطق بأثره الواضح أحيانا ، والحق حينئذ ، وأنا إذ أقرر ذلك أوجه النظر إلى ناحية عامة من نواحي التأثير

الخلدوني إذ أن بعض الباحثين يقف بتأثير المقدمة عند الصياغة والتركيب فقط ويرى أثرها لا يتعدى التحرر من الغالب البدعي وهذا غير الواقع لأن الأقلام التي اتجهت وجهة الإصلاح السياسي والاجتماعي ، قد وجدت معينها الدافئ في أفكار ابن خلدون ، وإذا كان قد اشتهر عنه نفوذه في إدراك حقائق

(بقية الصفحة السابقة)

ومن الإنسان القربي الحاضر : أن حسرة الإنسان تبدأ في اللحظة التي يدرك فيها ثقافته وجوده ، وأن البديل الوحيد لهذا الوجود الثقاف هو اليأس منه .

أورست : فليمنعوا به ما شاءوا . إن الحياة الإنسانية لا تبدأ إلا في القسط الآخر من اليأس (١) .

لقد حاول الوجوديون على اختلافهم مؤمنين وملحددين البحث عن بديل لهذه الحالة أو هل الأقل من أسلوب لمواجهة وكذلك حاول صاحبنا " تيريزياس " في القسط الثاني من الأرض الخراب أن يواجه هذه الحالة بأسلوب مناسب ، فإذا تراء فصل ٢١ .

ذلك حديث آخر . (يتبع)

رشاد محمد خليل

جويتر : وماذا تنوي أن تفعل ؟
أورست : أناس (أوجرس) هم أناسي ، فيجب أن أفتح أعينهم .

جويتر : مساكين هؤلاء الناس استهدى لإيهم العار والوحدة ، وستزعج عنهم ذلك اليأس الذي أسدلت عليهم ، وتكشف لهم . هل غير انتظار منهم . عن وجودهم ، ذلك الوجود الثقاف البدي الذي أغدق عليهم بالبحر .

أورست : ولماذا أحن عليهم باليأس الذي

في نفس ما دام اليأس نصيبهم في هذه الدنيا ؟

جويتر : ماذا يهتمون به ؟

(١) القدم أو التهاب : Les Mouches ، جان بول سادرو ، ترجمة الدكتور محمد القصاص .

وليس لي أن أملا الصفحات بمثل هذه
 الاعترافات المنصفة التي يحملها مفكرو الغرب
 من أمثال استفانو كولوزيو الإيطالي ،
 وناثانيل شبيث الأمريكي وتوماس الإنجليزى
 لعقيدة ابن خلدون ، ولا أن أشير إلى المقارنات
 التي عقدها كبارهم بين ميكافيللى وأرسطو
 ومونتسكيو وبين صاحب المقدمة فقد شاعت
 وذاعت حتى أصبح تردادها المتكرر لا يأتي
 بجديد ، وإنما أريد أن أقول : إن صاحب
 هذه العقلية المذهبة قد آخذ الأسلوب الأدبي
 إنفاذا ناجحا حين جعل الفكرة عنصرا هاما
 من عناصره ، وحين جعل صاحب القلم مفكرا
 ذا رسالة ، وليس صاحب أبحاث ومترادفات
 وقد طرأ أثره الأسلوب في قومه ضيلا لا يكاد
 يحس حتى استيفظت العربية من إغفائها
 الطويلة في نهضتها المعاصرة وقدر لها أن
 تحتذى مقدمة ابن خلدون فتنتقل من دور
 إلى دور ، وطبيعى أن جميع الرواد في النصف
 الأخير من القرن التاسع عشر لم يكونوا من
 تحتذى أسلوب المقدمة ، بل أن فهم من لم
 تظهر على أسلوبه سمة واحدة من سماتها كبند
 الله فكبرى وإبراهيم الميربحى وحمزة قبح الله
 والفنديم ، ولكن صفوة الكتاب إذ ذاك
 كجمال الدين ومحمد عبده وأدب إسماعيل
 وهيد الرحمن الشكواكي قد نشروا أسلوب
 المقدمة كل جهد طاقته ! وكان من حسن الحظ
 أن يقتل على جمال الدين ومحمد عبده بصفة

الاجتماع بما يسعف المكاتبين في إصلاح المجتمع
 المصرى فإن آراءه السياسية لا تقل خطورة
 عن آرائه الاجتماعية ، وبعبارة أخرى فإن
 الإصلاح السياسى في منطق ابن خلدون نتيجة
 من نتائج الإصلاح الاجتماعى ، فكلا
 الإصلاحين قضية واحدة ذات مقدمة ونتيجة
 ومن الدائع المشتهر أن آراء المفكر العربى
 في حق السياسة والاجتماع قد وجدت من
 يتحمس لها تحمسا يصل بصاحبها إلى ذروة
 العبقرية والإبداع حتى اعترف به واضعا أول
 لم الاجتماع وأقيمت الموازنات الطويلة بينه
 وبين فلاسفة هذا العلم في أوروبا ، إذ قرنه
 الباحثون بأرسطو وأفلاطون وقال عنه
 (غوميلوفس) أحد زعماء علم الاجتماع
 بألمانيا : « إن ابن خلدون يشبه مفكرا عصرنا
 بكل معنى الكلمة . إنه درس الحوادث
 الاجتماعية بعقل هادئ وزيين ، وأبدى آراء
 عميقة جدا لا أقول قبل (كانت) لحسب بل
 قبل (فيكرو) أيضا ، والحقيقة أن ما كتبه ابن
 خلدون هو ما نسميه اليوم بعلم الاجتماع » .
 وقال (فارد) كبير علماء الاجتماع الأمريكان
 : كانوا يظنون أن أول من قال بمبدأ الحتمية
 في الحياة الاجتماعية هو (مونتسكيو) أو
 (فيكرو) في حين أن ابن خلدون قال بذلك ، وأظهر
 نحية المجتمعات لنوائين ثابتة قبل هؤلاء
 بقرون ، حينا كان الغرب مسغلا للفلسفة
 المدرسية والكلائية استسلاما تاما ،

واسترسال الطبع ، وأما نظمه فقد نهض لهذا العهد قدما في ميدان الشعر ، ونقده باعتباره أساليبه ، فاثقال عليه جوده ، وهان عليه صعبه ، فأنى منه بكل غريبة . ولعل السبب في فقد تأثيره إذ ذاك أنه دعا إلى منهج جديد في الشعر ، وصاحب الجديد مقهى السبيل لأنى الإجابة ، إذ أن معاصريه قد درجوا على حب الصنعة والزخرف ، وأصبح الاعتكاف في البداع لديهم [يحتمل أن لا يتناول] ، فهم عن غيره منصرفون ، ولو نادى به عملاق خطير كابن خلدون ، لا نقول ذلك في الأسلوب الأدبي وحده بل في كل منهج جديد في مختلف العلوم والفنون والآداب بفتح الميمون على آفاق لم تكتشف بعد . وللتدليل على ذلك نذكر في تاريخ النحر الأندلسي وجلين كبيرين ، أحدهما مجده وخطوره وهو (ابن معناء) القرطبي ، الذى نادى بإبطال نظرية العامل وذهب إلى أن الذى يسبب الظواهر النحوية من رفع ونصب وجزم وإنما هو المتكلم نفسه لا ما يرمعه النحاة من الأفعال وأشباهها ، وبين ما جرت إليه نظرية العامل من النصف في التأويل والنقط في الحال والاقبية ، وأكثرها مرفوض إن استقام من جهة تطرق إليه الخلل من جهة ثانية ١١ وقد ألف في مذهبه ثلاثة كتب ، منها كتابان كبيران مفصلان طواهما الزمن ، وكتيب صغير ظل يحضر الميزة حتى عثر على جزء منه في المكتبة

عامة أكثر كتاب الجليل اللاحق فيردوا موردما ، وينهجوا منهجها ، وإذ ذاك يقفز الأدب قفزة الطافرة ، ويتمرو الأسلوب نهائيا من أوجاهه ، وتصدق كلمة أستاذنا السكندري حين قال : لم يكن الانتفاع بمقدمته وأسلوب كتابته في وقت أظهر منه في العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون هو القدوة الحسنة للصالحين والمجددين فهو الأستاذ الأكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الأخيرة .

ويمع لنا أن نسأل في هذا المجال : لماذا لم يؤثر أسلوب ابن خلدون في معاصريه ، كما أثر في أسلوب الأدب المعاصر ، والرجل لم يكن عامل الكتابة مجهول الميزة بين قرانه حتى يفقد تأثيره النفاذ بل كان كما قال عنه منافسه الخطير الوزير الأدب لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في تاريخ غرناطة : « بامر الحاصل رفيع القدر أصيل الجهد ، وقور المجلس ، عال المهمة ، عروفا من الضم صعب المفادة ، قوى الجأش طامحا للفن الرياسة عاطبا للحط ، متقدما في فنون عقاية وتقليد ، شديد البحث كثير الحفظ ، صحيح التصور ، مفرى بالنتيجة . فأماثرة تلج بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن إبداع يفرغ منها يراعه الجريء ، عجة البدايات بالخواتيم ، في تدارة الحروف ، وقرب العهد بجمرة المداد ، وتفوذ أمر القريحة

الكبير كان يميل إلى السجع في بعض الفقرات على فلة ، واختار لتأريخه أطول عنوان مسجوع لكتاب عرفه القراء ، ونذكر هنا بعضها من كتابه المسجوعة في رسالة بعثها إلى لسان الدين ابن الخطيب بدأها بقوله :

« سيدى مجدأ وطوا ، وواحدى ذخرأ ومرجوا ، وعمل والدى برأ وحنوا ما ذال الشوق منذ تأت في وبك الدار ، واستحكم بنا الجهاد ، برعى سعى أنباءك ويخيل لي من أيدى الرياح تناول رسالتك ، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع وعهد خير مضاع ، وود ذى أجناس وأنواع ، ... الخ .

ونحن في ميزان النقد المخلص لا نؤاخذ الكاتب على التزامه قيود البديع في مراحل الأولى قبل أن يكون صاحب مذهب يؤثره لأن أبعد المتطرفين في الدعوة إلى الجديد . كان يتلنى دراسته الأولى على النهج الذى نادى بالتخلص منه ، بعد أن فقت الأيام دفعه بالتأمل والتفكير ، فشكل ما صدور عنه قبل أن يمتد إلى منهج الخاص لا يرحزع من دعوته التجديدية في عيون الناقدين ونحن حين نطالع آراء ابن خلدون بالمقدمة في الأسلوب الأدبي المختار نلص من ثباته وأصالته ونمكنه ما نعتبره به قائد دعوة وسامل راية يحاول أن ينقل السكاكين من مجال إلى مجال فهو يقول .

« واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون

التي موروثة ، وفقره الذكئ وشوق ضيف منذ سنوات ١١ هذا البعثة المجدد لم يجد من يستمع إلى دعوته الإصلاحية أو من يفسخ كتبه فقط للأجيال اللاحقة ، فصاعت صفحاتها بدءاً في خضم الزمان لأنه صاحب مذهب طريف ، أما الرجل الثاني فهو ابن مالك الأندلس صاحب الآلفية الشهيرة ، فقد كان جاعاً لآراء النجاة حسن الترتيب لما يتناول من القواعد المفردة ، لم يأت بمجدد في تحرير مذهب أو تأصيل بحث ، ولكنه قرأ فوصى ثم جمع فأوحى ، فسارت مؤلفاته التعريبية مسير الشمس ، وظلت تحتجب القرون منذ القرن السابع الهجري إلى الآن ، وقد كان الأزهر ولا يزال يدرس آثاره في الأقسام الابتدائية والثانوية والعالية عاطلة بالشروع والتقريرات حتى هذه الساعة ١١ فإذا فقد ابن معناه تأثيره في معاصريه ، فقد التقى مع ابن خلدون في العمل والنتيجة ، ومثلهما الكثرة الكاثرة من المجددين الذين دفنهم أيامهم الجائرة في حفائر الإهمال ، حتى مبيت الريح العاصفة فكشفت التراب عن الذخائر الملموسة وأقبل عليها الراغبون مقدرين .

ويخيل إلى أن ترده ابن خلدون قبل تأليف المقدمة بين الرسل والسجع قد ضام من تأييده في مشرته إذ رويت عنه مراسلات بدوية نحا فيها منحى معاصريه ، وقد حفظت عنه وتعرفت بين الناس بل في تاريخه

ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الإهراب
ويفسدون بنية الكلمة هاهنا تصادف
التجنيس ، والكاتب الذي يحمل هذه الجملة
هل البديع ايفرق فرقا واضحا بين البديع
المشكك المستكره ، والبديع الفعاري
المطبوع فهري في الأول وكاكة وإسفاقا
وفي الثاني جمالا وإبداعا وإنه ليفصح عن ذلك
حين يقول — يهض التصرف :

• ويقبح تراكيب الكلام في هذه السجية
طروب من التزين والتصحیح فيحصل
لكلام لذة ، وجمال رائد على الإفادة وهذه
الصفة موجودة في الكلام المعجز ، وفي
كلام الجاهلين بهد كمال الإفادة لكن ضوا
وبغير عمد ، وفي كلام الإسلاميين ضوا
وقصدا ، والمنثور في الجاهلية والإسلام
كان مرسلًا معتبر الموازنة بين جملة وتراكيبه
حتى نبغ إبراهيم بن حلال الصابي قسما على
الصنعة والتقفية ، ثم انتشرت الصناعة بعده
والكلام المصنوع بالمعانة والتكلف فأصر
عن المطبوع لفة الاكتراث بأصل البلاغة
والحكم في ذلك اللذوق .

أقد كان ابن خلدون ثابتة حصره دون
نزع ثم قدر له أن يقود النهضة الأدبية
في عصرنا الحديث ليصبح في حساب التاريخ
الأدبي ثابتة الصور اا طيب الله ثراه .

محمد رجب اليموسى

المدرس الأول بدار المحلات بالنيوم

يعنى فنون الشعر والنثر أساليب تختص به
هند أمه ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل
فيه ، وقد استعمل المتأخرون أساليب
الشعر وموازينه في المنثور من كثرة
الاجماع ، والنزام التقفية ، وتقديم النسيب
بين مدى الأغراض والمحمود في الخطابات
السلطانية الوسل وهو إطلاق الكلام
وإرساله من غير تسجيع إلا في الأقل القادر
وحيث ترسله الملكة إرسالاً من غير تكلف
ثم إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى
الحال ، فإن المقامات مختلفة ، ولكل مقام
أسلوب يحميه من إطناب أو إيجاز أو حذف
أو إثبات أو تصريح أو إشارة وأما إجراء
الخطابات السلطانية على هذا النحو الذى
هو على أساليب الشعر فمردوم ، وما حمل
عليه أهل العصر إلا احتيالا المجمة على
المتنم ، وفردوم لذلك من إعطاء الكلام
حقه في مطابقته لمقتضى الحال ، فمجزوا
عن الكلام المرسل لبد أدبه في البلاغة ،
وانفساح خطوه فيه ويجبرونه بذلك القدو
من التزين بالاجماع والألقاب البدعية ،
ويغفلون عما سوى ذلك ا وأكثر من أخذ
بهذا الفن وبالبخ فيه في سائر أنحاء الكلام
كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد ، حتى
أنهم ليتخلون بالإهراب في السكيات
والتصريف إذا دخلت لهم في تجنيس
أو مطابقة لا يهتمان معها ، فيرجعون

في مقارفة الأديان :

المعجزات

للاستاذ عبد الجليل شلبي

وفي هذا العصر المادى ذهب كثير من المستشرقين يفسرون المعجزات في ضوء العلم الحديث ، ويظهر أن إسرائف التوراة في ذكر المعجزات المادية للأنبياء وغير الأنبياء بما حدا بهم إلى الدوس المادى أيضا ، وقد اتخذوا من دراسة الآثار ومستكشافات الحفائر أدلة يعتمدون عليها ، والحق أن هذه الدراسة أهدتنا معلومات تاريخية قيمة ، ولكنها هزلت عن تفسير كل ما ذكرت كتب الأديان من معجزات الأنبياء ، ومن ناحية أخرى كان ما وقفنا لتفسيره تأييدا جديدا للحديث هذه المعجزات .

ومناك شئ آخر ، وهو أن التوراة سكنته عن ذكر أنبياء جاء ذكرهم في القرآن الكريم لأن التوراة - وهي في حقيقتها تاديج للشعب الإسرائيلى - لم تكن يذكر الأنبياء العرب حتى من يحتون العبرانيين بصلة جاء تاريخهم عرضا ، فيونس عليه السلام جاء ذكره في القرآن غير مرة وجاءت قصته مفصلة ، وهو يحكم بعث في أرض الكلدانيين ذو صلة بينى إسرائيلى . ومع ذلك لم يأت ذكره في التوراة إلا عرضا ، واسمها (يوزان) ،

من طبيعة الإسلام أنه لا يعتمد كثيراً على المعجزات والخرارق ، ومعجزته الكبرى هي القرآن الكريم ، وهي معجزة باقية يستمر التحدى بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي سورة الرسول صلى الله عليه وسلم معجزات أخرى كثيرة ، بعضها ثابت ثبوت اليقين ولا يمتثل أدنى نزاع ، وبعضها لم يقو سنه ، ولكن فصفه كتب السهر ، وشاع على ألسن الرواة من زمن بعيد .

وقد أقر القرآن الكريم الأنبياء السابقين بمعجزاتهم المادية ، وذكر قصصهم في كثير من سورة وفي كثير من آيه ، فالقرآن ليس حربا للديانات السيارية ، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن بدما من الرسل ، كل ما هناك أن المعجزات المادية تفقد قائلتها بمضى زمنها ، ويبدأ تأثيرها يهت في نفوس الناس ، فمن شأن هذه الحوادث أن تكون موقوتة التأثير وقد كانت رسالات هؤلاء الأنبياء موقوتة أيضا ، أما الإسلام فمعجزته خالدة لأنه دين عاقل ، ولهذا لم يمتد على المعجزات الأخر وإن كانت في الواقع حقيقة ثابتة ، وحسبها أنها أدت أغراضها حين حدوثها .

ركون العقلية المادية إليها أو اطلعتانها لها ،
فصلوا من قبلهم على توريثها أحيانا أو جعلها
مصادفة من أحداث الطبيعة أحيانا أخرى ،
وربما أعرضوا عنها نهائيا ، وجرت في هذا
الطلق كتب في التفسير ، وتخصر الانبياء
والسيرة النبوية .

وربما كان الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ
رشيد رضا أول سابق لهذا العمل في وقتنا
الحاضر ، ولنا بصدده أن نعرض للكثير
أو القليل من آرائهما ، ويمكن أن نشير إلى
مواضع يرجع إليها من شاء .

من ذلك ما حال إليه الشيخ محمد عبده
في تفسيره سورة الفيل من أن الطير الإبل
والحجارة من السجيل يمكن أن تكون
من الحشرات حاملات العدوى والميكروبات
وهي عادة تكون جماعات لا يحصيها إلا بارئها
ومنها ما ذكره الشيخ رشيد عن تابوت موسى
في سورة البقرة تفسيراً للآية : إن آية ملكه
أن يأتيكم التابوت فيه سكية من ربكم وبقية
بما ترك آل موسى وآل هارون تحمله
الملائكة ، وما ذكره من مائة عيسى
في تفسير هذه الآية من سورة المائدة
: اللهم ربنا أنزل علينا حائدة من السماء ،
وفي كليهما يتحاشى المعجزة .

وقد عالى الشيخ أبو زيد حين كتب ، تفسير
القرآن بالقرآن ، لجعل معجزات الانبياء جميعا
من المصادفات التي واقت أحداث الطبيعة

وشعيب عليه السلام ذكرت قصته وآفة
قومه وجزاؤهم ، وصلة موسى عليه السلام
وتسميه التوراة بنرون ، وجاء ذكره عرضا
أيضا كثر في تاريخ موسى ولم تحفل التوراة
بمجاد وعود مثلا ، بل لم تذكر أى تفصيل
أو توضيح لحياة إبراهيم في الجزيرة العربية ،
كأنه الفترة التي قضاهما بين العرب ليست من
حياته ، وقد ذكر القرآن ما نال المعاندين
لهؤلاء الانبياء من عقوبات ، ففهم من أرسلنا
عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم
من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا .
وكانت مواطن هؤلاء الانبياء مجالا لمناول
الحفريات الحديثة ، وآثارها مواضع درس
قُبِت أنها كانت في هذا الزمن بوجه التقريب
هرضة لأحداث الزلازل وثوران البراكين
وفهم أن هذه الحرات الأرضية كانت معجزة
هؤلاء الانبياء ، وأنها تصدق بالرجفات
والصباحات ، كما أنها كانت أيضا تتعرض
لتقلبات النوء وهو صف الرياح ومن شأنها
أن تكون حاصبة ومدمرة .

ويكنى أنهم وجدوا بوجه ما صدقا لما
جاء في القرآن ، ولنا نحن المسلمين وليس
قرآتنا أيضا بحاجة لهذا التصديق ولكنه
خليق أن يكشف من غلوائهم في تصدى
المعجزات .

وتحيب بعض الباحثين من المسلمين في العصر
الحديث حجة النقد الغربي للمعجزات وعدم

ولست أيضا أنهم الآخرون ولكن لا أرى داعيا للتيب من ذكر المعجزات أو الإشفاق من قِبل المستشرقين، فهؤلاء الذين لا ترضيهم معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هم اليهود والمسيحيون أتباع الكتاب المقدس، والعهد القديم والعهد الجديد جميعا تنص أسفارهما بمعجزات لا يتقبلها العقل ولا تخضع لمعادن الطبيعة - فهذا يشوع يفتح له الكهنة في الأوراق فتداهي لتفهم أصوار، أربعماء وتسقط المدينة في يده (١) ثم تقف له الشمس والقمر (٢) ويظهر له رئيس جنة الرب وسيفه المسلول في يده (٣) ويظهر وجنوده نهرا الأردن من غير أن تبذل قدم واحد منهم، لأن الماء انحصر وجف الجرى الذي جبروا منه وعن العجيب أن يقال عن مجاوزة الله بيني إسرائيل البحر أنه كان يوم جسد قلت فيه المياه أو صادف حدوث التواء في القشرة الأرضية عاد بعده إلى الانخفاض ولا يقال شيء من حادث يشوع في عبور الأردن.

وأتباع الكتاب المقدس يؤمنون بما في سفر التثنية من أن الرب تولد في موسى بنفسه (٤) ويؤمنون بأن ثلاثة من أصدقائه

أو بما بالغ فيه المؤرخون، والحق أني لم أقرأ تعليقات الشيخ أبي زيد وإنما قرأت تقرير اللجنة التي صادرت كتابه، وقريب من هذا ما فعله الشيخ عبد الوهاب السحار في (قصص الأنبياء) فعل ما في كتابته من النضج والميل إلى الشرح المستفيض لم يعط المعجزات ما كانت تستحق من عناية، بل مال إلى تهويلها.

وعلى هذا المنهج جرى الدكتور هيكل في كتابه (حياة محمد) إذ كان يجرّد حياة النبي صلى الله عليه وسلم من كل معجزة عدا القرآن ولعل هذا هو الذي اضطره إلى الإفضاء من عمل الملائكة يوم بدر والوحد بهم يوم أحد، وتأيد جنود الله للنبي والمؤمنين يوم الأحزاب ويوم حنين، ومن كون الإسمراء والمراج بالروح والجسد معا، فقد اكتفى بعرض ما في المسألة من خلاف وحتى يشرح الآلة التي تؤيد أنها بالروح، كما فسر حادث سراقة بأنها كانت كبريات جراد أجهد السير حتى تطير سراقة ورجع.

وعمل الدكتور هيكل أهون هذه الأعمال وأدناها لقبول، فهو في عرضه هذه السيرة لم يشأ أن يسلطها قائمة على المعجزات والخوارق وإنما جعلها جارية مع المنطق تصرف فيها النبي بذلك وحيلة غالبا ووجوه قليلة، ولا بأس عليه في كل هذا، وهو يثبت الوحي والقرآن.

(١) يشوع ٦ / ٢١

(٢) ١٢ / ١٠

(٣) ١٢ / ٥

(٤) تثنية ٣٤ - ٥

وهناك شيء أم من ذلك كله وهو أن معجزات الإسلام هذا القرآن لا يترتب عليها تغيير في شريعة الإسلام أو عقائده ، فسواء حاربت الملائكة يوم بدر وقتلت بعض المشركين أو كان وجودها مجرد التشريع لا يغير ذلك شيئا في جوهر الإسلام وكذلك شأن المعجزات الكثيرة الأخرى ولكن نزول عيسى من السماء بعد حادث القبض عليه ومعاكته وملاقاته بولس بعد نحو مائتين من هذا الحادث ترتب عليه تشريعات لم تكن بالمسيحية من قبل ، فبولس هو مؤسس المسيحية والذي أدخل عليها معظم مراسمها الدينية ، وبولس لم يكن نبيا وإنما كان من أعداء المسيح الألداء ومن أكبر موقدي الحرب ضد أتباعه بعد وفاته ، ومع هذا يدين له أتباع المسيح بكل هذه المعجزات ، ويؤمنون ما جاء به من تعاليم .

أما الترواة فتجري المعجزات على أيدي مرتكبي الكبائر والآثمين :

وإذن فلا ضير على الإسلام من هؤلاء الطاعنين فيما أنكروا المعجزات المادية جميعا فتذهب كل معجزاتهم ونبق معجزة القرآن ، وإما صدقوا بالمعجزات فلا يبنون إنكارها على محمد صلى الله عليه وسلم دون أنبيائهم ؟

عبد الجليل شلبي

دانيال القام (نبوخذ نصر) في النار فكانت عليهم بردا وسلاما ^(١) كما ألقى دانيال نفسه في جب الأسود فلم تمسه أسود ^(٢) وهكذا وهكذا . . . فيض من المعجزات .

فاذا انتقلنا إلى عهد المسيح فلندع معجزاته هو ولننظر معجزات التلاميذ .

هذا بطرس يجبر وهو في (الدة) أن نساء مائمه في يافا فيحضر إليها فلا يريد على أن يناديها فتفتح عينها وتستوى جالسة ^(٣) وقد حلت روح القدس على هؤلاء التلاميذ فكانوا يتكلمون في لحظة واحدة بلسات مختلفة لم يتعلموها من قبل ^(٤) ، وأخرج ملاك الرب بطرس من السجن وكان مربوطا بالسلاسل والحراس من حول بجنه ^(٥) حتى بولس مدبر المسيحية في حياة المسيح والذي لم يقابل المسيح قط عندما دخل المسيحية أصبح يثنى المفعلة ^(٦) ولا يؤذيه الرجم وهكذا وهكذا ... أيضا معجزات لا تقل عن السابقة .

أيسكون محمد أقل من واحد من هؤلاء أو يسكون بيت الله الحرام أقل عند الله قيمة من أروحاء ؟

(١) دانيال ٣ - ٤٠ .

(٢) تفسه ٦ - ١٢ .

(٣) أعمال ٩ - ٤٧ .

(٤) ١٠ - ٤٤ .

(٥) ١٢ - ٦ .

(٦) ١٤ - ٨ .

من الفلسفات الشرقية:

الفلسفة الصينية

دكتور محمد أمين الزواوي

فلسفية قيمة ناضجة . وكانت وماوى مؤلا .
السطحية ، مبنية على حبيج واهية ، مثل أن
هذه الفلسفات الشرقية القديمة لم تعرف
المنهج العلمية الحديثة ، وأنها لم تتجس في أن
تودع أفكارها ومبادئها في كتاب منظم
شامل ، كما استهانوا بها بحجة كونها عالية
من الفلسفات النظرية .

وإن الدراسات الفلسفية الأخيرة قد
كشفت عن أن للأمم الشرقية فلسفات عميقة
متبعة جدية بالدراسة والتقدير . وأما
الفلسفة الصينية فيرجع تاريخها إلى عشرين
قرناً قبل المسيح ، وقد استطاعت أن تحفظ
الكيان الخلقى الكامل لبلاد الصين وأمتها
مدى أربعة آلاف سنة ، ولكنها ظلت
مدرسة دراسة نافذة إلى ما قبل هذه السنين
الآخيرة ، لأسباب عديدة مثل : صعوبة اللغة
الصينية ، وتعدد استكفاء أسرار هذه
الفلسفة من منابها الأصلية ، وفقدان الثقة
النسابة ببعض الترجمات لتصوص الصينية .
وفوق هذا وذلك محاولة الغرب إخفاء التراث
الفلسفي للشرق ، وإبراز فلسفته في أرجاء
العالم بجميع الوسائل . ولنا - حيننا ننظر إلى
فلسفة أو أخرى - فإنما ننظر إليها كنزوة

تناولنا في هذا الباب من الفلسفات الشرقية :
البوذية ، والهندوكية ، والجينية . وإذا كانت
الفلسفات الهندية تعنى بالنفس والوجد
كثيراً ، فإن الفلسفة الصينية تعنى بالأخلاق
كثيراً . ويقول الأستاذ دنكر "Zenker"
في معرض الكلام عن الفلسفة الصينية
وعلاقتها بالأخلاق : إن المبشرين المسيحيين
حينما اتصلوا بالصينيين في القرن التاسع عشر
ورأوا ما عثدم من أخلاق وحكم سامية ،
أخذوا الخجل من جهلهم حقيقة هذه الأمة
وفلسفتها العميقة التي تسمو فيها الحكمة
والأخلاق إلى هذا الحد . ولا شك أن
الفلسفة الصينية قد عرفت في العالم المتحضر
قبل مئات السنين إذ ترجم أعمال الفيلسوف
الشرق الكبير كونفوشيوس ، والفيلسوف
ومانسيوس ، إلى الألمانية واللاتينية في القرنين
السابع عشر والثامن عشر . وفي هذه الفترة
قد ظهرت أيضاً بحوث قيمة في العالم الغربي عن
الفلسفات الهندية ، ونشرت كتب شاملة بجمع
تواحي هذه الفلسفات القيمة ، ولكن الغرور
الأوروبي المتعطر كان يحاول الحط من
قيمة الحياة العقلية الشرقية ، بل ويصرح بأن
هذه العقلية غير قادرة على أن تنتج آراء

فيه ، في العقلية الصينية . وهذه العقلية تربط القوى الثلاث ، أى السماء والأرض والإنسان برابط وثيق ، وإن كان لكل واحدة من هذه القوى طريق خاص وهدف معين ، إلا أن الغاية النهائية لكل منها واحدة ، فهى غاية الكون ، أو نادوس الفطرة ، وقبل أن تدخل في تفاصيل الفلسفة الصينية نلق ضوءاً على النظرية الفلسفية الصينية عن الكون ، وقانون الطبيعة ، ومكانة الإنسان من بين الكائنات .

الإنسان في الفلسفة الصينية

والإنسان في الفلسفة الصينية : هو جزء الطبيعة وأنه خير بفطرته ، وليس مجبراً على أنواع طبيعته الخيرية دائماً مثل النبات والحيوان . وأنه كائن مفكر له كسب واختيار ، وأن الشر لا يقع منه إلا إذا حاد عن طبيعته ، وأن هذه الحيدة لآثانيه إلا من حرية الاختيار والتفكير . وأما الحشر الموجود في نفسه فليس مكتملاً واقفياً ، وإنما هو موجود على صورة استعداد تام ، وعليه أن يحققه باختياره وسميه حتى يصبح ذلك الخير خلقاً له .

ويقول كتاب « شوكنج » : « إن القدر نومان ، الأول هو الحظ الذى تقوم به السماء بشئزيمه على الإنسان ، وهذا يمكن تعطيفه أو تحويل شره إلى خير ، والثاني هو القدر الناشئ عن أفعال الإنسان ، وهذا النوع لا يمكن التغيير فيه أو تعديله ، وأن الفضيلة

إنسانية عامة وإنتاج عقل مشعر يستفيد منها الإنسان — شرقاً وغرباً — في حياته ؛ ففى الفلسفة الصينية نرى كثيراً من الحكم والأمثال والمواظف التى من شأنها التمسك بالناحية الأخلاقية فى الإنسان ، كما أن دراسة فلسفة شعب أروقيدهته تربط الماضى بالحاضر ، وتوسع نطاق المعارف للأفراد والجماعات ، وتساعد على توضيق شقة الاختلاف بين الأمم والشعوب . يمتاز الشعب الصينى عن غيره بالإغراق فى تقديس الأرض لها تقيضه عليهم من نملة الخصوبة ووفرة الإنتاج ، وكانوا يطلقون عليها اسم : « القوة المحسنة » ، ويقولون عنها : « إنها تتلقى منا البذور أفرادها إلينا ثمأراً يانعة » . ومصدر هذه العقلية أن الشعب الصينى كان منذ عصور بالغة فى القدم شعباً زراعياً يضع الاستنبات من الحقول والاستغلال من الأراضى فى المنزلة الأولى من حياته ، وفى الوقت نفسه كانوا يعبدون السماء لهاها من فضل على الأرض وما فيها . وظهر فرق بين عقيدة العامة والخاصة من الصينيين على أساس هاتين العنوتين العظيمتين : « السماء ، والأرض » ، فينبأ يرى الخاصة فى السماء السلطان الأهل ، والنظام الدقيق ، يرى العامة فى الأرض الخصوبة والنعم الأخرى . ويقدروا كان الخاصة يقدسون السماء ، كان العامة يقدسون الأرض . ومن هنا نرى مقدار أثر الكون والقوى المتصرفة

طريقه المستقيم . وتوضيحاً لهذه النظرية الفلسفية يقول : « أرنج فان ، أقدم المستندات الفلسفة الصينية : » إن احترام من يستحق الاحترام يجلب الخير في الوقت المراد ، واحترام من يستحق الاحترام يجلب الجذب ، والحق يجلب العاصفة ، والتهوس يجلب البرد من غير انقطاع ، والتبصر يجلب الحرارة في الوقت المطلوب ، والتأمل يجلب البرودة في الوقت المناسب ، كما أن حكمة الملك تجلب الهواء عند الحاجة ، ونظافته تجلب المطر من غير انقطاع .

ورأينا من ربط الفلسفة الصينية المظاهر الطبيعية بالأخلاق الإنسانية أو الفضيلة وحدها هي التي تؤثر في حوادث السكون وتقلبات الطبيعة ، ويجب على كل فرد من المجموعة الإنسانية أن يحاول بقدر استطاع أن يكون فاضلاً حتى لا يكون مجلبة للجذب ، أو السكارة للأمة جمعاء . والفضيلة في نظر الفلاسفة الصينيين هي كمال الخلق ، وتحقيق الاستفادة التامة للنفس ، واتباع الصراط السوي في كل شيء واحترام النفس الإنسانية وربطها بالسماء .

الهدف الرئيسي لهذه الفلسفة :

١- النظرية العميقة في الفلسفة الصينية وأصولها ومبادئها من خلال مستنداتها القديمة نتيج النقيضة التالية : أن هذه الفلسفة العميقة مبنية على أساسين جوهريين : المثالية العليا وسعادة المجتمع ، وأن النجاح الذي تقصده الفلسفة للصينية هو نجاح المجتمع في تحسين أحوال البيئة والظروف التي يعيش

وحدها هي التي تؤثر في السماء . وأن المتكبر منخفض ، والمتواضع مرتفع . وأن السماء والأرض هما أبوا الكائنات جميعاً ، وأما الإنسان ، من بين الكائنات ، فهو وحده الموهوب وحده والفضائل التي تجعل الإنسان غاية في الكمال هي الصلابة في الاستقامة مع الوداعة ، ومهولة الانقياد مع القوة ، والخزم في السلطان مع الحكمة ، والرضا مع الجهد ، والتلطف مع الثبات ، والتجاعة مع العدالة ، والشفقة مع الإخلاص ، والحشمة مع البساطة . والذي يتحل بهذه المحامد يسير على الطريق السوي .

الفلسفة الصينية تربط المظاهر الطبيعية بالأخلاق والفضائل ، لأنها تقول : إن السماء كائن متحرك تبعاً لقانون منظم ، وهذا القانون يربط القوى الثلاث ، أي الإنسان والسماء والأرض رباطاً وثيقاً بوضع حكم ، ولكل من هذه القوى طريقه الخاص ، وغايته المقصودة . بحيث يحدث اضطراب بسيط في إحداها صداه في جميع جزئيات القوتين الآخرين . وإذا حاد الإنسان عن الطريق السوي ، فاعترف جريمة أو ارتكب خطيئة تنافي فطرته السليمة ، فيحدث نتيجة لذلك اضطراب محسوس في السماء والأرض ، وليس الاضطراب الطبيعي الذي يحدث حيناً فآخر في أرجاء السماء أو الأرض من كسوف وغسوف ، وظهور الكواكب المذنبة والزلازل والجذوب والأوبئة ، والفيضانات والجفاف ، إلا نتيجة جرائم الإنسان ، وانحرافه عن

ونظراً لصدارة كونفوشيوس في الفلسفة النظرية وأصالة منهجه الفلسفي وتأثيره لا ينبغي لباحث من الفلسفة الصينية ، أو قبا ، أن يتغاضى عن تعاليم كونفوشيوس القيمة ، وآرائه الجلية في مختلف المجالات الإنسانية . وينبغي لنا الآن أن نشير إلى بعض آرائه عن الإنسان وأخلاقه وكأله لرسم لنا تلك الآراء لوحة واضحة عن مدرسته الأخلاقية والاجتماعية : إن الإنسان ، في نظر كونفوشيوس ، مشتمل على القوة الإيجابية المؤثرة والقوة السلبية ، وأن مدى الفروق الموجودة بين الأفراد البشرية ، بتغلب إحدى هاتين القوتين على الأخرى . ثم يتعرض الفيلسوف لإلقاء مزيد من الضوء على هذه النظرية الفلسفية ، فيقول : « إذا كانت الذلية في الإنسان للقوة الإيجابية المؤثرة كان هو حكيماً كاملاً ، وإذا كانت الغلبة فيه للقوة السلبية كان حكيماً مادياً ويظل هكذا حتى يكون عرضة لتيار الأهواء والشهوات ، فإذا نجحها كان على الفطرة ، وإذا غلب الهوى وانتقام الشهوات حاد عن الصراط السوي . » وعنده : « أن الكمال الحقيقي الذي يناله الإنسان هو أن : الأول : الكمال الذي يتحقق لرجل ، تقوم السماء في إلهامه الحقيقة دون مجهود شخصي من جانبه فهو يحصل في المبدأ على ما يحصل عليه الآخرون في النهاية ، ويسمى هذا الرجل : الحكيم الموحى إليه . والثاني : الكمال الذي يحصل عليه الإنسان بجهوده المتواصلة وجهود المستمرة وأعماله العنسية .

فيها ، وليس هو نجاح الفرد . ويقول أحد العلماء المعلقين على الفلسفة الصينية : إن الأثرة - صدم - من أقيح الرذائل ، والإيثار من أسس الفضائل ، وأن الفضيلة تنحصر بوجه عام في حضور الفرد طواعية فهو مجتهد لتحقيق مطالب الجماعة ، ومصالحه المشتركة . وفي هذا المعنى يقول كتاب « إى كنج » المشهور : « إن الهواء الذي يصفى في السماء ماهر إلا بصير لقوة الرجل الذي يدر صغيراً ، والذي يمشى فوق ذيل الفردون أن يعضه هو الذي سينجح ، وأن الحكيم المتواضع يستطيع أن يمتاز البحر الأعظم ، وأن المتواضع ينفق النجاح ، وأن الفضيلة طريق السعادة » . كونفوشيوس - وفلسفته :

إن كونفوشيوس يمد في طليعة الرجال البارزين الذي خلفوا المدنية العالمية عامة ، والمدنية الصينية خاصة ، إذ هو الذي وضع قواعد الفلسفة الصينية على أسس علمية قيمة ، وقسم الفلسفة العلمية إلى ثلاثة فروع : الأخلاق الشخصية ، والأنظمة الاجتماعية ، وأنظمة الدولة ، بل هو الذي رفع علم التاريخ في الصين إلى مصاف العلوم الأخرى عند الأمم الراقية . وقد أعلن حكمته الخالدة على الملأ : « إن الجوهر الأساسي للعمل للشعوب يجب أن يكون هو الأخلاق ، وأن نظام الدولة لا ينبغي نجاحاً حقيقياً إلا إذا كان مبنياً على أسس أخلاقية » . ويرجع الفضل الأكبر في بلوغ الحكمة الصينية أوجها إلى هذا الحكيم .

كل فرد مفرد مفرد في بيئته غرس النبات ،
ومتأثر بالظروف المحيطة بمجتمعه وطبقته .
ولكن يستطيع ابن الطبقة الوضيعة (١) أن
يسمر بهله وأخلاقه إلى مصاف النبلاء
والشرقاء . وعند كوتشيبوس إن أول
ما يجب على الإنسان هو ضبط نفسه ومراقبة
قلبه ، وتكامل شخصيته هليا وأخلاقيا . وأن
المثل الأعلى هذه هو حب الإنسانية وتخليصها
من آلامها ، وجعل الفضيلة الشرط الأساسي
لبيع وظائف الدولة لأهلها ، مستولة عن أفراد
الشعب جميعا ، فيجب أن تكون السلطة العليا
مثلا أعلى للشعب في الفضيلة والأخلاق .
وهذا الرأي الحكيم الذي أقرب إلى القول
المأثور : « الناس على دين ملوكهم » .

إن الآراء الفلسفية السكوتية في
الأخلاق والامران والمدينة قد أنتجت خيرا
كثيرا للمجتمع الإنساني ، كما أنتجت
المضارات المصرية والهندية خيرا كثيرا
أيضا ، وأن كل ما حفظه لنا التاريخ من
تراث هذه الفلسفات القديمة يدل على مدى
ارتباط حظوظ بني الإنسان ومصائرهم
بالفضيلة والأخلاق ، وأهمية دور العلم
والفلسفة والحكمة في تكوين مجتمع على سليم

نحى الأربع الفوائى

(١) يشير كوتشيبوس إلى التضمين القديم السائد
في ذهنه بين النبلاء والطبقات الدنيا ، ويصرح بأن
النبيل في رأيه ليس من ينقسم إلى أسرة معينة بل
هو النبيل بهله وأخلاقه .

وأما الإنسان الملهم ، أو الموحى إليه
فهو ابن السماء الذي يرى الصراط المستقيم
ويهرسه في جميع مراقب الحياة البشرية . وأما
الذي يخلق الكمال المكتسب بمجهوداته فهو
ابن الأرض ويحتاج إلى مجهوده الشخصي لأن
يكون في منأى عن شرور الهوى والشهوات .
وأودف كوتشيبوس يقول : « إن مهمة
الحكيم الملهم هي نشر قانون السماء والسر
على تنفيذ في الأرض » والسعي لإنقاذ بني
الإنسان من الخروج عن الصراط السوي ،
بينما الحكيم السوي يكتسب الحكمة بمجهوداته
الخاصة يعتمد في احتفاظه بفطرته الأصلية
وفي مقاومة ضميعة أمام هواصيف الهوى
والشهوات المختلفة على نفسه فقط ، فإذا حاد
عن صراط الفطرة نزل من درجة الحكمة
العادية إلى درجة أولئك الذين يحدثون الشر ،
ويقعون نار الفتن في البشره . وهكذا قرر
كوتشيبوس أن الخضوع لقانون الطبيعي
يتبع الخير والرغاء والقدم نحو الكمال ، وأن
الانحراف عن نهج القانون الطبيعي يؤدي
إلى الاضطراب ، ونعش الشر والسوء .
وأسس كوتشيبوس مذهبه الأخلاقي على
أساس تنفيذ أوامر الطبيعة ، وتطبيق
قوانينها القديمة .

ومن آرائه الاجتماعية : « إن النبيل هو
من اجهد في تكامل نفسه وحافظ على نبل
قلبه وراعى آداب اللياقة وأذعن لقواعد
الأخلاق ، ولو كان من الطبقة السفلى . وإن

الحرية الفردية في الإسلام

للأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم مهنا

- ٢ -

الحرية المدنية :

فإذا جئنا إلى تصرفات الفرد أو ما يسمى بالحرية المدنية ، نجد أن موقف الإسلام منها لا يختلف عن موقفه من حرية العقيدة ، فآيات القرآن الكريم صريحة في تحميل الإنسان تبعة كل ما يصدر عنه من أعمال يقول الله تبارك وتعالى : « من اعتدى بابما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، الإسراء ١٥ » ومن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فلها ، وما وربك بظلام للبيد ، فصلت ٤٦ ، « كل نفس بما كسبت رهينة » ، المدثر ٣٨ .

ولن يستقيم لهذه الآيات معنى إلا إذا كان الإنسان حراً مختاراً ، إذ المسؤولية فرع الإرادة الحرة المنبعثة عن التفكير السليم ، انظر الصائب ، ولذلك أسقط الإسلام التكليف عن من ليسوا أهلاً له كالصغير والمجنون والنائم . وتمشيا مع هذا المنطق لم يكلف الله عباده إلا بما يكون في استطاعتهم أن يفعلوه يقول سبحانه : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » البقرة ٢٨٦ ويقول جل شأنه : « فاتقوا الله ما استطعتم » التوبة ١٦ . ويقول الرسول صلوات الله

وسلامه عليه : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

وكما أهدر الإسلام مظاهر العقيدة إذا أكره الإنسان عليها ، فكذلك أبطل أثر العمل إذا أكره الفرد على ارتكابه ؛ فلا عقاب على مضطر أكل محرماً كاليتيم ولحم الخنزير ؛ يقول الله في كتابه الكريم : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم ، البقرة ١٧٣ » ولا احترام - في نظر الإسلام - لعقد أكره أحد طرفيه على إبرامه ؛ فقد روى أن قتادة جهات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو إليه أن أباهما زوجها من ابن أخيه لترفع خصمته ، فرد الرسول نكاحها وقال : « الأيم أحق بنفسها من وليها » ، وكما أن الإسلام لا يعترف بالزواج إلا برضى الطرفين كذلك لا يفرق بين زوجين إذا أكره الرجل على طلاق زوجته ؛ فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لا طلاق في إغلاق » .

ونجد في القرآن تطبيقاً عملياً لتقييم الأحوال بناء على قوة الإرادة وحرية الاختيار ، وذلك حين يفرق بين السابقين الأولين من المؤمنين وبين ضميرهم من ساروا في الحرب

الحجة الباقية ، فلو شاء لهذاكم أجمعين .
الأنعام ١٤٨ ، ١٤٩ .

ليس هناك إذا إكراه على كفر ، كما أنه
ليس هناك إكراه على إيمان ، نعم إن الله
سبحانه قادر على أن يكره الإنسان على طاعته
لو أراد ، ولو شاء وبك لأمن من في الأرض
كلهم جميعا ، يوفى ٩٩ . ولو شئنا لآتينا
كل نفس هدايا ، السجدة ١٣ ، ولكنه
سبحانه لم يشأ ذلك ، وإنما ترك الإنسان حرا
يختار لنفسه بعد أن منحه القدرة ووجه العقل ،
وذلك ليصح تكليفه ويتحقق عدل الله فيه ،
وصدق الله إذ يقول : « ونفس وما سواها .
فألهمها جودها ونفوسا ، قد أفلق من ذكاتها .
وقد غاب من دساها ، الشمس ٧ - ١٠ .

ومن هنا كانت التفرقة بين إيمان ونفاق ،
وهذا كانت أوامر الله ونواهيه إلى خلقه
مفهومة ولم تكن ضربا من العيب ، ولم يكن
إرسال الرسل ضربا من التوبيخ والمغالطة كما
يريد سالبو الإنسان حريته أن يكون ، ولا بد
من أن نوضح هنا أننا نؤمن بالقضاء والقدر
على معنى أن كل شيء ، يصيب الإنسان - وليس
داخل تحت إرادته التي يحاسبه الله عليها عدلا -
إنما يسير تبعا لما قدره الله وأراد ، والحكمة
يعلما هو ، والمرء ليس مؤاخذا به ، وعليه
أن يؤمن بالقدر خيره وشره ، فلا يقنط
على ما يصاب به من بلاء أو قحط ، وهذا هو
المسрад - فيما نفتقد - من قول الله تبارك
وتعالى : « وإن تصيهم حسنة يقولوا هذه من

مع أفراح الناس بعد أن جاء نصر الله والفتح ؛
يقول الله تبارك وتعالى : « لا يستوي منكم
من أتق من قبل الله وقاتل ، وأولئك
أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا
وكلا وعد الله الحسنى » ، وليس هناك من
حب - فيما نرى - التفرقة بين هؤلاء وأولئك
إلا الإرادة الحرة الغالبة في إيمان السابقين
والإرادة المشوبة بنوى من إكراه الظروف
المحيطة بالنسبة للآخرين .

هل الإنسان مبرور على القضاء والقدر ؟
وهنا نحب أن نقف قليلا مع هؤلاء الذين
يشكرون حرية الفرد في دينه وفي نصراته
على سواء . إنهم يقولون إن الإنسان مجبور
في إيمانه وكفره ، مجبور على إتيان الفعل
أو تركه ، إنه لا إرادة ولا حرية ولا اختيار
وإنما هي مقبلة الله التي تتحكم وتوجهه ،
ويستندون إلى مثل قوله تعالى « وما تشاءون
إلا أن يعاء الله ، الإنسان ٢١ .

ولن نعب أنفسنا في النقاش مع هؤلاء ،
فقد حدثنا القرآن عنهم وعن أعمالهم وتبرير
كفرهم ومعاصيهم ، ودد عليهم قولهم في بيان
واضح لا زيادة بعده لحثيذ ؛ قال تعالى :
« سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء » ، كذلك كذب
الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل
هتدكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تنبؤون
إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون . قل فله

بحث نقدي : إن وإذا ...

للأستاذ كامل السيد شاميين

- ٢ -

الحامى الذى يؤمن بصدق قضيتك ، فهو يبالغ
بكل حجة ناعضة أو ساقطة .

ومن ثم اشتملت كتبهم على خير كثير ،
وعلى غناء كثير ، واضطربت الحماير حتى
صارت كل قضية تقبل الخطأ ، وتقبل
الصواب ، وانقلب الأمر من نقدان الحق ،
والبعث من المعرفة والوقوف عند الدليل القوي ،
إلى المهارة فى التأويل والتخريج ، والنطاسة
فى التنبس عن وجوه الاحتمال والتشكيك .

اضطراب القاهرة :

القدماة من ألقاف الناس ذوقا ، وأدقهم
فيها ، وأنفذهم إلى حقيقة ، وأدعاهم للثقة ،
ولتلقى كلامهم بالجلالة والاعتبار انكبت
طرق بعضها بمهود ، وبعضها عموف .
ولو وقف العلماء المتأخرون موقف القاضى
القين بأخذ ما سافا ، وبرد ما لا يسوخ ،
لكانت الطريق أقصد ، والفرقة أدنى .
ولكنهم - رحمهم الله - اتخذوا موقف

(بقية الصفحة السابقة)

وأخر فقد ماله بسبب سفيه وسوء تديره ،
فالأول غير مسئول عما حدث له ، أما الثانى
فهو مؤاخذ بما فعل ويحجر عليه ويمنع من
التصرفات المالية تطبيقا لقضيه تعالى :
« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم لأن جعل الله
لكم قياما ، وأرزقكم فيها ، وأكسوم وقلوا
لهم قولا معروفا ، النساء » .

وكانت التفرقة كذلك بين إنسان قدم نفسه
للجهاد فى سبيل الله فقتل وآخر حناقت عليه
الأرض بما رحبت وحناقت عليه نفسه فاتعز ،
فالأول شهيد مثاب ، والثانى مؤاخذ بما فعل
وبما ارتكب . **أحمد إبراهيم هليم مرزقا**

هذه الله ، وإن قصهم سيئة بقولوا هذه من
هذلك ، قل كل من هذه الله ، فالخولاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا ، النساء ٧٨ .

أما ما يدخل تحت تصرف الإنسان وإرادته
بما فيه من خير يثاب عليه فهو من فضل الله
ونعمته وتوفيقه ، وما فيه من شر يعاقب
عليه فهو من سوء اختياره وفساد إرادته ،
وهذا هو ما يشير إليه قوله تبارك وتعالى :
« ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك
من سيئة فمن نفسك » . النساء ٧٩

ومن هنا كانت التفرقة - فى حكم الشرع -
بين إنسان قدم ماله بسبب جائحة لا يده فيها ،

إذا قلت : ما بي يا بثينة قاتلي
من الحب . قالت : ثابت ويزيد
وإن قلت : ودي بعض عقل أعشى به
مع الناس ، قالت : ذلك منك بعيد
القاعدة تسوقنا إلى أن قول جميل لبثينة :

(ما بي يا بثينة قاتلي) أمر عتق لا يحتمل
الشك ، أما قوله لها : (ودي بعض عقل .)
فأمر مفسوك فيه . . وبين أن قوله الأول
كقوله الثاني يريد أن يدفعنا الشاعر إلى أنه
كلاهما عتق لا يدخله شك . . .

ولو سمح النظم لجميل أن يأتي بإذا مع القول
الثاني لفعل ، ولو فعل ما قص وزن الكلام
ولا تقديره ، ولا تغير فهمنا له .

ونراه في قول أبي الطيب يستب هل
سيف الدولة :

إن كان سرهم ما قاتل حاسدا
فالمخرج إذا أوضاعكم ألم
فالمثنى قد سطا عليه الحسدة عند سيف
الدولة ، وسيف الدولة قد تلقى ذلك السطر
بالسرور والرضا .

والمثنى أصحب (إن) لفظ السرور
في العطر الأول ، وأصحب (إذا) لفظ الرضا
في العطر الثاني ، إذن فالمثنى سر سيف الدولة
هو الذي أوضاع . . فما بال إن تدخل مرة ،
وإذا تدخل مرة ؟

وهل يصور في العقل أن يكون الشيء
الواحد مشكوكا فيه محققا في الوقت ذاته ؟

وحين يصبح العلم مهارة وتعلما وشقا شق
كلام ، فقد انسلخ من قداسته وحرية وأصبح
لاحقا بالضمومات التي تسر أعين الناس
وتسترهم ، ولسكنها لا تقصمهم ولا تردهم
إلى برد اليقين .

ومن الغضايا التي داخلتها الخيل حتى غلبت
على الأصل المقرر ، قضية إن وإذا ، فقد رأى
النوم أن (إن) لا تدخل إلا على الأمر بشك
فيه ، وأن (إذا) لا تدخل إلا على الأمر بحزم .
ولقد تسب العلماء في أن يجبروا صدوع
هذه القاعدة ، فتأولوا وأكثروا ، ولم كنا
نحب أن يطرد هذا التأول على ما فيه ، ولكن
هناك مواقع عزت على التأويل فأبى أن تنقاد .
فن ذلك :

١ — مواضع يمكن فيها المبادلة بين
(إن وإذا) دون أن تكون إحداها أسمى
بمعناها من الأخرى .

نرى ذلك في قوله سبحانه : يصف المنافقين
بكال الأجسام ، وفصاحة الأسن :

وإذا رأيتم تمجيك أجسامهم ، وإن
يقولوا تسمع لقولهم . .

هل يمكن المجادلة بأن الروية عمل يقين ،
وأن القول عمل شك ؟ أم أن اليقين والتحقيق
واحد وبدرجة سواء في الروية والقول جميعا ؟
ولو قيل في غير النظم القرآن العظيم :
« وإذا قالوا سمع لقولهم » . لجاز ولم يكن

الكلام خارجا عن معنى التحقيق في القولين ؟
ونراه في قوله جميل بن معمر :

يجزوم بعدم وقوعه . . . قالني - صلوات الله عليه لا يشرك ، ولا يقبض أهواء المشركين ، وجعل الله من أن يكون له ولد .

ولقد تقول : إنما ذلك على سبيل الفرض والتقدير .

فيقال لك : إن الفرض والتقدير أوجه مطلق التعليق ، كما تقول : إن جلدك كتابي هذا فاقدم إلي ، فحي . الكتاب على سبيل الفرض والتقدير . أما حديث الله والنبي الحديث آخر بعد مرحلة الفرض .

٣ - ومنها استعمال (إن) في الأمر المحقق . وأنت واجد ذلك في قول طرفة :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكك يدي
فصاحب طرفة لا يماوي في أنه لا يستطيع أن يدفع منيته عنه ، ومن ذا الذي يزعم أن له قبلاً يدفع المنايا ، ولا ينيك مثل أبي ذؤيب (وإذا المنية أقبلت لا تدفع . .) لهذا أمر محقق .

وسبيل ذلك سبيل الآية ، وإن يقولوا نسمع لقولهم ، والآية ، وإن تصبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه ، فإن إعجاب النبي صلوات الله عليه بفصاحة المناقنين ، وزعم الكفار أن البلاء بهزم موسى ومن معه ، أمر واقع فلا مجال لادعاء الله فيه .

وعليه قول الكلبة اليربوعي في حريمه ابن طارق :

وزراء في قول الجاهل يمتدح الرسول
صلوات الله وسلامه عليه :

إذا صال قالدنيا بجر وماله

وإن قال قالايم عين ومسح
ففي ذا الذي يستطيع أن يدعي أن صيال
الرحول الكريم أمر محقق كثره ، وأن قوله أمر مشكوك فيه أو زور .

ومن ذا الذي يستطيع أن يدعي أن القاهر
لو قرن الصيال يان ، والقول ياذا يكون قد
أخل ببلاغة الكلام ؟

٢ - ومن ذلك مواضع تبيها إذا
للاستحالة والامتناع ، وتبيها إن
للاستحالة والامتناع أيضا .

ونحن نجد ذلك عندما نقرأ قول الشاعر ،
برئس امرأته من هودته :

فرجى الخير وانتظري إياي
إذا ما القارظ المنزى آبا
والقارظ المنزى لن يشوب... (إذا) داخلة
على الممتنع المحزوم بعدم حصوله .

وتقول : إذا شاب الثراب ... إذا انهض
تهلان ... إذا نظمت لي النجوم عقوداً ...

كل ذلك لا يكون ، ومع هذا يصحب إذا
التي توافق ما يجب أن يكون ...

وعليه في جانب إن قوله سبحانه : ولئن
أشركه ليعبطن عملك ، وقوله جل ثناؤه
« ولئن اتبعت أهواءهم ، وقوله تعالى « قل
إن كان للرحمن ولد ، وغير ذلك مما هو

كان الركوب لم يحققا ، إن الجلوس في الأندية
لمحقق كذلك .

ولأنما الحما في الاستشهاد لأن الفسحة
رواية ، وليست حذقة في التخرج ، وبراحة
في التأويل ، وقدرة على الاحتيال .

وإذا ثبت أنه يمكن المبادلة بين إن وإذا
وإحلال إن على إذا في بعض المواطن .

وثبت أيضاً أن إذا التي تستعمل - فيها
قالوا - عند الجزم بوقوع شرطها ، قد تقع
مع الحال المجزوم بأنه لن يكون ، وأن (إن)
التي تستعمل - كما دعوا - في الأمر ينشك
فيه قد تستعمل مع ما لا يكون .

وثبت كذلك أن (إن) تستعمل في
الأمر المحقق .

إذا تقرر هذا كله وجب أن تكون القاعدة
التي بنوا عليها حكمهم منقوضة ، وأن يباد
النظر فيها ، وفيما بنى عليها .

وتعمم البحث أن تنظر فيما أوردوه من
قاعدة ، وتبين مدى استجابتها ، ومدى
إخلاصها .

وأن تنظر في استعمال العرب لغاتين الأداتين
وما يريدوهما ، وطريقتهم في إيرادها .

ثم تقارن ذلك بما ورد من سيويه لئلا
مدى ما يمكن أن ينسج له ذلك النص القديم
من أحكامهما .

وموعداً بذلك - إن شاء الله - المقال المقبل ؟

أسأل السيد شافعي

فإن تتج منها يا حريم بن طارق

فقد جعلت ما خلف ظهرك بقاعاً

ضمير (منها) لفردة فرس السكعبة . .

ولقد نجما - واقه - حزيمة بن طارق من الفردة
وقارسها ، فلا عمل لك بعد .

وكذلك قول بشامة بن التندبر يصف ناقته :

إذا أثبت قلب مدهورة

من الرب تلحق هيفا ذمولا

وإن أدبرت قلب مشحوة

أطاع لها الريح قلما جفولا

يصفها بالسرعة في إقبالها وإدبارها ، فهي

مقبلة كأنها فائمة وبداء مدهورة ، تلحق

ظلياً شديد السرعة ، وجعلها مدهورة ليكون

ذلك أمداً لرحلتها .

وهي مدبرة كأنها سفينة وانته الريح قلاها .

واستعمال إذا هنا جاء على أصله .

واستعمال إن منها مع أمر محقق ، ولا معنى

لأدعاء الشك فيه ، إذ لا فرق بين إقبالها وإدبارها .

ومنه قول العبل يرثي جماعة من الأمويين

قتلهم عبد الله بن علي عند نهر أبي فطرس :

إذا وكبوا زينوا المركبين

وإن جلسوا زينة المجلس

يصفهم العبل بالشجاعة والعقل ، وتزدان

بهم المراكب إذا حاربوا ، وتزدان بهم

المجالس إذا تصدروا للحكم والفضاء .

ولعمرك ليس الامتداح بالعقل والفصل

دون الامتداح بالشجاعة والجرأة ، ولن

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟ للمستاذ بدر عبد الجبار

ونذهب قوم إلى أنه فرض سنة ثمان من الهجرة بعد فتح مكة ، بدليل اختلاف الرسول صلوات الله وسلامه عليه لكتاب ابن أسيد رضي الله عنه ليحج بالناس مائة ، وقد رد هذا بأن الثابت أن اختلافه له كان على مكة بعد الفتح وقد حج الناس على مكة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام كمادة العرب ، وقد حج معه المسلمون والمشركون .

وقيل فرض سنة تسع ؛ فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضي الله عنه للحج مائة ، بعد أن نزل قوله تعالى : « وقل على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

هذا وتحديد وقت التشريع للحج له أهمية قصوى لمعرفة مدى تطور أحكامه ، فإن صح أنه فرض قبل الفتح - وهو في سنة ثمان - فإن هذا من إعلام النبوة ، إذ يجب أن يفرض الله على المسلمين الحج وجميع مناسكه بمكة وما حولها - وتكون تحت سلطان أعدائهم ، وأيضا فإن المسلم الذي مكنته ظروفه من الحج - وقتئذ - كان - من البدعي -

تحدث - في المقالات السابقة - عن تدريج التشريع في كل من الصلاة والزكاة والصوم ، واليوم أود أن أتحدث عن تدريج التشريع في الحج ، وما يتصل به من أحكام الحرم والأشهر الحرم فأقول - وبالله التوفيق :

متى فرض الحج : اختلف العلماء اختلافا كبيرا في تحديد السنة التي فرض فيها الحج فقيل في السنة السادسة ، وحجة القائلين بذلك أن أول آية نزلت في شأن الحج قوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله ، وهذه الآية نزلت في السنة السادسة ، وهذه الآية ليست فصا في فرضية الحج ؛ فإنه يمكن أن يكون معناها أتموا الحج والعمرة لله إن شرعتم فيها ، وهذا لا يدل على أنهما قد فرضا فعلا ونذهب قوم إلى أن الحج شرع في السنة الخامسة ؛ وقد استدلوا على ذلك برواية ضام ابن ثعلبة رضي الله عنه - وكانت سنة خمس من الهجرة ، وفيها أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ، فمد منه حج البيت .

لجئوا في ذى الحجة عامين ، ثم حجوا في الحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين ، وكذلك في الشهور كلها ، حتى وافقت حجة أبي بكر التي حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع ، فوافقت ذا الحجة ؛ فذلك قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، أراد بذلك أن أشهر الحج رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذى الحجة ، وبطل النسي .

وهذا يدل على أن حجة أبي بكر هذه قد وقعت في ذى القعدة ، وقد أقرها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى هذا فتكون حجة عثمان بن أسيد كانت - كذلك - في ذى القعدة .

وانكر قوم أن تكون حجة أبي بكر كانت في القعدة ، واستدلوا على هذا بقوله تعالى : وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ... ، وأن الإجماع منقطع على أن هذا الأذان (الأعلام) كان في حجة أبي بكر ، وقد سعى الله تعالى يوم إبلأغه إلى الناس بيوم الحج الأكبر فكيف يسميه الله بالحج الأكبر ، ولا يوافق أيام الحج التي حددها الله ؟

يؤدى المناسك على ما توارثه القوم من مكة لإبراهيم عليه السلام ، وقد دخلها كثير من التغير والتبدل لتتقدم الأزمان ، والدليل على هذا أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لم يبين مناسك الحج إلا في حجة الوداع وقال : خذوا مني مناسككم ، وبما لاشك فيه أن مفهوم الحج - في الجملة - كان مفهومًا - عند القوم - حينما نزل قوله تعالى : وآتوا الحج والعمره ، وعندما نزل قوله جل شأته : وقف على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، وعندما علم (عظاما) شرائع الدين وجد منها الحج .

بعض الأحكام التي كانت مشروعة ثم نسخت :

١ - كان منه المباح إلى السنة التاسعة أن يطوف بالبيت المشرك والعريان إلى أن نزلت أوائل سورة براءة ، وأرسل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - عليا خلف أبي بكر وصلى الله عنهما ليعلم الناس - يوم الحج الأكبر - وهو يوم اجتماع الحبيب في منى يوم النحر بأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

٢ - ترك الناس - أول الأمر - على ما اعتادوه من تقديم أو تأخير أيام الحج ، فقد ذكر القرطبي في تفسيره الآية : إنما النسي - زيادة في الكفر ... الخ ... قللا عن يعاهد ، قال : كان المشركون يحججون في كل شهر عامين

العادات فسيكون هناك أضافهم من يتقبلون هذا التشريع بنفوس طيبة .

والآن وبعد أن نزل قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات » ، وبعد قوله تعالى : « إنما المشركون نجس » ، وبعد أن نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن أن يطوف بالبيت عريان فليس لأحد أن يجبر شيئاً مما كان مشروفاً من قبل .

هذا ومنسك الحج لا يجوز لمسلم أن يتصرف فيها بحذف أو زيادة أو تقديم أو تأخير فإن الله تعبدنا بهذه الفريضة ليقين العبد الطائع من العبد المتعبد ، نعم يجوز أن ننظم كيفية الأداء ، والاتقاع بهذا الاجتماع ، كما يجوز أن ننظم طرق الاتقاع بالهدى والاصاحى بما يكفل الخير لأهل المسومين ، وليس هناك ما نفع شرعى أن ننظم كيفية الطواف والسعى ، فإن هذا ليس تغيير لما شرع الله ، وإنما هو ترتيب لما شرع .

ومن مبادئ الإسلام التي تلدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، يسروا ولا تعسروا .

بسمه الفتوى عبد الباقي ط

ولكن بجانب من ذلك فإن المراد بالحج الأكبر في الآية يوم اجتماع الجميع إما في هرفة أو متى ، ولما كان تشريع النبي لم يبطل - بعد فصيح أن نفس هذا اليوم يوم الحج الأكبر فإن الأصل بقاء ما كان على ما كان ، ولا تشريع بغير نص أو ما يقوم مقام النص .

ولما كانت رواية مجاهد مثبته ، وكان رأى الثنايين مجرد اجتهاد منهم في فهم الآية كان الإثبات مقدما على الثبوت ولا سيما أنه نفي لم يعتمد على نص صريح .

مفزى هذا التدرج في التشريع : نستطيع أن نفهم من هذا التدرج أن العرف له مكانته وأن القضاء عليه يتطلب الحكمة والبروى ، فيها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح مكة ، فيبدأ بالقضاء على الوثنية من غير هوادة ، ولا تأجيل ، وأما ما وراء ذلك من العادات والتقاليد التي توارثوها فقد ترك للزمن ولاختلاط المشركن بالمسلمين أن تهذب من هذه العادات ، وأن تعد النفوس لتقبل حكم الله المحكم في هذا الأمر الخطير وإذا كان لا يزال - هناك - من يصر على تحكيم هذه



الحرب الوقائية في عصر الرسول للأستاذ حسن فتح الباب

على إسرائيل . وفي عملنا أن نلاحظ أن إسرائيل تحصل سراً على الأسلحة ، ويجب أن نقابل هذا العمل بمثله بحيث لا يتمكن إسرائيل من التفوق علينا . أما إذا سارت إسرائيل في إنتاج القنبلة الذرية ، فأنا أعتقد أن ارد الوحيد على هذا هو الحرب الوقائية ، يجب أن تقوم الدول العربية في الحال بالتقضاء على كل ما يمكن إسرائيل من أن تنتج قنبلة ذرية .

ولم تحض أيام قليلة على هذا التصريح حتى عاد السيد الرئيس إلى زديد مضمونه دلالة على خطورته بالنسبة للأمة العربية بأسرها فقال :

« ونحن إذا شعرنا بأن إسرائيل تتجه نحو إنتاج سلاح ذوى ، فليس أمام الجماهير العربية التي تخلصت من الاستعمار من سبيل إلا الحرب الوقائية .

إننا بهذا نحمي الجماهير العربية من مؤامرات الصهيونية وهدوان الصهيونية .

وهذا القرار الذي أصدره رائد العرب بضرورة قيام الدول العربية بشق حرب وقائية ضد العصابات الصهيونية المقتضية قبل أن تتمكن من إنتاج القنبلة الذرية

تأول الرئيس جمال عبد الناصر في الحديث الذي أدلى به في المؤتمر الصحفي الذي عقده مع الصحفيين العراقيين بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٦٦ وشهده المنفور له الرئيس عبد السلام عارف ورئيس جمهورية العراق ، أم مشكلات العالم العربي ، وفي مقدمتها قضية الوحدة الوطنية والوحدة العربية وأسس تحقيق هذه الوحدة ، وقد أوضح قائد الأمة العربية ما يتعرض له العالم العربي في المرحلة الراهنة من غاطر تهدد حريته وتقدمه ووحدته ، وبين الحلول الكفيلة بتحدى هذه الغاطر والتغلب عليها ، وأهاب بالنسب العربي أن يضم صفوفه وينسق خطوات كفاحه لمواجهة تحركات الاستعمار والرجعية وعملاتها .

وحين سئل السيد الرئيس عن موقف الجمهورية العربية المتحدة من تزويد إسرائيل في الآونة الأخيرة بالأسلحة من أمريكا ومن ألمانيا الغربية ومعاونتها الحصول على القنبلة الذرية ، أجاب سيادته :

« نحن أيضاً نحصل على أسلحة ، وإننا حينما تفكر في إسرائيل يجب أن تفكر في إسرائيل ومن وراء إسرائيل من الذين أقاموا إسرائيل ومن الذين حافظوا

في مجموعها وزن الدولة بالنسبة للدولة المنافسة لها . وأم حوامل توازن القوى في الدولة موقعها الجغرافي وأثره في تقدمها ووقايتها من الأخطار ، ومواردها الطبيعية والصناعية ، والكفاية المملية لشعبها ، وعدد سكانها ، والروح القومية ويعنى بها القوة المعنوية التي تلم شمل الشعب في وطن واحد بكافح ويضحي في سبيله .

متى تبدأ الحرب الوقائية :

وتأسيساً على ذلك ، فإن الدولة التي تأخذ بنظرية الحرب الوقائية تعتمد إلى تطبيقها في الوقت الذي تتأكد فيه أن العدو قد عقد النية وأتبع ذلك بالأعمال الإيجابية التي من شأنها أن تمكنه من إحراز تفوق عسكري يقيح له فرض المعركة واتخاذ زمامها ومكانها المناسبين له والمداران على الدولة الأخرى والقضاء على مقوماتها . وهكذا ترى تلك الدولة أن عامل الزمن في غير صالحها إذا اتخذت موقفاً سلبياً ، فتلجأ مكرمة إلى البعد بالمهجم وقاية لكيانها ودفاعاً عن نفسها .

مزايم إسرائيل الباطلة :

وترى الكثيرة الغالبة من العلماء والباحثين والقواد العسكريين أن الحرب الوقائية حرب مشروعة وعادة ، ولكن الخلاف يظهر في التطبيق ، إذ قد تشن دولة معروفة بميولها العنصرية التعصبية واتجاهاتها العدوانية حرباً على دولة أخرى مسالمة ، وتدعى الدولة

واستخدامها في العدوان على الشعوب العربية يتفق مع السياسة العسكرية للإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحمل بنا قبل تحليل هذه السياسة أن نعهد لذلك بتعريف الحرب الوقائية كما وردت في القانون الدولي للعام وفي علوم (الاستراتيجية) العسكرية .

معنى الحرب الوقائية :

يطلق هذا الاصطلاح على الحرب التي تشنها دولة على دولة أخرى معادية لها ، بأن تبادر بالمهجم عليها قبل أن تستكمل الدولة الأخيرة استعدادها للحرب وتحدد قوانينها وتبدأ عمليات الغزو العسكري . فالقصد من الحرب الوقائية - كما يستبين من وصفها - هو وقاية الدولة من الهزيمة العسكرية التي تتعرض لها إذا لم تأخذ هي ذمام المبادرة بين يديها وتبدأ بتدمير الآداة الحربية للعدو قبل أن يدمر هو أدااتها . وينطبق على هذه السياسة العسكرية ذلك شعار القاتل : إن الهجوم خير وسيلة للدفاع

والمعياري الذي تأخذ به الدولة في تحديد الزمن الذي تبدأ فيه بعض حرب وقائية يستند إلى نظرية التوازن الدولي ، ومقتضاها أن تعمل الدولة على تدعيم طاقاتها الدفاعية بحيث لا تتفوق عليها الدولة المعادية ، أو - بمباراة أخرى - بحيث لا تحتل كفتها في ميزان القوة العسكرية . وقياس كل دولة بالنسبة للأخرى يخضع للعوامل المادية والمعنوية وهي تتكون

مختلفة الحروب ، فالحطة التي تصلح في هذه
ربما تحقق في تلك ، والقائد المهلك الخبير
هو الذي يضع الأمر في ميزانه الصحيح ،
ومن أم الخطط الحربية معالجة العدو قبل
تمام استعداداته ، متى دلت الشواهد والقرائن
على أنه يضر الشر ، وهذا ما يطلق عليه
الحرب الوقائية ، لأن احتمالات الفوز هنا
ترجع لاحتالات الحربية .

ولاشك أن مباداة العدو الذي أجمع
أسره على العدوان بهجمة عاطفة مباغنة يحقق
للقائد أفضل الظروف الموانية للنصر ، من
اختيار المرقع الملائم والفرصة المناسبة
والزمن الأمثل ، وبذلك يمكن القضاء على
إرادة العدو بالقضاء على قوته العسكرية وعدم
إضاعة الوقت سدى في انتظار ما يختاره
هذا العدو وتترك زمام الحركة بين يديه ، ومن
الواضح أن القائد لا يلجأ إلى الحرب الوقائية
إلا بعد أن يحسب حساباً ويطبق من نجاح
خطته ويرى أن الإقدام على الهجوم لن
تقرب عليه خسائر حربية جسيمة .

وكانت الحروب الوقائية التي قام بها الرسول
تتخذ صوراً مختلفة ، أهمها مداومة العدو
في معقله أو مكان تجمعهم أو محاصرته حيث
يقيم باعتبار أن هذا الهجوم أو الحصار هو
الوسيلة التي لا مفر منها لمجابهة العدو ومفاجأته
قبل تأهبه لشن الحرب أو لإلحاق الأذى

المتعدية بالباطل أنها تقوم بحرب وقائية
وهذا ما تردده إسرائيل في تبرير هجماتها الغادرة
التي تقوم بها حيناً بعد آخر على القرى العربية
الآمنة الواقعة على خط الهدنة ، كذلك فإن
إسرائيل تتذرع بنظرية التوازن الدولي لتخفي
خلف ستارها نواياها التوسعية ورغبتها في
السيطرة على الدول العربية تحقيقاً لشعارها
المدون على جدران السكيبست (البرلمان
الإسرائيلي) من القرات شرقاً إلى النيل غرباً
وتحصل بذلك على مزيد من العناد الحربي
والاستراتيجي من الدول الغربية .

خطة الحرب الوقائية وصورها في الفزوات :
طبق المسلمون نظرية الحرب الوقائية
بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا رغبة
في الحرب وإنما دفاعاً عن العقيدة والوطن
فالإسلام دين سلام يشجب الظلم ويدين
العدوان ، وقد شرعت الفزوات لدفع الفتنة
والدود من العقيدة لا للإكراه على اعتناقها
وجميع هذه الفزوات حروب دفاعية سواء
أمكن المسلمون في موقف المهاجمين أم كانوا
مهاجمين ، إذ كانت تفرض عليهم الحرب
الوقائية أحياناً بوصفها خطة عسكرية لا مناص
من انتهائها لإحباط نية العدوان التي يتها
الخصوم ودل عليها انتهاكهم للمهود
وتقضيهم للوائيق .

ومن المعروف لدى القادة العسكريين أن
الحرب فتون كثيرة يعني أن ثمة أساليب

للإسلام وأمله ولحصاره في حقر المدينة لا يبعدوها حتى لا يخرج نوره فينتشر في الآفاق وينصف معتقداتهم ويهدد نفوذهم الروحي والمادى ؟ إذن فلا مناصر من استمرار الثورة على الشرك والمشركن والتصدي لهم ومبادئهم بالمحوم بعد أن أعلنوا هدامه وأصرروا عليه حتى أجبروا عمداً وأصحابه على الخروج من موطنهم .

العقيدة وسلامة الوطن :

انتهجت سياسة الرسول في رأى كثير من المؤرخين إلى البدء بالقتال وهو ما يطلق عليه الحرب الوقائية طالما أن قريباً تركب رأسها وتضمر الشر للإسلام ، وأن جميع الدوافع إلى الجهاد متوافرة في نفوس المسلمين تحركهم ، وشهرهم . وبدأت الحرب الوقائية بعد ثمانية أشهر من مقام الرسول والمهاجرين بالمدينة ، إذ بعث محمد عمه حمزة بن عبدالمطلب في ثلاثين راجلاً من المهاجرين دون الأنصار إلى شاطئ البحر حيث لقي أباجهل بن هشام في ثلاثمائة راجل من أهل مكة ، وكان حمزة على أهبه مقاتلة قريش لولا أن حجز بينهم عيسى بن عمر والجهمي ، وكان مرادفاً الفريقين جميعاً ، فاصرف بعض القوم عن بعض دون قتال . كما بعث الرسول سرية أخرى لمناوشة قوافل المشركين وتخويفهم حتى تنقطع قريش عن التفكير في مهاجمة المسلمين ، وتبأس من قدرتها على الصد لهم عن دينهم وتألفت هذه السرية

بالمسلمين من طريق التمسك باليهود وتدمير الفتن والمؤامرات والفتنة أشد من القتل . هل كانت مقدمات غزوة بدر حروباً وقائية ؟ يذهب إلى ذلك أكثر المؤرخين .

ويصدق وصف الحرب الوقائية على غزوة بدر في مقدماتها كما يصدق على بعض الغزوات الأخرى ، فلقد كانت هذه الحرب هي الخطأ السليمة التي لا بد من إلحاحها في الخطط الحربية ، ولم يكن من ثم مفر من انتاجها بوصفها ضرورة حتمية الدافع عن العقيدة الإسلامية وكيان الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة بقيادة محمد عليه الصلاة والسلام ، وبقبح ذلك جلياً من استعراض الظروف والملايسات التي أحاطت بالمسلمين ومهجرتهم من مكة إلى المدينة ، واتخاذهم لدار الأنصار مقاماً لهم يتأخرون فيه ، وحرصهم على صيانة دينهم ، ونشره في الجزيرة العربية والفضاء على الحوائل الناشئة التي تعد عن سبيل الله متمثلة في العصبة الباغية من قريش ، ومن تبعها من الموالى والقبائل الأخرى المتعاضدة لها .

لقد أجلى المسلمون قسماً من موطنهم مكة حيث ديارهم وأبنائهم وأموالهم بغير جريرة التفرغوا إلا أن يقولوا ربنا الله ونحن قبلوا السكوت على ما أصابهم في دينهم وأموالهم ، فكيف يجرؤ لم أن يسكتوا على وثوق قريش موقف الصد عن دينهم وتأليب القبائل عليهم ، وهي لا شك قاعلة كيداً

أولها : الوقوع على قوافل قريش في ذهابها إلى الشام أو هودنها منها حين رحلة الصيف واحتمال ما يمكن احتماله من الأموال التي تذهب هذه القوافل وتعود بالتجارة فيها . والمقصد الثاني : أخذ الطرق على قريش في رحلتها إلى الشام بعدد المواد حاد والأحلاف مع القبائل المتصلة ما بين المدينة وشاطئ البحر الأحمر بما يسهل على المهاجرين مهاجمة هذه القوافل دون أن تلقى في جوار هذه القبائل ما يحميها من عمد وأصحابه ، حماية تمنع أخذ المسلمين رجالها ومالها أخذ هزير مقتدر .

سرية عبد الله بن جحش :

وفي رأينا أن هذه السرايا حواء أطقنا عليها غزوات أو مناورات هي إجراء عسكري يدخل في باب التدابير الحربية الوقائية ، طالما أن هذه الوحدات الحربية كانت صالحة وكانت تمثل المبادأة والمبادأة في صراع العدو . والإسلام يفرض القتال دفاعاً عن النفس ودفاعاً عن العقيدة ، دفاعاً لمن يريد قننة صاحبها هنا . وهذه السرايا هي حرب مادية ، وأقوى سند على ذلك هو حكم الله في سرية هبة بن جحش الأسدي .

في قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسيح الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من

من ستين راجعاً من المهاجرين بقيادة هبدة ابن الحارث ، فساروا إلى ماء بالحجاز ، فلقبهم به جمع من قريش يزيد على مائتين على رأسهم أبو سفيان ، فانسحبوا من غير قتال إلا ما روى من أن سعد بن أبي وقاص روى يومئذ بهم ، فكان أول سهم رمى به في الإسلام . بل إن النبي خرج بنفسه بسد اثني عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة ، واستعمل عليها سعد بن هبادة وسار إلى غزوة (الأبواء) حتى بلغ (ودان) يريد قريشا وبنى خنبرة فلم يلق قريشاً وحالفته بنو خنبرة . وخرج بعد شهر من ذلك على رأس مائتين من المهاجرين والأنصار إلى (بواط) ، يريد قافلة يقودها أمية بن خلف عدتها ألعان وخمسانة يدير جميعها مائة عراب فلم يدركها ، فقد اتخذت طريقاً خفي طريق القوافل المعبد . ثم خرج في أكثر من مائتين من المسلمين بعد شهرين أو ثلاثة من هودته من بواط ، حتى نزل (الخشيرة) من بطن (بنيع) فأقام بها شهراً وبعض شهر من السنة الثانية للهجرة ينتظر مرور قافلة من قريش على رأسها أبو سفيان فقاتلته ، وكسب من رحلته هذه أن وادع بني مدلج وحللاءم من بني خنبرة

مقاصد التصدي لقوافل قريش :

وفي رأى المؤرخين أن المسلمين قد بادوا قريشا بالحرب في صورة تلك الغزوات المبدئية المسماة سرايا وغزوات تحقيقاً لمقصدين ،

الحرب الوقائية في بدر :

من استعراض وقائع غزوة بدر يتبين أنها كانت حرباً وقائية هدف النبي وأصحابه من خوضها إلى الدفاع عن العقيدة وما تمثله من القيم والمثل الخالدة ، ولم تكن غلة عديم وعدتهم عن هزمهم ، إذ لم يكن مفر من مجاعة المشركين الذين سدوا عن المسجد الحرام وعن سبيل الله ، ولئن سكنت المسلون على تهديد قريش لهم ، تمادت العصبية الباغية وفي عدوانها ، واستمر في حصارها المسلين ومنعهم عن نشر دين الله . ولم يكن ثمة سبيل لانتقاء المخاطر غير الحرب التي تقضي على حدة المشركين الحربية ، ومن ثم كان النبي يحرص أصحابه ويدفعهم لمقاتلة العدو والصيغة بهم أن الجنة لمن أحسن البلاء منهم ومن غرس يده في العدو حاسراً ، وكان يرجو استئصال عدو الله وعدوه ، حتى تملوكة الحق ويسقط البغي والمدوان .

وقد ورد على الحاطر هذا السؤال : أكانت غزوة بدر حرباً وقائية ولم يتجاوز فيها حدود المحاربين المسلمين ثلاثمائة ، والرد على ذلك بالإيجاب ، فقد كانت تلك الواقعة حرباً وقائية شاملة يفهمها للتعارف عليه ، إذ لم يكن في طوق المسلمين أن يحشدوا لها أكثر من هذا العدد ، يتبين ذلك إذا لاحظنا أنه لم يتخلف بغير هذا مسلم قادر على القتال من المهاجرين والأنصار على السواء ، وكان من

القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا .

مشروعية الحرب الوقائية في الإسلام :

فإنه تعالى يشرح القتال دفاعاً للظالم من صدق عن سبيل الله ، وكفر به ، وصد عن المسجد الحرام ، وإخراج أهله منه ، وقتل الرجل عن دينه بالوعد والوعيد والإغراء والتخريب ، فهذه جميعاً أكبر من القتل في الشهر الحرام وفي غير الشهر الحرام وقريش والمشركون الذين ينهون على المسلمين ما قتلوا في الشهر الحرام لن يزالوا يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا . فلا جناح على من تقع عليه أوزار المشركين وكبائرهم هذه إن هو قاتلهم في الشهر الحرام . وإنما الكيفية أن يقاتل في الشهر الحرام من لا يهتج من هذه الأوزار وزراً .

ومن يتأمل في هذا المبدأ الإلهي ، يتبين له أن مثل هذا القتال الذي يشنه المؤمنون في هذه الظروف يسمى في المصطلح الحديث حرباً وقائية لأنها الحرب التي لا مفر منها لوقاية العقيدة والدفاع عن النفس بالمبادرة إلى الهجوم ، ومداومة قبائل قريش نوع من الحرب الوقائية إذ يقصد بها القضاء على مصادر قوة العدو منعا من استخدامها في العدوان ، وكان المصدر الأساسي لأداة الحرب عند قريش هي تجارتهم إلى الشام ، وكانت تجارة واسعة النطاق .

وبدا الرسول يمكن الدولة الإسلامية وينصرف لتنظيم شئون الرعية ولكن عينه كانت على بلاد العرب جميعاً من أقصاها إلى أقصاها حتى لا يؤخذ على غرة عن قدس رسول لهم أنفسهم الانتقاض على الإسلام . وصدق حدس الرسول عليه السلام إذ نبي إليه أن الروم يمهرون جيوشاً لغزو حدود العرب الشمالية المتاخمة للدولة الرومانية . فعقد النبي الحزم على الحرب الوقائية صيانة لمقيدة التوحيد وذوداً عن دولة الإسلام . ولم يتردد في التصدي لهذه القرى الناشئة ومدافعها قبل أن تدامه .

ولم تكن مثل هذه الحرب يسيرة على المسلمين إذ كان الوقت صيفاً والقيظ شديداً ، والمسافة بين مكة وبين الشام حيث سلطان الروم طويلة شاقة تحتاج إلى الصبر وقوة التحمل وإلى حفظ خطوط التموين والإمداد بالماء والزاد والعدة الحربية ، وفصلاً عن ذلك كله فإن الروم معروفون بكثرة العدد ووفرة العدة . بيد أنه لا مفر من الحرب الوقائية ، ولا بد من إعداد المسلمين لها نفسياً ومادياً حتى يأخذوا أحبهم لحرض القتال ... ومن ثم حرص الرسول المؤمنين على التهيؤ لغزو بلاد الروم ، فتدافعوا يلبن النداء مقدمين بين يدي الرسول أموالهم بل أرواحهم وخيصة في سبيل الله . ولكن المناقذين الذين دخلوا في الإسلام رغباً وروحاً

الطبيعى أن يقيم في مكة بعض الرجال لا تخلفاً عن الحرب وإنما للاضطلاع بشئون المدينة ، فالجرب كانت تشمل السكريين والمحدثين جميعاً ، فشكل دور الذي نهض به . وآية ذلك أن عمداً عليه السلام جعل قسمة الفيء - غنائم الغزو - بين المسلمين على السواء ، فكان لمن تخلف بالمدينة فلم يشهد بدرأ حصة يستوى في ذلك من كان قائماً في يرب بعمل للمسلمين ، ومن تخلف عن الخروج إلى بدر لعذر قبله الرسول . وهكذا قسم الرسول الغنائم بالقسط ، فليس المقاتل وحده هو الذي اشترك في الحرب والنصر ، بل اشترك في الحرب والنصر كل من كان لعمله في الفوز أياً كان هذا العمل ، وفي ميدان القتال كان أو بعيداً عنه .

غزوة تبوك حرب وقائية :

ويصدق وصف الحرب الوقائية على بعض الغزوات الأخرى التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسوف نختم هذه الدراسة بغزوة تبوك باعتبارها نموذجاً لمثل هذه الغزوات . فلقد تم فتح مكة ونصر الله المسلمين نصراً هزيباً ، واستقر لهم المقام في أم القرى بعد أن كانوا قد أخرجوا منها ونزحوا عن مواطنهم بها ، وطهر النبي مكة من آثار الوثنية ، ورفع فيها منار التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجا واستتب الأمن في وجع مكة .

وأموالهم ولوقت انتصار دهرتهم ، فبدأ الجيش الإسلامي العظيم مسيرته الكبرى باسم الله ، متغظلاً في أعماق الصحراء ، مستهيناً بالحر والظلم ومشقة الطريق مستجيباً لدعوة القائد الأعظم ، رائع المهابة ، بادي القوة مرتفع الروح المعنوية كأنما يحمل بين جفينة قلب رجل واحد .

ولقد تقدم كل قادر على نفقة نفسه بعده ونفقته وأقبل كثيرون من الفقراء — وبالأروعة البذل والفداء — يريدون أن يحملهم النبي معه ، فحمل منهم من استطاع ، واحتشد إلى الباقين وقال : لا أجد ما أحملك عليه فقولوا وأصيبنهم قبيض من الدمع حرناً ألا يجدوا ما ينفقون ، ولبكتهم هذا أطلق عليهم اسم (البكتين) .

ويحق القول في هذا المقام : إن اشارة لم يسجل في صفحاته التي تروى وقائع التضحيات والبطولات واثمة شرف فيها البكاء وارتفع فيها قدر الباكين مثلاً يحمل في جيش العسرة ، ولقد أطلق هذا الاسم على جيش رسول الله في غزوة تبوك لشدة ماله في منذ بدء تجهيزه ، تلك القصة التي لم تن من هزم القائد الأعظم وجنوده على مقاتلة الروم في عقر دارهم ، ذلك أن الحرب الوقائية تفرض على المحاربين قرصاً مهما جحمتهم من هناء وكبتهم من نفقة ، لأنه لا سبيل غيرها لكشف أذى العدو ولتأمين العقيدة والوطن .

يتخلف بفهم هندو مسلم قادر على القتال من المهاجرين والأنصار على السواء ، وكان قد قال قوم منهم بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، فزل قوله ته لي :

« وقالوا لا تنفروا في الحر كل نار جهنم أشد حرّاً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً ولا يبكوا كثيراً جزم بها كانوا يكسبون » وعبد بعض أولئك المنافقين إلى تضليل الناس وتحريضهم على التخلف عن الحرب فأخذهم الرسول بالشدّة وأمر بتأديبهم جزاء عصيانهم وتمردهم وتثبيطهم هم الناس عن الجهاد ، فامتشوا وأذعنوا وكفوا مقهورين عن غيهم وتسايق المسلون القادرون في الإنفاق على تجهيز الجيش وفي ذلك فالتنافس المتنافسون وقد بلغت عدته ثلاثين ألفاً من المسلمين منهم عشرة آلاف فارس ، وثقبين من كثرة هذا العدد إحدى خصائص الحسب الوقائية بمعناها الحديث ، فهي حرب لتقرير المصير أو هي بمباراة أخرى حرب بقاء أو فناء ، فلا مفر من أن يحدد القائد فيها كل ما يستطيع من قوة كي يتمكن من القضاء على جيوش العدو وصدق الله العظيم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ومصدر أمر الرسول القائد بالتحرك إلى الشام لمباغثة الرومان قبل أن يجهزوا أنفسهم ويعدوا قوام للاعتداء على ديار المسلمين

يشرب . وانتفض حاكم على رأس خمسمائة فارس
فما وجد مقاومة تذكر وأسر أكيدر وعدده
بالقتل إن لم تفتح المدينة أبوابها . ففتحت
الأبواب فدخله لأميرها وعاد حاكم إلى المدينة
ومعه كثير من الغنائم . وأسلم أكيدر
وأصبح حليفا للرسول .

وكذلك أقام الرسول - بهذه الغزوة - بلاد
الشام الواقعة على الحدود بين الروم والمسلمين
معاقلة بينه وبين الروم .

ومثلا كانت غزوة بدر التي نصر الله فيها
رسوله وكانت أول الغزوات حربا وقائية
كانت عامية الغزوات وهي غزوة الجندل
حربا وقائية ، ولسكتنا الغزوتين أهمية كبيرة
في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد استغرقت
بغزوة بدر الأمر للمسلمين في بلاد العرب
جميعا ، وكانت مقدمة وحيدة شبه الجزيرة
في ظلال الإسلام ، ومقدمة الأمبراطورية
الإسلامية المترامية الأطراف والتي أغرت
حضارة غمرت بحرى التاريخ في العالم ووجهته
في طريق الخير والرحمة والحرية والفضيلة ،
كذلك ، فقد تمت كلمة الحق في شبه الجزيرة
الحرية كلها بغزوة تبوك ، وحقت الأمن
للإسلام والمسلمين ، فماتت الدعوة في سبيلها
وأقبل حائر العرب على المدينة يقدمون الطاعة
بين يدي الرسول ويعلمون الله الإسلام .

حسن فتح باب

ماجستير في العلوم السياسية

وسار جيش وصول الله في زحفه العظيم
حتى بلغ تبوك ، وكان الرومان قد نعى إليهم
أمر الجيش الإسلامي وقوته ، فأتوا
الانسحاب من الحدود والاحتياط داخل بلاد
الشام في حصونها أثناء لباس المسلمين ، ولم
ير للرسول أن يقتبهم ، فأقام عند الجندل
بكتفها حتى لا يتدخل إليها أحد ، ووجه إلى
يوحنا بن ربيعة صاحب (أيلة) - وكان أحد
الأمراء المقيمين على الحدود - رسالة أن
يذعن أو بغزوة ، وفي هذا أبلغ الدليل على
أن غزوة تبوك كانت حربا وقائية ، بمعنى
أنها مبادرة بالهجوم على العدو في بلاده
وليس انتظارا داخل حدود الوطن للدفاع
عنه ورضخ الأمير وصالح النبي وأعطاه
الجزية وحظنا بعض جيرانه على الحدود
حذوه ، فكشبت لهم رسول الله كتب أمن
تضمنت شروط المعاهدة وأمرها دفع الجزية
والكف عن متاونة المسلمين وذلك في نظير
تأمين هذه البلاد .

وبأنسحاب البيزنطيين ، ومعاهدة أهل
الحدود ، حققت غزوة مؤتة أهدافها ، لولا
خفية انتفاض (أكيدر بن عبد الملك الكندي)
النصراني أمير (دومة) وتقديمه العون لجيوش
الروم إذا زحفت من ناحيته ، ومن ثم
أصعد النبي أمره إلى خالد بن الوليد أن
يهاجم دومة الجندل ثم عاد النبي بجيشه إلى

شخصية العقوبة في القانون المقارن

للأستاذ الدكتور مختار القاضي

ولكن هناك أمراً أكثر مما ذكرت دقة في الفهم والتأصيل ، وهو الأمر الذي اختلفت فيه الشرائع المتحضرة اختلافاً ينفياً . ويمكن أن نوضحه بمثال : شاب اقترف جريمة سرقة فهو مسئول عنها . ولكن هل يكون من العدل أن تعاقب هذا الشاب إذا كان قد نشأ منذ طفولته في بيئة يعمل أهلها قطاعاً للطرق ومتلصعين يستحلون أموال الناس بالباطل . ما ذنب هذا الشاب الذي تلقى من قومه هذه التقيصة ، ولماذا تعاقب هذا المجرم هل فعله المباشر بينما يشترك معه آخرون في ارتكاب هذا الفعل وخلق أسبابه ؟ ألا يحل هذا بمبدأ شخصية العقوبة إذا نظرنا إلى هذا المبدأ نظرة واسعة ؟

لقد قامت في العصر الحديث في إيطاليا مدرسة ، سميت نفسها : المدرسة الإيطالية الوضعية ، قامت بوضع هذه المشكلة أمام العلماء المتخصصين في علم الاجتماع القانوني ، وزعم الدفاع عن هذا الوضع المقعد أساتذة أعلام أمثال لومبروزو ، وفسييري ، وجاروفالو ، وجراماتيكا . وانتهوا إلى تقسيم المجرمين أنواعاً ثلاثة : مجرم بالصدقة ، وهو الرجل الذي ليست لديه صفات الإجرام ، ولكن شيئاً آخره فلم يستطع أن يحسك أهوايه أو يسيطر على عواطفه وارتكب

شخصية العقوبة ، أي هدم تعديتها إلى غير المجرم ، مبدأ من المبادئ المتقدمة في التشريعات المتحضرة . وهو مبدأ عرقته الشريعة الإسلامية في قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، ولكن هذا المبدأ لم يعاين في المجتمعات البدائية . حيث كان الأبناء يؤخذون بذنب آبائهم والزوجات بذنب أزواجهن ، وحيث كانت القبيلة كلها تعاقب إذا اقترف أحد أفرادها ذنباً في حق قبيلة أخرى ، حتى ولو كانت قبيلة الجاني غير راضية من فعله : بيد أن القوانين المتحضرة عندما أخذت بمبدأ شخصية العقوبة ، اختلفت في تطبيق هذا المبدأ . فصاق نظامه أو اتسع وفقاً لدقة هذه الشرائع ولحدة نظرتها الاجتماعية لأسباب الجريمة .

والأمر الذي لا شك فيه أن الشرائع المتحضرة جميعها مجمعة على أن فعل الجاني لا يسأل عنه غيره ، إلا إذا كان هذا الغير مسئولاً شخصياً عن حركات المجرم أو أفعاله ، كسؤولية الأب عن أفعال ابنه ، فإن الأب يسأل عن هذه الأفعال بسبب إهمال وقاية الابن ، ومادام الإهمال منسوباً إلى الأب ، فعقاب الأب لا يكون بسبب فعل منسوب إلى الابن ، بل بسبب فعل منسوب إلى الأب نفسه وهو الإهمال . أما فعل الابن ذاته فقد يعاقب عليه الابن نفسه .

يرتكبه المجرم ، فإن كان من قبله هوقب عليه
فهى إذنت مدرسة شكلية تأخذ بالظاهر
ولا تتعمق الأسباب الحقيقية ولا تحلل الفعل
تحليلاً نفسياً دقيقاً . ومع ذلك فقد تأثر
القانون الفرنسى تأثراً ملحوظاً بالمدرسة
الإيطالية حيث بدأ الاتجاه فى التشريعات
الجنايئة الفرنسية يقبلون حول إعطاء القاضي
سلطة أوسع فى تقدير العقوبة والتوسع
فى حالات رد الاعتبار وتخفيف القاضي بين
أكثر من نوع من العقوبة .

والمتمم فى مبادئ الشريعة الإسلامية
يستطيع أن يؤكد أن هذه الشريعة وقفت
من جانب المدرستين (قبل أن تنفأ) موقفاً
وسطاً : فبالاشك فيه أن الإنسان الحر العاقل
الرشد لا بد أن يسأل عن فعله وهذا أمر
تقتضيه ضرورة اجتماعية ملحة . ونحن إن لم
نفعل ذلك اختل النظام العام وأصبح الناس
عرضة للثب والسلب والقتل . ومع
ذلك فقد رأت هذه الشريعة أن ينال المجرم
نوعاً من العدالة حكيراً وجديراً بأن يحور
زلاته الناشئة عن طبيعة موروثة أو بيئة
عيطة أو ظرف طارىء .

والشريعة الإسلامية لا تنهج منهاجاً فلسفياً
كما تنهج الوضعيون الإيطاليون ولكنها تأتى
بالأحكام وعمل الناس ، إن أرادوا ، أن
يكشفوا عنها وأصحابها .

لقد شرعت هذه الشريعة الوسط نوعاً جديلاً
من العلاج حين أباحت العفو عن المجرم

جريمة وقد أسف وندم بعد ذلك . ويجرم
بطبيعته ، وهو الرجل الذى نشأت فى دمه
الجريمة ، وعادة ما يكون الإجرام موروثة
عنده من أب أو أم أو جد أو جدة . مثل
هذا الشخص يرتكب الجريمة والإيذاء
حياً فى الإيذاء . ورجل ثالث نشأ فى بيئة نفسية
وإن كان أصله طيباً وحنسراً مما لم إلا أن
البيئة لقتته دوساً فى الإجرام ، فهو لا يسأل
عن جرمته وحده بل يفارقه فيها أولئك
الذين حاصروه فى بيئته وعلوه الإجرام .

إن الوضعيين الإيطاليين نظروا إلى المجرم
من هذه الزاوية واعتبروه فى كثير من صور
الإجرام الساذجة ، مجنناً عليه لا جانباً
واقترحوا فى سبيل ذلك أنواعاً من العلاج
مختلفة ، وتصورات أطلقوها على المجرمين
لتخفف من أذاها النفس عليهم فهم يعبرون
عنهم أحياناً باسم المرضى وأحياناً أخرى
باسم المجنى عليهم . وعاملوا هؤلاء الناس
معاملة رحيمة وأعطوا القاضي سلطة واسعة
فى تخفيف العقاب عنهم ، أو الأمر بعلاجهم
علاجاً نفسياً ، ولم يروا أن يعدم إلا أولئك
الذين لا يمكن علاجهم وهم المجرمون بطبيعتهم
الذين تحاد الحقيقة الاجتماعية فى أسرهم ولا تنق
أذاهم إلا بإعدامهم أو إبعادهم عن المجتمع
مدى الحياة .

هذه هى المدرسة الإيطالية ، وهى تخالف
المدرسة الفرنسية التى لا تتعمق أسباب الجريمة
بل تنظر إلى العمل المادى المباشر الذى

الموسوعة العربية الميسرة

بإشراف المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال

للمؤلف محمد السوسنة

١ - الموسوعة العربية الميسرة دائرة معارف عربية عامة ، أخرجتها مؤسسة فرانكلين حديثاً ، وقام بإعداد موادها عدد غير قليل من أساتذة الجامعات والمختصين في الوطن العربي ، وأشرف عليها المؤرخ المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال ، وقد ظهرت في مجلد واحد أربعت صفحاته على الألفين . و قد جاء في مقدمة هذه الموسوعة أنها جهد جماعة من المديرين كل في اختصاصه ، وقد روعي

في كل مادة تخصص اختيار الذي يكتبها وقدرته على جمع المعلومات العديدة ، ثم تمييز الأم فيها عن المهم ، وهي عملية عسيرة ، ثم إخراجها في أوضح أسلوب وأشد اختصاراً ، كما جاء في المقدمة أيضاً أن المادة الواحدة يكتبها عدة مختصين كل في دائرته ، ثم تجمع هذه السكتات لتخرج مادة واحدة متسقة تدل على تعاون العلماء من جهة ، وتدل على احترام التخصص إلى أبعد مدى من جهة أخرى ، هي

(بقية للصفحة السابقة)

عند التوبة مقدرة أن الجرم التائب إنما يندم على فعله إذا كان . قد انساق إليه بمحض المصادفة دون أن يريد حتماً وأنه حين يندم في بعض الأحيان الأخرى إنما يكون الندم لأنه عاش في بيئة هامة فهو يريد أن يتعد عنها . فالتوبة تنفذ بأن الجرم قد فاس جرمه وحرف أسبابه وأخذ يتجنب تكراره في المستقبل . والمشرع يقدر في نفس الوقت أن الجريمة قد تكون أثراً من آثار الظروف المحيطة ، فلا يسأل عنها الجرم وحده ، فلا أقل من أن تعطيه فرصة ليفكر في تجنب الأفعال المماثلة في المستقبل . ولو عاقبناه رغم التوبة

لاحتل أن يكون هذا العقاب من فعله المباشر وفعل غير مباشر لغيره . ومن أجل ذلك أباحت الشريعة الإسلامية التصالح في معظم الجرائم تقريباً ، على خلاف بسيط في المذاهب . ومبدأ التصالح مكل لمبدأ التوبة . ولكن المشرع الفرنسي لم ير الأخذ بالفلسفة الوضعية الإيطالية ، ولا الأخذ بالمبادئ المقررة في الشرائع السلوية ، واختط لنفسه نهجاً رومانياً جافاً وهذا ما قام به اللجنة الفرنسية والبيئات التي أخذت من التشريعات الفرنسية قوانينها الجنائية ؟

تختار القاضي

والسياسية ، فثلاً إذا تحدثت عن علم من
أعلام العرب ، أو عرضت لأحداث التاريخ
العربي ، فإنها تكتفي بذكر التاريخ الميلادي
فقط ، لو كانت هذه الموسوعة مخاطب أمة
غير عربية ، أو غير إسلامية ، ما كان هناك
اعتراض على ما فعلت ، ولكن الموسوعة
عربية ومخاطب المثقف العربي بما يهجه —
كما ذهب المقدمة — ولذا كان إجمال التاريخ
المعري قطعاً للروابط التي تربط المثقف
العربي بتاريخه وحضارته ، لأن تاريخنا
الفكري والسياسي مرتبط في أذهان المثقفين
العرب وحتى بعض الأجانب من المستعربين
بالتاريخ المعري ، ومن يتصفح كتب
التاريخ والتراجم العربية يجد أنها واكبت
التاريخ المعري وصاحبه حتى الآن ، مثل
تاريخ الطبري وابن كثير ، وطبقات الشافعية
للبيهقي ، والدور الكامنة لابن حجر ، والضوء
اللامع في أعيان القرن التاسع للخواوي ، إلخ
فإذا عرفنا أن المصادر التي رجع إليها
لتحرير المواد العربية في هذه الموسوعة
تقتصر على التاريخ المعري فقط ، أدركنا
مدى الجهد الضخم الذي بذل من أجل إكمال
هذا التاريخ ، وطالعتنا حقيقة خاطرة وهي
أن إكمال التاريخ المعري جاء قصداً ولغاية
خاصة ، ولو أن الموسوعة أملت للتاريخ
الميلادي بحجة أن المصادر العربية القديمة
لا تذكره ، فقد يلتبس لها بعض العثر في

جهود كبيرة متعاقبة ، وقد حملت هذه الجماعة
وفق أحدث الأساليب في عمل الموسوعات .
٢ — وقد تطرقت المقدمة إلى الحديث
عن سبب تسمية الموسوعة فقالت : إنها
موسوعة ، لأنها تهدف إلى جمع المعلومات
الأساسية العلمية والتاريخية حول مسمى
بمينه ، وأما أنها مبصرة ، فلأنها في هلال واحد
مختصرة ، سهلة التناول ، والمعلومات فيها
تخاطب المثقف العربي بما يهجه ، سواء
أكانت عربية ، أم غربية ، ولهذا كانت أول
موسوعة عربية بمعنى الكلمة ، فهل تعد
هذه الموسوعة أول موسوعة عربية بمعنى
الكلمة ؟ وهل المعلومات التي اشتملت عليها
تخاطب المثقف العربي بما يهجه كما ذهب
المقدمة ؟ وهل ألزمت الموسوعة بمنهجها الذي
أشرت إليه آنفاً ؟

لقد قرأت هذه الموسوعة من ألفها إلى
يائها قراءة واحدة متأنية ، فبدت لي بعد هذه
القراءة مأخذ كثيرة ، واستجابة لما جاء في
مقدمة الموسوعة من أنها قطع في أن تتلقى
عشرات بل مئات من الملاحظات في النقد
الأمين المختص ، لتكون طبعها المقبلة أقرب
إلى السكال — فإني أذكر أهم هذه المأخذ .

٣ — أول ما يؤخذ على هذه الموسوعة
أنها أهملت ذكر التاريخ المعري ، وكأنها
بذلك لا تعترف بهذا التاريخ ، ولا تراه
جزءاً لا يتجزأ من حياة العرب الفكرية

فضلا عن أن المعرفة لا وطن لها ، غير أن الذي أود أن أقوله : هو أن الناحية القومية كان يجب أن تكون أبرز ما في هذه الموسوعة إلا أنها جاءت - مع الأسف - ضئيلة ومبتورة ومشوهة .

وإذا أضيف إلى ما سبق أن المواد الأجنبية في معظمها لا تهم المثقف العربي من قريب أو من بعيد ، مثل الحديث عن بعض المدن والأعلام (كرنه لايك) المصمم الفرنسي الزجاج والمجوهرات ، و (سوليفان) الذي كان وزيراً للبحرية الأمريكية في وزارة الدفاع سنة ١٩٤٧ ، تبين لنا أن الذين قاموا بأمر هذه الموسوعة قد لجأوا إلى دوائر المعارف الأجنبية ، وترجموا ما شاء لهم أن يترجموا - دون تحديد دقيق لما يجب أن يترجم - ثم قد أشاروا في مقدمة الموسوعة إلى اعتمادهم على موسوعة (كولومبيا فاينكنغ دسك) الأمريكية هل أن هناك أعلاما ترجمت لهم الموسوعة دون أن تشير إلى دورهم البارز في الإساءة إلى العرب مثل لورنس وتشرشل وغيرهما ، وكان الأخطى بموسوعة هريية تخاطب المثقف العربي بما يجه - كما تذهب المقدمة - أن تكون عوناً له على معرفة من مزقوا وطنه ، ومكنوا اليهود في بلاده ، والغريب أن مقدمة الموسوعة تقول : وهواطفنا العربية ظهرت ولا شك فيما كتبنا ، والواقع أن الواطف الأجنبية - وبخاصة الأمريكية -

هذا ولكن أي هذر في إغفال التاريخ الهجري يمكن أن يدورأ هنا تبعة النقص والقصور ، ويحول دون انتمائها بقطع الأوصاف التي تربط المسلمين بتاريخهم وحضارتهم ١٩ وما الذي كان يصير لو نصت الموسوعة على التاريخين الهجري والميلادي معاً ١٩ ...

٤ - كذلك يؤخذ على هذه الموسوعة أنها لم تكن لديها خطة منهجية في الحديث عن الموضوعات التي يجب أن تشمل عليها ، فهي تنقل القول عن كثير من الأعلام ، أو البلدان العربية ، فلا تتحدث عن محمد توفيق رفعت الذي كان أول رئيس للجمعية القوي ، ولا عن أحمد إبراهيم الفقيه القوي الذي امتاز في أبحاثه بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع الوضعية ، وكذلك الشيخ أحمد السكندري العالم القوي الفاضل إلى غير هؤلاء . مما لا مجال هنا لحصره وذكره وقد لاحظت أن الموسوعة فيما يتعلق بالأعلام أو البلدان الأجنبية ، وبخاصة الأمريكية تحاول الاستقصاء ، ومن يطالع هذه الموسوعة تقابل صفحات تربو على الثلاثين لا ترد فيها كلمة عن موضوع عربي ، وكان من نتيجة هذا طغيان المادة الأجنبية على المادة العربية ، بحيث أصبحت هذه وكأنها هي الأجنبية ، ولست أعني أن الموسوعة كان يجب أن تكون خالصة للموضوعات القومية ، فطبيعة الموسوعات ترفض هذا ،

الاتجاهات الفردية والمذاهب الشخصية هي التي صبغت الموسوعة بهذه الصبغة ، وأن الموسوعة قد افترقت المهندس الذي يشذب ويصيف وينسق ، بحيث تبدو في النهاية نغما واحدا ، وكأنها من عمل فرد واحد .

٦ — وكان من جراء تحكم الاتجاهات والأمزجة الفردية ، ظهور التفاوت العجيب بين مواد الموسوعة من نواح مختلفة ، فمثلا يكتب عن أبي هريرة الصحابي الجليل نحو خمسة أسطر ، على حين يكتب عن أبي الحول أكثر من عشرين سطرا ، ويكتب عن المثني ابن سارية الصحابي البطل ، والقائد المظفر الذي كان له الفضل الأول في فتح العراق ، عبارة مقتضبة نافذة في سطر ونصف كذلك يكتب عن الشيخ السجيني أحد شيوخ الأزهر عبارة مطعنة في نحو ثلاثة أسطر ، ومثل هذا كثير وشائع في الموسوعة ، غير أنني لاحظت أن كل ما يتصل بشيخا يعطى باهتمام وعناية لا يعطى بهما ما يتصل بغيره ، فأطول مادة في الموسوعة كتبت عن الولايات المتحدة الأمريكية جاءت في خمس صفحات أما ما كتب عن الإعلام وتاريخه وعقائده وعدد المسلمين في العالم الآن فقد جاء في نحو ثلاث صفحات .

وإذا كانت المقدمة تقول بأن المادة الواحدة يكتبها عدة متخصصين كل في مجاله ، تفنق

كانت أكثر جلاء ووضوحا وأن المواطنين العربية كانت غريبة في هذه الموسوعة .

٥ — والموسوعة قد ترجمت لبعض الأعلام الأحياء ، غير أنها لم تنبج خطة منهجية في هذا أيضا ، فهي قد تحدثت عن محمد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، والأستاذ محمود تيمور ، والأستاذ توفيق الحكيم . الخ ، غير أنها لم تتحدث عن الأستاذ أحمد حسن الزيات الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء مجلة الرسالة التي ظلت أكثر من عشرين عاما تحمل راية الأدب الرفيع وتجمع بين الماضي والحاضر على هدى وبصيرة ، وكان لها دورها الكبير في إحياء النهضة الأدبية الحديثة لا في مصر وحدها بل في العالم العربي كله ، ومثل هذا كثير والتفتيح والإحياء له مجال آخر .

ومما يتصل بالناحية المنهجية أن ترتيب المواد لم يخضع لخطة سليمة تملأ هذه الرجوع إلى الموسوعة فمثلا بالذبة للأعلام . وبخاصة العربية . ترتب أحيانا تبعا لألفب ، وأحيانا تبعا للكنية ، أو الاسم دون التزام منهج واضح في كل ذلك ، وهذا يوقع القارئ في حيرة حين يود معرفة شيء عن علم ما فإنه مضطر إلى البحث في كل المكان التي يمكن أن يرد فيها هذا العلم ، وهذا عيب كان يجب أن نعلم منه الموسوعة ، ولكن يبدو أن

الشاطبي قدس هذه الناحية مساهماتاً في مقدمات الكتاب إلا أنه أساساً في أصول الفقه ، والاقتصار في التعريف بالكتاب على ما ذكر نقص قد يوم القارئ غشه المتخصص أن الكتاب في أصول الأحكام التعليمية يفهمها الحديث ، وهذا غير صحيح فكتاب الموافقات من أمهات الكتب في أصول الفقه ، فتميز قيمته في حلقته على التقليد والتعصب المذهبي ، ودعوه إلى الاجتهاد والنظر العقلي . ولست أدري لماذا لم يتحدث الموسوعة عند ترجمتها للإمام ابن حزم عن كتابه (المحلى) مع أنه أم كتب ، ويمثل الفقه الظاهري أصدق تمثيل ، وهو أولى في الذكر من كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) وكما سبق أن ذكرت لسبب في مجال الإحصاء بل ضرب الأمثلة لحسب .

٧ - أما الأخطاء المليئة في هذه الموسوعة فهي كثيرة ومبثوثة في تضاعيف موادها ولا مجال هنا لحصرها وتصفيفها . على أن الدكتور عبد العزيز مطر قد ذكر بعضها في صحيفة الأهرام - غير أنني أود أن أشير هنا إلى بعض الأخطاء التي جاءت - فيما أظن - نتيجة للتأثر بالآفكار الاشتراكية ؛ نظراً لحطورتها ، فثلاً ترجمت الموسوعة لجولدسمير المستشرق المجري المعروف فقالت عنه : لأنه يعد من أوسع المستشرقين علماً وأهراًهم بالإسلام ، وأفهمهم لعقائده الدينية واتجاهاته

وتحرروا أخيراً في صورة مشكلة دقيقة ، فإن هذا لم يتحقق في كثير من المواد مما يؤكد سيطرة الاتجاهات الفردية والخاصة ، فثلاً عند الكلام على تحريم الخمر ، أو التوحيد العنصري انصب القسور كله على ما فعلته الولايات المتحدة لتحريم الخمر والفضاء على التمييز العنصري دون أن يشاو إلى الإسلام وموقفه بكلمة واحدة ... ومثل هذا كثير ٧ - وقد تعرضت الموسوعة للحديث

عن بعض المسائل الفقهية في الشريعة الإسلامية وعن بعض أعلام الفقهاء ، وأشهر مؤلفاتهم ولكن هذا الجانب الجليل من تراثنا وثقافتنا جاء الحديث عنه مضطرباً وقاصراً في كثير من المواضع ، فالكلمة التي كتبت عن مادة « فقه » غير دقيقة كما أنها غير وافية والنص فيها على أن معرفة وجوب الصلاة من الفقه لا معنى له . لأن معرفة وجوب الصلاة مثل معرفة وجوب الحج والزكاة والصيام من الأمور التي يجب أن يعرفها كل مسلم فقيهاً كان أو غير فقيه ، وعند الحديث عن أنواع الصلاة أحملت صلاة الاستسقاء ، وجاءت ترجمة الإمام العافى غالية من الإشارة إلى مذهبيه القديم والجديد ، وجاء الكلام عن كتاب « الموافقات في أصول الأحكام » للإمام الشاطبي بأن المؤلف قد تعرض في هذا الكتاب إلى التربية والتعليم لئلا يبحث طريف في التوجيه المهني ... الخ ومع أن الإمام

٨ - وبعد فقد كتبه أطمح حين تناولته هذه الموسوعة لأقرأها أن أجد عملاً تفنن به المكتبة العربية في العصر الحديث، وأن تكون بداية طيبة لاسطلاق جبارة نحو عمل الموسوعة التي نخدم ثقافتنا القومية ، وتربطنا في الوقت نفسه بجمهور الثقافات العالمية ، غير أنني لم أجد في هذه الموسوعة ما تحبب ، وتأمل ؛ لأننا نخدم ثقافة غيرنا وتدهور إليها أكثر مما نخدم ثقافتنا ، ومن ثم فليست أول موسوعة عربية بمعنى الكلمة ولا تخاطب المثقف العربي بالمعلومات التي تهمة - على خلاف ما ذهب المقدمة - وإذا كان القارئون على أمر هذه الموسوعة يمدونها مجرد البداية المتواضعة في صيل الموسوعة العربية الكبرى وإذا كانوا أيضاً يرغبون في معرفة رأى القراء لتكوين الطلبة المثقبة أقرب إلى السكال ، فإنني أدهو كل مثقف غيور على قرائه أن يدل برأيه ، فقد يبدو لغيري ما لم يدل من مأخذ لتظهر الطلبة الجديدة في صورة غير هذه الصورة ، في صورة عربية أصيلة مادة وروحا ، وإلا فلتعمل الموسوعة في طبعها الثانية عنواناً غير حتراتها ، وليكن (الموسوعة الأمريكية العربية) فهو أدق عنوان - فيما أرى - يمكن أن يصدق عليها في صورتها الراهنة ؟

الموسوقى

المحرر بمجمع اللغة العربية

الذكورية ، هذا المستشرق الذي يقول بأن التوحيد مذهب صير الفهم ، أما التثايت فنصب واضح في فهم الألوهية (١) ، والذي قال بأن الإسلام قد أخذ عن اليهودية كشيء من تعاليمه (٢) والذي طعن في السنة ورجالها وتدوينها ، هذا المستشرق الذي صدوت عنه مثل هذه الآراء أو الأباطيل ، يمد من أحرف المستشرقين وأعلمهم بالإسلام ، وأنهمهم لعقائده ومذاهبه ؟

والحروب الصليبية تقول هنا الموسوعة إنها كانت لاستمادة الأماكن المقدسة بفلسطين من أيدي المسلمين ، فهل كانت هذه الحروب حقيقة طمذا الغرض ؟ إن شواهد التاريخ تؤكد أنها كانت حروباً استعمارية هدفها استغلال الشرق وتقويض حضارته وصرف الانظار عنه ، أما حجة حماية الأماكن المقدسة أو استعادتها من أيدي المسلمين فمستار استفه دعاية هذه الحروب لإخفاء مطامعهم ونيل أغراضهم . لقد كان يجب في موسوعة عربية حديثة أن تكون بمنجاة من هذه الأباطيل التي جند المستشرقون بوجه عام أنفسهم لإذاعتها وترويحها بين العرب - لتؤدى رسالتها العلمية كما يجب أن تكون .

(١) راجع كتاب المدينة والمعربة ، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وآخرين .

(٢) انظر كتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ترجمة الدكتور علي حسن عبد القادر .

من تاريخنا الوطني : حياة شاعر توزق الإنجليزية للمؤستاذ علي الجندى

أتدري ما هي هذه الجريمة ؟ أرجو ألا
تضعك !! وإن كان شر البلية ما يضحك !!
لأن الأمر جدد لا حول !! إن الشاعر :
« أبو الوفاء محمود رمزي فطيم » قد استهان
بالتانون ، وتجرأ على « السلطة » وعالف
من أمر الاحتلال ، فأرسل لحيشه ١١٩
ولكنه تركها كما شئت نفسه الأمانة بالسوء !
حتى صرخت ، وطالت ، وانقشرت ،
وانتفشت ، وتلففت على عارضيه كالنباح
الشرطي !! وأصبحت شيئاً مزججاً للعيش
البريطاني المظفر !!

وكيف لا يزعج الإنجليزي ذوى « المزاج
الرقيق » و « الدم الخفيف » والطبيعة
« الحارة جدا » من هذه الحية التي قال
في أمثالها « العسكرى » :

إن أبا عمرو له حية

بعيدة البعوض من البعوض
مضى إلى السوق ، وعضتونه

أقيم في البيت فلم يعض
يهدسها الناس بأقدامهم

كأنها أرض على الأرض

من مضحكات « السلطة العسكرية
الإنجليزية » أيام الاحتلال الخفيف ، ومن
الحرب المالية الأولى ، أنها سيرت قوة من
الجند بقيادة « المهدي لسل » مفقش
الداخلية ، إلى قرية « ميت خلف » من أعمال
شبين المكرم فهاجمتها تحت جنح الظلام !!
والناس هاجسون في مرأقهم قارون آمنون !
وفي المنتهى حيث يقول :

وإذا ما خلا الجبان بأرض

طلب الطمن وحده والنزلا
أتدري لم سافت السلطة العسكرية إلى هذه
القرية الآمنة المطمنة ، هؤلاء الجنود
الاشاوس ، والابطال المناوير ، بقيادة
هذا الفارس التجيد الصنيد ، على حين غرة
من أهلها ، والليل ضارب برواقه الأسود
على البلاد والعباد ١١٩

لأنه بلغها من الميون التي أذكتها على
الاحرار ، ومن الجواسيس الذين يمحسون
حركاتهم وسكناتهم ويمدون أنفاسهم أن
هناك شاعر من الشراء يسكن هذه القرية ،
قد أتى شيئاً إذا !! قد أتى أمراً نكراً !!
قد اتعرف جريمة شنيعاً !!

في هونه - فأدى له - وإن شئت قتل البيت

المجيلة - التحية العسكرية ١١

ولا ندرى إن كان أبو الوفا حيا بمثلها ،

أو بأحسن منها ، أو أسوأ من ذلك ؟ ١١

ثم أمره - في رفق ولطف ودعة - أن

يجلس على منأ ١١ : جلس بين حلقة مفرقة من

الجنود في شككتهم العسكرية الزاهية ١١

وهيونهم مفتوحة عليه ، ويتادقهم حافة به ،

وحراهم مقهورة إليه ١١ يتوسمهم ، وليس ،

نفسه ؛ تفنينا للأمر ، واحتفاء به ، وتحويلا

على المفاجأة ١١

وضرح الحلاق الحاذق في القيام بهذه

العملية العسكرية الضخمة ١١ أو بهذا الهجوم

المخاطف على هذه الحجة الفائكة ، أو

الغاية السوداء ، حتى فرغ منها ١١ فباد

إلى مكانه ، والزهو يرنح عطفيه ١١

والخيلة تهر وانفتحت ١١ ، لاتصاره في هذه

المعركة الطاحنة التي هوضفومه من عزائم

، والردليل ، ١١

وقد كانت قصة هذه الحجة التاريخية ،

حديثه المقيم ، ولحو السارى ، وقاكة الأدباء

والكتاب والسراء ، كما كانت مبعثا للتهزو

والسخر اللاذع ، من الإنجليز الذين ربما كانوا

يظنونها أجرة يحتج بها المصريون ١١ أو

لعلهم غالوا شعراتها سيوفا مشهورة ، أو

(١) المراهقة : أسمل الألية إذا كان الإنسان غافا

وهو إذا ما صر في سكة

يعلموها بالطول والعرض

وكان أن جىء بالفاعر بين كوكبة من

الفرسان ، إلى حيث ينتظره القائد

الجالل ١١

وما أن رأى هذه الحجة السكيفة ،

حتى ورم أنفه ، واقتفخت أوداجه ،

واحر وجهه فوق احمراره ، وجحظت

عيناه الزرقاوان ، أو الخضراوان ، أو

الرماديتان - لا أدري - وصرخ بصوت

صحنه الفيظ والملتحي ، حتى استحال مواء

فشاط أو هرير كلاب ١١ : لماذا أطلقت

لحيثك يا هذا ؟

أبو الوفا : لأن هذا أمر يتطلبه الدين ١١

ولسلى : ولماذا لا تطلقها من قبل ؟

أبو الوفا : لأن الله هداني إلى الصراط

المستقيم ١١

ولسلى : أظن الصراط المستقيم ، يمكن

تأجيله إلى ما بعد الحرب ١١

وما كان أسرع أن نطق بأمر عسكري إلى

حلاق الفرقة بالجيش أن يعلقها ١١

وهنا يجب أن نشكر الجندي الحلاق وقته

وأدبه ، وحرصه على تطبيق القرانين العسكرية

تطبيقا دقيقا ، إنصافا للحق والتاريخ ١١

فقد تقدم بخطوات عسكرية رابطة ، وزينة

متتدة ، نحو الشامر الملتحي - كان الله

وما حاشرة ، أوسها ما مشددة !! وما أصدق
قول المتنبي في تصويره الخوف !!
وضافت الأرض حتى كلن هارجهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا
وأكر الرأي : أنهم كانوا يمتقدون أن
حلق هذا الشعر ، سيقطع من هذا الشاعر
وحى الشعر !! وللاستعلاء - أو على الأصح
الاستخراب - في الجنون فنون !!
وموضع العبارة التي تعيننا من هذه الحية
وما لابسا : أن هذا الشاعر الأعزل إلا من
سلاح الحق وإلا من هذه الحية الممتدة
على صدره ، قد استطاع أن يجهن السلطة
السكرية البريطانية ، وأن يذهب بوقار
الإنجليز المأثور ، وينزع عنهم ، برودهم ،
الموروث ، فيفعلوا ما لا يفعله إلا زلاء
(المارستانت) !!

وقد بحث بعض إخوان الشاعر إليه
بتعزية دقيقة ورائاء شاج لهذه الحية
الباسة !! ورد عليه أبو الوفاء بقصيدة ضافية
ضرائفها ، لحية شاعر تروق الاحتلال ، !!
ولست مبالغاً إذا قلت : إن هذه القصيدة
بفراية موضوعها وإحكام فسخها ، وطرافة
أخيبتها ، وبما حوت من حكم وأمثال ،
ومعان غزيرة ، وبما تضمنته من جد
ومزول ، واستطراد إلى أغراض شائقة
تعد من القلائد والفرائد في الشعر العربي
الفسكاهي !!

ومنها :
مضى القضاء بمن أهوى مودتهم
من الأجنة !! يا ولى من القدر
أبكى على الحيق من بعدما أسفا
كلما من سبى وعن بصرى
وبجتمها بقوله غاطباً صديقه الذى واساه
في حلفها !
وأنت يا شاعر الإلهام لا برحت
تخطى المسامح من معنك بالهدو
يا من تصبته يوما لحيتي فضى
يلقى على طارحها أظفر الإمر
خذها إذا شئت منى مكافاة
واسقرها ما بدا من صفحة للقر

حصار الواغظ سبط بن الجوزي

للدكتور عباس علي اسمايل

فصاحوا علينا من الشيايك والابواب ،
ووقف حماة الكندي ، (١) ، وتلب على
بدي سبط في يوم واحد خمسمائة شاب قطموا
شعورهم إيماناً في النعم على ما ارتكبه من
المعاصي ، وما لبث أن وجع إلى حلب آخر
السنة حيث تقابل مع القناش الشاعر الحلبي .
ثم حج سبط بن الجوزي سنة ٦٠٤ هـ
(١٢٠٧ م) ولما جاد إلى دمشق حازت مواعظه
كل إعجاب ، ولذا تباهى قائلا : « كانت
بجالي قه ، وه الحمد ، واه مثل غدوات
الجنة » . ولم يلبث أن ذهب سنة ٦٠٧ هـ
(١٢١٠ م) إلى نابلس ليرتل بعض آيات
القرآن الكريم بصوته الجليل ، في حضرة
الملك المعظم عيسى بن السلطان العادل الأيوبي
بجامع نابلس ، حيث تجمع لدى سبط شعور
كثيرة من شعور القادمين ، لما وآما المعظم
أخذ يبكي بكاء مرأ ندما على ذنوبه ، حتى أن
يقبل الله توبته ، ويوقفه في مقابلة الصليبيين
الذين من أجلهم خرج من نابلس . وتجمع
لدى سبط شعور كثيرة ، حمل منها شكلا
لخيل المجاهدين ، ثم ذهب مع المعظم صوب
معاقل الصليبيين ، فهدم المسلمون كثيرا منها ،

ولد سبط بن الجوزي في بغداد سنة ٥٨٢ هـ
(١١٨٦ م) وظل مقيا بها حتى بلغ عمره
ثمانى عشرة سنة ، وعندئذ تملكه حب
الترحال ، فغادر بغداد سنة ٥٩٠ هـ (١٢٠٢ م)
إلى بلدة قريبة تسمى دقوقا حيث سمع الحديث
من خطيبها عبد المحسن بن العميد الأبهري
الذي أدهى بالحجة تدليلا على تضلعه في علوم
الحديث . ثم ذهب سبط إلى (إربل) حيث
وخط كثيرا من شباب المسلمين ، ولم يلبث
أن غادروا إلى الموصل ، حيث تراعهم الناس
عليه فقال : « حصل لي القبول التام ، بحيث
إن الناس كانوا ينامون ليلة المجلس في الجامع
من كثرة الزحام » (٢) ، وعبارته هذه تدل
على أنه عرف قدر نفسه ، فعمل على أن
يسمو برعته وإرشاده . ثم استأنف سبط
رحلته إلى حران وحلب ودمشق ، وفي جامع
دمشق تقابل مع أستاذه تاج الدين الكندي
والمؤرخ حماد الدين إبراهيم الحنبلي ، وأقام
في قاسيون إلى سنة ٥٩٠ هـ (١٢٠٦ م) فأنشأ
الدماشقة عليه ، وبلغ من وثوقه بنفسه أن
قال : « ودعت الناس ، فلم يتخلف بدمشق
إلا اليسير ، وامتلأ جامع الجبل بالناس ،

(١) نفس المرجع ص ٢٤٤

(٢) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج ٥ ص ٣٢٦

لأن الملك المعظم حضره كما حضره القضاة والأشراف أو الأعيان والطاء أمثال : جمال الدين الحصري شيخ الحنفية بدمشق ، وتاج الدين الكندي الذي حرص على الحضرة رغم سقوط عمامته في أحد المجالس السابقة . وأسرف سبط في مباحاته ، فقال إن مجلس هذا الذي حضره المعظم : « احتوى على عشرة آلاف وزيادة » (١) . وبلغ من حرصه مع الملك المعظم أن أنكر عليه إلباس القاضي زكي الدين القباء والكلبنة (٢) .

غير أن سبطاً سم الإقامة الطويلة بدمشق ، فارتحل سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) إلى (خلاط) قرية أرمينية الوسطى ، ليحظى بمقابلة صاحبها الملك الأشرف موسى بن العادل ، ويسمعه آيات القرآن الكريم ، ذلك أن سبطاً سم بوجوه مصرية صيت في خلاط اسمه (الضياء بن الزراد) يقرأ القرآن للملك الأشرف بمختلف القراءات ، فأراد سبط أن يظهر تفوقه عليه بصوته الجميل ، لكن الضياء فاز عليه لأنه جمع بين النغمة الرقيقة والقراءة الصحيحة ، فقال الأشرف له : « واقع لو غيرت أن أحفظ القرآن كما تحفظ وأدع ملكي لا خرت حفظ القرآن » (٣) .

وأمرؤا بعض الصليبيين ، فلم يهسر بقيتهم على الخروج من عكا حينما من الوقت ، فذهب المسلمون إلى الناصرة حاملين كثيراً من الفنائم . ولم يكند سبط بأخذ قسطاً من الراحة بعد الجهاد حتى ذهب إلى حلب ليصالح بين السلطان العادل وابن أخيه الظاهر غازي ملك حلب الذي أغضب العادل باتخاذ لقب سلطان ونفقه على منشأته (٤) .

وما لبث أن رجع سبط إلى دمشق سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) ليستأنف وعظه في جامعها نلبية لرغبة الدماشقة رجالاً ونساء ، غير أنه أراد هذه المرة أن يجعل مجالسه أكثر نظاماً ، فاختار السبت من كل أسبوع وقتاً لمجالسه ، وحرص على إقامة حاجز بين النساء والرجال كيلا يحدث اختلاط في أثناء الإحرام . ودأب الدماشقة على الحضور مبكرين من يوم الجمعة والمبيت ليلة كل سبت حلقاً يقرءون القرآن بالصمغ فرحاً بالمجلس ومسابقة إلى الأماكن وأنى كثير منهم ليصموا صوته العذب ، ويتسلوا بحركاته ونأقته وبالأحثة والأجوبة المتبادلة بينه وبينهم ، ويتذاكروا بعد المجلس ما قيل من النوادر وما أنشد من الأشعار ومن أسلم في المجلس أرتاب ، وتبأى سبط بأحد مجالسه في هذه السنة .

(١) أبو شامة : القيل على الزه ستين ص ٤٩ .

(٢) سبط بن الجوزي : سرآن الزمان ج ٨ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) أبو شامة : القيل ص ١٣٥ .

(٤) Wiet : Une inscription de (١) Malik Zahir gazi à Latakiah, B. I. F. A. O. 1931, P. 281.

وفضلاً هذا على مناوشة الصليبيين فطرابلس
بما يضعف جيوشهما ويضيع وقتها .

ولم يفقد سبط مكاته بدمشق لما توفي
المعظم سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) بل زاد حظرة
لهى ابنه الملك الناصر داود ، لاسيما بعد
أن تولى سبط التتبع بالسلطان الكامل
الأيوبي منذ أن سلم بيت المقدس لفرديك
الثاني أمبراطور الألمان والدولة الرومانية
المقدسة (١) . وظل بيت سبط على ثوراء
مفتوحاً للخاصة والعامة سواء ، وواظب على
الفراسة والتأليف بالإضافة إلى التدريس
بالمدرسة القبلية القريبة من منزله ، إذ حرص
شبل الدولة الحسنى أحد عماليك سبط الشام
بنت أيوب على بناء هذه المدرسة للأحناف
ولذا اختار سبطا الواظف الحنفى مدرساً بها (٢) .

ثم دار سبط بن الجوزى القاهرة سنة
٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) وتوجه منها إلى الإسكندرية
حيث قال : « فوجدتها معمورة بالعلماء
معمورة بالأولياء كالشيخ محمد القباوى
والشاذلي . ولم يلبث سبط أن رجع إلى دمشق
وهناك أحس بالشيخوخة وكان عمره وقتئذ
ستين سنة ، فنادى سكنه على ثوراء واتخذ
بيتاً آخر على جبل قاسيون حيث شيد قبراً
قبالة بيته ، وترك المدرسة القبلية وأخذ

ثم حج سبط بن الجوزى حجة أخرى
في نفس السنة ، وفي هذه المرة أعطاه المعظم
نائه ، كما أعطاه الأشرف سبيلاً علمياً
في الثواب . وفي المحرم سنة ٦١٤ هـ / أبريل
(١٢١٧ م) دار سبط قبر الخليل بالقدس ،
ليجمع بين زيارته وزيارة الرسول هاتهما
السلام .

وعرف المعظم أن سبطاً واعظاً محبوباً ،
فاختاره سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) ليحرض
الدمشق على الجهاد ضد الصليبيين في دمياط
مساعدة للصريين . ونجح سبط في إقناعهم
أول الأمر ، ثم تقاعدوا خوفاً أن تضيق
أملأكم إذا تركوها ، رغم تهديد المعظم لهم
بأخذ الثمن والخمس من أموالهم كل حسب
ثروته . ثم أمر المعظم سبطاً بمقابلته وهو
على حصار قيسارية ، فذهب سبط وشهد
استيلاء المعظم عليها عنوة من الصليبيين .

غير أن سبطاً نجح في إقناع الملك الأشرف
بضرورة الذهاب إلى دمياط لمشاركة المعظم
في مقاومة الصليبيين ، عندما وعظه بقوله :
(إن المسكين في ضائقته ، وإذا أخذ الفرج
الذي يار المصرية ملكوا إلى حضرموت وحفوا
أثام مكة والمدينة والشام ، وأنت بلغت ،
قم الساعة واصل) (٣) . فعلاً تقابل ثلاثتهم
في حصن ، وقرروا الأخوان الذهاب إلى دمياط .

(١) سبط بن الجوزى : نفس المرجع ص ٤٠٦
٤٠٦ أبو غامدة : القيل من ١٢٥ - ١٢٩ .

(١) ابن إبراهيم الحنفي : حناء القلوب فمناقب
بني أيوب ص ٨ .
(٢) أبو غامدة : القيل من ١٢٥ و ١٢٩ .

الأمس

للسيدة نعمت عامر

يا نفس لا تبكى على شيء مضى
يا نفس أحرى أن تلوذى بالرضا
وتبصرى . . كي لا تكونى غرة
للعلاجك المملوئى، ومافات انتفى

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| الكون حولك والطبيعة كلها | منقوشة يسدى إله قادر |
| والورد يبسم والجنائلى قد بدت | فواحشة يشذى عبير ساحر |
| والطير يندو بالثناء مصففاً | بجوانح ولهى وحب ساحر |
| والمرج يجرى فى البحار معانقاً | لنسيم مرت مرور العابر |
| والبدو فى حكد السماء ضياؤه | يهدى السبيل صامراً للساهر |
| والشمس من فوق السحاب تمدنا | بخيوط حسجتها ودفع ياهر |
| | نعمت عامر |

(بقية الصفحة السابقة)

يعلم فى مدرسة حنفية أخرى هندس فتح الجبل
واقصد فى هندامه ترهداً واشترى حاراً
دأب على ركوبه طالماً إلى منزله بالجبل
ونازلاً عليه إلى المدرسة (١) ،
وكتاب سبط بن الجوزى : مرآة الزمان
فى تاريخ الأعيان هو تاريخ الدول الإسلامية
حتى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٧ م) التى توفى فيها
والجزء الثامن من هذا الكتاب يشتمل على

أخبار السنوات الواقعة بين ٤٩٥ - ٦٥٤ هـ
(١١٠١ - ١٢٥٧ م) وهى السنوات التى
شاهد سبط كثرها من حوادثها بقية ، واهتم
فى كتابه هذا بتراجم أئمة الدين والمدرسين
والوفاظ أكثر من اهتمامه بتاريخ الملوك
والحكام لجاء كتابه عالياً من العمل
ومصانعة المعاصرين (٢)

عباسى ملهى

(٢) سبط بن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ مقدمة
Jewett, P.VIII

(١) أبو الحسن : الفجر الزاهرة فى ملوك مصر
والقاهرة ج ٦ ص ٣٤٧ .

عقريات العقاد الإسلامية للكسوة نعمات أحمد فؤاد

إلى أغوارها بدت خلفاً جديداً بالمعنى المستطعن
والعبارة المستفاد والذلة السكامة . وبمثل
هذه الإضافات تزدو التاريخ قيمة حضارية
لأنها قيمة إنسانية .

والعقاد في كتابه العقريات يجمع بين
فلسفتين يتنازعان في تدوين التاريخ :

هل البطل يصنع التاريخ أم التاريخ هو
الذي يصنع البطل ؟

ومنهج البحث عن الفتاة الإنسانية اتجه
(أندويه مودوا) و (ستيفانز فايج)
(لودنيج) . كما أن منهج تفسير الأحداث
التاريخية تفسيراً عقلياً وكشف القوانين
المتحركة في سيرالحوادث ومحاولة إيجاد ترابط
بينها أخذ به المفكر الألماني (اشبلنجر) ،
ومن المعاصرين الأستاذان (أرنولد توينبي)
و (بيترين سوركن)^(١) . غير أن العقاد
اختلف عنهم في عدم التزام الخط التاريخي
حين زاد عليهم التفسير النفسي والخلق

عقريات العقاد الإسلامية أسلوب في الترجمة
ومنهج في الدراسة ، ومستوى في التصوير ،
وتفرد في التناول قلما تحطئه عين منصفة .

والعقاد في عقرياته يبحث فيما يشدها الدارس
والقارئ بمادة والمسلم بخاصة ، ولا سيما إذا
كان طريق الوصول إليها صعباً والريادة فيه
صعبة ، وهنا تتصدى للأمر قوة المنطق في
العقاد ، وحركة الذهن هذه وهي قوة قادرة
تستخدم الذهن الثاقب قدرة المناقشة التي تخدم
المقابلة ، والمضاهاة ، والعلم ؛ بل نخدم الزمن
نفسه بما تمنح عليه أحداثه قبل ظهور
السيرة وبمدها .

وتمثل قوة المنطق فيه وقوة التفلسف
التاريخي في تناوله موضوع تقديم أبي بكر
في الاستخلاف .

ومن خصائص العقاد تقديم الأفعال اليومية
للوصول إلى دلالات كبيرة على الشخصية ،
وهذا هو الجديد الذي فعله العقاد ؛ فالحوادث
والنصريات وقت من أصحابها وعرفت عنهم
مروية أو مدونة ولكنها في كلتا الحالتين
صماء ، إلا عن المعنى الظاهر من مظاهر الألفاظ
والحروف حتى إذا استشفها العقاد ونقش

(١) الرأي بحث (توينبي وفلسفة التاريخ) للأستاذ
على آدم - مجلة الكتاب العربي - العدد الحادي
والعشرون الصادر في ١٠ فبراير سنة ١٩٦٦ .

بعيدة عن طبيعة الجندي منه وهي منها جند قريب .

فأم الخصائص التي تتجمع لطبيعة الجندي في صفاتها المثلث إنما تجمعت لها بعد الورق السنين من تجارب الأمم في تهيئة الجيوش . ولكنها اتفقت لعمرها بالقطرة القوية الموهوبة حتى لا تحتاج . من أصالتها فيه . إلى اكتسابها بطول المواءمة وادمان التعود كالجنود وهذا وجه التفوق الذي يرضع بصاحبه وحده إلى أوج العبقرية ولو اشترك معه آخرون في صفة أو صفات .

وهنا تلح ظاهرة الاستقصاء عند العقاد ظاهرة (التفصيل) ، حين يقول: إن عمر مهيب لا يقف عند الهبة لحسب ولكنه يعضى مع المعنى إلى أخصاء (فهى هبة من قوة النفس قبل أن تكون من قوة الجسد إلا أنه مع هذا كان في منظر الجسد دائما يحول من يراه . ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة بمسده ونقواءه) ص ١٨ عبقرية عمر .

وهو إذا وصل إلى حكم الفحص أو عليه يعضى بفصله أو يفصله كأنه قاصر بفرع الحينيات ثم يزيد هو فيجمع إلى الظاهر ... الباطن حتى يبدو الأمر استقصاء أخصا وأسيا معا . طبيعة الجندي في عمر يلتخط لها الفئات الإنسانية في أقواله وأعماله بما يزيدها بل يقتح بها الآخرين إقناطاً ، لحرصه على النظام في صفوف الصلاة وحلقات المسجد

(والوصول إلى نتائج علم الأخلاق هو المصعب الجديد الذي لا يزال اليوم وبعد اليوم صعبا وجديدا إلى أمد بعيد) . ص ١٣٦

والنفسه النفس يتمثل في تناوله الشخصية من جميع جوانبها النفسية وحرصه هذا على ما تواضعا عليه من صفات التفوق الإنساني . فيقابل العقاد شخصيته المختارة بالنموذج الإنساني الذي رسمه الإنسان لنفسه . ووجه القوة عند العقاد في قوة الصفة عند (البطل) ذلك الوجه الذي يعطيها خصيصه أقوى من الامتياز التقليدي المقترون بها أى القوة التي تميز موصوفها بين من ينصف بها من الناس المتنازعين (بالإنصاف) فمصر مثلا كان قويا لا كواحد من أقوياء ؛ ولكنه كان قويا من طراد متميز القوة إذا كان قويا (لينتفع الناس بقوته ، ولم يكن قويا ليطغى بقوته على المنعفاء) ص ٦٥

وقل مثل هذا في عديد الصفات التي اتصف بها عمر حتى لقد دواسته أو بالذات دراسة العقاد له (غنية لكل علم يتصل بالحياة الإنسانية كعلم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم السياسة ... ولم تقتصر عزاي هذه الدراسة على علم النفس وكفى) ص ٥٦ (عبقرية عمر) وما بالقليل هذا ولا بالسهل المتنازل حتى حين ينتهي إلى مفتاح شخصية عمر (بطبيعة الجندي) لا يقف ولا يتوقف بل يعطى هذه الصفة سمعة عامة (عمرية) تبدو معها بالتفوق ،

الشديد في دينه ، والذي يعتد بقيامته المدو
والصديق (ص ٩٥ .

هذه قيمة دينية وقيمة إنسانية معاً . فليس
الدين بالعقوس والعبادات ولو صحه وصنقه
فيها صاحبها ، ولكنه ارتفاع على الضمف
الإنساني لآسيا الغزوى منه ، فعمل الدين .
وليس بحق يستأهل التنويه من العقاد
إن لم يشمل الأولياء والأعداء على سواء
(فإن الحق الذي يقبه الرجل مع أهل دينه
وحدهم الحق محدود يدخل في باب السياسة
القومية أكثر من دخوله في باب الفضيلة
الإنسانية . وإنما يصبح جذباً باسم الحق
حين يقبه الرجل مع أهل دينه ومع الخارجين
عليه .) ص ٩٠ .

وعمر كان بلا ريب أشد المسلمين في إسلامه
وعمر كان أشد المسلمين وطاية لعهد أهل
الكتاب وهي قيمة إسلامية إبرازها أجدى
هل التاريخ الإسلامى من القصص الشاق
والرواية المسببة .

كان العقاد دقيقاً دقة عمر حين أوصى قاضيه
أن يؤامى بين الناس في مجله ووجهه ولحظه
وطرفه وكفى في الحظ من صان تدرك ولا تحس
فتسبق الأحكام قبل مدووها بما أرادها
عليه القضاء .

والعقاد معنى بالمعاني فهمي وحدها المقياس
والتوقيت الصحيح وإن سبقت التاريخ الزمني لها
أو سبقها فعمراً ثانياً الخلفاء . ولكنه في ميزان

وتجمعات السوق وبجائس الحكم حرصاً يأخذه
نفسه قبل الآخرين فينزل درجة من سلام
المنبر بعد أبي بكر لأن الخليفة الأول أحق
منه بالتقديم (ذلك هو الصمد المسكوى
بالأسوة والتعليم .) ص ٦٦

ثم يرتق في عملية التشرح من جوانبها
الشخصية إلى التقسيم الأهم الأكل كما يسميه
فيجمع التصرفات والأقوال في خطوط كبيرة
تحدد معالم الشخصية ، وتؤكد خصائصها ، وقد
تحدد هذه الخطوط من قوتها وعمقها بفعل
الحفر على الورق الذي يمارسه العقاد في اقتداره
معالم صبر وخصائص حكم بينه أو دولة
بذاتها فلفقات عمر في بيئته القريية المحيطة
انبسطت فندت فاعلمها على مستوى الدولة إذ
(دون الدراوين وأحصى كل نفس في الدولة
الإسلامية كأدى إحصاء واه المؤكلون
بالتجنيد في العالم الحديث .) ص ٦٢

وهكذا تطرد نظرات العقاد الخاصة في
السيرة معمقة كأنها أحكام حروفها مخفورة
فالمعدل في عمر حاسة كحواس البدن عملها
أن تسمو به على نفسه ، وكانت نفسه أسمى
من عامة الأبطال .

ومن عباراته الجامعة التي تنفيك عن أسفار
ولو حوت مئات الصفحات قوله في إسلام
عمر تعليقاً على واقعة أبي مريم السلوى قاتل
أخيه : (حبلك من إسلام يحسى الرجل من
خليفة بينه وهو قادر عليه ، فذلك المسلم

في تاريخ مصر تقوم وحدها دليلاً على المعنى المراد فهي في السيرة تميز النظار وتم لا تزيد . إن البطولة في مفهوم العقاد : إنسانية ممتازة والبطل إنسان ممتاز وهجري موهوب حتى صفاء الرؤية أو النظر البعيد (تلك المزية الإنسانية النادرة) لا يقفها العقاد على التدين والعمق فيه بل صرح بعقلية رجل العلم بأن من الناس من مارسوا (التلباق) وجملوا مشاهداته (وهم ملحدون لا يؤمنون بدين) . كل شيء عند العقاد مقلد وبحساب فهو لا يتطلع على البطل الصفات الحسنى غيرها بلا ضابط ، ولكنه يتقصى الأسباب والعوامل ويكشف عن مكنونها ، فقرة المدل في عمر شيء طبيعي لأنها قوة اجتمعت له أسبابها حين تعددت هذه الأسباب من ورائه حيث مارسه أسره القضاء في الجمالية واستشعر رضا المدل ، وذات الظلم من أقرباتها في الوقت نفسه حيث تكثروا عليها بالعدد ، ومن عقيدة دان بها تأمر بالعدل وتتشدد فيه ، ومن تكوين ، ومن عبر الحوادث ، وهكذا تعددت الأسباب وكان تعددها (هو العاصم الذي حتى هذه الصفة أن تتناقض في آثارها ص ٦٦ هجرية عمر) وأن تهتز فيه حتى ليسوى عمر في عطاء بيت المال بين المولود اللقيط وبين المولود من زوجين وهي رحمة وعدل قد يحجبها النفور من الزنا وثمراؤه

العقاد مؤسس الدولة الإسلامية (إذ الشأن الأول فيها العقيدة التي تقوم عليها وليس التوسع في الغزوات والفتوح . ومصر كان على نحو من الانحاء مؤسسا لدولة الإسلام قبل ولايته الخلافة بسنين ، بل كان مؤسسا لها منذ أسلم ، ظهر بدعوة الإسلام وأذانه ، وأعزها بهيبته وعنفوانه .

وكان مؤسسا لها يوم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه بالخلافة وحسم الفتنة التي أوشكت أن تمصف بأركانها ... وكان مؤسسا لها يوم أشار على أبي بكر بجمع القرآن الكريم ، وهو في الدولة الإسلامية دستور المسانير ودعامة العظام .) ص ٩٦ هجرية عمر .

في البداية البادية وضع عمر حجر الأساس لتاريخ وحضارة استطالا آمادا بعيدة عن البداية الصغيرة التي استهلا بها ، وإن كانت أصيلة بقدر ما رزقه عمر من سليفة التأسيس . تلك السليفة التي عدته أن يثني " حكومة ، وأن يجعل الأمر فيها شورى والقضاء تقاليد وأصولا .

وحيث تكون الحادثة أو التصرف شريفا بعيد التصديق أو مظنة للنفي لا يصر عليه بدفاع أو تسويغ ؛ لأنه ليس همه انحصال الشخصية خوارق الأحوال ثقة بها وبذاتها الداني من إضافات لا تزيد ما حين يكفيها المسلم لها به والثابت الصحيح ما صدر عنها بلا احتمال نسبة أو تفسير ، فقرة سارية والجبل يكتفي منها العقاد بدلالة لها أشياء

الصلاة والسلام برأى يراه ، ولو كان ذلك
الراى من أعين الخصائص التى يقف عندها
الاستقلال (ص ١٤٠ .
الإنسان في البطل :

وينتصر العقاد لروعة البطولة الإنسانية
في البطل بقدر ما فيه هو من انتخاب الامتياز
فصر العقبرى إنسان فيه فن وحب للجمال ،
في الكتاب عمر الخنوع بهوم الدولة ، عمر
الرياضى المشغول بالراحة البدنية ، فكان
يصارع في المواسم ويسابق على الخيل ويكتب
إلى الأصدقاء أن : (علوا أولادكم السباحة
والفروسية ورووم ما حار من المثل وحين
من الفخر) ص ١٩٥ .

في كتاب العقاد عمر إنسان عطوف حتى
لينزع الثقة من وال لا يحنو على صفاره ،
ويتمدح أمام عمر بأن له عشرة أولاد ما قبل
أحدا منهم ولا أدناء فيجيبه عمر ، ولما يل
معه الصبي الصغير الذى كان يحملته في حجره
يلطفه ويقول : (وما ذنبى إن كان الله
عز وجل نزع الرحمة من قلبك إنما يرحم الله
من عباده الرحماء) ثم أمر بكتاب الولاية
أن يمزق وهو يقول : أنه إذا لم يرحم أولاده
فكيف يرحم الرعية ؟

عمر في كتاب العقاد بطل يروح ويعرف
روعة البطولة في غيره (فصر كان يحب عمدا
حب إعجاب ، ويؤمن به إيمان إعجاب ،
ويستعمر نفسه إذا فطر إلى عظمة محمد ،

في نفوس أناس ينفرون ، فلا يرجون
ولا يعدلون .

وحين يجمع إلى عدل عمر وروحه الغيرة
على الحق والحرمات والذكاء والمعية الذين
لا يقول : إن عمروضى الله عنه خلق (بذهن
حالم بحساسة منقطع الكشف والتنقيب ، ولا
أنه خلق بذهن فيلسوف مطبوع على التجريد
والادعاب بالفكر في مناحى الظنون والفروض
ولا أنه خلق بذهن منطوق يدور بين الآفيسه
والاحتمالات سداد القرحيح والتخمين ،
فالواقع أنه لم يكن كذلك ولا يعبه ألا يكونه)
ص ١٠٤ عبقرية عمر .

ومن اقتدار العقاد ابتدأه بالصفة واتممه
بعكها بما قد يبدو تناقضا وهو تكامل ،
فنصراته وأفضال التواضع العمري ليس
لصاغرا يكشف الصغر (إنما هو تصاغر
يكشف بقوة والاعتداد بها ويكبحها بعنان
متين هو نفسه دليل القوة والاعتداد) .
ص ١٤٠ عبقرية عمر .

ويعضى العقاد في مقابلاته المعصية الحقيقة
فيصفه ما كان عليه الحال بين النبي صلى الله
عليه وسلم وعمر فلم يكن أحد يوجب بمحمد
أكثر من عمر .

ولم يكن أحد مستقلا برأيه في مشورة
محمد أكبر من استقلال عمر ، فهو آية الآيات
على أن فضيلة الإعجاب لا تقتض من صراحة
الراى عند ذى الراى المصريح .

فما أحجم عمر قط عن مصارحة النبي عليه

في الأخبار والإسقاط ما يدل على خصائصها في مجال العقبرية الخاصة بها وسيتبين : (ذلك التركيب العجيب الذي هو موضع الإعجاز وموضع الدهشة وموضع القائل في مصادر الأخبار) ص ٥٥ .

وعقريات العقاد الإسلامية فيها قيم يمثلها تقيم الكتابية والكتاب ، فالعقاد في العقبريات الإسلامية يثبت الإيمان الحائر لا بتعليق الوقائع التاريخية أو الزويف الأدبي ولكن بمناقشة المسائل الهائلة التي يجرها الصدور ويخالف الصديق .

ففي عقبرية محمد نافس دعوى انتشار الإسلام بالسيف وإذسلط على الأتباع حقه ومنطقه تهاوت الباطل إذ الإسلام كما يقول العقاد حين حارب بجهوش إنما كان أصحابه يحاربون بوصفهم دولة لا بوصفهم مسلمين بوصفه نظاما لا بوصفه ديناً : هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة إن لم تفرضها الدعوة إلى دينها ، عقبرية محمد ص ٥٨ .

ويعزز هذا ولا ينبغي فرض الجزية التي جعلها الإسلام ضريبة حرية العقيدة بمنطل بها من الالتزام من لا يريد اعتناقه ، وحتى هذه الجزية رفعها عمر من أهل الكتاب للسن والحاجة .

و (الإسلام لم يوجب القتال إلا حيث أوجبه جميع الشرائع وصوغته جميع الحقوق ، وإن الذين خاطبهم بالسيف قد

وما هو فيها خلا ذلك بصغير في نظر نفسه ولا في نظر الناس) ص ١٣٧ .

ومن قوة الشخصية فيه قوة الكلمة الجامعة ومن هذا قوله لقاض يوصيه إذا جلس للحكم أن يدهو الله قائلا : (إنني أسألك أن أفني بعلم وأن أقضي بحلم وأسألك العدل في الفضب والرضا) ص ٧١ .

ومفتاح منهجه في رسم الشخصية (كل صفة تنمى لجميع الصفات كما يقول : وكأنا اتفقت لتصبح كل صفة أو (كل خليفة منها على أنم قدرتها في طوعه كالحا وتحقيق غايتها) فلا العدل ينقصه جمال الطبيعة البشرية ومنهضها الفطري ولا الرحمة يغلبها الطوي فلا تدب بالمساواة إنما هي ميراث تهديها الفطنة ويمصها الإيمان برقابة ساحرة فلا تضل ولا تغوى .

ولعل هذا يفسر وصفه لعمرو أو لصفاته به (المركبة) ولم يقل : التركيب لأنها تتركب كما تتركب أجزاء الدواء الذي ينفع لغرض واحد مفهوم ، والذي ينقص جزء منه فينقص فاعله كله ويذهب التناقض والاختلاف .

وهو في رسم العقبرية لا يتكفر بالأخبار والروايات ولو أجمعت على صفة تعزز رأيه أو تؤيد اتجاهه بل هو يفترض الشك في بعضها ويبيع إسقاط الكثير منها ثقة منه بإنسانية الشخصية التي اختارها وامتداه هذه الإنسانية فيها حتى ليبقى منها بعد الشك

خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك ، إلا أن يحال بينها وبين انتصاته أو تبطل عندما الحاجة إلى دعوة الغريباء إلى أديانها (ص ٦٠ .

كما ناقش يمثل هذه الفجوة مسألة زيجات النبي وعاصمة زواجه من زينب بنت جحش . أما في عبقرية عمر فقد ناقش ثلاث مسائل شائكة في سيرة عمر :

١ - نهيه عن استخدام بعض الذميين .
٢ - منهم أن يشبهوا في الأزياء والمظاهر بالمسلمين .

٣ - إخلاء بعضهم عن الجزيرة العربية في إبان الفتوح .

فاحتكم إلى منطق العقل وإلى مقاييس السياسة والحكم في الدولة القديمة أي بمعناها القديمة ، والدولة الحديثة .

ومن الحقائق التي جلاها كتاب عمر حقيقة : موقف الإسلام من الفتوح هل في الأمر

شهوة السيطرة والتمج بالحكم ؟ أم هو تأمين الجزيرة مهد الإسلام من الدول العظمى التي تهددها وتحيقها وهي تناهها ؟ وهي نقطة يفتنى فيها حديث العلم والواقع التاريخي عن دفاع طويل عن امتزان الإسلام في رأى البعض بالسيف ويزيد في قيمة هذا العمل أنه لم يشر إلى موضوع الانتقام بالسيف من قريب أو بعيد في هذا الموضوع من الكتاب . كما ناقش العقائد في (عبقرية عمر) حريق مكتبة الإسكندرية وما إلى هذا من أمهات المسائل .

كما ناقش من متعلقات السيرة : هزل خاله .

وحادثة الوأد في الجاهلية ، التي (ما ذهبها إلا إحدى جنائيات الإغراب على من خطوا وفي سهرتهم مثال الإغراب والإهجاب) . ص ٢١٤ عبقرية عمر . (يتبع)
وأكتورة نعمات محمد فؤاد

العلم

- أفضل الصدقة أن يعلم المرء علماً ثم يعلمه أهله
- العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس
- ما جمع شيء أفضل من علم إلى حلم .

تحريف وتخريف

للاستاذ علي الخطيب

النبوة والكتاب، ٢٧ المنكوت، فيدعي أن الضمير في ذريته، بالذات لإسحاق، وقبل ذلك نحو ثمانية ضمائر مفردة كلها في إبراهيم... منها على سبيل المثال: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: اقتلوه أو سحرتموه فأبجاء الله من النار، ومنها فأمن له لوط ومنها ما في الآية، والغرض من فعل القمص واضح، فهو يريد: حصر النبوة والكتاب في ذرية إسحاق، وليس منها قطعاً عهد عليه الصلاة والسلام، وبذلك يسقط النبوة والكتاب عنه لأنه من نسل إسماعيل عليه السلام هذا هو أسلوب القمص بشأن القرآن الذي اعتمده مصدرا لتقرير العقيدة الأرثوذكسية، فاعدا الحائط بين التأييد بالقرآن تارة ثم التكذيب له أخرى ٩١ وواضح هنا أن الضمير لو كان لإسحاق لاقتضى قرينة قطعاً تصرف القارئ والمستمع إليه حتى لا يحتلط الممن في ذهنه، لا سيما وأن استيعابه للعاني مرتبط بإبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا من جهة البيان العربي، هل أن في القرآن غنى، ففيه يقول تعالى: «أم يحسدون

في السنوات الأخيرة، وابتداء من عام ١٩٦٣ م، توالى ظهور كتب مسيحية تناول العقيدة الأرثوذكسية بالشرح والتحليل. نذكر منها: التثليث والتوحيد، و«المسيح ابن الله»، للقمص زكريا بطرس وصدرًا بمدينة طنطا، و«الحق، القمص باسيلوس إسحاق وصدرًا بالإسكندرية».

والذي يستدعي الانتباه في هذه الكتب هو اتخاذها القرآن الكريم مرجعاً لتقرير العقيدة الأرثوذكسية، والمؤلم - هنا - أن كلا الكاتبين يملآن يقينا، وقد قرأ القرآن الكريم، أنه لا يشهد لأي طائفة مسيحية، وآياته في معتقداتها واضحة بلا لبس أو غموض لذلك لم يكن عجيباً أن يبيت المؤلفان على احتيال بالقرآن، ثم يسفران عن كيد، ثم يتحيان بتكذيب لهذا الكتاب الأمين.

فالقمص باسيلوس يعتمد تفسيراً غاطثاً لآية كريهة وردت في شأن إبراهيم عليه السلام ضمن عدة آيات أخرى وهو قوله تعالى: «ووجهنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته

نلزم ، الموضوعية الطيبة ، في كتابتنا لنبيين
- في جلاء - أن القرآن الكريم يجب ألا يقسم
في ميدان تقرير العقائد المسيحية فضع تحت
نظار القارئ " قانون الإيمان الذي أقره المجمع
النيقايوى عام ٣٢٥ م ... حتى يرى ... هل
يمكن أن يكون القرآن صاحب تقرير في هذا
المجال ؟

قانون الإيمان :

١ - أومن بآله واحد - آب ضابط
الكل - خالق السماء والأرض ، كل ما يرى
وما لا يرى .

٢ - و برب واحد يسوع المسيح
ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل
كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله
حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب في
الجههر ، الذي به كان كل شيء .

٣ - الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن
أجل خلاصنا نزل من السموات ، وتجسد
من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس
٤ - وصلب عنا على عهد يلاطس
البنطى ، وتأم وقبر .

٥ - وقام في اليوم الثالث على ما في
الكتاب .

٦ - وصعد إلى السموات وجلس
من يمين الأب .

الناس هل ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا
آله إبراهيم الكتاب والحكمة : ٥٤ النساء
وقال تعالى : ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب : ٢٦
الحديد ، وإسماعيل عليه الصلاة والسلام
من ذرية إبراهيم .

والحقيقة المؤكدة أنه لم يفعل ما فعل
هو أو ذميلة لمداية رهيتهما ، فلا شك أن لها
في ذلك وسائل برياتها معينة وهادئة ، كذلك
لم يحدث أن طرحت قضايا الإيمان
الأرثوذكسية على بساط البحث في أى من
البلدين حتى يكون الأمر بحال دفاع ، وبحال
ذباب ، وثمة أمر ثالث مهم هو أنه ليس
مطلوباً منهما (كفسياً) تقرير الأرثوذكسية
بالقرآن ، كما أنهما - وقد قرأ القرآن
الكريم - يعلنان يقيناً مدى مساواة المسلمين
من التزام الحسن مع أهل الكتاب : دافع
إلى سبيل وبك بالحسكة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي أحسن : ١٢٥ النحل
ولا تسبوا الذين يدهون من دون الله
فيسبوا الله عدواً بغير علم : ١٠٨ الأنعام .
فما بقي بعد ذلك إلا حجب واحد أسفرت
هذه تلك الكتب هو : التأكيد للإسلام ،
والنيل من نبيه كاستقبين بعد ، وإلى هذا ،
وعمل بقوله تعالى : ولا تعادوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ،
٦٤ الصافات نبيين مدى ظلم القميصين ، وحق

البروتستانت عند الكاثوليك ليس بأفضل منه عند الأرثوذكس .

فأى شيء إذن يمكن أن يقرره القرآن بين هؤلاء ؟ وأين هي المسيحية بينهم ؟ وأي شيء يشهد له في القانون ابتداء من النص الثاني حتى نهاية المائتين ؟ وهل يمكن أن يستبرد الألقام ، صفات ؟ كيف ؟ . . . وقد أسند لها أفعال مثل : وجلس من بين الله الآب .

ومن هنا . كان القبط في المحاولة كما تبيينها بما يأتي :

(١) التنويه في النص بحذف ما يتم المراد من الآية :

فعل ذلك كلا القمصين فبطرس في كتابه التثليث والتوحيد وضع قول الله تبارك وتعالى : « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، الآية » بعد أن حذف (من) لتظهر الآية في ثوب المبتدأ في (أهل الكتاب) والخبر فيها بعده ، ودخل في روحه أنه يمكن بذلك من مقصوده ، ولو قد علم أن تعبير « أهل الكتاب » في القرآن شامل لليهود والنصارى لاخر يقينا حكم الاستشهاد بالآية ، فهو لا يرضى لليهود أن يكونوا مؤمنين ، ولا هم بدورهم يفهمون فيه إيمانا ،

٧ — وأيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والاموات ، الذي لا قناء للملكة .

٨ — وبالروح القدس الرب الهى ، المنبثق من الآب ، المسجود له والمجود مع الآب والابن ، الناطق في الأنبياء .

٩ — وبكفيسة واحدة مقدسة ، جامعة رسولية .

١٠ — وأعترف بعمودية واحدة لمنفرة الخطايا .

١١ — وأتربى قيامة الموتى .

١٢ — والحياة في العصر الآتى آمين .^(١)

هذا هو نص القانون الأرثوذكس بخلافه النص الكاثوليكي في المادة الرابعة منه فيها « وتالم ومات وقبر » وفي المادة السادسة : « وجلس من بين الله الآب » وفي الثامنة « المنبثق من الآب والابن »^(٢) ، ولذلك يعتبر الأرثوذكس الكاثوليك عارجين على المسيحية وقد عقد أحد بطاركة القسطنطينية بحما في القرن السادس عشر « قرو فيه أن البابا وسائر الكاثوليك وثنيون »^(٣) ، « ورد الكاثوليك بنفس الصاح فقرروا أنه لا وحدة إيمان عند الأرثوذكس »^(٤) ، « ونصيب

(١) من ١٧ التعليم المسيحي الأرثوذكس : أهاطوس نرسل مطبوعة أناتولى - الإسكندرية (٢) انظر من ١٠٤٩ من « شرح التعليم المسيحي » لقس الكاثوليكي يوسف لويس مطبعة البرنيرى . (٣) (٤) انظر من ٩٨ و ٩٩ من كتاب : « صلاحك أباها المسيحي » لخدمة الله المتداوى . جونيه . لبنان .

هذه العقيدة^(١) ... فأما من الكلمة في الآية فهي قوله تعالى للشيء : كن فيكون ، وأما الروح ، فهي القوة التي يرسلها الله في أي مخلوق لتدب فيه الحياة ، وهي في «عيسى عليه السلام» كما هي في غيره سواء بسواء .

ويطعن بهذا التشويه التغيير المتعمد في التفسير المراد من الآية ليستخرج بذلك ما يريد ، فنظرية الفساد في منجبه تقول : بأنسان واحد - هو آدم عليه الصلاة والسلام - دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس حتى بأنى العادى ، أو الخلق - وهو هنا عيسى عليه الصلاة والسلام في مقصود المذهب - ليستقبل هو الآلام ويرفع الخطيئة ، هذه خلاصة النظرية واقتضى الأمر - الذى بات القمص عليه - أن يفسر قول الله تعالى : « فن تبع هداى ، الآية بجمل معنى (هداى) الهادى أو الهادى يريد القمص (عيسى) عليه الصلاة والسلام . ويريد سبحانه (كتبه ورسله) .

وموقف القرآن في ذلك محدد في أمرين :
١ - أن الله سبحانه تبارك وتعالى على آدم ... والنص واضح : فتلقي آدم من وبه كتابه . فتاب عليه إنه هو التراب الرحيم .

٢ - كل نفس بما كسبت رهينة ...

(١) انظر . للمفسرون وللبعض في المألف العربي والإسلامى لإبراهيم خليل أحمد . مكتبة الرسمى الكبرى .

وإذا كان هو يناقض بذلك نفسه ، فالقرآن الكريم لا تناقض فيه ، والقصص يعلم بيقينا تقرير القرآن في التوراة والإنجيل ، ففيها حذف وتغيير وتبديل ، فكيف بعد ذلك يطلق القرآن لفظ «آيات» على ما أنكره واعتبره محرفاً ، والأمر ليس معنى الفهم . فالمراد في الآية : من آمن من أهل الكتاب وهكذا على تلاوة القرآن .

وكذلك فعل باسيليوس فقرأ قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته أنعاماً إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ١٧١ النساء فأخذ من الآية - ليقرر التشليح كما توهم - هذا الجزء : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته أنعاماً إلى مريم وروح منه » ولما كان ما يلي ذلك مباشرة ضد ما فرده آثر الاستغناء عنه ، على أن الله سبحانه قد كشف للمسلمين من هذا المخطط التبشيري فكشبه داعي كنيسة باقور : إبراهيم خليل فليفسر بعد إسلامه طريقة هذا التبشير واعتاده على هذه الآية بالذات للتفسير - بعد السكوت عن باقيها - ببسطاء المسلمين لتقرير

والأخذ من أى الأناجيل المتداولة ؟
ويمود بأحكام الرى والصدق والشهد
والبكر والثيب ... الخ . إلى مواطنها من
الأناجيل ، وله من الزمن حتى قيام الساعة ،
فإنا على رأى تولستوى (ليس فى الإنجيل
تعالم بشأن الزواج بل فيه ما ينال) ،
(لم يوجد زواج مسيحى ولا يمكن أن يوجد)^(٢) .
(ب) الدعاوى الكاذبة :

حفلت هذه الكتب بمفتريات مقصودة
مخد الإسلام منها على سبيل المثال ما جاء
فى كتاب باسيليوس باختصار :
البسمة دالة على الأب والابن والروح القدس
الهم كان ثلاثا ليسل على الأب والابن
والروح القدس .
الطلاق كان ثلاثا ليسل على الأب والابن
والروح القدس .

ولما كانت مراجعنا برينة من هذا الريف
وكانت أناجيله أيضا برينة من هذا الخط
لم يقدم لنا شيئاً من حصرية هذا الاكتشاف
فأما عن معنى الرحمن والرحيم فى البسمة ،
فرجعة إلى أى قاموس عربى مختصر كفيّة
بتوضيح المراد ، وأما القسم فإنه يتعقد بالمرة
كما يتعقد بالثلاث ، وأما الطلاق فكان ثلاثاً
مرة بعد مرة بعد مرة حتى يتيح فرصة
قراؤه لطلوع لكلا الزوجين .

(٢) (٢) ص ٣٤١ ، ٣٤٥ الآيات الأجنبية

وعلاجه كونها إيون تولستوى طيبة أولى .

فن اجترم جرماً فعليه وحده عقوبته ، ولا ترو
واذرة وزر أخرى ويعنى ذلك فى وضوح أن
البشر لم يروا خطيئة ، ولا تداولها أهقابهم .
وخلال البشر بعد آدم حدث لأسباب لا تمتد
بصلة لآدم - تماماً كما يحدث من خلال البشر
فى أياحنا - وهذه المناسبة نسال الله : إذا
كان عيسى صاب ، وفدى البشر ، واحتمل
الآلم ، ورغم الخطيئة فلماذا نفران ؟ وأى
شئ نفررون ؟ وإذا كانت هناك خطيئة .
يرفعها الملبأ ليس يجب أن تكون قدوة حسنة
فصلب نفسك وترفع خطيئة جيل وتفسح
للناس الطريق إلى الجنة ... ٩١ ، ٩١ ...

وبعد التقوية فى المعنى المقصود بأى بتشويه
آخر فيصطنع دابة ، من آيتين ويخرجهما
مكذبا فى كتابه الذى أسماه الحق : فانكحروا
ما طاب لكم من النساء منى وثلاث وربع
فإن خفتم الاقعدوا فواحدة ولن تستطيعوا
أن تعدوا بين النساء ولو حرصتم ، والجزم
الأول إلى واحدة من الآية رقم ٣ من سورة
النساء ، والأخير من الآية رقم ١٢٩ النساء
ثم يدعى أن المسلمين أخفوا عن المسيحية نظام
الزوجة الواحدة ص ٢٩ ، ٢٢ من الكتاب .
وهذا موضوع لم يخط له فى كتابه ، ولا
هو من حصيد هذا الكتاب ، وفضلا عما
فى عمله من (خيانة) النص فيه إنكار لوصى
القرآن ، ومع ذلك نسأله فى بساطة : أن
يتفضل فيرشدنا - نحن المسلمين - إلى موضع

هل الإنسان مهما كان دينه فينتطبع قسراً منه في تصرفاته . . فإذا كان الأمر كذلك تقول: ما كان فطرة كان العلم به ضرورة عقلية بديهية؛ فالواحد نصف الاثنين وهو ضعفه أمر قطري لا يختلف فيه اثنان، فلم ترق المذاهب المسيحية المختلفة أن تعلم التثليث فوق إدراك العقل، كتب ذلك باسيليوس، كما كتب ذلك العندادى^(١)، والآخر كاثوليكي، ثم هل يعلم سيادته أن لفظ (السلام عليكم) هو الواجب للخروج من الصلاة.

وبنيتي ألفأذه منا إلى ترهات باسيليوس حتى من المسيحية نفسها فهو غلو تماماً عن معرفة تاريخها وبخاصة في القرون الثلاثة الأولى فهو لا يعلم شيئاً من المسيحيين الموحدين لكن حسابه في ذلك ليس علينا. أما من جهه بالإسلام فقد كانت سافراً إلى أكثر من موضع وحسبنا في ذلك. يقينه، بأن الحجر الأسود هو الكعبة نفسها وتؤكد له أنه: ليست الكعبة أو الحجر الأسود، أيقونة، ومن بعد الكعبة مقدساً ذاتها أو قبل الحجر طابداً له فليس من الإسلام في شيء: «فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً».

(د) النيل من الإسلام ورسوله وكتابه:

لقد أشرت في مقدمة هذا المقال إلى طريقة

(١) ص ٧٧ من كتاب: سلاحك . . . الخ.

ثم نحن - المسلمين - لسنا في حاجة إلى ثلاثيات تؤكد لنا حقيقة الأب والابن والروح القدس لتفاناً عنها بتوحيد الله ذاتاً وصفاتاً وحكم إشتراكنا معه أحداً من خلقه، وبقيتنا بأعراف أهل الحلول وأولى بالثلاثيات الأرثوذكسية، وما دام ذلك «ميثاقاً» يراه (باهر) فلم خلت الأنجيل منه؟ وهو يراه أمراً الحق بحياة الأرثوذكسي دينياً واجتماعياً.

وبعبه هذا الخط ما فعله زميله بطرس في كتابه (المسيح ابن الله) فقد أبي إلا أن ينقل عن (الملل والنحل) أو (الله) للأستاذ العقاد - وهي كتب آتت ببسط العقائد المختلفة من وجهة نظر أهلها - فصوصاً تصور على أنها آراء شخصية للكتابيين انظر ص ١٠٠، ١٢ و ١٤، ١٨ . . الخ من الكتاب، فعل ذلك خديعة بالمسلمين، ليصور لهم أن أئمتهم في الفكر والدين يؤمنون بالتثليث، وجدير بالذكر أن هذه الكتب بالذات تحوى ودوداً ضد التثليث، وبدهى أن يحذفها بطرس.

(هـ) القرصات:

وأولاهما بالملاحظة رأى باسيليوس في سلام المسلم في نهاية صلاته، رأى ذلك رسماً للصليب، والله يريد بهذه الدهوى أن يلقى في روح السذج أن الأرثوذكسية أو اختيها دين قطري، وأنها لذلك ذات ومن يسيلط

فقال لهم : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وأخذ من اليهود والمسيحيين الكثير من الطقوس في عباداتهم ... الخ

وإلى هنا نجد الكتاب فصحة مكررة من دعاوى الطاعنين في الإسلام شرقاً وغرباً وتبين هدف الكتاب في وضوح يستتر وراء ذلك كله دعوة واحدة هي : أن الإسلام « صناعة محمد » ، ومثل هذه الدعوى تدخل في « المنطق » باب الحكاية ، واستمساك المجادل برأيه ، دون القياس وجه الحق . . . ١ . إن الإسلام دين وحدانية الله لا شرك فيه وقد أمر أتباعه بتجنب الكهانة والجمود عن الوثنية ، ولم يجعل التوبة مرتزقا خبيثاً لأحد فإنما هي كلمة : « استغفر الله وأتوب إليه » يقولها العبد لله ، ليس بين يديها مال ولا تاجر إلى دماء فاسد ولا دجل بامرأة إلا كان العبد طامناً لهما .

وما ينتم القصاص منا إلا أن آتينا بأحد وحده إيماناً لا يلغى عقولنا ، أو يهزأ بها وبالعقل - وحده - كنا مكلفين بواجبات ديننا مستولون بها . فذلك كان في الدنيا مسلمون وكان فيها إسلام ولا أحسب أحد الفارصة يجهل ما في العهد القديم : من مات مصلوباً مات كافراً ومعاد الله أن يكون المسيح كذلك ؟

علي القليوب

الاستشهاد بالقرآن لتقرير التثليث ثم الرجوع إلى التكذيب له ، وقد كان هذا كافياً في تصوير الموقف بجملة . . . فلتر إلى أي مدى سار باسيليوس متأسياً كل ما يجب مراعاته من احترام للاديان وتقدير إحساس مشفقها وضميراته - في ذلك - حتى حق الوطن . فما ورد صريحاً من تكذيبه للقرآن دهواه أن :

« القرآن يثبت صليب المسيح » ، وهو يعلم قوله تعالى : وما قتلوه وما صلبوه ٥٧ النساء وقوله « القرآن يؤيد التثليث وينفي التخريف » ، وسورة المائدة كفية بالرد ، بل لقد كتب باسيليوس نفسه من ٢٢ من كتابه يقول باختصار : « إن النسخ الأصلية للثورة والإنجيل قد فقدت » ثم يتنص في تلك حكمة حيث يقول : « والذي يجهل أن الإنسان هو لماذا لا يحفظها القدير من الثلاثي ؟ ولكن قدما كان الحكمة عالية لأنه لو بقيت النسخ الأصلية لمعبدا البشر ، ولعل هذا كاف القبول » من باسيليوس إلى باسيليوس ، فعليه أن يتبعد عن القرآن .

ومما كتبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في اختصار أنه كان قبل الإسلام وثقياً وأمه أراد أن يرضى كل الطوائف ، فأرضى الوثنيين بتقبيل الحجر الأسود - الأمر الذي أغضب أبابكر (هكذا) وأرضى المسيحيين فاعترف بالإنجيل ، واليهود إذ قال عنهم : يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وإني فاعلتكم على العالمين ، وأرضى العرب

سيرة...!

للأستاذ إبراهيم محمد نجما

عشت أمي النفس أن استريح
فها أنا أحيا بماضٍ جريح
وليس لي من أمل في عهدي
حتى الذي أبصرته في يدي
عشت وبني شوق إلى ما أريد
كأنني أوجو اعتلاك الوجع
وسرت في الدنيا بقيد وحيد
لو صاغ هذا القيد بأس الحديد
لكنه من نبض قلبي الرقيق
حملته في مهبطي ، لا أذيق
حملته بحنة روعي التي
وتسكب الدمع من الحرفة
وليس قيدا ما تراه الميرون
يفرى الحنايا ، ويثير الفجور
وصكم دعوت الله في خلوق
فها أنا ما ذلك في محنتي
علام ياربي تضيق الحياة
ما في حياتي من عذاب سواء
لولا ياربي هرفه المنى
رائدب في هري رقيق السنا

يوما من السر التي في دمي
وحاضر باكي الرؤى مظلم
فكل آمالي ضاعت عدي
رأيت يذهب لها بدا
فلم أنل إلا عذاب الرحيل
أو أنني أصبو إلى المستحيل
لكنه قيد عتي وهيب
لكن خطبي دون كل الخطوب
ووقدة الحس ، وخفق الفجور
من ناره إلا لكي أستجير
ماشت تبت الكون أحزانها
لعله يطلق نيرانها
لكنه ما عاش على الخفاء
فتستر الدمع يد الكبرياء
أن يكشف البلوى عن البائس
ولم أزل أحيا ككلهم بين
من أجل سر لا يريد الزواج ؟
ولا بقلبي غيرة من جراح
غضراء مثل الجنة الزاهية
لجراً ينادي روعي الحائرة

لولا ما عشت بقلب مجين
ولم تذق روحى عذاب الحنين
لولا قبلت جراح الهوى
وقدست نفسى لمحب الهوى
لولا غنيت فكان الفناء
ويجمل الدنيا تريق المسقاء
باسر، يا من لا تراه الميرون
قد كنت فى ماضى حياتى ميرون
وكنه فى بحر الصبا لا أزال
والنفس نشوى بهيم الخيال
فكنت إن طافه بقلبي الموم
قلت لقلبي سوف تمضى الغيوم
والآن والعمر وشيك الفناء
هل ينفع العمر، ويجدى الرجاء
يا رب إن ثوبت على فسقى
فأنت تدوى السر فى ثوبتى
يا رب قد مارسه بعض الذنوب
وأنت أدرى بحفايا القلوب
قد اكتوت روحى بنار الموم
فلن ترى روحى عذاب الجمع
هذا عزائى : وهو نعم العزاء
ولى دجاء يا إله السماء

وما انطوت نفسى على يأسها
تفرغه الأقدار فى كأسها
وباركت روحى دموع الوداع
وأبصرت فيه وفق الشجاع
يشيع فى القلب ابتسام الربيع
فى أرض أيامي كنهر وديع
وناره فى القلب لا تخمد
إذ كانت الآمال لا تفسد
والعمر يمتد امتداد الرجاء
والصكون دقات بسر الضياء
وكاد يطوي ظلام الماء
ويقبل الفجر ، وتصفو السماء
والمر ما زال وهيب العذاب
إذا خبا العمر ، وضاع الشباب ؟
تودة نفس تتحدى القدر
والسر عاف عن قلوب البشر
ليعرف النفساني قلبى الحزين
يا من خلقت النار للذنبين
وعذب النفس شقاء الحياة
يا بى عذاب الروح عدل الإله
عن عنتى ... عن عنتى العزاء
ألا أراها مرة ثانية

إبراهيم محمد نجا

إلى البطل الشهيد عبد السموم عارف :

في رحاب الخلود

للأستاذ محمد الهادي السيد

أى رزه أصاب قلب السلام ؟
 أى خسران قد أصاب بلادى ؟
 لجمع النيل وفقرات ، وأدى
 صفحة من صحائف الخلد تطوى
 أمل شاخ ، وتاريخ شصب
 طاش يقضى هل المواصف هوجا
 يا أبا الثورات الثلاث .. وداما
 كم أنك الحسام وجهها لوجه
 قد أجرت العراق من قبضة الملك
 ومن الخلف جاء الخلل صدرا
 ودنا منك جبل معلقة الغد
 وعظما دخلت وزانة السج
 إنها منك بسمة الثقة السك
 ثم أصدت من أقي بك السج
 وقدمت في الطريق ، تنادى :

أى رزه فى العرب والإسلام ؟
 أى خطب من الخطوب الجسام ؟
 قلب من فى الجنوب أوفى القام
 حلم لله هوى من الأعلام
 وجدوه الضداة بين الحطام
 وأق طاصف بموت زوام
 فى رحاب الخلود (عبد السلام)
 لتحديث وجه هذا الحمام
 لك ظلوما ، ومن يد الإجمام
 ثم يقضى عليك بالإعدام
 و ، فلم يبصروا سوى الإقدام
 سن ، تلاق تضامم بإقسام
 جرى ترى الله حاكم الحكام
 سن ، وحطمت قلعة الآثام
 وحدة العرب ، تلك كل مرأى

محمد الهادي السيد

بوسعيد الثانوية بنين

الحقيقة في مشكلة فلسطين

للكاتب الهولندي ق. ه. ليونارد

ترجمته عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

- ٤ -

وفي تقرير لكونغرس برنادوت وسيط الأمم المتحدة الذي عين في مايو ١٩٤٨ هاجم فيه المبادئ الصهيونية قتل بسيفه على يد الإرهابيين الإسرائيليين ، كتب عن اللاجئين العرب يقول : « إنه من الظلم ومن الجحافة لمبادئ المدافع الإنسانية أن تنسك على ضحايا الصراع الأبرياء حقهم في العودة إلى وطنهم بينما المهاجرون من اليهود يتدفقون على فلسطين ، هذه الهجرة في حقيقتها ، على أقل تقدير ، تشكل تهديداً أو تعتبر خطراً على إعادة التوطين الدائم للاجئين العرب الذين استقروا واعتدوا جذورهم في هذه الأرض منذ قرون » .

وفي ١١ ديسمبر ١٩٤٨ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً لحل مشكلة اللاجئين العرب ، هذا القرار يعطي حق الاختيار للاجئين بين العودة إلى وطنهم أو التمريض وقد اختارت الأغلبية الساحقة لأول وهلة العودة إلى الوطن ، ولكن إسرائيل رفضت الإعادة أو التمريض وحبقت أن تندمجوا في البلاد العربية المجاورة

وقد أعطى (دير ياسين) قوة دافعة للجماعات المسلحة من عرب فلسطين حينما انتشرت أخبار المذبحة بينهم ، وكانت وسيلة « كما جاء في تقرير رئيس البعثة الدولية للصليب الأحمر في فلسطين » لنشر الرعب على نطاق واسع كارتبة اليهود ، وكما نفقوه بمرارة . هذا الأسلوب قد دبر في صورة خفية ونفذ بوسائل الحرب النفسية كتهديد للجماعات بمصير دير ياسين .

وكانت الخطة الصهيونية للإرهاب ضد الفلسطينيين العرب قد أوضحت وأبعدت أي شعور بالتردد في البلاد العربية المجاورة بالنظر إلى استعمال القوة وأدت إلى حرب فلسطين مباشرة عقب إعلان دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ .

وفي خلال هذه الحرب ساق الجيش الإسرائيلي الأملين المدنيين خارج المدن والقرى واحتلها ، وبهذه الطريقة وكما حدث قبلها نتيجة للإرهاب الذي ارتكب في دير ياسين ظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين العرب إلى الوجود .

يظهر اللاجئين كالأولاد يطلبون العودة إلى وطن قد بيع ودفع ثمنه آخرون دفعوه إلى التقدم والرقى، ولكن ينفي هذا، أنه في الرابع من يوليو ١٩٤٧ صرح بن جوريون أمام اللجنة الخاصة بقراسين بقوله: إن العرب يملكون ٩٤ ٪ من الأرض ويمتلك اليهود ٦ ٪ فقط.

وحينما قامت دولة إسرائيل كانت ممتلكات اليهود تشكل ٧ ٪ من فلسطين ومجموع ٩ ٪ من إسرائيل وكان أكثر من ٨٠ ٪ من المساحة السكنية لأرض إسرائيل هو تركه اللاجئين العرب، هؤلاء اللاجئين خلفوا مداماً يأكلها مثل ياقا وهكا والد والرمة وينتشان والمجدل وأكثر من ٣٨٨ مدينة وقرية وكذلك معظم أجزاء ٩٤ بلداً أخرى تفصل تقريباً على ربيع العمارات والمباني في إسرائيل ١٩٥٣ وقد ضرب الصهيونيون واليهود جزءاً من هذه المباني عمداً لينعوا عودة اللاجئين، وزيادة على هذا، المحلات التجارية والصناعية والمنشآت الزراعية، وهربات النقل والجرارات، و٥٢ بحراً وما يقرب من ٩٥ ٪ من أشجار الزيتون في إسرائيل كانت موجودة قبل قيامها وكذلك السكروم والبياتين.

وفي ١٩٥٤ كان أكثر من ثلث السكان اليهود الإسرائيليين يعيشون على أرض

وهذه الدول بالتالي رفضت أن يتدجروا فيها ولكن رفض هذه الدول - مهما تكن الاعتبارات التي أملت هذا القرار بالنسبة لمصالحها القومية والتي يمكن أن تكون ضرورية - يؤيد اختيار اللاجئين أنفسهم كما يؤيد قرار الأمم المتحدة، وفي الواقع أن رفض السماح لهم بالعودة انتهاك للحق الطبيعي للإنسان، الذي يتمتع به ضحايا الحرب، والذي اعترفت به الأمم المتحدة وهو سلب الحق الاختياري الذي منح وغرل للاجئين أنفسهم بصفة خاصة وليس لإسرائيل: لأن عرب فلسطين في الحقيقة ليسوا ضحايا لأعمال الحرب لحسب وإنما هم ضحايا الطرد المتعمد، الذي بدأ قبل خمسين عاماً بحسائل تدريجية، ثم جمعت به أعمال العنف وفيما يتعلق بانتهاك الفرض فإنهم يترقبونها تحت إرشاد وتوجيه زعماء بعيدى النظر يخططون لعشرات السنين.

يقول (ولسن) : « حينما تم إجلاء الشعب العربي من هذا الجزء من فلسطين الذي أصبح إسرائيل فيما بعد تبين أنه شرط ومقدمة لمجرة على نطاق واسع ولولا هذا الإجلاء لما كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزداد شيئاً حتى ذلك المجال الحيوى القادر المحدود الذي أمكن الوصول إليه.

لقد قيل: إن العرب قد باعوا وطنهم بأكله لليهود بعد أن أملاوه عدة قرون، وهذا

لا وطن لهم إنه ليس لنا حق أن نبنى استقراراً لتحقيق فكرة الصهيونية بثروة شعب آخر إذا فملنا هذا فنحن لصوح .

أما تصوير الموقف وتحديدته لدى اليهود بعامة فيأتي في عبارة (صامويل) أقرب مساعدي (وايزمان) اليه : « نحن لا نستطيع أن نعبد العرب ، وسنحارب حرباً شاملة لنضع ذلك ، هؤلاء العرب الفلسطينيون قد تحولوا إلى شعب من المنفيين بواسطة إسرائيل ، والسياح وزائري إسرائيل لا يرون إلا دولة الرفاهية الحديثة وإنجازاتها القوية ووافها الرائع بينما يخفى اليهود عن أعينهم الأسس التي قامت عليها الدولة : الفرق ، والتصدع ، والخلل ، هذه الأسس كلها كشفت الفش والحداد والنهب والقتل بالجملة وبؤس اللاجئين .

إن حق اللاجئين في العودة معترفاً به بنقض النظر عن السبب في جلائهم وعندما يكشف عن سبب الجلاء سيجد الحق أنصاراً كثيرين في كل مكان ، إنه لم يكن حباً أن يخطط مرتزق سياحة العمل للسكان الوطنيين المساكين عبر الحدود وأن يكون تنفيذها سراً .

وعلى هذا فإن وجود اللاجئين الفلسطينيين العرب يمثل فكرة محددة وخطة موضوعة ولكنه يكشف عن الفشل الصهيوني في العمل

اللاجئين الفلسطينيين أي وهاء ربع مليون إسرائيل يعيشون على هذه الثروة السلبية .

وفي ١٩٤٩ كان ناتج الزيتون العربي ثالث صادرات إسرائيل وفي عام ١٩٥١ ، ١٩٥٢ كانت الفواكه والمواالح العربية تشكل نصف المواالح الإسرائيلية المصدرة تقريباً ، وكانت تساوي ٢٩ في المائة من الدخل عن الصادرات الإسرائيلية بعامة .

إن الثروة العربية في فلسطين لم تكن مدداً ومعونة اقتصادية وفرصة للعمل للهاجرين اليهود بل كل لها أكبر الأثر في تحديد وإبراز النموذج الحي للحياة الاجتماعية العامة في إسرائيل وعن (يهود) - وهي مجموعة صغيرة من معاوني (ماجنز) احتفظ بهم - كانت تظهر معارضة يقوم بها فرد معتزل لم يستطع أن يصالح نفسه مع دولة يهودية تأسس على هذه الحال فيقول ، وفي النهاية يجب أن نخرج إلى العالم بالحقيقة وهي أنه ليس لنا حق أخلاقي ، مهما يكن من أمر ، في معارضة عودة اللاجئين إلى ديارهم ، ذلك إلى اللحظة التي يجب أن تبدأ فيها التفكير من ذنبنا ، إنه ليس لنا حق في أن نستمري في جمع المنفيين ، وليس لنا حق في أن نطالب اليهود الأمريكيين أن ينادروا بدم الذي تملةقرا به ليستوطنوا بلداً آخر قد سرق من أهلنا بيتنا أصحابه الأصليون بؤساء

أولها إميل خوري سكرتير اللجنة العربية العليا ، أما الثاني فهو البطيريك جورج حكيم بطريرك الجليل .

وقد وجد بالبحث أنه بحذف المقدمة والسياق اللذين قد تمت بهما هذه الشهادة الأولى ، صار لها معنى آخر يختلف عن النتيجة التي سيقت من أجلها .

أما الثانية : فقد أصبحت على خطاب من البطيريك نفسه تضمنت السلطات الإسرائيلية سوء استعمال كلامه وتحويلها على غير أساس وفي الحقيقة أن البطيريك يلقى مستولية جلاء العرب كاملة على عاتق إسرائيل بسبب الإرهاب والطرد الجماعي .

لقد بقي في إسرائيل قلة قليلة من عرب فلسطين وأنزعجت منهم معظم أراضيهم بواسطة القوانين الخاصة . يسع بالجملة ونهب ولكن مع سر وجه الحقيقة .

وأكثر من هذا وما : أن ينهض معارضون من جماعة اليهود ضد المعاملة غير العادلة التي يلغاها الشعب العربي الفلسطيني في إسرائيل وضد التفتيت والتزريق للعرب في أحياء يهودية متفرقة - كما رسم لهم منذ تأسيس الدولة اليهودية - والقوانين الخاصة العسكرية والاستقال بواسطة السلطات التنفيذية دون إذن ومحاكمة ، وجالس المحاكمات العسكرية دون حق ، والطرد الاختياري ، والغرامات

في توطينهم هناك ، ولهذا فإن كثيرا من الصهيونيين يبذلون هم وإسرائيل جهودا جبارة لينموا وجود اللاجئين وليتخفوا سبب جلائهم الخاصة ، وبالتالي النقد المتعلق به وما أصبح معروفا أن اليهود يعارضون كل شيء يتعلق باللاجئين حتى ما كان متصلا بأغراض إنسانية بحثة ، ومن أجل أن يبرئوا أنفسهم من القوم تجاه إجملاء العرب فإن الصهيونيين يمثل اليهود في إسرائيل طلبوا من العرب أن يبقوا في حيفا ، ووصفهم الخارجين للموقف اليهودي العام فقد ألغوا القوم على عاتق قادة العرب باتهامهم أنهم الذين حضوا على الجلاء وقد أثبت البحث الدقيق أن طلب اليهود من العرب البقاء في حيفا كان قد اتفق أن يبدأ به استثناء ، فضلا عن أنه كان مجرد دعاية بسد أن نجحت مصابات الإرهاب في إنعام عليها : الطرد بالإكراه وبعد أن بدأ الجلاء بالفعل .

إن السياسة العربية الإيجابية تجاه إجملاء الفلسطينيين العرب لم تتوثق ولم تؤيد بقوة قادرة على الدفاع بينما كانت التهديدات العربية ضد الجلاء حقيقة واقعة .

إننا لا نهد إلا شاهدين فقط كدليل على مسئولية العرب تجاه الجلاء ، وكشخصين مسئولين ، وقد استغل شهادتهما (أبا إيان) في خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة

أخير ، هذه الدولة وصفها بن جويرون أخيراً بأنها ليست هدفاً في ذاتها ولكنها وسيلة إلى الغاية الكبرى غاية الصهيونية .

• إن الهجرة المحدودة وتخريب الشعب اليهودي سوف لا يغير القدر وسوف لا ينفذ العهد التاريخي لنا ، إن الهجرة في أعداد ضخمة فزيرة ، هذا فقط ما تسمح به السيادة ولا بد أن تكون بدقة وفي حدود الإمكان للوجود الإسرائيلي ، هذا وحده هو الذي تصوخ به الهجرة ، إنها إذا لم تكن بدقة وبراعة لا يمكن الاستفادة بدعوة أكبر عدد من المهاجرين الذين يجب أن يكونوا مئات الآلاف . .

إن واجب الدولة أن تمنع نهاية النقي والاضطهاد الذي يماثيه اليهود . . ، وبالرغم من الاتجاه إلى تقسوية الفزعة الصهيونية والصفة الإسرائيلية في العالم اليهودي برضاة إسرائيل والمنظمات الصهيونية فقد كانت هناك مقاومة لهذه المرحلة من جانب غير الصهيونيين اليهود قائمة على أساس ومستندة إلى آمال واهية ونظرات قهية ، وكان فهم ذور الولاء العالمي وذور القدوة الواسعة في التعبير والتوضيح ، ولكن رجح أصحاب رأى التوسع في الهجرة بقصد التبادل والتوازن في الدولة الجديدة ، وبخاصة بالنسبة إلى ما اتفق أن يكون دولة للمرب طبعا لشروع التقسيم .

التي تعرض على القرى العربية بسبب جرائم يرتكبها أفراد .

وباختصار : نظام الطبقة الثانية من المواطنين الذي يصور هبوط أصحاب البلد ملاك الأرض الأصليين إلى مجموعة من الأدلاء المنحطين ليشير عليهم شعب آخر ويصور اضطهاد جلس من الناس ويجهلهم في قرع دائم من غرائهم المنتصرين عليهم . هنصر السادة الإسرائيليين . .

وقد برز بن جويرون هذه السياسة تجاه الأقلية العربية ودافع عن هذا الموقف بأن نسب هذا الوضع إلى ما سماه « الخوض التلقائي العاطفي » .

وفسره . بأن حرب فلسطين مع الشعوب المجاورة لم ذوو طابع عاطفي ينطوي على الخوض للأغلبية التي يمتد إليها ، ثم قال « إن كل يهودي سواء كان ماركسيا أو غير ماركسي يعتبر نفسه فرداً من العنصر المختار ويعتبر العرب شعباً أدنى منه . .

وحينما أقيمت إسرائيل فعلا واستقرت ، ظلت المعارضة قائمة مع جيرانها ، وكانت المرحلة الثانية للصهيونية وهي « الاكتفاء الذاتي قد بدأت . .

والدولة التي كانوا قد أنكروا أن تكون هدفاً في أول الأمر ثم حادوا لجلوها كهدف

إلى جميع الأجانب ويحرم هذا الإنذار قولهم
« إنا ، وبخاصة حكومتنا ، يجب أن نوقف
هذه التعبيرات : التحرير والاسترداد . . . »

مع سراحة كل تلك الأجزاء لأرض إسرائيل
التي هي خارج حدود دولة إسرائيل . لقد
رأى العرب في حملة سيناء شاهدا جديدا على
أخلاق وطبيعة إسرائيل وبالرغم من أن
إسرائيل استعرضت قواتها العسكرية فقد
برهنت في عام ١٩٥٦ كما برهنت في عام ١٩٤٨
على أنه بموجب القوة سوف تكون قادرة
على علاج قبول العرب للأمر الواقع . »

ولسوء الظروف أو لنقص المعدات
المسلحة لدى العرب بالنسبة لما لدى
الصهيونية فإن نظام المقاطعة الذي أشار به
(هرزل) ونفذ خلفاؤه إلى الشرق الأدنى
في بداية القرن الحالي كوسيلة لإجلاء العرب
الفلسطينيين عند انعدام وسائل القوة الخاصة
التي يمكن أن تستغل ، هذه المقاطعة تستعمل
الآن على يد الدول العربية بالعكس كسلاح
ضد إسرائيل ، وفي بناء الصهيونية لهولتهم
نجحوا في خلق حقيقة واقعة من القوة ولكنها
لم تقبل كحقيقة كاملة .

ولقد تأكد لدى العرب أن أية مواقعة
من جانبهم سوف تكون أداة في يد الصهيونية
لتهد بها الطريق إلى حقيقة تالية من حقائق
القوة .

أصحاب هذا الرأي كان لم تعبّر دس
في نفس اللحظة التي أعلن فيها قيام إسرائيل
كدولة مستقلة .

وفي وقتنا الحاضر فإن الترجمة الحاطة
إلى اللغة العربية لما يحمله التعبير في النص
البري الأصل يعني الحقيقة عن أعين العالم
الخارجي .

وبعد وقف القتال مع الدول العربية
المجاورة في ١٩٤٩ ، صدرت تصريحات
توسعية جديدة تكشف لهذه الدول ما يمكن
أن توقعه بالرغم من وقف القتال ، هذه
التصريحات لم تكن قاصرة على حزب
حيروت - الحزب البرلماني السياسي الذي
تحوّلت إليه منظمة الأرجون ذاتها .

وطبقا لتصريحات بن جوريون رئيس
الوزراء في كتاب حكومة إسرائيل السنوي
١٩٥١ - ١٩٥٢ ، إن اليهود يملكون الآن
جزءا من أرضهم . . .

وفي الكتاب السنوي سنة ١٩٥٥ ، إنه
ليس هناك من سبيل لتخلص من التفكير
البعيد في أرض إسرائيل التاريخية . . .

وحينما احتلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء
وروصلت إلى قناة السويس صرح بن جوريون
« إن حدود أرض مصر لم تنتهك على يد
الجيش الإسرائيلي ، »

وبعد هذه الفأرة وجه اليهود إنذارا

أخرى بإرادتها في مجالها أو على حدودها .
إن الصهيونية التي حولت المجتمع اليهودي
عن بيئته إلى تبة كل قراء من أجل حقائق
جديدة من القسطنطينية والعدوان ستؤدي إلى
كوارث متناهية في الشرق الأدنى .

إن الصهيونية التي تنادي بالسلام هي
في طبيعتها تهدد السلام بالخطر .

إن هرتزل هذا الذي صور الصهيونية
كجاءة في سبيل السلام ومن أجل هدف
يمكن لآله من الأفضل أن يعملوا بعيداً
في أرض قديمة من أن يستقروا في حدود
جديدة بين الناس ، قال : (إن الآخرة
العالمية ليست شيئاً ، وليست حلاً جليلاً ،
إن المداواة هي المداواة خطأ بأغلى المجهود
الإنسانية) .

وبعد : فإن نقبوات هرتزل وأحلامه قد
تحقق ، وإسرائيل ليس لديها نقص
في المداوات ولأجل المزمع الصحيح لتطور
مشكلة فلسطين في المستقبل ، ومن أجل وبطلها
يجل يستهدف السلام الحقيقي ؛ فإنه من
الضروري أن نتذكر : كيف صنعت إسرائيل
هذه المداوات ؟

تمت

ترجمة : محمد حاتم الدين
مجمع البحوث الإسلامية

لقد كتب هرتزل في (نظريته) بالنسبة
للدول التي أمل أن يكسب موافقتها
لاستقرار اليهودية في كنفها : (إن واحداً
من أهم الامتيازات التي لا بد أن يمنحونا
إياها هو السلاح بأن يكون لنا قوة حماية .

وفي البداية سوف نحتاج لإفهم ومساعدتهم
وبالتدريج سنصبح أكثر قوة وسنضع
كل شيء نحتاجه وسنكون قادرين أن نتحدى
كل كائن) .

هذا دليل واضح على أن عبارة (ما نحتاجه)
في مرحلة التحقيق والإيجاد الدافق للصهيونية
والتي ابتدأت الآن لا تعني كل شيء بعد .

إن الحقيقة حول مشكلة فلسطين تتركز
في تتابع حقائق تاريخية في سلسلة من الأفعال
ورود الأفعال خلقت واستمرت في خلق
هذه الحقائق ثم في قيادة ودفع القوة بعدها .
هذه الحقيقة برضت على أن العرب حين قادوا
القوات لم يكن ذلك صادراً عن روح عدوانية
أو طبيعة كراهية وهداء تجاه اليهود ولكن
من دافع أساسي هو (المحافظة على الذات)
لأنهم كانوا يدعون دائماً كفواهم بمجموعة
في رأي الصهيونية التي لم تكن تبحث عن
الحل في تعاون حقيق معهم .

ولكن بأن تبقى في قلب العالم العربي وضعاً
يعتمد على القوة في غاياته التوسعية ويقف
فاصلاً بين الأمة العربية - وضعاً لا تقبله أمة

الأسرة بين الشريعة الإسلامية والميثاق

للاستاذ محمد إبراهيم عبد الرحمن

وكي نناقش هذه العبارة نسأل هذه الأسئلة :
ما المراد بالمساواة ؟ وما المجالات التي يمكن
أن تطبق فيها هذه المساواة ؟ وما هي التوفيق
بين الشريعة والميثاق ؟

المرأة - في نظر الإسلام - كالرجل من
حيث مسئوليتها مسئولية كاملة مما تل من
أمر ؛ فهي مسئلة عما تبأشر من شئون
الأسرة ، وهو مسئول عما يديره من عمل ؛
الرجل في بيته راع وهو مسئول عن وعيته
والمرأة في بيتها راعية وهي مسئلة عن
وعيتها ، وقال تعالى : « وقل احملوا نسيبي
الله حملكم ورسوله والمؤمنون ... » (١) .

وقد عرف عنها منذ فجر الإسلام تحملها
لمسئوليتها كاملة ، وقرنها إلى جانب الرجل
عبءة ومثيرة ؛ فكانت خديجة بنت خويلد
- رضي الله عنها - تدفع النبي عليه السلام
برأيها ، وجهدها لينهض بسبب الرسالة ،
ويحدثنا التاريخ وكتب السهر بأنه عليه
السلام كان يفرغ بين زوجاته للخروج بإحداهن
في الغزوات ، وكان - عليهن الرضوان -
حريصات على شهودها إلى جوار النبي الكريم .
وقول الربيع بنه مموذ : « كنا نفرز مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففسق الجيش ،
ونظروا الطعام ، ونأمر الجراح .

(١) سورة التوبة .

يعتبر اهتمام الميثاق بالطفولة صافمة المستقبل
هو نفس اهتمام الإسلام بها وفي حديث الرسول
عليه السلام ، وكلام الصحابة طابيد وجوب
العناية بالطفل وتوجيهه إلى ما ينفعه ؛ علوا
أولادكم السباحة والرمية ، والثوب على الخيل
ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
موصياً بالأولاد : « أقرئهم القرآن ، ودوهم
الشمس » .

فثل هذه النصوص ، وغيرها كثير ، تدعو
إلى تعليم الطفل الفروسية ، وأساليب الحرب ،
وتسديد الهدف ، إلى جانب تنشئتهم فقهية
أدبية ، بمرانهم على القول الجيد ، وإعدادهم
إعداداً طيباً لمجابهة الحياة التي سيحيونها .

ولعمري إن هذا هو روح الميثاق الذي
يدعو إلى توفير كل ما يلزم العناية بالطفل ،
 وإعداده للمسئولية الخطيرة التي ستواجهه
في المستقبل القريب ، حتى ينهض بها على خير
الرجوه ، ويقود البلاد بنجاح تام .

المساواة بين الرجل والمرأة :

وقد نادى الميثاق بالمساواة بين الرجل
والمرأة حين قال : إن المرأة لا بد أن تقامري
بالرجل ، ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التي
تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك
بعق وإيجابية في صنع الحياة .

التي تعرض طريق قدسها ، وتفتحها والقيام
بوظائفها الطبيعية .

حقيقة إن هنالك أعمالاً شاقة ، وبعض
مجالات العمل لا يمكن اقتحامها ، ومن
صالحها وصالح المجتمع أن تظل بمنأى عنها .
نقاط المرأة في الإسلام :

والدين الإسلامي يدعو المرأة إلى العمل ،
ويفرض عليها التتيف ، ولا يمنعها من
المشاركة الجادة في توجيه سياسة الأمة ،
مادامت أعمالها تلك ، مسلحة بالروح والفكر
والخلق الفاضل ، والدرجة الكاملة وفي السنة
الشريفة والكتاب الكريم ، ما يدير إل
ذلك صراحة ، وتليها ، وفي سحر فطريات
المسلمات غناء أي غناء .

فالقرآن يدعو إلى العمل في قوله : « وقل
أهلوا نسيري الله حملكم ورسوله المؤمنين .
وفي قوله : « كل نفس بما كسبت رهينة » .
والرسول يدعو إلى تتيفها وتعليمها : طلب
العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (اتقوا الله
في الضعيفين : المرأة واليتيم) ، وليس أدل
على تقوى الله سبحانه من معاملة المرأة معاملة
كريمة ، تبذل في توجيهها إلى ما ينفعها
كالعلم ، والحريه .

أساس القرابة في الأسرة :

على أي أساس تقوم القرابة بين أفراد
الأسرة ؟ وإلى أي الوالدين يقسب المولود ؟
من البعث أن نلتصق الإجابة عن هذين

وكانت حافزة بنو الصديق رضي الله عنهما
تشترك في الفتيا ، وتدل برأيها في كثير من
مسائل الدين .

وليس أدل على مساواة المرأة بالرجل
في مجال الأثرى ومجال العمل من هذه النصوص
وتلك الأخبار .

حقيقة إن المرأة تختلف عن الرجل في كثير
من الصفات الجسمية ، والنفسية ، ولا يعقل
أن ينادى الميثاق بهذه المساواة غير الطبيعية
بين كلا النوعين ، كما لا يمكن أن يساوى
الدين بينهما فيما من شأنه أن يختلف فيه ، لأنه
اختلاف من صنع الله .

إن معظم الأعمال التي تولتها المرأة ،
وتفوق فيها كانت تناسب مع وظائفها
الطبيعية ، واستعدادها الفطري ، والنفسي ،
فمثل مبادر التاريخ لم نرها قائد عسكري
ناجحة ، أو قاضية بين خصمين ، وإنما
مكانتها الطبيعي مؤاودة الرجل ، والوقوف
إلى جانبه ، أو من دوائه . ولعل هذا راجع
إلى ما في طبيعة الأنثى - عادة - من ضعف
وقلة استعداد لمواجهة المواقف الحرجة ،
وسيطرة العاطفة عليها في كثير من الشؤون .

لحين ينادى الميثاق بتعظيم الأغلال التي
تعوقها عن الحركة الحرة لا بقصد إعطائها
ما ليست له أهلاً ، ولا تقليد ما من الوظائف
ما يتنافى طبيعتها الرقيقة ، وإنما يقصد تيسير
السبل ، وتذليل الصعاب ، والإطاحة بالتقاليد

وحدثت عاتقة رضى الله عنها أنه أهدى للرسول صلى الله عليه وسلم هدية فيها قلادة من جرح فقال: لأهديها إلى أحب أهل إلى . فقالت النساء: ذهب بها ابنة أبي قحافة . ولشد ما دهش الجميع حين دعا عليه الصلاة والسلام (أمامة) بنت زينب (ابنته) فأخلق القلادة في عنقها .

وهذا الأفرح بن سابس - سيد قومه - يقول للرسول صلى الله عليه وسلم حين رآه يقبل حفيديه الحسن والحسين - يا رسول الله إلهى حشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم . فقال عليه الصلاة والسلام: وماذا أفضل إذا كان الله قد نزع الرحمة من قلبك ؟

هذه الرابطة غريزية عند بني الإنسان - ولو كره علماء الاجتماع - لأنها غريزة حب البقاء وغلود النوع ، وامتداد الإنسان بعه فئاته في الأولاد والأحفاد .

صحيح أن هناك خلافا بين نسبة الولد إلى أبيه ، أو أمه ، أو إليهما معا ، ويرجع ذلك إلى وجهة نظر كل فريق في تكوين الأسرة . رأى الشريعة الإسلامية في نسبة الولد إلى أى الأبوين :

وقد ارتضت الشريعة الإسلامية قرابة الأبوين مع ترجيح قرابة الأب ، ويظهر أثر هذا الترجيح في كثير من الحقوق ، والواجبات المتعلقة بالميراث ، والنفقة ، والديات . وعلى هذا النظام تسير الآن جميع

السؤالين في الميثاق ، لأن الميثاق لم يتعرض لنشأة الأسرة ، ولا للعلاقة بين الرجل والمرأة في ظل الحياة الزوجية ، ولا يضره أن يهمل ذلك ، إذ هو ليس كتاب اجتماع أو فقه ، إنما هو خطة عمل ، ومنهج إصلاح لفترة من الزمان في تاريخ شعبنا العظيم .

ولكن يمكن الإجابة على هذين السؤالين ونحوهما من الأسئلة الدائرة حول محور القرابة في الأسرة من خلال كتب السنة والفقه والقرآن الكريم ، كما أنه لا بد من التمسك بنشأة الأسرة في بداية تكوينها بغض النظر عن رأى علماء الاجتماع في تعريف معنى الأسرة قديما وحديثا ، وتطور هذا المعنى على مر الأجيال في مختلف الأمم والشعوب ، فالأسرة تقوم في أساسها الأول على الترابط بين الرجل والمرأة ، وهذا الترابط تهذب على مر العصور حتى أصبح بطريقة مشروعة حددتها الديانات السماوية ، لاسيما الديانة الإسلامية التي ورثت ديانات السماء ، فكافت عامة لجميع الناس ، صالحة لكل زمان ومكان . وإذا فحور القرابة في الأسرة هو وحده النسب الذى يجرى في المروق من الأبوين إلى أولادهما ، حتى لقد قال الرسول عليه السلام مبينا هذه الصلة الخالدة في بعض مواقفه المشهورة : فاطمة منى ، وأنا من فاطمة ، ما يؤذيها يؤذي ، وما يرضيها يرضيني وقوله وحسين منى ، وأنا من حسين .

الإنسان بغير هذه السبل المشروعة ، فهو يتكرر تلك العلاقات التي تقوم بين النوعين في معظم بلاد الغرب ، الأمر الذي يؤدي له الجبن الشريف ، وترتفع له الفضيلة .

ذلك أن الإسلام لا يعرف نظام الخلية أو العشقة ، ولا الأركان المظلمة التي تنتشر بكثرة في غير بلاد الإسلام .

ولو أتيح للرأفة الغربية أن تطلع على نظام الزواج في الإسلام ، وهو أمر مستمره ، والميزات التي تتمتع بها المسلمة المزدوجة لو أتيح لها ذلك لرنت لحالها . ولدت نفسها ذليلة لا حرة ، ومهددة لا ممتدة .

الغرض من الزواج :

وليس الغرض منه إشباع حاجة الجنس لحسب ، بل هناك مقاصد نبيلة هدف إليها الدين حين دعا إليه ، ومن تلك المقاصد استمرار الندية التي يحرص عليها كل رجل وكل امرأة ، وتأكيد الصلات بين الأسرة وزيادة الترابط بين الجماعات ، ووجوب المؤازرة والمناصرة بين العائلات كما هو الحال في معظم زيجات الرسول عليه السلام ، ومن أغراضه كذلك إراحة القلب ، وتقويته على العبادة كما يقول الإمام الغزالي في كتابه (الإحياء) .

حكم الزواج :

والزواج قد يكون واجبا ، وقد يكون سنة ، وقد يكون أدخل في باب التحريم في بعض الحالات ، وهذا الاختلاف في الحكم مرجعه حال الزوج الصحية ، ومقدوره

أمر الإسلام ، وهو الأدق عقلا ، والأدب طبيعة ، لأن قرابة الأب هي قرابة العصب قرابة التضامن الأخرى ، قرابة الميراث وتحمل المسئوليات حيال سائر أفراد الأسرة .

صحح أن العربي كان ينسب إلى أمه أو قبيلتها في بعض الأحيان كما ينسب إلى أبيه أو قبيلته دون شعور بمحنة أو حصة ، سواء في ذلك موقف التواضع أو موقف المفاخرة والمناجزة والتعالي على الخصوم ، فهذا النبي عليه السلام يقول لبعض الأعراب : «أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة ، لكني هون على الأعرابي ما شعر به من ضالة نفس في حضرة النبي ، وهذا معاوية بن أبي سفيان يفخر بنسبه إلى أمه عند ، وكان الثمراء يمدحونه بذلك في الرد على الإمام علي كرم الله وجهه والمتنقيين له ولا يتعرج بهذه النسبة حين يقول شاعره :

وقلوا : علي إمام لنا
فقلنا : رضينا ابن هند رضينا الزواج :

هو العقد الذي يجمع بين الرجل والمرأة في بيت واحد بطريقة مشروعة ليستمتع كل منهما بالآخر ، دون توجس من أعين الرقباء أو ثوردة من المجتمع ، أو هو الرباط المقدس الذي حرصت الشريعة الإسلامية على استمراره وسنته له من النظم والضمانات ما يكفل تحقيق الغرض من شرعيته ولم يقر الإسلام أية علاقة بين الذكر والأنثى من

إن الدين هو أهم العوامل في استمرار الحياة الزوجية ، وهو أحسن المرغبات في النكاح ، ويعتبر الإسلام خير الأديان .

وقد أباح الإسلام للسلم الزوج من المسئلة أو الكتائية المتدنية ، بل دعا إلى ذلك في حديثه . تنكح المرأة لأربع لمالها ، ولحسنها ولجمالها ولدينها ، فاطفر بذات الدين تربط يداك ، والحديث دعوة صريحة إلى وجوب الحرص على الزواج من ذات الدين السامى المعترف به ، لأنها أحرص على استمرار هذا الرباط المقدس ، وأدعى لحقوق الزوج ، وأشفق على تربية الأبناء بوازع من دينها كما أن الحديث لم يفرق بين المسئلة والكتائية مادامت ذات دين في إثباتها بالزواج دون ذات المال ، أو الحسب ، أو الجمال ، وإن كانت المسئلة أولى بالإيثارة من المسيحية أو اليهودية .

وبهذا يكمل الأسرة أسباب الاستقرار النفسى ، وتصبح بمن خلية حية من خلايا الأمة ، ولينة متينة في بنيانها .

(ب) قوامه الرجل على المرأة :

ومن عوامل استمرار الحياة الزوجية في إطار من المحبة ، والوفق اعتراف المرأة بقوامه الرجل عليها ، وقد اختص الدين الإسلامى الرجل بهذه القوامه تكميا مع الواقع ؛ فالزوجة في بيت الزوج ، وهو سيد البيت ، والعائل لمن فيه ، وبخاصة الزوجة ولأن القوامه لها معنى الحاية ، والقيادة ،

المالية ، وسلوكه في المجتمع ؛ فإذا كان صحيح الجسم قادرا على الإلتحاق ، وعلى مطالب الحياة الزوجية ، وكان يحنى على نفسه من التردى في حماة الرذيلة فالزواج واجب عليه ، ولعل هذا هو ما يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، بامتنع الثياب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . فإن المراد (بالباءة) المقدرة المالية ، والطاقة النورية ، وهما أمران يتوقف عليهما سعادة الزوجين .

أما إذا كان الإنسان قادرا على نفقات الزواج وتحقيق مقاصده ، ولا يحنى على نفسه الولي ، والوقوع في المعاصى فزواجه سنة لأن له من دينه ، وخلفه ، ما يمنعه من التردى في مهاوى الرذيلة ، وإن كان الأحسن الزواج لما فيه من الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : فني وضب عن سقى فليس منى . فضلا على الانجاب الذى هو المقصد الأهم من الزواج ، ولأن الإسلام لا يحب الرهبة التى يدعو إليها المسيحيون ، ويعتبرونها قمة العبادة إلى الله .

عوامل استمرار الزواج :

ولقداسة رابطة الزواج ، وضمان استمرارها أحاطها الدين الإسلامى بعوامل عدة ، حتى يكفل لهذه الرابطة أن تستمر وثمر الخير ، والفضيلة ، وتماصك الأسرة وحدهم تأثرها بالآزمات والأعاصير . ومن هذه العوامل ما يأتي .

(١) الدين

وفكرة هذه المسكاتب، على العموم فكرة تقديمية تقتضيها طبيعة العصر، واستخدام الأساليب العلمية في مناحي حياتنا، والاعتماد بأسباب الوقاية قبل محاولة العلاج.

(د) أداء كل من الزوجين واجباتهما :

ومن ثافة القول الإشارة إلى هذا العامل المهم في سير قضية الحياة الزوجية بعيدة عن العواصف الهوج التي تعرضها للاخطار، أو الدمار، وذلك بأداء كل من الزوجين واجباتهما فظهر ما ينتفع به من حقوق، ولعل قوله عليه الصلاة والسلام «اتقوا الله في الضعيفين» المرأة والعبد، ما يوحى بالمعاملة الطيبة، ويلزم الرجل بمرافقة الله سبحانه في معاملة زوجته. وبهذا تطمئن الزوجة إلى زوجها، وتخلص له، وتمنحه الراحة التي تزيد الكرم، وتروح عن القلب.

أما الزوجة فعليها أن تكون بحيث يرضاها زوجها، طاعة، واحتراما، وتقانيا في أداء واجباتها نحوه، كالناية به، وتبينة الجور المريج له، والمحافظة على مظهرها والرياسة له، والصيانة لشرها وهرضا.

وبهذه العوامل التي أسلفنا الإشارة إليها، وبمراعاة تحفظها بحاط الزواج يسياج منها، ويرجى له الاستمرار والنوام، وتحقيق الأغراض التي من أجلها شرعه الله بين الذكر والأنثى من بني الإنسان ؟

محمد إبراهيم عبد الرحمن

وما إن الصفاتان يلزمهما قسوة الجسم والاستعداد البذل، والتمسك بالعقل، وتقديرا سلبيا بعيدا عن حدة العاطفة، وهذه أمور تقتضيها المرأة في جملة ما اختصاصه بالقوام دون المرأة واجمع إلى استعداده الطبيعي، وإلى امتيازها في مقومات القيادة والحياة. والقرآن الكريم يوضح هذا الحق معللا له خير تعليل، وذلك حين يقول في سورة النساء «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما آتوا من أموالهم، فالصالحات قانتات، حافظات للغيب بما حفظ الله».

ولعل في هذا الجزء الأخير ما يشير إلى سلوك المرأة الصالحة حيال قوام الرجل عليها. فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

ولا تجد رجلا على خلق كريم يستغل هذا الحق استغلالا سيئا، أو يستعده في هير موضعه، لأن القوام في يده صلاح للوقاية، أو صمام أمن للحياة الزوجية.

(ج) مكاتب الكشف على رغبة الزواج

وقد أحسن حكومة الثورة الرشيدة صنما حين فتحت مكاتب في بعض المدن الكبرى للكشف على الراغبين في الزواج. هل أن المجتمع قد يكون من مقاصده بفتح هذه المسكاتب بالجمان هو حماية نفسه من إغجاب غير صالح للبقاء، أو للإنتاج، لتفويده، أو ضعفه، أو قصه.

ما يقال عن الإسلام

الإسلام والعلاقات الدولية

للدكتور أحمد فؤاد الإهوائى

اللفة العربية ، وهو بفعل الآن منصب رئيس الدراسات الشرقية بـ(مارفارد) . وقد افتتح الحلقة يبحث عن الدين والسياسة في المسيحية والإسلام ، جاء فيه فيما يختص بمصر واتجاهها نحو القومية العربية ، ومدى الصلة بين القومية العربية والإسلام ، ما نصه : « إن موقف الإسلام التقليدي من الحكم لا يزال ذا أثر كبير حتى داخل القومية العربية . وهذا أحد العوامل التي يقوم عليها نجاح الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو ما أظنه يدرك إدراكاً تاماً ، ويعمل حساباً . وإذا نظر المرء إلى جمال على أنه مجرد رجل قوى سرحي هو محبوب الشعب ، فإنما يرى فيه المظهر الخارجي دون أن يلح قوته الباطنة وفي أقاليم الأخيرة من الاشتراكية العربية ، أعلن أنه لا يبنى سياسته على أساس من فلسفة الزعامية المستمدة من الغرب فقط ، بل يصل هذه الفلسفة كذلك بالأفكار الإسلامية عن العدالة الاجتماعية (ص ١٩) »

ويبدو أن العلاقة بين القومية العربية

العلاقات الدولية مع الدول الإسلامية في الوقت الحاضر لها أهمية كبرى ، ذلك أن الدول الإسلامية تمتد من أقصى المحيط الأطلس غرباً إلى أقصى المحيط الهادئ شرقاً ، من المغرب إلى أندونيسيا ، وإلى جانب ذلك هناك دول ليست إسلامية ولكن فيها نسبة كبيرة من المسلمين . من أجل هذا حظت الدول العربية والشرقية على السواء بفهم حقيقة هذه الدول الإسلامية ، ومعرفة الأصول الدينية التي تقوم عليها ، حتى يتيسر التعامل معها وإقامة العلاقات الدولية وإياها . ومنذ أعوام ثلاثة عقدت جامعة (ديوك) بالولايات المتحدة الأمريكية حلقة بحث من الأساتذة المعتقلين بالإسلاميات ، المناقشة مدى تأثير السياسة المحاصرة بالإسلام ، ثم نشرت البحوث في كتاب بعنوان : « العلاقات الدولية والإسلام » ، صدر في سنة ١٩٩٥ . ومعظم أصحاب هذه الأبحاث معروفون في العالم العربي . فالأستاذ (جب) رئيس الندوة مستشرق مشهور ، وهو إلى ذلك عضو بمجمع

وانخذ هذا الحياد مع تطور الأحداث أشكالا مختلفة مريبة .

وزع الأستاذ فايز الدول الإسلامية إلى دول إسلامية عربية ، هي أعضاء في جامعة الدول العربية ، ثم إسلامية أسبوية غير عربية ، وإفريقية غير عربية ، ودول أخرى ولنا على تقسيمه الدول العربية بضعة ملاحظات : أولاً اعتباره لبنان دولة غير إسلامية ، وهذا ما يقول به المسيحيون دون رجوع إلى إحصاء ، والامر على كل حال موضع أخذ ورد . والملاحظة الثانية اعتباره الأردن وليبيا والسعودية دولاً غير حيادية أى منحازة إلى الغرب . أما ليبيا فالذى نعرفه أنها جامدت حتى تخلصت من القواعد البريطانية ، وبذلك تم لها الحياد ، والأردن لم يعلن أنه محايد أو غير محايد ، ولكنه مضطر إلى الحياد بحكم مؤازرة أمريكا وانجلترا لإسرائيل ، وموقفها من إسرائيل لا يمكن أن تتجاهله ، وهو مضطر إلى التمسك مع دول الجامعة العربية في سياستها الحيادية . والدليل عندنا على حياده أنه لم يرتبط بالأحلاف الغربية حتى أيام حلف بغداد .

النتيجة التي انتهى إليها الكاتب هي أن الإسلام لا صلة له بالحياد ، لأن السياسة الخارجية لبعض الدول الإسلامية حيادية ، وبعضها الآخر غير حيادي ، وأن الإسلام

والإسلام هي المشكلة التي اجتهد أصحاب الحق في حلها على أساس موضوعي . وقد اختلفت حولها الآراء ، كالحال تماماً عند المهكرين العرب . ذلك أن الدول العربية من المحيط إلى الخليج ، وهي التي تتميز بأن لغتها هي العربية ، تدن كذلك بالإسلام ، بحيث يمكن القول : إن العربية والإسلام عنوان لا يفترقان .

وفي مقال عن الشيوعية والإسلام ، يذهب صاحبه إلى أن هناك مدرستين إحداهما تقول : إن الإسلام بالطبع لا يتفق مع الشيوعية التي لا تؤمن بالآديان . والمدرسة الثانية تقرر وجود نوع من التقارب بينهما . وقد عالج الكاتب الموضوع على أساس تاريخي منذ ظهور الثورة الشيوعية ، وعلاقتها بالدولتين الإسلاميتين تركيا وإيران ، وصلتها خاصة بكال أتاتورك . وقد أشار الكاتب كذلك إلى شراء مصر الأسلحة من روسيا سنة ١٩٥٥ ومساعدتها في بناء السد العالي بعد ذلك ، دون أن يعلق على هذه الحوادث التي ينظر إليها تاريخياً لا مذهبياً . ويبدو أن الكاتب لم يطلع على مناقشة الرئيس جمال لهذا الموضوع في أكثر من مناسبة ، حين وضع الفرق بين الشيوعية وبين الاشتراكية العربية .

ونود أن ننوه بالمقال العميق الذي كتبه الأستاذ فايز صايغ عن (الإسلام والحياد) تلك السياسة التي تبناها وزعمها جمال عبد الناصر

وفي الأول هدم الإسلام بالمادية ، وفي الثانية القضاء عليه بالثقافة الغربية .

وقد اضطرت الدول العربية ، منذ القرن التاسع عشر إلى المساواة باتجاه خطوات الإصلاح الاجتماعي على يد الاتفاقى ومحمد عبده ، وإقبال وفي الوقت الحاضر بالاشتراكية العربية ، التي توفق بين القومية والدين .

ولنا على مقال الأستاذ دودج ملاحظة عامة بما سماه التجديد أو المودرنزم ، في الفقه والدين والتعليم وغير ذلك ، وبما لا شك فيه أن مظاهر الحياة الإسلامية تطورت وتغيرت وتجددت بسرعة سرية ، ولكن ذلك في المظهر فقط ، أما أصول الدين والعبادات فلا يمكن أن يتناولها التغيير ، وإلا انحرف الدين نفسه ، ولذلك فإن ما نروه (في صفحة ١٠٨) من أن ، المتعلمين من أبناء الجيل الحديث لا ينظرون إلى العبادات على أنها مهمة ، وأنهم يكرهون هذه الحركات البدنية التي تؤدي في الصلاة ، لا يصور الواقع ، حقا هناك بعض المستهترين بل الملاحدة ، ولكنهم قلة وشذاذ ، وليس وجودهم دليلا على تغير الإسلام ، وهؤلاء كانوا موجودين دائما منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، ثم إن الصلاة في الإسلام لها أركان لا تصح إلّا بها ، من وضوء ونية ودكوع وسجود وقراءة ما ينس من القرآن إلى غير ذلك ، وكذلك في المسيحية طقوس وأسرار لا يكون المسيحي مسيحيا

دينا - لا يوجه السياسة الخارجية للدول الإسلامية في الوقت الحاضر .

والأستاذ (بيار دودج) معروف جيدا في الجمهورية العربية المتحدة ، إذ كان في وقت من الأوقات مدير الجامعة الأمريكية بها ، وهو يعرف اللغة العربية واختص بدراسة الأزهر وتاريخه ، وعاش طويلا في الشرق إن في مصر أو لبنان ، والموضح الذي طالجه هو : الدين والقومية العربية ، عرضة تاريخيا منذ ظهور الإسلام حتى صلاح الدين الأيوبي ، الذي ولو أنه كان مسلما إلا أنه من أصل كردي لا عربي ، وعندما غزا لويس التاسع مصر ، آخر العرب في مصر ، حكم المماليك على حكم ملك مسيحي ، فقاتلوا جيشه ، وهزم الملك وأسر ، وكذلك الحال عندما جاء نابليون إلى مصر ، وزعم أنه حامي الإسلام ، ومع ذلك لم يستطع أن يبقى سوى ثلاث سنوات ، وهكذا كانت الصلة بين الإسلام والمروبة قربة أيام نابليون كما كانت أيام لويس .

كان ذلك في الماضي ، أما في الوقت الحاضر وفي المستقبل ، فإن كثيرا من المؤرخين المحدثين يرون أن الصلة بين الإسلام والقومية العربية لن تستمر طويلا ، ويرجع هذا الانقصال إلى أمرين : الأول : الانفصال الواضح بين الدين السلفي وبين الانحاء المدني لحكام الدول ، والأمر الثاني : الاختيار بين شيوعية الشرق ومسيحية الغرب واستثماره

وقد أشار الكاتب إلى بعض المفكرين المصريين، ومنهم الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الأهرام (١٩٤٢)، الذي يقول عنه: إنه أكثر الأزهريين تطرفاً في القول بأن ثورة ناصر ستكون مرادفة بخلعاً لثوب المجتمع العربي الإسلامي، وإعادة مجد الإسلام وقوته. إن يوسع المجال لمرض المثاليين الأخويين من أثر الإسلام في الدول الإفريقية، وعن الجامعة الإسلامية في العالم الحديث. ونود القول: إنه على الرغم من اختلافنا مع الباحثين في بعض آرائهم، إلا أن المجهود المبذول، والبحث العميق، والتحرى الدقيق، كل ذلك يستحق التشويه، ومنه يتضح أن سياسة الغرب تجاه الدول العربية والإسلامية لا تجري مع الهوى جوازاً، بل نتيجة البحث الموضوعي، وتحليل الأمم الإسلامية إلى عناصرها المكونة لها. وبهذا التحليل الواهي يفسر الغرب وضع السياسة التي تحقق أغراضه، ونجعله ينجح في تحقيقها.

وجدير بنا أن نتدبر هذه المباحث، ونقفان إلى المقصود منها، وأن فعلنا على حفظ تراثنا الإسلامي، وإعادة مجده، ونفض طاعن به من تقاليد بالية جامدة، وأن ندير بهذا الميراث القيم التي هي روح الأمة العربية بما يتفق مع حاجات مجتمع القرن العشرين.

أحمد فوزي وهشواتي

إلا بأنناها، المهم إلا إذا خرج عن دينه وأصبح لا دينياً أو حر الفكر أو ملحداً. اختتم الأستاذ دروج مقاله بأن الإسلام والقومية العربية ارتباطاً منذ ظهور محمد حتى اليوم ارتباطاً وثيقاً، وسيظل الدين يلعب دوراً هاماً في القومية مستقبلاً، ونحن نوافق على ذلك كل الموافقة.

ومن هذا المقال تنتقل إلى بحث آخر عن الإسلام وسياسة مصر الخارجية، يستهله صاحبه بقوله: «مع أن الرئيس جمال عبد الناصر يبدو أنه يحاول استبدال الاشتراكية الشيوعية بالأساس الإسلامي لشخصية مصر العربية، إلا أن مركز مصر التاريخي في العالم الإسلامي لا يزال حاسماً من الناحية الثقافية والسياسية، عندما نل نظر إلى الدور الذي يلعبه الإسلام في السياسة الخارجية والداخلية». وقد رجع صاحب المقال إلى خطاب الرئيس قبل الميثاق، وإلى الميثاق نفسه، كما ناقش آراء المفكرين المصريين حول علاقة الإسلام بالقومية العربية، وهل هما منفصلان أم متصلان. يقول الكاتب (ص ١٣٣): إن وحدة العرب في نظر عبد الناصر ترجع إلى أمور أربعة^(١)، تحرر الدول العربية حديثاً عن الاستعمار الأجنبي^(٢)، وعيها في التجديد اقتصادياً واجتماعياً^(٣)، تطعيمها نحو الوحدة^(٤)، الإيمان بالإسلام، وقد نسي الكاتب أن يضيف إلى هذا كله وحدة اللغة ووحدة التاريخ والأمل.

الكتاب

للأستاذ : تحسين عبدالحق

المصنوع والمطهر

في غرب إفريقيا

تأليف : الدكتور عبد الرحمن زكي

تخصص لهم ، ويحضر الرجل الأبيض صاحب الصناعة أو قفلاح الأوربي أو سيده المنزل ، إلى هذه الحظائر والمسكرات لينتاروا منهم من يشاءون لاستخدامهم في المصانع أو المنازل أو الحقول ، أما في المدن فعلى الرغم من الحاجة إلى أيديهم فإنه لا يسمح لهم بالبقاء فيها ، وإذا قدر لأي إنسان أن يزور اتحاد جنوب إفريقيا أو روديسيا راعه ما يشاهده في الحدائق الصامتة ومداخل المدن وعطبات السكك الحديدية والقطارات والسيارات العامة .. الخ ، حيث يرى في هذه الأماكن لافتات كتب عليها : غير مسموح للإفريقيين ولا للكلاب ، ولن تلقى إفريقيا قطائع الاستثمارين البلجيكيين في الكونغو ويكنى أن تذكر على سبيل المثال أنه في خلال حكم (ليوبولد) قتل ما يقرب من ثمانية ملايين إفريقي ، قتلهم الإداريون الأوربيون الذين كانوا يسحبون من العاج والمطاط ، ولقد كان الإفريقي

خضع إفريقيا منذ قرنين إلى أبشع أنواع الاستغلال الاقتصادي والعنصري الذي اتسمت به الحركة الاستعمارية العالمية .. فنجد أن وطنه قدم الرجل الأوربي أرض إفريقيا ، وحياته شعوبها أشبه بمأساة دامية لا يبين أولها من آخرها . فلقد استولى الاستعماريون على كل شيء ولم يتركوا لأصحاب البلاد الأصليين حتى القسوت الضرورية ، مما جعل الإفريقيين تحت ضغط الحاجة الملحة ، وحق الحياة ، يعملون أجراء لدى المالكين القرباء ، وبأجور بخسة وبطريقة أقرب إلى السخرة . ويخرج الإفريقي إلى سوق العمل وإلى المناجم والحقول ، حيث يساق مع أبناء جلدته كالسائمة داخل مسكرات العمل وحظائر

وهؤلاء المسلمين وأجدادهم النظام حورم
الذي لن تنساه إفريقيا في عبارة الاستعماريين
المعتدين إذ وقف السلطان سعيد في (زنجبار)
والويبري باشا في حوض النيل الأعلى ،
والسلطان راج في حوض (نقاد) وهو الذي
هزم الفرنسيين ثلاث مرات متوالية ،
وما زال الناس في أواسط إفريقيا يتفخرون
ببطولته الحارقة كأسطورة قومية ضد
الاستعمار ، وكذلك الإمام المهدي وخليفته
في السودان ، وماء العينين في (موريتانيا)
وكذلك حميد بن محمد بن جمعة المرحبي أو
(تيريتيب) في حوض الكونغو . كل هؤلاء
الرواد حاربوا الاستعمار وثاروا عليه . وعن
هؤلاء المسلمين في إفريقيا يتحدث كتابنا لهذا
العدد ، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ،
مبيناً دور الأمة العربية في إمدادها للمعروب
القارة — طوال الصور الماضية — بالمداد
الإسلامية ، مضفية عليها ثمر استطاعتها
الكثير من معالم الحضارة الإسلامية .

يقول الكتاب :

لقد انتشر الإسلام في مناطق الساحل
الغربي بين موريتانيا في الشمال ، والسنغال
وغينيا وغانا في مرحلته الانطلاقية الأولى ،
ثم كان لقبائل القبولة الفضل في نشره في منطقة
السنغال في القرنين ١٦/١٧ . وقد تحمس
المسلمون لديهم لدرجة واضحة فيما بين
١٧٧٦ ، ١٨٨٠ . وفي القرن التاسع عشر

الذي يميز من جلب السكينة المطلوبة منه
من المطاط أو الباج للرجل الأوروبي ،
يتعرض القشوية ، تقطع يده أو رجليه .
وهكذا طشت إفريقيا طوال تاريخها مع
الاستعماريين الأجانب ، الذين دخلوا إلى
إفريقيا وراء المبشرين بالدين . ولا يسعنا
هنا إلا أن ننقل كلام أحد المواطنين
الإفريقيين الذي نشر في كتاب القومية
الإفريقية ترجمة عبد الواحد الإمباني ،
عندما قال : « لقد أتى المبشر إلى أرضنا ،
وطلب منا أن نعبد الله معه ، وأمرنا أن
نغضض أعياننا زيادة في الخشوع ففعلنا . .
وعندما قلنا في نهاية الصلاة آمين ، وفتحنا
أعياننا وجدنا الإنجيل في أيدينا ، ولكننا
لم نجد أرضنا التي ضاعت منا . »

وبهذه الوسيلة وغيرها من الوسائل
الفناكة ضاعت إفريقيا . ولكن إفريقيا إلى
أذلتها الاستعماريون ، طوال هذه الفترة تعنى
بالغلبة لنا أكثر من كونها مجموعة من
المستعمرات أو من دول لا تحمل من
الاستقلال سوى علم مزيف ومقعد في الأمم
المتحدة . لا تنافي في الواقع جزء منها ، وتضم
إفريقيا أكثر من ٧٢٪ من مساحة وطننا
العربي الكبير ، وبالإضافة إلى ذلك فإن
أكثر من خمسة وتسعين مليوناً من المسلمين
الإفريقيين ما زالوا يعيشون تحت استبداد
السلطات الاستعمارية وعملاتها واحتكاراتها .

كما نطق مسلو مدينة (بورتونوفو) وعملوا
بهمة في سبيل الدعوة وأقاموا المدارس
الدينية كما شيدوا المساجد .

وقد انتشر الإسلام في شمال نيجيريا
بفضل الإمبراطوريات الإسلامية التي ضمت
هذه البلاد إليها ، وهي مالي وشنغاي وبرنو ،
ومنذ ذلك الحين سادت في قررات كثيرة
روح إسلامية قوية ، ومن أهمها تلك
الحركات المباركة التي نهض بها الفصح عثمان
ابن فوديو والفصح محمد الأمين الكاني .

ويعرض الكتاب بعد ذلك لدور
الإمبراطوريات الإسلامية — التي شيدوها
المسلمون في إفريقيا قبل الاحتلال الاستعماري
بمئات السنين ، ومن هذه الإمبراطوريات
إمبراطورية مالي الفتية . التي اهتم بها طائفة
لا بأس بها من مؤرخي العرب ورسالتها
ومنهم البكري ، والإدريسي والمصري وابن
خلدون وابن بطوطة ، والقفقندي في القرن
الخامس عشر صاحب «صبح الأعشى» وقد
أجمع كل المؤرخين على أن فترة الازدهار
الحقيقية لإمبراطورية مالي كانت في عهد حاكمها
العظيم منسا موسى (١٣٠٧ — ١٣٢٢) حيث
انتصفت في عهده التجارة والعلوم في تمبكتوه
ومرمان ما أصبحت أم أسواق السودان
الغربي ، ولا سيما بعد انتمال سوق الذهب
إليها ، كما اجتذبت التجار من دوة وسوس
وساجاعة وفزان ومن مصر أيضاً .

أسلم كثير من أفراد قبائل (الولوف
والمبيوس) ، وفي القرن السابع عشر انتشر
أتباع الطريقة القادرية في غينيا ، ولا سيما
بين قبائل (الفولة) . وانتشر الإسلام في مالي
في آخريات القرن ١٣ أو ما قبل ذلك ، كما
تصربت الطريقة القادرية التي تفرعت عنها
القادرية البكاية وكان ذلك بهمة الشيخ عمر
البكاى ، ومن ثم كثرت المراكز الإسلامية
والمعابد .

ودخل الإسلام المنطقة التي تحتلها اليوم
جمهورية ساحل العاج ، ولا سيما في الشمال .
بفضل الجماعة الإسلامية الأولى التي اعتنقته
في القرن الثالث عشر في أثناء سطوة دولة
مالي ، وكانت أم مراكو المسلمين في (توبة
وكونج واندوكو وجوبه) ، ولكننا نلاحظ
أن المد الإسلامي قد تراجع هناك بعد
اضمحلال نفوذ مالي حوالي القرن الخامس
عشر ، ثم استرد مكاته في النصف الأول
من القرن التاسع عشر حينما نهض الزعيم
الروحي عمر تال بدهوته في السودان الغربي .
وانبثق نور الإسلام في (داهومي) ، ولا سيما
في مناطقها الساحلية ، فيما بين عامي ١٧٠٠ ،
١٧٢٠ بواسطة التجار القاديين من (كافو -
شمال نيجيريا) الذي عرفوا باسم المعلمين ،
وقد وفدت هجرة إسلامية قوية برعاية مشايخ
القادرية من الشمال الشرقي منذ القرن السابع
عشر ، ثم انتشرت النيجانية بعد عام ١٨٧٠ ،

« ببولاق التكروري » - « ببولاق التكروري » الحالية ، نسبة إلى أحد الصالحين التكروري ، وهو الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري ، وكان يحاصر الخليفة العزيز الفاطمي وخصص في الأزهر وواق من أوقته للتكروري هرف باسمهم .

ويتحدث الكتاب بعد ذلك عن دولة ستمائ الكبرى ثم عن دولة كاتم وجرى ووادي ، ثم عن إمبراطورية الفولة وحركة الإصلاح الديني - التي قام بها عثمان دان فوديو ، ويتقل بعد ذلك إلى الإسلام بين قبائل غرب إفريقيا ، ثم بين الطرق الصوفية في غرب إفريقيا مثل القادرية والفضلية ، والمرينية ، والشريفية ، والنيجانية .

ثم ينتقل إلى الحديث عن الإسلام في جمهورية موريتانيا - في الوقت الحاضر . التي يبلغ عدد سكانها حوالي المليون من المسلمين ، وفي جمهورية مالي حيث يشكل المسلمون ٧٥٪ من عدد السكان ، وكذلك جمهورية السنغال حيث يصل المسلمون إلى ما يزيد على ثلاثة أرباع المجموع السكاني لعدد السكان ٧٥٪ ، وهم حوالي ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة ويقدر عدد المسيحيين بمائة ألف والباقي من الوثنيين .

وفي جمهورية جاسيا المستقلة يصل المسلمون فيها إلى أربعة أخماس عدد سكانها ، ويزيد

وعندما مات منسا موسى عام ١٢٢٣ ترك وراءه إمبراطورية مهيبة الجانب متقدمة على دول إفريقيا الزنجية ، في انصاع رقعتها ، وفي أحوالها الاقتصادية ، والثقافية ، بل وفي نظامها الاجتماعي

ويمكن أن نقول بحق : إن منسا موسى كان رائداً للفكرة إلقاء اتحاد إفريقيا الغربية ، حيث كان الرجل المال في أيامه لا يشعر بالفرقة - سواء أقام فيما يعرف اليوم بنامبيا أو سيرااليون أو غانة ، حيث كان لا يعرف إلا موطناً واحداً يعيش فيه هو - مال . .

وقد أمدنا ابن بطوطة بمعلومات قيمة عن مجتمع مالي ، فقال : « إن من أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسمح أحداً في شيء منه ، ومنها شمول الأمن في بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم سارقاً ولا غاصباً ، ومنها عنايتهم بحفظ القرآن الكريم ، وهم يحملون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه ، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه . .

وكان للمالي صلة قوية بمصر في أيام المماليك الشراكسة . وكان للتكروري (نسبة إلى تكروري أي مالي) جالية كبيرة في مصر منذ العهد الفاطمي ، وهرقت مدينة بولاق

من عدد السكان ، وداهوف حيث يزيد
هددم على ٢٥٠٠٠٠ مسلم أى بنسبة حوالى
٢٠٪ من عدد السكان ، وينتشر الإسلام
في داهوف بسرعة مذهلة أيضاً ولاسيما في
الشمال حيث يكثر علماء الدين والدعاة
والوعاظ . ثم ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى
دوتوجوه التي تضم ٤٥٠٠٠ مسلم ، وجابون ،
وساحل العاج .

أما في نيجريا التي يصل عدد سكانها إلى
٥٤ مليون نسمة ففيها أكثر من ٢٩ مليون
مسلم ، وحوالى ٩ ملايين من المسيحيين ،
بالإضافة إلى ثلاثة عشر مليوناً من الوثنيين ،
وما زال الإسلام يكسب أوطاً جديدة كل
يوم باضنام جموع غفيرة من الوثنيين إلى
الدين الإسلامى الحنيف . وقد انتشر الإسلام
في نيجريا انتشاراً سريعاً أدخل وجال
الإرساليات التبشيرية وذلك على الرغم من
إمكانياتهم الأدبية والمادية ، حيث فعلت
كل محارلاتهم في الشمال النيجيرى .

أما في النيجر فإن ٨٣٪ من السكان
مسلمون ، وتقدر نسبة المسلمين في تشاد
بأكثر من ٩٥٪ من عدد السكان ، ويزيد
مسلمو الكومون على ٣٠٪ من عدد
السكان .

فلاشك أننا بعد هذا الاستعراض السريع
لمسلى غرب إفريقيا نستطيع القول بأنه

المسلمون على نصف عدد السكان في جمهورية
غينيا . وما زال الإسلام ينتشر بصورة مذهلة
في غينيا وخاصة بين القبائل السوسو ، أما في
سيراليون فيؤلف المسلمون حوالى ٥٠٪
من عدد السكان البالغ عددهم ثلاثة ملايين
تقريباً . ويلاحظ أن العروبة وانتشار
الإسلام نهضاً بسرعة أذهلت المؤسسات
المسيحية في أثناء نصف القرن الأخير . ففي
عام ١٨٩١ كان عدد مسلمى سيراليون وهم
(مستعمرة) ١٠٪ من السكان ، وارتفعت
هذه النسبة إلى ١٤٪ في عام ١٩١١ ، ثم
أصبحت في عام ١٩٣١ حوالى ٢٧٪ ، وفي
عام ١٩٥٢ تجاوزت النسبة ٥٠٪ - وفي
طامبوتا ، فرينتون ، ثقافس القبائل المسلمة
في بناء المساجد ، فإذا بقيت قبيلة مسجداً
سارعوا الأخرى إلى بناء مسجد آخر ، وقد
أصبح فيها وحدها أكثر من عشرة مساجد
بالرغم من صغرهما ، منها الجامع العتيق
والجامع الجليل ، وجامع القدس ، وجامع
السلام ، وجامع الاجتاد ، بالإضافة إلى
المساجد الأخرى التي يطلق عليها أسماء القبائل
الإسلامية ، كالتي ، والمنتدى ، وهما أكبر
القبائل هناك . وقد تخلوا عن معظم تقاليدهم
الوثنية .

ويستعرض الكتاب بعد ذلك عدد المسلمين
في غانا حيث يكون المسلمون أكثر من ٢٥٪

والتقدم . ولن يتأتى لنا ذلك إلا إذا حاولنا أن نقوم بمزيد من الدراسات الجادة حول النظم الاجتماعية والفكرية والطبية المجتمعات الإفريقية . حتى نستطيع أن نقدم مساعداتنا وخبرتنا كحلول جذرية للشاكل الملحة التي تواجه المجتمعات الإفريقية .

• • •

الدكتور هاشم البنداري

محدثاً وفقهياً

تأليف : الدكتور الحسيني عبد الجيد هاشم
الدار القومية للطباعة والنشر

صدر هذا الكتاب في هذا الوقت يعتبر تلبية سريعة للحاجة الملحة إليه . فقد شامت الظروف ، والمقارنات حكمها ، أن ثور في هذا الوقت ضجة كبيرة حول صحيح البنداري وأن يمرض جاسه الصحيح لظن وتنوشه السهام من يعرفون وعن لا يعرفون ، وكان المؤلف كان ينظر يلحظ الغيب حين تعرض لجوانب الاعتراضات والمخامز وأجاب عنها بما يدقها ويدفع أصحابها إما بالجهل أو التعامل . وهو يشعر أن الهجوم على إمام المحدثين وعلى كتابه إنما هو هجوم على الإسلام قبل كل شيء . إذ هو هم لركن حصين اعتمد عليه المجتهدون من عهد البحاري إلى اليوم . وهناك سؤال يشعر الإنسان بالحاجة عليه ويعجب له عنه ما يشرح في قراءة هذا

يتحتم علينا أن يكون لنا دورة أكثر فاعلية في نطاق العمل الإفريقي التحرري . وبخاصة بعد أن كشف الاستعماريون الفناح عن وجوههم البشعة أخيراً . حيث قدروا العودة إلى إفريقيا من الأبواب الخلفية من طريق حملاتهم الالهلايين ، لقد قتل الاستعماريون أحمدو بلو ، وأبو بكر تافارا باليو ومثلوا بهشهما ، وشردوا وقتلوا ، وهم على استعداد لأن يفعلوا أي شيء . عافطة على نفوذهم واحتكارهم ، ومن ثم يجب حل كل من يهجم أسرحية إفريقيا أن يعي تماماً أن لكل هذه الانقلابات الأخيرة ، فزاعا الحقيق المؤثر في مجرى الأحداث المالية . . إن الاهتمام بقضايا إفريقيا ومساكها يجب أن يخرج من نطاق العمل العاطفي إلى نطاق الوعي الكامل بالأحداث التي تدور من حولنا . ولعل كتاب (الإسلام والمسلمون) في غرب إفريقيا قد فتح المجال واسعاً أمام احتمالات الدراسة الجادة لكثير من القضايا ، وعلى الرغم من أن الكتاب يلتزم بالمنهج الطلي الدراسي . . فإننا يجب أن نعترف بأن قضايا إفريقية الخيرية تزيد كثيراً على مجرد السرد التاريخي لأحداث مضت من خلال السلاطين الحاكين . إذ أننا يجب أن نتم إلى جانب ذلك بحركة الشعوب ذاتها وتطلعاتها المشروعة إلى الحرية والعدالة الاجتماعية

والكتاب كيف ظل البخارى وهو إمام الحديث طوال هذه المدة من غير أن يكتسب عنه كتاب مستقل يوضح جوانب حياته العلمية ويشرح نياته والطروف التي أحاطت به والامائل التي كونت عقلية ووجهته هذا الترجيح ؟ أما وجدت دوافع طوال هذه هذه السنين تدفع بمؤلف إلى إخراج كتاب جامع منه ؟ وهل يليق بإمام كهذا أن تظل المعلومات عنه مبهمة هنا وهناك من غير أن تجمع ويقنأها المدرس والبحث طوال هذه السنين ؟

سؤال له مكانته في النفس ولاريب ، ومن المعروف أن مدرسة فقهية قام اجتهداها على الحديث أكثر من غيره بدأت من عهد ابن تيمية وظلت أفعالها تعمل في عقول الناس إلى يومنا هذا فكيف سكنت هذه المدرسة من مثل هذا الإمام ولم تفصل حياته ؟ يبدو أن أكثر المعنيين بتاريخ التشريع كانوا يتجهون إلى صحيح البخارى بالدرس لأنه هو الذي يضمهم ويتعلق به علمهم أما تفصيل حياة الإمام والحديث من جوانبه العقلية فلم يكن من صميم بحوثهم ولا مما تتأكد صلته بعلمهم .

وبهذا بقى هذا البحث حتى كان الدكتور الحسيني أول رواده .

وقد وثق المؤلف هذا البحث في باين ضافين أولها عن : فسااته وحياته العلمية

وثانها من : حياته العامة . وإذا جاز أن اختلف معه على الشكليات العامة فإني كنت أؤثر أن تكون المقدمة التي كتبها عن مكانة السنة في الدين الإسلامي ، وعن حركة تدوين الحديث قبل البخارى تالية لذين الفصلين لا سابقة لها وذلك لتكون متصلة بالحديث من الجامع الصحيح والدراسات التي خص بها . وإذا نحن استثنينا الباب الرابع الذي تحدث فيه عن فقه البخارى نجد بقية الكتاب دراسة للجامع الصحيح . في الباب الثالث تحدث عن هذا الكتاب ومنهج البخارى فيه وشرح مكانته في السنة وحرص لآراء الكثرين من القدامى والمحدثين فيه ، ويعرض في هذا المنهج زرعان للمؤلف تشيخان في الكتاب كله فهو من ناحية حريص على الدفاع عن البخارى وعن كتابه حريص على البعد عن منه بأى نقد ، وقد يرجع هذا إلى مكانة البخارى في نفسه كما يرجع إلى نزعة الدينية ومن ناحية أخرى يحرص على تتبع آراء الغربيين في مختلف الجاهات الأوروبية ومختلف المؤلفات ليناقشها ويرد عليها إن كان فيها ما يدعو لذلك . وهو لمروبه البحت يكتب أسماء هؤلاء الكتاب الغربيين بحروف عربية وحدها فلا يمكن التعلق بها نقلا سليما . وقد وقف هنا ثانياً أمام نقاد البخارى ليمرض وجهة نظرهم أولاً ثم يرد عليها فيدحضها ثانياً . واستغفرت دراسته النقدية

سؤال له مكانته في النفس ولاريب ، ومن المعروف أن مدرسة فقهية قام اجتهداها على الحديث أكثر من غيره بدأت من عهد ابن تيمية وظلت أفعالها تعمل في عقول الناس إلى يومنا هذا فكيف سكنت هذه المدرسة من مثل هذا الإمام ولم تفصل حياته ؟ يبدو أن أكثر المعنيين بتاريخ التشريع كانوا يتجهون إلى صحيح البخارى بالدرس لأنه هو الذي يضمهم ويتعلق به علمهم أما تفصيل حياة الإمام والحديث من جوانبه العقلية فلم يكن من صميم بحوثهم ولا مما تتأكد صلته بعلمهم .

وبهذا بقى هذا البحث حتى كان الدكتور الحسيني أول رواده .

وقد وثق المؤلف هذا البحث في باين ضافين أولها عن : فسااته وحياته العلمية

وبهذا بقى هذا البحث حتى كان الدكتور الحسيني أول رواده .

وقد وثق المؤلف هذا البحث في باين ضافين أولها عن : فسااته وحياته العلمية

كامل ذكره هو ووضح المعنى المقصود من أن الرسول أخبر أصحابه أن لا يمر واحد منهم أكثر من مائة سنة ، وقد مات آخرهم وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة قبيل نهاية المائة من ذكر الحديث وكذلك شأن الأحاديث الأخرى إذ دافع عنها دفاعاً دليلاً مشكوراً .

وأما الجانب الثاني وهو قلة العناية بالتحقق من مؤلفات أن هناك محدثين أو دواوين الحديث فعلوا ذلك مثل ابن قيم الجوزية ، وابن دقيق العيد وهو رد كما ترى لا يمكن لأن هؤلاء من المتأخرين الذين جاءوا بعد جمع الحديث والفراخ من تأليفه ، فلا حجة بهم على صاحب ضحى الإسلام . ونلاحظ أنه لم ينف هذه العناية أصلاً وإنما ذكر أنها ضئيلة جداً بجانب العناية بالسند . والاستاذ أحمد أمين لا يسوق هذا مساق الاعتراض وإنما هو يؤرخ مرحلة عقلية من حياة المسلمين ، ولم يكن في هذا الوقت فارق طويل من الزمن يؤثر في الأساليب هذا الأثر الذي لاحظته وأيضاً لم تكن اتهامات النقد كما لاحظ .

وبوجه عام هذا الكتاب سلحة من المعارك العنيفة ولكن مؤلفه عاد منها بخفان ثمينة لدارسى الحديث كله لا لدارسى البخارى وحده .

والعلل أورد لهذا الكتاب بحديث أطول وتفصيل أكثر ؟

ثلاثة فصول هي أقوم ما في الكتاب ، وهي تحمل بين طياتها أقوى ما يرد به على الثورة الأخيرة التي قامت حول البخارى ومنهجها وروى كتابه بأنه يهوى الصحيح وغير الصحيح ، وقد ذكر المؤلف هدداً من الأحاديث التي عيب على البخارى فبين خطأ النقاد في الفهم أحياناً ومتابعيهم بعض المستشرقين أحياناً أخرى .

وخص المرحوم أحمد أمين من نقاش المؤلف جانب أوسع على ما كتبه عن البخارى وصحيحه في بحر الإسلام وضواء ، وهو يسوقه مع المستشرقين مساقاً واحداً وما كنا نحب ذلك منه ، والدكتور أحمد أمين بعد أن ذكر هدداً من أحاديث البخارى التي لم تستوف شرائطها والتي يرى أنها ضعيفة أو غير صحيحة لاحظ أن رجال الحديث وجهوا كل عنايتهم إلى السند أغنى سلسلة رواة الحديث ولم يهتموا بتقدّمات نفسه كما لم ينظروا الظروف المحيطة به وهل هذا التعبير يلائم عصر النبي أو لا يلائمه ... الخ وقد رد المؤلف كلام الجاهلين على حدة .

أما الأحاديث التي كانت موضع نقاش وقد قبضنا لم يكن مفهومنا على وجه الصحيح مثل حديث : لا يبق على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة . الخ فقد فهمه المعارضون على أن العالم يفتى بعد مائة سنة ، وبين المؤلف أنه جزء من حديث

انبثاء وآراء

تقرير عن مصادرة مصحف باكستاني
المطبوع بمطبعة شركة تاج لطباعة القرآن بـلاهور
إشراف الشيخ عنايت الله

وارد من السيد / عبد الفتاح محمد عطية
شراقي — أهدى إليه بالمدينة المنورة عام
١٣٨٥ هـ قامت لجنة فحص المصاحف بجميع
البحوث الإسلامية بالأزهر بمراجعة المصحف
مقاس (النن) المكتوب بالخط المصري
برواية حفص والمطبوع بمطبعة شركة تاج

لطباعة القرآن بـلاهور تحت إشراف الشيخ
عنايت الله مقرر الشركة في لاهور ،
فوجدت به الأخطاء والملاحظات الآتية :
أولاً : طبعت بعض صحائفه بصفة تفرير
نظم القرآن الكريم وترتيب سور وآياته
مثال ذلك :

| رقم وجه الصفحة والسورة | رقم ظهر الصفحة والسورة | رقم وجه الصفحة والسورة | رقم ظهر الصفحة والسورة |
|---------------------------|--------------------------------|---------------------------|---------------------------|
| ٢٦١ الصفات | ٢٩٨ آخر الدعان وأول الجانية | ٢٥٣ يس | ٣٩٠ الشورى |
| ٢٩١ الأحزاب | ٣٥٦ أخريس والصفات | ٣٦٩ الزمر | ٤٠٦ محمد |
| ١٠٧ محمد | ٢٧٢ الزمر | ٣٩٩ الجانية | ٣٦٤ ص |
| ٣٦٥ ص | ٢٩٤ الخوف | ٣٥٧ الصفات | ٣٨٦ الشورى |
| ٣٨٧ الشورى | ٣٦٠ الصفات | ٤٠٣ الاحناف | ٣٧٦ غافر |
| ٣٧٧ غافر | ٤١٤ سورة ق | ٢٩٥ الخوف | ٢٦٨ الزمر |

ثانياً : به صحائف ساقطة بأكلها وهي
الصحائف الآتية :

٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

ثالثاً : وجد به سقوط لبعض الحروف
وأخطاء في الحركات تغير المعنى وقد أشر
عليها بهامش المصحف المذكور .
رابعاً : ضبطت ألف ما قرره علماء الضبط .
وقدرأت اللجنة إزاء هذه الأخطاء الكثيرة

على طلبة المعاهد الدينية ... نحن نعمل على إعادة النظر في المراد التي تدرس في المعاهد الأزهرية ، وفي مدة الدراسة أيضاً ونحاول التنسيق بين سياسة المعاهد الأزهرية وسياسة التعليم العام في الدولة ، ونسحق ما فيه مصلحة الطلاب ، ومصلحة الوطن والأزهر .

● قررت إدارة المعاهد الأزهرية افتتاح فروع للتعليم الابتدائي الأزهرى بمسكرات اللاجئين بغزة ، وقد تم إنشاء مدينة أزهرية تضم مساكن الطلبة والعلماء ، ومبنى المعهد الذى يضم المرحلتين : الإعدادية والثانوية ، وكذلك تم بناء أول فرع للتعليم الابتدائي ، وتدور الجهات المختصة إنشاء أول كلية في المدينة تتبع جامعة الأزهر في القاهرة .

● دكتوراه بتقدير ممتاز في البلاغة والأدب .

حصل الدكتور عبد العليق عبد النبي خليف مدير مكتبة الأمن العام لجمع البحوث الإسلامية على شهادة العالمية من درجة أستاذ (دكتوراه) بتقدير ممتاز في البلاغة والأدب بعد مناقشة رسالته : مسلم بن الوليد : حياته وشعره .

جرت المناقشة مساء الخميس ٢١ من المحرم ١٣٨٦ الموافق ١٢ من مايو ١٩٦٦ في مدرج كلية اللغة العربية ، وقد استمرت أكثر من ثلاث ساعات .

وكانت لجنة المناقشة برئاسة الدكتور محمد نابل ونيل قسم الأدب والنقد في الكلية ،

وجوب مساعدة هذا المصنف وعدم الإذن بتداوله ونشره صراحة لكتاب الله تعالى من العبث والتحريف .

مدير البحوث والنشر بالأزهر
دكتور (عفيق عبد الفتاح)

● صرح السيد عبد الفتاح حسن وزير الدولة لشئون الأزهر في حديث صحفي بعدة أمور تناولت جوانب هامة يدور الاستفسار كثيراً عنها فقد سئل : لماذا لم تصدر اللائحة التنفيذية لقانون تطوير الأزهر حتى الآن وقد مضى على إصدار القانون أكثر من خمس سنوات ؟

فأجاب : لقد تم فعلاً إعداد اللائحة ، وسبب التأخير في إصدارها محاولة التنسيق بين جامعة الأزهر والجامعات الأخرى ، وهناك لائحتان : الأولى للأزهر وإداراته وهيئاته ، والثانية لجامعة الأزهر وفي خلال أسابيع قليلة ستصدر اللائحتان

وعندما سئل سيادته عن موعد انعقاد مؤتمر جمع البحوث الإسلامية الثالث أجاب : سيجتمع - إن شاء الله - في أواخر سبتمبر القادم .

ونرى سيادته ما أشيع عن احتمال وجود سياسة جديدة بالنسبة للتعليم في الأزهر ثم قال : المهم أن ندم السياسة القائمة حالياً ، وهدفنا هو التعليم الدينى والنهوض به ، والاحتفاظ بكيانه حتى يحقق رسالته :

وقال سيادته - بشأن كثرة المواد المقررة

شعار هذه المحافظة، وتعطى للمعهد أو المدرسة التي تقوم بتخريج أكبر عدد من الحفاظ باعتبارها الأولى في محافظتها.

● قررت مشيخة المفارص المصرية إصدار مكتبة قرآنية كاملة تبدأها بثلاثة كتب: «مع القرآن الكريم»، و«أحسن الأثر في تاريخ القراءات الأربع عشرة»، و«السيبل المبصر في قراءة الإمام أبي جعفر» والكتب الثلاثة من تأليف الشيخ محمود خليل الحصري المستشار الفني لوزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة.

● أعدت وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة مشروعاً عاماً خاصاً بأداء الخدمات الدينية في مناطق الأراضي المستصلحة لتيسير إقامة الفعائم الإسلامية على المواطنين الذين استقروا في هذه المناطق ... وضع تخطيط المشروع على أساس إنشاء مسجد في كل مساحة قدرها ١٣٥ فدان، وقدرت تكاليف المسجد بنحو خمسة آلاف جنيه، ثم إنشاء مساكن للوظفين بمبلغ ٢٤٠٠ جنيه، وإنشاء مساكن للعامل بمبلغ ستائة جنيه، وبذلك يعتمد للخططة الواحدة مبلغ ثمانية آلاف جنيه، وقد انضمت وزارة الأوقاف على تنفيذ هذا المشروع مع المؤسسة العامة لتعمير الصحاري.

● عثر على عنطوطين من تأليف المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق بمكتبته: الأول باسم «التضامن الاجتماعي

وعضوية الأستاذ الشيخ أحمد الشمراني وكيل كلية البنات الإسلامية» والأستاذ الشيخ عبد الحسيب طه وكيل كلية اللغة العربية وقد أعلنت اللجنة منه الدرجة العلمية بتقدير ممتاز. ● وافقت لجنة الخدمات الثقافية والإعلام بمجلس الأمة على اقتراح من العضو محمد حافظ سليمان - مفتش الوعظ بالأزهر سابقاً - بتطوير محطة إذاعة القرآن الكريم بأن تقدم برامج دينية، وأن تقوى العمل حتى يمكن أن تصل برامجها إلى الدول الإفريقية والآسيوية لنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة على أوسع نطاق.

وقد عقد مجلس التخطيط الأعلى بوزارة الإرشاد القومي - عقب ذلك - اجتماعاً عاماً برئاسة السيد أمين هويدي وزير الإرشاد تقر فيه تنفيذ هذا الاقتراح بحيث يتناول: تقديم برامج محطة إذاعة القرآن الكريم بإضافة مواد في تفسيره، وفي خدمة تلاوته.

● قررت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم تخصيص جائزة تحمل اسم الرئيس: جمال عبد الناصر لتقديم حفظ القرآن الكريم، وستكون الجائزة من درجتين: (أ) كأس فضية تأخذها المحافظة التي تقدم أكبر عدد من حفظ القرآن الكريم، سواء كانوا من طلاب المعاهد الدينية أو مدارس الجمعية أو غيرهم.

(ب) كأس لكل محافظة على حدة تحمل

العربية عن « محمد توفيق البكري : حياته ، وأدبه ، الأستاذان : محمد وجب البيروني المدرس الأول بمجلات الفيوم ، وماهر حسن فهمي المدرس بجامعة عين شمس والمنتدب بالمرافق ، كان عدد البحوث المقدمة خمسة .

● صدر عن المكتبة الدائم لتنسيق الترميز في العالم العربي المسح الفقهي المالكي بالعربية والفرنسية من تدوين الأمين العام للمكتب الأستاذ عبد العزيز بن هبدي الله ، وقد استوفى فيه جميع المصطلحات المدونة في كتب الفقه المالكي قديماً وحديثاً .

● أصدر المستشرق المغربي « عبد الكريم جرمانوس ، عضو مجمع البحوث الإسلامية كتاباً عنوانه : « الأدب في المغرب » .

● أصدر الكاتب الأردني زيد الكيلاني كتاباً بعنوان إسرائيل باسم « سنوات الاغتصاب » .

● انتهت لجنة تقييم المخطوطات النادرة بجامعة القاهرة من مهمتها بعد أن استمرت في أعمالها ثلاثة شهور أنقذت اللجنة خلالها نحو أربعة آلاف مخطوط كانت مهملات بالمكتبة العامة ، وسوف تقوم الجامعة بإعادة طباعتها وتضمن هذه المخطوطات علوماً شرعية وعربية وفلسفية ، وأدبية ، وفنوناً متنوعة .

● انتهت لجنة توحيد المصطلحات للإدارة العامة من عملها في توحيد المصطلحات المستعملة في الدوائر والمصالح الحكومية بالدول الأعضاء بالجامعة العربية . وتواصل

في الإسلام ، ، والثاني باسم « السلام والإسلام » ، وقد نشر فشرهما .

● أعدت الجمهورية العربية المتحدة خمس مكاتبات إسلامية إلى كل من : الجمعية الإسلامية بترانيا ، والمركز الثقافي الإسلامي في هونج كونج ، والجمعية الإسلامية بسنجا في الهند ، والجمعية العربية للدراسة المسئلة بسلان ، والبرامج الدينية بإذاعة ألمانيا . وتضمن المكتبات الخمس خمسة عشر ألف مجلد وكتاب إسلامي تتحدث عن أركان الإسلام باللغات : العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والأردية ، والألمانية .

● أصدر السيد أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف قراراً بإيفاد بعثات من قراء القرآن الكريم للعمل على تحفيظهم لأبناء المسلمين في مختلف المعاهد والمدارس بالبلاد الإسلامية .

● افتتح الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس لوزراء الثقافة والإرشاد القوي المركز الجديد للبحوث الإسلامية في « عديد » ، عاصمة أسبانيا .

● وافق السيد / السيد يوسف وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة على إنشاء معهد عربي لتعليم اللغة العربية في (كوناكري) عاصمة غينيا .

● فاز في المسابقة الأدبية لجمع اللغة

الليل ، وهذا القرار يقضى بإغلاق الملاهي في نفس الموعد .

● قررت حكومة الكويت تقديم معونات لاتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا ، وحيثه الطلاب في لكتنهور بالهند ، ولجنة تأسيس المدرسة الإسلامية في البرازيل ، والمركز الإسلامي في مونتريال ، ومؤسسة الدعوة الإسلامية في سوايايا باندونيفيا .

● صرح وزير خارجية تركيا بأن الحكومة التركية قد أغلقت عدداً من المكاتب السياحية الإسرائيلية في تركيا ، وقال : إن تركيا تعمل على أن تكون علاقاتها بإسرائيل لا تؤثر على مصالح الدول العربية .

● وصلت إلى المغرب المكتبة الإسلامية التي أهدتها وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة للمغرب ، وتضم ثلاثة آلاف مجلد وعددًا من أسطوانات تعليم الصلاة بالفتن العربية والفرنسية .

● أصبحت اللغة العربية لغة دولية ، في منظمة العمل الدولية .

● أيدت الجزائر في العمل على تعريب النظام القضائي في البلاد حيث يتم خلال هذا العام تعريب جميع القوانين حتى يمكن أن تتم بهارافعات الادعاء والدفاع داخل قاعات المحاكم باللغة العربية بدلاً من الفرنسية .

الجنة اجناعاتها لبحث توحيد المصطلحات القانونية والمالية في البلاد العربية .

● وفي بغداد انتهى مؤتمر التعريب العسكري للجيش العربية من توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية .

● طالب شباب المغرب من اتحاد طلاب الجمهورية العربية المتحدة عدداً من الكتب المصرية التي تساعد في معركة التعريب بالمغرب ، كما طالبوا بزيادة المنح القومية للشباب المغربي بالدول العربية .

● وافقت وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة على اهداء الأمانة العامة للجامعة العربية بمحطات من كتب المرحلة الابتدائية لتعليم اللغة العربية لتزويد بعض الجهات الأجنبية بها لمساعدتها في تعليم مواطنيها اللغة العربية .

● أصدر فريق من الطلبة الالمان الذين اعتنقوا الإسلام مجلة سموها صوت الإسلام ، تنزل هذه المجلة الرد على المفترقات الموجهة ضد الإسلام من اليهود وغيرهم في الصحافة والإذاعة الألمانية .

● أصدر وزير داخلية السنغال قراراً بمنع تشييل الفتيات بحال الملاهي والحدود ، ويمنع هذا القرار أيضا النساء والفتيات - حتى الصغيرات منهم - من ارتداء الملابس القصيرة التي تعظم الركبة ، وفي قرار لاحق لهذا القرار منع الوزير الدهر بعد منتصف

News from Muslim World

• The Grand Sheikh of Al-Azhar, H.E. Sheikh Hassan Mamoun, received during this month a number of Islamic and cultural delegations and discussed with them the matters relating to the cultural and religious developments of the muslim community in their countries.

He received, among others, a chinese cultural friendship delegation headed by Mr. loi changh, Deputy Minister for Foreign cultural Relations, the president of the Muslim Ladies Arabic College in Ceylon, Al-Haj Muhammad Ali Muhammad Abul Hassan, and President of the Indo-Arab friendship Society, Mr. Sharif I. Hussain Ahmed. He also received H.E. Lakdasa Re Mel, Bishop of the Church of India, Pakistan, Burma and Ceylon.

• H.E. Ahmed Abdu Sharabasi, Deputy prime Minister of U. A. R. and H. E. Sheikh Ahmed Hassan Al-Baquri, Rector of Al-Azhar university, visited India last month to acquaint themselves with the system

of Islamic education and Arabic studies in India. They also met with the president, the vice-president, the prime Minister and muslim leaders and educationists.

• The supreme Council for Islamic Affairs gave a contribution of 3000 copies of Islamic books, 200 prayer records and a set of Quran recitation records to the muslim Ladies Arabic college in Ceylon.

• It appears that the three year old differences between the two great muslim Countries, Indonesia and Malaysia, will be solved soon by mutual negotiations and peaceful means.

• The U. A. R. Deputy premier for Culture and Information, Dr. Abdul kader Hatem, paid a state visit to Spain this month. During which he visited several Islamic monuments and historical places there. He also met with General Franco in his El-Pardo palace in Madrid.

M. ALWAYS

that the Islamic world in Asia has revolted against the shackles of political subordination and economic binding to Europe for many reasons. Some of these reasons may be attributed to the Islamic parties, some to the consequences of the first and second world wars, others to the appearance of generations of conscious citizens and good rulers. This consciousness must have been transported to Africa where muslims were the pioneers of the African liberation revolutionary movements which were originated in North Africa. This origination is only a matter of historical precedence. Egypt was the starting point for the procession of independence, then it proceeded to Soudan, Libya, Morocco, Tunis, Ghana, Guinea, Somalia and to other countries of West and central Africa. In all these areas Islam was the driving force which pressed the people forward. This may be

quite evident if we know that the number of muslims, according to the latest statistics, is 80 millions while the christians were only 20 millions and the rest pagans and other religions. However, the proportion of muslims in the continent north of the Equator equals 90% of the total number of Africans.

On the other hand, Islam, for the Africans, is their own religion, not an importation, nor a religion of imperialists and invaders. It is one of the strong and active props which formed the character of the Africans and their society. It was, too, a more important factor in creating and propagating African languages, such as Arabic, Hausa and Sawahili. Islam is and will remain the huge progressive driving force which pushes the African peoples toward their desired future under its everlasting principles of freedom, justice and peace.

* * * *

President Jamal Abdul Nasser's May Day speech of this year was hailed by the leaders of the free world. The leader of the Najjada' party of Lebanon Mr. Adnan el-Hakim said that the speech of President Nasser was 'a slap in the face of Arab reactionary powers and the plotters who raise Islamic slogans'. Mr. Hakim added that President Nasser will remain, not only a leader of Arabism 'but a leader of Muslims' who acts according to the true spirit of Islam, away from fake slogans'.

looked after the roads of trade. It is a well-established historical fact that the Islamic roads of trade linked Africa with Asia and Europe and made the centre of the area an integral part called the Islamic world.

Africa has witnessed, too, the ebb-tide of Islam, and suffered from its consequences when the continent was victimised by the foes who sucked its blood, divided it into units and regions and imposed on it their systems, religions and customs.

In this connection we can assert that the prime motive behind the geographical discoveries and the Portuguese explorations of the seas, was to destroy the muslims' economic and commercial power and to weaken them so as to make easy the seizure of their countries. Our source of reference as far as this point is concerned is the book "Asia and the Western Domination" by Sardar Panikar, a top authority on this historical epoch. He asserts, depending on Portuguese and Spanish documents, that the first objective of discovering a trading road to India and the Far East other than the road of Egypt and the Red Sea, was to reach the sources of wealth, to usurp it and to contain the muslims in the centre between Europe in the north and European troops

in the far east. On the other hand, the portuguese worked to destroy the Islamic towns and principalities in East Africa where Zanzibar, Malindi, Soufala, . . etc. are located, and spent several years destroying the regimes of these countries. After the Portuguese came the Dutch, then the French and the British who engaged themselves in fighting the Islamic Emirates and tribes in West Africa and the Arab West.

If we refer to the European sources which treated the subject of invading and dividing the African continent, we get surprised by the role of European churches and christian missionary societies in this invasion. Livingstone, Stanley, Brazza, . . etc. represented societies of European churches, driven by the desire of fighting Islam. In Ugand, for instance, the Catholic and Protestant parties fought against one another, but when they found that their conflict leads to the strengthening of Islam, they joined together in league against the Islamic party. The alliance resulted in the victory of the Protestant party by force assisted by England.

Secondly : the other factor which influenced greatly and directly our present time in Africa is

is of the opinion that the continuation of this state is the rope of survival to the white culture whose seeds were sown in Africa by the Boer people.

Hence, we have to cast a free glance into these situations and search for their reasons including the heritage of both Islam and Christianity. Within the general framework of the relation between Islam and the political development of Africa, we should in the outset recognize the Islamic heritage at present in Africa, because this heritage is one of the factors which is now pressing the African continent forward in the way of development.

We can recognize the main outlines of this Islamic heritage in the following points :

First : Since the advent of Islam, the history of the continent has become that of Islam. It is true to say that Africa has had ancient history before the appearance of Islam, but it assumed a new position unknown of Africa before Islam entered the continent. The source of this report is Dr. De Graft Johnson, a Ghanaian author who, in his book "Glory of Africa" wrote the history of the continent from the point of view of the African nationalists.

Africa which had known the flood tide of Islam through which it lived, was reshaped and witnessed the Islamic influences getting deeper in its society. Even the names of African countries and towns were formulated by the Islamic thought from its earliest times till the time of modern European colonialism.

The flood tide of Islam prevailed over the countries of North Africa from Sinai peninsula to the Atlantic Coast. Then it took the direction southwards to include the African Sahara, and eastwards to the Red Sea and Indian Ocean. Islam took another direction when it crossed the strait of Bab el Mandab and the Arabian Sea to the eastern coast of Africa beginning from Eritrea in the north to Mozambique in the south. Then the eastern tide met with the northern in Central Africa.

This Islamic tide was not a wave of war or invasion but of civilization, culture and belief. It was even a glorious event in the life of people as it conveyed them from the stages of bondage and primitiveness to the stage of the well-arranged society whose laws, customs and authorities are well defined. This cultural tide and the spread of its influences was strengthened because the muslims cared for and

The Effects of Islam in the Development of Africa

By : Abdul Khaliq Amer

Africa is now passing through an important phase of its history, and the number of Africans is getting an increase in the various fields of international relations. It, consequently, became a fertile field for numerous studies all over the world.

One of these studies is the study of religions and the scope of their relation to the development of Africa in general, and to the African political movements in particular. The core of this relation is that the African political movements are working against the links of subordination to Christian Europe. These political movements also look with doubt to the intents of the European religious men and churches. Take for example, the study made by Goerge Carpenter, secretary of the National Council of Churches in the United States, and commented on by Dr. Gloria, member of the World Council of Churches. The study which dealt with the role of Islam and Christianity in shaping contemporary Africa was issued by an American

publishing house under the title of "Africa Today".

When we speak of the relation of Islam to the political development we mean to make a pure scientific study, driven by a realistic situation evident in the north and south ends of the African continent.

In the north, lies the United Arab Republic which, drawing its African policy on the principles of Islam, supports peoples' selfdetermination, opposes racial segregation, consolidates independence and calls for non-alignment.

Whereas in the South, the situation christallizes in the policy of the South African government favoured by the teachings of the Dutch Church which is the formal church of the state. Hence, it follows a policy of the fiercest forms of violence, terror and Apartheid, opposing any idea of equality between the whites and the coloured, consolidating the white domination and denying the role and rights of the coloured. The government of South Africa

the Banu Shaiba have retained this title until the present day.

In the year 64/683, the Kaba was destroyed by the Umayyads during their siege of Mecca and the Black Stone was split into three pieces. After the Battle, Abdullah led the people of Mecca in the rebuilding and the Black Stone was replaced, bound together with a silver band. At this time certain alterations were made which were shortly afterwards removed by order of Caliph Abdul-Malik, when the Umayyad army conquered Mecca in 74/693. From then on, apart from some renevation in 1011/1630 when the building threatened to collapse, the Kaba has kept its present form. Only once has the Black Stone been removed from the Kaba and that was in 317/930, when the Karmatians invaded Mecca and carried off the stone, only returning it after twenty years.

There is a very interesting view in Islamic cosmology which states that before the world was created, the Kaba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular point. Thus it becomes the navel of the earth. Also, in Islamic cosmography, the Kaba corresponds with the Pole Star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point on the earth. For some, the Kaba and the Black

Stone represent the throne of the Khalifa of Allah, Adam. For all, the whole area of Mecca is regarded as sacred and the Kaba as a sanctuary. Mecca is the capital of Islam and at every prayer all Muslims, in every part of the world, face towards this holy city; however one may remember the words of al-Arabi when he said that the true Kaba is our own being. Muhammad al-Fadl said: "I wonder at those who seek His temple in this world and do not seek contemplation of Him in their hearts. The temple is sometimes attained and sometimes not, but contemplation may always be known. If they are bound to visit a stone, which is looked at only once in a year, then surely they are more bound to visit the temple in their heart — for there He may be seen every night and day of the year.

The Kaba is important to all Muslims and it is an inescapable part of the Islamic religion, all Muslims are under an obligation to make the pilgrimage to the Kaba. It is something wonderful and unforgettable to gaze upon this sanctum of Allah, for here is concentrated the adoration of millions. Islam rejects all forms of idolatrous worship and the Kaba is but a holy place where man has worshipped Allah since the time of Adam, no more, no less.

THE KA'BA

The Ka'ba is a simple stone structure about fifty feet square, which stands on a marble base in the middle of the great mosque of Mecca. To this centre of Islam come thousands of Muslims every year to pay homage to the One God, Allah. The outside of the Ka'ba is covered with a black brocade cloth, into which are woven the 'shahada' and verses from the Qur'ān. This 'kiswa' is renewed every year, at the end of the Hajj ceremonies the old kiswa is taken down and the new one hung in its place. The inside of the Ka'ba has no furnishing apart from numerous lamps of silver and gold which hang from the ceiling, this ceiling is supported by three wooden pillars rising from a marble covered floor. In the eastern corner of the room is the Black Stone, 'al-hajar al-aswad,' this is surrounded by a ring of stone which is encircled by a silver band. The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass, the front of the building faces north-east and contains the entrance, this door is a few feet from the ground and a detachable wooden staircase is used to enter the building.

There are many traditions and legends surrounding the Ka'ba and

Black Stone, but it is accepted by all Muslims that the Ka'ba is the first sanctuary to be erected on earth and was built by Ibrahim and his son, Ismail. The Black Stone being the only original stone left after many years and many reconstructions. Historical reference to the Kaba is very limited before Islam and only begins at the time of Muhammad, when the Kaba was destroyed by fire and was rebuilt of stone and wood. It is said that when the time came to replace the Black Stone, the people of Mecca quarrelled for the honour and so Muhammad, placing the stone on his cloak, ordered the chiefs to take each end and carry it to its position. Thanks to his wisdom, everyone was pleased and no one was offended. It is known that before Islam, the Kaba became a place of heathen worship and that when Muhammad conquered Mecca there was found nearly four hundred idols around the Kaba. All these were destroyed and the building then purified to become once more a place of true worship, all idolators were forbidden to enter Mecca and in the year 10 A.H. Muhammad led the first pilgrimage in which no idolator was present. At this time the guardianship of the Kaba was entrusted to Uthman, and

Mohammad and asked him to allow his son to return with him to his home and family, Mohammad answered, "He is free to do as he please, if he chooses to go with you then he has my blessing but, if he chooses to stay with me, then I will love him and treat him as if he were my own son". The father then asked his son what he wanted to do. "O my father, though I love you dearly and owe you much, to this man Mohammad I owe even more and love even more and if you will allow me, I will stay with him". His father, understanding, replied "So be it, remain then with this man who is the chosen of Allah."

This story helps to show us the kind of man Mohammad was, it shows that he had not only the many essential qualities which the other prophets possessed and who were taught, as he, in the ways of prophethood by Allah, but also other qualities which caused him to be loved by many. The fact of his wisdom, purity, compassion, integrity, faith and love, made Mohammed, even then, a guide to his people and many came to him seeking knowledge at his feet... for already the Light of Allah was shining

from his face. Though some at first denied this Light, for when the Light of Truth shines forth man's guilt causes him to be ashamed and seek refuge in mockery.

However, it was this Light which, after Mohammad became the last Prophet of Allah, insistently blazed forth to enlighten the minds and hearts of men with the true religion of Allah, Islam. All of this tells us just a little of what Allah meant when He said to Mohammed :

« وما أَرْسَلَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »

(... I have sent you to be a mercy to all mankind...). Indeed he was, and still is, for the Light of Islam which first shone forth so many years ago in Mecca, is now spreading all over the world and will continue to spread until the whole world is lit by the Faith of Islam. Only then will this world's mad rushing whirl into nuclear oblivion be halted, shedding its false facade of superficiality to gain a sanity and strength it has never known... and then, then this world will be a beacon of faith to the entire universe; with the Light of Allah, like some precious jewel, blazing forth brighter than any star.

A Story of the Prophet

By : Raschid Ansari (Wellesley)

I would like to tell a story of another time... a time when many men walked in darkness, the majority worshipping idols and full of a superstition that made cacophony of life's harmony.

This story took place many, many years ago during the time before Mohammad (may peace be with him) became a prophet, in those days there lived a man who had a son whom he loved dearly. One day, however, the boy disappeared and, as the time passed, his father became frantic with worry thinking of his son perhaps wandering lost in the desert or lying somewhere, hurt and alone. For it seemed no one knew what had become of the boy.

At last he decided he must look for his son further afield, no matter where it took him or how long, and mounting his camel he set out determined not to return until he found his lost son. He rode and rode, searching north, south, east and west, in the heat and in the cold, always asking the same question of all he met... "Have you seen my son?",

and always the answer was the same... "No". Until one day, after many weary months had passed, one answered his question with... "Yes, I have seen your son. He is in the house of Mohammad in Mecca".

The man was overjoyed and rushing to Mecca he went to Mohammad's house and knocked on the door asking news of his son, on being told to enter he went in and found to his delight his dear son sitting with Mohammad. He embraced his son tenderly, kissing and caressing him while their mutual tears mingled on each others cheek as they expressed their joy at finding each other. Then Mohammad bade the father sit and take refreshment, after which the father asked his son what had happened to him all this long while. "O my father," his son replied, "much has happened since last I saw your face, I was captured and later sold as a slave to Khadija, the wife of Mohammad, who then gave me to him and he, from his boundless compassion, in turn gave me my liberty."

His father then turned to

unqualified allegiance to the one God. He says: "It is only Thou before Whom I bow in worship, and it is Thee alone to Whom I look for support and sustenance". Having thus offered Him his whole allegiance and entrusted himself to His exclusive care and protection, he can no longer bow before anyone else, he no longer fears any person on earth and he neither can nor need stretch his hand before anyone else for a favour.

He then goes on to make but one prayer to his Lord, and that is to be able to follow the straight path, the path not of any particular race, nation or group but the path that is common to all religious leaders and all upright men of all times and all countries. He prays

for guidance so that he may not go astray with those, irrespective of their race, creed or nationality, who are misguided. He prays for grace so that he may be able to attain good that is universal and to avoid evil that is universal.

Such a conception of religion cannot but so mould the heart and intellect of its devotee that his worship will be for the One God, Whose mercy and beneficence are universal, he will be at once self-respecting, humble and charitable and he will be free of all faction and narrow-minded group mentality; he will belong not to this or that race, community or group but to mankind; he will be a man, and his allegiance will be to humanity. This is the call of the QURAN, the real spirit evl of its message.

ويا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

(O mankind ! Lo ! We have created you male and female and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct) XLIX : 13.

وَنَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً . فطَرَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ أَنْ يَبْدُلَ الْخَلْقِ
اللهُ الَّذِي الْإِنْسَانَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

(So set thy purpose for religion as a man by nature upright - the nature (framed) by God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not) 30 : 30.

groups in different places and at different times.

e) It further explained the externals of religion and the customs of religious groups had no bearing on man's spiritual advancement and salvation. These groups are man made, while God given religion remains the same and consists only of right faith and right action.

f) Finally, it proclaimed in unequivocal terms that its message was no more than that all religions were true but that their followers had turned away from their true teachings. The common true core of all religions, referred to by the Quran as "Deen" (the religion) or "Islam" (submission to God).

6— Man has shattered all bonds that could unite mankind into a single community or brotherhood. There was but one race, but it has been split into thousands of races; there was but one nation, but it has been divided into innumerable nations; all men were of one status, but there are now countless classes of rich and poor, high and low. There is but one single bond which can again gather together the scattered and divided family of man, and that is common worship of the One God. The realisation that we are all creatures of the same Lord, that our Cherisher and Sustainer is

the Same, can reawaken that sentiment of relationship and unity which will conquer and transcend all man-made differences.

Let us now, by way of Summing up, consider this opening chapter of the Quran, Al Fatehah, as a whole and see what spiritual Lesson or guidance it contains for mankind. It is a prayer which is offered several times daily. What effect is it likely to produce on the emotional, intellectual and spiritual development of a man who repeats it so often, day and night, not only with his lips but from his heart?

Such a man loses himself in adoration of God, who is not the God of this or that race, nation or religious group, but the Lord of the entire Universe, the Cherisher and Sustainer of all mankind, Whose mercy, therefore, extends to all beings alike. This not only makes him humble before God but, at the same time, also gives him a sense of dignity and self-respect, for he too is the object of Divine care, and a feeling of oneness on terms of equality and brotherhood with the rest of his fellow creatures. He calls to God by His attributes which he most readily recalls are those of mercy and justice.

He immediately bows his head in reverence and gratitude and offers

revelations of Allah (will find that) lo ! Allah is swift at reckoning. And if they argue with thee, (O Muhammad), say : I have surrendered my purpose to Allah and (so have) those who follow me. And say unto those who have received the scripture and those who read not: Have ye (too) surrendered? If they surrender, then truly they are rightly guided and if they turn away, then it is thy duty only to convey the message (unto them). Allah is Seer of (His) bondmen) III : 19—20.

It may be well at this point, for a clearer exposition to recapitulate the argument of this chapter briefly.

1—When the Quran was revealed, the position was that religion was regarded no more than as a basis of group organisation in the same way as social groups were formed on the basis of race, clan or family. Every religious group considered truth to be its exclusive preserve ; everyone within the group was assured of salvation and everyone outside was doomed to perdition.

2 — In every religious group, religion had come to be identified with outward practices and rituals, such as form of worship, sacrificial customs, eating or abstaining from certain articles of food, etc. Salvation depended upon the observance of these practices and customs.

3 — Since these practices and customs varied from religion to religion, every group considered the religion of another group as devoid of truth.

4 — Since every religious group not only believed its own religion to be true but also considered other religions to be false, it necessarily led to bigotry, hatred and bloodshed.

5 — The Qur'an, therefore, placed before mankind once again the Universality of true religion.

a) It declared that all religions were true and that religion was a common gift of God to mankind, not confined to any one group.

b) It proclaimed that, like all laws of nature, the law of man's spiritual fulfilment was also the same for all and that the greatest error of followers of religion was to divide themselves into mutually hostile groups.

c) It explained that God's religion was intended to unite mankind, not to divide them.

d) It went on to explain the difference between religion and religious regulations and customs. While religion is the same for all, regulations and customs vary according to the requirements of social

inspiration, as we inspired Noah and all the Prophets who came after him, as We inspired Abraham, Ismael, Isaac, Jacob and the Tribes and Jesus, Job, Jonah, Aaron and Solomon, and as we gave to David the Psalms, and (as we inspired) the Prophets about whom we have told thee and those about whom we have not told thee" (IV: 163). "They are those who recieved God's guidance. So thou too (O Muhammad) follow their guidance." (VI: 91).

It is, therefore, assential that we must accept all the Prophets. It is not possible to accept one or some of them and to reject the others, for they all brought the same Message. To differentiate between the various Prophets is to lose the right path.

• إِنَّ الدِّينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْ
يَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... لَا يَهُ .

(Lo! those who disbelieve in Allah and his messengers, and seek to make distinction between Allah and His messengers, and say : We believe in some and disbelieve in others, and seek to choose a way in between; such are disbelievers in truth) IV: 150—151.

The Quran did not, therefore, ask men to accept a new religion but instead called upon them to act honestly in accordance with the teaching of their own religion. "O ! people of the Book ! You shall have

naught (of religion) until you observe truly the teachings of the Torah, the Gospel and all that has been revealed to you from your Lord". (V: 68)

The basic teachings of all the religions were the same and the Quran merely reiterates them; it enjoins those actions which are universally acknowledged as right and forbids those actions which are universally considered wrong. It is this universally recognised path of rectitude which the Quran calls upon man to follow, and all other paths and diversions which lead to differences and divisions he is told to avoid. This true path this common religion of all Prophets, is referred to in the Quran as "Islam" because it holds that the essence of religion is submission (Islam) to God and the law He has made for man's conduct in the same way as there are laws of nature for every other being in existence.

• إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْلَفَ الدِّينَ
أَوْ تَوَارَ الْكِتَابَ إِلَّا مَنْ سَلَّ مَا جَاءَهُمُ الدِّينَ مِنْهَا يَتَّبِعُهُ
... الْآيَةُ •

(Lo! religion with Allah (is) The Surrender (to His will and guidance). Those who (formerly) received the scripture differed only after knowledge came unto them, through transgression among themselves. Whoso disbelieveth the

which followers of the various religions had fallen. One of the greatest errors was forming separate groups and developing a spirit of narrow-minded clannishness and faction. This evil grew to such proportions that every religious group forgot the object of religion, ignored the fundamental teachings of religion, disregarded faith and conduct and considered only whether a person affirmed allegiance to that group or to some other. Irrespective of his faith and deeds, a person was supposed to be doomed if he belonged to another group and was assured salvation if he joined that group. This naturally led to bigotry and mutual hatred, and the path of religion was turned into an avenue for prejudice, enmity, malice, oppression, slaughter and beastliness. Even places of worship, dedicated to God, were destroyed because they were identified with a group other than one's own.

The Quran, therefore, recalled men to true religion and reminded them that :

a) Man's salvation depends not on his belonging to a particular group but on his own right belief and right action;

b) God's religion is the same for all mankind, and to forget this unity and universality of religion and to form mutually antagonistic groups

is to stray from the right path altogether; and

c) The Essence of all religions is to worship directly the One God, the Lord of the Universe. This is what was taught by every founder of a religion.

« إِنَّ الدِّينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ مِنَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. الآية » .

(Lo ! those who believe (in that which is revealed unto thee, Muhammad), and those who Jews, and Christians and Sabaeans-Whoever believeth in Allah and the Last Day and doeth right-surely their reward is with their Lord, and there shall no fear come upon them neither shall they grieve) 11 : 62.

So it was that the Quran explicitly and repeatedly warned men that it did not invite them to form a new group but instead called upon them to sweep away all artificial differences and factions and reunite into a single brotherhood as God intended them to be. The Quran says that it has brought no new religion but is merely a reiteration of the divine message that has come to mankind so often through various Prophets in different lands from time to time. "He has ordained for you (O Muhammad) the same religion which He enjoined on Noah, Abraham, Moses and Jesus" (XL 11 : 13). "(O Muhammad), We have sent thee

When the Quran was revealed to the world, religion had been identified with forms, practices and rituals, and every group looked upon followers of other ways as not only inferior beings but also beyond salvation; they alone were the true followers of God and His chosen and beloved. It was this misguided arrogance and blasphemy which the Quran set out to correct by distinguishing between the principles and forms of religion and directing attention to the essence of religion.

.. اسكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة واكن ليولكم فيها آتاكم .. الآية.

(For each we have appointed a divine law and a traced-out way. Had Allah willed He could have made you one community. But that He may try you by that which He hath given you (He hath made you as ye are). So vie one with another in good works. Unto Allah ye will all return, and He will then inform you of that wherein ye differ) V. 48.

It follows, therefore, that one's attitude towards followers of other religions must be one of broad-minded and understanding tolerance. It is a frailty of human nature that every group regards its own ways as the best and cannot look at them through the eyes of its critics. The only right course for man, therefore, is one of patience and tolerance.

• ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً
أفأنت تكسر الناس حتى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ •

(And if thy Lord willed, all who are in the earth would have believed together. Wouldst thou (O Muhammad) compel men until they are believers?) X: 99.

• ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم .. الآية •

(Reville not those unto whom they pray beside Allah lest they wrongfully revile Allah through ignorance. Then unto every nation have we made their deed seem fair. Then unto their Lord is their return, and He will tell them what they used to do) VI: 108.

It was this division of mankind into so many exclusive and mutually antagonistic groups which made the message of the Quran necessary. There should otherwise have been no need for the revelation of the Quran, since the object of all religions was the same and they were all founded on truth. While, however, all religions were true, their followers had strayed from truth and it was, therefore, necessary for a fresh divine call, which was the Quran, to bring all mankind together again to the eternal but long lost truth.

The Quran enumerates, repeatedly and at some length, the errors into

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Safar
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :

A. M. MOHADDIN ALWAYE

May
1966

THE QURAN'S CONCEPTION OF GOD - X

By : Moulana Abul Kalam Azad

The Straight Path



The object of religion is reform and welfare of mankind. This object can be fulfilled only in the context of the prevailing conditions and circumstances, which differ from time to time and from place to place. It is necessary, therefore, that the code of conduct must be such as to suit the circumstances of the time and place and the social fabric and intellectual capacity of the people for whom the code is evolved. This is, however, no more important than the physical and social differences which distinguish one people from another and has no bearing on the essence of religion. It is a sign of a people straying away from true religion when they begin to attach primary importance to such differences of form and practice. The Quran has repeatedly warned against this and set forth before man clearly what constitutes true religion.

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب »

والكتاب والنبين ... الآية .

(It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West ; but righteous is he who believeth in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the prophets ; and giveth his wealth, for love of Him, to kinsfolk and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask, and to set slaves free ; and observeth proper worship and payeth the poor-due. And those who keep their treaty when they make one, and the patient in tribulation and adversity and time of stress. Such are they who are sincere. Such are the God-fearing) II : 177. This is the definition of true religion and the picture of a true believer, be he called a Muslim or by another name, which the Quran placed permanently on record nearly 1400 years ago.

مجلة الإنساني

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنواين »
إدارة المجتاع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في المبرزة المبرزة الخمسة
٥٠ خارج المبرزة
والدريس الطلح بنحمض فاس

بَيْتُكَ رَمَى مَشِجَّةَ الْأَنْهَارِ فِي (أَنْ كَانَ شَهْرًا عَجَبِي)

الجزء الثالث - السنة الثامنة والثلاثون - جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ - أغسطس ١٩٦٦ م

السنة الثامنة والثلاثون



تحرير معنى الحرية

للأستاذ عبد الرحيم فوده

غير أن معنى الحرية قد اتسع لمعان تقض من قيمة الحرية ، وتبعد به عن المعاني السكرية العظيمة التي كانت تفهم من هذه الكلمة في الاستعمالات العربية .
فالدعوة إلى التبدل والتحلل تجد لها عند أصحابها سنداً من الحرية .
والترويج للنزاهة المنحرفة كالوجودية مثلاً يجد له سنداً من الحرية .
والنقد المفرض الهدام لبعض الأوضاع والتقاليد الصالحة يجد له سنداً من الحرية ،
والانطلاق المطلق وراء النزوات والشهوات يجد له سنداً من الحرية .

لم ترد كلمة الحرية في نص قرآني فيما أعتقد ولا في حديث نبوي فيما قرأت وفيما يغلب على ظني ، وإنما وجدت كلمة « تحرير » بمعنى تخليص الإنسان من غل الرق وذل العبودية وذلك المعنى يطلق عليه اسم الحرية وهو من أم وأعظم المقاصد الإسلامية ، فإن أول ما يدعو إليه الإسلام هو الإيمان بأنه لا إله إلا الله ، ومعنى ذلك أن يتحرر الإنسان من الخضوع لغيره ، لأنه دون سواه ، الحقيق بأن يبد ، ويحمد ثم لأنه لا يستقيم مع كرامة الإنسان أن يخضع لمن هو دونه أو مثله في الخلق والعبودية .

من الشرف والخير والكرامة ، فإذا المحرف
استخدامها إلى معانٍ لا تتفق مع الشرف
والخير والكرامة فقدت قيمتها الاجتماعية
والأخلاقية والشرعية ، وأصبحت في نظر
العرف العربي والإسلامي اسماً لا يدل على
مسيب ، وإنما يدل على سميات أخرى
يشكرها العرف والشرف والطبع السليم
والدين القويم .

ولاشك أن كل إنسان نزاع بفطرته إلى
الحرية ، لأنها السبيل إلى تلبية حاجات قلبه
وعقله وإرضاء ميوله وغرائزه ، ولكنه كائن
اجتماعي لا يستطيع أن يستقل بدشون نفسه
أو يعيش منعزلاً عن غيره ، بل إنه لا يكاد
يستقل بصنع أبسط شيء بقاؤه ، سواء
في ذلك مسكنه وملبسه ومأكله ، ومن ثم كانت
حاجته الدائمة إلى المجتمع الذي يعيش فيه
تتقاضاه أن يعرف له حقه عليه ، وأن يعمر
بواجبه نحوه ، وأن ينهض بأداء هذا
الواجب على الوجه الذي يتحقق به التعامل
بين ماله وما عليه ، ولهذا لا يتصور وجود
الحرية بمعناها المطلق الواسع في مجتمع
يصون لكل فرد فيه حريته ، ويلقى عليه
تبعات بمقدار ما يعطيه من حقوق وخدمات
بل إنه لا يتصور معنى الواجب والعرف
والقانون إلا على أساس الحد من الحرية
وتقييدها بالحدود التي تحول بينها وبين السدوان
على حريات الآخرين ، ومن ثم كان الخروج

وقد يجد الكذب والنفاق والدجل والتخريب
سنداً يؤيد فساداً وإفساداً من الحرية مادامت
الحرية تحمراً من كل قيد ، وتحللاً من
كل سلطان .

ومن ثم كان علينا أن نحرر معنى الحرية
حتى يخلص للعاني للكرامة العظيمة التي كانت
تراد منها ، وحتى تكون الحرية بحق وصدق
القاعدة الأساسية للكرامة الإنسانية ، ولنا
بحاجة ، في تحرير معنى الحرية ، أن نضع معها
قيد الالتزام كما قيل أو يقال ، فإن هذا القيد
يلغى مفهومها الواسع الطويل العريض عند
من يفهمونها فهماً واسعاً طويلاً عريضاً ،
وإنما علينا لتحرير معناها أن نرجع إلى
مفهومها العربي والإسلامي ، فإنه يكفيننا
ويهدينا إلى أنبل وأكمل وأجمل معاني الحرية .
فالحر - كما هو معروف - ضد العبد ،
والحرية على هذا الأساس هي التحرر من
القيود التي تحد من إرادة الإنسان وتفض من
قيمه وكرامته .

وحرية العرب ، إشرافهم ، فالشرف -
داخل في مفهوم الحرية .

والسحابة الحرة الكثيرة المطر فالخمس
كذلك داخل في مفهوم الحرية .

وحر كل أرض وسطها وأطليها ،
والأحرار هم الأغيار الأفاضل .

هذه المعاني التي تفهم من هذه الكلمة
في الاستعمال العربي تضع الحرية في إطار

على العرف الذي تواضع الناس على احترامه
فشارا في النظام العام ، وكان التمرد على القانون
الذي يؤخذ الناس بالتزامه جريمة تواجه
بالمقاب الزادع والعلاج الناجح ، ومعنى هذا
أن الحرية بمعناها الذي يتسع للموضى والفساد
لا توجد في ظل عرف محترم أو قانون مطاع
ولا يتصور وجودها في مجتمع يسوده الأمن
والنظام ، ومعنى ذلك كذلك أن الحرية ، كما كان
يتصورها العرب والمسلمون ، خير وكرامة
وشرف ، وقد حرص الإسلام على ضمانها لكل
إنسان ، لأن قدر الإنسان في تقديره كما يفهم
من قول الله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم
وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
ونصلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا »
فكرامة الإنسان تقوم أول ما تقوم على
الصمود بالحرية ، إذا لا قيمة ولا كرامة

لإنسان يعيش مملوك الإرادة ضائع
الخصية ، وذلك بعض ما يفهم من قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أحدكم إحصاء
يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنوا
ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن
تحسنوا وإن أساءوا أن تتفكروا إساءتهم ،
ولكن حرية الإرادة والفكر شيء وحرية
المهوى والشهوة شيء آخر ، فهذه مظهر
الضعف والمجز والهران ، وتلك مظهر القوة
والكرامة والإنسانية ، ولهذا يقول النبي
صلى الله عليه وسلم : الفكي من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت ، وهما جز من أتبع نفسه
هواها ومعنى على الله الأمان ، ويقول الله
جل شأنه : « ولا قطع من أضلنا قلبه من
فكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطاً »
عبد المرحوم قوده

نفس الحر

إذا قيل : هذا مهمل ، قلت : قد أرى
أنه من بعض ما لا يشينها
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة
ولكن نفس الحر تحتل الظن
عامة أقوال العدا فيم أولها ؛
بها عرض صمته لي سلبا
إذن فأتباع الجهل قد كان أحوما
(القاضي الجرجاني)

المصالح المرشلة كما يراها الأئمة مالك

للأستاذ محمد محمد المدني

هل ذلك الإمام مالك أبو إسحق القاطن في كتابه الاعتصام حيث قال ، بعد أن بين أن مالكاً إنما يقول بالمصالح المرشلة في شئون العادات والمعاملات فقط دون العبادات : « ودوراته في ذلك كله على الوقوف مع ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب لأن قصور - لغة ذلك في التبعات وتذوره بخلاف قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر المقول ، فإنه استقرئ فيه استرسال المدلل القريب في فهم المعاني المصلحية ، فهم مع مراعاة مقصود الشارع ألا يخرج عنه ولا يناقض أصلاً من أصوله ، حتى لقد استفتح العلماء كثيراً من وجوه استرساله ، زاعمين أنه خلع الرتبة ، وفتح باب التشريع ، وصحبات ما أبعد من ذلك رحمه الله ! - انظر ص ٢١١ ج ٢ من الاعتصام .

ولكن يتضح القارئ : ما هي المصالح المرشلة ، وكيف يعتبرها مالك .
تذكر ما يأتي :

• من المعروف أن قصد الشارع في كل ما صدر عنه هو (تحقيق المصالح) و (دفع

اشتهر عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه يقول : (بالمصالح المرشلة) ويعتبرها أصلاً من أصول التشريع ، ومع أننا لو تأملنا في جميع المذاهب الإسلامية لوجدناها كلها تعتبر (المصالح) وتبني عليها ؛ فإن لمذهب مالك مزيد اختصاص بذلك جعل منه في باب العادات والمعاملات مذهباً مرتناً متممياً مع منطلق التطور يمكن به حل كثير من المشكلات التي تهدد للناس ، ولا يحدون فيها بنصوصها نصاً شريعياً ، وقد كان لتوسع مالك في هذه القاعدة رد فعل عند بعض المتعرجين الذين دفعهم حرصهم على صيانة الشريعة وحياتها من المذهبين للمصالح في كل زمان ، وهم إنما يظنون تطويع الشريعة للأهواء ، ولذلك نرى مثل الفقيه الجربى يحمل على مالك ، ويقول في كتابه البرهان ، كانه قد منه الشوكاني في إرشاد الفحول : « وأفرط مالك في القول بها - أي بالمصالح المرشلة - حتى جره ذلك إلى استحلال القتل ، وأخذ المال لمصالح يقتضيها في غالب الظن ، وإن لم يجهدها مستنداً ، - ص ٢٢٥ من إرشاد الفحول - وقد رد

الاستدلال فيه بأنه (مرسل) والمصالح بأنها (مرسلة) كذلك ، على معنى الإرسال الذي هو ضد التقييد ، يقال : هذا شيء مقيد ، وهذا شيء مرسل من التقييد ، أى مطلق ، فلما كانت المصلحة مطلقة غير مقيدة ، بأنها معتبرة عن الفارح أو ملغاة ، سميت بالمصلحة المرسلة ، أى الخالية من شهادة الفارح لها من طريق نص معين بالاعتبار أو الإلغاء ، وإن كان الفارح يعتبر ما هو من جلسها على الجملة .

• إن مالكا رحمه الله تعالى يفرق بين ما هو من (العبادات) وما هو من (المصادات) ويقصد بالعبادات ما يعمل أحكام التعامل ، فهوى : أن (العبادات) لها دائرة ونطاق خاص ، فهم لم يبن غالبا على الحقائق المعقولة التي يمكن للناس أن يدركوها إدراكا كاملا ، وإنما هي رسوم رسمها الله ، الذي من حقه أن يعبد ، للؤمنين الذين عليهم ، إذا أرادوا إرضاءه ، أن يلتزموا ما رسمه لهم ، فليس من حقهم في هذا النطاق أن يتشكروا ، ولا أن يجودوا ، فلو أنشأ أبنا العمل بالمصالح المرسلة في باب الصلاة مثلا فربما قال قائل : إن الركوع في الصلاة هو خضوع لله ، وقد جعلته الشريعة ركوعا واحدا فلماذا لا نجعله ركوعين ، كما أن السجود مرتان لئتم التنسيق بأن يكون في

المفاسد) ، بل يمكن الاقتصار على العبارة الأولى ، فإن المفاسد إذا درست لم تثبت المصالح ، لأنها تقيضان لا واسطة بينهما ، فالشرعية كلها مبنية على هذا الأصل ، ولذلك ينظر المجتهد في المعنى المناسب الذي يرتبط به الحكم فيقول مثلا : إنما شرع القصاص لحفظ النفوس ، وإنما حرمت الحر لحفظ العقول ، فيكون حفظ العقول والنفوس مصلحة مقصودة للفارح ، ويكون التحريم للحر ، والإيجاب للقصاص تحقيقا للمصلحة المقصودة .

وهذا المعنى المناسب الذي يرتبط به الحكم تارة يكون من الواضح أن الفرح قد اعتبره كما مثلنا ، وتارة يكون من الواضح أن الفرح قد ألغاه ولم يرتب عليه ، كالمنافع التي تصل بالخير والميسر فإن الله تعالى قد ألغاه ورددها حيث يقول : يسألونك عن الحر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما .

وتارة يكون هناك معنى مناسب ، ولكن لم يرد فيه بخصوصه عن الفارح شهادة واضحة في جانب الاعتبار أو الإلغاء ، مع أنه يلائم تصرفات الفارح ، ونراه يعتبر جنسه في الجملة دون دليل معين .

فهذا الثالث هو الاستدلال المرسل ، الذي يسمى بالمصالح المرسلة ، وقد وصف

الاول من هذه الامثلة ، ونقب عليه بما يحليه وبما يبين آراء الناظرين المختلفين في شأن هذه المصالح :

ذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم انفقوا على جمع المصحف وليس هناك نص على جمعه وكتابه ، فقال بعضهم : كيف فعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فروى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أرسل إلى أبو بكر رضى الله عنه مقتل أهل البغامة - أى في زمن الحرب مع أهل البغامة - وإذا عنده عمر رضى الله عنه ، قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر بقراءة القرآن يوم البغامة - أى اشبه وكثر ، والقراء حفظه القرآن - وإنى أخشى أن يستحر القتل ، اقراء في المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن - قال : فقلت له : كيف أفضل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لي هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدرى له ، ودأبته فيه الذي رأى عمر - قال زيد : فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهملك قد كتبت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه ، قال زيد : فوافقه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي من ذلك فقلت : كيف يفعلون شيئا لم يفعله رسول الله

الركعة الواحدة من الصلاة وكوكان يهودان ، أو يقول إن المصلحة العامة في البلاد الحارة أن يصوم الناس شهرا من شهور فصل الشتاء أو فصل الربيع دون التقيد برمضان ، ونحو ذلك من كل ما هو خروج عما حشد الله ورسمه لعباده .

أما دائرة ، العادات ، و ، المعاملات ، فهي مبنية في الشريعة على المبادئ المعقولة التي يمكن الوصول إليها ، والاعتناء إلى قصد الشارع فيها ، فأوجدنا فيه نصا بالاعتبار المصلحة اعتدنا عليه ، وما وجدنا فيه نصا بالإلفاء وعدم اعتبار مصلحة بخصوصها فالفينا ولم نعتبره نزولا على حكم الشرع ، أما النوع الثالث : وهو موضوع المصالح المرسة ، فإن للجهل أن يقدر هذه المصلحة التي لم يرد في شأنها نص شرعى خاص ، فإذا وجد الشارع يستبرجها على إبداء في مواضع أخرى حتى يطمئن إلى عدم خروجها عن نطاق الروح الإسلامى ، فإن له أن يعتبرها بل يجب عليه ذلك شرعا ، وإلا كان مظهرا للشريعة بما هي براء منه من التزمت والتخرج والانكماش عن مجازاة ما هو غمير وصالح باعتبارها هي .

ولقاعدة المصالح المرسة أمثلة كثيرة ، ذكر العاطفي في كتابه « الاحتصام » عشرة منها ، وفي هذا المقال يكفيننا أن نذكر المثال

وقف موقف عمر رضي الله عنه ، حيث اعتبر ذلك مصلحة وخيرا وإن لم يرد به نص معين ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وقف أبو بكر أولا موقف المتخرج عن هذا ، ووقف كذلك زيد ، ولم يكن تخرجهما إلا احتياطاً على الشريعة ، وصيانة لها من أن يتجرأ أحد على فعل شيء لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالذين يأخذون على مالك قوله بالمصالح المرسلة إنما يذنبونهم إلى ذلك خوفاً من اقتصاص بابها ، ودخول من ليس أهلاً للدخول من هذا الباب ، فيقتحم الناس على الشريعة ، ويدخلوا عليها ما تأباه بحجة المصالح ، وفي الناس أذعياء على الاجتهاد والفقه ، أصحاب أهواء ، وإن نظاهروا بالإخلاص والتجرد عن الهوى .

أما مالك رحمه الله تعالى ؛ فكان فوق مثل هذه الظنون وقد قال بها فيما يرجع إلى حفظ ضروري ، أو دفع حرج ، فهي في حفظ الضروري من باب « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » ، وفي دفع الحرج من باب الميل إلى التخفيف والتيسير ، لا إلى التشديد والتعسير ؟

محمد محمد العربي

صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر حتى شرح الله صدرى فأبى شرح له صدورهما ، فتنبه القرآن أجمعه من الزقاع والمصب والنفاف - المصب جمع صيب وهو جريد النخل والنفاف حياوة بيض رقاق والزقاع جمع رقة ، وكل ذلك كان يكتب فيه القرآن - ومن صدور الرجال .

فهذا حل لم ينقل فيه خلاف عن أحد من الصحابة ، إلا هذا الذي كان بين عمر وأبي بكر ، ثم بين أبي بكر وزيد بن ثابت وانتهى إلى الوفاق بينهم ؛ بأن شرح الله صدر أبي بكر لما وآه عمر ، وشرح صدر زيد لما وآه أبو بكر .

ولمالك في ذلك أسرة حسنة ، فإنه لم يرد نص من النبي صلى الله عليه وسلم بما صنعوا ولم يحددوا أيضاً نصاً يمنع ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعا ، فإن ذلك راجع إلى حفظ الشريعة ، والأمر بحفظها معلوم ، وإلى دواء المفسدة التي يمتحن أن تقع لو اختلف الناس في القرآن أو مناع منه شيء ، وأما علم النهي عن الاختلاف في ذلك بأدلة كثيرة ، وإن لم يأت دليل خاص بهذه الحادثة بعينها ، فالله رحمه الله تعالى

أول المستليين

للاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

سلك السيدة عائشة ، وضوان الله عليها ، وثلة من الآخرين ، على حد التعبير - من خلق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أصحاب اليمين ، ومن المقربين - في سورة

نقلت :

ولنضرب لذلك مثالا :

« كان خلقه : القرآن » .

إن مقابلة السيئة بالسيئة : عدل .

ومع أن هذا الوصف ، من أم المؤمنين

يقول الله تعالى :

واضح وضوحا لا لبس فيه ، فإننا مع ذلك

« وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

نحاول له تحديدا نراه ضروريا ، وبيانا نراه

حتيا :

ولكن القرآن - مع بيان عدالة هذا -

ذلك أن الأخلاق القرآنية : تحدد الخلق

يذكر درجة أعلى من الخلق الكريم .

تلك هي : درجة « كظم الغيظ » .

الكريم ، في حده الأدنى ، وترسم الفضيلة

وهذا الذي - مع مقدومه على مقابلة السيئة

في درجاتها الأولى ، ثم لا يقتصر القرآن على

بالسيئة - يكظم غيظه ، أسى في ميزان

ذلك ، وإنما يرسم لهم من مكارم الأخلاق ،

الأخلاق الكريمة ، من الذي يقابل السيئة

ويوجه إلى السنام منها ، ويجرد إلى المناوئ

العليا من درجات المقربين :

بالسيئة .

ولا يقف القرآن عند هذا الحد ، ذلك :

إنه يتحدث عن : « المقصد » .

أنه يرسم درجة ثالثة ، من الخلق الكريم ،

ومن : « السابق بالخيرات » :

فتجاوز « مقابلة السيئة بالسيئة » ، « وكظم

إنه يتحدث عن : « أصحاب اليمين » ،

الغيظ » إلى « العفو » .

ويتحدث عن المقربين ، ويبين أن المقربين ،

والعفو مع المقدرة : أسى من « مقابلة

أقل عدداً من أصحاب اليمين ، فهم ثلة من

السيئة بالسيئة » ، وأسى من « كظم الغيظ » .

الأولين ، وقليل من الآخرين .

ثم يتجاوز القرآن كل ذلك ، إلى الدرجة

أما أصحاب اليمين : فإنهم ثلة من الأولين ،

العليا : درجة المقربين : وهي الإحسان .

يقول تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن حسا
وأصلح ، فأجره على الله ، » .

ويقول تعالى :

« والكاظمين الغيظ ، والصابرين عن
الناس ، والله يحب المحسنين » .

إنها درجات من الخلق الكريم ، كلها
كرامة ، بيد أنها متفاوتة ، فيما بينها ، من
كريم إلى أكرم ، بتفاوت الناس في الشرف :
من شريف إلى أشرف .

ويمكن لنا الآن ، أن نقاسم :

هل تريد السيدة عائشة رضي الله عنها ، حينما
نصفه صلى الله عليه وسلم ، بأن خلقه القرآن :
هل تريد الخلق القرآني الكريم ، في حده
الأدنى أم تريد في حده الأوسط ؟ أم تريد
في حده الأعلى ؟

وبحل لنا القرآن ، هذه المسألة ، فيحدد
- بصورة عامة وبطريقة بسيطة - الدرجة التي
وصل إليها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
من الخلق القرآني :

فيقول سبحانه (رسوله ، صلى الله عليه
وسلم : « وإنك لعل خلق عظيم » .
يقول صاحب الشفاء :

« أتني عليه بما منحه من حياته ، وهداه
إليه ، وأكد ذلك ، تكميلا لتعجيد ، بحرق
التأكيد ، فقال تعالى :

« وإنك لعل خلق عظيم » .

قيل القرآن :

وقيل الإسلام :

وقيل الطبع الكريم .

وقيل ليس لك حمة إلا الله ، اه

قال الرازي :

أثنى عليه بحسن قبوله ، لما أسداه إليه
من نعمة ، وفضله بذلك على غيره : لأنه
جعله على ذلك الخلق .

وقد تحدث الصحابة والتابعون عن هذه
الآية الكريمة قال ابن عباس ، رضي الله عنهما :
معناه : « على دين عظيم ، لا دين أحب
إلى الله ، ولا أرضى عنه منه ، وهو دين
الإسلام » .

وقال قتادة :

هو ما كان يأمر به من أوامره ، ويمنه
منه ، من نهى الله تعالى .

والمعنى : أنك على الخلق ، الذي أمرك
الله به في القرآن .

ومع ذلك ، ومع كل ما قيل : في هذه
الآية الكريمة ، من أنها تكريم ، وتعجيد ،
ومدح وثناء ، ومع إيماننا ، بأنها تحقق
كل المعاني الكريمة التي قبلها ، والمعاني
الشريفة التي ستعال :

فإننا نرى ، أن الأمر ما زال بحاجة إلى
بيان الدرجة ، بيانها تلم .

« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

هذه الآية القرآنية الكريمة ، تهدد درجة الأخلاق القرآنية ، التي وصل إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنها ذروتها ومناسها . ولقد بعث صلى الله عليه وسلم ، ليتم على حد تعبيره - مكارم الأخلاق :

إله صلى الله عليه وسلم ، بعث ليتم المكارم الأخلاقية .

ليتمها بذاته ؛ بسلوكه ، وليتمها بقوله ؛ برسالته .

إنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة لحسب ، وإنما بعث ليتم مكارمها .

ومكارم الأخلاق لم تكن - قبل الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه - قد تمت ، وإن أول المسلمين ، لم يكن قد وجد بعد ، وكانت بذلك مكارم الأخلاق ناقصة ، كان ينقصها أكل صفة لمكارم الأخلاق ، وهي إسلام الوجه لله ، إسلاماً تاماً .

إن الكائنات لم تكن قد وصلت - لاني نبي مرسل ، ولا في ملك مقرب - إلى القدوة من إسلام الوجه لله ، والقدوة من إسلام الوجه لله ، أو أول المسلمين - والتعبيران سواء - إنما هو القدوة من مكارم الأخلاق . إن الكائن الرباني : إنه أول المسلمين ،

قد يقال بعض الناس ، عن هذا الخلق العظيم ، أكان يشرك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيه نبي مكرم .

أكان يشركه فيه رسول مجتبي ؟

أكان يشركه فيه ملك مقرب ؟

ألم يكن سيدنا إبراهيم على خلق عظيم ، وهو الحليم الأواه النبي ؟

ألم يكن سيدنا إسماعيل ، على خلق عظيم ، وكان هند وبه مرضياً ؟

ألم يكن سيدنا عيسى ، على خلق عظيم ، وقد جعله الله مباركا أينما كان ؟

والملائكة الذين لا يصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومنهم : جبريل ، وميكائيل ، وحمة العرش ، أليسوا على خلق عظيم ؟

أيشرك أحد من هؤلاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في درجته ؟

أيماثلون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الخلق العظيم ؟

ويسعدنا القرآن بهذا التمجيد ، إضافة رضى النطلع إلى المعرفة ، ويشرح صدور المحبين لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إن القرآن يحسم الأمر حياً ، لا يدع فيه مجالاً للبس ، ويسفر عنه إسفاراً لا يدع مجالاً للرب ، يقول الله تعالى ، (رسوله الكريم :

هـ ، إنما هو القرآن ، وإذا ما وصل الإنسان إلى إسلام الوجه هـ ، كان بذلك في ذروة الإنسانية ، وفي الذروة من مكارم الأخلاق ، ويتفارت الناس في إسلام وجوههم هـ ، ولا بد من أن يكون أحدهم أول ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أ. لم بإطلاق مطلق

هـ : قل : إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي : لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أسرت ، وأنا أول المسلمين . .

ولم يصف القرآن بأول المسلمين ، شخصاً آخر ، فهو الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولولم يوجد أول المسلمين ، المتمسك لمكارم الأخلاق ، ذلك الذي كانت صلاحه ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين . . . لو لم يوجد هذا المكان الرباني لظل العالم مستغرقاً إليه ليكمل به ولفل العالم ناقصاً مادة ودوحاً ...

فلما وجد صلى الله عليه وسلم انتهت حكمة الله بوجوده ، وبرساته إلى ما بينه الله تعالى بقوله :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

ولنا - إن شاء الله - مع هذه الآية الكريمة مقال آخر ؟

عبد العظيم محمود

أولهم بإطلاق ، أولهم بالنسبة لللائمة ، وأولهم بالنسبة لبني آدم ، أولهم قديماً ، وأولهم إلى الأبد ... إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد .

وكانت الإنسانية بذلك ناقصة ، وكانت السكائن كلها بذلك ناقصة .

كان الكون ناقصاً مادة ومعنى ، كان بنقصه أن تنظر أرضه بأذكي الأجساد ، وأن ينظر جوه بأذكي الأرواح ، وكان لابد من وجود كائن ، بهذه المناسبة يكمل الله به الدين ، ويتم به النعمة ، ويرضى رسالته ديناً عاماً عادلاً للإنسانية أجمع : هو إسلام الوجه هـ ، وينزل القرآن محمداً إسلام الوجه هـ وسائل ، ومحمداً إسلام الوجه هـ غايات ، ومحمداً إسلام الوجه هـ طرقاً وأصاليب ، ومحمداً هـ براعت وأهداف .

ومن هنا كان من يقتضى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

وكيف يقبل منه ما يقفاني مع إسلام الوجه هـ ؟

إن إسلام الوجه هـ هو الذروة ، من مكارم الأخلاق ، وهو جوهر الدين ، إنه دين النعمة ، إنه الدين الخالد .

والنص الوحيد ، النص الإلهي الفريد في عالم كله الذي يبين كيفية إسلام الوجه

حقوق الإنسان في الإسلام

دكتور استاذ الدكتور علي عبد الواحد داني

تبين الرشد من الغي ، ، ويقول مخاطباً الرسول عليه السلام : « فإن أمرنا ما أرسلناك عليهم حفيظاً ، إن عليك إلا البلاغ » . وجاء هذا المعنى نفسه في عبارات صريحة في آيات أخرى كثيرة من القرآن .

وهل هذا المبدأ صار المسلون مع أهل الأديان الأخرى . فكانوا يبيحون لأهل البلاد الخاضعة لهم أن يبقوا على دينهم ، وكانوا يأخذون على أنفسهم احترام عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم . وفي هذا يقول عمر ابن الخطاب في معاهدته لأهل بيت المقدس : « أعطى عمر بن الخطاب أهل إيلياء أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم . لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم » . ويقول عمرو بن العاص في معاهدته مع المصريين : « أعطى عمرو بن العاص أهل مصر أماناً على أنفسهم ومثلهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ودمهم وبحرمهم » .

هذا إلى أن الإسلام لا يمتد إلا بالإيمان المنبثق عن اقتناع . ومن ثم أنكر القرآن على بعض الأعراب ادعاءهم أنهم مؤمنون ، لأن الافتتاح النفس لم يكن قد دخل بعد

توحيدهم أم حقوق الإنسان ، حسب ما تقرره شرائع الأمم المنحضرة ويقتضيه حرفها الخلقى العام ، إلى خمسة حقوق تتصل بخمسة أنواع من الحريات وهي : حرية للتدين وحرية التفكير والتعبير ، وحرية العمل ، وحرية التعلم والثقافة ، والحرية المدنية .

ومنعرض فيما يلي موقف الإسلام حيال كل حق من هذه الحقوق الخمسة على حدة :
١ - الحرية الدينية ، أو حق الإنسان في اعتناق ما يرتضيه من دين :

قرر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق ، وحرس على دمه في جميع ماحته من مبادئ ، وخاصة في المبدأ الذي ينص عليه القرآن بصريح العبارة في أكثر من موضع ، وهو أنه لا يجوز أن يرغم أحد على ترك دينه واعتناق الإسلام ، وأن مهمة الرسول عليه السلام ومهمة كل داع للإسلام تقتصر على بيان تعاليم الدين ، وتوضيحها للناس ، والدعوة إليه ، بالحسنة والموعظة الحسنة ، ولكل فرد بعد ذلك مطلق الحرية في الدخول في الإسلام أو عدم الدخول فيه . وفي هذا يقول الله تعالى : « لا إكراه في الدين ، قد

بالتوجهيات الواردة فيها إلا مجرد بحث
المقول على النظر في عيوب الكون ، وحفز
الناس على التأمل في هذه القسور واستنباط
القوانين الدقيقة التي تسير عليها ظواهر
الأرض والسماء ، والاستدلال بها على قدرة
الخالق وعظمته وإتقان صنعه ، ثم ترك بعد
ذلك لكل فرد كامل الحرية في تقرير ما يراه
والاعتقاد به واعتناق ما يقتنع بصحته من
نظريات .

وعلى هذا المبدأ سار الرسول عليه الصلاة والسلام وسار الخلفاء الراشدون من بعده فقد كانت حرية الرأي في عهدهم جميعاً مكفولة ومحروطة بسياج من القدسية . وباستقرار تاريخ هذه المرحلة التي تمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل لا يشر على أية محاولة من جانب أولى الأمر لقمع حرية الآراء.

ولا أدل على ذلك من أن الرسول عليه السلام حينما أشار على بعض الناس بعدم تلقيح النخل ، ثم تبين أن ذلك يؤدي إلى عدم إثمارها ، ذكر أنه إنما تحدث في ذلك برأيه الخاص ، وأن رأيه الخاص مرهنة الخطأ والصواب ، وأن هذا الحكم يسرى على كل ما يتحدث عنه من أمور الدنيا ، وأن الناس الحق في البحث في أمر دينهم وعلاجها على الوجه الذي يهديهم إلى تداركهم وأفكارهم ، وأنهم قد يكونوا أعلم ببعضها من الرسول نفسه ، وأن الأمور التي كلف

في قلوبهم . وفي هذا يقول الله تعالى : « قالت
الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا
أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم .
وغنى عن البيان أنه لا يمكن الإكراه ولا
يعقل في أمر لا يستحق إلا بالافتتاح النفس .
٢ - حرية التفكير والتعبير :

وهو حق الإنسان في أن يفكر تفكيراً
مستقلاً في جميع ما يكتشفه من شئون وما يقع
تحت إدراكه من ظواهر ، وأن يأخذ بما
يهدى إليه فهمه ، وأن يعبر عنه بمختلف
وسائل التعبير .

ولا يختلف موقف الإسلام حيال هذا الحق من موقفه حيال الحق السابق؛ فالإسلام لم يحاول إطلاقاً أن يفرض أية نظرية بصدد أية ظاهرة من الظواهر ، ولم يعرض القرآن ولا السنة الشريفة لتفاصيل هذه الأمور ، وكل ما فعله القرآن في هذه الناحية أنه استعصم العقول على النظر في ظواهر الكون ، وحفز الناس على التأمل في هذه الشئون واستقياط قرائنها العامة . وفي هذا يقول الله تعالى : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ؟ » . وجاء الحث على النظر في هذه الأمور في آيات أخرى كثيرة من القرآن ، بل إنه لا شكاد مخلو سورة من سوره من توجيه النظر إلى ذلك - وبظهر في سورة الواقعة من جميع النصوص القرآنية الواردة في هذا الصدد أن القرآن لا يقصد

الصلاة والسلام : « ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده » .

وعلى أساس هذه النظرة المقدسة للعمل ، يقدس الإسلام حق العامل في ثمرات عمله وملكيته أجره ، فهو يدعو إلى الوفاء بأجر العامل وينذر من يجهل عليه من أصحاب العمل بحرب من الله ورسوله . قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي :

« قال الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة » . وعد منها « رجلا استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » ، وهو يدعو كذلك إلى التعجيل بأداء الأجر ، وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

• • •

هذا ، وقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق العمل ، فأباح للمرأة أن تصطحب بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أداها ولا تتنافر مع طبيعتها ، ولم يفيد الإسلام هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها ، ويصونها عن التبذل وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم . وقد كانت النساء المسلمات في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يقمن بكثير من الأعمال في داخل منازلهن وخارجها ، بل لقد اضطلعت المرأة المسلمة ببعض شئون الحرب نفسها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فلم تخل

تبلغها إل الناس من قبل الله والتي لا يمكن أن يتطرق إليها العكس مقصودة على شئون الدين من عقيدة وشريعة . ونص عبارته في هذا الحادث : « إنما أنا بشر : إذا أمرتكم بشئ من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشئ من رأيي فإنما أنا بشر ، وأنتم أعلم بأمر دينكم » .

٢ - حرية العمل :

وهي أن يكون لكل فرد الحق في أن يراول أى عمل مشروع وأن يتمتع بثمرات أعماله . ولا يختلف موقف الإسلام حيال هذا الحق عن موقفه حيال الحقين السابقين . فالإسلام لا يقر نظام الطبقات في الوظائف والمهن régime des castes وإنما يعطى كل فرد الحق في أن يراول أى عمل مشروع يروق له وتكون لديه الكفاية للقيام به في الحدود التي لسنها التظم الاجتماعية لتعديد الكفاية والصلاحية لمختلف الأعمال . وجميع الأعمال المشروعة أعمال شريفة في نظر الإسلام ، سواء في ذلك الجسمي منها والعقلي والإداري .

وقد حث الإسلام على العمل أيا كان نوعه ، ما دام واخلا في نطاق الأعمال المشروعة ، وأمر به ، وأهل من شأنه . يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « هو الذي جعل لكم الأرض فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ، ويقول عليه

مع ذلك بحث على تحصيل العرف والعادات والفنون بمختلف فروعها . وبفضل ذلك نبغ في مختلف هذه الفروع عدد كبير من علماء المسلمين ، ولم ينادروا أى فرع منها إلا ألفوا فيه كتباً قيمة لا يزال كثير منها يد من أمهات المراجع .

هذا ، وقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق التعلم والثقافة فأعطى المرأة الحق نفسه الذى أعطاه الرجل في هذه الشؤون ، وأباح لها أن تحصل على ما تشاء الحصول عليه من علم وأدب وثقافة وتهذيب ، بل أنه ليرجع عليها ذلك في الحدود اللازمة لرفورها على أمور دينها وحرص قيامها بوظائفها في الحياة . وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام النساء على طلب العلم ، وجعله فريضة عليهن في هذه الحدود في الحديث الذى سبق ذكره وهو قوله عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وحرب عليه السلام أروع مثل في الحرص على تعليم المرأة وتثقيفها بما قبله مع زوجه حفصة أم المؤمنين . فقد روى البلاذرى في كتابه « فتوح البلدان » أن الشفاء العدوية ، وهي سيدة من بنى همدان وعط عشرين الخطاب ، كانت كاتبة في الجامعية ، وكانت تعلم الفتيان ، وأن حفصة بنت عمر أخفت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالرسول عليه السلام ، ولما تزوجها طلب إلى الشفاء العدوية أن تتابع تثقيفها

غزوة من غزواته من نساء يقمن بمساعدة الرجال وشئون الإسعاف للجرحى .

وأما نظم الحريم وحبس النساء في البيوت ، فهى نظم استحدثت في بعض البلاد الإسلامية تحت تأثير ظروف اجتماعية وتقاليد محلية خاصة ، وليس من مبادئ الإسلام في شيء .

٤ - حرية الثقافة والتعليم :

أعطى الإسلام كل فرد الحق في أن ينال من العلم والثقافة ما يباح وما يفيقه له إمكانياته وظروفه ويقيمه له استعداده ، بل جعل ذلك فرضاً عليه في الحدود اللازمة لأمور دينه وشئون دنياه ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « تعلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . ويشيد الله تعالى في كتابه الكريم بالعلم والعلماء ، فيقول : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » . وقد جلت الآيات الأولى نفسها التي نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام من الكتاب الكريم منظومة على تعظيم العلم ووضعه في المكانة الأولى من نعم الله على الإنسان ومن دلائل عظمته وقدرته : « اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، (آيات ٣ - ٥ من سورة ٩٦ ، سورة القلم ، والآيات الخمس الأولى من هذه السورة هي أول ما نزل من القرآن) .

ومع أن الإسلام يوجه قسطاً كبيراً من عنايته إلى علوم الدين وما يتصل بها ، فإنه

وكافى الإسلام على التفرقة بين الرجل والمرأة في حق الحرية المدنية ، ففى كذلك على جميع الأساليب التى كانت تفرق بين الأفراد في هذا الحق تبعاً لاختلاف شعوبهم أو أجناسهم أو طبقاتهم أو ألوانهم ، أو تبعاً لتفاوتهم فى الأحساب والأنساب . وفى هذا يقول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ويقول الرسول عليه السلام فى خطبة الوداع التى جعلها دستوراً للسلين من بعده ولخص فيها طائفة من أهم أحكام الإسلام : « يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لهنسي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » . وتناقش مرة أبو ذر الغفاري مع بلال الحبشي الأصل في حضرة الرسول عليه السلام ، فاحتد أبو ذر على بلال ، وقال له يا ابن السوداء فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك غضباً شديداً ، وقال « لطف الصاح لطف الصاح » أى قد تجاوز الأمر حده ، ثم توجه إلى أبي ذر وقال له « أفك امرؤ فيك جاهلية . ليس لابن اليثماء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى » .

وأن فعلها تحسب الخط وتزيينه كما علمتها أصول الكتابة . وتعد شواهد كثيرة أن أبواب العلم والثقافة بمختلف صنوفها كانت مفتحة على مصاريحها لبنت العربية منذ عصر بني أمية ، وأنه قد نبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات ، وبرزن في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وشتى أنواع المعارف والفنون ، بل لقد كانت هن من عملات فضليات تخرج على أيديهن كثير من أعلام الإسلام .

هـ - الحرية المدنية :

هى الحالة التى تحمل الشخص أهلاً لإجراء العقود وتحمل الالتزامات المدنية والتصرف فيها بملك .

وقد منح الإسلام هذا الحق لجميع الأفراد البالغين الراشدين .

وقد سوى الإسلام في حق الحرية المدنية بين الرجل والمرأة ولا فرق في ذلك بين أن تكون متزوجة أو غير متزوجة ، فالزواج في الإسلام لا يفقد المرأة اسمها ولا شخصيتها المدنية ولا حقها في التعاقد ولا أهليتها في التملك ، بل تظل المرأة المملكة بعد زواجها محفظة باسمها واسم أسرتها ، وبكامل حقوقها المدنية ، وبأهليتها في تحمل الالتزامات وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء وهبة ورمي وما إلى ذلك ، ومحفظة بحقها في التملك تملكاً مستقلاً من زوجها وبالتصرف فيها بملكها .

المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به تنفيذ ما قرره ، فإنه بذلك يمرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدي تشريعه إلى أضرار بالغة لا تقل في سوء مضبتها عما تتعرض له حياتنا في العصر الحاضر إذا أئني بشكل جائئ نظام البنوك والشركات أو حرم استخدام المال وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو يبطل استخدام السكك الحديدية أو استخدام البخار : فالريق كان بخار الآلة الاقتصادية في تلك العصور . فإذا كان الإسلام قد أقر الرق فإنه قد أقره تحت تأثير هذه الضرورات الاقتصادية والاجتماعية القاهرة .

(والنقطة الثانية) إن الإسلام لم يقر الرق في صورة مطلقة ولا دائمة ، وإنما أقره في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج ، بدون أن يحدث ذلك أي أثر سيء في نظام المجتمع الإنساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغير في مجرى الحياة . والوسيلة التي ارتضاها الوصول إلى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلنها أولاً وأصدقها نتيجة . وهي تلخص في مسلكين : يمثل أحدهما في : تطبيق المبادئ التي كانت تمد الرق وتنفيذه وتكفله بقائه ، بل في العمل على تخفيفها تخفيفاً كاملاً ، ويمثل الآخر في توسيع المناقذ التي تؤدي إلى العتق

وسوى الإسلام كذلك في حق الحرية المدنية بين المسلمين وغير المسلمين فقرر أن غير المسلمين في بلد إسلامي أو في بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق مدنية وعلمهم ما عليهم من واجبات وتطبق عليهم القوانين نفسها التي تطبق على المسلمين إلا ما تعلق منها بالشئون الدينية فتعفى فيه عقابهم وشرائعهم ، وتدل على ذلك كله آيات كثيرة من القرآن الكريم ، كما تدل عليه هذه أساليب نبوية .

هذا ، وقد أخذ بعض الباحثين على الإسلام أنه أباح الرق ، وأن في هذا عدماً لأم ركن من أركان الحرية المدنية ، لأن الرقيق بحسب تعريفه : إنسان مجرد من الحقوق المدنية ، فلا يحق له إجراء أي عقد ، ولا تحمل أي التزام مدني ، ولا يحق له التملك ، بل يعتبر هو نفسه من ممتلكات سيده .

وردنا على هؤلاء يتلخص في ثلاث نقط :

(أحدهما) أن الإسلام قد ظهر في عصر كان نظام الرق فيه دامة تركز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الإنتاج في قسم كبير من أمم العالم . فلم يكن من الإصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول مشرع إلغاء مرة واحدة لأن محاولة كهذه كان شأنها أن تعرض أوامر المشرع للمخالفة والاعتناء . وإذا أتيح لهذا

استثنى منه أولاد الجوارى من أسيادهن .
 فقرر أن من تأنى به الجارية من سيدها يراد
 حراً ، وإذا لاحظنا أنه كان الغالب في أولاد
 الجوارى أن يكونوا من مواليهن أنفسهم ،
 لأن الأغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى في معظم
 الأحوال إلا لمتعتهم الخاصة . تبين لنا أن
 هذا القيد الذي فيد به الإسلام ورق الوراثة
 وانفرد من بين جميع الشرائع التي كانت
 تقرر الرق ، كفيل بالعمل على جفاف هذا
 الرافد نفسه ونضوب معينة بعد أمد غير
 طويل .

ومن أم القيود التي قيد بها المورد الثاني
 وهو الحرب الخارجية المشروعة أنه يشترط
 في الحرب حتى تكون مشروعة شروطاً
 لا تكاد تتوافر إلا في الحروب التي اضطر
 إليها الإسلام في مبدأ أمره للدفاع المشروع
 أو للقضاء على ما كان يذبر له من فتن
 ومؤامرات ، أو لتأمين دعوته ، كما تدل على
 ذلك آيات كثيرة من القرآن . وحتى مع
 توافر هذه الشروط في الحرب فإن الإسلام
 لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر ، بل يبيح
 للإمام أن يمن على الأسرى بدون مقابل ،
 أو يطلق سراحهم في نظير فدية تتدلى في نقد
 أو في عمل يؤدونه أو في نظير أسرى من
 المسلمين عند العدو ، بل إن القرآن قد تحاشى
 أن يذكر الرق بين الأمور التي يباح للإمام

والتحريم . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء
 بمجدول كثرت مصباته واخضعت عنه موارده
 التي يستمد منها الماء ، وخلق بمجدول هذا
 شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف . وبذلك
 كفيل الإسلام القضاء على الرق في صورة
 صلبة هادئة ، وأتاح للعالم فترة للانتقال
 يتخلص فيها شيئاً فشيئاً من هذا النظام .

وسنعرض فيما يلي بشيء من التفصيل لكل
 مسلك من هذين المسلكين :

(المسلك الأول) تطبيق روافد الرق :
 قضى الإسلام على ستة روافد هامة من روافد
 الرق قبل الإسلام ، لحرم الرق الناقض من
 الأسرى في حرب أهلية أو في حرب بين المسلمين
 بعضهم مع بعض ، والنساء من القرصنة
 والخطف ، وعن ارتكاب بعض الجرائم ،
 وعن هجر المدين عن دفع دينه ، وجرى
 الوالد من سلطة يبيع أولاده ، وجرى الحر
 من سلطة يبعه نفسه . ولم يبق الإسلام من
 روافد الرق إلا رافدين اثنين ، وهما رق
 الوراثة وهو الذي يفرض على من ظلمه
 الأمة ، ورق الحرب الخارجية المشروعة
 الذي يفرض على الأسرى في حرب خارجية
 يهيئها الإسلام ، وعهد إلى هذين الرافدين
 تقسيهما فقيدهما بقيود تكفل فنضوب
 معينهما بعد أمد غير طويل .

فن أم القيود التي قيد بها ورق الوراثة إنه

الدولة لأن العتق كان يمد تضيقاً لحق من حقوقها .

جاء الإسلام وهذه حال العتق في ضيق منافذه وقسوة شروطه ، لحلم كل هذه القيود ، وفتح لطائفه الرقيق أبواب الحرية على مصاريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافاً من الفرص وتبلى للعق من الأسباب ما يمكن بعضه لفضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل .

وفيما يلي طائفة من أهم هذه الأسباب :

١ - أن يجرى على لسان السيد في أية صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، سواء أكان قاصداً معنى اللفظ أم لم يكن قاصداً له بأن جرى خطأ على لسانه ، وسواء أكان جاهداً في إصداره أم كان عازلاً ، وسواء أكان مختاراً أم كان منكراً إكراها على التلغظه ، وسواء أكان في حالة عادية أم كان قانداً لرشد ، بفعل الخروما إليها من الهرمات ، ومن هذا يظهر أن الإسلام يتلى أوهى الأسباب لتحرير العبد .

٢ - أن يجرى على لسان السيد في أية صورة لفظ بنيد ، التدير ، أى يدل على الوصية بتحرير العبد بموت سيده ، فيجوز أن تصدر من السيد عبارة بنيد هذا المني تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده .

٣ - أن يأتي السيد من جاريته براه .

أن يماثل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المن والفداء ، قال تعالى : ، فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقات حتى إذا انفجتم فقتلوا الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء ، . ومسلك الرسول في جميع غزواته يدل كذلك على إبطاء دائما المن والفداء . فالإسلام لم يجعل الرق تقييداً لازماً للأمر . بل جعله مسلماً من المسالك التي يصح أن يتخذها الإمام ، ولم يرغب فيه ، بل رغب في غيره وفضله عليه . هذا إلى أنه لم يجر الالتجاء إليه إلا بشروط لا تكاد تتوافر إلا في الحروب بين أمة والأمة الأخرى فإنه يندر أن تتوافر هذه الشروط ، وذلك يعني أن الإسلام لم يبق على هذا الزائد إلا لأجل قصده . فسلوك حياته المسالك نفسه الذي سلكه حيال الزائد الأول : فقيد بغيره تكفل جفائه بعد أمد غير طويل .

(المسلك الثاني) توسيع منافذ العتق :

كانت منافذ العتق قبل الإسلام ضيقة كل الضيق ، فلم تكن له إلا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى في تحرير عبده ، هذا إلى أن معظم الشرائع السابقة للإسلام كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده إلا في حالات خاصة وبشروط قاسية وبعد إجراءات قضائية ودينية معقدة كل التعقيد . وبعض هذه الشرائع كان يفرض على السيد الذي يرغب في عتق عبده غرامة مالية كبيرة يدفعها

الجرائم والخطايا التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها تحرير الرق ، فبينما كانت الجرائم في الشرائع السابقة للإسلام تؤدي إلى استرقاق الأحرار إذا بها تصبح في شريعة الإسلام مؤدية إلى تحرير العبيد .

٧ - حبب الإسلام إلى الناس تحرير الرقيق في غير الحالات السابق ذكرها ، وجعل ذلك أكبر قربة بتقرب بها المؤمن إلى الله تعالى ، كما يدل على ذلك آيات كثيرة من القرآن وآثار كثيرة من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام .

٨ - خصص الإسلام مهما من مال الزكاة ، أي جزءاً من ميزانية الدولة للإتفاق على تحرير العبيد ومساعدة من يحتاج منهم إلى مساعدة في سبيل تحريره كالمساكين ومنهم إلهم ، قال تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والسالمين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الزكاة ، أي في فك القيود عن رقاب العبيد ، والمقصود بالصدقات في الآية الزكاة التي كان يتألف منها أهم مورد من موارد الدولة ، فبينما كان بعض الشرائع السابقة للإسلام يفرض على من يمتنع عبده غرامة يؤديها للدولة وتضاف إلى ميزانيتها ، لذا بشريعة الإسلام تخرج جزءاً من ميزانية الدولة وتخصه لعتق العبيد .

...

ففي هذه الحالة يعتبر الولد حراً من يوم ولادته كما تقدم بيان ذلك ، وتصبح الأم نفسها مستحقة الحرية بعد وفاة سيدها .

٩ - أن يكتب السيد عبده ، أي يتفق معه على أن يفتقه إذا دفع له مبلغاً من المال ، وقد دلت الإسلام لهذا النوع من العبيد جميع وسائل الحصول على المال في صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية ، فأباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، فيبيعوا ويشترى ويتاجروا ويمتدوا العقود حتى يستطيعوا أن يجمعوا المبالغ التي كوتبروا عليها فتحرر رقابهم ، وحده جميع المسلمين وحث الدولة نفسها على مساعدتهم والتصدق عليهم ، فقال تعالى : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاوتهم إن علمتم فيهم خيراً ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » .

١٠ - وقد جعل بعض أئمة المسلمين من أسباب العتق أن يؤدي السيد عبده إيداء بليناً ، فيصبح العبد في هذه الحالة حراً بدون حاجة إلى حكم حاكم ، بل لقد ذهب بعض أئمة المسلمين إلى أن مجرد علم السيد لعبده أو ضربه له يؤدي إلى عتقه عملاً بما رواه ابن عمر عن النبي عليه السلام أنه قال : « من علم يملكه أو ضربه فكفارته عتقه » .

١١ - عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من

وحيث الموالى على أن يسروا العبيد والإماء
سبل الزواج كما يدل على ذلك نصوص القرآن
نفسه ، وأباح الرقيق الزواج من أمته مثله
ومن حرة ولأمة الزواج من رقيق مثله
ومن حر ، بنفس الأوضاع والشروط
والعقود التي يتزوج بها الأحرار ، ومن ذلك
أنه منح الرقيق الحق في أن يطلق زوجته ،
والحق أن يخاضع سيده أمام القضاء ، وفي أن
يجري مع سيده أى تعاقد يؤدي إلى تحريره
وإذا تم هذا التعاقد فإن الإسلام يمنح الرقيق
الحق في جميع التصرفات المدنية حتى يستطيع أن
يجمع المبلغ الذي كوتب عليه فيستحر رقيقته ،
ومن ذلك أنه منح الرقيق حق التعليم والثقافة ،
وحيث الموالى على تطعيم عبيدهم وإماءهم ،
وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام .
«أبما وجل كانت عنده وليدة (أى جارية)
فعلها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن
تأديبها ثم أعتقها وتزوجها لله أجرا » .

وينبشنا التأريخ الإسلامى أن فرص التعليم
والثقافة كانت متاحة للعبيد والجوارى
في أوسع نطاق في مختلف العصور الإسلامية ،
وأن هذه الفرص قد آتت ثمرتها الطيبة ،
فأنشأت منهم آلافا من المبرزين والمبرزات
في علوم القرآن والحديث والفقه والفن
والادب وشتى أنواع الممارف والفنون ؟

دكتور على عبد الواحد والى

ومن هذا يظهر صدق ما قلناه من أن
الإسلام لم يقر الرق إلا لضرورات اجتماعية
وإقتصادية قاهرة ، وقد أقره في صورة تؤدي
هى نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج وذلك بأن
حقيق ووافقه ، بل لم يسمح ببقائها إلا لأجل
معلوم ، ووسع منافذ العتق إلى أبعد الحدود ،
وبذلك أصبح الرق كالفنا أشبه شيء بمجدول
كثرت مصباته وانقطعت منه منابعه التي
يستمد منها الماء . وخلق بمجدول هذا شأنه
أن يكون مصيره إلى الجفاف .

وقد جيب بالفعل هذا المجدول من وجهة
النظر الإسلامية منذ عهد طويل ، وأما
ما يوجد في الوقت الحاضر في بعض البلاد
الإسلامية وغيرها من رواسب الرق فهي
اعتداءات صريحة على حقوق الإنسان .
لا يجدها الإسلام ، وتتنافر كل التنافر مع
قواعده وأحكامه وروحه .

• • •

(والنقطة الثالثة) أن الإسلام لم يجرّد
الرقيق من جميع الحقوق المدنية كما فعلت
الشرائع السابقة له ، بل اعترف بإنسانيته ،
 واحتفظ له بكثير من الحقوق المدنية المقررة
للأحرار ، فمن ذلك مثلا أنه أقر أن يكون
الرقيق أسرة بالمعنى القانونى لهذه الكلمة ،

نفيحات القرآن

القرآن مآدبة الله لعباده

للمؤمنين عبد اللطيف التلي

(أ) يا أيها الناس : قد جاءكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما
في الصدور ، وهدى ، ورحمة للمؤمنين .
(ب) قل بفضل الله ، وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا ، هو خير
مما يجمعون . ٥٧ - ٥٨ يونس

- ١ - في الآية الأولى : بيان كريم لبعض منافع القرآن .
- وفي الثانية : دعوة من الله لاغتنام هذه المنافع ، واتخاذها أكثر من سواها .
- والله تعالى : يفتح باب عباده ، ويرجيه خطابه إليهم جميعاً بقوله : يا أيها الناس ،
- وفي هذا النداء إعلام جدير ، بطرق الأسماح في كل زمن ، وفي كل بيئة ، ويرافق الدنيا على مداها الطويل ، إلى أن يبدل الله الأرض غير الأرض ، والسموات غير السموات ، ويرز الناس من الأجداث لله الواحد القهار .
- وتوجيه الدعوة إلى الناس بهذا النداء العام قد تكرر في الكتاب العزيز سبع عشرة مرة منها تسع مرات في مكة . . . وثمان مرات في المدينة .
- ومرة تكون هذه الدعوة العامة إلى عبادة الله : يا أيها الناس اعبدوا ربكم .
- ومرة إلى تقواه : يا أيها الناس اتقوا ربكم .
- ومرة ثالثة تكون إلى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من قرآن .
- وسنة يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم . . . ومكثنا من أهداف متنوعة ، وكلها متلاقية عند غاية واحدة : هي الإيمان وصالح الأعمال الدين ، والدنيا ، والنهي عن البغي ، والإفساد في الأرض الخ .
- وتوجيه الدعوة إلى الناس بهذا النداء العام

ونسبائه ، لئلا تصدأ القلوب ، وينشأها الضلال ، فتعرض عن ذكر الله .

وقد أكد بعض الأئمة أن شفاء القرآن يكون للأجسام ، أيضاً من بعض الأمراض ، كما أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتحصن من السحر ، ومن الحسد بقراءة المعوذتين ، وكما كان النبي ينصح بالرقية لمن يشكو بعض مواجعه فيأمرهم بقراءة : قل هو الله أحد ، والمعوذتين ، الخ ، ولا شك أن هذا ليس بكثير على كتاب الله ، وإنما يحتاج إلى صدق الإيمان ، وتوكله .

٥ - المقصد الثالث والرابع : وهو مدى ورحمة المؤمنين .

أما الهدى فهو البيان لما يحتاجه المرء من إرشاد ، أو هو نفس الاعتداء الحاصل به للعبد ، والاعتداء أثر القرآن ، وأطلق عليه كأنه هو نفس الاعتداء المسبب عنه ، وأى سبب يكون مجدياً في الهداية كالقرآن .

٦ - وأما الرحمة : فهي النفع بالخير المجلوب ، وهي الإحسان ، والتفضل من جانب الله بكل ما ينفع العبد : مادياً ، وأدبياً وبجمل ذلك : أن الكتاب الكريم جامع لما سلف من المناقب ، فهو الموعظة ، والعقائد ، والهدى ، والرحمة ، وفي ذكر هذه المناقب توصية لنا ، وتوجيه إلى الأخذ به فيما نشده من أسباب الهداية ، عاجلاً ، وآجلاً .

٢ - وأنت ترى في الآية التي معنا أربعة مناقب ، يؤكدنا الله - تعالى - بهذه النداء العام - بلفظ : قد جاء نكح .

وتلك المناقب القرآن هي المقاصد التي تتعلق بها دعوة الله للناس ليأخذوا بها

٣ - المقصد الأول : « موعظة من ربكم ، والموعظة : هي ذكر ما يلين به القلب من جوده ، ويهتد به خفية من الله : ورغبة فيما عنده من المثوبة .

وربما صفا القلب من كدوته ، وتساى في طهره ، حتى يكون تعلقه بالله فوق الخوف منه ، والطمع فيما عنده ، بل يكون محبة محضة وتفويضاً لله فيما يريده لعبد من الجزاء عنده دون اعتداد بما قدمه العبد من طاعة ، وتلك هي نفوس الأبرار ، الذين أفضوا بأن الطاعة حق عليهم ، ولم يفرضوا لأنفسهم حقاً على الله إلا أن يكون تفضلاً منه على عباده ، كما تفضل فوعدهم بذلك .

٤ - المقصد الثاني : « وشفاء لما في الصدور .

والشفاء : هو البرء من السم ، والمراد : أن القرآن هو الدواء المعنوي ، الذي يفي صدورتنا من التفات ، والأحقاد ، ويكون النظر فيه ، وتفقه معانيه كتناول الدواء الحسى في علاج الأسقام الجسدية ، ولذلك أمرنا بتلاوته ، وترتيبه ، وتبيناً عن مجرى ،

(ب)

٧ - ثم نهي الآية الثانية مصرحة لنا بما تضمنته الأولى « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون » .

قل يا محمد الناس : إن كانت الدنيا مثاقم لكم ونعمها فرحة لأنفسكم ، فليكن فرحكم أجدر بما تفضل الله به من هداية ، ودهوة ، ورحمة كريم ، فإنه فرحة الدنيا تفريكم باللهو ، وتغفلكم عن الباقيات الصالحات ، أما فرحتكم بالقرآن ، وما جاء به فإنها فرحة بالأمل الحق وبالمتاع الخالد ، ولا نسبة بين ما هو زائل منها كثير ، وبين ما هو باق ، وإن لم يكن هو الكمال المطلوب منهم في الأخلاق ، والأعمال .

وهذه التوجيه ليس تحريماً للدنيا ولا صدأ عنها ، بل هي تنبيه من الغفلة ، وتحذير من الخطأ .

ثم على تنحصر مناقب القرآن فيما ذكرنا من الأربعة مقاصد ؟

والجواب : أن القرآن فسيح الجنبات ، ولكنه لا يستوجب مقاصده في كل مقام ، بل يقتنى بالاحتال عن التفصيل حيناً بعد حين ، وإجماله يشير دائماً إلى تفصيله بمثل قوله « إن في ذلك لآيات » ، وذلك هو منهج الإسلام في تربيته للناس .

٨ - ثم إذا كانت دهرهاته للناس عامة ، فلسافاً ختمت الآية الأولى بقوله تعالى : « ورحمة للؤمنين » ، فرجاً أوم ذلك : أن من لم يكن مؤمناً بالفعل لا يهدبه القرآن شيئاً ١٩ وهذا مناقض لما تقرر أن دعوة الله عامة .

والجواب : أن ذكر المؤمنين ليس حصراً للدهوة فيهم ، ولا صدأ لغيرهم عن الإقبال عليها مثلهم ، بل القصد : تشريف المؤمنين بذكرهم ، والتنويه بحرصهم على الاستجابة لدعوتهم ، والقصد كذلك : استقراض غيرهم إلى القدوة بهم ، والمسارة إلى ربهم وحسن الاختيار منهم ، وفي هذا إشعار للناس أن دهره الخيرة إنما تصيد في النفوس الخيرة ، وتنفذ من الأصباح الروحية إلى القلوب المنبهة للإصلاح ، كالأرض الطيبة ، يخصبها الماء العذب ، وتنبت من كل زوج منتج .

أما من طبع عليهم شقوتهم ، وطفئت عليهم أمواؤهم ، وجمحوا عن نداء الله لهم ، فقد استحوذ الشيطان عليهم ، وتركهم الله لأنفسهم فلا أمل فيهم ، ولا أمل لهم ، والله تعالى يقول : « إنما يذكر أولو الأبواب » ، « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ونعمه يافه من العمق ؟

عبد المظيف البكسي

عقريات العقاد الإسلامية

للكثورة نعمات احمد فؤاد

- ٢ -

الدين كان قدرة بانية منسقة من لدن المقادير التي تسيطر على هذا الوجود : كان قدرة تلبس الضعيف فيقوى ، وتلبس القوى فتضع قوته وتجرى به في وجهته ، وكان بدا عالقة ساذقة تأخذ الحجارة المبعثرة في التيه فإذا هي صرح له أساس وأركان ، وفيه مأوى للضائر والأذهان . (ص ٨٢)

وحسب الكتابة وكأنها أن تصور حياة فرد فتلوح لدين بأسره من خلاله . . دين هو أحوج ما يكون إلى تصور فله يحدض عنه النهم ويرضى عنه الأذى ويملو عن مرأيه الشكوك

ويقارن العقاد في كتابه ، عبقرية الصديق ، بين شخصيتي أبي بكر وعمر أو بين النموذجين الكبارين في التاريخ الإسلامي فيجمع الموقف كله في تقديم وصف على موصوف يكفي في الإبانة مما بين عمر والفاروق ، من فروق . فأبو بكر كما يقول العقاد كان يعجب ، محمد النبي وعمر كان يعجب بالنبي محمد أي أن (حب أبي بكر لشخص محمد هو الذي هداه إلى الإيمان بنبوته وتصديق وحبه) . وأن اقتناع عمر بنبوة محمد هو الذي

في عبقریات العقاد الإسلامية إضافات كبيرة :

نصير من عطاءات الإسلام بما طور من حياته وشكل سيرته .

(كان جاهليا فأسلم . . . فأصبح إسلامه طورا من أطوار التاريخ ، ولو لم يكن الإسلام قدرة بانية منسقة في التاريخ الإنساني لما كان إسلام رجل طورا من أطواره الكبار .) (ص ٩٥ عبقرية عمر

عمر إذن من عطاءات الإسلام كما أن مواضع البأس في الإسلام على عصره من معطيات عمر . يبرز هذا سؤال النبي ربه أن يمن الإسلام بعمر الذي وضع أنه أحب الرجاين إلى الله .

وأسلم عمر وحسن إسلامه فكان النبي (يدخر للإسلام سوره كما يدخر له تسليمه وعطائه) (ص ١٤٦)

وأسلم عمر فكان إسلامه كما قال عبد الله ابن مسعود (فتحا ، وكانت مجرته نصرا ، وكانت إمارته رحمة .) (ص ١٦٩)

وكتاب عبقرية عمر كتاب (يقرأ . . فيه القارئ . قبل كل شيء ماذا يصنع الإسلام بالنفوس ، ويمل منها قبل كل علم أن هذا

هداه إلى حبه والولاء له والمرص على سته ،
وعلى رضاه .

ولهذا كان أبو بكر يطيع محمدا فيهمم القرآن ، وكان عمر يأخذ بالقرآن أو بما يظم من مشيئة الله فيناقش محمدا حتى يثوب إلى الفهم الصحيح .

هما قريبان جد قريبين .

ولكنهما ليسا بشئ واحد على كل ما بينهما
من اقتراب . (ص ٨٤ - ٨٥)

ويحضى العقاد في المقابلة حتى ما يتعلق منها
بتكوين البنية وتركيب المزاج فتكون
في جماعها مقابلة بين القوة من نوع والقوة من
نوع آخره وكلتاها فعالة ، وكلتاها ذات أثر
في الإسلام ، وفي العالم جليل .

(وإن العقيدة التي تقسح لهُذين الرجلين ،
ولهُذين الخلفين ولهُذين العقائين ، ثم يكون
كلامها إماما فيها عظيما في اتباعها ، لمى عقيدة
تقسح لكثير) (ص ١٢٨ هجرية الصديق
لكأن العقاد مسوكل بتحريك الطبع
الراكد أو تحقيق المفاهيم الثابتة وتقمض
التلقائية منها)

فالإسلام أبي بكر مشلا لا يقف به العقاد
عند دلالة الساحة والطينة التي قد تفرى
الفرس بتحميلها معنى الضعف أو الاستسلام
ولكنه بتحمفه كالمادة مسبقنا الأسباب
البعيدة والغريبة أنظر ص ٩٨ - ١٢٤ .

فإذا إسلامه الموقف الذي يتخذه كل
إنسان في مثل مواضعه وظروفه التي خلط
من الموانع حين حفلت بالوجبات وعلى
رأسها انقلابه ، سليم الفطرة ، على الإعجاب
بالبطولة .

(إن أبو بكر إذن بالإسلام سريعا إلى
دصوته لتلك الأسباب التي تليق به وتليق
بالدهوة الحميدة وليس تلقائية ساذجة ...
فكأن جدرا أن يكتب له من اللحظة الأولى
أن يكون (ثاني اثنين حين يكون النبي هو
أول الاثنين . فكان ثاني اثنين في الإسلام ،
وثاني اثنين في غار الهجرة ، وثاني اثنين
في الطفة التي أدى إليها النبي يوم بدر الذي
لا يوم مثله ، وثاني اثنين في كل وقعة من
الوقعات بين المسلمين والمشركين وأقرب
صاحب إلى النبي في شدة الإسلام ووعائه ،
وفي سره وجهده ، وفي شئون نفسه وشئون
المسلمين .) (ص ١١٢)

هكذا العقاد لا يسرد ولا ينص ولا يتسلل
ولكنه يقف وراء التجارب والأعمال
والأقوال والظواهرات والأحوال ككلمات
طريق ...

ففي هجرية الإمام صور حصر على لا
بالإنشاء والتجوير واسكن بتصرعات أصحابه
على مسرحه وأقوالهم وسلوكهم وما وراء
هذا من دلالات وصور .

كانت الخلافة منذ تولاهما شيان صريحة

من العرض إلا وفي كل ناحية من نواحي
النفوس الإنسانية ملتحق بسيرة علي بن أبي
طالب ورضوان الله عليه ... ملتحق بالمخاطفة
المشجوبة أو بإحساس الرحمة والإكبار ملتحق
بالخيال حيث تخلق للحاضرة الإنسانية في
أجواء الدين الحفوة بأبطال الأساطير ...
أو ملتحق بالمقل بفصل بنفسه لنفسه بين
اختلاف المختلفين وتضييع المتضيعين .

ملتحق لذوق الأدب حيث يقع من نواحي
الكلام عند علي على مهوى للذوق الحسن
الجميل من التعبير .

إن هذه السيرة تحاطب الإنسان حيثما اتجه
إليه الخطاب البليغ من سحر الأبطال والعظماء ،
ونفس قلبه حين يجري تاريخه وتاريخ أبنائه
في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والمزينة
ويترادون من بيد واحد بعد واحد
شيوعا جلهم وقار الشيب ثم جلهم السيف
الذي لا يرحم ، أو قتيانا هوجلوا وهم في
نظرة المعري حال بينهم أحيانا وبين الزاد
والماء وهم على حياض المنية جميعا ظماء .

علي بن أبي طالب في كتاب العقاد ، الإمام
المعقري ، والشهيد أبو الشهداء .

ومنهج العقاد مطرد في كل عقرياته كأنه
علامة مميزة . هذا المنهج تستطيع أن تطبقه
في (عقريه خالد) فقد رسم خلفه مادية
وإنسانية الباطل قصر موقفه وتصرفاته
وآراءه ومنازع السلوك عنده .

كبيرة شغلته أذهان النظارة والنقاد ما
وبلغت (الدراما) ذروتها بمقتل عثمان .

واحتل على خشبة (المسرح الأصغر) وهو
الذي استفاقت شهرته وأعماله على مسرح
الحياة الكبير في حربها وسلطانها ... في طلبها
وقضائها ... غمرته الحياة ولم تكسبه الخلافة .

لم يكن صاحب عصره . عاش في مرحلة
تحويلية يسرع فيه الحكم الإسلامي إلى الملك
في ستمه وأسلوبه وغاياته ووسائله وكلها
تتناقض مع فروسية الشجاعة وزهد
الرومانية وتقوى العالم بالدين ... تناقض
مع الإمام .

(فأى مصير لهذا الرجل عهد الشهادة في
زمان لم يعرف بطاريه من الطارديه كما
عرف بالإقبال على الدنيا . ٢٠) عقريه
الإمام ص ٢٠٤

وسرة أخرى يقول الأستاذ العقاد :
(مخرج علي إلى الدنيا والشهادة مكتوبة
على جبينه ، ومخرج منها والشهادة مكتوبة
على ذلك الجبهة بضرورة حاسم) .

ولكن موته لم تكن هكذا ، وخلقه
لم تكن مقطوعة ، فقد عاش على موته الملوك
وقامت باسمه الدول ، وهو الذي لم تقم له
دولة في حياته .

وبين البداية والنهاية أو المقدمة والنتيجة
عرض العقاد حياة الإمام بألوان عقريتها
في الشجاعة والرأى والعلم والروح فافرح

يقول العقاد : (كثير من رموسه الأمم يعرفون موضع الإكليل من رموس القادة وهم منتصرون ظافرون ، ولكنه موضع يخفى جد الحفاء على أنظار هؤلاء الكثرين إذا لم يلم عليه ضياء النصر والظفر ويبقى لمن الملحة وحدها أن تراه في ظلام المحنة والبلاء) ص ٤٨ عبقرية خالد .

ويعني العقاد بهذا القول الملهم عين النبي الملهمة فقدسى خالدًا سيف الله (قبل أن يهزم المرتدين وقبل أن يهزم الفرس والروم وقبل أن يصون للإسلام جزيرة العرب ويضم إليها العراق والشام ... وهي الأعمال الجسام التي من أجلها يدهى اليوم سيف الإسلام) ص ٤٨ عبقرية خالد .

ولا يتردد العقاد في تقرير الخطأ إذا قامت عليه الأحداث والروايات ووقائع الحال ما تقوم به الأدلة عليه . ومن هنا أثبت على خالد الخطأ في وقعة البطاح (لأنها لم تنصف إلى غزاه العسكري كثيرًا ولا قليلًا وأعدته لمسلم أحمد ما يحمد منه أن له عدوا فيه ، قبله أناس ولا يقبله آخرون) ص ٩٦ عبقرية خالد .

وقد أثبت عليه حملا بمبدأ تقرير الخطأ كالتنويه بالصواب (لأن الرجل الذي يخشى على قدره من تقرير أخطائه وجل لا يستحق أن يكتب له تاريخ) ص ٩٦ .

وهذه الخفية لا تستثنى خالصة من مشاعر أو ظاهرة من الظاهرات في بيئة البطل العامة أو الخاصة ولو كانت بعيدة في رأى العين أو النظرة الأولى عن الموضوع . لجمال الخروميات بحسب في خطمية صورة القائد خالد بن الوليد (فقد عجا كانت المروسية والنزل والمرأة بيئة واحدة تتعاون فيها البطولة والداهرية والجمال .) ص ٢٧ عبقرية خالد .

يعالج العقاد اسلام خالد فلا يصريح إلا أن يكون إسلامه (تسليم القلب تقص منه الكفر ، وليس تسليم اليد وص منها السلاح) ٤٢ .

ولا يبدأ العقاد عند الألفاظ المقررة فيقيم عليها بناءه الأدبي أو التاريخي ولكنه يصرحها على التدرج والتعميق فإذا هو يبدأ من حيث انتهت . والبدايات عند العقاد جذرية إلى أبعد امتدادات الجذور في تربة البطل أو منبته الماسي والمعنوي على السواء . فالقول بأن خالدًا (سيف من سيوف الله) لا يتعلق به العقاد ليعنى نفسه من متناقضات السيرة فيتجاوز بالفارسي أو بالحقيقة المليية (ميدان حنين) أو صنيع خالد في سرية بني جذيمة .

لا . بل لمل العقاد يرى في مثل هذه المراتى مجاله الذي يصل فيه بطاقة الجدل هذه وقدره الإقناع فيه .

لا يستطيع إدراك فعل هذه الكلمة من العقاد إلا من يقرأ كتابه هجرية عاد الذي يفيد فيه العقاد أنقاس القارى ليضعه بمنطق ويجادل ويفلس الأشياء الصغيرة حتى تفدو لها قيمة ، ويصاوم الحجة بالحجة ويستصمى حتى يقبل الدائرة تماماً حتى إذا لفت القارى من التصعيد إليه وحسب أن مهمته صعبة مع الكتاب العالم الخلق الحق ، وظن أنه بعيد بعيد إذا به يراه منه قريب قريب... إنسان مثله يحنو على ضعف الإنسان أمام القوة الكبيرة فيتوسل إليها بالتبرك . والنيامن . ومائة من صلاة .

إن هجريات العقاد الإسلامية أجدى حل الإسلام من حيث هو دين ونظام ، وعلى الأدب العربى من حيث هو تصوير وتعبير وعلى الأدب الإنسانى من ناحية إعلانها للشبائل الإنسانية من خير وحرية واستقلال ورأى وشعور بالثبته وإشعار العدل . أجدى حل الدين والدنيا في إجلالها المعقدة واحترامها العقل الإنسانى من كتب كثرة ليس فيها من الجهد والعلم والقيم - وإن أغضت في ناحية أو أخرى - معطيات العقاد التي أسداها مخلصاً ، وللإنسان من إيمان .

ناقش العقاد هزل عاد (ص ١٤٥ - ١٥٢ هجرية عاد) فلم يقدم امتناع عاد عندما أفاء إلى الهدوء ، بهذا العمل جنوحاً إلى الأسهل بل أجمله إلى آخر المناقشة فأنهى به حيث بدأت النفس القارئة في الاقتناع . وهنا لم يترك لها فرصة أطول للتفكير أو الترجيع بل انتهى بها إلى قرار معروف إذ توفي عاد (وهو يحصل وصيته وتركته وإنفاذ عهده إلى عمر بن الخطاب) ص ١٥٤ .

العقاد نفسه إنسان وقيق الإحساس في الكتابة عن المباشرة والسطا .

فخبرة عاد بن الرئيس أعنى موقفه (الهرموك) قصة نصره الحربى في تاريخه كله لا تلهى العقاد الإنسان الرقيق عن موضع الدلالة في قصة قلنسوة عاد القائد الظافر ، الذى يصر على البحث عن القلنسوة في موقف الهول وماهى بالنفاسة التي توجب الحرص عليها أو تؤلم منه اقتفادها . ولكن إصرار عاد على العثور عليها إنما كان لتبينه بها لما حلت من شعر ناصية الرسول .

ويؤمن العقاد أقرب ما يكون إلى القلب الإنسانى :

(ما في ذلك من محب فليس أحوج إلى صلته بعالم الغيب من رجل يلقى الموت صباح مساء) ص ١٦٢ .

نعمات أحمر فؤاد

هل أتم الفخر الرازي كتابه في التفسير...

لليستاذ على العماد

- ١ -

انتهيت إليه جميعا كل الصحة ، فإني لأرجو أن يكون أقرب إلى الصواب .

• • •

فما كتب المتقدمون من العلماء ما يدل على أن الفخر الرازي لم يتم كتابه هذا ، وهامرذا بعض ما وقف عليه من ذلك

(١) لعل أول من أشار إلى ذلك هو (ابن أبي أصيبعة) المتوفى سنة ٥٦٨ هـ^(١) . فقد جاء في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) في ترجمة الإمام أحمد بن الحنبل الخوري هذه العبارة : (ولشمس الدين من الكتب تمة تفسر القرآن لابن خنبل الرى)^(٢) .

(٢) قال ابن خنبل المتوفى سنة ٥٦٨ هـ في كتابه : (وفيات الأعيان) في ترجمته لفخر الدين الرازي : (له تصنيف المفيدة في فنون عديدة ، منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة ، وهو كبير جدا ولكنه لم يكمله) .

(١) توفى الفخر الرازي سنة ٦٠٦ هـ .

(٢) ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) ج ٤ ص ٣٨١ .

بدالي أن أكتب ترجمة للإمام غفر الله له الرازي ، فلما وصلت إلى الحديث من تفسره الكبير المسمى : (مفاتيح الغيب) لجأني وأرى غريب جعلني أعيده النظر في كل ما كتب من هذا التفسير .

فذلك أن نسبة هذا الكتاب لفخر الرازي بلغت حد النواتر ، ولكن طبعة أخيرة صدرت منه على نفقة صاحب المطبعة البيرية المصرية ، وقد قام على تحقيق الكتاب ، والتعليق عليه جماعة من أفاضل العلماء - كما جاء على الصفحة الأولى منه .

وفي تفسير سورة (الواقعة) جاءت عبارة تفيد أن كاتبها ليس هو الفخر الرازي ، ولكن هذه الجماعة من (أفاضل العلماء) علق عليها بهذه الكلمة الفريية : (هذه العبارة تشير وتؤكد أن الكتاب مؤلف آخر غير غفر الله له الرازي ، وإنما هو لأحد تلامذته ، وربما كان من العلماء المتأخرين)^(٣) .

وقد بذلت جهودي ما وسعت القدرة في تحقيق هذه القضية ، مالا يكن الرأي الذي

(١) ج ٢٩ ص ١٥٥ من الطبعة المذكورة .

ويتنقص من كل هذه الكلمات :
أولا : أن الفخر الرازي لم يتم كتابه
في التفسير .

ثانيا : أنه وصل فيه إلى سورة الأنبياء
ثالثا : أن عالمين كتبوا نكحة له كل واحد
على حدة ، أولهما شمس الدين الحنوي المتوفى
سنة ٦٣٧ هـ . وثانيهما نجم الدين القمولى
المتوفى في سنة ٧٢٧ هـ .

وكان يلزم أن تكون عبارة كشف
الظنون التي نقلها آقا نجف رقم (٦) على
هذا الوضع لأجل الوضع الذي جاءت عليه .
وأما : وهو الرأي الغريب الذي كتبه
المحققون على الطبعة الحديثة أن الكتاب كله
ليس للفخر الرازي ، وإنما هو لعالم آخر
قد يكون من العلماء المتأخرين .

• • •

أما العبارات التي جاءت في تفسير سورة
الواقعة ، والتي نقل عليها الطاء الأفاضل ،
فهي ما جاء عند تفسير قوله تعالى : (كماثال
القول المكنون) فقد عرض المفسر لقوله
تعالى : (ليس كمثل شيء) ثم قال : (وشيء)
من هذا رأيت في كلام الإمام غر الدين
الرازي - رحمه الله - بعد ما فرغت من كتابة
هذا بما وافق عاطري لحاطره . هل أنى
معتق بأن أصبحت منه فوائد لأصحابها)
وعبارة أخرى قريبة من هذه جاءت في
تفسير قوله تعالى : (جزاء بما كانوا يعملون)

(٣) وفي شذرات الذهب نقلا عن
ابن قاضي شعبة أن الفخر الرازي (لم يتم)
تفسيره (١) .

(٤) وقال تاج الدين السبكي في كتابه
(طبقات الشافعية) ترجم : (نجم الدين القمولى)
(وله نكحة في تفسير الإمام غر الدين) (٢) .
توفى ابن السبكي في سنة ٧٧١ هـ .

(٥) وذكر ابن حجر المصغلي المتوفى
سنة ٨٥٢ هـ في (الدرر الكامنة) في أحيان
المائة الثامنة : أن الذي اكمل تفسير غر الدين
الرازي هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم نجم الدين
الحنزلي القمولى المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، وهو
مصري (٣) .

(٦) وقد ردد ذلك صاحب كشف
الظنون ، فقال : (وصنف الشيخ نجم الدين
أحمد بن محمد القمولى نكحة له ، وتوفى سنة
٧٢٧ هـ . ونقل القضاء شهاب الدين بن
خليل الحنزي المصنف كل ما نقص منه أيضا
وتوفى سنة ٦٣٩ هـ تسع وثلاثين وستة) (١)
(٧) وقد جاء في هامش كشف الظنون
هذه العبارة : (الذي رأيت بخط السيد
مرتضى قلا عن شرح الشفاء للشهاب أنه
وصل فيه إلى سورة الأنبياء) .

(١) ٥٠ ص ٢٠

(٢) ٥٠ ص ١٢٩

(٣) ١٠ ص ٣٠

(٤) ٢٠ ص ٢٩٩

الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وخمسةائة .

٣ - سورة الأنفال : في يوم الأحد .

رمضان سنة إحدى وستائة في قرية (بغداد) .

٤ - سورة التوبة : في يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان سنة إحدى وستائة .

٥ - سورة يوسف : في يوم السبت من رجب سنة إحدى وستائة .

٦ - سورة هود : قبل طلوع الصبح ليلة الاثنين من شهر رجب سنة إحدى وستائة .

٧ - سورة يوسف : في يوم الأربعاء السابع من شعبان سنة إحدى وستائة .

٨ - سورة الرعد : في يوم الأحد الثامن عشر من شعبان سنة إحدى وستائة .

٩ - سورة إبراهيم : في يوم الجمعة أو آخر شعبان سنة إحدى وستائة في صحراء (بغداد) .

هكذا وردت في النسخة التي نقلت عنها ، وأظنها (بغداد) المتقدمة فإن العلماء لم يذكروا في تاريخ الفخر أنه رحل إلى بغداد اللهم إلا إذا كان مرادها في طريقه إلى الحج ، ويوم الجمعة المذكور يوافق آخر شعبان على ما أرجح .

١٠ - سورة الإسراء : الثلاثاء بين الظهر والعصر في العشرين من المحرم سنة إحدى وستائة في بلدة (غزني) .

ونلاحظ أنه فسر سورة الإسراء قبل

من نفس السورة . قال المفسر : المسألة

الأولى أصولية ذكرها الإمام غير الدين -

رحمه الله - في مواضع كثيرة ، ونحن نذكر

بعضها ، فالأولى : قالت المعتزلة : هذا يدل

على أنه يقال : الثواب على الله واجب ، لأن

الجزاء لا يجوز المطالبة به ، وقد أجاب عنه

الإمام غير الدين - رحمه الله - بأجوبة كثيرة ،

وأظن أنه لم يذكر ما أقول فيه ، وهو

ما ذكره ... الخ) .

...

ثم نأخذ في مناقشة ما درناه من آراء .

وأول ذلك أني عجزت أشد العجز لهؤلاء

الفضلاء الذين حلقوا على الطبقة الأخيرة

كيف ذهب عنهم أن ينظروا - قبل أن

يصدروا حكمهم القاسي الغريب - في هذا

التفسير نظرة إيمان وتأمل ، ولو غفلوا

لتوقفوا طويلاً قبل أن يكتبوا ما كتبوه .

فكل المكتوب التي ترجمت للفخر الرازي

ذكرت في ثبوت كونه هذا التفسير ، والفخر

نفسه قد جمل في أو آخر كثير من السور التي

فسرها - وقد مرروا بهذا طبعاً - تأويل فرائضه

من تفسيرها ، وهذه هي التواريخ كما جلت

في تفسيره :

١ - سورة آل عمران : في يوم الخميس

أول ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وخمسةائة

من الهجرة .

٢ - سورة الفساء : في يوم الثلاثاء

- تفسيره لكل هذه السور التي فسرهما في سنة
[أحدى وستائة .
- ١١ - سورة الكهف : في يوم الثلاثاء
العاشر من صفر سنة اثنتين وستائة في بلدة
(غزنين)
- ١٢ - سورة الصافات : في يوم الجمعة
السابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستائة .
- ١٣ - سورة ص : في آخر الثلاثاء الثاني
من ذي القعدة سنة ثلاث وستائة .
- ١٤ - سورة الزمر : في ليلة الثلاثاء
آخر ذي القعدة سنة ثلاث وستائة .
- ونلاحظ أن أول ذي القعدة في تلك
السنة كان يوم (الأربعاء) .
- وعلى ذلك فالثلاثاء الثاني يوم الرابع عشر
منه ، فيكون الإمام الفخر - على هذا - قد
فسر سورة (ص) قبل سورة (الصافات)
كما يكون قد فسر (الصافات) في ثلاثة أيام .
- ١٥ - سورة المؤمنین : في يوم السبت
الثاني من ذي الحجة سنة ثلاث وستائة من
الهجرة في بلدة (هراة) .
- ١٦ - سورة السجدة : وقع الظهور
الرابع من ذي الحجة سنة ثلاث وستائة من
الهجرة .
- ١٧ - سورة القصص : آخر يوم الجمعة
الثامن من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستائة .
- ١٨ - الزخرف : في يوم الأحد الحادي
عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستائة .
- ١٩ - المدخان : في ليلة الثلاثاء نصف
الليل الثاني عشر من ذي الحجة سنة
ثلاث وستائة .
- ٢٠ - سورة الجاثية : يوم الجمعة بعد
الصلاة ، الخامس عشر من ذي الحجة سنة
ثلاث وستائة .
- ٢١ - سورة الأحقاف : يوم الأربعاء
العشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وستائة .
- ٢٢ - سورة الفتح : يوم الخميس ،
السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستائة .
- ونلاحظ أن أول ذي الحجة في سنة ثلاث
وستائة يوافق يوم (جمعة) (إذ كان الثامن
الذي فسر فيه سورة (القصص) والخامس
عشر الذي فسر فيه سورة (الجاثية) . كما أن
(السبت) الذي فسر فيه سورة (المؤمن)
كان (الثاني) من الشهر ، وكان (الثلاثاء)
من هذا الشهر يوافق (الثاني عشر) الذي
فسر فيه سورة (المدخان) ، وكان (الأربعاء)
يوافق (العشرين) الذي فسر فيه سورة
(الأحقاف) .
- وعلى ذلك فلهذه من خطأ النسخ جمل
(الأحد) الذي فسر فيه سورة (الزخرف)
يوافق (الحادي عشر) فهو إنما يوافق
(العاشر) ، وكذلك من الخطأ جمل (الخميس)
الذي فسر فيه سورة (الفتح) يوافق (السابع
عشر) فهو إنما يوافق (الرابع عشر) .
- والتصحيح في الموضعين قريب .

تصنيف واحد من العالمين الذين ذكر أصحاب التراجيم أنهما إنما تفسر الفخر .

أما القموني فأمره واضح إذ توفي عام ٥٧٢٧ هـ ، وأما شمس الدين الحوي في فقد كان في ذلك التاريخ في سن أقل من العشر ، فيلاده . هل ما ذكروا - كان في سنة ٥٨٣ هـ .

كما أنه كان في سنة ٥٩٥ هـ ، وهي السنة التي فسر فيها الفخر (آل عمران والفساد) وكان قبل ذلك قد فسر سورة (البقرة) كما يفهم من إحاته في تفسير سورة (آل عمران) على تفسير سورة (البقرة) ، أقول كان الحوي في ذلك التاريخ في سن لا تسمح له بأن يفسر القرآن ، ولا سيما في هذا النحو من الصق والاتصاف .

وأيضاً . ليس من الطبيعي أن يفسر تليذ القرآن ، ثم ينسب الأستاذ إلى نفسه ، ويكتبه بخطه .

ويرفع كل وم يتطرق إلى هذه الأداة ما جاء في تفسير سورة (يوسف) : (قال مصنفه غر الدين الرازي) عند تفسير قوله تعالى : وقال الذي ظن أنه ناج منها اذكرني عند ربك ، وما جاء في آخر تفسير هذه السورة عند قوله تعالى : رب قد آتيتني من الملك ، فقد جاءت هذه العبارة : (قال الإمام غر الدين الرازي - رحمه الله عليه - وهو مصنف هذا الكتاب ، أنار الله برمائه)

(الحديث جايًا) على العناري

كما نلاحظ أن المؤلف فسر في شهر (واحد) ثماني سور ، بل كان يفسر السورة الواحدة في (يومين) كما هو الشأن في سورة (المدخان) فقد انتهى من تفسير سورة (الزخرف) في العاشر ، وانتهى من تفسير سورة (المدخان) في اليوم (الثاني عشر) بل ربما فسر السورة في يوم واحد ، وذلك إذا كان (السابع عشر) الذي فسر فيه سورة (الفتح) عرقاً عن (الواحد والعشرين) كما هو مساق التاريخ ، فيكون - حيثئذ - قد فسر سورة (الأحقاف) في اليوم (العشرين) وهو يوم (الأربعاء) .

كما نلاحظ - أيضاً - أن تفسير هذه السور من أول سورة (الصافات) جاء متتابعاً .

...

هذه هي التواريخ التي جاءت في تفسيره ، وقد كانت تسبق مادة بعبارة (قال المصنف) أو (فرغ المصنف رحمه الله) أو (قال مولانا المؤلف عليه صاحب الرحمة والرضوان) أو (قال مولانا رضي الله عنه) .

ومن الواضح أن أكثر هذه العبارات من (التناسخ) وبما يدل على ذلك قوله في آخر تفسير سورة (هود) : (وقد وجد بخط المصنف - رضي الله عنه - في النسخة المنقول منها : ثم تفسر ... الخ) .

...

وطبي أن تفسر هذه السور ليس من

الجمال في القرآن الكريم

د. سنان الكرستور محمد أحمد الغمراوي

- ٤ -

١. والجمال أوتادا :

تبدأ هذه الآية الكريمة مستمينين بالله في محاولة لا تناس حكمة سبحانه في أن ذكر الجبال مع السموات والأرض على سواء في مواطن عدة من القرآن الكريم ، أحدها في سورة النبا في آيات هذه إحداها .

والجمال في هذه الآية الكريمة منصوبة بالفعل (يجعل) في الآية التي قبلها : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » ، وهي واردة في معرض من الله على عباده بآياته في الخلق هي من مظاهر قدرته وجمالي حكمته ، وفي منافعتها للناس بعض تجليات حكمته ، وهي أسرار خلقها وتصويرها إلى صورتها التي يشهد بها الناس بعض دلائل قدرته التي ليس يجهزها شيء .

وينبغي أن يتحقق الأمران جميعا في معنى الكلمتين الكريمتين « والجبال أوتادا » . ينبغي أن يكون في تشبيه الجبال بالأوتاد هذا التشبيه المحدث من أداة التشبيه والذي يسميه

علماء البيان من أجل ذلك بالتشبيه البليغ لأنه يجعل المشبه بين المشبه به تأكيداً للبه الشديدين بينهما - ينبغي أن يكون في ذلك هاديا إلى أطراف المعنى من ناحيته : ناحية الدلالة على القدرة وكالها ، وناحية الهداية إلى الحكمة وجلالها ، وأطراف المعنى إنما تقبض من تعدد أوجه الشبه بين الجبال والأوتاد تعدداً يدل على مجاوزته المألوف في كلام الناس إذا بالغوا في التشبيه . إن التشبيه البليغ هنا هو من قبل الحق سبحانه ، ثم هو تشبيه للأعلى بالأدنى ، ولأفخم الرائع بالضعيف الممتن عند الناس ، فليس هو في شيء من تهويل الناس ومبالغاتهم في تشبيهاتهم البليغة ، ولكنه دليل إلى أمور في الجبال هي من آيات الله في الخلق تناظرها أمور يعرفها الناس في الأوتاد ، على عظم الفرق بين الجانبين في النسبة والمقدار فكأن ذلك التشبيه السجيب : مفتاح أو مصباح يستكشف به المجهول من أمر الجبال عن طريق المعروف من نظائرها في الأوتاد .

إن أم أنواع الجبال وأحدها من غير شك سلاسلها ، وسلاسل الجبال عند هذه طبقات الأرض قد نشأت نتيجة لقوى عظيمة عملت جانبا في القشرة الأرضية لها هبطت بثقلها حين غلما تحتها بانقباض باطن الأرض وانكماشها لها برد بالتدريج في الأحقاب الطويلة ، وشجروا ذلك بتفرض جلد التفاحة لما ينقبض وينكش باطنها تدريجيا بالجفاف البطيء ، تلك القوى الهائلة لها نظائر ، هل قدر ، عند دق الأوتاد ، فالهق من أعلى لأسفل يناظر فعل التناقل عند هبوط قشرة الأرض والمنحطوط الجانبية على التربة من حوالى الوعد عند دقه تناظر تلك القوى الجانبية العاملة في القشرة الأرضية على خطوط الضعف فيها حتى تتموج إلى نهجها هي الجبال والمصناب ورماد منها الوديان ، أليس هذا القفاه والتناظر بين القوى به حبيب ؟

وفي علم طبقات الأرض أن ما يسمى بعوامل التمرية - من نحو الرياح والأمطار ، والتقدم بمرارة الشمس والتقبض بالبرودات المختلفة حتى تنفتحت بتعاقبها المستمر طبقات صخر طبقة بعد طبقة وتأتى الرياح السافية والأمطار الجارفة فتزيل ما تنفتحه ، ويتجدد ذلك هكذا دوليك حتى قد يتضاد به نسيجا في النهاية الجبل الأشم ، فيدل تنازله على أنه في العمر أسن وأقدم من مثله المحتفظ بشموخه - هذه

والجبال فيما يقابل إلى الزمن نفسه الأوتاد من ناحية البرود عن سطح الأرض ، وناحية الرسوخ فيها ، لكن القفاه والتناظر بينهما أشمل وأدق من هذا . فالأوتاد تختلف من ناحية البرود في مداه وفي درجات الميل ، والجبال تختلف في الارتفاعات وفي درجات الميل كذلك . والأوتاد يختلف رسوخها باختلاف صلابتها وشكلها ومدى ذهابها في الأرض وطبيعة تلك الأرض ، وكذلك تختلف الجبال من ناحية الرسوخ في ذلك كله وإذا كان تفسير هذا في الأوتاد هينا فتفسره في الجبال يحتاج إلى علم واختصاص ، فالأوتاد إلى هنا لم تزد على أن تشير إلى نواح يبنى أن يتجه إليها الباحث ليفهم كل مظاهر من آيات الله في الجبال .

لكن هناك عوامل في اتخاذ الأوتاد تدل بذلك التشبيه البليغ على نظائر لها في نشأة الجبال لم تكن تخطر ببال إنسان عند نزول القرآن ، فالأوتاد لا بد في إنفاتها من تشكيلها ثم من تثبيتها في الأرض بقوة ما . وإذن جعل الجبال أوتادا فيما أنبأنا الله في كتابه ، من شأنه أن يقتضى أن تكون الجبال قد أنشئت بفعل قوة أو قوى ، وهذا وحده حقيقة علمية حديثة دل عليها القرآن عن طريق ذلك التشبيه البليغ ، فما بالك إذا كان بين القوى في الحالتين تناظر وتماهي من أكثر من وجه ؟

أن الله سبحانه نبه الأرض بالجبـال كي لا تهدم كما تثبت بيوت الأهراب والخيام بالأوتاد ، ولستكنهم في قياسهم هذا لم يكونوا منطقيين دقيقين ، لأن الأوتاد حين تدق في الأرض لا يقصد بها تثبيت الأرض ولكن تثبيت شيء فوق الأرض هو الخيمة أو بيت الجبل الذي من الله علينا به سبحانه إذ يقول والآية (٨٠) من سورة النحل ، والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، فالله في قياس الجبال على الأوتاد في المنفعة والوظيفة تقتضي شيئاً فوق الأرض يعلو سطحها في جهته ، ويمس في أطرافه كما تفعل الخيمة ، وتكون الجبال مهيئة على الاحتفاظ به على الأرض ، لأن الأوتاد وحدها لا تكفي للاحتفاظ بالخيام ، إذ لابد لكل خيمة مع الأوتاد من عماد ، فها هو الشيء الذي فوق سطح الأرض يسلوها كالخيمة ، وتساعد الجبال على حفظه على الأرض ، ثم ما هو العامل الآخر الذي يتم عمل الجبال في الاحتفاظ بذلك الشيء كما يتم العماد عمل الأوتاد ؟

أعلن الجواب صراحة قريباً أو ينبغي أن يكون الشيء الذي فوق الأرض يعلو الناس ويميل عمله في وقايتهم ، كما تعمل الخيمة أهلها وتقيمهم أشعة الشمس ، هو التغلاف الحوائط

العوامل تعمل في اتقاس الجبال في الوقت الذي نشأ فيه بفعل تلك القوى ، وما نراه اليوم من الجبال هو حاصل تنافس قوى هذين النوعين ، حتى تنافس الجبال بفعل قوى التآكل هذه له فظهر في تآكل الأوتاد بنفس العوامل وغيرها في الزمن المتطاوّل ، إذ المقارنة والمحاكاة ينبغي أن تكون بين الجبال وبين ما يترك من الأوتاد قائما خيراً مزوجاً .

فالتناظر والتشابه ، كما نرى ، تام أو يكاد يكون تاماً بين الجبال والأوتاد في المنشأ وفي طواري الحدوثان عليها ، حتى يكاد تاريخ حياة الخيمة من الأوتاد يدل بذلك التشبيه البليغ القرآني على تاريخ حياة الجبال ، ولا يزال في أوجه التشبه بقية ، فبحان الذي جمع لعباده كل هذا في كلمتين اثنتين من كتابه العزيز هما الآية السابعة من سورة النبأ : « والجبـال أوتاداً » .

• • •

على أننا نقول من الآية الكريمة إلا ناحية ما أودع الله فيها من دلالة على قدرته ، وبقيت الناحية الأخرى ناحية الدلالة على حكمته سبحانه متمثلة في وظيفة الجبال المناظرة لوظيفة الأوتاد عند الناس .

والمفسرون جميعاً قالوا في تفسير آية النبأ

التي يعرفونها ، وهذا معناه ، أو هذا مقتضاه حقيقة أخرى غير معروفة : أن جاذبية الأرض وحدها غير كافية لاحتفاظ الأرض بهوائها ، فهاتان حقيقتان قرأنا أنهما لم يكشفهما علماء الفلك والطبيعة إلى اليوم ، وعلى مسلمهم المؤمن بالقرآن البحث عنها عليا حتى ينكشفها ويثبتها ، فينكشف بهما ويثبت للمسلم الإسلامي وغير الإسلامي معجزتان كونيتان جديدتان للقرآن .

وسيكون البحث عنها صعبا وربما كان مريضا ، وسيحتاج فيه إلى الرياضة العالية وربما إلى إجراء تجارب لتقدير كتل الجبال كتلك التجربة البندولية التي أجراها (مسكين) على جبل (شيبالين) لتقدير كتلة ليتوصل بها إلى تقدير كتلة الأرض من طريق قانون الجاذبية العام لنيوتن ، وأهل هذا البحث أخبر بما يلزمه وبالمسلك الذي يسلك فيه لكنني أرجو ألا يصددهم عنه ما يتوقعونه من صعب فيه ، لأن الحق سبحانه لا يغير في كتابه إلى آية من آياته في الخلق إلا وييسر فيها لمن يصدقه الجهاد في سبيل كشفها .

والبحث في هذا الأمر الخطير - إذا كان مثل أن يشير فيه برأي - يمكن أن يؤخذ على خطوات أو يتخذ عدة اتجاهات :

فن الممكن مثلا للتساؤل عن جاذبية الأرض أكانت تكون كافية لاحتفاظ بالطبيعة

التي يحيط بالأرض من جميع الجهات ويرتفع فوق سطح الأرض مئات الكيلومترات ويمكن للناس على الأقل شرب الشهب وشرب القدر المؤذي من أشعة الشمس البنفسجية وفوق البنفسجية . وهذا كاف في تحقيق الشبه الكبير في الوضع والمنفعة بينه وبين خيام لا هداد لها تغطي وجه الأرض . فانه سبحانه يلتمنا بآية النبأ إلى أن الجبال تعمل في الاحتفاظ بتلك الحزمة الجبرية الهائلة على الأوتاد ، أما الذي يعمل عمل الهاد منها على الجبال ، أو الجبال متممة عمله ، فهو قوة الجاذبية بين الأرض ووجه الهواء .

والهاد لم يرد لها ذكر في الآية ولكن الآية تفيدنا عن طريق الزوم ، إذ لا تقوم الخيام بالأوتاد إلا مع الهاد ، وهذا مثل عجيب للاكتفاء البلاغي في القرآن ، ثم هو مثل أوجب للإشارة إلى حقيقة كونية كبرى حقيقة التجاذب بين الأرض والقبة الهوائية ذات الكتلة الهائلة ، ذلك التجاذب العمودي الاتجاه على سطح الأرض بالضبط كاتجاه الهاد .

وقوة الجاذبية الأرضية هذه ينسب العلماء إليها سر احتفاظ الأرض بهوائها الجوي ولا يزيدون ، لكن غائق الأرض والهواء يغير إلى الفترة التي مر بها العلماء تلك الإشارة الزومية المعجبة في آية النبأ ، ويريد عباده علما بمامل كان يحملونه يتم عمل الجاذبية

الموائية لو أن كتلتها قصصت بقدر كتلة جبالماء؟ وهذا طبعا يحتاج إلى تقدير كتلة مجموعة الجبال ولو بالتقريب ، فإذا ظهر أن الجبال هي من الكبر بحيث لو قصصت عن كتلة الأرض لجهزت الأرض عن الاحتفاظ بمجموعها ، كان هذا حقيقة جديدة أدت الآية الكريمة إلى كشفها .

لكن الجبال كما اختصت بثقلها اختصت أيضا بارتفاعها ، فهل لارتفاعات الجبال دخل في احتفاظ الأرض بمجموعها وباستمرار الحياة فيها بالتبع ؟ أي لو أن الجبال اندكت في الأرض فلم يزد ، وكان سطح الأرض لا يتواء فيه مع احتفاظ الأرض بكتلتها غير منقوصة أكانت جاذبيتها عندئذ تسكني للاحتفاظ بهوائها ؟ أم كان يتسرب منها إلى الفضاء الكوني بالتدريج حتى إذا مضت حقبة كافية فقدت الأرض جوها كافتد القمر جوه ؟ هذا سؤال يبدو أصعب حالا ، لكنه أمر مجهول معنى الآية الكريمة لأنه يتعلق بالجبلية نفسها متحثة في ارتفاعات الجبال .

إن وتدية الجبال - التي من الله بها على عباده ولقمت بأية لبناً إلى سر جديد فيها من أسرار خلقه هو الذي مرسته هذا المقال - جدرة بتضافر الجماعات الإسلامية على بحثها مع الثقة مقدما بالنتيجة ، فقد أنبا الله بها عن طريق تلك المشابهة العجيبة بين الجبال والأتواد وهذا ينبغي أن يثبت أهل هذا البحث من المؤمنين بالقرآن ويعينهم على تذليل صعوباته حتى يفوزوا بالإثبات العلمي لتلك الحقيقة الكبرى المنطوية في تلك الآية الكريمة من كتاب الله العزيز .

ثم يبنى بحث أثر الجبال من حيث توزيعها على سطح الأرض ، فهي فيما يبدو تكون سوراً ماعلا فيه ثغراته ، لكنه على العموم يكون في كل من جانبيه شبه حوض قعر

إن الرجاء كبير في أن تكون جامعة الأزهر هي البادئة بالنظر في أمر هذا البحث الخطير وسواء أطل أم هذا الأمر أم قصر أفقنا نرجو أن يكون قد تبين الآية الكريمة بعض مظاهر أخرى لإعجازها العلمي عن طريق الفحوى وبالزوم والقياس التثليل الدقيق ؟

محمد أحمد النوراني

أين المبشرون بالإسلام؟

د. أستاذ محمد رجب البيروني

أن نبذ الدعوة الإسلامية حسباً تمكن من إمكانات ومن جهد ووقت ومال واقتننا بأن العمل في هذا الميدان سهل ميسور، وأن ما يبذله المبشرون المسيحيون من مجهود لوبذل المسلمون عشر معشاره لا ثمرت جهودهم أضعاف ما تثمره جهود المبشرين، ثم أسهب الداعية الكبير فيما يعرض من وجهة نظره، فكان لحدوته المقام الأول بين أحاديث أعضاء المؤتمر، وحسبه أن أبطل قناعتهم.

ومع أهمية ما ذكره الأستاذ الداعية فإننا في مدى ما يقرب من عام كامل لم نر من الكتاب من تناولوا قضية التبشير الإسلامي بالتحليل والدراسة، وهي القضية الأولى للمسلمين إذا آمنوا من بعض أن الإسلام دين البشرية بعامه وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى الناس كافة على حين ترى كتب التبشير المسيحي تتأله من عيون وشمال، لا يقتصر تأليفها على رجال الدين وحدهم بل على رجال السياسة والأدب والاجتماع والتأريخ ومن أطراف ما قرأت في هذا المجال كتاب البيانات في إفريقيا السوداء، للكتاب الفرنسي الأستاذ هوبر ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية وأستاذ الدراسات السياسية بجامعة باريس وقد نقل

هذا موضوع يجب أن نكثر الحديث عنه وألا نمل الكلام فيه، فلنأخذ بمسكين حقاً إذا لم تفكر في هداية الشعوب الوثنية وتوجيهها من الظلمات إلى النور وسأقول هنا ما أعتقد أنه سيفيد.

حين انعقد المؤتمر الأول لجمع البحوث الإسلامية كان من أبرز مبادئه قضية الأستاذ الكبير الشيخ علي عبد الرحمن الوزير السوداني السابق والداعية الإسلامي الموفق، فأفاض في ضرورة فثرة الدعوة الإسلامية بين الوثنيين من سكان إفريقيا وآسيا وأستراليا وتحدث عن تجربة شخصية قام بها في هذا المضمار حيث قال: وقد قضيت نحواً من سبع سنوات وأما تنقل في أرجاء المديرية الجنوبية الثلاث (أعلى النيل والاستوائية وبحر النزال) وأتصل بالمواطنين البدائيين الضاربين بين منابت الأعراس والغابات، ومواطن الحشائش والمستنقعات وذوت مراكز المبشرين من كاثوليك وبروتستانت محاولاً في أدقات قرائي أن أحمل على نشر العقيدة الإسلامية بين أولئك متعاوناً مع بعض الفيورين من التجار والموظفين، مع دراسة لأحوال المبشرين المسيحيين وتبع لأساليبهم وأنشأت جمعية (الثلاثة قلوبهم) فأنشأتنا

بعثة في السودان وبلاد السنغال وغينيا
وساحل العاج وتوجو ونيجيريا وساحل
الذهب ومدغشقر وزنجبار وأثيوبيا الدعاة
هزل فهموا بساطة الإسلام وسهولته
واعتمدوا صلاحيته وعدائته ، فبسطوه
كأنهموه فلم يحتاج إلى جيوش استعمارية
تتقدم الأوربيين بالحديد والنفار لتأخذ
الوثنيين إلى المسيحية عن يدوم صاغرون !
بل إن التتار والمغول وكانوا في مبدأ جبروتهم
كأمة الإسلام وعنته لم يلبثوا وهم
الغالبون أن اعتنقوا دين المغلوبين !
وتلك عجبة لا ترى لها نظيراً في التاريخ
البشرى كافة حتى قال السهوتوماس أرنولد
ما ترجمته : لا يعرف الإسلام بين ما نزل به
من المخطوب والويلات خطباً أشد هولاً
من غزوات المغول فقد انسابت جيوش
جنكيزخان انسياب الثلوج من قن الجبال
واكتسحت في طريقها المواسم الإسلامية
وأنت على ما كان لها من مدنية وثقافة على
أن الإسلام لم يلبث أن نهض من تحت أنقاض
عظمته الأولى وأطاح بحده الثالث ، واستطاع
بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين
المتجربين ، ويحطمهم على اعتناقه ، ويرجع
الفضل في ذلك إلى حاسة الدعاة من المسلمين الذين
كانوا يلافون من الصعوبات أشدها لهاضمة
منافسين عظميين هما المسيحية والبوذية ، أم
تقلاً من تاريخ الإسلام السياسي .
وسنقوم هنا بدراسة مقارنة لأساليب

الكتاب إلى العربية في سلسلة الآلاف كتاب
تقلاً دقيقاً قام به الأستاذ أحمد صادق حدى !
ودراسة هذا الكتاب الموجز تفتح مغاليق
كثيرة أمام الفاحص البعير ، لقد اعترف
الأستاذ هو برديجان - وهو داعية مسيحي
متحمس - أن انتشار الدعوة الإسلامية
في غالب الظروف لم يتم على الفهم والفسلطة
بل قام على الإقناع لأن الذين قاموا به كانوا
مفاتيح متفرقين لا تحوطهم قوة أو فهمهم
دولة ، وإنما كان الإخلاص دافعهم إلى
إظهار حماس الإسلام وسماحته وقد يسر
انتشار الإسلام في رأى المؤلف أنه من فطرة
سهلة التداول غاد من التعقيد وأنه لا يفرض
على المسلم طقوساً مهمة بل لا يتطلب سوى
التعلق بالشهادتين لذلك كان التجار المسلمون
من (البولا) أو (الموزا) يحملون بذور
الدعوة الإسلامية في صدورهم ويسروا
وما قاله الأستاذ هو برديجان عن الدعاة من
التجار في إفريقيا هو عين ما يقوله كتاب
التاريخ عن انتشار الإسلام في أكثر بقاع
العالم بعد انغماس موجة الفتح الإسلامي ،
فقد وصل الإسلام إلى الصين بجهود التجار
الرحل الذين يجوبون البلاد بصرأ عن طريق
الهند وبرأ عن طريق ما وراء النهر ، وإذا
قرأت تاريخ انتشار الإسلام في جزائر
سومطرة وجاوة وسردبب والفيلبين وسيام
واستراليا والبرازيل تجد من قاموا بانتشاره
هم زملاء الذين قاموا من التجار والرحل

قد خففت بعض نتائجها وحين صدر تحرير بيع الرقيق واغتطاه كانت عصابات الاستعمار الأوربي هي التي تراول هذه التجارة الفاسقة ، وقد تركت أسوأ الأثر في نفوس الإفريقيين الذين واعدتهم أن تكون قبائلهم نهياً ضاملاً بتخطئه أعداء الإنسانية في شراطة تلحق العار بكل متحضر ، وبدلاً من أن يسدل مبشرو المسيحية الستار على أحداث هذه الفجائع المروعة ، فقد جعلوا منها سلاحاً يحاربون به الإسلام فأذاعوا أن تجار الرقيق من مسلمي العرب لأن دينهم الإسلامي يبيع الرق ويدهو إليه ، فكانت هذه الدعاية المسمومة ، يتجه بها قس يظهرون الرحمة ، ويبالغون في التودد فتضل فعلها الآلهم في بذل الكراهية لكل ما يتصل بالإسلام والمسلمين حتى تنصرت قبائل ساذجة كانت قد اعتنقت الإسلام ، لأنه في منطقهم

الغافل جعل أتباعه يتخطفون الرقيق ... أما السلاح البارد الحار الذي صوب إلى معتنقي الإسلام فهو إنشاء مدارس في المناطق الإسلامية تتظاهر بأنها لا تتعرض للسائل الدينية ولكنها تنشر الثقافة والتعليم لا أكثر ولا أقل ، وقد خدع بها المسلمون قصفوا بابتائهم إليها ، ثم مضى بهم الزمن فكانوا قادة الأسرى في البلاد ، وقد اعتنقوا من خلال الدراسات المفترضة أن المسيحية دين الحضارة والمدنية ، وأن الإسلام صحراوي بدوي أدى دوره في الزمن السحيق ثم تمسك به أتباعه في عصر الحضارة لجحدوا

انتشار الإسلام والمسيحية معاً في إفريقيا كما دونها كتاب المسيحية أنفسهم لفرى مصداق ما ذكره الأستاذ علي عبد الرحمن من أن ما بينه المبشرون المسيحيون من جهود لو بذل المسلمون عشر مثله لافترت جهودهم أضعاف ما تشهده جهود المسيحيين ، وأظننا نستطيع في ضوء ذلك أن نفير خططنا الفردية في نشر الإسلام بما نقاد من أساليب أوروبا في تنمية المسيحية وازدهارها ، لا حل حساب الوثنية وحدها بل على حساب الإسلام ، دون اعتبار لمبادئه الرائعة وصراطة القسوس لم تكن المسيحية شيئاً متوقع الازدهار قبل مبدأ القرن التاسع عشر ، حتى نهضت حركة الكشوف الإفريقي مواكبة بعثات التبشير المسيحي ، قد نهضت البعثات الأوربية من إنجليزية وهولندية وفرنسية وأمريكية وبرتغالية ، وقد استوطن الرجل الأبيض مناطق كثيرة فانتبهت فرصة الانحلال القبل وضعف المقاومة أمام أسلحة الدمار من حديد و نار وقدائف وجعل يفرض المسيحية على الإفريقيين فرضاً ، والغريب أن هذا الدين الذي جاء به عيسى لينشر المحبة والطمأنينة كان مبكراً شقاق بين أتباعه ، حيث عمل البيض من الهولنديين على تخصيص كنائس مهيبة للارنن ، ومعا بدشاعة البيض وطبيعي أن يحدث هذا الامتياز الصنعي أثره في النفوس إلا أن وسائل الإغواء الأخرى

« ولذلك فرض على أعضاء البحوث التبشيرية قبل أن يصدوا تلك الجهات أنواع خطة مرسومة تقضى بدراسة تلك البيئات دراسة شاملة وتفهم نظمها الاجتماعية وعاداتها وثقافتها كما يجب على المبروف أن يختلط بالسكان للزيارة وأداء الخدمات، والإخلاص في التعاون معهم كل فرصة تتطلب ذلك فالدراسة والمستشفى والمستوصف والمثابة على الدعوة المسيحية وترجمة الكتاب المقدس والتعليقات الدينية إلى لغة السكان ومعرفة الأعياد المقدسة وفهم شعور الإخوة المسيحية بين الجميع . »
على أن أجمع خطة مهدت لا تقارن المسيحية هي اتجاه الكنيسة إلى تعيين قسوسة من النوج الإفريقيين ليهاجوا الوثنيون بإخوانهم في لباس كهنوتي فيحدثون تأثيرا يتقدم معهما وقرق بعض الأذهان عن حقيقة أئمة من هذا صاوخ للرجل الأبيض المستغل ولذلك انتشرت المدارس الكهنوتية التي تخرج القسوسة الموثنون .

تقرن هذه الإمكانيات الضخمة لدى أم أوربية حاذقة متسلطة بما قام به مبشرو الإسلام تجاه الزحف المسيحي ، وإذا كان المعروف أن دول الإسلام في القرن التاسع عشر إلى منتصف هذا القرن تقريبا كانت من الهوان والجذب والاحتلال بحيث لم تستطع أن تتدأ عن نفسها ، والمستمر في كل دولة ينزوي الإسلام بصبغاته بين أتباعه ومعتقيه ويستطيع في هوادة أن يمنع بطلقة

على الجهل ، وإن عليهم التأخر ، وكان الإسلام هذه الصلة في احتلال العالم الإسلامي وتخطيطه في العظائم ، وإذا كان هذا اعتقاد أبناء المسلمين أنفسهم عن فعلوا في مدارس التبشير ، فإذا يكون اعتقاد أبناء الوثنيين من لجأوا إلى المدارس المسيحية الخالصة فعملوا بها أن أوروبا لم تبلغ منزلتها الحضارية بفكر تعاليم السيد المسيح . هذا وقد أخذت بمختلف الصواصم الأوروبية معاهد عالية لدراسة أصول الأديان وهدفها الأعظم دراسة المناخ الجغرافي والاجتماعي والفسي لسكان القبائل من النوج لرسم الخطط التي تنفق وميسرولم النفسية فقبل مهنة اجتذابهم إلى المسيحية وقد كان أوائل المبشرين في مفتتح القرن التاسع عشر يعتقدون أن الحضارة الأوروبية والديانة المسيحية جزء لا يتجزأ ، وأن البيانات الوثنية خرافات محترقة فأنجهم مهم الأكيد إلى استئصالها من النفوس ليرسوا على أفاضها تعاليم المسيحية ومبادئها ولكن تباطؤ التقدم المسيحي على نحو لا يرضى المتجملين قد دفع أساتذة التبشير إلى تغيير هذا الاتجاه العدائي ، وأتوا بنظرة معارضة تدعها دراسة الأجتناس بعامة ، وتتلخص في إظهار التقدير للعقائد الوثنية ، على أن تستغل بذورها لتطوير السريع نحو المسيحية وقد أفاض الأستاذ هوبير ديوان في شرح أساليب التطبيق العملي لهذه النظرية الجديدة وكان ما قاله نقلا عن الترجمة العربية ص ١٧٢

الهداء ؛ وكل ذلك يستغل لدى قساوسة التبشير
استغلالاً متعمداً فيكون أداة للتغيير من دين
يقوم رؤسائه بهذه الأوامر وهي بذلك في
رأيهم من صميم الإسلام إن لم تكن له الباب .
هذا وقد انجلى مناقشات المؤتمر الأول
لمجمع البحوث عن حقائق أليمة ، إذ تحدث
بعض الأعضاء عن خلافات القاديانية
والأحادية والبهائية وأتباع أفغانان وإلباس
أكثر ما يدور من جدل ثوب الإسلام فيستدعي
الرد من أصحاب العقيدة الخالصة وتذور وهي
طائفة لا تغل حنفاً عن صراح التبشير المسيحي
الموجه مباشرة إلى معتنقي الإسلام ..
من الواجب - أتم الواجب وأكده -
أن نبداً العمل الجاد في نشر الدين الإسلامي
بعد أن تقوم دول الإسلام في هذا العصر بأمر
سالم هو دراسة أساليب التبشير المسيحي
في تخرج الدعاة ، وإخفاء المنطقات ، ورصد
الأموال الضخمة ، وتنشيط وسائل الإعلام
والدعاية والنشر ، ودراسة المناخ النفسي
والاجتماعي والاقتصادي للوثنيين ؛ ولن
يعود بمالك الإسلام أن تنفق على ذلك
في إخلاص يرى من الغرض لتتم كلمة الله
على ألسنة بعد لا تعصب على المسيحية في شيء
فمن نهدى الوثنيين من الوثوج فإذا سمى
هذا العمل تعصباً إسلامياً فهذا اسمي عليهم
في تنصير المسلمين .

حزب البيروسي

مدفع واحدة كل قسالة التبشير الإسلامي
يقوم به أفراد عزل متحصنون ؛ وفي هذه
الحالة اليائسة المؤتسة فقد استطاع التبشير
الإسلامي الفردي العزل أن يسير تجاه
التبشير المسيحي الجاهلي الملح ؛ أي قوة
للإسلام تلك التي أمدته بعناصر قوية فأرسلت
الحضارة المودعة والنفس المتكسر
والجهلوت النافذ والاقراء الكاذب الممرو
إن لم تكن قوة الحق في دين أرسله الله
لإنقاذ الناس ...

ليت هؤلاء العزل المتحصنين من مبشرى
المسلمين يكونون تحت قيادة جماعية مثقفة
تهديم الطريق ، كما كان الأمر في مبدأ انتشار
الدعوة من زوايا المتصوفين من السنوسيين
والطوبيين وأتباع الحاج (عرب قدوة) ورواد
الجلابة من السودان وأعضاء جمعية التبشير
السودانية فيظل الدعاة منهم المستنير ،
ولكن السكائرة كل السكائرة أن ينتمى للتبشير
الإسلامي جهة أقرب إلى المشعوذين
لم يفهموا شيئاً من تعاليم القرآن ، وأطلقوا
الحام ليفهموا السحرة فقط فيقوموا بأدوارهم
القائمة في استحضار الجن وإطلاق البحور
والتبرك ببعض الحيات والحشرات والتكهن
عن طريق شرب الرمل وتلاوة آيات من
القرآن تفهم لديهم على غير وجهها الصحيح
ومداواة المرضى بالأحبة والقسم وتديك
المرضى ليصح ، ووضع الربق على مكن

اللغة العربية بين الفصحى والعامية للأستاذ عارف السكدي

- ٢ -

خردوا إلى السوق وإلى العمل وإلى المزرعة
تكون لغة أصحاب التجارة والصناعة
والراحة وإلا كانت الحجة علينا بأن اللغة
الفصحى لغة غريبة عنا تعلمها ككل لغة
أجنبية ، وهي لغة المستعربين وحضائهم
من المستشرقين وأتباعهم من العرب المعاصرين .
إن تعميم اللغة الفصحى ليس بالأمر الصعب
ولا هو بالأمر الذي يموّزه الإمكان على قدر
ما تموّزه الإرادة ، ولا بد لنا قبل البحث
بالوسائل الممكنة لتعميم العربية الصحيحة
من أن نحدد كلامنا بهذه الكلمة . ليس
مصادفة الخلف بين اللغة الفصحى واللغة العامية
بالمسافة التي بسطت شفتها ، بحيث لا يمكن
الجمع بينهما ورجع وحدتهما ، فقد ندر أن
تستعمل العامية كلمة عامية - إذا استثنينا
الألفاظ الأجنبية الدخيلة - إلا وهذه الكلمة
أصل في اللغة الفصحى ، أيدها من أصلها
هذا ، خطأ في لفظها ، أو تصحيف أو تحريف
في بنيتها بتقديم حرف على حرف أو بتأخير
هـ ، أو بنقل حرف إلى حرف آخر يخرج
أو لفظه قريب منه ، أو زيادة حرف أو زيادة
في المعنى الأصلي ، أو بنحو كلمة من كلمات .

إن المدول من الفصحى إلى العامية فكرة
حقيقية ، وعادة فاشلة ، فالعربية العامية غير
صالحة للحياة ، إنها وليدة الجهل ، وقد بدأ
الجهل ظلامه ينحصر والملم توره ينتشر ، وما
خلفه الجهل لا بد أن يمتد العلم .

غير أنه مهما كان من صواب هذا الرأي ،
ومن اعتقادي بأن اللغة العامية لكي تكون
لغة علم وأدب ، فإن لغة حقيقة لا بد من
الاعتراف بها ، وهو أن وجود لفتين اثنتين
لغة واحدة ، مشكلة صعبة معقدة وفيها من
عوائق التحصيل ما نبتق العربية منه في مستوى
أضعف من سائر اللغات الحية ،

فلتتنا الفصحى تعيش في نطاق محدود لها
مواقف خاصة ، ومواطن خاصة ، وليس
هذه سال اللغات الحية ، فاللغة الحية تكون
واسعة الآفاق ، عامة الاستعمال في الكتاب
والكلام ، دائرة كل لسان كل طبقة من
طبقات أبنائها ، معبراً بها عن كل غرض من
أغراضهم في كل ناحية في مراقبهم ، لا تختلف
إلا بالأساليب من حيث الفصاحة والبلاغة ،
لا من حيث اللغة نفسها .

فيم يجب أن نخرج العربية الصحيحة من

يلقون دورهم بلغة سوفية محنة ، أو قروية
بحثة كأنهم ما أدركوا شدا من اللغة ، ولا
ذرا من النحو ، وليس بين أساتذة اليوم
من يرضى لنفسه بأن يلقي درساً بهذه اللغة
التي كان يرضاهم أولئك الأعلام .

هذه الخطوات السديدة نحو اللغة الفصحى
موصلة حتماً إلى توحيد اللغتين بمحو العامية
واستئصال الفصحى بالأمة وحدها ، فبموجبها
من كل غرض من أغراضها في كل شأن من
شئونها الخاصة والعامية .

ولكن هذا السهر سهو بطل ، مقروك الزمن
أن يحققه على مهل ، وليس هذا من الصواب
ولا هو من فعل الأمم الحية ، فالأمة الحية
الواقعية تستبق الزمن وتختصره ، تلقي بين
هذبتها وبينها وتنسكب من ذكر العواقب
والعوائق إلى أن تصل إلى هدفها

والسبيل إلى هذا يكون على أركان منها :
١ - القرية البيئية : يصل الوالدون
على تلقين أبنائهم الصحيح المأثور من الألفاظ
ويحنبونهم الملمون والمنطوق والمحرف ،
يبدأون أول فاول فيما يحتاج إليه من كلمات
تبر عن أغراضهم وما يحيط بهم ، وهذا
حق اللغة والوطنية على المتعلمين من الأبداء
بأخفون في التصغير عليه ، إذ ليس لاحقاً أن
تكون لغة المتعلمين المثقفين وأبنائهم ، كلغة
الأميين الجاهلين وأبنائهم ، وأن يعني كل قوم
بتقويم ألسنتهم وألسنة أبنائهم .

أما التعريف بالتقديم والتأخير ، أو
بالتبديل والتغيير ، فالجلب فيه سهل ، ترد
لكلمة إلى أصلها والزيادة بالخطأ لغير معنى
تختلف ، ونظر الزيادة بمعنى جديد يتصل
بالمعنى الأصلي ، وهي الطريقة التي جرى عليها
العرب الأولون .

وتقرأ الألفاظ العربية الفصحى التي تستعملها
العامية مجازاً أو استعارة أو اشتقاقاً فيما لا بد
منه من معنى جديد .

وكذلك اللفظ فيها لفتان : بناء أو ضبط
اختارات العامة منها اللفظة المرجوحة لحقتها
في السمع والاستعمال .

أما الألفاظ الأجنبية فالجميع العلمية اللغوية
كافية بأن توجد لها مترادفات العربية وهو
ميسور في جلته ، حتى فيما يظن أنه من أحدث
المسميات التي اقتضتها المدنية المحاصرة .

لعل هذا يحمل الخلاف بين الفصحى والعامية
من حيث اللفظ المفرد ، أما من حيث الخطأ
في تركيب الجمل فانتشار العلم يصلحه .

ومن يشكر على اللغة العامية أنها خلطت
في هذه الثلاثين السنة الأخيرة نحو اللغة
الفصحى خطوات واسعة فلقد أدركنا من
العلماء من لا يتقن لم غبار في معرفة اللغة ،
والمتنوع من النحو استغفروا أيامهم في طلب
هذين العلمين وصانتهما وتخرج الطلاب
والآداب فيهما ، وقد لا يكون في يومنا هذا
نظراء لهم في موضوعهما كان هؤلاء الأعلام

أدعى إلى اللوم وأدل على الجهل من أن يعرف العربي اللغة الأجنبية أوثقاً منها وأن يجهل لغته .

ولعل أغرب ما يشهد به في هذا الباب ما وقع أخيراً في محاكم مصر يوم كان القاضي المدارس المتقف ، يمنع الهامى المتقف مثله أن يرفع بالفصحى ، ويأبى إلا أن تكون مرافقته باللغة العامية .

٤ - - المجالس النيابية - - لنا تذكر على السواد الأعظم من النواب أنهم أخذوا في استعمال اللغة الفصحى ، ولكنه استعمال على مدى لا يزال محدوداً وضعيفاً ، ومكانة اللغة تقضى على النائب أن يجيد لغة إجادة تامة ، فصلاحه كله وحيثه وعمادها وعظمرها في حسن التعبير وسلامته .

٥ - - الجندي - - وفي الجيوش العربية أمراء ملوكوا ناصية العربية فأحسنوا التعبير بها وأجادوا في اختيار الألفاظ النقية ، تدل على ذلك مکتوباتهم ومنشوراتهم وفوق هذا معاجهم العسكرية التي وضعوها ، ولغة الجندي لغة الحرم والمزم والجولة ، وهي مطالب لا يستقيم أمرها بالعامية ولا يصلح لها إلا اللغة الفصحى ، فلو اشتد الضباط في أراسمهم ومعاملاتهم في استعمال اللغة الفصحى لانتقل هذا من الأمر إلى الأمور ومن الجندي إلى السوق بحكم التعامل والتباين .

٦ - - لغة الدواوين - - وقد صلت

٢ - - التربية المدرسية - - ثم نتقل هذه المهمة إلى المدرسة في نطاق أوسع . تكون اللغة الفصحى المسندة في إلقاء الدروس وفي مراجعتها وفي هذا كره فيها . ويكون لها النصيب الأوفر في المحادثات والمعاملات ، فإذا مضى المتعلمون على هذا ، ألفت ألسنتهم واسقامت أسماعهم فأصبح ملكة يجرؤون عليها في المستقبل ، واختلاط المتقنين بالعامية كقيل بأن ينقل إليها كثيراً من لغتهم ومصطلحاتهم وتمايزم فتقدم فيها ، فيكون ذلك من قبيل رد الفعل ، فمما أسفد على العرب لغتهم اختلاطهم بضميرهم بمود هذا الاختلاط المتقف فيصلح ما يمكن إصلاحه من هذه العامية .

ويكون حسناً إذا وضعت وزارات المعارف والمدارس جراتز للتفوقين في حسن التعبير وحملة اللغة ، ومن المفيد أن يسكثر المتعلمون من الاستقصاد بآيات الذكر الحكيم وبالشمع وبالأمثال والحكم تلقى بلفظها العربي الفصيح .

٣ - - القضاء - - يجب أن تكون لغته صحيحة سليمة ، لغة القاضي ولغة الهامى كما هو واقع في كل لغة عند كل أمة ولقد كانت هندنا في الأسس الحاكم المختلطة ، وكل القضاء والمحامون العرب يأخذون أنفسهم بالتعبير الأجني الصحيح ويفتخرون به إذا هم رافقوا أمامهم ، فإذا هم عادوا إلى الحاكم الوطنية عادوا يفضرون بجهلهم لغتهم ، وهل من شيء

في الأمم الأخرى من أمثال هذه الطبقة تنسك للفتايم تفاخر بجهلها لها .

نحن نفخر مرتين ، ونحجل مرتين تقفرائنا نجعل لفتنا ، وأتينا نعرف لغة أجنبية أو شيئاً منها ونحجل أن نجعل لغة أجنبية أو ألفاظاً منها وأن نستعمل في لفتنا الدارجة الألفاظ العربية الصحيحة المأثورة .

ونجاوزنا هذا الحد في الاستهانة بلفتنا فأردنا لها أن نخضع في كثير من نواحيها إلى اللغات الأجنبية .

وزاد الأمر متابعة أن قام فيها من يطلب أن يستبدل بحروفنا العربية حروفاً لاتينية ، والعربية اشتقاقاتها وتصريفاتها وضمائرهما وإعرابها وأكثوها بمختلف عما هو في اللغات الأجنبية ، واللغة الأصلية لا يستقيم أمرها إلا على أصولها وقواعدها التي جرت عليها . ومن المستغرب أيضاً الدعوة إلى إصلاح الإملاء العربي ، هذا الإملاء السهل المبني على أصول صحيحة مدروسة ليس أيسر منه في لغة من اللغات الأجنبية التي نعرفها أو نعرف عنها .

فلنكل حرف في العربية فليقل عاصره ، لا يختلف باختلاف مرقعه في الكلمة أو وضعه من الحروف فالسين لا تسكون إلا سينا ، والطاء طاء ، والظال ذالاً ، والزاي زايًا ، والضاد ضاداً ، والظاء ظاماً .

وليس من حرف يقرأ ولا يكتب ،

كثيراً عما كانت عليه من قبل وهو شيء . محمد الحكومة عليه على أننا نطلب منها المزيد صيانة للغة وحفاظاً عليها .

٧ - الصحافة والإذاعة - والخطابة في المنتديات العامة كان لها كثير من الفضل في إصلاح كثير من الكلم واللفظ ومن السامية إلى الفصحى ولكنه إصلاح جاء أكثر صفراً عن غير قصد ولا تعمد ، والذي نريده ، أن تلقى محاضرات الخاصة والعامة فيها التنبيه إلى الأغلط والحق على تصحيحها وبيان فوائد هذا الأمر من الناحيتين العلمية والوطنية .

وصحة الصحافة أن تقفد على الذين يملأون شأن لتتهم ويكون لها ما يحبه المراقبة تخففه بالقدر الصحيح على المدارس والمعلمين ، وعلى الذواب والخطباء والفضلاء والمعلمين وعلى سائر المصالحات الرسمية حتى يمتنع بهد ذلك أن يمالئ رجل بجهل لفته .

على أن العامل الأول في هذا الأمر مرده إلى هزة النفس وعلو الهمة والفيرة والوطنية والإباء القومي .

فنحن إلى اليوم تأخذنا العزة بالجهل فيقول لك أحدهنا إذا أنت اشتدرك عليه خطأ لست سيئويه ولا أعرف العربية .

وقد يكون هذا القائل من أبناء العلم قاضياً أو محامياً أو مدوياً أو طبيباً مفروضاً فيسه ويمنع من طبقة مرققة لفته ، وليس

يكون أكبر المجامع العلمية الرأس الجامع لهذه المجامع يكون المرجع والضابط غير ملون بلون إقليمي ولا مصطلح بصبغة موضعية ويكون الرئيس ونائب الرئيس في المجامع العلمية الأخرى حضرون طبيعيين في الجمع الآخر. ينص قانوني غير محتاج إلى ترشيح وانتخاب ، هذا صا من يجوز أن ينتخب انتخاباً إلى الجمع الأعلى من مجامع الأقطار العربية الأخرى .

تبادل المجامع القوية الآراء في اختيار الألفاظ وفي إقرارها وذلك بأن يبعث كل مجمع برأيه ومقترحاته إلى المجمع الآخر ، وهذا يبيده إليه مقرونة بدراسته وملاحظته فإذا اجتمع هذا كله عقد له المجلس الأعلى جلسة عامة للذاكرة الأخيرة ، فاقع عليه الإجماع أو الاتفاق عند في الكلمات والمصطلحات المعجمية ، ويكون الأخذ بها صواباً والخروج عنها خطأ ولا يقول قائل : إنها طريقة طويلة فأطول منها أن تبقى الأمور على حالتها الحاضرة وفي المجامع القوية الغربية من الألفاظ ما يبق عشرات السنين قبل أن يثبت فيه برضى أو قبول . هذه آراء نرحبها على أنظار أقطاب اللغة وعلى مجامعنا القوية قابلة للتعديل والتصحيح إذا هي استحققت النظر والدراسة .

والشيء الذي يزيد أن يكون اتصالنا بلسنتنا اتصالاً أكيداً وثيقاً فتكون منا ونكون منها فتصبح لغة العرب الحاضرين كما كانت لغة آبائنا الأولين ؟ عارف المنكرى

أو يكتب ولا يقرأ إلا هذه الألف التي دعوها ألف الإطلاق تفرقاً بين المفرد والجمع ، وإلا وأو عمرو تميزاً له عن عمر . هذا ومثل - إن كان له مثل - قاعدة لها ضابط معروف وفيه من الحرص على اللغة والدقة في الرسم واللفظ ما يقتضى بالخذ لا بالنقد .

فإن هذا من اللغات الأجنبية ومن شذوذها في إملاءها ورسما ومن غرابتها في أحرفها أو في وضعها فقد تنقلب السنين عندهم ذائبا ، وتصير الجهم غيناً ، واثنا شيئاً أو سيناً ، والياء ألفاً . وتأتي بمرهين لتؤدي لفظ حرف واحد قد يكون له مثيل عندهم ، وتترك حرفاً أو أحرفاً لا تلفظها وتلفظ حروفاً لا وجود لها ، وعلى الجلة فإن إملاءهم خطأ في خطأ تحفظه - إذا استطاعوا حفظها من غير قاعدة تهرى عليها .

وعلى الشذوذ عندهم والاطراد عندهم ، لا تسمع لهم أصواتاً أو مقترحات أو اعتراضات من يوفق بعلمهم تستذكر هذا الشذوذ .

وكلمة أخيرة هي أن اللغة تحتاج إلى مرجع يرجع إليه في ضبطها وتوحيد مصطلحاتها . وقد كان هذا المرجع عندهم من قبل أهل البداوة وأبناء قريش - قبل أن يعلوا أو يخلطوا ففسدت لغتهم ، ثم كان القرآن ولا يزال .

والسلطة القوية عند الأمم في يدى مجامعهم القوية ، فلا بد لنا من أن نجرى على ما جروا عليه ، غير أن المجامع عندهم تعددت وليس بينها ارتباط وثيق يساعد على وحدة العمل فوحدة اللغة ، ودواء هذا وعلاجه في أن

حول تدريس الدين الإسلامي في المدارس

للاستاذ السيد شحاته
المفتي العام بوزارة التربية والتعليم

والرياضة . والتربية (والحدائق وب العالمين) .
وتحس محمد الله وب العالمين إذ خلقنا على
صورة خاصة ، ثم نمطنا . وزاد في إدراكنا
على صورة خاصة ، فهو الخالق المربي سبحانه .

والفصد والخير أن تأخذ تلاميذنا ؛ (بتربية
دينية) على غرار ما شرعه الخالق جل شانه
في تربيتهنا . والرسول الذين جاءوا إلى البشر لم
يجلسوا إليهم ليسمعوهم درساً في الصلاة ،
أو في الصوم ، أو في الحج ، بل جاءوا قائمين
على تربيتهم ونمويهم ولو كان الدين للدراسة
والبحث لنزل القرآن جملة واحدة ، ولاجتمع
بأبعاده وأسفاره أمام الناس ليستخرجوا
منه أمورهم ، ولكن الله سبحانه أراد أن يأخذ
الناس على أناة ، وخبرة بعد خيرة : وقال الذين
كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة ،
كذلك لنثبت به فؤادك ، ووظفنا ترتيباً ،
وكذلك حديث الرسول الكريم عليه السلام
(صلوا كما رأيتموني أصلي) يعني الفجرين ،
والتدريب ، والأخذ بالتدوية الحسنة ، والطريقة .

ثم نعود إلى مداوستنا فسأل : هل دراستنا
الدينية فيها تقوم على التربية والتنمية والتدريب ؟
الواقع فليخصه فيما يأتي :

حظ التلاميذ في حصص الدين أن يحفظ
المجدون منهم آيات من القرآن غير سليمة النطق ،

تقوم مدارسنا الابتدائية ، والإعدادية ،
والثانوية بحراسة (الدين) ضمن برامجها ،
وترصد لهذه المادة المحاضرات ، والمحاضرين ،
والمدرسين في كل مراحلها الثلاث .

والشائع الأغلب على ألسنة المدرسين
والتلاميذ أن دواستهم دراسة دينية ، وفي تقدير
القائمين على المدارس أن هذه الدراسة تخلق
في التلاميذ روحاً دينياً ، وتطبعهم على التخلق
بأخلاق الدين ، ووعاية أحكامه ، والتأديب بأدابه .
وقد دلت التجربة على أن الدراسة القائمة
في مدارسنا لا تخلق تليذاً متخلقاً بأخلاق
الدين عاملاً بأحكامه ، متأديباً بأدابه ولأن التربية
إن لم تعتمد على الفجرين ، والتدريب ، والرياضة ،
والأخذ بالطريقة ، فهي تربية لا تصل إلى
غاياتها المفودة ، ولا تثمر ثمارها المرجوة .
ودراسة الدين في مداوستنا تسير على طريقة
غير صحيحة ولا مجدية ، فهي لا تفرس
حقيدة ، ولا تنمي وأياً ، ولا تقوم على رعاية
الضمائر وحيطة صالحة .

الدين حقيدة وخضوع ، ولا يمكن أن
تؤدي دراسة أحكامه ، واستقراء مسائله ،
وحفظ قواعده إلى تربية صالحة .

والأصح أن تقوم في مدارسنا (تربية دينية) ؛
لأن التربية تقوم على التدريب والتنمية

الحق أن التربية الدينية الحقة يحتاج إليها في كل أمور الحياة أكثر مما يحتاج إلى أي معرفة من معارف العالمين، ولو اقتصرنا الناس في صحتهم، وفي معاشهم، لعاشوا إخوة متحابين متعاونين، ولما وجدنا تلك النزوات الشيطانية التي تدهو إلى القتل الذي يستهلك جهود الإنسانية .

ونحن الآن في تعليلنا تدهو إلى العلوم التي تبعث في الأمة القوة والرخاء، وتوفر لها الأمن والسعادة، وترقي بها إلى مدارج الحضارة، وصدقوني أنه لا يمكن لأي أمن ولا حضارة أن تقوم إلا في ظلل الخلق الكريم، والنفس الراحية، والمثل الرفيعة التي لا يمكن أن يستمدها إنسان إلا من منابع الدين الصحيح .

حفت البراج وأضية على التربية الدينية بوقتها أكثر من ساعة ونصف ساعة كل أسبوع ينفقها مدرس الدين كما يحول له، وكما يريد .

ثم يأتي بعد البراج - الامتحان - وهو نظام متعثر فاشل، فهو يعتبر التلاميذ إما في محفوظ أو مسرود، أو حقائق تشبه إلى حد كبير معلومات و التاريخ، والأدعي أنه قد ترك من قصد - امتحان - التلاميذ في الفرقة النهائية . فاستهان بتلاميذها بالبقية الباقية من التعاويذ التي يجبرهم عليها مدرسوهم، وجلس المدرس المسكين في هذه الفرق يندب حظه؛ لأنه أخذ في هذه الفرق حصتين أو أربعا، ويشكو من الشكوى من استهانة التلاميذ بدروسه وسوء انصرافهم عنه .

ولا مفهومه التصدي إلى حد كبير، أو يحفظوا حديثاً نبوياً على غرار ما حفظوا من القرآن الكريم، أو يقف المدرس أمامهم يسرد حقائق في الصلاة أو الصوم أو الحج، أو الزكاة . وسرده فيها يشبه إلى حد كبير ما يقوم به مدرس التاريخ أو الجغرافية، أو العلوم، فكلمها حقائق مسلم بها فعلاً، جاءت بعد تجارب ودراسات، وعلى التلميذ أن يمعن ويصبر على حفظها، فإذا حضر ذائر كالمفتن مثلاً انفصل عن بين التلاميذ فخر يرفع صوته بالقرآن، أو بالحديث، وقد يسأل الزائر بعض الأسئلة في المسائل الدينية المقروءة فيجيب بعض التلاميذ، ويخفق الآخرون والمدرس مزهو مسرود بمن صاح وقرأ أو بمن لقن لحفظ .

فهل هذه المحفوظات القرآنية، أو المفهومات الدينية أخذت بين التلاميذ حظاً من تربية دينية؟ وهل غرست فيهم من المبادئ أو الاتجاهات ما تفضل (التربية الفنية) في مدارسنا مثلاً؟ وهل حفظت من وظيفتها كما تحقق (التربية الرياضية) التي يمارسها التلاميذ، ويؤخذون بها أخذاً، ويكون على حياء، والاندفاع إليها، والولع بها؟

ثم ما البراجنا قد أعطاه اللغة تسع حصص أو سبع في الأغلب، وجعلت للتربية الدينية حصتين التين؟ ما السر؟ الآن اللغة، والرياضة، وغيرهما يحتاج إليها في الحياة أكثر مما يحتاج إلى التربية الدينية؟؟

في تدريس الأدب ، أو الفوائد ، أو التعبير
ولكننا لا نكاد نجد إلا قلة يسيرة من
يحيدون دوس القرية الدينية ، ومن أصابه
حظه العاثر فرقى إلى (مدرس أول في القرية
الدينية) نكس وأمه ، واستخفى أمام
(المدرس الأول اللغة العربية) .

وبعد كل ذلك يحى دور السيد المفتش :
إنه يدخل المدرسة مفتشاً للادتين ، ولكنه
يخرج منها ، وقد عرف كثيراً عن الجهود
التي تبذل في اللغة العربية ، وتغاضى - ساعه
الله - عن الإهمال الذي يصيب القرية
الدينية - فكان تقديره مقسوماً في الناحيتين
(تقريباً) حتى لا يسوق من قاربه الترقية ١١
وننتقل بعد ذلك إلى حجر الزاوية ، أو إلى

البنية الأولى التي بعدها يكبر البناء حتى يتشأخ
ألا وهي (القدوة الحسنة) فنسأل : ما حفظنا
نحن العاملين في المدارس من القدوة الحسنة ؟
أغلب ظنى أننا في المجتمع المدرسى لا نهتم
بما يهتم به المسلم العامل إلا أن نرضى الرميات
فالمفروض أن صلاة الظهر مثلاً تؤدي في
المدرسة ، فهل يفتى المسجد جميع المسلمين ؟
وصندوق البر الذي يدور على التلاميذ
والموظفين في فترات متتالية ، وبالألف
ينفق من ماله على أشياء كثيرة لاتصل بإعانة
الفقراء والمساكين ، ألا قاتل الله الرياء
والمثاق وكل سوس يفسد في هضد السلم .

ثم حدثنى كيف يحترم التلميذ مسجد المدرسة
إذا رآه في أول العام عزناً للادوات والكتب

ويجبرها الحديث عن التدريس إلى حديث
آخر عن النقاط الدينى ، ونسأل الآن :
ما حظ مدارسنا من النقاط الدينى ؟ لانهت
هذه في خبرة وصرفة .

في ركن مهمل - على الأغلب - فرش
صهران أكلهما الفم والثراب ، وسوء
الاستعمال وقيل هفه - مصل المدرسة ،
وأما المدارس الكبيرة فقد أحدثت
حجرة وفرشتها فرشاً متواضعاً ، وحلفت
على جدولها بعض اللافتات البالية ، وتركها
- على الأغلب - لفراشين ينامون فيها ،
ولا يشأها من المصلين أكثر من حشرة
في اليوم من الخدم وبعض المدرسين ، هذه
صوة لمسجد المدرسة .

ونقاط آخر تراعى بسيرة على الهداء ، أو في
حديث مناسبة دينية يلقى به بعض المدرسين أو
التلاميذ ، ويسمعه الباقون ، وهم في غفلة لاهون ،
حتى لتكاد تهبه إلى حد كبير تلك الطفوس التي
يقوم بها مهايخ الطرق في الأعياد والمواسم .
وفي رمضان تنشط بعض المدارس إلى إلهام
الفقراء أو كسوتهم ، وفي ذلك ما فيه من
مجانة الدين لما يجره من الرياء والتكلف ،
والخروج على آداب الصدقات .

والمدرس لا يكاد يهتم بإعداد دوس التربية
الدينية ، فهو ضنين بمجهوده وتفكيره
في الإعداد والمدرس إذا تيسر بما يبذل
في دوس آخر من دوس اللغة العربية .

وكثير من مدرسينا برزوا وتقوقوا

مرتبطاً بالوقائع والأحداث ، فلا تحفظ من كتاب الله كلاماً لا نفهمه ، وإنما نترك ما لا نفهمه إلى حين النضج العقلي واقتدار القوي على فهمه والاستفادة منه ومن هنا نستطيع أن نفقه كلام الله ، وأن نتفحص به ، فلا تحفظ سورة بعينها ، ولا آية إلا ويطناها بحياتنا حتى يكون تأثيرها أرفع ، وقائدتها أحق وتقع مثل ذلك في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فالقومية العربية ومعاملة الكتابيين وعاربة الاستعمار والاستغلال ، والاتقاع بمنايع القوة ، كل ذلك وغيره له منافع في كتاب الله وفي حديث رسوله الكريم وأن نتفحص في تلاوة القرآن وتزويد آياته بالإذاعة القرآنية المرفقة فتطبع السنة تلاميذنا على تنزيل القرآن في محبة وتدبر وتدقيق لجلاله ، وأن نحث تلاميذنا على تكوين جماعات للقرآن فهذه جماعة لحفظه ، وأخرى لتزيينه ، وثالثة لرسم مدلولاته .. وهكذا

(ب) مسجد المدرسة : لا بد أن يكون بجلا داحياً إلى الجلوس فيه ، والراحة إليه بل لا بد أن يكون أجمل مكان بالمدرسة وأن يزود بمكتبة حافلة بالمصاحف والنصوص والمجلات الدينية وكتب السيرة والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وأن ينشأ المسلمون جميعاً من المدرسة ومن أبناء الأحياء المجاورة في أوقات الصلاة ، وأن يقوم واعظ من المدرسين في كل الفترات الممكنة ، لينفوس في نفوس التلاميذ آداب دينهم بالمرحلة الحسنة ، وأن

وإذا رأى حجرة السيد الناظر بحلة صفاء ، وحجرة الله كاسفة عاشقة متواضعة .

والسيد المدرس (الإمام) إذا صلى بالتلاميذ يوماً تركهم أياً ما ، والسادة المدرسون الآخرون يعتبرون الإمامة وظيفية لا يقر بها منهم إلا المكلف بها .

والقدرة الحسنة نواح متلازمة يستطيع المجتمع المدرسي سعادته أن يحققها أو يقاربها إن أراد ، وليس هنا مجال الحديث عنها حديثاً شاملاً . وبعض المدارس تخرج مجلات دينية فإذا قرأناها لم نجد فيها صورة صحيحة لما تحس به البيئة من مشكلات ، بل كل ما تستطيع المجلة أن تسهم به في خدمة الدين أن تخصص عدداً لكل ركن من أركان الدين ، فصل الجدران تعلق بحلة الصلاة ، وأخرى الصوم ، وثالثة الزكاة ، ورابعة الحج .

وكل ما يستطيع النشاط المدرسي أن يقدمه أيضاً بعض لائحات وخطوط آيات من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ، فهل تؤدي بذلك خدمة جليلة للتربية الدينية ؟

كل ما قدمه كان عرضاً سردياً لما عليه عليه دراسة التربية الدينية في مداوسنا ، ولكن هل يكفي أن نمن من الألم ؟ أو هل نفود من الغنمة بالبكاء والعويل ؟

إننا نفتح الباب أمام المصلحين بالفتوحات الآتية :

النشاط الديني :

(أ) القرآن : تعلم القرآن كما أنزله الله

وعلى يد هؤلاء ترقى التاجين: الدينية والمدنية
وإلى لأحرف وجلائزاً من الأجانب
تخرج في كلية الهندسة ، وقال أكبر إنجازاتها
في بلاده ، ثم دخل كلية (اللاهوت) فتخرج
قسانها ثم عمل في ميدان قصرية ، وانتقل
من بعد ذلك إلى السلك السياسي ، فكان من
ألمح العاملين في هذا المحيط .

والدين الإسلامى دين وجميع الآفاق ، سمح
الجوانب لا يحصل لفئة معينة ، ولا طائفة
محدودة حق فهم أو تعاييه ، بل المسلمون
كلهم سواء أمام كتاب الله وسنة رسوله من
اكتسب لهم سبيل دراسة هذين المنهجين الكريمين
ورجعل الدين يستطيع - متى أفصحنا له
الجمال - أن يصول في كل ميدان ، وأن يكون
الطبيب النظامى ، أو المحارب الحاذق ، أو
المهندس القدير ، أو القاضي العادل أو المحرق
الكبير ، أو السياسي الماهر .

ومن هنا أرى ألا تقتصر وظيفة تدريس
القريبة الدينية على طائفة معينة بل تفسح للتربية
الدينية مجالاً فسيحاً في مداوسنا ليكون من
قادتها كل من امتاز بالقوة الحسنة ، والفهم
الثاقب والهداية الواسعة من أبناء المسلمين .

هذه بعض مقترحات العلاج ، وفي النفس
مقترحات كثيرة ، ولكني أقف عند هذا
الحده ، لأنهم بحث الموضوع ، على يد طائفة
كبيرة من أبناء وطن المسلمين .
واقه الموقف والمعين ؟

السيد شحاتة

يفتح صدره لاستقامتهم ومناقضاتهم ، ويحسن
ألا تكلف مدرساً خاصاً بالمسجد ، لأن
الصلاة والموعظة شائعة بين جميع المسلمين
ومن الخير أن يكون الإمام أو الواعظ مرة
من مدرسى الجغرافية ، وأخرى من مدرسى
العلوم ، ومرة ثالثة من مدرسى الرياضة
البدنية ، ولا بأس إذا اشترك ناظر المفردة
في الإمامة أو في الوعظ بعد الصلاة .

(ج) الرحلات الدينية : على منظمي النشاط
الدينى أن يخططوا لرحلاتهم الدينية ، فهذه
رحلة إلى الأسواق لدراسة الميوس ، وتلك
لدراسة الأضرحة ، وثالثة لدراسة عادات
القرية في المواسم والأعياد ، والأفراح ،
والأفراح ، ورحلة كذلك لبيوت الله الكبرى
ودراسة تاريخها ومقوماتها .

ومن الخير أن تنظم رحلة كبرى لكبار
التلاميذ بالمدارس الإعدادية والثانوية يصحبون
فيها بيت الله الحرام لمن استطاع ، ولا تدرس
الدروس التي لسميا (التهذيب) إلا بناء على
تحقيق خارجي ودراسة للبيئة قبل إقامتها .

(د) ربط الدراسة الدينية بالدراسة المدنية :
وتلك خطوة موفقة عاجلة ، عمدت إليها
جامعة الأزهر في العهد الجدي فكانت كليات
الهندسة والطب ، والزراعة وغيرها ، وتلك
خير وسيلة لجعل الدين سماً للحياة ، وعماداً للعلاج
مذكراتها ، ونوراً يهدي في مضامها المختلفة .

ومن الخير أن يكون من بين علمائنا الدينيين
طائفة من المهندسين ، وأخرى من الأطباء .

كسوف الشمس

للأستاذ علي الجندى

- ١ -

جاءت الأحاديث الصحيحة بموارد استعمال
الصيغتين في الشمس والقمر .

وباب كسف وخسف : جلس ، وفعلها
لازم ومتعد ، تقول : كسفت الشمس
وخسف القمر وكسفها الله وخسفها .
وقد جمع ابن زيدون بين الشمس والقمر
في الكسوف فقال :

لا يبقى الغمام المرتاح خاطره
أنى معنى الأمانى طائع الخطر
هل الرياح بنيم الأرض حاصفة
أم الكسوف لقمر الشمس والقمر ١٥

في العلم :

ويحدث كسوف الشمس عندما يكون
القمر في الحاق ، ولا يصادف الكسوف على
كل الجزء المنير من الأرض ، لأن قطر القمر
أصغر من قطر الأرض ، فبحروط الظل
لا ينفذ كل الكرة ، ويبقى الكسوف
عادة من طرف الشمس الغربي ، وينتهي
بالشرقي ، ويكون كليا وجزئيا وحلقيا على

في اللغة :

كسفت الشمس وكسف القمر كسوفاً
وانكسفا : احتجباً ، وكسفهما الله - تعالى
حجبهما وخسف الشمس وخسف القمر كذلك
أو كسف الشمس ، وخسف للقمر .
أو الخسوف : إذا ذهب بعضهما ، والكسوف
إذا ذهب كليهما .

وقال أبو حنيفة الديلمى : خسف القمر
خسوفاً ، وخسف - بالبناء للجهول -
وخسف الله .

ومثل ذلك في كسوف الشمس ، وقد يستعمل
الخسوف في الشمس والكسوف في القمر .

وفي القاموس : الأحسن في الشمس كسفت
وفي القمر خسف ، واختاره ثعلب . وقال
الجرهمى : إنه أحسن ، وقيل : إنه يتعين .

وفي نيل الأوطار الشوكاني : الكسوف :
التخير إلى سواد ، والخسوف : نقصان الظل
والمشهور في استعمال الغتفاء ، والمعرف العام
أن الكسوف للشمس ، والخسوف للقمر وقد

وظهر عطارد والزهرة ونجمان آخران ١١
وتغير لون السماء من أزرق إلى رمادي ولون
الأشجار من أخضر إلى قرمزي ١١ ويقول
العلامة «جينز» في كسوف ١٩١٩ م ظهر
تنوء بدا للعالم حل مودة آكل ضخم من أكلة
النمل ، يبلغ البعد بين خرطوميه وذيله
٢٥٠ ألفاً من الأميال وهو حجم لوتيسر
للميوان لا يتلع الأرض كلها كما يتلع الحبة
ثم رفع خرطوميه وذيله على سطح الشمس ،
وزاد في عدد أوجله وأخذ يقفز إلى أهل
الموصل إلى علو ٧٥٠٠٠ ألفاً من الأميال ١١
وعندئذ حال غروب الشمس دون الاستمرار
في مراقبة ما كان بعد ذلك من غريب أحواله ١١

اعتقادات أسطورية ١١

ويستند المنوّد أن ثعباناً كبيراً ابتلع
الشمس وقت الكسوف ، فيطرقون الأدوات
التعاسية ويغريها لإزاجها من فريسته ١١

أما الصينيون فكانوا يقتضون به تقاضوا
كبيراً ، ويعتقدونه إنذاراً بسوء الحكم
في البلاد ، وبسوء حال الناس في الأرض ١١
وأصرح بأنني أفرج من مظاهر الكسوف
والخسوف ويغمرني شعور بالأسى والكثابة
على اختلاف هذين «التيرين» ، الجليلين ،
صديق الدهماء وأكر مصادر وحيم ١١
وصدق أبو تمام في قوله :

قد جرم الشمس المختف من الناظر ، ويحدث
وقت الكسوف النكلى ظلام كظلام الليل ؛
فتبدو النجوم والكواكب ، ويقتدى
الهوا . وتبتل الأعصاب والأشجار ، وتنكش
الأزهار ، وتليس المرئيات لون النحاس ،
وتخرج الأسماك إلى الشواطيء . والكسوف
النكلى والخلقي أقل من الكسوف الجزئي .

وعندما وقع كسوف جزئي بمصر في بعض
السنين الخالية ، ذكر أميل بلدا وخيل لم
أن القيامة قد قامت ؛ ومن القريب أن
الحوانات قطعت مرابطها وأخذت تهرى
على غير معنى ؛ وجعلت الكلاب تهر هرباً
من جها .

ويعد الفلكيون ظاهرة الكسوف من
الظواهر المثيرة البديعة ، التي تجمع بين البهجة
والخوف في وقت معا ؛ وبخاصة الكسوف
النكلى ١١ .

يقول أحد العلماء في كسوف ١٩٠٠ م
الذي رصد من الجزائر : إن الإكليل المحيط
بقمر الشمس ، كان كبيراً جداً ومشرقاً ،
وقد بلغ عرض حالته قدر قطر الشمس
واندلع منه لسان كبيران أحدهما إلى أعلى
والآخر إلى أسفل ١١ ولما تم الكسوف
برد الهوا . وأهلت الأرض ، وأحس الناس
كان دوبة دفعت منهم ، وقد بقي الإكليل
منظوراً مقدار دقيقة ونصف بعد الكسوف

وكل كسوف في البراري شنة

ولكنه في الشمس ولقد أشنع

في العرب :

وفي التنبيل بالكسوف يقول المتنبي

في وحدة جرت بين كافور الأخشيدي

وأهمود بن الأخشيدي ثم ذلك :

هذه دولة المكارم والرا

فة والمجد والندى والأيادي

كسفت ساعة كما تكسف الشمس

وعادت وتورها في ازدياد

ويقول : ابن هاني الأندلسي

في الحوادث لا تبقى ولا تذر

مال البرية من عتومها وزر

لو كان ينحى كل من برافها

لم تكسف الشمس بل لم يخلف القمر

وقد عرف الشعراء المثقفون من القدم

أن القمر سبب كسوف الشمس ؛ يقول

التيغاني :

ويفتدى البدر لما كسفاً

وجرمها من جرمه أكبر

ويقول عبد الله بن التليذ في ولده العاق :

أشكو إلى الله صاحباً شرمأ

تسمفه الشمس وهو يصفها

كأنا الشمس والحلال مما

تكسبه النور وهو يكسفها

ويقول أبو الفتح البقي :

لئن كسفونا بلا علة

وفازت قداحهم بالظفر

فقد يكسف المرء من دونه

كما يكسف الشمس جرم القمر

ويقول ابن هباد الأندلسي في جارية من

جواربه وقفت تحجب عنه ضوء الشمس ! !

قامت لتحجب ضوء الشمس قائمتها

عن ناظري ، حجبني عن أعين الغير

هنا - لعرك منها - أنها قر

هل تحجب الشمس إلا صفحة القمر

ويقول ابن صمدح - وقد سقط عن

جواده - :

لا يضمن حبود إن سقطت فقد

يكبو الجواد ، ويذو العارم الذكر

إني سقطت ولا جبن ولا خور

وليس يدفع ما قد شاءه القدر

هذا الكسوف يرى تأثيره أبداً

ولا يباب به شمس ولا قر

ويقول صردر :

يفنى الكسوف الشمس إذ عظمت

ويغاف ضوء الأنهم الزهر

ويقول البقي يعزى بعض المحوسين :

حبست ومن بعد الكسوف تبليج

تضيء به الآفاق البدر والشمس

فلا تعتقد الجنس غشا ووحشة
فأول كون المرء في أضيئ الحيس

فه المريب :

الكسوف ظاهرة طبيعية - كما يقرر العلم الحديث - ولكن الدجاجة من رجال الأديان في أزمان الجهالة الغابرة ، كانوا يستغلونها في ترويع الناس ، ليطب سلطانهم عليهم ، وابتزاز أموالهم ١١

وفي زمن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كشفت الشمس ^(١) ، ووافق ذلك موت ابنه إبراهيم - عليه السلام - فقال الناس على جرى اعتقادهم : إنها كشفت لأجله ١١ فردم الصادق المصدوق إل الحق والصواب في ذلك ١١ فقد جاء في صحيح البخاري ... عن المغيرة بن شعبه ، قال : كشفت الشمس على عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - يوم مات إبراهيم ، فقال الناس : كشفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتهما قدوهوا الله وصلوا حتى تنجلي » .

(١) حقق الفلاسكيون : أن الكسوف ولح باللبنة القنوة ونحو الساعة الثامنة والاربعة الثلاثين بعد منتصف الليل يوم ٢٩ من هوان -٥٠ معرة هجرية للوافق يوم ٢٧ من يناير سنة ٦٢٣ ميلادية .

وفي كتب السند روايات كثيرة هذا المعنى وهذا الحديث من أمطع دلائل النبوة ، وأجهر آيات الرسالة ، ولو كان الرسول غير رسول . وحاشاه من ذلك لاستغل هذا الحادث كما استغل أمثاله وأقل منه كذبة المتنبئين ، وعرفو المعضدين ١١ ولا سيما أنه العالم إذ ذاك كان يسبح في غمرات الأرواح ، ويهيم في مناهات الضلالات .

وقد يقال : وما معنى الصلاة والجماعة إذن في ساد من الحوادث الطبيعية ؟ .

والجواب : يستحضر الخلق العاجز عظمة الخالق وجلاله ، ويمتلئ إيماناً بقوته وجبروته ، وسلطانه على الكائنات طوعاً وكرهاً ، فينهت من هرب كبرياته وغروره واعتداده بنفسه ؛ ولذا كرى بجانب ذلك مبلغ ما أقم به ربه الكريم عليه من النعم ظاهرة وباطنة ؛ ففي قدرة من سخر له هذين النيران العظيمين ليستمتع بالضوء والنور والحرارة والهوى . ويعيش من تحتها هيئة واحدة ، وحياة واحدة ، أن يحق آيتيهما ، فينجم على الكون الظلام الدامس ، ويهزأنا البعد القارس ، ويموت النبات والحيوان ١١

فهل يعكر الإنسان هذه الآلاء ؟ قتل الإنسان ما أكفره ١١

علي الجندى

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

لدأستاذ محيي الدين الزواوي

- ١ -

العربية والعلوم الإسلامية والفنون الأخرى، وصاحموا مساهمة فعالة في نشر التراث الإسلامي والعربي في تلك البقاع، وفي تكوين مراكز عالة للثقافة الإسلامية واللغة العربية فيها. ونرى علماء الهند في بعض فترات التاريخ في مقدمة المؤلفين في العلوم الدينية و انته بهم رئاسة التدريس والتأليف في فنون الحديث وعروجه، وفي السيرة النبوية والشريعة الإسلامية كذلك، ومنهم من عرفوا بمقدرة باهرة على التأليف باللغة العربية وسيلان القلم فيها، وأضافوا عينا كثيرا إلى المكتبة العربية الواجهة، وبدأ بكتاب عالمي في علم اللغة العربية للإمام حسن بن محمد الصفاني اللاهوتي من رجال القرن السابع الهجري، وهو كتاب «الغريب في اللغة» في اللغة والقرا كيب، ويحتوي على عشرين جزءا، ويعد من مراجع اللغة العربية وغرر كتبها، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا، ومن الذين اهتموا بالصاحبة بالفضل والإمامة في علم اللغة، الإمام السيوطي، حيث قال: «لأنه كان حامل لواء اللغة»، وقال الإمام الذهبي: «إن إليه المنتهى في اللغة»، كما وصفه الشيخ الديلمي بقوله: «إنه كان إماما في اللغة والفقه والحديث».

إن لتاريخ الإسلام في الهند صفحات جميلة عالة في خدمة العلوم الإسلامية واللغة العربية ونشر التراث الإسلامي وتخليده، فلا يتم تاريخ الثقافة الإسلامية والآداب العربية في العالم - قديما وحديثا - إلا بالتسجيل الدقيق والبحث الفاضل عن فترات العلى لعلماء الهند المسلمين وعنايتهم بالعلوم الدينية والعربية ومؤلفاتهم العديدة في مختلف العلوم والفنون. وكان شمار المسلمين في الهند منذ العهد الأول العناية باللغة العربية والتسك بها لكونها لغة القرآن الكريم وعلوم الدين الحنيف، فضلا عن أنها تساعد على توثيق عرى التفاهم والتعارف بين المجتمعين العظيمين (الهندي والعربي) الذين تربطهما روابط الأخوة الروحية والعلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية منذ عصور بالغة في القدم، وقد صارت هذه الروابط موطنة الأركان ومدمجة الأساس بعد وصول صوت الإسلام إلى الهند بأيدي العرب وانتشار الدعوة الإسلامية في ربوعها بفضل طليعة الدعاة المسلمين - من العرب والهنود - الذين تشبوا بهذه الدعوة العالمية، فقدر زعد كبير من العلماء والمؤلفين من أبناء الهند، في اللغة

الدين المتقى البرهان يورى من رجال القرن
العاشر ، وهو ترتيب « جمع الجوامع » ،
السيوطى ، واقنع به علماء الحديث كثيراً
واحترفوا لصاحبه بمجهود عظيم وأغنام من
مراجعات كثيرة ، وكفى له غزاً في هذا
المضمار ما قاله عنه الشيخ أبو الحسن البكرى
الغافى من أئمة العلم في الحجاز في القرن
العاشر : إن للسيوطى مئة على العالمين ، وللتقى
مئة عليه ، ومنها كتاب « مجمع بحار الأنوار
في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار » الشيخ
محمد طاهر الفتى الكبير الذى كان إماماً بارعاً
في علم الحديث . وجمع في كتابه الذى يتضمن
على أربعة أجزاء كل غريب الحديث وما ألف
فيه لجهاء كالشرح للمصاحح الستة وأوضح فيه
معاني القرآن الكريم والآثار المروية عن
النبي صلى الله عليه وسلم مع بيان لغاتها
وشرحها ، ويقول العالم الهندى الكبير صديق
حسن عان فى وصف هذا الكتاب : وهو كتاب
متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر
فى الوجود ، وله مئة عظيمة بذلك العمل على
أهل العلم ، وقد ولد الشيخ محمد طاهر بن على
الفتى فى مدينة (بن) من مقاطعة كجرات
فى غربى الهند سنة ١٩١٣ هـ ، وبعد أن أكمل
دراسته فى العلوم الدينية والآداب العربية
اشتغل بالتأليف باللغة العربية فى مختلف
الفنون سيما فى الحديث ، ومن كتبه
الشهيرة أيضاً كتابه فى حل غرائب مشكاة

وقد ولد الشيخ الصغاني فى مدينة لاهور
الشهيرة (الواقعة فى مقاطعة البنجاب الغربية)
سنة ١٥٧٧ هـ واسمه الكامل : « وحى الدين
أبو الفضائل حسن بن محمد حيدر بن على
المدنى العمري الصغاني » . وثأ وقصم
فى « غزوة » (بأفغانستان) فى أيام الملك
« خسرو » ، ثم سافر من غزوة إلى بغداد وأقام
فيها شهوراً ثم عاد إلى الهند ، ولما سافر إلى
الحج تنقل فى البلدان العربية واتصل بعلمائها ،
وتوفى فى بغداد سنة ١٣٦٥ هـ .

وبقول صاحب كشف الظنون : إن الصغاني
مات قبل أن يكمل كتابه ، الباب الآخر
فى اللغة والتركيب وبلغ فيه إلى « الميم » ووقف
فى مادة « بك » ، كما يبدو من بيتين من شعره :

إن الصغاني الذى

ساز العلوم والحكم

كان قصارى أمره

أن انتهى إلى « بك » ،

وأن حسن بن محمد الصغاني أول من يدين
له علم اللغة العربية فى الهند بالفضل ، ومن
مؤلفاته الأخرى فى اللغة : « مجمع البحرين »
و « النوادر » و « أسماء الأسد » و « أسماء
الذهب » و « أسماء النوار » . وكذلك كتابه
الشهيد « مشارق الأنوار » فى علم الحديث ،
وقد ظل يدرس مدة طويلة فى كثير من
البلدان الإسلامية .

ومن الكتب العالمية التى ألفها العلماء الهنود
باللغة العربية « كنز العمال » لشيخ على بن حسام

الفتوى ، وتلقوا كل حيازة معزوة إلى كتابها ولم يغيروا إلا لخاصة ضرورية وتوجد نسخ من كتاب ، الفتاوى الهندية ، في دار الإفتاء بالقاهرة ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة الجامع الأزهر .

ومن المؤلفات العربية الهندية في أصول الفقه كتاب ، مسلم الثبوت ، للعلامة عبد الله ابن عبد الشكور الحنفى البهارى من رجال القرن الحادى عشر ، وقد لقي هذا الكتاب قبولا عظيما في الأوساط العلمية والمدارس في الهند وبعض البلدان الإسلامية ، وتناوله عدد من كبار العلماء بالتدريس والشرح ، وكانت لمسلم الثبوت ، المذكور عشرة شروح لكبار علماء الهند في أصول الفقه وفروعه .

ومن مؤلفات رجال القرن الثانى عشر ، كتاب ، كهاف اصطلاحات الفنون ، للشيخ ، محمد على التهانوى ، وهو بمثابة معجم عظيم للمصطلحات العلمية ، وقد وزق القبول الحسن لدى المشتغلين بعلم الفقه في بلاد العرب وأندوا عليه كعجم على بنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب ، ولا يزال يعد المرجع الهام للوفيق والباحثين في هذا الشأن ، وقد ألف الشيخ ، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكرى ، من رجال القرن الثانى عشر أيضا ، كتابا آخر في هذا الموضوع باسم ، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون . وقد اشتهر هذا الكتاب باسم ، دستور العلماء ، وهو في أربعة مجلدات ، ومجلده الرابع يعتبر

المصباح ، وتوفى رحمه الله في عام ١١٨٦ هـ ، بعد أن ترك ثروة علمية كبيرة .

ومن المراجع الفقهية الكبرى التى عليها العمدة في كثير من الأنظار الإسلامية في المسائل الفقهية كتاب ، الفتاوى العالمة لشيخ الهندى اشتهر في البلدان العربية والصنارى الهندية ، وهو في ست مجلدات كبار ، ورتب على ترتيب كتاب ، الهداية ، في الفقه الحنفى ، ويقال : إن سلطان ، أورنگ زيب ، المشهور ، بـالمكبر ، قد وكل الشيخ العالم نظام الدين البرهانورى في تدوين هذه الفتاوى باستخدام الفقهاء الاحناف الكبار ، وبذل على تدوينها أكثر من مائة ألف جنيه في هذا العصر

وقد ذكر المؤلف أربعة وعشرين عالما ساهموا في تدوين هذه الفتاوى ، وقد تولى أربعة من كبار علماء الفقه في ذلك العصر الإشراف على ترتيبها وتبويبها على أن يقوم كل واحد منهم بالإشراف على ربيع الكتاب وم القاضي محمد حسين الجونبورى المحقق والشيخ على أكبر الحسينى أسعد الله عاني ، والشيخ حامد بن أبى الحامد الجونبورى ، والمفتى محمد أكرم الحنفى اللاهورى .

وقصارى القول من الفتاوى الهندية . أنها أجل الفتاوى والجامع في كثرة المسائل وحل الفقه ، واقصروا فيها على ظاهر الرواية ، ولم يلتفتوا إلى التوارد إلا إذا لم يجدوا جواب المسألة في ظاهر الرواية أو وجدوا جواب التوارد موسوما بعلامة

يسر الله إتمامه على الصفا بمكة المكرمة المشرقة تجاه الكعبة المحظية، وكان يقول حق عاذاه اليومية : « ما كنت أنام حتى أحفظ ما نقي سطر ، وهذا يدل على قوته في الحفظ وحرصه على إتقان العلوم المختلفة وتوفى الفصح الفاضل القوي الشهير السيد المرتضى البلكراسي الزبيدي في سنة ١٢٠٥ هـ حيث كان قاضيا في (زيد) وجندير بالذكر أنه عندما اشترى أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه استكتب منه الخليفة العثماني نسخة والسلطان لدارفور نسخة ، ومالك المغرب نسخة ، وكذلك طلب منه أمير اللواء محمد بك أبو الذهب نسخة ، وجعلها في مكتبة مسجده الذي أنشأ بالقرب من الأزهر. وقد بذل الطاء وولاء الحكومة في تلك العصور الجهود الباقية لشراء (تاج العروس) بأثمان باهظة كتنه (القاموس المحيط) .

وننقل الآن إلى أعظم كتاب وضع في أواخر القرن الثاني عشر وهو كتاب « حجة الله البالغة » للإمام شافعي الله المحلوي المتوفى سنة ١١٧٦ هـ ، في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي ريمد كتابا مبتكرا في موضوعه وأسلوبه العلمي ، وقد أعيد طبعه وتخرجه في مصر مرارا وأجله طاء هذا الموضوع . وينقسم كتاب « حجة الله البالغة » بنصاعة العربية وقوة البارة وبعدها من السجع البادر وتقليد أسلوب الحريري . ويمتاز القرن الرابع عشر المجري بسرعة

كلحق للجدات الثلاث الأولى ، وقد ولد الشيخ عبد النبي في مدينة « أحمد نكر » بالمند ، ونشأ فيها وتعلم ثم تولى منصب القاضي في نفس المدينة ، وله مؤلفات عربية أخرى عديدة . ومن مؤلفات القرن الثاني عشر أيضا كتاب « تاج العروس في شرح القاموس » للسيد المرتضى بن محمد البلكراسي المشهور « الزبيدي » وهذا الكتاب مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشرة أجزاء كبار ، طبع في مصر باسمه الكامل (تاج العروس في شرح جواهر القاموس المحيط) للإمام محمد الدين الفيروز آبادي وقد طبع المثل على حاشيته كما كتب المؤلف مقدمة مفصلة ألقي فيها ضروا على حقيقة اللغة ومعارج علمائها وتراجم من سبقه منهم بالتأليف في علم اللغة وقد زاد السيد المرتضى (الزبيدي) كثيرا من البلاد العربية ، وفي سنة ١١٢٧ هـ سافر إلى مصر وانتقل بالعلم واجتمع بالطاء وذاع صيته بينهم وتم تأليف (تاج العروس) في سنة ١١٨١ هـ . واشتملت الصفحات الأولى من الكتاب على مصطلحات القاموس جميعا الشيخ (الهروي) .

وقد طبع كتاب (تاج العروس) مع مقدمة باللغة الإنجليزية للأستاذ الأديب (الحسن) في كلكتا قبل أن يطبع في مصر وكان في أربعة مجلدات ضخمة . وقد ألقي في مقدمته لإيضاح أهمية المؤلف والكتاب واختتم المؤلف كتابه بهذه الكلمات : « قد

« شامهان بيجوم » التي كان يحكمها حينذاك .
وله مؤلفاته القيمة في الأردية والفارسية .

والشيخ « عبد الحى بن عبد الحليم
السكنوى » (١٣٠٤ هـ) ستة وثمانون
كتاباً في اللغة العربية ، ومن أشهرها كتاب
« السعاية في شرح الوقاية » ، و « مصباح
الدجى » ، و « ظفر الأمانى » ، و « التعليق
المجد » ، و « قد ألف » محمود حسن عاب
التونكى ، المتوفى سنة (١٣٦٦ هـ) كتاباً
ضمناً باللغة العربية سماه « معجم المصنفين »
ويعد كدائرة معارف في هذا الموضوع ،
ويشتمل على ستين جزءاً في عشرين ألف
صفحة مطبوعة ، ويحتوى على تراجم أربعم
ألفاً من المصنفين ؛ وتعليق من قيمة
الكتاب وسعته واستقصائه ، أن فيه تراجم
ألفين من المؤلفين كلهم يسون أحمد ، وقد
لخص في كتابه نحو ألف وخمسة كتاب قيم ،
هذا ، وقد ذكر فيه كل من ترك بالعربية
كتاباً منذ بدء العهد التألينى إلى سنة ١٣٥٠ هـ
وظهرت منه أوجه أجزاء طبعت في بيروت
على نفقة حكومة حيدر آباد ، والأجزاء
الباقية محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدر
آباد ، ونرجو أن ترى هذه الأجزاء أيضاً
النور لسكى يستفيد بها عشاق هذا الموضوع
في الأقطار العربية والإسلامية ؟

(يتبع)

عبد الرحمن بن عبد الوهاب

التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة الإنتاج
في اللغة العربية في الهند ، وقد قام بعض المؤلفين
بوضع مؤلفات قيمة وبجامع طيبة في مستهل
هذا القرن . فأما الأمير « صديق حسن خان
القانوجى » أمير « جهول » ، بالهند ، المتوفى
سنة ١٣٠٧ هـ فكان عالماً جليلاً مولعاً
بالتأليف والنشاط العلمى ويبلغ عدد مؤلفاته
حوالى ٢٢٢ مائتين واثنين وعشرين كتاباً ،
منها ستة وخمسون كتاباً في اللغة العربية ،
وفى كتب ذات قيمة علمية كبرى مثل « فتح
البيان في تفسير القرآن » ، في عشرة مجلدات
كبيرة ، و « أجمد العلوم » ، و « التاج المسكلى »
في أصول اللغة ، و « العلم الخفيا في علم
الاشتقاق » . ومن أعزب كتبه في علم اللغة
« لف الخفايا على تصحيح ما استعمله العامة من
المعرب والدخيل والمولد والأغلط » ، وقد
أشار فيه المؤلف إلى أخطاء الناس في المحاورات
العربية ، وطبع هذا الكتاب في « جهول »
سنة ١٢٩١ هـ ويليه في الأهمية كتابه
المعروف « دبلغة في أصول اللغة » ، حيث سرد
فيه المؤلف تاريخ علم اللغة وتاريخه وتطورات
وطبع أيضاً في جهول سنة ١٢٩٤ هـ .

وقد ولد « صديق حسن » في مدينة « بريلي »
في شمال الهند سنة ١٢٤٨ ثم ذهب إلى مدينة
« قنوج » التي يعرف منسوباً إليها ، ودوس علم
الحديث على الفاضل زين العابدين محمد الأنصارى
البناني ، ثم سافر إلى الحجاز وبعد عودته منها
إلى الهند انتقل إلى جهول وتزوج بأمرتها

مَكَانُ الْفَقِيهِ الْإِسْلَامِيِّ

لِلأستاذ زكريا البدي

- ١ -

انفقد في مدينة لاهاي سنة ١٩٢٧ قرر
المؤتمر بإجماع الآراء :

أولاً : اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً
من مصادر التشريع العام .

ثانياً : اعتبار الشريعة الإسلامية شريعة
حية صالحة للتطور .

ثالثاً : اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة
بذاتها ، وليست مأخوذة من غيرها .

وفي يوليو تموز سنة ١٩٥١ عقدت شعبة
الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق

المقارنة ، مؤتمراً في كلية الحقوق بجامعة
باريس ، لبحث في الفقه الإسلامي ، تحت

عنوان « أسبوع الفقه الإسلامي » برئاسة
المسيو ميرو الأستاذ بكلية الحقوق في جامعة

باريس ، دعى إليه عدداً كبيراً من أستاذة
كليات الأزهر والحقوق في العالم العربي

والبلاد الأوروبية وكبار المحامين والمستشرقين
واستمع فيه المؤتمر لبحوث فقهية إسلامية

من علماء المسلمين المعاصرين ، في موضوعات
نخبة هي :

(١) إثبات الملكية . (٢) الامتلاك

للصلحة العامة . (٣) المسؤولية الجنائية .

ترك فقهاء المسلمين - وضوان الله عليهم -

ثروة فقهية هائلة ، توجه المسلمين إلى الحق
والخير ، وتهديهم سواء السبيل ، وتمنع لهم

أساس الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة .
وقد اشتملت تلك الثروة المباركة ، على

قواعد كلية ، ونظريات عامة ، وأحكام
فردية بلغت منهي الروعة ، وغاية التطبيق

الحق لمعنى العدل الذي قامت به السموات
والأرض ، في صياغة متقنة ، وتعليل

وتحليل ، ودقة بالغة ، أدهشت العلماء في شرق
الدنيا وغربها ، فارتفعت أصواتهم - وإن لم

يؤمنوا بها كدين وشريعة إلهية - بالإيجاب
والإكبار ، وجعدها بها واستيقنتها

أنفسهم ظلاً وعلواً ... (١)

يقول مستشرق مجرى : « إن الفقه الإسلامي
واسع جداً إلى درجة أنني أعجب كلما فكرت

في أن المسلمين لم يستنبطوا منه الأنظمة
والأحكام المرافقة لبلادهم وديانهم » (٢) .

وفي المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي

(١) الآية ١٤ من سورة النحل .

(٢) مجلة الحاماة العربية سنة ١٩٢٩ - العدد

الأول ص ٥٠ .

في بلاد أوروبا ، قد اتخذوا من محمد بن الحسن الشيبانى ، الفقيه الحنفى ، أبا ورائد لهم ، وألفوا باسمه جمعية خاصة ، تبحث فيما كتبه وخلفه ذلك الفقيه من تراث فقهى عريق ، لأنه - كما قالوا بحق - « خليف بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولى العالمين » .
وإننا لانرى ذلك - وغيره كثير وكثير - لنستخذ منه حجة لمكانة الفقه الإسلامى ، أو شرطاً إضافياً نضمه إلى شرطه الذاتى ، فإن الأمر لا يحتاج إلى ذلك مطلقاً ، وإنما نذكره لتفتح أبصارنا وبصائرنا على ما بين أيدينا من خير وبركة ، وثروة توجب لها الفناء والازدهار .

نقصه ليزداد الدين آمنوا إيماناً ، وليردود التردد والحيرة عن نفوس الذين لم تسددهم ظروفهم الثقافية بالتحرف على المبادئ والأحكام الإسلامية تعرقاً صحيحاً كاملاً ، حيث يقرءون كلمات الثناء والإعجاب من غير المسلمين ، وهم يوضحهم الدين خصوم لها ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

وقد أدرك مكانة الفقه الإسلامى ، من بينة وبصيرة ، كثير من فقهاء المعاصرين ، يقول أستاذنا الدكتور الصهيونى : الفقه الإسلامى إذا أحيطت حراسته ، واقتضت فيه باب الاجتهاد ، فإن بأن يثبت قانوناً حديثاً ، لا يقل فى الجودة وفى صيانة المصالح من القوانين اللاتينية والجرمانية ، هذه هى حقيقتى

(٤) تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها فى بعض (٥) نظر الربا فى الإسلام (٦) .

فلم يتالك أحد قبياء المحامين السابقين فى فرنسا نفسه وهب قائلاً :

كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا من جود الفقه الإسلامى ، وهدم صلاحيته أساساً تشريعياً ، معنى بمساجات المجتمع العصرى المتطور ، وبين ما نسمة الآن مما يثبته خلاف ذلك تماماً براهين النصوص والمبادئ . ثم انتهى المؤنصر إلى اتخاذ القرارات الآتية بالإجماع :

أولاً : مبادئ الفقه الإسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يماوى فيها .

ثانياً : اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، هى مناط الإعجاب ، وبها يتمكن الفقه الإسلامى من أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها .

ثالثاً : التوضيح بإخراج موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات القانونية والإسلامية وفقاً للأساليب الحديثة (٧) .

كما أن فقهاء القانون الدولى المعاصرين

(١) ألقى هذا البحث للرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله هراز ، ونشره مجلة الأزهر ومجلة رسالة الإسلام ونشره مستقلاً بالانجليزية والفرنسية .

(٢) الفقه الإسلامى وثوبه الجديد الأ. تاذم مطبى الزرقا ١٤٠٠ للدخول الفقهى العام من ص ٦ - ١٠ . وبه التمس قنصرى الأصل للقرارات ص ٥ .

ومن هذه المبادئ أيضاً.. نظرية التعسف في استعمال الحق^(١)، لم يأخذها التقنين الجديد من القوانين الغربية بحسب، بل استمدّها كذلك من أحكام الفقه الإسلامي، ولم يقتصر فيها على المبدأ الذي اقتصر عليه أكثر القوانين، بل ضم إليها معياراً موضوعياً في الفقه الإسلامي بقيد استعمال الحق بالمصالح المشروعة، ويتوق الضرر الجسم الذي قد يصيب الغير من استعماله.

وكذلك الأمر في حوالة الدين أغفلتها القوانين اللاتينية، ونظمتها القوانين الجرمانية متفقة في ذلك مع الفقه الإسلامي، فأخذ بها التقنين الجديد، ومبدأ الحوادث الطارئة أخذ به بعض التقنيات الحديثة، فرجع التقنين الجديد الأخذ به استناداً إلى نظرية الضرورة ونظرية العذر في الفقه الإسلامي^(٢).

ومن الأحكام التي استحدثها التقنين الجديد مسائل تفصيلية، اقتبسها من الفقه الإسلامي، ومن هذه المسائل الأحكام الخاصة بمجلس العقد، وإيجار الوقف، والحكر، وإيجار الأراضي الزراعية، وهلاك الزرع في العين

في الفقه الإسلامي، تكونت لا من العاطفة والعمور بحسب، بل تضافر في تكوينها العمور والعقل، ويمكن لها شيء من التدريس، وأكثرها كان درسي الفقه الإسلامي عند وضع القانون المدني العراقي، فإن هذا القانون مزاج صالح من الفقه الإسلامي والقانون المصري الجديد، فأتاح لي اطلاعي على نصوص الفقه الإسلامي، سواء أكانت مقننة في مجلة الأحكام العدلية، ومرشد المحرران، أو كانت مبروزة عرضاً فقهاً في أمهات الكتب، وفي مختلف المذاهب.. أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابتداع، وما يكن فيه من حيوية وقابلية للتطور^(٣).

وقد استقى قانوننا المدني الجديد، من الفقه الإسلامي، بعض المبادئ والأحكام، التي سدت ما أحس به رجال التشريع من نقص في القانون المدني القديم، فقد استحدثت التقنين الجديد أحكاماً استمدّها من الفقه الإسلامي، وبعض هذه الأحكام الجديدة مبادئ عامة، وبعضها مسائل تفصيلية، فن المبادئ العامة التي أخذ بها النزعة الموضوعية التي تغفل كثيراً عن نصوصه؛ وهذه هي نزعة الفقه الإسلامي... أثرها التقنين الجديد على النزعة الذاتية التي هي طابع القوانين اللاتينية، وجعل الفقه الإسلامي محمداً في الترتيب.

(١) أنظر المحررات الثلاثة من هذه النظرية في الدرمة الإسلامية في أسبوع الفقه الإسلامي المنعقد بدمشق سنة ١٩٦٦، في كتابه طبعه المجلس الأعلى للعلوم والآداب والعلوم الاجتماعية.

(٢) أنظر في ذلك رسالة الأستاذ المحكّم محمد عبد الجواد.

(٣) مجلة القضاء العراقية ١٩٦٥ - المدهان الأول والثاني (القانون المدني العربي).

أن تعباً اليهودى فى كل مكان ، لهذه النفاية الجديدة ، وقد نادى تقرير الميثاق الوطنى بوجوب العناية « بكشف حقيقة الدين ، وتخليه جوهر رسالته ، لئلى تكون قيمته الروحىة الخالفة أساساً لقيم المجتمع الجديد ، ولى تكون الشريعة الفراء « صدىراً أساسياً للتقنين ، الذى يجب أن يكون فى منطقته وأسلوبه فقهاً إسلامياً خالصاً ، لا مجرد محاكاة للفوائن الغربية ...

وقد فسكون البلاد العربىة عند ظهور هذا الباب قد توحدت ، فباتى القانون أيدم من وحدتها ، وقد تكون فى طريقها إلى التوحيد ، لىكون القانون عاملاً من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل حال رمزاً لهذه الوحدة (١) .

وسنعرض فيما يلى للنهج القرآنى الخالص الذى يتضمن لهذا الفقه حيويته ومرونته والذى وضع الله أساسه وباركه ، لىحقق للسلطن والإنسانية جماء ، الخير والعدل واليسر والرحمة فى الدنيا ، بحيث يمددون سعة من كل ضيق ، وفرجا من كل شدة ، صنع الله الذى أتقن كل شء ، إنه خير بما تفطنون . ٩ (يقبح)

تكريماً للبرى

الأستاذ بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

(١) للصدر السابق .

المؤجرة ، وانقضاء الإيجار بموت المستأجر وفسخته للعذر ، ووقوع الإبراء من الدين بإرادة المدين وحده (٢) .

ثم جاوز القانون المدنى هذاوذاك ، وجعل الفقه الإسلامى مصدراً من مصادر الرسمية ، حين نصت مادته الأولى على « أنه إذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه حكم القاضى بمقتضى العرف ، فإذا لم يوجد لم يقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية ... » .

وقد ذكر الدكتور السهورى أن السبب الذى جعل المشرح المصرى - فى الماضى - لم يخط الخطوة الحاسمة فى جعل القانون المدنى مشتقاً فى جملة وتفصيله من الفقه الإسلامى هو « أن المجتمع المصرى قد حكم منذ قرابة قرن بقوانين مدنية هربية باصطك ما بينه وبين الفقه الإسلامى ، فأصبح الرجوع لجاء إلى الفقه الإسلامى مسيراً ، لما يحدث من قلق فى الشامل ، ومن بلبلة فى التفكيك القانونى ، وأنه لذلك يترتب حتى يكتمل تطور الفقه (٣) .

وقد آن الأوان ، بعد طول التريص والانتظار ، وكثرة الترفيع فى ثوب القانون ،

(١) الوسيط فى شرح القانون المدنى لأستاذنا الدكتور السهورى - ١ ص ٤٧ .

(٢) مجلة القضاء القرافىة - العدد الأول والثانى لسنة ١٩٦٢ (القانون المدنى العربى ٩ - ١٠) .
الدكتور السهورى () .

الرجز في اللغة والأدب

لدكتور يوسف حسن نوفل

الجمالي ، سهولة وزنه ، وعدم احتياجه إلى حركات الإعراب نظراً لسكون آخره ، وهنا نهد الحيط الذي بعد الظاهرة القديمة إلى الظاهرة الحديثة ، إذ قرر الظواهر اللغوية سهولة المقاطع الساكنة في العربية وشيوعها في كلامنا المعادي .

فالعربي الذي يحدو ناقته تحابوب مع إيقاع خطوها بهذا الوزن ، ولهذا فإن البكرى يشبه الرجز بالناقة الرجزاء التي تتحرك وتُسكن ، ثم تتحرك وتُسكن^(١) ، وكذلك جورج زيدان يشبه توقيع الرجز بمشي الجبل الهورينا^(٢) .

وإن عالفاً في ذلك أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس إذ يوافق على تقدم وزن السكامل لسائر البحور ، إلا أن سهولة هذا البحر ، وما يملأ من سرعة أو جمال شعره فيه ، يجعلنا نؤكد ما نذهب إليه ، من ذلك : ما رأه روية حين كبت عجزاً فارجل قائلاً :
تنح للعجز عن طريقها

إذ أقبلت راتمة من فوقها^(٣)
وإذا كانت الدواوين الحديثة لا تسكاد تخلو من هذا البحر ، فإن هذا يدل على ذلك

لو تصفحنا مجموعات الشعر العربي على كثرتها كالمفردات (٧٨٠ م) ، والمعلقات ، وجمهرة أشعار العرب (أواخر القرن التاسع) ومنتهى الطلب (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) وحاسة البصري ، وحاسة أبي تمام ، والمنتخب من أدب العرب ... إلخ . فرأينا الكثير من أبيات بحر الرجز . وسوف نلاحظ في هذا البحر ظاهرتين ، إحداهما : قديمة وتتصل باللغة ، والثانية : حديثة وتتصل بالعصر .

أما القديمة فهي شيوع الأراجيز في مجال الاستشهاد النحوي والقوي ، وأما الحديثة فهي ميل الشعر الحديث إلى تفضيل الرجز واستخدامه لها وهي ما أسهل به البحث .

الرجز في الشعر الحديث :

مال الشعر الحديث إلى استخدام الرجز ، وأكثر من ذلك ، فإننا نرى الشعر الأوربي يحمل بهذا الوزن أيضاً ، وبخاصة التفعيلة المخبونة (متفعِلن = // ه // ه) ، وهذا البحر وهو (الإيamb) جرى على ألسنة لحول الشعراء الغربيين .

ونرجع إلى تادويج البحر نفسه ، وسوف نجد به مجراً شعبياً - إن صح هذا التعبير - مما يرجع أنه أول ما جرى على لسان الشاعر

(١) أراجيز العرب ص ٣ .

(٢) آداب اللغة العربية ص ٦١ .

(٣) الأغاني م ٢١ ص ٦١ .

تتاجا عليا ، ينهم الموقف أكثر من أن يكون
مثلا لما طفة إنسانية أو قضية عامة ، وضم
لغات : ملء . وهذيل وبني الصبر وبني الهجيم
وبني الحارث .

والصاق الأرجوزة ببثتها يتراسل مع
تناول للشعر الحديث لقضايا العصر المعقدة ،
وفي كلتا الحالتين يتجاوز الشعر العالم الذاتي
الداخل إلى أرض الواقع الجماعي .

ويجتمع التاريخ القديم والحديث في ظاهرة
واحدة وهي قصر قصائد الرجز ، فلم تطل
الأراجيز الجماهيرية ، بينما طالت على أفواه
المخضرمين والإسلاميين ، حيث استحدثت
المولودون ألوانا جديدة (اعتبارا على كثرة
توسع العرب فيه)^(١) .

وما أظن الحديث إلا مكرورا حين أشهر
إلى أن التفعيلة مستخدمة في الشعر الحديث
منذ أولى محاولاته (١٩٤٧) ، وكان الرجز
أحد البحور ذات التفعيلات الموحدة والمكررة
بنمها ، فكانت محلبة الشعر الحديث له ،
بممارسة للتفعيلة لا السكبية ، تماما كما حدثت
لـ (البند العراقي)^(٢) .

وتفعيلة الرجز (مستعلن) قد تأخذ
الصور التالية :

مستعمل ، متفعلن ، مستعلن ، متعلن ،
(نادرا) ، فعولن (وهي غير مقبولة) .

(١) موسيق الشعر . د . إدراهم أنيس .

(٢) قضايا الشعر المعاصر : (نازك الغلوك) ،
(الشعر الحر والجمهور) .

شاعر اليوم ، كما يدل على أقصى مدى ما بلغه
الرجز ، فقد أحمل قديما ، ثم استعاد مكانته
مع التجديد الذي خلق الموشحات والأزجال
وسم الأزد والعباسي ، ثم في العصر الحديث
هل أن شعبية هذا البحر تحققت له حين
اختارته الأشعار المامية نمطا مفضلا لإبقائها
واجتمع إلى ذلك تعلق شعبي قديم ، وقد جرى
على لسانه صلى الله عليه وسلم دون قصد إليه
كما قرر ابن بري مثل قوله حين هجرت يده :
ما أنت إلا أصبح دميت

وفي سبيل الله ما نفيت
وقوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
والقنطرة لحول الشعراء في القرن الثاني
والثالث والرابع بل والخامس بحفظ الآلاف
مه ، وكان من الوصايا للشهيرة قولهم : رروا
أبناءكم الرجز فإنه يهت أشداقهم .

وفي ظاهرة الاختلاف في نسبة الأراجيز
لغنائها ما يؤكد هذه الشعبية ، حيث عده
الرواة من الأدب الشعبي الجماهلي كما قرر
الباقلاقي وحده (عطية الشعر وحوار الشعراء)
وجملوه مع ذلك (ديوان العرب) ، ورغم
هذا فإين أدينا منه نسبة ضئيلة إلى جانب
أنه لم يطل برأسه في عصر التدوين .

وقد مثلت الأراجيز لهجات العرب من
كشكشة ، وعنتة ، وجمجمة وخصائص
لفوية عديدة فثلث بذلك أدب القبيلة فكانت

وموقف من يلتقط هذه الإفرازات اللغوية
ليضيفها إلى سلسلة بحوثه في سبيل تكوين
نظرية، أو بناء قاعدة... وهذا هو النحوى.

ولعله هنا يلتزم تلك للتصبيحة التي أسداها

الجاحظ بقوله: «ومنى سمعت - حفظك الله -
بنادوة من كلام السروب فيباك أن تحكيها
الإمع [عراياها وعاريج ألفاظها]» (١).

وبما أنك رأيت في كتب اللغة الاستشهاد
بالأراجيز، ووجدناها مثلاً للجهات قبائل
معيّنة - كما أشرت - كما أنها تدور بين:

الشدوذ، وبخالفة القياس، والضرورة،
والندوة، والزام لغة معينة كلمة بنى الحارث
ابن كعب، أو بنى المهجم أو طى - أو هذيل (٢)

وليس معنى هذا أن الاستشهاد بالأراجيز

كان أكثر من البحوث الأخرى، فإذا
سلطنا طريق الإحصاء وأينما في أوضح
المصالح مثلاً نسبة الاستشهاد بالأراجيز أقل

منه ١٥٪، وشيوع الرجز في مرجح
كالأغاني في حدود ٤٪ في الأجزاء الأثني
عشر الأول، وفي الدراوين نجد النسبة في
ديوانى جرير، والمتنبى لا تزيد عن ٠.٢٪،

وفي ديوان الفزردق وعدده تسعمائة وسبعة
آلاف بيت نجد الرجز منها ستة وثلاثين
بيتاً فقط.

ويأتى تاماً، ومقطوعاً، ومجزؤاً، ومنهوكاً
ومنه المزدوج، وهو ما تختلف فيه قامية
البيت عن سابقه وناليه، مع اتفاق عروضه
مع ضربه.

الرجز في مجال اللغة:

قصر نتائج الدراسات الصوتية هل أن
الغة بنت بيتها وثلثت بأداء يتفق حولها
تقريباً كل من: فيرث، وما ليفر سكي من
أن اللغة ظاهرة اجتماعية كالعادات والتقاليد،
وأنها من خلق الإنسان، وتناج جسمه،
وهذه لا عقله فقط، والإنسان جزء من
بيئته التي يعيش فيها، ويمثل لها، ولهذا فإن
الغة كسائر الأعمال، ولهذا فلا بد من تحديد
بيئة الكلام المدروس (٣).

ولقد تابع النحاة الأراجيز هل أنها بيئة
لغة بيتها، وإذا وافقنا (ابن خلدون)
في قوله: (إن العلم بقوانين الإعراب إنما
هو علم بكيفية العمل وليس هو نفسه
العمل) (٤)، أمكننا أن نحدد موقعين
متقابلين: موقف من يسلط سلكاً لغوياً
مستخدماً ألفاظاً معينة مثلاً لحقة من حلقات
بساطه الإنسانى الضخم، ومثلاً أيضاً لضرب
من العمل يدور في بيئته... وهذا هو الرجز.

(١) دور الكلمة في الفصحى أو لسان Olman
ترجمة د. كمال نصر

(٢) اللغة ص ٦٥٥، اللغة والمجتمع
د. نصر الله ص ٧

(١) اللغة والنحو ص ١١١

(٢) أمثلتها كثيرة أوجع للأشعر ص ٣٢، ٣٣، ٣٤

٧٠٠ و٧١٠ وغيرهما.

إصرار رؤبة على أكل الفأر وقسه أنه :
« أنظف من دواجنكم ودجاجكم الرائق
بأكلن القنور... إلخ ».

وإصراره على تسمية دار الصيافة بالبصرة
دار الظالمين (١) ... فن الناحية النفسية نجد
المحذرة ، وقوة الشخصية ، والجرأة أبرز
مظاهر هذا الشاعر ، فإذا ربطنا ذلك بتفسير
معنى السليقة كانت الصورة أكثر اتصافا .
يقول الشاعر العربي :

ولست بنحوى بلوك لسان

ولكن سليق أنول فأعرب
فهل معناها : الطبيعة ، والقدرة على
الإعراب حسب... لا ، لأنها تمنح صاحبها
قوة التصرف في فنون القول اشتغافا وتعريفا
وقياسا على ما وضعته العرب ، فهنا ما يشهد
إلى إسكانية الابتكار والجهد الشخصي .

فقد أن هناك قصدا آخر يمد السليقة لغة
بتكلم بها البدوي ، وتكون حسنة في الذوق
متعة في النحو (٢) ، أي أنها بمثابة
صاحبها ، وقد كان بدويا خالصا ، بعيدا عن
الدخيل الذي تسرب إلى العربية منذ عهد
الجاهلية نتيجة اتصالات العرب بغيرهم لكنه
ضل طريقه للبدوي .

وهنا نجدنا أمام التصرفين : تمثيل البيت ،

ولكن الملاحظ أن الاستشهاد في الرجز
غالبا - يؤكد خلاف الأصل ، ولتعليل ذلك
لا بد من استعراض كلا الموقفين : موقف
الراجز ، وموقف القنوي . أما الراجز
فهو أمام تصرفين : تصرف تمليه البيئة ،
يحميه بضمن أشعاره صورا لفظية تميش حقا
بيئته . وتصرف آخر ، يحميه بضمح لفظية
اختراعا ويرتجلها ارتجالا .

وقبل أن ترجع تصرفا على آخر نلم بشيء
صريح عن الراجز لعله يضيء لنا الطريق
ولتكتشف رؤبة والساج ، وما يقال ههنا
يدعو إلى التقدير والاهتة مما يرفعهما
درجات فوق أبي النجم وذو الرمة وغيرهما
من الراجز .

فمن رؤبه يقول صاحب الأمان : (وقد
أخذ منه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون
به ويحتجون بحمده ومجملونه إماما) ، ولما
عاد الخليل بن أحمد من جنائزه قال :

(دفنا الثمر والذرة والفصاحة اليوم) .

وهو والساج أشهر الناس في نظر يونس
وأرجوزة الساج التي مطلعها :

« قد جهر الدين الإله لجور » .

التي كانت موقوفة القوافي ولو أطلقنا
كلها لكانت منصوبة ، على مدى ما نرى بيته
تستثير إعجاب يونس .

هذا هو جانب التقدير ، أما جانب الازدعة
وله تعليل نفسي خطير ، فما يروى عن

(١) الأمان ص ٨٥ - ٩٠ - ٩١ مطبعة القدم

(٢) مجلد المجمع القنوي . مؤتمر العودة الثلاثين

د محمد كامل حين .

وهكذا نرى الرجز بكل دورة تاريخه الطويل ليحتل مكانا بارزا في الشعر الحديث بتفصيلته المكرورة .

كما رأينا أن الرجز كان مثلا لبيته ولفه القبايل ، وأنه جمع إلى الشذوذ ، الموافقة للأصل فبينما يقول الرجز :

ألف : لبي . لأن يدهوني .

بإضافة لبي إلى ضمير الغائب ، يهذوذ . نراه يلتزم القاعدة في قوله .

فصروا مثل كصف ما كول .

حيث نصبت صيروا مفعولين بلا شذوذ (الأنثوي ٢٠) .

والرجز إلى ذلك مبتكر أيضا .

أما النغويون فقد وضعوا في الرجز وحدوا فيه بما يوافق هوام ، ولعل هذا هو سر ما أنهر حول الرجز بما يرى أن التحليل لم يده شعرا (١) ، وبما حدا بأحد الباحثين الحديثين للتحسس لشكوة عدم نسبة الهوام إلى أقوال العرب المشأورة وأشعارهم (٢) .

يوسف محمد نوفل

المدرس بيروسيدي

والإشكار قال أيما انصطف الرجز ؟ إذا أخذنا بتأنيج علم النفس الموسيق الذي يقرر أن هناك ميلا غريزيا قويا لتجميع المقاطع المسبوحة ، وجعلها كتلا صوتية تتألف كل كتلة من عدة مقاطع تشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة (موسيقى الفهر ص ٥) لكان علينا أن نسل بالابتكار الرجز ، ولكن ليس هناك ما يمنع من أنه يمثل لبيته ، ومبتكر أيضا .

أما النغوي فهو أمام عدة احتمالات ، إما أن الرواية وصلته معرفة بعدد من الراري أو بنهر حمد ، وهو هنا يأخذ عنه الأهرابي بثقة وبقين .

وإما أن النغوي يصنع ما يقوى رأيه ، وربما كان ذلك أقرب إلى الصدق والبرهنة ، ففي ظاهره اختلاف الرأي حول قائل الأرجوزة ، ما يشبه الجدل بقائلها وما يطالبها بطابع الشعبية - برهان أول .

وبرهان ثان فيها نراه من رواية الشاهد برواية في كتب النهر تخالف الرواية التي وردت بكتب الأدب ، فالشاهد :

وقائم الأحاق عاوى المخترق :

نجدد هكذا بالأنثوي (ص ٣٢) قاله وربة) ، بينما نجدد في الأعاني : عاوى المخترق بلانون (٢١٥ - ٥٨) ، وفي أراجيز العرب أيضا (ص ٢٢) وتظل القافية هكذا على مدى خمسة وثمانين بيتا .

(١) لأن العرب ٢٠ ص ٢١٦ الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ .

(٢) دراسات عديدة في الشعر العربي . عبد الرحمن أيوب .

كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا

د. الأستاذ محمد السامعي محمد عامر

من الأئمة الذين عرفوا بالقراءات المختلفة واشتهروا بها وقصدوا فيها وأقنوا أعمارهم في إتقانها وضبطها والإقراء بها في أمانة لم تنفق لأي كتاب سماوي آخر والسر في إزال القرآن الكريم بوجوه بخلاف بعضها بعضاً أن قبائل العرب المنشورة على رمال الصحراء لم يجمعهم لغة واحدة فهم من ينطق - بالإمالة لا يحسن غير ذلك، ومنهم من ينطق بالتقليل لا يحسن غير ذلك ومنهم من يجر ، ومنهم من لا يجر ؛ فلو نزل القرآن بوجه واحد لم يجمعاً لعجزوا عن قراءته والاستفادة منه والتدبر فيه . كيف وقد أمروا بقراءته في الصلاة وفي غيرها لهذا اقتضت حكمة الله تعالى الرفق بهم والتخفيف عليهم ودفع المخرج عنهم قال تعالى . « ولقد يسرنا القرآن للذكر » ، ولما زالت هذه الضرورة بعد فترة من الزمن وانطلقت به ألسنتهم وسهل عليهم جيداً أن يقرءوه بوجوه كلها في زمن عثمان رضي الله تعالى عنهم جيداً اقتصر عثمان ذو النورين على بعض هذه الوجوه وأبقى في المصحف كأساس جامع للقراءات المتواترة كلها التي ثبتت في المرحنة

القرآن هو الكتاب المحجوز المنزل من عند الله تعالى بالفاظه ، ووجوه قراءاته، وترتيله وأدائه على رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ الهداية والتشريع ، فهو الأساس والمصدر الجامع لأصول الدين وفروعه، والنص الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد تكفل الله تعالى بحفظه وبجائه دون تغيير زيادة أو نقص أو إخلال بثلاوته وقراءته التي نزل بها قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . ولهذا هيأ له من الجهود والدرائم الصادقة ما يجعله سارياً في الأمة كلها على اختلاف أصنافها وأصنافها سريان العافية في الأبدان والنور في الظلام . فكان للنبي عليه الصلاة والسلام بضع وعشرون كاتباً يكتبون ما ينزل منه في حينه وبعضهم كان يلزمه ملازمة تامة لا شيء سوى كتابة القرآن كزيد بن ثابت وكان يقرئ من يحضر مجلسه من أصحابه ما نزل في حينه كذلك، ويخص كل واحد منهم بقراءة متباعدة عن قراءة غيره ليعلمها غيره من الصحابة أو التابعين ، وهذا لا يملكون غيرهم

رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان النبي عليه الصلاة والسلام يسميها الشهيدة وقد أذن لها أن تقوم قومها ، وكان لها مؤذن خاص ، كذلك أوردته السيوطي في الإتقان ومعلوم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يرتل القرآن كما أنزل إليه في صلاته وخطبه وسائر شئونه فتعلموا منه القرآن والقرآن جميعاً ...

وكان جبريل يعاونه به في رمضان من كل سنة فلما كان العام الذي توفي فيه طوَّع به بالقرآن مرتين ليحطه أصول التجويد والتلاوة الصحيحة التي يجب أن يؤدي بها القرآن ، ولا مورد لا فطيل يذكر بعضها .
الجمع الثاني :

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بأشهر جمع القرآن مرة ثانية في السنة الحادية عشر من الهجرة في خلافة أبي بكر الصديق حين كثرت موت القراء بموقعة اليمامة وهو زمن يسير لا يخفى منه من ذهب شيء من القرآن لا في أصله ولا في أدائه ، ولا يزال صدق صوت الرسول ونفاته الشريفة المباركة في أسماعهم وقلوبهم ، وهذا أعظم نعمة ونفضل من الله تعالى على الأمة إذ وثقها وهذا ما إلى الجمع الثاني في عهد الصديق علي يد زيد ابن ثابت الذي رضي به الرسول عليه الصلاة والسلام واختاره لهذه المهمة من قبل لا ما ش

الأخيرة وأحرق ما سواها من المصاحف المشتبهة على الوجوه الأخرى .
والذي لا ريب فيه .
أن القرآن جمع ثلاث مرات :

أولاً : في عصر النبوة فقد كتب كل بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام وبأمر منه في أوقات متتالية كما كتب كل بأيدي الصحابة رضي الله عنهم في عصره عليه الصلاة والسلام كتابة متفرقة غير مرتب الآيات والسور ، هل العظام والجريد وقطع الجلد والحجارة : والفرض من هذا الجمع عدم ذهاب شيء منه ، ثم عززوا هذا الجمع الخطي بجمع الصدور فكانوا يحفظونه كله ، والعرب أمة متميزة عن غيرها بقوة المحافظة وصفاء الذهن ودرجته ما يسمره في قلوبهم على معنى أن هذا يحفظ بعضا وذاك يحفظ بعضا آخر وهكذا ، فجميعه عند جميعهم من جهة جمع القرآن ، وقد اتفق بعد قليل منهم حفظ جميعه في صدوره . قال صاحب حمود النسب :

فاخترت الخزرج أوساً بنفر
مع النبي حفظوا كل السور
زيد بن ثابت معاذ بن جبل
سكناً أبي وأبو زيد البطل
وأبو زيد هذا أحد أعمام أنس بن مالك ولم يثبت أن امرأة حفظت القرآن في عهد

ودينه وجودة خطه : وامتاز هذا الجمع بترتيب الآيات في سورها وترتيب السور كذلك كما امتاز بالاعتصار على عالم نسخ تلاوة وثبت في المرحلة الأخيرة .
الجمع الثالث :
ثم جمع القرآن مرة ثالثة في عهد عثمان بحضور وإجماع اثني عشر ألفاً من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ورضي عنهم على يد : زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ؛ وذلك حين انقسمت المصحفات واختلط الصحابة بغيرهم من أهل تلك الأقطار وخطأ بعضهم بعضاً في القراءة ؛ فتدارك عثمان الأمر وعما الفتنة ونقض عليها وجمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن نيسوا وتسميها على الناس يوم أنزل ولما ألف الناس القراءة وتنبوا عليها لم يعد هناك داع إلى بقاء كل هذه اللهجات فاكنت الحليفة بحرف واحد منها وفي هذا الحرف جميع القراءات المتواترة التي يقرأ بها القراء اليوم على كثرتها فعثان في الحقيقة لم يجمع القرآن وإنما جمع الناس على حرف واحد منه جميع ليحول بينهم وبين الفرقة والاختلاف في الكتاب العزيز كما اختلف اليهود والنصارى في كتبهم فجاء الله تعالى وجزى أصحابه عن الأمة خيراً .

وقد نسخ من هذا المصحف الإمام مصحفاً بحث به إلى مكة وآخر إلى البصرة وآخر إلى الكوفة وآخر إلى الشام ، وأبقى مصحفاً لأهل المدينة واستبقى مصحفاً لنفسه ، وقد استغرقت كتابة المصحف الإمام خمس سنين من سنة خمس وعشرين هجرية إلى سنة ثلاثين وقد أرسل الخليفة مع كل مصحف موجه إلى بلد معلماً يعلم الناس القرآن وبفهمهم في الدين ، ومن هذه المصاحف الثمانية كتب أهل الأمصار مصاحفهم الخاصة ، راعيت عليها القراء ، ومنها أخذ الأئمة وغيرهم من العرب الفصاحين جميعاً اختلفت لهجاتهم ؛ بل وغير العرب من أهل الأقطار المفتوحة في لجاج الأرض حتى كان عدد المصاحف الموجودة في البلاد الإسلامية في عهد الصحابة أكثر من مائة ألف مصحف ، ووجد في كل طبقة مئات القراء في جميع الأمصار يرجع إليهم ويحتدى بمنازم لصدائهم وضبطهم وإتقانهم كما توجد مئات الكتب في القراءات وما يتصل بها من أحكام التجويد وتاريخ الرواة والرسم والضبط وغير ذلك فحمد كل هذا في كل طبقة من طبقات الأمة . غير خاف على الباحث المتصف ، مثلاً المصحف الذي أرسله سيدنا عثمان إلى الكوفة حفظ بطلوس قرب طرابلس الشام ، ثم نقل إلى قلعة حصن ثم نقل إلى عاصمة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى . وبقي مصحف المدينة بالروضة

هـ من الخطاب جائزة مالية كبرى لكل من
 يحفظ القرآن حتى إذا خشي انصراف الناس
 عن الفقه اكتفى بمن حفظ منهم القرآن فقد
 تحقق غرضه بهذا التشجيع الموفق وما ذكرناه
 نقطة من بحر زاخر من غناية الصحابة
 والتابعين ومن بعدهم بالقرآن ورضى الله تعالى
 عنهم جميعا ، فهل كانت الأمة بعد هذا كله
 مقصرة في شأن القرآن والقراءات أم تلتفت
 هذا الأمر بعزيمة وإخلاص فوق ما يتصوره
 المتصورون ، وإني أتساءل : أين المستند العلمي
 الصحيح والبرهان القاطع الذي لا يكتفى
 إلا به في القرآن وما يتعلق بالقرآن ؟ أين
 الدليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أذن له أن يضع كلمة من عنده في القرآن مكان
 كلمة قرآنية أصلية ؟ أو أن يقدم بعض الكلمات
 على بعض في جهة قرآنية ؟ أين الدليل على ذلك
 والله تعالى يقول : وإذا تلى عليهم آياتنا
 بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن
 غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من
 تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي فإني أخاف
 إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم أي إن حالي
 مقصور على اتباع ما يوحى إلي لا يتعداه إلى
 غيره مما تسألوني عنه وتطلبونه مني وقال تعالى :
 ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه
 باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . فإنا منكم من
 أحدهم حاجزين ، وقال تعالى : وما ينطق
 عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وقال

الشريفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وفي أثناء الحرب العالمية قتل أصحاب الشأن
 إلى العاصمة التركية والظاهر أنه أريد
 إلى الروضة الشريفة بعد ، وأما مصحف
 الشام فقد كان مخروطا بطبرية ثم نقل منها إلى
 مسجد القبة بدمشق على عهد ابن الجوزي
 ثم نقل إلى المسجد الأموي ثم نقل إلى عاصمة
 الخلافة العثمانية مع ما نقل من الآثار
 والنقائس ، وفي كتاب الحقيقة والمجاز في رحلة
 الفهم ومصر والحجاز ، العلامة المرحوم الشيخ
 عبد الفتى النابلسي وصف ما رآه بمصر
 وحسن من المصاحف الأثرية والناظر في مثل
 كتاب منادمة الأطلال له وكتاب الخطوط
 للقريري وكتاب الدرر الحسان لفضيلة
 المرحوم الشيخ محمد بهيت المطيعي يعلم مدى
 اهتمام الأمة سلفا وخلفا بالمصاحف الشريفة
 وقد اشتهر بتعليم القرآن عدد من الصحابة
 كابن مسعود بالكوفة وقد بلغ من خرج مع
 عبد الرحمن بن الأشعث من تلاميذه
 وتلاميذ من أقرأهم القرآن وفقههم في الدين
 نحو أربعة آلاف شخص فضلا عن غيرهم من
 لم يفرجوا معه ، وكان أبو موسى الأشعري
 يعلم الناس القرآن بمسجد البصرة من بعد صلاة
 الضحى إلى الظهر ، ويقسمهم إلى حلقات على
 كل حلقة قبيب منهم يشرف عليهم ثم يشرف
 هو على الجميع ، ومثله في ذلك : أبو الدرداء
 في مسجد دمشق سواء بسواء ، وقد خصص

مع ما تشتمل عليه من التخت ولحن أهل
المشق فقد جمعه مزلا واتخذوه هزوا وساربه
سهر الأغاني الفاسدة وأكثر من هذا أن
الموسيقى التي يقرأ القرآن بها اليوم تدخل فيه
أحرفا ليست منه وتنقص أحرفا هي منه وتذهب
بصفات كثير من الحروف كالجهر والشدّة
والغلظة كما يزيد أو تنقص في المدود والفتات
وتنقص على الإدغام والإظهار وغيرهما مما لا بد
من مراعاته، وقد قال الله تعالى: «الذين آتيناهم
الكتاب يتلوه حق تلاوته أولئك يؤمنون
به، هل أنه لا يبق مع الموسيقى أثر للخطبة
والتدبر والاتعاظ بالقرآن وقد قال تعالى
«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا أو لولا الآيات، وقال تعالى:
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خادما
متصددا من خشية الله». هل أناقول: القرآن
غنى كل الغنى بالموسيقى التي نزل بها غير محتاج
إلى شيء من موسيقى الناس: فاختيار كلماته
وأحرفه وترتيبها وحيثها على الوجه الذي
أنزل به جمال ما بعده جمال. وصنيع
يهز القلوب هزاً ويستولى على القلوب
ويجلى لها المعنى المراد. تأمل في مثل قوله
تعالى: «وكيف تأخذونه وقد أففض بعنكم
إلى بعض، حيث أوضح المراد في منتهى السهولة
والتحفظ وقوله تعالى: «ولولا أن ثبتناك
لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، لم يقل تركن
بل أن بفعل المقاربة ولم يقل إنه ركون تام

تعالى: «وكذلك أوحينا إليك ووحا من
أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان،
لا يقال: لكل كاتب أو متحدث أن يقول
ما يشاء فإن حرية الرأي مكفولة لكل أحد
والإسلام لا يحجر على الناس ولا يمنهم من
إبداء آرائهم، لا يقال ذلك على إطلاقه
والإساءة الفوضى واحد طريق الإصلاح
وليس كل ما يخطر بالذهن يقال على علاه من
غير دليل وإذا كان هذا لا يستقيم في دنيا
الناس وفظلمها وسياستها فبالأولى لا يستقيم
في أمر الدين والمعتقدات الرائجة رسوخ الجبال
نعم لكل إنسان أن يبدي رأيه ولكن
في حدود محدودة وبقيد تحول بينه وبين
الهدم وتفكيك المسلمات الثابتة، ثانيا:
ولا يقال: إن تلاوة القرآن الكريم وتجويده
قد تأثرا باللهجات العربية أو بعامل في ونبات
موسيقية، لأننا أسلفنا: أن الأداء القرآني
من عند الله تعالى، وقد وحي فيه التيسر على
العرب أصحاب اللهجات المختلفة وليس لأحد
أن يدخل في ترتيب القرآن وتلاوته شيئا من
الفن أو النغامت الموسيقية المفسدة لجلاله
وسموه وقد سمعته، قال تعالى، وإنه أم الكتاب
لدينا لعل حكيم، وقال تعالى: «لا تبدل
لكلمات الله، وقال تعالى: «فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه، وقال تعالى: «ووتل القرآن ترتيلا،
وقال تعالى: «إنه قول فصل وما هو بالهزل،
فمن جلب إليه النغامت الموسيقية وأدخلها فيه

المقصود وهو الإشارة إلى البحث من القبور فإن الزائر إقامته متبهة قصيرة واستقصاء هذا في القرآن بعيد المثال لتجدد المعاني المستفادة من الذكر الحكيم . فليحجب بعض القراء هنا هذه الظلمات التي يدخلونها في قراءاتهم .

ثالث : لا يقال إن ورشاً اخترع من هذه نفسه أصولاً وقواعد في قراءة القرآن راعى فيها الموسيقى لحاسة فنية عنده لا ناقول : ورش هو الراوى للغة العدل الصابط المتقن وهو من تابع التابعين عاش في خير القرون ولد سنة مائة وعشر هجرية وتوفي سنة مائة وسبع وتسعين هجرية فهو معاصر لأئمة المذاهب الأربعة . وحل إلى المدينة وأخذ القراءة من نافع وكان إمام القراء بالمدينة . قال مالك قراءة نافع (سنة) أقرأ الناس بها أكثر من سبعين سنة وقد أخذوا القراءة من سبعين من التابعين وهو حليف حمزة بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنهما منهم : عبد الرحمن ابن هرم من أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان إمام دار الهجرة قرأ عليه أوبة وثلاثون راوياً منهم : قالون وورش . ورجع ورش إلى مصر وقد أجمع الناس على فضله ودينه وانتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر . وروى عنه محمد بن عبد الرحيم الأحصاني طريق أبي الحسن محمد بن أحمد المروزي وطريق أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد

بل قال شيئاً ولم يدع وصف هذا الشيء . بل قال شيئاً قليلاً وهذا أدق تصوير لكمال نفسه عليه الصلاة والسلام وصفاء سريره وقطرته أى لولا تثبيتنا لك لقربى من الركون إليهم وكوننا قليلاً وقوله تعالى : « لا قبلاً سلاًماً سلاًماً » فما أحسن هذه الموسيقى في تكرار الكلمة واختيارها ومن هذا القبيل الالفاظ الأخيرة في مثل قوله تعالى : « وتظنون بالله الظنونا » « وأطمنا الرسول » « فأضلونا السبيلاً » ثم انظر إلى تقديم الجار والمجرور في المواضع الثلاثة في قوله تعالى : « ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيساً » أليست هذه أفضل موسيقى ومن هذا : موافقة النظائر في ردوس الآيات مثل قوله تعالى : « وب موسى وهرون » حيث تبنى الآيات على حرف هـ قبل الآخر وقوله تعالى : « وب هرون وموسى » حيث تبنى الآيات على الالف ومثله قوله تعالى : « كأنهم أعجاز مغل » حيث تبنى الآيات على الراء وقوله تعالى : « كأنهم أعجاز مغل عارية » حيث تبنى الآيات على التاء المربوطة ومثله « وطور سينين » والأصل سيناء ومثله « فزريقاً كذبهم وفريقاً تقتلون » . لم يقل قتلهم ومن اختيار الكلمات والأحرف قوله تعالى : « فقدمهم عليهم ورجعهم » لم يقل فأهلكهم لأن الأولى أشد هولاً وأزجع لطبع ومنه « حتى زدتم المقابر » فإن إحلال كلمة عمل زدتم لا يؤدى ما تؤديه من المعنى

السكامل الهندل ، وروضة المعدل ، والمهيج
لسبط الخياط ، والروض النضير ، والتذكرة
والقبصرة . وتاويخ دمشق . وهو اسم
لكتابين كل منهما مؤلف خاص والمقدم ،
والحكم . والمفردات . ثلاثها للإمام أبي عمرو
الداني . ومورد الظلآن للإمام الحنبل .
في الرسم والخط والنشر للإمام ابن الجوزي
وكتب الأئمة : كلاله ، والسخاوي والشاطبي
والجمعي . والجمعيدي والسفاقي والنويري
يطول بيانها واستقصاؤها .

وإن الدنيا كلها تقوم وتقع من أجل
زيادة أو نقص في غنة أو في مد كذلك
أو إدغام في غير موضعه أو إظهار في غير
محله أو ترفيق ما يجب تفخيجه أو تفخيجه
ما يجب ترفيقه ونحو ذلك مما استقر في قراءة
جبريل عليه السلام ونزل من عند الله تعالى
على أن تهويد القرآن ومراعاة مسدوده
وأحكامه تمسكتان المعنى في ذهن القاري
والمستمع مثل : أئنكم لتشهدون أن مع الله
آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله
واحد وإني بريء مما تشركون ، وعلى كل
مسلم يلتزم الحق والصواب . أن يقول
آمن به . كل من عند ربنا وما يذكر
إلا أولوا الألباب ، ٩

محمد السباعي رحمه الله

المدرس بمهد القراءات بالأزهر الشريف

ابن الميثم وأبو عبد الله محمد بن إسحق البخاري
طريق أبي الأسد أحمد بن إبراهيم الفقيه وطريق
أبي بكر محمد بن مرشد النجدي وقراءة ورش
من جملة القراءات السبعة المتواترة وليست
إحداهما أدنى بالترتيب من غيرها لا فرق
بين حفص وغيره فكما أننا تؤمن بجميع
الرسائل لا نفرق بين أحد منهم وكما أننا تؤمن
بما أنزل الله من كتاب ولا نفرق بين كتاب
وآخر فكذلك تؤمن بالقراءات العشر
المتواترة لا نفرق بين قراءة وقراءة أخرى .
كلها من عند الله ، ولا شك أن ورشا
لم يختص بإشباع المذهب بخلاف سائر حركات
بل مثله في ذلك حمزة والقفار بل روى
عن جميع الأئمة العشرة مد المتصل بمقدار
سائر حركات كذلك وهو وجه عنهم من
جملة الأوجه ، ولم يقتصر ورش على المذهب
المشيع البالغ سائر حركات الذي هو من طريق
الأردق ؛ بل روى عنه غير المنفصل من
طريق الأصماني فالأداء القرآني والترتيل
ومراعاة أصول التجويد ومسايقه ليست
كالريشة المعلقة في الهواء ، ولكن لها سند
صحيح وأساس وأصل يرجع إليه وقد تولاها
من كل خلف مسدود ولم تفرط الأمة
في أقل قليل منه .

وبين يدي المنصف ما لا يحصى من الكتب
في مختلف الأعصار والأعصار وهي مبرات
منهم لم يسعد به كتاب مما سوى آخر . فيها

فصل أثر العجالة الإنجليز على كتاب

الحركة الرومانسية في إنجلترا
للكاتب محمد سببر عبد الحميد

نقتصر في هذا البحث على ما يختص من هذه المظاهر بـ (الابسة) والتعاقد مع الشيطان أى بالقصص الذى يدور حول عالم الأرواح^(١) Supernatural ، وبظهور فيه الشيطان ، أو أهوائه السحرة ، كقصصيات تلبس دوراً هاماً لإغراء البشر وتضليلهم - ذلك لأن هذا الجانب من التراث الشرقى اجتذب اهتمام الكتاب الإنجليز في عهد الحركة الرومانسية بشكل واضح . وكان اهتمامهم به أكثر من اهتمامهم بقصص الحب والمغامرات التى اشتهرت عن العصور الوسطى بين المؤلفين الرومانسيين .

وأم الكتاب الإنجليز الذين تأثروا بهذا التراث هم : بكفورد ، صاندى ، بايرون ، مور Beckford - Southey - Byron - and Moore . ولقد اخترنا هذا الجانب بالذات لأنه موضوع لم يطرق كثيراً من قبل لغرابته وغموضه ولندرة المراجع فيه -

لعل من الخير أن نبدأ بتحديد المعنى المقصود بهذا العنوان ، فكلمة « تراث العرب » يقصد بها هنا كل نوع من المأثورات والحكايات المكتوبة ، أو المتداولة شفهايا التى تصور حياة العرب وثقافتهم لشعوب أوروبا منذ أوائل القرن الثامن عشر ، أما قبل ذلك فلم يكن هذا التراث متعبداً إلا فى النادر ؛ لأن كل ما هو عربى أو هندى . أو فارسى أو تركى كان يعرف إجمالاً باسم (شرقى) (Oriental) . ومن أم مصادر هذا التراث مجموعة القصص التى يحويها ذلك الكنز العظيم المعروف بكتاب ألف ليلة وليلة ، الذى كان

له شأن كبير منذ أول ظهوره مترجماً إلى الإنجليزية عام ١٧٠٨ - ويضاف ، إلى هذه القصص ، مجموعة الحكايات الشرقية المأثلة مثل : الحكايات الفارسية ، والحكايات التركية وحكايات المغول .

ولقد جاء لتأثر هذا التراث بطريقة غير مباشرة فى أغلب الأحيان ، ومن ثم ؛ فإننا نجد مظاهره عديدة ومتشعبة ، وسوف

(١) هذا التعبير يلفظ Supernatural بدلاً من « ما وراء الطبيعة » وهو اللفظ الشائع خطأ .

منذ فجر التاريخ ارتبط مصير الإنسان بالدور الهام الذي يلعبه الشيطان عدو الله والبشر على مسرح هذه الحياة وقد كتبت في هذا العدد مؤلفات لا حصر لها فظهرت مئات المقالات والكتب والقصائد بأنقلام الملائكة وحذاة النفس والاجتماع والمختصين في اللاهوت والطب والأدب وكلها تصالج، شبكة الصراع بين الخير والشر وقدرة إبليس العجيبة في التأثير على عقول ضعفاء.

وبالنسبة للمسيحيين فإن الشيطان لم يكن مجرد عقيدة دينية بل أنه ما زال يمثل في نظر جامتهم أهم حقيقة واقعة في هذا الكون - هذا الاعتقاد الراسخ في وجود الشر بحسبها فيما يسمونه - The Evil One وهو اسم آخر من أسماء الشيطان ، يشهد إلى الإيمان بوجود شخصية الشيطان ، أي أن الشيطان شخص ، وليس معنى مجرد فقط كما تدل على الاعتقاد الراسخ فيما للشيطان وأهوانه من العفاريات والأرواح الشريرة من سلطان على البشر. وقد تبلورت هذه العقائد في القرن السادس الميلادي ، وأخذت تنمو في العصور الوسطى عصور السحر وحاكم التخفّيش حتى وصلت أوجها في نهاية القرن السادس عشر ، الذي يعتبر بحق العصر الذهبي لسيطرة الشيطان على عقول الناس وإراداتهم ، ثم ظهرت حركة الإصلاح الديني Reformation في أوروبا ولم تغير كثيراً من الاعتقاد الأساسي في قدرة

والباحث يحمد لوأما عليه إذا ما تصدى لموضوع أن يوفيه حقّه ولا يتم ذلك إلا بذكر ما كتبه المؤلفون الإنجليز من قصص فيها بعض الحقيقة ولكن الجسور الأكبر منها خيال Fiction - وسوف نحاول في هذا البحث أن نبين كيف استخدم كل مجموعة من هؤلاء الكتاب هذا التراث العربي وكيف أن بعضهم قد عدله بشكل يتفق وأغراضهم الخاصة حتى يتلاءم مع ظروف البيئة والجمهور الثقافي هناك وسوف نهيئ كذلك إلى الاختلاف في طرق معالجة موضوع ، وإغراء الشيطان ، وكيف اختلف الأدباء الإنجليز في تصوير شخصية إبليس .

ولا يفوتني أن أشير أيضاً إلى العلاقة المثلثة الأقطار ، التي تربط بين الأبلسة والاستشراق والنزعة الرومانتيكية في مؤلفات بكمورد W. Beckford ومن تبعه من كتب القصص الشرقية الإنجليزية - Anglo-Oriental Tales في القرن الثامن عشر ، وسيتبين في النهاية ما أسهمت به القصص الشرقية الخيالية التي تخرج بين عالم الإنسان وعالم الجن في الحركة الرومانتيكية ، مع إشارة خاصة إلى تأثر كتاب ألف ليلة وليلة - Arabian Nights وكتاب الوائفي - Valhek على عدد من الشعراء الرومانتيكيين وفي مقدمتهم لاندو ، صاندي ، مسور ، والورد بايرون - R. Southey - S. Lander - T. Moore - Lord Byron

Edward Langton, Dorothy Scarborough, David Conway, Jacob Grimm, Maurice Rudwin في يدون النظرية القائلة : بأن فكرة الشيطان كشخص يلعب دوراً هاماً في هذه الحياة ، ويثبت وجوده دائماً كعدو لدود الخالق سبحانه وتعالى وللشعر أيضاً — قد عرفت زمناً طويلاً قبل مولد السيد المسيح عليه السلام ، لأن لها نظائر في جميع الديانات القديمة التي ظهرت قبل اليهودية والنصرانية بألوف السنين. وأهم هذه الديانات التي تثبت عداوة الشيطان للبشر هي الديانة الإيرانية ، وإليها يرجع الفضل الأول في إدخال مثل تلك المقام في الديانة المسيحية عن طريق سابقتها وهي الديانة الإسرائيلية ، وفي هذا الصدد يقول مستر رودون Rudwin في كتابه :

The Devil in Legend and Literature
« لقد عرف اليهود الشيطان أول ما عرفوه خلال فترة السبي التي قضوها في بابل ، وما يالمؤك زرادشتيين حيث ألفوا شيطانا خاصاً ، اختلط بشيطانهم ، الذي لم تكن له أى من الخصائص . الشيطانية المسألوفة في المصور الوسطى .

ونجد أن شيطان اليهود قبل تأثرهم بمعتقدات إيران — وأهمها التضامن بين قوى الخير ممثلة في Armuzd وقوى الشر ممثلة في Ahriman لم يكن له أى شيء من خصائص وصفات الشيطان عند المسيحيين في القرون الوسطى وما بعدها إذ أن إله

الشيطان ، بل هل العكس قد أضافت هذه الحركة شيئاً عندما أنكرت فكرة إمكان توسط المذراء والقديسين للحيلولة بين إبليس وضحاياه . بذلك انتشرت القصص عن تماقد الشيطان مع الشيطان ليحقق لهم بعض الشهوات والآارب المادية في هذه الحياة الدنيا .

وأشهر هذه القصص التي تعالج قدرة إبليس العجيبة في التأثير على العقول قصة الساحر المشهور الدكتور د. فارست ، الذي باع نفسه للشيطان ، وخلص شخصيته في الأدب الإنجليزى والألماني الكاتب المرحى ألفرد كرسنوفر ماو لو ، والشاعر الألماني المعروف هجيت ، والغريب أن مثل هذه الأساطير عن قوى الشيطان الخارقة استمرت كأداة هامة للأدب الرفيع والأدب الشعبي حتى نهاية القرن الثامن عشر وفي أوائل القرن التاسع عشر . نتيجة لحركة التنوير التي شملت القرن السابق .

أخفت هذه الأساطير والحرفات تتلاشى بالتدريج . ولكنها لم تختف إلا بعد أن تركت آثارا واضحة في أعمال كثيرين من أم الكتاب والشعراء الإنجليز كما سيتضح لنا بعد قليل .

ومن أطرف الأشياء التي لاحظناها عند دراسة موضوع الشيطان — أن كثيراً من الكتاب والمؤرخين الإنجليز أمثال : ادوارد ليجتون ، دوروثي سكاربوره ، ديفيد كنوي ، جيكوب جريم ، موريس رودون

ولقد كان الدكتور لويس ميوزمليز Dr. L. H. Milla فضل كبير في إياطة الثام مما استمدته الديانة المسيحية فيما يختص بالأبلة والصراع بين الخير والشر عن الديانة الإيرانية القديمة - ففي كتابه (أصول) ديانتنا (المسيحية) في فارس القديمة Our Owa Religion in Ancient Persia استطاع هذا الكاتب العظيم أن يرمي بالدليل العلمي على الأثر الكبير الذي تركته تعاليم زرادشت في الإنجيل ففي الفصل الخامس تحت عنوان « زرادشت والكتاب المقدس » ، لم ننجح في إثبات هذا التشابه لحسب بل أبرز الانفاق التام في كثير من الأحيان بين النصوص التي جاءت في كتاب دانيال والكتابات لورادشية فيما يختص بالثقافة والمعتقد الدينية الأساسية . كل هذا يوضح لنا أثر التراث الشرقي منذ القدم في العقائد الدينية عند المسيحيين في أوروبا فقد لعبت هذه العقائد الدينية دوراً هاماً في جميع مراحل الأدب الأوروبي إذ أنها كانت تنعكس دائماً بوجوه مختلفة وبشكل مباشر أو غير مباشر على آثار الكتاب والشعراء في شتى العصور .

والآن فلنلق نظرة على مظاهر تأثير هذه العقائد بشكل غير مباشر على الحركة الرومانيسكية في إنجلترا نتيجة للاستعراق

اليهودي هو كان مصدر كل من الخير والشر مما رداً وفي كل الأحوال - ولكن منذ عام ٦٠٠ قبل الميلاد أيام الأسر في بابل ونحت تأثير تعاليم زرادشت - اقتبس اليهود بعد العودة لبلاد إسرائيل كل الأفكار المتعلقة بالشیطان ، وقصة الصراع بين قوى النور وقوى الظلام وعلى ذلك أمدروا أنظر في مدلول كلمة الشيطان ، وأضافوا على شخصيته جميع صفات أهرمان الإيراني فأصبح ذلك الشيطان الذي لم يكن يعني قديماً أكثر من عناصم مادي Adversary بل سبب دوراً خطيراً هو دور العدو القوي المناوئ لسلطان الحق تعالى . وأكثر من ذلك ازدحم العالم الخفي بالملائكة الكرام أهرمان الرحمن ، وأخذوا يشنون حرباً شعواء على قوى الشر والظلام وهي قوى إبليس وأهوانه من الجن الأشرار الذين يعملون على غواية البشر وضلاله وهذا الصراع العنيف مستمر بين تلك المملكتين الرومانيتين بجالا ولكن في النهاية سوف تقتصر قوى الخير عندما ترسل العناية الإلهية منفذاً يهزم جيوش الشيطان ويحطم ملكة الشر - وفي يوم القيامة والحشر تحنى كل نفس ما قدمت ويلقى إبليس وأهوانه من الجن والبشر هذاباً أينما في نار جهنم وبئس القراو ، ومن هنا نشأت عند اليهود ثم المسيحيين فكرة المسيح وحربه مع الشيطان وجيوش الظلام .

ترجمة إنجليزية من الفصحى الفرنسية، وكانت
ركيكة مشوهة ومختصرة إلى حد كبير، الأمر
الذي بأسف له الأستاذ بيرنباوم إذ يقول :
إن ذلك وبما كان سيئاً في بطله تقدم الحركة
الرومانتيكية في إنجلترا .

ويجدر بنا أن نقبس عبارته بنصها :

If the English translation had been worthy of the Arabic original, the Pre-Romantic Movement might have been accelerated by contact with a world so different from the neo-classic, so unrationalistic, so colourful in its imaginative freedom, sensuousness and fatalism.

وأرجو هنا أن ألفت النظر إلى التلميحات
التي وصف بها الكاتب هذه المجموعة من
القصة الشرقية وأهم خصائصها هي كما يقول :

Unrationalistic, colourful in its imaginative freedom, sensuousness, fatalism.

أو باختصار كانت السمات الغالبة على
هذه المجموعة من القصص الشرقية هي ما نقول
هنا : - strange, exotic and fantastic -
هذه الخصائص بالضبط هي ما كانت الحركة
الرومانتيكية تبحث عنه بعد التخلص من
الصفات الثلاثة المضادة لها وهي :

Order, Reason, Good sense

تلك الصفات التي اعتبرت قيوداً حضية
للبدرسة الكلاسيكية وعلى ذلك يجد أن أول
رواد الحركة الرومانتيكية في أواخر القرن

أو الاهتمام بالاتجاه نحو الشرق في ككتب
الأدب الإنجليزي وسنبداً بمحاولة إظهار
العلاقة بين الاستشراق والرومانتيكية في نهاية
القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر -
ويمكن أن نبدأ الكلام هنا عن العلاقة بين
الثورة الرومانتيكية في الأدب الإنجليزي
وكتاب « ألف ليلة وليلة » .

١ - كتاب « ألف ليلة وليلة » وعلاقته بالحركة
الرومانتيكية :

يكفي للاستدلال على أهمية مجموعة القصص
الشرقية الخيالية التي يحويها هذا الكتاب
بالنسبة لظهور الحركة الرومانتيكية في إنجلترا
أن نسقدهد برأى الأستاذ إدوارد بيرنباوم،
Professor Edward Bernbaum الذي
أوردته في كتابه « دليل المشرشد إلى مسالك
الحركة الرومانتيكية » .

Guide Through The Romantic
Movement

الذي طبع للمرة الثانية في ١٩٤٩ فقد قرر
الأستاذ بيرنباوم أننا :
« ينبغي أن نعتبر كتاب « ألف ليلة وليلة »،
واحد من المصادر الرئيسية التي قدر لها أن
تؤثر على تيار الأدب الإنجليزي قبيل الحركة
الرومانتيكية » .

وكان أول ظهور هذه المجموعة من القصص
في شكل مؤلف أدبي في فرنسا سنة ١٧٠٤
وبعد أربع سنوات أي عام ١٧٠٨ ظهرت

imaginative appeal وهذا العنصر يستمد
على حب المغامرة ومظاهر البطولة
Adventurous and chivalrous

ونعود فنقول : إنه على الرغم من ضعف
تلك الترجمة ، فإن النص الإنجليزي ما لبث أن
استقرى انقباء جمهور القراء الذين استأخوا
هذا النوع الجديد من الأدب الخيالي . ولم تحض
فترة طويلة حتى أصبح كتاب ألف ليلة وليلة
من أوسع الكتب انتشاراً في النصف الأول
من القرن الثامن عشر - ولا غرو في ذلك
فإن القمص ذاتها تعد أنموذجاً رائعاً من
حيث الابتكار والإمتاع والقلبية ونحتل
تلك القصص مكانة عالية بين قصص الفسفرة
في العالم .

واقف ظهرت في إنجلترا وحدها عشرات
الطبعات ومعظمها كان يستند على النص
الفرنسي الذي قام بعمله ميسور جالاند ، لأول
مرة في فرنسا عام ١٩٠٤ ، هذا بالإضافة
إلى العدد الكبير من الكتب والمقالات
والختصرات وبحجوعات القصص التي كانت
تهدى الكثير من المقتطفات والمقتبسات
من هذا الكنز الذي لا يفنى .

وتم دين غير مباشر تدن به الحر حركة
الرومانتيكية في مبدئها أي بين عام ١٧١٥ -
١٧٧٥ إلى الأدب الشرقي ويظهر بوضوح
في العدد الكبير من القصص الإنجليزية التي
ترجمت عن الفرنسية أو التي كتبت تقليداً

لثامن عشر وأوائل التاسع عشر أمثال :
وردزورث ، سكوت ، كولردج ، يابرون ،
شيل ، مور .

Wordsworth, Scott, Goleridge
Byron, Shelley and Moore.
يعتبرونها الغذاء الروحي لسالم الخيال ،
ومصدر الوحي والإلهام ، ومنفذ الفكر
المتحرر المجري . ونتيجة للحركة
الرومانتيكية هذه حدث تطور « جوهري »
في نظرة الكتاب ، وخاصة الناس إلى الحياة
على الوجه الآتي :

The old narrow intellectual
attitude gave place to a wider
outlook which recognized the
claims of passion and emotion and
the sense of mystery in life, and
in which the critical was replaced
by the creative spirit, and wit by
humour and pathos.

(Oxford Comp. to Eng. Lit. p. 677)
هذه العناصر الثلاثة passion, emotion, and the sense of mystery

هي التي
اجتذبت قلوب الشعراء والكتاب إلى
الحكايات والقصص الشرقية أمثال: ألف ليلة
وليلة ، لأنها تزخر بناصر الحب والمغامرة
الناجمة من الخيال الفياض الذي بعد كثيراً
عن مشاهد الحياة وحوادثها اليومية العادية .

وكما يقول قاموس أكسفورد - Oxford
الشيء الذي نضفه بكلمة Romantic لا بد
أن يتميز بعنصر Romance أو

بعضاً من أشد المتسككين بالتقاليد الكلاسيكية في الأدب أمثال: أديسون ودكتور جونسون Addison, and Dr. Johnson قد أباحوا لأنفسهم التسج على منوال تلك القصص بمد تقيتها كما يزعمون بما يخالف الذوق الكلاسيكي السليم واستعملوا مادة الكثير منها لأغراض تهذيبية فحشاً ما يعرف بالأدب التهذيبي أو التعليمي Didactic Literature ومعروف في كتب تاريخ الأدب الإنجليزي Pseudo-Oriental Fiction وهذا الأدب على أنواع منه: الخيالي والفلسفي والتهذيبي والحرفي وأدب الصغرة اللاذع.

وبهذه الطريقة استفادت المدرسة الكلاسيكية من هذا التنوع الجديد من الأدب ولكن أصحاب المدرسة الرومانتيكية لم يأبوا طبعاً لعناصر الفلسفة أو الحكمة التي تحويها القصص الشرقية وعلى النقيض من ذلك وجهوا كل اهتمامهم لا الواقع وعالم البشر بل إلى عالم الخيال والأرواح لأنه غريب وغامض وفيه سحر عجيب لمشاهير أصحاب المزاج الرومانتيكي. وقصص ألف ليلة، ومثيلاتها مليئة بكل ما يعرفه الناس عن الجن والشياطين والسحر والسحرة والفيولان والمردة ومصاحبي السماء، وغير ذلك من الأرواح الشريرة التي تعمل تحت إمرة إبليس وكل هذه الشخصيات تكثر في هذه قصص ترجمت أو استلقت أجزاءها أو اقتبس منها

لتلك القصص وكانت في ذاتها متأثرة إلى حد كبير بخيال القصص الشرقية وروحها ويسودها جحر من الغرابة والغموض والسحر.

ولما كان عنصر البعد عن مجرى الحوادث اليومية العادية والمناظر المسألوة من أم مقومات الحركة الرومانتيكية، وجد الرواد الأوائل لتلك الحركة حياتهم في كل ماله صلة بحياة الناس في الشرق وبجياة الأوربيين في زمن العصور الوسطى، وكان هذا العنصر - عنصر البعد - ذا شقين ونقي بهما ناحية البعد من حيث الزمن والبعد من حيث المكان؛ فالأول: مادته متوفرة في خضم القرون الوسطى، والثاني: مادته متوفرة في دبرج الشرق البعيد، ومن هنا تدب أهمية الحكايات الآتية من هذا الشرق البعيد وكما تقول الدكتورة كونانت Dr. Conant، في كتابها القيم: النصبة الشرقية في إنجلترا في القرن الثامن عشر:

The Oriental Tale in England in the Eighteenth Century "These fantastically 'wild' and 'marvellous' stories of love and adventure, restless in plot, brilliant in setting and of exuberant colours, afforded the reader a congenial way of escape from the strict artistic rules of 'reason', order, and 'good sense'." وليس أدل على عمق الأثر الذي تركته حكايات ألف ليلة وليلة، في عقول قارئها من أن

عن أسطورة الملك آرثر ورد في كتاب :

Cambridge History of English Literature.

المجلد الأول ص : ٢١٤ .

"Pilgrimage and the Holy Wars (Crusades) introduced into Europe the spacious miracles of Arabian magic. Fairies and giants, flying dragons and enchanted palaces, were blended with the more simple fictions of the west."

والشهادة الأخرى ذكرتها الأستاذة

E. M. Butler في كتابها : The Myth

of the Magus في ص : ٢٨١ توضح أثر

كتاب ألف ليلة وليلة على من كانوا يكتبون

عن السحرا في إنجلترا خلال القرن الثامن عشر ،

فهي تقول : " Indeed some of the

description are clearly influenced by the Arabian Nights."

ولو قمضنا العدد الكبير من مجموعة هذه

القصص - ويبلغ السنتانة تقريباً - لوجدنا

جميع السمات الأدبية Literary motifs

المتصلة بموضوعات عالم الأرواح متنوعة

وأم هذه السمات التي استعارها واستغلها

الكتاب الأوروبيون هي الشيطان ،

وتحويل الأجساد إلى كائنات أخرى

والرحلات القليلة والنفوس ومصاص الدماء

Vampire magic، والسحر بجميع أنواعه ،

magic، sorcery and witchcraft.

دكتور محمد سمير عبد الحميد

أو قللت في الأدب الإنجليزي في الفترة

المذكورة في عنوان هذا البحث أي بين عام

١٧٧٥ - ١٨٢٥ وهذه هي الفترة التي تمت

فيها الحركة الرومانتيكية في الأدب الإنجليزي

الحديث .

وما هي أسماء بعض تلك القصص التي

استغلها الكتاب الإنجليزي بطرق شتى :

قصة فر الزمان وبدور

قصة الحصان المسحور

قصة عزيز وهريزة

قصة ملكة الحيات (الثعابين)

قصة أنس الوجود وبنت الوزير

قصة حسن البصري وبنت ملك الجان

قصة سيف الملك وبديع الجبال

قصة معروف الإسكافي

قصة حاتم طي .

قصة إبراهيم الموصل والديطان

قصة المفريت وبنت الملك ، وهي جزء

من قصة الجبال وسيدات بغداد الثلاث .

وأخيراً قصة إسحق الموصل وخليته

والديطان .

أما بخصوص أثر مصر الشرق كما تمثوره

قصص ألف ليلة وغيرها على ما كتبه

الكتاب الإنجليزي فيقتين لنا بوضوح إذا

ما أشرنا إلى شهادة المؤرخ الإنجليزي

المعروف Gibbon إذ يقول أثناء حديثه

بحث نقدي : إن وإذا ...

للاستاذ كامل السيد شاحين

٣ - رأينا في استعمالها

- يقوم هذا الرأي على ملاحظة أن (إن) وإذا (تستعملان على ضربين :
- فهما تارة يراد بهما التقرير من غير قصد إلى مقابلة أو إرادة تفصيل ؛ كقول عمه بن بعض يهجو بغيلا :
- إذا جنته في حاجة سد يابه
فلم تلقه إلا وأنت كهن
- لا يريد الشاعر التريث بين جيتك لهذا البغيل وعدم جيتك . . وإنما يريد أن يقرر حكما يترتب على جيتك إياه وكذلك قوله سبحانه :
- وإن جنحوا للسلم فاجنح لها . . لا يراد به سوى تعليق حكم هو الأمر بالميل إلى السلم على شرط هو جنوحهم إليها .
- ومما تارة يجيئان في موطن التفصيل والمقابلة ، كما نرى في قول العاهر :
- فإذا ساربروا أذلوا عزيزا
وإذا سالموا أهزوا ذليلا
- فهو يفصل فيسوق حكمتين يترتبان على أمرين متقابلين هما الحرب والسلام ، وكما نرى في قول الآخر يصف قوما بالذعر :
- فإن حلوا فليس لهم مقر
وإن رحلوا فليس لهم مفر
- فهو يفصل أمرهم في حلهم ، وفي ارتحالهم . ومثلها قول العباس بن الأحنف :
- إذا ماعصرنا الماء في فيه بجه
وإن نحن قاديئا ففهر بجيب
- وإن كان في التقابل ههنا نوع خفاء ، فهو في حال لا تسمح بتقبل الماء ، ولا تسمح بإجابة النداء .
- وأوضح منه قول البارودي :
- إذا اشتد أوري زئدة الحرب لفظه
وإن رق أزوي بالعقود فريده
- ولكل من الخالين ، حال القصد إلى التقرير ، وحال القصد إلى التفصيل والمقابلة حكم يخصه .

حكما في التقرير :

فإذا أريد بهما التقرير من غير تفصيل ، فإن إذا تستعمل في الأمر الحق ، كقوله سبحانه : إذا جاء نصر الله والفتح ... فسبح بحمد ربك .. وإذا قيل لم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، وإذا سمعوا النفر أمرهم أعتوه ، إذا السماء انشقت ، إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وكقول عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفطام لنا صبي

تخسر له الجبابر ساجدين
فجى نصر الله أمر محقق موعود به ونهى
اليهود عن الفساد أمر قد وقع ، وأمر اض
المؤمنين من نصر اللاجئين من المشركين ،
وانفقاق السماء ، وزلزال الأرض ، أمر
لا ريب فيه .

فأما قول عمرو بن كلثوم ، ففري فيه بلوغ
الفطام واقعا بعد إذا ، وهو كذلك أمر محقق
فإن الصبية لا يستدعيون على حال الرضاع .
وهذا النوع هو المقصود بما قرره سيبويه
في الكتاب ، وما قرره المبرد في المختضب ،
وقد قلنا قوليهما في مقالنا الأول .

وفي أمالي ابن الجعفي :

وإنما لم يجرموا ياذا في حالة السعة كما
جرموا يعني ، لأنه عاقب إن : من حيث
شرطوا أنه فيما لا بد من كونه ، كقولك :

إذا جاء الصيف سافرت ، وإذا انصرم الشتاء
قفلت . ولا نقول : إن جاء الصيف ، ولأن
انصرم الشتاء ... لأن الصيف لا بد من مجيئه
والشتاء لا بد من انصرامه .

وكذا لا نقول : إن جاء شعبان ، كما نقول
إذا جاء شعبان .

ونقول : إن جاء زيد لقيته ، فلا تقطع بمجيئه .
إن قلت : إذا جاء ، قطعت بمجيئه .

فلا عاقل (إذا) إن فيما تقتضيه من
الإيهام ، لم يجرموا بها في السنة . انتهى .

ومن هذا ترى أن سيبويه ومن تبعه وقفوا
عند التزام إذا في الأمر الحق ، ولم يزدوا ،
فالتفتية عندهم أنه إذا كان الشرط أمراً عققا
الموقع لإذا ولا سبيل إلى استعمال إن .

وسيبويه ومن تبعه لم يمنعوا استعمال إذا
في الأمر الذي لا يقصد به تحقق ولا شك ،
ولم يمنعوا استعمالها في الحالات .

ولذلك لم يتخرج الشعراء من استعمالها
حيث يراد مطلق التحليق بلا قصد إلى تحقيق
كما في قول بهاء

إذا الملك الجبار صر نحوه

مشينا إليه بالسيوف فتابه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى

ظلمت وأى الناس تصفو محاربة
إذا كنت في كل الأمور ماتباً

صديقك لم تلق الذي لا تمانيه

(إذا جاءتهم الحسنة . . . وإن نصبهم سيئة) .

(إذا رأيتهم تصحبك أجسامهم . . . وإن يقولوا تسمع لقولهم) .

وقول جميل :

إذا قلت : ما بي بأبيئة قاتل
من الحب ، قالت : ثابت ويزيد

وإن قلت : ودي بعض قتل أعش به
مع الناس ، قالت : ذاك منك بعيد

على أن المقابلة في هذا خفية ، وهي
على الجملة محاولة للاسحقاء والتعطف ،

تقابل محاولة أخرى للإسحقاء والتعطف .
ومثله قول العباس السابق :

إذا ما عصرتنا الماء في فيه به
وإن نحن نادينا فغير يجب

فقد قابل بين محاولة الإسحاق ، ومحاولة
الإطعام .

وأظهر منه في المقابلة قول الجارم :

إذا صال فالدنيا بحر رماح
وإن قال فالإيام عين وصح

لا معنى لكلمة (عين) هنا . وقد قابل
بين الصيال الذي يكون في الحرب ، والقول

الذي يكون في الأندية والمجالس السامة ،
فهو امتداح بالدجاجة والفصاحة ونفاذ

الكلمة وعلى معناه :

إذا ركبوا دينة الموكبين
وإن جلسوا دينة المجلس

فكل بصير يسقين له أن بشاراً وإنما قصد
إلى مجرد التعليل ، ولم يخطر بباله تحقق ما بعد

إذا من الشروط ، وإنما همه إلى مجرد تعليل
الجواب بالشروط .

ولم يتخرجوا من احتمال إن حيث يراد
مطلق التعليل من غير قصد إلى تحقيق ، كما

في قول أبي الطيب :

فإن تلك في قسبر فإنك في الحشى
وإن تلك طفلاً فالأسى ليس بالطميل

شرط (إن) أمر لا شك فيه ، ولكن
الظاهر لا تعنيه هنا قضية التلك والتحقيق ،

وإنما همه مطلق الربط بين جواب وشرط .
وجه الأمر :

أن الأمر المحقق الواقع لا محالة تلزم
معه إذا .

وأن الأمر الذي لا يقصد معه إلى تحقيق
أو شك تستعمل معه إذا ، وقد تستعمل

معه إن .

حكمها في التفصيل :

وإذا قد عرفت حكم إن وإذا مع الأمر
الذي لا يراد به تفصيل ومقابلة ، فإننا ندرك

على حكمهما مع الأمر الذي يراد تفصيله ،
ومقابلة حال منه بحال أخرى . لقد جرى

استعمال العرب لمائتين الاديان على أوجه
ثلاثة :

الوجه الأول ، وهو أشيعها وأغناها
أن تبدأ إذا ، وتقابل بإن ، كقوله تعالى :

إذا تقرر هذا .. وهو أن العرب جرت ،
في أكثر مقالمها ، على أنها تبدأ بإذا ، وتقابل
يان ، وأن ليس الأمر أمر شك ولا تحقيق ،
ولا تنزيل لواحد منهما منزلة الآخر ، فإن
قوله سبحانه (وإذا جاءتهم الحسنة . . .)
وإن تصبهم سيئة (من هذا الوادي ،
ولا حاجة للجد المرحم الذي ركب العلامة
الزخشرى ، ثم لم يصل بده إلى غاية . ولا حاجة
بنا إلى دمع الخطأ في قول عبد الرحمن
ابن حسان :

إذا هي حشته على الخير مرة
عصاها ، وإن همت بشر أطاها
فهو ليس في شيء من أمر الهلك والتحقيق ،
وإنما يريد مجرد التعليق هنا وهنا ، فلما بدأ
بإذا ، قابل يان ، على الطريقة الفاشية
عند العرب .

على أنه ليس من المقبول أن نحكم قاعدة
يصطنعها العلماء في آثار الأدباء ، فإن أذواق
الأدباء هي المحكمة في القبول والرفض ، وفي
الصحة والصواب ، وليست قواعد العلماء .
والزخشرى عالم جريء ، وتلك من عجائب
جرائمه .

الوجه الثاني : أن تبدأ بإذا ، وتقابل
بإذا كذلك ، وهذه الطريقة دون السابقة
فشوا ، وعليها جاء قوله سبحانه : (وإذا أنصنا
على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه
الشرف فذود دعاءه هريص)

فلم يقصد إلى تحقق أو شك ببل الفرض
وقوع الجواب عند وقوع الشرط ، ودليلنا
على ذلك أنه استعمل إن مع الشر في الآية
الآخرى (وإذا أنصنا على الإنسان أعرض
ونأى بجانبه وإن مسه الشرف فثبوس قنوط)
فلو كان القصد إلى الشك والتحقق ما جازت
المبادلة بين إن وإذا في الآيتين .

ومن المقابلة فإذا قول عنترة :
وإذا شربت فإني مستهلك
طال ، وعرضى وأفر لم يسكلم
وإذا صحت فإني أصغر من ندى
وكما طلت شمالي وتكرى
وقول النابغة في المنجدة :

وإذا طعنت طعنت في مستهدف
راني الجسة بالبير مفرسد
وإذا نذعت نذعت عن مستهدف
نزع الخروز بالرشاء المصد
وقول المرقش :

فإذا شربت فإني
رب الخووق والسدير
وإذا صحت فإني
رب الشوية والبحير
وقول الآخر :

وإذا تكون كريمة أدعى لها
وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
ومن قصص الحديث قول شوقي :

وإذا أراد نفسه ، كاء قال : أطلق صليبا
في أبرز مكان (بين المئين) ولا أبالي أحدا ،
ولا استر بقصرى .

فأما أن تبدأ يان وتقابل ياذا فهذا
ما لم أشر عليه فيما قرأت من الشعر القديم ،
وإن كنت قد رأيت هذه المقابلة لداهرين
محدثين مهجريين ، فأبو ماضي يقول :

إن نأح فالأرواح في عهده
وإذا شهدا فالحب في نفثاته
وصيدح يقول :

هو إن ذكرت الشعر من أمراه

وإذا ذكرت المجد فهو صامى
والمهجريون لا يستنكفون من الانحراف
عن النجى القوى ، وربما اتخذوا الخطأ
قاعدة ، ومنهم من هو الإبانة عن القصور
ليس غير ، ثم يرمون بالكلام لا يزالون
كيف وقع .

على أن هذا الوجه من ناحية التماس
مشروع ، فهو تعليق يقابل تعليقا ولا فرق
في العقل بين أن تبدأ ياذا وتقابل يان ،
وبين أن تبدأ يان وتقابل ياذا .

أما من ناحية الرواية فلا ، حتى يأتي من
يرشدنا إلى شيء جاء عن العرب على هذا النوع .
والله ولي التوفيق .

أمل السير شافعي

فإذا تنكر فالنساء سبيله
وإذا عفا منطأؤه الأعمار
وقول أبي الفضل الوليد من شعراء المهجر :

أهوى الحديث عن الحرات مثلا
أهوى عبه الزهر من وادينا
فإذا تلافينا أذوب تمغضا
وإذا تناءشنا أذوب حنينا
وظاهر أن الشاهد في البيت الثاني .

الوجه الثالث : أن تبدأ يان وتقابل يان ،
وهذا قليل . وعليه قول الخنسي :

فلئن هفت لأعفون جلا
ولئن سطوت لأوهن عظمى
وقول كثير بن عبد الرحمن :

وددت ، وما تنفى الرودة ، أنى
بما في ضمير الحاجية عالم
فإن كان خيرا سرق ما علمته
وإن كنت شرالم تلتنى القوائم
وقول خنيد مولى العباس بن محمد :

أطعت الأميرك بصرم حبلى
مرجهم في أحبتهم بذاك
فإن هم طاوروك فطاورهم

وإن حاصوك فاعصى من حاصك
وما ينسب لخالد بن يزيد وهو يذكر حبه
لوجه ومرة بنت الزبير :

فإن تسلى أسلم ، وإن تنصرى
يعلق رجال بين أميهم حليبا

الحرية الفردية في الإسلام

للأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم مهنا

- ٣ -

حرية الرأي

أما حرية الفرد في إبداء رأيه والاعتراض على ما لا تستريح إليه نفسه ، فإن مكانتها في الإسلام لا تقل عن مكانة الحرية في العقيدة ولا الحرية في التصرف والعمل ، ويمكن الإحلام نظراً أن جعل من أظهر صفات المؤمن أن يجهز برأيه ولا تأخذه في الحق لومة لائم ، وتاريخ الإسلام في هذا الباب مليء بالأحداث التي ستظل حية خالدة تنادي بتفديسه لحرية الرأي في مداها

ففي القرآن الكريم قرأ قول الله تبارك وتعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتفتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير » (١) وهو تسجيل لأدوار ما عرف في تشييع حرية الرأي وتقديمها ؛ لأنها امرأة وجدت نفسها في حيرة مظلة ، واضطراب شامل ، بسبب كلفة قائمها زوجها وتعارف العرب قبل الإسلام على أنها تحرم المرأة على زوجها إلى الأبد ، فتذهب إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تنس منه حلالاً لمعضلتها ، ولكن الرسول - وهو الأمين على وحيه - رد عليها بما لم

يشف غلتها ، وبالرغم من منزلته عليه الصلاة والسلام فإنها لم تستسلم ، وإنما أخذت تجادله وتحاوره ، وتحاول أن تبرهن على صحة رأيها ، وتضرع إلى الله على زوجها ويرجدها مخرجاً من ضيقها ، فيسمع الله لها ، ويقبل منها شكاتها ، وينزل في قرآنه ما يحل مشكلتها ويفرج كربتها ، ويسجل قصتها في كتابه الخالد لتظل دليلاً حياً على احترام دينه الخفيف لحرية الرأي .

ونقرأ في أسباب نزول القرآن أن آيات العنان كانت ثمرة أخرى من ثمرات الحرية الشاملة في إبداء الرأي ؛ فقد روى بعض المسلمين زوجته بالزنا ، ولم يكن له شاهد إلا نفسه ، فطالبه رسول الله بإقامة البينة أو يحيم عليه حد النكف تنفيذاً لقول الله تبارك وتعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون » (٢) فراجع الرجل رسول الله وقال : أرى الواحد منا زوجته تزني ثم يتركها ويتطلق بلمس يمينه ؟

وما زال الجدل بينه وبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حتى نزل قوله تعالى : « والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم

عظمة الحاكم المسلم وشجاعة المرأة صاحبة
الرأى الحر .

وما يذكر للإسلام بالفتن أنه لم يكمل
حرية الرأى في الشؤون المدنية فقط ، وإنما
كفلاً كذلك وطالب بها في الأمور الدينية ،
وكلنا نعرف إباحة الاجتهاد لكل من
تسكلمت عنده شروطه . وليس هناك أبداً
في تقديس حرية الرأى من أن يؤجر المجتهد
حتى ولو أخطأ ، يقول الرسول صلوات الله
وسلامه عليه : لا يجتهد أجمع إن أخطأ ، فإن
أصاب فله أجران .

حدود الحرية الشخصية في الإسلام :

بني أن تقول : إن الحرية الشخصية التي
يقدسها الإسلام وبدعو إليها في العقيدة
والفكر والتصرف ليست الحرية المطلقة
المحطمة التي لا حدود لها ولا ضابط ، وإنما هي
الحرية المقيدة المنظمة التي يمكن لكل فرد
أن يستمتع بها دون ائتمار من حقوق
الآخرين ، إذ الإسلام ، وإن قيم الفرد على أنه
حقيقة مستقلة : إلا أنه لم يغفل وجود حقائق
أخرى تتعلق به وتمثل في أفراد الجماعة
الذين يشاركونه في مجال الحياة المشترك .

فإذا كان الإسلام قد أقر الحرية في
العقيدة ، ومنح كل فرد حق اختيار دينه
وحق الدعوة إليه ، فإنه في الوقت نفسه حرم
استعمال القوة لإكراه الغير على اعتناق الدين
بل أوجب قتال من يريد أن يفرض الناس عن
دينهم بهذه الوسيلة ، يقول الله تبارك وتعالى :

شهداء ، إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع
شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسة
أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .
ويدور عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات
بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب
الله عليها إن كان من الصادقين . (١١)

ويخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه
أول مرة بعد أن بايعه المسلمون خليفة
لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيطالب
مستمعيه بأن يكونوا أحراراً في إبداء آرائهم
فيه ويقول : « أيها الناس قد وليت عليكم ،
ولست بعصمكم ، فإن رأيتموني على حق
فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدوني ،
الصدق أمانة ، والكذب خيانة » ،

ويحذر عمر بن الخطاب حذو سلفه رضوان
الله عليهما فيخطب الناس ويقول : « ألا إن
دأيت في أهواجا فقوموه » .

وتحدثنا كتب التاريخ الإسلامي أن عمر
ابن الخطاب رأى تعالى الناس في مهود النساء
فخطب فيهم وأراد أن يمنع حدا لها لا يباح
تجاوزها ، ولكن امرأة دعت على أمير
المؤمنين ، وهو لا يزال في موقفه ، وقالت : كيف
تحدد المهور والله سبحانه يقول : « وآتيت
إحساناً قطارا » (١٢) فراجع عمر عن رأيه
ويقول في الطعنات وغفر : « أصابت امرأة ،
وأخطأ عمر » ، ويقف التاريخ حينئذ ليسجل

(١) ٢٩ و ٢٠ - ١

(٢) النساء ٢

«وفاؤهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله» (١) وكذلك حرم الإسلام التطاول على آلهة الغير وإن كانت كاذبة لأنه سيؤدي إلى التطاول على الله سبحانه ، والشرب بالشر ، والبيادى أعظم ، يقول الله سبحانه : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم» (٢) .

ونجد في تشريعات الإسلام كلها تعديدا للحرية الفردية في تصرفاته بحيث لا يكون أداة للأضرار بنفسه أو بغيره ، فللإنسان أن يسمي في أرض الله ويبتنى الرمح ، ولكن بالوسائل المشروعة التي لا تؤذي المجتمع ، ومن هنا كان تحريم الربا والقتار واحتكار أفرات الناس ، بل ذهب الإسلام أبعد من هذا في محاولة منع الضرر ، فإن البيع الذي أحله الله وقال فيه : «وأحل الله البيع» (٣) أوجب منه في الوقت نفسه ألا يستخدم في الإضرار بالغير وإلا كان باطلا ووجب فسخه كما في حال الأثفة أو حال الضرر .

وأعطى الإسلام للفرد حرية التصرف فيما ورثه الله من مال وثروة ، ولكن بشرط ألا يتعدى الحدود الفاصلة بين الإنسان العاقل والإنسان السفه ، ، فإن فعل وجب تعطيل نفسه الله عليه وبحسب الحرية التي منحها فلم يحسن استخدامها ، يقول الله تعالى : «ولا

توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما . . .» (٤) وبالرغم من أن الإسلام قد دعا إلى البر ، وأثاب على الصدقة ، فقد حدد حرية المتصدق لحرما فيما يزيد على ثلث ماله لما في ذلك من إضرار بالوارث .

وإذا كان «الطلاق» مباحا لاجل عندما يستصعب العلاج ويصعب الجمع بين الزوجين مصدر قلق واضطراب ، فقد أوجب الإسلام على الزوج أن يوقع الطلاق بحيث لا يصيب الزوجة منه ضرر بطول عدتها ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : «يأمر الله إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة وانقروا الله ربكم . . .» (٥) ، فإذا وقع الطلاق وكان وجعيا ، فليس الزوج أن يستخدم حقه في إرجاع زوجته للإضرار بها ، فإن فعل فهو ظالم لنفسه ، وذلك مصداق قوله عز وجل : «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكنهن بمعروف ، أو سرحوهن بمعروف ، ولا تحسبن من ضرارا تنعدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه» (٦) .

وهكذا نجد الإسلام يبيح للفرد أن يتصرف في دائرة ملكه بشرط أن يحقق قول رسول الله الجامع «لا ضرر ولا ضرار» ،

أحمد إبراهيم

(١) النساء . ٥٥ (٢) الطلاق ١ .

(٣) البقرة ٢٧١ .

(١) البقرة ١٩٣ .

(٢) الأنعام ١٠٨ . (٣) البقرة ٢٧٥ .

البطل المسلم للأستاذ حسن مجاد

• أقامت جامعة الأزهر يوم الثلاثاء ٣١ مايو ١٩٦٦ حفلا كبيرا لتكريم البطل العالمي المسلم (محمد علي كلاي) ، أقيمت فيه هذه القصيدة التي كان يهز لموسيقاها المصرية ، حتى طلب أن تترجم له معانيها ؛ وقال في خطبته : لقد تأثرت بهذه القصيدة تأثرا بالغا ، وشمرت بأني مسئول عن البطولة التي أشرف بحملها أمام هذه المواطف ، .

| | |
|------------------------------|----------------------------------|
| بنف الكنانى العتيق تسمى | وتمرسى وجه الكفى المعلم |
| يا كعبة الإسلام شاكك مسلم | بطل على طول المدى لم يهزم |
| أعرفته ؟ هذا (كلاي) صاقي | فيه اعتزاز المسلمين ، وحلى |
| أهلا (محمد) بين شعب هانم | لك بالقلوب حبة قبل الغم |
| قدر البطولة في الرياضة بعدما | عرف البطولة في الرئيس الملمم |
| يلتف حولك في الزوال مهاجرا | تطوى الأثر على القلوب المحرم |
| راحت بطولك الشعوب وتوجعت | بالفخر عامة كل شعب مسلم |
| في الشرق والغرب استطاد دويها | وطوى الجواء فز مع الأنجم |
| قل لي بربك : أى بأس نحوى ؟ | ولأى جفص في الضراغم تقتنى ؟ |
| وبأى ظفر في الفريسة ناشب | تصمى فلا يرتد إلا بالدم ؟ |
| ماسر قوتك التي تقي القوى | في الساعد المفقول أم في المعصم ؟ |
| قلت من الفولاذ قبضتك التي | ترى بها الخصم الصيد فيرتنى |
| تقتض صاحبة ، وأنا حاسفا | طوى ، وتلد تارة كالصنم |

خيبت آمال الملوك وظنهم
 وصرعت أبطال الصدام فتوددوا
 لأذوا بمخلوق ، ولدت بقاتل
 من غره جاء الملوك وريفه
 يا قاهر الأبطال حسبك عصمة
 من كان يجمع بين قوة وروح
 أطلقت بالإسلام صيحة مؤمن
 وحملت مشقة فتح ضياؤه
 دين المساواة الذي لم يصترف
 للسود مثل البيض : كل إخوة
 متكافون فلا تباين بينهم
 دين السلام الحق فهم ملثم
 قتلوه أطعما والجور قاتل
 أصدع بدينك يا محمد بينهم
 أقبح بمنطقه القويم ، فمن أبى
 من ليس تقنمه الحقيقة منطقا

• • •

مرسى نبي الإسلام حق باسمه
 حيثك جامعة نعاما منجب
 دم ظافر السكات جبار الخطا
 نصرا حليفك دائما ، وتقدم
 حرم الزمان وعزوه لم يهرم
 واسحق بها شوك المكائد ، واسلم

صه جاد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
 جامعة الأزهر

(١) هذه الأيات إشارة إلى تدجين ملوك الغرب لحصوم كلتي الدين سرهم معتزا بالله وحده

عاشد من الفلبين

للأستاذ محمد زيتون

الاحتفالات الدينية عند المسلمين

- ٢ -

الإسلامية والهيئات والمدارس الحكومية فإذا حل يوم المولد زينت المدينة بالأعلام والزيات الكبريات واجتمع الناس من كل الهيئات وحضر التلاميذ ومدرسون حتى من القرى في ثيابهم البيضاء ومعهم لافتات تحمل أسماء مدارسهم ونماذج وزخارف ترمز إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون هناك لجنة تحكم لكي تبين أي التنازع أحسن في هذا المهرجان كما يرتدى التلاميذ ملابسهم الوطنية البراقة، ويقوم الجميع باستعراض كبير حول المدينة ومعهم الموسيقى ليظهروا فرحهم وسرورهم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ما انتهوا من السير

في الفوارع الرئيسية في المدينة اجتمع المحتفلون في الميدان الكبير الذي يتصدره صرح كبير ووقفوا في الميدان حيث تلقى بعد ذلك الخطب والمواظد الدينية التي تكون عادة مفاضة على الأهواء من الإذاعات المحلية المنتشرة في محافظات الفلبين. كما يتحدث الحكام المسلمون والعلماء إلى الناس ذاكرين مآثر النبي صلى الله عليه وسلم وسهرته العطرة والغرض من الاحتفال به، وبينون ماظم به في سبيل

وهم أن المسلمين أقلية في الفلبين، وأنهم في المحيط الهادي بعيدون عن موطن الإسلام الأصل في الجزيرة العربية إلا أنهم يعتزون بدينهم الإسلامي ويضخون به ويحاولون المحافظة على مظاهره بقدر استطاعتهم وفهمهم ويظهر ذلك جلياً في مظاهر احتفالهم الدينية وتبنيهم للتاريخ الهجري والتقويم العربي الذي تقبته هذه الاحتفالات، وإن كان في احتفالهم بعض المظاهر الخارجية عن الإسلام أو الفهم الخاطئ لبعض تفاصيله الصفة وقد بذلنا جهداً لإزالتها، من ذلك :

١ - مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

إن المدارس العربية الأهلية بين المسلمين في الفلبين تتبع التقويم العربي فتبتدي الدراسة فيها بعد عيد الأضحى ولذلك تكون إجازة نصف السنة عتدم بعد الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون يبنون أقصى جهدهم في الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ويكون الاحتفال على مستوى المحافظة، ويشارك في الاحتفال جميع المدارس العربية حتى من القرى والجبال وكل الجماعات

٢ - ذكرى الإسراء والمعراج :

إن من الأشياء العجيبة التي تبهير الإنسان وتقول على لبه من بين الاحتفالات الدينية في الفلجيين الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج حيث يبدأ الاستعداد لهذه الذكرى المعطرة قبل ميسادها بموالي شهرين فيختار ما يقرب من ثمانين تلميذا وتلميذة ثم تقسم قصة الإسراء والمعراج في كتابها البالغ أربعين صفحة من الحجم المتوسط على نصف العدد المختار حيث يحفظ كل تلميذ، من ظهر قلب، الجزء الخاص به، باللغة العربية، وعلى النصف الآخر من التلاميذ أن يحفظ الترجمة باللغة المحلية ويشترن التلاميذ على ذلك حتى يستطيع كل تلميذ أن يلقى الجزء الخاص به بدون خطأ فإذا حل ميعاد الإسراء والمعراج زينت المدينة بالأعلام والورد وأغصان الشجر وبخاصة في الميدان الكبير حيث يقام الاحتفال كما يتدفق الناس من القرى والجبال والقفاباد ويحضر تلاميذ المدارس من شتى القرى لكي يشتركوا جميعاً في الاستعراض الذي يقام في المدينة لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج وكثيراً ما تقدم كل مدرسة نموذجاً رمزياً عن ذكرى الإسراء والمعراج ثم يمر الاستعراض حول المدينة وفيه حلقة الناس من الرجال والنساء ورجال الدين وتلاميذ وتلميذات المدارس، وهم في زيهم الرسمي وأمامهم وخلفهم الموصيق تصدح ابتهاجاً بهذه الذكرى

الإسلام والمسلمين كما أنهم يتعدون الأناشيد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويقرءون القرآن في هذه الاحتفالات. وفي بعض المدن شاع استعراضاً ليلياً بالشمل المضيئة تعطف كل المدينة قام بهذا الاستعراض تلاميذ المدارس ابتهاجاً بهذه الليلة المباركة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يستمر الاحتفال أحياناً ثلاث ليال وغالباً ما يكون هناك مسابقة في قراءة القرآن وترتيلة لمرفة أحسن القارئ للقرآن الكريم وهم يهتمون بهذه المسابقة ويمتلئ الميدان الفصح بالقادمين لأجل مشاهدة المسابقة وسامع المتسابقين ويظهر مدى اهتمامهم بتسجيلهم لأصوات القارئ على أجهزة التسجيل كما أنهم يقدمون الطعام والشراب الذي يصنعونه خاصة في أيام المولد النبوي لإظهار البهجة والسرور كما يكثرون من الصدقة، ويشارك أهل القرى أهل المدينة في الاحتفال. وبعد احتفال أهل المدينة يبدأ أهل القرى في الاحتفال بالمولد في قراهم وهم بدورهم يذهبون أهل المدن والقرى الأخرى لمشاركتهم في الاحتفال بالمولد النبوي ويتكرر الاحتفال في قرية بعد أخرى وهكذا حتى إنه قد يستمر الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم طوال شهر ربيع الأول في أماكن مختلفة من بلاد المسلمين وقراءهم وهم فرحون بذلك لأنهم بهذه الاحتفالات يظهر ون جهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

اللاتي لا يذهبن إلى المساجد وفضلن الصلاة في البيوت ، وبعد صلاة التراويح تقدم في البيوت القهوة والشاي والكمك ، وفي بعض المساجد يقدم الناس الطعام عند غروب الشمس للصائمين كما تلقى النصارى الدينية في المساجد بين المغرب والعشاء أو يقرأ القرآن ، وهم يهتدون كثيرا بلبلة الصائغ والمشرين من شهر رمضان لانهم يرجعون أنها ليلة القدر ولذلك يكثرثون فيها من الصدقة وإطعام الطعام وتقديم الجيران .

٤ - عيد الفطر وعيد الأضى :

وفي أيام العيدين يتفنن الناس في التمتع بهما وفي إظهار السرور والابتهاج بهما ، ولذلك يزين كثير من الناس بيوتهم بالثريات الكهربائية وبالاعلام كما يقدم الناس من أماكن بعيدة لكي يشاركوا أهل المدينة في صلاة العيد حتى إن الشوارع تمتلئ بالمصلين خارج المسجد وبعد الصلاة يقبل الناس لكي يهنئوا الإمام بالعيد ، ومن العمادات القيمة في احتفالهم بالعيد انتشار القمار بشكل واسع في أيام الأعياد بين الكبار والصغار حتى تكاد لا ترى مكانا غالبا من شبان يلعبون القمار ، فإذا جن الليل انتقلت الإذاعة إلى الميدان الكبير حيث يجتمع الناس لسماع النوايح الدينية من العلماء والرؤساء . وحيث يقضون ليالي بهيجة مملوءة بالأنشيد والأغاني

الكرمية ، وبعد الاستعراض يجتمع المحتفلون في الميدان الكبير حيث تلقى النوايح الدينية والخطب الحسنية وبعد صلاة العشاء يبدأ التلاميذ في إلقاء قصة الاسراء والمعراج يلقي تلميذ جزءا باللغة العربية ثم يأتي بعده آخر ويلقي المثنى باللغة لهجية والناس في غاية الفرح والسرور وهم دائما يذيعون هذا الاحتفال الذي يستمر إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل والتلاميذ وذوهم وحق الناس في بيوتهم ينصتون إلى المذيع مشاركون الاحتفال بهذه الذكرى الدينية الكريمة ، وبشكر الاحتفال ليالي عدة في أماكن مختلفة من الجزيرة الواحدة

٣ - رمضان وليلة القدر :

بما يهتم به الناس كثيرا في القليلين شهر رمضان المبارك ففي آخر يوم من شهر شعبان يذهب الرجال والنساء والصغار والكبار إلى البحيرة أو البحر أو النهر لكي يغتسلوا فيه استعدادا لاستقبال هذا الشهر الكريم ، كما أنهم يحافظون على الصلاة في شهر رمضان وتقص المساجد بالمصلين رجالا ونساء من طلبة الشعب وعاصمتهم فيكون بينهم أعضاء مجلس النواب والمحافظ والعمدة وبخاصة في صلاة العشاء والتراويح حيث تزدان المساجد بالثريات الكهربائية كما تقام صلاة الجماعة للسيدات في كثير من البيوت ، وغالبا ما يحضر هذه الجماعات تلميذات المدارس

٦ - الأرباء الأخير من شهر صفر

ودفع البلاء :

عندما يأتي الأرباء الأخير من شهر صفر يستعد الناس فيه للذهاب إلى البحر الصغار والكبار والرجال والنساء تذهب كل أسرة ومعها الطعام الكثير الذي أعدوه لذلك اليوم وتفننوا فيه حتى أن بعضهم يذبح الغنم أو يأخذ حذا وفيرا من السمك والسمك ، ويصور البحر غاصا بالناس في أماكن كثيرة حيث يأتي الناس من المدن والقرى والجبال للاغتسال في البحر .

ولماذا ؟ يقولون : لدفع البلاء في يوم الأرباء الأخير من صفر لأنه - عندما - يوم نحس . فيحضرون إلى البحر ويحضر معهم أئمتهم الذين يؤمونهم الصلاة في مساجدهم المنتشرة في كل قرية وهم يسمونهم (العلماء) وإن كان كل عسولم من العلم أنهم يستطيعون قراءة بعض آيات من القرآن أو يأخذون الإمامة بالوراثة .

فإذا انقضى اليوم رجع الجميع إلى ديارهم وهم فرحون مسرورون لأن البلاء دفع عنهم إلى العام القادم ، وقد يتألم خطأ هذا الاعتقاد وبعدة عن الإسلام وتعاليمه الواضحة البعيدة عن أمثال هذه الخرافات .

محمد بن عبد الله

بمع البحوث الإسلامية

الوطنية والدينية كما يقوم البعض بتقديم رقصاتهم الوطنية للرحمة ، التي تطرحهم وتقول على ألباهم فيتصف الليل وممازون ينصتون إلى أغانيهم وأمازيهم وينصتون بالنظر إلى رقصاتهم الوطنية ، وبمناسبة الاحتفال بعيد الأضحي لا نستطيع أن ننسى الاحتفال باستقبالهم القادم من الحجاز بعد أداء فريضة الحج حيث يستقبل في الميناء الجوي أو البحري استقبالا باهرا .

٥ - يوم عاشوراء :

وحسب التقويم العربي نجد الاحتفال بيوم عاشوراء في العاشر من المحرم حيث يصمون فيه الطعام النهي الكثير الذي يدعى إليه الناس كما يصوم بعضهم في هذا اليوم ، إلا أنهم يزعمون أن أرواح الأموات تنزل في هذا اليوم إلى الأرض وتزور أهلها في الدنيا .

كما أنهم يطمعون كل من يزورهم في هذا اليوم ويغضبون إذا لم يأكل الزائر من طعامهم ، وقد سمعت أن كل أسرة تعطي الماء لمن يجاورها ؛ لأنهم يذكرون مقتل الحسين ابن علي رضي الله عنه ومنع أعدائه الماء عنه حين قتل ، ولذلك هم يهدون الماء الجيران تذكرا بهذا اليوم الذي قتل فيه الحسين .

التعليم الإسلامى فى إفريقيا دور النشأة والازدهار

لداستان محمد جمال عباس

- ٣ -

العهد الاستعمارى :

تكوين عائلتك وحدت فى نظامها سياسات شاسعة من غرب إفريقيا ، وقد استطاعت هذه الممالك تحت قيادة زعمائها وحلفائها من الوقوف زمناً فى وجه التوغل الاستعمارى فقد نجح الحاج عمر فى أحال النيجر والسنغال وغينيا فى مقاومة الاستعمار الفرنسى زمناً حتى استطاع الفرنسيون بسط نفوذهم على تلك المناطق باستخدام كل وسائل القوة والحيلانات ، كما وقف بعض خلفاء مثان دن فديرو فى شمال نيجيريا فى وجه توغل النفوذ البريطانى إلى الشمال حتى أواخر القرن التاسع عشر ، واستطاع كذلك ملوك ادموا فى الكرون من مقاومة الاستعمار الألمانى الطامع فى بلادهم .

وبينا كان هذا يحدث فى الغرب كان محمد بن عبد الله حسن الذى أطلق عليه الإنجليز اسم الملا الجنون يقاوم الاستعمار البريطانى والإيطالى فى الصومال ، وكان سلاطين زنجبار يحاولون بالطرق السلبية الاحتفاظ بكيانهم السياسى فى ساحل شرق إفريقيا .

ولقد أدرك المستعمرون منذ اللحظة الأولى لاحتكاكهم مع المسلمين فى إفريقيا أن الإسلام

تناولنا فى المقال السابق أوضاع التعليم فى الفترة التى أعقبت التدمير الذى أصاب الممالك الإسلامية فى إفريقيا ، وعرفنا كيف أن الطرق الصوفية كانت بمثابة صخرة إسلامية أوتبط بها اهتمام بالتعليم ساعد على المحافظة على كيان الإسلام ، وأعاد إليه دفسته التى جففت بانهار الممالك الإسلامية الكبرى وبخاصة فى غرب إفريقيا ، وقد أعقب عصر سيادة الطرق الصوفية فى الحياة الإفريقية عصر الاستعمار الذى استمر من أواخر القرن الثامن عشر حتى بداية العقد السادس من هذا القرن حينما حصلت الدول الإفريقية على استقلالها تسليماً ، ولقد مر التعليم الإسلامى فى هذا العهد بتطورات جديدة ، فى موضوع دراستنا فى هذا المقال .

الصدام مع الاستعمار :

بينما كان الاستعمار يتقدم إلى قلب القاهرة بعد أن نجح فى توسيع قواعده الساحلية ، كانت الجماعات الإسلامية فى الداخل تجمع قواها وتمكن بعض زعماء (القولانى) من

معتقداتهم الأصلية - على المسيحية بالسهولة واليسر الذى كانوا يقبلون به على الإسلام ، وجهوا جهود المبشرين إلى التعليم والحضارة الصحية والاجتماعية ليتجمع حولهم أكبر عدد منهم ، غير أن هذه الوسيلة لم تنجح فى أول الأمر بما ألجأهم إلى استخدام وسيلة القوة العسكرية لبسط نفوذهم .

ومنذ أن بسط المستعمرون نفوذهم على القارة وتقسّموا أوطانها نهائياً بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ بدأ الصراع الثقافى بدخول مرحلة جديدة يهدف فيها الاستعماريون إلى وقف تيار الثقافة العربية والإسلامية لإخلاء السبيل لثقافتهم واتبعوا لذلك مختلف الوسائل .

وجهات السياسة الاستعمارية :

ولقد اختلفت السياسة التى اتبناها الفرنسيون إزاء التعليم الإسلامى والثقافة العربية عن سياسة الإنجليز فبينما اتبع الفرنسيون سياسة المحاربة المباشرة اتبع الإنجليز سياسة تدريجية .

وهناك عاملان هامان وجهتا السياسة الفرنسية إزاء التعليم الإسلامى فى إفريقيا هما :
(١) المقاومة العنيفة التى لاقاها الفرنسيون من الجماعات الإسلامية فى أنحاء غرب إفريقيا ، أدت إلى إصابتهم بنوع من الخوف الشديد دفع بهم إلى تشديد التنكيل على المسلمين فى مستعمراتهم .

(٢) الفروغ الثقافى الذى يميز العقيدة

هو أكبر خطر على كيانهم الاستعمارى فى القارة ، ومن ثم اتبعوا مختلف الوسائل لمحاربته . ولما كان الإسلام نظاماً يقوم على أساس ثقافة رفيعة مصدرها القرآن وثقافتها العربية فقد رأى المستعمرون أن خير وسيلة لإضعاف كيان الإسلام هى حرب الثقافة والتعليم . وقد اتفق المستعمرون على هذا المفهوم وإن كانوا قد اختلفوا فى سياساتهم إزاء الثقافة العربية والإسلامية وقطبيتهم لهذه السياسة .
التبشير والتعليم التبشيرى :

وكانت أول وسيلة اتبناها المستعمرون هى محاربة الإسلام بالمسيحية ، فأرسلوا البعثات التبشيرية مزودة بتعاليم الاستعمار والفسطاط الأجنبية متجردة من طبيعة التسامح التى تميز المسيحية . واستطاع المبشرون شراء عقائد بعض الذين استأجروهم من الإفريقيين وتعلموا منهم لغتهم واتخذوا من هذه اللغات وسيلة لجذب الإفريقيين حولهم ، وكان الإفريقيون الذين لم يدخلوا الإسلام يعيشون فى فراغ روحي يتطلعون إلى عقيدة واضحة تنظم لهم حياتهم الروحية فأقبل البعض من خدعهم المبشرون بالمال والتعليم ومظاهر الحضارة على المسيحية فتكونت لدى المستعمرين الأدوات الثقافية الأولى التى فى يدهم اتخذوا بها المبشرين من أبناء القبائل . ولما لم يجدوا فى مجرد الدين وسيلة ناجحة لكسب الولاء ، وحينما أدركوا أن الإفريقيين لا يقبلون - بلجهم وبمحكم

٢ - استغلال الخلاقات المنهجية في الإسلام لحلق نوع من الفرة بين المسلمين حتى في ميدان التعليم وظهر هذا العنصر بوجه خاص في شرق إفريقيا حيث استغلوا عنود قربة وصلات الهند بهذه المنطقة من إفريقيا عبر المحيط الهندي لتشجيع انتقال الأحدية القادبانة والاسمايلية إلى هذه البتة، وتشجيع هاتين الطائفتين على إقامة نقاط تعليمي وثقافي يؤدي إلى التحدد المذهبي واشتداد المنافسة لكي يتمكنوا في وسط هذا الصراع من فترمة قتهم وبسط نفوذهم، ثم شجروا أيضاً على نقل الأحدية إلى غرب إفريقيا لتأوس نشاطها التبشيري والتعليمي هناك.

استمرار التعليم الإسلامي :

وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلها المستعمرون والوسائل المختلفة التي اتبعوها فإن التعليم الإسلامي قد استمر دون أن يقضى عليه قضاء تاماً، استمر دون توقف نتيجة لمواظبة متعددة أهمها :

- ١ - ارتباطه بالعقيدة الإسلامية المتخلفة له نفوس الشعوب الإفريقية الممتنقة للإسلام.
- ٢ - شعور الشعوب الإفريقية بأن التعليم الاستثماري والتبشيري دخیل على القارة وغير نابع من حياة شعوبها.
- ٣ - استمرار الصلة بين مراكز الثقافة في الشمال الإفريقي في مصر والمغرب وبين مسلمي إفريقيا فيما يلي الصحراء بشق الأمور وبهكم الصلات التجارية أيضاً.

الفرنسية والذي تفشى منه سياستهم التي ترمي إلى بسط ثقافتهم على جميع الشعوب بشق الوسائل لتفريق (فرنستها) أو امتصاصها في الثقافة الفرنسية

وقد اختلف البريطانيون من الفرنسيين في سياستهم فبينما اتبع الفرنسيون تلك السياسة المباشرة لفرضاء على التعليم الإسلامي ومحاربة الثقافة الإسلامية اتبع البريطانيون سياسة خاصة تعتمد على عدة عناصر رئيسية هي :

١ - الدليل التدرجي لفرضاء على الثقافة الإسلامية واللغة العربية وإحلال الثقافة واللغة الإنجليزية محلها وعلى الثقافة العربية فبدأ البريطانيون بتشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين والفقهاء بقصد إحيائها إذ أن في ذلك إحياء للثقافات المحلية وإثارة للنزاع القومي التي اعتقدوا أنها قد تضعف من كيان الثقافة الإسلامية.

٢ - الموقف السلبي من التعليم الإسلامي إذ أنهم تركوا التعليم الإسلامي الحرية الكاملة لمناظرة فعاظه ووقفوا منه موقفاً ليس فيه محاولة هلبية ولا تشجيع أو معونة، بينما شجروا الإرساليات التبشيرية، وقدموا لها كل العموم المادي والادبي، صياراً للترجيح في مدارسها وفي المدارس الحكومية كل سبل الحياة وشغل الوظائف وإرتقاء المناصب التي حرم منها جميعاً كل غيرهم المدارس العربية الإسلامية وذلك بقصد إبعاد الإفريقيين عن هذا التعليم الإسلامي.

انتشرت فى غرب إفريقيا انتشاراً واسعاً وحل بعضها محل الكتب القديمة التى كانت تدرس فى مجالس العلم والمدارس الإسلامية المنتشرة فى جميع أنحاء القارة وذلك رغم الجهود الكثيرة التى بذلها الفرنسيون والإنجليز لقطع الصلة بين الأزهر ومسلمى غرب إفريقيا .

ولم يقتصر أثر حركة الإصلاح الإسلامى على الإدراكات الجديدة التى انتشرت بين الإفريقيين فقط بل تعدى الأمر ذلك إلى نشأة منظمات إصلاحية عديدة ذلك أن المسلمين فى القارة الإفريقية أخذوا يقيمون فى الجمعيات الإسلامية التى تهدف إلى تنظيم الجهود أساساً فى المجال التعليمى بقصد رفع مستواه وتفسيره وتحسينه وتطويره بما يتلاءم مع التطورات الحديثة وكان لبعض هذه الجمعيات هدف سياسى إلى جانب الهدف التعليمى هو المشاركة فى الحركات التحريرية .

نفأت هذه الجمعيات الإسلامية فى نيجيريا بمثلة فى جمعية أنصار الدين وجمعية أنصار الإسلام ، ومركز التعليم العربى فى أجيجى ومئات من الجمعيات الأخرى فى كل أنحاء نيجيريا كل منها يبنى المدارس ويقوم مراكز التعليم ويوفر إلى جانب ذلك تسهيلات الحج ، ويبحث بالطلاب إلى مصر لدواصة بالأزهر كما نشأت فى غانا منظمة سياسية ثقافية هى

٤ - استمرار الصلة مع الشرق العربى وبخاصة الحجاز نتيجة لاستمرار الرحلات السنوية لأداء فريضة الحج فى الأراضى المقدسة .
٥ - بقاء فضاى وجال الطرق الصوفية ، ولجوء الاستثمار إلى مهارتها بقصد الاستفادة من وجودها فى خلق علاقات بين القوم ، غير أن هناك حقيقة عامة لا يمكن إنكارها وهى أن التعليم الإسلامى قد أصابه بعض الضعف بل لقد توقف تطوره وبقي على ما كان عليه فى عهد ما قبل الاستثمار ولم تكن من وراءه القوة الدافعة التى تساعد على التطور إلى ما يتلاءم مع التقدم الحديث ويمتبر الأزهر الشريف واستمراره كقبة العلم للعالم الإسلامى كله بهامة وشعوب إفريقيا المسلمة بصفة خاصة من أهم عوامل الحفاظ على استمرار التعليم الإسلامى فى أنحاء القارة الإفريقية على الرغم من عادات الاستثمار لقطع الصلة بين مسلمى إفريقيا وبينه .

حركة الإصلاح الإسلامى والتعليم :

واحتك الطلاب الإفريقيون الوافدون من كل أنحاء القارة للدراسة بالأزهر الشريف بحركة الإصلاح الإسلامية التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وحاصرها عدد من أبناء القارة الإفريقية كما تأثر بها الجيل التالى لهم ، وكان من أهم نتائج هذا الاحتكاك أن مؤلفات الشيخ محمد عبده وتلاميذه قد

ما أمكن من العون المادي والأدبي لتقوية نشاطها التعليمي والثقافي لتقف في وجه الحركات الإصلاحية السلفية على وجه الخصوص لها لهذه الحركات من صلة بالعالم العربي في الشمال الإفريقي ومصر والحجاز ، فأطلقوا يد الأحدية والإسماعيلية في شرق إفريقيا ، كما حاولوا نقلها إلى غرب إفريقيا ونجحوا في تفجير بعض الأحدية للإقامة في كل من زنجبار وغانا وسيراليون ولئن كان تأثيرهم في غرب إفريقيا ضعيفا إلا أنه حقق بعض الفرض الذي كان يشده الاستعمار وهو إيجاد طائفة قليلة من الأحدية تناقض المسلمين السنيين في نشاطهم التعليمي والثقافي .

الفرنسيون والرومانسية :

ولم يغير الفرنسيون طبيعة سياستهم التي تهدف إلى تشديد القبضة على المستعمرات وبخاصة في المجال الثقافي بقصد قهرها ، حينها قامت الحركات الإصلاحية المبكرة التي قام بها أفراد يدعون الناس إلى ترك البدع الصوفية أمثال إبراهيم سوتوجو في مدينة سيكاسو بحالي وسبسي بالادجي في باماكو والشيخ دوكري في ماسينا والشيخ سعد عمر تودي في سيجو والشيخ محمد عبد العزيز في كاي والحاج محمود عمر السنغالي في داكار حينها ظهرت الدعوات الإصلاحية الفردية التي قادها هؤلاء وغيرهم من أنشأوا

حزب المؤتمر الإسلامي ، وتكونت في سيراليون عدة جمعيات أهمها جمعية الأخوة الإسلامية ونشأت في شرق إفريقيا جمعيات أخرى مماثلة . وقد لعبت هذه الجمعيات تأييد الزعماء والأمراء والسلاطين المسلمين وأصبحت تنقل العون المادي والأدبي من هؤلاء الزعماء ومن التجار وأغنياء المسلمين في تلك البلاد .

موقف الإنجليز من حركات الإصلاح :

نتيجة لهذا التيار الذي سادت فيه الشعوب الأفريقية المسلمة اضطرت الاستعمار إلى تعديل سياسته ولكن هذا التعديل في السياسة لم يرتبط به تغيير في الهدف الذي كانت ترمي إليه دول الاستعمار منذ بداية استعمارها وهو محاربة التعليم الإسلامي والقضاء عليه لإفساح المجال في الحياة الأفريقية لثقافة الاستعمارية وكما كانت السياسة الأصلية للاستعمار مختلفة بعضها عن بعض ، فقد اختلفت أيضاً سياستها بعد التعديل الذي أدخلته نتيجة لحركات الإصلاح الإسلامية .

وقد تابع البريطانيون سياستهم في بث الفكرة بين المسلمين عن طريق تفجير الطوائف الإسلامية المتطرفة المناهضة للموالية لهم مثل الإسماعيلية والأحدية ، وهبأولها كل سبل العمل ويسروا لما فتح المدارس ونشر الكتب الخاصة ، وقدموا لها كل

لفتنة ذروتها سنة ١٩٥٧ حينما أعلن الحاكم العام الفرنسى دعوة الحاج كرامو كوكانى رئيس الاتحاد الثقافى الإسلامى ورجال التعليم الأربعة الذين خرجوا فى الأزهر وساعدوا على إنشاء تلك الجمعية وهم محمد سنوسى وكاينيه كبا ومحمد الأمين من مالى ومحمد فوده من غينيا - إلى مناظرة الشيخ كاتى شيخ المسجد ومعه رجال الطرق الصوفية مناظرة علنية فى ميدان الجامع الكبير فى باماكو عاصمة مالى (السودان الفرنسى فى ذلك الوقت) وكان من جراء هذه المناظرة أن خرج بعض مبادئ الطرق الصوفية من العامة إلى شوارع المدينة يهتفون مساكين ومتاجر رجال الاتحاد الثقافى الإسلامى بإيماز غير مباشر من السلطات الفرنسية الحاكمة .

وكانت هذه الحوادث من الأمل الذى تحقق للفرنسيين فقد نجحوا فى إثارة فتنة شديدة تذرهموا يتهددها للأمن ، فأهلقوا مدارس الاتحاد الثقافى الإسلامى فى باماكو ومدن مالى وداكار وكانكان وكوناكرى وغيرها ، واستراحوا زمنا من التعليم الإسلامى الصحيح الذى أقصر مضيقهم وعدد ثقافتهم ، إلى أن بدأ الاتحاد الثقافى الإسلامى وغيره من الجمعيات الإسلامية يستعيد نشاطه بعد أن أعلن الاستقلال الثانى فى داخل نطاق الجامعة الفرنسية

المدارس ليعلموا فيها الإسلام والثقافة العربية بطرق حديثة غير مشوبة ببدع الصوفية ، كون الفرنسيون فى إفريقيا الغربية الفرنسية ، التى كانت تشتمل على السنغال وغينيا والسودان الفرنسى (مالى حاليا) وأعلى الفلتا وساحل العاج وداومى وتوجو) كونوا بها مكتبا أطلقوا عليه اسم المكتب السياسى لفتنات الإسلاميه ، وهينوا مديرا له ضابطا يدعى (كلودير) وكانت مهمته العمل على وضع التعليم الإسلامى الجديد فى قبضة الحكومة الاستعمارية بقصد تنظيم نشاطه ظاهريا ، وعادته قليا .

وقد استطاع كلودير أن يثير فى البلاد فتنة كبيرة استخدم لها بعض الصلاه من المسلمين المتعلمين ، وقد استطاع أن يفتن هؤلاء بأن جميع رجال الإصلاح الدينى وبخاصة رجال جمعية الثقافة الإسلاميه والمدارس الفلاحية والاتحاد الثقافى الإسلامى إنما ينتمون إلى الوعاية التى اتجهت إلى هدم قبر النبى مستغلا الروح الدينية المتخلفة والإيمان القوى بالرسول لإثارة العامة على هؤلاء المصلحين .

وترتب على هذه القاذورات التى أثارها المكتب السياسى لفتنات الإسلاميه واستخدم بعض الصلاه لثرتها أن ثارت الفتنة بين أهل الصوفية والمصلحين الذين أطلق عليهم خطأ اسم الوعاية ، وبلغت

الترتيب الذي استقرت عليه سور القرآن

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

أما ترتيب الآيات في سور القرآن الكريم
على النحو الذي استقر عليه الأسر في مصحف
عنان الإمام ، ووضع البسمة ، في أول كل
سورة هذا برامة . فقد كان أيضا تنظيما متقولا
عمن أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم .
لا باجتهاد منه عليه الصلاة والسلام ، ولكن
بإرشاد وتوجيه من جبريل عليه الصلاة والسلام

قال ، كي في بصرته . (إن ترتيب آيات السور
في مصحف عنان وتصويرها بالبسمة من
عمل الرسول ، ولما لم يؤمر بالبسمة في أول
سورة برامة تركت بلا بسمة) وقد وافقه
الفرط على ما ذهب إليه وأيدهما ابن فارس
حين قال : (جمع الآيات في السور توقيفي
تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كأخبره جبريل

(البقية على الصفحة السابقة)

سنة ١٩٥٨ قادت الأحزاب التي تولت
الحكم وعلى رأسها التجمع الديمقراطي
الإفريقي تعرف بنقاط هذه الجمعيات وفضلها
في مشاركة الحركة الوطنية التحررية وتسمح
لها بفتح المدارس من جديد .

... .

ومكثا دخلت إفريقيا في عهد الاستقلال
وقد ورثت حكوماتها تقاليد محاربة التعليم

الإسلامي بفتح الوسائل ، ودخلت بذلك في
دورها الحاضر التي أخذ التعليم الإسلامي
يراجع فيه المشكلات ويقع شق الوسائل
لتنقلب عليها ، متطلعا إلى المستقبل الزاهر
للثقافة الإسلامية ، وسيكون حاضر التعليم
الإسلامي ومستقبله في إفريقيا هو موضوع
مقالنا الأخير في هذه السلسلة . « يقبع ،

محمد جبريل عباسي

وتنسيق الآيات داخل السور فهي متقنة سماها ، ومأخوذة اتباعا للرسول صلى الله عليه وسلم . وفي الإتيان للسيوطي : (لأنه قد يكون السورة من القرآن اسم واحد وهو كثير ، وقد يكون لها اسمان أو أكثر . من ذلك الفاتحة . فإن لها نيفاً وعشرين اسماً واسمها المشهور : فاتحة الكتاب ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أم القرآن وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني .

وكذلك البقرة . فقد كان علقم بن معدان يسميها (فسطاط القرآن) لما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها ، وقال ابن عطاء إن آل عمران تسمى (طيبة) وفي صحيح مسلم سميت البقرة وآل عمران الزمراوين والمائدة تسمى (القود) والمنتقى قال السيوطي : (وقد ثبت جميع أسماء سور القرآن بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك ، وما يندفك ، ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : (كلنا المشركون يقولون ، سورة البقرة ، وسورة الضحى سميت بغير توقيف ، فقل قوله تعالى : إنا كفيناك المستهزئين .

وهكذا رأينا من عضود الأداة التي سقتها أن سور القرآن الكريم بترتيبها وتماثل آياتها ونحطيط أوائل الآيات وخواتمها . إنما هو أمر شرعي توقيفي قل سماها واتباعا ، لا اجتهدا واصطناعا .

عن أمر به ، ويشهد لذلك ما حدث به أبو السائب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (آخر ما نزل من القرآن : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون) فقال جبريل للنبي عليهما الصلاة والسلام (يا محمد منها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة) وروى عن عثمان بن العاص قال : (كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص بصره ثم صوبه ثم قال : « أتاني جبريل فأمرني أن أضح هذه الآية . هذا الموضع . من هذه السورة : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان . الآية » .

وذكر الزمخشري أن ترتيب الآيات في السور علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ، ولذا عدوا (ألم) آية حيث وقعت ، و (المص) كذلك ولم يعدوا (المر) و (آل) ، وعدوا (حم) آية في سورها وطه و يس) ، ولم يعدوا (طس) ، وعلى ذلك أحد ابن عباس آيات القرآن فقال : إنها ستة آلاف وستمائة وستة عشر آية .

أما أسماء سور القرآن فهي في الكثير الغالب مفردة يدل الاسم الواحد على سورته من غير أن يكون له وديف . وأحيانا تعدد الأسماء لسورة واحدة .

وسواء أكانت الأسماء مفردة أو متعددة فلا مدخل فيها هي الأخرى للرأي والاجتهاد وإنما شأنها شأن سابقها من ترتيب السور

في الحج ، ولكل جعلنا مفككا ، في الألف
والسبع الخامس في الأحزاب ، وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة ، في الماء ، والسبع السادس
في الفتح (الغنائم باقطن السوء) في الواو
والسبع السابع ما بقي من القرآن .

وقد استغرق هذا الإحصاء وقتا ليس
بالصغير وفيه يقول سلام أبو محمد : جعلنا ذلك
في أربعة أشهر ، وقال : كان الحجاج يقرأ
في كل ليلة ربعا . فأول ربه عامة الأنعام
والربيع الثاني في السكف ، في الفاء من
(وليتلفظ) والرابع الثالث عامة الور ،
والربيع الرابع ما بقي من القرآن .

ولقد ضاق بعض العلماء ذوقا بهذا اللون
الجديد من مباحث القرآن الكريم وعدوا
هذا التعداد من لغو العمل . . ومن هؤلاء
السيوطي والسخاوي . فقد قال الأول
(والاشتغال باستيعاب ذلك بما لا طائل منه)
ثم قال : (وكنا بنا - بقصد الإقناع بموضوع
اللمبات لا لمثل هذه البطالات) وقال السخاوي
(لا أعلم لهذا السكفات والحروف من فائدة
لأن ذلك إن أفاد فإما يفيد في كتاب يمكن فيه
الزيادة والنقص ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك . .
ولكننا نجد بعض العلماء قد حتى العناية
كلها بهذا اللون من البحث القرآني ، وبذل
فيه جهودا جبارة ومن هؤلاء ابن الجوزي
في كتابه (فتون الأفتان) فإنه عد الانصاف
والأثلاث والأرباع وغيرها إلى الأعمار
وأوضح القول في ذلك إلى حد الإفاضة .

والشيء الذي تدخلت فيه صناعة القاري ،
والحافظ إنما هو إحصاء الحروف القرآنية
وتعدادها في دقة وإحكام ، وتحديد نصف
القرآن بالحرف الواحد ، ونصف نصفه ،
وتجزئته على هذا الأساس إلى أرباع وأسابيع
وأعشار ونحو ذلك ... ولا أعلم أحدا سبق
الحجاج بن يوسف الثقفي في هذا التقدير
الحرفي للقرآن الكريم . . فهو الذي ابتدع
هذه البدعة الحسنة التي لم تصادف معاوضة
أو إنكارا من خلف أو خلف إلا نادرا ،
فقد روى أن الحجاج جمع القراء والحفاظ
والكتاب في صفة وقال : أخبروني عن
القرآن كله . . كم من حروف هو ؟ . .
لجوا . . فأجمعوا على أن القرآن ثلاثمائة
وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا . .
فقال : فأخبروني . . إلى أي حرف ينتهي
نصف القرآن . . ؟

فقالوا له عند الفاء في . . وليتلفظ ، من
سورة الكهف فقال . فأخبروني بأثلاثة فإذا
الثلاث الأول على رأس مائة من برائة ، والثلاث
الثاني : على رأس مائة وإحدى من طم
العمراء ، والثلاث الثالث ما بقي من القرآن
فقال فأخبروني بأسبعا على الحروف فإذا
أول سبع في الفاء ، فمنهم من آمن به
ومنهم من صد ، في الفاء ، والسبع الثاني
في الأعراف ، أولئك حبطت ، في الفاء ،
والسبع الثالث في الرعد ، أكلها داهم ،
في الألف من آخر أكلها ، والسبع الرابع

ولعل روح الدليل إذا نافضنا هذه المسألة في ضوء البرهان تتمشى مع ابن الجوزي . . ذلك أن هذه المهمة قد اضطلع بها جمع غفير من ذوى الدراية والفن في قراءة القرآن أيام الحجاج وفي غير أيامه وإذا كان خصوم الحجاج وهم كثير قد عدوا الكثير من مساوئه كما هم .. لكنهم تماشوا مع هذه المسألة التي كان هو أول بادئ فيها فيما نعلم .

هل أتانا نجد في الحديث الشريف إشارة إلى الالتفات إلى حرف القرآن كحرف ، من حيث إن له قيمة في حساب معايير الحسنات لكل من استذكر القرآن الكريم ، في الحديث ، من قرأ حرفاً من القرآن كان له عشر حسنات . . لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، وفي هذا المنطوق الشريف دلالة على أهمية الحرف في نظر المهتمين بالقرآن ، ومن هذه الأهمية عدما وإحساؤها وتقسيم القرآن على أساسها تقسيماً عادلاً . . حتى تقاوى مقادير الثواب أمام الراغبين في تحصيلها ، هل صورة رنية منظمة

وإذا كنا نرى في عصرنا هذا أن هيئة الصحفيين ومراسلي وسائل الإعلام الحديثة قد بلغت من الله إلى حد أنهم يحسون خطب الرؤساء والزعماء والقادة بالحرف ، وأنهم لا يظنونها بنصوحها لحسب . . بل وبتعداد الكلمات التي صيغت منها هذه النصوص . فلا أقل من أن تشجع أمثال هذه

الهيئة بأقدس نص ديني في حياة المسلمين . ولقد حدث هذا التقسيم فعلاً في المصاحف المتداولة . . وعلى ما مشى كل مصحف علاماته إرشاد تدل على الجزء والرابع والخوب ، ولم يصادف هذا الصنيع فكراً من أحد . وبعد :

فن هذا البحث تبين لنا . أن ترتيب سور القرآن الكريم وتقسيم آياتها ووضع أسماؤها ، وتحديد إطار آياتها بدءاً ونهاية أعمال توفيقية منقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نقلها بدوره عن جبريل عن رب المزة جل وعلا . وأن عدد حروف القرآن ونحركاته بحساب هذا العدد . . عمل مستحدث لا بأس به . . بل هو حسن ، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن . .

وأن القرآن لم يجمع في حياة الرسول ، وبعد وفاته جمع جماعات كثيرة أشهرها جمع زيد بن ثابت وهو الذي استقر أخيراً في بيت حفصة رضي الله عنها وحسنه نسخ المصحف العثماني الإمام بأمر من عثمان رضي الله عنه بالإضافة إلى ما صح نبوه ، وأن أول من فيه إل ضرورة توحيد لغة المصحف هو حذيفة بن اليمان ، وأن كل المصاحف فيما عدا مصحف عثمان قد أهدمت حرقاً قطعاً لمادة الخلاف والاختلاف في أساس الإسلام الأول وتحقق بذلك وعد الله تعالى : « إننا نحن نزلنا الذكر وإنآله لحافظون » .

محمد عمر الشرفاوي

ما يقال عن الإسلام

العرب

للدكتور أحمد فؤاد الإسماعيلي

الدول العربية ، والأخرى من توزيع البترول والكتاب إلى ذلك بحلى بالصورة ، أسلوبه جميل سهل واضح .

والكتاب موجه أساساً لقراء اللغة الإنجليزية . للإنجليز أولاً ، ثم لمن يعيش في ركب الحضارة الغربية التي تتخذ من الإنجليزية لساناً . وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب حاول صياغته بشكل موضوعي ، إلا أنه لم يستطع في مواطن كثيرة إخفاء ميوله وهواطفه الإنجليزية . ومع أن عنايته الأولى بالعرب حديثاً ، إلا أنه كان لابد له من الرجوع إلى الماضي .

يحدثنا أولاً عن الأرض وشعوبها التي تسكنها وثانياً عن تاريخها الماضي ويشغل هذان الفصلان نصف الكتاب ، على حين يشغل فصلان آخران هما الأصول والحدود ، ثم من السويس إلى مؤتمرات القمة في النصف الثاني والآخر . ولا غرابة أن يتناول المؤلف مؤتمرات القمة بالحديث ، فهو يتابع الحوادث في العالم العربي حتى صدور الكتاب سنة ١٩٦٦ .

يتضح من ذلك أن الكتاب يؤرخ للعرب قبل الجماهيرية ، وعند ظهور الإسلام ، ثم قيام

يحتل العرب في الوقت الحاضر مؤلة كبيرة على الصعيد الدولي ، بعد أن رفع الرئيس جمال عبد الناصر رأسهم ، ووحيد كلمتهم ، وقاد رأيهم ، ورد عنهم عدوان المستعمرين الذين وقف لهم بالمرصاد بكهف خططهم ، ويحبط أعمالهم .

والعرب الذين يتكلمون اللغة العربية ويدين معظمهم بالإسلام هم الدول العربية الثلاث عشرة التي تمتد من المغرب إلى الكويت أي من المحيط إلى الخليج . ومؤلف الكتاب منظمة واحدة هي جامعة الدول العربية . ويضاف إليهم بحميات الجنوب العربي التي تكافح الآن في سبيل الحصول على حريتها وهي البحرين ومقطر وعمان وقطر وأبو ظبي واتحاد الجنوب العربي وعدن .

وصدوراً من هذه الأهمية السياسية والاقتصادية والدولية للعرب ، أشرفت مطبعة جامعة أكسفورد بالانجلترا في سلسلتها من العالم الحديث ، على إخراج كتاب خاص عن العرب ، بقلم مؤلف يسمى (هودكين) لم تسمع عنه من قبل . يقع الكتاب في ١٢٦ صفحة ، وبه خريطتان للعالم العربي ، إحداهما توضح الدول الأعضاء في جامعة

فلا جرم أن يعتبر المؤلف الإسلام جزءاً لا يتجزأ من العرب ، على الرغم من أنه ليس كل مسلم عربياً ، وليس كل عربي مسلماً (ص ١٥) ، ولكن من المستحيل أن نتكلم عن أحدهما بعيداً عن الآخر ، فالإسلام هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة .

ولكن الموضوعية التي نجدها شائعة في صفحات الكتاب من بدايته إلى نهايته ، عصفت بها يد الحسوى والتعصب لبلاد الإنجليز ، التي كانت صاحبة النفوذ والسلطان طوال القرن التاسع عشر في معظم هذه المنطقة من الأرض العربية ، إلى أن أخذ هذا النفوذ يتقلص شيئاً فشيئاً مع حروب التحرير والاستقلال ، والنهضة القومية ، والنهضة العربية ، هذه الحروب التي بلغت الأوج في حرب السويس .

ولما كانت قوة العرب الحقيقية في وحدتهم وضم صفوفهم ، وتوحيد هدفهم وكان المؤلف يعرف هذه الحقيقة ويشير إليها ويبين أهميتها ، غير أنه مع ذلك يريد أن يبين أن العرب ، من خلال تأويلهم البعيد والغريب ، ما أن يتحدوا حتى يشترقوا وأن طبيعة الفرق فيما بينهم أكثر من التوحد . وهو في ذلك إنما يعبر عن رغبته وآماله ، لا عن الحقيقة الواقعة ، لا تنكر أن في نضال العرب الحاضر اقترافاً في الصف ورجوعاً إلى المطامع الشخصية ، ولكن رؤية

العدل الإسلامية الكبرى في صدر الإسلام مع استعراض الحوادث حتى القرن العشرين وفي الكتاب إلى ذلك ثقافة وحضارة ، ودين وفلسفة ، واقتصاد وسياسة ، ولذلك كان شاملاً أموراً كثيرة تحتاج من مؤلفها اطلاعاً واسعاً حقيقياً . ولكن يبدو أن المؤلف يفترق إلى هذه الثقافة العربية وبخاصة اللغة ، ولهذا وقع في بعض أخطاء كان يمكن تجنبها لو كان بصيراً باللغة وآدابها . ومن أمثال هذه الأخطاء قوله (ص ٢٢) : إن عمر ابن الخطاب طعنه عبد مبيح ، والمعروف أن الذي طعنه أبو لؤلؤة الجهمي . وقوله : (ص ٢٨) : إن جبل طارق سمى كذلك نسبة إلى الطارق ، وطارق بن زياد معروف بغير ألف ولا ميم .

قلنا : إن صاحب الكتاب أراد أن يكون موضوعياً ، آية ذلك أنه أشاد بالعرب وبخاصة بمناخهم المجيد ، وحضارتهم الزاهرة ومناصرتهم للعلوم والفنون واقتدارهم بلغتهم العربية . وهو يذكر في (ص ٦) أن الغرض من هذا الكتاب بيان ما بلغه العرب في الأصل وما فقدوه بعد ذلك ، وإلى أي حد استطاعوا أن ينهضوا في الوقت الحاضر ، فالكتاب استعراض سريع لحاض العرب المجيد ، ثم مصورم المظلة ، ثم نهضتهم الحديثة ولما كان حاض العرب الحقيقي ومساهمته في الحضارة العالمية إنما يبدأ مع ظهور الإسلام ،

ملايين ، وانظر إلى نكبة فلسطين التي لا تزال تعيشها ، وإلى كارثة اللاجئين . فهي مشكلة مائة ألام أبصار العرب والمسلمين .

إن تماسك الشعوب العربية على الرغم من وحشية الهجوم الاستعماري إنما يرجع إلى أمرين هما : اللغة العربية والدين الإسلامي ، وهما عنوانان لا يفترقان ، ويعترف المؤلف بذلك حين يقول (ص ١٥) : « يجد العرب اللغة العربية لأنها لغة كتابهم المقدس ، القرآن . ومن أجل ذلك كانت لغة وبائية ، ما دام القرآن هو كلام الله الذي أزيل على عهد أعظم الرسل وعالم النبيين . »

يعرف المستعمرون إذن هذه الحقيقة ، وهم لذلك يحاولون العمل على إضعاف الشعوب العربية وتفكيكها بدم دينها وهدم لغتها ، لأن هدم اللغة يفضي مع الزمن إلى الابتعاد عن الدين الصحيح ، وكان هذا دأبهم طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومطلع العشرين ولكنهم الآن مع تطور الأحداث وتحرر الدول العربية ، والمناذاة بالقومية العربية ، أخذوا يعملون بأسلوب آخر ، هو ضرب العرب بعضهم ببعضهم الآخر ، والتفخ في بوق الفرق الدينية الإسلامية والأقليات غير الإسلامية ، بعبارة أخرى يتبع المؤلف سياسة الإنجليز التقليدية وهي : فرق تسد . لا نزاع أن العرب وهم متفوقون خطاء ، ولكنهم حين يجتمع شملهم في دولة عربية

الخطر الدائم على بلادهم سرعان ما يجمع شملهم مرة أخرى ، وبخاصة تحت ضغط الشعوب ، ولا ينبغي أن ننسى في هذا الصدد أن العرب كتب عليهم أن يظفروا تحت حكم الأتراك العثمانيين حتى الحرب العالمية الأولى وأن تجربة الحرية العربية تجربة حديثة جدا لا نشكر أن الإنجليز هم الذين دفعوا العرب إلى التمرد على حكم العثمانيين حتى يتسنى للاستعمار البريطاني أن يحمل عليهم بطريقة أخرى ، ولكن العرب ما كانوا يريدون أن يظفروا بغير الاستعمار التركي ليشبهوا به استعمار آخر ، وأي استعمار هو ؟ إنه استعمار مسيحي واليدوم صهيوني فالمسركة مشمرة الآن بين العرب وبين الشعوب المسيحية والصهيونية العالمية ، يوجهها الاقتصادى والدينى .

إن القضاء على العرب قضاء على الإسلام ، وقضاء كذلك على الإنسان العربي في هذه المنطقة . انظر إلى محاولته فرنسا من تحويل الشعب الجزائري إلى فرنسي لغة وديناً ووطناً وإلى كفاح شعب الجزائر صين صعداً حتى ظفرت باستعادة الوطن واللغة والإسلام ، وهل كانت تستطيع ذلك لولا مؤازرة مصر لها صبح سنوات متتالية ، وانظر إلى محاولته إيطاليا في ليبيا من طرد أهلها المسلمين إلى الصحراء ، وإحلال الإيطاليين محلهم ، حتى نرى من هذا الشعب ما يقرب من ثلاثة

دائما مؤثرا مصلحة العرب، مضعفا بمصلحته الشخصية، ولكن المؤلف يصور اجتماع القمة من زاوية أخرى، زاوية الخصومة المتأصلة بين رؤساء الدول والتي لا يمكن الفصل على احتمال شأقتها، وفي ذلك يقول المؤلف: «جاءوا جميعا إلى القاهرة وفيهم الملك سعود الذي كان قد دقّع مليونين لاختيال جمال عبد الناصر، والرئيس بورقيبة من تونس الذي اتهم عبد الناصر بمحاولة اغتياله. والجنرال ابن بيلاد كان في جيوشهما تتعارب على الحدود... لا شك أن مؤتمر القمة الأول أرق الاستعمار وإسرائيل، فعمل الاستعمار على اجتذاب بعض الدول العربية إلى جانبه، وأهان بورقيبة خروجا على وحدة كلمة العرب، أنه من الممكن التمايش مع إسرائيل والصالح معها، لا يجب إذن أن نجد إشادة بالمذنب بورقيبة في صلب الكتاب، وبمذهبه الملتوي الذي ينتهي إلى التقليل بالأسر الواقع، هذا المذهب الذي يسمى «البرورقية»، أو سياسة المراحل، وفي مقابل هذا المذبح الذي يسهل لبورقيبة، نجد غزواً واضحاً في الرئيس جمال عبد الناصر ولا غرابة في ذلك فالمؤلف بريطاني متوقد بما فعله عبد الناصر حين أطاح بالنفوذ البريطاني بعد حرب السويس. ومثاله هذا المضمون ما يقوله (ص ٧٥): إن ثورة يوليو ١٩٥٢ إن هي إلا انقلاب قام به جماعة من

موحدة، أوفى وحدة كبرى، أو جامعة واحدة يصبح لعدد سكانهم وزن كبير، ولثروتهم الطبيعية وزن آخر، ولتقدمهم العلمي والصناعي والمخضاري وزن ثالث، لذلك اجتهد المؤلف في إحصائياته عن عدد السكان أن يقلل من عدد العرب، مع أنه إحصاء يرجع إلى سنة ١٩٦٥، وإليك الدول التي حاول تقليل عدد سكانها.

(١) الجزائر ١٠ مليون وحقيقتها ١٢ مليوناً
(٢) مصر ٢٨ مليوناً وحقيقتها ٣٠ مليوناً
(٣) العراق ٦٠٨٠٠٠٠٠ وحقيقتها : ٨٥٢٦٠٠٠٠ مليون

(٤) الكويت ٤٠٠٠٠٠ ألف وحقيقتها ٥٦٠٠٠ ألفاً

(٥) لبنان ١٠٧٥٠٠٠ مليون وحقيقتها ٢ مليون

(٦) ليبيا ١٠٢٠٠٠٠ مليون وحقيقتها ١٠٥٠٠٠٠ مليوناً

(٧) البحرين ١٥٠٠٠ ألف وحقيقتها ١٨٠٠٠ ألفاً

نرجع إلى المبدأ الأول في الأسلوب الحديث وهو ضرب العرب بعضهم ببعضهم الآخر فتجد في صفحة ١١٢ حديثاً عن مؤتمر القمة الذي انعقد بالقاهرة سنة ١٩٦٣ انضم كلمة العرب والوقوف صفاً واحداً أمام إسرائيل والاستعمار، ويرجع الفضل بلا نزاع إلى الرئيس جمال عبد الناصر الذي يعمل

نار الأكراد أتباعا للنخط الذي يسهرون عليه وهو تشجيع الأقليات لتزيق الدول العربية من الداخل ، والإنجليز هم الذين عملوا على خلق الأقلية المسيحية في جنوب السودان ويعبر المؤلف كذلك إلى اختلاف الفصحة والسنة في العراق ، والسنة والسنة والندود والمؤلفين في لبنان والشام .

الحق لقد كانت البلاد العربية تتم دائما خلال تاريخها الطويل بحرية دينية سواء بين الفرق الإسلامية أم بين المسلمين والمسيحيين ولم يذكر التاريخ أى مذابح دينية تشبه تلك التي كانت تجري فيها الدماء في أوروبا المسيحية حتى جاء المستعمرون يحملون معهم هذا الوهاب الموروث فهم ، يشجعون الفرق الإسلامية وبخاصة الفاعذة منها كالبهاية على الخروج على الإسلام ، أو الادعاء أنهم أصحاب الدين الصحيح ، وكل ذلك لكي يضرب المسلمون بعضهم بعضا ، بما يفتنهم من المستعمر .

ولولا هذه الانحرافات السياسية لكان الكتاب من وجهة نظر الإسلام مقبولا . فقد كانت النخبة السائدة قديما في أوروبا ومنذ العصر الوسيط هي العظمى في الإسلام وورثته وكتابه المنزل عليه ، واماكن الاتجاه الحاضر عند الغربيين هو الابتعاد عن هذا التعصب الأعمى ، واعتبار (ص ٢٧) « أن محمدا كان نبيا حقا وأنه أسرى الدعوة إلى الإسلام » .

أحمد قواد هو هو

الضباط المتآمرين ، . ومن التفتي على التاريخ أن يسمى المؤلف ثورة يوليو مؤامرة وكذلك قوله: إن كتاب (فلسفة الثورة) ليس فيه فلسفة ولا يدل على عمق في التفكير في أى موضوع مع أنه لو قرأ فلسفة الثورة بعين رأى أن كل التغييرات التي حدثت حتى الآن في إفريقيا وآسيا إنما جاءت من تلك الفلسفة .

المبدأ الثاني : هو تشجيع الفرق الإسلامية المستحدثة ، ظهر ذلك صراحة عند الكلام عن القومية العربية ، وهو أمل توحيدها وتفرقها ، فمن عوامل توحيدها اللغة والدين والمقصود هو الإسلام - والتراث المشترك بما يشتمل عليه من تاريخ وأدب وطلولات وقصص شعبي .

ومن عوامل التفرقة الأقليات ، دينية كانت أم جنسية ، وقد حدد المؤلف الأقليات الدينية غير الإسلامية وغير العربية في سوريا ولبنان ومصر والأردن والعراق ، وإنصافا للمؤلف نقول : إنه لم يقرر أن هذه الأقليات معطلة (ص ١٨) ، وهو لا يستطيع أن يقرر خلاف ذلك ، وإلا كان متجنبا على الواقع والتاريخ ، إذ المعروف عن الإسلام التسامح والعدل ، وبذلك شاد في الماضي ، وقد أطلب المؤلف في الحديث عن أكراد العراق وذكر أن عهدهم يبلغ مليوناً ومائتي ألف والواقع أنهم لا يبلغون المليون ، ومن المعروف أن الإنجليز هم الذين ينفخون في

الكتاب

للدكتور مصطفى عبد الواحد

شوقي

شعره الإسلامى

للككتور ماهر حسن فهمى - المدرس
بكلية الآداب بجامعة عين شمس - نشر
دار المعارف - ٢٣٧ صفحة مقاس ١٠٠ × ٧٠

يتناول هذا الكتاب بالبحث أهم ناحية من
نواحي شعر شوقي، وهي الناحية الإسلامية
بموانها المتعددة .

وقد كان شوقي بحق شاعر العصر الحديث
الذى لم يخلفه فى مكانته الوجدانية والفردية
شاعر آخر حتى الآن .

ومن هنا كانت أهمية هذا البحث الذى
استهدف جملاء اللون الإسلامى عند شوقي
وبين مصادره فى نفس الشاعر ودوافعه
فى بيئته وحياته وألوانه المتنوعة من سياسية
 واجتماعية ودينية .

ويبدأ الكتاب بتحديد عن الشعر الدينى
فى المحاضرات المتعاقبة ، فبين صلة الشعر
بالدين متفاندا ، ويستعرض المؤلف نماذج
من الأشعار الدينية لدى قدماء المصريين

واليونان والمصور الوسطى والعصر الحديث
حتى يصل إلى الشعر الدينى عند العرب ،
ليقرر أنه لم يصلنا عن العرب شعر دينى
بالمعنى المفهوم ، ويذكر لذلك أسبابا غير
مقنعة ، ولا يجد أمامه إلا الشعر الإسلامى
فى صدر الإسلام ، فيورد نماذج لحسان بن ثابت
شاعر الدعوة الإسلامية ، ثم ينتقل إلى
الكيمت لشاعر الأموى الذى كان يتألف من
آل البيت ، ويعد إلى أبى التتامية شاعر
الزهد ، ولا يفته أن ينوء بشعراء فى المصور
الإسلامية المتعاقبة ظهرت فى أشعارهم الحماسة
الإسلام أو عبروا عن هواظفهم من خلاله
كالمتنبى وابن هانى، وابن الفارض والبوصيرى
وإقبال شاعر اليقظة الإسلامية .

ومن الواضح أن المؤلف فى هذا العرض
الموجز لا يتناول قضية الأدب الإسلامى
ولا يحاول توضيح علاقة الإسلام بالأدب
فى مصوره المختلفة ، فتلك قضية تحتاج إلى
نظر أفسح وتأمل أعمق .

وبعد هذا التمهيد الموجز تتوالى فصول
الكتاب الأربعة :

تقليدي لطبقة الحكام منذ أصبحت الخلافة ملكا ، إلا في القليل النادر .

كنا نود من المؤلف في بيانه للإسلام في بيته شوقي أن يذكر لنا شيئا عن نشأته ومصادر ثقافته وسلوك أسرته واتجاهها الديني والاجتماعي ثم عن أصدقائه وجلسائه لأن يقتصر الحديث عن الخليفة العتيق والحديوي ، ولكن المؤلف استغرق أن تؤدي به النتيجة التي استخلصها من الفصل الأول ، وهي تردد شوقي بين التدين واليهودية ، إلى الفصل الثاني من كتابه وهو : شوقي بين الله والدين .

وبدأ هذا الفصل بسبب المؤلف من شاعرنا شوقي الذي يصوره لنا شعره اللامي في صورة من لا تخطر له الآخرة ببال ، ثم قرأ شعره في التدين فيخيل إلينا أن العاطفة الدينية تسيطر على نفسه . .

ولا نرى في ذلك مجبا ، فن قبله عاش كثير من الشعراء الإسلاميين حياتهم بغيرها ، الزاهدة واللاهية وهيموا عن كلا الجانبين في محارب صادقة ، بل كانوا يرون أن ذلك من كمال الشاعرية والقدرة على التصرف في فنون القول .

وبعد أن يروى المؤلف شواهد لكلا الجانبين في شعر شوقي يحاول تبليط هذا الازدواج ، ومع اعتراجه بأن الازدواج

١ - الإسلام في عصر شوقي .

٢ - شوقي بين الله والدين .

٣ - جوانب شعر شوقي الإسلامي .

٤ - تطور الشعر الإسلامي عند شوقي .

وفي الفصل الأول يمرض للام الإسلامية وحالتها السياسية والاجتماعية في أواخر القرن التاسع عشر ، وكيف كانت تعاني من الضعف وتكالب الأعداء ، ومن الجهل والظلم الذي ينتشر في بقياتها حتى ظهرت حركة الجامعة الإسلامية برعاية جمال الدين الأفندي الذي كان عدده جمع الدول الإسلامية في وحدة غيرة بقيادة دولة إسلامية تستطيع أن تسير الأمم الغربية فتقطع على المستعمر كل أمل له في الشرق .

أما الإسلام في بيته شوقي فإن المؤلف يصوره من خلال سلوك السلطان عبد الحميد الذي كان شوقي على صلة به ، ومن خلال سلوك الحديوي عباس ، وكلاهما - كما يذكر المؤلف - كان يظهر أمام الناس في مظهر ديني وروح ، ولكنه يحميا في عاصته حياة الله والخلاعة وليس لذلك من أثر في نفس شوقي إلا ترده هو أيضا بين التدين واليهودية .

وفي الحق أن هذا التصوير للإسلام في بيته شوقي ، تصوير غامض وقاصر ، فهل المقصود بالبيئة هنا الخليفة والحديوي فقط ؟ وأي جديد في موقفها من الزهد والله ؟ إنه موقف

وقد خص شوقي رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه بمن يمن عناية والتفات، والمؤلف يرى أن البوصيري كان أول شاعر يدفع صدق حبه للرسول إلى مدائحه النبوية " ، وهذا حكم خطير ليس له من دليل ، ولا يمكن إصدار مثل هذا الحكم إلا بعد الإحاطة بالتراث القصري من عصر النبوة إلى عصر البوصيري ، وهو أمر لا يدعيه أحد الآن .

أما شوقي فله في المدائح النبوية معارضة لردة البوصيري المروعة بنهج البردة ، ثم الحمزية : ولد الهدى - التي تأثر فيها جمهرة البوصيري ، وله بعد ذلك قطعة من قصيدته " صمت القللك " التي قالها سنة ١٨٩٤ والسهرة النبوية من أروعهم ، دول العرب وعظماء الإسلام ، التي قالها بالأندلس .

ويرى المؤلف أن البوصيري وشوقي من أبرز الشعراء الذين مدحوا الرسول من عاطفة مشبوبة صادقة وإذا كان البوصيري في مدائحه النبوية يعبر عن حبه نحو الرسول فقد كان لفرق حذف أبعد مدى من ذلك فهو يصور لنا صفات الرسول تلك التي كانت أكبر هون على تحقيق دعوته ، حتى تكون مثلاً أهل يقتدى به المسلمون في حاحهم .

وقد تعبر شوقي من زعماء الإسلام طائفة يعز بها التاريخ الإسلامي منذ عهد الخلفاء

ولتناقص موجود في النفوس إلا أنه يرى أن مهمة الباحث رد هذا التناقض إلى أصوله الدقيقة ولا يرى لذلك حلة عند شوقي إلا أنه عاش في ثقافة اجتماعية ومرحلت عليه الذات عبرتنا مغرباً وهو الشاعر الرقيق ، فكان مالا بد أن يكون وهو أن يفقد الزمام أمام ذاته .

ونحن نرى أن ذلك الموقف المفرد بين الزهد والفن ليس موقف شوقي وحده فهو موقف قديم وحديث أيضاً ، وأي فرق في ذلك بين أبي نواس وشوقي ؟ ورغم أن المؤلف أوضح أن أبا نواس أشد ما يكون شجراً بشوقي في ذلك الموقف إلا أنه رجح فأفرد شوقي بالحكم ، وجعله متأثراً بالنقطة الاجتماعية .

إن شوقي قد عبر عن أطوار حياته في شعره وهو تعبير طبيعي لا يحتاج إلى إغراب في التعليل .

وفي الفصل الثالث يتناول المؤلف جوانب أربعة شعر شوقي الإسلامي ، فيقسمه إلى ألوان : زعماء الإسلام - الناحية الدينية للإسلام - الناحية الاجتماعية - الناحية السياسية .

ويجعل المؤلف حديث شوقي عن زعماء الإسلام مصاحباً لفكرة الجامعة الإسلامية ليقترن بهم المسلمون في العصر الحديث ،

الإسلامية ، ويدعو إلى التسامح الذي يؤمن
الجبهة الداخلية في الأوطان الإسلامية ،
ويذكر الموت ، فيحث المسلمين على نبذ
التكالب على حطام الدنيا ، ويدعوهم أن
يصلوا ليهوتوا كراما .

أما الناحية الاجتماعية للإسلام فقد تعرض
شوقي فيها إلى عدة مسائل كانت تشغل الأذهان
وتثير الجدل في عصره ، مثل الحجاب والسفور
وقد كان لشوقي رأى عجيب في هذه القضية إذ كان
يرضى عن السفور المرأة الثمانية التي لا يرى منها
الإنسان إلا جلا لا يمت على القريب والاحترام
ولا يرتضي للمرأة المصرية التي يمشى عليها
من (الوحوش الضواوي) و (النور الجمل)
إن الحجاب سماحة وبسادة

لولا وحوش في الرجال ضواوي
ويقول :

إن طرت من كنتي

وقسم على النور الجمل
وإلى جانب ذلك تناول شوقي المشكلة
الاخلاقية في المجتمع المصري من ذوايا
متعددة ، تناول قضية المدالة الاجتماعية
تناولا وسطا ، ف دعا إلى المساواة في حق الحياة
وإلى تطبيق فرائض الإسلام في الوكالة
والتكافل الاجتماعي .

وفي الناحية السياسية كان لشوقي شعر قومي
صالح ، يصور الأماسة التي فتح عليها الشاعر

الراشدين من العصر الحديث ، فقد ذكر
الخلفاء الراشدين في إجمال في قصيدته :
« نهج البردة » ثم تحدث في إسهاب عن كل
منهم في أرجوزة : (دول العرب وعظما
الإسلام) كما جدد في تلك الأرجوزة خالد بن
الوليد ، وأشاد ببغرية عمرو بن العاص
وممته وقراء ، ودهاء معاوية وسياسته ،
وطموح سقر قريش وكفاحه ، كما ذكر فيها
المفكرين الفخاطي ، وصالح الدين
الأيوبي .

وقد رثى شوقي رجال الإسلام ودعائه منوها
بفضائلهم مشيدا بكفاحهم في سبيل الإسلام
لم يفرق بين جنس وجنس ، ولذلك يرثي
الزعيم الهندي « مولانا محمد علي » كما يرثي
الشيخ عبد العزيز جاديش الذي رأى فيه
شوقي مجاهدا حمل على كامله قضية الأمة
الإسلامية .

وبذلك تنوعت شخصيات وحماء الإسلام
الذين تناولهم شوقي في شعره ، ليمثلوا آماله
في نهضة أمته ، وتطلعه إلى تحقيق العزة
والجده لها .

وفي الناحية العقيدية للإسلام يتناول شوقي
في شعره حقائق وفضايا تحس الحياة في المجتمع
الإسلامي ، فهو يلتفت إلى مشكلة القضاء
والقدر ويلفت المسلمين إلى حقيقتها ، ويؤيد
بقاء الخلافة ويوضح أثرها في حياة الأمة

وشعره بعد موته ، وليس ذلك التفسير مرتبطاً بالمتن لذاته. ولكنها أطوار اجتماعية وسياسية جرت في هذه الفترات :

ولكل طور من هذه الأطوار خصائصه في شعر شوقي ، وإن كان المؤلف قد كرر استعراض بعض القصائد التي ذكرها في مواضع أخرى من قبل ، بصد استعراضه لخصائص الطور الذي تمثله من شعر شوقي ، ولم يكتف بذلك ، بل وأذن بينها وبين غيرها في موضع لا يستحق الموازنة ، مثل موارثه بين برودة البوصيري ومعاوضة شوقي لها (١) ولم يكن إلها من حاجة .

وفي عاتق المطاف يتجه شوقي بعمره إلى الأمة الإسلامية يحثها على مواصلة الكفاح ويتغنى بما تهرزه من فخر ، ويتغنى منه نعمة الصراحة والتمنى ، التي كانت طابع شعره في الطورين الأولين .

وبعد : فهذا عرض للأفكار البارزة في الكتاب لا يحتاج القارئ بعده إلا لقراءة الشواهد المتعددة وتبع الأفكار في صورها لدى الشاعر العظيم ، وللتألف بعد ذلك بعض الدراسة المنهجية لجانب هام من شعر شوقي الذي لا نقلاً زوده ونجد فيه تعبيرا عن المعاصر والآمال .

مصطفى عبد الواسع

وجدناه من أمة يتربص بها الأعداء ويتنقص من أطرافها في كل يوم ، وكان يؤمن بضرورة الجامعة الإسلامية ويحسن الظن بدولة الخلافة ، على شرط أن تلزم بالحدود ؛ وبقول :

شر الحكومة أن يساس بواحد

في الملك أقوام عداد وماله
وكان شوقي هميق الحزن شديد التفتح حين يصاب به إسلامي ، كأنما هو يرقى بعضه من نفسه ، ويربط في ذلك الماضي بالحاضر فإذا سمح بخلة البلغار على مدينة أدونة سنة ١٩١٢ ذكره ذلك بالاندلس العاتقة :

يا أخت أندلس عليك سلام

موت الخلافة منك والإسلام

جرحان تحضى الأمان عليهما

هذا يسيل وذاك لا يثام

وكذلك تدمر الفرنسيين دمشق سنة ١٩٢٦

أست دمشق للإسلام ظمرا

ومرضعة الأبرة لا تقى

صلاح الدين تلجك لم يجهل

ولم يوسم بأذن منك فرق

وكان يدعو المسلمين إلى القوة والاستعداد ويحثهم على التماس الرقي ويتوجع لما هم فيه من نوم عميق .

وكان الفصل الأخير من الكتاب

استعراضاً للأطوار التي سار فيها شعر شوقي

الإسلامي، شعره قبل المتن ، وشعره في المتن

انبثاء وآراء

وقيته العلمية والدينية وروح الإسلام أقوى دعامه لإصلاح المجتمع، كما يبحث وثيقتان في (الأدب العربي في سياسة الرعية). كما يناقش المؤتمر تقارير عن التأمين، والمعاملات المصرفية، والاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر، والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام والتنوع والتكامل بين البيئات في المجتمع الإسلامي.

● تم تأسيس «المركز الثقافي والاجتماعي الإسلامي» بطن، وتلفت إدارة المجلة كتيباً يحوى النظام الأساسى للمركز ويوضح الباب الثانى منه أهداف المركز وحى تعنى بفرض العقيدة الإسلامية، وتقوية وروابط الإخاء والمحبة والدعوة إلى تعاليم الإسلام الحنيف، والنسك بمناهج حمله، وتقديم خدمات إنسانية: اجتماعية وصحية وتربية للواطنين ورفع مستوى الفنة العربية بينهم.

● انتهت لجنة إعداد القاموس العلمى العربى من وضع الخطوط الأساسية للشروع يضم القاموس ألف مصطلح علمى ويستغرق وضعه ثلاث سنوات، تقوم تكوين لجنة لتوحيد المصطلحات العلمية العربية برئاسة الدكتور أحمد رياض تركى رئيس المجلس الأعلى للبحث العلمى.

● عاد الدكتور محمود حب الله، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية من لندن في ١٩٦٦/٩/٦. وكان قد سافر إليها في ١٩٦٦/٧/١٦ ليقوم بوضع التخطيط للآزم لتقديم المركز الثقافى الإسلامى الذى يضم مسجداً جامعاً وقاعة للاجتماعات والمحاضرات ويقوم فضيلة الأستاذ عبد الجليل شلبى بإمامة الجالية الإسلامية هناك.

● عقد المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وتنتشر اجتماعاته أربعة أسابيع ابتداء من ٣٠ سبتمبر، ويرأس المؤتمر الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر، ويقوم بأمانة المؤتمر الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وقد أعدت قاعة مجلس محافظة القاهرة بميدان الجمهورية لتكون مقراً لاجتماعات المؤتمر.

● يناقش علماء المسلمين في مؤتمر العلمى يمتد يوم ١٩٦٦/٩/٣٠ في القاهرة برئاسة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر عدة بحوث علمية منها: القرآن في القرية الإسلامية، وتحديد أوائل الشهور القمرية والصفر فى القرآن، ومكانة السنة فى بيان الأحكام الإسلامية، والحديث

الذين اكتشفوه ، إن له صلة بشرب البيرة ، وقال موليفان : إنه بالكشف على نحو أو بعين حالة أصيبت بهذا المرض حدثت بينها عشر وفيات .

● اقترح الدكتور «خليفة جوينادي» ، أستاذ اللغة العربية بجامعة الجزائر ما أماء : لدعائ «إصلاحات» جذرية على الخط العربي لتسهيل التعليم في الجزائر . فطالب بأن تكتب العربية بحروف منفصلة ، وأن تكتب الحروف المتحركة باللاتينية .

« هذا ما نشرته أخبار اليوم في عددها الصادر في ٤ / ٦ / ١٩٦٦ م وقد لا يكون اقترح الدكتور جوينادي آخر اقترح في هذا الموضوع فقد سبق أن نودي بإحلال الحروف اللاتينية عل العربية والاستغناء عن هذه الحروف جملة وتفصيلا .

« وقد نظر بجمع اللغة العربية في مئات الاقتراحات من هذا النوع وخصص جائزة مقدارها ألف جنيه لمن يقترح طريقة لتبسيط الكتابة العربية ولكنه بعد البحث الطويل لم يجد فيها اقترح طريقة تحفظه لخط العربي بحالته فألقى جميع المقترحات وترك الباب مفتوحاً ،

● منعت وزارة الثقافة والإرشاد العراقية جميع المطبوعات والمنشورات التي تصدرها المنظمة الصهيونية (بنائ برتومن) أو فروعها من دخول العراق ، كما منعت الوزارة دخول ثلاث عشرة مجلة لبنانية إلى العراق لنشرها صوراً أو موضوعات تتنافى مع الآداب العامة .

● قام قسم رعاية الطفولة والأمومة بالمعهد العالي للصحة العامة بالإسكندرية تحت إشراف الدكتور فؤاد الشربيني رئيس القسم بعمل أول بحث عن المخدرات وانتفاوها في المدينة والريف وأثارها على الصحة النفسية والعقلية ، وقد أثبت البحث أن الإدمان على المخدرات هو السبب الوحيد في الأمراض العقلية في الريف .

● أعلن الدكتور «جيمس سوليفان» كبير الأطباء في مستشفى البحار بين القدماء ببراسكا أنه وزملاءه قد اكتشفوا مرضاً جديداً غامضاً في القلب يشترك ضحاياه جميعاً في أنهم مفرطون في شرب البيرة ، ومصابون بضعف في عضلات القلب ، ويقول الأطباء

● جائفنا من بعض الهيئات والوزارات ، شبكات ، بمبالغ مختلفة تسديداً لاشتراكات المجلة عن ١٢٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ولم يذكر في إخطاواتهم عدد النسخ المطلوبة ، وسترسل إدارة المجلة من كل عدد يصدر ما ينطى قيمة الاشتراك المرسل إلى المجلة على اعتبار أن قيمة الاشتراك في النسخة الواحدة من سنة أربعين قرشاً هي ثمن عشرة أعداد تصدر كل عام . وستوالى إدارة المجلة إرسال الأعداد إلى المشتركين بعد أن انتهت فترة إجازتها .

made so many travels into Greece, Asia Minor and Egypt with the purpose of studying materia medica and drugs. His book on materia medica is considered to be the most comprehensive one on the subject, as it contains a description of some thousand and four hundred drugs, three hundred of which were utterly new in his time. The book was translated into Latin and German.

Not only did the arabs take in medicine as a science but they also took interest in it as a practice. They built hospitals since early times. El Waleed ibn Abdul Malek established a hospital in 88 (Hejria) where Arab physicians practised medicine for pay. In the reign of Harun el-Racheed and his successors so many hospitals were established that any Islamic town hardly had been empty of them. The first hospital in Egypt was established by Ahmad ibn Touloun, and soon

many hospitals were opened later on.

In conclusion, it may be said that all European books before the Renaissance were based on the arab medical sciences. European authors did not guarantee neither the wide distribution to their books nor the confidence of their readers unless they referred to the arab sources. When the translators found themselves unable to get Latin equivalents to the arabic terms they quoted them as they were. The dominance of the arab sciences was so great that European universities enjoined teaching the Canon of Ibn Sina within their medical curricula till the close of the sixteenth century. The books of Ibn Rushd continued to be studied in the universities of paris and Poland until the year 1546 A. D. Also, the arab book, on surgery, translated into Latin, continued to be studied in these till the year 1590.

Abdul Khaleq Amer

for centuries a standard authority on what would now be called materia medica was printed in twenty six editions in the fifteenth century and later, and was used in the formation of the first London pharmacopoeia, by the College of Physicians in the reign of James I. Abu Quassim of al-Zahra near Cordova, in Spain, has attained the position of a classic. His great work *Altaarit*, a medical encyclopaedia, is chiefly valued for its surgical portion which was translated into Latin in the sixteenth century, and was for some centuries a standard if not the standard authority on surgery in Europe.

'Ibn Sina' has always been regarded as the chief representative of Arab medicine. He acquired the highest reputation through the whole of Muslim East. In Europe his works even eclipsed and superseded those of Hippocrates and Galen. His celebrated "Canon", an encyclopaedia of medical and surgical knowledge, is singularly complete and systematic.

But the real advance made by the Arabs was in pharmacy and the therapeutical use of drugs. By their relation with the farther East, the Arabs became acquainted with valuable new remedies which have held their ground till modern

times, and their skill in chemistry enabled them to prepare new chemical remedies and form many combinations of those already in use. They produced the first pharmacopoeia and established the first apothecaries. Many of the names and many forms of medicine now used, in fact the general outline of modern pharmacy, except so far as modified by modern chemistry, started with the Arabs.

They have known so many chemical processes as distillation, calcification and filtering, and introduced a great number of Arab Chemical preparations such as alcohol, camphor, pink, quicksilver (mercury), ambergris, musk, senna,...etc. Thanks to Jabir ibn Hayyan, who is considered to be the father of modern chemistry, he discovered nitric acid (aqua fortis) and the royal water (aqua regia, nitrohydrochloric acid).

The Arab Muslims discovered also the possibility of anaesthetization through breathing and used it in their surgery. In the thirteenth century A. D. the arab way of anaesthetization was conveyed to Europe.

One of the most prominent Arab medical scientists in the twelfth century A. D. is Ibn el-Bitar who

They also tried to analyse the properties of air, water, fire and earth and the deficiencies or excesses of these elements in other chemical substances. They developed a formidable body of real chemical knowledge and practical techniques which came to the west by way of Byzantine, Italy and Spain.

A very important contribution to astronomy by Arab scholars was the development of its essential ancillary science, plane spherical trigonometry. Arab mathematicians had taken over the sine as a measure of an arc from the Indians and substituted it for the Greek chord. Through the efforts of various Arab mathematicians and astronomers, especially al-Battani, Abu al-Wafa, and Nasir al-din-al-Tusi, Trigonometry became an independent science which reached such a high level of development that it could later on simply be taken over in the west. Nasir al-din-al Tusi was the head of an astronomical observatory founded at Maragha by the Mongolian ruler Hulagu il khan (il khan of Persia).

The rise of the Muslim Empire made its mark also on the history of medicine. After the Muslim conquests became consolidated learning began to flourish and schools of medicine, often connected with hospitals, arose in all the chief seats

of Muslim power. At Damascus, Greek medicine was zealously cultivated. In Baghdad, under the rule of Harun al-Racheed and his successors, a still more flourishing school arose, where numerous translations of Greek medical works were made. The names of Yehia ibn Massawaih, celebrated for his knowledge of drugs, and Hunain ibn Ishaq al-Ibadi, the translator and common tutor of Hippocrates and Galen, belong to this period.

The classical period of Arab medicine begins with al-Razi who practised medicine with distinction at Baghdad. He was the first of the Arabs to treat medicine in a comprehensive and encyclopaedic manner. He is deservedly remembered as having first described small-pox and measles in an accurate manner.

Another arab scholar, Ali ibn al-Abbas wrote a medical textbook, known as the "Royal Book" which was the standard authority among the Arabs up to the time of 'Ibn Sina' and was more than once translated into Latin and printed. The eleventh century is given as the probable date of a writer who had a great influence on European medicine, Mesua the younger of Damascus. The work "De simplicibus", which bears his name, was

It may safely be said that, when the ninth century was drawing to its close, an appreciable portion of the principal remains of Greek philosophical and technical literature was accessible in Arabic.

If Muslims have done no more than assimilating and preserving Greek and Indian lore, their historical significance for the development of natural science would be greater than that of Rome and Byzantine together. They surpass them even more because many Islamic scholars also enriched science by independent discoveries. Suffice it to mention the names of only two scholars out of a large group who contributed to the growth of science.

The astronomer al-Battani is the author of an important textbook on astronomy which had great authority up to the sixteenth century. By accurate observations he improved various astronomical constants (e.g. the constant of precession) and discovered the progressive motion of the line of apsides of the sun's orbit. He also brought goniometry to a higher degree of development.

The other scholar is the mathematician, physicist and astronomer Ibn-al-Haitham, whose significance is mainly based on his great work on optics, *Kitab al-Manazir*. This book under the title of *Opticae Thesaurus* occupied an important

place in European physics down to the seventeenth century. Ibn-al-Haitham gave a letter description of the structure and operation of the eye. His name remained attached to the problem of how to determine a point on a convex spheric mirror on which a light ray from a source of light will be reflected in such a way that the ray will reach the eye of a given observer. He also discussed the phenomenon of twilight which he wanted to use to determine the height of the atmosphere.

In the field of Arab alchemy too we find practical alchemists like Jabir Ibn Hayyan (ninth century) who held that the specific properties of chemicals are measurable as they are built up according to measurable relations, thus sowing the seeds of quantitative chemistry.

Arab alchemists also introduced Chinese and Indian concepts into Greek alchemy. They modified the Transmutation theory as they believed that the metals and minerals in the earth had been formed by 'moist' and 'dry' vapours. The transmutation of a metal could be effected by a powder so sprinkled; on it or by a medicine to be added to it. This they expressed in the Arabic term *al-iksir* (elixir), the preparation of which started with cinnabar, the red compound of sulphur and mercury.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Jumādai-Ūla
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

August
1966

THE ROLE OF ISLAM IN THE DEVELOPMENT OF SCIENCE



Considering the paths along which Greek thought on nature penetrated into Western Europe we can distinguish three areas of culture which contributed to the preservation of Greek science and helped to spread it. They are Muslims, Rome and Byzantine.

Neither of the two latter means of transmission can compare in importance with the first, that of Islamic culture. The tremendous energy which propelled the political expansion of the Arabs from the seventh century onward was attended with a remarkable capacity to assimilate what the older civilizations of the subjected countries had to offer.

Contact with Greek science was chiefly established in the Near East, where extending Christianity had

brought Hellenistic culture. There had been schools where theology and philosophy were studied, Greek texts of a philosophical nature on various branches of science had been into Syrian. Finally the University of Jundi-Shapur had become a nursery of Greek culture, and, mainly in the eighth and ninth centuries became a centre of assimilation of this culture by Islam. This assimilation was greatly furthered because al-Mansur, Harun-al-Raschid and al-Ma'mun, the great caliphs of the House of the Abbassides, vigorously stimulated the translation of Greek works into Arabic. Interest was at first mainly focused on medical and astrological works, but soon it was also directed to astronomical, mathematical and philosophical writings.



مجلة الأندلس

مجلة شهرية جامعية

تصدر عن شعبة الأندلس في أول كل شهر ربيع

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة المجتمع الأندلسي
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بذل الاشتراك»
١٠ في المبرور الحرة الخمسة
٥٠ خارج المبرور
والدريس الطلاب بمحض خاص

الجزء الرابع - السنة الثامنة والثلاثون - جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ - أكتوبر ١٩٦٦ م

سنة الثامنة والثلاثون

يَا لَيْلَةَ لَيْلَتِهِ الْمَظْلُوم...!

بقلم
أحمد حسن الزيات



أرأيت إلى ظلم المظلوم يزل من السماء على
الأرض المليئة صافيا كالإيمان ، نقيًا كالخلق ،
هذبًا كالصدق ، فيخرج الخبيث من البيت ،
ويذبح الحب من الصخر ، ويمسح الأرض
حجارة ونشارة وبركة . فإذا وقع في خبيثها
انقلب أسنًا لا حياة فيه ، وعطشًا لا نفع منه
وجوًّا ويشتا يظن فوقه البعوض ، وقسح
نحته الجرائم ؛ فيهلك الخبيث ويدرس العاصي ،
ويجذب الخصيب .
ذلك مثل دين الله أنزه على وسوله بالهدى
والنور ، والحق والخير ، والعدل والرحمة .
فتقبلته إجماعًا المجلوة بالقبول الحسن فأحياها
ومداها ورقاها ، وجعل منها هذه الأمة
الوسط التي أمرت بالمعروف ، ونهت عن
المنكر ، وأصلحت ما قسد من أمور الناس ،
وقرعت ما أخرج من نظام الدنيا . وبلغت
بفتوح الجيش ، وفتوح الدين ، وفتوح العلم
وفتوح الخلق من السلطان والممران ما لم تبلغه
أمة من قبل ، فزل على حكمها الدهر ودخل
في ملكها العالم .

والتوحيد وثنية ، والبنى عدلا ، والحق
دخدا ، والمشورة فوضى ، والمداوة أخوة ،
وتوسل بالندس والتفجير والاعتقال
والخيانة إلى قتل الأمة وهدم الوطن ، وم
مع ذلك يقرأون القرآن ، ويتلون الأوراد
ويقومون الصلوات ، ويقسمون باسم
(الإخوان) .

ومن هذه الطائفة التي استقصت في قلوبها
رواسب المادية ، وشوائب البهيمية ملوك
ودعاهم نسوا الله فاناسم أنفسهم ؛ فهم
لا يشعرون بأنهم حرب لأنهم يجهتهم فذلوا
أخلاق العربية ، ولا أنهم مسلمون لأنهم
بمهااتهم أنكروا خلال الإسلام ؛ إنهم
عبدة المال وأسرى الشهوة وأكلة الحرام
وفلاة المنكر ومستعبدو الذهب وجابغ
المستعمر ، وموظفو الفتنة ، وباعثو الفرقة
وناشروا الرجمة ، وناصروا الجريمة ، ودعاة
المزيفة ، يهاقون الله ورسوله من بعد ما تبين
لهم الهدى ، ويقومون بغير سبيل المؤمنين في جهاد
الصهيونية ، ودفاع الأمريكية ، ويدعون
النول الحمدي باسم الله إلى حلف يؤيد هذه
المبادئ ، ويمتد هذه الخاوي ؛ ليحول بين
العرب والوحدة ، وبين الظلم والثورة ،
ويؤجل اليوم الذي يرى فيه عرب الجزيرة
أن بواديهم لم تعد دولا ولا صحرا ، ولا آبارا

أما النفوس المظلمة والبعائر الكدرة فقد
حل فيها الدين حلول الشراب الخالص في الإناء
القديم ، فتكدلوه ، وتغير طعمه ، وأراحت
ديمه ، فاطلب الإسلام جهلا ، والسلام حربا ،
والوئام فرقة . وذلك مصداق قول الرسول
صلوات الله وسلامه عليه : « مثل ما يمشي الله
من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا كان
مها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ
والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت
الماء فنضج الله به الناس فشربروا منها وسقوا
ودرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي
قيعان لا ماء ولا تبت كلاً ، وهذه الطائفة
الأخرى هي التي حلت اسم الإسلام وغيرت
صياها ، وحفظت نص القرآن وديفت صياها ،
وجعلت من سطور المصحف حبالا للصيد ،
ومسائل الحكم ؛ فكفرت المسلمين ، وروحت
الأميين ، وقتلت الأبرياء ، واستحيت النساء
ودبجه الأبناء باسم (الحوارج) . وطعست
في قلوب المؤمنين اليقين مبادئ الدين
فكفروا اثني عشر قرنا سكون الجهاد
لا يصحرون بالفلك وهو دائر ، ولا بالعالم
وهو سائر ؛ لأن الجهل والفقر والمرض
والزناح والمحمودة تعاونت على عزلم من
الوجود باسم (الأئمة) . وغيرت مفاهم
القرآن وتعاليم السنة فصمت الإسلام جاملية ،

الأسود ، والطفيان العاني ، والكفران
المقنع ، والموالاة العدو ، والدعابة الصديق ،
والمهاواة المال ، لبست كلها لباس الدين ،
واتسمت بسمة الخلافة ، وطارت من جو
إلى جو ، وانطلقت من بلد إلى بلد ، بنشر بدين
الدولار ، وتحتف بحياة الاستثمار ، وتقول
لهؤلاء الدين تتطلب أشداقهم لقوة ،
وترجع قلوبهم من الثورة : أين دبنا
في ببلبة ، لأن عروشنا في ذلقة ، وما ذلول
الأرض من تحتنا إلا هذه الأمم الاشتراكية
الناثرة التي تريد أن تسوى بين العقال المذهب
والعقال الصوف ، وتعمل الحباب المطنب
بإزاء القصر المفيد .

فتعالوا نرفع المصاحف على الزمان ،
ونقل لم : لا حكم إلا لله ، ولا حلف إلا
للإسلام ، ولا نعم بفضل قناطينا المقنطرة
من الذهب والفضة من يقول : إن المساواة
في المجتمع ضد الطبيعة ، وإن الاشتراكية في
الرزق ضد الدين ، وإن الدين يقولون بها
ويسمون لها إنما جزاؤم النفس بالقتابل ،
والطعن بالختاجر ، وإن المجتمع الذي شادوه
بالكفاية والصدل ، وقادوه بالإخلاص
والحب ، إنما هو مجتمع كافر يجب أن يدمر
من أساسه ، فلا يبقى عمران ولا سكان .
وإنما يبقى البدو ، وتقوم الخيمة ، ويهدو

تبعث بالماء ولا مراحي تضيء بالنسب ،
وإنما أصبح بفضل الأبحر السود التي تلمج
من تحتها بالنمط مناجم تغلف بالتبر وقصورا
تضيء بالجواري ، وجنانا تفيض بالنعيم ،
فيملون أن أولئك كله قد استأثرت به فئة
باغية تبذل في البغي ، وتنفق في اللهو ، وترك
أصحاب العري والجوع والعبودية والمشقة ،
ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، واقدح
الوعي الذي أيقظته ثورة تاريخ ، وأنضجت
عبقريه جنس ، وأكملت حقيقة دين ، فرى
في الوطن الإسلامي روح من قلق الروح
لا يصبر على الموت ، ولا يرضى بالدون ،
ولا يمتد وجهه لغيره . ولقد ملك هذا
الخلق الروحي الجزيرة كلها رأسها وقلبها
وأطرافها فتلاقت القحطانية في الجنوب
والمعدنانية في الشمال على موعد من مواعيد
الحق ليضموا الأغلال التي طلمح في أعناق
من استمسموم باسم الدين ، واستذلوم بقوة
الجهل ، ولينطلقوا خفافا إلى حياة أفضل
ومقام أكرم .

• • •

ليس هذا الذي فعله الخوارج بالأمس
ويفعل الإخوان والآفة والملوك اليوم من
الإسلام في شيء ؛ إنما هو التعصب الجامد
والغيا القروء ، والمهوى المضل ، والحقد

فلو أن المسلمين اعتقدوا بهم اعتقاد المؤمنين،
وفقهوا دينهم فقه الموقن، واتبعوا رسولهم
اتباع المصدق، لميزوا المصلح من المفسد،
وعرفوا الهادي من المضل، واجتنبوا الطريق

الذي يُسَنِّيه الشيطان إلى الطريق الذي
يسنه الله، والأزهر فينا وبحج البحوث
الإسلامية فيه، مما الكفيلان بتقوية الوعي
الإسلامي، وتسمية الصف العربي، بتوحيد
الكلمة، وتوكيد الميثاق، وتأيد حرب الله
التي جعل له القرآن نوراً ولسنة دستوراً
والجاعة قوة، وتفنيد حزب الشيطان الذي
جعل له البنى شريعة والفساد طبيعة
والاستعمار غايه، وذلك إنما يكون من
طريق التعليم بالمدارس والوعظ بالمساجد،
والنشر في الصحف، والحديث في الإذاعة،
والبحث في المؤتمرات، والظفر نبل ذلك كله فيما
يقرأ المسلمون من كتب وفيما يمشي الموهومون
من يدع، فإن تنقية الدين مما خلق به وفس
فيه تكشف الناس عن جوهره، وتصلهم
بروحه.

إن النعام يحجب الشمس، وإن التفتي
يفسد الشراب، وإن الماء إذا راق ساغ،
وإذا ساغ روى.

الجل، ويحكم العقال، وتعود الأمة التي
أوجدها الله، ووحدها محمد ومدنها
الرشيد أمة من الرعاة تكدح بلا أجر،
وتعيش بلا أمل، وتموت بلا دين.

• • •

باسم الإسلام دين السلام كاد يكون هذا،
وباسم الإسلام دين الوثام يدأب الضالون أن
يكون هذا. والضالون في وطن العرب كله
لا يبدون على ثلاثة فقر ضعفاء في الدين
والسلطان والقومية، ولكنهم أغنياء بالماله
والاستعمار والصهيونية، فإذا جردوا من
الألقاب المزيفة، وأزيلوا عن العروش
المستعمرة، عادوا ناساً أقل من الناس، وشيئاً
أسفر من لاشئ.

والسبيل إلى ذلك أن يعرف العرب في كل
مكان أنهم مسلمون والمسلم لا يدين إلا الله،
وأنهم عرب والعربي لا يستكين للذل، وأنهم
أصحاب الأرض وما فوقها من زرع وطرح،
وما تحتها من بترول وركاز، فليس من كرامة
المسلمين ولا من شهامة العرب أن يهزوا
هؤلاء الطفيليين يستأثرون بخيرها دونهم،
وما قوتهم إلا عنهم، ولا سطوتهم إلا بهم.

المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية

شيء خلقه ، ومن صفة الله (ومن أحسن من الله صفة) ولأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأخذهم بها ، وعدم إلها ، لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ومن هنا كان الإسلام بشريته جديدا لا يبل ، ومن حوله الحياة تتجدد وتبذل ، والوجود يتغير ويتحول ، والإسلام اليوم وغدا هو الإسلام الذي بسط به محمد بن عبد الله والدين الذي ارتضاه الله .

والناحية الأخرى من الدراسة والبحث ، والتقرير والتوصية هي نمو الإحساس الروحي في المسلمين ، وتوثيق الروابط بحبل العقيدة ، وتقرير المصالح بدافع الإيمان بالجماعة ، والتكافل بين المسلمين .

هذا الفكر الوجداني وذلك الرباط العقدي هو المصفاة التي تنقى جو التعاون الإسلامي بين شعوب المسلمين من أدراك المصالح الدينية ، وذهو السلطان .

ولا يكدر صفو الأمل في هذه الوحدة الإسلامية بطء النمو ، أو قلة الكم مادامت البذرة منتقاة والأرض صالحة والجو مناسباً ومادامت الرعاية دائمة والصيانة قائمة ، والمحاولة متجددة .

وهي بمحمد الله متجددة وموصولة ، لأن هذه المؤتمرات فتحت عيون المسلمين على

كان الخامس عشر من جمادى الآخرة ١٣٨٦ موحداً القاء بين علماء المسلمين ومفكرهم على أرض الكنانة وفي روضة الأزهر الشريف حرم العلم وكمبة العلماء منذ أكثر من عشرة قرون . وهو لقاء مسبق بقاءات ، واجتماع تقدمته اجتماعات فلا يكاد ينقضي مؤتمر لمجمع البحوث حتى تستأنف الأمانة العامة عملها في الإعداد لمؤتمر آخر ، ولا يقر العلماء وأبا جديداً أو يضعون حلاً لمشكلة حتى يجد المجمع حيلة جديدة من المباحث وحدداً جديداً من المشكلات ، شأن الحياة في تمسدها وتمتدها وكثرة متطلباتها .

ولقد عقد مجمع البحوث مؤتمرات من قبل ، أحدها عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م والثاني عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ، وفي كل مؤتمر لخص ببحوث ومشكلات ، وتدور دراسات ومناقشات ، وتقرقرارات وتقرقر توصيات وكل الذي يبحث ويدرس ، ويوصى به أو يتقرر يأخذ أحد وضمين :

الوضع الأول : أن يضاف إلى حصيد الأمة الإسلامية الفكرى وتناكه به صلاحية الشريعة لمطالبات الحياة ، باعتبار القواعد الكلية والقضايا العامة لهذه الشريعة فتستوعب كل جديد في غير تضريط ، وتخدم الحياة من غير إفراط لأنها من صنع الله الذي أتقن كل

خدمة أعمال هذا المؤتمر ، وكانت تجربة
عاض الشيوخ غناؤها ، وامتناعا اجتازته
أجهزة الأزهر بنجاح .

شهد مطار القاهرة الدولي شيوخ الأزهر
يتأهبون العمل فيه . يستقبلون القادم ،
ويستضيفون المدهور ، ويخدمون الأعضاء .
وطائفة أخرى لم يشهدوا المطار لازمت
الفنادق تهيئ المبيت وتشرف على الطعام ،
وتوفر المركب .

ومن خلف هؤلاء وأولئك جماعات
وجماعات تنهض بشئون الإدارة ، وتجهز
لأعمال المؤتمر .

مشار وأحاسيس :

ولقد أحسست وفود المؤتمر أن الأزهر
وحده لم يكن في خدمتها وإنما كان من خلفه
كل مسلم في كل جهاز من أجهزة الدولة ، وفي
كل مرفق من مرافقها ، كأنما الوفود ضيوف
عليه ، ومن خلف هؤلاء هؤلاء أجهزة
الإعلام جميعا من صحافة وإذاعة وتليفزيون
يتأهبون أحاسيسهم ويكتبون عنهم ويذيعون لهم ،
ويقدمونهم لشعب الجمهورية العربية في حرص
كريم على أن يتمتعوا بكل لحظة يقضونها وأن
يتعرف عليهم الناس في كل مكان يتزلون فيه .

مع قارات شعوب :

ومن القارات الثلاث آسيا وإفريقيا
وأوروبا وفدت الوفود يمثلون تسعا وعشرين
دولة :

هيئة ترعام ، وترعى الأمة كلها هذه الهيئة ،
وأشرق في قلوبهم نور العمل ، لأن دوافع
الرعاية قلبية دينية ، ولأن ميثاق العمل
إلهي رباني .

لذلك فإن رسالة مجمع البحوث الإسلامية
وأهداف مؤتمره تقبلوا يوما بعد يوم ،
وتتعلق قلوب المسلمين بها عاما بعد عام حتى
لكأن مجمع البحوث في مؤتمر دائم بهذه
المراسلات التي يتلقاها والطلبات التي ترد
إليه ، والمذكرات التي يطلب وأيه فيها ...
من أجل ذلك فإن المؤتمر المعقد في القاهرة
اليوم ليس للعثرات الذين هموا للمشاركة
في أعماله لحسب ، وإنما هو مؤتمر ستائة مليون
مسلم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وأن الإسلام هو الدين المرصى ،
وأن المسلمين أمة واحدة تتكافأ دعاؤهم
ويسمى بذمتهم أدانهم وهم يد على من سواهم ،
لا يزيع عن ذلك العهد إلا ضال ، ولا ينقضه
إلا مضل .

المسلمون في ضيافة الأزهر :

فإذا شاء قاتل أن يقول : إن ستائة مليون
كانوا ضيوفا على الأزهر فهو صادق ، وأن
ستائة مليون اتسمروا في مجمع البحوث فهو
صديق لأن هذه هي حقيقة الدافع من عقد
ذلك المؤتمر .

ولقد جند الأزهر شيوخه وشبابه وجند
مجمع البحوث أجهزة وإداراته ليسهر على

فرن آسيا :

الأردن ، أندونيسيا ، العراق ، عمان ؛
اليمن ، الكويت ، لبنان ، سوريا ، غزة ،
باكستان ، الفلبين ، ماليزيا ، الهند ، اليابان

ومن إفريقيا

السودان ، تنزانيا ، ليبيا ، المغرب ،
موريتانيا ، كينيا ، النيجر ، سيراليون ،
الجمهورية العربية المتحدة .

ومن أوروبا وغيرها :يوغوسلافيا ، وروسيا

كما ضمت هذه الوفود ثلاثة وسبعين
عضواً من السادة : / عبد الكريم سايو من
اليابان ، جمال الدين أميني ودان عبد الهادي
إسماعيل من ماليزيا ، والشيخ عبد الله
قوشه والشيخ عبد الحيد الساج من الأردن
والشيخ محمد تاجي أبرشمان والشيخ محمد
عزاد من غزة ، وسعيد أحمد أكبر آبادي
وعبد الوهاب بخاري وعبد الميّد عان
ومحمد إقبال أفشاري ومحمد إسلام الدين
ومصطفى نقيه من الهند ، والشيخ علي
عبد الرحمن ، والشيخ إبراهيم سوار الذهب ،
من السودان ، والشيخ نديم الجسر من لبنان
والستاتور أحمد الفتو ومونتال ناظر من
الفلبين ، وضياء الدين بابا خانوف وأحمد
شين من روسيا ، وحسن سليمان جوزو من
يوغوسلافيا ، ورشد عبد الله الفرمان وعلي

عبد القادر الجمار من الكويت ، ومحمد
عبد الرحمن عبد الله من تنزانيا ، والشيخ
عبد الرحمن القلهود من ليبيا ، والأستاذ عبد الله
كنون من المغرب ، وسليمان بن محمد من عمان
والحاج محمد سالم عبد الودود من موريتانيا ،
والشيخ محمديوسف البزوي ، وحرلانا مفتي
مخود من باكستان ، والأستاذ أحمد شينو
ومحمد طه يحيى حمرو والدكتور محمود يونس
من أندونيسيا ، وجمعه أحمد عبد الله ،
وشريف عبد الله من كينيا ، والشيخ
نجم الدين الواعظ وعبد الله المشغلي وكاظم
الكفائي ، وكال الدين طهاتي ومحمد نصرة
من العراق ، والحاج عمر أحمد من النيجر ،
وعبد الستار الصعيد وعمر الدين الحسيني
من سوريا ، وقاسم غالب أحمد من اليمن ،
وسوري إبراهيم كاتو من سيراليون .

صلاة الحمد :في الجامع الأزهر

ولقد كانت صلاة الجمعة في الجامع الأزهر
أول لقاء بين أعضاء الوفود في الخامس عشر
من جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٠ سبتمبر
١٩٦٦ كما كان في استقبالهم فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر ، والدكتور محمود حب الله
الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية وجمع
كثير من شيوخ الأزهر وعلمائه ، وطوائف
العلماء المصريين الذين ضاق بهم الجامع الأزهر
على سعة . فاستمروا إلى خطبة الجمعة من

حفل الافتتاح

وقد بدأ حفل الافتتاح بتلاوة آيات من كتاب الله تلاها فضيلة الشيخ محمود خليل الحصري ثم التي فضيلة الإمام الأكبر كلفه الافتتاح وأعقبه فضيلة الشيخ إبراهيم حوار الذمب نيابة عن وفود المؤتمر، ثم الدكتور محمد حب الله الأمين العام للجمع، ثم ختمت الكلمات بكلمة السيد حسين الشافعي نائباً عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر مؤكداً نهاية الدولة بالأزهر، وانتهىها برسالة بجمع البحوث الإسلامية ودوره الكبير في تهيئة الفرص أمام علماء المسلمين للاجتماع من أجل العلم المتحرر من أي مفهوم سياسي يباحث بين الأزهر وبين عاصيته العلمية الجديدة به مقننوا الجمع جهودهم وألقوا إليه تحيته وتقديره . ثم ختم الشيخ محمود خليل الحصري الحفل بمثل ما افتتحه به بتلاوة آيات من كتاب الله الكريم .

إزاحة الستار

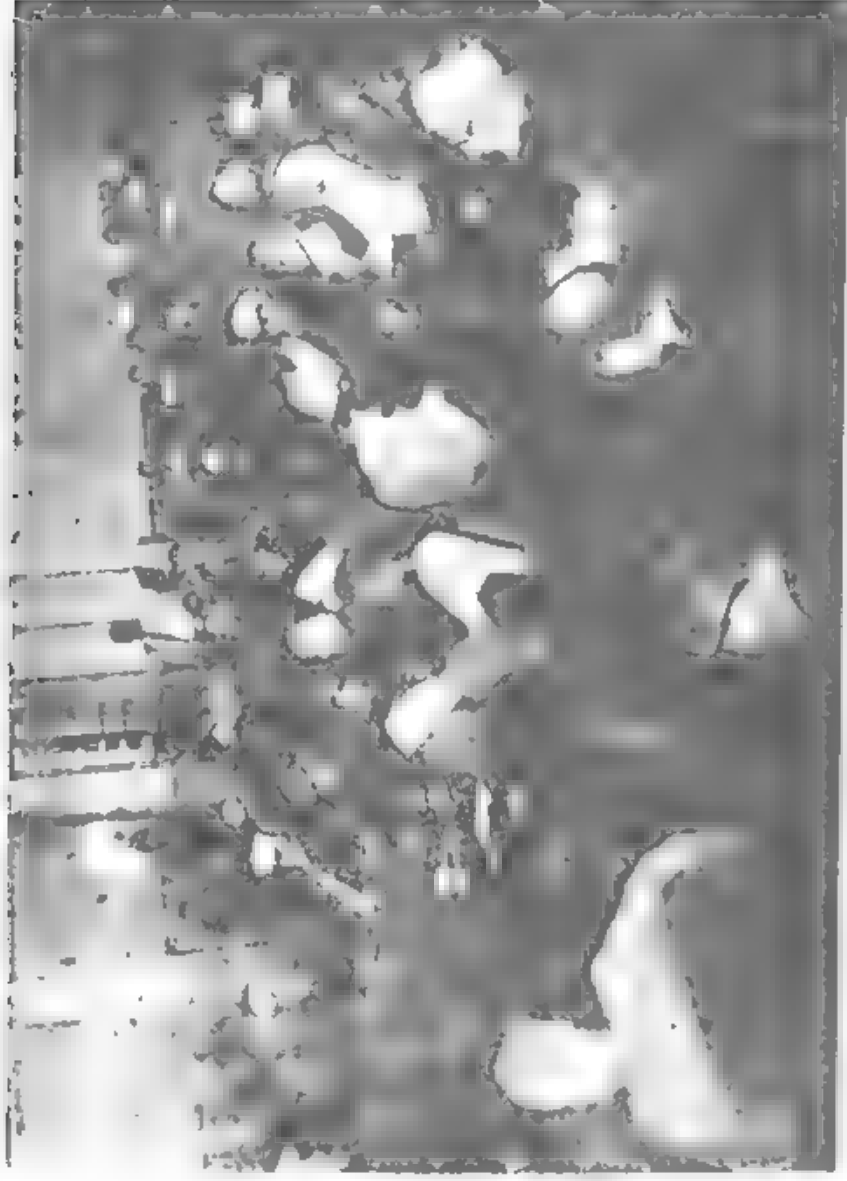
ولقد تمت إذاعة الجمهورية العربية المتحدة موجلت بإيجاز وأذاعت الاحتفال على كل موجاتها بمحس وستين لغة ، كما سجل (التليفزيون) الحفل تسجيلاً (سينمائياً) ليظل ذكرى باقية للدعوة إلى جمع كلمة المسلمين ، والعمل على توحيد جهودهم ولم نعلم . وفيما يلي الكلمات التي ألقيت في حفل الافتتاح :

الشيخ إبراهيم السوقي مدير المساجد ، وأدوا فريضة الجمعة ، ثم خرجوا بين تحية الجماهير وهو أطفهم الأخيرة وتوجيههم الحاد .

السيد حسين الشافعي

ينوب عن السيد الرئيس في افتتاح المؤتمر وفي الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ١٦ من جمادى الآخرة الموافق ١ من أكتوبر سنة ١٩٦٦ في قاعة محافظ القاهرة بميدان الجمهورية حضر السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ليفتح الحفل نيابة عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر وكان في استقباله فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر والدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر والدكتور محمود حب الله الأمين العام للجمع للبحوث الإسلامية وحضر الحفل من الوزراء السادة أمين هويدي وزير الدولة للشئون الأزهر والدكتور أحمد خليفة وزير الأوقاف والشئون الاجتماعية ، ومحمد فائق وزير الإرشاد ، وسعد الدين زايد محافظ القاهرة وجمع كبير من سفراء السلك السياسي العربي والإسلامي ، وعديدي وعمداء وأساتذة جامعة الأزهر والجامعات المصرية والعلماء وكبار رجال الأزهر - ويمثلي الصحافة والإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء العربية والأجنبية .

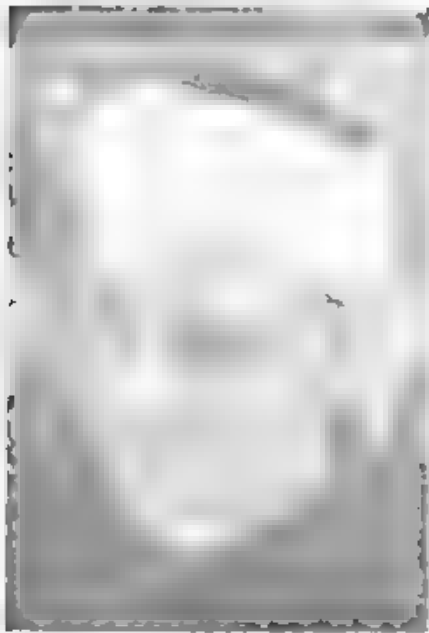
جانب من القاعة في حفلة افتتاح المؤتمر الإسلامي الثالث لمجمع البحوث الإسلامية



كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

في افتتاح المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية

في يوم السبت ١٦ من جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ الموافق ١ من أكتوبر ١٩٦٦ م



فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

و نتيجة لهذا الإيمان العميق بديع الإسلام
وتفوق مبادئه وتميز تشريعاته واستيعاب
تضاياته لكل جوانب الحياة - تدعو
الجمهورية العربية المتحدة من طريق الأزهر
كل عام لهذا المؤتمر ، لتسمع الدنيا كلها ما
انتهى إليه علماء المسلمين من بحوث تعجل
الدين في جوهره الأصيل صلبا بلا جود ،
متجاوزا دون تحلل ، مستوعبا من غير تحلل .

بسم الله الرحمن الرحيم :

افتتح الدورة الثالث لمؤتمر مجمع البحوث
الإسلامية ، وفي رحاب الأزهر أحبيكم ،
يا حضرات المدعوين ، بتحية الإسلام الحق
أولها سلام وآخرها رحمة وبركات من الله سبحانه
وتعالى (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .
وأحبيكم مرة ثانية من المسلمين جميعا تحية
الأمل فيكم والرجاء منكم ، متوجهة بحمد الله
الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن
هدانا الله - وأصل وأسلم على سيدنا محمد الذي
أرسله بالهدى ودين الحق ليظلمه على الدين كله .
وبعد . فإن الجمهورية العربية المتحدة التي
شرفت بالإسلام ديننا ، وباللغة العربية لساننا ،
وبالأزهر معهدنا - يسعدنا أن تستقبل علماء
المسلمين من جميع قاع الأرض . استقبالا
يليق بكريم مادعهم اليه ، من جليل الأعمال ونبل
الآمال ، ويشرعها أن تنهى الفرصة للإسلام ،
ليسمع الدنيا الحائرة كلمة الحق بالسنة صدق .
وإن الجمهورية العربية المتحدة لإيماننا منها
بأن الدين عند الله الإسلام . قد هرفت
صلاحيته لكل زمان ومكان ، وأدركه
ملائمة مبادئه لكل ما يوجد من أفضية الحياة
وحشية لا طور ، لأنه من صنع الله الذي
يعلم من خلق وهو الطيب الخبير .

بفضلياتهم ، ولا مستجيبين لقرامتهم .
وهذا يصغر الجو الإسلامي من الكيد
لوحدة المسلمين بالنس الذي يفرق جمعهم
والفتنة التي تمزق شملهم ، وإذا ذلك يعرف
المسلمون أعداءهم الحقيقيين سافرين أو مقنعين .
وإذا كانت خدمة الإسلام هي الهدف
الاصيل لهذا المؤتمر - فإن واجب المسلمين
الأول أن يمسحوا الأرض الإسلامية مسحاً
دقيقاً نزيهاً يطهرها من كل دخيل ضارب
أو عميل مسلط ، وعلى علماء المسلمين توعية
إخوانهم في الدين حتى يكون الجميع على بصيرة
من رأى الإسلام في تكتل ظاهره إسلام
وباطنه استسلام .

وإن قديم التأويخ وحديث - ليدلنا على أن
أعداء الإسلام في حاضره هم بينهم أعداء
الإسلام في حاضره ، وصهيونية اليوم
هي امتداد للصليبية الأمس .

وإذا عرف المسلمون هذه الحقيقة ، فإنهم
يمرّفون من الدين هنام الله تعالى بقوله :
« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على
إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك
هم الظالمون » .

ووفاء بهذا الواجب نظر مجلس الجمع في
اجتماعه الحادي والعشرين في غرة ذي الحجة
سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ٢٢ من مارس سنة ١٩٦٥
في موقف الجمع من مشروع الحلف الإسلامي

ولقد كان هذا المؤتمر عند حسن ظن الداعين
إليه ، وجعل رأى المسلمين فيه ، تقدم في دورتيه
السابتين حصيلة علمية ضخمة دسمة اعتمدت
على صفاء الملكات في عمق البحث واستقصاء
الدرس ، وتنوع الموضوعات ، وملائمة
البحوث لروح العصر ، ومقتضيات الحياة .
وقد استوحب بجمع البحوث بتوصيات
مؤتمره ، ومقررات مجلسه ما يشغل بال المسلمين
في أوطانهم من تحرير البلاد من الاستعمار ،
وتطهيرها من زيف العقائد وتبصيرها بزيغ
الثقافات البعيدة عن المنطق والحق .

وإننا لنؤمل في هذه الدورة مزيداً من فضل
الله علينا في الفهم منه والامتداد منه فهما
لقرآنه الكريم ، واستهداء بسنة وسوله العظيم
سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه ، وبروح
اجتهاد علماء المسلمين الذين فهموا الإسلام
فهماً بعيداً عن التعصب متصفين بمساحة
الحجة ، وأدب الجدل حتى تؤكد العالم المعاصر
حق الإسلام بكل مقومات الحياة الفاضلة ،
والمجتمع السعيد المتعاون على البر والخير .
وحين نوفق إن شاء الله في تحقيق هذا
الهدف تكون قد قطعنا على أعداء الإسلام
فتكريك المسلمين في صلاحية دينهم للارتقاء
بالحياة في جميع فروعها رقياً مادياً ، وفي إعطاء
الإنسانية حضارة مستقيمة كاملة ماديًا وروحيًا .
وإذا قطعنا على أعداء الإسلام هذه السبل ،
فلن نجد بمون الله سماعين لهم ولا محدوعين

يراجعوا النظر في الدعوة إليه ، ويقارنوا
بين ما يقصدونه من آمال وبين ما يقرب عليه
من سوء استغلال ، فنحن جميعا مسلمون يجب
أن ندفع ما يربب إلى ما لا يربب وأن نترك
ما شبه وأن نستبرىء لدينا وعلينا أن نجعل
هدفتنا وحدة المسلمين وجمع كلمتهم على الحق ،
وهو ما يهدف إليه مؤتمركم ويدعو إليه الإسلام .
أيها السادة :

إننا معاشر العلماء بما حملنا الله من أمانة
الصلح ، مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى
عن تهيئة عقائد الإسلام والدعوة له بالحكمة
والموعظة الحسنة مهتدين في دعوتنا بقول
الله تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا نقبل إلا الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون
الله فإن قولوا تقولوا اشهدوا بأننا مسلمون ،
وبقوله تعالى : آمن الرسول بما أنزل إليه
من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله . .
وإننا لنعلن للعالم كله أن الإسلام يدعو
الناس جميعا إلى كلمة سواء وهي ألا يعبدوا
إلا الله ولا يشركوا به شيئا ، لأنه الخالق
لكل شيء العالم بكل شيء والمتصف بكل
صفات الكمال — ليس كذلك شيء — وهو
السميع البصير ،

ولقد علم الله سبحانه حاجتنا الناس إلى
الإسلام ، فأزل على رسوله محمد صلى الله

وتناولت الدراسة فكرة مشروع هذا الحلف
وتطور الدعوة إليه ، واستعرض مجلس
المجمع موقف بعض الداعين الذين يروجون
لشروع الحلف في مناطق المشرق والمغرب
العربيين وقضايا الحرية في المنطقة ، ومن
تعاليم الإسلام نفسه ، وكذلك موقف الدول
الإسلامية المساندة له من القضايا الإسلامية
والعربية ، ثم تهليل الصهيونية في العالم لمشروع
هذا الحلف ، وتجنيد كل أجهزة الإعلام في
إسرائيل للدعوة له ، كما ناقش المجلس البيان
الذي كنت قد أصدرته قبل اجتماع المجلس
بشأن استنكار الدعوة لمشروع هذا الحلف
وأصدر المجلس القرار الآتي :

أولا : يستنكر مجمع البحوث الإسلامية
ما تنطوي عليه الدعوة لهذا الحلف من فكرة
حياسية واستعمارية ويدعو الدول الإسلامية
إلى أن تأخذ حذرا من خداع أساليب
السياسة الاستعمارية .

ثانيا : يؤيد المجلس البيان الذي أصدره
شيخ الأزهر بشأن هذا الحلف ويعتبره معبوا
عن موقف المجمع من الدعوة له .

وقد أودع هذا البيان بأمانة المجمع ليطلع
عليه من يشاء من حضراتكم .

وإذا كنا نختلف مع الداعين لهذا الحلف
لما نلسه من الضرر الذي يمس مصالح الإسلام
والمسلمين ويفيد منه الاستعمار والصهيونية -
فإننا نهيى بالداعين إلى هذا الحلف أن

لهم من شرح الله بديلا عن قوانين البشر التي قد تخالف شريعته حتى يطبقوا أحكام الله على الناس عامة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وحين يوفق حكم المسلمين إلى ذلك ييأس أعداء الإسلام من التسلل إلى نفوسنا بالكيد والإغراء والخداع لأننا جميعا سفود أمورنا إلى كلمة سواء من شرح الله وقانون السماء .

أما له سبحانه وتعالى أن يوفقنا في كل ما نأتي وفي كل ما ندع ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، ونسأله جميعا أن يجمع كلمة المسلمين على الحق ، وأن يجعلهم دائما أشداء على الكفار ورحماء بينهم . وأدعوه جل شأنه أن يوفق ولاية أمور المسلمين وأن يزيهم دينه حتى تكون كلمة الله هي العليا .

وأسي عن المؤتمر وعن المسلمين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على ما وقفه الله إليه من إغناء مجمع البحوث الإسلامية ومن التمكين لمجلسه والرعاية لمؤتمره . وأحييه مرة أخرى شاكرا له تفضله بإقامة السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية هنا لحضور حفل الافتتاح ، وجزى الله بالخير كل من أسهم في إجاح هذا المؤتمر وتمكينه من أداء رسالته خير الجزاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عليه وسلم القرآن الكريم ، كلام رب العالمين ووعد بحفظه من كل تغير أو تبدل قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ومن يمتنع الإسلام من أهل الأديان السماوية الأخرى عن طواغيت واختيار لا يطلب منه أن يذكر رسالة وحوله ويكفيه أن يصح عقيدته والوهمية الله وحده وترك الشرك به ، والإخلاص في عبادته وحده والإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة جميع الرسل السابقين عليه بما فهم الرحول الذي ينتمى إليه

ودعوة الإسلام قائمة على أن الناس جميعا مخلوقون لله تعالى وعلى أنهم سواء أمامه لا يتبارزون بنفس أولون . وإنما يتبارزون بأعمالهم ، وقد أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرنا . قال الله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليه وسلم خبير .

وبينما أيها السادة العلماء على أداء مهمتنا أن يرى المسلمون فينا الأمورة الحسنة ، نفعل بما نفعل وتتخلق بما نفعل ، حتى لا نكون من الذين قال الله فيهم ولم يقولوا ما لا يفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .

وهلينا أيها السادة بعد حسن الأمورة فينا أن نعين ولاية أمور المسلمين بأن نوجد

كلمة الوفود

ألقاها فضيلة الشيخ إبراهيم سوار الذهب
رئيس المحكمة العليا الشرعية بالتودان سابقاً



فضيلة الشيخ إبراهيم سوار الذهب

زمان ومكان، وتخدم مصالح المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها .
ولا شك أن من أهم دعائم الإسلام التلاحق
في عزة على الخير والبر والتواصي على الحق
وصدق الله في قوله : « والعصر إن الإنسان
لن يضر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على أشرف المرسلين
بعدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
سيادة نائب رئيس الجمهورية
العربية المتحدة
السيد صاحب الفضيلة الإمام
الأكبر شيخ الجامع الأزهر
ورئيس المؤتمر
السادة أعضاء مؤتمر مجمع
البحوث الإسلامية
السادة الوفود الأجلاء .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد : فقد أصدقني الحظ
ولاحظني العناية لكي أقال شرف
إلقاء كلمة وفود الأقطار الإسلامية
في هذا المؤتمر المتين نيابة عنها .

فأقدم إليكم جميعاً أيها السادة بشكر
يقصر عن فته لساني، ويسرع عن تحريره بناتي
لما قتم به وقومون من بحوث إسلامية قيمة
وفي استنباط نصوصها من أدلتها التفصيلية
من كتب فقه الشريعة الإسلامية لكي يتفهمها
المسلمون على حقيقتها ولعمل بها اشتملت
عليه من أحكام صارت دستوراً صالحاً لكل

فعل الله عليكم ورحمته لا تبغى قهيطان إلا قليلا،
وإن يجمع البحوث الإسلامية الممثل
في كبار علماء المسلمين من جميع بقاع الدنيا
هو الأمل الوحيد المرجو وحبل الله المتين.
وعلىنا جميعا تبعات أمام الله وأمام كتاب
الله ورسوله وأمام المسلمين أجمعين.

وقد أخذ الله علينا الميثاق في كلتيه :
وجوب البيان - وجوب عدم التكتان
« وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه » .

كما بين لنا الله سبحانه وتعالى بل وأخذ
علينا ميثاق الكتاب نفسه في كلمة هي الحق
فلا يصح أن تقول حل الله غير الحق .

« ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ألا يقولوا على الله إلا الحق » .

لهذا اجتمعنا ، وعلى هذا سنسير ، وبهذا
سنبتغي مؤتمرا في هذه الدورة وغيرها
بتوفيق الله .

أما الجمهورية العربية المتحدة فلها من الفضل
والتكريم ما نعيم من تقياته فهي بلد الأزهر
للشريف معقل الإسلام وممثل النور وحسن
العروة ، وهي بلد التأخي ، ولها في نفوسنا
أعظم الأثر ولجانا الكرام والعلماء الأجيال
الممثلين في شخص الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر
منا جليل الشكر ، ومن الله المثوبة والأجر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إبراهيم سواد الذهب

وايس البر في الإحلام تولية الوجوه نحو
المشرق والمغرب .

وليس البر تظاهرات ولا مظاهرات
ولا شعارات ، ولا دعوات .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى
المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين » .
والإسلام لا يعرف التحزب ولا التشيع
ولا الأحلاف فإن المسلمين جميعا أخوة ،
وهم حزب واحد هو حزب الله .

« ألا إن حزب الله هم المفلحون » .
وقد نبه الله المؤمنين إلى أن كل من ينزلي
الكارمين فهو منهم :

« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ،
بل لقد حذر الله المؤمنين من التفرق حتى
لا يكونوا من المشركين :

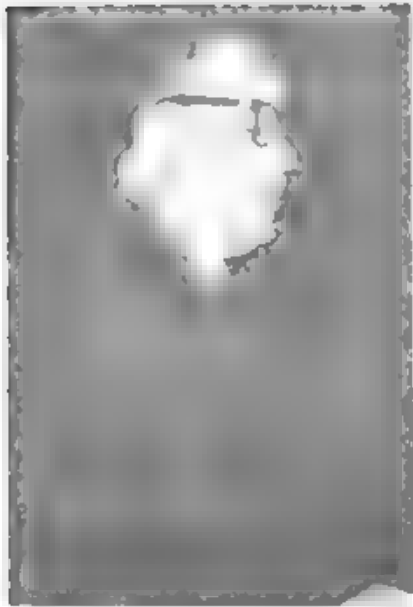
« ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » .
والإسلام يأمر دائما بالرجوع في كل أمر
إلى الله ورسوله وإلى العلماء المتخصصين الذين
يستطيعون الاستنباط في كل أمر أما أولئك
الذين يذيعون بكل أمر بهد عليهم وينددون ،
أو يعدون أيديهم لهذه المؤمنين ثم ولا ليسوا
من المسلمين في شيء .

« وإذا جاءكم أمر من الأمن أو الخوف
أذاعوا به ولو رددوا إلى الرسول وإلى أولى
الأمر منهم لعل الذين يسقطونهم منهم ولولا



اللمعة الرئيسية في حقة الإفتتاح يصدرها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وعن يمينه السيد
حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ، وعن يساره السيد الدكتور محمود حب الله
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

كلمة الدكتور محمود حبيب الله الأمين العام للجمعية



الدكتور محمود حبيب الله

السلوك وينهض بالنظم ، من غير انحراف
بالعقيدة أو تبديل ، وأن يجمعوا على الحق كلمة
تقاضيها هو امل الومئ وتهددها عظام
المرقة ، وإنما يأكل الدلب من الغنم القاصية .
والشعوب الإسلامية غاصية ، استودعها
الله الفرد وخلق بها الجماعة . فربي الإسلام
الفرد هل أن يعيش له دينه ونفسه بقدر
ما يسعد ، وأن يعيش له دينه ولناس من حوله
بقدر ما تنهض الأمة وترقى ، على أنه فرد في
مجتمع لا تحده حدود ، ولا تسوره أبعاد ،
ويربي الجماعة على أن تتكاتف وتعاون

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ، نحمده سبحانه ونستعينه
ونستهديه ، ونؤمن به وتوكل عليه ، ونصل
ونسلم على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ، والداعمين إلى دينه ، والمهتدين بهديه .
أيها السادة الأفاضل :

نلتقي اليوم في أرض الكنانة ، وفي رساب
الأزهر الشريف - أزهرك المعمور - بيت
الله ، وكعبة العلم ، مفضل الدعوة إلى الله ،
ومتصد علماء الإسلام من قديم .

نلتقي اليوم في المؤتمر الثالث لجمعية البحوث
الإسلامية ، استجابة لأمر الله ، وترسعا في
المرقة بدين الله وشرية الله ، وتأكيدا
للتعاون الذي دعا الإسلام إليه ، وجعله محام
الامن ، ومرتقى نهوض الأمم والجماعات .

ولقد كانت لنا لقاءات سابقة في مؤتمرات
انقدا من قبل ، شارك فيها البعض ببحوثه
ودراساته ، كما شارك البعض بآرائه
وأفكاره ، وعرض فيها البعض مشاكل
مجتمعه وآمال أمته . فأمهم كل بنصيب
مشكور وجهد مذكور ، يحدوم جميعا أمل
كبير وهدف عظيم : هو أن يأخذ المسلمون
من دينهم لدينام ما تستقيم به شئون الدنيا
دون تحريف أو تزيف ، وأن يطوعوا سلوكهم
ونظم حياتهم لعقيدة الإسلام بقدر ما يقرم

والبعد عن واقع الحياة ، ولكن يجمع البحوث منذ نقياً ، وعلى حداثة مثبته ، جعل ميدان عمله هو المجتمع الإسلامي ، ووسيلة عمله هي العلم والفقه والدراسة ، وثمره عمله أن تصبح نتائج بحوثه ودراسته سلوك الفرد والجماعة .

فغاية البحث العلمي في هذا السبيل هي الملاحة بين ما يراجه المسلمون في حياتهم من مشكلات وبين ما يستقدرون ، بحيث لا يصبح الدين شيئاً والحياة شيئاً آخر ، فيتزعج المسلمون فيما وقع فيه غيرهم بأن يهرفهم قتيار في طرائق وهره معتسه من المأية الخالصة يعثتها لون بات خافت من قيم زخمة ومثل مصطنعة ، لا تشرق بها نفس ، ولا تتميز بها معالم الحياة ولا تثبت أمام الاختيار ، أو ترتفع بهم المغالاة إلى رهبانية مبتدعة لا تعقق حياة القدرة والكرامة ، ولا تنهض بشجاعت الممران الذي يدعو إليه الإسلام .

والغاية من دراسة مشاكل المجتمعات الإسلامية هي المعاونة على إيجاد الحلول العملية لهذه المشاكل لتتوثق الروابط بين هذه المجتمعات ، وتزكو في النفوس دوافع المشاركة الوجدانية باعتبارها الطريق إلى المشاركة في العمل .

وإنما تصبح هذه الغايات واقعا حين تستثمر المجتمعات الإسلامية هذه الحقيقة من ذوات نفوسها أثرا للإيمان بأن الأمة الإسلامية ورصيدا من تراثها الإسلامي تستطيع أن تواجه به مشاكل الحياة ، وتتغلب على هذه المشاكل ، وبأبها أمة واحدة تجمعها

ليست ذلك الفرد على صعيدها ، وينفخ مل . رقيه في حمايتها وروابطها . وصدق الله العظيم ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، ومن هنا كان زمام السلوك السوي للفرد والجماعة جميعا هو العقيدة السليمة والعمل الرشيد ، ولذلك ، أيها السادة ، فإن شعوب المسلمين لن يصلح أمرها وآخرها إلا بما صلح به أولها ، فلن تجمعها مصالح الدنيا ما لم يجمعها عقيدة الدين وتحميها نفوسها دوافع الميثاق الذي واثقها الله به . وإن تجمعها عقيدة الدين ما لم تكن لتلك العقيدة أصول ثابتة في قلوبها ، ونفوس زاكية ، فتتكامأ وطورهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويصبروا يدا على من سواهم .

ولقد أنشئ - يجمع 'بحوث الإسلامية استجابة لهذه الغايات العليا ، ليكون ملتقى علماء المسلمين جميعا مهما اختلف مذاهبهم ، أو تعدد مدارسهم ، أو تغلب اتجاهاتهم في الحياة . على المحمة البيضاء يلتقون في رحابه : يستمدون الكتاب المبين ، ويسترشدون السنة المطهرة ، وينشدون الحق فيقتصرون به ويتصرون له ، ثم يخرجون على المسلمين برأى الإسلام فيما عرضوا له أو عرض لهم من مشكلات ، في ائتلاف لا يشوبه اختلاف وانفاق لا يعبه افتراق .

ولو أن يجمع البحوث الإسلامية قصر جهده على مسائل العلم والفقه ، ودراسة المشكلات وتقرير الحلول فحسب ، لحكم على نفسه بالقصور

وعقدي ، ولم يفكر بعد في وسائل التغلب على هذه التحديات .

ولجميع البحوث الإسلامية - ولكم أيها العلماء - في هذا المجال دور كبير والشعوب والمجتمعات الإسلامية فيه دور كبير كذلك .

فدور المجمع هو إبراز القيم الإسلامية التي تحقق التوازن بين قوى الفرد والمجتمع وتجليه الحقائق الإسلامية الكبرى في إطار فكري على مقنن ، يرى المسلم في ضوئها عقيدته صافية الجوهر أصلية المأخذ ، يبرزها القيم البراقة والمثل الخادعة ، التي لا تنكفئ مستقبلا مأمونا ، أو ترضى عفلا وشيدا .

فدور المجمع هو التحليل والتبيين ووسم وسائل التنفيذ .

ودور الشعوب الإسلامية هو غرس هذه القيم الأصيلة في النفوس ، تفتي الأجيال عليها ، وتعمق الإيمان بها ، وتشرعها منهاجا للسلوك الفردي والجماعي .

وانما يلتق التخطيط بالعمل يرم بقوى أثر المجمع في النفوس على المستوى العالمي ، وتلف حول رسالته الهيئات التي تعنى بالإسلام وتدعو له ، وتتجاوب معه كل القوى التي ترحي شتوي المسلمين وتحرص عليهم ، ودون هذا التخطيط وهذا التجاوب تكون الحركة سها على غير هدى ، وجهدا مبددا يمكن لحصوم الإسلام منه ، ويطعمهم فيه ، ويفريهم به .

ومن هنا كان الحرص على أن يتجدد اللقاء في ذلك المنطلق الإسلامي فحسوما يحفظ

عقيدة واحدة ، جوهرها الشهادة ، ووسيلتها العبادة ، وأثرها المحبة ، وتثمرتها الحياة الطيبة والعزة المنشودة ، والسلوك القويم ، وذلك أوفى جوانب الرسالة التي يحملون أنتم أيها السادة العلماء - أمانتها ، وتؤسسون على قواعدها مباحث الإصلاح .

أيها السادة :

ليس عسيرا على المجتمع وعلائه أن يجمعوا كل جديد دخل حياة المسلمين ، وأن يطوروا ذلك الجديد لقواعد السكينة والقضايا العامة التي جاء بها الإسلام شريعة تنظم حياة المسلمين ، فشرعية الإسلام بأصولها وكثرة التفرعات بها وكال الحكمة فيها كل أولئك يكفل لهم التيسير ، غير أن الأمر اليوم أكبر من الإقضاء والتحريج والتطويع ، فإننا نميش عصرنا بموج بالصراع من أجل النفوذ والسيطرة وبسط السلطان ، صراع لم تشهد الإنسانية له نظيرا من قبل ، ولا يقف أثره عند الحياة العملية للإنسان ، ولكنه يتخذ هذه الحياة ووسيلته وصتاره ، أما هدفه الأول فهو العقيدة في السلب والإيجاب ، وإلى هذا الهدف الخفي ينبغي أن تتوجه الأنظار وأن تتضافر الجهود .

وإنه لمن الواضح أن العالم الإسلامي لا يزال بعيدا عن التصدي لهذا الصراع الذي يهدد عقيدته ، فلم يتجه بعد اتجاها كافيا إلى تحليل هذه التحديات ، وتعرف مدى غاظرها على المسلمين ، وما تحمل في طياتها من غزو فكري

ووصل فيها إلى قرارات وتوصيات تعتبر ، بحق ، أحكاماً جديدة تواجه مقتضيات العصر . وسأوت الدورة الثانية في الطريق نفسه خطوة وحكمة وشهدت نخبة من البحوث العلمية الهامة ، فكان منها العقيدة كما رسمها القرآن في وضوح معالمها والحفاظ عليها ، والبهمة بها من ضلال التفكير وزيف الإلحاد .

وكانت شئون المال والاقتصاد والاقتصاد ، لبيان حكم الله فيها وجه من المعاملات المصرفية ونظام التأمين والاصتبار .

وكانت بحوث في شئون الأسرة والقياد تناولت تنظيم الأسرة والنسل ومكانة المرأة في الإسلام ، تصحيحاً لكثير من الأفكار الخاطئة التي يروج لها المفوضون وأرباب الفكر المقيم .

وكانت بحوث أخرى في موضوعات اجتماعية وحضارية صححت كثيراً من المفاهيم المنحرفة والأفكار الخبيثة على ثقافة الإسلامية كل هذه البحوث كانت مدار دراسة

مستفيضة وتعميم أمين ، انتهى المؤتمر في كثير منها إلى توصيات وقرارات تخضع المجتمع الإسلامي في دينه ودينه وتؤكد التعاون بين شعوبه وتقتصر لقضايا المسلمين العادلة .

وتصح فهم بعض الأحكام وتفي منها موضوعات لا تزال قيد البحث إيماناً بالذقة ، واستيفاء لكل جوانب البحث ، لتكون المقدمات راقية وكافية لإصدار الأحكام .

ولمنا مستقبل هذا الافتتاح اليوم دورة

هل المسلمين عقيدتهم ودينهم ، ويضمن لهم هزم ويجدم عندما يتحقق هذا السلوك من العمل المشترك فيتحقق به إن شاء الله من التوازن بين الدين والدنيا والعقيدة والسلوك ما يظهر أثره في العالم الخارجي قوة وروحية وأهية تصدى لكل تحد ، وتنحطم على صغرتها كل فكرة منحرفة ودعوة ضالة ، وقوة اجتماعية متناحرة يتحقق بها الخير

للمسلمين ، وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ولذلك ينبغي - أيها السادة - التفكير الجدي

في شئون مشرقات الملايين من المسلمين الذين يمثلون أقطاباً في كثير من البلاد - التفكير الجدي في شئونهم الدينية والثقافية حتى يتمكنوا من فهم دينهم الحق في صفاء جوهره وأصالته معذنه ، ومدى صلة هذا الدين بالحياة . . . وحتى يتمكنوا من أن يعيشوا على مستوى العقيدة التي بها يؤمنون .

من أجل ذلك كله وجب أن يكونوا معنا بمشاكلهم ، حتى نضع علاج هذه المشكلات على ضوء الواقع الذي يعيشونه .

ومن أجل ذلك أيضاً لزم - أيها السادة - أن يتسع نطاق الجمع ونقوده وأن تزيد فعاليته حتى يصبح قوة تستطيع مواجهة كل هذه الأعباء .

أيها السادة :

سبقت هذه الدورة للتوتم بدورتين كانت أولاهما باكرة أعمال هذا الجمع ، وقائمة التفكير المشترك بين المسلمين في العصر الحديث ، شهد فيها كثيراً من البحوث والمصكلات ،

المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي ، الذي أقعده المرض عن أن يشهد اجتماعنا هذه في دورات المؤتمر ... لقعده الله برحمته وأزله منازل الأبرار .
أيها السادة :

يسير العمل في هذه الدورة على غرار ما كان في الدورتين السابقتين ... يسير على فترتين ، تبدأ الأولى منها اليوم ، وتنتهي بنهاية الحادي عشر من شهر أكتوبر ، ويفتترك فيها السادة المدهون مع السادة الأعضاء ، وتستمر لفترة الثانية بعد ذلك حتى نهاية الأسبوع الرابع من يوم الافتتاح ، ويفتترك بالعمل فيها السادة أعضاء المجمع . وموضوعات البحث في الفترتين مدونة في كتيب بين أيديكم .

أيها السادة :

إنها بحوث ومفكرات — ليس بكفى — كما قلنا ونقول دائماً — أن يقال رأى الدين فيها ، وإنما الذي يعنى في المقام الأول كذلك هو تحديد الوسائل إلى الاحتفاظ بها والزام حدودها ، لتتكون مقررات المؤتمر وتوصياته منهج العمل في المجمع الإسلامي ، وموضع النظر الجاد بين المسلمين .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جديدة من دورات مجمع البحوث الإسلامية وستعرض عليكم فيها البحوث التي تقدم بها السادة الأعضاء تواصلون فيها الدراسة والبحث لبيان طرائق السلوك القويم للفرد والمجتمع ، التي يرسمها الإسلام للمجتمع الفاضل الذي يبنى عيش العزة والأمن والكرامة .

سيعرض عليكم بحث عن « مكانة السنة في التشريع الإسلامي » ، وقبعتها الطيبة والدينية ، توضيحاً لمصدر هام من مصادر التشريع وبياناً واضحاً للناس ، تصحيحاً لما تردد حولها في هذه الآونة هنا وهناك .

كما تعرض عليكم للدراسة لأول مرة موضوعات تشغل أذهان المسلمين في العصر الحاضر ، تتعلق بالشهيرة المصرية ، وإمكان تحديد أوائها قبل حلولها ، بحثاً وراء تحديد المواسم والأعياد للمسلمين .

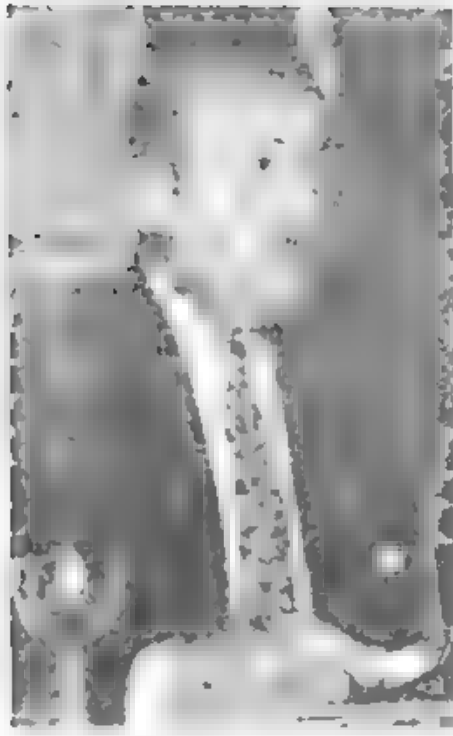
سكنك ستبحثون في وسائل الانتفاع بالذبايح في موسم الحج ليفيد منها المسلمون والنظر والدراسة لشتون الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر ، حابة لسلامة المعاملات المالية بين المسلمين من شوائب الجلود وإثم المعصية والانحراف

بحوث تنتظر التحقيق والتحرير ، ومفاصل تتطلب الحل والرأى .

أيها السادة :

يبرز على أن أقوم الآن بواجب مرير ، هو أن أنفي إليكم علماً من أعلام الإسلام وعضواً من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية

كلمة السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية



السيد حسين الشافعي

المساكنات للثافة الطويلة ، في طريقكم إلينا ،
من مختلف الدول ، القرية منا والثانية ،
في هذه الرحلة من أجل كلة الدين ، وتوسيع
نطاق الدعوة إلى تلاميذ ، وتجليه الحقائق
المهاوية التي يذخرها ، ولقي يعتمد عليها
صلاح أسر المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ... والخدا لله رب
العالين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .
السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ،
وضيوف الجمهورية العربية المتحدة .

أرحب بكم باسم الرئيس جمال عبد الناصر
وأهل إليكم تحياته وأطيب تمنياته لكم
بالتوفيق والسداد في عملكم الذي يتطلع إليه
كل مسلم ، ويسرني أن أؤكد لكم أن السيد
الرئيس جمال عبد الناصر ، يتابع باهتمام بالغ
كل ما يدور في هذا المؤتمر ، يقينا منه بأن
اجتماع العلماء ، هو المجال الهوى للوصول
إلى الآراء الموضوعية على أساس من البعد
والعلم والمعرفة ، وإلى توصياته تستهدف
وجه الله عز وجل ، ومصلحة المسلمين على
المستوى المحلي ، وعلى نطاق العالم الإسلامي
أجمع ، وهو يمتد عبر القارات الخمس .

ويطلب لي أيضا ، أن أقول لكم تقدير
شعب الجمهورية العربية المتحدة لجهادكم
في سبيل الله ، ذلك أننا في بلدنا هذا ،
شعبا وحكومة ، نقدر ما تلقونه في تحمل

ولا الهوان .. وكانت روح الإسلام تؤمن بالجمتمع الأفضل حقيقة تسعى إلى إقامته ، وتؤمن بالناس جميعا وبخاصة أولئك الذين لم تتح لهم فرص الحياة .. وذلك لكيلا تكون هناك بين المسلمين طبقة ولا فوارق ولكي يشعر كل فرد بحقه في نصيب عادل في ثروة وطنه ، فيمتو بإفسانته وآدميته .

السادة العلماء :

لقد رأيت نواحا على ، قبل أن ألقاكم اليوم أن أستمع في قراوات المؤتمرين السابقين .. فوجدتها تناولا لأول مرة في صراحة ووضوح موضوعات طالما دار حولها الجدل وموضوعات أخرى شغل رجال الدين عنها فأحتواها النسيان أو اختلفت من حولها الآراء اختلفا استوجب الإعراض عنها وعدم وضوح الروب بشأنها .

ولقد أثبت كل من المؤتمرين السابقين أنه جدير بالتحية والتقدير والذكر ، حيث كان كل واحد منها على مستوى مسؤولياته وخبرات المساهمين فيه ، عندما واجهه مشكلات هم المسلمين ... وهي مشكلات ظلت تبحث عن الرأي والفتوى والحلول السليمة لها ، في حين شغل عنها الباحثون والعلماء .

ففي مؤتمر الأول ، ناقشتم موضوع الملكية ، وأسدرتم قراؤكم في أنه من حق

وعد ، أيها السادة .. فإننا نحمد الله جل وعلا ، أن هيا لنا فرصة اللقاء ، في هذا المؤتمر الثالث لجمع البحوث الإسلامية منذ تطور الأزهر إلى وضع أتاح له أن يؤدي رسالة الإسلام فكريا وبخبا وعلميا وعملا في مختلف نواحي الحياة .

ولقد أصبح مؤتمركم السنوي ، فرصة يجتمع فيها العلماء مما من أجل العلم الخاص المتحرر من أي مفهوم سياسي يباهد بينه وبين صفته العلمية الجديرة بالأزهر ، الذي ظل أمينا على التراث الإسلامي ورسالة العلم طوال ألف عام .

وأصبح مؤتمركم السنوي ، بالمثل ، موحدا ينتظره المسلمون بروحي وإحساس مرعب ، يتابعون القضايا المعروضة فيه ، ويتطلعون إلى قرارات تصدر عنكم بشأنها تثنى غلة المسلمين في مقابلة التحديات ومقاومتها بالمواجهة والرأي العلمي الديني السليم ، وذلك في تلك القضايا التي تهمي بجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وذلك لكي يصبح للفكر الإسلامي المتحرر ، الكلمة العليا التي كانت له في يوم من الأيام عند بدء الرسالة .

فلقد كانت روح الإسلام هي التي توحى بالتنضحية وبالإيثار ، بالحركة وبالإنجائية ، بالدهرة الجادة التي لا تعرف الكلل ولا التعب

السابقين . أن منطلق الدراسات المعروضة في المؤتمر الثالث هذا تؤكد ضرورة المتابعة في بحث الموضوعات ذات الأثر البالغ على حياة الشعوب الإسلامية

وعندما يدرس المؤتمر الثالث دور القرآن في التربية الحديثة ، والاقتصاد الإسلامي ، والاقتصاد المعاصر ، والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، وروح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع الحديث . . . فإنما يؤكد المؤتمر نقطة المسلمين في دراسات تؤكد حضارتهم وصايرتهم لتطور علوم والفنون متمسكين بأداب وأموال دينهم .

وعندما يدرس المؤتمر الثالث موضوع التكامل بين القيمات في المجتمع الإسلامي وتحديد أوائل الشعوب القصرية فإنما يؤكد أيضا المعنى الكبير ، وهو أن المسلمين في مشارق الأرض ومفاربها يحكمهم في أمور دينهم نظام وروابط وأنه لا تعارض بينهم ، يستغله المستغلون .

السادة العلماء :

ما من شك ، وأنتم تصالجون بالدراسة والبحث وإصدار القرارات ، وقائع الحياة الاقتصادية والاجتماعية إسلاميا . إنما تضمنون جوانبا من المعرفة التي ينتظر المسلمون بشأنها رأيا حاسما . . بل إن أصحاب الفكر الاقتصادي والاجتماعي في أنحاء العالم

أولياء الأمر في كل بلد أن يجدوا من حرية التفكير بالقدر الذي يكفل دواء المعاسد البيئية وتحقيق المصالح الراجحة ، وأموال المظالم وسائر الأموال الخبيثة والأموال التي تمكنت فيها الشبهة على من هم في أيديهم أن يردوها إلى أهلها أو يدفعوها إلى الدولة ؛ فإن لم يفعلوا صادروها أولياء الأمر ليجعلوها في مواضعها . . . وارتأيت أيضا أن الاستثمار وأحواله هو الخطر الأول الذي يجب على المسلمين أفرادا وجماعات ودولا أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المستمرة حتى يتم تحرير المسلم للباو خير أو وطنه ومعرفة . كما قروتم أن الصهيونية شدة جديد لداء الاستثمار الخبيث ، وأن مجاهدة الاستثمار والصهيونية فرض على كل مسلم ، وكل غلظ من ذلك حسيان لله تعالى وإثم كبير .

وفي المؤتمر الثاني ، تناولتم تنظيم الأسرة وقضية فلسطين ، وموقف الإسلام من الرق واستنكرتم باسم الإسلام كل محاولات الضغط والعدوان على الحقوق الطبيعية للأفراد والجماعات ، ودهوتم المسلمين في مشارق الأرض ومفاربها ، إلى مقاومة كل ضغط أو عدوان على حقوق الأفراد والشعوب ، وقروتم أن هذه المقاومة جهاد مقدس ، يفرضه الدين الخفيف ، وتحتمه الدهرة الإسلامية .

ومما يؤكد أصالة البحوث في المؤتمرين

وتؤكد الدولة بذلك أن الاحمال هي التي توضع حسن القصد وتؤكدها لمنفعة المواطنين .

وأخيرا فإن خير ما يتمسك به المسلمون لصالح أردبهم ودينهم .. هو العمل لا القول وحده .. وأن يجاهدوا في الله حق جهاده ، وأن يوقنوا بأنه لا حرية سياسية ما لم تتوفر للواطنين الحرية الاجتماعية الكاملة .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة القدوة والمثل الناجح فلم يكن الرسول يعمل لجاء وسلطان شخصي ، وإنما كان يعطي المثل والقدوة ، ويعطي النموذج الذي يؤكد أن الدعوة الصادقة إلى الإسلام هي دعوة من أجل الإسلام وحده ... صادرة من قلب يؤمن بالله ، وعن عقيدة لا تهادن أعداء الدين ولا تتأصم .

دعوة يحملها صاحبها متحررا من أطماع الدنيا وثرواتها فلن تستقيم الدعوة إلى الإسلام من قيادة مرفقة غارقة في الجاه والمال إلى جانب فقر شعب يتطلع إلى ضروريات الحياة .

أدعو الله سبحانه أن يوفقنا وإياكم إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

يتطلعون إلى شعاع الرأي الإسلامي في القضايا الحيوية الجهرية التي تمس مصالح الناس .

وبهذا الأسلوب يحسم المسلمون أمر دينهم غير تايين لأراء مستوردة أدخلت عليهم .

السادة العلماء :

لقد استهدفت الجمهورية العربية المتحدة في أصلها أن تلبى الاحتياجات الأولى الإنسانية التي تضمن لكل فرد أن يعيش حرا كريما آمنا وهي المفومات الأساسية في الدين .

ولقد عنيته الدولة بإقامة نظام يتمتع فيه أي نوع من أنواع الاستغلال . وصقلت المعاملات الزراعية والتجارية والإنتاج الصناعي في قالب صفيح منه عوامل التحكم والفساد والطرود والفصل التمييزي والفس . وحل محلها الإنتاج الوفير وشرف التعامل ، وحرية العلم وحق العمل ، وحرية النقد ، وحماية الكلمة المكتوبة .

وعنيته الدولة بأمور الدين ، ووضعها وخلفا عاما ... وأعانيت على البحث فيه ، والتمش في مختلف فترته ، وشخصته بمرثته ... وتؤكد معنى الدين في الوقوف إلى جانب الشعوب في شدتها ومحنها .

من كلمات الوفود

كلمة سماحة الشيخ

نسيم الجسر

منسوب لبنان وعضواً لمجمع

يقين من أن هذه الفتنة أخطر من أن تعامل بالردود السطحية ، فربما من واجب الإخلاص لله ووصوله أن نقول كلمة في هذا الموضوع .
نحن والهاب المثقف :

أمام هذا الجيل المساعد من الشباب المسلم ، للزهد بسلاح العلم والعقل ، المفترون بأقوال المستشرقين ، لا يجوز لنا أن نحصر الرد في الأحاديث التي كانت موضع الإنكار ، ولا أن نكتفي بتأكيد إجماع المسلمين على إجلال الصالحين ، ولا أن نشهر في المعركة أسلحة التفسير والتكفير لتنتج أصوات الهباب . لأن خلق الأصوات يرد الشك إلى صدور الشباب ويحسبهم أكثر حيرة ، وزيفاً وتصديقاً لهم المشككين من أهداء الإسلام ولأن هؤلاء المثقفين من الشباب لا يكتبون بالردود السطحية ، ولا يألون بالتهديد والوعيد ولا يظلمون من أقوال والاستفهام إلا إذا يشعرون بقدرة العلماء على الرد القاطع المقنع ، ودخلوا ، يأسهم هذا ، إلى منطقة الريب والكفر لا سمح الله . ولست أدري واقعاً ، سيبا يحملنا تنكراً على الهباب مطالبته لنا بالإقناع العقل الحر ، ونحن أمل

إن فتنة التشكيك في الأحاديث النبوية قديمة ، فمررت منذ أخذت أقوال المستشرقين تقرب إلينا ، ولكنها ظلت منصفة للتأثير على المسلمين ، لما هو ثابت عندهم من سجل المستشرقين بأسرار علم الحديث ، أو سوء نواياهم في الكيد لدين الإسلام ، أما هذه الفتنة الأخيرة التي ظهرت من المصلحين أنفسهم على أثر ما كتب في إحدى المجلات العربية من إنكار لبعض الأحاديث المروية في صحيح البخاري ، فإنها على برائتها من نية الكيد ، كانت خطيرة الأثر .

ولو وقف الأمر عند حد القبضة الميمنة من الأحاديث التي ترجع إليها النقد والإنكار لما وجدنا حاجة ماسة للكتابة في هذا الموضوع بعد أن كفانا العلماء الذين تولوا الرد أمر الكلام ، وإن كانه ودود بعضهم احتق بما تقتضيه الحكمة ، وردود البعض الآخر أبسط وأضعف من أن تقتلع الفتنة من جذورها . ولكننا ، في محيطنا المأدود بأشعة الهباب المثقفين وشكوكهم ، قد طأنا من حروب الجدل والبراء الذي أحيانا ، والبليد أحيانا ، والمخرج في بعض الأحيان ، ما جعلنا على

دين يحمل العقل السلطان الأهل في فهم
فصوص القرآن فضلا عن الحديث .
توطئة الكلام مع الشباب :

وقبل أن أقدم الشباب المثقف ما عندي
من وسائل الإقناع العقلي ، وقبل أن أنصب
لميزان الذي توزن به صحة الأحاديث ،
يهيئ أن أكرر لم الشئ الذي طالما كررته
في كل ما أكتب ، في الدين ، لحيد الشباب
وهو : التحية إلى عدم الخلط بين المستحيل
عضلا ، والمستحيل صادة ، والمستحسن
والمستحسن رأيا أو ذوقا . فالعقاب المثقف ،
الذي يحسن التفريق والتمييز بين هذه المعاني
عند التفكير في قضية رياضية أو فلسفية ،
لا يتورع عن الخلط بينها عند التفكير في
قضايا الإيمان والدين ، ومن هنا يأتيهم
الإنكار لكثير من الأحاديث الواردة في
الصحيحين ، بل الوبغ أمام المقاربات من
آيات القرآن ، بل ضعف الإيمان بوجود الله .
وإذا كان بعضهم يتعمد هذا الخلط لجرد
المراء والتفاخر بتقليد المحدثين ، فإن أكثر
الناجين منهم يصرّون في هذا الخلط عن عدم
إتقانه ، بل عن حسن نية وغيره على الدين ، حين
يحمل إليهم أن بعض الأحاديث يتناقض مع العقل
والعلم ، أو يتناقض مع الحق والخير والمصلحة .

فلنؤلا أقول ، من باب التحية لامن باب
التسليم لشيء قد عرفوه في دراساتهم الرياضية
الفلسفية : إن المستحيل العقلي هو الذي يحدث
تصوره تناقضا عقليا في الفهم . كقولنا : إن

الجميل يدخل في الكأس أو إن الجميل يدخل
في سم الخياط ، كما مثل القرآن ، أو إنكارنا
أن الواحد نصف الاثنين ، أو إنكارنا أن
الكل أكبر من جزءه . أما المستحيل العادي
فإنه لا يحدث تناقضا عقليا في الفهم ولكن
جرت (المادة) أن نستبعد وفروه ، مثل
استبعادنا ، قبل اليوم ، طيران الإنسان
إلى السماء ، وسماع صوت المتكلم من أقصى
الأرض ، والوصول إلى القمر ، وغير ذلك
من الأمور التي كنا نحسبها ، في العادة
، مستحيلة . ثم تبين أنها (ممكنة) ولذلك
سموها المستحيلات العادية .

أما الاستحسان والاستهجان فإنها
لا يصلحان حجة للقطع بحسن الشيء . وقبحه
إلا إذا كان هناك إجماع من كل القول
العلمية ، كاستحسان الصدق واستهجان
الكذب ، أو كان هناك نص ديني قاطع
يقضي بجمها ، ولو خفيته علينا الحكمة أول
الامر ، كالاستهجان لكل لحم الخنزير

أما الاستحسان والاستهجان الصادران عن
رأي الفرد لا عن إجماع ، وكذلك الاستبعاد
الصادر عن رأي على لم يبلغ درجة اليقين فإنها
كلها لا تصلح أن تكون أساسا للقطع والجزم
بعدم صحة الأحاديث الصحيحة . لأنه
قد يكون وراء الرأي الفردي ، أو وراء
الرأي العلي ، حقيقة من النفع أو الضرر
أو حقيقة من العلم سوف تظهر لنا كما ظهرت
طبيا حكمة الحديث الأمر بنسل الإناء الذي

الاحاديث عن فصل إناة وتحريم الخمر والتدأى بالأوال ، قد قيلت منذ أربعة عشر قرناً ، في وامت لم يكن فيه الناس يدركون بفولم وجود جرائم الكلب ، أو ضرر قليل من الخمر ، أو نفع شرب البول في بعض الأمراض ؛ بل كنا نحار في تفسير هذا الحديث الساتل من الشباب .

وبعد فهذه توطئة نرجو ألا تسيب حقائقها الواضحة عن تفكير الشباب المثقف عند كل بحث وتساؤل عن بعض الاحاديث النبوية الواردة في البهائى أو صحيح مسلم . ولنا نريد بها أن نحصل الشبان المثقفين على أن يتهبوا البحث ويدفنوا شكواهم في صدورهم لتقلب إلى دبح سرير ، بل نريد بها أن نضع لهم الميزان الذى يوزن به كل حديث يقع في تفكير الشباب وعظم أن ظاهره يخالف العقل أو الحق أو الخبر أو العلم .

ما هو الميزان :

الميزان هو العقل والقرآن ، والإيضاح لا بد من ذكر ست حقائق .

الحقيقة الأولى: أن القرآن قد جعل للعقل السليم السلطان الأعلى في إدراك الحق والخبر من أتفه شيء كإمالة الأذى عن الطريق إلى أعظم شيء وهو الإيمان بوجود الله وهو أولى مزايا الإسلام ، فنحن بالعقل نؤمن بوجود الله ، وبالعقل نؤمن بوحدة إنيته وكل صفات كماله وبالعقل نؤمن بالقرآن الذى أمرنا بتحكيم العقل في كل أمر من أمور الإيمان .

قلوت بلعاب الكلب سبع مرات إحداها من بالقرب لإزالة جرائم داء الكلب .

وكا ظهر ضرر القليل من الخمر وأثره في الأجنة بالتجربة التي أجراها العلماء في أمريكا على عشرة أزواج من الأرانب سقيت تسعة أزواج منها جرعات متفاوتة القدر من الخمر ، فظهر تأثيرها وضررها في أجنحتها جميعاً ، حتى عند الزوجين الذين لم يسقيا إلا جرعة واحدة فقط ، أما الزوجان اللذان لم يسقيا شيئاً من الخمر فلم يظهر في أجنحتها أى أثر لآى ضرر ، وعلى غرار هذين المثالين نذكر ما اكتشفه العلم مؤخراً من وجود مادة هرمونية في البول تسمى (يورجاسترون) Urogastrone وأخرى تسمى (أنثلون Anthelone) تنفصان في مرض (قرحة المعدة) كما ذكر الدكتور (ميثال صليب) أستاذ طب الأمراض الباطنية بطب عين شمس في مبحث (قرحة المعدة من كتابه) (أمراض الجهاز الهضمي) المؤلف بالإنكليزية المطبوع سنة ١٩٦٣ في صفحته السادسة والأربعين وقد تقدمت شركة (بارى ديفر) الإنكليزية المشهورة في صنع هلاج يسمى (كورتون Kurtone) يحتوى على هذه الهرمونات البولية . وهذا ما يحل الإشكال الذى كنا نعالجه في تفسير حديث البهائى عن شرب أبوال الأبل الذى أمر النبي صلى الله عليه وسلم به بعض الأصحاب المرضى . فكل هذه

ففي قضية غروب الشمس في العين نجد أننا بين قضيتين قطعتين الأولى قول القرآن :
 « وجعلنا قنبر في عين حنة » ، والثانية
 القضية البديعية القائلة بامتناع دخول الجسم
 الكبير وهو الشمس في الجسم الصغير وهو
 العين ، فاحتجنا إلى التاويل الذي يرفع
 التناقض ، ولكنتنا في آية أخرى مشابهة في
 نفس سورة الكهف نجد أن التناقض غير
 متحقق وإن كانوا في الماضي يظنون خطأ أنه
 موجود ، ذلك في قوله تعالى عن ذي القرنين
 « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجعلها تطلع
 على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » ، فها هنا
 حقيقة قاطعة وهي قوله تعالى : « لم نجعل لهم
 من دونها سترا » ، وفي مقابل هذه الحقيقة
 (أمر ظني) ناشئ من العلم الجغرافي القديم
 الناقص ، الذي كان ممتدا قبل اكتشاف
 مناطق القطبين ، وفي معرفة دورة الأرض
 حول الشمس وهي مائلة ميلًا يحدث عنه طول
 النهار في أحسب القطبين حتى لا تضيئ عنه
 الشمس عدة أشهر ، وطول الليل في القطب
 الثاني حتى لا تطلع عليه الشمس عدة أشهر ،
 فقد كان الناس لا يجدون في بقاع الأرض ،
 التي عرفوها بقية تطلع عليها الشمس بلا ليل
 فكان يبدو ، في الظاهر وجود تناقض بين
 القرآن والعلم ، والحال أنه لا يوجد ذلك
 التناقض الحقيقي الذي شرطه قيام قضيتين
 قاطعتين ، نتناقضان ، لأن في الناس وجود

الحقيقة الثانية : كل نص يوجب ظاهره
 تناقضا حقيقيا قاطعا في الذهن يجب تأويله
 حتى يرتفع التناقض ، وهذا متحقق عليه عند
 العلماء لأن تعطيل العقل يرجع بالتعطيل على
 جميع الآيات الكثيرة التي أمرنا الله فيها
 بتحكيم العقل في أمور الإيمان ، ويرجع
 بالتعطيل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم
 الذي عرفنا صدق رسالته بالبراهين العقلية .

مثال ذلك : قول القرآن في سورة الكهف
 عن ذي القرنين « حتى إذا بلغ مغرب الشمس
 وجعلها تغرب في عين حنة » فإن ظاهر
 هذه الآية يتناقض مع الحكم العقل البديهي
 القاطع الذي يقضي بامتناع دخول الجسم
 الكبير في الجسم الصغير ، لأن الأرض أصغر
 من الشمس بكثير ، فوجب هنا تأويل ظاهر
 الآية ، كما فعل العلماء الأعلام حين قالوا :

إن المراد بها أن ذا القرنين رأى الشمس
 في غروبها كأنها تغرب في العين الحنة كما يقول
 أحد تارايي الشمس تغرب في النيل أو في
 البحر وهو يعلم قطعا أنها لا تغرب في النيل
 ولا في البحر بل تغرب وراء الأرض .

الحقيقة الثالثة : وهي نابعة من الحقيقة
 الثانية ، ونابعة لها ، ولكنتنا أفردنا هنا
 وأبرزنا مستقلة لأهميتها وخطرها وهي أن
 التناقض لا يكون إلا بين قضيتين قاطعتين
 تتناقضان ، أما إذا كانت إحدى القضيتين قاطعة
 والثانية غير قاطعة ، وإنما هي ظنية ، فلا يكون
 هنا ذلك التناقض الذي يوجب تأويل النص

العادي من نوع الممكن وأحكام العلم الظنية لا تصلح أساساً للقول بوجود التناقض .

الحقيقة الخاصة : أن القرآن فيه آيات (عكسات) وأخر (مقاهبات) كما قال الله تعالى في سورة آل عمران (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متفاهبات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) .

فالمحكمات : التي وصفها الله بأنها (أم الكتاب) هي التي لا يحدث تصور معانيها تناقضاً عقلياً في الذهن ، بل القول باستحالتها هو الذي يحدث للتناقض العقلي لأنها إما أن تكون من نوع (الواجب العقلي) وإما أن تكون من نوع (الممكن العقلي) والقول باستحالتها للواجب أو الممكن هو الذي يحدث التناقض العقلي (كما لا يخفى) أما المستحيل العقلي فلا تنطبق به إرادة الله كما سبق القول .

أما المتفاهبات . فهي ما يعقبه ويلتبس على الناظر أمرها فيظن أنها تناقض مع العقل أو مع المحكمات وهي ليست كذلك . وقد أمرنا الله عند حصول هذا الالتباس أن نرد المتفاهبات إلى المحكمات ، قبل أن تتورط في إنكارها مادامه بذاتها لا تفكّل في الحقيقة تناقضاً قطعياً مع العقل أو مع المحكمات

بقعة أرض لا تضيء عنها الشمس ، كان نفياً ظنياً عاطفياً بحسب ما خدم من العلم الناقص من جميع بقاع الأرض ، فلما تم اكتشاف القطبين وظهرت البقاع التي تبقى الشمس فيها طالمة مدة أشهر تحقق صدق الآية .

ففرجوا الأقرب هذه الحقيقة الثالثة من أذهان الشبان المثقفين ، لأنهم سيقعون في الأحاديث النبوية الصحيحة ، على كلام يتوهمون فيه التناقض لاعتقادهم بأن الأمور التي يسمونها قطعية ، وهي لا تكون قطعية حقاً ، في باب العلم ، كما ظهر من المثال الآتف الذكر .

الحقيقة الرابعة : ليس في القرآن أبداً أى معنى أو خبر يحدث تناقضاً مع أحكام العقل أو مع أحكام العلم اليقينية ، لأن إرادة الله لا تتعلق بالمستحيلات العقلية ، حتى المعجزات هي من الممكنات العقلية . وخلق عيسى من غير أب من الممكنات وخلق البحر الموصى من الممكنات وإقلاّب عصا موسى إلى حية تسمى من الممكنات ، وتكلم عيسى في المهد من الممكنات وإحياء الموتى من الممكنات والإسراء بالنبي من مكة إلى يثرب المقدس في ليلة واحدة من الممكنات ؛ وقس عليه ما وود في الأحاديث الصحيحة . ولكن لا يخرج في قياسك هذا عن القاعدة وهي التمييز الصحيح بين المستحيل عقلاً والمستحيل مادة ، وبين أحكام العلم اليقينية والظنية ، فالمستحيل

أن تقف عنده ، ونبحث فيه عن صحة الحديث وقوته .

وخلاصة القول : أن الميزان الذي وزن به الحديث هو القرآن نفسه ، فإن كان الحديث يتفق مع أصول القرآن ، ولا يتناقض معها ولم يبق مجال عند المؤمن العاقل لنقد الحديث أو إنكاره اعتمادا على ما في نفسه من الاستحسان أو الاستهجان أو الاستبعاد الظني فهو الصحيح ، وكل ما نرجوه من الدبان المثقفين الخلفاء ألا يستعملوا في نشر النقد الحديث الصحيح الذي لا يسيئه تشكيروهم ، وأن يعرضوه بأنفسهم ، أو بمجموعة أهل العلم ، على الميزان الذي ذكرناه من القرآن والعقل فإن وجدوا له أصلا في القرآن فقد انحل الإشكال . وإن لم يجدوا له أصلا في القرآن لجأوا إلى ميزان العقل الذي قررناه وأوصناه فإن رأوا في الحديث ما يوجب تناقضا عقليا قطعيا ، لا ظاهريا ، مع أصل أو أكثر أصول القرآن جاز لهم عندئذ البحث في مبلغ الحديث من الصحة .

هذا ما ألهنا الله أن نكتبه في هذا الموضوع ليكون جوابا لكل شبهة . ولعل مجمع البحوث الإسلامية الموقر يصحح ما فيه من خطأ ويقوى ما قد يكون فيه من صواب ويضعه بيانا وتفضيلا ، وكلية المجمع هي التي يجب أن تكون فصل الخطاب في أمر هذه الفتنة ، والله المستعان ؟

أو مع العلم اليقيني القاطع - كما في الأمثلة التي ذكرناها عن المعجزات التي يقبها ، هل غير الراشدين في العلم ، أسرها وبسرها من المستحيلات ، وهي من الممكنات .

وكما في المثال الذي أوردناه عن طول ظهور الشمس في منطقة القطبين ، فقد اشبه على الناس أمر تلك الآية ، فظنوا أنها تناقض العلم ، ثم تبين لنا أن القضية العلمية ليست يقينية بل ظنية كذبها العلم ، فظهر بهما حكمة أمر الله لنا بأن نرد التشابهات إلى المحركات ، قبل أن تتورط في الجدل والمراء بفأنها ، وبأن نقوله عنها قول الراشدين في العلم ، الذين يعرفون هذه الفروق بين التناقض الحقيقي المؤكد وشبهة التناقض فيتمسكون على صدق القرآن ، ويؤمنون في تصديق التشابهات - ولو لم يعلموا تأويلها إلى المحركات ، ويقولون عن القرآن كله : (آتينا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) .

الحقيقة السادسة : أن كل ما في السنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن ، ومردود إليه ، وعقيد به فلا يناقضه أبدا ، فالقرآن هو (الميزان) الذي وزن به الأحاديث فما كان منها متفقا مع أصول القرآن فلا مجال للبحث فيه ، وما كان منها متناقضا مع القرآن ، وكان التناقض قطعيا لا سبيل إليه إلى التوفيق ، فهذا هو الذي يصح

كلمة فضيلة الشيخ نجم الدين الراءظ مندوب العراق

الحدقة وحده بصريهه ، وأعر جنده
وأنجز وحده وعزم المشركين يوم الأحزاب
وحده ، أما بعد فقد قال هو من قائل ، فأمنوا
بأنه ورسوله والنور الذي أنزلنا وأنه
بما تعلمون غيره .

لقد أجمع العلماء على أن الأدلة الشرعية
أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس
وهند بعض طوائف المذاهب هو العقل
لا القياس أجل : إن المجتهد إذا لم يجد مستندا

فهذا ما يتطرق بأصول ستة وأما الكتاب
وهو مصدر التشريع الإسلامي لحث عنه
ولا حرج قال تعالى : يا أيها الكتاب قد
جاءكم رسولنا بين لكم أشياء مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من ظلمات
إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ،
وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا آمنوا
بأنه ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله
والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر
بأنه وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر
قد حبل حبلًا بعيده ، الإيمان بالكتب

من هذه الأدلة الأربعة يكون مصدره ومستنده
هو العقل أو الاستصحاب ، أو الاستصحاب
أو العرف أو العادة أو المصالح المرسلة .
وقوة الحديث وسحته إنما هي بقوة سنده
وفي السند رواية الحديث ، فإذا كان سنده قويا
كان الحديث الشريف أقوى منه ، وإن كان
السند فيه ضعيفا كان كذلك ، وكان غير مقبولا
في استنباط الأحكام ، وأقوى درجات الحديث
هو الحديث المتواتر ، وهو ما يرويه جمع من
جمع بحيث يحيل العقل تواعظ على الكذب
وتعيين المحدث ليس بشرط بل الضابط مبلغ
بفيد اليقين فم يجب الاتمسك إلى الحس
ومساواة الطرق الوسط وما لم تبلغ رواة

بمائه ولو كان بعضهم لبعض ظهرا ، فكان القرآن أعظم معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرى خالدة إلى الأبد .

ذلك الفرقان العامل وقد جاء بالأحكام العامة للاعتقادات والمبادئ والمعاملات الجامعة للأحكام التأديبية من القصاص والحدود والسياسات وجميع ما يتعلق بأمر الدنيا وأمرين صالحات به الآلة الإسلامية في مدى سنين قليلة من بسطة العلم والملك ما لم يتنبأ لنورها من الأمم في مثل ذلك الزمن القصير الأمد فقد بشر القرآن وأذر ورعب وقرع ووعد وأوعد وبني وهدم وقوى وأومن ووصل وقطع وأخذ بذويه إلى المكانة العليا ونهج في تربية الإنسان منها قويا غلاظ العقل وناجي العواطف وأدب المحاسن وهذب المثلثات وحاسب السرائر وآخذ الضمائر وقرر العقائد وقاد الكتائب ودوخ الممالك ومصر الأمصار وشيد المدينة الفاضلة وسن الشرائع الكاملة وقاد الأمم إلى خيرها وسعادتها ونجاحها ونجاتها ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « انقرآن شافع مشفع وما حل مصدق من جملة أمانه قاده إلى الجنة ومن جملة خلفه قاده إلى النار » قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » .

وهدى ورحمة وبشرى للصلين .

والسلام عليكم ورحمة الله ٩

المنزلة من التنوير والإلهيل والزيور والفرقان واجب وهي لسعادة البشر ونأمين واحتم وحفظ نظامهم وصيانة دعاتهم وأمرانهم وأموالهم وسلامة صحتهم فهي تهذيب للأرواح وشفاء لها في الصدور وهدى وموعظة للفتين وآخرها نزول هو القرآن العظيم وهو القرو . بالاستقنا المحفوظ في صدورنا المكتوب في مساحفتنا وهو المراد بقولهم : « انظم المنزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم المنقول عن تواتر المشتمل على الأحكام السياسية بأسرها من الأمر والنهي والوعد والوعيد ، فما أمر به القرآن كل حسنا فإياه وما نهى عنه كان قبيحا ومضرا نزل به الروح الأمين على قلب الرسول الأعظم منجها أي مفرقا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على لغة قريش وأنه النظام الإلهي السماوي والقانون الأحاسي المنصن لسعادة البشر ونأمين حقوقهم وواحتهم دنيا ودينا وآخره مشتملا على الإيجاز ومنتهى الفصاحة والبلاغة وقد شهد بذلك عدو الإسلام الوليد بن المغيرة بقوله : « إن فيه حللاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمشر وإن أسفله لمقدق وإنه يعلم ولا يعلم عليه .

واقه ما هو بقول البشر ولقد نادى في نوادي قريش قل فأتوا بشئور مثله مقفريات فلم يمارحه أحد مع جد الخالفين له ثم صرخ ثانيا وقال فلم يجد أحد إلى أنه قال : « لا يأتون

كلمة الشيخ راشد الفرعان

مذوياً الكويت

السيد الرئيس :

أيها السادة :

أيها السادة :

وفد الكويت يرى أن اجتماع علماء المسلمين وتكرار هذا الاجتماع أمر لازم وحسب وخصوصاً في الوقت الذي تمكّلت فيه على العالم الإسلامي قوى المعسكرات الحادية من الرأسمالية، والشيوعية والاستعمار والعنصرية، ووجهت إليه غزواً فكرياً، وضغطاً اقتصادياً وسياسياً وحاصرت حوله المسائل والمؤامرات، فكثرت المشاكل وتعددت الأمور من غير حلول ولا يمكن مجابهة مثل هذه الأحداث الجارية المتزايدة يوماً بعد يوم، وقد توقفت مصالح الأمة عليها بالصمت والكوت أو إعطاء الحلول السلبية، فالإسلام الذي جاء ديناً تاماً للبشرية جمعاء، قد تركت قواعده وكيانيته لحل مشاكل بني الإنسان في كل زمان ومكان، وإن أعظم قاعدة فيه هي (أن الدين يسر ييسروا ولا تعسروا) .

إيماناً منا بأن قضية المسلمين وحدة لا تتجزأ فإننا نشاهد مؤتمرات البحوث الإسلامية وعلماء المسلمين بأن يوجهوا دعوة صريحة للحكماء المسلمين لتطبيق الإسلام في بلاد الإسلام . وأن يخرجوا من اجتماعهم بعد المناقشة الصريحة الوضوح بإجماع مفيد وعلم نافع .

وأن يتخذوا من التوصيات والقرارات البناءة القوية التي ترفع رأس المسلمين وتعمل على ضم شملهم ؟

باسم وأسم علماء الدين بالكويت أقدم لكم تحية الإسلام مقرونة بخالص الود والتقدير، وأشكر الجمهورية العربية المتحدة رئيساً وحكومة وشعباً، وأخص بالذكر رجال الأزهر الأكرم على كرم الضيافة وحسن الرفادة والاستقبال، في القاهرة ملتقى العرب والمسلمين وقبة النداء الثوريين . وإنه لشرف عظيم أن يلتقي علماء المسلمين محمد لواء الأزهر الشريف ليتدارسوا شئون المسلمين وقضاياهم .

أيها السادة :

يسعدني أن أحمل إليكم تحية شعب الكويت المسلم الذي أجد إلا أن ينص في دستوره (أن الكويت حرة لا تتجزأ من الأمة العربية ، وأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام) والذي كافح وتاضل في سبيل قضايا الأمة وفي مقدمتها قضية فلسطين، والذي ما فتى، وادفعا صوته مدافعاً عن القضايا الإسلامية والإنسانية وناصراً للشعوب المناهضة في سبيل تحررها من رقة الاستعمار والاستعباد وهو لا يزال على العهد، مستعد التضحية بالنفسي في سبيل وحدة الشعوب الإسلامية ووحدة صفها لأنه يؤمن بقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

كلمة السيد الأستاذ عبد الكريم سائو مندوب اليابان

مثل الأوروبيين والصينيين. ومن ثم فقد كانت
الفكرة العامة عن هذا الدين الخفيف قائمة على
أسس بعيدة ، إلى حد ما عن معناها الحقيقي .
والديانات السائدة الآن في اليابان هي كما يلي :
الشنتوية ، Shintoism (وهي الديانة
الوطنية والطبيعية ، وهي دين العبادة
للأجداد) والبوذية Buddhism وقسم إلى
Sokagak-kai وهي فرع من الديانة البوذية) .
ثم تهيء الديانة المسيحية ، التي تشكل نسبة
لا تتجاوز واحدا في كل مائة ، وعلى وجه
العموم فإن الغالبية العظمى للواطنين لا دين لها
بالمعنى الصحيح للكلمة . واليابانيون بصفة عامة
يتميزون بالنشاط ، والجد والمثابرة على أداء
العمل ، ولهم ثقافتهم الخاصة بهم ، ولكن
ليس لديهم العقيدة القوية بوجود الله سبحانه
وتعالى وهم يميلون إلى الاعتقاد بتأليه الطبيعة
وهم الآن يعتبرون السلم الحقيقة والميار
الوحيد في هذا الكون ويتلخص موقفهم
نجاه المسلمين في النقاط التالية :

- ١ - لم ترتبط اليابان ، فيما مضى ،
بالبلدان الإسلامية بأية روابط استعمارية .
- ٢ - إلا أن الشعب الياباني يكن معاه

سيندى الرئيس :
السادة الضيوف العظام المثلين مختلف
بقاع العالم :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
أود أولا : أن أخبر عن امتثالي وشكري
الجزيل لفضية الإمام الأكبر شيخ الجامع
الأزهر ، ولدكتور حاضى ، والدكتور
عمود حب الله ، وجميع المسئولين بالأزهر
لتفضلهم بتوجيه الدعوة لي الحضور
مؤتمرا بمسح البحوث الإسلامية المنفقد
في القاهرة ، وبإحدى أن أحمل إليكم جميعاً
أطيب تحيات إخواتنا المسلمين باليابان .
إنني لجد صرور لإتاحة هذه الفرصة
لتحدث في هذا المكان من الخطوط
المرمجة لأوجه النشاط في المجال الإسلامى
ببلدنا .

نملون جميعاً أن اليابان تضم قلة ضئيلة
من المسلمين بعيدة عن مركز الإسلام
في البلدان الإسلامية ولسوء الحظ فلقد ظلت
اليابان في منأى عن جوهر الإسلام الحقيقي
منذ أمد بعيد . ولقد كان مقدم الإسلام
إلى اليابان على يد أفراد لا يدينون بالإسلام

وما يوزن . . الخ . للدراسة وتحصيل العلوم الإسلامية . كما قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية ، الحاج عمر ميتا ، كما قامت المنظمة بتوجيه الدعوة إلى المفكرين والوعاظ من البلدان الإسلامية الدعوة لهذا الدين الحنيف داخل اليابان كذلك قامت بتخصيص مناطق من الأرض لبناء مقابر المسلمين بها .
وأيضاً عراقل تضيء أماننا الحكومة أو الشعب في سبيل إقامة شعائرها وعلمها النشاط الديني ، لأن الجميع يؤمن بحرية العقيدة .

ولا تواجهنا أية مصاعب في سبيل إقناع الجمهور باعتماد الدين الإسلامي ، ولكن المشكلة تقع في كيفية رعاية هذه العقيدة ، وتقديم كافة التسهيلات لنشر المعرفة الإسلامية .

ويبلغ عدد المسلمين في اليابان نحو الألفين ولكنهم يشبهون الطفل اليتيم في هذه البقعة من العالم الواقعة في الشرق الأقصى .

وإننا لننتظر فرصة هذه المؤتمرات التي تقدمونها هنا لكي تتوجه بالرجاء إلى المسؤولين أن يمدوا يد المساعدة إلينا في هذا المجال .

وطالما تقدمنا بمقترحات عديدة لإنهاء مركز إسلامي في طوكيو ، ولكننا أخفقنا لأسباب مالية ، وتوجد الآن في اليابان أربع جمعيات إسلامية وهي .

المودة المسلمين في جميع العالم الإسلامي في الوقت الذي يشعرون فيه بمشاعر الكراهية والاستياء إزاء الاستعمار الأوربي وبمطفون على تلك الشعوب التي ظلت تروخ تحت نيره .

٣ - وهم لا يعرفون الإسلام في جوهره الأصيل ولكنهم يصغون إلى كل من يحاول تجميله وإلقاء الضوء على تعاليمه الخفية .

٤ - واليابانيون يحرصون على تنمية العلاقات الطيبة مع المسلمين ، ولا سيما العلاقات التجارية .

ولكن الموقف بدأ الآن يتخذ شكلاً مغايراً فلقد بدأوا يكتشفون أن لدين الإسلام على شيء يختلف في جوهره عما كان سائداً بينهم من قبل ، وبدأ الإسلام يتسلل إلى الأرض اليابانية إبان الحرب العالمية الثانية ، عندما اتصل الجنود ورجال الأعمال اليابانيين بالمسلمين في البلدان الإسلامية المختلفة ، واعتنق بعضهم الإسلام ثم عاد إلى اليابان ، ومن يومها بدأت فكرة الإسلام تأخذ طريقها إلى القلوب في اليابان .

وتكونت منظمة المسلمين باليابان في عام ١٩٥٢ ونشطت في التعريف بالإسلام عن طريق المطبوعات والاجتماعات والخطب ، وأوفدت الطلاب إلى مواضع إسلامية كالقاهرة والمدينة المنورة ، وبعض البلدان الإسلامية مثل : باكستان ، والهند ، وأندونيسيا

وَمِنْ كَلِمَةِ الدُّكْتُور مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ هَاشِمِ مَنْدُوبِ الْهِنْدِ

إن الشريعة الإسلامية - سواء كانت قوانين الشهادة أو قانون الجناية والقانون المدني أو قانون التجارة والصناعة تحتاج إلى تدوين قوانينها مرة أخرى في ضوء الضرورات الحاضرة فأحسن الطرق لتدوين الشريعة في قالب معاصر أنه يجب أن يفتى هذا المؤتمر ممهدا يشتمل على علماء جميع الدول الإسلامية على طريقة المعهد العلمي العربي ، ويجب أن ينقسم المعهد إلى عدة لجان وتنفذ جلساته وقتا فوقتا لينظر في المسائل المقدمة ويدون الأحكام المستقبلية كما كان السلف الصالح يجتهدون ويؤلفون الفتاوى في عصر بعد عصر .

لهذه الآراء الإصلاحية في علوم التفسير والحديث والفقه توافقت الانجاعات الجديدة ويول الأمة كما يظهر من الخطابات التي أقيمت

(البقية على الصفحة السابقة)

- ١ - جمعية مسلمي اليابان التي تتكون أساسا من مسلمي اليابان وذلك التي أشرف برئاستها .
 - ٢ - لجان الطلبة المسلمين الأندونيسيين وبلغ تعداد أعضائها أكثر من السبعائة .
 - ٣ - جمعية الطلبة المسلمين وتشمل الطلبة الوافدين من بلدان إسلامية للدراسة باليابان .
 - ٤ - الجمعية التركمانية . وتضم المسلمين القادمين من تركستان بعد الثورة الروسية وتعمل كل هذه المنظمات في إطار من المحبة والتعاون الصادق خاربة المثل في تضامن المسلمين واتحادهم ، ومثل هذه الوحدة ومعدا
- التضامن يعتبر تفسير الله أمية مثالية الإسلام أمام غير المسلمين .
- والآن أتى من سيادتكم فتكرم بأن تولوا هذه الفئة القليلة - من المسلمين المعولة في الشرق الأقصى - المزيد من الاهتمام والرعاية وهذا هو ما ينتظرونه إخوانكم في الإسلام مثل ما ينتظرونه من البلدان الإسلامية الكبيرة ، ولحسن الحظ لا يوجد لدينا أية عوائق سياسية تحول دون تحقيق هذه الأمنية العزيزة علينا نحن المسلمين .
- وشكرا جزيلا .
- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المسلمين وكل فرقة من فرقهم يرجع إلى القرآن إذا احتاج إلى أن يعرف مسألة من حياته الشخصية والاجتماعية سواء كانت المسألة دينية أو شرعية مدنية كانت أو أخلاقية . وذلك لأن سائر مسائل الشريعة مستنبطة من القرآن والحديث الذي ليس إلا شرحا للقرآن وإيضاحه ، وبيننا هذه الشروح والتفاسير التي دونت في العصور المختلفة ومن أصحاب الطوائع والميول المضادة والمناقضة يختلف بعضها من بعض في شرح الآيات ومعانيها وليس لدى لرجل وقت مقسع في عصر الازمة هذا أن يرجع إلى أصل المسألة إذا أراد أن يعرف الآية التي استنبطت فيها كل فرقة مسائلها وكيف تطورت الفكرة الموضوعية في تلك الآية من عصر إلى عصر حتى يعرف حقيقة الأمر وإذا اتفقنا بعد هذا البحث الطويل أنه من لوازم إصلاح أحكام المجتمع الإسلامي ومن واجبات روح العصر أن نؤلف قاموس القرآن يجب علينا أن نقدم تخطيطا لهذا المشروع :

نجد هناك فكرتين وطريقتين ذهب بعضها إلى أن نحدد حدود دوائر المعارف الموجودة بين أيدينا وأسلوبها كما هو معلوم لدى العلماء الكرام فنرتب جميع موضوعات القرآن على حروف المعجم ونوزعها بين العلماء المتخصصين لكي يكتبوا المقالات في موضوع تخصصهم وتجمع هذه المقالات أخيرا في جزء

في إقتراح هذا المؤتمر ، فإن أول خطوة في إصلاح الأحكام المستنبطة من القرآن والحديث أن نعود إلى مرجع أصل وماخذ أساس أخذته جميع الفرق الإسلامية والمذاهب الفقهية - أعني به القرآن الكريم - لأن آيات القرآن هي التي رجع إليها الفقهاء وأئمة المذاهب واستدلوا بها في تأويلاتهم ولذلك فكرنا في تأليف قاموس (تفاسير للقرآن) فلزمنا أن أشرح هذا المشروع فإني أقول : لكل عصر روح مخصوصة به وينقسم العصر الحديث بطابع إنجاز المتطلبات بالسرعة ولذلك دعه روح العصر إلى تأليف الموسوعات العلوم والآداب والفنون والثقافات الخاصة والمحاضرات العامة لكي يرجع الطالب في كل ما يحتاجه إلى موسوعة خاصة ويجد حثائه المنفردة في أسرع فرصة ممكنة بدون تضيق الوقت الطويل في البحث والمراجعات الكثيرة فتجد - مثلا - دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف للأخلاق والآداب ودائرة المعارف الإسلامية في القرن العشرين وقاموس الإنجيل ودائرة المعارف اليهودية وغيرها من الموسوعات المتخصصة لامة من الأمم غير أنه من الأمور المحزنة أن دولة من الدول العربية والإسلامية لم تفكر في تأليف قاموس تفاسير القرآن مع أن القرآن الكريم مرجع أساس لجميع نواحي الحياة الإسلامية فكل واحد من

بها فلا تصنف المسلمين وما أخذوا من الآيات من المسائل الفلسفية .

القسم الرابع : يحتوي على التفاسير التي أت بها أهل التصوف وما استخرجوا من الآيات من مسائل التصوف .

القسم الخامس : يحتوي على تاريخ القرآن وتاريخ نزول الآيات وحياة الرجال البارزين الذين جاء ذكرهم في آيات القرآن .

القسم السادس : يرتب فيه فهارس الآيات وموضوعاتها وأسماء الأشخاص والأماكن وغير ذلك .

فبناء على هذا الأساس نستطيع أن نرتب كل سنة ألف آية في قاموس تفاسير القرآن وعلى هذا الحساب نستطيع أن نكمل في ستة أعوام قاموس تفاسير القرآن الذي يشتمل على ستة آلاف وستمائة وستين آية . لإجراء هذا العمل قد قامت أوقاف النظام (بمحدر آباد) بدفع مالية ضرورية في ابتداء العمل وأخذت دائرة المعارف العثمانية بمحدر آباد مسئولة طبعا على عاتقها ولكن أهم الموانع في سبيل تحقيق هذا الهدف جمع العلماء الأفاضل وتعاونهم العلمي فلو ساعدنا علماء الدول العربية والإسلامية بتعاونهم العلمي في تحقيق هذه الغاية ولو كان ذلك بإثارة لخدمنا خدمة إسلامية عظيمة ونستطيع بذلك أن نترك لأجيالنا تراثا بغث وناث .

من أجزاء دائرة المعارف لكي تطبع على طريقة حروف المعجم .

والطريقة الأخرى فمعرضها فيما يلي ونعتقد أنها أحسن ، نعد بجمع مواد القرآن الموجودة في جميع التفاسير ثم نوزعها على الموضوعات المختلفة .

ثم نجمع مواد التفاسير في بطاقات مختلفة تحت إشراف قسم من أقسام الموضوعات المتعددة فكل قسم منها يجمع مواد موضوعه الخاص من التفاسير المدونة في مصور مختلفة فيلخصها في بطاقة ويرسلها إلى رئيس قسمه لكي ينظر في المواد ويراجعها ويكتب بطاقة معينة على أساس هذه المواد بإيجاز حتى لا تزيد المقالة على ثلاث صفحات كبيرة ثم يرسل رئيس القسم مقالته مع البطاقات إلى رئيس الإدارة لكي ينفع المراجع ويحقق المواد ويمتلي عليها ويصححها ويرفع عبارة المقالة إلى مستوى اللغة الأدبية ويجهزها أخيرا للطبع فيقسم حسب الموضوعات إلى أقسام مختلفة كما يلي :

القسم الأول : يحتوي على تفاسير أئى بها المحدثون من القرن الحاضر .

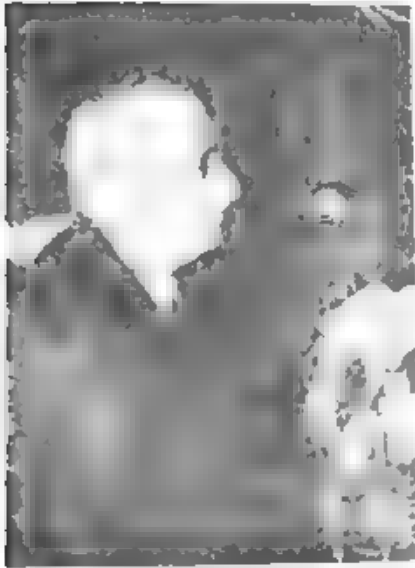
القسم الثاني : يحتوي على التفاسير التي أت بها الفقهاء من المسائل الشرعية والثقافية والسياسية حسب مذاهب الفقهاء .

القسم الثالث : يحتوي على التفاسير التي أت

من البحوث الإسلامية

القرآن في التربية الإسلامية

للدكتور إبراهيم عبد المجيد اللبان.
"عضو الجمع".



الدكتور إبراهيم عبد المجيد اللبان

وانما اتجهت إلى فكر المتعلم وحاولت أن
تجسد فيه المعلومات الخاصة بالعقيدة وبأحكام
العبادات وتعاريفات الأخلاق ، وتركه
الجانب العملي والعاطفي من السلوك الإنساني
فلم نحاول أن ندرجه على العبادات ولم نحاول
تكوين الأخلاق ، بل لم يكن يعنيها أن ينمفد

تفسير :

التربية الإسلامية في حالتها الحاضرة :

إذا تتبعنا ما هو جار في المعاهد والمدارس
وجدنا العمل فيها يأخذ صورة واحدة على
وجه التقريب ، فالطريقة المتبعة هي طريقة
الشرح : شرح العقائد والعبادات والأحكام
والأخلاق ثم يقف الأمر في المادة عند
هذا الحد .

وأول ما يواجهنا عند تقدير هذا النوع
من التربية هو نتائجها ، فهل تكون هذه
التربية المسلم الصحيح ؟ قد نعطيه فكرة
عن العقائد ، ولكن هل تنشئ خلق المادة ؟
هل تضع أساس عادة الصلاة والصدقة والصوم
والزكاة ؟ هل تنشئ في نفس من يتلقاها
عواطف خلقية تملك النفس وتسيطر على
السلوك كحب الصدق وفعل الخير ونحو ذلك ؟
والجواب واضح ، ولن يكون إلا سلبيا ،
والسبب بين ، فإن هذه التربية لم تتجه
إلى تكوين عادات أو عواطف خلقية ،

أو عمل ، إنما هي تربية على إيمان ويقين وقد تم المطلوب .

أما التربية على العبادات فالأمر فيها يختلف فهي لا عمالة تحتاج إلى معرفة تفصيل العبادات المبروذة ، وما تشتمل عليه من حركات وسكنات وقيام وقعود وأقوال وتلاوة ، ولكن المعرفة هنا لا تكفي كما هو الحال بالنسبة للعقيدة فالمطلوب هنا هو العمل لا مجرد المعرفة فالمطلوب القيام بالعبادة بصورة دقيقة منظمة طبقاً لأحكام الشريعة ، المطلوب في الواقع تكوين عادة هلمية ، فإذا اقتصر الأمر على الإلمام بالناحية العلمية للعبادة من شروط وأركان وواجبات وسنن دون أداء للعبادة نفسها ، فإن التربية في هذه الدائرة تكون قد تفاقمت من هدفها الصحيح وقصرت في تحقيقها وإجمال القول أن وظيفة المعرفة هنا هي قيادة العمل وتوجيهه ، وإعطاؤه طابعه الصحيح ، ولكنها هنا ليست هدفاً أو غاية ، فإذا انتقلنا إلى التربية الحلقية ألفينا أنفسنا في موقف مماثل ، فعرفنا حقيقة الخلق المطلوب أمر لا غنى عنه في التربية الحلقية ولكن التربية الحلقية لا تتم بمجرد معرفة طبيعة الخلق ، فن الممكن هنا كما هو ممكن في دائرة العبادات أن تتحقق المعرفة وبجمل جانب العمل ، من الممكن مثلاً أن نعترف بطبيعة الصدق معرفة عامة ثم

القلب على حب الصدق والخير بصورة قوية عامة ، تدفع النفس إلى عمل الخير والالتزام الصدق في جميع مواقف الحياة .

وأساس ذلك كله أن هذه التربية تقوم بصورة شتمية على أساس أن التربية الدينية تربية عقلية عمالة للتربية العلمية ، وهو خطأ فاحش ، وقد أدى هذا الخطأ إلى إهمال التربية العملية والحلقية في تربية الناشئين تربية دينية .

وبما لا شك فيه أن الناحية العقلية ناحية المعرفة ضرورية في التربية الدينية ولا غنى عنها فيها ، ولكن التربية الدينية تتكون من أنواع مختلفة من الأعمال يختلف كل منها عن الآخر في طبيعته ووسائله ، فهناك أولاً غرس العقيدة ، ثم تربية الناشئ على العبادة والأخلاق .

رواح أن تربية العقيدة ضرب من التربية الفكرية ، وأن العنصر الأساسي فيها هو المعرفة فالمطلوب في ميدان العقيدة هو الاهتمام بأن يصل الناشئ إلى قضايا خاصة ، قضايا تقرر وجود الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن يكون موقفه إذا ما موقف من يتصورها بوضوح ، ويؤمن بها إيماناً مستقراً مستنداً إلى الحجة والبرهان لا إلى بعض التقليد ، فإذا تم له هذا فقد بلغت هذه التربية تمامها ، فإنها ليست تربية على عاطفة

بديها نظرة تاريخية تعيد لها وتعين على فهمها وتحديد الحل الصحيح لها ، ويحسب بنا قبل الإقدام على هذه الدراسة التأريخية التمهيدية أن نحدد تعريفا دقيقا للدائرة التي سنعمل فيها والمقاصد التي سنسعى إليها .

وأول ما ينبغي أن نسلط هنا هو أننا لن ندرس تاريخ التربية الإسلامية ، ولكننا سنقتصر اهتمامنا على تاريخ الكتاب والسنة وحدهما في منهج التربية الإسلامية في عصور التاريخ الإسلامي المتعاقبة ، وسنختص من هذا الموضوع بالناية معالم خاصة لا نطعمها إلى ماسواها ، فيكون موضوع البحث في هذه المجلة - الأدوار المختلفة التي مر بها ظهور الكتاب والسنة في منهج التربية الإسلامية ، والأدوار التي اختفيا فيها أو كادا يختفيان منه ، ويمكن أن نحدد هنا أدوارا ثلاثة :

أما الدور الأول : فهو الدور الذي كان منهج التربية الإسلامية مقصورا أو كالمقصور على الكتاب والسنة ، ولا يمتدنا هنا التحديد الزماني لهذه الظاهرة التربوية الهامة بشدة ما يعطينا أن تبين أنها حقيقة واقعة ، وأن لها مغزى إسلاميا جليلا وأثرا تربويا هائلا ولطخ من الواضح أن تربية المسلم صغيرا أو كبيرا في عهد الرسول والخلفاء الراشدين وصدر من دولة بني أمية كانت تستمد على الكتاب والسنة وحدهما ، ومعنى هذا أن

لا نلتزم في حياتنا اليومية ، فالتربية الخلقية الحقيقية هي التي لا تكسب بالمعرفة بل نتجه إلى ناحية العاطفة ، وتعلم حق العلم أن مهنتها الحقيقية هي تكوين عاطفة عاملة ، وإيجاد إحساس قوى متأصل في نفس الناشئ يحس الصدق ، ومادة قوية تصدر عن هذا الحب فتحمل الناشئ على احترامه ، وجملة دستورنا له في حياته اليومية والنتيجة الأخيرة هي أن من ألحش الأغلط أن يظن ظان أن التربية الدينية مسألة دراسة فقط ، فالدراسة لا تعطى في مآثر القبادات والأخلاق أكثر من عنصر واحد وهو عنصر المعلومات وهي ضرورية للقيام بالعبادة ، والعواطف الخلقية ولكنها وحدها لا تصد تربية تامة على العبادة أو الأخلاق .

أما في دائرة العقائد فدراسة وجود الله وصفاته وأفعاله ، ثم دراسة ما يتصل بالملائكة والوسل والكتب المخرقة والبحث مع الاتجاه في هذه الدراسة إلى وضع دعائم الإيمان الوطيد الأركان بكل هذه الجادى دراسة مستوعبة للطلوب في هذه الدائرة وإن كانت دراسة عقلية .

الفرآة في التربية الدينية

نظرة تاريخية :

لن نستطيع أن ندرس المسألة التي تصدنا لدراستها دراسة مستنيرة إلا إذا قدمنا بين

قدرة الكتاب والسنة على تكوين المسلم الحق المسلم الذي وصل الإيمان إلى قرارة نفسه ، وأخفت أغلاله وأعماله الطابع الإسلامي القوي الذي لا يمه ضعف أو فتور بل هو راسخ كالجبال يقوم بجلائل الأعمال .

أما الدور الثاني : فهو دور يختلف من هذا الدور واختلافاً بينا ، ويجب أن يتقرر في الأذهان بوضوح تلم الفرق الأساسي بين الدورين ، ولن نحاول أن نتبع التطور الذي حدث من بدايته إلى نهايته فبحثنا للتربوي لا يحتاج إلى أكثر من تقرير بعض الحقائق الكبرى ، وفي مقدمتها نقاء العلوم الإسلامية ، وما ترتب على ذلك من أثر في منهج التربية ومادتها ، وبكفينا من هذا أن نشير إلى ظهور علم الكلام وعلم الفقه وتكاملها واتجاه الأنظار إليها ، وما كان لذلك من أثر في الاعتماد على الكتاب والسنة في التربية الإسلامية .

اتجه علم الكلام إلى تحديد العقائد الإسلامية وبيان أدلتها ، واتجهت الشريعة إلى دراسة الأحكام الشرعية ، فقررت أحكام العبادات والمعاملات ، فوجد الناس أمامهم كتباً تحتوي على أصول الإسلام وفروعه ، مستنبطة من الكتاب والسنة وهيرهما ، وموضوعة في صورة تختلف عن صورتها في مصادر الإسلام العليا ، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد اتجه الناس تدريجاً

المسلم كان إذ ذاك يتلقى دينه من كتاب وربه وصحة رسوله مباشرة ، وهذا أمر طبيعي ، فإن العلوم الإسلامية لم تكن إذ ذاك قد نشأت فقد وضع علم الكلام ونضج علم الفقه بعد ذلك العهد .

والهمم بالنسبة لبحثنا أن نقدر على الأثر التربوي الذي ترتب على الاعتماد على الكتاب والسنة في التربية الدينية ، ويمكن أن نصيد إلى الذاكرة أسماء كبار الصحابة والتابعين الذين حفظ التاريخ أسماءهم ، نرى في حياتهم الخاصة والعامة أثر كتاب الله وسنة رسوله في تكوين عقائدهم وأخلاقهم ، وفي دوح التقوى وفضيلة العبادة التي غلبت على قلوبهم وجملتهم مثلاً حياً في تاريخ البشرية كلها ، ويتقدم هذه الأسماء جميعاً أسماء : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومن سواهم من تغفل الدين في أحاطة قلوبهم فظهروا على مسرح التاريخ شعوراً ساحطاً ومصابيح منيرة ، ونماذج تحدى ومنايع فياضة بالإيمان والتقوى والخير العميم ، ولا أريد أن أتوسع في بيان قوة الطابع الديني الذي الذي أحدثه الكتاب والسنة في نفوس هؤلاء الأبرار وسلوكهم ، ولكنني أكتفي بتسجيل هذه الحقيقة التربوية الكبرى وهي أن هذه الأجيال تمثل المظهر الرائع الذي تجلت فيه

حقول التلاميذ في المدارس الابتدائية ، ومن جهة أخرى يجب أن نتذكر أن هذه السور قد زلت في ظرف خاص لنابات معينة ، فكثرتها الغالبة مكية ، وهي فترة كانت تمتاز بالمعارضة العنيفة للدعوة الإسلامية ، ومن ثم كان موضوع الكثير منها بحاجة للكفاد ومجادلهم لاشرح العقائد والأخلاق ومبادئ الشريعة ، وحسبك أن تذكر سورة المد وسورة المزة .

أساس الاختيار :

لا بد أن يكون أساس اختيار الآيات لمنهج التربية الإسلامية أساساً واضحاً مفهوماً ، وإذا كان الغرض من التربية الإسلامية تمكين العقيدة في النفوس وثبيتها في العقول ، ثم تأسيس العادات الدينية وتكوين الأخلاق الإسلامية ، وتعليم الأحكام الشرعية ، فقد أصبح من الضروري لقيام بالبرية الدينية الصحيحة أن يتضمن منهاجها من آيات الذكر الحكيم ما يدخل في نطاق هذه الموضوعات الرئيسية العامة ، وبشبه أدق ، يجب أن يكون أساس الاختيار أهمية الآيات للحياة الدينية في صورتها العامة التي تتضمن العقائد والعادات والأخلاق ، فإما هي أم الآيات التي تحتاج إليها التربية الإسلامية احتياجاً مباشراً لتكون المسلم وتضعه على الصراط الإسلامي المستقيم ؟ وإن يطول بنا البحث في هذا الميدان فقد

إلى علم الكلام وحلم الفقه بعد تهريرهما من فصوص الكتاب والسنة ، من أجل الانتفاع بهما في الحياة ، وبخاصة في القضاء والإفتاء ، ثم اعتمدوا عليهما في التربية الإسلامية .

أما الدور الثالث : فيمتاز بظهور النزعة إلى ضم القرآن إلى منهج التربية الدينية ، وقد كان الميل الغالب هو ضم السور القصار ، فضم الجزء الأخير من القرآن إلى منهج الابتدائي في المدارس الابتدائية وأقبل التلاميذ على استظهاره ومحاولة فهمه وروايعه أن يبدأ ضم القرآن إلى منهج التربية الدينية قد تضمن المدلول عن الاكتفاء بالمرجوت في التربية الدينية كما تضمن أيضاً شعوراً جديداً بأنه لا غنى لنا في التربية الدينية عن الرجوع إلى مصادر الدين الأساسية ، وتمكين الناشئة من ورود مناهل الله آن ، والاعتراف من فيضة العذب ، وهو في الواقع نفسه إحياء لسنة الرعيل الأول من الأمة الإسلامية

ولكن لا ينبغي أن تفوتنا أمور جديدة بالملاحظة ، وبخاصة من الناحية التربوية فقد لا يكون من الأفضل وسائل التربية الدينية التحويل على سور الجزء الأخير من القرآن وحدها ويتضح ما نرى إليه إذا تذكرنا أن هذه السور وإن كانت سهلة الاستظهار لقصرها فقد لا تكون لغتها في مستوى

جواهر القرآن ، ففي مقصد القرآن الكريم يقول الفزالي :

« سر القرآن ولبابه الأسمى ومقصده الأسمى دعوة العباد إلى الجوار الأعلى ، رب الآخرة والأولى ، عالق السموات والأرضين السفلى وما بينهما وما تحمت الأرض . »

ثم ينظر إلى الآيات من هذه الزاوية نظرة موضوعية فيلح اختلاف موضوعاتها ، وتتضح له الأقسام العامة لتلك الموضوعات ، كما يرى رؤية واضحة أن هذه الأقسام يسبق بعضها ، مضاعف ناحية صلتها بالمقصد القرآني الأدلي ، ومن ثم يعقب على الفقرة السابقة بقوله : « فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع : (ثلاثة) منها هي السوابق والأصول المهمة (وثلاثة) الروادف والتوابع الفنية والمتتمة ، أما الثلاثة المهمة : فهي تعريف المدعو إليه ، تعريف الصراط المستقيم الذي يجب ملازمته في الملوك إليه ، وتعريف الحال عند الوصول إليه . وأما (الثلاثة الفنية المتتمة) ؟ فأحدها - تعريف أحوال المجيبين لدعوة ولطائف صنع الله لهم ، وسره ومقصوده التشويق والترغيب ، وتعريف أحوال الناكين والناكيات عن الإجابة وكيفية فع الله لهم وتكليفهم ، وسره ومقصوده الاعتبار والترغيب . »

كان من حسن الحظ أن قام بالمحاولة الأولى أمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام الفكر الإسلامي المستنير ، وهو أبو حامد الفزالي ، ومن الخير أن نبدأ ببيان الخطوط المربطة لهذه المحاولة الدقيقة ، لنسهر على هذا ما فيها نقوم به من عمل في هذا المقصد .

اختيار الفزالي :

قام الفزالي رضي الله عنه بهذه المحاولة في كتابه الذي سماه (جواهر القرآن) ويمكن أن تقدم صورتها العامة فيما يلي :

بدأ الفزالي بخد : الناية العليا للقرآن الكريم ، وفي ضوء هذه الناية استلزم أن يتم أي الذكر الحكيم إلى ستة أنواع ، وأساس التقسيم هو النظرة الموضوعية إلى الآيات القرآنية ، تلك النظرة التي أسفرت عن تباين موضوعات الآيات وتمتدها .

ويشترط ذلك في أهميته لبحثنا هذا ابتداءً بتقديره فإن الفزالي لم يجهل الآيات من ناحية صلتها بالمقصد الأعلى للقرآن متساوية أو متعاقبة . وختم دراسته هذه بنتيجة عملية فقد جمع الآيات الضرورية لتحقيق الناية الدينية في فصلين ، أوصى بالناية التامة بدراسة ما يضمنه من آيات ، ويحتوي أحدهما على الآيات الخاصة بالمعاني ، أما الثاني فيشتمل على آيات العبادة والأخلاق . ولنشرح في عرض منهج هذا كما عرضته هو نفسه في كتاب

الوجود إلا الله وأفعاله وكل ما صوره فعله ،
لكن القرآن يشتغل على الجلى منها الواقع في
عالم الشهادة ، كذكر السموات والأرض
والجبال والشجر والحیوان والبحار والنبات
وإزال الماء للقرات ، وسائر أسباب النبات
والحياة وحی التي ظهرت للحس .

وأشرف أفعاله وأعجبها وأدناها على جلالة
صانها ما لم يظهر للحس بل هو من عالم
الملكوک وحی الملائكة والروحانيات
والروح . . . فهذا جملة القسم الأول . . .
وستتلو عليك الآيات الواردة فيها على
المختص من جملة واحدة ، فإنها زبدة القرآن
وقلبه ولها به سره . ثم يتجه الغزالي إلى
بيان المقصود من القسم الثاني فيقول :

لقسم الثاني : في تعريف طريق السلوك
إلى الله تعالى ، وذلك بالتبذل إليه ، كما قال
تعالى ، وتبذل إليه تبتلا . أى انقطع إليه ،
والانقطاع يكون بالإقبال عليه والانقطاع
من غير . . . والإقبال عليه يكون بمخالفة
المری ، والتفنى عن كموراة الدنيا
وتوكية القلب عنها ، والفلاح تيجتها كما قال
الله تعالى : قد أفلح من تزك وذكر اسم
ربه فصل . .

فصدة الطريق أمران : الملازمة والمخالفة :
الملازمة لذكر الله تعالى ، والمخالفة لما يشغل
عن الله ، وهذا هو السفر إلى الله . . .

وثانها - حكاية أحوال الجاهدين وكشف
فصائحهم وجهلهم بالجدالة والمهاجة على الحق ،
وسره ومقصوده في جنب الباطل الانضاح
والتنفير . وفي جنب الحق الإيضاح
والتنبيه والتقرير .

وثالثها - تعريف عمارة منازل الطريق ،
وكيفية أخذ الواد والأعب والاستعداد .
وكأنما أحس الغزالي بأن العرض السابق
يتقنه بعض الإيضاح والتفصيل . فطغف
عليه بما يحتاج إليه من بيان وتحديد . فهو
يحدد القسم الأول بأن المقصود منه تعريف
المقدم إليه ، وهو شرح معرفة الله . . .
وتشتمل هذه المعرفة على معرفة ذات
الحق ومعرفة الصفات ومعرفة الأنفال
ثم يحدد إلى مقدار ما يحتوي عليه القرآن
من ذلك فيقول :

معرفة الذات أعنيها بجالا وأصراها
مثالا وأعصاها على الفكر وأبسطها
من قبول الذكر ، ولذلك لا يقتصر القرآن
مها إلا على تلوينات وإشارات . . .

وأما (الصفات) فالجمال فيها أنصح ونطاق
للتنطق فيها أوسع ، ولذلك كثرت الآيات
المختلة على ذكر العلم والقدرة والحياة
والكلام والحكمة والسمع والبصر وغيرها .
وأما (الأنفال) فيجر مقسم أكتناه ،
ولا تال بالاستقصاء أطرافه ، بل ليس في

نعم وذا وفرون وماد وقوم لوط ... وقائمة
هذا القسم الترهيب والتفهي والاعتبار، والآيات
الواردة فيه كثيرة وبعد الرابع عرض
النزول الخامس فيقول :

القسم الخامس : حاجة الكفار ومجادلتهم ،
وإيضاح مخازيهم بالبرهان الواضح وكشف
باطليهم وتخليبهم وأباطيلهم ثلاثة أنواع :
أحدها : ذكر الله تعالى بما لا يليق به ،
من أن الملائكة بناته ، وأن له ولدا وشريكا
وأنة ثالث ثلاثة .

الثاني : ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأنه ساحر وكاهن وكذاب ، وإنكار
نبوته ، وأنه بشر كسائر الخلق فلا يستحق
أن ينسب .

ثالثا : إنكار اليوم الآخر وجمع البعث
والنفس والجنة والنار ، وإنكار عاقبة الطاعة
والمعصية ... وآيات كثيرة ظاهرة . ويهتم
ذلك كله كلامه بذكر القسم السادس فيقول :
القسم السادس : (تعريف عمارة منازل الطريق
وكيفية التأهب للزاد ، والاستعداد بإعداد
السلاح الذي يدفع سراق المنازل ونظامها .
وبيانه أن الدنيا منزل من منازل السائرين
إلى الله تعالى والبدن مركب ، فمن فعل عنه
تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره وما لم يتقن
أمر الماشي في الدنيا لا يتم أمر التبتل
والانقطاع إلى الله تعالى الذي هو السلوك ،

ومعرفة السلوك والوصول أيضاً بحر حقيق
من بحار القرآن ، وسنجمع لك الآيات
المرشدة إلى طريق السلوك لتفكر فيها جملة
ويأتي بعد هذا كلامه عن القسم الثالث
فيقول :

القسم الثالث : تعريف الخلال عند ميعاد
الوصول ، وهو يشمل على ذكر الروح
والنفس الذي يلقاه الواصلون ، والعبادة
الجامعة لأنواع روحها هي الجنة ، وأعلامها
لذة النظر إلى الله تعالى .

ويشمل على ذكر الخوى والعذاب الذي
يلقاه السجرون منه يأماله السلوك والمباراة
الجامعة لأصناف آلامها الجسيم ، وأشدّها
ألم الحجاب والإبعاد . ويشمل أيضاً
على ذكر مقدمات أحوال الفريقتين ومنها
يسير بالحشر والنشر والحساب والميزان
والصراف .

وذلك آيات القرآن وسوره يرجع إلى
تفصيل ذلك .

تبقى بعد ذلك الأقسام المتبعة وهذه عرض
لها النزال أيضاً بشيء من الإيضاح ، لجاء بها
مرتبة فيما بعد قسم وبدأ بالرابع فقال :

القسم الرابع : في أحوال السالكين
والتاكين : (أما أحوال السالكين فهي
قصص الأنبياء والأولياء ، كقصّة آدم
ونوح وإبراهيم وموسى وهرون ...) وأما
أحوال الجامحين والتاكين : فهي كقصص

الخاصة بالثاني في فصل آخر ، ثم وقف عند هذا الحد .

وهذا التصرف يستند بطبيعة الحال إلى اعتبارات تربوية صفيها فيها بعد ، فأساس الأمر كله هو أن المهم هو معرفة الله تعالى والوصول إليه ، ولقد اتخذ من هذا المبدأ أساسا للاختيار ، فمن البين أن بعض الأقسام الستة أشد ارتباطا وأقوى أثرا في تحقيق هذه الغاية الروحية من غيرها ، ومن ثم كان من الطبيعي أن يتقدم سواه ، وأساس الاختيار بالإجمال هو النظرة التربوية .

أعني تقدير الأثر التربوي لسلك قسم من الأقسام الستة السابقة الذكر في تحقيق الغاية الروحية العليا .

وقد حلت هذه النظرة التربوية على اختيار الآيات التي يعدها ضرورية وأساسية لتكوين المسلم الصحيح ، فاختار الآيات التي تتعلق بالفائدة ، ووضعها في فصول ، وسماها بجواهر القرآن ، ثم جمع الآيات الخاصة بالسلوك ، وهي آيات العبادات والأخلاق الإسلامية في فصل خاص وسماها **دور القرآن**

وبين السبب الذي حله على هذا الاختيار في حاشية الكتاب فقال : (اعلم أننا اقتصرنا من ذكر الآيات على نخط الجواهر والهدى لمعتين) : أحدهما : أن الأصناف الباقية أكثر من أن تحصى .

ولا يتم ذلك حتى يبقى منه سائلا ونسلة دائما ، ويتم كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما ، وأسباب الدفع لمفسداتهما ومهلكاتهما) ثم بين الغزالي أن الحياة الدنيوية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الاختصاص في دائرة الأموال والفساد ، ولو ترك الأمر مهملًا ولم تبين أسس الاختصاص لفعل الناس عن الحياة الدينية ؛ لزاع والقتال من أجل هذه القيم الدنيوية ، بل وبهاجر الأمر إلى الهلاك ولكن الأمر لم يتوكل مهملًا .

يقول الغزالي :

(فشرح القرآن قانون الاختصاص بالأموال في آيات المباحات والربويات والمدنيات . . وأما الاختصاص بالإيمان فقد بينتها آيات النكاح والطلاق والزجة والعنة ...

وأما أسباب الدفع لمفسداتنا : فهي العقوبات الزاجرة عنها ، كقتال الكفار وأهل البغي والحك عليه ، والغرامات والتعزيرات والكفارات والهدايا والقصاص ولا يخفى عليك الآيات الواردة في هذا الجنس) .

ويجب أن نقب إلى أن الغزالي قد ذكر بوضوح تام أنه سيجمع الآيات الخاصة بمعرفة الطريق إليه ، آيات العبادات والأخلاق ، أما الآيات الخاصة بصفة الأقسام فلم يبدنا بمجمعا ، والواقع أنه جمع الآيات الخاصة بالنفس الأول في فصل ، والآيات

الخاصة بالأعمال والأخلاق ويتضمن الآيات المتصلة بالعبادات والواجبات الخفية المردية والاجتماعية .

وقد كانت نتيجة هذه النظرة أن وضع كتاب جواهر القرآن وضمنه آيات القسمين المذكورين فقط وصرح بأنه إنما فصل ذلك ليعين المسلم هل يتفكر فيها والاستعداد منها والسير على منهاها .

ولكن الفزالي كرجل اتخذ من التربية الروحية الإسلامية مهمة له رأى أن يضم إلى هذه الخطوة خطوة أخرى ضرورية فليس من السهل لكل فرد أن يرى الطريق في صورته العامة المفضلة دون معونة أخرى فنضم إلى المعونة السابقة الذكر وبتمسك به أوضح رأى أن يضع كتاباً في التربية الروحية الإسلامية وكانت الخطوة التي ارتضاها أن يضع منها شاملاً للمبادئ الإسلامية الروحية الاعتقادية والخفية وهي المبادئ الخاصة بمعرفة الله ذاتاً وصفات وأعمالاً وبمعرفة الطريق إليه أو الأخلاق الضرورية للوصول إلى رضوانه، وهي كما سبق بيانه المبادئ التي يشتمل عليها القسم الأول والثاني من أقسام الآيات القرآنية ولكنه حرص في الوقت نفسه على أن يتضمن شرحه لهذه المبادئ ما يتصل بها من آيات القرآن التي جمعها في كتاب الجواهر وقد قام بهذه المهمة في كتاب

والثاني : أن هذا هو المهم الذي لا مندوحة عنه أصلاً ، كان الأصل هو معرفة الله ثم سلوك الطريق إليه .

الاقتداء بالفزالي :

ويمكن هنا أن نتخذ الفزالي إماماً لنا في هذه المهمة الدقيقة وذلك لأنه في دراسته المتعار إليها إنما كان يرى إلى غرض على لا نظري كان في الواقع يقوم بعمل تربوي حقيق بمائل للعمل الذي نحاوله وهو وضع كتاب لتربية الروحية الإسلامية يعتمد فيه على "قرآن الكريم" .

ويمكننا أن نبين منهاج الفزالي ونتائجها فيما يلي :-

كان هدفه أن يوجه المسلم إلى ربه وقد جعل القرآن هوته في ذلك ومادته ولما نظر في القرآن من هذه الناحية رأى أن مهمته هي دعوة الإنسان إلى ربه وأنه من هذه الناحية ينقسم إلى الأقسام السابقة الذكر .

وكانت النتيجة الثانية التي انتهى إليها أن هذه الأقسام الستة تتفاوت من ناحية صلتها بالمهمة الأساسية للقرآن والدعوة الإسلامية بصورة عامة فالقسم الأول والثاني يتصلان بهذه المهمة اتصالاً مباشراً ، ذلك لأن القسم الأول هو الآيات الخاصة بمعرفة الله معرفة الذات والصفات والأفعال والقسم الثاني يختص بمعرفة الطريق إليه فهو يتضمن الآيات

تكون في تناول فهم التلاميذ ومشوار
القوى والعقل .

رابعا - يجب تحديد طريقة العرض
وطريقة العرض المثل هي :

(أ) أن يبدأ بذكر حجب النزول وتحدد
المشكلة التي تولد الآية أو الآيات
لمعالجتها ثم يقار إلى طبيعة الحل الخامس
الذي جاءت به الآية أو الآيات المذكورة .

(ب) تعرض الآية أو الآيات التي تتضمن
الحل ويستنبط منها الصورة الصامة
للحل الإسلامي وتبين حكمته .

(ج) أما المباحث القوية والبلاغية فتأتي
بعد ذلك .

خامسا - ينبغي أن تذكر دائما أنه
يجب أن يضم إلى آيات القرآن الأحاديث
النبوية التي تلتقي وإياها في موضوعها وتكون
مفسرة لها أو شعبة لأحكامها أو متصلة
بها على نحو ما ، فالكتاب والسنة ضروريان
لمعرفة الدين عقيدة وعبادة وأخلاقا ويجب
أن تقوم السنة إلى جانب القرآن في تعليم
الدين وتربية المسلمين .

سادسا - ويجب أن تتخذ الوسائل
الكفيلة بسد النقص في الناحية العملية من
القرية الدينية وهذه مشكلة تربوية كبرى
تحتاج لدراسة خاصة .

• إبراهيم الفيلالي

الأربعين في أصول الدين وقد كانت خطة
النزالي بالإجمال في هذا الكتاب التربوي أن
يتخذ من المنهج الإسلامي أساسا لاختيار الآيات
القرآنية وأن يتكون الكتاب من المبادئ
الإسلامية الروحية والآيات المتصلة بها .

وهذا هو الأساس الذي ترتضيه في مهمتها
الحاضرة فيحسن أن تختار لتربية الدينية في
الوقت الحاضر من آياته الذكر الحكيم
ما يتصل بموضوع المنهج اتصالا وثيقا
وقدوتنا في هذا هو الإمام الغزالي نفسه .

ويمكن أن يدخل في نطاق اختيارنا سور
قصيرة ولكننا نختار أيضا من السور الطويلة
ما يرتبط بموضوعات المنهج ارتباطا وثيقا .

النتيجة :

والذي ندهو إليه هو :

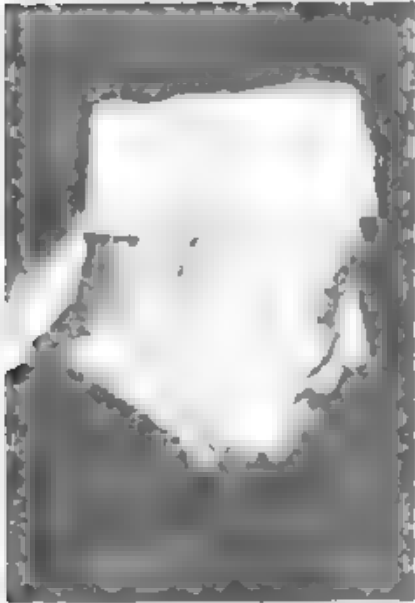
أولا - أن يتسع منهج الدين فيشمل
العقائد والعبادات والأخلاق وما كان من
الشريعة متصلا بالحياة اليومية كالأحكام
المعاملات المالية وأحكام الأسرة ونحو ذلك .

ثانيا - يجب أن تتخذ من هذا المنهج
أساسا لاختيار الآيات والسور فنختار منها
ما يتصل بالعقائد والعبادات والأخلاق وهو
جوهر القرآن ودوره التي اختارها الغزالي
ويعتمد إلى ذلك ما يتصل بالأحكام الشرعية
التي يقع عليها الاختيار .

ثالثا - يختار لسلك مرحلة من مراحل
التعليم الآيات المناسبة لها وهي الآيات التي

المجتمع الإنساني في ظل الإسلام

د. الأستاذ محمد داني زهرة
عضو المجتمع



فضيلة الأستاذ محمد داني زهرة

خط مستقيم من غير انحراف ولا تقاطع ، بل يكون كل خط مواز لخط أخيه ، وكل هذه الخطوط تقف إلى خدمة الجماعة الإنسانية ، وبعد أن أفاض في بيان ذلك وانتهى إلى ضرورة التعاون والتعارف بين بني الإنسان تحدث عن الشريعة الإسلامية وعمومها والمساواة بين الناس أمالها وذكر أنها تقوم على أسس ثلاثة : العدل ، والفضيلة الإنسانية ، والمصلحة . وأفاض في ذلك ، وقد تناول البحث كذلك الأسرة والأصل العام

[١]

كان موضوع البحث الذي قدمه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة في هذه الدورة هو المجتمع الإنساني في ظل الإسلام . وقد مهد له بمقدمة بين فيها صلاحية الإسلام التطبيقي في كل زمان ومكان ثم ذكر ما يزيد ذلك في الموضوعات التي دلو حولها بحثه ، فبين العقيدة الإسلامية وتأثيرها في تطهير العقول والنفوس من الأوهام الفاسدة ، وأفاض في الحديث عن دعائها الثلاث : الإيمان ، بالله الواحد الأحد ، والفرد الصمد ، والإيمان بالغيب ، والإيمان بالرحمن الرحيم ، وبين أن هذه الدعائم كلها يلم بها العقل ، ويقوم الدليل المستمد من البديهة على صحتها وليس فيها مجال لوم أو خرافة ، ثم قال : إن الإسلام يطوى في عقيدته الخالصة كل عقيدة صحيحة في الأديان كلها ، وانتهى من ذلك إلى الحديث عن الوحدة الإنسانية . فذكر أن الناس جميعا سواء بالمسبة للأحكام الإسلامية ، وأنه اتحادهم في أصل التكوين من حيث اتحاد الفرائد والاتجاهات الإنسانية كان سبب الاختلاف ، إذ نشأ عن ذلك أن استجاب كل لفرائذه فاستطاعت إرادته مع إرادة الآخر . فكان التناحر ، وكان لابد من فاصل يرسم الحدود ويقيّد الغايات لتتلاقى في

الزيادة في الواجب ، وهذه العدالة النفسية هي التي توجد الاتصال المستمر ، وهي التي تقوى بناء الجماعة ، وهي تنفذ ديننا من غير قسر ولا حكم مسيطر ، بل يكون الحكم من ذات الضمير ، وهذه قد نصت عليها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال : (أحب لأخيك ما تحب لنفسك) وقال عليه الصلاة والسلام : (حامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) فهذا الأدب الذي يجب في العدالة هو أقوى مؤثر في تقوية الروابط الإنسانية ، وقد كان بعض فلاسفة الألمان يجعل الفارق بين العمل الذي يكون خيرا ، والآخر الذي يكون شرا ، هو أن يعتبر الفعل قد صدر من الجميع ، فإن انتهى إلى صلاح الجماعة كان خيرا ، وإلا فهو شرا .

وعمد صلى الله عليه وسلم قرب ولم يباعد ، لجعل المقياس من قلب الفاعل ، أيحب أن يفعل به ، ما يفعله مع غيره ؟ فإن أوتى ذلك كان خيرا ، وإلا كان شرا .

والشبه الثانية من العدالة هي التي تنظمها الدولة ، وإن مقام هذه العدالة في التنظيم الظاهر ، ولكنه لا ينفذ كاملا إلا إذا كان قائما على أساس من العدالة النفسية عند الحاكم والمحكوم على سواء ، فعلى الحاكم ألا يفرض من النظم إلا ما يطبقه أولا على نفسه وأسرته ، ولقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان إذا سن نظاما ودعا الناس دعا آل الخطاب وقال لهم : « لقد حرمت

الحكم في الإسلام ، والحريات ، وسهرى القراء كل ذلك مبسوطا في الكتاب السنوي الذي يصدره الجمع عن المؤتمر وإليهم ما جله من ذلك عن العدالة .

العدالة

إن صفة الإسلام : العدالة ، وهي ميزان الاجتماع في الإسلام . وهي التي يقوم بها بناء الجماعة ، وكل تنسيق اجتماعي لا يقوم على العدالة منهار مهما تكن قوة التنظيم فيه ، لأن العدالة هي الدمامة ، وهي النظم ، وهي التنسيق السليم لكل بناء ، ولذلك كانت آية لمعان القرآن الكريم هي قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » (١) ، والله تعالى ، يعتبر العدالة بين الناس أقرب القربى إلى الله تعالى ، وأن المؤمن مطالب بأن يقيمه الله تعالى في طريق الولئى إليه ، ولذلك قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » (٢) .

والعدالة ذات شعبتين ابتداء ، الشعبة الأولى العدالة النفسية بأن يقدر كل إنسان لنفسه من الحقوق بمقدار ما يقدره لغيره ، على ألا يزيد على الناس في حق ، وقد يفرض على نفسه

(١) سورة النحل الآية (٩٠)

(٢) سورة المائدة الآية (٨)

ويروى فى ذلك أن قريشا أعتهم المرأة المحزومية التى سرق، وهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقطع يدها لتكرار السرقة منها ولأن حد الله تعالى يجب أن يقام، فوسطوا أسامة بن زيد حب رسول الله تعالى ليضع فى ذلك فغضب رسول الله تعالى عليه الصلاة والسلام، وقال له لا تما : (أتضع فى حد من حدود الله) ثم وقف خطيبا وقال : (ما بال أقوام يتفهمون فى حد من حدود الله ، إنما أهلكت الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف قطعوه ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) . ولقد كان الصحابة من بعده ينفذون الحد إلا بين الناس على سواء ، وكما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : (الناس سواسية كأسنان المشط) ولقد قال فى ذلك أبو بكر خليفة رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم : « أقوى منكم ضعيف ، حتى أخذ الحق منه ، والضعيف أقوى حتى أخذ الحق له » .

ومر بن الخطاب البقرى الذى لم يفر أحد فى الإسلام فربه كان شديدا على نفسه وعلى أهله وعلى ولاته ، فى تنفيذ الأحكام الشرعية ، حتى إنه يضرب أحد الناس بدمه لأنه طاف مع النساء ، وقد اعتزم عمر حزمة جعل فيها النساء زنا لا يطوف فيه الرجال ، فيقول الرجل ، والله ما علمت لك فيه حزمة فإن كنت قد أسأت فإنك لم تحسن تأديبي ، وإن كنت لم أسئ ظلمتني ، فأعطاه الحزمة

على الناس أمرا ؛ والله لا أرى له غالما من آكل الخطاب ، إلا ضاعفت له العقاب .
والشعبة الثانية أقسام ثلاثة : عدالة قانونية ، وعدالة اجتماعية ، وعدالة دولية .

١ - الصراخ القانوني :

يقصد بالعدالة القانونية أن يكون القانون واحدا لا يكون قانون للأشراف وآخر للغيرم ، أو يكون قانون للبيض ، وآخر للولون ، بل يكون الجميع عاضعين لقانون واحد وأن يكون تطبيقه ملاحظا فيه المساواة فى الحكم لا فرق فى التطبيق بين غنى وفقير ، ولا أبيض وأسود ، ولا جنس وجنس ، ولا دين ودين ، ولا جاهل ومعلم بل الجميع أمام القانون سواء ، فلا تفاضل بين الناس فى التطبيق للقانون ، لأن التفاضل لا يكون فى غائفة القانون ، إنما التفاضل بالفضائل ، ولعل أصدق تصوير للبدأ الإسلامى فى التطبيق القانونى قول سعد زغلول ، وهو حالم أزمري ، قبل أن يكون سياسيا :
(إننا تتفاضل فيما بيننا ، ولكننا أمام القانون سواء) فإن هذا تلخيص جيد للبدأ الإسلامى فى تطبيق العدالة . وقد كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على أن ينفذ حكم الإسلام فيه قبل أن ينفذه فى غيره ، وقد كان مرة يقسم للناسم ، فجاء رجل وألب عليه فضربه بسوء فبده فأظهر الرجل الألم فطلب إليه الرسول أن يقتصر منه قمعا الرجل . وكان عليه السلام حريصا على أن ينفذه على الناس كافة .

بالقسيه بين الخصوم في المجلس والنظر والإشارة والإقبال ، ولقد قال في كتابه لأبي موسى الأشعري سوي بين الخصمين في مجلسك وإشارتك وإقبالك ، حتى لا يبتس ضئيف من عدلك ، ولا يطمع قوى في ضئيفك .

وإن الإسلام لم يسو فقط في العقوبة بين الشريف والضئيف ، بل نظر نظرة أخرى لم يسبق إليها النظام ولم يلحق به إلى الآن فيها غيره وذلك أنه بالنسبة للعقوبة قرو أن الجريمة تكبر بكم الجرم . وتضفر بصغره ، والعقوبة تتبع الجريمة صفرا وكبرا وتكبر هي الأخرى بكم الجرم ، وتضفر بصغره .

ولا تأخذ ذلك من أقوال فقهاء نأثروا ببعض الأغراض في صوم ، ولكننا نأخذ من مبدأ عام قروه القرآن الكريم ، وطبقه الفقهاء في موضع النص ، ولكن لم يصلوا فيه إلى أقصى مدى يرى إليه النص .

وذلك المبدأ هو ما قروه القرآن الكريم في عقوبة العبد بالنسبة لعقوبة الأحرار فإنه جعل عقوبة العبد على النصف من عقوبة الحر ، فإذا ذن العبد جلد خمسين جلدة ، وإذا ذن الحر جلد مائة جلدة ، وإذا شرب العبد خمرًا جلد أربعين ، ويحلك الحر ثمانين ، وإذا ذن العبد امرأة بالزنى ، ولم يأت بأربعة شهود يشنون دعواه ، فإنه يحلك أربعين جلدة ، بينما يحلك الحر في هذه الحال ثمانين جلدة .

وهذا النص معقول المعنى ، وليس نسا لا يبعده عن علته أو حكته ، ولكن له علة

ليضربه ، ولكنه امتنع فقال : « فاعف عنى فقال الأعرابي ولا أعفو . حتى يأتي عمر ليته مستكراً ، فلما رآه الأعرابي في اليوم التالي وجد أثر الآلام حل وجهه ، فقال لعلى هذا مما كان بالأمس ، فقال الإمام العادل : نعم ، فقال الرجل الآن عفوت عنك .

وروى التاريخ عنه خبراً هو مثل حال من العدالة الإسلامية الذي يمد مصباحا للعدالة الإنسانية في ذاتها . وذلك أن أميراً من أمراء الفساسنة الذين كانوا قبل الإسلام كان يطوف بالبيت . فوطئ أزاره شاب من فزارة فطمع الفساسى لطمة جددت أنفه فذهب الشاب إلى الإمام عمر وشكا إليه فقال عمر للفساسى : له القصاص أو يضرب عنك . فقال : كيف وأنا أمير ، وهو سوقة ؟ فقال عمر لقد سوى بينكما الإسلام ، فلا تفضل إلا بالتقوى ، فأخذ الأمر يسترحى الشاب الأعرابي ، فلم يرص إلا بأن يطمع كما لطمه وعلم أن عمر لا يحاط به يمكن الأعرابي من القصاص ، ففر إلى الروم مرتداً عن الإسلام وما أم ذلك عمر فإنه خير للإسلام أن يخرج منه من لم يصر الإيمان بالعدل قلوبهم من أن يقر ظلاً أو يأخذ بالمهادة ظالماً ، فالظلم ينقر القلوب ويبعد أهل الحق والعدل ، ويقرب ذوى القلوب الطامرة التي تتجه إلى الحق بتبغيه وهؤلاء مهما يكن عددهم أوفر خيراً ، وأعظم أثراً .

ولقد كان عمر رضي الله عنه يأمر قناتة

عرف في الإسلام بدليل أن أكثر الفقهاء لم يسهروا في المبدأ الذي قرره القرآن إلى أقصى مداه ، وتقول في ذلك : إنه في عهد الراشدين الذين كانوا يطبقون المبدأ القرآني تطبيقاً سليماً ، كان المبدأ يسير إلى أقصى المدى فلم ينظر عمر ، ولا من قبله أو بعده من الراشدين إلى تكبير جريمة الصغير ، وتصغير جريمة الكبير ، ولم يقبلوا أن يعقروا ذوى المروءات والمحيثات من العقاب ، أو يصغروا العقاب عليهم ، ولكن وجد ذلك عندما تغلغل في العقيدة الإسلامية أفكار رومانية وفارسية والأسرى الفضية أمردى فكلمة قوى الدين في النفوس حلت مبادته .

وإذا قيل : إنه قد ورد في بعض الآثار مضموناً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أقيموا ذوى المروءات من عثراتهم) نقول : إن ذلك فيما لا يكون فيه اعتداء على الناس ، وفيما لا يكون جريمة في ذاته فإنه لا مروءة لمرتكب الجريمة ، ولا مروءة لمن يعتدى على الناس ، ولأن حقوق الناس لا تقبل النسخ .

وعبر عن الخطاب ، وهو الذي نفذ المبادئ الإسلامية تنفيذاً كاملاً حتى على الأمراء إذا اعتدوا على الرعية وأخبره في ذلك كثرة ومشهورة لا يساغ لأحد إنكارها .

ويرى في ذلك أن أبا موسى الأشعري ضرب بعض وعيته أسواطاً ، وشكى ذلك إلى عمر رضي الله عنه ، فأرسل عمر إلى أبي موسى

تلتصق ، ويقاس عليها غيرها ، وتلك العلة حال الضعف عند الرقيق ، وحال الامتنان لحال ضعفه واعتدائه تسهل ارتكاب الجريمة عليه ، والجريمة مهانة ، وحيث كانت المهانة كانت معها سهولة الجريمة ، ومن تسهل على المهين وتسهل على الكريم ، فكانت الجريمة تسهر مع الصغر والكبر سيرا طريداً ، ولا تسير سيرا عكسياً ، وكان حقاً أن يسير ذلك المبدأ المقول المعنى في كل الضعفاء بالنسبة للأقوياء ، ومن يشغلون حراكراً اجتماعية في الجماعات ، ولكن الفقهاء لم يسهروا في الخط إلى أقصى مداه ، أو بالتحقيق لم يسر أكثرهم فيه إلى أقصى المدى ، ومهما يكن من أقوال بعض الفقهاء والمفسرين لتشريعة فإن مطلق القرآن ومناطق الحكم يوجب الزأفة بالضعيف والتشديد على الكبير لأنه فوق ما سبق ، في ارتكابه ما يجر من من درته من الناس على ارتكاب ما يرتكب فإذا علم أن الكبير يرتكب الفحشاء سهلة على من دونه ، والتدوا به ؛ وشاهد الفاحشة في الذين آمنوا ؛ أما الضعيف فإنه لا يقلده ، أحد ، وينال ازدراء الناس بما يرتكب . وإن ذلك المبدأ سحر التنظيم فنأوئى لم يسر إليه إلى الآن قانون في الأوطى ، وأن أكثر القوانين وإن كان يسير على أساس المساواة القانونية عند التطبيق نراه يتجه إلى تصغير جرائم الكبراء ، وتكبير جرائم الضعفاء . وقد يقول قائل : إن ذلك التطبيق المخالف

رئيس الدولة يرتكب جريمة ، وذلك لا تنص على عقوبة عامة بجرائمه ، وهذه القوانين كانت إلى عهد قريب تذكر من الملوك أن ذاتهم مصونة لا تمس ، ومن المطبقين للقانون من كان يعبر عنهم بعبارات تفيد التقديس صراحة ، فكان بعضهم إذا تحدث عن الملك يقول الذات الالهية المقدسة .

أن ذلك كله يناقض المبادئ الإسلامية ، بل أن تلك العبارات التي كانت تهرى على السنة المناهضين والمدعنين تمس العقيدة الإسلامية ، وتدل على ومن الاحتقار ، ونقص الإيمان .

وله من الأمور الثابتة أن القوانين التي خلقت من هذه العبارات ، خصوصاً في البلاد التي زالت معها الملكية الفاشية التي كانت تفرض لنفسها نوطاً من التقديس الآثم المنحرف ، لا تزال التطبيقات متأثرة بها بالنسبة لرؤساء الدول الذين ارتقوا إلى الرئاسة من الشعب فإن ذات رئيس الدولة ما زالت محوطة بذلك الجوهر ، إنه لم يكن من نص القانون ، من الواقع ذاته ، فقد يكون منشأ ذلك ضعف المطبقين ، ورئيس الدولة يريد أمجاداً ، وربما يرغب في أن يحسوا بالمساواة المطلقة بين الحاكم والمحكوم .

وإن الفقهاء أجمعوا على أن الجرائم التي توجب القصاص لا فرق فيها بين الراعي والرعية ، ولا بين الحاكم والمحكوم ، وإن ذلك ينطبق على الإمام الأعظم الذي هو

الأشعري ، ومكاته من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاته ، يقول له : عزمت عليك إن كنت ضربه في ملا من الناس ، فليضربك بينهم ، قلنا حضر الرجل إليه سلم نفسه ، فمقا الرجل .

ويروي أيضاً أن عمرو بن العاص قال لبعض العرب : يا هناغي ، وكان ذلك في المسجد ، فذهب الرجل إلى عمرو وحض الله عنه ، وقال له : لقد قنعني الأمير ، وما نالني منه أسلبي ، فأوصل إلى عمرو وقال له : إن كنت تفتت في ملا ، فليضربك كذا سوطاً ، فذهب الرجل إلى المسجد ، وقال من منكم سمع الأمير ينفضي ، قالوا : كلنا سمع ، فقرأ عليهم الكتاب ، فقال المدمنون المناقون : أو تضرب الأمير ؟ وصاحوا فيه مستنكرين الحق ، فقال الرجل ليس لأمر المؤمنين هنا طاعة ، فقدم عمرو نفسه لضربه الرجل ، فقال العرب الأبى ، الآن حضوت .

وقتي وأبو بكر و عمر كانوا يقدمون أنفسهم للقصاص ، فكيف تكون هناك مروهات تمنع القصاص أو تخفيفه .

وقد بينا بالإشارة الموجزة أن الإسلام أتى في تطبيق العدالة القانونية بمبدأ لم يسبق به ، وهو أن تطبق العقوبات على رئيس الدولة كما تطبق على آحاد الرعية ، ومن الحق علينا أن نوضح ما أشرنا إليه من قبل موجزاً أيضاً من غير تفصيل .

فنقول : إن أكثر القوانين لا تفرض أن

وجواب السؤال الثاني : أن القانون الذي يطبقه القضاء في الإسلام لا يستمد سلطانه من ولى الأمر ، إنما يستمد ذلك من كتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فإِذا وافقهما بما يصدره ولى الأمر ، فهو واجب الطاعة ، لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، فإن تسانعت في شيء فردوه إلى الله والرسول ،^(١) وإن عان أحكامهما فلا طاعة له ، لقوله عليه الصلاة والسلام (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ولأن طاعته في حدود الكتاب والسنة ، فمن يخرج عنهما معاندا لما فقد أدخل بأصل الطاعة ، فلا يطاع إلا لدفع الفتن والفساد ، ولا يطاع في المعصية قط .

وإن العدالة القانونية ثابتة على كل من يستظل بالراية الإسلامية ، سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، فالقانون سواء بالنسبة لكل من بنال الرعية الإسلامية من غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، بلا فرق بين مسلم وغير مسلم ، مع ملاحظة أنه تترك الحرية الدينية كاملة لغير المسلمين لكي يزاولوا فيها شعائر دينهم ، غير مقهورين ولا مستضعفين .

العدالة الاجتماعية :

العدالة الاجتماعية معناها تمكين كل ذي قوة من أن يعمل بمقتدار طاقته ،

(١) سورة النساء .

وعلى الدولة الأهل كما ينطبق على الولاة الذين يمينون من قبله لا فرق بينهم وبين أحد من الناس بالنسبة لتطبيق القانون ، فإذا قتلوا نفسا بغير حق ، حق عليهم القصاص وعلى القاضي أن يحكم به ، وإذا أخذوا مالا بالباطل حق على القاضي أن يأمر برده . وإن قيام الحاكم بشئون الدنيا لا يصفيه بما قرره الله تعالى من أحكام ثابتة . وإذا أوتسبب الخليفة الأعظم ما يوجب حدا كآفة زنى أو يشرب الخمر ، وجب عليه الحد ، عند الجمهور الأعظم من الفقهاء ، ولكن قال أبو حنيفة : لا يقام عليه الحد في الدنيا ، لكيلا يضطرب النظام ، ولعدم وجود من يقبض عليه .

وأما غير الخليفة الأعظم من الولاة ، فإن الحدود تقام عليه ، والخليفة الأعظم الذي ولاهم هو الذي يقبضها عليهم .

وقد يقول قائل : كيف يحكم القاضي على ولى الأمر الأعظم ، وهو الذى ولاه ، وله أن يفرج من يده الحكم عليه ، ثم ما القوة التي ينفذ بها الحكم ، وتنفيذ الأحكام في ذاته يحتاج إلى قوة منفذة .

والجواب بالنسبة للسؤال الأول : أن القاضي إذا تولى لا يكون وكيلاً عن ولى الأمر بدليل أنه إذا مات أو عزل لا يعزل هو فالولاية ليست توكيلا ، ولكنه تمكن ذى الأهلية للقضاء من أن يحكم ، ومن جهة أخرى هو يعمل للمسلمين ولا يعمل له هو ، ينفذ شرع الله تعالى ولا ينفذ إرادته .

كان يمكن أن تعمل ، وتدور على الجحاة بمثلها خيرا وتدفع عن نفسها وعن الجحاة ضرا . وإن الفقر في ذاته لا يمكن أن يحمي ويكون كل الناس أغنياء ، أو لا يكون تفاوت بين الناس ، ولا يزال الناس مختلفين غنى وفقراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن الأسباب في زوال التفاوت غير ممكنة ، إذ لا يزول التفاوت بين الناس إلا إذا اتحدت القوى ، واتحدت أسباب الرزق ، واتحدت الأجواء المادية والفكرية التي تظل المنتجين .

وإن الناس متفاوتون في قوام تفاوتات كبيرة ، ولقد روى منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الناس كيا بل مائة لا تهد فيها راحلة . فالممتازون امتيازاً مطلقاً في تفكيرهم وقوام تادرون ، وهم أهل الفقة ، ومن دونهم أوسع قليلاً ، ثم يقسح المقدار كلها قاربنا سفح النساء الهري ، لأن القوى الإنسانية تأخذ شكل بناء هري متدرج في الارتفاع والانتساع أحلاه أضيقة مساحة وأدناه أوسع .

وأنه لو فرض غير الأمر الطبيعي واتحدت كل القوى الإنتاجية عند كل إنسان في الجحاة فإنه لا يمكن أن تتحد أسباب الثروة فقد يوجد عند شخص من الأسباب ما لا يوجد عند غيره ، ولا يمكن توحيد الأسباب .

وعلى فرض اتحاد القوى واتحاد الأسباب فإن اتحاد الإنتاج ليس مؤكداً ، كمنهجية

بهيئت نهباً الفرس المناسبة لكي تظهر كل القوى ، وتوضع كل قوة في مرتبتها ، وأن توجد الكفاية الحاجزين من العمل لكي يمشوا ، وينالوا حظهم من الحياة ؛ ليكسبوا قوة في الجحاة إن كانوا صغاراً ؛ وليأمنوا من الجوع والحرى إن كانوا كباراً لا يرجي أن يزول سبب مجرم ، وذلك بأن يبيأ لكل من لا يجد أسباب العيش - المسكن المناسب ، والكساء المناسب والغذاء الذي يدفع المخصصة والجروح .

فوجب العدالة الاجتماعية ليس التسوية المطلقة بين الناس في تهيئة الفرص ، فيتوافر التعليم المثلث لكل الناس حتى تظهر القوى ، ويوسع كل إنسان لما يصلح من عمل ، ووضع كل امرئ في العمل المناسب هو التنظيم الاجتماعي السليم الذي يتوافر فيه إنتاج كل القوى من غير أن تحمل قوة ، أو تعمل فيها دون طاقتها ، أو فيها فرق طاقتها فيفسد الأمر .

وليسف العدالة الاجتماعية مقتضية لإلغاء الفقر في هذا الوجود ، بل توجد بعض ما يمكن أن تتلاقى به أسباب القصور في الإنتاج ، وإلا تطلعت القوى وهي توجب تخفيف الولايات النفسية والمادية ، فلا يحقد الفقير على الغنى فيكون الخراب ، ولا يحرم الفقير من حاجات الحياة الأصلية من القوة والكساء والمأوى ، ولا تضيق قوى عامة

ويروي في ذلك أن بعض الصحابة هجر آخر بأمه، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: (أخبرته بأمه؟ إنك أمؤفك جاعلية) وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس منا من دعا إلى عصبية) وكل ذلك لتكوين جماعة عادلة فيما بينها، وعادلة مع غيرها، ومنسجمة في بني الإنسان.

ولقد كان الحكماء العادلون يؤثرون الضعفاء الفضلاء السابقين إلى المكرمات بتقريبهم، ولذلك روى أنه أستاذن على عمر رضي الله تعالى عنه بلال الحبشي الذي كان عبداً أصلاً وأبو سفيان الذي كان رأس مكة مع قمر من كبار قريش، فدخل للواقف على باب عمر بقوله: يا باب أبو سفيان وبلال فغضب الإمام العدل المصلح النبي، لأنه قدم أبا سفيان في الذكر على بلال وقال له قل: يا باب بلال وأبو سفيان، وأذن لبلال ولم يأذن لغيره..

وفي سبيل منع الطبقات في الإسلام منع عمر كبار قريش من أن يذهبوا إلى الأقاليم لكيلا يكونوا فيها طبقة أشراف يتحكمون في الناس باسم السلطان.

والعبادات الإسلامية فيها عناية للطبقات، إن أدبت على وجهها، وقد بينا ذلك، في موضعه من هذا البحث.

محمد أبو زهره
عضو الجمع

لذلك، فقد يحدث أن توجد كارثة لهذا فلا ينجم له ويسلم له إنتاجه، ومثل رجال الأعمال في نتائج أعمالهم كمثل الزراع يتحدون في الورع والسياد وانقاء الآلات، ولكن يحدث ما ليس في الحسبان بالنسبة لأحدهم، فيحدث لمن هو قريب من النهر الجباري فيضان على أوصه يتلف زوجه وينجو منه ذرع البعيد، أو يتمكن من النجاة بزوجه قبل أن يطنى عليه الماء، فيكون من نجا زوجه له زيادة من المال، ومن غرق بصبيه قتل.

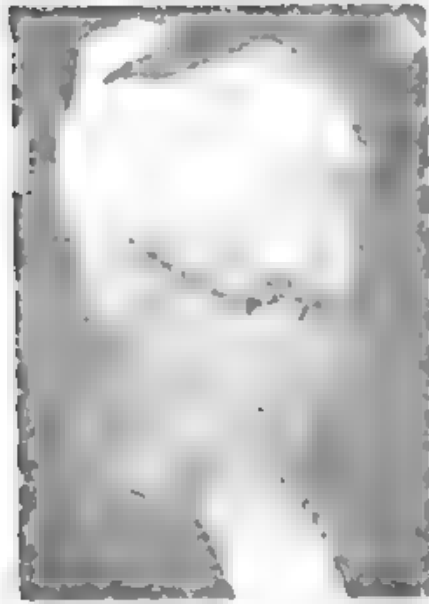
الفقر والغنى لهذا حقيقتان ثابتان وهما من طبيعة هذا الوجود الإنساني وقد قرر الإسلام ذلك على أنه حقيقة قد قسم الله تعالى الأرزاق بين الناس، فقال تعالى: ونحن قسمنا بينهم ميعشتهم في الحياة الدنيا ورفصنا بعضهم فوق بعض درجات.

ولكن الإسلام مع ذلك لم يجعل الناس طبقات بسبب الغنى والفقر، كما رأينا من تطبيق الأحكام الإسلامية في العدالة القانونية فقد قرر أن الفضل عند الله بالتقوى، وأن الرضا بالعمل الصالح، ولذلك جعل العربي والأعجمي على سواء في كل شيء لا يتفاضلون إلا بالتقوى.

وقد سما الإسلام في أحكامه الطبقية بالأنساب وبالاجناس وبالألوان، ولذلك نهى عن التفاخر بالعصبية، والتعير بالعصبية

مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية

لفضيلة الشيخ علي الخفيف
"عضو المجتمع"



فضيلة الشيخ علي الخفيف

يختص به دون سائر الناس بل يشاركه فيه جميع الناس لأنه من مقومات الحياة وضروريات الوجود ولا اختيار فيه للبشر كالأكل والشرب والنوم واللبس ونحو ذلك، أما ما يتعلق بتلك الأحوال ويتصل بها من كيفية وأوضاع ووسائل ونحو ذلك فإنه بعد من سقته - صلى الله عليه وسلم - ويتناوله اسم السنة بالمعنى الذي نريد لأن له فيه اختياراً .

تناول الباحث هذا الموضوع مقدمة عن معنى السنة والثمة ثم في اصطلاح علماء الشريعة وعلماء الحديث وفي اصطلاح الأصوليين .

ثم قال : « نريد بالسنة موضوعنا ما عناه علماء الأصول ؛ لأنها بهذا المعنى من وسائل بيان الأحكام . ثم أجرى بحثاً في استعمال كلمات الحديث والأثر والخبر حيث يستعمل اسم السنة ، وهو استعمال يقتضي بيان معانيها وما قد يكون بينها من اختلاف .

ثم قال : « ولما نريد بالسنة في موضوعنا هذا ، حين نتكلم عن مكانتها في بيان الأحكام وحين نرد ما أورد حولها وحول أسانيدنا من شكوك وشبهات ، إلا ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في ضبط التشريع من قول أو فعل ثم قال : « وحى على هذا المعنى إنما تكون فيما تناوله سيرته وطريقته في حياته - صلى الله عليه وسلم - ، مما كان له فيه اختيار بين أمرين أو أكثر فاختر ما رآه أنه الأفضل ولا تكون ، فيما كان يأتيه - صلى الله عليه وسلم - بطبيعته وإسنائته مما لا اختيار له فيه ولا

ثم بعد أن أغض في بيان هذا الأمر انتقل إلى مكة السنة في بيان الأحكام الشرعية وأنها جلست منسرة لقرآن تبين بحله ، وتقيده مطلقه ، وتخصص عمومته ، وتفصل أحكامه وتوضح مشكله ، مفصلاً القول ، جامعاً بين الروايات مرجعاً بعضها على بعض .

ثم انتقل إلى وجوب العمل بالسنة مبيناً أنها أصل من أصول الدين ، وأنها مصدر الثاني للأحكام الشرعية ، وأن العمل بها واجب لأنه طاعة لله ورسوله ، وأن تركها ومخالفتها ترك لكتاب الله ، ورفض لما أمر به .

ثم انتقل إلى ما وجهه إلى روايتها فقال : ذكرنا أن وجوب العمل بالحديث منوط بصحة نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيناً أو ظناً فاصح نسبه إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل القطع كالحديث المتواتر أو ظناً كالحديث الصحيح من الآحاد وجوب العمل بمقتضاه وحرصه مخالفته ، وما لم يتحقق فيه ذلك لم يجب العمل به .

وهذه كانت عناية رجال الحديث بالسند ورجاله في سبيل توثيقها والحكم على الحديث بصحة نسبه أو بعدم صحتها عناية فائقة لم يجد معها المخوضون ولا النافذون أية نفرة يتفقدون منها إلى توجيه أي نقد ينال من الأسس والقواعد التي وضعت لوزن الأسانيد ورجالها وما بنى على ذلك من أحكام

كان لها آثارها في الحكم على الحديث قوة وضعفاً ، وقبولاً ورفضاً ، كما كان لها الأثر البالغ في التعرف على كثير من الأحاديث الموضوعة وتمييزها من الأحاديث الصحيحة . وقد كافت هذه القواعد والأسس نتيجة بحث دائم في بيان حال الرواة وسيرتهم وعن أخذوا عنه وعن أخذ عنهم ومن عاصروهم ومن لم يعاصروهم وفي بيان من عرف منهم بالضبط والحفظ والإتقان والصدق ومن كان منهم على خلاف ذلك من الكذب والوضع أو السهو أو سوء الحفظ أو التشديد أو عدم الضبط ، وفي بيان طرائق سماهم وتحملهم وذلك بحسب ما وصل إليه جهدهم وارتقى إليه تحريمهم وبحسبهم . ولم تصل أمة من الأمم إلى ما وصلت إليه الأمة الإسلامية في ذلك من الدقة والتحقيق ، وفي وضع الأسس والقواعد التي يبنى عليها الحكم على الأخبار وروايتها ، ولهذا كان ما وجهه من النقد إلى رواية السنة من بعض المفسرين أو الناقدين المفرضين أو غير المفرضين ومن لف لف لفهم وغدع بأفكارهم مرجحاً أكثره إلى ناحية المنة ، فقد دعموا أروجال الحديث لم يمتروا بالمنة هاتينهم بالسند وأن ما وضعوه في سبيل الحكم على المنة من القواعد لم يكن كافياً لتمييز الصحيح من غيره بما كان سبباً في عدم التعرف على كثير من

الحكم على الجهود التي بذلها علماء السنة للحكم على الحديث من ناحية مقته ، وإذا كانت جهودهم في هذا المجال من حيث التفصيل والمصادرة دون جهودهم في سبيل الحكم على السند ورجاله فإن ذلك التفاهت لا يرجع إلى نقص أو نقصير بالنسبة لما يتطلبه النظر في المتن وسالته والحكم على الحديث بناء على ذلك وإنما يرجع إلى أن أحوال المتن ليس لها ما لأحوال السند من تنوع وتعدد واختلاف مما أدى إلى كثرة البحوث والعلوم المتعلقة بالسند ولم يتفعل علماء الحديث النظر في المتن وما يجب أن يتوافر فيه من الصفات الدالة على صحته وما يجب أن يبرأ منه المتن من العلامات والشواهد التي إذا وجدت فيه دللت على وضعه مما هي كافية بالتعرف على أي حديث موضوع وتمييزه عند مراجعتها — وهذا بيان أهمها في إجمال .

١ — وكافة معناه وضعفه — قال الحافظ ابن حجر ما خلاصته : وكافة معنى الحديث يدل على وضعه وإن لم ينضم إلى ذلك وكافة في لفظه ؛ لأن الذين كله حاسن والردامة والضعف مما يتأى منه الدين .

٢ — نصاد معناه وذلك بأن يخالف ما تقضى به العقول السليمة دون إمكان تأويله كأن يخالف البديهيات أو ما هو معروف مسلم به من القواعد العامة في الحكم والأخلاق

الإسنادات الموضوعة واختلاطها بالأحاديث الصحيحة بناء على ما وصل إليهم تحريمهم وبحتمهم من سلامة أسانيد ما وتوافر الثقة في رجالها وهي ثقة كما تعلم قامت على التحريم والسماع والتقدير .

وذلك أمر يتعرض للخطأ ويختلف فيه الأنظار باختلاف الناس وتفاوتهم في أفكارهم وأنظارتهم وبحوثهم ويؤيد أصحاب هذا الرأي رأيهم هذا بذكر بعض أحاديث وردت في الصحاح يرونها من ناحية ما دللت عليه غير مقبولة في عقولهم أو معارضة لما هو معروف مسلم لديهم من الواقع والفضايا وذلك مثل ما أخرجه البخاري عن حارس بن سعد عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من اصطبغ كل يوم ثمرات حمرة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل — وفي رواية سبع ثمرات حمرة ومثله لمسلم عن سعيد بن أبي القحطبان وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : متى تقوم الساعة ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبه ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شجرة فقال : إن هر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة ، قال أنس : ذلك الغلام من أقراني يومئذ — وقد مات أفس سنة ٩٣ هـ وهو ترب الغلام ، والواقع أن هذا التخذ لا يخلو من حيف وجور في

خير ورفع عنهم الكلمة والسخرة بشهادة سعد بن معاذ وكتابة معاوية بن أبي سفيان مع أن الثابت أن الجزية لم تكن مشروعة عام فتح خيبر وإنما نزلت آية الجزية بسد نبوك وأن سعدا توفي قبل ذلك في غزوة الخندق وأن معاوية إنما أسلم عام الفتح .

٥ - صدور الحديث من ربه تأكيداً لمذهبه وهو متعصب مقال فيه وذلك كالأحاديث التي صدرت من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية تأييداً لمذاهبهم أو مذهب إمامهم مثل: من رفع يده في الصلاة فلا صلاة له ، ومثل المضمضة والاسْتِنْشَاق للبيه ثلاثاً فريضة ، ومثل من قال : القرآن مخلوق فقد كفر .

٦ - اشتغال الحديث على إفراط واثواب العظيم جزاء عمل صغير أو اشتغاله على مبالغة في الوعيد الشديد على الأمر الخفيف وذلك كالأحاديث التي وضعها القصاص في ثواب بعض الأعمال وفي جزاء بعض الجرائم والمخالفات .

٧ - أن يتضمن الحديث أمراً من شأنه أن تتوفر الدواعي إلى قتله لأنه وقع بمشهد عظيم ثم لا يقتل ولا يروى إلا واحد وهذا حكم أهل السنة على الحديث المتضمن للنص على خلافة علي ووصيائه (١) .

أو داعياً إلى الاستجابة إلى الشهوة والمفسدة أو مخالفاً للحس والمعادمة أو لقطعيات التاريخ والسنة الكونية أو لبدعيات الطب أو المأثور في أصول العقيدة من صفات الله ووسله . أو مشتملاً على سخافات لا تصدر عن حافل ، وفي ذلك يقول ابن الجوزي : إذا رأيت الحديث يبين المأثور أو يخالف المأثور أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع .

وقال في المحصول : كل خبر أوم بإطلا ولم يقبل التأويل فكذب أو قد نقص منه وما يزيل الوم .

٣ - مخالفة الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي - قال ابن قيم الجوزية : ومن الأمور التي يعرف بها أن الحديث موضوع مخالفته صريح الكتاب كحديث مقدار مدة الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة مخالفته قوله تعالى : قل إنما عليها عند ربى ، وقوله : إن الله عنده علم الساعة ، ومن ذلك أيضاً مخالفته صريح السنة المسلم بها لشهرتها أو لتواترها .

٤ - مخالفة الواقع التاريخية المقطوع بصحتها وذلك مثل ما رواه مسلم بسنده عن أبي وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بهندين فقال أبو نعيم : أتراه يمشى بعد الموت ؟ إذ قد توفي قبل ذلك ومثل ما روى عن أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع الجزية عن أهل

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١١٥ .

٢ - خلو الحديث من التفسير الفلسفي الذي يخالف المؤلف من بيانه صلى الله عليه وسلم وخلوه من الأماليب الفقهية التي تتعرض لذكر الشروط والأركان وما إلى ذلك مما لم يكن معروفًا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ - انطباق الحديث على الواقع وعدم وجود باعث سياسي أو نفسي دأ إلى وضعه.

ذلك ما ضمنه الناقد تقدمه ولو تبيأ له أن يكون راسع الاطلاع دقيق النظر لتبين له أن كل ما ذكره من ذلك تتضمنه تلك القواعد السابقة ولم يفت رجال الحديث مراعاته في نقد المتن ، فقد وردوا حديث دخول النبي صلى الله عليه وسلم الحمام بناء على أن النبي صلوات الله عليه لم يدخل حمامًا قط ، وأن الحمامات لم تكن معروفة في المجاز على عهد صلى الله عليه وسلم. وكذلك وردوا حديث وضع الجزية عن أهل خيبر بناء على أنه مخالف لما علم تاريخيًا من أن شريعة الجزية لم تشرع إلا بعد فتح خيبر وردوا بعض الأحاديث لخالفتها الواقع. وذلك كحديث (لا يراد بهد المائة مملوكه فيه حاجة) وحديث (الباذنجان شفاء من كل داء) وردوا ما رواه علاة الشيعة من أحاديث في فضل علي - وما رواه علاة البكرية من أحاديث في فضل أبي بكر ، لوجود الباعث السياسي على وضعها ، وردوا كذلك حديث (ومدت فحكوت إلى

ولاشك أن هذه أسس سليمة وصينة محكمة كافية بتمييز الأحاديث الموضوعية من الأحاديث الصحيحة لا يسع المصنف أن ينازع في قوتها وكفايتها ومع هذا لم يكتف رجال الحديث بها في سبيل نقد المتن بل قدموه مع ذلك من ناحية اضطرابه أو شذوذه أو إعلاؤه كما يمشوا فيما وقع فيه من قلب أو غلط أو إدراج إلى عهد ذلك من العلل التي عنى العلماء ببيانها وشرحها فيما وضع في ذلك من الكتب.

وقد رأيت فيما سبق أن ما وضع من موادين وضوابط للتعرف على ما في الأحاديث من قوة وضعف لم يكن المهدف منه الوصول إلى القطع بصحة نسبة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان الغرض منه الوصول إلى غلبة الظن بصحة تلك النسبة ، ولذا قالوا : إن ما حكم بصحته من أحاديث الآحاد قد يكون في واقع الأمر غير صحيح ، ولكن هذا احتمال ضعيف لا يحول دون وجوب العمل كما قدمنا ، ولقد ذكر أصحاب هذا النقد أنه كان من الواجب أن يؤسس نقد المتن أيضًا على أسس أخرى لم تنل من علماء الحديث عناية وهي :

١ - اتفاق ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول مع الظروف التي قيل فيها وعدم معارضته للحوادث التاريخية الثابتة .

فخص في حديث لا يراها الآخر فيه ، أو يخالفه لما يقضى به العقل ؛ فإن عقول الناس تختلف اختلافاً بينا يستسيغ بعضها ما لا يستسيغه بعضها الآخر ، ويجوز بعضها ما لا يجوز بعضها الآخر ، ويستبعد بعضها ما لا يستبعد بعضها الآخر . فبأي عقل يوزن به الحديث ؟ وأنى لعقل أن تكون له قوة وحكم عند هذه السند ، والظن بصحة نسبه ، وكذلك صدور الحديث من راو تأييداً لرأيه المتعصب له المثال فيه ما يختلف فيه الأنظار ، وهذا ما يكشفه عما في تطبيق هذه القواعد والضوابط من عيب وقصر ، يؤديان في كثير من الأحوال إلى خلاف واضطراب .

ثانياً : أن استعمال هذه المناهيس والضوابط مشروط بالألا يكون في تأويل الحديث تأويل يهمله ، أو في حمله على المجاز يخرج من تطبيقها وبناء على ذلك إذا احتل الحديث تأويلاً يخرج به عن محيط ما تناوله هذه القواعد لم يجر أن تطبق عليه ، وكذلك إذا كان حمله على الاستعمال المجازي يعتمد به عن هذه الضوابط لم يجر أن تتناوله . وتأويل الحديث وقبوله لتأويل ويجوز إرادة معنى مجازي منه مما يختلف فيه الناس فيكون مقبولاً سائناً عند آخر ، وعلى ذلك يختلف الحكم على الحديث باختلاف الناس واختلاف أنظارهم .

جبريل ، فقال : آدم النظر في المصنف) لأنه لا يتفق مع البيئة التي قيل فيها ، إذ لم يكن على عهد صلى الله عليه وسلم مصاحف . وكذلك وردوا أحاديث لوجود الباعث النفسي على وضعها كحديث : (المريسة تشد الظهر) ذلك لأن وأويه كان ممن يصنع المريسة .

وردوا كذلك كثيراً من الأحاديث لما فيها من عبارات واصطلاحات فقهية لم تكن معروفة على عهد صلى الله عليه وسلم والأمثلة من ذلك كثيرة أشير إليها في نصب الراية وهكذا يرى أن كل ما زعم الناقدون استدراكه على علماء الحديث لم يغفلوه بل راعوه وقصروا إلى أبعد منه فهم أنه قد يلاحظ في هذه الضوابط وفي تطبيقها أمور :

أولها : أن كثيراً يقوم على تقدير الباحث وفهمه ونظره ، وأنظار الناس متفاوتة ومواهبهم مختلفة وأحكامهم متباينة وما لا يعقله فلان يعقله فلان آخر ، ولهذا كانت أحكامهم على الأمور مختلفة ، وعلى ذلك تكون تطبيق هذه الضوابط على الأحاديث مختلف النتائج باختلاف أنظار من يقوم بتطبيقها ، فراككة المعنى في كثير من أحوالها ما يختلف فيه أنظار الباحثين ، يراها هذا في معنى من المعاني بينا لا يراها الآخر فيه . وكذلك الحال في مخالفة الحديث لما تقضى به قواعد العلم أو تجارب الطب بينا يراها

الأعصر ، وما قد يشكف سره بعد ذلك ، وعلى ذلك فلا ينبغي أن يكون لهم مع تصور عقولهم سلطة الحكم على أقواله من ناحية سلامتها وصحتها ، بما قد تجر عقولهم من فهمه ، ولا يصح أن يكون عدم فهمهم لقصر عقولهم أو لضعف ماوفهم دليلا على وضع الحديث . وبناء على ذلك إذا جاء الحديث متضمنا خواص بعض النبات عالم يكذبه

العلم أو خبرا عن غيب سيقع في مستقبل الزمن وما إلى ذلك عالم يصل إليه علم الناس فلا يجوز أن يتخذ ذلك دليلا على وضع الحديث .

لهذه الأسباب كان تطبيق هذا الحديث لهذه القواعد في نطاق ضيق حيث تكون الضرورة فاحية بتطبيقها وذلك عند تعدد التأويل الذي يمكن اتخاذه مخرجا وعدم الوصول فيه إلى مخرج آخر يستساخ منه عدم التطبيق . وقد كان صليهم في هذا عاضدا كذلك لتقديرهم وأحكامهم ، ومراعى فيه كذلك الاعتماد على صحة السند وسلامته ، وما لذلك من أثر في اطمئنانهم إلى نسبة الحديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . ومع هذا الاطمئنان يجب التسليم واتقاء كل شك لشعورهم حيث قد بقصور عقولهم وقلة معرفتهم وعلومهم . لهذا كله كان تطبيقهم لهذه القواعد في حدود ضيقة ، كما قلنا ، وكان مع

ثالثا : أن تطبيق هذه القواعد يقوم على فهم الحديث فهما معينا يحميه من متنازلها وهذا مما يختلف فيه الناس أيضا وتتفاوت فيه أنظارهم فقد يفهمه شخص فهما سليا غير متافض للفقول ولا للأصول المسلم بها ويفهمه آخر على غير هذا الوضع فيراء مخالفًا للمقول أو لما تنفى به الأصول

رابعا : أن الحديث إذا كان سليم السند يرويه الثقة عن الثقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون أسرا راجعا - ورسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كائر الناس في علمه وحكمته وصلته بربه ومعارفه ، وذلك بما يستوجب ألا تكون مقاييس النقد فيما يصدر عنه مائة لمقاييس النقد في أحاديث غيره من الناس فرسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي عن ربه وقد أطلعه الله سبحانه وتعالى على كثير من أسرار الغيب عالم يطلع عليه سواء وأحاط بما لم يحاط به إنسان من المعارف والأسرار ، وذلك ما يفضى بأن يكون تفكيره فرق تفكير غيره من الناس ، وبأن يعلو حكمه أحكام غيره من الناس فيصدونه من الأقوال والأحكام ماقد يعلو على أفهام الناس وما لا تصل إلى معرفة كنهه وحقيقته عقولهم في عصر من

ما وجه إلى حجيتها من شبهات :

أشرنا فيما سبق إلى ما جاء في الكتاب العزيز من الآيات الدالة على أن طاعة الرسول واجبة في كل ما أمر به وفي كل ما نهى عنه وإلى أن دلالة هذه الآيات باجتماعها وأصاليها دلالة قاطعة لا تقوم معها أية شبهة في وجوب هذه الطاعة ، ولا حجية هذه السنة فيما جاءت به من أحكام ، وأن إنكار ذلك إنكار وتكذيب لما جاء به القرآن الكريم وأكدته ووثقه ، ولكن بعض الناس عن خدعهم زيف المستشرقين والمبشرين قامت في أنفسهم بسبب ما تلقوه من هؤلاء من شهادتهم من الحق وأهمتهم عن النور ، فهم من ذهب إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يشعب الناس إلا بما شرعه القرآن فهو وحده واجب الطاعة وليس السنة إلا بيان له ، وتطبيقا مؤقتا روي فيه ما كان لزم صدورها من عادات وأعراف ومعاملات ، وما كان لأمره من علم ومعرفة وإمكانات وتقاليد ، ولذلك لم يكن للطاعة الواجبة صفة الدوام والاستمرار ، وإنما كانت موقوفة بمصر ما حتى إذا تغير العصر بعداته وأعرافه تغير التطبيق لما جاء في الكتاب خاصا بالمعاملات ولم يكن ما ورد من السنة في ذلك واجب الطاعة ، وعلى هذا الأسس وجدت جماعة في الهند تسمى بجماعة القرآن أو بأهل القرآن لا تعمل

ذلك على خلاف بينهم تبعا لاختلاف أنظارتهم فاختلقت أحكامهم على بعض الأحاديث فكان ما يراه بعض العلماء صحيحا يراه آخرون غير صحيح ، وإن من نتيجة ذلك وجود بعض أحاديث كلف وجودها في الصحاح ميمت النقد الذي أشرنا إليه .

وبما يجب ملاحظته أن هذا النقد لا يمدد أن يكون طعنا في أحاديث معينة معدودة أثبت الاستقراء أنها ليست في أصول الدين ولا في قواعده وأحكامه الأساسية ، ولا يمدد عدم الاعتماد عليها بما يقتضى مع وجوب العمل بالسنة الأحادية لأن وجوب العمل بها كما يثبت إنما يكون عند غلبة الظن بصحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عند الشك في نسبتها وما وضعه علماء الحديث من قواعد وصواب لنقد السند والمتن كغلب عند تطبيقه تطبيقا سليما يتميز صحيح السنة من غيره وتمحيص السنة من جميع الأحاديث الموضوعة بالقدر الممكن ، وعند ذلك يتميز ما ترجح الظن بصحة نسبته بما شك في صحة نسبته ، وإذا ما تبين ذلك وجب العمل القطع بوجوب العمل عند الظن وعلى ذلك فلا يمد هذا النقد طعنا في السنة ولا في وجوب العمل بها ، عند سلامة السند والمتن إذ عند ذلك يكون الظن بصحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طعنا واجعا يوجب العمل بها .

صلواته عليه وسلم ، ومع اجتماع حسنة الشكوك والريب تنقش العلمانية إلى سلامتها كما ينتق الظن بصحة نسبتها وبذلك تزدل حقيقتها .

هذه مقالاتهم وهي تستند كما يرى على أوهام وشكوك منها ما يتعلق بروايتها ، ومنها ما يتعلق بحقيقتها ، وهي كما ترى دماوى تنقسم بالإجمال والعموم ، وعدم التفصيل ، والتركيز ، يلقى القول فيها على عوامته ، دون استناد إلى واقع معين مفصل أو مثل محدودة معينة ، فادعاء التناقض والخلاف والاضطراب والزيادة ، والنقص بهذا الإجمال وعلى هذا الوضع من العموم ادعاء باطل ، فليس يوجد شيء من ذلك إلا في القليل النادر للضئيل العدد ثم هو لا يوجد إلا في الأحاديث الضعيفة المنكرة التي فقدت حقيقتها . وإذا وجد في الصحيح منها لم يكن وجوده فيها إلا بالنسبة إلى النظرة الأولى الحافظة ، أما عند استيعاب النظر وعمق الفهم فلا يرى لذلك من أثر ، وقد ألف في ذلك كتب عديدة مستقلة تكفلت ببيان ذلك فارتفع ببيانها الخلاف والإشكال على أن وجود ذلك في فئة قليلة العدد من الأحاديث قل أن يكون منها حديث صحيح لا يطمئن في السنة جمة ، ولا يضمف من قوتها وحقيقتها التي قامت عليها الأدلة القاطعة ؟

على التخصيص

إلا به على النحو الذي يهديها فهمها إياه ، وكذلك وجد في الناس من طعن في حجية السنة ، ومثلهم وجد قديما فانت مزاعمهم باقتضاء ذمتهم ، ولكن من يوجد الآن يتمسك في عدم الاحتجاج بالسنة بمزاعم ليس لها أساس ولا حقيقة ولا قيام لها على واقع إلا ما ذوروه من خيال فطعنوا في روايتها وطريقة نقلها ، وقالوا : كيف تكون السنة حجة على الناس تزمهم أنه يعملوا بها مع ما نراه فيها من خلاف واضطراب وتناقض في مروياتها ، وما تشاهده فيها من زبدات في بعضها ، ونقص في بعضها الآخر وما هو معلوم بما أضيف إليها وأدخل عليها من موضوعات كثيرة تفرقها هداً اختلطت بها ولم يتيسر تخليصها من كثير منها ، وهذا مع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهي عن كتابتها ، ومحو ما كتب منها في عهد ، ثم عدم الميل إلى كتابتها بعد وفاته ، وتأخير كتابتها وتدوينها إلى نهاية القرن الأول الهجري ، وميل الكثرة من جهة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدم روايتها ونكرها ، وذلك كله مع ما كان الرواة معرضين له من السهو والنسيان وسوء الحفظ ، وقلة الضبط ، وسوء الفهم بما يمرض مادة الناس على اختلاف بينهم في ذلك وكل ذلك مما لا تطمئن منه نفس إلى صحة نقلها ووصولها إلينا كما صدرت من

الحديث: وقيمه العلمية والدينية

للأستاذ عبد الله كنون
عضو المجتمع



الأستاذ عبد الله كنون

من الحساب إذا ذكروا العوامل التي أدت إلى نهضة العالم الإسلامي، تلك النهضة التي آتت أكلها الشيء منذ الجيول الأول الذي تلا ظهور الإسلام، وما زالت تنمو وتكبر حتى بلغت في القرن الخامس الهجري إلى ما لم تبلغه في أمة أخرى قبل ذلك، ولكنهم يحزنون في هذا النظر: ولو شاءوا أن يعرفوا الحقيقة من غير أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث في هذا الموضوع، لاقتصروا على

لعل علم الحديث رواية ودراية هو مما تمثل فيه العبرة الإسلامية أكثر من غيره من العلوم حتى الفلسفة وعلم الطبيعة والرياضيات. وقد يبدو هذا الرأي غريباً في بادئ النظر، ولكن لا غرابة وهذه العلوم قد قيل إن المسلمين لم يبتكروا فيها شيئاً، وإنما نقلوها نقلاً مجرداً عن الأمم السالفة بخلاف علم الحديث، فإنه من وضع المسلمين وابتكارهم، ولا يستطع أحد أن يقول غير ذلك ولا أن يشكك فيه.

وليس هذا فقط، فإن المدارس لهذا العلم المتعمق فيه قد يطلق منه على آفاق رحبية من الأبحاث المنهجية والدراسات الموضوعية في علم الأخلاق والاجتماع والقانون والسياسة والاقتصاد، فلا يكون عنده أدنى وبب في أن الحضارة الإسلامية مبنية على هذا العلم، وأنها، إن استقامت من معارف يرنان وقارس والمهند شيئا، فإنها في عناصرها النفسية إنما ترجع إلى كتاب الله والسنة الهينة له.

وقد جرى الناس على أن ينظروا لعلم الحديث نظرة دينية بحتة، فهم لذلك يقطعونه

الطبية والعلمية بما لم يتفقه العلم حتى الآن
ويصحح لم أغلاط الأخباريين من أهل
الكتاب ، وأغلاط عرفاتهم في تفسير
الظواهر الجوية ونحوها حتى لقد دعا ذلك
اليهود أن يسألوه من حقيقة الروح ويسألوك
عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ،
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

أن مجرد استعراض سريع على هذا النمط ،
لسوته عليه السلام كاف ليعرف من لم يكن
يعرف أن علم الحديث هو جامع المعارف
الإسلامية سواء الدينية منها والدنيوية ، وإذا
كان هذا في مهده صلى الله عليه وسلم فافطنك
بهذا العلم ١٩ وقد تناولته القرائح الخبيثة
والافكار الفاضحة ، وكتب العلماء فيه من
الأبحاث القيمة والدراسات الرائعة
ما لا يعرف لهذه الامن وقف عليه .

وإذا كان الحديث من ذلك بطول ،
فلنكتف بالكلام على أصل هذا العلم والطريقة
التي دون بها والجهود التي بذلها العلماء لتمييز
محبطة من متقيمة ، وهذا ما يراد بعلم الحديث
رواية ودراسة ، وهو وحده دليل نافع على
هبة الفكر الإسلامي الذي يغفل الباحثون
عن تتبع آثاره في هذه الميادين .

أما أصل علم الحديث فهو أقواله
صلى الله عليه وسلم وأفعاله ونومه ونطقه
وحركاته وسكونه وقيامه وجوده واجتهاده

التفكير في أن الرسول صلوات الله عليه
وسلامه ، لبث في قومه بعد الرسالة ثلاثا
وعشرين سنة يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقومه هم العرب
الذين يعرف الناس أنهم ليسوا بعبث غبي
ولا بدائي ، وهم في الوقت نفسه ، كانوا مكتشفين
بشعوب حية وبقوم من يهود ونصارى
لا يفتأون يمارضون دعوته ويزيدون عليها
مختلف الإبرادات ، فهو لم يقتصر دعوته على
هل مسائل الدين فقط ، ولم يكن يعلم المحليين
أمور العبادات بحسب ، بل كان يعلمهم آداب
السلوك ، وأحكام المعاملة : من البيع والشراء
والصرف والحوالة والسلف والرحن وما إلى
ذلك ، ويطبقهم أساليب الحرب وطرق الحكم ،
ويرشدهم إلى السياسات المختلفة في علاقاتهم
مع الدول الموالية والمعادية . ويتولى قسم
الأموال بينهم ، وتوزيع الأراضي المنقولة عليهم
ويصعد المجالس الاستشارية كلها حربه أمرا
ليتبع لم الاستبداد ، ويقضهم على أسباب
حياة الأمم وهلاكها ليعرفوا كيف يحافظون
على كياناتهم إذا صار الأمر إليهم من بعده ،
ومكفلا لم يدع شاذة ولا فاذة مما به قوام
الحياة ونظام الدنيا إلا عليهم إياه . ألم يقل
للكفار لسان رضى الله عنه : (لقد علمكم
فيكم كل شيء) ؛ بل إنه في نزلاته معهم كان
يعاظهم بدقائق المعارف ويحجب على أسنانهم

ولعله الكتاب الوحيد الذي وصلنا بالرواية الصحيحة من تأليف هذا العصر ولذلك تتخذة نموذجاً للطريقة التي دون بها علم الحديث في أول الأمر .

والموطأ ، وإن لم يكن في الواقع كتاب حديث مجرد لأنه يحتوي على كثير من الفقه والاستنباط وأقوال السلف ومذاهب الصحابة ، إلا أنه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذي بذله الإمام مالك في تجميع الأحاديث الصحيحة ، وعدم الرواية إلا عن الأعلام الأثبات الثقات فقد قيل : إنه لما ألفه أولاً كان يشغل على نحو عشرة آلاف حديث ، ولم يزل ينتقى منه ويختار حتى لم يبق منه إلا نحو ألف حديث وهذه النسبة ، وهي واحد من عشرة أو ثلث عشرة من مائة ، هي التي جعل عليها تحريماً جل المؤلفين في الحديث بعد ذلك لاسيما أنه الصحيح ؛ بل إنها تنزل عند بعضهم إلى أقل من ذلك بكثير ، مع العلم بأنها نسبة إلى ما ثبت عندهم من الأحاديث ووقع لهم فيه اشقياء ما لا أنها نسبة إلى محووظهم ؛ فإن هذا كثير يكاد لا يسلم به أهل هذا العصر الذين ضعفوا أو انعدمت فيهم بالمرّة ملكة الحفظ ، تأميك بما قيل عن الإمام أحمد بن حنبل من أنه كان يحفظ مليون حديث .

ورتب الإمام مالك كتابه الموطأ على الأبواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث

وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجهده وخطبه وأكله وشربه ومشييه وسكوته وملاحظته أمه وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركون وجهوده ومواقفه والمخاطبة وأقاصيه وصفاته ، مما رواه عنه من الصحابة أوبة آلاف وجعل وامرأة ، كما يقول الحاكم النيسابوري في كتابه المدخل إلى علم الحديث ، محبوبه فينا وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سرى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة وما سألوه من العبادات ، والحلال والحرام ونهاكوا إليه فيه ، وقد تأدى ذلك من الصحابة إلى التابعين فن بعدم إلى عصر التدوين

وكان عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين الحديث خوف ضياعه ، وأكد هذا الأمر أبو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري ، وكان سابق الحلية ، إلا أن عمله إما كان تدويناً مجرداً من غير ترويض ولا ترتيب ، وأما الجمع مرتباً على الأبواب فوقع في نصف القرن الثاني ، وكان من قام بذلك ابن جريج بمكة ، ومالك ، وابن إسحاق بالمدينة ، وعفيم بواسط ، وعمر بن دينار ، وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح ، وسعيد بن أبي عروبة ، وحاد بن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثوري بالكوفة ، والأوزاعي بالقام ، وجريون بن عبد الحميد بالري .

وكان الذي ألف موطأ هو كتابه الموطأ

وهو جمع أحاديث كل واحد على حدة ، وإن اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالسند وهو النج الذي اتبعه الإمام أحمد بن حنبل في كتابه العظيم المسمى بمسند أحمد ، ومنها ما ألف على الأبواب والمجالات ، وهي طريقة مألوفة في الموطأ ، ومنه ما يكون جامعاً شاملاً لأحاديث العبادات والعبادات والأحكام والحكم والتواريخ والزقات وغير ذلك وهو المسمى بالجامع ، ومنه الجامع الصحيح للإمام البخاري وغيره . ومنه ما يقتصر على السنن والأحكام كسنن أبي داود ، ومنه ما يخص موضوعاً بعينه أو مسألة واحدة فقط ككتب الإيمان للبيهقي والقراءة في الصلاة للبخاري إلى غير ذلك .

واستمر هذا النشاط وخلص إلى القرون التالية فاتخذ أشكالاً وأنواعاً من العناية بالحدِيث سواء من حيث الرواية والجمع أو من حيث الشرح والفهم والتفريع والاستنباط وفي هذا الأمر يقال : حدث عن البحر ولا حرج .

وعلى كل حال فقد صاحب عملية الجمع والتدوين عملية الانتقاء والاختيار ، والجهود التي بذلها العلماء في هذا الصدد لا يوجد لها نظير عند غير المسلمين ، ومن ثم قيل : إن الإسناد من خصائص هذه الأمة ، أي تتبع رواية الحديث واحداً فواحداً والبحث عن حاله من الحفظ والنسب والمدالة إلى النبي

لشاهد في أول الباب أو في أثناءه ، ثم يحلل الباب بالآثار والأقوال الثابتة من الصحابة وأئمة السلف في الموضوع ، ويأتي بباب اسمه (الجامع) يروي فيه متفرقات من الباب لا يصلح أن تفرج بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع سماه الجامع وضمه أحاديث في الدين والأخلاق وآداب السلوك وغير ذلك ، قيل : وهو أول من ابتكر هذا الصنيع والتأليف أي جمع المسائل المتفرقة في باب اسمه الجامع ، وعلى ما ترى فإن طريقة الإمام مالك في تأليفه للموطأ رغم قدم الزمن هي من أحسن الطرق التي ألفت عليها كتب السنة فيما بعد ، وانبعث منها معظم المحدثين إلى المائة الثالثة .

وفي المائة الثالثة نشطت حركة جمع الحديث نشاطاً كبيراً وتوارلت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلل فألف البخاري جامعته الذي هو أول كتاب ألف في الصحيح ، وكذا علم صاحب كتاب الصحيحين ، وألف بقية أصحاب الكتب الستة كتبهم ، وهي التي تلقاها المسلمون بالقبول ويقول السيوطي : إن الحديث إذا أخرجه أحد هؤلاء المؤلفين الستة فليروا الإنسان مطمئناً إليه .

وكان التأليف في هذا العصر على أوضاع مختلفة منها ما بقي محافظاً على وضعه الأول الذي كان أكثر العمل عليه عند بدء التأليف

فقد جاء في مقدمة الصحيح لمسلم بن الحجاج :
 « وقال محمد (يعني ابن عبد الله بن قهراد)
 سمعت أبا إسحق بن إبراهيم بن عيسى الطالقاني
 قال : قلت لمبداه بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن
 الحديث الذي جاء : إن من البر بعد البر أن
 تصل لأبيك مع صلاتك وتصوم لها مع
 صومك » فقال عبد الله بن أبي إسحق عن هذا ؟
 قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش
 فقال : ثقة ، عن ؟ قال : قلت : عن الحجاج
 ابن دينار قال : ثقة ، عن ؟ قلت : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : قال : يا أبا إسحق
 إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله
 عليه وسلم مفاز تقطع فيها أذنق الملعق .
 ولكن ليس في الصدقة اختلاف .

ويحسن بنا أن نورد نبذة في هذا الشأن
 من مقدمة الإمام مسلم صاحب ثاني كتاب
 في الصحيح ، وهي على اقتضاها نقطنا على هدف
 مسلم القوم في هذه السبل الوعرة ، قال
 رحمه الله :

ثم إننا مبتدئون في تخريج ما سألت
 وتأليفه على شريطة صوف أذكرها لك ،
 وهو أنا نعتمد إلى جملة ما أسند في الأخبار

صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حزم : نقل الثقة
 حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع
 الاتصال شيء يخص به المسلمون دون
 جميع الملل ، إمامع الإرسال أو الإحصال " .
 فيوجد في اليهود لكن لا يقربون به من
 موسى عليه السلام قربنا من نينايل يقفون
 حيث يكون بينهم وبينه أكثر من ثلاثين
 نقسا ، وأما النصارى فليس عندهم من صفة
 هذا النقل إلا تحريم الطلاق .

ولا تغفل عما في هذه الخبص من ميزة
 للدين الإسلامي لا يشاركه فيها غيره من
 الأديان ، وهي ثبوته بالنص القاطع والرواية
 الصحيحة ، فلا جرم أن يقول عبد الله بن المبارك :
 « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال
 من شاء ما شاء » وقوله هذا دليل على أن
 القوم كانوا في تمييز الحديث الصحيح من
 السقيم يستبرئون لدينهم كما كانوا يتحرون
 المذهب العلمي الصحيح

ويروي عن عبد الله بن المبارك أيضا أنه كان
 يقول : « يفتنا وبين القوم القوائم أي الإسناد »
 وهذا يبين طريقهم الصلبة في قصد الرجال ،
 فإنهم جعلوا قوائم بأسماء الرواة ورتبوا
 بحسب القوة والضعف ترتيبا يكون هو الحكم
 في قبول الحديث أو رده . فإذا لم يصر
 حال الراوي ترك الحديث ، وكذا إن سقط
 من سنده أحد الرواة وإن كان في السند ثقات

(١) أي عدم الاتصال وسقوط عدد من الرواة
 في السند ، ولعل في الاصطلاح : الحديث الذي
 يرويه التامر مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 من غير ذكر الصحابي ، والمفضل : الذي سقط من
 سنده اثنين فصاعدا من الرواة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقسمها على ثلاثة أقسام ، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار . . .

فأما القسم الأول : فإننا نتوخى أن يقدم الأخبار التي هي أسلم من الميوب من غيرها وأنقى من أن يكون ناقلاً أهل استقامة في الحديث وإتقان لما نقلوا ، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش ، كما قد عثر فيه على كثير من المحدثين وبأن ذلك في حديثهم ، فإذا نحن تفحصنا أخبار هذا الصنف من الناس اتبناهم أخباراً يقع في أسانيد ما بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المتقدم قبلهم ، على أنهم ، وإن كانوا فيما وصفنا دونهم ، فإن اسم الستر والصدق ولعاطي العلم شملهم كعلاء بن السائب ، ويزيد ابن أبي زياد ، وليث بن أبي سليم وأضرابهم من حال الآثار ونقال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين ، فغيرهم من أقرانهم عندهم ما ذكرنا من الإتقان والاستقامة في الرواية يفضلونهم في الحال والمرتبة لأن هذا عند أهل العلم دوجة رفيعة وخصه سنية .

ألا ترى أنك إذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سميهم عطاء ويزيد وليثاً بمنصور بن المعتمر وسليمان الأحمش وإسماعيل بن أبي خالد في إتقان الحديث والاستقامة فيه ،

وجدتهم مباينين لم لا يدانونهم - لا شك - عند أهل العلم بالحديث في ذلك الذي استفاض عندهم من صحة حفظ منصور والأعمش وإسماعيل وإتقانهم لحديثهم وأنهم لم يعرفوا مثل ذلك من عطاء ويزيد وليث . وفي مثل مجرى هؤلاء إذا وازنت بين الأقران كإبن هرون وأيوب السخيتي مع عوف بن أبي جحبة وأشمع الحمراني ومما صاحبنا الحسن وابن سهرين كما أن ابن هرون وأيوب صاحباهما إلا أن البون بينهما وبين هذين بعيد في كمال الفضل وصحة النقل ، وإن كان عوف وأشمع غير مدعويين عن صدق وأمانة عند أهل العلم ولكن الحال ما وصفنا من المازلة عند أهل العلم ، وإنما مثلنا هؤلاء في القسمة ليكون تمثيلهم مئة يصدون عن فهمها من غبي عليه طريق أهل العلم في ترتيب أهل فيه فلا يقصر بالرجل العالي القصد عن درجته ولا يرفع متضع القدر في العلم فوق مرتبته ، وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نزل الناس منازلهم ، مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالى : « وفوق كل ذي علم عليم » .

فعلى ما ذكرنا من الوجوه نواف ما سألت من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما ما كان منها من قوم ، هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فقلنا

الحديث بما لا يعرفه أحد من أصحابها وليس
من قد شاركهم في الصحيح بما عندهم ،
فغير جائز قبول هذا الخبر من الناس
وإنه أهل .

فهذا منهج على مضبوط لا يقل في دقته
وتحقيقه من مناهج علماء النقد الحديثي إن لم
يفتقها ، وليس هو بما استوحى من مصدر
أجنبي ، ولا بما استورد من بلاد الخارج
وإنما هو حصيلة الفكر العربي السليم
ونتيجة الاجتهاد الإسلامي الخالص . ولم
يمالك المشرق جوينبول GUYNBAL
كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف
الإسلامية نفسه من أن يظهر الإعجاب بالجهود
التي بذلها المسلمون في التعرّي لصحة أسانيد
نبيهم ، على ما له من أغلاط كثيرة في هذه
المادة ، إذ يقول : « لا يعد الحديث صحيحاً
في نظر المسلمين إلا إذا تابعت سلسلة الإسناد
من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد
يوثق بروايتهم . وتحقيق الإسناد جعل علماء
المسلمين يقتلون الأمر بحثاً ، ولم يكتفوا
بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم لمعرفة الوقت
الذي عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ويمكن
وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية
بالبآخر ، بل لحصوا أيضاً من قيمة الحديث
صدقا وكذباً وهن مقدار تحريه للدقة والأمانة
في نقل المتن ليحكموا أي الرواة كان ثقة

تفاضل بتخريج حديثهم كعباد بن منصور
وأي جعفر المدائني وحماد بن خالد وحماد
القفطوسي والشامي ومحمد بن سعيد المصلوب
وغياث بن إبراهيم وسليمان بن عمرو وأبي
داود النخعي وأشباههم من انهم بوضع
الأسانيد وتوليد الأخبار ، وكذلك من
الغالب على حديث المنكر أو الغلط أمكننا
أيضاً عن حديثهم .

وعلمة المنكر في حديث المحدث إذا
ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره
من أهل الحفظ والرضا ، خالفه روايته
ورايته ولم تكن توافقها ، فإذا كان الأغلب
من حديثه كذلك ، كان مهجور الحديث غير
مقبوله ولا مستمدة

والذي نعرف من مذهبهم في قبول ما ينفرده
به المحدث من الحديث أن يكون قد شارك
الثقات من أهل العلم والحفظ في بعض ما رويوا
وأمن في ذلك على الموافقة لهم ، فإذا وجد
كذلك ثم زاد بعد ذلك شيئاً ليس عند أصحابه
قبلت زيادته .

فأما من تراءى بعد مثل الزهري في جلالة
وكرامة أصحابه الحفظ المتقنين لحديثه وحديث
غيره . أو لمثل همام بن عروة وحديثهما
هذه أهل العلم مبسوط مذكور قد نقل أصحابهما
هاتهما حديثهما على الاتفاق منهم في أكثره .
فيروى هاتهما أو عن أحدهما العدد من

لمعرفة المفكر من الحديث هي بمبناها المتأينس التي طبقها ابن خلدون لتمييز الواقع من الصحيح من أخبار المؤرخين ، وهكذا نرى أن علم الحديث يبسط جناحه على الثقافة الإسلامية ، لا يمتد وروايته فقط بل وباصطلاحه وما يسمى عند علماء علم الحديث دواية أيضا .

ومن المعلوم أن هذا لم يكن هو المقصد الأول من الحديث وتدوينه وتقدمه ؛ فإنه إنما جاء عرضا وكان فتحا من فتوحات هذا العلم المبارك الذي استوعب ضروب النشاط الفكري عند المسلمين ، وحزوم من أول يوم إلى اقتحام جبل المعرفة وطلب العلم ولو بالصين . فوجدت تلك النهضة العلمية الكبرى التي همت البلاد الإسلامية من شرقها إلى مغربها والتي لم تنفصل في أساسها قط عن مدارك القرآن الكريم والحديث الشريف وهو ما يفسر لنا حرص أصنام الفكر الإسلامي على الأخذ بعظمهم من هذا العلم وتحكيمه عبر التاريخ بالمعاركة فيه حتى ولو كانوا من الفلاسفة والأطباء والفلكيين أمثال ابن سينا وابن رشد ونصير الدين الطوسي وعبد الطيف البغدادي وغيرهم ، بل لقد قيل بتلازم علم الحديث وعلم النبات لأنهما مما يمد يدك بالرحمة ، ولا يبلغ أحد فيهما شأوا إلا بالتقل في البلاد .

في روائته ، : ونوه الأستاذ آدم من في كتابه : (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) بالدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : : وقد اهتمت نقاد الحديث منذ أول الأمر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء ، ثم نظروا في الأساس الذي يبنى عليه هذا الحكم أعني الصفات التي يجب توفرها في المحدث الثقة وهو ما يعرف بالجرح والتعديل ... وقد أدركهم حاجتهم إلى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث في حياة الرواة والحكم عليهم إلى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تاريخ القرن لثالث الهجري مثل تاريخ البخاري وطبقات ابن سعد ... الخ .

وقد أثر هذا المهج بدقته وضبطه على العقلية العربية فظهر مفعوله في علوم أخرى كاللغة والأدب والتاريخ ، وابن قتيبة الذي يعد من أرائق نقاد الأدب والشعر خاصة بما كتبه في مقدمة كتابه الشعر والشعراء لم يكن إلا متأثرا بمحاولة الحديثية والإخبارية ومنهج النقد عند المحدثين الذين هو منهم وإليه ، بل إنى لا أشك في استفادة ابن خلدون من منهج أهل الحديث ، واستمداده من طرق تقدم قبا وحظه من قواعد لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، إن الأمثلة التي أعطاهما مسلم بن الحجاج

يزدحم ذلك إلا توسعاً وتضييماً لا سولاً وتاميراً
تقواعده ، فإنهم لم يقولوا في يوم من الأيام
بالفصل بين العلم والدين ولا رجحوا كفة
المادة على الروح لأن الدين هو الإسلام ،
والإسلام والعلم لا يختلفان ، ولأن المادة
كانت دائماً وسيطتهم إلى السموات والروح ،
والوسائل هذه تغطي حكم المقاصد ، لذلك
كانوا في المزاوجة بين المعارف الإلمية والعلوم
الكبرية كالطائر بين جناحين لا يميل مع
أحدهما إلا كأنه مهدأ بالوقوف .

وهكذا كان علمهم في تدوين الحديث
مبادرة علمية بالمعنى العام الذي يعمل علوم
الحياة بأجمعها بما وصل إليه اجتهادهم ووعته
مقوله ولا يختص ديناً ولا علماً كالفن ، حتى
بدأ عهد الترجمة ونشأت تلك النهضة العلمية
الكبرى التي كان علم الحديث من روادها
الداعين إليها والمفكرين عليها فتبذرت العلوم
حيثما ، وسار كل في طريقه من غير قاطع
ولا تدابر ، ولا تبيح جهة بأن ما معها هو
العلم دون سواه ، بل إن الاحتراف المتبادل
وروح التعاون بين الفكر الفلسفي والديني ،
كانا هما التقليد المتبع الذي أدى إلى وجود
فلسفة إسلامية متبصرة عن الفلسفة العامة ،
هي الرشدية التي أثبتت لأول مرة في تاريخ الفكر
الإنساني عدم تعارض العلم والدين على
ما نجد عند صاحبها أبي الوليد بن رشد

نعم لم يكن هذا هو القصد الأول من حركة
تدوين الحديث ، وإنما كان هذا القصد هو
جمع الحديث خوف ضياعه ، فقد جاء فيما
كتب به عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن
حزم في الموضوع أنه قال له : « انظر ما كان
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاكتبه فإنني خفت دوس العلم وذهاب العلماء »

والواقع أنها كانت حركة إنقاذ للعلم
الإسلامي الذي لم يكن عند الفهم غمراً ، وكانوا
إنما يعتمدون فيه على الحفظ والاستظهار ،
فلما أسرع الموت إلى رجائه ونفثته ، غاب
الخليفة العادل من جسر ذلك على هذا العلم
ما عناه الخليفة الأول على القرآن من الضياع
لما استمر القتل في الصحابة وأمر بجمع
المصحف ، فكفلك أمر عمر بن عبد العزيز
بكتابة الحديث ، وهو - بعد القرآن - متمى علم
المسلمين إذ ذاك ، لجدوا في الأمر واجتهدوا
وقاموا بما لم تقم به أمة في العمل على حفظ
كلام نبيها وأخباره وأحواله ، ودونوا ذلك
واقتبسوا منه الحكم والأحكام والمعارف
والأسرار ، ولم ينظروا إليه قط تلك النظرة
الضيقة التي تحصره في حيز الفكر الديني ؛ بل
اعتبروه تراثاً علمياً طائلاً دوسه وتممقوا
فيه مدة قرن من الزمن ؛ حتى إذا التفت
أمامهم آفاق المعرفة وقلت إليهم علوم
الأوائل من فلسفة وطبيعة ورياضيات لم

المنا إلى ذلك فيما سبق ، ككتاب القراءة في الصلاة البخاري ، وكتاب شعب الإيمان للبيهقي ، وكتاب السنن لابن داود وإن كان هذا جامعا بين أحكام العبادات والمعاملات .

ولم يكن ليسع المسلمين غير ذلك ، وهم يقرأون في الكتاب العزيز ، وأنزلنا إليك الذكريتين للناس ما نزل إليهم ، ويسمعونه صلى الله عليه وسلم يقول : « إلا أني أوتيت القرآن ومثله معه ، فالقرآن وإن كنن كتاب مفيدة وشريفة معا ، وذلك بما امتاز به على الكتب الصاوية الأخرى ، إلا أن كثيرا من الأحكام لم تفصل فيه تفصيلا ، حيث إن مهمته الأول كانت ولا تزال هي أن يحبب الإيمان إلى الناس ويرينه في قلوبهم ، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وما زاد على ذلك فإنما هو بما ثبت به الدين آمنوا ويشق لهم الطريق إلى المعرفة بالله وعبادته على نحو ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل كما ترشد إليه الآية الكريمة : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، لهذا شر الصعابة منذ جاز الإسلام ومن أتى بعدهم من المؤمنين بالحاجة إلى السنة التي تبين لهم ما أجمل في القرآن ، وما لم يذكر فيه تفصيلا من أحكام العبادات والمعاملات ، أنظر إلى الإيمان جله في القرآن ، الأمر به والإوامر كل واحد أن يعلم منه قلبه ثم

في كتابه . فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال وغيره من كتبه الفلسفية والرشدية هي التي تولدت عنها الميعونية نسبة إلى موسى بن ميمون الحكيم الإسرائيلي الذي احتلها الاحتجاج اليهودية ثم تأدت من بعد إلى توماس الأكويني ، وهو من أكبر فلاسفة القرون الوسطى ورجال الدين في الغرب فوجد فيها أعظم سند لهم الإيمان المسيحي من طريق العلم ، ولا يفهم من هذا أن الحياة الدينية المحضة وما يشرى بها من الحديث لم تحظ بناية خاصة من سلف الأمة في حركة التدوين ، ولم تكن حافزا لهم على ما قاموا به في هذا الشأن من عمل جبار ، كلا فإننا إنما حينئذ يباراد الناحية العملية وما كان لها من السيطرة على المسلمين في تلك الحركة ، لأنها كثيرا ما تخفى على الباحثين ألا يعمرونها الاهتمام اللازم ، وإلا فإن الحديث المتعلق بالواجبات والسنة والشعائر الدينية على العموم كان من أول ما اعتنى المسلمون بحفظه وروايته سواء في ذلك الصحابة والتابعون فمن بعدهم ، بل إن من الصحابة من تامل في كتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص ، وذلك بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم فسبق عهد التدوين بهاء قرن كامل . وفي هذا العهد أيضا كان الباحثون الذين من أعظم ما حل أئمة الحديث وحفاظه على جمعه وكتابته ، ألا ترى أن منهم من خص بعض كتبه بالمسائل والقضايا الدينية ، وقد

أبو هريرة وواثل بن حجر ومالك بن الحويرث وأبو حميد الساعدي وغيرهم كيفية صلاته عليه الصلاة والسلام وعلينا منها ما هو واجب وما ليس بواجب .

وهكذا الزكاة أشار القرآن إلى وجوبها بقوله : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، ولكن من أين علم القصد الواجب ؟ علم من السنة .

قال عليه الصلاة والسلام فيما سقت الميرون أركان عشريا عشرة ، وما سقى بالتحص نصف المشرو قال : « وفي الزكاة الخمس » ، وبينت السنة فصد انصاب قال عليه الصلاة والسلام : « ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة ، وليس فيما دون خمس أراق من الزرع صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود في الإبل صدقة .

وهكذا الصوم أوجب الله علينا في القرآن صوم شهر رمضان ، وبينت السنة أن المراد الشهر القمري الذي يكون ثلاثين ويكون تسعا وعشرين ، وأمرنا أن نصوم رؤية الهلال ونفطر لرؤيته ، وأن من أفطر حامدا للنير عذر تجب عليه الكفارة إلى غير ذلك .

وهكذا الحج أوجه الله في القرآن على من استطاع ، وبين أركانه فأشار إلى الإحرام بقوله تعالى : « ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى حله » ، إلى آخر الآية ، وإلى وقوف عرفة ، فإذا أفضم من عرفات ، وبين

بينت السنة بقوله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، كذلك الإسلام والإحسان » ، وانظر إلى الصلاة حماد الدين ، أرجبها القرآن من غير بيان ، وبينت السنة عدد الصلوات والركعات وكيفية شروطها وإصلاح ما يقع فيه الخلل منها ، ووضعت أوقاتها وكيف العمل في فوائدها ، وما ذكر في القرآن إلا ما هو إجمال من ذلك كقوله تعالى : « إذا قم إلى الصلاة فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، الآية » ، لم يأت القرآن ببيان شرط وهو الطهارة المسائية ثم الترايبية ، وأشار على شرط سحر العبوة بقوله : « غنوا زيتكم عند كل مسجد » ، وإلى شرط استقبال القبلة بقوله : « فلو وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، ولكن هناك تفاصيل يفتتها السنة . ثم أشار القرآن إلى أوقاتها بقوله : « فبجان الله حين تمعون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وحسبا » ، وحين نظهرون ، ولكن السنة بينت الأوقات بالبيان الشافي بهدات بريدة وحديث ابن عمر وفي الصحيح وغيرهما .

وأشار القرآن إلى كيفية بقوله : « اركعوا وسجدوا » ، وقوله : « وقوموا له قانتين » ، ولكن السنة هي التي استوفت فقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، وروى لنا

لم نزل لدرجة الوضع وإنما دخل مستنداً
أو متبهاً علة قد لا تصحح في سمها ، ولكن
معرفة ذلك مما ينبغي الاعلى جهابذة التقاد .
وقد ألف العلماء في هذه الطل أيضاً تأليف
مفيدة جداً ، وما هو مطبوع منها : كتاب علل
الحديث لابن أبي حاتم أورد فيه دعاء ثلاثة
آلاف حديث معلول ، أيضاً وجهه هلته بما
لا مزيد عليه في الإقتان .

وهناك نوع من الحديث الذي يبدو لأول
رحلة كأنه متناقض مع ما هو معروف من
النصوص القرآنية أو الحديثية الأخرى ،
فيسارع المرء إلى إنكاره وهو المسمى
بمختلف الحديث وهذا النوع قد يقع منه
في مزالق شنيعة ولذلك لا ينبغي الاستعجال
بالحكم عليه إلا بعد الدراسة المتأنية
والإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه . ومن
أحسن الكتب المطبوعة فيه وأجمعها كتاب
تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة وهو مطبوع
بحسن الرجوع إليه لتنقذ في الحديث وحصول
الطمأنينة له .

وبعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله عز
وجل ، وأفضل الهدى هدى محمد صلى الله
عليه وسلم .

وما شرب الإيمان إلا نؤاد من
بأخبار خير الخلق قد ملا الأذن ،

عبد الله كنوه

ولعلنا وقد بينا قيمة الحديث العلمية والدينية
ورفضنا من شأن رجاله بما هو معقول ومقبول
وليس من قبيل المناقب ولا الكرامات يصح
لنا أن نثب على الأحاديث الموضوعة " ضئيفة
جدا ونحذر منها ، فإن أكثرها مما يعني على
سمعة الإسلام ويزيف حقيقته ، وهي
في الواقع التي تجعل بعض من لا علم له من
ضعفاء الإيمان يتشككون في الأحاديث كلها
ويردونها ولا يقبلون الاحتجاج بها ، وهو
خطأ واضح لأن وجود الزيف في بعض
التقود كلها ، لا يبطل التقود كلها وقد وقع
الاتصال في النصوص الأدبية من شعر ونثر
ولم يجعل ذلك أحدا يرفض الأدب كله ويقول :
إنه متحل لا يصح نسبه إلى أمه .

وقد ألف العلماء في الحديث الموضوع
كتبا قيمة تبيته بأعيانه فضلا عما وضعوه من
القواعد لمعرفة الوضع في الحديث ، ومن تلك
الكتب موضوعات ابن الجوزي واللاله
المصنوعة للسيوطي والفرد الممتدة له وتبميز
الطيب من الحديث لابن الزبيح وموضوعات
علي الفارسي المعروف بابن سلطان والنها على
اللباز السيد السهودي وما ذكره الجهد
الفيروز يادي في آخر كتابه سفر السعادة
ونظمه الشمس المقدسي في أوجوزة طويلة
مفيدة ، والفوائد المجموعة للهوكاني ، وأسنى
المطالب لمحمد الحوت وهذه الكتب كلها
مطبوعة بمتناول الجميع . على أن ثم أحاديث

روح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع الحديث

للاستاذ عبد الحميد حسن
عضو المجتمع



الأستاذ عبد الحميد حسن

منها، وأصبح بعضها يهدول عن الحياة المعروفة
الخافقة بالخير والفاء، على أن أملها في طلوع
الفجر الصادق لم يقطع، وذلك بما لا يزال
تنبص به قلوبها وتمتلئ صدورهم من نور الإيمان
بالله والثقة به وعن القسك بشعائر الإسلام.

نرى كل هذا في محيطنا من حولنا، ونشعر
بالحاجة الملحة إلى الحلول المناسبة التي تقذف
الإنسانية وتجنّب سوء المصير،
فلنتجه إلى الله نرجو منه العون، وإلى
دينه الخفيف نستمد منه الهداية والتوفيق
إلى أقوم سبيل.

يتطلع الإنسان الواهي المثقف إلى حياة
أفضل، وتطوح القلوب النامية إلى التمتع
بحياة مزدهرة ترد لها اعتبارها ويوضحها عما
قاست من تخلف تحت وطأة الاستعمار
وفي غمرات الطعم والقصور، وتجه الدول
الناهضة إلى استكمال نهوضها حتى تسير في ركب
الحضارة، والدول التي يمتد بها الوضع الحديث
دولاً راقية قد أخذت بقسط من المدنية،
لا تزال حائرة لِمَا تسير فيه من نهج وما تستقل
عليه من نظام يكفل لها حياة هادئة راضية،
فهي تغلب وجوه التفكير طامسة أو واهمة
أن تهتدي إلى خير نظام وأقوم سبيل.

ويستخدم الصراح بين الرأسمالية والاشتراكية
بأنواعها، والشعوب جميعاً ترقب أن يزول
الظلام وينشق فجر السلام، والعالم من خلال
كل ذلك يلتمس الهداية لحل هذه المشكلات
التي تنفص على الناس حياتهم وتهدد كياناتهم،
والعقوب العربية تنظر إلى ما كانت فيه
من عز وجمعة ومنعة وإلى ما صارت إليه من
حال لا تحسد عليها، والعقوب الإسلامية
التي كانت لها دولة وصولة ولسان عربي مبين
يربط بينها برباط وثيق ومفاخر جياشنة
تفرم بها هواطفا.

قد لوى الاستعمار أسننها أو أسنة الكثير

رسائله التي حمله الله إياها على خير الوجوه .
فلنوضح هذين المنصرتين لئلا نرى أثرهما
في رضى الفرد وإصلاح المجتمع ثم تتبع ذلك
بالإشارة إلى رسالة الإنسان في الحياة وكيف
يؤديها في صدق وإخلاص وإيمان بالله وبغيره .
أولاً - المنصر الروحي .

وهو أم المنصرتين ، فهو الطريق إلى الله
بأنه ، وهو الذي يوجه الإنسان إلى طاعة
ربه واستئصال أوساره ، وهو الذي يرشد إلى
الحيد وإلى سنى الأعمال وأشرفها ، ويبصر
الإنسان بما يقبض الشر والفضائل ، فإذا رماه
المربون بالمعانيه وتهدده الإنسان بالتركيزية
والتطهير كان خير مرشد إلى الصراط السوى
صراط الله العزيز الحيد .

وهذا المنصر الروحي أو النفس له مظاهر
ثلاثة يهدف كل منها إلى غاية نبيلة في الحياة وهي :
الفكر : وغايته معرفة الحق .
والإرادة : وغايتها الوصول إلى الخير .
والوجدان : وغايته الوعظ النبيلة
وجمال النفس .

والحق والخير والعواطف النبيلة من
الأهداف المثالية ، وإذا حققها الإنسان
سعد في حياته وسعد المجتمع وساد الأم
السلام والوئام .

ولهذه الأهداف الثلاثة في الإسلام شأن
كبير ، وله بها غاية وإتمام يقول سبحانه :
« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ،
ويقول : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم

لتجبه إلى الإسلام مسترشدين بما فيه من
أساس وطيد ، ونصح مدبّر وتوجيه رشيد .
وإن الأساس الذي يرتكز عليه الإسلام
هو الفطرة السليمة ، فهو دين الفطرة التي فطر
الله الناس عليها ، تلك الفطرة التي تجبه إلى
الحير ، وتعتمد على الفكر السليم ، وعلى
المبادئ السليمة الواضحة ، وهذا هو سر
قوة الإسلام وسر خلوده وسر قوة المستفيدين
بعمومه الوثيق . فإن الفطرة إذا صفت فقد
صفت النفس وطلعت أعمالها وانجذبت إلى
أسمى المقاصد وبذلك يعم الوئام وتسهل
الجماعات والشعوب إلى خير النيات .

فلنتنظر إلى ما أوجبه الإسلام في تكوين
الإنسان وفي رسالته في الحياة .

يوضح القرآن الكريم تكوين الإنسان
في قوله تعالى : « وبدأ خلق الإنسان من
طين » ، وقوله سبحانه : « خلق الإنسان
من صلصال كالفخار » ، ثم يوضح سبحانه
تمة تكوين الإنسان فيقول جل شانه :
« فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين » .

فالإنسان فيه عنصران : أحدهما دهرى
والآخر مادي . وقد اهتم الإسلام بفرية
هذين المنصرتين وحمايتهما مما يفسدهما
أو ينجسهما إلى طريق الشر والفساد ،
فإن اكتسبا وتجانسا فافسدا ، فنهض
بالإنسان إلى قمة الفضيلة ، فيستطيع أن يؤدي

في آيات الله في الكون وفي النفس ، يقول سبحانه : « وفي الأرض آيات للوقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، ويقول جل شانه : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم » ، « فلينظر الإنسان مم خلق » ، « فلينظر الإنسان إلى طعامه » ، إلى غير ذلك .

والنظر إنما يتم بالمعرفة الحرة وأعمال الفكر والاقتناع .

وفي كل هذا - إلى جانب حرية الفكر - جوانب أخرى لها قيمتها وشأنها في تشجيع البحث العلمي ووضع الخطط لمواجهته ، وذلك بما تعني به النهضة الحديثة في الأمم ، ومن ذلك أيضا فتح الميدان الفسيح للعقل والعمل في حرية وانطلاق للوصول إلى أقوم النمايات في الحياة ، وفوق كل هذا فإن توجيه نظر الإنسان إلى مظاهر الكون وآثار رحمة الله ونعمته هو أقوى باعث على إيقاظ الإيمان بالله والاعتراف بجهده وعظمته ، وله إلى جانب ذلك أثر آخر هو تنبيه الإنسان إلى ما في الكون من مواد وخيرات يستطيع أن يستخدمها في منفعة ومنفعة غيره فيعمل على الاستثمار والإنتاج مما يجب أن ينال اهتمام جميع الأمم والشعوب والجماعات .

٢ - وأما الإرادة فقد وجهها الإسلام إلى الخير في جميع صوره وأوضاعه كالإحسان والبر والتعاون والصدقة ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تضمنت أصول الفضائل ونبيل الخلال التي تكفل للأفراد حياة كريمة .

بين الناس بما أراك الله ، ويقول جل شانه : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا » ، ويقول سبحانه : « وما تفقروا من خير يوف إليكم » ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » ، إلى غير ذلك من الآيات .

والحق ينطوي على إشاعة العدل والمساواة والإنصاف .

والخير يستهدف المحبة والوفاء والعلاقات الطيبة بين الناس .

والمواطف دور هام في نشر الأخوة والتعاون والتراحم والمودة .

كل ذلك من الأسس التي يرتكز عليها المجتمع المثالي الرشيد ، ولو أن الأفراد والجماعات والشعوب حققت هذه المبادئ في صدق وإخلاص وحرم قوى لصف الحياة وعيس بين الناس أسباب الحقد والظلم والاعتداء ، واقتلعت من القلوب نوازع الشر والدمار ولطفرتا بالنظام المثالي الذي تنشده جميع الشعوب المحبة للسلام ، أو بالمدينة الفاضلة التي سعى المفكرون قديما للوصول إليها والتي تحاول الأمم المتمدينة الآن الوصول إليها فلم تنجح إلى الآن .

والإسلام يعني حماية كبيرة بأن يسمو بهذه الأهداف الثلاثة ، فيتم بترية الفكر وتنمية الإرادة وقرس نبيل المواطف .

١ - أما الفكر فأوضح سبيل لتنميته هو ما حث عليه القرآن الكريم من النظر

وربه ، وغير وقاية من شرور المطامع المادية ومطالب النفس الأمارة بالسوء .

وعلى قدر رقى هذه الناحية الروحية يكون رقى الإنسان وتكون سيطرته على نفسه وعلى ما سخره الله له من موارد الكون . لهذا كان من الواجب تنفيذ هذا العنصر ببواصير الخير والرحمة والحق والعدل والإحسان والبر والتعاون والإحسان العام الشامل ، وبذلك نضع الأساس القوي لبنا . المجتمع الرشيد والوصول إلى الأهداف المنشودة للحياة المثالية .

ثانياً - العنصر الجسدى :

وهو العنصر المادى الذى خلقه الله من مواد الأرض ومنها ينمو الإنسان وركب فيه الميراث التى يتطلبها نموه ونمو ذريته . ولجسم مطالبه الشهوانية المتعددة ، وهى مطية للشرا إذا أسرف فيها الإنسان وخسرج من حدود الاعتدال ، وقد سخر الله له ما فى الأرض جميعا وأباح له التمتع بالطيبات من الرزق الذى به الله ، على أن يسعى ويحصل عنه وأن ينفع نفسه ويبادل بنى جنسه النفع العام الشامل بلا أثر ولا استثناء .

وقد وضع الإسلام للجسم نظاما يكفل صحته ، وأحصى النصح إلى الإنسان فى طعامه وشرابه ليكون من الحلال الطيب ، وليجنب ما عصى أن يعود عليه بالضرر . يقول سبحانه : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، ويقول جل شأنه : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا

استمع إلى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » . الآية .

(البقرة ١٧٧) ، « أفن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الخفى كفى هو أحمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهدهم الآية (الرعد ١٩) ، « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . الآية ، (التحل ٩٠) . وقد أفلح المؤمنون . الآية ، (المؤمنون) ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » . الآية ، (الفرقان ٦٣) . إلى غير

ذلك من الآيات التى تتضمن أصول الفضائل كالعدل والوفاء بالمهد والاعتدال والإتقان والأمانة والعصبر واجتناب شهادة الزور وإعطاء الحقوق لمستحقها إلى غير ذلك

٣ - وأما الوجدان وما يتفرع منه من مواطن فقد قوى الإسلام رباطها وأحكم أواصرها بين الإنسان ووالديه وذوى قرباه وجاره البعيد والصاحب بالجانب ، وجعل المودة أساسا للرباط فى الأسرة ، ثم بين جميع الناس ، وكل هذا مما يجعل الحياة الإنسانية هادئة راضية مرضية .

هذه النواحي الثلاث هى الاهتمام للكيان الروحى للإنسان ، وهى فوق ذلك ورباط وثيق بين أفراد المجتمع ، ترشد أهدافه وتحقق التجانس بين عناصر الأمة وتكون عاملا قسويا فى رقيها ونهوضها . وهى فى مستواها الرفيع وسيلة الصلة بين الإنسان

زرع و طرح ومعادن ، وأزلفنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، ، وأزلفنا من الصلابة ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، ، وكذلك لكي يتمتع بجمال الحياة وبنعم الله التي لا تحصى ، وكل هذا إنما يكون بالعمل وبالجد . وقد وجه الله سبحانه نظر الناس إلى أن الظفر بخيرات الله إنما يكون بالسي ، يقول سبحانه : « قاموا في مناكبها وكلوا من رزقه » ، ويقول جل شأنه : « جعل لكم الأرض بأساطل لعلكم سلكوا منها سبلا لجاه » ، ويقول عز اسمه : « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش » .

ووجوب الانتفاع بالماء لا تكون لمن يجردها لحسب ، بل تنبه إلى مساعدة المعوزين والمساكين ، كما تنبه لمصلحة الأمة عامة ، وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي ويتم التعاون الذي يفخده الإسلام . والإسلام يمد المسلم في التجارة والزراعة جهادا وأجرا .

قال عليه الصلاة والسلام : (من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل) وقال صلى الله عليه وسلم : (سبع يجري العبد أجر من وهو في قبره بعد موته : (من علم حلا ، أو كرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصفيا ، أو ترك ولدا يستغنى عنه بعد موته) .

منه لحا طربا ، ويقول عز اسمه : « لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » ، ويقول سبحانه « يأبى الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ، إلى غير ذلك .

هذا هو التكوين الإنساني في ناحيته الروحية والمادية . وفي هذا التكوين قد أودع الله القوى التي تطلبها سعادة الإنسان وإننا نرى فيه جملة عناصر التراسم والتعاطف والتضامن والتعاون على غير المقاصد ، ونرى أيضا إرشاد الإنسان إلى جميع منابع الخير اللازمة لحياة . فإذا اتجهت هذه العناصر إلى الله بارئها سعد الإنسان ، وإذا انخرقت حل وضوى .

يبقى بعد ذلك أن يؤدي الإنسان - بهذا التكوين التكاملي - رسالته التي خلقها الله من أجلها .

فإذا هي أن تكون هذه الرسالة : رسالة الإنسان في الحياة :

قد حدد الله سبحانه غاية هذه الرسالة في قوله جل شأنه : « إلى جاهد في الأرض خليفة » ، وقوله جل شأنه « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيها آثامكم » .

ولكي يقوم الإنسان بمطالبة هذه الخلافة زوده الله بالمواهب التي تمكنه من أداء هذه الرسالة ، فأمدّه بالطاقة والفضل ، وجعله التصرف في الأرض وما عليها وما في جوفها لكي يعمر وينتج ويتفتح بخيرات الله من

وبصيرته من الاتجاه إلى تهذيب قلبه ،
وبصرته إلى المدون والصراع مع غيره فينبى
مقومات النفس المطلقة الراضية ، وبواحد
الخلق القويم ويحقق به العمار .

لهذا حث الإسلام على البذل والتصدق ،
ورغب فيما يوصل إلى كسبها ، ونظم السياسة
المالية لكي يتم الخير ويطلق الفقير ، وذلك
بأداء الزكاة بنسبة خاصة ، وقد أجاز أن يزيد
هذه النسبة إذا اقتضت مصلحة الأمة ذلك ،
وحث أيضاً على العمل وعلى السعى وعلى
الإنتاج والتصدير ، وكل ذلك لخير الإنسان
وخير المجتمع .

وكما جعل الله الإنسان خليفة في الأرض
جعل أيضاً مستغنياً فيما منه إياه من فضل
أو خير أو مال ، يقول سبحانه : « آمنوا
بأنه وروده وأنفقوا بما جعلكم مستغنيين
فيه » ، فالإسلام يمد الأغنياء حراماً على المال
وهو مال الله ورضاه به وهم مستغفون فيه .
والاستغناء ليس معناه الاكتناز
أو الاحتكار أو الاستئثار ، وإنما المقصود
منه نفع المجتمع وإعطاء المحتاج وإطعام
الجانح وممونة الموزين .

ولو سار الناس على هذا النهج في النظام
المالى وفي توزيع الثروة ومنع احتكارها
والعمل على تشجيعها والسعى في استخراجها
وتنميتها لظفروا وظفر المجتمع بخير كثير .

هذا هو الإطار الذى رسمه الإسلام للحياة

ومن أم أهداف الإنسان في رسالته
في الحياة المال ، فهو رمز الثروة والنفى ،
ولكنه سلاح ذو حدين ، فهو ضرورى
لمطالب الحياة ومعايش الناس غير أنه إذا
أسيء استخدامه ، فقد يتحول إلى شر وبال .
ولهذا قام الإسلام طليان المال ، ونبه
إلى الآفات والمضار التى تنجم عن المذلة
في حبه وجمعه واكتنازه دون تمكن المجتمع
من الانتفاع به أو تركيزه في أيدي فئة
الإقطاعيين الذين يتداولونه فيما بينهم دون
ضرم ، يقول سبحانه : « والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بمذاب أليم » ، ويقول جل شأنه
« كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

إن المال أو الثروة بصفة عامة هو السبب
الأول لما نراه من صراع الفسرة مع نفسه
وصراعه مع غيره : فإنه في صراع عديم
متأجج مع نفسه بسبب نزواته وميوله المادية
والشهوانية التى تقوده إلى حب الثروة والرغبة
في الننى إلى درجة جارية وهو أيضاً في صراع
مع غيره حبا في الاستحواذ والاستئثار ،
وإن الجسرى وراء المال لسد بهم النفس
واشباع تأجج الفسائر البهيمية ، وجه حبا
ملاذ الدنيا يوجه قلب الإنسان إلى ملاذ الدنيا
وشهواتها ومظاهر العرف ، ويضعف ما فيه
من سعى نحو سائر المقاصد وسعى المطالب ،
لأن انهماكه في إحراز المال يمتش بصره

الطمع كيانها ويشير شبح الحرب المظلمة
 الفاضحة مخاوفها ، ويرزول أقدامها ، وكل هذا
 مرجعه : إما إلى الطمع الذي يدق الأعناق
 أو الاستغلال الذي يطحن على العقول ، أو
 حب المال الذي يسمى البصائر والأبصار ،
 وإما إلى القلوب التي قست على الإنسانية
 المصيبة وخطت من التعاطف وضعت من
 طريق الحق والخير ، وإما إلى الاثنين معا ،
 ولقد حاولت هذه الدول ، بعد أن ذاق
 وبال أمرها ، أن تصلح ما جنت يداها أو
 ما جناه حكمها وورثاؤها ، وأن تخرج للعالم
 بمبادئ ظنت أنها تقشر الحرية والإعلاء
 والمساواة ، ولكنها لم تلبث أن تنكرت
 لهذه المبادئ ، وتسرعت لها ، ولم تحقق منها
 شيئا ، فاستعبت الأحرار ، وأذلت الضعفاء
 العزل من السلاح ، أو الدين جردتهم من
 القوة في جميع مظاهرها ، وبذلك تحولت
 مبادئها إلى شر صارخ : فصاربت الحرية
 التي تطبقها على الشعوب استعبادا ، والمساواة
 إذلالا ، والإعلاء ظلما واعتداء ، ومرجع
 كل هذا إلى أن القرية الررجية الخفة في هذه
 الدول الاستعمارية لم تتل عناية أو اهتماما ،
 وأن حب الخير لا يحطر بياها إلا إذا كانت
 المخائمين لها وحدها ، واستولت منها على
 القسط الوفير .

فلترك هذه الدول سادرة في غاراتها هائلة
 في ضلالها منها لكة في صراخها إلى أن توقظها
 الأحداث الصاخبة ، وتصدعها تيارات الحرية

المثالية ، وهو إطار يكفل الشعوب والحجرات
 والأفراد الخير وإنشاعة العدل والمساواة
 وبث التراحم والتعاطف والقضاء على الفقر
 والتخلف ، ويضع الأساس الثمين لفرد
 والكرامة التي تشهدا الإنسانية .

وقد أثبت هذا النظام الإسلامي نجاحا
 فعالا في الهوض بالمسلمين إبان حصول
 الازدهار العربي : فقد كان الرقي شاملا والعلم
 ساطع الضوء يقبض منه القاصي والداني ،
 وكانت العواصم العربية عظم الرجال ومقعد
 الآمال ، وكل ذلك بفضل ما في الإسلام ومبادئه
 وتوجيهاته من روح كانت أقوى حافزا على
 السير بالحياة وبالجماعات في ظلال العدل
 والمساواة والإعلاء والمودة والرحمة ، وكانت
 الحضارة الإسلامية منبع الإشعاع لجميع
 الشعوب وسائر الأمم على اختلاف أجناسها
 وكان الأمن وأروق الظلال ، والحرية مكفولة
 للجميع على اختلاف العقائد والمستويات .

فهل يعود للسلمين مجدهم ؟ ومتى ؟ وبماذا ؟
 ولكن نحمد للإجابة عن هذه الأسئلة بحمل بنا
 أن نلقى نظرة مابرة على الشعوب على اختلاف
 درجاتها في التقدم أو التخلف ، ثم نفود
 إلى الأمة الإسلامية لنرى حاضرها ، ثم نتطلع
 إلى ما نأمل لها من مستقبل مشرق زاهر .

١ - أما الدول التي تسمى التقدمية وهي
 التي ترى أنها قطعت شوطا بعيدا في المدنية
 فإنها لا تزال بتفشي الفلج في أنحائها ويهدد

الآثم بالتضامن والتعاون على الخير والبر والنهوض ، فإنه لا يفل الحديد إلا الحديد ، ولتعمل هذه الشعوب على أن تكون جبهة تستهدف الخير والعدالة الاجتماعية وتحقق الحرية والكرامة ، هذا إذا أرادت لنفسها الانطلاق بالسر في ركب الحياة النامية المزدهرة ، وإنهم - بعون الله - إلى هذا متجهون وعلى الطريق السوي سائرون وسيظفرون بكل خير إن شاء الله عما قريب .

٣ - وأما الشعوب الإسلامية والعربية فقد ظلت كذلك أحقاباً طويلة بقود الاستعمار والحكم الأجنبي زمامها ويقطع أوصالها ويفرق كلمتها ، ويخذ أنفاسها حتى انتابها الضعف وكادت تنسى مجدها الماضي وقدت كثيراً من الصفات النيرة التي نفاها عليها الإسلام ومبادئه من القوة والكرامة والخلق الكريم ، ولكنها الآن قد هبت من سياستها وجرت في عرونها السماء الزكية ونهضت تحضرها ذكريات عظمتها الماضية وبمجدوها شعورها بما كان لها من مكانة مرموقة .

وإن أقوى ما تسند إليه لتستعيد مجدها وتسترد مكانتها هو أن تنهج إلى المنابع الثلاثة التي أوحشناها قتل من موردها العذب الصافي ما تغذي به مافي النفس الإنسانية من عناصر الخير والحق والتعاطف من أصول الفطرة السليمة ، ثم تنهج بعزم وقوة إلى تحقيق الرسالة التي حملها الله للإنسان وهي أن يكون خليفة في هذه الأرض ، وذلك

واليقظة التي همت جميع الشعوب الناهضة ، وحينئذ يعود إليها صوابها وتسير طائفة أو مرغبة في طريق الحق والخير .

٢ - وأما الدول المتخلفة فقد ظلت تحت نير الاستعمار زمناً طويلاً احتس فيه ثروتها واستنزف خيراتها واحتكر منابع الخير والقوة فيها وأشاع فيها الجهل والفقر واستخدمها مطية لمآربه ، فأصبحت عرومة من الكسفاف الذي يقيم الأود ، وكادت تفقد الشعور بإساقنتها وبحقها في الحياة وفي الحرية وفي التكريم ، وهذه الشعوب ترى الآن خيراتها قد أصبحت تهباً للمستعمرين وللمستغلين ومن يسير في ركابهم .

ومنشأ هذا الذي صارت إليه هذه الشعوب إما الضعف والتعاون وإما الترابي تحت أقدام المستعمرين وأهوائهم وتعليمهم الزمام وتمكينهم من ثروة البلاد ومن هذه الشعوب دول متخلفة ، ومنها دول نامية مطلقة للرفق واشتكال وسائل الحياة بمد أن تحررت من رقة الاستعباد ، ومنها دول أخذت بحظ نصيب من النضج ، والواجب على جميع هذه الشعوب أن تضامن وتوحد وجهتها وتجمع أمرها وتقف صفواً واحداً في وجه المستعمرين والطامعين ، فإن المستعمرين إنما يتمددون - إلى جانب القوة - على تكتلهم ، ويحمون أنفسهم بتعاونهم على الإثم والعدوان ، على الرغم من اختلاف نزعاتهم وتباين مقاصدهم فلنقابل هذه الشعوب المتخلفة ذلك التعاون

الروحى للإنسان ولكنها ناحية لا تقوى
السلطات أو القوانين الوضعية على أن تشكل
بنائها وتعمل صرحها وتثبت أصولها
في القلوب الإبرازع نفسى من الأفراد والجماعات
ويباعد من أعماق ضمائرهم ، وصفاء من
قلوبهم ، ومؤازرة غلظة حادثة من المشرفين
على شؤون الزرية وإعداد الشباب وإرشاد
الجماعات ، وتثبيت إيمانها وبقيتها بالله ، وهذه
الناحية هي (الخلق القويم والضمير السليم) .
فذلك هو الذى يتأى بالأفراد عن الانحراف
عن الجادة ، ويمنهم الرذائل المردية ، مثل
الفش والرشوة وفساد النعم والفتاوى فى أداء
الواجب والاعتناء الناشئ والحركات الهدامة
والحياة ومختلف الجرائم ، ونحو ذلك من
الرذائل التى تعمق الأمم عن بلوغ الكمال .
وإن الأمل عظيم فى المشرفين على إعداد
الناشئين وتربيتهم ، والقائمين على تقويم
الغيباب وإرشادهم أن يعملوا على تثبيت
المبادئ السليمة القوية فى نفوسهم ، وأن
يعمروا قلوبهم بالإيمان ويملئوها بنيل
الحلال وكريم الحلال .

إنهم إن فعلوا فقد أسهموا بالحظ الأوفى
فى الإصلاح المرجو والنهوض المنشود .
 والله نسأل أن يمد خطانا ويهدنا
إلى طريق الحق والخير والإرشاد .

عبد الحميد مسعود

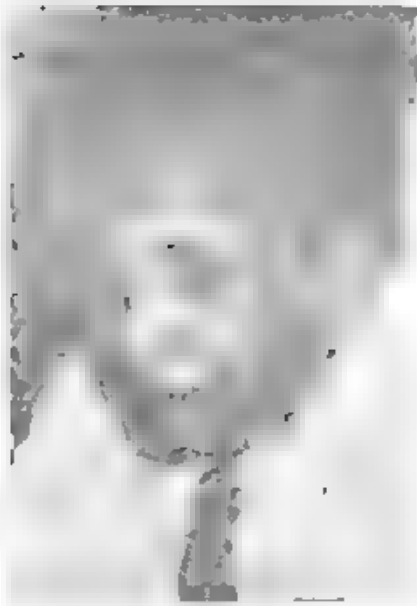
عضو مجمع البحوث الإسلامية

بالاهتمام بالإنتاج والتميز واستغلال ما
فى الوطن العربي من خصب ، ومن بذور الخير
ومن منابع الثروة تدور الفاء والبركة على جميع
الشعوب العربية وعلى غيرها من أصدقاء
العروبة وأبناء السلام ، وبأن يوثق العرب
عرا التضامن والاتحاد بينهم حتى يحققوا
قول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا » ، وبذلك تتوحد كلمتهم ،
وتتضح معالم أهدافهم ، ويسهرون فدما نحو
الحرية والكرامة والأمن والعدالة وإقامة دمام
الحياة على الأسس الحكيمه القوية السليمة .
وعما يبشر بالخير ويملأ القلوب ثقة وأملا
أن الشعوب العربية - وفى طليعتها الجمهورية
العربية المتحدة - قد عقدت المزم بعون الله
على أن تسرد حقوقها وتستعيد أجدادها ،
وقد أخذت فى الأسباب الكفيلة بتحقيق
أهدافها المنشودة ، وقطعت مراحل مباركة
موفقة فى هذا السبيل : لحققت العدالة
والمساواة وقضت على الاحتكار والاحتلال
بشق الوسائل ، وهى سائرة على بركة الله
وبعموته فى طريق الازدهار والتقدم بخطى
سريعة وعاطمة جهدها على النهوض بالأفراد
والجماعات وعلى الإصلاح الشامل فى جميع
مرافق الحياة .

ويهدد بنا فى هذا المقام أن تنوء بناحية لما
خطرنا وأثرهما القوي فى إصلاح الأفراد
والشعوب ، وهى دمامة متينة فى التمسكون

العفو في الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد مهدي علام
"عضو الجمع"



الدكتور محمد مهدي علام

المذهب إصلاحاً نفسياً بعيداً إلى المجتمع الذي يعيش فيه حضواً سليماً ، بل وإياحياً ، فكل وسيلة شريفة تحقق ذلك الغرض تكون حقوبة أو تحمل محل الطهيرة ، والعفو - في بعض الأحوال - يحقق هذا الغرض لذلك كان العفو صورة من صور العقوبة .

غير أنه لا يعزب عن بالنا أن العفو علاج غير مأمون إلا في اليد الحازمة ، فله نفوس خاصة ، وذنوب خاصة ، وظروف خاصة ، وإذا أسيء استخذه أو أسرف فيه كان

مهم :

الغرض من العفو :

إن البحث في الغرض من العفو يدهونا للبحث في الغرض من العقوبة ، وحسبنا أن نذكر هنا أن المشرعين قد ارتأوا في العقوبة آراء مختلفة يمكننا أن نرجعها إلى مذاهب أربعة :

١ - العقوبة الانتقامية : ويرى دعايتها أن الجاني ينبغي أن يتألم جزاء ما اقترفت يده .

٢ - العقوبة الرادعة : ويتأدى أصحابها بأن الغرض من العقوبة هو كف المجرم عن المود للإجرام .

٣ - العقوبة الواظفة : ويرى أصحابها أن غاية العقوبة وعظ الناس ، الذين لم يجرموا بعد ، حتى لا يقتفوا في الإجرام .

٤ - العقوبة المصلحة : ويرى دعايتها أن العقوبة ليست إلا علاجاً للمجرم نعالجه بها ليبراً من حالة نفسية شاذة ، هي ما يسمى عادة بالإجرام .

وأحدث ما وصل إليه علم الأخلاق هو الأخذ بمذهب الإصلاح في العقوبة - بل هذا المذهب أخذ بعض المشرعين حديثاً في كثير من البلاد ومن بينها الجمهورية العربية المتحدة . وإذا كان الغرض من العقوبة هو إصلاح

٤ - ... علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم كتاب عليكم وعفا عنكم ، البقرة : ١٨٧

٥ - « وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . »

« وقتلوا حيث تقتضونهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه فإن قاتلكم فاقتلوا كذلك جزاء الكافرين . »

« فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . »

« حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين الشهاب الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . » البقرة : ١٩٠ - ١٩٤ .

٦ - « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حلیم . » البقرة : ٢٢٥ .

٧ - « وأن آمنوا أقرب للقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، إن الله بما تعملون بصير . » البقرة : ٢٢٧ .

وبعد أن يسوق الباحث آيات العفو في الكتاب الكريم يقول : وقد هدانا لهذا إلى النقط الآتية :

١ - أن العفو ليس أصلاً في المعاملة بين الناس ، لأنه قدر زائد على العدالة ، بل هو ظلم بالفعل : ظلم المراء نفسه بالتجاوز عن حقه ، وإنما سمي هذا الظلم « عفواً » لأنه

جناية محقة ، لهذا جاء الإسلام بالعقوبة والعفو جميعاً ، ولكنه لم يأمر بالعفو أمراً وإنما ندب إليه ندباً : مكن المعتدى عليه من الدفاع عن حقه ، ولكنه أوصاه بالسماحة والعفو بدلاً .

وقبل أن أدلي بما استنبطته في هذه النظرية أسوق الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر العفو في القرآن الكريم ، فهي مادت في الاستنتاج وعمادي في البحث (١) .

١ - « ثم عفووا عنكم من بعد ذلك لعلمكم تشكرون . » البقرة : ٥٢ .

٢ - « فاعفوا ، واصفحوا ، حتى يأتي الله بأمره . » البقرة : ١٠٩ .

٣ - « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل : الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والاثني بالاثني ، فمن عني له من أخيه شيء فانباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان . ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلمكم تتقون . » البقرة : ١٧٨ - ١٧٩ .

(١) ولقد انحصرت هنا على الآيات التي هي من موضوعنا ، تاركاً عشرات من الآيات التي ذكر فيها العفو لأكرار عرضها ، ولكن ما تركت لا ينطفئ في لفظه أو معناه عما اقتضيت . وقد حرصت على أن اجس الثلاث الآيات التي يبدو للظن الأول أنها لا تسير إحدى نواحي النظرية ، ثم حاولت ثلاثة بينها وبين سائر الآيات ، (راجع الفقرة السادسة من النظرية) .

غافر ٣، ٥٥. وإذا ما غضبوا هم يغفرون ،
الشورى ٣٧ ، والذين إذا أصابهم البغي هم
يقتضرون ، ويجزوا سيئة سيئة مثلها ، فن عفا
وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولئن
انتصر بعد ظاله لأولئك ما عليهم من سبيل ،
الشورى ٣٩ ، ٤١ ، ولئن صبر ، وغفر ،
إن ذلك لمن عزم الأمور ، الشورى ٤٣ .

(وانظر كذلك - البقرة ٢٨٤ ، آل عمران
١٢٩ ، المائدة ٣٩ ، ٤٠ ، الأعراف ١٥٦ ،
١٦٧ ، الأنفال ٢٥ ، ٢٩ ، الحج ٦٠ ،
الأحراب ٢٤ ، صبا ٥٠ ، محمد ٤ ، الفتح
١٤ ، الحديد ٢٠ ، ٢١ ، الحشر ٤ ، ١٠ ،
التحریم ٨ ، ٧ ، البروج ١٢ ، ١٤) .

وبعد فهذه آيات صريحة في أن للعقوبة
مريضها ، وللعفو موضعها ، وهي كذلك
صريحة في أن كفة العفو أوجب ولا شك
أن هذه الطريق الوسط بين العقوبة والعفو
أشكل بالحزم ، وأدعى إلى السلم والأمان ،
فلو شرعت العقوبة وحدها لمالات الإحسان
القلوب ، وتمكنت الحفائظ من الصدور ،
ولو شرع العفو وحده لسادت الفوضى ،
واستشري الجرمون ، بل لو شرع العفو
وحده لكانت النفس أميل إلى الزهد فيه ،
والتبرم به ، فليس في طبيعة الإنسان أن
يتخلى عن جميع حقوقه ، في جميع الأحوال .
٢ - ولننظر مرة أخرى في تلك الآيات
فسنرى أن العبادات التي استخدمها القرآن

اسم جميل ، لهذا العظم النبيل ، من أجل ذلك
لم يفرضه الله تعالى ، بل رغب فيه ، ونادى
إليه بوساطة شق ، وآية ذلك أنه - عز
شأنه - شرع العقوبة ، حتى يشعر المرء بأن
حقه مصونة . وفضلا عن المواضع الخاصة
بذكر العقوبة ، قد كرر القرآن مشروعيتهما
مع كثير من آيات العفو ، ليلقى الطمانينة
في قلوب العباد على أن مصالحهم مرجية ،
وليكون عفوهم إذ ذاك سمحة خالصة ،
لا طاعة مزيفة . وحسبنا أن نذكر هنا بعض
الآيات التي ورد فيها ذكر العقوبة مع العفو ،
ثلاثة قبله ، وثلاثة بعده ، وثلاثة قبله وبعده
جميعاً : • كتب عليكم اقتصاص في القتلى ...
فن عفا له من أخيه شيء ... البقرة ١٨٧
• عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ،
والله عزيز ذو انتقام ، المائدة ٩٥ ، اهلوا
أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ،
المائدة ٩٨ ، فإن كذبوك نقول ربكم ذو رحمة
واسعة ، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ،
الأنعام ٩٤٧ ، إن ربك سريع العقاب ،
وإنه لغفور رحيم ، الأنعام ١٦٥ ، وإن
ربك لا يؤمنفرة لناس على ظلمهم ، وإن ربك
لشديد العقاب ، الرعد ٥٦ ، نبى ، عبادى أنى
أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب
الاليم ، الحجر ٤٩ ، ٥٥ ، وإن طافتم
فماقبوا بمثل ما هو قبتم به - ولئن صبرتم لهو
خير للصابرين ، النحل ١٣٦ ، غافر الذنب
وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول ،

آل عمران ١٨٦. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، ويهدأون بالحسنة السيئة ، أولئك لم يعق الله : جنات عدن يدخلونها ... سلام عليكم بما صبرتم قتم عني الله . الرعد ٢٢ - ٢٤ . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . النحل : ١٢٦ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويهدأون بالحسنة السيئة ... وإذا سمعوا القرآن أهرضوا عنه الفصص ٥٤ - ٥٥ ، « إنما يرفى الصابرون أجرهم بغير حساب . الزمر : ١٠ ، وما عند الله خير وأبقى الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، الشورى : ٣٦ - ٣٧ ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا . الحشر : ١٠ (وانظر كذلك الحج ٣٤ - ٣٥ ، الفرقان : ٦٣ ، السجدة : ٥٨ - ٥٩ ، الشورى : ٤٠ ، ٤٣ ، المنتحة ٧ ، الثعالب : ١٤ ، البلد : ١٧ - ١٨) .

٣ - وإذا دوسنا الآيات التي جاء فيها الغفر بصيغة الأمر ألقيناها جميعا إلا ثلاث آيات (البقرة : ١٠٩ ، وآل عمران : ٢٠٠ والنحل : ٩٠) مشتركة في هذه الصفة ، وهي أنها ليست خطابا مباشرا بل هو للناس الذين يغلب أن يشور في نفوسهم روح المعاضة والعتاد ، إذا أمروا بالتجاوز عن حقهم في القصاص ، فيصمم ذلك عن إدراك حكمة

الكريم في الغفر مفرية به . حرصة على تقريبه إلى القلوب ، بما يؤيد ما قلناه من أن الشارع الحكيم يهبط فيه ، أولا ، وثانيا : أنه يفسر بأنه ليس انجما طبيعيا من المظلوم نحو ظالمه فقد وصف الله تعالى نفسه بالغفور ، ووصف به رسوله الكريم وطالبه به ، ووصف به كذلك المقربين من عباده فوضع بذلك مثلا عليا أمام عباده يتدون بها من غير الزام .

ولو سلم الله أن النفس البشرية تميل بطبيعتها إلى الغفر لأمر به أمرا ولكنه جل تنزه . يعلم أن في الطبيعة البشرية ألا تأمر أولا ، وألا تأمر بما تشعر بأن فيه مجاوزا عن حقا ثانيا ، لذلك لم يأت الغفر بصيغة الأمر إلا قليلا ، تحاشيا لإثارة روح العناد الخبيثة في نفوس البشر ، وإنما جاء في أروع ما يتعلق به الأساليب المرغوبة التنادية :

« وأن تصفوا أحرب التقوى ، ولا تلهوا المضل بينكم . البقرة : ٢٢٧ ، « إن تحسبكم حسنة تؤثم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، آل عمران : ١٢٠ ، « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورجة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاملين الغيظ ، والمافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ ، « وإن تصبروا وتتقوا ، فإن ذلك من عزم الأمور . »

وفي الأخرى أمر عام كذلك بالإحسان إلى جانب الأمر بالعدل. ونحن نرى أن ورود الأمر في هذه الصورة العامة - لاني صورة عامة بالأمر بالمغفو من سوء، كما ورد ذكر المغفو في الآيات الأخرى - أبعد من إثارة النفس للعناد ومقاومة الأمر. لأن النفس لا تذكر إذ ذاك إساءة وقعت عليها تشعر بشهوة الانتقام لها، كما كان يحدث مثلاً لوجهات آية النحل ١٢٦ على الصورة الآتية: «وإن طائفتهم فعاقرها بمثل ما عوقبتهم به» ولكن اصبروا فهو خير الصابرين» تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً». ولقد تفرينا وجامعة هذا التحليل بمصل آية البقرة، عليه، ولكن صراحة الفاعلها - على الرغم من غياب ذكر الإساءة أو العقوبة فيها - تدعونا إلى تلمس تقليل آخسر، وبغضيل إلى أنه قصد بهذه الآية أن ترد هكذا فريدة لتنبه الناس إلى شدة العناية بالمغفو والأخذ به، حتى لا تكون جميع آيات القرآن عالية من صيغة الأمر، موجهة إلى جمهور الأمة. فإذا قرئت هذه الآية بفهمها من آيات المغفو، استخرج الناس من المجموع المرعى السامى الذى روى إليه الشارع: من أن المغفو مرغوب فيه، وإن لم يكن مأموراً به. إن علينا تدبر في هذا المعنى ما رواء معاذ بن جبل، قال: «لما بشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن قال: ما زال جبريل عليه السلام يوصينى بالمغفو، فقلوا على باق لظننت أنه يوصينى بترك الحدود».

المغفو البالغة، بل كان الأمر فيها موجهاً لمن طهرت قلوبهم من خبث التعصب للنفس والعناد، أعنى للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، أو لصديقه الصديق أبى بكر وعمر، أو لفتنة معينة وإن كانت غير محدودة من المغربين من عباد الله تعالى. ولا بد أن نفكر إلى أن هذه الطائفة تركه غير محدودة إطلافاً لكل امرئ أن يكون من بينها.

٤ - ين أن ننظر في الآيات الثلاث التى ورد فيها الصقح بصيغة الأمر في خطاب الأمة وهي قول الله تعالى: «فاغفروا، واصفحوا، حتى يأتى الله بأمره». البقرة ١٠٩، «يا أيها الذين آمنوا اصبروا، وصابروا، ورابطوا وانقروا الله، لعلكم تفلحون». آل عمران ٢٠٠. «إن الله بأمر بالعدل، والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر، والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون». النحل ٩٠. ونريد أن نقرر هنا أولاً أن آية واحدة منها (آية البقرة) هى التى ذكر فيها المغفو بلفظه الصريح، بل وبمرادفه النصيح أما الآيتان الأخرى، ففي إحداهما أمر بالاصبر بصفة عامة مما يشمل المغفو وغيره. قصد يكون الصبر على مكواه لاجمال للمغفو فيها (١).

(١) يلاحظ أن استعمال «الصبر» في هذه الآية ليس صريحاً في معنى «الصبر» صراحة استعماله في عشرات الآيات الأخرى التى يذكر فيها الصبر بمقتضى المعنى واحتمال أدنى للصبر الخ.

التأكيد والكلام لا تملك إلا الحكمة بلاغية
ومنا علم المشرح بأن السامع يطلب ألا
يلتقي هواء مع موضوع الكلام ، ورغبته
- رغبة المشرح - في زيادة التنبيه على الصغ
ونعسينه ، والتدب إليه ، ليشير ذلك التأكيد
في نفوس الناس الذين قد يسمو على بعضهم
ويمر هذا (الظلم النليل) .

• كتاب عليكم ، وحفا عنكم ، البقرة ١٨٧
• وأن تصفوا أقرب للتقوى ولا تنفوا
الفضل بينكم ، البقرة : ٢٣٧ ، والكافين
الفيض ، والمافين من الناس ، آل عمران : ١٢٤ ،
• فاعف عنهم ، واصفح ، المائدة : ١٣ ،
• عذ عفوا ، وأمر بالعرف ، وأعرض
عن الجاهلين ، الأعراف : ١٩٩ ، • والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم .. ويدعون بالحننة
السنية ... سلام عليكم بما صبرتم ، الرعد ٢٢ ،
• ٢٤ • فاصفح الصفح النبيل ، الحجر : ٨٥ ،
• وليعفوا وليصفحوا ، النور : ٢٢ ، وإذا
ما غضبوا هم يغفرون ... فن عفا وأصلح ، •
• ولين صبر وغفر ، القدرى ٢٧ ، ٤٣ ،
• قاصبر كما صبر أولو الدرم ، الأحقاف ٢٥
• • وإن عفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا ،
التناب : ١٤ ، • قاصبر صبرا جميلا ،
المارج : • • • • • واصبر على ما يقولون ،
واجزم همرا جميلا ، • • • • • المزمل .

واظر كذلك : أربعة وأربعين آية
أخرى لا يحتاج للبحث عن التأكيد فيها إلى
كبير جهود ،
محمد مهدي عسوم

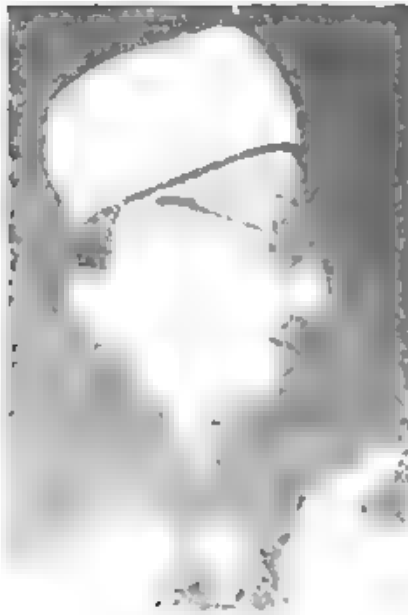
على أن لنا في هذه الآيات الثلاث تأويلا
نقله في التعبير البلاغى ، لافى التحليل
الفلسفى . فالأمر كثيرا ما يأتي لغير الإلزام .
وفي القرآن من أساليب العرب . فلا مانع من أن
يكون الأمر قد ورد للنصح والإرشاد أو
التدب ، أو للإباحة أو التحجير ، على مثال
الأمر في قوله تعالى : • فكاتبوا إن علمتم
لهم خيرا • وقوله : • فإذا حللتم فاصطادوا •
• وقوله : • فإذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الأرض وابتغوا من فضل الله • وقوله :
• وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط
الابيض من الخطيط الأسود من الفجر • .

• - وهذه ظاهرة أخرى تتأرجح آيات
المعفو امتيازاً يزيد نظريتنا تأييداً ، من أن
الشائع الحكم كان عليها بأن المعفو قد
زائد على العداة • أو كما سميناها هو • ظلم
نبيل ، لا تميل إليه النفس ميلا طبيعيا •
فتحن نرى أن القرآن إذا عرض للمعفو ذكره
في عبارات مطلبة مؤكدة (١) : بالترادف ،
أو المفعول المطلق ، أو لام التوكيد ،
أو التثنية أو التذييل ، ونحو ذلك . وسنيل

(١) جدير بنا أن نلاحظ أن التوكيد للصاحب
لآيات المعفو في القرآن الكريم ليس منصوبا على
التوكيد المعنوى . بل هو يشمل كذلك الأساليب
البلاغية التوكيدية إلى جانب ما أسماه (بالتوكيد
الصرفى) وهو التوكيد بالصيغة الصرفية كاستعمال
صيغة المبالغة بدلا من صيغة اسم الفاعل لما والصغ
الأول من دلالات التأكيد التى تخلو منها صيغة
اسم الفاعل .

القرآن في التربية الإسلامية

لصاحب الفضيلة الأستاذ نديم الجسر
"عضو المجتمع"



الأستاذ نديم الجسر

وقد أهدى الباحث رسالته في ثمانية فصول لتكون منهجاً كافياً لاستيعاب بحثه حتى يمكن أن يفهم الأخلاق والأوامر والنواهي والمخطئ والمحتاج وطرق الإلزام التي وصفها القرآن في التربية الإسلامية . . . وعلى ذلك كانت فصول البحث :

- ١ - الإنسان ، المراد تربيته .
- ٢ - بعض الحقائق العلمية في علم النفس والقرية .

يعتمد هذا البحث على كثير من الحقائق العلمية التي يقررها علم النفس، وعلم وظائف الأعضاء، ليعطي صورة واضحة عن الإنسان، في تركيبه العضوي وبيئته شافياً عن كثير من غرائزه وميوله وعاداته موضحاً خطر الجهاد المصبي من بين الأجهزة التي يتكون منها الإنسان .

وتعتبر تلك الحقائق كقائمة يقرر بعدها الباحث نهاية القرآن بالإنسان وتفصيلاً وافياً لميوله وغرائزه وعاداته التي سبق بها القرآن الكريم علم النفس بقرون أربعة عشر، وأدلى بها أكثر تفصيلاً وشجلاً ، وأوحى تربية ، وأحرم أسلوباً غيبي من العلم الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه .

وقد عنى الباحث بمرض نماذج من مكارم الأخلاق التي دعا إليها القرآن . كما أشار إلى غيرها بما تضمنه ، معباً ذلك بتفصيل واف للبادئ العامة والخاصة التي تركز عليها أساليب التربية في القرآن والتي صارتها المسلم على بيئة من عدى الله وسعة من خلق القرآن ، وتمتع بحرية لا ضرو فيها ولا ضرار .

الحائق وحكته أو يترك كالأعمى لا يكاد يفرق بين الحق والباطل والنور والظلام .

أما القرآن فقد استكمل طرق الإلزام حين أحدهما ، وتوعها ، وشجعها وفصلها وسلطها ، أول ما سلطها على عقل المؤمن ، ثم على قلبه وشعره ، ونفسه ، وغرائزه ، وطباعه ، وجسده ، فانتزع الدواء من مكنى الداء ، واستثار القوة من مركز الضعف ، وشمل بهذا الإلزام الكبائر والصغائر والأخلاق والآداب وفصل أبواب الترهيب والترغيب في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة ، وجعل الفرد وقبلا على نفسه وعلى المجتمع ، وجعل المجتمع وقبلا على الفرد ، وأشد للأسلم لمحرك الحق والخير ، في عقله ونفسه ، وصراع الحياة في جسده فتمت بهذا الاستكمال لطرق الإلزام كلة وبك صفة وعدلا وعلا ورحمة وإحسانا في قوله للسليمان : اليوم أكلتكم لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورحمتي لكم الإسلام ديناً . ولا كمال لدين لا تكتمل فيه طرق الإلزام ، وطرق الإلزام التي وضعها القرآن فكاد ، هند المحصى لها ، تنحصر في ستة أنواع :

- ١ - الإلزام بوازع العقل .
- ٢ - الإلزام بوازع الشعور .
- ٣ - الإلزام بوازع الترهيب والترغيب .
- ٤ - الإلزام بوازع الكمارات .
- ٥ - الإلزام بوازع الرأي العام في المجتمع .
- ٦ - الإلزام بوازع السلطان .

٣ - الغرائز والطبائع والميول في القرآن .

٤ - الأخلاق في القرآن .

٥ - مبادئ عامة من القرآن تركز عليها الترية وطرق الإلزام .

٦ - الأخلاق بين الغرائز والعقل وحرية الإرادة في القرآن .

٧ - مناهج وأساليب الترية والتوجيه في القرآن .

٨ - طرق الإلزام في القرآن .

ونقدم من هذه الفصول الفصل الآخر وسينشر البحث كاملا في الكتاب السنوي للجمع .

طرق الإلزام في القرآن :

من أعظم مزايا القرآن على غيره من الشرائع استكمال (طرق الإلزام) أي إلزام المكلف بتصديق ما قرره من الحق ، وتنفيذ ما شرعه من الأحكام ، والاختصاص بما وصى به من مكارم الأخلاق ، والمعروف مما نهى عنه من مساوئها .

ولسنا ننكر أن الشرائع القائمة على الأرض اليوم تنطوي على الإلزام ، ولكنه إلزام سطحي ناقص ، يقف في بعضها عند حدود الجرائم ولا يتناول الأخلاق ، ويقف في بعضها عند نوع من الوعيد بمذاب الدنيا دون الآخرة ، ويمد في بعضها باب الاقتناع العقل ، فينتهي الأمر بالمكلف إلى أن يتممه له طريق الفرور ، أو يتغلق عليه باب الأمل والرجاء ، أو ينفخ له بلب الشك في صمد

الإلزام بوازع العقل :

من البديهي أن يكون الإلزام بوازع العقل أول طرق الإلزام وعمادها في شريعة منزلة من الحكيم الرحمن ، وهذه البداية مؤيدة بمقتضى بديهية أخرى يأخذ بعضها برقاب بعض في سلسلة مترابطة الحلقات ذكرها القرآن :

فالقرآن الذي بين أن الله إنما خلق الناس ليعبدوه ، وأنه يريد أن يتلهم أيهم أحسن عملا ، هو القرآن الذي بين أن الله خلقهم أحرارا ، وبين أن لا إكراه في الدين وهو الذي أكثر من ذكر البراهين العقلية ، كما سبق البيان وأكثر من ذكر الحكمة في كثير من العبادات والمعاملات ، والأوامر والنواهي وهو الذي بشر من يؤتي الحكمة بالهدى الكثير ، لذلك كان الاقتناع العقلي بصحة القضايا العقلية ، وبفائدة المبادئ ، والأحكام والتكاليف والأوامر والنواهي ، أول ضرب من ضروب الإلزام .

ولكن هذا الإقناع العقلي الحر الذي أمرنا به القرآن لا يجوز أن يطنى إلى حد القنود الذي يجعلنا نخلط بين المستحيل عقلا والمستحيل عادة ، فالمستحيل عقلا لا وجود له أبدا في شيء من حقائق القرآن وأحكامه وأخباره ، أما المستحيل عادة فلا يجوز أن يبنى عليه الإنكار لأنه داخل تحت قدرة الله بل تحت قدرة العبد أحيانا ، كما رأينا في أمور كثيرة كنا نعدها مستحيلة في العادة ، ثم تمكننا منها بطريق العلم ، والأمثلة كثيرة ، وآخرها هذا الوصول إلى القمر .

وكذلك تقول عن شك البعض في حكمة التكاليف : فإن حكمة كثير من التكاليف ظاهرة بالنص ، أو بما تحت النص من طرق الاستنباط العقلي ، فلا يجوز لنا في بعض الأمور العقلية ، التي لا نذكر حكمة ، أن ننكر قطعها ، بل علينا ، كما أمرنا أن نحمل المتعاضد على الحكم ، ونحمل القليل الذي خفيت حكمته على الكثير الذي ظهرت حكمته وينفضنا في هذا الباب أن نضع نصب أعيننا الآية السابعة من سورة (آل عمران) والآيات التي وودت في (سورة الكهف) من ٦٦ إلى ٨٣) عن قصة موسى مع العبد الصالح الذي علمه الله من لدنه علما ، لكي تعلم ، بدورنا ، الصبر على ما لم نخط به خبرا ، وعلى ما لم نستطع عليه صبرا .

الإلزام بوازع الضمير :

إن الذين يكفهم الإلزام بوازع العقل هم الفئة من العقلاء المحسكة المفكرين الذين يصدقون الله لأنه يستحق العبادة ، ويعطيون أوامره لأنها ، بذاتها ، تستحق الطاعة ، أما الكثيرة من الناس فلا يكفهم وازع العقل ولكن ينفع معهم وازع الضمير . وهو من أعظم الرواسخ ، ولا سيما في الذنوب التي لا تهايد المدالة الأرضية ، والعيوب التي لا تراها أعين الناس ، وقد ذكره القرآن ، كما علمت ، على العقل وعلى الرقابة الإلهية ، والحرف على النفس والأولاد والأموال في الدنيا ، وعلى الحرف من عذاب الآخرة

وعلى وكثير آخرى سبق بيانها وتفصيلها آنفاً
في تربية الصغير .

الإلزام بالترهيب والترغيب :

لقد سلك القرآن في الإلزام بالترهيب
والترغيب طرقاً كثيرة ومتنوعة: منها الترهيب
بانقضاء الله في الدنيا من العاصي للظالم الباغي
في نفسه وأولاده ، وشدد على ذكر الأولاد
لأن المصيبة فيهم أعظم عند المرء من مصيبته
بنفسه ، وضرب الأمثال للمصيبة في الأموال
والنترات من التذكير بساعة الموت .

ومنها الترهيب بعذاب الله في الآخرة ،
فما كثرت من ذكر البعث وأكده ، وأكثر من ذكر
أحوال القيامة ، وأكثر من ذكر عذاب النار ،
ووصفها بأوصاف تشلخ لها قلوب المؤمنين .
وفي الترهيب أكثر من الوعد بنعيم الدنيا
وزيادته للعاكرين ، ومن الوعد بحفظ
النعمة على الذين لا يسيرون ما بأنفسهم .
وأكثر من وصف نعيم الجنة ، وصفه
تفصيلاً يرغب المعتادين على الترف ، ويؤمل
الصابرين على الشغل ، والمهرومين من غير
الدنيا ونعيمها في المآكل والمشرب والمسكن
والنساء والحكم . وهو وصف يترس عليه
بعض الجهال والمتكبرين الذين يحملوا للربيع
قلوبهم . أما الذين يهركون خطايا النفس
البشرية في شدة حبها للنعيم والنعم ، وتقمها
من الحرمان ؛ فإنهم ليجلون أنه وصف لازم
وضروري وفي منتهى الحكمة .

الإلزام بوازع الكفارات :

ومن الأساليب التي امتاز بها القرآن
على غيره أسلوب الكفارات الذي يروض
به الله إلى العبد نفسه أن يعاقب نفسه تكفيرا
عن بعض الذنوب بطوعة جديدة كالصوم
أو حقبة مالية كرحمة كإطعام المساكين
وحق الرقاب . وفي هذا الأسلوب الفدائية
للصوم ، وامتناع للإيمان ، وتمديد العبد
على محاسبة نفسه ، والاعتراف بذنبه والرضا
بحكم ربه ، كما سبق البيان في تربية الصغير .
الإلزام بوازع الرأي العام :

وهذا أيضا أسلوب عظيم جدا من الأساليب
التي امتاز بها القرآن في التربية الإسلامية .
فقد حرص على الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وذك التاركين لها في آيات كثيرة تجعل
هذا الواجب من الفروض البيقية على كل
مسلم ومسلمة بقدر الوسع والقنوة كما يفسرهما
قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من رأى منك
منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه
فإن لم يستطع فبقلبه) ولو اتبع المسلمون
هذه الطريقة الفذة من طرق الإلزام ، ولا سيما
في الهوى عن المنكرات الأخلاقية التي لا تنالها
يد القوانين لما كانوا فيما هم عليه اليوم من
سوء الحال الذي يجعلنا قنعة للذين كفروا .
ويرتكز هذا المنهج من الإلزام على ما قرناه
في الفصل الأول من ضرورة حب الظهور
والرغبة في ثناء الناس ، والخوف من ذمهم
واستقارهم . . . فتأمل حكمة القرآن في

ووازع التهيب وحده لا يكفي عند كثير من المشككين ، أو الذين يحبون المساجلة أو الذين يستبعدون يوم القيامة ، أو الذين يفترون ويعتمدون على رحمة من الله من غير تفكير في أن رحمة الله الواسعة لا تنافس عدله وحكمته البالغة .

ووازع الرأي العام وحده لا يكفي عند كثير من الفرق في مجال من الذنوب إلى آذانهم ، فلا يخافون قبلل ، بعد أن جف في وجوههم ماء الحياة من الله والناس ، بل قد يضري هذا الوازع القوي كثير من الضعف إذا تمت البلوى حتى لم يجد أحد يستحي من أحد ، ولا أحد يستطيع أن يعير أحداً . وهو ماكدنا نكون فيه اليوم ، وفقدنا الله من أن نزل بنا لنته : « لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وهيب بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ووازع العقوبات التي يزلها السلطان أيضا لا يكفي وحده ، لأن كثيراً من مساوي الأفعال لم يرد في القرآن نص على عقوبتها ، ولأن بعض الجرائم قد يخفى عن عين السلطان أو يفلت من يد العدالة من ضعف الحكومة أو فقدان الأدلة ، أو فساد القضاء .

ولكن اجتماع الوازعات كلها حول الإنسان قد يكفي هذا كثر الناس وهذا ماأمله القرآن ؟

نرميم الجسم

عضو مجمع البحوث الإسلامية

استخراج الهواء من مكن الداء وتحويل طاقة الفراز وإعلائها إلى التحير بنفس الأسلوب الذي اكتشفه علماء النفس والتربية بعد عصور طويلة . . .

(صبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قد فهدى) .

الإلزام بوازع السلطان :

ولكن بعض الناس ، وهم القلة والحدده ، لا ينفع معهم وازع العقل ولا وازع الضمير ، ولا وازع التهيب والترهيب ، ولا وازع الضغط بنقمة الرأي العام في المجتمع ، فكان لابد من وازع أعظم ، وهو وازع السلطان الذي قيل إن الله يزع به أحيانا ما لا يزع بالقرآن . وهو العقوبات المختلفة التي فرضها القرآن على بعض الجرائم وفرض أمرها إلى الحكام .

اجتماع الوازعات :

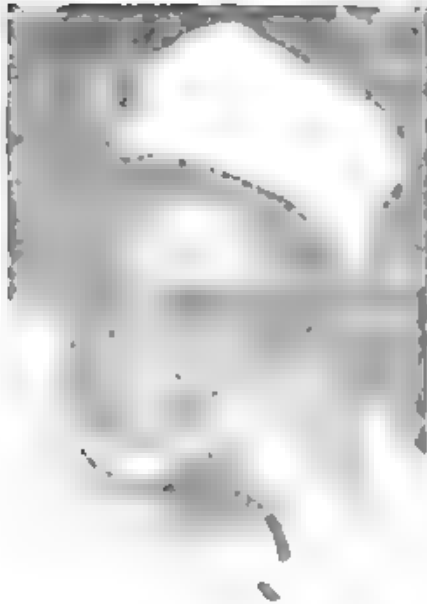
وهكذا نرى أن القرآن لم يكتف بنوع واحد من الوازعات أو بنوعين كما اكتشف الشرائع والقوانين الأخرى ، ولكن جمع الوازعات كلها حول الإنسان :

فوازع العقل وحده لا يكفي عند جميع الناس لما علت من أن الذين يكتفون به هم القلائل ، بل النوادر ، من الحكماء الذين كادت خشية الله الكاملة تكون منحصرة بهم . إنما يخشى الله من عباده العلماء . . .

ووازع الضمير وحده لا يكفي لأن الضمائر قد فصل عند بعض الجرمين إلى حدود الموت والعدم .

تحديد الشهور القمرية

للاستاذ محمد علي التامس
"عضو المجتمع"



صور فضيلة ما يصيب المسلمين من قلق واضطراب من جراء اختلاف دولهم في إنبات الأمانة ، ولا سيما هلال رمضان وشوال وذى الحجة ، وقد وقع هذا أحد أعضاء الجمع إلى أن يتقدم باقتراح بحث هذا الموضوع ، وأن الجمع قد أحال عليه دراسة هذا الموضوع ، وقد انتهى من بحثه إلى أن هذا الأمر ليس بمزير المنال لأن علم الفلك - الآن - مبني على حساب دقيق ، ولما اخترع من آلات دقيقة يسهل معها رؤية الهلال ، ولتقدم وسائل الإعلام .

وقد بنى بحثه على أربعة فصول وعنايه ، وهي :

١ - آراء علماء المذاهب الإسلامية فيما يثبت به هلال رمضان وغيره من الشهور .

٢ - آراء العلماء في اختلاف المطالع ، وأثره على ثبوت الهلال أم لا ؟ .

٣ - أنواع الحساب الفلكي قديماً وحديثاً ثم بيان ما يمكن التعويل عليه وما لا يمكن .

٤ - آراء العلماء في جواز العمل بالحساب الفلكي .

وأما الحاجة فليان الرأي المختار ، وما يجب

فضيلة الأستاذ محمد علي التامس

أن تقيمه الحكومات الإسلامية حتى يرتفع الحرج والقلق من النفوس .

الفصل الأول

بين فيه آراء الأئمة الأربعة فيما يثبت به هلال رمضان وغيره من الشهور .

وقد استعرض آراء علماء هذه المذاهب وأكثر من القول عنهم وانتهى - أخيراً -

إلى النتائج الآتية :

مذهب الحنفية : خلاصة الرأي في هذا الموضوع ما يأتي :

١ - أن الخبر الخاص برؤية الهلال من قبيل الأخبار الدينية ، فيجب وجوباً كفاً ما على من رآه أو بلغه الخبر بطريق شرعي أن يملئه قياماً بالواجب الديني .

٢ - ثبوت الأمانة كلها لا تدخل تحت الحكم قصداً ، وأن حكم التماس بالنسبة للهلال من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو من قبيل الفتوى .

٣ - أن أي شهر هجري يثبت - شرعاً - برؤية هلاله ، أو بعد الشهر السابق ثلاثين يوماً .

٤ - أنه يكفي في ثبوت أي شهر خبر واحد عدل عدالة ورواية في حالي الغيم والصحو ما لم يكن تفردة مظنة الخطأ أو الكذب إلا بد من عدد يحقق به غلبة الظن .

٥ - لا يشترط لفظ " أشهد " ولا نصاب الشهادة ، ولا ما يشترط في التعاوى إلا أن يكون المقصود بالشهر حق العباد .

مذهب الشافعية : حاصل مذهبهم أن الشهور التي فيها عبادة كرمضان وشوال وذى الحجة يكتفى فيه بشهادة واحد عدل ولا تقبل شهادة المرأة والعبد ، ولا بد من لفظ " أشهد " وأن تكون أمام قاض ينفذ حكمه ، ولا تقطع الدعوى ، لأنها شهادة حسبة .

وأما غيرها من الشهور فلا بد من نصاب الشهادة ؛ وإذا كان ثبوت الشهر لإثبات حق من حقوق العباد فيشترط فيه كل شروط الدعوى .

مذهب المالكية : أن ثبوت هلال رمضان وشوال من قبيل الأخبار الدينية ، فلا يشترط فيها سوى العدالة واشترط أكثرهم الذكورة ، كما اشترطوا شهادة عدلين ، ولا يشترط لفظ " أشهد " وأجاز بعضهم الاكتفاء بعدل واحد ، كما أجاز بعضهم قبول شهادة النساء مع رجل .

مذهب الحنابلة : حاصله : أنه يقبل في هلال رمضان قول عدل واحد ، لا فرق بين أن يكون بالسماء هلة من غيم أو غمره أو كانت صحواً ، وسواء كان في المصراع أو خارجيه وسواء انفرد به واحد من جماعة أو شاركته الجماعة ، وهو خير لا شهادة ، ولا يقطع فيه لفظ الشهادة ويقبل فيه قول المرأة والعبد كسائر الأخبار .

ولا يقبل في هلال رمضان خبر مستور ولا عيب .

وأما غمره ورمضان من الشهور ، فلا بد من رجلين عدلين بلفظ الشهادة .

الفصل الثاني في اختلاف المطالع
اختلف العلماء في أثر ذلك في إثبات الشهور القمرية ، وحاصل هذه المذاهب ما يأتي :

والتي قضية الاستاذ إلى استظهار أنه لا عبرة باختلاف المطالع وأخذ يناقش أدلة المخالفين ويفندها ، وأهم ما تعرض له بيان أنه لا صعوبة على الأمم الإسلامية أن تأخذ بهذا المبدأ ، وأن وسائل الإعلام الحديثة يسهل الأمر على الناس .

ولو فرض أن الحلال رؤى بمراكش - وهي آخر الحكومات الإسلامية غرباً - وأبضت هذا التبا بعد المغرب فتدعى إلى أقصى البلاد الإسلامية شرقاً - وهي الفلبين وأندونيسا ، فإنهم يستطيعون أن يأخذوا أهبيتهم الصيام من محور وحدانية ؟ لأن هذا التبا يصلهم - كما يقول فضيلته - قبل شروق الشمس ثلاث ساعات أعتق قبل بزوغ الفجر بمراكش ساعة ونصف الساعة ، وهذا وقت كاف للسجود وعند النية .

الفصل الثالث

في طرق إثبات القمر بالحساب الفلكي استعرض - فضيلته - طرق الفلكيين قديماً وحديثاً - في إثبات انحراف القمرية وهي ترجع إلى طريقتين :

الأولى : تعتمد على الوضع الاجتماعي للشمس والقمر ، فإن القمر والشمس يمتدان كل شهر مرة ، وهؤلاء يعتبرون مبدأ الاجتماع من حين الاجتماع سواء كان الاجتماع ليلاً أو نهاراً ، وهذه الطريقة ألناها الإسلام .

الثانية : أن يجرى الكسوف كما رآه من نصف

مذهب الحنفية : ظاهر الرواية أنه لا عبرة باختلاف المطالع فإن ثبت عند أهل المغرب وجوب الصوم على أهل المشرق .

وفي المذهب وأى آخر أن لا اختلاف المطالع أثر في ثبوت الحلال ، وهذا الرأي هو ما اختاره الزملي شارح الكفر .

مذهب المالكية : في هذا المذهب ثلاثة أقوال :

١ - وهو أشهرها أنه لا عبرة باختلاف المطالع قربت البلاد أو بعدت .

٢ - يعتبر اختلاف المطالع إذا ثبتت عند حاكم خاص فلا يعم الحكم إلا من كان في ولايته دون غيرها .

(٣) يعتبر اختلاف المطالع بالنسبة للبلاد البعيدة جداً كالاندلس بالنسبة إلى خراسان .

مذهب الشافعية :

إذا تناوبت البلاد لحكمها حكم به واحد بلا خلاف ، وإن تباعدت فوجهان مشهوران أحدهما لا يجب الصوم على أهل البلاد الأخرى .

مذهب الحنابلة : أساق عنهم قولاً واحداً وهو أنه لا عبرة باختلاف المطالع في ثبوت حلال رمضان وسكت عن غيره من الشهور مذهبه الشيعة الإمامية والزيدية :

وقد اختلفوا فمنهم من اعتبر اختلاف المطالع سبباً لاختلاف الأحكام ومنهم من هم ، واعتبر ثبوت الحلال في بلد حكماً عاماً في جميع البلدان وهذا ما استظهره الشوكاني .

وانتهى فضيلته إلى القول : بأنه لا مناس
لنا من الاعتماد على الحساب الفلكي ، إن لم
يكن لإثبات شهر يادى . ذى يده . فلا يثبت
إن رؤية الهلال ممكنة أو غير ممكنة لتقبل
الشهادة أو ترد .

• • •

الحاقصة في ضرورة البحث

وبيان أسرار السبل لإثبات الأمانة
تبيين من كل ما تقدم في هذا البحث أن
الراجع ما يأتي :

أولا : أن إثبات الشهور في حد ذاته من
غير نظر إلى ما يتعلق به من حقوق العباد
من باب الإخبار لا من باب الشهادة وأنه
لا يدخل تحت الحكم والقضاء فلا تلزم فيه
شروط الشهادة ويستوى في الخبر أن يكون
ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا ولا يشترط
بجلس الحكم ولا تقدم الدعوى ولا قضاء
قاض ولا أمر حاكم ولا لفظ (أشهد)
ويكفي أن يكون الخبر مستورا غير ظاهر
الفسق .

ثانيا : أن الشهور جميعا سواء في حالة
الصحو أو الغيم يكفي في إثباتها خبر الواحد
مق غلب على الظن صدقه ولم يكذب الحساب
الموثوق به القاضي باستحالة الرؤية وأنه
لا تشترط الاستفاضة ولا العدد الجم

يوم فيصير الحرم ثلاثين وصفر تسعة
وعشرين ، وربيع الأول ثلاثين ، والثاني
تسعة وعشرين وهكذا . وفي السنة الكبيسة
يجعل ذو الحجة ثلاثين يوما .

وقل فضيلته عن السبكي : أن علم الهيئة
يقضي لجبر الكسر أن تكون الأشهر الناقصة
سنة والكاملة مثلها ونارة مثلها ونارة تكون
الناقصة خمسة والكاملة سبعة ، وليس في الشرع
ما يرد ذلك .

وانتهى فضيلته إلى أن الوضع الهلال
لا يسبق الوضع الاجتماعي .

الفصل الرابع

في بيان آراء العلماء في الاعتماد على الحساب
استعرض آراء الفقهاء في هذه المسألة ،
وبين أن المسألة محل أخذ ورد وفيها مجال
للإجتهاد ، فليست من المسائل المجمع عليها .
ثم بعد ذلك ختم هذا الفصل من البحث
بما حاصل أنه لا غضاظة من صحة الاعتماد
على الحساب الموثوق بصحته ثم رد على ما يتعلق
به البعض من قوله صلى الله عليه وسلم : من
أتى كاهنا أو منجما فقد كفر بما أنزل على

محمد ، وبين أن هذا في علم النجوم الاستدلالي
المتين على التخرصات والتحكمات ، وهو
ما يستدل بمطالع النجوم على الحوادث الهيئة
كوت إنسان أو وعاء أو غلاء أو نحو ذلك .

• • •

بعد الاجتماع قبل الشمس أو معها فيكون أول الشهر اليلة التالية اليلة الواقعة بعد الاجتماع وقد يتقدم أول الشهر بالحساب الفلكي الاجتماعى على أداة بالحساب الفلكي الشرعى المبني على إمكان رؤية الهلال يوم في الأكثر أو يومين في الأقل .

ويلزم على الأخذ بهذه التقاويم أن تتغير أوقات العبادات عما حدده لها الشارع وبالتالي يلزم إحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فقد حرم الله صوم أيام العيدين وأيام التشريق وأحل الفطر في شعبان كما يلزم عليه أن يكون الوقوف بعرفة في غير التاسع وأن تذبح الأضاحى قبل وقتها .

خامساً : أن الحساب الفلكي الشرعى المبني على الوضع الهلال وإمكان رؤيته بعد غروب يوم ٢٩ من الشهر السابق بحساب الرؤية يصلح مناطاً مستقلاً لإثبات الشهر كما اختاره طائفة من العلماء الإثبات بمن ذكرنا كالسبكي وابن صريج وابن مقاتل وغيرهم ووجهه الشيخ بخير المطيعي ، وأن ذلك لا يتناقض مع أحاديث إثبات الشهور بالرؤية أو الإكمال بناء على أن المراد العلم بالرؤية لا حقيقتها ، بدليل وجوب الصوم على الأعشى والمحبوس في العظمورة وسكان القطبين والبلاد التي في حكمها ومعمومون من الرؤية حتماً ويدل على ذلك أيضاً ما جاء في بعض روايات

الإجماع مظنة الخطأ أو الخطأ أو رجحان تهمة الكذب .

ثالثاً : أنه لا عبرة باختلاف المطالع فإذا ثبت الشهر في أية حكومة إسلامية ونقل هذا الثبوت إلى سائر البلاد الإسلامية بطريق موثوق به فإنه يتم حكمه الجميع ما داموا مشتركين مع بلد الرؤية في جزء ولو يسير من ليلة الرؤية .

رابعاً : أنه لا يصح التحويل في إثبات الشهور على قواعد الفلكيين القدماء فيما قبل عصر النهضة الإسلامية في العصر المباسي لأنها قواعد تقريبية غريبة غير متينة ولا منضبطة كما لا يصح التحويل على الجداول الفلكية التي تجعل بعض الشهور ثلاثين يوماً أبداً وبعضها ٢٩ يوماً أبداً فقد تبين خطأ ما وأنه قد تتوالى أشهر كلها ثلاثين وأشهر كلها تسع وعشرون .

كما ثبت أن الحساب الفلكي المعمول به الآن في التقاويم الرسمية وغيرها لا يتفق مع الحساب الشرعى الذي يعتمد على القطع بالرؤية أو إمكانها على الأقل لأن التقاويم الحالية تعتمد في تعيين أوائل الشهور على اجتماع الشمس والقمر فيجولون أول ليلة يغرب فيها القمر بعد غروب الشمس هي أول الشهر ولو استحال الرؤية . ومن المقرر أنه قد يتفق الحسابان وذلك فيما إذا غرب القمر

الروايتين بل نحن نزلنا على سالفين مختلفين
فنكون حاملين بهما .

سادسا : يجب وجوباً كفاً كما قلنا أن

يكون في كل حكومة إسلامية هيئة شرعية

لإثبات الشهور العربية بوجوه الإثبات

المعتبرة شرعاً مع مراعاة الاتصال بالمراد

والملكين للعدل الموثوق بهم في دينهم

وعلهم ليتحققوا من جواز الرؤية أو

استحالتها حتى لا يقيموا في الخطأ ويثبتوا

الشهر قبل موعده كما حصل في بعض السنين

من قاضي الرؤية المنفرد بهذا الإثبات وترتب

عليه صيام المسلمين يوماً من شعبان وفطرم

يومين من ربهضان .

سابعاً : ليتحقق الأمل للنسود وهو

توحيد أوائل الشهور العربية في جميع البلاد

الإسلامية يجب أن ينفذ تأشروا التقويم

الرسمية وغيرها إلى أنه يلزمهم أن يبنوا تحديد

أوائل الشهور القمرية على الوضع الحلال

الحقيق فيكون أول الشهر هو أول ليلة

يمكن أن يرى فيها الهلال بعد الاجتماع وأن

يراعى خط عرض مراکش وهو ١٥ درجة

(غرب جرينتش) لتكون تقاويمهم ملائمة

شرعية عالية مساندة ومنظمة لصالية الرؤية

في جميع الحكومات الإسلامية .

والله الموفق للصواب ؟

محمد علي الصابى

عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم فإن ضم

عليكم فاقدوا له ، فقد فهم من يرى من العلماء

الآخذ بالحساب لتطلى قوله صلى الله عليه

وسلم : فاقدوا له بمعنى فاقدوا رؤيته وتبعوه فيه

من قولهم : فقدت الأمر فظرت فيه وتدبرته

وذلك بالحساب عند من خصم الله بهذا العلم

قال السبكي : والبحث في الحديث في موضعين :

أحدهما قوله : فاقدوا له ، قال بعض من

يقول باعتماد الحساب : معناه أحسبوا له

أ ، ويكون معناه قدوره بالحساب والمنازل

كما قال تعالى : وقدرة منازل لتعلموا عدد

السنين والحساب ، قاله مطرف بن هبة الله من

التابعين وابن قتيبة من المحدثين وابن سريج

من العافية وابن مقاتل من أصحاب محمد

ابن الحسن وملائقة من المتأخرين قالوا : ولا

يلزمنا مقال (المأزوي) من أن الناس لو كلفوا

بالحساب ضاع عليهم لأنه لا يعرف إلا أفراد

فلذلك لأنه إنما يلزم ذلك لو كلف عامة الناس

بالحساب ولم يقل بذلك أحد بل الذي قلناه

أن قوله صلى الله عليه وسلم : فاقدوا له ،

بالمعنى الذي اخترناه خطاب لمن خصه الله

بهذا العلم . وقوله : فاقدوا العدد ثلاثين

يوماً ، كما في الرواية الأخرى خطاب للعامة .

فالذين خصهم الله بهذا العلم يكون نظرم

بالطريق المقصود ولم وهو طريق الحساب

ويكون نظر العامة الذين لا يعرفون الحساب

أولاً يقلعون من يعرف بالطريق المتيسر لهم

وهو الرؤية أو إكمال العدد فلا تنافي بين

توصيات الفترة الأولى

لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث

٣ - تهيئة أسباب هذا التقويم الفردي ، والاجتماعي ، والسياسي ، وفي مقدمة تلك الأسباب إحياء التراث الإسلامي والتعريف الصحيح بالإسلام عقيدة وشريعة ، وعلى مختلف مستويات التفقيه والتعليم والتثقيف .

٤ - يطلب المؤتمر إلى مجمع البحوث الإسلامية العمل على تكوين هيئة دائمة تعمل مسئولية التعريف بالإسلام وتوجيه الأبحاث الدراسية والثقافية الوجهة الإسلامية الصحيحة .

٥ - كما يطلب إليه العمل على إنشاء صندوق يسهم المسلمون كافة في تمويله للإتفاق منه على التعريف بالإسلام ونشر الثقافة الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي وإنشاء المراكز الإسلامية وما إليها .

٦ - ويطلب إليه أيضاً العمل على وضع موسوعة مفهومة للأصول الثبوتية تتولى تحقيقها لجنة خاصة حتى يكون وجوع الناس إلى المصدر الثاني في الإسلام أمراً مأموراً ومبرراً .

٧ - العمل على تطوير المجتمعات الإسلامية من الغزو الفكري والأخلاق وإرشادها إلى كمال التعامل الإسلامية وصلاحها لحل مشكلات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتوجيهها نحو جمال الأخلاق الإسلامية

بتوفيق من الله تعالى اختتم مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية المرحلة الأولى من دورته الثالثة التي بدأت ظهر يوم الجمعة الحامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ الموافق ٣٠ من سبتمبر ١٩٦٦ بتلك التوصيات :

١ - تلبية المسلمين في جميع أقطار الأرض إلى أن العمل الجسدي الدائب على إيقاظ فلسطين من أيدي الصهيونيين الباغين الناصبين هو فرض في حق كل مسلم ومسلمة وتحذيرهم من فتنة المروق من الإسلام بالتعاون مع الصهيونيين الناصبين الذين أخرجوا العرب والمسلمين من ديارهم ، أو التعاون مع الذين ظاهروا على إخراجهم ، وتوكيد ما تقرر في المؤتمر الثاني من دعوة الدول الإسلامية التي اعترفت بإسرائيل إلى سحب اعترافها .

٢ - أن تتضافر جهود المسلمين ، حكومات وأفراداً ، على توجيه حياتهم العامة والخاصة وجهة إسلامية سليمة على أساس متين من تعاليم الدين الحنيف في نظم الحكم والإدارة والقضاء ، حتى يصلح المواطن المسلم ، وحتى يتحقق صلاح الأفراد ذلك المجتمع الإسلامي الكريم المؤمن بربه ، والمعز بدينه ، والمتأد على الوقوف في وجه تيارات الإلحاد والغزو الفكري والأخلاق .

- الأصلية - ووضع سلسلة كتب مبسطة في هذا السبيل وتوجهتها إلى اللغات المحلية الكبرى .
- ٨ - توكيد توصية الدول الإسلامية بتعليم اللغة العربية لغة القرآن في مدارسها لتثمين مشاركتها غير العرب من المسلمين في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية .
- ٩ - بناءً على المؤتمر السلطات ذات الاختصاص في مختلف الدول الإسلامية أن تعمل على تنقية تشريعاتها وفظتها من كل ما يخالف حكم الإسلام ، وأن ترد ههنا التشريعات والنظم إلى كتاب الله وسنة رسوله مستعينة بكل مستحدث صالح من فكر أو حكم لا يعارض أصلاً من أصول الدين .
- و الله ولي التوفيق ، وعلى الله قصد السبيل ؟

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

- بسم الله الرحمن الرحيم يصدر المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية - في فترته الثانية ، بعد دراسة الموضوعات التي عرضت عليه - القرارات والتوصيات الآتية :
- في السنة النبوية :
- ١ - يعلن المؤتمر العالم الإسلامي حجة السنة وأنها المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد كتاب الله عز وجل :
- ويوصي المسلمين بالتمسك بها والعمل بمقتضاها في الزينة والمعاملة والسلوك ، منوهاً بما كان لها إلى جانب القرآن الكريم من الأثر البالغ في تكوين الفكر الإسلامي ، وبناء الحضارة الإنسانية ، وصيانة المجتمع من عوامل الفتن والانحلال .
- ٢ - والمؤتمر إذ يكره الجهود المظيمة التي بذلها العلماء في تدوين الحديث والتحرير في روايته بلفظه نظر الشباب والنخبة المثقفة إلى المنهج القويم لعلماء الحديث ، وثبتهم في جمعه وتقدمه ، بما لا مثيل له عند أمة من الأمم الأخرى ، الأمر الذي ظهرت نتائجه في أساليب الفقه التأويضي والأدبي والاجتهادي ومن ثم فإن هذا التراث العظيم ، تراث السنة حري بأن يكون مصدور نور وهداية ، ومبعث غار واعتزاز لأمتنا الإسلامية .
- ٣ - يطلب المؤتمر إلى مجمع البحوث الإسلامية أن يعمل على جمع الأحاديث التي قد يظن أن ظاهرها غير مراد ، وعلى تحقيقها وذلك عن طريق البحث في أسانيدنا والنظر في متونها ، وفق ما وضعه علماء الحديث لذلك من أسس وموازين كفيلة بتوضيح درجتها ثم يعمل على شرحها .
- في التأمين والمعاملات المصرفية :
- ١ - يقرر المؤتمر فيما يتعلق بمختلف أنواع التأمين لدى الشركات أن يستمر المجمع

كان أو اتى ، إذا لم تتمكن التهمة في إخباره لسبب من الأسباب ومن هذه الأسباب مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به الصادر من يوثق به .

(ج) خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما إلزام الكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية للنظر في ذلك .

(د) يعتمد على الحساب في إثبات دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية ولم ييسر الوصول إلى إتمام الشهر السابق ثلاثين يوماً .

٢ - يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قبل ، ويكون اختلاف المطالع معتبراً بين الأقاليم التي لا تفتك في جزء من هذه الليلة .

٣ - يجب المؤتمر بالعقوب والحكومات الإسلامية أن يكون في كل إقليم إسلامي هيئة إسلامية يناط بها إثبات الشهور القمرية مع مراعاة اتصال بعضها ببعض ، والاتصال بالمراسد والفلكيين الموثوق بهم .

في الذبائح والهدى :

١ - يعلن المؤتمر أن الذبائح من هدى وغيره في موسم الحج شريعة من الشعار الإسلامية وعبادة دينية لها أهدافها الاجتماعية ولا يجوز لمن يكون قادراً عليها أن يستبدل بها غيرها من القربات ، أما غير الواجد فإنها

في استحكال دراسته العناصر المالية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة ، وأن يستمر في الوقوف على آراء علماء المسلمين في الاقطار الإسلامية بالقدر المستطاع ، حتى يتبنا استنباط أحكام كل نوع من أنواع هذا التأمين .

أما التأمين لتعاوني والاجتماعي وما يتدرج تحتها من التأمين الصحي ضد العجز والبطالة والتجسسوخة وإصابات العمل وما إليها - فقد قرر المؤتمر الثاني جوازه .

٢ - يقرر المؤتمر أن (الكيبالات) الخارجية ، قد تبين بعد الدراسة ، أنها في واقعها لا تخرج في حكمها عن الحكم في (الكيبالات) الداخلية من جوازها شرعاً ، هذا ما قد يكون فيها من الريا فاته محرم شرعاً ، وهذا ما يتصل بها من التأمين الذي لم يستنبط حكمه بعد .

٣ - يطلب المؤتمر إلى المجمع مواصلة دراسة البديل المصري الإسلامي ، وطريقة تنفيذه مستعينا في ذلك بأراء رجال الاقتصاد .

في تحديد أوائل الشهور القمرية :

١ - يقرر المؤتمر ما يلي :

(أ) أن الرؤية هي الأصل في معرفة دخول أي شهر قمرى كأيديل عليه الحديث الشريف . فالرؤية هي الأساس ، لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت فيها التهمة تمكناً قوياً .

(ب) يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة ، كما يكون بخبر الواحد ذكراً

غير واجبة عليه ، والواجب عليه هو ما أحله الله عليها من الصوم .

٢ - يجب المؤتمر بجامعة المسلمين في كل الاقطار شعوباً وحكومات أن يتعاونوا على دفع المضار التي قد تكون في موسم الحج بسبب هذه الذبائح ، وعلى أن تأتي بشراتها ومنافعها التي أرادها الشارع ، وأن يتخذوا السبل المؤدية إلى ذلك .

في الاجتماع والاقتصاد :

١ - يقرر المؤتمر :

(أ) بما أن الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ، تحدد الحقوق والواجبات فإنه من الخير للإنسانية أن تنفذ كل نظمة التي جاء بها القرآن والسنة في المعاملات بكل شعبها وفي الزواجر الاجتماعية ، فإنها تحمي الفضيلة وتدفع الفساد والشر .

(ب) أن الإسلام لا يفرق بين الناس بالألوان أو الاجناس أو الأقاليم ، وأنهم جميعاً سواء في أصل الحقوق والواجبات .

(ج) ويقرر: أن العلاقات الدولية يجب أن تقوم على أساس العدالة واحترام الكرامة الإنسانية ، والوفاء بالعهودات العادلة ، وبإعلان كل اتفاق يقوم على ظلم التعسف .

(د) ويقرر وجوب التعاون العادل بين الناس في الانتفاع بثمرات الأرض ، بحيث يسهل على أهل كل إقليم الانتفاع بفاصل ما ينتج غيره من غلات الأرض ومعادنها ،

وما تقتضيه مصالحها من غير غير لأحد .
(هـ) يقرر الإسلام العدالة الاجتماعية التي تقوم على العمل المنتج وتبئس الفرص المتكافئة ، ليتمكن كل من أن يعمل بما تنفع له طاقته ، وأن كل عامل ينال ثمرة عمله ، وأن العمل عباده ، وأن الناس إذا تفاوتوا بالغنى والفقر فإنه لا طبقية في الإسلام بالنسبة لأصل الحقوق والواجبات ، والمساواة فيها مساواة كاملة .

(و) إن تعاليم الإسلام قد اشتملت على أحكام في تنظيم الجانب الاقتصادي يتألف من مجموعها نظام اقتصادي متكامل ، يمتاز عن النظم الاقتصادية الأخرى ، ويمحي الإنسانية من مساوئها .

ويرى المؤتمر أن الأخذ ببلوغ الكفاية الإنتاجية . وتحقيق العدالة الاجتماعية ، مع اتسك الكامل بالمنهج الديني ، والقيم الروحية هو تطبيق سليم في هذا العصر لتوجهات الاقتصاد الإسلامي وأحكامه الاجتماعية .

٢ - يطلب المؤتمر إلى الجميع أن يولي عناية تامة بالتراث الإسلامي وبالتراث والمهود التي اشتملت على التوجهات الرشيدة ، فيجمع ما تفرق من نصوصها ليقف بها الدارسون والعلماء ، كما يوصى بأن تترجم هذه النصوص وما يتصل بها إلى مختلف لغات الأمم الإسلامية وبعض اللغات الحية .
واقفه ولي التوفيق ؟

مع العلماء الوافدين

للأستاذ سعد عبد المقصود خلام

المراسم :

ولقد كان أول لقاء لنا مع فضيلة الشيخ عبد الله الدخيل من علماء السنة في العراق الفتيق واستطعنا وأى فضيلته في انطباعاته عن الأهر والمؤتمر والبحوث :

وأجاب فضيلته في شيء من الثقة قال : لقد أوضحت في الكلمة التي ألقيتها في المؤتمر أن المسلمين في جميع البقاع يملقون أكبر الآمال على الأهر وعلى مؤتمره لاسيما وأنه يضم النخبة الممتازة من أئمة الفقه من مختلف المذاهب وذوى الراى والعلماء المتخصصين في مجالات الفكر ولقد انقسمت مناقشاته بالتساخ من أجل الوصول إلى الحقيقة أما البحوث فقيمة مفيدة وكلها مما ينصل بحياة المسلمين والنهوض بهم وأخص بالذكر البحوث الآتية :

- ١ - مكانة السنة من الاستدلال : لفضيلة الشيخ على الخفيف
- ٢ - المجتمع الإسلامى في ظل الإسلام لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة
- ٣ - وبماتان من الأدب الإسلامى للأستاذ محمد خلف الله أحمد

كان اللقاء مشرا ومؤثرا ومثيرا في الوقت نفسه ، مشرا بما أحرز من نتائج وما تنبها من أهداف وغايات ، ومؤثرا بكل معاني الود والتساخ والإعلاء والوفاء ، ومثيرا كل مفاهيم الحق والخير والجمال كان لقاء في قلب كل مسلم وروحه ، وهناقا مائلا في حميمه وبين حناياه ، لقد أدرك العلماء حقيقة دورهم ومعنى وجودهم ، وما يتطلبه منهم مستقبل دينهم فكانوا على مستوى العمل لبتات صالحة وجنودا مخلصين أرقوا - في الله - أعينهم ، وقوبوا مساهم وصباحهم من أجل أن تثبت الكلمة الفاشمة وتستوى فكرة فيها حيوية الدفع ، ووعى المرحلة ، وهمة القادة الرواد .

وفذلك لافسج إذا وجدنا العالم بأسره يشده جو المؤتمر وتزه روعة اللقاء الكبير فتطلع إليه في دهشة وأهمية بالفتن ، ووجدنا ستمائة مليون من المسلمين في بقاع الأرض كلهم عين تنظر وتطلع بشوق إلى مؤتمر حلانهم وما يسفر عنه من توصيات وقرارات وديرون فيها شحنة من الأمل موجبة وزادا من الخير زائرا وعظما .

في كلية اللغة العربية عام ١٩٥٦ وهو رئيس حزب نصراة ومدير قسم العربي بوزارة الاستعلامات الصومالية وقد مثل الصومال في المؤتمرات الثلاثة لجمع البحوث الإسلامية .

قابينا سيادة بالترحيب الاخرى واجهنا له إقامة حافلة بالهجرة والامل وسألناه عن رأيه في الأزهر والمؤتمر والبحوث وعن الآمال التي يملقها الشعب الصومالي المسلم على هذا المؤتمر .

وابتسم في تفاؤل وأجاب : الأزهر أمل المسلمين والحصن الامن لتعاليم الإسلامية واللغة العربية ، ولي شرف التخرج فيه سنة ١٩٥٦ من كلية اللغة العربية ، أما البحوث فقد أخرتني الظروف عن الاستماع إليها ... ولكن الذي أود أن أؤكدته هو أن الشعب الصومالي يملق آما لا كبيرة على الأزهر وعلى المؤتمر ثم طلب أن يخص المسئولون في الأزهر المنح الدراسية السنوية لأبناء الأوجادين ، من المنطقة الهتلة في الصومال من الحبة - باسم حزب نصراة الصومالي وأن يزيدوا عدد المعاهد الأزهرية في الصومال إلى جانب معهدى ، مقدشو ، وبرعو ليواجهوا بذلك الحركات المعادية للإسلام .

وسألت سيادته : بمناسبة الحركات المعادية للإسلام - ما رأيكم في الحركات التبشيرية

واتمنى أن نبحث ، في العام القادم ، المعاملات المصرفية والتأمين والبنوك لأن المسلمين في أمس الحاجة إليها .

وسألت فضيلته أيضا عن رأيه في التقارب بين المذاهب الإسلامية جمعا للكلمة وتوحيداً للرأى .

وأجاب فضيلته : إذا كان المقصود من التقارب بين المذاهب أن يتطلب أحدا على الآخر أو على بقية المذاهب فذلك أمر لا يمكن تحقيقه لأن المذاهب قائمة على النظر والاجتهاد وليس بالمستطاع جمع المسلمين على رأى واحد في جميع الأمور أما إذا أريد التعايش السلى على أساس من الاحترام المتبادل وأن لا يؤثر اختلافهم في الفهم والنظر والاجتهاد على علاقات الود والإعلاء فذلك يمكن التحقيق إذا حسنت النيات وخلصت الأفعال بل هو واجب ينبى أن تتضافر الجهود للوصول إليه ، وفي اعتقادى أن المسلمين إذا تركوا التعصب الأعمى للمذاهب وتمسكوا بأصول الإسلام الأساسية فإنهم سوف يصلون إلى هذا الهدف النبيل .

الصومال :

كان لقاءنا مع الصومال البلد الإسلامى العظيم مثلا في السيد الأستاذ إبراهيم سائى محمود ... والأستاذ إبراهيم أدهمى مخرج

موريتانيا:

وقد مثلها في المؤتمرات الثلاث للجمع
فضيلة الشيخ محمد سالم عبد الوود الأستاذ
بالمعهد الإسلامي العالي بتليد، سابقاً ورئيس
المحاكم الابتدائية للأحوال الشخصية .

وسألنا فضيلته : متى استقلت الجمهورية
الإسلامية الموريتانية ومتى سيمتد هذا الاسم ؟
وما اسمها الأول ؟ وما اللغة الرسمية لها ؟

وبهذه أجاب : استقلت استقلالاً
داخلياً في نطاق مجموعة الدول الناطقة باللغة
الفرنسية ، وقسمت بهذا الاسم سنة ١٩٥٨
ونالت سيادتها التامة سنة ١٩٦٠ وكان اسمها
الأول « شنقيط » باسم أقدم مدن البلاد
وفي عهد الاحتلال سميت باسم مستعمرة
موريتانيا ، وفي يوم الاستقلال سميت باسم
الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، وجميع
المواطنين مسلمون وفي كل حي من أحياء
المدن والقرى مسجد ، والمساجد كثيرة
وتعتبر في الوقت نفسه دور العلم الإسلامي .
أما اللغة الفرنسية فلا تزال اللغة الرسمية وقد
بدأت الدولة في تعليم اللغة العربية بالتدريج .
وحدث أسأل فضيلته عن دراساته والمعهد
الذي تخرج فيه ، وما انطباعاته من الأزهر
والمؤتمر والبحوث وانطباعات الشعب
الموريتاني .

الرامية إلى نشر المسيحية في إفريقيا . .
ومل حقت هذه الحركات أغراضها . . وما
هي وسائلها في ذلك ؟

فأجاب بأن الحركات التبشيرية في إفريقيا
جرثومة خبيثة تستهدف عرقه انطلاق الإسلام
ودخفه في القارة السمراء وهي رائدة الاستعمار
العالمى في كل بلد حل فيه تحت ستار ديني .
ولقد ذكر التبشير جهوده في إفريقيا لأن
معظم سكانها من السود لم يكن لهم دين
سماوى أو حضارة موروثة فأودوا تهويلهم
إلى المسيحية بإسكانياتهم المائلة ووسائل
الإغراء .

أما الوسائل التي يستخدمها التبشير فهي
إنشاء المستشفيات والمدارس التي يكون لها
في الغالب أقسام داخلية وإرسال خريجي هذه
المدارس إلى البلاد الاستعمارية ليكملوا
تعليمهم هناك . ثم بعد ذلك ينشئ هؤلاء
المحريجون أسر البلاد أنصاراً للاستعمار .

ولكن المبشرين لم يحققوا أغراضهم
لأن الصومال ولا في إفريقيا إلا في القندر اليسير
ولم تنأثر الدعوة الإسلامية به بل سارت وما
زال تسير في طريقها المقدس ، واقترح لمقاومة
هذه الحركات التبشيرية ونشر الإسلام افتتاح
مدارس ومعاهد تابعة للأزهر في مختلف
البلدان وتوسيع نشاط جمع البحوث الإسلامية
بحيث يرسل دعاة متخصصين إلى جميع البلاد
الإفريقية .

فهل ترون أن الصليبيات اليهودية امتداد للحرب الصليبية؟ ثم إننا نقرأ في التاريخ أن الأندلس لم تضع من أيدينا إلا عندما اتخذت السكك المسيلة وذبح ربح المسلمين بالتفرق والتباغض فهل يمكن أن نطبق هذه الظاهرة علينا اليوم؟ بمعنى أنه لو اتفقت كفة العرب والمسلمين ستعود فلسطين إلى شعبها وسيعود إليها شعبها.

وابتدا فضيلته في الحديث ليحيى: لاشك أن الصليبيات اليهودية امتداد للحركات الصليبية فلم يكن الهدف الحقيقي وراء هذه المؤامرات الاستعمارية الصهيونية هو فقط إقامة جسر للاحتجاز في قلب الوطن العربي بل كان الهدف هو مواصلة الحروب الصليبية الحاقدة إلى غايتها من ترويض العقيدة الإسلامية وملاحقة الإسلام في مفارق الأرض ومفارباها. وقد جاء في مقال نشره المشرق الفرنسي «هاتوتو» مستشار الخارجية الفرنسية بمسند احتلال فرنسا للجزائر ونوفس قوله: «إن أهداف الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر والثاني عشر والآنك عشر تركت في أفراد بيت المقدس من المسلمين».

وعندما دخل الجنرال «هورت» مدينة دمشق في الحرب العالمية الأولى توجه أولاً إلى قبر البطل الناصر «صلاح الدين» ووقف

وقال: «دراساتي إسلامية عربية بحثت، أما المعهد الذي تخرجت فيه فهو - والله - أبى». واستأنف قائلاً: أما الشعب الموريتاني فهوى في الأحرار الحافظ الأيمن على التراث الإسلامي والعربي، ويرى في مؤتمرات الجمع أليح وسيلة لحل مشكلات المسلمين وإحياء الصلات بينهم وتوحيد صفوفهم، وأطالب الأحرار بمزيد من توجيه البعثات والمؤلفات وقبول الطلاب الواصلين من «موريتانيا» وتخفيف شروط قبولهم حتى يمكن بناء دولتنا على أساس عربي.

أما في رأيي فقد نصح المؤتمر أبعد حدود النجاح، وأرجو أن يبحث في الدعوة للقادة الاستغناء بالتشريع الإسلامي عن التشريع المستورد. هذا إلى جانب البحوث كلها المفيدة والمهمة مثل ذباح غير المسلمين بها في البلاد غير الإسلامية - والاستغناء بالوسائل المصرية في التذبح عن الذكاة - إلى جانب المعاملات المصرفية والتأمين.

وشكراً لسيادته هذا اللقاء الطيب المشوق وتمنيانا له وقادة كريمة وإقامة هنيئة.

غزة:

قابلسا من الذين مثلوها في المؤتمر فضيلة الشيخ محمد حسن عواد عضو المحكمة الشرعية ورئيس تحرير مجلة (نور اليقين). قلت لفضيلته: فلسطين قبل المسلمين الأولى

وتقدمه ، وواجب العلماء تفكيك لبنان في بلادهم وتوضع لهذه اللجان خطة موحدة مستوحاة من مقررات مجمع البحوث لقصد حماية الديانة الصهيونية ، وعليهم إصدار المنشورات وأن يفرسوا في قلوب الشباب المسلم كله أن فلسطين قبل أن تكون عربية فهي مسلمة ، لبنة الإسلام الأولى ومصرى وسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكونوا من هذه القلوب طلائع غازية تجاهه معارك الحماية وترى بالصهيونية في مياه البحر المتوسط . وودعت فضيلته شاكرًا له هذه الحماة وتلك النيرة الوطنية والإسلامية المتقدمة ، وتمنيت تجميع الصفوف والتقاء الكلمة ووحدة الهدف والصف ، تعود فلسطين السليمة .

روحيا :

وقابلنا بعد ذلك الشيخ ضياء الدين باباخان مفتي المسلمين في الاتحاد السوفيتي . فسألت سماحته : ما هي النظم الاجتماعية التي تحكم المسلمين في روسيا ؟ وأجاب سيادته : لا يوجد هناك نظام اجتماعي خاص بالمسلمين وحدهم بل الجميع أمام القانون سواء . ولكن المسلمين وأهل الديانات الأخرى لهم أن يتبعوا عاداتهم وتقاليدهم الخاصة في الزواج والعلاقات وغيرها من المراسم الدينية .

أعلم جناته وأخذ ينفث من حقله الأسود قائلا : « ما نحن قد عدنا بإصلاح الدين » . أما الجنرال الإنجليزي اللورد « القنبى » فقد كان مزموًا ومتفائلا حينما وقف على مشارف القدس وهو في الطريق إليها وأدلى بتصريح يقول فيه : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .

وإذا كانت الأندلس قد ضاعت لتفرق الصفوف وتخاذل الكلمة كما ضاعت فلسطين فبفضل توحيد الكلمة والتحام الصفوف ستعود ياذن الله فلسطين إلى أحبابها ولينصرن الله من ينصره .

● وعدت أسأل فضيلته : هل ترون فضيلتكم أن المؤتمرات الثلاثة للجمع قد اهتمت بقضية فلسطين ، وما هي مقترحاتكم كفلسطيني لتخليصها من أيدي المصائب الصهيونية الآتية ؟

● فأجاب : لقد حققت المؤتمرات الثلاثة نجاحا طيبا وأعطت فلسطين قدراً كبيراً من اهتمامها وأوصت بتخليص فلسطين من المصائب اليهودية

● أما تحرير فلسطين فله سبيل واحد هو وحدة العرب والسلاح وتصفية القواعد والجيوب الاستعمارية والرجعية وواجب المسلمين أن يمتنوا جهودهم لدفع الخطر الصهيوني الزاحف فهو زحف ضد الإسلام

الإكثار من تبادل البعثات العلمية والروحية وإرسال الكتب الدينية والمدرسية ، وإذا كان من الممكن ترجمة الكتب الدينية إلى اللغة الروسية أو التركية التي هي لغة أكثر مواطني آسيا يكون ذلك حسنا والانتفاع بها أعم . أما البحوث ففيهذه كلها وهامة لآسيا والبحوث التي تتابع القضايا الجديدة وإيضاح رأي الإسلام فيها مثل توحيد أوائل الشهور القمرية ومكانة السنة من الاستدلال ، وتربية الشباب في الإسلام ونرجو أن يبحث عمل المصانف في الإسلام والبنوك والتأمين .

عمارة :

● وكان لقائنا بفَضيلة الشيخ سليمان بن حمير النبهاني رئيس وفد عمان في المؤتمر .

● وبعد أن رحبنا بفَضيلته في القاهرة سألته عن آخر تطورات قضية عمان فقال : إن شعب عمان مصمم على نيل حريته واستقلاله مهما كلفه ذلك حتى يتحقق النصر ويخرج آخر جندي بريطاني من أرض وطنه خصوصا بعد أن أعلنت الأمم المتحدة قرارها الأخير في العام الماضي بمطالبة بريطانيا بالانسحاب فورا من عمان وإعطاء أهلها كافة حقوقهم الشرعية .

● وسألت فضيلته عن رأيه في البحوث فأجاب : كلها مفيدة ومثمرة نرجو العمل على تحقيقها تحقيقا عمليا بالفعل لا بالقول .

● ثم سألت فضيلته ثانيا : متى دخل الإسلام القسم الآسيوي من الاتحاد السوفيتي هل وجه التحديد ؟ وهل التراث الإسلامي هناك لا يزال موجودا ؟ وهل تهتفون بالاعباد الإسلامية ؟

قال سيادته : دخل الإسلام هذا القسم منذ سنة ١٩٥٤ هجرية وأخذ ينتشر في مدنها الرئيسية (بخارى) وه سمرقند ، وه طشقند، وغدها فلم يمحى إلا وقت يسير حتى أصبحت هذه المدن مراكز للحضارة الإسلامية تزدت لهجات «جذكيرغان» وغيرها وقرضت للتخريب والإحراق، وفي الوقت الحاضر لا يزال جميع ألوان التراث الإسلامي القديم وكذلك الآثار ومؤلفات العلماء القدامى الباديين تدمر من الشعب .

واستطرد فضيلته قائلا : أما الاحتفال بالاعباد والمواسم فنحن نحتفل بها وسوف نحتفل هذه الأيام بذكرى مرور ١٢٠٠ عام على ميلاد الإمام البخاري .

واقفنا إلى جو المؤتمر سألت سماحته عن رأيه في الأزهر والمؤتمر والبحوث وما انطباعات المسلمين الروس منها ؟

وأجلب فضيلته : الأزهر أهل المسلمين في العالم أجمع والمؤتمرات التي عقدتها بداية لتجميع الخيوط التي تفرقت وإزاحة الغبار الذي تراكم على التراث ، والمسلمون في روسيا يعطون أملا كبيرا على الأزهر ويطلبون

في التفرقة ؟ وما رأى سيادته فيها هل ضوء الإسلام ؟

فأجاب سيادته : توجد في جنوب إفريقيا أمة حديثة خليطة من الاجناس الأوروبية المختلفة تسمى الآن ، أفريكاز ، لنتها جديدة وهي لغة ، الأفريكاز ، خليط من الهولندية والألمانية والإنجليزية والعربية والملاوية مع بعض تحويرات في بعض الأحيان .

وهم يستعملون بعض إشارات الإنجيل التي توحى بأن السود هم عبيد منذ ولادتهم ذلك لأنهم يعتقدون أن أحداً أبناء نوح ، عليه السلام وهو سام ، الذي تنسب إليه في دعمهم شعوب القارة الأفريقية ، قد حلت عليه لعنة والده وبالتالي تنقل اللعنة إلى كل إنسان من بعده إلى يوم القيامة ، وانطلاقاً من هذه المعتقدات أقاموا سياستهم على التفرقة العنصرية .

ويبلغ السكان البيض في جنوب إفريقيا من ٤ - ٥ ملايين نسمة بينما يبلغ السود ١٤ مليوناً ، ومن صفات يفتخرون أن البيض لجأوا إلى ترسيخ هذه المعتقدات دفاعاً عن وجودهم .

ويمكن توضيح سياسة التفرقة العنصرية محلياً في جنوب إفريقيا في أربعة مجالات .

أولاً : التوزيع الجغري للعنصرين السكان يقوم على أساس أن الأوروبيين في القمة يليهم المواطنون فالآسيويون فالسود ، وبالتالي فإن كل مدينة أو قرية يجب أن تنقسم إلى أربع

● وسأنته أيضاً من انطباعات شعب عمان من المؤتمر فأجلب فضيلته : إن الشعب العماني يعلق على هذا المؤتمر أكبر الآمال وأهمها إذ هو خطوة إيجابية فعالة لها ما يبعدها وإن لشكافة قراراته وتوصياته أثراً خطيراً في قناعات المسلمين وازدياد قوتهم وقايلتهم .

● وسألت فضيلته ، كذلك عن أنجح الوسائل لاسترداد للسلطان فأجلب : ليس هناك إلا حل واحد هو السيف ، ووحدة الصف فلو اتحدت كفة العالم الإسلامي ما بقي اليهود ساحة من نهار .

جنوب إفريقيا :

والتيقيد بالسيد الأستاذ إسماعيل عبد الرزاق عن جنوب إفريقيا ورئيس حركة الصديق العالمية ، وسيادته حميد ثمانى لغات ويحاضر في اللغة الإنجليزية بالدراسات العليا بجامعة الأزهر وبعد رسالة الدكتوراه من كلية أصول الدين عن : التفرقة العنصرية .

● سألت سيادته قبل أن تبدأ الحديث ما معنى حركة الصديق العالمية ؟

فقال سيادته : معناها ترجمة معاني القرآن الكريم .

● ثم سألت عن التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا ، والظواهر والأشكال التي اتخذتها ، وهل أي شيء اعتمد المستعمر

ولهذا يرى سيادته أن تمثل الأقليات الإسلامية في أمريكا وإفريقيا المؤتمر القادم لأنهم أخرج الناس إلى ذلك .
وبه أن شكرنا سيادته وتمنينا لأخواننا في جنوب إفريقيا الخير والتوفيق فلائنا مع مندوب يوغوسلافيا .

يوغوسلافيا :

مندوبها في هذا المؤتمر السيد / الأستاذ حسين سليمان - وزو رئيس قسم الشؤون الإسلامية بالبوسنة والمهرسك يوغوسلافيا قابلت فضيلته وسأته عن دراسته والمعهد الذي تخرج فيه ؟

فقال سيادته : أتممت دراستي الابتدائية والثانوية ومعهد القضاء الشرعي في يوغوسلافيا ثم حضرت إلى القاهرة والتحق بكلية الشريعة الإسلامية بالأزهر وتخرجت فيها عام ١٩٣٩ .
وسأله عن أحوال المسلمين في يوغوسلافيا .
وعن عدد المساجد تقريباً ؟ والمؤسسات الإسلامية ؟

فأجاب سيادته : أما عدد المساجد في يوغوسلافيا فيبلغ ٢١٣٤ مسجداً وهذا العدد يزداد من يوم لآخر وقد دمر وغرب أثناء الحرب العالمية الثانية أكثر من خمسمائة مسجد .

ويقرم مسلمو يوغوسلافيا بأداء شعائرم الدينية بحرية ، حرية العقيدة مكفولة بالدستور وبقوانين أخرى .

مناطق متميزة يختص كل عنصر منها بمنطقة بحيث تقتصر كافة نواحي حياته ونشاطه في نطاق منطقته حسب . . . وحرية التنقل من منطقة إلى أخرى مباحة على أن يعود كل إلى منطقته بالليل .

ثانياً : لا يستطيع أى إنسان أن يشتري قطعة أرض إلا في حدود منطقة عنصره .

ثالثاً : لا يهود الزواج بل ولا حتى المباريات الرياضية بين أفراد الاجناس الثلاثة الآسيويين والمولدين والافروديين ناحية وبين الأوروبيين من ناحية أخرى وإن كان يعود ذلك بالنسبة للاجناس الثلاثة فيما بينها ومن يتجاوز ذلك فإنه يتعرض للمحاكمة .

رابعاً : الجيش والتسلح العسكري مقصور على البيض الأوربيين فقط . أما الشرطة فإن أفرادها في مناطق كل منطقة يكونون من بين أبنائها . ولكن القيادة العليا البوليس تقتصر فقط في البيض وحدهم .

وعدد المسلمين في جنوب إفريقيا ضئيل جداً وهم ثلاثمائة ألف لسة بين ثمانى عشر مليوناً ولذلك لا يستطيعون مقاومة هذه السياسة الخبيثة مقاومة فعالة وهم يجتهدون كثيراً في نشر الإسلام بين الملونين ويتزايدون بسرعة عجيبه لأنهم يعتقدون أن الإسلام قرر المساواة بين البشر في أكمل صوره وأمثل أوضاعه وأنه الحل الوحيد لجميع مشاكل جنوب إفريقيا بصفة خاصة .

وتوحيد صفوفهم ، وإزالة ما اعترى المجتمع الإسلامي في عصر الانحطاط من جهود واسترجاع هذه الغابر وبجده التليد .

وأما البحوث في نظري الاقتصاد الإسلامي وبحث الاقتصاد المعاصر وبحث المجتمع الإنساني في ظل الإسلام وبحث روح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع ، وبحث توحيد أوائل الشهور لأنها تتعرض للمشاكل التي تواجهنا وأنتمى أن يصدر المؤتمر قراره بتحديد الأعياد الإسلامية وكيفية إثباته أوائل الشهور القمرية للحد من الفوضى التي تحدثت بخلخلا بين المسلمين .

ونظرا إلى أن سيادته أوروبية كان لابد من أن أسأل سيادته عن أثر التقدم العلمي والحضاري في أوروبا على نفوس المسلمين بصفة خاصة والأوروبيين بصفة عامة .. وعن أبرز الوسائل التي يراها سيادته لنشر الإسلام بينهم ولإبقائه في نفوسهم .

وأجاب سيادته : الفكرة الغربية عالية من الفضيلة إذ أنها تقوم على إنكار القيم الروحية ؛ لجميع المذاهب الفكرية والفلسفية في أوروبا تنظر إلى الإنسان من ناحية المادية لحسب ؛ وتهمل ناحيته الروحية والمعنوية واعتقادي أن أوروبا تتطلع إلى ما يحقق حاجاتها الروحية ، فالفرصة سانحة لنشر الإسلام الذي ينظر إلى الإنسان من ناحيته المادية والروحية ، ونشر وسيله لنشره في نظري

والطائفة الإسلامية في يوغوسلافيا أعظم جماعة إسلامية منظمة في أوروبا ولها منظماتها وهيئاتها ومؤسساتها ولها في العالم أهمية عظمى ولقد استطاع هؤلاء المسلمون أن يحملوا رسالة الإسلام بحساسة تام ويدافعوا عنها بكل إخلاص ، وأن يصمدوا أمام كل التيارات وقد حافظوا على إسلامهم وكيانهم وتقاليدهم وعرانهم في تلك البقعة من أوروبا وهم مستمدون لأن يبذلوا كل مرتخص وخال في سبيل دينهم الحنيف ، وهناك معبدان لتخريج الأئمة والخطباء والوعاظ ، وتقوم المهيمنة الإسلامية بإصدار المجلة الإسلامية ونشر الكتب وقد فطنا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليوهوسلافية .

وسأله سيادته : ما هي انطباعات المسلمين في يوغوسلافيا وانطباعاتكم من الأزهر والمؤتمر والبعوث ؟

وأجاب سيادته : إن العالم الإسلامي كله يسلق على الأزهر أهمية عظمى وأن رسالته في عصرنا المادي الذي اشتد فيه الصراع بين الرأسمالية والشيوعية رسالة عظيمة ، وأنتا على يقين بأنه سيؤدي رسالته كما أداها من قبل بإعداد جيل مدرك للتعاليم الإسلامية ومدرك لمشاكل العصر .

ويجمع البحوث بمؤتمرات التي تعقد كل عام ويجتمع فيها كبار علماء الإسلام غير وسيله لتعزيز الصداقة ودعم الصلات بين المسلمين

والجميع ومؤتمراتهم عظيم وعظيمة . لقد
جسمت العلماء الأعلام من كل بقاع العالم
الإسلامي ليتعرفوا على المشاكل ويوجدوا لها
الحلول من الدين ويوجدوا من الصفوف
والآراء والأفكار تجاه المشاكل والأحداث
العصرية والبحوث كلها مهمة ومنتجة وكنت
أتمنى أن يبعث المؤتمر البحوث الآتية :

- ١ - تحديد أوائل الشهور القمرية .
- ٢ - المصارف في الإسلام .
- ٣ - موقف الإسلام من النظم الاجتماعية
والمادية وإصدار مشروع قرار للأحوال
الخاصية والمدنية .

سألت سيادته : هل ترى أن المؤتمر حقق
نجاحاً في جمع كلة المسلمين وتوحيد صفوفهم ؟
فأجاب : نعم سوف يحقق الله به اجتماع
المسلمين على القاية المرجوة والهدف المقصود
لأن الاستمرار والرجعية تخطط في الوقت
الحاضر لعزل الدول العربية القديمة عن
العالم الإسلامي وإضعاف مركزها من القيادة
وتوعية الشعوب ، ومثل هذه الاجتماعات
التي توحدت فيها الكلمة . كلة العلماء وتوحدت
من روايتهم صفوف الشعوب التي يمثلونها
لدليل واضح على فضح هذه الخطط وكشف
العملاء من روايتهم .

فإن الأزهر تطلق الصيحة ، ومن يجمع
البحوث مثلاً في طائفة ترضع الولاية ، ومن
اجتماع الصفوف واتحاد الكلمة يكن المزم

هو الكتب والفترات التي تبحث عن كمال
الإسلام بأسلوب علمي يناسب روح العصر
وحاجاته .

والمسيحية لا يمكن أن تملأ فراغ القلوب
التي تشرب به الشعوب الأوروبية لأن ظهور
الملائنة التي انقلب في النهاية إلى المادية كان
كرد فعل على ما كانت تقوم به الكنيسة
في العصور الوسطى تحت سيطرة وطفان
الكنيسة وعكسة التفتيش لجاء الإسلام
بعبادته السخنة وأقنعه من وحدتها .

وفي عصرنا صارت أوروبا تحت سيطرة
الماديات بحيث أصبحت البشرية مهددة . .
فعل الإسلام إنقاذاً أوروبا مرة ثانية .

وشكرت لسيادته جميل لهما للأمر
وتفاناه الحسن لمستقبل الإسلام ودهونا
بالتوفيق للإسلام وأمله وتعين لسيادته
إقامة هائلة آمنة .

السكوت :

وكان لقاءنا مع الأستاذ راشد الفرسان عضو
وفد السكوت في المؤتمر سألناه عن انطباعاته
عن الأزهر والجميع والمؤتمر والبحوث :
فأجاب سيادته : بأن الأزهر كان ولا يزال ،
جامعة الإسلام الحقة التي قامت أبراماً منذ
مئات السنين لتهدى خطى المسلمين الراحلة
إلى منطلق حق . فهو المحرور الذي التفت حوله
القلوب وحفظ على اللغة شهاجاً ، وهذا
بمتابة حامل العلم في رصف مقدس كريم .

ملتان، حاصه، البنجاب، قلب باكستان
ثم انتشر لواء الإسلام في تلك الديار
انتقارا سريعا .

وعند المسلمين في باكستان، أكثر من
تسعين مليوناً، وهم يمثلون ٩٠٪ من السكان
وسألت سيادته من أهمية المؤتمر وقراراته
بالنسبة إلى هؤلاء الاخوة الباكستانيين .

فأجاب : المسلمون في باكستان يمدون
قرارات هذا المؤتمر وتوصياته من أم
الأمور ويعملون على وقفها، ولكن القوانين
الرسمية هناك لم توافق على هذه القرارات إلى
الآن . ولنا جهود كبيرة في تخلص القوانين
من المواد غير الإسلامية، وقرارات المؤتمر
تكون وثيقة في أيدينا نصنعنا فحسبنا .

وسأله أيضا، قدم أحد أعضاء الوفود
في المؤتمر اقتراحا بضرورة تقديم منج
تعليمي موحد للمسلمين في الدين الإسلامي
واللغة العربية فأوأبكم في هذا الاقتراح ؟

وابتسم فضيلته وقال : لو تحقق هذا المنهج
فسيفيد فوائد كثيرة منها تربية أذهان
المسلمين في كل البلاد على نهج واحد ويكون
ذلك وسية إلى توحيد المسلمين، ومنها ذبوع
اللغة العربية لغة القرآن .

وودعنا فضيلة مولانا مفتي محمود شاكرين
له هذه الإجابة متمنين له تحقيق هذا الاقتراح
من جانب السادة المسئولين في الأهر .

والصميم، وإن أعظم فائدة تحققت هي وقوف
وفود العلماء من أرجاء العالم على صدق نية
الجمهورية العربية المتحدة في جمع كلمة المسلمين
وإعلاء كلمة الله، وقد وافق القول العمل،
وقبل أعمالوا فيرى الله عليكم ورسوله
والمؤمنون . .

باكستان :

وكان لنا لقاء مع الباكستان البلاد المسلم
الكبير، وهو لقاء مع تسعين مليوناً من المسلمين
يمثل في :

مولانا مفتي محمود عضو اللجنة الوطنية
في باكستان .

سألنا فضيلة مولانا مفتي محمود متى وكيف
دخل الإسلام باكستان ؟ وما عدد
المسلمين على وجه التقريب ؟ .

وأجاب فضيلته : دخل الإسلام باكستان
في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان
الأموي وكان ملك السند وهي حصة من
الباكستان قد أخذ صفينة من الأسطول
التجاري للمسلمين، وجلس من كان فيها فلما
وصل الخبر إلى حاصه الخلافة الإسلامية
بمك الخليفة الأموي محمد بن قاسم الثقفي على
وأمر خمسة آلاف من المسلمين المجاهدين إلى
السند لإيقاد هذه السفينة ففتح الله على يد
(محمد بن قاسم) هذه البلاد حتى وصل إلى بلدة

فأجاب بأن الأذهر حسن الإسلام وأمل المسلمين منذ فجر التاريخ، ويجمع البحوث الإسلامية له مكانة في غاية الأهمية بما يرجع منه من خدمات نبيلة في سبيل حل المشاكل الدنيوية التي طالت أمتنا على العلماء حلها . والبحوث حكمتها مفيدة وحاماة وأخص منها بالذكر :

١ - بحث الشيخ فديم الجسر : القرآن في التزنية الإسلامية .

٢ - الدكتور مهدي صلام : الصوفية في الإسلام .

٣ - الشيخ علي الخفيف : مكانة السنة من الاستدلال .

٤ - الأستاذ عبد الله كنون : الحديث وقيمه العلمية والدينية .

٥ - فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام .

وبعد تمينا نحن لباكتان وثمنها وعلماها الخير والنجاح والتقدم والإسلام بالرفاهية والفكر ودعنا فضيلته شاكرين له هذا اللقاء الطيب الجميل .

كانت هذه لقاءاتنا مع السادة وفود المؤتمر في دورته الثالثة ومع صادق دهرنا بالخير ورجائنا أن يحقق الله آمالنا التي يصبر إليها المسلمون تتحقق لهم كل تقدم وسعادة ورفاهية في ظل الإسلام الخفيف ؟

مصر ظهروم

وتوجهنا بعد ذلك إلى فضيلة الشيخ محمد يوسف مدير المدرسة الإسلامية بكراتشي ، وكنت حريصا على أن أستطلع رأى فضيلته في التفرقة العنصرية وتحرير فلسطين .

سألت فضيلته : الإسلام دين السلام والمساواة والحرية ؟ فما رأيكم في التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا وغيرها، وتحرير فلسطين من العصابات اليهودية ؟

وقد أجابنا فضيلته فقال في الأمر النبوي : (لزال الدنيا جميعا أحسن عند الله من دم يهراق بغير حق) .

لقد خلقنا الله أحرارا من أب واحد وأم واحدة قال تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . فالإسلام مساواة وحرية، والتفرقة العنصرية لون من الإجحام الأحمق الذي فتحه الأقليات البيض لتحكم وتتحكم في السود ، والإسلام قد قضى على هذه النزعة في القرآن والحديث النبوي فكان مع رسول الله (بلال) و(صهيب) و (سلمان) و (عمار) جنبا إلى جنب مع أشرف قريش : أب بكر وصهيب وعثمان وعلي وأبي سفيان وغيرهم .

أما تحرير فلسطين فواجب في أعناقنا جميعا نحن المسلمين لإقتداء بقلة الإسلام الأولى من الخطر اليهودي العين .

ثم سألت فضيلته عن رأيه في الأذهر والمؤتمر والبحوث ؟

مع الأمين العام في مؤتمريه الصحيفتين للاستاذ على الخطيب

الدورة الثالثة للمؤتمر فقال : إن تقييم ما تم في هذه الدورة حكم ، والحكم في هذه المسائل غاية وهدف ثم جهد وحمل ، وإذا كان الجهد والعمل يلتقي مع الغاية قيل : إن العمل نجح وإلا فشل .

لا بد ، إذن من تحديد الغاية والهدف من هذه المرحلة ، ثم تبين الجهد الذي قامت به أجهزة المؤتمر ، ونرى بعد ذلك إذا كان هذا الجهد قد حقق غايته أولا .

والواقع أن غايات هذا المؤتمر إنمائها : غاياته وتنفيذ .

من هذه الغايات :

محاولة ربط المسلمين برابط وثيق حول العقيدة والمسجد وجعل المفاهيم الإسلامية واضحة يفهمها العصر الحديث والمصور المتطورة ، ثم دراسة ألوان حيوات المسلمين الاجتماعية وتطور حياتهم على أساس من الدين والعقيدة ودراسة المجتمع الحديث وما جده فيه من قضايا وأحداث حتى يتمكن المسلمون - من وعي - من فهم حقيقتهم والامتنال بها وحتى لا يكون هناك تناقض بين ما يقومون به من أعمال ، وما يؤمنون به من شرائع ومعتقدات .

عقد السيد الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية مؤتمريه صحيفتين الأولى في ١٩/٦/٦٦ والثاني في ٢١/٦/٦٦ ، حضرهما مندوبون من صحافة القاهرة ورسائل وكالة (رويتر) ومندوب من مجلة (تايم) ، وقد ذكر سيادة الأمين العام في هذا المؤتمر الأول على بيان غايات وأهداف مجمع البحوث الإسلامية وصية الحديث في تطبيقها عمليا ، وإسهامه الفعال في توضيح واجب المسلمين حيال فلسطين ، وضائته بإنقاذ صندوق عموله حكومات المسلمين وأفرادهم لتقديم أي عون يهدف إلى خدمة الإسلام والتعريف به .

قال سيادته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أود أولا أن أشكركم ، وأشكر كل وسائل الإعلام على ما قمتم وقامت به من جهد في حيل خدمة المؤتمر هذا العام ، وأرجو أن يظل هذا التعاون قائما بيننا وبين الإعلام وبخاصة وأنه ليس لدينا ما نخفيه بحال من الأحوال وإذا حدث فليس ذلك إخفاء ، ولكن ، لأن موعد نشره لم يحن بعد :

ثم تحدث سيادته عن الفترة الأولى من

المسلمين تربية إسلامية حتى لا يشذوا في سلوكهم عن أثره .

هذه الموضوعات قد أثارت عند المدعوين روحاً ملوثة إيجابية فعالة ، وقد ظهرت هذه الفعالية في الاقتراحات التي تقدموا بها أثناء انعقاد المؤتمر وبعد انعقاده لعمد بصدق من أنهم يهدفون بمقولاتهم ووجدانهم معنا في هذا المؤتمر فلم يفتهم قليل ولا كثير . كذلك لم تكن اسئلتنا جازية معدودة ، فكانت هناك اقتراحات متعلقة بالسلوك الفردي والمجتمع والتشريع الإسلامي ، ولو لم يكن مداه واسعا ، وكانت اقتراحاتهم موجهة إلى الحكومات والأفراد وبذلك أمكن أن يقال :

إن السادة الذين دهرنا إلى هذا المؤتمر لم يكونوا عابدين بمقولاتهم ووجدانهم بل كانوا صهيبي لا بكلمات بل باقتراحات يمكن أن تكون دستوراً للحياة .

لقد قام المؤتمر بإيجاد جو إسلامي عام وإثارة حرارة إيمانية ليس في البيت التي انعقد فيها لحسب ولكن في كل أرجاء البلاد في العالم الإسلامي فاتفعلوا بها جميعا اتفعلالا ووحيا وعفليا ، وكان من أثر هذا الاتفعل أن وفدنا سبيل من البرقيات والخطابات التي تبين أنهم كانوا يهدفون معنا بمقولاتهم ووجدانهم كانت هذه البرقيات من كثير من رجال الغمهورية العربية المتحدة وغيرها من بلاد العالم الإسلامي

كذلك من غايات هذا المؤتمر مساعدة الأقليات الإسلامية ، أينما وجدت ، عليا وعفليا ووربطهم بالمسلمين وباطا ينشأ عنه تعاونهم وخدمهم .

هذه هي بعض غايات بجميع البحوث الإسلامية وتلك مهمة من مهمات مؤتمراته . فهل قننا هذا العام بعمل يساعد على تحقيق هذه الغايات ، كلها أو بعضها ؟

إذا نظرتم إلى الموضوعات التي طرحت للبحث في الدورة الأولى وجدتموها كلها من هذا القبيل .

فدراصة السنة والحديث النبوي ومكانتها من الاستدلال ، ومن ناحية صحتها وسندها من الموضوعات التي لم تطرح للبحث فقط ، ولكن ليرجع إليها المسلمون كذلك في تنظيم حياتهم ، ولتبيين للناس وبخاصة ، من غير المسلمين ، الذين تحدثوا كثيراً عن السنة وقيمها نبين لهم أنها في معناها وثبوتها لا ينبغي أن يفك فيها بأحد على .

تحدثنا كذلك عن التربية الإسلامية في القرآن .

وعن المجتمع الإنساني في ظل الإسلام . وبحثنا روح الإسلام وأثرها في تربية المجتمع ، والمأثور عن المسلمين في سياسة الرعية أو المجتمع .

ترون من هذا أن الموضوعات مرتبطة أو بباطا وثيقا بحياة المسلمين وتهدف إلى تربية

فالمهمة التي تحمل مسؤولية التعريف بالإسلام وإحياء التراث الإسلامي، ومساعدة الأقليات الإسلامية على النهوض كل ذلك يجعلها تحتاج إلى مال وفير والمندوق كفيلاً، إن شاء الله بالمساعدة على تذليل هذا الصنيع .

وقرارات هذا العام فيها كثير من التجديدات لا من حيث التعبير والصياغة كما قد يظن بعض الناس ولكن من حيث المندول والمعنى المقصود منها .

لذلك يمكن القول بأن المؤتمر في هذه الفترة جعل نهجاً باهراً كما كان له نجاح عظيم في الماضي جعله أعماله السابقة ونتائجه ولعلكم تذكرون أن السيد حسين القاضى نائب رئيس الجمهورية جعل لنا ذلك ، والحمد لله ، في حفل الافتتاح ، ولذا كان على أن أشكر كل من أسهم في إنجاح المؤتمر ولا ينبغي حتى أن أشكر كل رجال الأزهر الذين شاركوا في الأعمال الإدارية والفنية في هذا السيل .

• • •

وفي ختام جلسات الدورة الثانية يوم الخميس ١٣ من رجب ١٤٠٠ / ٢٧ عقد سيادته مؤتمره الصحفي الثانى أشاد فيه بمجهود المؤتمر في تلك الفترة وتلا فيه قرارات وتوصيات الفترة الثانية المنصوصة بالصفحة ٤٨٧

على الطيب
أمين التحرير

ومنا يطيب لى أن أكرر ثانية أن وسائل الإعلام على ما قامت به من جهد كبير في هذه الفترة ولعلكم قد شاهدتم كيف أن مشاعر المسلمين في غزة كانت متأثرة نتيجة هذه الزيارة القصيرة التي قضاها في القطاع ، وقد رأيتم مدى تحمسهم للعهد ولإيمانهم بأن قضيتهم سائرة - لا محالة - إلى النجاة السعيدة التي يتبعونها .

وقد كانت التوصيات والقرارات التي وصل إليها المؤتمر في مرحلته الأولى تدل بوضوح على مدى تقديره البالغ للمسؤوليات الكبرى الملقاة على عاتقه لذلك كانت توصياته تهدف دائماً إلى تحليل هذه النمايات إلى واقع على .
فالقرارات المتعلق بـ فلسطين - مثلاً - لم يقل : إن إقادة فلسطين من أيدي المنتصبين فرض وأن المسلمين ينبغي أن يتضامنوا في تحريرها بحسب ؛ بل هدف إلى أبعد من ذلك إذ جاء فيه : إن قمع قضية فلسطين بأي لون من ألوان القمع حمل يؤدي إلى دهم كيان إسرائيل ، وهو فتنة قد تؤدي إلى المروق من الإسلام وذلك جديد لم يكن في القرارات السابقة في المؤتمر .

وثمة ناحية عامة بحثها المؤتمر أهمي بها إنشاء صندوق يسهم المسلمون كافة - حكومات وأفراد - في تمويله للإتفاق على التعريف بالإسلام ، وإنشاء مراكز إسلامية ، وذلك عمل جليل بالغ الأهمية لأنه من الخطرات الأولى التي يتوقف عليها تنفيذ عدد كبير من القرارات والتوصيات .

مَرْجَبُ بَوْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ

لِلأَشْتَاذِ سَعْدِ عَبْدِ الْقَصُودِ ظِلَامٍ

فَقُمْ سَيِّدُ سَالِطٍ ، شَفَاغٍ هَمِّي لِي الْمَلَاغِ وَالْمَهْدَاغِ
تَرَاغِي الْأَحْلَامِ مِنْ صَبَاغٍ وَتَكَادُ تَلْتَمِسُهُ هَمِّي الْأَهْلَاغِ
لَا تَسْأَلُونِي مَا أَتَى فِي مَا خَلَا الْحُبِّ ، وَالْإِحْبَابِ وَالْآلَاغِ
أَحِبَابِنَا إِنْ أُنِيتُ بِهِ هَمِّي وَفَوَادِي الْحَمَاةِ أُنِي يَتَاغِ
تَتَعَاقُ الْأَمَالُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَتَفْرُدُ الْأَطْيَارُ وَالْأَطْيَاغِ
وَيَرْفُ فِي نَفْسٍ وَمِيزَانٍ مُؤَنٍّ وَالْمَهْرَجَانِ وَخَوْفِهِ الرِّفَاغِ

• • •

يَا مَرْجَبَا بِالْمَلْعُونِ يَضْمُمُ فِي قِبْلَتَيْهِ الْأَزْهَرُ الْمُحْيَاغِ
تَدَى قَلْبِي الصَّادِقُونَ ، وَأَحْرَمُوا وَسَمِعُوا إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ قَدْ طَاغَا
مَرَحُوا إِلَى السَّاحَاتِ يَحْدُورُ كَيْفُ إِخْلَاصِهِمْ قَدْ وَالْإِلْصَافِ
رَحَكُوا إِلَى الْإِيمَانِ كُلِّ أَيْةٍ وَاسْتَعْبَدُوا الْآلَامَ وَهِيَ رِغَاغِ
وَتَذَكَّرُوا الْقُرْبَ وَهَذَا خَالِدًا تَتَعَاطَفُوا وَتَتَعَاقُوا وَتَصَاغَا
وَمَضُوا إِلَى التَّوَدُّعِ فِي عَرَاغٍ قَتَمَطَرُوا بِسَبِيهِ وَاسْتَاغَا
وَتَغَسَّوْا نَحْوَ الْبِنَاءِ وَكَلَمُ مَتَحَفَزُونَ إِلَى الْبِنَاءِ خِفَاغِ
أَنْفِي فِي خَطَوَاتِهِمْ إِذَا أَفْدَمُوا وَالْمَجْدَ وَانِي حَيْثَا قَدْ وَافَا

• • •

يَا أَزْهَرَ الْأَجْمَادِ يَا مَهْدَ السَّعَا يَا غَمِّي مَا أَتَى لَنَا الْأَهْلَاغِ
عَرَابِكِ الْأَسَى تَرَانِيمُ الْهَدَى وَسَنَّاكَ مِنْ أَشْوَاتِهِ شَفَاغِ
طَوْبُ لَهْدِكَ فِي الْوُجُودِ عَزْدًا يَا كَمْ تَقَاسَى بِمَرْكَ الْآلَاغِ
جَاءَتْكَ كَالْمَصْبَاحِ أَقْبِيَةُ الدُّجَى وَزَرَعَتْ فِيهَا التُّورُومُ عِجَاغِ

ورعيت دين الله حتى رعاية
مرت عليك الحادثات ولم تهين
وصدت أنفس بمرمة لا تنثنى
ما خفت ظلاما يغير ولا تمدا
والمضمرون القيل منك تجمعوا
ورأوا صمودك يا أبى غسانوا

* * *

لكن خطى الأيام ألفت ظمها
فإذا هناك مشاكل لا تنهى
لم تلق حلا ناجما فتعقدت
حتى دعوت إلى النهوض فتمرت
من كل دى فهم عميق مدرك
بتدارسون ليهتدوا لحلوطها
وبناقشون بكل وحى مشر

* * *

يا أيها العلماء إن لقاءكم
عيد لكل المسلمين وفرحة
عيد لامتنا عاما نلتقى
الله أعطانا ضمانات الهدى
الإمنة الحسرى ثلاثى ظلها
كانت لها فى الحافقين حضارة
كانت وما زالت على هام الروى
فى كل ناحية كتاب مضر
وقصيدة فيها الخلود مفرد
لكن غفونا واستخف وعاتنا

عيد تقبل لجره الأخطاف
والعيد بمحمد يومه الغفاف
تجتمع الأجزاء والأطراف
ما بالها تمتصها الأحلاف
وهذا عليها الحافد المتلاف
ضنت بها فى الحافقين ضفاف
حبا يطوف به الهدى وبطاف
وبكل أنقى مزهر حفاف
والأغنيات القيص والإبلاى
كم ضيع الأرقام الاستخاف

هفتا نصيح دهاتنا وهداتنا
 فإذا الهجى كالخطبوط يلفنا
 وإذا الحضارة قصة أذلية
 وإذا التراث بقية من صرف
 وإذا هودى النمر تصف بابنا
 وإذا الأباة الفاتحون تراجموا
 وإذا البناة حل متاعات الثرى
 وإذا سراة القوم هاموا فى السرى
 وإذا أماسينا يكبلها الأسى
 وإذا بنا : لا شئ .. لا معنى لنا
 أرايتموا الإسفاف قد أودى بنا

فتعلم التاريخ كيف يهاف
 لهنى .. وكانت دوحنا الأنفاف
 وإذا الغناء تدوسه الأخفاف
 ولهم أضلاع تراثنا الإسراف
 والدمر مثل رياحه تصاف
 وإذا هو بين الحياة ضعاف
 وإذا قوم بناتهم أحفاف
 وسلاهم بيد التنديم رطاف
 وريبعنا بين الفصول جفاف
 وإذا صحيح وجودنا أنصاف
 يا شدة ما أودى بنا الإسفاف

* * *

أين الطريق إلى الخلاص من الردى
 أنتم سبيل الخمر .. خمر سبيله
 يا أيها الغناء بورك سبيكم
 المسلمون تطلع وتدوق
 يهيون ساحات الرجا وكهم
 نسجوا من الآمال عشوه وجودهم
 وكأن وعيد الله باستخلافهم
 فتطلعوا شوقا إلى طنائهم
 كفوا الرجا إلى النفوس عجة
 زفوا إليها كل خمير هلا
 أنتم لديها الآن كل وجاتها

كيف السبيل يكون والإسفاف
 وطريقه المتبسم المطاف
 يوم اللقاء وبورك الإشراف
 ومنى ترف .. ومهجة وشغاف
 ثقة .. ونهى مزمر .. وقطاف
 وكأنه الغبار استنشاف
 يحدوم .. ولم به استخلاف
 وكأنما بين الرزى استعطاف
 أنقامها بين القلوب لطاف
 تحيا فقد نثر الصقوف خلاف
 ورجاها أن يوجد الإيلاف

سعد عبد المقصود نظم

تخطيط بحمى البحوث الإسلامية بالأزهر

بيان أعضاء المؤتمر في غزة

من أرض المسألة بقطاع غزة ، وبين لاجئي فلسطين المنتسبة بفعل الصهيونية العالمية ومؤامرات دول الاستعمار ،

يعلن أعضاء المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية أن قضية فلسطين أمانة في عنق كل مسلم : الانتصار لها واجب ، والدفاع عنها فريضة ، والتخريط فيها جريمة في حق الدين ، ورصمة في جبين الإنسانية ، وأن الانتصار لخصومها ومغتصبها والمعينين لها خروج عن الوحدة التي أمر الله بها : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » :

ويعلن أعضاء المؤتمر أن التردد للصهيونيين ومن والاهم ، والتعامل معهم حرب لله ولدين الله وللسلمين .

ويطالبون بأن تسحب الدول الإسلامية التي اعترفت بإسرائيل هذا الاعتراف ، وأن تقطع الدول والشعوب الإسلامية التي تتعامل معها هذا التعامل .

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

3—The Conference urges all Islamic governments and peoples to set up Islamic authorities in their respective countries to be assigned the task of determining the first of lunar months with the help of observatories and reliable astronomers.

Fourth : Sacrifices and Offerings

1—The Conference declares that the sacrifices and offerings made on the occasion of pilgrimage are Islamic rites and acts of worship which have their social objectives. A Muslim who can afford them is not allowed to omit them in favour of other pious gifts. Their omission, however, can be made good by fasting as is prescribed by the Holy Qur'an, if the pilgrim cannot afford them.

2—The Conference appeals to all Muslim peoples and governments, to check the dangers which might arise during pilgrimage from sacrificial offerings, to put them to a good use as is prescribed by the Law-giver, and to adopt the ways wherewith to accomplish this object.

Fifth : On Social and Economic Affairs

1—The Conference recommends:

a) Since Islam is a creed, worship, and a law defining rights and duties, it is best for mankind to practise all the teachings ordained by the Quran and the Sunnah on dealings

and social sanctions, in as much as they safeguard virtue and check evil and corruption.

b) Islam makes no distinction between people as to colour, race, or region. All men are equal in terms of fundamental rights and obligations.

c) International relations must be established on a basis of justice, respect for human dignity, the fulfilment of just treaties and the annulment of all agreements prejudicial to the interests of weak parties.

d) All peoples of the world should co-operate in exploiting the natural resources of the earth on a just basis so that the one could possibly benefit by the surplus crops, minerals and manufactured goods produced by the other.

e) Islam stands for social justice based on productive labour and equal opportunities so that each can work according to his work. Work is an act of worship. Though some people are rich and others are poor, yet Islam recognizes no classes as all people enjoy equal rights and have similar obligations.

f) The teachings of Islam include certain provisions with regard to the organisation of the economic aspect. These provisions constitute in their entirety an integrated

companies, the Conference recommends the Academy to carry on the study of the financial, economic and social aspects of the question, and get acquainted as far as possible, with the views of Muslim scholars in Islamic countries so that the Conference could deduce the legal ruling on every kind of insurance.

Regarding the social and co-operative insurance including health insurance against disability, unemployment, old age, labour accidents and the like, the Second Conference had already decided that it is admissible.

2 — Having studied the Question of foreign bills of exchange the Conference has come to the conclusion that they are in fact as admissible as inland bills of exchange, except for those bills which bear usurious interest forbidden by the law, and those involved in insurance on which no ruling has been deduced.

3 — The Conference calls upon the Academy to continue the study of the Islamic substitute for the modern banking system, and the method of its application, with the help of economists and business men.

Third : Fixing the Beginning of Lunar Months

1 — The Conference declares that :

a) The observation of the new moon is the original method of

fixing the beginning of lunar months as is indicated by the prophetic tradition. But this method is not to be relied on if strong suspicions are raised against it.

b) The observation of the new moon is established by a report handed down, or widely spread, by persons who cannot be supposed to have plotted a lie, as well as by the report of a single informant, whether male or female, unless his statement is impugned for one reason or another, such as contradicting the reliable calculation of a reliable astronomist.

c) The report of a single informant is only binding on himself as well as on those who have trust in him. The public, however, should abide only by the definite observation carried out by the person detailed by the Islamic State for this purpose.

d) The beginning of the month is to be settled according to astronomical calculation if it is difficult to see the new moon or to reckon the preceding month as thirty days.

2 — The Conference decides that no allowance should be made for the different times of the moonrise in various countries, however distant, if they all co-incide even in a short period of the night when the new moon has been seen ; if not, then the differences of moonrise should be taken into account.

Resolutions and Recommendations

ISSUED BY

The Third Conference of the Islamic Research Academy

(The Second Stage)

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful, the third Conference of Islamic Research Academy passes the following resolutions and recommendations on the subjects presented for consideration in the second stage.

First: The Prophetic Sunnah

1 — The Conference declares to the Islamic World the authenticity of the Sunnah as the second source of legislation in Islam next to the Holy Qur'an. It recommends all Muslims to adhere to it, and act upon it in the field of education, dealings, and behaviour, emphasizing the important role it played in forming the Islamic thought, building up human civilisation and safeguarding the community from factors of unrest and deterioration.

2 — In appreciating the strenuous efforts exerted by Muslim scholars in the recording in writing of traditions, and their meticulous care in transmitting them, the Conference draws the attentions of the Muslim youth and the cultured elite to the sound method adopted by traditionists who endeavoured

to ascertain the truth in the collection and criticism of traditions in a manner unprecedented in the history of any other nation. This method had produced its deep effect on methods of historical, literary and social criticism. Therefore, this great heritage, the heritage of the Sunnah, is worthy of being a source of enlightenment and guidance, as well as of pride and glory, for our noble Islamic community.

3 — The Conference entrusts the Islamic Research Academy with the task of collecting and verifying those traditions whose outward sense seems to be wide of the mark. This can best be achieved through the examination of their texts and chains of authorities (Isnad) in accordance with the criteria and rules laid down by traditionists for the criticism of traditions. Further, the Academy should prepare commentaries thereon.

Second : Insurance and Bank Transactions

1 — Regarding the different kinds of insurance practised by

individuals, to direct their public and private lives along sound Islamic lines on a firm basis of Islamic teachings on systems of government, administration, and jurisprudence. Such direction would help to reform the Muslim citizen and as a corollary to reform the Muslim community with firm belief in God, and deep-seated pride in the Faith, and power to resist atheistic trends as well as intellectual and moral invasion.

3 — The Conference recommends the measures conducive to such individual, social and political reform. Foremost among these measures are the revival of Islamic heritage and the proper acquaintance with Islam as both a creed and law, at all cultural and educational levels.

4 — The Conference urges the Islamic Research Academy to appoint a permanent body to assume the responsibility of propagating Islam and directing the scholastic as well as cultural programmes along proper Islamic lines.

5 — The Conference further, urges the Academy to create a fund to which world Muslims would contribute for the purpose of the propagation of Islam, the diffusion of Islamic culture, the revival of Islamic heritage and the establishment of Islamic centres and other organisations.

6 — The Conference also calls upon the Academy to compile an indexed encyclopaedia of Prophet's

traditions to be verified by an ad-hoc committee for Muslims to use as a second fundamental reference on Islam.

7 — The Conference calls for purging Muslim societies of intellectual and moral incursions and for guiding such societies to the perfect character of Islamic teachings and their fitness as means of solving the society's economic, social and political problems. Attention of Muslim societies should be called to the Islamic code of ethics in its pristine beauty. A series of simplified text-books in this respect is recommended to be produced and translated into the major living languages.

8 — The Conference re-affirms its recommendation urging Muslim countries to teach Arabic, the language of the Quran, in their schools to make it possible for non-Arab Muslims to study the Holy Quran and the Sunna.

9 — The Conference appeals to the authorities concerned in the various Muslim countries to clear their laws and systems of government of all that runs counter to the tenets of Islam and to bring such laws and systems into line with God's Book and the traditions of His Prophet while adopting all new and good concepts and principles which would not clash with the fundamentals of the Faith.

"And Allah's is guidance. Allah alone can show the right path".

RECOMMENDATIONS

Issued by

The Third Conference of the Islamic Research Academy

(The First Stage)

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

By the grace of Allah, the Conference of Islamic Research Academy to-day concludes the first stage of the third session which started on Friday, Jumada Al-Akhira 15, 1386 A.H. (September 30, 1966). The Conference expresses its thankfulness to Allah, the Almighty, for providing the occasion for this blessed meeting of Muslim Ulema from different countries within the precincts of Al-Azhar to join together in furthering the interests of Muslims in their spiritual and temporal affairs, thereby preserving Islamic unity and fraternity, co-operating in righteousness and piety, avoiding sin and aggression, guarding against dispute and dissension, and effectively contributing to peace of all mankind on a basis of right, justice, and equity.

The Conference records its deep appreciation of President Gamal Abdel Nasser's kindness in placing the Conference under his auspices, in paying great attention to religion and in delegating Vice-President Mr. Hussein Al Shafei

to open the Conference session.

The Conference also extends grateful thanks to the U.A.R., both government and people, for their generous hospitality. It appreciates the Grand Sheikh of Al Azhar's concern for the conference which helps to fulfill the mission of that Islamic institution in preserving the Faith and serving Muslims all the world over.

The Conference recommends as follows :

1— It impresses on Muslims everywhere that serious and persistent struggle to deliver Palestine from the hands of Zionist aggressors and usurpers is an obligation on every Muslim, man and women, and warns against deviation from Islam through co-operation with Zionist usurpers who have driven the Arabs and Muslims out of their homes or with those who helped to render them homeless. The Conference re-affirms the decision taken at its second session calling on those Muslim states which had recognised Israel to withdraw their recognition.

2 — The Conference urges Muslims, both governments and

What can this message be?
Man's Message in Life :

God Gracious has defined the aim of this message in His words; "I will create A vicegerent on earth" And the Almighty's words: "It is he who hath made You (His) agents, inheritors of the earth. He hath raised You in ranks, some above others, that He may try you in the gifts He hath given you."

To be able to bear the responsibilities of this agency, God endowed man with talents that help him carry out such a message. He supplied him with energy and intellect to do such acts as he deems proper on earth and under it; to build, produce and to utilize God's gifts: plants animals and metals:— "And we sent down iron, in which is (material for) Mighty war, As well as many benefits for mankind."

"And Sendeth down rain from the skies, and with it bringeth out fruits where with to feed you,

God has directed people's attention to the fact that God's gifts can be obtained only by persistent effort. The almighty Says, "For you, so traverse Ye through its tracts And enjoy of the substance which He furnishes."

And Says: "And God has made The earth for you as a carpet (spread out), That ye may go about therein, in spacious roads."

And Says: "It is we who have placed you with authority on earth, and provided Ye therein with means for the fulfilment of your life."

The use of such wealth should not be restricted to its owners but must be devoted to the help of the needy and the disabled. It should also be devoted to the general welfare of the nation, thus achieving the social solidarity and the co-operation cherished by Islam. Islam considers work in trade and agriculture a sort of a holy struggle, deserving reward.

The Prophet, Allah bless him and give him peace, said, "Anyone who plants a tree, attends to it with patience till it bears fruit shall be rewarded by Allah for every fruit it bears." He also said: "Seven things a man may be rewarded for in his grave after his death. Teaching knowledge, digging a river or drilling a well, planting a palm tree, building a mosque, bequeathing a holy book, or leaving a pious son who would pray God for him after his death."

and his God, as well as protection against the evils of material greed and the dictates of a soul that is prone to evil.

The more lofty this spiritual side is, the greater will be man's progress, the stronger his self-control and domination over the worldly resources which God has created for him. Hence, the necessity to foster this element with motives of good; mercy, truth, justice, charity, benevolence and co-operation, thereby laying the solid foundation of a mature society and achieving the cherished aims of an ideal life.

Secondly :

The Physical Element :

This is the material element which God created from the matter of earth from which man grows, and acquires the inclinations so necessary for his growth and that of his offspring.

The body has diverse sensuous desires which are conducive to evil if man goes beyond the bounds of moderation :

God has subjected to man everything on earth and allowed him the enjoyment of lawful earnings which God has made accessible to him, provided that he should labour, use his brains, serve himself and exchange benefits with all mankind without selfishness or egoism,

Islam has set proper rules to keep human body fit and sound and advised man to partake of lawful food and drink avoiding all that may cause him harm.

God Gracious Says : "...eat and drink : But waste not by excess".

And God most dignified says :

"It is He who has made the sea subject, that ye may eat there of flesh that is fresh and tender".

And Says : "ye shall have there in Abundance of fruit from which ye shall have satisfaction".

And the Gracious God Says : "O Ye people ! Eat of what is on earth, lawful and good"; and others.

These are the both sides of human formation, spiritual and material within which God has deposited all the forces necessary for human happiness. In this formation we can clearly see the elements of mercy, Sympathy and co-operation for the best of aims which guide man towards all the springs of good necessary for his life. If these elements are directed towards God, their Creator, man will become happy but if they go astray he will miss the right path.

There remains for man with such complete formation to carry out his message for which God has created him.

"God Commands justice, the doing of good, and liberality to kith And kin, and he forbids All shameful deeds and injustice: And rebellion, He instructs you, That ye may receive admonition. (Verse 19 Chapter of "The Bee").

"The Believers must (Eventually) win through, Those who humble themselves, in their prayers; who avoid vain talk; who are active in deeds of charity, who abstain from sex, except with those joined to them in the marriage bond, or (the captives) whom their right hands possess. For (in their case) they are free from blame, But those whose desires exceed those limits are transgressors. Those who faithfully observe their trusts and their covenants. And who strictly guard Their prayers :- These will be the heirs, who will inhabit paradise. They will dwell there in (For ever). (The verses from 1 to 11 Sura Muminun or The Believers).

"And the servants of (God Most Gracious are those who walk on the earth in humility. And when the ignorant Address them, they say, "Peace!". Those who spend the night in adoration of their Lord Prostrate and standing; Those who say : "Our Lord : Avert from us the wrath of Hell, for its Wrath is indeed an affliction grievous, Evil indeed is it as an abode and as

a place to rest in"; Those who when they spend, are not extravagant and niggardly, but hold a just (balance) between those (extremes) Those who invoke not, with God and other god, Nor slay such life as God Has made sacred, except for just cause, nor commit Fornication..." (verses from 63 to 68. chapter of The Criterion).

And many other verses dealing with the roots of virtue such as justice, keeping one's promise, moderation in spending, honesty, patience, avoiding perjury, giving rights to the rightful owners and other virtues.

(3) As for conscience and the sentiments associated with it, Islam has linked them closely together in man's relations with his parents, relatives distant neighbours and near friends. Affection is made by Islam the basis of relations in the family first, and then between all people. All this helps to make human life quiet agreeable and pleasant.

These three aspects are the prop of the spiritual being of man; moreover they form a close connection between the members of a society, unifying their aims, achieving harmony between the elements of the nation and constituting an important factor in its progress and development. At their lofty standard, they provide a link between man

by free knowledge, profound thinking and conviction.

Besides the elevation of intellect there are other sides that have their great value and importance in encouraging scientific research and drawing plans for the implementation of its programmes of which modern civilization takes good care. These include the opening of wide scopes before the human mind and for free action towards the noblest of aims in life.

Moreover, the drawing of man's attention to the aspects of the glorious nature and the signs of God's mercy and His bounty is the most powerful stimulant of faith in God and recognition of His power and greatness. It has another value in that it reminds of the riches abounding in this universe which he can use for his good and the good of others.

(2) As for will, Islam has directed it towards good in all its forms such as charity, benevolence, co-operation, and alms giving. In the Noble Quran, there are many verses dealing with the roots of virtues and noble character calculated to secure a noble life for the individuals. Listen to the Almighty's words: "It is not righteousness that ye turn your faces towards East and West, But it is righteousness to believe in God And the Last Day;

And the Angels; And the Book; And the Messengers; To spend of your substance; Out of love for Him, For your kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask, and for the ransom of slaves; to be steadfast in prayer, And practice regular charity, to fulfil the contracts which ye have made, and to be firm and patient in pain (for suffering) and adversity, and throughout all period of panic. Such are people of truth, the God fearing (Sura 2 — 177).

(19) "Is then one who doth know that which has been Revealed unto thee from thy Lord is the Truth, Like one who is blind? It is those who are endued with understanding That receive admonition :-

(20) Those who fulfil the covenant of God and fail not in their plighted word; (21) Those who join together those things which God Hath commanded to be joined. Hold their Lord in awe And fear the terrible reckoning;

(22) Those who patiently persevere, seeking the countenance of their Lord; Establish regular prayers; spend; out of (the gifts) we have bestowed for their sustenance, secretly and openly; and turn off Evil With good : for such there is the final attainment of the (Eternal) Home, — (Verses from 19 to 22 chapter of 'Thunder').

us to God and directs man to obey and carry out His orders. It guides us to the good as well as the noblest and most glorious deeds; helping us to guard ourselves against error and evil.

If educationists take care of that element and if man tends it with purification it will be the best guide to the right path, the path of the Mighty Commendable God.

This spiritual or psychological element has three phases, each aiming at a noble end in life, namely :—

Intellect, that aims at the knowledge of truth;

Will whose aim is to reach good;

Conscience, having for its objects noble sentiments and beauty of soul.

Truth, good and noble sentiments are ideal aims which, if achieved achieved by man, will give him a happy life, Peace and harmony will also prevail amongst nations. These three aims have a very important place in Islam which takes great care of them. The Almighty Says: "It is He who has sent His Apostle with Guidance And the Religion of Truth."

Truth includes the spread of justice, fairness and equality. Good aims at love, harmony and good relations amongst people. Sentiments play an important part in promoting

fraternity, co-operation, mutual sympathy and love.

These are a few principles on which the ideal mature society rests. If individuals, communities and peoples appreciate these principles truly, sincerely and with a strong will, people's life will be pure, the causes of envy, injustice and aggression will be obliterated and tendencies to evil and destruction will be pulled out of all minds, we would thereby get an ideal society which all peace-loving peoples aspire to or perhaps we might attain the virtuous city which old thinkers or civilized nations have tried to achieve without success.

Islam takes the greatest care to promote these aims; it elevates intellect, will and nurtise noble sentiments,

(1) The clearest way to nurtise intellect is that mentioned in the Holy Quran urging people to contemplate God's signs in the universe and the human soul alike. The Almighty Says: "On the earth Are signs for those of assured faith, As also in your own selves : Will ye not then see?" and Says : "Do they not look At the sky above them?"—"Now let man but think from what he is created !" "Then let man look at his food. (And how We provide it)" ... etc.

Contemplation can be achieved

tain the hope of seeing the true dawn, as they have faith in God, trust in His power, and adhere to the precepts of Islam.

We see all this within our sphere, and feel a pressing need for decisive solutions that may save humanity and spare it an evil destiny.

May we therefore look up to God imploring Him for help and to His great religion for guidance to the most righteous path.

Let us turn to Islam guided by its noble principles, good advice and wise guidance.

The basis on which Islam lies is the innate quality of man.

Islam is the religion of sound nature in which God has created His peoples.

This nature is directed towards the good in the world and depends on sensible thinking as well as on clear and tolerant principles. This is the secret of the strength and immortality of Islam. It is also the secret of the power of those adhering to its principles, for nature if pure renders the soul also pure and capable of virtuous acts and sublime intentions. Peace between peoples would thus prevail and communities and nations will stride towards the best of goals.

Let us see what Islam has stated concerning the creation of man and

his message in life. The Holy Qur'an explains the creation of man in the Almighty's words, "He began the creation of man of man with (nothing more than) clay," and His words: "He created man from sounding clay like unto pottery." The rest of his creation is explained in the verse, "When I have fashioned him (in due proportion) and breathed into him of My spirit, Fall ye down in obeisance unto him.".

The humanbeing is thus formed of two elements, one is spiritual and the other material. Islam has taken great care to foster and guard those two elements from anything that may spoil them or drag them towards the path of evil and sin: as their perfection and homogeneity would lift man to the highest point of virtue and thus renders him capable of carrying out his message which God has assigned to him in the best way.

Let us now deal with these two elements to follow their effect on the development of the individual and the reform of society. Reference will then be made to man's message in life and how he can fulfil it truly, faithfully and with strong belief in God.

First : The Spiritual element :

This is the more important element as it is the path that leads

The Spirit of Islam is the Chief Factor in Reforming Contemporary Society

Among the most useful papers came before the third conference of the Islamic Research Academy was prof. Abdul Hameed Hassan's (Member of the Islamic Research Academy) above mentioned one. The author explains the contributions of Islam to reform the individuals and societies. He speaks about the effects of them in reforming the Contemporary Society. Following are the excerpts of this paper :

"Conscious and highly cultured men aspire to a better life. Developing nations also long for a prosperous life that may restore their prestige and make up for the backwardness they suffered under the heavy yoke of colonisation and during the periods of weakness and failures. Progressive countries likewise endeavour to step up their progress and thus keep pace with world civilisation. The so-called advanced countries at present day are still doubtful as to which path they have to follow, or to which system they should adhere, in order to ensure a quiet and contented life. These countries keep on thinking in a bid to reach a better way of leading their lives.

The struggle between capitalism

and socialism in all its forms is raging fiercely. All peoples of the world long for a peaceful life after the darkness they had plunged in. They seek a solution to those problems which embitter their lives and threaten their existence.

The Arab nations could not help comparing their former condition of power and glory to their present unenviable plight. The Islamic nations who were known for their considerable strength and close bonds through the Arabic language that provided a strong link and a ground for mutually warm sentiments among them have now been deprived of a dignified and decent life, in as much as imperialism estranged them through distorting their language. However, they still ente-

'the human society under the aegis of Islam', and 'the spirit of Islam is the chief factor of reforming contemporary community, the third conference emphasises the interest Muslims take in studies which prove that they keep pace with the latest developments of arts and sciences, and adhere to the principles of their religion.

By discussing the subject of integration of Islamic environments and the determination of the beginning of lunar months, the conference also emphasises the fact that Muslims throughout the world are governed in their religious affairs by common ties and systems.

Gentlemen,

Not only Muslims but also those concerned with social and economic studies throughout the world are eager to see the light of Islamic view shining upon the social and economic questions of the day assessed within the context of Islamic principles.

Gentlemen,

The United Arab Republic responds to basic human requirements to ensure a free and decent life for all in conformity with the basic principles of religion. Care has, therefore, been taken to establish a system where exploitation has no longer any place, and where mass production, honourable transactions, free education, the right to

employment, the freedom of expression and the written word have the upper hand.

Attention has equally been paid to religious affairs. Religious research and publications in all branches of knowledge are encouraged by the State which lives up to the principles of religion in supporting oppressed peoples.

Thus the State emphasises the fact that it is good deeds that indicate good intentions. Muslims might just as well, for their well-being in this world and the next, count on deeds not words. They should strive in the cause of Allah with the devotion due to Him, and believe that in the absence of social freedom there is no political freedom.

We have indeed in the Apostle of God Allah bless him and grant him peace - and his companions, a good pattern of conduct. The Apostle did not seek influence or personal aggrandizement. He taught us by good example that the true call for Islam should be confined to preaching Islam, free from the ambitions of this world. It is not plausible that the call for Islam be made by a leadership deeply sunk into a leisurely indulgence of treasures alongside the abject poverty of a people yearning for the bare necessities of life.

May Allah guide you. He is the best to protect, and the best to help.

At that time the spirit of Islam stood for sacrifice and self-denial, for progress and positiveness, for serious and tireless preaching. It believed in the ideal society and tried to establish it. It believed in all classes of people especially those who lacked the opportunities of life. It called for the abolition of class and differences between Muslims, so that each individual should feel he was entitled to a just share in the wealth of his native land.

Gentlemen,

Before coming I recalled the Conference's previous resolutions. I found they had for the first time tackled debatable issues with complete frankness and other issues of which theologians took no notice.

The two previous conferences proved to be worthy of appreciation and praise because they rose to the level of their responsibilities and coped with problems about which previous scholars took no trouble.

The first conference discussed the subject of private property and adopted a resolution which stressed the right of authorities to place such limits on private property as would check flagrant evils and further the public good. It was decided that usurped property and unlawful acquisitions should be handed over to their lawful owners or to the state Treasury. Again

it was decided that imperialism and its agents constituted the chief danger to which Muslim individuals, communities and states should offer persistent resistance until the Muslim conscience, science and countries were liberated. Furthermore, the conference denounced Zionism as a new slogan of the insidious disease of colonialism, and emphasised the struggle against both imperialism and Zionism as an obligation upon every Muslim.

The second conference considered family planning, the Palestine question and the attitude of Islam towards slavery. In the name of Islam it condemned the attempted repression of the natural rights of both individuals and communities, and called upon Muslims all the world over to resist such attempts, affirming that such resistance was incumbent upon every Muslim and that the shirking of this responsibility was a major sin.

The originality of the treatises discussed by the two previous conferences is amply proved by the fact that the logic of the research papers presented for consideration in this third conference emphasises the necessity of pursuing the study of subjects of far-reaching effect on the life of Islamic peoples.

By discussing the role of the Quran in modern education, 'the Islamic and contemporary economy',

S P E E C H

By : Mr. HUSSEIN EL-SHAPE'I, VICE-PRESIDENT OF U.A.R.

(ON BEHALF OF PRESIDENT GAMAL ABDEL NASSER)

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. Praise be to Allah, Lord of the Worlds. Peace and blessings be on the leader of Apostles.

Members of the Islamic Research Academy, and guests of the United Arab Republic,

I welcome you in the name of President Gamal Abdel-Nasser and convey to you his greetings and best wishes for the success of your conference upon which the attention of every Muslim is focused. I have the pleasure to assure you that President Gamal Abdel Nasser follows with keen interest the conference's deliberations. The President believes that the meeting of Muslim scholars provides a vital medium to the attainment of objective opinions on a basis of research, knowledge, and recommendations seeking the pleasure of Allah and the benefit of all Muslims on the local level as well as on the level of the whole Muslim world which extends across five continents.

I have also the pleasure to express the deep appreciation by the people of the United Arab Republic of your sacred struggle for the cause of Allah. Our government and people appreciate the hardships you suffered

on your long journey to attend this conference for the sake of Islam, and the propagation of its teachings and heavenly verities upon which rests the wellbeing of Muslims.

Gentlemen,

Thanks to God (exalted He be) for affording us the opportunity of meeting in this third conference of the Islamic Research Academy.

Your annual conference has come to provide an opportunity for Muslim scholars to gather for the sake of pure knowledge free from every sort of political considerations that would alienate its scientific character. This character is worthy of Al-Azhar which has never failed in its mission as custodian of the Islamic heritage for almost one thousand years.

Your conference has, likewise, become an occasion impatiently awaited by all Muslims, who follow with keen interest the social, economic and political issues submitted to the conference, and look forward to such resolutions as would satisfy the Islamic peoples and meet the challenges facing Islam with sound religious decisions.

The free Islamic thought should have the upper hand it had at the beginning of the divine ministry.

On most of them the conference adopted resolutions and recommendations aimed to serve the Islamic community in both temporal and spiritual affairs, to reinforce the sense of co-operation between Muslim peoples, to support their just causes, and to correct the understanding of some legal rulings. Some papers are still under discussion because they require more time to be thoroughly studied so that the premises may be adequate to pass verdicts and draw conclusions.

To-day opens a new session of the Islamic Research Academy. The research papers prepared by the members will be presented for consideration to the conference on many matters of vital concern to Muslims at large. Foremost among the papers is the role of the Sunna in Islamic legislation and the refutation of doubts and suspicions cast on its authenticity and transmission. Several topics engaging the attention of Muslims at the present time will be presented for the first time such as the means of fixing the beginning of lunar months, thus determining Muslim feasts and other religious occasions with precision.

The conference will also discuss the means of benefiting by the sacrifices offered on the occasion pilgrimage as well as the questions relating to Islamic and contemporary economy.

Gentlemen,

I regret to announce the death of an eminent scholar of Islam and a member of the Academy, the late Sheikh Al Bashir Al Ibrahimi. May Allah shower His choicest blessings on him and rank him with the righteous.

Gentlemen,

In this session the plan of work will be the same as that of the two preceding sessions. It will be carried out in two stages, the first starts to-day and ends on the eleventh inst. In this stage the guests will participate with the members of the Academy. The second stage will continue to the end of the fourth week following inaugural meeting. The work of this stage will be confined to the Academy members.

As I have said and always say, to state the religious point of view on these topics and problems would not suffice. Our chief duty is to determine the means of implementing the resolutions and recommendations of the conference so that they would become the working plan for the Islamic community and the object of serious consideration. "Say: Work, Allah sees your work, and His Apostle and the Believers."

And Allah's is the guidance.

Peace be on you, the mercy of Allah and his blessings.

The plans of the Academy will be put into practice only when the influence of the Academy makes itself felt on the international level, when its message is supported by the organizations interested in the cause of Islam as well as by the forces in charge of Muslim affairs. Without such plans and support any step towards reform would serve no other purpose but to embolden the foes of Islam to disparage the Faith and strike at its roots.

Hence the need for frequent meetings in this Islamic forum in order to discuss the methods of preserving the Islamic religion and creed and ensuring a life of honour and glory for the Muslims. This will be achieved when conformity is established between life and religion, behaviour and creed. Not only will such conformity be a spiritual and conscious force capable of facing all challenges and smashing all erroneous notions and misleading calls but also a coherent and social force calculated to bring welfare to Muslim peoples. "On that day the believers will rejoice in Allah's help."

It is for this reason that we should think seriously of the religious and cultural affairs of tens of millions of Muslims who represent minorities in many countries in order to help them understand their true religion in its pristine purity.

They should, therefore, be present here with their problems for the Academy to solve them in the light of the real life they live.

In order to enable the Academy to shoulder all these responsibilities, its scope has to be broadened and its powers increased.

Gentlemen,

The current session of the conference was preceded by two ones, the first of which was the first fruit of the Academy and the beginning of joint thinking among Muslims in modern age. In that session the Academy discussed several research papers and adopted resolutions and recommendations which might justly be considered as new rulings meeting the exigencies of the age. The second session, likewise, witnessed a set of scientific researches of vital importance, covering a wide range of topics such as 'The Islamic creed as expounded in the Quran', 'Contemporary bank transactions from an Islamic perspective', 'Family planning and birth control', and 'The status of woman in Islam. Other research papers dealt with social and cultural topics relating many perverted concepts and ideas alien to Islamic culture.

All these papers were the subject of intensive study and discussion.

feelings through sympathy which paves the way for co-operation.

This aim will be achieved when Islamic communities believe that they possess a common heritage which can help them to face the problems of life and overcome these problems, when they believe that they form one nation combined by one religion having the avowal of one Creator as its essence, the worship of God as its means, love as its effect, good life, dignity and righteous behaviour as its fruit, all of which are the aspects of the message for which you, eminent scholars, are responsible and upon which you establish the methods of reform.

Gentlemen,

It will not be difficult for the Academy and its scholars to reduce all the new elements that entered the life of Muslims to the General principles and rules laid down by the canon law for the regulation of Islamic life. The canon law with its broad principles and rich details and the wisdom involved therein will make the task easy. To-day, however the matter is far more serious than the task of casuistry, elucidation and interpretation. We live in an age seething with internecine strife for domination and influence, a strife unprecedented in the history of humanity, whose aim is not concerned with the practical life of

mankind. Its real aim is to do away with religion both negatively and positively. To this hidden aim attention must be turned, and to its defeat all energies should be directed.

It is obvious that as yet the Islamic world is far from thinking of this challenge which threatens its religion. So far it has not analysed this challenge nor assessed its disastrous effects upon Muslims with the intellectual and dogmatic invasion involved therein. The Islamic world has not thought over the means of facing this challenge.

In this respect a heavy task devolves on the Academy as well as on Muslim peoples and communities.

The task of the academy is to reveal the Islamic values which establish the balance between the force of the individual and the society. It has also to reveal the major Islamic truths in a codified, scientific framework in whose light a Muslim could see his religion its pristine form and original purity, thereby distinguishing false and deceptive values which neither insure a safe future nor convince a sound mind.

The task of Islamic peoples is to instil these values into the minds of the rising generations, deepen their belief in them, and conform individual and corporate behaviour to them.

Allah saith truly in this connection, "Believers, men and women, are protectors one of another". Hence, sound belief and righteous work are the basis of good behaviour for both the individual and the community. The present conditions of Muslim peoples will be mended in the same way as those of first generations, Mundane interests will not unite Muslim peoples unless they are united by their religious doctrines, unless they are prompted by the motives of the covenant which Allah ratified with them. But they will not be united by religious doctrines unless these doctrines are firmly rooted in hearts free from hatred and minds pure from sin. "The blood of Muslims is equally retaliated. A promise made by an individual Muslim shall be taken as a promise held out by the whole community. Muslims form one front against their enemies".

To achieve this lofty ideal the Islamic Research Academy has been established so that it may be a meeting-place for Muslim scholars at large irrespective of their different opinions and tendencies.

Within the precincts of the Academy they meet, drawing inspiration from the Holy Book, seeking guidance in the pure Sunna. In their discussions and deliberations they seek the truth and uphold it. Then

they proclaim their verdicts regarding the problems discussed in a friendly atmosphere free from discord.

Had the Islamic Research Academy confined its attention to questions of jurisprudence and their solutions, it would have been doomed to failure, but since its birth and during its short span of life, its field of work has been the Muslim community; its means of work jurisprudence and study; its aim of research work, to rectify individual and social behaviour.

The purpose of scientific research in this respect is to solve the problems that confront Muslims in their daily life in a way that conforms to the tenets of their religion so that religion and life should not become poles apart with the result that Muslims are either driven by the current into dark depths of materialism brightened by dim, faint light of false values and artificial ideals which could neither enliven a human soul nor stand the test of time or rather driven by puritanism and extremism to the verge of monasticism and ascetism devoid of all dignity and glory and freed from the duties of social life urged by Islam.

The aim of studying the problems of Islamic communities is to find scientific solutions to them is a bid to promote friendly relations and

S P E E C H

By : Dr. Mahmoud Hubb Allah

Secretary General to the Islamic Research Academy

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

Praise be to Allah, Him we praise, His aid we invoke, His guidance we seek. In Him we believe and in Him we trust, Allah bless His Apostle Muhammad and grant him peace together with his family and companions and the adherents of his religion.

Gentlemen :

To-day we meet in the U. A. R. under the aegis of Al-Azhar the house of Allah, the centre of learning, the stronghold of Islamic call, and the Mecca of Muslim scholars since ancient times.

To-day we meet in the third conference of the Islamic Research Academy, in response to God's call, and in order to deepen our knowledge of God's religion and law, and to promote the spirit of co-operation enjoined by Islam as a pre-requisite for the development of nations and communities.

We have already met in two conferences held before in which some members presented their

studies and researches while others expressed their opinions and presented the problems of their people and the aspirations of their countries. All the participants were inspired with an earnest hope and a major objective, namely, that Muslims should regulate their temporal affairs according to the tenets of Islam, free from distortion or falsification, conform their behaviour and institutions to the doctrines of their religion without alteration or deviation, and adhere to the Truth at a time when the Muslim community is impaired by the factors of weakness and threatened by the cancer of division and disunity.

Muslim peoples are characterized by a salient feature with which Allah endowed both the individual and the community. Islam teaches the individual to live for himself and his religion as well as for his community, seeing that he is a single entity living in a society which knows no bounds. At the same time it teaches the community to cooperate in order to make the individual live happily and breathe freely under its protection and care.

held by God is summed up in two main injunctions :

1 — Our bounden duty to expound in plain language the teachings of Islam.

2 — Our bounden duty to abstain from disguising these teachings.

"And (remember) when Allah laid a charge on those who had received the Scripture (He said) ; Ye are to expound it to mankind and not to hide it" (III, 187).

God, Glory be to Him, has equally explained what we have to perform; nay, He had taken from us a strong pledge to utter the truth as evidently revealed in His Holy Book. Thus, we should not say against God aught but the truth.

"Hath not the covenant of the Scripture been taken on their behalf that they should not speak aught concerning Allah save the truth ?" (VII, 169.).

For this reason, we have met together, and this would be the course we have to follow in our Congress, throughout this session and subsequent ones, by the Grace of God.

To the United Arab Republic is due the honour and credit that are greater than I can say : because it is the country to which belongs the exalted Azhar, the stronghold of Islam, the shining torch of learning and the castle of Arabism. The United Arab Republic is the principal centre of fraternisation (where people associate with each other in a spirit of friendly equality), by which we are most favourably impressed.

To her eminent people and honourable scholars, who represent the greatly beloved President Gamal Abdul-Nasser, we present our heartiest thanks and fervent prayers to God to favour them with ample reward.

Peace be upon you, God's mercy and His blessings.



in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the Prophets; and giveth his wealth, for love of Him, to kinsfolk and to orphans and the needy." (II, 177).

Islam admits no partisanship, disunion, sectarianism, or the formation of contending blocs, because the whole body of Muslims are considered as closely related together through a firm bond of brotherhood. They are one unique monolithic party; the party of God.

"L! Is it not Allah's party who are the successful?" (LVIII, 22)

God has admonished the faithful that whosoever takes infidels as friends, is deemed as one of them. "Your friend can be only Allah; and His messenger and those who believe". (V, 55).

Nay, God has warned believers of disunion: otherwise they would be idolaters. "And be not of those who ascribe partners (unto Him); of those who split up their religion and became schismatics, each sect exulting in its tenets".

(XXX, 21, 32).

In every issue that arises, Islam ordains, unceasingly, to have recourse to God, His messenger, and qualified scholars who are quite competent to apply the method of deductive reasoning. As to those who impart any novel issue

or extend their hands to unbelievers are not considered as real Muslims.

"When there comes to them some matter touching safety or fear, they divulge it, whereas if they had only referred it to the Apostle and such of them as are in authority, those among them who are able to think out the matter would have known it. If it has not been for the Grace of Allah and His mercy ye would have followed Satan, save a few (of you)", (IV, 83).

The Islamic Research Academy, composed of the foremost Muslim scholars, representing all the countries of the world, is our unique and cherished hope; it is the strong and unbreakable rope of God (to which all Muslims should hold fast).⁽¹⁾

All of us are held responsible for obligations, to comply with which we are answerable to God, His Book, His messenger, and to the whole body of Muslims.

The pledge in which we are

(1) The phrase between two Brackets is added to explain what is intended by the author as regards 'the rope of God'. The expression is quoted from the (Quranic verse : "And hold fast all together, by the Rope which God (stretches out for you), and be not divided among yourselves". (III, 103). (Tr.)

S P E E C H

By : Shaikh Ibrahim Stwar Al-Dhahab
On Behalf of the Delegates to the Conference

Praise be to God, Lord of the Worlds; peace and blessings be on Muhammad, the noblest of Apostles, his family and all his Companions.

Your Excellency vice-President of the United Arab Republic,

Your Eminence, the Great Imam, Rector of Al-Azhar and Chairman of the Congress,

Honourable Members of the Islamic Research Academy,

Honourable Delegates,

God's peace be upon you, His mercy, and blessings.

I have been most fortunate and immensely favoured by Providence to be accorded the honour of giving a speech on behalf of the delegations to this solemn Congress.

I extend to all of you, honourable Members, thanks that are beyond my humble powers to express. You have obliged us by the noble work you have accomplished and which is still in the course of fulfilment. I refer to these valuable Islamic studies, the statements of which you have deduced from the fully detailed indications in the standard works of Muslim jurisprudence. They are

intended to be entirely grasped by Muslims, so that the latter can act conformably to the verdicts which these statements comprise, and which have come to be a corpus of rulings, highly adaptable to every age and country, and considerably promoting the interests of the whole body of Muslims in both East and West.

No doubt that one of the basic fundamentals of Islam is to effect a perfect accord amongst Muslims whose strength is gathered, in dignity and power, for realising righteousness and charity and making mutual recommendations to truth. God has veraciously said : "By the declining day, Lo ! man is in a state of loss, save those who believe and do good works, and exhort one another to truth and exhort one another to endurance." (CIII, 1,2,3.)

Righteousness, in Islam, can never be earned by the mere directing of one's face towards the east or the west. "It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believeth

We should act in conformity to what we have learned as the appropriate teachings of Islam, so that we would not be included with those whom God described in the Quranic verse : "O ye who believe . . Why say ye that which ye do not ? It is most hateful in the sight of God that ye say that which ye do not." (LXI, 2, 3).

Gentlemen, After having set a good example, we have to help those in authority in Muslim countries to put into force God's 'Sharia' instead of applying man-made legislation which is widely divergent from the divine. Thus, God's rulings can be applied as much as possible by Muslim rulers.

Once, Muslim rulers are accorded this guidance, the enemies of Islam would give up any hope of trying to deceive us through temptation and insinuation, because we would have recourse to God's 'Sharia' and the heavenly revelation.

I pray God, the Exalted, to help us in every deed (of piety) and in all that we renounce. "Our Lord.. Give us mercy from Thy presence and shape for us right conduct in our plight." (XVIII, 10.).

We, unanimously, implore Him to unite all Muslims in truth and to make them "hard against disbelievers and merciful among themselves" (XLVIII, 29).

I pray God, the Exalted to bestow upon Muslim rulers success and to strengthen through them the prestige of Islam, so that Allah's word becomes the uppermost.

On behalf of the Conference and of all Muslims, I greet President Gamal Abdul Naser, because he had been helped by God to establish the Islamic Research Academy, to found its Council, and to put this Conference under his gracious patronage.

I, equally express my heartiest thanks to him for deputising the vice-president Al-Sayyed Husseln El-Shafe'i at the formal inauguration of the Conference. I implore God to reward adequately all those who have rendered good services to this Conference and have striven to make it a success, so as to enable it to perform its message. "Allah is sufficient for us . . Most Excellent is He in Whom we trust" (III, 173).

May God's blessings be upon you.

exhortation". "Say: O people of the Scripture.. Come to an agreement between us and you, that we shall worship none but Allah, and that we shall ascribe no partner unto Him, and that none of us shall take others for lords beside Allah. And if they turn away, then say: Bear witness that we are they who have surrendered (unto Him)" (III, 64). And His saying: "The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His scriptures and His messengers- we make no distinction between any of His messengers". (II, 285),

We declare to the world, at large, that Islam calls upon mankind to come to a word laid down plainly that we will not worship other than God, nor associate aught with Him, because God is He who created everything. He is the Omniscient, Who is marked out with all the perfect attributes. "Naught is as His likeness, He is the Hearer, the Seer". (XLII, 11).

God, the Almighty, knew mankind's need to Islam, so He revealed the Holy Quran to His messenger Muhammad The Quran comprises the word of God who promised to guard it against any alteration or modification, God says: "Verily,

we have sent down the Reminder and verily we will guard it."

(XV, 9.).

He, who believes in any revealed religion, and intends, through his own free will, to embrace Islam, is not required to renounce the message of the former prophet in whom he had believed. It would only suffice to rectify his faith in the unity of God, to disown associates with Him, to worship God sincerely, and to believe in the message of Muhammad together with the messages of the former prophets, including the one in whom he had previously believed.

The call to Islam is mainly based on the fact that God had created mankind and that nobody is distinguished by either race or colour. Merit is only accorded to those who perform pious deeds. The Holy Quran had declared these principles fourteen centuries ago. God, the Almighty says: "O mankind Lo.. We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo.. the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct. Lo.. Allah is knower, Aware." (XLIX, 13.).

To perform adequately our duty, we would greatly be helped, if we set a good example to all Muslims,

with the rejoicing of Zionism all the world over, hailing the project of the Islamic Pact, how all the information media in Israel have been made use of to propagate for the idea of the Pact. The council discussed, as well, the statement I had already made, before its meeting, in which condemnation of the prospective Pact is clearly expressed. The council, then issued the following decision :

1. The Islamic Research Academy condemns the political and colonialist motives underlying the idea of the Pact and calls the attention of the Muslim states to caution themselves against the deceptive methods adopted by the colonialistic policies.

2. The council supports the statement that had already been issued by His Eminence the Rector of Al-Azhar as regards the proposed Pact, and considers this statement as thoroughly expressing the view of the Academy touching on the projected Pact.

The statement had been submitted to the Secretariat of the Academy and it is accessible to anyone willing to be informed of it.

Since we disagree with those who support the idea of the Pact,

because we consider it as unquestionably prejudicial to the basic interests of Islam and Muslims, and regard it as a means that is considerably advantageous to colonialism and Zionism, we urge those who strive to propagate the idea of the Pact, to reconsider the project and to draw a comparison between the aims they intend to realise through the Pact and the grave misuse it would surely entail; This is due to the fact that we are a compact community of Muslims. We should renounce what causes doubt and suspicion and should adhere to what is sound and reasonable. We have to abandon what we deem as ambiguous and equivocal and abstain from anything that might contaminate our faith. We should determine as our ultimate aim the unity of Muslims and to let Muslims resolve unanimously upon truth. This is identical to what is aimed at by your conference. Equally is it maintained by the teachings of Islam.

Gentlemen :

We, as Muslim scholars, entrusted by God, the Almighty, for the preservation of Islamic teachings, are held responsible before God the Exalted for expounding the Islamic beliefs to call unto the way of thy Lord with wisdom and fair

When the attacks launched by the enemies of Islam prove to be of no avail, we shall never find anyone misled by their erroneous arguments or bent on insinuating their preposterous assumptions.

In such a way, the Islamic atmosphere might be cleared from any intriguing or plots intended to break asunder the unity of Muslims. Henceforward, Muslims would easily recognise their true enemies : avowed or disguised.

Since the ultimate aim of this conference is to promote the interests of Islam, the first duty of Muslims should be to clean off the Islamic territories from every usurping intruder or despotic accomplice. It is up to Muslim scholars to guide their brothers in faith so as to make them fully informed about the verdict of Islam, bearing on any sort of bloc or combination that is apparently showing compliance with the teachings of Islam but is really intended to lead to surrender and submission.

Both old and modern historical events indicate that the enemies of Islam in the past are quite similar to their corresponding representatives who are challenging the modern world of Islam; the Zionism of to-day is merely an extension to the medieval crusading spirit of yesterday.

If Muslims were to realise this fact, they would recognise those who had been hinted at by God in the Quranic verse "Allah forbiddeth only those who warred against you on account of religion and have driven you out from your homes and helped to drive you out that ye make friends of them. Whomsoever makes friends of them (all) such are wrong-doers" (LX, 9).

Taking in charge this duty, the Academy's council investigated in its twenty first meeting, held on the 1st of Dhul-Hijja 1385 A. H., (23rd March, 1965) the attitude to be adopted towards the project of forming a Islamic Pact. It had equally dealt fully with the idea of the Pact and how it had developed.

The Academy's council surveyed the attitude of those who uphold the project of the Pact and who strive to call attention to it in both the Arab countries of the Middle East and the northern parts of Africa known as the Maghreb.

The study, equally, comprised the cause of freedom in the Arab zone, its relevance to the teachings of Islam and the attitude of Muslim countries which fervently support the issues of liberation, both Muslim and Arab. The council dealt also

United Arab Republic holds, through Al-Azhar, this annual conference which is meant to let the world, at large, hearken to the final conclusions drawn from the Muslim scholars' investigations which reveal the substantial principles of Islam, as closely and clearly integrated without obscurantism, as thoroughly evolving and unfolding, without any relapse into unbridled license and as encompassing all the possible issues without adducing any pretexts.

The holding of such conference has realised the excellent presuppositions perceived by its advocates and the favourable assurance anticipated by Muslims. In its two previous sessions, the Conference had offered a voluminous corpus of academic studies, revealing the acumen of their authors and their lucid intellectual faculties. The prominent features of their scholarly work are the penetrating and exhaustive research, the variety of topics, and the adaptability of their inquiries to the mental outlook of our age and the exigencies of the modern ways of living.

The Islamic Research Academy has dealt fully, in the recommendations and decisions it has issued, with what engrosses the attention and energies of Muslims, i. e. liberating their respective countries from colonialism, purifying their

faith from schismatic aberrations, and exposing the misleading trends in cultures, known to be utterly lacking in consistency and reasonableness.

We implore God the Almighty to bestow upon us further aid, so that we might be more competent to grasp and fathom the teachings of His Holy Quran, to be appropriately guided by the Sunna of His Prophet Muhammad and the 'Ijtihad' of former Muslim scholars who had perceived Islam in a way totally devoid of fanaticism and who had adopted a tolerant attitude in argumentation and fairness in controversy. Thus, we emphasise to the contemporary world that Islam is fully equipped with the fundamentals, essential for realising a virtuous life and constituting a prosperous community whose individuals co-
in operate charity and righteousness.

Once we are favoured by God in realising this aim, we shall have refuted the doubts raised by the enemies of Islam as to the adaptability of the Muslim Faith to real progress in all the aspects of life and to its competence to offer mankind a perfect and upright form of civilisation in which both the material and spiritual standpoints are fully integrated.

S P E E C H

By

H. E. HASSAN AL-MAMOUN
THE GRAND SHEIKH OF AL-AZHAR

In the Name of Allah, the Beneficent, the Merciful, I open the third session of the congress of the Islamic Research Academy. On behalf of Al Azhar, I greet you with the greetings of Islam that start with peace and culminate in mercy, and blessings from God. Glory be to Him and may He be Exalted.

May God's blessings be upon you.

I extend to you further greetings on behalf of all Muslims; these are meant to be an expression of confident anticipation and trust in you. Praise be to Allah, Who hath guided us to this. We could not truly have been led aright, if Allah had not guided us. I pray for and greet the Holy Prophet Muhammad whom God hath sent with the guidance and the religion of truth that He may cause it to prevail over all religion.

The United Arab Republic, honoured by the adopting of Islam as its faith, and Arabic as its language and Al-Azhar as its foremost site of Islamic learning, feels great pleasure in welcoming Muslim scholars from all parts of the world and in

according them a warm reception that corresponds with the noble task and expected achievements for which they have been invited.

It is a great honour to the United Arab Republic to afford Islam a favourable opportunity to let a world adrift and confused hear the word of truth uttered by honest and outspoken hearts.

Firmly believing that religion with Allah is Islam, the United Arab Republic has recognised the appropriateness of Islam to all ages and countries, has perceived the adaptability of its teachings to any novel issues that might arise in human life and its compliance with the inevitable stages in human development. This is due to the fact that Islam had been constituted by God Who knows what He had created and He is the Subtle, the Aware.

As a corollary to this firm belief in the matchless traits of Islam and in the distinction of its principles and legislation which treat fully with the whole issues of life, the

explore ways and means of unifying Muslims of all countries so that they may form a united front co-operating individually and collectively in virtue and piety and working together for their own benefit and that of humanity. It also resolves that the Academy should equip itself as early as possible with all the means necessary for the spread of Islam, and its defence and the necessary for carrying out these duties and also the pooling of resources. This is a matter of utmost importance demanded by contemporary Muslim life".

The first conference of the Academy created great hopes and kindled much courage, thus a second International conference of the Muslim scholars was held in May 1965. It studied topics concerning the family and society and

announced its recommendations on the subjects of Financial and Economic Affairs, Family and youth Affairs and problems of civilization and social Affairs.

Now we have before us the fruits and blossoms of the third conference. The general picture of these experiments sheds light on the path of the Islamic Research Academy. This great Academy connected the bonds that were broken and awakened the Muslim scholars to a new life of unity and solidarity and provided them opportunity to exchange views on various problems facing the Muslim world. There can be no two opinions about the importance of these conferences of the scholars of Islam, who shoulder the responsibility of spreading Islam and solving dogmatic and social problems. This indeed is no mean achievement for the Academy.

The Inaugural Session and the Speeches

The Inaugural Session of the third Conference of the Islamic Research Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday, 1st October 1966 (16th Jumad al-Akhira 1386 A.H.). The Grand Sheikh of Al-Azhar, H.E. Hassan Al-Mamoun delivered the inaugural address. Sheikh Siwar Al-Dhahab of Sudan spoke on behalf of the delegates participation in the conference. Dr. Mahmoud Hubb Allah, Secretary General to the Islamic Research Academy, then reviewed the important role of the Academy in solving the problems that confront Muslims in their daily life. And he explained the tasks and issues which were before the conference. Mr. Hussain Al-Shaf'el, Vice-President of U. A. R. delivered a speech. He welcomed the delegates on behalf of President Gamal Abdul Nasser. Following are the texts of the speeches delivered in the session :—

SPECIAL ISSUE

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Jamādal-Akhira
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

October
1966

THE THIRD INTERNATIONAL CONFERENCE OF "The Islamic Research Academy"

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

The third Conference of the Islamic Research Academy was held in Cairo in October 1966, under the auspices of the glorious Al-Azhar and the guidance of the great Muslim Scholars of the world.

This was a continuation of the previous two conferences held in 1964 and 1965. The Islamic Research Academy was established in 1961 under the patronage of Al-Azhar, to serve as the highest body for Islamic Research. It also aims at undertaking the study of all that pertains to the Islamic heritage, working on an international level, aiming for the rejuvenation of Muslim culture releasing it from the many past false accretions. So presenting the true elements of Islam.

This Academy also aims following up all that is published by Muslims and non-Muslims alike about Islam and its legacy, to benefit from what is right and to refute and rectify what is wrong. The first conference of the Academy, which comprises a select number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage, was held in March 1964 in Cairo. It was a dream come true. That conference had given the Muslim Scholars, from all over the world, a forum to meet and an opportunity to share each other's views. The first conference announced in a statement:

"The conference resolves that the present condition of the Muslims imposes a duty on the Academy to



مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِيَّةِ

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة المجتاع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بذل الاشتراك»
٥٠ في المائة من الأجرة
٥٠ خارج الجمهورية
والدرسين الطلاب تخفيض خاص

بَيِّنَةُ عَنْ شَيْخَةِ الْأَنْزَهَرِيَّةِ (وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَرَبِيٌّ)

الجزءان الخامس والسادس - السنة الثامنة والثلاثون - رجب وشعبان سنة ١٣٨٦هـ - أكتوبر ونوفمبر ١٩٦٦م

السَّالِفُ وَالْمُتَلَمِّذُ



لُقِّنَا بَيْنَ الْمَلِيمِ وَالتَّعَلِيمِ

بقلم

أحمد حسن الزيات

وتباعد الديار هي الدين والفن ، وما دامت
أمة محمد رسولا واحداً بالإسلام ، ولنا
واحداً بالعربية ، فإن استقلالها موقوت
وإن طال ، وإن استقلالها آت وإن تأخر .
لذلك سمعت فرنسا سعيها الدائب في مراكش
والجزائر لعنة البربر عن دينهم بإصدار
الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم
بطردها من المدارس والديوانين ؛ ولكن
دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، ولغة
المصحف كانت أبقى من لغة السيف .

أكتب اليوم عن اللغة وصلتها بالفكر
وخطرها في النهضة وأثرها في الوحدة ، فإن
الكلام من حولها يكثر ، والرأي في أمرها
يختلف ، وما كان لكثرة الكلام عنها داع
ولا لاختلاف الرأي فيها موضع ، لولا
أن قوضي الأدب في مصر قد جعلت من اللغة
العربية وأدبها مسألة تزيد الجواب ومشكلة
تطلب الحل . وهذه المسألة أو المشكلة أصلان :
الاستعمار والجهل ، أما الاستعمار فلأنه رأى
أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف الأنظار

من التناقض والشذوذ وتعد الأوجه وتباين المذاهب ما ينفذ الطلاب منه . والذين صبغوه بهذه الصبغة هم الرواة الذين رادوا الجوادى وشافهوا الأعراب ودونوا كل ما سمعوه . فاجتمع لهم بذلك المترادفات والأضداد وتعدد الجوع والصيغ لفظ واختلاف النطق للكلمة . وكان النحاة مضطرين إلى أن يملأوا قواعدهم لتشمّل هذه العيون وتستوعب تلك اللهجات ، فأغرقوا القواعد في كثرة ، وأفسدوا الأحكام بالاستثناء ، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة أو يطرد ضد مقياس . و زاد في هذه الجبلية أربأ أعاجم النحاة أسرفوا في التعليقات والتفديرات حتى جعلوا النحو والصرف ضرباً من الرياضات الذهنية والقضايا الجدلية التي لا يصلحها باللغة سبب ، ولا يقوم عليها فن ولا أدب .

إذا كان القائمون على اللغة العربية يوزّون العربية والتعليم ينظرون في النحو والصرف على أنهما قواعد لغة واحدة وطبقة واحدة فيقتصر منها على القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة وتقوم تلك اللهجة ، على شرط ألا تهدم علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة ، وألا تجعل بالاختصار أشبه بالهيكل العظمى ، فيه الخفة والبساطة والسهولة ، وليس فيه العضل والمصّب والروح ؛ وإذا كانوا يميّدون النظر في علوم البلاغة بمد أن اختلفت مذاهب القول ، وتعددت أغراض

واكتفت بالجلوس على عاداتها من الدعاء والكياسة بمحاورة الفصحى فدعيت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشرها وصنثريتها ، لأن اللغات العامية تختلف في البلاد العربية اختلافاً شديداً يكاد يجعل كل لغة منها لغة مستقلة . وإذا انزعجت أعامها اللغة المفتركة وهي الفصحى استحالت التغام وضعت العفيدة واقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يبتلعها قطعة قطعة ، ولكن هذه الدعوة فعلت بضعف الاستعمار في الشرق وقوة الوعي في العرب . وأما الجهل وهو الأصل الآخر للمشكلة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار في هذه الدعوة المجرمة . والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها ، وعزوفهم عن علومها وأدبها ، وهو جنابة المدرسة ، فقد فشلت في تخرج القاري الذي يقرأ عن فهم ، والكاتب الذي يكتب عن علم ، والفكر الذي يفكر عن أصالة . وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأباً ، ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيراً صحيحاً لا بلسانه ولا بقله . فإذا دفعه استمداؤه الأدبي إلى الكتابة أثر العامية على الفصحى ، ودعا إلى التحلل من القواعد والقيود لجعل الفوضى نظاماً والخطأ مذهباً والمجر شركة .

وعلة هذا الفشل هي النحو نفسه ، فإن فيه

بالغة ، ويقرأ بالغة ويجزء بالغة ، فالنلازم بينهما شديد والتعامل بينهما ظاهر ، وهذا هو الفرق بين لغة تسكلمها منذ الصغر ، ولغة تعلمها في الكبر ، فالعربي إذا تعلم الفرنسية مثلاً وأراد أن يعبر بها فكر أولاً بلغته الأصيلة ، ثم ترجم فكره إلى اللغة الأجنبية

وهذا يوجب على المعلمين أن يصلوا فكر الناشئ بالنصفي في جميع أطوار عمره المدرسي ، فيسمع بها دروسه في كل ما يتعلم ، ويؤدي بها أفكاره في كل ما يكتب ، ثم ينشأ الطفل أدب قائم بذاته يتألف من الحكايات والأساطير المنزهة من أدب الشعب نسر عليه اللغة وتوجب إليه القراءة وتضيق في ذهنه الفرق بين لغة الكتابة ولغة الحديث ، ثم يستعان على تقويم لسانه وتقوية ملكته بالأشيد القصيرة المرفوعة والمدرجات البسيطة المتنوعة .

فإذا بلغ طوله المراقبة وكان قد نفا في هذا الجو الجميل من القصص والشعر والغناء والتثيل ، طلب المزيد من ذلك في دروس الأدب ، فتحلل له أبلغ الروائع لينوق ، وتشرح له أجمل النماذج ليحفظ ، وتختار له أمتع الكتب ليقرأ ؛ حتى إذا تخرج وجد القراءة قد أصبحت من طبعه فلا يكف عن الاطلاع ، والكتابة قد صارت من طباعه فلا يضيئ بالإتاج ، وبذلك يكون تعلم اللغة

الكتابية ، واستحدثت الخفالة والأمصومة والقصة والرواية ، فيصلح منها العاسد ويكمل الناقص ويفصل الجميل ، لتتسع لأغراض الحياة ومقتضيات الحضارة ومطالب العمر ؛ وجرعاً أن تسفر جهود الثورة عن إصلاح لغوي كامل شامل يحجب اللغة إلى الطلاب ، ويسهل الكتابة على الكتاب ، وينق عن الشباب مصرة الجميل بلغتهم وأدبهم فلا يدهون إلى اللغة العامية ، ولا يتمردون على الآداب العربية . وليس من شك في أن رجال الثورة الذين يزهون اليوم نهضة العربية ووحدة العرب سيولون بهذا الإصلاح اللغوي ما يستحقه من الجهد والعناية ، لأنهم يعلمون علم اليقين أن اللغة الفصحى هي عماد الثقافة الإسلامية ، ورماط الجامعة العربية ، وأن أدبها هو التراث الروحي المشترك الذي يشرف في دماقنا لننهض ، ويصرخ في آذاننا لتتحد ويستند في حدائقنا للتحقق . وفي اعتقادي أن أصل الأصول في الإصلاح اللغوي أن نصلح الطريقة التي تعلم بها اللغة ، فإنها لا تزال تعلم باعتبارها ألفاناً مفردة ، وقواعد مجردة لا تتصل بالعقل ولا بالنفس ولا بالحياة .

وكان الطريق الأمثل أن تعلم على أنها الوسيط الذي تتمثل فيه الأفكار والآراء فمن لا تفكر إلا بلفظ ، ولا تلفظ إلا بفكر ، والتلفيد منذ الحداثة يسمع الفكر

ومذاهب الأدب عندنا هي مذاهب الأدب في الغرب؛ حتى الرمزية، وهي كما قلت في كلمة أخرى بنت الأفق الغائم والتفسر المعقدة واللسان المغمض، يريدون أن تقبلها العربية وهي بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح، وحتى الوجودية، وهي وليدة الخلق المنحل والفنوق المنحرف والغريزة الحرة، يحاولون أن تقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التي كرمت الإنسان وفضلته هل سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعداها وهو حافل، ولا يتعداها وهو مؤمن ١.

• • •

واشورة التي هزمت الفساد وفهرت الاستبداد وحررت الوطن جديدة بأن تكفل الإصلاح والتعليم، والاستقلال للأدب. والحرية للفكر، والحماية للفصحى، لتسير الأمة صحيحة الجسد والروح، قوية الذات والمعنى، متحدة الرأي والهوى، إل ما ترجوه لها من سلطان وعمران وعزة ٢.

أحمد حسن الزيات

هل هذا الوجه قد أحدث آثاره الثلاثة : أثره العقلي بربط الفكر باللغة، وأثره النفسي ببعث الذة من تذوق الأدب، وأثره العملي في خلق القدرة على القراءة والكتابة، وإذا استطاع الشاب بعد المدرسة أن يقرأ فيفهم، ويكتب فيحسن، ويفكر فيصيب، استطاع أن يجد السبيل إلى كل علم، والطريق إلى كل غاية.

أما تعليم الفصحى بالعامية، ونحفيظ القواعد ليقراها الطالب كتاب المطالعة دون أي كتاب، ويكتبها موضوع الإنشاء دون أي موضوع، وتُدريس تاريخ الأدب على أنه سجل ولادات ووفيات، وديوان حوادث وروايات، فذلك هو الذي كره الدارسين في اللغة، وزهد الناشئين في الأدب، وصرف أديباء الشباب إلى الآداب الأوروبية، فالمتفردسون مثلاً يحفظون (هوجو) ولا يحفظون المتنبي، ويحفظون (فلتر) ولا يحفظون الجاحظ، ويقرأون (لامرتين) ولا يقرأون البديع ومن هنا نشأت هذه التسمية المعيبة التي تعرضت على أديبنا لآداب الغرب، فأساليب الكتابة اليوم هي أساليب الكتابة في الغرب،

ألوان من الرياء

للأستاذ محمد محمد المدني

يقصد في أكثر الأحيان إلى ما هو من العبادات فيأتي به في ظروف خاصة يريد به إظهار نفسه لله ، وتعريف من يراه بأنه رجل صالح ، وبذلك يكون قد فعل الفعل الذي حققه أن يكون لله صرعا ، يريد به وجه الناس وإن زعم أنه يعبد الله ، وفي القرآن الكريم : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وهذا يدل على شدة مقت الله للرياء ، وأنه يريد لعباده التطهر منه ، ولترفع عنه كما يتطهرون عن شرك الأكر الذي هو عبادة الأوثان والطواغيت فعلا .

• • •

والرياء أنواع :

منها : الرياء بالمظهر والسمت واصطناع الخشوع :

يرى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأطأ وأسه ، ويثني وقبته إلى صدره ، متظاهرا بالخشوع ، فقال له : ارفع رقبتك - يا صاحب الرقبة - إنما الخشوع في القلوب ، وليس الخشوع في الرقاب ! ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده ، فقال له : أنت لو كان

من أصول التزيب والنفوس في الإسلام : الاعتماد على ما في القلوب من الإخلاص وصفاء الخلية ، لأن الأحوال أو الأقوال الظاهرة لا تحقق الغاية المقصودة منها إلا إذا صدرت من قلوب منية إلى الله ، متجهة إليه بالقصد ابتغاء مرضاته . وطلبها عنده فانه تعالى يريد من عباده أن يكونوا جادين فيما يصدر منهم ، لا أن يكونوا متظاهرين به ، ولذلك اعتبر الإسلام الرياء نوعا من الشرك ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : (الرياء - يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ۱۹) .

وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا عن ربه ، فقال : (يقول الله عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كراهة وأنا منه بريء ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك) ومعنى قوله « فهو له كراهة » أي لشرك الشريك ، لا أقبل منه شيئا .

واعتبار الإسلام الرياء نوعا من الشرك هو تعبير جيد عن واقعته ، فإن المراق

الدين والعبادات وصية لاكتساب ثقة الناس،
والتوصل بذلك إلى المنافع، فخرى الواحد منهم
يظهر التفوى والورع والتحصن على ما وصل إليه
حال الناس من القاصيان والخروج على الدين،
وغرضه أن يعرف بالامانة والتدين، وقد
كانوا قديماً يرضون في الوصاية على اليتامى
أو النظارة على الأوقاف، أو تولى القضاء بهذا
القرن من النظام بالتدين، والآل نجد من
يفعل ذلك ابتغاء لظهور أمام العامة وجاهد
الشعب، بالاضرة على الدين، والنفس
لا تمك الحرامات، لأن لم مآرب من وراء
الظهور بهذا المظهر واقتناص الحكم والسلطان
والمناصب.

ومن أنواع الرياء ما نراه أيضاً من أولئك
الذين يظهرون في العامة بمظهر، وهي الخاصة
بمظهر آخر يخالفه ويناقضه، فهم أمام العامة
يتزمتون ويتشددون ويتكلمون في الحلال
والحرام والتشبهات، كلاماً يبدو فيه الورع
القيدي، والخبرة على الدين والأحكام، حتى
إذا التفوا يقوم من الخاصة في ناه من الأندية،
أو مجلس من المجالس، انطلقوا على سميتهم
يحلون الحرام، أو يحرمون الحلال، ليظهروا
بمظهر الحرية الفكرية، والتقدمية العلمية،
ومهم الجود على آراء الأولين، وهؤلاء
ينطبق عليهم قوله تعالى :

« وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا
خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن

هذا في بيتك، أي في خفاء عن الناس لئلا
يكون قظاهراً ورياءً .

وقد رأيت وأما في القطار ذات يوم رجلاً
ذا سمع وورع، ولحيته سوداء شابة، وهو
يجلس بعيداً عنى، وكان كلما شعر بأننى أنظر
إليه يحرك شفطيه كأنه يقرأ أو يدعو،
حتى إذا تظاهرت بأنى لا أراه، استقرت
شفطاه فلم تتحركاً، فبدأ لى أن أخبره،
فكررت النظر إليه مرة بعد مرة، وفى كل
مرة أراه يسارع إلى تحريك شفطيه في ارتباك
واضح من المفاجأة، حتى أدركتنى شفقة
عليه، فصرقت النظر عنه .

وقال على كرم الله وجهه :
« للرائى علامات : منها أنه يكمل إذا كان
وحده، وينفط إذا كان في الناس . »

والرائى يكون عادة ضعيف الشخصية،
فيمرّد أن يستعرض شخصيته بالنفاق والخداع
والتظاهر والادعاء، ومعسول القول،
وهو الذى يقول الله تعالى فيه :

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة
الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد
الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة
بالإثم لحب جهنم ولبس المهاد . »

وهذه الآيات الكريمة تصف أخطر
أنواع المرائين، وهم ألك الذين يتخذون

والرسول صلى الله عليه وسلم يحسن من هؤلاء ويقول : (إذا رأيتم المادحين فاحشوا في وجوههم التراب) - أي فلا تقبلوا منهم مدحهم وردوهم عن دياتهم ردا قبيحا ، كما لو أثنى التراب في وجه عدو لكم ، قدم عليكم . والواقع أن المادح عدو حقيق للدوح ، يريد أن يصدمه عن نفسه ، ويغيل له أنه أعظم الناس ، ولذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من مدح في وجهي فكنائما ذبح بغيري - كين ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن مدح رجلا : (ويحك ! لقد قصمت ظهر الرجل) وفي هذا إرشاد وتحصين ضد الرياء ورؤية النفس ، يدور في نطاق المعنى الذي جابه ، القرآن الكريم ، حيث يقول الله عز وجل :

« لا تحسن الذين يضرحون بما أنفوا ، ويحبون أن يمدحوا بما لم يخطوا ، فلا تحسبنهم بفضاوة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

ومن الناس من يراني بالأصحاب والزائرين ، فربما بذل جهده في التحرف إلى شخص له جاه وميزة ليقل إن معارفه كثيرة ، وربما رايته المرائي من هؤلاء يجلس بجوار أحد المسئولين مثلا ، ويسر إليه حديثا مجرد أن يقول الناس إنه صاحبه ، وكل ذلك إنما يفعله أصحابه طلبا للجاه والميزة في قلوب البعاد . والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين . . .

محمد محمد الحارثي

مستهزئون ، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون . .

ويقول الإمام الغزالي في هذا الصنف من المرائين :

لقد كان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام من يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لفرس - أي لأنهم كانوا يرون قوة المسلمين ، ويطمعون فيما لديهم فيراءونهم ومافقونهم باعتناق الإسلام - قال الغزالي : وهذا مما يقل في زماننا ، ولكن يكثر الآن من ينحل عن الدين باطنا ، فيبعد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملاحدة ، أو يعتقد على بساط الشرح والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة ، أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافا ما يعتقد ، هؤلاء من المنافقين والمرائين المخسدين في النار ، وليس وراء هذا الرياء رياء ، بل حال هؤلاء أشد من الكفار الجاهرين بالكفر ، فهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر .

ومن ألوان الرياء التي يفتها الإسلام ، ويرشد إلى التحرز من أصحابها : ما درج عليه بعض الناس من إذجاع المدح والثناء لمن في يدهم الجاه أو المال أو الحكم ، فترى هذا الصنف من المرائين يقسم بالله جاهدا أنه لم ير مثل عبقرية فلان ، وأنه طاش دهره طويلا ، واتصل بكثير من الناس ، فلم ير أحدا عظما مثل فلان ، وهو يقول ذلك ليعلمه المدرج فيكافته عليه ، وقد يقوله في وجهه ليندعه عن نفسه .

الإسلام ونتائج المدينة الحديثة

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

من ذلك الخطر المحقق وتقليل الجمع البشري الذي أصبح مفرطاً في القوة على صورة قتيبة تسكاد.. ولا قدر الله.. تصير مشروعه ، أو لوقفه عند حده ، وإخضاعه لعقل جماعي رفيع يسمح بخلق وسائل جديدة لمقاومة هذا الخطر الكامن في هذه المادة ككون الجرائم الفتاكة ، والذي لو برز كله إلى حيز الوجود لحوى بالإنسانية جماء في عبودية ذليلة تنتهي بها بعد قليل من الزمن إلى الهيمنة الخاصة . وليس هذا تشاؤماً من جانبنا ، بل إن عدداً لا يستهان به من العلماء التجريبيين ، ولكنهم أيضاً من المفكرين المتعمقين ، قد فوهوا منذ عشرات السنين ، وجملوا في مؤلفاتهم هذا الفزع من تلك النتيجة المرعبة الموجهة من العلم نحو الإنسانية ، وطالما ذكرنا في مقالاتنا وكتبنا شيئاً من نصوصهم الفلقة في هذا الشأن ، واليوم نستأنس برأى العالم الكبير (أليكسي كريل) في كتابه الشهير : (الإنسان ذلك السكائن المجهول) إذ يقول :

« حقا إن العلم التي لا يأتينا إليه بالشر مباشرة ، ولكنه يصير خطراً حين يحبس - بسبب قننة جماله - عقولنا تماماً في داخل المادة التي لا روح فيها ولا حياة ، ومن

بما لا سييل إلى تشكك فيه أن المفكر الواحد لا يسكاد يتأمل فيما نفاً من الحرب العالمية الثانية من كوارث ، وما تركته وراءها من دمار مادي ومعنوي ، وتدهور خلق ، حتى يدفعه ذلك التأمل إلى أن يوجه إلى نفسه هذا السؤال في حيرة وارتباك ، وهو : لماذا نشاهد أن هذا القرن الذي كشف للإنسانية كثيراً من التقدمات العلمية الباهرة قد حل إليها كل هذا الدمار وصير مفيداتنا العاتية خرائب وأطلال ، وجهه في معالمها الجميلة دميعة شوهاء ؟ ولا يوشك هذا السؤال أن يتجه إلى النفس حتى يدوى صوت العقل في منطفة القزن الرهيب قائلاً : إن السبب واضح ، وهو أن الميكانيكا التي (اخترعت لتسحق في المادة) قد سمحت لبعض الأناس القساء المحرومين من كل حاسة خلقية أن يتحكموا في البشرية ، وأن يحاولوا إخضاع العالم لإراداتهم . ومن ثم فإن واجب الإنسان الذي لا يزال يستمتع بإسانيته ، قد صار ثقيلاً إلى حد الإرهاق ، وإن صرخات الضمير البشري وجهوده المتواصلة ، وقراء المتضاربة تسكاد كلها تلتقي في حرارة وحدة التصميم على الخروج من هذه المأساة المحزنة والابتعاد

التي تكشف لنا الثغاب من الحاجات الحقيقية للأفراد ونحن نعلم أن العلم أن هذه هي إحدى الغايات العظمى التي رمت إليها الأديان السارية وعلى الأخص الإسلام سبب ما تحقق فيه من ميزات قبول جميع المعارف واتساع صدره لسلك العلوم ، ومقدرة مبادته على دمجها ، وعلى التوفيق بينها بحيث تسمح للمدينة الحديثة بتجنب أن تصدق كرامة عامة كذلك التي يتوقها الدكتور كاريل حين يقول :
« إن البيئة التي شيدناها بقولنا واختراعنا لها ليست مقيسة على قاستنا ولا على صوتنا ، وهي لا تلتم ، ونحن فيها نساء ، بل نحن ندهور دقليا وخاعيا وبقينا إن الجماعات والأوطان التي بلغت فيها المدنية الميكانيكية قتها ، هي التي تضعف أكثر من غيرها ، وهي التي تكون عودتها إلى البربرية أسرع لأنها تبقى بلا دفع معنوي في البيئة المادية العادية التي أتى بها العلم ... في الحقيقة أن الفلق والشفاء الذين بلا زمان أعضاء المدينة الجديدة (أي أهل المدن المفرطة في الميكانيكية) لا يأنيان من أنظمتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحسب ، بل مما يأنيان من تدهورهم الخاص إذا أنهم سخيا تأخرهم في علوم الحياة من علوم المادة ... » (ص ٣٢) .

ولكن يكون تعبير هذا العالم دقيقا كان يقضي أن يقول : إن علوم الحياة كانت موجودة بل متفتحة ومزدهرة ثم طغت عليها علوم

ثم فإن الإنسانية اليوم يجب عليها أن تترك اتباعها على نفسها ، وعلى أسباب عدم كفايتها الأخلاقية والعقلية ... فليسه العلوم الميكانيكية والطبيعية والكيميائية هي التي تأتي لنا بالخلق والهدا. والصحة والأتزان العصبي والعلم الباطني ، وإذن فينبغي أن نتخذ ظلونا إلى المعرفة طريقا آخر غير الطريق الذي يسلكه اليوم أي أن معرفتنا يجب أن تنبع من الجوانب الفيزيائية والفسولوجية التي هي معصورة فيها الآن فهو الجوانب العقلية والروحية ، (ص ٤٨) .
وليس هذا العالم وحده هو الذي ينادي بسرعة الإغاثة بل إن كثيرين هم في العالم بوجود اختصاصيين ينفصلون بدراسة الحياة الباطنية للإنسان وبحاجاته الدينية والأخلاقية التي تتطلب الترضية بصورة لا تقل قوة وسلطانا عن حاجاته الفسولوجية عندما يتعلق الأمر بمساعده ، وأكثر من ذلك أن الدكتور كاريل يذهب - في فكرة وجوب دراسة الإنسان - إلى أبعد مما ذهب إليه أولئك العلماء فيقول : « في الحق أنه منذ أن خضت المدنية الحديثة على الشرائط الطبيعة للوجود ، قد صار علم دراسة الإنسان أكثر العلوم ضرورة ، » (ص ٣٢) .

وإذن فالعلماء التجريبيون الحقيقيون هم الذين يدعوتنا ، بل يستحثوننا على العناية بعلم الدراسة الداخلية للإنسان ، لأنها هي

أو الجبل بأي علم من العلوم المتسقة بها كتبهما
تنتهى إلى الفشل ثم إلى العمار . وهو قيل ذلك
كله ، ينص على أن القائل بهذا الإحمال أو السائر
فيه ، جاهل بالحقيقة الإنسانية ولا يجب في هذا
إذ أن مفتى الإسلام الذى أمر بالتبصر في
العلوم معنوية ومادية هو الأهم بما ينبغي
للإنسان في دنياه وآخرته ، وبوسائل سعادته
وسيره نحو الكمال ، أما القائلون بإحمال العلوم
المعنوية ، والاقتصار على الماديات فهم من
الفسوريين الذين قيل في شأنهم ما يلي :

قل الذى يدعى في العلم معرفة
عرفت شيئا وغابت عنك أشياء
الحق الذى لا مشاحة فيه إذن هو أن
الاجتناع بين علوم الحياة والسلوك البشرى ،
وهى العلوم المتجهة نحو الجوانب الدينية
والأخلاقية من جهة ، والعلوم الطبيعية من
جهة أخرى ، أى جميع المعارف الإنسانية
التي يدعو الإسلام إلى الإحاطة بها ، ذلك
الاجتناع هو الذى جعل منه ديننا كونيا .
ولا جرم أن هذا التوجيه يعنى - في هيئة
جد بسيطة وجد حقيقة - بالأسر الجوهرية ،
ويقرب لكل أمة التصرف في مسائلها الخاصة
المارضة التي تخضع طبيعتها بتغيرها وتطورها
حسب الأزمنة والأمكنة والظروف . ولقد
لاحظ الكاتب الفرنسى الكبير (براك) ذلك
في كتابه (الآمال المفقودة) فقال : (إن
الدموب الدينية لديها قوانين قليلة) وهذه

المادة فأنست المحدثين إيادها فسياناً يوشك
أن يكون تالفاً ؛ لأن الإسلام قد أتى بها إلى
الإنسانية ، وأمر أتباعه أن يتزودوا منها
ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً دون أن يسمح لهم
بإحمال أى شيء من العلوم المادية ، لأنه
طالباً من الإنسان على اقتناص جميع المعارف
والعلوم بلا استثناء . ولنا هنا في حاجة إلى
إعادة الآيات الجلة ، والاحاديث المفردة
التي لا تبيح العلم بحسب ، بل توجهه وتخص عليه
في حزم وجد لا تظهر لها في أى دين آخر
وتلك إحدى الميزات المتعددة التي جعلته
دينا عالميا بل كونيا ، وضمنت صلاحيته
لكل زمان ومكان ، وسر ذلك أن هذا الدين
المحالد يهدف إلى رفعة البشرية والسير بها
نحو الكمال ، وتحقيق السعادتين الدنيوية
والمادية لأن ذا الجلال والإكرام يعلم أن
الإنسان مكون من نفس وجسم ، وأنه
لا يكون وفيما ولا سعيداً إلا إذا حكم النفس
في الجسم وجعل لها عليه السيادة والقيادة
والأمر والتنفيذ (ألا يعلم من خلق وهو
الغليظ الجبر) .

ولقد وضع الإسلام فهم الحياة الماضى ،
وتطبيقها الحاضر في قواعد دقيقة احتوتها
المبادئ الإسلامية الواردة في القرآن
والأحاديث ، وفي الحياة العملية للنبي الجليل على
الله عليه وسلم ومن ثم فإن إحمال أى جانب
من جوانب معرفة الحياتين المعنوية والمادية

(٤) يحض في شدة على الحرية بأوسع امتداداتها .

(٥) يدين إداة صريحة الظلم في جميع مظاهره ، ويحظر أدنى صوره على كل شخص أيا كان ، وبإزاء أي كان .

(٦) يشرف العقل ويعهده وبأسر تأسيس كل تصرفات الحياة على التفكير .

(٧) يشر بمبادئه وتعاليمه بوساطة المجمع العقلية والإقناع ، لا عن طريق الخيلة أو الإكراه .

(٨) يترك لأشباع كل دين الحرية والعناية بفهم وتنشيط تعاليم عقائدهم كما يبدو لهم .

(٩) يشرك الفقراء مع الأغنياء في ثروتهم ويقر الوسائل العملية كمقود البيع والإيجار على جميع أنواعها^(١) ، لأنها تحقق المعونة العادلة المتبادلة بين العاملين وملاك الأرض وروءوس الأموال .

(١٠) يذهب إلى الرأفة بالضعفاء وهي التي ينبثق منها بالضرورة تأييد البؤساء والتدخل لصالح المصطفيين وتطبيق الجراء على الظالمين .

(١١) يدين عبودية الإنسان للإنسان كما يدين الاستبداد على جميع صوره ، ونظامه ديمقراطي في جوهره ، وهو لا يقر الحكم المطلق ولو بالنسبة إلى أحد الأناس .

بان من هذا كله أن النتيجة اليقينية للطريق الإلهي هي السعادة والرفعة والتجاح

(١) أي التي لا رافقها ، بجه الأزم .

المبادرة تشرح القوة التوجيهية المقيدة لسلوك الشعوب دون أن تتركها في حاجة إلى رقابة القوانين الوضعية التي تقوى وتشتد بقدر ما يمتنع الإيمان . ولكي لا تسبب في تعقب هذه البساطة ، ون نفع تلك المبادئ الإسلامية التي وضعت الفواعد الرئيسية للحياة البشرية بأنواعها الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية دون أن تحاول فرض أي فرع من الفروع العرضية في حياة الأمم كما أسلفنا أثناء لكي لا تسبب في ذلك ، نود أن نقف بك ضربة عند بيان علماء الجزائر المصلحين الذي نشره في سنة ١٩٣٦ والذي يلخص هذه المبادئ الإسلامية فيقول ما موجه :

إن الإسلام هو دين الله الذي أزاله لتوجيه عباده في أفضل الطرق . ومن المبادئ الأساسية لهذا الدين أنه .

(١) على نفس النحو الذي يدعو فيه إلى الأخوة الإسلامية بين المسلمين ، هو كذلك بنفس الجدية يذكر القاسم الإنساني بين جميع البشر .

(٢) يثبت المساواة التامة . من وجهة نظر الكرامة الإنسانية وحقوق الأفراد بين الأناس من جميع الأجناس والألوان .

(٣) يفرض كقاعدة مطلقة العدالة بين الأناس دون أدنى امتياز من أي نوع كان .

من أسرار معابده أو يستلذون هلى كهنته الذين لا يستطيع طلاء العصر الحديث سبر أعرار معارفهم ؟ الحق أنهم كانوا يأتون إلى هذا الوادى لينقبوا عن الحقيقة المضمون بها هل خير أهلها ، وهى التى تشرح ألوهية التوحيد أو دين الفطرة الذى تنفصلت به العدالة الدجارية على جميع أهل الأرض والذى حددتنا القرآن أن الله قد أنبأ به البشرية كلها فى الميثاق الأول وفى هذا المعنى يقول مؤرخ الآثار القديمة (ماكسيموس) النهى ما فسه : « أشهر الفلاسفة قد استعاروا أفضل النظريات فيما لديهم من الحقائق والامور الخالدة والفكر الحصة من التقاليد الدينية للإنسانية » .

وبما لا وىب فيه أن تلك التقاليد قد فقدت فى كل مكان تقريباً ولكنها بقيت فى مصر مصونة أتم الصيانة وأنضها . ولهذا كان وادى النيل مقصد جميع الحسكاء والملاء . ولعل هذا هو أحد المرجحات التى قال النبى الجليل هن مصر من أجلها : « إنها كنانة الله فى أرضه » . وهذا كله بثقل واجبتا فى الشعور بالمسئولية ، ويدفعنا إلى الاحتفاظ بالمخضر والمستقبل بمسكانتنا كأمانة الدينس ومعلنى الوجود .

وإذا كانت مصر هى كنانة الله التى اختارها لصيانة المبادئ الإسلامية والممسل على

الحلقى والاجتاهى والياسى ، أما الطريق البشرى المادى ، فإن تقيتة المحتومة هى الفوضى والتدهور والحرب والانهاء إلى الهيمنة الثالثة .

وإذا كان أولئك العلماء الجزائريون المصلحون قد استطاعوا أن يتعمقوا فى هذه المبادئ الإصلاحية الجليلة ، وأن يستخلصوا منها تلك القواعد التنظيمية الخالدة ، فنحن بفطرتنا أولى بذلك ، لأننا تنصب إلى شعب أهدته السبا أكثر من أى شعب آخر لفهم تلك المبادئ وتطبيقها ، والظفر نتائجها الرائعة وهى المصلاية والتماثل والهدوم والثقافة والخيرية ، وبالإجمال معالم الإنسانية الرفيعة المائرة إلى التقدم سيرا متواصلا ، ولم لا ؟ ألسنا صلالة هذا الشعب الذى تثبتت فى أعماقه منذ القدم حاسة إدادة البقاء بصورة تجعلها نكاء تكون من جوهر وجوده ذاته أو لنا أبناء أولئك الذين كانوا يؤمنون بأنهم تلقوا معارفهم عن الله مباشرة ؟ بل ألسنا منحدريين من أولئك الذين كان يقال عنهم منذ العصور الأثرية : « إن شعب مصر هو الشعب الذى بأدق معانى هذه الكلمة » وإلى جانب هذا كله ألم يكن أكبر حسكاء الأروس فى العالم القديم - كفيثاغورس ، وأملاطون وفولماخوس وغيرهم - يأتون إلى وادى النيل ليطعم يظفرون بجانب

ليست أقل ضرورة لتحقيق السعادة من النشاط المادى الذى يحسن الحياة الاقتصادية لحسب وأن أول الجهود التى ينبغي أن يقوم بها أولئك المنتجون المعاصرون هو مقاومة هذه المعركة الأسيفة التى أعلن: أنه لا فائدة إلا فيما يبتغى المال . وهى فكرة خطيرة انزلت إليها قسم كبير من الإنسانية . وهو الذى موى فى أحابيل المدنية المادية المعاصرة المؤلفة من الرأسماليين والمهتاعير الذين يماورن الآن أشد أزمات الضمير الخلقى التى يخشى العقلاء أن تعرف البشرية كلها . وسر ذلك أن الإنسانية قد استطاعت أن تعيش آلاف السنين بغير هذه المخترعات الحديثة ، ولكنها لم تستطع ، ولنى تستطيع ، أن تعيش يوما واحدا بلا أخلاق ولا دين ، لأن الدين حصن منبع لأخلاق الأمم ، وضمان متين لتبسط الشعوب ومن ثم فإن الحسكة من الأفنديين والعقلاء من المحدثين قد انفقوا على أن يؤلفين والكتابات المدين بتقييدون فى كتاباتهم بالقواعد العقلية والقوانين الخلقية والمبادئ الدينية تتكون لديهم ملكات خاصة تمتاز بدوام التوجه إلى العقول والأرواح فى قوة وراحة وغلوظ تام من الأغراض والأهواء . فتنفذ كتاباتهم ونصائحهم إلى صميم القلوب .

الركن الرابع محمد غزطوب

ازدهارها وتفتحها بفضل الأزهر قلعة الدين وحسن اللغة العربية من جهة وبما جد فيها على يد النظام الحاضر من تشجيع شتى المعارف ومختلف الثقافات ، وترجمة منتجات الأمم الأخرى من جهة ثانية ، فإن من الطبيعى أن تكون مصر على رأس الشعوب العربية بل الإسلامية وما رأى آدابها وعلما فنونها ومآتى قهرضا بعزتها وكرامتها وحريتها وقيادتها إلى الاستقرار الاجتماعى . وبالإجمال هى مرفأ السلام الذى كان يحط أنظار الشرق منذ أقدم العصور ، وكان الاستعمار يعوقه عن توجيه سفنه إليه حتى شمت أنوار النظام الراهن فتطمص المعواثق ونكسرت العقبات واقرب الجميع من الغاية المظوى وهى انتهـا .

غير أننا نطالب بإلحاح وجد شديدين بأن يكون هذا الإنتاج الثقال والعلى الراهن على نفس القنر الذى أشرنا إليه فى مبدأ هذه الكلمة ، والذى سجله الدكتور (كاريل) فى كتابه المذكور آنفـا أى أن المؤلفين والمترجمين المعاصرين ينبغي أن يضموا نصب أعينهم أن الهدف الاسمى للتقدم هو أقصى مراتب الرفقان بنوعيه المهنوى والمادى ، وأن القيادة أو التوجيه يجب أن يكون للأول لا لثانى لأن الحاجات الأخلاقية والدينية

نقض ما كُتب في رسالة "دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني"

للكاتب محمد القادري عمر

نعمه ، ومن هنا يدت لنا أهمية قراءة هذا البحث وكتابة بحث على ما وصل إليه جهدنا في غير استقصاء لما لأهمية له من وجهة نظرنا .

١ - قالت صاحبة الرسالة في مقدمة بحثها (ومن أجل هذه الأسباب جميعاً اخترت ميداناً لغوياً أصيلاً في العربية لتتم في رحابه عرولي ، وأعني به ميدان القراءات والتجويد القرآني) بينما مؤلفة الرسالة في أسطر سفح هذه العبارة الأسباب التي لأجلها اختارت القراءات والتجويد القرآني لتسكون موضوع بحثها . فالبحث إذا بقصد إلى الحديث عن قراءات القرآن وتجويده فحوره ومبداه قراءات القرآن وأداؤه ترتيباً .

٢ - قالت صاحبة الرسالة ص ٢ : (ولقد اخترت هذا الموضوع بالذات لأنه أرض خصبة يتضح فيها بجملاء أن الأداء القرآني كأي فن أدائي آخر يتأثر بالنظام العام للغة ، وبالظروف المختلفة التي تحيط به عند نشأته ، ثم يحتفظ ببعض آثار هذه الظروف بسبب تدخل العامل التقديسي ،

وقعت إلينا نسخة كاملة من هذه الرسالة ، بعد سماحنا بعض ما أثير حولها ، فقرأناها ورأينا - خروجاً من عهدة ما أخذ الله على أهل العلم من موافيق ألا يكتسروا حقاً علومه ، وألا يسكتوا عن باطل عرفوه ، بل عليهم أن يبينوا بالحكمة ما وصل إلى علمهم في صراحة الحق المذهب ، وجهارة الرأي في دائرة البحث العلمي ، بعيداً عن عصبية الجدل ، وجدل التعصب لفكرة أو مذهب ، خصوصاً إذا كان البحث متعلقاً بالإسلام وأصله ، وعلومه ومبادئه فإن هذا الدين - بحمد الله - وحسب المدى قوى البناء متين لا يتألب ، عظيم لا يسامى .

وهذا البحث موضوع الرسالة التي بين أيدينا يدخل في صميم الأصول الإسلامية ، أو هو على التحقيق يدور حول أصل الأصول الإسلامية ، إنه دواحة في التجويد القرآني ، أي أنه بحث في القرآن الكريم ، في أهم جانب من جوانبه ، والقرآن الكريم هو أصل الأصول الإسلامية أو هو أصل الإسلام وقاعدته التي يرجع إليها كل أصل

الكريم وترتيبه طريقة عاصة معروفة عند السلف إذا خرج منها القارئ أنكر عليه ، ولا يسكت عن عوامل زمنية أو شخصية أو يثنية تتدخل فتغير من طريقة الأداء القرآني التي يوجبها عامل التقديس ، وتقتضيها صحة الأداء التجويدى للقرآن الكريم .

وقد كرهوا النبر في قراءة القرآن ، والنبر رفع الصوت بعض خفضه بما يشبه التلاعب وكرهوا في القراءة هذا كنه الفسر ، وأجازوا الحدوث والتدوير ، وكل هذه طرائق في أداء التلاوة القرآنية عرفت عفاها القراءات قال القرطبي : علم على القطع والبت أن قراءة القرآن تلقيا متواترة من كافة المشايخ جيلا لجيلا إلى العصر الكريم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها تسحين ولا تطريب مع كثرة المتصنفين في غاوج الحروف ، وفي المد والإدغام والإظهار وغير ذلك من بقية القراءات ، ثم إن في الترجيع والتطريب أمور ما ليس بمحموز ، ومد ما ليس بممدود فترجع الألف الواحدة ألفات ، والواو الواحدة واوات ، والشبهة - أى الحرف - الواحدة شبهات - أى حروفا فيؤدى ذلك إلى زيادة في القرآن ، وذلك ممنوع ثم قال القرطبي : وهذا الخلاف إنما هو عالم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات ، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق .

ولكن ذلك العامل مهما كان قويا لا يمنع من أن يعمل الزمن عمله .

واضح من هذا النص أن صاحبة الرسالة جعلت الأداء القرآني مثل أى فن أداني آخر كالتصوير بألوانه والتمنى به وبأى كلام آخر - يتأثر بالظروف المختلفة ... وعامل التقديس في القرآن مهما كان قويا لا يمنع من أن يعمل الزمن عمله في الأداء القرآني فيميز فيه ويبدل ويزيد وينقص .

وقد نص علماء الإسلام على أن قراءة القرآن لها حدود وضوابط في الأداء والتزيل إذا خرج القارئ عنها بزيادة أو نقص فإنه يكون آثما بهذا الأداء ، وقد يخرج أدائه ما يفرضه عن تسميته قرآنا

وقد عند الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره بابا بعنوان : (كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى وما يكره منها وما يحرم واختلاف الناس في ذلك) وهذا معناه في وضوح - كما يؤكد ما ذكره القرطبي مفصلا تحت العنوان الحديث عن الأداء القرآني وتلاوته وترتيبه وقد روى في هذا الباب أحاديث تصف أداء النبي صلى الله عليه وسلم وترتيبه القرآن ، وفي حديث أس بن مالك أن زياد الثميري قرأ أمام أنس فرفع صوته وطرب ، فقال له أنس وضع الله عنه : يا ههنا ما هكذا كانوا يفعلون .

وهذا نص صريح في أن الأداء القرآني

وهذا التعميم لهذه القاعدة ، لابد - في نظر الباحث - من تطبيقه على القرآن الكريم باعتبار نصوصه وآياته وكلماته بناء لنويا منطوقا يكون صورة أدائية تخضع لنظام اللغة العام ولهجات الأفراد وعوامل الزمن ولن يستطيع عامل التقديس وحبط الأداء القرآني المنقول بالتواتر جيلا لجيلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعوق هذا التأثير ، فالقرآن في نظر الباحثة كغيره من الابنية القوية المنطوقة خاضع للتأثر ب لهجات الأفراد وعوامل الزمن والبيئة وهذا بلا شك يخرج النصوص القرآنية عن فداستها في الأداء المثالي بالتواتر عن الأشياخ جيلا لجيلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الوحي جبريل عليه السلام ما عليه وب العزة تبارك وتعالى ، وهذا الخضوع للتأثر بذلك يجعل النصوص القرآنية كأي بناء لغوي منطوق كالشعر بألوانه الغنائية وغيرها والسجع وترنياته والخطبة وطبقاتها في الحساس والحدود والنبر ، وسائر كلام الناس الذي يخضع في أدائه لهذا التأثير .

وحينئذ تخرج النصوص القرآنية عن ضوابطها الخاصة ، وسماها الترتيلية للأمور بها في الأداء ، ولا ريب أن ذلك يفتح باب التعريف والتبديل والتغيير في ألفاظ القرآن وكلماته ، وهذا ما لا يقبله مسلم .

٤ - قالت الباحثة ص ٣ : (ومن أجل إثبات وجهات النظر هذه أقسم البحث إلى

وهذا نص صريح أيضا في أن أداء قراءات القرآن منقطع بتواترها تلقيا عن القراء بأسانيد متصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان كذلك فلا يمكن أن تدخله عوامل الزمن والبيئة فتغير ما تواتر منه ، ولو جاز لهذه العوامل أن تدخل لوقع المخطور الذي يخرج بهما القرآن والفاظه عن حقائقها المنزلة لها ، ولأدى ذلك إلى الزيادة في القرآن ، وهذا ما لا يقول به مؤمن .

٢ - قالت صاحبة الرسالة ص ٣ : (وكان الهدف الثاني - لباحثة وراء هذا البحث - هو إثبات وجهة نظر الدراسات الحديثة في أن أي بناء لغوي منطوق يكون صورة أدائية تتأثر بنظام اللغة العام ولهجات الأفراد ، وبسائر العوامل مهما تدخلت عوامل أخرى لتعوق هذا التأثير) .

هذا نص صريح في أن الرسالة وضعت لهذا لإثبات وجهة نظر الدراسات الحديثة - وهي عندنا دراسات المستشرقين - وأن إثبات وجهة نظر هذه الدراسات الحديثة هي الهدف الثاني من أهداف الرسالة .

وواضح من هذا النص أن الباحثة تقصد إلى تعميم قائلتها بأن أي بناء لغوي منطوق يكون صورة أدائية تتأثر بنظام اللغة ولهجات الأفراد وعوامل الزمن ، ولن يستطيع عوامل أخرى تعويق هذا التأثير .

إنما هو حمية تفكر إنساني مصدوما
الأول والآخر النظر في القرآن الكريم
بنصومه النازلة من السماء المتلقاة بالتواتر
الفعلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولا يضرا لإسلام أن ينظر ناظر في هذا المجهود
الفقهي ، فيخطئ أو يصيب في أفتارهم ،
ولكن يضير الإسلام أن يأتي باحث أيا كانت
مكانته ، فيهم على آيات القرآن ونصومه
ويعرضها للتحريف والتغيير والتبديل .

هـ - قالت صاحبة الرسالة ص ٨ (الفصل
الثاني - دراسة من مواقع لتاريخ) ثم ذكرت
تحت هذا العنوان قولها : (ولما كان الرسول
يفعل ذلك - نقصد كما قالت : إن الرسول
صلى الله عليه وسلم كان يحاول استخدام لغة
القوم الذين يتحدثهم - في أحاديثه العامة معهم
فن الأول أن يفعله في الأمر العام الذي أتوه
من أجله ، من الطبعي أن يستعمل في النص
القرآن لفظة بأخرى يعلم أنها أكثر شيوعا
في تلك البيئة ، أو يرى أنها تحمل شحنات
من المعاني تفهم الفكرة أكثر ، أو أن يفهم
في نظام جملة يجعلها أكثر وضوحا أو ليكسبها
بلاغة أكثر في نظر القوم الذين يقرأ أمامهم) .
ثم ذكرت صاحبة الرسالة بعد ذلك قولها :
(ومن الطبعي أن يلحق التغيير - أي زيادة
على تعميم اللفظ - الأداء نفسه فيميل إذا
أقرأ من يميلون) .

ومنا نقف - أولا - مع الأستاذ الدكتور
حسن عون المشرف على الرسالة ، وهو العالم

أربعة أقسام رئيسية تناولنا في أولها الحديث
عن القراءات ونشأتها منذ نزول القرآن
الكريم على الرسول طيبة الصلاة والسلام
إلى ظهور القراءات السبع المعروفة) .

وهذا القسم الأول من هذه الأقسام الأربعة
هو الذي يهتما ، وذلك هنا في صورة
واضحة أن البحث في القراءات مقصود للباحث
ذاتها ، وليس من باب التكلفة التي لا يحتاج
إليها ، والتي يصح حذفها من الرسالة . ونبقى
لرسالة قيمتها بحدتها ، وليس من شك أن
البحث في قراءات القرآن بحث في نصوص
القرآن ، الذي هو أصل الأصول في دين الإسلام
فليس من الحق في شيء أن يبحث الرسالة الذي
قامت عليه ليس بحثا دينيا - كما يقول الأستاذ
الدكتور المشرف على رسالة في كتابه الأبيض ،
وليس من الحق في شيء أن بحثا يتناول
آيات القرآن وكلماته وألفاظه لا يتناول الدين
في جوهره ولا في أصوله ولا في تشريعاته ، وإذا
كانت آيات القرآن ليست جوهر الدين ولا أصوله
فأما إذا أصول الإسلام وما هو جوهره ؟ .

والأستاذ الدكتور المشرف على الرسالة
حالم مسلم أزهرى قبل أن يكون شيئا في عالم
العلم والمعرفة ، وهو بضوانه الأصيل من
أخبر الناس أو كان يجب أن يكون من أخبر
الناس بأن جوهر الدين الإسلامي وأصوله
ليس هو مجيود الفقهاء الذين قصدوا
لاستنباط الأحكام الفرعية من القضايا
السكلية لأن هذا المجهود الذي بذله الفقهاء

في بيته من مخاطهم من الوافدين إليه للإيمان به وتعلم القرآن المزل عليه بألفاظه التي تحمل معانيه المقصودة بأسلوبه الخاص ونظام جملة ، والله تعالى قد نزهه عن ارتكاب هذه الطامة ، وأمره أن يقول ودأ على الذين لا يرجون لقاء الله من كل كافر عتيد ، حينما أرادوه على تبديل آيات القرآن والمطالبة ونظام جملة ليتجنوا صدقه في دعواه: أن هذا القرآن نزل إليه من عند الله ، فقالوا له : « أنت بقرآن غير هذا أبديله قبل ما يكون لي أن أبديله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي » ، وواضح من نص الآية أن هؤلاء الملاحدة من أباينة الكفر طلبوا متعتين من النبي صلى الله عليه وسلم أحد أمرين هل حيل للبدل والتغيير .

الأمر الأول : بأنهم بكتاب كامل غير هذا الكتاب الذي يتهدم به ليحصولوا بذلك إلى إثبات عدم صدقه في دعواه: أن هذا القرآن نزل عليه من عند الله ، وأن ما يتهدم به قوله : « قل لأن اجتماع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » غير صحيح .

الأمر الثاني : أن يدل هذا القرآن فينير نظام جملة بتغيير ألفاظها أو ينير أسلوبها بالتقديم والتأخير أو بالزيادة والنقص أو نحو ذلك من ألوان التبديل .

وقد رد الله عليهم بأمره نبيه صلى الله عليه

المسلم الأزهرى فساله سؤالاً جانبياً ، هل فضيلته لا يزال عند رأيه في أن البحث الذي قامت عليه الرسالة ليس بحثاً دينياً ولا يتناول الدين - الإسلامي طبعاً - في جوهره ، ولا في أصوله ؟ بعد هذه الفقرة التي سقاها من نصوص الرسالة ، وهي كما يرى الزاهدون معقمة صراحة على أربع طامات كل طامة منها هي شر من أختها ، وكل طامة منها محول إلحادى يهدم الدين من قواعده .

الطامة الأولى :

قول صاحبة الرسالة : (من الطبيعي - أي وجلال القرآن عكدا النص - ومن الطبيعي أن يستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النص فقرأن لفظة بأخرى يعلم أنها أكثر شيوعاً في تلك البيئة) .

وهذا التبرير لا يشمل - كما يعرفه كل من شدا شيئاً من علم اللغة واستعمالاتها - إلا في المعاني المسئلة التي تكون من قبيل البداعات أو الضروريات العقلية التي لا يهترجها شيء من الفلك .

والمسلون طاعتهم وعبادتهم بقضاء لون : أية طيبة هذه التي انتسبت إليها هذه الطامة البركانية التي تتلاعب بوحى الله إلى الأمين سيد الوجود ، حاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فتجمل مستقبل من تلقاء نفسه في النص القرآن في لفظة بأخرى مجرد أنه يعلم أن هذه اللفظة أكثر - تأمل أفضل التفضيل - شيوعاً

- في نظر صاحبة الرسالة - أن يميل لفظة من القرآن أوحى إليه بها لقصد معناها ، ويتركها مضية ليضع مكانها - من تلقاء نفسه طبعاً في نظر صاحبة الرسالة - لفظة أخرى ليجرد عنه بأنها (أكثر شيوعاً عند القوم) ، وهنا يثب سؤال (على) : وأين يقع علم محمد صلى الله عليه وسلم من علم (رب محمد) صلى الله عليه وسلم ؟ أو ليس فقط هو في البداية - إن كان البداية فوق - أن (رب محمد) صلى الله عليه وسلم كان (أعلم) من محمد صلى الله عليه وسلم بأكثرية شيوخ اللفظة الجديدة في بيئة القوم ، فكان من سواء الدعوة أن تستعمل هي في اللغة القرآنية المأثرة حتى لا يضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى التبديل والتغيير في نظام الجملة القرآنية والفاظها ؟ فيقول هل الله ما لم ينزل عليه ، والله تعالى يقول له (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) .

وصاحبة الرسالة تذكر لهذا التغيير والتبديل في نظام الجملة القرآنية بتغيير لفظة باللفظة شيئاً عاماً يؤكد أنه يفعله من تلقاء نفسه دون توقف ، وهذا هو التوقف على الله فتقول (ولعل السبب في استخدام الرسول عليه السلام لهجات العرب المختلفة هو رغبته في استغلال (أي) واقع مكثراً استغلال ما في الطبيعة الإنسانية من الارتباط والشعور) وإذا كان النص مسوقاً في صدد عادية التي صلى الله عليه وسلم من محادثهم عن جدون إليه

وسلم بالتجريد من القدرة على إجابتهم إلى أي أمر من أمريهم ، ولكن صاحبة الرسالة تقول : ومن الطبيعي في صناعة الإشراف على وسائل العلم والبحث أن يكون مضية الأستاذ الله كتور العالم المسلم الأدهى المشرف على الرسالة قد اطلع على قولها عدل (من الطبيعي أن يستبدل الرسول عليه السلام - طبعاً من تلقاء نفسه دون توقف من الله تعالى ، لأن صاحبة الرسالة ترفض التوقيف صراحة في قراءة القرآن كنتيجة أولى من النتائج التي توصل إليها بمحتها فهي تقول بالحرف الواحد في ص ٢٨٨ - (١) - أول نتيجة توصل إليها هذا البحث هو رفض فكرة التوقيف في قراءة القرآن) وتقول في نفس النص (وكان اختلاف الناس أيضاً في قراءة الصورة الموحدة التي ألومهم بها عثمان دليلاً جديداً برفض فكرة التوقيف ، ثم أكد هذا الرفض عمل ابن جاهد في اختيار سبع من قراءات كثيرة) وعود إلى نص الرسالة في الطامة الأولى حيث تقول : (من الطبيعي أن يستبدل الرسول صلى الله عليه وسلم في النص القرآني اللفظة بأخرى يتفق بها نظام الجملة القرآنية ليجرد عنه أن اللفظة الجديدة أكثر شيوعاً في تلك البيئة . ورفض عبارة الرسالة كما قلناه حرفياً يفيد بمتضى صيغة (أكثر) أن اللفظة المبدلة هي المأثرة من عنده كثيرة الشيوخ معروفة لدى أهل تلك البيئة . لكن الرسول عليه السلام ودعم هذا الصيوع وهذه المعرفة لا يبالى

لكن واقع الأمر عند صاحبة الرسالة أن النص القرآني نزل من عند الله تعالى بلفظة تحمل (شخات) من المعاني تفهم الفكرة (أقل) مما تفهمه لفظة أخرى لم ينزل بها النص القرآني ، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن اللفظة الأخرى التي كانت القرآن أن ينزل بها هي التي يجب أن تبلغ القوم لما فيها من شخات تفهم الفكرة أكثر . هذا منطق الرسالة .

أما منطق العلم والإسلام فيأبى أن يتقبل هذا المنطق الذي يعطى النبي صلى الله عليه وسلم حقا لا يرتضيه مقامه الشريف ، يعطيه أنه أدرك - أكثر مما أدرك القرآن العظيم - ولا أريد أن أقول كلمة أخرى - أن لفظة فاتته ولم ينزل بها كانت أليق بموقعها من أختها التي نزل بها ، لأن هذه اللفظة العائنة تحمل (شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر) مما تحمل اللفظة القرآنية التي نزل بها النص من عند الله ، وحيث أن يكون من حق النبي صلى الله عليه وسلم أن يستبدل باللفظة القرآنية اللفظة التي كانت القرآن أن ينزل بها ، والتي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ما فيها من مكان اللفظة القرآنية لتؤدي ما تحمل من شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر . وجميع لوازم الطامة الأولى لازمة هنا .

محمد الصادق هرجوري

(عميد كلية أصول الدين)

من قبائل العرب فإنه مرتبط ارتباط الأصل بالفرع بقولها (ومن الطبيعي أن يستبدل في النص القرآني لفظة بأخرى الخ) وهو صريح في أن الحامل له على استخدام لمحات العرب في أحاديثه هو نفس الحامل له على أن يستبدل في النص القرآني لفظة بأخرى ، بل إن صاحبة الرسالة كانت أصرح في أن هذا (الاستئلال) أولى أن يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ، وهو الأمر الأهم الذي أتاه القوم من أجله فتقول :

(ولما كان الرسول عليه السلام يفعل ذلك في أحاديثه العامة معهم فن (الأولى) أن يفعله في الأمر الأهم الذي أتوه من أجله . الخ) .

الطامة الثانية : قولها صاحبة الرسالة (من الطبيعي - إعادة لأصل النص لتحقيق الربط - أن يستبدل الرسول عليه الصلاة والسلام في النص القرآني لفظة بأخرى يرى أنها تحمل شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر) . في هذه الطامة وقع لفظ (أكثر موقعا غير موفقه في الطامة الأولى ، لأن الاكثرية هناك في الطامة الأولى لا تبيح الاستئلال مادامت الفكرة موجودة ، أما هنا في هذه الطامة الثانية فاللفظة التي تحمل شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر يجب أن تكون هي اللفظة القرآنية التي يجب أن تبلغ إلى الناس وهي التي تحقق في أسلوب القرآن الإعجاز وهو مناط حجية القرآن .

مع مجلات مجمع البحوث الإسلامية :

وظيفة الراعى ومسؤولياته

وثيقتان من الأدب الإسلامى السياسى

للاستاذ محمد خلف الله أحمد

وعناك طائفة كبيرة من أمثال هذه الوثائق في الأدب الإسلامى في مختلف عصوره وهى جديرة بالدراسة والتأمل ، لما فيها من العرض البليغ لروح الإسلام وتعاليمه ولما تمثله من مناهج التطبيق العلمى للأصول العامة التى وضعها القرآن - وأكدها السنة لسياسة المجتمع والقيام على شئونه .

ومن الوثائق الهامة في هذا الأدب الإسلامى السياسى عهدان مشهوران في تاريخ الإدارة الإسلامية .

أولهما : ما كتب به الإمام على رضى الله عنه إلى مالك بن الحارث الأشتر الفخري ، حين أرسله وإليه على مصر ، وهو وأود بنه في كتاب « نهج البلاغة » الذى جمعه السيد المرتضى من كلام سيدنا الإمام على كرم الله وجهه ، وقد تبنى الشيخ محمد عبده ، شارح الكتاب إلى أهمية الجانب السياسى في أدب الإمام على فأشار إليه إشارة خاصة في خطبته ونبه مديري المدارس إلى ما فيه من الكلام في أصول المدينة وقواعد العدالة وبيان حقوق الرعية على الراعى .

أوضح الإسلام طبيعة العلاقة بين الراعى والرعية ، ووضح الأسس الثابتة لدولة ديمقراطية روحية ، تخرج فيها الفكرة الديمقراطية الكاملة بالروح الدينى ، وتقوم فلسفتها على أساس الاعتقاد بوحداية الخالق وبكرامة بنى الإنسان والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات .

ويشهد لعناية الإسلام بهذا الجانب من حياة المجتمع وفرة الأدب الإسلامى التوجيهى في السياسة والحكم والإدارة والقضاء وجباية الخراج والصدقات وقيادة الجيوش وشئون الحرب والسلام وما إليها .

وفي سنة ١٩٤١ نشر الباحث الهندى محمد حميد الله الحيدروبادى في القاهرة كتابا بعنوان : مجموعة الوثائق السياسية ، يضم اليهودائق عهدها الرسول ، صلوات الله عليه وتوجيهاته لرسوله إلى مختلف الجاهات الإسلامية ووسائله إلى رؤساء القبائل العربية وعظماء الممالك الأجنبية المجاورة من فارس وروم وغيرهما ، كما يضم طائفة من وثائق عصر الخلفاء الراشدين .

« هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله أعلم » .

تشابه هاتان الوثيقتان في موضوعهما : فكلاهما عهد موجه إلى وال على عمالة كبيرة من عمالات الدولة الإسلامية، وكلاهما تحاول أن ترسم - في شيء من التفصيل - منهاجاً للوالى في سلوكه الشخصى ، و نظامه في الإدارة والحكم ، واختياره لأعوانه ، وصلاته بطوائف الرعية ، وكلاهما تؤلف نموذجاً واضح الطول في أدب التوجيه السياسى (إذ تتألف كل منهما من أكثر من ألفين ومائتى كلمة) ؛ وكلاهما تمثل صورة من صور البلاغة في كتابة الرسائل في العصر الذهبي للأدب العربي .

١ - وملتقى الرسالة الأولى سيدنا الإمام على أحد الخلفاء الراشدين ، وابن عم الرسول صلوات الله عليه ، وزوج ابنته ، وأحد كتّاب رعيه . ورفيقه في الكفاح والنضال، شبيب في حبر الدعوة ، فثقف أسرارها وأهدافها ، وروى من معينها الصافي منذ صباه ، وشهد مع الرسول مواقع الإسلام الأولى ، وأبلى فيها البلاء الحالد . وكان نموذجاً في بلاغته ، كما كان حلياً في بطولته .

حدد الخليفة في مستهل هذه الرسالة معالم المهمة التي عهد بها إلى واليه الجديد على مصر فقال :

والثيقة الثانية يوردها ابن خلدون ، في مقدمته في الفصل الذى عقده الكلام على أن « المصراع البشرى لا بد له من سياسة يقتظم بها أمره » ويقول في تقديمه لها :

« ومن أحسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب « طاهر بن الحسين » لابنه « عبد الله » لها ولأولاد المأمون الرقة ومصر وما بينهما . فكتب إليه أبوه « طاهر » كتابه المشهور ، عهد إليه فيه ، ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخاصة والسياسة الشرعية والملوكية، وحثه على مكارم الأخلاق وعاشن الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوق » .

ويشهد أن يورده ابن خلدون ، النص بنامه بقول :

« وحدث الإخباريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره أعجب به الناس واتصل بالمأمون فلما قرئ عليه قال : « ما أبهى أبو الطيب - يعنى طاهراً - شيئاً من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به ثم أمر المأمون فكتب به إلى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بها فيه » ثم يقول ابن خلدون :

الأمور إليك أو سطا في الحق وأمرها
في العدل وأجمعها رضى الرعية ... وإنما
عماد الدين - وجماع المسلمين والمدة للأعداء -
العامّة من الأمّة ، فليكن صفوك لم
وميلك معهم ، وليكن أبداً وصيك منك
وأشنام عندك أطلهم لمصائب الناس ...
وأطلق من الناس عقدة كل حقد ، ولا تملجن
إلى تصديق ساح ، فإن الساعى غاش ، وإن
تعبه بالناسحين ... ولا تدخلن في مهورتك
بخيلا ولا جباناً حريصاً ... وإن شرو ذواتك
من كاد للأشرار قبلك وديراً ، ومن شركهم
في الآثام ، فلا يكون لك بطانة ، وليكن آخر
أعوانك عندك أقولهم بحر الحق لك ...
والحق بأهل الودع والصدق ، ثم رحيم
على ألا يطروك ولا يقبضوك باطل لم تقعه
ولا يكون المحسن والمؤمن عندك بمنزلة سواء
والمعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن
راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه
المؤنات عنهم ، ولا تنقض سنة سالحة عمل بها
صدر هذه الأمة ، ولا تحدث سنة تضر بشيء
من ماضى تلك السنة ... وأكثر مدارسة
العلماء ومناقشة الحكماء في تبيين ما صلح عليه
أمر بلاك .

بهذا يحدد الإمام صفات الوالى النموذجي
في شخصه ، وما يجب أن يكون عليه موقفه من
الرعية عامة ، والصفات التى ينبغى أن يتطلبها

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به
عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث
الأشتر في عهده إليه حين ولاء مصر : حماية
خراجها وجهاد حدودها ، واستصلاح أهلها
وعماره بلادها ، أمره بتقوى الله وإيثار
طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه
وسننه ، الذى لا يسعد أحد إلا باتباعها
ولا يشقى إلا مع معيودها وإضاعتها ...
وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ،
ويذعها عند الجماعات ، فإن النفس أماره
بالسوء إلا ما رحم الله ...

ثم يأخذ الخليفة في تفصيل ما أجمل ،
بادئاً من ذلك برسم الخطوط الرئيسية لشخصية
الوالى المسلم وسلوكه وصلاته بالناس بقول
الإمام لواليه ما خلاصته : (ملك هواك ،
وأشمر قلبك الرحة قرعية والمهبة لم
والظف بهم ، ولا تكون عليهم سبعا ضارياً
يقتم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك
في الدين أو نظير لك في الخلق فاعطهم من
صفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك
الله من صفوه وصفح ، ولا تصب نفسك
لحرب الله فإنه لا يدى لك بقمته ... وإياك
ومساماة الله في عظمته والتعب به في جبروته
فإنه يذل كل جبار . وأوصف الله وأنصف
الناس من نفسك ومن عاصم أملاك ومن
لك فيه هوى من وعيتك ... وليكن أحب

واحدة منها إذا أصبحت معالجة شئونها ،
أو عمنست حقوقها ، أو اختير لقيادتها من
لا يصلح لها ، أو أحست باختلال ميزان
المعادلة فيها .

والخليفة في تصويره لأحوال هذه الفئات
يصدر عن بصيرة نافذة في أحوال النفوس ،
وفي علاقات الجماعات ، وتعرضها لصلاح
والفساد . فهو في توجيهه السؤال في أمر
القضاة يقول :

« ثم اختر الحكم بين الناس أفضل وعينك
في نفسك من لا تطيق به الأمور وتحمك
الخصوم ، ولا يتأذى في الزلة ، ولا يحصر
من الزل إلا الحق إذا عرفه ، ولا تشرف
نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون
أقصاه . أدقهم في الشبهات وأخضعهم بالحجج .
إلى أن يقول : « ثم أكثر تساعد قضائه ،
وأفسح له في البذل ما يزيل حلقه ، وتقل معه
حاجته إلى الناس . »

فإذا ما جاء إلى شئون التجار وذوى
الصناعات أو صاه بهم خيراً ، وعرفه تفهم
وخدمتهم للجمع ، ثم حذره من انحراف
بعضهم فقال :

« واعلم مع ذلك أن في كثير منهم خيما
فاحشا ، وشما قبيحا ، واحتكارا للنافع ،

في أهوائه ومستشاريه ، والإمام يصوغ هذا
التحديد في أسلوبه البلاغى المؤثر ، ذوى الفقر
المهككة والقوامل المتوازنة ، مؤيدا كل توجيه ،
وإيراد سره وحسكته من طبائع النفوس
وظواهر الاجتماع .

٢ - ثم ينتقل الإمام إلى المقطع الرئيسى
الثانى من رسالته . وهو الخاص ببيان الفئات
التي يتألف منها المجتمع ، وحق كل منها من
حناية الرأى وروايت فيقول :

واعلم أن الراعية طبقات ، لا يصلح بعضها
إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ،
منها : جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة
ومنها قضاء العدل ، ومنها عمال الإنصاف
والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل
الامة ورسلة الناس ، ومنها التجار وأهل
الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى
الحاجة والمسكنة . وكلا قد سمي الله سبحانه
ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة
نبيه صلى الله عليه وآله وهذا عهدا عندنا
محفوظا .

ويستر الإمام فيفصل ما أجمل في هذا
التقسيم ، مبررا مكان كل فئة من هذه الفئات
في حياة المجتمع وما به صلاحها ، موضحا
ما أشار إليه من تكاملها وتكاملها ، مبينا
المزائق التي يمكن أن نتعرف إليها أى

واجعل لذوي الحاجات منك قسما . تفرغ لم
فيه شخصك ، وتجلس لم جلساءا ، فتواضع
فيه لله الذي خلقك ، وتعتمد عنهم جندك
وأعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى
يكلمك مكلهم غير متمتع ، فإن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في خير
موطن : (لن تقص أمة لا يؤخذ الضعيف
فيها حقه من القوى غير متمتع) .

٣ - والقسم الثالث الرئيسي من رسالة
الإمام إلى عامه يتناول أمورا عامة تعين
العامل على النجاح : منها أن يحرص على
إصدار حاجات الناس يوم ورودها ؛ وأن
يخص لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه ؛
وأن يجعل لنفسه فيما بينه وبين الله أفضل
تلك المواقف - وإن كانت كلها - إذا صلحت
النية وسلبت الرعية ؛ وألا يطيلن احتجاجه
عن الرعية فإن احتجاج الولاة عن الرعية
شعبة من الضيق وفتنة علم بالأمور ، وأن
يجول بين بطانته وعاصته وبين ما ينحرفون
إليه من استئثار وتجاوز وفتنة إنصاف
في معاملة ، وأن يصبر الرعية بمنزلة أن
ظنوا به حيفا ؛ وألا يدفع صلحا دعاء إليه
مدد وفتنة فيه وحضا ؛ وأن يحذر مع ذلك
كل الحذر من مدوه ببدلته ؛ وأن يحوط
هذه بالوقاية ويرعى ذمته بالأمانة ؛ وأن

وتحكما في البياعات ، وذلك باب مضرة العامة
وصيب على الولاة ، فامنع من الاحتكاك
فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه ،
وليكن البيع سمحا ، بموازين عدل وأسماء
لا تصنف بالفريقين من البائع والمبتاع ،
فإن قارف حكرة بعد نهيك إياه ففعل به ،
وماقب في غير إصراف .

ويوجه الإمام حناية خاصة إلى الفئة
المحدودة الموارد أو العاجزة عن الكسب
فيقول في توجيهاته الأولى :

« ثم الله في الطبقة السفلى من الذين
لا حياة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل
البؤس والومئ ، فإن في هذه الطبقة قائما
ومعترا ، واحفظه ما استحفظك من حقه
فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك ،
وقسما من غلات حوائج الإسلام في كل بلد ،
فإن للأغنى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد
استرعيت حقه ...

فلا تشخص منك منهم ، ولا تصرف خذك
لهم ، وتنفذ أمور من لا يصل إليك منهم ...
تفرغ لأولئك بملكك من أهل الخشية
والتواضع ، فليدفع إليك أمورهم ، ثم أعمل
فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاء ، فإن هؤلاء
من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم .
وتعهد أهل البيت وذوي الرقة في السن ،

- ٤ - ٥٨) وقوله : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) - ٥ / ٨ - وقوله : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) - ٣٨ / ٢٦ - وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وقوله : (من ولي من أمر المسلمين شيئا فولي رجلا وهو يحد من هو أصلح للسلمين منه فقد خان الله ورسوله) .

وتمتاز رسالة الإمام بين رسائل الخفاء في تلك المرحلة بطولها وتفصيلها . وقد نبه السيد المرتضى جامع ، نهج البلاغة ، إلى أنها من بين كتب الإمام وهو دة أطولها وأجلها للمعاصرين . ويبدو أن هذه الكتب تمثل - من ناحية - جانباً هاماً من أدب الإمام ، وتمثل من ناحية أخرى وعياً أصيلاً وفهماً عميقاً متكاملًا لمسئولية الراعي في رعيته ، فكلمها تفويض بوجود الحبيب على الرعية والإحترام لمشاهيرهم ، واجتلاب مودتهم ، والرفق بهم في أموالهم وتحذير الولاة من التصيير في المسئولية فإنهم ، خزان الرعية ،

يرى نفسه من الإعجاب بها ومن حب الإطسراء ، وأن يتعاشى المن على الرعية بالإحسان ، والعجة بالأمور قبل أوانها ، والنسقط فيها عند إمكانها ، والحاجة فيها إذا تنكرت ، والو من عما إذا استوضحت .

ثم يختم الإمام رسالته إلى عامه بالثناء فيقول :

(وأنا أسأل الله بسعة رحمة وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفى وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلفه ، مع حسن الثناء في المباد ، وجعل الأثر في البلاد ، وتعمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسادة والشهادة ، إننا إليه راجعون) .

١ - هذه الرسالة البليغة الجامعة التي نترجم روح التعاليم الإسلامية في الحكم والإدارة إلى خطة توجيهية عملية ليست الوحيدة من نوعها في أدب الإمام على ، ولا في توجيهات أصحابه وسابقيه من الخلفاء الراشدين وهي كلها تنبع من المعين الأول الذي لمرته آيات القرآن الكريم وسنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه - من مثل قول الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل

ويوجب بعضها بعضا . . . وأعظم ما افترضه سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الراعي ، فريضة فرجها الله سبحانه لكل على كل ، لجمعها نظاما لا لفهم ، وهذا لدينهم . فليست تصلح الرعية إلا صلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية . . .

وقد أجاه به رجل من أصحابه بكلام طويل ، يكثُر فيه الثناء عليه ويذكر اسمه وطاعته له فقال الإمام رضي الله عنه :

«... فلا تكلموني بما تكلم به الجبارة ، ولا تحفظوا مني عما يتحفظ به عند أهل البادرة ، ولا تخاطبوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استئثالا في حق قيل لي ، ولا التماس إعظام لنفسي ، فإنه من استثقل الحق أنه يقال له ، أو الهدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه . فلا تكفروا عن مقالة بحق أو موهرة ببدل ، فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطئ . » ولا آمن ذلك من فعل ، إلا أن يمكنني الله من نفسي ما هو أمثل به مني . فإنما أنا وأنتم عبيد لموكون لرب لا رب غيره ، يملك منا ما لا يملك من أنفسنا . . .

محمد خليف الله محمد

ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة . . . وإن أعظم الحياة حياة الأمة ، وأرفع الفتن غش الأئمة . .

والإمام حريص على أن يفتح عيون ولاته على الصغيرة والكبيرة من شئون الحكم وصلات الحاكم بالناس . بلغه مرة أن طامله على البصرة ، عثمان بن حنيف الأنصاري ، دعى إلى وائمة قوم من أهلها فعضى إليها ، فكتب إليه يقول :

« أما بعد يا ابن حنيف : فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأمرحت إليها ، استطاب لك الألوان . وتغلل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طمام قوم طاعتهم عفو وغنيم مدعو . فانظر إلى ما نقصه من هذا المقضم ، فاشبه عليك طله فانقله ، وما أيقنت بطيب وجهه فقل منه . . .

وقد نهج الإمام نهج أصحابه الخلفاء الراشدين من قبله في خطبه وبعيه بمشورئته نحو الله والناس في حكم المسلمين ، وإدراك لما يجب أن تكون عليه الصلة بين الراعي والرعية يقول في خطبة خطبها (: صفه) :

« ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض لجمعها تكافؤا في وجوبها

فتح القرآن

التوبة بعد الأوان صفة الخاسرين للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ١١ ، آية ٩٠ يونس . »

١ - أنباء بذلك بعض علماء ، وكهنة ، فاقبه بنو إسرائيل جميعا ، يهتك الأهرام ، ويقتل الأبناء في غير تريث ولا وحشة .

والقرآن الكريم يذكر عن هذا الفرعون فصولا هجينة من القصص الحق ، وإن لم يحصل القرآن بذكر اسمه الخاص ، فإن تعين الاسم لا يتعلق به كبير شأن ، مادامنا نعرف الوقائع ونعرف أنه فرعون موسى وهو الذي دالت على يده دولة الفراعنة - كما نذكر بعد - .

وقد لقي موسى وهارون من فرعون هذا ما تضيق به الإنسانية ، وذاق بنو إسرائيل من هوانهم على يده ما تجعل الدنيا لذكره .

٢ - فلما أذن الله بتفريج الضائقة أوحى إلى موسى أن يخرج بنو إسرائيل ليلا ، من مصر ليلتمس النجاة ناحية البحر الأحمر ...

وقد يادر موسى بالخروج في بني إسرائيل ، وهم ستائة ألف وعشرون ألفا من الأنفس كما يذكر الرواة

أشهر صاحب السلطان والحكم في مصر قديما بلقب فرعون ، وصار هذا اللقب ضوئنا على الجبروت الشخصي ، والظفان في الحكم ، والتطاول على الله ، والاستهانة بالرحل والرسالات ؛ بل صارت كلمة فرعون في ألسان الناس محفوفة بالكثير من معاني المجهولة التي تعني ما يكون لبعض الفراعنة من أجداد ، وما يشهد به التاريخ من بطولات .

ولكن واحداً من هؤلاء الفراعنة هو الذي تركت عنده مشأمة الحياة ... وهو فرعون موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام آمن هذا الفرعون في ضلالة أكثر من أسلافه ، وزعم نفسه إلها ، بل نادى في الناس « أنا ربكم الأعلى » ... « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ٩٢ » .

وكان من شأن هذا الفرعون مع بني إسرائيل أن تشام منهم في مصر ، وتوقع ذهاب ملكه على يد مولود يولد فيهم ، كما

ولم هنا يكون فرعون هذا طاش على الكفر ، والإصراف فيه ... ثم لجأ ساعة الموت إلى إعلان الإيمان ، وأنه من المسلمين .

ولكن أمه الكاذب لم يلبث في رحمه حتى يسمع نداء طويلا من جانب الله على لسان ملائكته بتكذيبه في زعمه الإيمان ، والفتنيته عليه فيما فرط منه ، الآن وقد عصيت قبل . وكنت من المفسدين .

يعنى : ليس لك إيمان يمتد به . وهل يكون إيمانك يا فرعون بعد أن عاينت ساعة الموت ، وتخلصت عنه أيام حياتك الطويلة ، وضاعت منك فرصة القبول القوية .

٣ - إن الإيمان ، أو التوبة بعد الأوان وفي ساعة الاضطراب ، لا يكون استجابة صحيحة لدعوة الله ، وإنما يكون تحايلا على كسب الفضيلة ، دون إرادة ساجدة ، ولا هزيمة صادقة ، وذلك بناء على ضمير أساس ، فهو بناء منهار من أوله ، والله تعالى - غنى عن هذا الإيمان ولا يرضى منا الزيف في الزكون إليه وقت القعدة ، بعد مجافاته أيام الرجاء .

٤ - فليكن جزاء فرعون هذا التوبيخ ليتحضر أكثر وأكثر ، كما أقصد كثيرا وأكثر .

وإذا كان فرعون بغيضا إلى الله وملائكته وإلى بني إسرائيل ، وكان مكتوبا عند الله شقيا بسوء مسلكه : كان جبريل عليه الصلاة

فلما أصبح فرعون وعلم بذلك - نخرج وراهم في زيادة على صدد قوم موسى بالقي ألق نفس ، يريد الحاق بهم ، للفضاء عليهم قبل أن يغتلبوا من تحت يده .

وحينا أبصر قوم موسى أن فرعون وراهم عافوا وقالوا لموسى : إنهم سيدركوننا فطمانهم بقوله - عليه الصلاة والسلام : إن موسى في سيدين ، ثم أوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، ففعل ، فانفلق ماء البحر إلى فرقتين عظمتين ، كل واحدة منهما كالجليل الأشم .

ويقال إن مسالك الطريق بين الماء كانت اثني عشر مسلكا بعدد الاضطراب من بني إسرائيل ، وهم ذرية يثوب عليه السلام . ولما وصل بنو إسرائيل إلى شاطئ البحر ناحية سيناء ، اندفع وراهم فرعون وقومه ساجدين أن الطريق مفتوح لهم كما رأوه .

وحينا كانوا بين الشاطئين : بدتهم المعجزة ، وانطبق البحر عليهم جميعا ، وشاؤف فرعون الموت الذي كان لا يحسب له حسابا ... وحيث تعلق بالأمل الضائع ، وقال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

يعنى : هو الله الذي كنت أكتب فيه بنو إسرائيل ... وأنا من المسلمين الذين أخلصوا أنفسهم .

وقد صورها لنا القرآن بلسان الحقيقة . .
وكم في القرآن من قصص رائعة ، نرجو أن
يبصرنا الله بمراميه ، ويهدينا إلى توجيهاه
وبصد :

فقد نقل الشيخ الألوسي في تفسيره كلاما
ذكره الشيخ محي الدين بن عربي في كفاية
الفتوحات الربانية - وهو شطحة خرافية ،
شطحا ابن عربي ، نادى فيها نفسه وخرج
بها على ظاهر النصوص المتضاربة ، إذ قرر
أن فرعون مات مؤمنا ، وتكلف في فهم
الآية تكلفا غريبا ، وغريبا أكثر من شيخ
كأن عربي ، وأخذ يستشهد لوحه بقول الله
أموس وعارون ، فقولاه قولنا ، وبقوله
تعالى : له يذكروا يحيى ، ، فاقول الذين
أماره عنده على حسن اعتماد فرعون ،
وكلمة له يذكروا يحيى ، تعبيرا بالرجاء
من جانب الله ، وقد تحقق الرجاء بقول فرعون
آمنت أنه لا إله إلا الخ

ولكن الشيخ الألوسي ناقش ابن عربي
في هذا التسكاب ، وأبطال هذه الشطحة ،
وما كان أغنانا تفسير القرآن عن هذه
الغجائزات (المستيرية) وأغلب الظن أن هذه
قربة مكذوبة على ابن عربي ، والله يهدينا
إلى صراط مستقيم ؟

عبد اللطيف الديلمي

والسلام حين الفرق يدس في خلق فرعون من
طين البحر ، حتى لا يستشق نفسه ، ولا يتمكن
من كلة طيبة في موقفه هذا ، لأن الكلة
الطيبة لن تنفعه الآن ، وهو لا يستحق مجرد
ذكرها باللسان ، كما يذكره الطيبرن أو
الصالحون .

وقد أراد الله أن يصل فرعون هذه لقومه
والناس من بعده ، فأخرج بدنه من البحر
إلى القاطل حية ، ليراعا الناس بأعينهم ،
ويؤمنوا بعدة ربهم ، ويمتدبروا بما جرى
على هذا الجبار الأثيم ، قال يوم ننجيك بيدك
لتكون لمن خلفك آية ، ولا شك أنها آية
واقعية ، تكفي ، وتكفي كثيرا للوصلة . .
ولكن الكثير منا عن آيات الله غافلون .

٦ - وقد ذهب فرعون كالمعذور الذي
لم يكن له وجود ، وتلاشى ملكه كما تلاشى
الهباء في فضاء ليس له حدود .

وصار بعد تأله كلة مراب ، أو نمنخة
في تراب ، وعكفا يكون الباطل ، مهما
تكن له صورة . وتبارك الله الذي هو الحق
وحده ، وقد خسر الذين كذبوا بقاء الله ،
وما كانوا مهتدين .

٧ - كانت هذه العبرة على ما يقول
المؤرخون عند مكان على البحر الأحمر ،
يسمى إلى الآن - هيون موسى - وهي قريبة
من السويس .

هل أتمم الفخر الرازي كتابه في التفسير؟

للاستاذ علي العماد

- ٢ -

(النظر) مذكور في تفسير قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » .

وقد استوفى الكلام حقاً في تفسير هذه الآية من سورة (القيامة) . وجاء عند تفسير قوله تعالى : « وما لم يشأ بنسج » من سورة (القلم) قوله : « وقد استقصينا القول فيه في قوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة »

في تفسير سورة (الفاتحة) عند الكلام على القراءة خلف الإمام قال : (واحتج أبو حنيفة بالقرآن والخبر أما القرآن فنقوله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . وأعلم أننا في تفسير هذه الآية أنها لا تدل على قولهم ، وبالنسبة فليطالع ذلك الموضع من هذا التفسير . والآية في سورة (الأعراف) .

ومعنى كل ذلك أنه فسر سورة (البقرة) بعد أن فسر سورتي (الشعراء) و (القيامة) وفسر سورة (القلم) بعد أن فسر سورة (الحمزة) . وفسر سورة (الفاتحة) بعد أن فسر سورة (الأعراف) .

٢ - في التراويخ التي أثبتناها ، والتي

ثم تأخذ في الإجابة عن السؤال الذي جعلناه عنواناً لهذا البحث . وقبل أن تأخذ في الإجابة منه نحاول الإجابة عن سؤال آخر : هل فسر الرازي القرآن مرتبة سورة بحسب الترتيب المصحفي ، أو فسرهم غير مرتب السور ؟

يبدو لناظر - بادىء ذي بدء - أن السور فسرت غير مرتبة اعتماداً على الشواهد الآتية :
١ - أنه يحيل في تفسير بعض السور المتقدمة في الترتيب المصحفي على تفسير بعض السور المتأخرة في هذا الترتيب .
من ذلك :

في تفسير سورة (البقرة) عند قوله تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك » أو رد سؤالاً ، صورته : ما السبب في قوله : نزله على قلبك ؟ ثم قال في الجواب : هذه المسألة ذكرناها في سورة الشعراء .

وعند تفسير قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » من سورة البقرة أيضاً ، قال : أعلم أن في الآية مسائل :

المسألة الأولى : الكلام المستقصى في لفظ

ذلك أن هذا الشهر يتبدى يوم (السبت)
وعلى ذلك يحتمل أن يكون فرغ من تفسير
سورة الأنفال في اليوم الثاني ، أو التاسع ،
أو السادس عشر ، أو الثالث والعشرين ،
أو الثلاثين من شهر رمضان ، فيحتمل أن
يكون تفسير الأنفال قبل التوبة ، وأن يكون
فسرها بعدما .

هذه أدلة واضحة على أنه لم يكن يلتزم
في تفسيره الترتيب المصحفي المعروف غير أن
الذي ينتم النظر لا تنضم هذه الأدلة . بل يهد
أدلة أخرى تشهد بأنه فسّر القرآن مرتبة
سورة .

(١) هذا أمر طبعي يكاد يتفق فيه
جميع المفسرين .

(٢) يحيل كثيرا في تفسير سور متقدمة
في الترتيب المصحفي على تفسير سور متأخرة
وسنورد أمثلة كثيرة لهذا في هذا البحث .

(٣) توارىخ تفسير كثير من السور
التي حدد توارىخها متتابعة : يونس - هود
يوسف - الرعد - إبراهيم ، والسور من :
(الصافات) إلى (الفتح) .

(٤) العبارة التي وجدت بخط السيد
مرغص ، والتي تقول : إنه وصل في تفسيره
إلى سورة (الأنبياء) تدل على أن الجزء الذي
راه كان مرتبا ، وهذا على القرائن أن الفسخ
التي وجدت من الكتاب ظلت على الترتيب
الذي كان يعمل عليه الفخر .

حدد بها الرازي قراغه من تفسير بعض
السور لاحظنا أن بعض السور المتأخرة
في الترتيب المصحفي فسرت قبل سور أخرى
تسبقها في هذا الترتيب .

من ذلك مثلا أنه فرغ من تفسير سورة
(الإسراء) في العشرين من المحرم سنة إحدى
وستائة من الهجرة ، في حين فرغ من تفسير
سور : الأنفال والتوبة ويونس وهود
ويوسف والرعد وإبراهيم في الأشهر التالية
للمحرم من تلك السنة ، كما أنه فسّر سورة
(الأنفال والتوبة) في رمضان من سنة
إحدى وستائة ، وفسّر سورة (يونس)
(و هود) في شهر رجب من تلك السنة ،
وسور : يوسف والرعد وإبراهيم في شهر
شعبان .

ومعنى ذلك أنه فسّر هذه السور بهذا
الترتيب : الإسراء - يونس - هود يوسف
الرعد - إبراهيم - الأنفال - التوبة .

وقد سبق أن ذكرنا أنه حدد تاريخ قراغه
من تفسير سورة التوبة باليوم الرابع عشر
من رمضان ، وقال : إنه فرغ من تفسير سورة
(الأنفال) في : (رمضان) هكذا من
غير تحديد .

وأن قراغه من تفسير سورة : (التوبة)
كان يوم جمعه ، وقراغه من تفسير سورة :
(الأنفال) كان يوم أحد ، فإذا كان الجمعه
في ذلك الشهر يوافق الرابع عشر كان معنى

تفسير السورة على الفراغ من مراجعة تفسيرها ، أو من إتمام تفسيرها .

• • •

ثم نأخذ في الإجابة عن السؤال الأول :
وأول ما نؤكد أنه الفخر فسر سورة :
(الأنبياء) التي جاء في هامش كشف الظنون
قلنا من شرح الشفاء ، من خط السيد مرتضى
أن الفخر وصل إليها في تفسيره .

ذلك أن الفخر قال في أول تفسير هذه
السورة : (اقرب للناس حجاجهم ، لقائل
أن يقول : كيف وصف بالاقتراب ، وقد
هجر بعد هذا القول قريب من ستائة عام ؟

فإنه يفهم من هذه العبارة أنه شرع في تفسير
هذه السورة في نحو هذا التاريخ ، ومعلوم
أن الفخر توفي سنة ٦٠٦ هـ . أجمع على
ذلك كل المصادر التي تعرضت لتاريخ وفاته .
على أني أرجح أنه فسر ما قبل سنة ستائة ،
لأنه يعتبر القرب من التاريخ ما كان قبله ؛
فيقول في نفس الموضوع : (إن المعاملة إذا
كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى منها شهر فإنه
لا يقال : اقرب الأجل ، أما إذا كان الماضي
أكثر من الباقي فإنه يقال : اقرب الأجل ،
فعل هذا الوجه قال العلماء : إن فيه دلالة على
قرب القيامة .

وعلى هذا فبارتبه : (قريب من ستائة)
معناها أقل من ستائة ، لسنة أو لا أكثر من
سنة ، ولا يمكن - بحسب تفسيره لقرب

والذي أوجهه أن الفخر فسر سور
القرآن مرتبة ، وكان على التفسير على تلامذته
وفي آخريات حياته كتب لنفسه نسخة من
هذا التفسير ، وأدخل عليها معلومات جديدة
كما هي عادة المؤلفين حين يراجعون ما كتبوا
وإذا كان الموضوع قد استوفى الكلام فيه
في سورة متأخرة أشار إلى ذلك الموضوع .
يدلنا على أنه نسخ نفسه بخطه ما قلناه
آخرا ما جاء في تفسير سورة هود : (وقد
وجد بخط المصنف) كما يدلنا على ذلك عبارة
جاءت في كتاب : (هيون الأنبياء في طبقات
الاطباء) فقد قال ابن أبي أصيبعة في ترجمته
للفخر : (رأيته تفسيره ، وهو اثنتا عشرة
مجلة بخطه البقيق) .

وهذا المؤلف قريب عهد بالرازي ، فقد
توفي سنة ٦٦٨ هـ .

ولعل آخر ما يبعثنا على هذا الترجيح
أن الرازي كان يفسر سوراً عدة في شهر
واحد ، أو يفسر في الشهر الواحد - أيضاً -
سورتين كبيرتين ، كما هو الحال في سورتين :
(يونس وهود) اللتين فسرهما في شهر ورجب ،
(الألقام والتوبة) اللتين فسرهما في شهر
رمضان .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه ربما فسر
سورتين في ليلتين متوالتين أو سوراً في
ليالي متعاقبة .

وهذا يرجع أن نحمل كلمة الفراغ من

كل السور التي تلي سورة الواقعة في الترتيب المصحفي أي إنه فسر الثلاثة الأجزاء الأخيرة من القرآن ، وسورة (الحديد) ، وأنه - أيضا - فسر كل سورة أحال على تفسيرها ، في تفسير سورة الواقعة ، أو في تفسير السور التي يظن أنه فسرهما .

ولكن نبين في أنه هذا الظن غير صحيح بالنسبة للأميرين جميعا .

أما الأول : فلأن وجهات في تفسير السور التالية لسورة الواقعة شواهد كثيرة ترفض هذا الافتراض ، من هذه القواعد :

١ - في تفسير قوله تعالى : « هو الأول والآخِرُ والظاهر والباطن » ، من سورة الحديد يقول المفسر : (وميمت والذي رحه الله يقول : إنه كان يروى أنه لما نزلت هذه الآية أقبل المشركون نحو البيت وسجدوا) . ونحن نعرف أن الرازي أخذ عن والده (ضياء الدين) فيها أخذ (تفسير القرآن) ، وأنه أشار إليه في بعض السور التي ثبت أنه فسرهما .

٢ - وجاء في تفسير هذه السورة عنه قوله تعالى : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » قوله : « واعلم أنا بينا في سورة النور أن النور الحقيقي هو الله تعالى ، وأن نور العلم الذي هو نور البصيرة أول بكونه نورا من نور البصر » .

وبما يؤيد تفسيره لسورة : (النور)

من التاريخ - أن يكون التاريخ الذي فسر فيه هذه السورة بعد الستة .

فيذا كان فسر سورة الأنبياء في هذا التاريخ وكان يفسر القرآن بالترتيب المصحفي فإن ست سنوات كانت باقية من حياة المؤلف كفيده بأن يفسرها بقي من القرآن .

ينضاف إلى ذلك أن من المؤكد تفسيره لسور بعد سورة الأنبياء ، هذه السور التي فسر على تاريخ الفراغ من تفسيرها ، أو أحال في السور التي فسرهما عليها .

وبما يؤكد أن الفخر فسر سورة الأنبياء أننا شئت فيما يلي أنه فسر سورة (الإخلاص) المثبت في تفسيره الكبير ، وقد قال في تفسيره هذه السورة : (وقد استقصينا في تقرير دلائل الوجدانية في تفسير قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدناه ») .

وقد استقصى فعلا في تفسير سورة الأنبياء في تقرير دلائل الوجدانية ، فقد ذكر أربعة عشر دليلا على وحدانية الله ، واعتبرها : (أدلة أخرى) .

• • •

أما الفقرتان الثتان وردتا في تفسير سورة (الواقعة) فتؤكد أن تفسير هذه السورة ليس من تصنيف الفخر ، وإنما هو لعالم آخر استفاد - على حد قوله - من الرازي فواته لا يحصها .

ثم يقع في الظن أن هذا المفسر كتب تفسير

٥ - في تفسير قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً ، من سورة : (التبا) قال : « وأعلم أنا ذكرنا في تفسير سورة البقرة عند قوله : (جعل لسك الأرض فراشا) كل ما يتعلق من الحقائق بهذه الآية . »

٦ - في تفسير سورة : (القدر) قال : (قال ابن عباس : أنزل إلى سماء الدنيا جملة ليلة القدر ، ثم إلى الأرض نجوماً ، كما قال : فلا أئسم بمواقع النجوم . وقد ذكرنا هذه المسألة في قوله : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ») .

٧ - في تفسير قوله تعالى : (خلق فسوى) من سورة (الأعلى) جاء قول المفسر : (وقد استقصينا القول في هذا الباب في مواضع كثيرة من هذا الكتاب) .

وهي عبارة تدل على أن مؤلف الكتاب كله واحد وإلا لقال - والمعروف أنه يجب أن ينسب إليه عمل - : وقد استقصينا القول في هذا الباب في مواضع كثيرة ، بما صنفناه من هذا الكتاب ، أو : وقد استقصى مؤلفه غير الذين القول في مواضع كثيرة . أو عبارة تشبه إحدى هاتين العبارةتين .

٨ - في تفسير سورة (الانقطار) عرض لوميد أصحاب الكبار ، ثم قال : (والكلام في هذه المسألة قد استقصيناه في سورة البقرة . »

- وهذا إلزام للفهاء الذين يرون أنه وصل في تفسيره إلى سورة الأنبياء ، وأنه كما يفهم من كلامهم فسر القرآن مرتباً - فربها من سورة الأنبياء ، فإننا - وقد أكدنا أنه فسر سورة الأنبياء في حدود الستة - نرى أن الزمن الذي كان باقياً من عمره يسمح له بتفسير هذه السورة القريبة منها .

٣ - جاء في أول تفسير سورة : (الملك) « أما قوله : (تبارك) فقد عرناه في أول سورة : (الفرقان) . وما قلناه في تفسير سورة النور نقوله في شأن نفسه سورة الفرقان . »

٤ - في تفسير سورة (ن) قال : الأقوال المذكورة في هذا الجنس قد شرحناها في أول سورة البقرة .

ثم قال بعد قليل : بل الحق ، إما أن يكون يريد هذا الحرف (ن) - اسماً للسورة ، أو يكون الفرض منه التعدى ، أو سائر الوجوه المذكورة في أول سورة البقرة .

هذا الدليل الأخير وإن لم يكن حاسماً لجواز أن المفسر شخص آخر غير الرازي ، وقد أحال على ما ذكره الرازي ، ولكن الشاهد يضمن إلى الشاهد فبأخذ قوة منه ، وفي الشاهد السابق يقول الرازي : (شرحناها) فيضيف الشرح إلى نفسه ، ومثل هذا الكلام يقال في مواضع أخرى .

ثانيا : كلمة : (ختم الله بالحسنى توافق حال الفخر ، فمنه تقدر أنه كتب تفسير سورة الجن ، وقد جاوز الستين ، وفي مثل هذه السن ينحصر على الأذهان كثيرا مثل هذه الدعوات .

ثالثا : أنه رأى أنا صاحبكرا من الكاهنة العراقية ، وهؤلاء الناس - فيما أرجع - عاصروا الفخر ، فإن السلطان ، سحر السلجوق انتهى ملكه في سنة (٥٤٨ هـ) فالذين عاصروا هذا السلطان ، وحكوا عن الكاهنة من لقبهم الفخر .

أما نجم الدين القمولى الذى توفى سنة ٧٢٧ هـ فن البعيد جدا أن يكون رأى أحدا منهم ، وأما شمس الدين الحويصى فإنه إذا كان رأى أحدا منهم فقد رآه فى سن الطفولة ، إذا كان ميلاده - على رأى - فى سنة ٥٨٢ هـ ويبدو أن يعتمد مفسر متورع على ما رآه فى مثل هذه السن .

رابعا : أن الإيمان بما يقوله السكمان والكاهنات ومن إلى هؤلاء هو مذهب الفخر فكلامه هنا يتفق مع مذهب فى مثل هذه الأمور .

(١٢) وفى تفسير هذه السورة نفسها ، سورة الجن عند تفسير قوله تعالى : (عالمين فيها أبدا) قال : استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أن فساق أهل الصلاة مخلدون فى النار

٩ - فى تفسير سورة : (هب) عند قوله تعالى : (فأنت له تصدى) شرح معنى التصدى ، ثم قال : (وقد ذكرنا مثل هذا فى قوله : (الأمكاه وتصدية) فأحال على تفسير سورة الأتقال .

١٠ - فى تفسير سورة : (المرسلات) عند قوله تعالى : (وإذا النجوم طلعت) قال : وذكرنا نفس الطمس عند قوله تعالى : (ربنا طمس على أموالهم) فأحال على تفسير سورة : (الأعراف) .

١١ - فى تفسير سورة (الجن) ذكر (منعرج من ملكشاه) وقوله للكاهنة البغدادية إلى خراسان ، وسؤالها عن الأحوال الآتية فى المستقبل ، وأنها ذكرت أشياء وقعت على وقت ما قالت ، ثم قال : (قال مصنف الكتاب ختم الله بالحسنى : وأنا قد رأيت أنا صاحبكرا فى علوم الكلام والحكمة حكوا هنا أنها أخبرت عن الأشياء الخفية لإخبارها على سبيل التفصيل ، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها .

وفى هذه العبارات أنواع من الدلالات أولا : كلمة (مصنف الكتاب) تدل على أنه الفخر ، لأن الذى يكتب تكملة لا يدعى أنه مصنف الكتاب ، ولأنه سبق أن جاءت هذه الكلمة فى تفسير بعض السور التى لا تشك أنه فسرهما .

تفسير قوله تعالى : (ليس كنهه شيء) ، وهذا المكان هو موضعها ، لكن مفسر الواقعة وضع المسألة في هذه السورة لأدنى ملائمة ، فلو كان تفسير الرازي على ذكر منه لرجع إلى هذه الآية في موضعها لهدى ما قال الرازي فيها .

ولا ننسى أن الرازي هو الذي فسر سورة الهودى كما ذكر ذلك في آخر تفسيرها . وأنه - فعلا - ذكر شيئا عما ذكره مفسر سورة الواقعة في السور من مجيء كاف التفسير في قوله تعالى : (ليس كنهه شيء) .

فالمناظر في كل هذا يرى لزوما عليه أن يرجع أن الذي كتب تفسير سورة الواقعة لم يكن يريد أن يجعله جزءا من تفسير الفخر ، وهذه الملاحظة مزديان فيها بأن من الحديث . لكن تعجلناها في هذا الموضع لنتم الفكرة في ذهن القارئ .

• • •

وأما أن مفسر سورة الواقعة لم يفسر بعض السور التي أحال عليها في تفسيره ، فأدلتنا على ذلك ما يلي :

١ - في تفسير قوله تعالى : (لا يزفرون) قال : بمعنى لا يتفند سراهم ، كما بيناه هناك أي في سورة : (الصافات) . والمصافات فسرهما الرازي .

٢ - وكذلك أحال في تفسير قوله تعالى :

وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار قالوا : وهذا الوعيد مشروط بشرط ألا يكون هناك توبة ، ولا طاعة أعظم منها . قالوا : وهذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات ، لأن سائر العمومات ما جاء فيها قوله : (أبدا) فالتخالف يحمل الحظر على المكث الطويل . أما هنا فقد جاء لفظ الأبد ، فيكون ذلك صريحا في إسقاط الاحتمال الذي ذكره المخالف .

(والجواب) أنا بينا في سورة البقرة وجه الإجابة على التمسك بهذه العمومات ، ونزيد هنا وجهها .

وربما قال قائل : إن مصنف التكملة أدمج شخصيته في شخصية الفخر ، وجعل يتحدث بلسانه

(والجواب) من وجهه :

أولا : أن صنيعة في تفسير سورة الواقعة يدل على أنه لا يجب أن يفضل التنويه بنفسه .

ثانيا : أن المسألة التي ذكرها في سورة الواقعة ، وقال : إنه رأى الفخر ذكر شيئا منها وأنه وقع على ذلك بمسند كتابة ما كتب ، يدلنا صنيعة فيها على أن تفسير الرازي لم يكن بين يديه ، ولا في حفظه عندما فسر هذه السورة .

ذلك أن الكلام الذي قال : إنه رأى للرازي ، مذكور في تفسير سورة (الشورى) في

لسورة الإخلاص ، فكيف يكون له هذا التفسير ، ثم يفسرها عالم آخر ؟ .

كان الطيبي أن يلحق تفسير سورة الإخلاص المستقل - كما ألحق تفسير سورة الفاتحة ، وقد كان مستقلا - بالتفسير الكبير ، وهذا الذي حدث .

الثالث : سبق أن تسلمت عن إحاطته في تفسير سورة الإخلاص على تفسير سورة الأنبياء ، وهذا يثبت تفسيره لسورة الإخلاص ، ما دام قد ثبت تفسيره لسورة الأنبياء من أدلة أخرى غير ارتباط تفسيرها بتفسير سورة الإخلاص .

الرابع : في ترجمته القراءات في قوله تعالى : (أحده ، الله الصمد) قال : وقد ذكرنا هذا مستقصى عند قوله تعالى : (عزيز بن الله) وهذا في سورة (التوبة) وقد ثبت أنه فسر هذه السورة الأخيرة ، فهو - قطعا - قد فسر سورة الإخلاص ، على الرغم من وعده بتفسيرها في تفسير سورة الواقعة .

وبعبارة أخرى : تفسير سورة الإخلاص الموجود في كتاب مفاتيح الغيب ليس من تصنيف مفسر سورة الواقعة ، وقد يكون له تفسير لها ، لكنه ليس الذي بين أيدينا في تفسير الفخر .

على العموم

(وكأس من معين) فقال : ما معنى المعين ؟ قلنا : ذكرنا في سورة الصافات أنه فيل أو مفعول ، ومعنى فيه خلاف .

٣ - في تفسير قوله تعالى : (ولقد علمتم النضأة الأولى فولدت كذلك) أحال على تفسير سورة الملك ، فقال : ما الفرق بين هذا الموضع ، وبين أول سورة تبارك ، حيث قال : (خلق الموت والحياة) بتقديم ذكر الموت .. ثم قال : وأما في سورة الملك فنذكر إن شاء الله تعالى قائمتها .

وقد قلت : إن سورة الملك من تفسير الرازي بدليل إحاطته في تفسيرها على تفسير سورة البقرة .

٤ - أحال في تفسير سورة الواقعة على تفسير سورة الإخلاص ؛ إذ قال في تفسير قوله تعالى : (فسبح باسم ربك العظيم) ، وإذا قلت هو قادر ثبت له العلم والإرادة والحياة ، وغيرها من الصفات ، وسنذكر ذلك في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله تعالى .

ومعنى هنا أن تفسير هذه السورة الموجودة في كتاب : (مفاتيح الغيب) من تصنيف مفسر سورة الواقعة ، ويرده أمور :

الأول : أن هذا الكلام الذي وجد به ليس هناك في تفسير سورة الإخلاص .

الثاني : أن صاحب كشف الظنون ذكر أن لفخر الدين الرازي تفسيرها مستقلا

الجبـال في القرآن الكريم

للكاتب الدكتور محمد أحمد النمرودي

- ٥ -

و الجبال أرساها ،

هذه آية كريمة أخرى من كلتين في الجبال
تزل الوحي بها بعد آخت لها من كلتين أيضا
تأملناها في المقال السابق . هذه من سورة
(النازعات) وأختها من سورة (النبأ) والسورتان
ترتيبهما واحد في المصحف وفي نزول الوحي
يهما ، فآية النازعات هي آخرة الآيات المكية
التي ذكرت لها الجبال مطلقا ، وإن كانت آخرة
الآيات حسب ترتيب المصحف هي آية سورة
القاشية ، وإلى الجبال كيف نصبت ، ،
وقد سبق أن تأملناها في المقال الثالث .

وقد رأينا كيف جمع الله لعباده عن
الجبال في آية سورة النبأ ما لا يكاد المتأمل
يقضي حقه عجبا من الخفائق الطبيعية التي
كانت مجهولة للعالم أجمع في عصر نزول
القرآن ، وظانه كذلك حتى كشف عنها العلم
الحديث . وفي آية النازعات هذه مزيد من
أسرار خلق الجبال أودعها الله الفعل (أرسي) .
إن أول معنى للفعل هو ثبت بتقديد الباء
وحمل هذا المعنى اقتصر أهل التفسير .
لكن الكلمة تستعمل مادتها أيضا مع
السفن ، ففي القاموس من استعمالها (رست
السفينة : وقفت على الأنجر) . وفيه تصح مادة

نهر : (والأنجر مرساة السفينة : خضبانها
يفرغ بينها الرصاص القذاب فتصير كمنجرة
إذا رست رست السفينة) .

وإرساء الجبال أمر مجهول لقارئ الآية
الكريمة ، وإرساء السفينة أمر معلوم له .
فهل يستطيع أن يتوصل بهذا الذي يعرف
إلى شيء من ذلك الذي مجهول ، ويكون
ما يتوصل إليه عن هذا الطريق موافقا
للمعروف في العلم عن الجبال ؟

إن أول ما يتجه إليه الفهم هو القوى
المؤثرة في السفينة في مرساها . هناك ثقل
المرساة ، وثقل السفينة إلى أسفل يقابله ثقل
الجبال . وهناك رفع الماء السفينة إلى أعلى
يقابله ضغط حرارة جوف الأرض بنزازه
وأبحرته ، على الجبال .

وهناك القوى الجانبية المؤثرة في السفينة
من نحو فعل الموج وقوى القيد المنعرج بين
السفينة والمرساة الواحدة أو المتعددة عن
طريق ما يصل بين السفينة وبينها من جبل
أو سلسلة ، ويقابلها في حال الجبال تلك
القوى الجانبية الهائلة التي أنشأ الله الجبال
بفعلها في قشرة الأرض حتى تتوحد على
الصوم جبالا ووديانا ، وأقام الله الميزان بينهما

لها جذور غير منصهرة ذاهبة في منصرف سائل مادته أثقل من مادتها .

وقد دل البحث على يد غير (فيشر) على أن متوسط كثافة مادة الجبال هو نحو ٢.٢٦ ومتوسط كثافة الأرض هو نحو ٥.٥ فبطن الأرض السائل أكثر كثافة حتى من جبالها وهذه حقيقة علمية أخرى تقابل المعروف من أن متوسط كثافة السفينة ، أى وزنها مقسوما على حجمها ، هو أقل من كثافة ماء البحر أو النهر وإلا لما طفت عليه ولغرقت فيه فإلى هذا الحد من الدقة يتحقق التشبه بين إرساء الجبال في أحد نوعيها الأساسين وبين إرساء السفينة وتبارك الله الذى أودع هذه الحقائق من الأرض وجبالها كلة واحدة من كلتين في كتابه : (والجبال أرساما) .

لكن الآية الكريمة فيها بعد ذلك مزيد أن سيولة جحوف الأرض ووسو الجبال النارية فيها دلت إليها سيولة ماء البحر ولكن ماذا عن البحر نفسه ومائه ورسو السفن فيه ؟ أليس لذلك مقابل في الجبال ؟ .

إن العلم يحددنا أن الجبال الرسوبية تتألف طبقاتها أول ما تنشأ في البحر قريبا من شواطئه مما تحمله الأنهار إلى البحار من طمي ورمل وما إليها ترسب فيه طبقات بعضها فوق بعض ، حتى إذا تركه وعظم سمكها في الخصب الطوال دفنها الله بقوى من تحتها وجانها حتى تصبح جبالا شاطئية ظاهرة الطبقات الرسوبية وأذن فالآية الكريمة تدل بالفعل (أرسى)

وبين خيرها من القوى ، فاستقرت الجبال ورسيت في الأرض كاورست السفينة واستقرت في مرساها بتوازن القوى المؤثرة فيها .

وإلى هنا نجد كلة (أرساما) في آية التنازع قد أدت إجمالا إلى نفس النتائج التي أدى إليها تأمل جمل الله الجبال أو تأددا فيما يتعلق بالنشأة مما نلت سبحانه المباد إليه بآية النبأ .

لكن هناك العلاقة بين السفينة والبحر التي من أجلها احتاجت السفن إلى المرساة . فهل لهذه الناحية شيء يقابلها في إرساء الجبال ؟ وبعبارة أخرى هل هناك سائل رست فيه الجبال كاورست السفينة في ماء البحر ؟

المقارنة تقتضي أن يكون جحوف الأرض سائلا ، وأن الجبال تستقر عليه كما تستقر

السفينة على ماء البحر وسيولة جحوف الأرض المستتبطة هكذا من كلة (أرساما) في الآية الكريمة حقيقة واقعة يتم عنها ما نلاحظه في بعض البراكين عند ثورتها من قذفها بالحلم والصخر المنصهر ، لكن الرسو على هذا الجوف السائل لا ينطبق في العلم إلا على

نوع من الجبال هو ما يسمى بالجبال النارية في مقابل ما يسمى بالجبال الرسوبية ، وهما النوعان الأساسيان من أنواع الجبال ، في هذا الصدد يقول العالم الجيولوجي القس : أ. فيشر :

إن البحث من تاصيته الرياضية والجيولوجية يدل على أن تحت القشرة الأرضية طبقة سائلة تحوى غازات مذبذبة ، وأن الجبال

المسند إلى خير الجلالة ، على أم نوحين من الجبال ، التاري منها والرسوبي ، كل راس راسخ ، هذا على شاطئ البحر وذلك بمنور له في طبقة سائلة من منصف الصخر في جوف الأرض ، فصبجان الذي جمع لمباده ، كل هذا في كلتين تكونان آية من آيات كتاب العزيز وإذا تبجنا مادة (وسا) متعلقة بالجبال في الكتاب العزيز وجدناها وردت في صيغة اسم الفاعل مجموعا في تسع آيات ذكرت فيها الجبال لا بلفظها ولكن بوصف أنها دواس وذلك في تسع سور: واحدة مدنية هي سورة الرعد ، وثمان مكية هي حسب نزول الوحي بها .
المرسلات وق والنمل والحجر ولقمان وفصلت والنحل والأنبياء .
وآية (المرسلات) هي قوله تعالى : « وجعلنا فيها دواسا شاعرات وأسقينكم ماء فرائنا » ، فيها ، أي في الأرض المذكورة في الآيتين قبلها : « ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا » .
وآية (ق) هي قوله تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها دواسا وأنبتنا فيها من كل زوج بيج » .
وبالمطين (جمل) و (لتي) جاء التعبير عن خلق الجبال في بقية الآيات الكريمة التسع . بالفعل (جمل) في آيات النمل وفصلت والأنبياء والرعد . وبالفعل (ألتي) في آيات الحجر ولقمان والنحل .
والهالة في (جمل) عامة تشمل أنواع الجبال كلها ما ذكرناها وما لم نذكر . لكن

الهالة في (ألتي) أخص منها في (جمل) . وقد لاحظ ذلك (ابن عطية) فيما ذكر (أبو حيان) عند تفسير آية النحل إذ قل عنه قوله : « قال المتأولون (ألتي) بمعنى خلق وجعل ، وهي مندى أخص من خلق وجعل . وذلك أن ألتي يقتضي أن الله أوجد الجبال ليس من الأرض ولكن من قدرته واختراعه . » ويؤيد هذا في النظر ما روي في القصص ، إلى آخر ما قل عن (الحسن) و (وهب بن منبه) . وقد أحسن في التنبيه إلى أن (ألتي) أخص من (جمل) لكنه لم يكن يعرف أن الجبال أنواع مختلفة النشأة ، وأن الفعل ألتي ينطبق تماما على نشأة الرسوبي منها ؛ فهي بالفعل يلقيها الحق سبحانه في الأرض فلدتها تنقلها الأنهار قرب شواطئه البحار بأمره . حتى إذا تراكمت إلى الحد الذي قدره سبحانه ، وتماسكت بالتضاغط وبغيره ، دفنتها تلك القوى جبالا شاطئية بأمره . فقد خلق الله الجبال من الأرض وخلق ثاني نوعها الأساسيين من قدرته واختراعه ، لالجابة مرة واحدة كما فهم (ابن عطية) من الفعل (ألتي) وما روي في القصص ، ولكن قدر سبحانه خلقها حين ألقاها خطوات ، كما قدر خلق الجنين في بطن أمه في أطوار . لتكون كل خطوة ككل طور آية : في الحق يمكن إذا أن الأوان أن يكشف عنها عبادته ، وليكون انطباق ما يكشفون عنه من حقائق الفطره على حرفية ما أنزل في كتابه العزيز ، كما رأيت في (أدسي)

صور هذا المد على ما تلقىه الأنهار من رواسب في المياه الضحلة ، كبناء شواطئ البحار في العادة ، سواء أرفعت طبقات الرواسب المتراكمة جبالا بعد ذلك أم لم ترفع بل بقيت أرضنا تزدح وتبسكن كما في دلتا الأنهار ، لكن التعبير جاء أيضا بالفعل (جعل) حين ورد ذكر الرواسي مقرونا بمد الأرض في آية الرعد ، ودلالة هذا الفعل عامة شاملة لأنواع الجبال ، وإذن فالجبال النارية على الأقل لا بد أن يكون فيها أيضا مثال لما ذكره آية الرواسي الكريمة الثلاث من مد الأرض ، أي اليابسة ، إذ على هذا يفنى هنا أن يفهم معنى الأرض ما دام يابس الأرض هو الذي يرداد ويكثر بالجبال الرسوبية ودلتا الأنهار ، وهذا طبعا لا يمنع أن يكون للأرض معنى آخر قد يكون الفلكيون عرفوه في تلويح نشأة الأرض الكوكب السيار ، لكن المد بمعنى الزيادة في يابس الأرض هو الذي يوحى به الإنشاء منه مقترنا بالإنشاء عن الرواسي إلقاء في آيتين ويجعل في آية ، أي على وجه الخصوص بالرواسي الرسوبية في آيتين وعلى وجه العموم بها وبغيرها في آية . وقد تحقق المد بالمعنى الخاص المتضمن في الفعل ألقى ، فهل هو متحقق على وجه أوسع كما يشير إليه الفعل ذو المعنى الأعم ؟

المعجب أن المد بالمعنى الأوسع المستفاد من هذه الإشارة القرآنية متحقق بالفعل ، متحقق أيضا في الجبال النارية بل وفي جمر

(وألقى) ، شاهد صدق على أن من أنزل القرآن هو فاطر الفطرة سبحانه .

والأرض مددناها ، :

وخلق الجبال الرسوبية بهذه الصورة التي كشف عنها علم طبقات الأرض هو مثل يفسر معنى مد الأرض في الآية الكريمة : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي » . هو مثل من أمثلة وصورة من صور ، إذ لا بد أن تكون هناك صور أخرى لمد الأرض كما كما يشير إليه تقديم مد الأرض على إلقاء الرواسي في آية سورة (ق) ، وفي أختها آية سورة (الحجر) : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبئتنا فيها من كل شيء موزون » وفي آية الرعد : « وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ، الآية »

صحيح أن الواو في الآية لا تفيد الترتيب حتما كما تفيد الفاء وثم . لكن ترتيب الذكر عند العطف بالواو في كتاب الله خصوصا إذا تعكس بذهاب كما في الآيات الكريمة الثلاث ، لا بد أن تكون له حكمة ، كما هو واضح مثلا في مجيء المصارف حسب درجات القرابة في قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » الآية ٢٣ من سورة النساء .

ولو لم يأت التعبير إلا بالفعل (ألقى) في الآيات الثلاث التي ورد فيها ذكر الرواسي مقرونا بمد الأرض لكان هذا كافيا في قصر

فتأمل الآن وانظر إلى تلك الحقائق العلمية التي دل عليها القرآن الكريم بتعبه بليغ يأتي في آية (والجبال أوتادا) ، أو بلفظ فعل يأتي التعبير به كما في الفعل (أرسى) والفعل (ألقى) ، أو بتقديم (ظاهرة) في الفطرة على ظاهرة في الذكر كلما ذكرت الظاهر ثلث معا كما في مد الأرض وخلق الراسي ، أو حتى بنسبة التكرار في الذكر بين فعل كما في ألقى وجعل . ثم تأمل مع هذا كيف جاء ضمير الجلالة في كل آية حاملا على قبول ما يظهر من أسرارها ، باعنا على استنباطها في دقة وحذر ، واحكم ماذا كان يكون أثرها ووقتها لو كان من المسلمين أثرها ووقتها لو كان من المسلمين ، كالنصر الراسي مثلا ، من سبق إلى استنباطها هكذا من اللفظ والتعبير القرآني لسبق بذلك من طريق القرآن إلى الكشف عن تلك الحقائق المتعقدة بالجبال قبل أن يكشف عنها العلم الحديث .

فهذا جانب آخر من جوانب إعجاز القرآن الكريم من الناحية العلمية لا يمكن أن ينسب بحق إلى عبقرية بشر ، لأن العبقرى إنما تظهر عبقرية في ميدان هو مشغول به متفرغ له ، ثم هو لا يكتفى في ذكر نتائج عبقرية بالإشارة يودها كلمة أو كلمتين أو كلمات معدودة كالألفاظ في أي آية كونية من آيات القرآن الحكيم . على أن ضمير الجلالة في الآية القرآنية يحول قطعا دون مثل هذا الاحتمال .

محمد المحمدي

مادتها من الصخر المعروف في العلم بالصخر الناري ، أو هي معروفة فيه بالجزر البركانية مثل جزائر (هاواي) وأكثر جزر المحيط الهادي ، وفي دائرة معارف (هنشلسون) المصورة : أن الجزائر إما قارية تتصل بالقارات من تحت الماء كأنها كانت جزءا منها ، وإما محيطية أي في المحيطات منقطعة عن القارات وهذه بركانية تكونت بارتفاع قاع المحيط بالقوى البركانية بالتندرج ، أو بها في غير تندرج كأنما ثار قاع المحيط بركانا وارتفع لجأة ، فهي جميعا أشبه بقمم بادية من جبال ضמוד في المحيط . وفي بعضها مثل (جاوة) سلاسل جبال صخرها ناري وفيها براكين أكثرها حامد وأقلها يشود من حين إلى حين فهذه الجزر وجبالها كانت يوما ما قاعا للمحيطات ثم رفعها الله الميان زيادة في اليابسة كما زادها بالرسوبي من الجبال وبدلتا الأنهار .

وفي الآيات الكريمة الثلاث لطيفة أخرى تسقتج من أن مد الأرض وود في آيتين مع الفعل ألقى ، وفي آية مع الفعل جعل ، إشارة فيما يبدو إلى أن المد في اليابسة عن طريق ورواسب الأنهار أكثر وأغلب إن لم تكن حصب مدعا عن طريق رفع القيعان الصخرية النارية جزوا وجبالا في البحار ، وهذا يحتاج في تحقيقه إلى بحث جغرافي ، لكنه أجدد أن يكون واقعا بالفعل ، إن لم يكن بالنسبة إلى الرسوبي والناري من الجبال . فبالنسبة إلى الناري من الجزر والرسوبي من دلتا الأنهار .

جَوَابُ الْبَرِّ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ

لِلْأَسْنَادِ إِبْرَاهِيمَ شَعُوطَ

اشتدت حلوكة الليال ، واختفى برق
الأمَل بين طيات الظلام الدامس ، وبات
أهل مكة يشعبطون في ضلال وجوه .

فقد تلاشت المثل الطيبة ، وحل مكانها
المحلال في الخلق ، وفوضى في المعاملات ،

ولم يقتصر ظلم العرب على ما بينهم من
هداوات وثارات ؛ بل تعدى ذلك إلى
استغلال الضعيف واضطهاد الغريب حتى
كاد يعرف بينهم أن الظلم هو أساس معاملتهم ،
ودستور حياتهم .

ولم يبق الفضيلة مكان إلا في قلوب قوم
إن ثلروا من أجلها كان لهم الويل والثبور
من عامة القوم وصناديد العرب ، ولحول
فريش . فأصبح بنو عزم ، وبنو جح ،
وبنو عدي بن كعب - حل بطشهم - جبارين
لا يبالون بما يقتربون من آثام وما يرتكبون
من أوزار .

وكان هناك في جوانب مكة عدد قليل من
الآخيار الأحرار تأخذم النعوة وتقدم
المروءة ، وتثور في داخل أنفسهم مبادئ
الفضيلة فينتزع الألم على وجوههم أسي
وحسرة لأنهم لا يستطيعون أن يرسلوا

صرعانهم في وجوه الظالمين . فكانوا
يتلمسون أسبابا يفجرون بها المواطنين
المكبوتة ، ويوظفون الضائر التي نامت
في ظل ظلم حالف ، وعادات تربي الجبل
هل مداها .

وكان أن سمع أهل مكة - ذات يوم -
نداء حزينا يسكب صاحبه في آذان الجماهير
الساددة في غمها من سكان مكة . يسكب
الوجيزة والحزن من قبة جبل (أبي قبيس)
في بحجة المظلوم ، وحجارة الخائف المذموم
هائضا :

يا آل فهر المظلوم بضاعت
يطن مكة نائي القاد والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمره
يا الرجال ! وبين الحجر والحجر
إن المحرام لمن تمت مكارمه
ولا حرام ثوب الفاجر الفدر

فتجاوبت أصداء هذا النداء في جوانب
مكة ، ووددتا جبالها ويوتها حتى جمعت
الأحرار الأبرار لمها سراحا لمبعث الصوت ،
ومصدر الاستغاثة فوجدوا رجلا يضرب
كفا بكف - وقد انحدرت قموحه من شدة

وأما الرجال فهم الزبير بن عبد المطلب ،
وعبد الله بن جده ، والعباس بن عبد المطلب ،
وجاهة من بني أسد بن عبد المزي وكثير
من نيم بن مرة .

وخل محمد عليه الصلاة والسلام يأخذ نفسه من
صغره بنصرة المظلوم وحماية الضعيف والوقوف
إلى جانب الحق والبر بالاحتاجين من الفقراء
والمساكين وهو في سن لم تكن تلزمه بمثل
هذه الصفات بسد . وبدأ جوانب البر
واضحة في حياته كلها ، بأوضة في تشريماته
ومعاملاته وحرص الحرص كله على أن يكون
هذا الجانب هو لب تعاليم الإسلام وروح
الذي يجب أن يتخلل في قول المسلمين
ويحتلظ بدعاتهم ، واعتبره علامة واضحة على
سلامة الإيمان وقوة العقيدة . فأخذ يحرص
المسلمين على العناية بأمر الفقراء واليتامى
والمساكين فقال : (الساعى على الأرملة
والمسكين كالجماد في حبل الله . قال أبو هريرة :
أحبه قال : وكان قائم لا يقتر ، وكان لسانه
لا يضر) .

ثم هو الذي ضرب الناس المثل بالقول
والعمل على أن رسيد العبد عند ربه هو
ما قدمه من الصدقات وما استودعه عند ربه
في أيدي الفقراء والاحتاجين ، وأبجى هذه
الصورة في ذبحه شاة ثم أخذ يتصدق منها حتى
لم يبق منها إلا كتفها . فسأل عائشة رضى الله
عنها عن الباقي لأهل البيت من الشاة فقالت :

إحسائه بالظلم - بتدب خطه في ماله المسلوب ،
وبصاعته المنصوبة . والذي زاد من حيرة
الرجل وحاضف عليه حزنه أن غاصب
بصاعته شريف من أشرف مكة لا يرفع
في وجهه صوت ، ولا يلام على تصرف
هو (العاص بن وائل السهمي) - من سادات
العرب وحيونهم . -

فإذا يصنع الأحرار والأخيار ؟
اجتمعوا في دار عبد الله بن جدهان يلقبون
الأمر على وجوهه ليصنعوا شيئاً يرفع من
شأن بلدهم ، ويرفع بأهلها إلى مستوى
المرومة والإنسانية . فاتفقوا قراراً حاسماً
وتفادوا على تنفيذهما بلفظ تضييعتهم
في سبيله .

تعاقدوا ، وتماثلوا - بالروح والبدن -
هل ألا يقر يظن مكة ظالم ، ولا تنطوى
جوانحها على مظلوم - مهما كان شأن الظالم ،
ومهما كان شأن المظلوم - فهم مع المظلوم
حتى يرد إليه حقه ؛ ما بقي فيهم الحياة رفق ،
وما بل بحر صوفه .

حرف هذا الحلف (بحلف الفضول)
فيأتى من م هؤلاء الفضلاء الذين
صرخوا في وجه الظلم حتى ذعر ، وحاربوا
الظلم حتى انهار ؟

م فم لم يجاوز خمسة عشر عاماً من عمره ،
ورجال آخرون . فأما الفتى الصغير فهو محمد
ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

يتحول فيها إلى بقايا مبتذلة لاصلة لها بالأصل
الذي كانت عليه .

وتقد وسع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الصدقات لتكون في متناول كل إنسان
منفرد سريره وخلعت فيه وتركز في إحسانه
ووجدانه حب الخير فقال عليه الصلاة والسلام :
(كل معروف صدقة ، ومن المعروف أن
أن تلقى أمك بوجه طلق ، وأن تفرغ من
إنائك في إنائه) .

ثم أظهر من ظروف القريب في البحر ما
خرج من طاقة العقول العادية حيث دوى
لأصحابه - كما نقل أبو هريرة - فقال : (بيننا
رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في
سحابة يقول : إسق حديقة فلان فتسمى ذلك
السحاب فأفرغ ماءه في حيرة - أرض ذات
حجارة سوداء - فإذا شربة - والشرجة مسيل
الماء من الحيرة إلى السهل - من تلك الشراج
قد استوعبت الماء كله ، فتبعب الماء فإذا رجل
قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته - بفأسه -
فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان
للأسم الذي سمعه في السحابة فقال له : يا عبد الله
لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إن سمعت صوتاً
في السحاب الذي هذا مائه يقول : إسق حديقة
فلان لأسمك فما تصنع لها ؟ قال : أما إذا قلت
هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق

قله : (يا رسول الله ما بقي منها إلا كنفها)
فقال : (كلها قد بقي إلا كنفها) .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عكس على أمته
فهمهم للرجح الدائم في الحياة فبعد أن كانت
الطبيعة توحى إلى غريزة الإنسان حب التملك
والآثرة فيقيس الرجح بما في يده .

فلما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المثل صار
المستقيم في أذهان أمته أن من أراد أن يدخر
لنفسه وصيداً عند وبه فليجمل هذا الرصيد
صدقات يقدمها إلى أصحاب الحاجات وفي منافع
العباد في مقننات التعليم والملاج وإبراء
العجزة .

(كلها قد بقي إلا كنفها) قضية لا يتسرب
العكس إليها وهي موحوعة دائماً أمام أمة
عمد لتدفعهم إلى البذل والتضحية وإخراج
مافي بيوتهم ليكون في بيوت أقدمها العجز ،
وسرمتها الفاقة من تملك شيء مما وصل إليهم
من بيوت الأغنياء .

هي مصداق قوله تعالى : « ما عندكم ينفع
وما عند الله باق » .

صورة بارعة في تمثيل الباقي للإنسان
والمفقود منه ، فالشاة التي تصدق رسول الله
بها باقية له في ميزانه عند ربه ، والكشف
الذي لم يتصدق به مفقود هديم النفع لا يكاد
يجر من التدخل إلى الخرج في ساعات حتى

الصوف قد خزقوها في رؤسهم - طاعتهم من مضر . بل كلهم من مضر . فتغير وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما رآه بهم من الفاقة ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والأرسام إن الله كان عليكم رقيبا » - « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » .
أصدق رجل من ديناره ، من دهره ، من ثوبه ، من صاح يره ، من صاح تمره . حتى قال ولو بقى تمره . لجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تسجر منها . بل قد هجرت ثم تتابع الناس حتى رأيت كورمين من طعام ولباس فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتהל حتى كأنه منزهه - إنما من فضة قد طلى بالذهب - قال :

من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا . ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزامهم شيء .

دكتور - إبراهيم شعوط

أستاذ التاريخ المساعد بجامعة الأزهر

بثله ، وآكل أنا وصيالي ثلثا ، وأرد فيها الثلث الباقي .

هكذا كان يلقي رسول الله هذه المعاني في قلوب المسلمين لينشدوا الخمر لأنفسهم بما يبذلونه من مبرات للفقراء حتى يكتفوا كما أراد .

وإن الناظر فيما شرعته الرسالة المحمدية يجد أن روح العبادات كلها تهدف إلى هذا المعنى ، وتكون هي من وسائل هذه الغاية . فالصوم درس في الجوع والصبر على المكروه لتعلم البر ، والخلع على البذل والإنفاق . والحج مجاهدة ومكيدة أساسها توصيل البر إلى أهل هذا الوادي والقادمين عليهم من الإخراخ في الدين - والصلاة تردد على أبواب المولى في اليوم خمس مرار . ليقتف المخلوق بين يدي الخالق فيؤدبه بالدين حتى يرق إحساسه ، وتزحف عاطفته فيحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وكان عليه الصلاة والسلام دائما زعيما للبراء داعيا إليها بالقول والفعل فلم يكن شيء يفضيه أشد من وربة المحتاجين في أساطم البالية ، وقد أعياهم الجوع ، وأضنام الصبر على قسوته ترفعا عن سؤال الناس وتعففا عما في أيدي غسيريوم فيروى جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - ويقول :

كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة عليهم ثياب من

الإمام الأوزاعي يُجبه الطغيان للأستاذ محمد رجب البيومي

وقد بدأ أمير المؤمنين الخليفة الأول أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي هذه الصلاة الجامعة بالكوفة وورق المنبر لحمد الله وأثنى عليه واقتصر بقرائه لرسول الله ، وتذبح بما قام به الفجرة من بني حرب ومروان ثم قال . (وإن أرجو ألا يأتاكم الجور من حيث أناكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الإصلاح وما توفيقنا أهل البيت إلا باق) ثم أدركته وعكة مرضية فجلس على المنبر وصعد عنه داوود بن علي ليقول من خطبته المشهورة : (إنا والله ما خرجنا في هذا الأمر لتكفر لدينا ولا عقباننا ولا لنخز نهرنا ولا نبنى قصرا ، وإنما أخرجتنا الآفة من أبنائهم حقا ، والغضب لبني حمنا ، وما كثرنا من أموركم ، وبهظنا من شئونكم ، ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ، ويشد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم ، وخرقهم بكم واستذلالم لكم ، واستنارهم بقيتكم وصدائكم ومنافعكم ، لكم ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة للعباس رحمه الله أن نحكم

كتبه قد واليه الحديث على صفحات (مجلة الأزهر) عن أعلام من فقهاء الإسلام ورحمته قد جابهوا الطغيان في جراءة نادرة ، ورفضوا راية الحق حين لصت الأسنة ووردت الختوف . ولم تأخذهم في الله لومة لائم أو مهابة عاقبة ، ثم جمعت ما كتبت في كتاب صور تحت عنوان (علماء في وجه الطغيان) ولكن من كتبوا إلى من أفاضل القراء أخذوا يلحون في متابعة الحديث عن هؤلاء الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر من حفظة دين الله ، فرأيت أن أستجيب إليهم بمتابعة الحديث مبتدئا بالأوزاعي رحمه الله .

حين سقطت الدولة الأموية وابتدأ عهد بني العباس تطلع المسلمون إلى زمان مشرق بالعدالة يقوده آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سراق العدل والإنصاف والأمن ، وقد قام الحماة في كل مكان يمدون مثالب الأمويين وفضائلهم على الأسماع لاعتين منكرين . ومبشرين بزمان صالح يترعونه رجال يهدون إلى الحق وهم به يعدلون .

الهم العاشم قد اعتقد أنه ظل الله في أرضه ،
يعز من يفاء وبذل من يشاء وقد اتهم
مروان بن محمد على يده في معركة الزاب
فند ذلك مبعث غر مطاول ، وراى نفسه
صاحب الأمر الحقيقي إذ استطاع أن يهزم
آخر خليفة مرواني ثم أخذ يقبع بهنوده
حتى تم مصرعه ، وأوردته ذلك جماعاً وزناً ،
فأخذ يفتح العزل من بني حرب ، ليستأصل
شأفة الأيتام والأرامل والمجزة من النساء ،
وكانه جرى في سباق دموى مع أبى مسلم
الخراساني ، فإذا أباد أحدهما ممشياً نأفه
الآخر بأضعاف ما أباده لا يرقبان في الله
إلا ولا ذمة ، وحقت كفة الله فوقع البأس
بين الطغاة ، وأكل بعضهم بعضاً في الهابة .
والذين يخلطون روايات كتب الأدب
وروايات كتب التاريخ دون تحقيق ، يدعون
أن المغفر الشامل قدم بنى أمية أولاً ،
فصفح عنهم أمير المؤمنين وتغاسوا بمجالس
السمر مع بنى العباس في أهباء الخلافة ،
وباحات الإمارات ، وكادت تفعل الجراح ،
لولا أن هيداً شاعراً يقال له (سديف) كان مولى
للخليفة ركب إليه من الحجاز فاستأذن مثلما
دون أن يجبر باسمه ، وحلف ألا يحصر الثام
عن وجهه إلا في حضرة أبي العباس ، فأذن
له فدخل ليرى الخليفة على سريره ، وبني هاشم
دونه على السكاسي ، وبني أمية دونهم على
الوسائد مشاة على الأرض ، فلما شاهد الثام
الشمل حسر الثام عن وجهه وأخذ يند .

فيكم بما أنزل الله ، ونعمز فيكم بكتاب الله
ونسهر في العامة منكم والخاصة بسيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافه ما صعد
منبركم هذا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأمر
المؤمنين أبو العباس (١) .

ولكن الذين أصطوا الناس ذمة الله وذمة
رسوله أن يحكوا بما أنزل الله ويعطوا
بسنه رسول الله ، ويسهروا في العامة والخاصة
بكتاب الله ، صاروا يحنون والندد وسفك
الدماء وإزهاق النفوس وخيانة العهد إلى
سدى بمث الفزع وزلول الاطمئنان ،
وحلف النفوس إلى الأمويين حين وجدوا
آل الله من الأرواح ترحق ، وزلازل من
من الحروب تشب ، وأخذوا بالظنة دون
تحقيق ، ومبادرة بالشر دون تربت ،
حتى صار المصبح مشفقاً أن يمسي دمه ربا
للأرض ولجه طعاما للطير ، ومصرعه حمرة
في قلوب الأفريين ...

وكان أشد بنى العباس عصفاً بالأرواح
وهيجاناً للشر ، وزلولة للسكينة عبد الله
ابن علي بن أمير المؤمنين حتى وصفته بعض
الروايات التاريخية بالسفاح إذ أنه أحق
بهذا القب من ابن أخيه ، وقد كتب أستاذنا
المختص عبد الحميد المبادي في توضيح ذلك
فصولاً قوية كانت مدعاة نقاش على مفيد
بين كبار الكتاب منذ ربح قرن ، هذا

ومالوا إلى القساح ، ولكن الشاهر آنى
 رغبات سادته فى الانتقام والحفيظة ، فوضع
 الثقاب على النفط ، وأخذ يعمل العيب
 ليرضى سادته غير طابى بعلامة ضمير ، أو ثورة
 هاجس ، بل إن عبد الله بن على لم يكن
 فى حاجة إلى من يهيج ، فقد فر روان
 ابن محمد وهو لا يذر أمويًا بمصر عليه ، وقد
 رجح الأستاذ العبادى أن استئصال بنى أمية
 لم يكن بحضرة أمير المؤمنين بالسكوة
 أو الهجرة أو الأتار ، ولم يتم على يده كاتزم
 روايات الأدب والتاريخ ، لأن العراق لم يكن
 فى وقت من الأوقات موطن بنى أمية وبخاصة
 فى أخريات هدم عندما انبثقت عليهم فيه
 البشوق وكادت أن تأتى على سلطانهم قبل
 زحف العباسيين إنما كانت الشام موطن
 بنى أمية ، وعلى يد عبد الله بن على قد قامت
 جرائم الإبادة والاستئصال ١ فهو صاحب
 الإثم الكبير فيما كان ٢

كان فى أهل الشام خيرة وحفيظة بقصد هز
 عليهم أن يفتك بالناس لجرد الفجة ، فكل
 من كانت له صلة ما بنى أمية لى حخته من
 عبد الله ١ والشام حاضرة الأمويين وهجرين
 سلطانهم فلا ريب أن يكثر بها الأشياخ
 والمريدون ، ولا ريب أن يستمر القتل
 والاغتيال ، وأن تعطى عهد الأمان ، حتى
 إذا استسلم الخائف لى مصرعه دون اكتراث
 بقاء ٢ فقامس المتهاوسون مستائين ، وغير
 اقوم شعور ليف بالهأساة ٢ فإخوانهم

أصبح الملك ثابت الأساس
 بالهليل من بنى العباس
 بالصدور المقدمين قديما
 والروس التفافم الرواس
 بأمر المطهرين من اللام
 وبأرأس متهى كل واس
 لا قليل عبد شمس حثارا
 واقطن كل رقة وعراس
 أنزلوها بجيت أنزلها الله
 بدار الموان والإنعاس
 دلها أظهر التردد منها
 وبها منكرو حكد المراس
 انصهم أيها الخليفة واحسم
 عنك بالسيف شأفة الأوجاس
 فتغير لون أبي العباس وأصابه زمع ورعدة
 ثم التفت إلى جنوده من الحرسانية فأخذهم
 بالسيف حتى صمدت جسومهم ورجل
 حديق إلى عبد الله بن على فأشده ٢
 لا يفرئك ما ترى من إناس

إن تحت الضلوع داء دوبا
 فضع السيف وأوقع السوط حتى
 لا ترى فوق ظهرها أمويا
 فهاج هائج الأمير ، وأصدم الأرواح
 بالملات ١ هذا الذى ترويه كتب الأدب
 وبعض كتب التاريخ لا يجوز أن يلقى بالنبعة
 على رأس هذا المبد القاهر وحده ٢ فما كان
 له أن يصدر أمرا فى شعره يغير به سياسة
 خليفة وأمير لو صفت سرائر العباسيين ،

المبارة ، وفي كتابه أحسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي ، نأذج من آثاره البليغة ، وأذكر أني قرأت قديما وعظما للأوزاعي ساقه إلى أبي جعفر المنصور يصور به اليوم الآخر والنسخ في الصور وقيام الناس لرب العالمين ، وإلزام كل إنسان طائفة في حقته ، فإدراك في موضوعه أعذب وأبدع مما صدر عن الأوزاعي لصدور من الوعاظ والمرشدين ، ولدينا في مجال الوعظ الديني أدب حتى يتطلب البحث والإشادة وهو ثرات حافل يسوؤنا أن يضيح .

أحضر عبد الله بن علي كبير علماء العام وإمام الفقه في الإقليم ، فنهض لقائه حين أقبل ، وأجلسه في صدر المجلس وكأنه يحاول بالترحيب به أن يميله إلى حاشيته ، ثم بدأ فتكلم عن مآثم بني أمية وما صنوه بالحسين وآل البيت ثم ما قام به ولاتهم من أمثال الحاج وعمر بن يوسف وعبد الله بن زياد من إرهاب وطنيان ، واتجه بالسؤال إلى الأوزاعي فقال :

يا أوزاعي ما تقول في ثورتنا على الأمويين ؟ فرد الشيخ في صرامة : قال صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) . فتعمر وجهه عبد الله ، وظهر الغضب في وجهه ، ولكنه كظم غيظه وسأل متجهما ؟ وما قولك في دعاء بني أمية ؟ .

فلم يلبث أن هتف الشيخ بالرأي الصريح :

يتساقطون من حولهم مضرجين بالدماء وإذا كان آل رسول الله من بني العباس قد نهضوا ليحقوا الحق ، فما لهم يفعلون ما لا يقولون ، وما لعبس الله يشعل الحرائق أني سار !! وجاءت الأنبياء لعبد الله بن علي ، فرأى أن يسكت الناقد بن باسم الدين ، وأن يكون ذلك على رموس الأشهاد إذ يستجوب فقيه الشام ومالها الكبير (أبا عمرو عبد الله الأوزاعي) في دعاء بني أمية وأموالهم ، ولن يجرؤ الفقيه في ظن الطاغية - أن يفتي بما يخاف هواء وهو يرى السيوف تبرى ، والدماء تسيل ! كان الإمام الأوزاعي صاحب مهابة وجلال ، وله في الفقه إمامة ذات صداوة ، فقد تخرج في مدونة الصحابة من أمثال أبي عبيدة الجراح وبلال وشرحبيل عن كاهلهم بديار الشام مقام ، وأخذ العلم عن عطاء وابن سيرين ومكحول والثوري وروى عنه جماعة من حفظة الفقهاء ممن كانوا في طبقة أسانذته كقتادة والزهرى وقد قال ابن خلكان في ترجمته : هو إمام أهل الشام ولم يكن بالعام أعلم منه ثم حكى عنه ، أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي فخرج حتى لقيه بذى طوى فحل سفيان رأس بعيره عن القطار ووضعه في رقبته فسكان إذا سر بجماعة قال : الطريق الشيخ . ومع أنه صاحب مذهب فقهى تبه الناس أحقابا ثم اندرس فقد كان أدبيا فصيح اللسان ، قوى الأسلوب ، جزل

قد كانت بينك وبينهم عهد وكان من الواجب شرعا أن تنق بها .

فلم يتالك طاعية أن صاح وقد اشترأت أعتاق القوم - اجعلني وإياهم لا عهد بيننا ؟ فنظر الأزاعي في حدة ثم صاح : دماؤهم عليك حرام !

ثبوت ثبوت عبد الله ثم أن يبطش بالشيخ ، ولكن ماذا سيكون بعد مصرعه ؟ إن الجريمة قد سجلت عليه دون إفلات ولا بد من ملائحته ليتراجع قليلا ، فاصطنع الهدوء وقال للأوزاعي : وما دليك بالشيخ فقام ؟ .

فلم يحمله الأزاعي أن متف في اعتداد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحمل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) !

تفقد المأزق والأسود ، وخافق الدنيا في وجه عبد الله ، ثم رأى أن يتراجع عن السماء ويسأل عن الأموال فقال في استخفاف وما رأيك في أموالهم ؟ .

وهنا أجاب الأزاعي في هدوء مستقر واطمئنان لا يترزعج .

لأن كانت أموالهم في أيديهم حراما فهي حرام عليك أيضا ، وإن كانت حلالا فلا تحمل لك إلا بطريق شرعي هنا بلغ الفيض حده بالطاعية فصاح عتقا : ما هذا : أليس الأمر لنا - آل البيت - ديانة ، فأبسم

الأوزاعي قائلا : كيف هذا ؟ .

فرد عبده الله يقول متحديا : ألم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي ؟

فهر الأزاعي رأسه وقال في ابتسام : لو أوصى إليه ما حكم الحكيم !! فاستقاط ابن علي من الفيض وصاح بأتباعه أخرجهوا أخرجهوا ! وأخذ يبيد في نفسه للرجل الشرير مصف به عن قريب ، انقشرف الناس حوار الأزاعي ، ولكن الطاغية يشغل منه بالعب القادح إذ يجيش النبأ بموت أمير المؤمنين ومبايعة أبي جعفر المنصور ، وكان يرى لنفسه الأمر فيبيع هائجه ويهيء الجنود لمقاتلة المنصور زاحفا بكتائبه المتراصة ، ويرمي أبو جعفر بأبي مسلم ، فيتمارك الطاغيتان ، وتدور الدائرة على طاغية الشام ثم لا تحمل طاغية خراسان قبلي مصرعه على يد طاغية ثالث ، وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا .

مضت الأيام وعاش الأزاعي مجلما مبيها في دمشق ثم ارتحل إلى بيروت فأقام بها حيث جاءه اليقين ، فمر الناس إلى تشييع جنازته متراحمين وتقطع حامل المدينة ليرى الحشد المتراحم خلف نعشه فيقول في تعجب .

وحك الله أبا عمر ! لقد كنت أعافك أكثر من أمير المؤمنين ؟

محمد رجب البيومي

مدرس أول بدار المحلات بالفيوم

السُّنَّةُ وَمَا أَثَرُ حَوْلِ مُصَنَّفَاتِهَا

لِلأَسَاقِيفَةِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ النُّورِ

الأوامر والنواهي والإرشادات التي أوحى
إليه بها من غر القرآن الكريم ، وحث على
وجوب اتباعه فيها ؛ لما اكتسبته من حرمة
الوحي وقداسته ؛ قال عز شأه :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فأتوه » .

وحذر من مخالفته ، وذكر سوء
عقبها فقال :

« فليحذر الذين يخافون عن أمره أن
تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى وجوب
الاعتناء بما صح عنه من ذلك فقال :

(إني أوتيت الكتاب وما يمدله ، يرشك
شيطان على أربكته أن يقول : يفتي ويفسك
هذا الكتاب ، فإكف فيه من حلال أحلناه ،
وما كان فيه من حرام حرمناه ، إلا وإنه
ليس كذلك)^(١) .

لذلك لم يكن غريباً أن يحصل الله طاعة
رسوله من طاعته فيقول : « من بطع الرسول
فقد أطاع الله » .

وقد روى الأوزاعي عن حسان بن عطية :

(كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك)^(٢)

كذلك عهد سبحانه إلى نبيه بإبلاغ بعض
الأمور والنواهي ، فقال : « ما جئكم به من
بين يدي قد سبقه من قبل من قبلكم ، ما
جئكم به من بين يدي قد سبقه من قبلكم ، ما
جئكم به من بين يدي قد سبقه من قبلكم » .

سارت البشرية - عبر تاريخها المديد -
وهي تشكو الحق ، وتنفذ الخير ، وتهفو
إلى السكال ... وكلما مضت رويداً ورافاً
الحوادث سبغات بما يوافيها من كتبه ورسالاته
« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

وما أن بانست مرحلة التضييق الفكري
حتى أرسل الله غاتم أنبيائه ورسله بكتاب
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
يساقط التطور الإنساني ، ويحتم الكتب
السموية ، ويحيي - بحق - أوطانها بالقصد ،
وأولامها بالبقاء ، وأحرارها بحلود الأثر ؛
لما يضم بين دفتيه من أعدل الشرائع ، وأقوم
المبادئ ، وأبلغ العبر .

وقد عهد سبحانه إلى نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم بتبليغ ما أنزل ، كما عهد إليه بتفصيل
ما أجهل ، قال عز وجل : « وأنزلنا إليك
الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم
يتفكرون » .

وقد روى الأوزاعي عن حسان بن عطية :

(كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك)^(٣)

كذلك عهد سبحانه إلى نبيه بإبلاغ بعض

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ١/ ١٤٧ - ١٤٨
والحاكم في المستدرک وصحه وأقره ، أحمي وفيه زيادة
(وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله) ١/ ١٠٩
والترمذي وقال : حسن غريب من هذا الوجه ٩١/ ٥
وابن ماجه ١/ ٥ - ٦ .

(٢) جامع بيان العلم ٢/ ١٩٩ .

ولقد كان في القمة من أولاد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الذي كان جامعاً الصحيح ثمرة جهد دائم طواله ستة عشر عاماً من عمره الخصب ، لجاء مثلاً رائداً ، ومجلاً شاعراً في جمع الحديث سواء من ناحية الأصالة في المنهج ، أو الشدة في الاشتراط ، أو الدقة في التحري ، أو المبصرة في الاستنباط ، أو الفقه في السنة ؟

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري تفتت الأمة بالقبول : تسبب ميسرة الثر ، وتأخذ من حله الزاخر ، وتضج بأحاديث وهي في القمة من الصحة .

إلى أن تطاول كاتب متعالم لم يقرأ في الحديث ولا في التفسير قراءة متخصصة ولم يدرس دراسة باحث ، ولم يكتب كتاباً منصفاً ، وفي مقال ذكر أنه ليس في البخاري أحاديث مفتراة حسب بل منكورة أيضاً .

وساق لذلك ثلاثة عشر نصاً أوم أن يثبتها ملقة على البخاري وليس كذلك فبعضها موضوع والبعض الآخر في صحت (معل) ولم يرو البخاري منها إلا حديثين : حديث التيمم ، وحديث المباشرة ، والباقي لا يلزم به ؛ لأنه ليس من شرطه ، ولا يثبتنا في هذا المقال إلا ما يتعلق بالبخاري .

على أن نثبت أموراً لا غناء عن ذكرها في هذا المقام وأموراً أخرى ذكرت في ردود تحتاج إلى إسهاب أو تعقيب سيأور .

وأن ثبت له الهداية إلى السنن اللاحب ، والتهج القويم ، كما أثبتنا القرآن الكريم ، فيقول : « وإنك تهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض » . وأن يسجل له في محكم كتابه أنه ما يصدر في هذه الأمور عن نفسه ، وإنما يبلغ ما يوحى إليه بأمانة بالغة : « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى » .

ومنذ برغ بحر الإسلام فقد كان السنة في نفوس المسلمين مكانتها الأثيرة ، وحرمتها الكبيرة مما كان له أبعد الآثار في مسارعة المسلم إلى الامتثال عند حله بثبوت الأمر أو النهي عن وصول الله صلى الله عليه وسلم ثم في عظمة ما قدم علماء الحديث في القديم والحديث من صادق المجهود في حفظ السنة وصونها ، ونقل الروايات ونقلها ، وتعبير صحيحها عن سقيمها ، وكشف النقاب عن الثقات ، والضعفاء ، والمجاهيل ، ومن يصح الأخذ عنه ومن لا يصح ، وما أكثر ما أظلموا أنهارهم ، وأسهروا دجهم ، وأفنوا أعمارهم في سبيل إحياء السنة وتفتيتها من الخيل والمنتسل .

يشهد بذلك تراثهم الذي خلفوه لنا في مصنفات الحديث المختلفة ، وفي تاريخ الرجال وفي فن المخرج والتعديل ، وفي سائر ما يتعلق بعلوم الحديث رواية أو رواية .

صفة القرآنية عما .

ومن الثابت عند المفسرين والمحدثين أن القرآن قد بفسخ السنة ، وأن السنة قد تفسخ القرآن ، دون أن يكون لذلك تأثير في صحة المنسوخ ذاته ١٩

وفيما أورده الحازمي بكتابه (الاعتبار في التاسخ والمنسوخ من الآثار) وأبو جعفر النحاس في كتابه (التاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) أمثلة تنفي عن الإيراد ، فليجمع إليها من أراد .

٣ - فقد يظهر الحديث - بادي الرأي - معارضاً للقرآن ، وقد يسارع سطحي النظرة إلى القول بطلانه دون إعمال الفكرة ، أو تدقيق روح الشريعة ، أو تعرف إلى اصطلاح المحدثين ، أو استقراء لمعنى الكلمة في الجريئات والوقائع المختلفة

ولنضرب لذلك مثلاً . كلمة المباشرة . التي أقام صاحب المقال منها بعض أسس المجرم على البخاري ، فالمعنى بها كما ذكر شراح الحديث ومنها التسطواني ، والمعنى ، والنووي ، وابن حجر ، والكرواني وغيرهم : اتقاء البشرين ، لا الجمجمة ، ولا الالتقاء الجفسي .

يؤيد ذلك اللغة من جهة ، واستعمال الكلمة في سياقاتها المختلفة في الأحاديث من جهة أخرى .

١ - قد يكون الحديث تعبيراً عن حادثة وقع فيها اجتهد الصحابة ، واختلفت فيها وجهات النظر بينهم فيسجلها الحديث كما هي .

الحقيقة وإسهاباً في تكاملها وافقه ولي التوفيق فأبرز ملاح المقال أن كل ما يصوره يخالف القرآن الكريم ، أو يعارض العقل ، وذلك لا يسل أن يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد ساق السكاك أمثلة عديدة من

البخاري وغيره يبرهن بها على مدعاه ٢١ ثم دعا إلى تنقية كتب التفسير والحديث من أمثال تلك الخزعبلات والمفتريات ٢٢ كذا قال ٢١

وذلك عند السير في ضوء النقد معترض شكلاً بما يلي :

١ - ما المراد بمخالفة القرآن ، وموافقة العقل ١٩

هل يريد بذلك أية مخالفة ، وأية موافقة ؟ إن إطلاق القول في ذلك ، وفتح الباب فيه أمام كل طارق ، والسهر في دروبه دون إطار منهجي محدد ، يؤدي إلى الحكم ببطلان كثير من الأحاديث الصحاح ، وبفضي بذلك إلى الاسطرار الحاد بين المسلمين من الناحيتين : الفكرية والفنية ، فما تراه طائفة منافية للعقل ، أو مخالفاً للقرآن قد لا تراه طائفة أخرى كذلك ١٩

٢ - قد يكون الحديث المعارض للقرآن منسوعاً ، والنسخ لا يرفع الحكم بصحة الحديث في ذاته ، بل قد تكون الآية القرآنية نفسها منسوخة بحديث - ما - فلا يؤدي ذلك إلى القول ببطلان الآية ، أو انتفاء

في بعضها الآخر، وحلل هذه المعارضة وذلك كتابه : « تلخيص المستدرك »
ومن هنا قال العلماء : إن المستدرك
لثيباوردى لا يقرأ بدون التلخيص الذهبي
كما أن الإحياء للغزالي لا يقرأ من الناحية
الحديثية دون تفريج للعراق ، أو الرجوع
إلى المصادر المختلفة لتبويب الحديث . ١

أجل : فقد حشد الغزالي كل ما يخدم النقاط
التي أودعها كتابه الحافل ، دون سبب للأحاديث
من الوجهة الفنية . ٢

ولو قد تم إلزام الحاكم البخاري ومسلم
في كل ما ألصقا به ، لكان من الجائز في هذه
الجزئية أن يتم إلزام ابن حزم أو غيره لها ؟
بل لو تم إلزام ابن حزم البخاري ومسلم
في هذا الحديث لما قلت الحاكم أن يخرجه
في كتابه ؛ بناء على أنه على شرط الصحيحين
الذي ألف كتابه من أجله . ٣

يبد أنه لم يخرجه . ٤

فأذن البخاري أو مسلم إذا ؟ وما هي
مسئولية أحدهما في إلزام لا يخلو من طابع
النظرة الشخصية . ٥

على أن هذا الذي ذكرناه أولاً وآخره
من الناحية الشكلية لحسب ،

واقف يهدي من يقاء إلى صراط مستقيم ؟

محمد أبو محمد أبو النور

وقد يكون من حكاية لمنحبه ذهب بعض
الصحابة - زماناً - ثم وجع عنه ، أو تأرلاً
أرناء في فهم آية تلاها أو عليت عليه .

وذلك كحديث التيمم الجنب ، وما حدث
بين عمر وعمر بن ياسر من خلاف في الرأي
بأنه .

وكحديث المناظرة بين أبي موسى الأشعري ،
وعبد الله بن مسعود التي جرت بينهما على
أساس ما حدث بين عمر وعمار ، رضي الله
عنهم جميعاً .

فغير واقع ولا سائغ أن يقصد الرسول
صلى الله عليه وسلم أو أحد الصحابة إلى مخالفة
الكتاب العزيز ، بل أن يخالفه بالفعل ؟
٥ - قول ابن حزم أو غيره في حديث
إفطار الصائم بالبرد : إن هذا على شرط
البخاري ، أو على شرط مسلم لا يلزم البخاري
أو مسلماً في شيء ، وعلى ابن حزم أن يتحمل
مسئوليته وحده . ٦

فكم قال الحاكم : أبو عبد الله النيسابوري
إن هذا على شرط البخاري ، أو على شرط
مسلم ، أو على شرطهما وقد اهتمت فألف
ذلك كتابه : (المستدرك على الصحيحين)
جميع فيه ما رواه على ما رآه من ذلك ثم لم
يصف له منه الكثير . ٧

لقد تعبه الذهبي فأقره في بعضها ، ومارسته

حول طبيعة الشعر الجاهلي

للأستاذ كامل السيد شاهين

وشعر الفرزدق ، ورجز العجاج ووژبة
ورذى الرمة بيئة على ذلك .

والمعيار الذي ارتضاه الدكتور طه حسين
لقياس الشعر الجاهلي ، وما ينبغي أن يكون
عليه صلاية واعتدالا هو أسلوب القرآن
السكرام وأسلوب الحديث الشريف ، فهو
يقول : « وإذا ، فلا ينبغي أن تتخذ غرابية
اللفظ دليلا على الصحة والقدم ، ولا ينبغي
أن تتخذ سهولة اللفظ دليلا على الاتساع
والجدة .

وإذا ، فليس غريباً أن تقرأ الشعر يضاف
إلى الجاهليين ففهمه دون مشقة ، ونرجع
مع ذلك صحت ، وأن تقرأ الشعر يضاف إلى
الجاهليين فلا تفهم منه شيئاً ، ونرفض
مع ذلك أن يكون صحيحاً .

وإذا لم يكن بد من وضع قاعدة في هذا
الموضوع ، فنحن ميالون إلى أن نقف موقف
الشك من الشعر الذي يسرف صاحبه في
الغريب ، كما أننا ميالون إلى أن نقف موقف
الحكم أيضاً من الشعر الذي يسرف صاحبه
في السهولة واللين . . . وإنما الشعر الذي
نستعد للنظر في صحتة هو هذا الذي يتناسب
لغة القرآن وما صح من الحديث متانة لفظ

١ - يكاد النقاد يتفقون على أن الشعر
الجاهلي يمتاز بقوة المتن ، وشدة الأسر وجسامة
اللفظ . وقد غلوا في ذلك غلوا كبيراً حتى
جعلوا هذا الأصل معياراً يقيسون به ما هو
داخل فيه ، وما هو خارج عليه . . . وحتى
صار كل شعر مسته السهولة أو جرى فيه
اللين متهماً مطعوناً فيه ، سواء في ذلك
ما تناول أحدنا أجرت في عصر الجاهلية ،
وما كان من قبيل التفاهة الخاصة التي يتفناها
الشعر ، وتعتبر من الحياة والنفس الإنسانية .
وبهذا المعيار قضيت قصائد عن امرئ
القيس ، وعن مهمل بن زيدية ، وعن جليظة
بنت مرة ، وعن المختل البكري . .
وعن كثير سوام في دروب العصر الجاهلي .
وما ترفض النقاد في قبول اللين السهل
القليل الغريب إلا مع شعراء السواد كعدي
ابن زيد العبادي .

• • •

وقد ذكر الدكتور طه حسين أن هذا
المنهج الذي ذهب القدماء والمحدثون في
تحقيق الشعر الجاهلي مقفب عادم ، فربما
كلان في الشعر الجاهلي ما هو يسير لين ، وربما
كلان في الشعر الإسلامي ما هو غريب حوشى . .

والأخرى من بنى عقيل، أما جلية فهي شاعرة
ربعية وبكرية . والفرق بين شعر المضربين
والربيعين واسع ... وربما كان بنو بكر من
ديسة آلين ألفاظا من سوامم لسكنام السواد .
والخفاء وليل كانتا قد طالجتا الشعر

واشتهرتا به ، وتمرستا بإفئاده . والعمراء
الذين يحترفون الشعر يكونون في المجلة أكثر
تنظرا وانتقاء للألفاظ وقربا من القوة والمتانة
عن الشعراء الذين لم يحترفوا الشعر وإنما
يقولونه في الفينة بعد الفينة ، وعلى أمد طويل
ولم يورثنا التاريخ أن جلية قالت شعرا
إلا هذه القصيدة القيمة . على أن الخفاء
بالحذات إذا تناولت الرثاء لانت وورقت أحيانا
على ما قيل فيها من الفحولة والقوة .

هذا حديث آلين والسهولة ، فأما حديث
الابتذال ، فلستأ نرى في اللفظ ابتذالا على
المجلة ، أما في المعنى ، فإن الشعر العربي كله
لا نكاد نظفر فيه بقصيدة غير هذه القصيدة
في تصوير الآلم المضاعف ، وتوزع نفس المرأة
بين الحزن على زوجها ، والشفق على أختها
وإظلام حاضرها ، وانتظار مستقبل أكثر
إحباطا وأشد إظلاما ، ووقوعها بين نار
الحزن ونار التهمة ... فالابتذال إذا بعيد كل
البعد من معاني هذه القصيدة .

حتى أن يكون لنا به ذلك حق الإدعاء
بأن أبيات جلية يمكن أن تكون صحيحة ،
وأن تكون من الأنفاس الشعرية التي ترددت

ورحانة أسلوب في غير تكلف الغريب ،
ولا إسراف في المحوشية ، ويتناسب القرآن
وما صح من الحديث سهولة مأخذ وقربا
من تفهم من غير إسفاف ولا دور من
السخف (١) .

والله كتور طه حسين عندما يقرر هذا
المبدأ يضيق به عند التطبيق ، فيقبل من
الشعر ما كان متجن اللفظ وسجن الأسلوب
في غير تكلف الغريب ، ولا إسراف في
المحوشية ، ولكنه يرفض ما كان سهلا المأخذ
قريبا إلى الفهم ، مع أنه لم يبلغ درجة
الإسفاف ، ولا هو دان من السخف .

والأفأى ذنب يرفض شعر المهمل لرفضنا
حاجما مدعيا أن فيه سهولة ولينا وإسفافا
ويرفض قصيدة جلية بنت مرة :

يا بنة الأفرام إن شئت فلا

تصلي بالرم حتى تسأل

لأنه - فيما قال - لا يستطيع شاعر في هذا
الصر الحديث أن يأتي بأشده منه سهولة
ولينا وابتذالا ، مع أننا قرأ الخفاء وليل
الأخيلية شعرا فيه من قوة المتن وشدة الأمر
ما يعطينا صورة صادقة للرأة العربية
البدوية . اهـ

وحديث الدكتور الماقد عن ليل والخفاء
حديث لا متع فيه من نواح كثيرة . فالخفاء
وليل الأخيلية مضررتان الأولى من بنى سليم

خلال جولاته في البراري ومشاهدة الأعراب
أو تلقاها عن أستاذه الفذ الخليل بن أحمد .
وكان الأصمعي ممثلا لفئة مؤدبا مسامرا
في دار الخلافة على عهد الرشيد ، وقد غبر
زمانا بحب البادية يجمع الأشعار والآثار
والشوارد ، فإذا اختار من الشعر اختار
ما هو غريب بدوي ليبره الرواة ويبرم .
ووجدوا بين أيديهم : جمهرة أشعار العرب
لابن زيد بن محمد بن الخطاب . . . وقد كان
أبو زيد صاحب لغة وغريب ونحوه . ولذلك
جاءت جمهرته شائعة من روجه ذات طابع
خاص في الشعر .

إذن فهذه المختارات لا تمنطينا الطابع العام
الشعر الجاهل ، إذ كان أصحابها يقبضون
بالغريب ، ويرغبون في اتخاذ المنزلة عند
الحكام وعند الناس بظهورهم به .

وقد كان أولاد الخلفاء على عهد الأمويين
يدفعون إلى البوادي لقتيم السقيم ،
وتنطبع على الصحيح الفصيح ، فلما جاء
المباسيون رحل العلماء أنفسهم إلى البوادي وقعد
الأمراء في منازلهم يستقسمون هؤلاء العلماء
ليعلوم ما عرفوا ويصلوا إليهم ما حصلوا .
وتلقى الأعراب في الأمصار كان أمرا
مألوفاً لدى هؤلاء العلماء ، فهناك حرف لم
يعرفه الأصمعي ، وحرف لم يوجد عند أبي
هيبة ، وحرف يختصم فيه أبو زيد مع
غيره من العلماء .

في العصر الجاهل ، بالرغم مما يجده القارئ
الكبير بها من سهولة ولين .

٢ — ولكن الذي أغرى النقاد باتخاذ
الغربة والصلابة سمة يستدلون بها على جاهلية
الشعر وأصلا يعتمدون عليه في نقده وتحييزه ؟
أكبر الظن أن الذي حلهم على ذلك هو
ما انتهى إليهم من غتارات هذا الشعر . فقد
وجد النقاد بين أيديهم شعر (المعلقات) ،
وهي مجموعة الشعراء تهرسوا بالشعر
ومروا عليه ، ومنهم من اعتاد الاحتفال به
والاحتفاده ، والأناة فيه ، أناة لم يعرف لها
مثيل في تاريخ الشعر ... لجاء هذا الشعر
إلا أنه حافلا بالغريب مائجا بالصورة الشعرية
طويل النفس إلى حد لا يجده إلا قليلا بين
أشعار الجاهليين . ووجدوا بين أيديهم
(المفضليات) وهي مجموعة من القصائد التي
تميد فيها نفس الشاعر حتى يجاوز مائة من
الآيات ، ويقصر حتى لا يجاوز ثلاثة الآيات
ولكن الغرابة والصلابة تنظمها جميعا .

وكان المفضل الضبي ممثلا لفئة . . . كان يعلم
المهدي بن المنصور ، وكان له المنصور ضلعة
في اللغة . . . فإذا اختار المفضل للمهدي شعرا
يقسم بشدة الأمر ، وجسادة اللفظ ، فهذا
أمر طبيعي إذ هو يتغنى تعليم اللغة والأسلوب
المرئي في وقتها .

ووجدوا بين أيديهم : الأصمعيات ، وهي
مجموعة غتارة من القصائد التي رواها الأصمعي

والذي نراه في المختارات التي جمعها القويون .
 هل أنه ليس معقولا أن يخرج الشعر من
 الصلابة والقرابة التي نراها في هذه المختارات
 إلى السجاجة والتدفق الذي نراه في أشعار
 المهاجرة التي قيلت على النبي عليه الصلاة
 والسلام وقتلتها كتب السهولة وبعض كتب
 الأخبار والتاريخ لأن اللغة لا تتطور بهذه
 السرعة في مدى لا يزيد على خمسين عاما .

٣ — وبالإيمان وطول القراءة والتفهم
 بدأ لنا أن هناك شعرا جاهليا غير شعر
 المعلقات وأحزابها ، فهن قنن وألوان .

فهناك شعر جاهل يمتاز بالجمالة ولكن مع
 روح تشبه روح الخطابة وهو شعر الفرسان .
 وهناك شعر جاهل يمتاز بالسهولة واللين
 يمتاز بروح الخطابة أيضا وهو شعر الرثاء .
 وهناك شعر جاهل يجمع الغريب مسأ
 ولكنه لا يجمع ولا يظلم عليه ، وهو شعر
 الشعراء الذين لم يتخذوا الشعر صناعة .
 هناك شعر جاهل ألين صريكة وأبهر
 لو كان سواه هو شعر النساء .

وإذا فطبيعة الشعر الجاهل قد تؤثر فيها
 طبيعة الشعر ، وقد يؤثر فيها الغرض ، وقد
 تؤثر فيها الممارسة وطول الملاج ، وقد يؤثر
 فيها الجنس .

ونرجو أن نتناول ذلك بالدراسة والتحليل
 في المقال المقبل إن شاء الله .

عادل السيد شاهين

والأمر في ذلك إلى هؤلاء الروافدين الذين
 يتعجبون بما لديهم من ذوات الأوبار ،
 وذوات الأشعار ، وبما لديهم من شوارد
 الغريب ونوارد الآثار .

إذا فليست المعلقات مثلة لطبيعة الشعر
 الجاهل ، وليست المفضليات مثلة لهذه الطبيعة
 وليست الجهرة والأصمليات صورة صحيحة
 لها . . . وليست هذه جملة صالحة لأن تكون
 عنوانا للشعر الجاهل بعمامة .

ولمّا هي لون من ألوان الشعر الجاهل
 وذلك اللون البدوي الصلب القسوي المتن
 الحديد الأسر .

والذي يشهد لنا أن كتب الأخبار كالأغاني
 وكتب الفرائج كالشعر والشعراء تقدم لنا
 شعرا غائلا في جملة الشعر الذي يقدمه
 لنا القويون .

وبحسبك أن تقرأ ترجمة في الشعر والشعراء
 أو صوناني الأغاني و ترجمة لصاحبه حتى تظن
 إلى أن في الشعر الجاهل لونا وألوانا تخالف
 اللون الذي نطلع عليه في الجهرة والأصمليات
 وفي المعلقات والمفضليات .

والذي يشهد لنا كذلك أن الأدباء غير
 القويين عندما اختاروا مختاراتهم بعد أن
 ذهب (موضة) الغريب والتباصر به
 اختاروا بموضة من رائق الشعر تتميز
 بالخلابة وتدقيق العاطفة وبحسبك أن تقرأ
 حاسة أبي تمام أو حاسة البحتري وتقع
 ما جاء منهما من الشعر الجاهل لترى شيئا غير

علمائونا إبان العدوان الصليبي

للدكتور عباس حلمي سماعيل

استئصال الخطر الصليبي من دوح الوطن العربي . وامت صلاح الدين كذلك بحسم الخلاف بين الشيخ جمال الدين محمود الحمودي المعروف بابن الصابري ، والشيخ نعم الدين الحبوشاني شيخ المدرسة الصلاحية بالقاهرة ، ومما من أتباع المذهب الشافعي . مذهب الدولة الأيوبية ، فأمر صلاح الدين أعاء الملك العادل بنقل وقف ابن الصابري إلى مكان آخر بعيد عن مسكن الحبوشاني ، نسبة إلى حبوشان إحدى قرى نيسابور من بلاد ما وراء النهر (١) .

وكان الملك العادل يستشير الشيخ عبد الرحيم البيهاني ، المعروف باسم القاضي الفاضل ، في تفاصيل الإدارة المصرية ، والقاضي الفاضل بدوره يساعده في تجهيز الجند وتجميع الأسطول وجمع المال ونقل المؤن إلى ميادين القتال من مصر ، باعتبارها محور اتصالات القوى الدفاعية عن الشرق الأوسط كله ضد العدوان الأوربي الصليبي في المشرق والوسطى ، كذلك كان القاضي الفاضل يكتب للعادل أجوبة خطابات صلاح الدين بأفصح عباراته

لم يعرف العلماء العرب المسلمون حدوداً أو فواصل في تنظيم طلب العلم والمعرفة ، فأتجروا الآداب ، وأبدعوا في الفنون ، وأضافوا إلى العلوم . ولم تسم هذه الآداب أو الفنون والعلوم بأسماء مصرية أو عراقية أو سورية أو غيرها ، أي أنها لم تحمل اسم الإقليم الذي ظهر فيه علماءها وأدباؤها وفنانونها ، وإنما سميت جميعاً بالآداب العربية والفنون العربية والعلوم العربية . ذلك أن العرب لم يعرفوا الإقليمية في الإنتاج العلمي والأدبي والفني ، وسميت الحضارة التي بنوها بالحضارة العربية الإسلامية ، لأنها حضارة قسرت من أمة واحدة ، هي الأمة العربية الإسلامية .

ويبلغ من حرص السلطان صلاح الدين على وحدة العلماء المسلمين أن أمر أعاء الملك العادل سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) بمنع المناقبة ، والأشاعة أتباع أبي الحسن الأشعري ، من المجادلة في علم الكلام ، لأن كل فريق اعتنق بجماعة من الجند ، لغنى صلاح الدين أن يحتمم الخلاف ، في وقت كان هو فيه في أشد الحاجة إلى الوحدة ، من أجل

(١) أبو شامة : كتاب الروضين ج ٢ ص ٦٨ .

أصابه تشبهاً بالملوك ، ولما اعترض العادل عليه في ذلك قال : « أنا ملك العلماء كما أن الملوك ملوك الرعايا »^(١) والغاشية سرج من جلد مخروزة بالذهب ، يحاكي الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المراكب الخفيفة كالأحياء ، يرفها (الركابدار) على يديه ويلفها بمينا وشمالا .

ومما يكن من أمر ، فقد لقي العلماء صدراً رحباً وتفجياً من البلاط الأيوبي على عهد السلطان العادل ، إذ كان العادل نفسه كلفاً بسماع الحديث النبوي ، عجا العلماء بمجالسهم ، وكثيراً ما فجعهم على تأليف يذل المال لازم ، ولو كان الخراف من أهل البلاد البعيدة ، والدليل على ذلك الإمام غير الدين الرازي نفسه ، فقد صنف للعادل كتاب (تأسيس التقديس) وذكر اسمه في خطبته ، وبثه إليه من بلاد خراسان^(٢) . وصلى العادل إلى اجتذاب العلماء إلى القاهرة ، فعندما وصل عالم النبات أبو العباس بن الرومية من المغرب إلى الإسكندرية سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) استدعاه وأمر بأن يقرؤه جراءة . وكان عن حطى لدى العادل أيضاً الطبيب مهذب الدين هبة الرحيم بن علي المعروف بالدخوار ، وكان

معيروا وناسحا ومسلما ومتقنيا مصالح الإسلام والمسلمين ، ولذلك كان العادل ينييه بمصر عندما يطلبه صلاح الدين ليستشيره في أمر من الأمور . وكانت مصر في ذلك الوقت تقاس ضائقة مالية شديدة ، فبعث صلاح الدين إلى الأثرميد من أهله وأمره دوك يطلب عنهم قرضا ، لكنهم اعتذروا إليه ، فأرسل إلى المعصمين من الفقهاء والقضاة يطلب منهم أن يقتصدوا في النفقات لمدة عشرة أيام ، ويرسلوا إليه ما اقتصدوه قرضا حتى يصل إليه الخراج والغنائم ، وهنا أمثل مرسومه العلماء ، ومن بينهم القاضي المرتضى بن قريش أحد كتاب ديوان الإنشاء بالقاهرة^(٣) . ولذا حظى العلماء بتقدير الدولة ، فتولى شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حويه شيخا لدعوة الصلاحية خلفا لنجم الدين الحوشاني ، وكان الناصح أبو الفرج بن نجم الحنبل عظيم الحرمة عند الملوك الأيوبيين ، قدم مصر مرتين ووعظ بها ، وتمكن من تأليف كتبه ومنها كتاب أسباب الحديث في عدة مجلدات ، وكتاب الانجاد في الجهاد . غير أن الملك العادل عزل الشيخ شهاب الدين الطوسي من ولاية الأحباس ، لأنه كان قد أمر (ركابداره) بأن يرفع الغاشية على أطراف

(١) التابلي : نفس المرجع ص ٢٠

(٢) المقرري : السلوك ج ١ ص ٥٤ .

(٣) التابلي : لم الخواص ص ٧ - ٨

والطبية وحسن صوته وإتقانه العزف على العود ، وألبسه شيخ الفيوح صدر الدين حسن بن صوريه خرقه التصوف إقراراً بفضله (١) .

وتعلم السلطان الكامل منذ صغره الأحاديث النبوية ، وأجاز له العلامة أبو محمد بن بري وأبو القاسم البوصيري وابن صدقة الحراني فنشأ على حبها حريصاً على حفظها ونقلها .

ولما شيد سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٧ م) دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة ، وأول من تولى شيختها أبو الخطاب عمر بن دحية ، وتولى الفيض المظليس جهاء الدين الجيزي التدريس بالزاوية الشافعية بجامع عمرو ، بعد أن ألبسه شيخه ابن أبي مصرون الطيلسان اعترافاً بفضله ودينه وعذائه (٢) .

واجتذب الكامل إلى بلاطه العالم الرياضي علم الدين فيصم المعروف بتعاسيف الذي ولد في الصعيد وتعلم بمصر والقمام ، ثم بالموصل على كمال الدين موسى بن يونس علامة عصره وبلغ من تبحر تعاسيف في الرياضيات أنه حل عدة مسائل بحث بها إلى الكامل (فردريك الثاني) ملك الألمان وأمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وكان من تلك المسائل ما يعتبر من أروع الأحاسي والأفان ، ومع ذلك

المعادل قد طلبه من وزيره صفي الدين ابن شكر لمعالجته من مرض حار فيه الأطباء فشفاه منه ، ثم عينه على الشؤون الطبية في الجيش ، فقام بذلك خير قيام ، وكان الدخوار أديباً ، اختصر كتاب الأمان في الفرج الأصفياني ، وألف مقالة في الأغذية واشتغل بعلم الفلك ، وافتى من الآلات الفلسفية ما لم يكن عند غيره ، كما كان هندسة ست عشرة رسالة في الأسطرلاب ، وهو عبارة عن دائرة من الرصاص يمكن بها تقدير ارتفاع النجوم وذواياها من على ظهر السفينة ، وتحديد مواقع الأماكن بمعرفة خطوط الطول والعرض .

وامتاز أيضاً الكمال سديد الدين القاسم الذي تولى رئاسة الكحالين بالبيارستان الناصري ، وكان أخوه وشيد الدين أبو حليقة من علماء الرياضيات والموسيقى والطب والأدب ، إذ تعلم الرياضيات من علم الدين فيصم الحق المعروف بـ (تعاسيف) ، والموسيقى من ابن الديخورد المصري وصفي الدين بن علي ابن البيان ، والباء المصلح الكبير ، وشهاب الدين النعماني ، وشجاع الدين بن الحصن البغدادي ، والطب على جمال الدين بن الحوافر وعبد العزيز البغدادي ، والأدب من زين الدين بن مطي المغربي ، فأصبح ينظم الشعر الجيد ، وفاز صيت أبي حليقة ، فتنافس الملوك الأيوبيون في استخدامه لمهارته العلمية

(١) ابن أبي أمية : هيون الأبناء ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٥٩ .

(٢) السكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٢٧ .

خلق على كتاب (الحاوي) لفخر الدين الرازي:
وشيع الكامل التأليف في التاريخ والسياسة
لولمه بحل مشكلاته بالأساليب (الدبلوماسية)
مثلا لحل الامبراطور (فردريك الثاني) ،
وتجملت تلك (الدبلوماسية) في المفاوضات
الكاملة الفردوبكية التي جرت سنة ١٢٢٦ هـ
(١٢٢٩ م) على يد غر الدين بن شمع
الشيخ . وعن شمع الكامل تاج الدين
ابن حويه الذي ألف كتاب السياسة الملوكية ،
وألف المؤرخ علي بن يوسف القفطي كثيرا
من كتب التاريخ مستفيدا بمكنيته الحافة
التي اهتم بها اهتماما يفوق ولده بالخيرول
المسومة على قول ياقوت الحموي (١) .

وأذكر الكامل على أخيه الملك الأشرف
موسى محاباته الحنابة المبتدعين ومعاداته
للشيخ عز الدين بن عبد السلام تقيب القاضية
بدمشق ، وذهب الكامل إلى دمشق سنة ٥٦٣ هـ
(١٢٣٧ م) وعين ابن عبد السلام شيخا
بزاوية الغزالي بجامع دمشق ، وولاه قضاءها
وأفذه رسولاً إلى الخليفة العباسي المستنصر
ليصل معه إلى اتفاق لقناة التتر . ونفذ
الكامل فتاوى ابن عبد السلام بمصر والشام ،
فأمر بمنع كتابة عقد الصداق على الحرير ،
وأبطل دق السيف على المنبر في صلاة الجمعة ،
وحرم صلاتي الرغائب ونصف شعبان (٢) .

وفعل الكامل هذا كله تشجيعا لابن عبد السلام

حل تعاسيف عقد إشكالها فردا فردا ، وفتح
أعلاق طلابها ورموزها واحدا واحدا ،
واشتغل تعاسيف مهندسا بارعا أيضا ، فعمل
للك الملك المظفر محمود صاحب حمة كرة من
الخشب ، وسم عليها جميع الكواكب المعروفة
وقدذاك ، وساعده في وصدها المؤرخ جمال
الدين بن واصل (٣) .

وقام النباتي البارح ضياء الدين عبده
ابن البيطار بكثير من السياحات والمنازلات ،
فسافر إلى بلاد اليونان وأصصيا الصغرى
والمغرب ، لهرى بنفسه على الطبيعة خواص
بعض النباتات وأنواع القرية التي تلائمها .
ورجع ابن البيطار جل اهتمامه إلى النباتات
الطبية ، حتى استطاع أن يؤلف كتابا في الأدوية
اسمه (المنقى في الطب) ، الذي أعجب الكامل ،
لجعله رئيسا على المشايخ بمصر . ولم يضارعه
في ذلك العلم سوى وشيد الدين بن الصوري
الذي أجرى تجاربه على نباتات جبل لبنان .

وكافأ الكامل أبا حليقة بخلع سنية عندما شخص
نبحه ، ونجح في معالجة أسنانه بالقرياق
الفادوق ، وأخرج حصة من وذهنه الخاص
أمين الدين جعفر ، كانت قد مدت مسالكه
البولية ، فضلا عن أنه ألف كتباً كثيرة منها
(الختار في الألف حمار) ومن مركبته الزريق
المختصر الذي عالج به المغلوجين ، وقوم
الأيدي المنقوسة ، وأذاب البلغم ، وسكن
آلام القولون . ومن تلاميذه أبو سعيد الذي

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١٥

ص ١٨٧ - ١٩١

(٢) السبكي : طبقات القاضية ج ٥ ص ٨٠ - ٧١٤

(٣) أبو القدا : المختصر ج ٣ ص ٩٧٣ .

وأمثاله من المجتهدين في وقت قرت فيه هم العلماء عن الاجتهاد .

وعين السلطان الصالح أيوب الشيخ ابن عبد السلام قاضيا بمصر ، رغم نهجه على الملوك ، فإنه سبق أن تعدى الملك الصالح إسماعيل لما باع الصليبيين أسلحة دمشق ، كما رفض إياه وشتم الاستغال بالسكر عند الملك الناصر داود مخاطبا إياه : « بلك صغير هل على ، والواقع أن ابن عبد السلام حاز إعجاب محبه وأعدائه ، فتمت محبه بسلطان العلماء ، وتحدث الصليبيون عنه قائلين : لو كان هذا قسيسا لفسلنا رجله وشربنا مرقها . » وأنكر ابن عبد السلام هل الصالح لإباحة بيع الخمر ، والإسراف في الاحتفال بالأعياد ، من إقامة الزينات الفاخرة ، واصطفاف الأجناد ، وتقبيلهم الأرض بين يديه . وظل يقوم المحكام ، ويمثل سلطة الأمة بإزاء سلطة الحكومة ، ويتقرب إلى الله بكلمة حق في مجلس ظالم إلى أن أمر الصالح كاتبه بهاء الدين زهير بالرد على رسالة لويس التاسع ملك فرنسا ، جاءت الحملة الصليبية السابعة ، وعندئذ رابط ابن عبد السلام مع المسلمين في المنصورة معظمهم ويحثهم على مقاتلة الصليبيين ، ووقف إلى جانبه أبو الحسن الشاذلي ، إذ غادر الإسكندرية مستخلفا بها أبا العباس المرسى في راية الأتباع ، إلى معسكر المنصورة ،

ورغم انكشاف بصره ، إشاروك بما يستطاع أن يقدمه من التشجيع والوعظ ، لاستفاده أن الإسلام دين كفاح وجهاد .

وأغدق الصالح على الطاء المرتبات والهبات من ديوان الأعباس ، ومن هؤلاء جهال الدين ابن الحاجب الذي اشتغل بعلم النحو والصرف ، وأقام قرب المدرسة النحوية بالإسكندرية ، وزكى الدين عبد العظيم الهندوي عالم الحديث ، والطبيب أبو سعيد بن أبي سليمان الذي ألق له كتاب (عيون الطب) ، والعشاب ابن البيطار الذي ألفه كتاب (الجامع في الأدوية) المفردة .

ولما جاء السلطان توران شاه سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) لطرد الصليبيين ، وحب به جماعة من العلماء كان من بينهم سراج الدين الأرموي الذي كان قد عاد من بعثته بصقلية بعدما ألف للإمبراطور (فردريك الثاني) كتابا في علم المنطق . ولم ينس توران شاه وغم انخفاله بمحاربة الصليبيين أن يطلب من المؤرخ ابن واصل موضوعا للنائفة ، فاختار قول أحد الفقهاء : « الحدة الذي إن وعدوا ، وإن أوعد تجاوزوهنا . »

هكذا جاهد العلماء بملهم وأوامهم وأنفسهم لطرد الصليبيين من الوطن العربي ، وتعاونوا هل جعل علومهم في خدمة مجتمعاتهم ، على اعتبار أن العلم قدرة وقيمة بلا ثروة .

هــ بن علي إسماعيل

فُتِلَ اثرُ العُجْزِ لِأَدْنَى عَلَى كِتَابٍ

الحركة الرومانتيكية في إنجلترا
للكتور محمد سمير عبد الحميد

عام ١٧٠٤ والمظاهر المختلفة لتأثير هذا الكتاب في الأدب الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يمكن تلخيصها على النحو الآتي :

أولاً : التقليد المباشر كما حدث في قصة (الرائق) لألفها (وليم بكفورد) والمساء : Vathek.

ثانياً : تقليد الشكل والأهداف في قصص غير شرقية بل أوربية الأصل
Pseudo-Oriental.

مثل قصتي :

Almor An and Hamet.
py: J. Hawkesworth.
Nourjahed by Mrs. Sheridan

ثالثاً : كانت حافزاً على كتابة مجموعات بامتداد من القصص المتعددة الأنواع التي ربطها إطار خارجي واحد مثل :

Persian Tales Turkis Tales.

رابعاً : استغلال القصص بشكل لاصلة له بطبيعتها وأهدافها الأصلية مما نتج عنه أنواع المروءة بالقصص الشرقية التعليمية وقصص الصخرية :

Satiric and didactic Oriental Tales.

٢ — أثر كتاب (ألف) ليلة على بعض الأعمال الفنية من حيث الأسلوب والخيال :
يقول سير ديتشاودف. بيرتون Sir Richard Francis Burton وهو من أعظم المستشرقين في القرن التاسع عشر في التعقيب على ترجمته الخاصة للنص الكامل لكتاب ألف ليلة وليلة في ثلاثة عشر مجلداً (١) : إن كثيراً من الحكايات التي يحتويها هذا الكتاب كانت معروفة في أوروبا منذ القرن الثالث عشر إذ كان بروهاجله . د. فري Jaques de Vitry أسقف صكا الذي مات في روما عام ١٢٤٠م وبعد ذلك ظهر كثير منها في صورة هدية منقحة في مجموعة القصص المسماة Gesta Romanorum في القرن الرابع عشر. ومع ذلك فإن الأثر الأدبي الذي تركته تلك المجموعة المتكاملة من القصص الخيالية الرومانسية على أسلوب الكتاب الأوروبيين وخیالهم لم يلاحظ فعلاً إلا بعد أن ظهرت ترجمة ميو جالاند Galland الفرنسية

(١) أنظر :

The Thousand Nights and a Night :
Terminal Essay, IX, 146.

المأخوذتين من مجموعة ألف ليلة وليلة .
 ثامنا : استخدمت مادة هذه القصص في
 كتابة بعض المسرحيات العامة Pantomimes
 والمسرحيات الاستعراضية الموسيقية
 Musical Plays, Reviews .
 عاشرا : اعتبرت مرجعا هاما من حياة
 الشرقيين الاجتماعيه والدينيه ولذا كثر
 الاستشهاد بها والإشارة إليها في كثير من
 مؤلفات الكتاب الإنجليز شعرا ونثرا
 في الموضوعات التي لها علاقة بالشرق .
 وبالإضافة إلى كل هذا لا يفوتنا أن نذكر
 حقيقة هامة وهي أن جمهور القراء في القرن
 الثامن عشر كان يطالع هذه القصص بشغف
 قبل أن تظهر بشائر الرواية أى القصة
 الإنجليزية الطويلة The Novel قصة
 Robinson Crusoe لؤلؤها Daniel Defoe
 لم تظهر إلا في سنة ١٧١٩ أى بعد ظهور
 الترجمة الإنجليزية للكتاب ألف ليلة بنحو
 إحدى عشرة سنة وقصة Joseph Andrews
 لؤلؤها Fielding لم تظهر سوى عام ١٧٤٢ .
 أما كولريج Coleridge وهو من أعظم
 رواد الحركة الرومانتيكية في إنجلترا فقد
 أيقن منذ البداية ما لهذه القصص الشرقية
 من أهمية كبرى كصود من مصادر الانبعاث
 إلى عالم الأرواح في الشعر الإنجليزى حتى
 أنه عندما تهيأ لإلقاء سلسلة من المحاضرات
 العامة عام ١٨١٨ موضوعها :
 Romantic Use of the Supernatural
 in Poetry.

مثل عشرات القصص القصيرة التي كتبها
 رجال المدرسة الكلاسيكية الجديدة في أوائل
 القرن الثامن عشر أمثال أديسون ، ستيل ،
 دكتور جونسون :

Addison, Steele and Dr. Johnson.

عامسا : صياغة بعض قصص الكتاب
 في قالب أوروبى بلائم البيئة المحلية .

سادسا : الاستفادة خياليا من بعض
 المواقف والحوادث المذكورة في هذه القصص
 ونقلها بتصرف إلى القصص الأوربية .

سابعا : أوحى بكتابة مؤلفات في العصر
 والنثر مستغلة مادة تلك القصص وموضوعاتها
 فيما ظهر تحت اسم :

Anglo-Oriental Fiction.

أمثال :

The Talisman, The Surgeon's
 Daughter. by Sir Walter Scott.

وفي العصر أمثال الروايات الشعرية :

Thalaba, The curse of Kehama
 (1825, 27)

لؤلؤها : R. Southey

وكذلك Lalla Rookh (1817)

لؤلؤها : T. Moore

وتشمل :

The Veiled Prophet of Kherassan;
 The Fire Workshippers; Paradise
 The Light of the Haram.

ثامنا : اقتبس بعضها وكتب على شكل
 قصص للأطفال مثل قصتى :

Aladdin or the Wonderful Lamp;
 Kamaralzaman.

أصديق أن مؤلفها كاتب إنجليزي لم ير الشرق في حياته ولكن خياله ومقله تأثر بما كتب عن تقاليد الشرق وروح وخرافات ، ونفس هذا الأثر جليا في حياته الشخصية وفي مؤلفاته وكلها تقليد لأسلوب وموضوعات القصص في كتاب ، ألف ليلة وليلة .

إن طبيعة بكفورد ومزاجه الشاذ جعلاه لا يستطيع مقاومة الشذوذ والمعالة في أي شيء يصادفه ، ومن هنا كان لكتاب ، ألف ليلة وليلة ، تأثير خاص في نفس هذا الكاتب منذ طفولته الأولى كما يشهد Lewis Melville في كتابه :

The Life and Letters of William Beckford (1910)

إن هذا الكتاب أثر على حياة وضميمة بكفورد أكثر من أي كتاب آخر ، ولقد ظهر هذا الأثر في قصته المشهورة *Vathek* وقصص أخرى لم تنشر إلا في عام ١٩١٢ بعنوان *The Episodes of Vathek* (١) وبعد طفولته لم يبع أثر هذه القصص من غيرة بكفورد بل بقيت ثابتة طوال

(١) مجموعة هذه القصص :

The Episodes of Vathek :

تتكون من :

1. The Story of Prince Alexi and the Princess Fireuzkah.
2. The story of Barkierokh.
3. The Story of the Princess Zulkais and the Prince Kaitlah.

خصص المحاضرة الحادية عشرة من هذه السلسلة لبيان أثر هذا الكتاب على خيال الشعراء والكتاب في عصره . أما في شعره هو : فن السهل ملاحظة أثر هذه القصص في اثنين من أشهر مؤلفاته الشعرية ألا وهما :

The Ancient Mariner (1796) :

Kubla Khan (1816)

ولم يكن Coleridge وحده الذي تأثر منذ الطفولة بالخيال القصص في ألف ليلة وليلة التي كان يقرأها مرارا وتكرارا ، فكل من Sir Walter Scott, W. Wordsworth فملأ قصص الشيء ، وقصيدة تيبسون وعنوانها : "Recollections of the Arabian Nights" ثبت لنا أيضا ما كان لكتاب ، ألف ليلة وليلة ، من أثر عميق على أولئك الشعراء الرومانتيكيين .

ومن أشهر القصص وأهمها في الأدب الإنجليزي قصة *Vathek* التي تخيل فيها المؤلف أن بطلها أحد خلفاء الدولة العباسية *History of the Caliph Vathek* (1786) ألفها الكاتب الإنجليزي شاذ الشخصية والملكولم بكفورد William Beckford وهذه القصة تعتبر بحق من العوامل القوية في التحول والاتجاه نحو الأدب الرومانتيكي في عالم القصة الطويلة أي الرواية *The Novel*

وفي هذه القصة يظهر أثر كتاب ، ألف ليلة وليلة ، بوضوح متناه ، فهي تقليد ناجح لقصص ألف ليلة وليلة لدرجة أنه يصعب

٣ - مناقشة قصة الروائي :

والآن فلنحاول مناقشة قصة الروائي التي ظهرت لأول مرة عام ١٧٨٦ . لقد اختلف النقاد منذ البداية في تقدير القيمة الأدبية لهذه القصة الغربية التي شرد فيها خيال المؤلف إلى حد أنها أوشكت أن توصف بأنها خرافية أي Fairy Tale خصوصاً وأنها جمعت الكثير من أساطير الشرق وسارت على نمط الكثير من قصص « ألف ليلة وليلة » من حيث الشكل والموضوع حتى لينغيل إلى القارئ أنها فعلاً إحدى قصص هذا الكتاب ولقد شعرت أنا شخصياً بهذا العجز في كل مرة عادت فيها قراءة هذه القصة التي تعد أجيب قصة إنجليزية كتبها شاب إنجليزي عاش في سحر الشرق وليال اللهو والملاذات سنين عديدة ، وقام بكتابة هذه القصة نتيجة لأفكاره وتجارب الشخصية ، وما يتوقع لنفسه من عقاب الضمير ونهاية سيئة محزنة جزاء ما قدمت يداؤه من استنثار ، وتحد لأفرائع الأديان السماوية . ولهذا يعتبر كثير من الكتاب أنها تنفيس حي الكاتب (إسقاط Self-projection) الذي هو من أصل حواء الصيل . ونستدل على حقيقة هذه الملاحظات لأن قصة الروائي Vathek وحدها ؛ بل من القصص الشرقية الأخرى التي كتبها هذا الكاتب الشاذ كلحق قصة الروائي أسماها :
ملاحق الروائي Episodes of Vathek

حياته بعد ذلك حتى أصبح يحلم وهو كبير السن بما قرأه عن الجن والسحر والتعاقد مع الشيطان ، لأنه كان يأمل أن يكون له ما كان للخلفاء العباسيين من ثروة وجاه وسلطان . وقد عاش حتى آخر حياته في عالم يحاكي العالم الشرقي وكان أحب الأسماء إليه التي كان يشتقها هي :

'The Caliph', 'The Arab', 'Vathek' وكان أعز أصدقائه اثنين من المستشرقين أحدهما إنجليزي والآخر فناني روسي A. Cozens والأخير منها لعب دوراً هاماً في حياة بكفورد البوعيبية موفا إياه أنها المثل الحق للحياة الشرقية الصاخبة ، وبمساعدة المستشرق الإنجليزي S. Henley تمكن بكفورد من ترجمة سبع قصص من حكايات « ألف ليلة » وكتب حوالي ثلاث عشرة قصة على غرار تلك القصة الشرقية التي يحول فيها الخيال ويصول بدون أي قيود أو اعتبار للزمان والمكان .

وقبل الكلام عن قصة Vathek أحب أن أشير إلى قصة رومانتيكية أخرى لم تنشر إلا في عام ١٩٣٠ مع أنها كتبت منذ عام ١٧٧٠ وهذه القصة إسما (الرؤيا The Vision) وأهميتها عندنا أنها كانت بمثابة تمرين أدبي قلم الكاتب قبل البدء في المفامرة الأدبية الكبرى وهي قصة الروائي التي كانت موضع الاحتمام والتقدير عند كثير من النقاد والأدباء الحديثين .

أن كثيراً من المؤلفين في القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يعرفوا معنى الحق والأمانة العلمية . وقد صور بكفورد السحر والسحرة والبذخ والجهنم والملاذات الجنسية بجميع أنواعها تصويراً حياً في هذا الكتاب . ولكن أغرب شيء أنه هل الرغم من أن كتب التاريخ في زمنه قالت : إن الخليفة الراجي كان من المعتزلة . فإن بكفورد تراهي له ظناً وعدواناً وهل حساب التاريخ أن يغير الحقائق ويحول الراجي من عبدة النار . وهذا خطأ فاحش . والتفسير الوحيد لتسوية حقيقة منسوب الراجي هو أن بكفورد ربط كل حياة بطل القصة من أول الأمر بإبليس عدو الله وهو في عقيدة المسيحيين ملك النار Prince of Fire والنار أو الجحيم هي نهاية مطاف الأمير الشرقي الذي تبغ خطوات الشيطان فهلك وشك في النار . وهذا طبعاً أمر ليس له أي أساس تاريخي وإنما جاء من فسح خيال هذا المؤلف المنحرف وهل ذلك فتخصيص الراجي في هذا الكتاب ما هي إلا شخصية خيالية Fictitious ليس لها سند تاريخي صحيح .

• • •

٤ — فكرة القصة وموضوعها ومصادرها :
لقد أجمع النقاد على أن الفضول والرغبة الجماعية في التمتع بتجارب جديدة والأفانية لدرجة تعذيب النفس هي الأمور التي تدور

والرؤيا The Vision وغيرها ، وبالإضافة إلى هذه القصص يمكن التحقيق من هذا الحكم إذا ما قرأنا مجموعة خطابات القرامية إلى صديقتهم وزوجة ابن عمهم وندهي (لوزيا Louisa) في هذه الخطابات نجد أبهى ما يتصور العقل من أمثلة فاحصة للرذيلة والفساد بكل معانيهما . ولا غرو فلقد كان بكفورد أحسن مثل لتلامذة الشيطان .

ومن الطريف أن هناك الكثير من القصة بين الكتاب نفسه وبطل القصة سواء من حيث المظهر والشخصية أو الظروف المحيطة التي لعبت دوراً هاماً في حياة المؤلف وبطل ونهايتهما . فبجانب القوة الجسدية والعقلية الفائقة نجد أن كلا منهما كان ينعم بجميع مظاهر الفخرفة والثراء والسلطان الذي لا أحد له وكلاهما كان شديد الطموح والطمع في الزيادة من ذخرف الحياة وملاذاتها .

ومن ناحية أخرى فإن بكفورد اعتمد في تصويره لشخصية هذا البطل على ما وقع تحت يده من كتب أوروبية فيها تاريخ حياة الخلفاء العباسيين ولا داعي الحديث هنا عن حقيقة أخرى يمر بها كل من الطالع هل مثل تلك الكتب التاريخية فقد كتبها مؤرخون أوروبيون اعتمدوا على مصادر غير موثوقة بها فكان طبيعياً أن يشوهوا بعض الحقائق . وهل الرغم من أن بكفورد قد حتى بصفة عامة بالنصوص التاريخية ، فينبغي أن تذكر

بالحصول على قوى خارقة ، وعلى كنوز الملك سليمان ، ومن قبله . وفي الطريق يقع في حب الفتاة الجذابة نورالهارا ابنة الأمير عمر الدين الذي استضافه ، وكانت هذه الفتاة على صغر سنها من شاكله هذا الفاسق الذي لم يرح حرمة الضيافة فاختطف منها فريسة شهواته وفر معها ليواصل الرحلة وبعد عدة مصاصب ومواقف حرجية وصل هذان العاشقان الطموحان إلى قصر الشيطان في جوف الأرض المعروف في القصة باسم قصر النار السفلية :

The Palace of Subterranean Fire.
ولقد ماكانت غيبة أملهما إذ وجدا أن محتويات هذا القصر المنيف التي من أجلها طمعا بكل عزيز وغال لا تساوي شيئا إطلاقا ، فالفائدة من كنوز الذهب والجواهر والماس في جهنم أحسكت أرواحه إلى الأبد ؟ وبعد فترة يتحول القصر بمن فيه إلى جحيم يستمر بلفظ نيران المفرورين الضالين أمثالها . وعندما تأتي الساعة المحددة ينالان عقابهما جزاء هدم كبح جماح عواطفهما الجامحة وجرائمهما البذرة . وتناجح قلوبهما نار وتستمر كذلك حتى يوم القيامة وبهذه النهاية المؤثرة ينتهم الكاتب قصته حين يقول :

"Such was, and such should be, the punishment of unrestrained passions and atrocious actions; Such is, and such should be the chastisement of blind ambition, that would transgress those bounds

عليها قصة الراحل . وهذه الأفكار الرومانسية التي انتشرت كثيرا في الأدب الأوروبي بلغت أوجها في مسرحية « فوست » التي كتبها الشاعر الألماني الكبير « جيته » في أوائل القرن التاسع عشر . ووجه القبه بين هذه المسرحية وقصة الراحل متوفر إلى حد بعيد غير أنه بدلا من جو المصور الوسطى التقليدي اختار بكفورد لفصته الخيالية أميرا شرقيا تقع تحت قدميه كل سلطات هذا العالم وملذاته . ولكن الراحل لم يقتنع بالملظة الدنيوية ومعرفة العقل البشري المحدود في فضوله الذي لا حده ؛ بل اندفع إلى البحث عن تعاريف جديدة وعن معرفة أوسع بالكون والأجرام السماوية لكي يروى ظمأه العظيم لتذوق المعرفة وروحيته الفريدة في التمتع بالمذات . ونعم تأثير أمه (فراطيس Carathis) وكانت مولمة بالسحر ، هيمنت على الخليفة فكرة أن تكون له قوة خارقة تفوق قوى البشر مهما كلفه ذلك الأمر . وكانت النتيجة أنه تعاقب مع قوى الشر ، وباع نفسه للشيطان وأصبح عبدا لإبليس عدو الله والبشر .

وقد تمسك مفلحا بجيل (مول الشيطان) الذي تقمص شكل قوم هندي بشع المنظر وسار الخليفة في موكب فاخر من طاحنة ملوك سامرا (سر من رأي) إلى خرائب اسطغر المسكونة بالأرواح الشريرة ، حيث وعد

من الخصائص المميزة القصة الرومانتيكية ولذلك اعتبرت نقطة التحول في تاريخ القصة الرومانتيكية في إنكلترا .

ويكفي الإشارة هنا إلى مقالة (بول إدوارد مور) Paul Edward Moore في كتابه القيم (تيار الرومانتيكية) The Drift of Romanticism عندما كان يتحدث عن علاقة بكفورد وقصة الخليفة الراحل بالحركة الرومانتيكية .

" If we look below the surface of things and penetrate through many illusions, we shall perceive in Beckford's vision of the restless throng, moving over with hand pressed upon flaming hearts, the essential type and image of the romantic life and literature".

أما مصدر المادة التي استخدمها المؤلف فهي مصادر فرنسية تحتوي ترجمة لأشياء مختلفة متصلة بحياة الشرق من حيث الأدب والتاريخ والاجتماع وغير ذلك ، وأشهر هذه المصادر ترجمة لكتاب د'ألف ليل وليف ، وموسوعة عن الشرق تدعى Bibliotheque Orientale مؤلفها D'Herbelot .

واستفاد أيضاً من قصة مغامرات خيالية شهيرة في وقته كانت تدعى :

The Adventures of Abdalla Son of Hanil.

وكذلك اعتمد المؤلف على كثير من كتب المسافرين الأوروبيون وعلى كتب الرحالة الفرنسيين والإنجليز .

دكتور محمد سمير عبد الحليم

which the creator hath prescribed to human knowledge; and, by aiming at discoveries reserved for pure intelligence, acquire that inflated pride which perceives not the condition appointed to man is to be ignorant and humble".

وكان مصير الراحل ، وما نزل به من عقوبة أليمة ، هو أهم فكرة في الكتاب والمشهد الأخير الذي تبدو فيه العاطفة المتأججة ،

وروعة الإحساس العميق . ولم يكن الكتاب نتيجة لخيال سليم ، ولكنه مأخوذ من واقع حياة كاتبه بكفورد الذي كان شعوره بالإثم وخوفه من العقاب يسيطران على نفسه طوال المدة التي كتب فيها هذا الكتاب العجيب الذي يعتبر بحق صورة لحياة كاتبه أو كما يقول هؤلاء النفس : Psychological allegory .

وهكذا أصبحت هذه القصة تعبيراً صادقاً عن حياة بكفورد الخاصة وعن علاقته بمن شاركوه في ارتكاب الجرائم الخفية أو من دفعوه إليها بشكل مباشر أو غير مباشر .

ولقد كان سر نجاح هذه القصة تماسك أجزائها وتسلسل الحوادث تسلسلاً طبعياً منطقياً لأن الكاتب لم يرفع نظره طوال سرد ما عن القصة المضمون لبطل القصة وبطلاتها : الخليفة الراحل وعشيقة نود النهار ، وهما يمثلان

في الواقع بكفورد وخطيبته (لوزا) المأجنة .

هذه هي القصة الوحيدة التي خللت اسم بكفورد Beckford حتى يومنا هذا ، وأهم خصائصها - كما قلنا - احتواؤها على كثير

القرآن الكريم مُنْجَمًا ومَجْمُوعًا

للأستاذ أحمد حنفي نصّار

قال : (يأتي الملك أحيانا في مثل صلصلة الجرس ، فيفصم عنى وقد وحيث ما قال ، وهو أشده على ، ويتمثل لى الملك أحيانا رجلا فيكلمنى ، فأعنى ما يقول) وفى كل الحالات ، كان جبريل عليه الصلاة والسلام يؤدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القرآن بلفظه ومن ذلك كان التبعيد بلفظه ، والإيجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه .

وأول ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جبريل عليه الصلاة والسلام ، كان بنوا حراة حيث بدأ الوحي ، وقد رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ، على صورته الملكية مرتين : الأولى ، وهو متهبط من السماء ، سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، فذهب إلى خديجة ورضي الله عنها فقال : (دثرونى . دثرونى) فأنزل الله تعالى : يا أيها المدثر . قم فأذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . . والثانية ليلة الإسراء والمعراج ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى . .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلما جاءه الوحي ، يحل على كتاب الوحي ما نزل عليه من القرآن ، ويعلمهم أن هذه الآية

القرآن الكريم ، كتاب الله المحفوظ ، هو الأصل الأول لهذا الدين الإسلامى الحنيف . أنزله الله جهة واحدة ، من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، فى الليلة المباركة ، من شهر رمضان ، ليلة القدر : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن . ، إنا أنزلناه فى ليلة مباركة . ، إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر . .

ثم نزل به الروح الأمين ، جبريل عليه الصلاة والسلام ، بهد ذلك مفصلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين كفروا ، لو لا أنزل عليه القرآن جهة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، وولتقاء ترتيلا ، وقرآنا فرقاه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ، وكانت مدة التنزيل ثلاثا و عشرين سنة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه ، وهو ابن أربعين سنة ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح .

وكان الوحي يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، على صفتين ، من طائفة أم المؤمنين ورضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف يأتي الوحي ؟

فلما نزلت سورة براءة ، ينقض العهد ، الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم ، والمشركين نزلت بغور بسملة ، وبسم بها النبي صلى الله عليه وسلم ، مع علي بن أبي طالب ، ورضي الله عنه ، فقرأها عليهم في الموسم ، ولم يسجل في ذلك ، على ما جرت به عادتهم في نقض العهد ، من ترك البسملة ، والله أعلم . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال : (البسملة أمان ، وبرائة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالأمان) .

ثم إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : (أقرأني جبريل عليه السلام على حرف ، فراجعت ، فلم أزل استريده ويدي ، حتى اتقى إلى سبعة أحرف) . (قال الزمري : بلغني أن تلك الأحرف السبعة ، إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا ، لا يختلف في حلال ولا حرام . وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو حنيفة القاسم بن سلام . حيث قال : حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي ابن كعب ، قال : ما حك في صدرى شيء منذ أسلمت ، إلا أنني قرأت آية ، وقرأها آخر غير قراءتي ، فقلت : أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أقرأني آية كذا وكذا ، قال : نعم ، وقال الآخر : أليس قرأتني آية كذا وكذا ؟ قال : نعم .

تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، وذلك بتوقيف جبريل عليه السلام إياه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يراجعهم ليضمن صحة ما يكتبون عنه ، فمن زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، أنه قال : كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يمل علي ، فإذا فرغت قال : (اقرأ) فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه .

وقد صح أن جبريل عليه الصلاة والسلام ، كان يعارض الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن مرة في شهر رمضان من كل سنة ، فلما كان العام الذي توفي فيه ، عارضه بالقرآن مرتين . فوضع الآيات في مواضعها ، وأسماء الأمور ، وترتيبها ، ووضع البسملة في أوائلها ، إنما كان بالوحي . وقد حصل اليقين بهذا الترتيب ، انتهى بين دفتي الله سبحانه الذي بين أيدينا ، من النفل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أجمع الصحابة - رضي الله عنهم ، على ذلك . وأما البسملة ، فلم تكتب في أول براءة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يأمر بكتابتها ، أي أن جبريل عليه السلام ، ما نزل بها ، قال الإمام القرطبي ، رضي الله عنه ، في كتابه - التذكار في أفضل الأذكار : (والمعنى في ذلك ، والله أعلم ، ما ذكره بعض العلماء . أنه كان من شأن العرب في زمانها في الجمالية ، إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، فأرادوا نقضه ، كتبوا إليهم كتابا ، ولم يكتبوا في أوله البسملة ،

ثم قال : إن جبريل وميكائيل أتيا ، فمعد جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : أزيد ، حتى بلغ سبعة أحرف ، وكل حرف كلف شاف ، .

والأحرف السبعة : سبع لغات متفرقة ، في جميع القرآن ، من لغات العرب ؛ فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة ؛ والثاني بلغة أخرى سوى الأولى ؛ وهكذا إلى السبعة ؛ وليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات . قال الإمام القرطبي : وقد أجمع المسلمون ؛ في هذه الأمصار ، على الاعتناء على ما صبح عن هؤلاء الأئمة (القراء السبعة) فيما رويهم ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات ؛ واستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله من حفظ الكتاب ، وقال مكي بن أبي طالب على ما ذكر في فتح الباري على صحيح البخاري : وهذه القراءات السبع (نافع وحاصم ... الخ) جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن .

ومعنى هذا أن الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع ، قال الإمام المحقق ابن الجزري : « ولا زلت استشكل هذا الحديث (أي حديث : أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف الخ) وأفكر فيه ، وأمن النظر من مخرويف وثلاثين سنة ، حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابا ، إن شاء الله تعالى ، وذلك أني تبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها ، فإذا هي يرجع

اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف ، لا يخرج عنها وذلك . إما باختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة ، نحو (قرح) بضم القاف وفتحها (آ آل عمران) أو في الحركات بتغير في المعنى فقط نحو ، وادكر بعد أمة ، (٤٥ يوسف) بضم الهمزة وتشديد الميم أي بعد مدة طويلة أو بفتح الهمزة وتخفيف الميم مفتوحة وما . بمعنى الفسيان . أو في الحروف بتغير في المعنى لا الصورة نحو تبلو وتتلو في آية ، هناك تبلو كل نفس ما أسلفت ، (٣٠ يونس) وعكس ذلك أي بتغير في الصورة لا المعنى نحو : « وادكر في الخلق بسطه ، (٦٩ الأعراف) بالسين والصاد . وإما بتغيرهما أي الصورة والمعنى نحو : « قاموا إلى ذكراثة ، (٩ الجمعة) قرئ : قامضرا ومثل ذلك ، كالمعين المنفوشة قرئ : كالمصوف و : وفركوه موسى : قرئ : فلكروه . وأما بالاختلاف بالتقديم والتأخير نحو : « وجاءت سكرة الموت بالحق ، (١٩ ق) قرئ : « وجاءت سكرة الموت بالموت » ومثل ذلك : « فأذا بها الله لباس الجوع والخوف ، (١٢ النحل) قرئ : لباس الخوف والجوع . وأما الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو : « ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب ، (١٣ البقرة) قرئ : « وأوصى بها » (زيادة الهمزة) وقوله تعالى ، وما علمته أيديهم ، (٢٥ يونس) قرئ : « وما حملت أيديهم فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها ، ولابن قتية ، وأي سبق به ابن الجزري قريب من هذا . ومعلوم أن هذا الحصر ليس تليها بمحوها

مسيلة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة ، بأرض
اليمامة ، وكان أصحاب مسيلة قريباً من مائة
ألف وجيش المسلمين نحو ثلاثة عشر ألفاً
فصدق المسلمون الخلة ، مستهينين بالموت ،
حتى ولي جيش الكفرة قاراً ، واستشهد فيمن
استشهدوا من المجاهدين ، كثير من الحفاظ من
الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

ثم كانت تلك الصحف عند الصديق رضي
الله عنه ، أيام حياته ، ثم أخذها عمر رضي
الله عنه بعده ، فكانت عنده محرمة معظمة
مكرمة ، فلما قتل كانت عند حفصة أم المؤمنين
رضي الله عنها وبقية عندها حتى أخذها عثمان
ابن عفان رضي الله عنه .

ولما قدم حذيفة بن اليمان ، على عثمان
ابن عفان ، رضي الله عنهما ، من العراق ،
وقد أفزع اختلاف أهلها في قراءة القرآن ،
قال لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه
الأمّة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب ،
اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان
إلى حفصة ، رضي الله عنها ، أن أرسل إلينا
بالصحف ، فنسخها ثم نردّها إليك ،
فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت
الأنصاري الخوارجي ، وجعل معه من
القرشيين عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ،
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وم جيباً
من أنجلاء الصحابة وفيهم زيد كاتب الوحي
وهو وعبد الله بن الزبير من الحفاظ ،
فنسخوها في مصاحف ، وأرسل عثمان

القراءة به ، بل منه ما هو منسوخ لعدم موافقته
لرسم مصحف عثمان الذي أجمعته الأمّة
المعصومة من الخطأ على ما تضمنه وترك
ما خالفه .

ثم قال ابن الجوزي بعدما تقدم : وأما
نحو اختلاف الإظهار والإدغام والروم
والإشمام ، والتفخيم والترقيق والنقل ،
وما يبر عنه في اصطلاح علماء هذا الفن
بالأصول ، فهذا ليس من الاختلاف الذي
يتنوع فيه اللفظ والمعنى ، لأن هذه الصفات
المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون
لفظاً واحداً ، ولئن فرض ، فيكون من
الوجه الأول ، وهو الذي لا تنفخ فيه
الصورة والمعنى .

وسبب اختلاف القراءات نشأ عن الكتابة
الأولى ، لأنها كانت لا نقط فيها ولا شكل
وهذا . كما قال ابن قتيبة . من رحمة الله ولطفه
بعباده ، أن جعل لهم مقسماً في اللغات ،
ومتصرفاً في الحركات كتيسيره عليهم في الدين .
وقد أجمع الأمّة على أن القراءة لا تكون
مقبولة إلا إذا اتفق لها أن تكون موافقة
لرسم المصحف العثماني الإمام . وإن تكون
موافقة لوجه من وجوه العربية ، وإن تكون
متواترة ، وكل قراءة لا تتوفر فيها هذه
الشروط فقد أجمع العلماء على رفضها .

هذا ، وقد قام أبو بكر رضي الله عنه ،
في خلافته بجمع صحف القرآن ، لأول مرة
وذلك ، لما اشتد القتل بالقراء ، يوم قتال

والكلمات ، ولا تغيير اللفظ ولا المعنى .
ومكيدا ، حفظ الله القرآن الكريم ،
في جميع مراحل ، حتى وصل إلينا ساجدا ،
على ما أنزله الله على رسوله ، ولا يزال كذلك
إلى ما شاء الله ، وصدق الله العظيم إذ يقول
لنبيي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلقى الوحي
حريصا على سرعة الأخذ من جبريل عليه
الصلاة والسلام : « لا تحرك به لسانك لتعجل
به ، إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع
قرآنه ، ثم إن علينا بيانه » ، وإذ يقول : « إنّا نحن
نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون » .

وكما أن الله جلست قدرته - وحده يحفظه ،
وقد صدق وعده ، فقد يسره كذلك للذكر .
« ولقد يسرنا القرآن للذكر » بالإمالة عليه
وتسهيل - حفظه ، بجزالة نظمه ، وحذوبة
ألفاظه وصباراته ، وترتيب آياته ، وسوره ،
وأيضا ذلك لكتاب غيره من المکتب
المقدسة السابقة عليه ، ومن باب أولى فلايس
ذلك لغيرها من كتب الخلق على الإطلاق .

وبدخل في التيسير لذكره ، ما نرى من
انتشاره في العالم كله على تنوع طباعته ،
وكثرة حفاظه واستمرار تلاوته ، آتاء الليل
وأطراف النهار ، وما يجد من سماعه من
الإذاعات العامة ، والخاصة به ، وكذلك تعدد
تفاسيره في جميع الصور مطبوعة ووجهة ،
لبیان معانيه ، وتحوييه إلى الأقسام منذ القرن
الأول إلى يومنا هذا ، ولا يزال أمره كذلك ،
ما تعاقبت الأجيال إلى ما شاء الله العمل التقدير .

أحمد مصطفى نصار القوصي

ابن عفان وحققه منه إلى كل أئمة مصنف ،
كما نسخوا ، وحبس بالمدينة واحدا ،
وأمر بما سواه من القرآن ، في كل صحيفة
أو مصحف ، أن يحرق ، وذلك خوفا أن
يكون في بعضها غلط أو أن تكون سببا
للكذب والاختلاف .

ودسم المصنف الثماني الإمام ، ليس
توقيفيا ، وقد أجمع الأئمة على اتباعه ،
ولاشك أن في هؤلاء الصحابة السكاكين
المذكورين رضي الله عنهم ، لم يكونوا على
درجة من الإتقان في الكتابة والتنسيق ،
لمساكنة العرب من البداوة ، وهضم نفسي
الكتابة فيهم ، ولذا خلت كتابتهم من الغلط
والشكل وما إلى ذلك .

وقد سئل مالك ، رحمه الله عليه ، هل
يكتب المصنف على ما أحدثته الناس من
المجاء ؟ قال : لا ، إلا على السكتة الأولى .
وقال عمرو ولا عتاب له من علماء الأمة .

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه : يحرم
عائلة خط مصنف هناك ، وإلى ذلك ذهب
شيخ الإسلام المزني عبد السلام ، وأضاف :
وذلك أثلا يوقع في تغيير من الجهال .

وأما نظمه وشكله ، فقد حدث من أواخر
القرن الأول ، إذ بدأ به ، على القول الراجح
أبو الأسود الدؤلي ثم تتابع بعد ذلك التحسين
في حياة النقط ، وزيادة علامات الشكل ،
والقواصل والتفريق وكل هذا لم يكن به
بأس ، لأنه من دواعي سرعة الفهم ، ومن
محسنات الكتابة ، لا دخل له في جوهر الحروف

فلسطين في شعر المهاجرين للأستاذ حسن جاد

(بلقور) المشتوم ، لم تكف هذه البلايل
النازحة عن ترديد صداها الأثر الحزين ،
وقد مرها النذير ، وروعتها النكبة ، فراح
أطارج البلايل المقيمة في الوطن العربي ، شجرا
بشجر ، وتنفجها بتفجع ، وأنيأ بأنين .

لقد بدأت بحب المأساة تتجمع جوع بلقور
الصهيونية في أن يمنحها من جيب غيرة ،
وأن يملكها مالا يملك ، فصدق ما قاله الشاعر
القروي المهاجر رشيد سليم :
الحق منك ومن وعدك أكبر

فاحسب حساب الحق ، يا متجرب
تعد الوعود وتقتضى إنجازها
صبح العباء خستف ، يا مستمر
لو كنت من أهل المكرم لم تكن
من جيب غورك محصنا يا (بلقور)
ولما وقعت الواقعة ، اهتز لها قلب الفاجر
إيليا أبو ماضي :

ديار السلام وأرض المنا
يشق على الكل أن يحونا
خطب فلسطين خطب الملا
وما كان خطب الملا هينا

في ضمير كل عربي مخلص لوطنه ، وفي
لحرويته ، تمشي عنة فلسطين الحبيبة ؛ تحز
جنبه ، وتدق قلبه ، وتحرق معاهره ؛ وشور
في صدره حفا مستعرا ، وسعارا مقبوبا
لنار المقدس .

وطالما استفاخت هذه الشاعر على السنة
التمراء في كل بلد عربي ، فتجاوبت بها آفاق
العروبة ، ورجعت صداها المرن الحزين ،
فتسكنا الجراح ، وأثار الخواطر ، وحرك
التجرب .

وتجاوزت المأساة حدود الوطن العربي
إلى ما وراء البحار ، حيث عاش في أمريكا
نفر من أبناء الشام ، هاجروا إليها فراراً
بحريتهم وأفلامهم من أمر الحكم العثماني
القاسم ، وبعين الاستعمار المظلم الظالم ، فلم
تبر عيونهم مفاتيح العالم الجديد ، ولم تشغلهم
حياتهم فيه عن قضاي وطنهم الحبيب ؛ بل
ظلوا مهودين إليه برباط العروبة الوثيق ؛
يسبقون في أحداثه ، وينددون بمظالمه ،
ويكونون آلامه ، ويرددون آماله ، ويحنون
إليه .

ومتذغم الأفق في سماء فلسطين جوع

طال إنشاقنا وأصبح طابا
من ترى جسراً اليهود الذئابا
فترك الذين قاليباً بطل
والذي في القرباب مل القربا
إن سفك السماء جرم ، ولكن
إن ذهبت اليهود تلق الثوابا
ومن الإثم ذبحهم في قبور
إن أشلام تسين القربا
ويشم ريح الحياة في الصفوف العربية ،
فيحمل العرب إثم الهنة ، ومستولية فلسطين ،
ويشور على التخاذل والحياة :
جنوا علينا ف ثارت حماستنا
غيظا ولاخف تحت السوط نليل
ذنب الطفلة كذنب الخافض لم
سيان في الحرم ظلام ومذلول
سيذكر العار أن العرب دهورم
يوم الكربة مجهول ومرذول
وليس يبرأ من ذنب الوني أحد
فكلمنا عن ضياع القدس مشلول
أجل ، فالعرب كلهم مشلولون عن فلسطين
ولن يبرأوا من إثمها حتى تتحد كلمتهم في
صف واحد لرد الوطن السليب . فالذين
يدعسون إلى مهادة إسرائيل ومفاوضتها ،
فيضعفون العوائم ، ويفرقون الكلمة ، يجرمون
في حق أوطانهم ، عاقنون لبلادهم . يقول
إلياس قنصل :

مهزلة ، فكانت اليوف
تحمو بأحكيادنا موحنا
قلل اليهود وأشياعهم :
لقد خدمتكم بروق المني
ألا ليت (بلفور) أمطاكرا
بلاداً له لا بلاداً لنا
فليست فلسطين أرضاً معافا
تتطلى لمن شاء أن يسكننا
فلا تحسبوا لكم موطننا
فلم تلك يوماً لكم موطننا
فإنا سنجل من أرضها
لنا وطننا ، ولكم مدقنا
ومع احتدام المعركة في هذه الأرض
المقدسة كان الشاعر (جورج صيدح) بطوف
بديوانه (التواقل) على الجوال العربية في
الأرجنتين ، ويرصد ربه لتكرب المعركة ،
وهو يهتف :
وطنى مافا على النازح لنت
ذكر القدس فصل ومجد
رب أرض دفنوها ظمت
لم يصلح فيها ما فسد
فما بالمسجدين ارتقعا
حيثا أسرى النبي المعتمد
ودم ، لا فبتة أفسداهم
قبل أن يقضى قضاء لا يرد
وعلى أثر مذبحة (دير ياحين) يرسل
العاعر (إلياس قنصل) هذه الشلة النارية :

نكبة القدس لن تطول إذا فرنا
 على الخوف واستعدنا السدادا
 فالذي يضعف المزائم بأسا
 مجرم كالذي يحون البلادا
 وأى هربى غلص لمروبه يرضى أن يذفس
 ترى أرضه المقدسة ، شرب ضائع هريق
 القدس ، كما يقول (نصر سمعان) :
 يا فلسطين قدسك الضحايا
 وكسك الخلود أسى بروده
 يدهى الحق فى ترابك شعب
 تألف الأرض من تراب جدوده
 ويهيب لشاهر الآخر (إلياس فرحات)
 بشباب العرب ، ويهدد الصهيونيين فى ثقة
 وأمل وإصرار :
 أشباب يهرب ثم فنحن هنا
 نلقى بملء صدورنا الهنا
 قل للغير على منازلنا
 كالسبل يتفد من هنا وهنا
 حملت نضك فوق طاقتها
 وركبت - ويحك - مركبا غشنا
 إن لم يكن زمن براقتنا
 لتأر منك سنخلق الزمنا
 فاجعل ضريحك جامزا أبدا
 وأعد نضك واحل الكفنا
 وما يزال يدهو (المتمولين) من أبناء
 العروبة إلى التضحية فى سبيل إنقاذ الوطن
 السليب ، بالمال والاتحاد والقوة :
 لو كان لى لفظ الكويك جعلته
 يمشى على جثث اليهود جنودا
 ماذا تفيد الصرب ثورة بعضهم
 مادام حائط جسد مهدودا
 ما أفقر المتمولين إذا هو
 كسبوا بخسران البلاد تقودا
 وإذا كان (الشاهر القروى) يستسلم أحيانا
 للبكاء ، ويكتفى بالدمع المزوف يستجديه
 من عيون اللاجئيين :
 أبعد فلسطين يناع على فقى
 وهل بقيت فى مفلة دمة بعد ؟
 ألا دمة من لاجئ استمدا
 لأبكيه بالبحر الذى جزوه مد ؟
 فإنه يشور أحيانا أخرى معزوا بحقه واتقا
 من النصر :
 يا مغربيا فى صكبت دماته
 فلا هزلت بنهر هذا المضزل ؟
 إن كنتى يوما باليهود مكرتى فى
 أنا غير همدك بالزمان الأول
 أغنائى الحق الذى أنا ربه
 عن وقفه المتحول المتوسل
 الأرض لى والدار لى ، والقول لى
 والفعل لى والسيف لى والنصر لى
 أما (ذكرى فضل) فإنه يشور لماساء اللاجئيين
 فى قصيدته (خرافة السلام) حيث يقول :
 لحنى على القدس افطوت أعلامه
 وكبت بأشبال التضال غيول

مليون كان في العراء تشردوا
 لم ينتج لوائهم مستول
 نصبوا على درب الرياح خيامهم
 يذكي جراحهم غسد مجهول
 يا شامدين على الرذيلة دولة
 البطل يوم ضاحك ويزول
 لا ترخصوا للنصر فهو بداية
 إن الختام ندامة وعويل
 صحت العروبة من حيق سباتها
 وتحفرت تحت البنود شبول
 أرتموا بالكيد ثورة حقنا
 ناب الكريم إذ استقر أكل
 متى يتحرك الضمير الإنساني لمؤلاء
 المشردين ؟ إنهم ضحية الوعود الكاذبة ،
 والحياة الآثمة . ولكن قضيتهم أمانة
 في أعتاق العرب والمسلمين ، إن غفلوا عنها
 طاشوا أدلاء . هكذا يقول (إلياس
 فرحات) :
 أحمية الكذب المقنع والحياة والرياء ،
 أوت الذئاب إلى مطابعكم وأنتم في العراء ،
 أقتلبون مشردين ، مصيركم بيد القضاء ؟
 وغيركم حيرى تفقش عن مفاتيح الرجاء ،
 وقلوبكم ولهى صخرة تنور بها النساء ؟
 ومن البلاء تصديقكم بعض الوعد
 وما الوعود سوى هراء .
 إن لم تعودوا لحسى الباكي وأنتم تهزجون .
 والحق يزأر في مقدمة الكتاب والمنون .
 فالعرب والإسلام في الدنيا كوه الزيفون .
 والمسلمون أذلة ، تحت المقارع يرقصون .
 ويهيمون إنا بمحذاه وبالعالمين لسلون .
 صبرا يا فلسطين ، لقد دنت الساعة الفاصلة
 واستعد جيش التحرير لخلاصك ، فالعرب
 آتية ، وصليل السيف أفصح من مقال اللسان
 وصوت المدفع أقوى منطلقا فرد الحق
 السليب من منطق الكلام ، صبرا يا فلسطين
 مع شاعر المهجر الجنوبي (حسي غراب) :
 صبرا فلسطين صبرا وراقبي فرجا
 لا بد من عجب يأتي به وجب
 فلينفقوا في سبيل النصر ما كنزوا
 من السباتك حتى ينفذ العجب
 الحرب آتية ، والسيف متدب
 لحل ما عجرت عن حله الكتب
 صوم باد
 الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْأَسْطُورَةِ

لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْتُون

ومنا عرف أبو صفيان أنهما سعد بن معاذ
وسعد بن عبادَةَ المَقْصُودَانِ بِهَذَا الْخِطَابِ .

نعم إنه أبو ثابت سعد بن عبادَةَ بن دليم
ابن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الحزرج ،
سيد الأنصار وحمدة بني ساعدة ، ومن كان
يُشار إليهم بالبنان من أهل المدينة ، وكان
المرشح الأول للخلافة من بين الأنصار بعد
وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، لو كان مقدراً
أن يكون أول خليفة منهم دون قريش ، وله
عن النبي عشرون حديثاً ، وروى عنه بنوه
قيس وسعيد وإسحاق ، وسعيد شرحبيل
ابن سعيد ، كما روى عنه سعيد بن المسيب
والحسن البصري . وكذلك من الصحابة
ابن عباس وأبو أمامة بن سهل .

وأما (عمرة) الثالثة من بنات مسعود
ابن قيس الخزرجية ، بآية النبي . وتوفيت
بالمدينة في ربيع الأول من العام الهجري
الخامس ، حيث كان النبي في غزاة (دومة
الجندل) ، وأنها في المهاجرين معه ، فلما عاد
النبي إلى المدينة أتى قبرها ففعل عليها وترحم ،
وكان عليها نذير أن تموت ، فاستشار
سعد بن أبي الله في أن يقصيه عنها بسد موتها .
فأشار عليه . فتصدق بمائة (الخراف)
وقام وصلة منه لأمه ، وقضاء لحق الأمومة
عن أخته مندوس وليل .

حسبه أن يكون من الأنصار ليصدق عليه
قول حسان وهو من الحزرج مثله :

سَمِعُوا اللَّهَ أَنْصَاراً بَنَصْرَهُمْ
دِينَ الْهَدَى وَهُوَ الْوَأْنُ الْحَرْبُ تَسْتَعْرِ
وَسَاوَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا

لِلنَّبِيِّاتِ وَمَا عَافُوا وَمَا ضَجَرُوا
فَمَا يَأْتِيكَ وَهُوَ رَيْسُ الْحَزْجِ وَزَعِيمُ
الْأَنْصَارِ هَيْرُ مَنَازِحٍ ، وَأَحَدُ النُّبِيَاءِ الْآخِرِ
هَشْرُ الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ فِي (الْعَقِبةِ الثَّانِيَةِ) ،
وله الكرامة في الجمالية والصحة في الإسلام
والجهاد في سبيل الله ، ومع ذلك تناثرت
أخباره في صفحات النسيان ، ومن العجب أن
تكون حياته المخافة بجلال الأعمال محصورة
بين قوسين من أساطير الأولين .

دعوا أن قريشاً سمعت هاتفاً على جبل
أبي قيس يقول :

فَإِنْ يَصْبَحُ (السَّعْدَانِ) يَصْبَحُ مُحَمَّدٌ
بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْخِثَالِ

وكان أبو صفيان بن حرب فيمن حميم
لقب هذين السعدين ، فلم يسترح له جنب
إلا عندما عاد الخائف بالليل يقول :

أَيَا سَعْدَ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِراً
وَيَا سَعْدَ سَعْدِ الْخَزْجِيِّنَ الْفَطَارِ

أَجِيبَا إِلَى دَاغِي الْهَدَى وَتَمْنِيَا
عَلَى اللَّهِ فِي الْفَرْدُوسِ مَنِيَا عَارِفِ

الكرم والجود ، أما سعد فكان يمشي ثمانين رجلا ، راضية بذلك نفسه ، وفي (سرية الخط) اشتد الجوع بالمسلمين حتى كانوا يفتسمون الثمرة الواحدة ، فيشترى ابنه قيس ابن سعد خمس جزائر ، على كل جزو وسقان من التمر وينحر لحم كل يوم جزوا . وكان سعد يكتب بالعربية ، وقلبا كان العرب يكتبون ، وكان يحسن العموم والري ، والعرب تسمى كل من يتقن ذلك (الكامل) وما من غزوة أو سرية إلا كان لسعد فيها موقف كريم في الجود بالمال أو السداد في الرأي أو الإخلاص في القداء .

وكان سعد على رأس تسعة من المخزرج بايعوا النبي فبينما بايعه من الأنصار يوم (العقبة الأخيرة) . حيث قرر الناس من (م) . فأخذ القوم يستظلمون الأخبار فأدركوا المخزرجين حمرا وسعد بن هبادة ، أما المنذر فقد أفلت ولم يدركوه ، وأما سعد فقد سقط في يده عند مدخل مكة ، فأخذوه وأوثقوه ، وظلوا يضربونه حتى دخلوا به مكة وما زالوا به يحدونه من شعره الكثيف وهو يحتمل الأذى في سبيل الحق - وكأفاهه نصب أحره ، كما يقول اللهجي - حتى وقف على أمره نفر من قريش ، فهم رجل جميل الطلعة ظاهر الوضاعة هو سهيل بن عمرو ، ظن سعد فيه خيرا . فإذا بسهيل هذا يخيب رجاءه ، ويقلب عليه كالوحش السكار . فيفاجئ سعدا بلسكة تفقده صوابه وأخذ

تزوج سعد من فكيهة بنت عمه ، فولدت له أمانة وسفوس وقيس الذي هو أحد دعاة العرب ، وكانت قد أسلمت وبايعت النبي ، وتزوج أيضا غوية بنت سعد بن خليفة بن الأشرف ، وقد أسلمت هي الأخرى وبايعت . أما جده لأبيه دليم بن حارثة ، فكان له ولابائه في الجاهلية أطم ينادى عليه : من أحب اللهم واللهم فيأت أطم دليم بن حارثة وعلى هذا المنوال تسجد الأيام حياة سعد ، فكان الملك الشريف المطاع الذي سار على نهج آباءه وأجداده ، وما يؤثر عن جده هذا أنه كان يهدي (مائة) عشر بدنا في كل عام ، وكذلك كان يفعل هبادة ثم سعد حتى أسلم ، ثم صار ابنه قيس يهديها إلى الكعبة وتلك هي إحدى الخصال التي تألفت منها دعامة سعد ، وهي خصلة مورثة محمودة في جاهلية العرب وفي الإسلام ، حرص عليها صاحبنا أشد الحرص ، ليستشكل جده ، ويستوفى زعامته ، فكان يدعو : اللهم هب لي حمدا ، وهب لي مجدا ، لا مجد إلا بفعل ، ولا فعل إلا بفعل ، اللهم لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه .

اشتهر سعد في الجاهلية بأمره في عناصر القوة والتميز في شخصية كل من توهله الظروف للزعامة ، فقد كان الكريم الجواد هو وأبوه وجده كما رأينا ثم ولده من بعده ، وكان إذا أسمى النهار انصرف الرجل من المسلمين بواحد أو اثنين من (أهل الصفة) إلى بيته حيث

والعدة والمنحة ، ولكنه نزل عند أبي أيوب
الأنصاري ، وكانت جفنة سعد مع ذلك
لا تخطئ . التي ليلة واحدة ، بل كانت تدور
مع النبي حيث دار بكل دار من دور أزواجه ،
ولما خرج النبي في غزوة الأواء استخلف
على المدينة سعدا لما له من المكانة عنده .
وفي (غزوة بدر) حيث كان المسلمون
قلّة أمام كثرة قريش ، لم يجد النبي ما يحمل
الأنصار عليه ، فسرعان ما قدم سعد عشرين
بعلا ، فدعا له النبي بالخير ، وكان (الغضب) -
وهو السيف الذي غزا به النبي في غزواته تلك -
قد وهبه إياه سعد . وإن كان سعد لم يشهد بدرا ،
مع شدة حرصه عليه ؛ فقد نهش ، وهذا
موسبب تحلفه ؛ ولم تقته غزاة بعدها أبدا .
ولما عقد النبي مجلس الثوري في أمر
أبي سفيان . قام سعد يقول : لو أمرتنا
يا رسول الله أن نخفيها البحر لأخفناها ؛
ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى (برك
الغمام) - باليمن - لفعلنا .

وكان سعد يحمل راية الأنصار ويتكلم
بلسانهم ؛ وبلغ من النبي مكانا ساميا ؛ ففى
(أحد) دفع إليه نواء الخروج ؛ ونبت
معه ، فبمن ثبته . ولما وضعت الحرب أوزارها
خرج النبي - وهو جريح متوكئا بين السدين -
حتى رجع إلى بيته ، وأذن بلال لصلاة المغرب
فخرج يتوكأ عليهما كذلك فصل ثم عاد . .
وظل سعد الكريم الجواد على الدوام

السفهاء يسحبونه ، ويمعنون في تعذيبه
والتشكيل به ، حتى دنا منه أحدهم . وقد وقله
قلبه . وقال له مامسا ؛ ويحك أما بينك وبين
أحد من قريش جوار أو عهد ؟

تذكر سعد - حينئذ - أنه كان يكرم
العاصم بن وائل كلما قدم المدينة ، ويحير تجار
جبير بن مطعم ، ويمتنع عنهم أذى البهانة .
وكذلك الحارث بن حرب . . فقال الرجل :
ويحك فاعتف باسم أحدهم ، وذكره بمالك
من مكرمات ، ففعل وخرج فوجد بعضهم
هذه الكعبة فقال لهم : إن وجلا من الخروج
يتعذب بالأبلح ، ويهتف بكم ويذكر ما كان
بينكم وبينكم من صلة وجوار ، فسأل أحدهم :
من هو ؟ وقال آخر : لعله سعد بن عبادة
وقال ثالث : صدق والله ، فقد كان يفعل
كذا وكذا . . وما أسمع ما يخلصوه من أيدي
القوم فانطلق ، والقوم في خجل من أنفسهم ،
حتى لقد قال ضرار بن الخطاب وهو جانيق ،
تداركك (سعدا) عنوة فأخذه

وكان شفاء لو تداركك (منذرا)
ولو نكته طلت هناك جراحه

وكان حريا أن يهان ويهدر
فرد عليه حسان بن ثابت قائلا :

فلسه إلى (سعد) ولا الفرء (منذر)

إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
ولما قدم النبي المدينة مهاجرا كان سعد
أحرص وجل على نزوله بينهم في السدد

إلى المدينة ليخرجني الأهر من هنا الأذل ،
وتشاور النبي في أمره مع الصحابة . فدخل
سعد من الزاوية التي يؤمن بها ، ويحكى النبي
مرايا أنه قد بعث قوماً ابن سلول ينظّمون
له الخرز ليتوجوه ملكاً عليهم ، ولم يبق
إلا خرزة واحدة كانت عند يوشع اليهودي
فلما أعر الله العرب بمحمد ، أذل ابن سلول
فما يرى إلا أن محمداً قد سلبه ما كان المزعوم
وارفع سعد على مستوى الانتقام ، وأشار
على النبي أن يرفق بابن سلول .

وفي حادث الإفك ، تحتمل ففتنة الأوس
والخزرج فيما اندفعت إليه . ويحاول سعد
ابن معاذ أن يؤذي شعور الخزرج فيمن تولى
كبره فيهب سعد بن هبادة ليدافع في حرارة
ولمعان عن قومه ، ويوشك السعدان أن
يتقاتلا ، لولا أن رسول الله قد أخذها قبل
أن تستفري ، وهاد الصفو إلى القلوب كما كان
وعدأت العاصفة الهوجاء ، ومضت القافاة .
وتظهر مزاج سعد في الحسن أيضا عندما
يتصدى صفوان بن المعطل لمجو حسان
ابن ثابت وسبه ، وهو شاعر النبي والمنافع
دونه بلسانه .

أمسى (الجلابيب) قد عزوا وقد كثروا
(وابن القريفة) أمسى بيعة الجبل
ويقضى النبي بحبس صفوان ، ويقف سعد
خطيباً في قومه يتحدث في أمر صفوان وقد
أسلم . وينسكرك عليهم ما فعلوا ، فيقولون :
إن النبي بذلك أمر ، فهد عليهم سعد : ولكن

في كل موقفه . ينذل المال في سبيل الله ، فما
جاءته (غزوة حراء الأسد) حتى ساق
ثلاثين بعيراً بأحاملها ، والجزائر خلفها ،
وصارت الثيران توقد ليلاً ، والمسلمون
ينحرون ويطعمون ، والهدى في فزع وحلج ،
وكذلك كان سعد في (غزوة بني النضير) .
فقد أرسل النمر على الجبال لإطعام المجاهدين
من المهاجرين والأنصار . ولما غنموا من
اليهود ما غنموا ، قسم النبي عليهم النبي ، ونخص
المهاجرين والمؤلفة قلوبهم فتغيرت قلوب
بعض الأنصار ، وأوشك الفضل أن يذهب في
نفوسهم لولا أن وقفوا من النبي على الغرض
النيل الذي يرى إليه صاحب الدعوة ،
فاطم أنوا عندئذ ووضوا ، ودما للأنصار :
اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ،
وأبناء أبناء الأنصار .

كان لسعد في هذه المشكلة وقفة الرجل المترن
المتدبر الذي يقول للنبي في حراء وصراحة
مع الأدب الجيم : يا رسول الله ، ما أنا إلا
من قومي ، وفي الوقت نفسه ، ما كانت الزبنة
لتحاصر صدره قط في أي أمر يبرمه
رسول الله .

وركب النبي ذات يوم إلى سعد يزوره وهو
مرضى ، فيصر به رأس المناقنين هبده الله
بن أبي بن سلول ، فالتقى على مسامع النبي من
خش الخول ما جعل سعدا يلج في وجهه
الشريف أثر ذلك ، وأدرك أن ابن سلول
قد أعمى في التحدي حتى قال : « لن وجنا

الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا قهروا في الدين ، من هنا برزت خصال الأمانة في سعد ابن عبادة السيد الجواد والبطل المغوار والمفسر الحر والمقدم في القوم ، لهذا بعث النبي معه بعض السبايا والدولرى من بنى قريظة إلى الشام ليسمهم ويشترى بهم خيلا وسلاحا ، وذلك مهمة وكلها التي إلى من يرتفع إلى مستوى خطرهما بمزاياه ، كسعد الأمين على سيرة الدين ، فإذا كانت الأمانة مؤحلا لسعد في هذا الأمر ، فهي أيضا مؤحلا لأن يكون من أهل الشورى الذين يعتمد بهم في المهمات .

في (حمرة الحديبية) استشار النبي سعد بن عبادة وحر بن الخطاب ، فأشارا عليه أن يؤخذ المسلمون أمبتهم ، وكان سعد أحد الثلاثة الأماناء الذين قعدوا إلى يهود بني النضير يدعوهم إلى الإسلام ، ويذكر ونهم بما هو عنه فتقدم في الكتاب ، وتعمل حكمة سعد أيضا عندما بعث النبي بعض رجال من الأوس والخزرج يستظلمون خبر القوم في (غزوة الخندق) فإذا به يدرك أنهم على أسوأ حال وينبرى لهم زعيم الأوس يشاتمهم لحنة في طبعه لا تبرحه ، ولكن ابن عبادة . يؤوب إلى العقل فيقول لابن معاذ : دع هناك مشاتمهم ، فإيئنا وبفهم أوبى من المشاتمة .

وما يحكى عن سعد وابنه قيس أنهما جدا براملة إلى رسول الله - وقد ضلقت زاملته في (حجة الوداع) ثم وجدهما - فرد إلى سعد زاملته شاكرأ له هذه الأريحية وقال :

رسول الله قد قضى لكم بالحق ، وإنه ليجب أن يترك صفوان ، والله لا أبرح حتى يطلق ونظر حسان في هذه الشبهة التي أبدأها سعد فترك حقه وهو ذلك على قومه ، فأخذتهم العزة بالإثم ولكن قيس بن سعد وقف يقول : عجباً لكم . ما رأيتم ، يا قوم إن حسان قد ترك حقه . وتأبون أقم ، وعندئذ خجل الخزرج لما في طباعهم من رقة وسماحة فأطلقوا سراح صفوان إكراما لسعد الذي مضى به إلى البيت فكساه ، وخرج إلى المسجد فصلى معه فنظر النبي إليهما ، وعلم بما فعله سعد فلما له دعاء اهتز له أريحية سعد فأعطى صفوان بستانا به نخلات كانت تحمل عليه الكثير .

دنا العام السادس من الهجرة في (غزوة ذي لرد) أو غزوة ابن صينة) كما كانت تسمى - تخلص خصال سعد في الكرم والنفاء معززة بشهادة الخزرج له في حضرة النبي فإنه لما أسلم إليه الراية أقام خمس ليال يحرس المدينة في الثمالة من قومه ، وبعث أحمال التمر وحشر جزائر مع ابنة قيس ، فأعجب النبي بهذا كله فقال : يا قيس بشك أبوك قارسا ، وقرى المجاهدين وحرس المدينة من العدو ١١ اللهم أرحم سعد وآل سعد ، ثم قال : نعم المرء سعد بن عبادة ، فقال الأصغر لإعجابا بزعيمهم : يا رسول الله هو بيننا وسيدنا وابن سيدنا ، كانوا يعلمون في المحل ويعملون الكل ويقرون الضيف ويعطون في الثأبة ويحصلون على العشرة ، فيقول النبي - وقوله الحق - «خيار

يطلق لتفكيكه عنان الحرية ، وطالما كان
يتروخاها في حضرة الرسول ، إذا نزلت آية ،
أو جاء ما يناسبها من أحداث ، فقد تليق
هذه الآية الكريمة ، والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك
هم الفاسقون . إلا الذين تراءوا من بعد ذلك
وأصلحوا فإن الله غفور رحيم . فقال
سعد : هكذا أنزلت يا رسول الله ؟ وينظر
النبي إلى من حوله ويقول : يا معشر الأنصار
ألا تسمعون إلى ما يقول سيديكم ؟ قالوا :
لا نله يا رسول الله فإنه غيور ، والله ما تزوج
قط إلا بكراً . ولا طلق امرأة قط فاجترأ
أحد أن يزوجها بعده . ولكن سعداً
وهو الراق من نفسه المعز براه - يقول :
يا رسول الله والله إنى لأعلم أنها حق .
وأنا من الله ، ولكنى قد سمعت أن لو
وجدت لكاح قد تفضضما رجل لم يكن لي
أن أميجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء .
فلا آتي بهم حتى يقضى حاجته . .
ومن ذلك أيضاً أن النبي أراد أن يعطى
عطفاً من ثلث ثمار المدينة ترجع من الحرب
وعقد النبي مجلس شورى ، وحضر الصدان ،
فقال النبي : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصحه
أم شيئاً أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ،
أم شيئاً نصحه لنا ؟ فقال النبي : بل شيء
أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأتق

أما بكفيتك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك
منذ نزلنا المدينة . ؟ فيرد سعد قائلاً :
يا رسول الله ، المنة لله ورسوله ، والله
يا رسول الله ، إن الذي تأخذ من أموالنا
أحب إلينا من الذي ندع ، فيقول النبي :
صدقتم يا أبا ثابت . أبشر فقد أغلقت ،
إن الأخلاف بيد الله ، فمن شاء أن يمنعه منها
خلفا صالحا يمنعه ، ولقد منحك الله خلفا
صالحا . فيحمد سعد ربه على ما أنعم به
عليه ، ويلتفت ثابت بن قيس بن شماس
إلى النبي ، فيذكر ما كان لأهل بيت سعد
في الجاهلية من أفضال وأجود ، فيقول عليه
الصلاة والسلام : الناس معادن . خيارهم
في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا .
لم ما أسلوا عليه .

ويشاء الله أن نحل بركته في قرية سعد
ابن هبادة ، فيستكثرون بمصر والاندلس
فقد ذكر رجال التراجم عدداً كبيراً منهم
حتى القرن الثامن الهجري . كان منهم بالاندلس
الشعراء والعقلاء والقضاة والأطباء والنحاة ،
وكان أول زوولهم (سرقة) ومنها انتشروا
في سائر المدن الاندلسية ولا سيما قرطبة
وغرناطة ، وكان منهم الأشرار المكرمون ،
والعلماء الأجلة كأي المعبس المرسي نزيل
الإسكندرية والوافد عليها من (مرسية)
الاندلس ، فسمى المرسي .

وكان سعد - إلى جانب ما وأبنا من خصال -

منوهاً ، فكان يقول وابنه قيس يحفظ ما يقول ويبيده على الناس من كثرة جوعهم ، وعلم أبو بكر وعمر لخضرا عن فورهما خشية أن يبايع الناس ابن عبادة فتقتل الخلافة من قريش إلى الأوس والخزرج فيتنازعون فتذهب ريعهم ، وحسم الأمر ، وعرض على دعوى الانصار : منا أمير ومنكم أمير ، وأدرك الجميع عاقبة الخلاف ، فارتضوا أبا بكر خليفة لرسول الله .

أما التساريخ الذي أفاض في مناقبه سعد وقومه في الجاهلية والنبوة ، فقد سكت عن أخباره بعد ذلك ، حتى لقد لقي عمر سعداً ذات يوم في طريق المدينة ، ولم يشأ سعد أن يخفي عن أمير المؤمنين كراهيته لجوارحه ، وما لبث غير قليل حتى انتقل إلى القام فبات بهوراً في العام الخامس عشر من الهجرة ، وقبره بالمنيفة من غوطة دمشق مشهور يزار إلى يومنا هذا ، ويردد المؤرخون جميعاً أنه ما من صريح الجن في بر أو فسق ، إذ حضر على جلده وقد اخضر ، وكما عرفوه أسطورة في البداية ، عرفوه أسطورة في النهاية ، فزعوا أنهم سمروا بالمدينة عاتقاً بقول :

قد قتلنا سيد الخز

رج سعد بن عبادة

ومينا بهمين

فلم نخلف فؤاده

فلم نخلف فؤاده

وأبى العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبرق من جانب ، فأودت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما .

وفي (يوم الفتح) - وقد جاء نصر الله - أمر النبي سعداً بأن يدخل مكة من (كداء) ، فلما دخلها استقبله به نفوة النصر - إذ مر بأبي سفيان ، وقد أسلم - فصاح سعد : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً » ، فسمعها عمر ابن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان ، فما كان أمرهم إلى النبي : يا رسول الله ، أسمع ما قال سعد بن عبادة ، والله ما نأمن أن يكون له في قريش صولة .

ونأثر أبو سفيان أشد التأثر وظن أن النبي أمر بقتل قومه . وغضب النبي وأمر علياً ابن أبي طالب أن يدرك سعداً وأن يأخذ الراية منه ، ويدخل بها مكة ، وقيل إن النبي أمر بدفعها إلى قيس بن سعد ، ولا يجب فقد كان سعد غيوراً شديد النفرة ، جاء عن ذلك في حديث النبي : « إن سعداً لفيور ، وإنى لأخبر من سعد ، والله أعير منا ، وضرة الله أن ترق عاومه » ، وقال لأبي سفيان مواشياً ليسح من صدره ما يحس أن يكون قد حلق به من قول سعد : « اليوم يوم المرحمة » ، اليوم أهر الله قريشاً .

وقبض رسول الله ، واجتمع الانصار حول سعد في سقيفة بني ساعدة ، وكان يومئذ

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

دكتور محمد مجيب الدين الزواوي

- ٢ -

عبد الحمى بن عمر الدين في الثامن عشر من رمضان سنة ١٢٨٦ هـ في بلدة دواي بريل، على مقربة من مدينة لكهنؤ في شمال الهند وقد نشأ على الاطلاع والجمع، وكان ذلك ذوقاً توارثه من أبيه السيد عمر الدين بن عبد العلي الحسني صاحب المؤلفات العديدة في التاريخ والأنساب، وكان له في هذا الموضوع هوى من الصبا. كما وصف نفسه في مقدمة كتابه نزعة الخواطر، حيث قال: أما بعد: فإني منذ عرفته اليمن من الشمال، وميرت بين الرشد والضلال، لم أزل ولوعاً بمطالعة كتب الأخبار، مضى بالبحث عن أحوال الأدباء الأخيار، حرصاً على خبر اسمه أو شعره رتق شمله فأجمعه حتى اجتمع عندي ما طاب ورائه، وزين بمحاسن لطائفه الأفلام والأوراق. فاقصرت منه على أخبار أدباء الهند التي أنا فيها. وضربت صفحاً عن أدباء الأقاليم الأخرى التي تنافها؛ حرصاً على جمع ما لم يجمع؛ وتقييد شيء لم يقل إلا ليقيد ويصمغ.

تحدثنا في المقال السابق عن مساهمة علماء الهند المسلمين في نشر التراث الإسلامي والثقافة العربية، وتناولنا بعض مؤلفاتهم العربية في مختلف العلوم والفنون، وتقدم الآن المؤلف العربي القيم، نزعة الخواطر وبهجة المصامع والنواظر، للعلامة السيد عبد الحمى بن عمر الدين الحسني، المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ، وهو كتاب كبير، أو موسوعة علمية في ثمانية أجزاء، لخص فيها واقتبس من ثلاثمائة كتاب في العربية والفارسية والأردية، ما بين خطوط ومطبوع، من تراجم علماء الهند ومؤلفاتهم وطبقاتهم مع تهذيب وتنقيح وتلخيص وتحقيق حتى أصبح الكتاب يحتوي على تراجم أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ويصف من رجال الهند ذوي الشأن في العلوم والفنون والآداب وتاريخ بلادهم.

وقبل أن نستعرض محتويات هذا الكتاب القيم، نقدم نبذة عن مؤلفه وصفاته التي أهلته لقيام بهذا العمل الجليل: فقد ولد العلامة

٣ - هدم تحيزه إلى فئة في التاريخ وعلم
تدعيه بلغة ؛ بل يؤدي الأمانات إلى أهلها .
٤ - معارفه في جميع العلوم السائدة
في عصر المترجمين والسلف من علماء الهند
وكانت له بصيرة نافذة في تراجم رجال الهند
وأعيانها ومدارسها الفكرية المختلفة .
٥ - قلبه السيال وبيانه السلسل في تقييد
الحوادث وتراجم الرجال لجعل كتابه الذي
نحن بصده علماء وأدباء ومثقف لا يجل القارئ .
مطالعة ، بل يتقلب منه في حديقة غناء يتجول
في أطرافها حتى أصبح كاسمه زهرة الخواطر
وقد بقيت هذه المكتبة العلمية العاصرة
بعد وفاته ترثها حوزة أولاده ، ومنه في
ثمانية أجزاء ، يتضمن الجزء الأول تراجم
علماء الهند وأعيانها فيمن قدم إليها من علماء
المسلمين من القرن الأول إلى القرن السابع
الهجري ، والجزء الثاني في أعيان القرن الثامن ،
وهكذا كل جزء في قرن كامل إلى الجزء الثامن
الذي هو في تراجم علماء القرن الرابع عشر .
ولما طبعت دائرة المعارف العثمانية بمبندو
آباد كتاب « الدور السكمانية في أعيان المائة
الثامنة » ، للعلامة ابن حجر العسقلاني عام
١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) طبع الجزء الثاني من
زهرة الخواطر أيضا إكمالاً لتاريخ القرن
الثامن ، وذيلاً للدور السكمانية ، وبقي سائر
الأجزاء مودعا في مكتبة المؤلف
وكانت الطبعة الأولى للجزء الأول من

وهكذا نشأ الشيخ عبد الحمى على معرفة
طيفات الرجال وخصائصهم ودقائق أخبارهم
فكان له كما يقال : فن تاريخ الهند سليقة وذوقا
إذا كان لغوه صناعة وكذا ، وبمدان درس
المكتب الدراسية في الصرف والنحو والدقة
والأصول والتفسير والمعقولات ، وكتب
الحديث على أشهر علماء الهند في عصره حرص
على التبحر في آداب اللغة العربية والفارسية
والأردية ، وكان يدرس الأدب والطب
والحديث والقرآن ، ويقضي معظم أوقاته
في مطالعة الكتب والتصنيف ، وقبل بضع
سنين لوفاته كان يحب تدريس التفسير والحديث
فرغب عن سائر العلوم ، ولم يكن يشتغل
إلا بهذين العلمين ، وتوفي رحمه الله في الخامس
عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ هـ ودفن
في مسقط رأسه .

ومن الصفات التي ساعدته على القيام بهذا
العمل الجليل والتأليف في هذا الفن الخطير
١ - مواهبه في التاريخ ، وقد رزقه الله
صفاء الحس وقوة النظر ودقة الملاحظة ،
فيضع الرجل في طبقته ، ويصفه بدقة ، فهو
في ذلك يعبه ابن خلكان في وفيات الأعيان
٢ - إقامته وإحكامه في التدوين ، فلم
يستعجل في كتابه ولم يبادر بنشره بل كان
ينقح ما كتب ويهذب ويراجع المصادر
ويستأنف النظر حتى ينقح بما ذهب إليه في
نقد الرجال ووصفهم بطول الدراسة والممارسة

حتى صار كتابه تاريخاً حياً لم يزل يحمل في جوانحه قلباً مليئاً بحضة الروح ، ورواء الطبع ، وصنوبة الخلق ، واحتل المؤلف كتابه بقوله :

« الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وحله البيان ، وأزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأعجز مصانع البلاء عن المعارضة بالسان ، إلى المقارعة بالسيف والستان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد فاتحه كتاب الوجود ، وغاتمة أبواب الوحي والكشف والشهود ، والتفيع المشفع في المقام المحمود ، من سطع نوره على كل موجود ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، الذين أيدوا الشريعة السمحة الفراء ، وأسسوا أبنية قواعد البضاء ؛ حتى استقام الحق واعتدل ، ودمق الباطل وبطل .. »

ثم استطرد المؤلف كلامه من الحاجة الماسة إلى وضع كتاب بالعربية عن تاريخ الإسلام في الهند المتناثر في مؤلفات عديدة ، مع تهذيب وتنقيح وتحقيق ، فقال :

« ولولا من الله من وجل - وله المنة على هذا العبد بالقوة على ذلك بعد المنة - لما تيسر له جمع الكتاب ، الذي هو أغلى من الذهب المذاب ، وأحل من لذيذ الخطاب ، ومداعبة الأحباب ؛ لأن أهل الهند مع كثرة فضلاتهم ووجود الأعيان في كل مكرمة على تعاقب

هذا الأثر العظمى سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) تحت إشراف دائرة المعارف العثمانية ولما تولى إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد وزارة المعارف الجمهورية الهندية حث على متابعة طبع الأجزاء الأخرى فاستمر الطبع حتى ظهر الجزء السابع عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٩م) وكانت الطلبات تنال من مكتبات الشرق والغرب ، ولا سيما الجزء الأول منه فأعادت دائرة المعارف العثمانية طبعه عام ١٣٨٠هـ (١٩٦١م) . وأما الجزء الثامن من نزهة الخواطر فلم يطبع إلى الآن ، ومن المنتظر أن يظهر إلى حيز الوجود عما قريب وفق مشروع دائرة المعارف العثمانية وحركتها القوية لنشر الكتب القيمة في مختلف العلوم والفنون .

ومن ميزات « نزهة الخواطر » وجهة المسامح والنواظر ، أنه يشتمل على فوائد غالية في تاريخ الهند العلى والسياسى والدينى وعلى نكت لطيفة لا يظفر بها القارئ في مكتبة حافلة ، فضلاً عن كتاب مفرد ، وقد حشر عليها المؤلف في رحلته العلمية الطويلة بين الصحف والخطرات والمذكرات أو تلقاها من أفواه الملحنين الكبار والقصيوخ الثقات فنشرها على صفحات الكتاب مع أمانة النقل ونحرى الصدق والعدل في الرواية وانتقاده في موضع الانتقاد وتقريره في موضع التقرير ، وذلك هو المثل الكامل لتاريخ البشر للبشر

علم أنى بفضل الله سبحانه وتوفيقه أجدت
في كتابي هذا، وأبدعت وصنعت ما لم يستطع
كبار العلماء مع توفر رغباتهم في الجمع
والصنيف، لا سيما في هذا الباب ...
واختتم المؤلف الجليل مقدمة كتابه مبيناً
صدق نيته، وصفا هدفه من القيام بهذا
الجهود الجبار فقال :

« وإن لم أقصد بحمسه خدمة ذي جاه ،
أو طاعة وزير أو أمير ، ولم أداهن فيه
أحداً بنفاق أو مدح أو ذم مباحين للأخلاق ،
لميل نفسي أو عرض جسماني ، وأنا أستغفر
الله الذي لا إله إلا هو المحي القيوم من وضع
قدمي في طريق لم أسلكه ، ونجارتني في رأس
مال لم أملكه ، هذا مع اعترافي بقصور
باني ، وقصور عمي ، وتصوب طباعي
في القوانين العربية ، ودواوين المثاني الأدبية .

مال والأمر الذي قلته

ما للذيل وطعمة العنقاء

أبكي بجزى وهو يبكي ذلة

شتان بين بكائه وبكائي .

وهكذا تعتبر « نزهة الخواطر » مؤلفاً
كبير الشأن من طراز « الدرر الكامنة »
للمسقلاني ، والضوء اللامع ، السخاوي ،
« والبدر الطالع » للشوكاني ، « وخلاصة
الأثر » للحبي

الأحصار ليس لم العناية كاملة ، ولا رغبة
وافرة ؛ إلا في دفع محاسن أكابرهم ، وطعن
آثار مفاخرهم ؛ فلا يرفعون إلى علانيتهم
رأساً ، ولا يسمون إليهم يداً ؛ مع توفر
رغباتهم إلى الاطلاع على ما لغوهم من
الشعراء والاشغال الكامل بمعرفة أحوال
مفاتيح الصوفية والإكباب على جمع كهولهم
وكراماتهم ، وعلى كتبهم التاريخية وغيرها ،
وإلى لا كثر السجب من اختصاص المذكورين
بهذه الخصلة التي هي سبب لدفع محاسن سابقهم
ولاحقهم ، وطعن رفيع قدر عالمهم وفاصلهم ؛
ولهذا أحمل المصنفون في التاريخ على العموم
ذكرهم ، لم يترجموا لأهل قرن من تلك
القرون ، ولا من مضى في عصر من هاتيك
المصور ، وإن ذكرهم المؤرخون منهم ترجموه
ترجمة مسوقة عن الفائدة ، حاطلة عن بعض
ما يستحقه ، ليس فيها ذكر مولده ولا وفاته ،
ولا شيء من مصروفاته ولا مقروءاته ،
لأن الذي ينقل أحوال شخص إلى غيره
ينبغي له أن يكون من معارفه وأهل بلدته ،
فإذا أحله عارفوه أحله غيرهم وجعلوا أمره ،
ومن هذه الجهة أجدني إذا ترجمته في هذا
الكتاب أحداً منهم لم أدر ما أقول ؛ لأن
أهل عصره أحملوه فلم يبق لذي من بعدهم
إلا مجرد أنه فلان لا يدري متى ولد ،
ولا في أي وقت توفي ، وبهذا انفرد
في حياته عن المزايا ؛ فن عرف ما ذكرناه

فإن الخلق بها ضيق فاقصروا هذا القطن في الماء ثم اطبقوا به واصطبغوا افسار محمد بن القاسم إلى مكران ، فأقم بها أياما ثم أتى ، فزبرو ، ففتحها ثم أتى أرماتيل ، ففتحها ثم سار إلى الديبل ، يوم جمعه ووافته سفن كان حل فيها الرجال والسلاح والأداة فغندق حين نزل الديبل ، وركزت الرماح على الخندق ونشرت الأحلام وأنزل الناس على راياتهم ونصب منجنيقا ، وكان بالديبل كنيسة^(١) عظيمة ، عليها دقل طويل ، وعلى الدقل راية حمراء فرمى الدقل فكسر فاشتد طمعة الكفر من ذلك ، ثم إن محمدا ناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردم وأمر بالسلام فوضعه رصدها عليها الرجال ففتحت عنوة وحرب عامل داهر وقتل سادن يصف ألهم في الديبل واخط السليين بها وبني مسجدا وأنزلها أربعة آلاف ، ثم أتى محمد (البيرون) فصالح أهلها وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى جبر نهرادون دهران فصالح أهلها ووظف عليهم الخراج وسار إلى سبهان ، ففتحها ثم سار إلى دهران ، فنزل في وسطه وجبره بما يلي بلاد راسل ، ملك قصة ، (كنه) من الهند ولقبه داهر على فيل وحواله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وتوجل داهره وقاتل قتل هند الماء وانهمز المشركون

(١) لعل المراد بالكنيسة هنا مسجد الوثنيين .

تناول المؤلف في الجزء الأول منه الطبقة الأولى من العرب الذين قصدوا الهند في القرن الأول الهجري ، وفي مقدمتهم فاتح الهند الأول محمد بن القاسم الثقفي . ويتبين منه مدى صلة الهند بالعروبة ومكانتها في تاريخ الإسلام ، فكأنف الهند من البلاد التي هبت عليها نضعة من نفحات الإسلام في مجرتاريخه ، ولم تزل محط رجال المسلمين العرب من العلماء والدعاة والقائمين في القرن الأول ، وأودع فيها الإسلام ذخرا لا يضيع من عظماء المسلمين الذين ضحوا بأنفسهم ونفسيهم في سبيل نشر الدعوة الإسلامية الحقة ، وفيما يلي نص ماورد في كتاب نزعة الخواطر عن تاريخ محمد بن القاسم الثقفي ، ونصه فتح الهند :

« محمد بن القاسم بن محمد بن الحنم بن أبي حنبل الثقفي كان من بني أعمام المهدي وخته ، ولله المهدي على ثغر الهند في أيام لوليد ابن عبد الملك ، وكان بفارس ، وقد أمره أن يسير إلى الري ، وعلى مقدمته أبو الأسود جهم بن زحر الجمعي ، فرداه إليه وعقد له على ثغر السند ، وضم إليه ستة آلاف من جند أهل الشام ، وخلقاً من غيرهم وجمعه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والمال ، وأمره أن يقيم بهيراز ، حتى يقيم إليه أصحابه ويوافيه ما أهد له ، ومحمد المهدي إلى القطن المملوج فتقع في خل الخمر الخاذق ثم جذف في الظل فقال : إذا صرتم إلى السند

ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف درهم
فقال : شفيننا غيظنا وازددنا ستين ألف
ألف درهم . ومات الحجاج فأنت محمداً وقاته
فرجع عن الملتان إلى الرور ونزور وكان
قد فتحها فأعطى الناس ووجه إلى « البيلان »
جيشاً فلم يغالوا وأعطوا الطلحة وساله أهل
« سرصد » ثم أتى محمد « الكيرج » فخرج
إليه « دهر » فقاتله فانهزم العدو وحرب
دهر ، ويقال قتل ، ونزل أهل المدينة على
حكم محمد فقتل وسبي ، قال الشاعر :

نحن قتلنا داهراً ودوهرأ

والخيل تردى مطراً ففراً
ومات « الوليد بن عبد الملك » وولى
« سليمان بن عبد الملك » فاستعمل « صالح
ابن عبد الرحمن » على خراج « العراق »
وولى « يزيد بن أبي كبشة السكسكي »
« السغد » لحمل محمد بن القاسم مقيداً مع
« معاوية بن المهلب » فقال محمد مثلاً :

أضاعوني وأى قى أضاعوا

ليوم صكرية وسداد ثغر
فبكي أهل الهند على محمد وصوروه
بالكيرج « لخبه صالح » بواسط ، قال :

فلئن ثوبت بواسط وبأرضها

ومن الحديد مكبلاً مغلولاً
فرب قية فارس قد رحها

ولرب قرن قد تركت قتيلاً

وقال :

فقتلهم المسلمون كما شاءوا ، وكان الذي قتله
في رواية المدائني رجلاً من بني كلاب وقال :
الحيل تشهد يوم داهر والفتا

ومحمد بن القاسم بن محمد
أني فرجت الجمع غير مررد

حتى علوت عظيمهم بمهند
فركنته تحمي الحجاج مجدلاً

صعفر الحدين غير موسد

ثم سار إلى « راور » ففتحها وكانت بها
امراً لداهر غلاف أن تؤخذ فأحرقت نفسها

وجواربها وجميع مالها ، ثم أتى محمد
« برهمناباد » المشقة وكان (قل داهر) برهمناباد

هذه فقاتلوه ففتحها محمد عفرة وقتل بها ثمانية
آلاف ، وقيل : ستة وعشرون ألفاً ،

وخاب فيها عامه وسار محمد يريد « الرور »
و « بنزور » فقتلوا أهل « ساوندي »

فسأله الأمان فأعطاه إياه ثم تقدم إلى
« بسند » فصالح أهلها وانتهى إلى الرور

وحمل على جبل خصرم أشهراً ففتحها صلحا
وبني مسجداً وسار إلى « السكة » ففتحها ثم

قطع نهر « ياس » إلى « الملتان » فقاتله أهلها
وانتهزموا ودخلوا المدينة خصرم محمد وضيق

على أهلها فزولوا على الحكم فقتل محمد المقاتلة
وسبي اللرية وأصاب ذهباً كثيراً فسميه

« الملتان » « فرج بيت الذهب » .
قالوا : ونظر الحجاج فإذا هو قد أنفق

على محمد ستين ألف ألف درهم ، ووجد

الأول : محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي
 قدم الهند وقا تل الهنود مع محمد بن القاسم
 الثقفي وأمره محمد بن القاسم على سرية وبمته
 إلى « سدوسان » في خيبل وجمازات فطلب
 أهلها الأمان والصلح وسفر بينه وبينهم
 « السمينه » فأمهم ووظف عليهم خمرجا
 وأخذ منهم رهنا وانصرف إلى محمد بن القاسم
 ومعه من « الزط » (١) أربعة آلاف ثم لما
 سار محمد بن القاسم إلى مهران أمر محمد
 ابن مصعب على طليته فبهر مهران بما يل بلاد
 « راسل » ملك « فصة » (كجه) وهذا الثاني
 قاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حسن الطائي
 الرجل المجاهد كان بالهند وقا تل الهنود تحت
 لواء الأمير محمد بن القاسم الثقفي وقتل كثيرا
 منهم وهو الذي قتل « داهر بن صفة » ملك
 الهند « رواه البلاذري عن ابن الكلبى » .
 وعن الثالث : « محمد بن هارون بن ذراع
 النمرى استعمله المهجاج بن يوسف الثقفي
 على ثغر الهند بعد مجاعة بن صخر التميمي ،
 الذي توفي بمكران » فنزاه محمد بن هارون
 ففتح على الثغر وقام بالامر خمس سنين ، ثم لما
 ولي المهجاج ابن عمه محمد بن القاسم الثقفي
 كتب إلى محمد بن هارون يأمره أن يجهز
 جنده ويستمد للخروج إلى بلاد الهند « فلما
 أتى محمد بن القاسم بمكران » وسار إلى
 (١) طائفة من الهنود المروفة باسم « جلت »
 ولعل الزط مررب جلت .

لو كنت أجمع الفرار لوطنه
 إنك أهدت قروى وذكر
 وما دخلت خيبل السكالك أرضنا
 ولا كان من حلك على أمير
 ولا كنت لعبد المزدوني تابعا
 فبالك دمر بالهكرام عثور
 فعذبه صالح في رجال من آل أبي حنبل
 حتى قتلهم ، وكان المهجاج قتل آدم أبا صالح
 وكا ، يرى رأى الخوارج .
 وقال « حمزة بن يحيى الحنفي » يرثي محمداً :
 إن المروءة والبهامة والندى
 محمد بن القاسم بن محمد
 ساس الجيوش لسبع عشرة سنة
 بالقرب ذلك مؤدداً من مولد
 وقال آخر :
 ساس الرجال لسبع عشرة حجة
 ولداته من ذاك في أشغال
 كانت وفاة المهجاج في شوال سنة ٥٩٥ هـ ،
 ووفاة الوليد وتولية سليمان في جمادى الآخرة
 سنة ٥٩٦ هـ ، وفي تلك السنة هذب محمد وقتل
 بواسط « كافي » الكامل « وفتح البلدان »
 وغيرهما من كتب الأخبار .
 وذكر المؤلف ثلاثة من كبار المجاهدين
 الذين قاتلوا تحت لواء محمد بن القاسم الثقفي ،
 وهم : محمد بن مصعب الثقفي ، والقاسم بن ثعلبة
 الطائي ، ومحمد بن هارون النمرى . فقال عن

للتخلص من استعمار الإنجليز . والفن الثالث يتناول خطط الملوك في الأحكام السياسية وتنظيم العساكر وترتيبها ونظامها وهوائهم في تحصيل المسالية والعدل والقضاء مع ذكر تقاليدهم في خروجهم إلى الناس وآداب التحية الشائعة في عهدهم وما حدث فيها من التغيير في كل عهد من العهود في أرجاء الهند .

ويتضمن كتاب « جنة المشرق ومطلع النور المشرق » فصلاً عامة وثلاثة عند البحث في أخبار الهند من ذكر السنين والشهور والساعات والنقود والموازين الهندية في كل عصر ، وكذلك الفواجر العامة والحدائق والجوامع والحياض والمقابر مع مآثرها ونوادرها وهذا المؤلف القيم يساعد على معرفة خط المسلمين في حضارة الهند وعمارتها وسلوك ملوكهم فيها ونظام حكمهم وخطط سياحتهم مع تفصيل التغييرات التي حدثت في عهود الحكام الذين حكموا الهند من ولاية المباسين والملوك الفرتون والفوردين والمغول وغيرهم ، وما ظهر على أيديهم من رقي المدنية والصناعة والعلم في أرض الهند حتى صار هذا الكتاب مجلداً عربياً حافلاً بتاريخ هذه البلاد السياسي والحضاري والعلمي والجغرافي .

يتبع
عبد الرحمن محمد كرواني

« فزبور » لحقه بها وآتى (أرماتيل) وقتنها وأقام زماناً يستريح بها فأتى ودفن « مقبل » .

• • •

وهكذا نرى « كتاب نزعة الخواطر » يستقصى تاريخ الإسلام في الهند وتراجم رجال الفتوحات الإسلامية ورجال العلم والآداب فيها من القرن الأول للهجرة النبوية .

• • •

ومن أجمل الكتب العربية الأخرى لصاحب « نزعة الخواطر » كتاب « جنة المشرق ومطلع النور المشرق » في جغرافية الهند والتاريخ الإسلامي فيها ، ويحتوى هذا الكتاب على ثلاثة فصول ، الفن الأول فيه مقدمة وأربعة أبواب : فالأول الأول في جغرافية الهند وموقعها من الأرض وجبالها وأنهارها وأشجارها ونوادرها وأديانها ولغاتها واحتصنى في هذا الباب عقاير بلاد الهند والفواكه التي لا توجد في غير هذه البلاد ، والأبواب الثاني في ذكر مقاطعات الهند المشهورة ، والأبواب الثالث في ذكر أشهر مدنها وقراها في الدولة الإسلامية فيها ، والأبواب الرابع في وصف أهل الهند وولاياتها في العصر الأخير .

والفن الثاني : في أخبار ملوك الهند مع بيان ظهور الإسلام في أرض الهند وذكر ولايتها في مختلف العصور ، وتاريخ الملوك والأمراء في عهد الحكم البريطاني فيها وثورة الهند

حول تنفيذ حكم الطاعة

للمكنون عبد الناصر توفيق العطار

امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خلق ولادين ، إلا أتى أعاف الكفر : (أى يخرجها عن حدود الله) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدين عليه حديثه ؟ قالت : نعم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقبل الحديفة وطلقها تطليقة ، ، فهذا ترى رغبة امرأة ؟ بنت بن قيس في فراق زوجها وعزمها على ذلك حتى إذا تخشى الخروج عن حدود الله إن ظلت على زوجها معه ، وقد خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البقاء معه أو فراقه خلما بتوحيض الزوج عما دفعه في زواجه منها من صداق وغرم ، فاختارت الخلع ، وهكذا فإن ختم ألا بقيا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به .

٢ - هذه حلول القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة . من دقتها وشموها . وعمومها تدرك . معنى - أن أى حل لا يستلهم أسما مجتمة قاصر عن بلوغ حد التكامل ، مهما بدا صالحا في بعض الحالات .

لقد قيل مثلا : إن إسقاط النفقة الزوجية كاف لإيذاء المرأة عند النفوذ بالمدول عن

١ - إذا كنا نطلب - عاصين - الوسيلة المناسبة لتنفيذ حكم الطاعة بما يكفل الزوجين تمام الرضا والمودة والتعاطف ، وبما يحفظ أطفالهما ، ويبقى الأسرة - وهي نواة المجتمع - كيانهما ، فلا بد من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم نستلهم منهما الحل الصحيح ونستضيء منهما طريق العلاج الناجع السليم ، وفي كتاب الله الكريم نزل قوله تعالى : « واللاتي يهملون نفوسهن فغفلن ، وأهملن في المعامجة ، وأهملن من فإن أطمعنكم فلا تبغوا عليهن - ييلا ، إن الله كان عليا كبيرا ، وإن خفتم شقاق بينهما فابشوا حكما من الله وحكما من أهلها ، إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليا خبيرا » ، بهذا رسم الله سبحانه طريقا لعلاج نشور المرأة ينقل بين الإرشاد والإنذار والقوة والصلح والتوفيق بين الزوجين .

ومن تمام حكمة الله عز وجل أن شرع (الخلع) للمرأة إن وضعت في فراق زوجها حيث قال سبحانه : « فإن خفتم ألا بقيا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به » ، وفي السنة النبوية تطبق واضح لهذا المبدأ ، فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن

به حق الآن ، وهو التجاء إلى القوة دون إرشاد أو إنذار أو صلح بين الزوجين ، ومن ثم بدا في كثير من الظروف جافاً وضرباً بشعر الشعور ويؤذيه ، فضلاً عن تعامله قريباً من الناشزات اللاتي لا يرغبن في العودة إلى أزواجهن ، ويعقدن العزم على ذلك بما لا يدع قرصة إلى وفاق أو صلح مع أزواجهن .

٢ - من هنا كان لا بد من البحث عن طريق لتنفيذ حكم الطاعة يتسرع بين الإرشاد والإذار والتوفيق بين الزوجين واستخدام القوة أو أعمال الخلع عند لزوم استلزاماً لمبادئ القرآن الكريم .

ويبدو لنا - أن تحقيق ذلك ميسور في حدود سلطة القاضي الوضعي إذا أسعفه التشريع بنص يتضمن القواعد الآتية :

(١) إذا حدث شقاق بين الزوجين ورفع الأمر إلى القضاء ، بمقتضى حكم من أجل الزوج وآخر من أجل الزوجة للصلح بينهما .

وهذا الحكم معمول به بمقتضى المواد ٦ - ١١ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ولكن في نطاق محدود ، وهو حالة ما إذا ادعت الزوجة إضرار الزوج بها بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالها ، ورفض طلبها وتكررت شكواها ، فلماذا لا يؤخذ بهذا الحكم سواء كانت الشكوى من الزوجة أو من الزوج ؟ أليس ذلك

فشورها ، وهو حل يفتقر إلى الوسائل القرآنية الأخرى : من إرشاد وتوفيق ، أو قوة وخلع عند لزوم . ولقد بدا لبعض المفكرين الاكتفاء بهذا الجزاء إذا ما رخصت الزوجة تنفيذ حكم الطاعة ، ولو استمرت على ذلك أمداً بعيداً ، وبالتالي اقتصر هذا الحل إلى علاج يداوى الحياة الزوجية طوال فترة سقوط النفقة إذا لم تعمل الزوجة عن فشورها ، حتى بدا الطلاق أو الخلع خيراً من بقاء كل من الزوجين معلقاً بين الزواج والفراق ، في حالة أشبه بالانفصال الجسدي المبرور عند (الكاثوليك) ولكن بلا حدود ولا حوايط ولا نهاية ، فضلاً عن أن هذا الحل لا يضمن تنفيذ حكم الطاعة إلا نادراً ، فأغلب النساء الناشزات لمن مورد مال يأتي إليهن : إما من محل يكن منتهجاً أو راتباً ، وإما من قريب كآب أو أخ يتفق عليهن ، وإما من مال الزوج نفسه الذي يدفعه نفقة لزوجته الناشز بمقتضى حق حضانتها لأطفاله ، والتجاء الزوج هنا إلى الطلاق أو إلى تهديد الزوجات بإنهاء ذلك المركز القانوني الغريب يخلق له مكلات أخرى ، وقد يزيد العطينة ، فضلاً عن أن ذلك أمر غير ميسور لكثير من الأزواج .

ولقد قيل كفاك : إنه لا بد من تنفيذ حكم الطاعة جبراً على الزوجة الناشز . ولو عن طريق الشرطة مثلاً ، وهو الحل المعمول

ومعز القاضي عن الإصلاح بينهما، وهو حكم معمول به بمقتضى المادة السادسة من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ حسب الشقاق بين الزوجين ورفضاً للضرر عن الزوجة . ومن العدل أن يكون الحكم كذلك بالنسبة للزوجة إن ثبت إضرارها بزوجها عند نفوذها، ويتم الفراق هنا خلماً غير أنه إذا كانت الزوجة لا ترغب في فراق زوجها خلماً وكانت كذلك لا ترهب في العودة إليه فأين تذهب إذا لم يحلها جبراً على رعاية أطفالها بين أحضان أبيهم ونحس إشرافه إن رغب في عودتها إليه ؟ وكيف لم يفلح أى من الزوجين المتنازعين في حمل الآخر على التسليم بحقه ، وكيف ثبت لقطاع نشوز الزوجة فلا مناص من تنفيذ حكم الطاعة بالقوة الجبرية إذا كانت الزوجة غير راغبة في فراق زوجها خلماً . وتستطيع الزوجة عند الحكم بالطاعة أن تبادر بنفسها إلى تنفيذه اختياراً وتقديراً منها لتسليطة القضاء الذى أظهر أن زوجها لم يخطئ في حقها وثبت لديه أنه يرى من الأسباب التى بقى عليها نشوزها ، ولا يقال : إن المشكلة هنا لها جانبها النفسى والخلقى لحسب ، وتوقف على مدى الاحترام والتقدير المتبادل بين الزوجين ورضا كل منهما بالحياة مع الآخر ، لأن المشكلة كذلك جانبها الاجتماعى والقانونى ، فنشوز الزوجة وخروجها عن طاعته يبنى من بداية تفكك الأسرة ، نواة المجتمع ،

مفهوم حكم القرآن ، وإن خفف شقاق بينهما ، أيا كان مصدر هذا الشقاق أو الشاكى منه ١٩ (ب) فإذا ثبت نشوز الزوجة حكم القاضي بإسقاط النفقة الزوجية وأمر بتشكيل لجنة من : باحث اجتماعى أو باحثة ، وواظ دهنى أو واهظة ، وأحد أقرباء الزوج للذهاب إلى الزوجة وتكليفها بالعودة إلى منزل الزوجية فوراً مع قريب الزوج .

وهذا الحل الذى تقترحه يجمع بين فكرة الإرشاد والإنذار ، ويحسم استخدام القوة لحل النزاع بين الزوجين ما دام هناك فرصة للإصلاح بينهما ، والأمل مفقود على خريجات كلية البنات الإسلامية في القيام بدور الباحثة الاجتماعية والواظظة الدينية .

(ج) وعلى القاضي بعد الاطلاع على تقرير الباحث الاجتماعى ، وتنفيذاً للقراء السابق أن يحكم : إما بالطلاق (خلماً) إذا توافرت شروطه الشرعية ، وإما بتنفيذ حكم الطاعة بالقوة الجبرية إذا استمرت الزوجة على نفوذها ، وإما بحفظ الدعوى إن عدلت الزوجة عن هذا النشوز .

وهو حل يحسم حال الحياة الزوجية بين الزوجين المتنازعين ، ولا يدع أحدهما معقلاً بين الزواج والفراق . ألا ترى أن الزوج إذا أضر بزوجته ضرراً لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالها طلق القاضي عليه زوجته - بطلبها - طلقاً بائنة إذا ثبت الضرر

التي يقع عليها عبء توعية الزوجين بالسلوك
الفاضل . ومع ذلك لا بأس - فيما يبدو -
أن يراقب القاضي - بأمر من المشرح - معاملة
الزوج لزوجته في فترة ود الفعل ، وهي عادة
لا تزيد على شهر ، إذا صلحت فيه الأمور
بين الزوجين استقامت حياتهما الزوجية
غالباً . ومراقبة القضاء لسلوك الزوجين
ليست بما في الدين أو القانون ، بل في ذلك
اتباع صادق لمخرج أمر الله سبحانه وتعالى
« فإن أطعكم فلا تنفوا عليهن شيئاً »
إن الله كان علياً كبيراً . وصدق الله العظيم ؟

الدكتور عبد الناصر توفيق المطار

وكيل نيابة بندر حجاج

الأمر الذي تضطرب معه العلاقات الاجتماعية ؛
وليس من الحكمة أن يغض التشريع الطرف
عن ذلك ؛ بل عليه أن يتدخل بحل حاسم
يضع حداً لبراءة هذه الفوضى وهو
ما يهدف الاقتراح هنا إلى تحقيقه .

(د) . وإذا فُتحت الزوجة حكم الطاعة
اختياراً أو مجبراً عنها استدعى القاضي
الزوجين بعد شهر ، أو كلف الباحث الاجتماعي
والواظف الله بنى زيارتهما بعد شهر للاطمئنان
على هدأة الزوج .

قد يحلو لبعض الأزواج أن يسيء معاملة
الزوجة عنه عودتها إليه ؛ ولا يعد ذلك هيئ
في حكم الطاعة ، ولو تم مجبراً عن الزوجة
بل هو مسئولية أجهزة الإعلام بفتح صورها

المفريات خلق الله

عن عبد الله بن مسعود : قال لعن الله الواشحات والمستوشحات والنامصات والمتنمصات
والمتفلجات الحسن المفريات خلق الله : فبلغ ذلك امرأة من بني أمية يقال لها : أم يعقوب
وكانت تقرأ القرآن فاتته فقال له : ما حديث بأفنى منك أنك لعنت الواشحات والمستوشحات
والمتمنصات والمتفلجات الحسن المفريات خلق الله ؟ قال عبد الله : وما لي لا ألعن من
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في كتاب الله ؟ فقال له المرأة : فقد قرأت
ما بين لحي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل :
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فقالت المرأة : فإني أرى شيئاً من هذا
على امرأتك الآن . قال : اذهبي فانظري قال : قد دخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً .
لجأت إليه . فقالت : ما رأيت شيئاً فقال : أما لو كان ذلك لم تجامعيها . ١١ صحيح مسلم ٣ .

عاشد من الفلبين

للأستاذ محمد زيتون

- ٣ -

(١) علاقات العرب القديمة مع الفلبين : إلى سومطرة وملوكاس Moluccas

ثم يستمر المؤرخ في كتابته فيقول : وكما يقول Raymundo Geler : إن العرب السبتيين استطاعوا أن يصلوا بتجارهم إلى الصين وذاووا أماكن مختلفة في الفلبين مثل Porague. polawen وسداناو، كلابتين ، بسايا ، مندورو ، ولوزن ويعلق على ذلك بأن هؤلاء العرب لم يكونوا مسلمين وإنما كانوا تجارا وليسوا هداة دينيين .

ومن هنا ندرك أن العرب القدماء - قبل مجيء الإسلام - قد انتشر نشاطهم وركبوا في سفيل تجارتهم البحر حتى وصلوا إلى أقصى المشرق في جزر الفلبين مثل منداناو ولوزون وابتدوا مهارة تجارية وبحرية في الزمن القديم .

(ب) دخول الإسلام إلى الفلبين .

يذكر المؤرخ السابق أن المسلمين الذين وصلوا إلى جنوب شرق آسيا وحلوا الدين الإسلامي معهم كانوا من سلالة السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم بين أنه بمصاهرة الأسر الحاكمة الوطنية

أتناول في هذا المقال علاقات العرب الأقدمين بالفلبين قبل ظهور الإسلام ثم انحدث عن وصول الدين الإسلامي إليها وكيف استطاع العرب الأوائل أن يحملوا رسالة الإسلام إلى أقصى المشرق .

يقول مؤلف كتاب التاريخ السياسي والثقافي للفلبين «١» : إن العرب أقاموا علاقات مع الشرق الأقصى في الزمن القديم منذ حكم الملك سليمان ، وذلك في خلال ملكة سبأ المعروفة "Sheba in the Bible" قصد أقام حرب جنوب الجزيرة العربية الماهرون في التجارة علاقات تجارية مع الهند وآسيا خلال القرن الأول الميلادي ولقد كانت سفنهم التجارية تنخر هباب بحور الملايا ذاهبة إلى الصين ، وفي القرن الثالث كان العرب جالية تنحوم بالتجارة في كانتون Conton وفي القرن التاسع زارت سفنهم "Kedah" في شبه الجزيرة الملايوية، وجاءوا

(1) Pag 41 philippine. Political and Cultural History Volum 2 - by Gregorio F. Zaide.

عليها ، وقد شكل السلطة حل نظام الصلح
العربية معطيا نفسه كل اختصاصات الخليفة ،
وكان نظام حكم مستمدا من القرآن الكريم
والتعاليم الإسلامية وبذلك استطاع أن ينشر
بين المواطنين عادات وتقاليد جديدة
مستمدة من آداب الإسلام وتعاليمه ، وقد
مات أبو بكر سنة ١٤٨٠ م بعد أن حكم
ثلاثين عاما حكما ناجحا صمد في ظله
الحكومون بتعاليم الإسلام السمحة .

أما جزيرة (منداناو) ثاني جزيرة كبيرة في
الفلبين - وبها الآن أربع محافظات يقطنها
المسلمون. فقد وصل الإسلام إليها عن طريق
الشريف كابنسون Kabungwan قائد
Johor المسلم في سنة ١٤٧٥ م استطاع
مع الجنود (السل) الذين يسكنون في جزر
قريبة من منداناو أن ينزل إلى شاطئه . محافظة
(كوتاباتو) وأن يتصر على القبائل المستوطنة
هناك تلك التي استمدت لمهاجرة . وقد بدأت
القبائل الأصلية تلتحق بالدين الإسلامي بعد
انتصاره عليهم كما تزوج الشريف كابنسون
أميرة من أهل البلاد تسمى Datu Tunina
وصار الأمير كابنسون أول سلطان مسلم
في منداناو .

هذا ما يذكره مؤرخ التاريخ السياسي
والثقافي للفلبين .

وبالحيل السياسية استطاعوا أن يستولوا
على حكم الملايا ويوحدها بحكوماتها في
حكومة واحدة وأخذوا ينتشرون العقيدة
الإسلامية بهمة ونشاط ملحوظين حتى إذا كانت
سنة ١٢٧٦ م وجدنا الإسلام قد أصل جذوره
في ملقا Malacca هذه المدينة التي صارت
قائمة للسلطن وحامية فيما بعد لامبراطورية
وماجاهايت الهندية .

ثم يستمر في حديثه فيقول ولكن كتب المؤرخين
المسلمين في الفلبين Morr chronicles تذكر :
أن المبشر العربي غنوم أمين الله المنتصر في ملقا
وصل إلى ساحل (سولو) إحدى جزر الفلبين
الجنوبية في سنة ١٢٣٨ م وأبتدأ يبشر بالدين
الإسلامي في الفلبين وبعد عدة أعوام سنة
١٢٩٠ م قاد « راجا » بجنداء المحسور المقدم أمير
Manakaban Sumatra ومطيرة Monankaban
جيشا من المسلمين قسح به سولو واستطاع
بسهولة أن يستولى عليها لأن جنوده كانوا
يتمتعون بالبنادق التي كانت تستعمل لأول
مرة في الفلبين .

وفي سنة ١٤٥٠ م وصل إلى سولو
أبو بكر المسلم قائد Palanbong Sumatra
وتزوج Poramisuli بنت « راجا » بجنداء ،
وبعد موت راجا بجنداء تولى أبو بكر الحكم
وأقام سلطنة سولو وأعلن نفسه سلطانا

في تلك البقاع ضوئاً جديداً على تاريخ الإسلام في الفلبين حيث عدل الرأي السائد بأن الإسلام دخل الفلبين بالسيف ، كما كان لتعاليمه تأثير كبير على أهل سولو الذين يصعب التأثير عليهم لتسليمهم بحريتهم وشجاعتهم المنقطعة للنظر ولقد بقيت تعاليم الإسلام في أهل سولو تربة صالحة لها .

ويحتمر مؤلف تاريخ سولو فيقول :
 وفترة بعد غنوم ، سلطة الفلبين في سولو تقول عشر سنوات ، قدم إلى سولو أمير من متسكان^(١) يسمى راجا بجندا^(٢) - ويقال إنه وصل إلى سولونجا وباسيلان قبل وصوله إلى سولو ، وأنه تابع الأصول الفلبينية التي تقود من (يرينو) إلى (كاجيان سولو) ، (ربانوتان) ، (وسونجا) وعندما وصل إلى بونسا خرج أهل سولو ليقاتلوه كما هو متوقع عادة ولكن "Tarsila" ،^(٣) تستمر لتوضح أنه كان مسلماً لذلك كفوا عن القتال ودهوه ليقيم معهم كما أكرموا استقباله - وقد كان راجا بجندا مصحوباً بوزرائه ولا شك أنه قدم إلى بونسا ليقيم وبجملهم وكان حيث

يفتاز ذكر (الأستاذ نجيب صليبي) في كتابه تاريخ سولو ، ما ينفي استخدام القوة في دخول الإسلام إلى الفلبين وأن انتصار التعاليم الإسلامية بها واعتناق السكان الأصليين لها قد سبق قيام الحكم الإسلامي فيقول^(١) ، وقد أثر في الفترة من سنة ١٢٨٠م إلى سنة ١٤٥٠م اثنان مشهوران هما غنوم ، وراجا بجندا ، وغنوم كان قاضياً حريياً وأستاذاً وصل إلى ملقا ، في نصف القرن الرابع عشر حيث استطاع أن يجعل سلطان ملقا ، محمد شاه يعتنق الإسلام ويقيم تعاليمه في أنحاء مملكته ملقا ، واستمر تأثير غنوم مشتركاً إلى أن وصل إلى سولو ومنداناو في سنة ١٢٨٠م زار معظم جزر الأرخبيل وجعل كثيراً من الناس يمتنعون الإسلام في كثير من الأماكن ؛ وتدمى جزيرة سيوتو أن بها قبره ولكن الأماكن التي كان نجما فيها ؛ هرا هي ، بونسا ، حيث تمكن بمساعدة رؤساء القري التي انبجوه أن يقيم بها مسجداً .

وقد نجح غنوم في الوعظ والتبشير بالدين الجديد بين الناس الذين اشتهروا بالاستقلال في آرائهم والعناد في مملوكة دينهم وعقائدهم وطادتهم كما هو معروف ومشهور عن أهل سولو ، وقد ألقى نجما في التبشير بالإسلام

(١) متسكان : منطقة غنية ومنظمة في وسط

سومطرة وقدم منها كثير من الأسرى الملاوية .

(٢) راجا : لقب العاقل لكل ملوك الملايا .

(٣) سلطة صب سولو .

قيادة راجا سليمان - ملك فلپين مسلم - كما كانت في لوزن عند نهر Pasig River Tondo ملكة إسلامية أخرى تحت حكم الملك المسلم Laken Dula . ملاحظة :

زوت في فبراير سنة ١٩٦٥ مع الحاج عبد العزيز عمر مؤسس كلية مسلمي الفلبين في هولو قبر المبشر الإسلامي مخدوم أمين اقه في قبة جبل أهد (ومعناه الجبل التابع) ويرتفع حوالي ٢٠٠٠ قدم وما زال هناك إلى الآن عادم يعتق بقبره ويوقد عليه البخور كما يضع الناس عليه دائماً قاشا أيضاً ، وحول القبر كثير من القبور الأخرى التي يقولون عنها : إنها لأتباعه ولا توجد كتابه على هذه القبور .

أما في جبل (داتو) الذي يهاور الجبل السابق ويرتفع حوالي ١٨٠٠ قدم فيوجد فيه قبر كتب عليه باللغة العربية : من مات غريباً مات شهيداً هذا قبر الشهيد تهمار وأنه مات في شهر رجب المعظم سنة ٧١٠ هـ أي منذ سبعة قرون .

الاسبان والمسلمون في الفلبين :

علينا من حديثنا السابق أن الإسلام بدأ ينتشر من جزيرة منداناو وسولو جنوباً إلى أن وصل إلى جزيرة لوزون في الشمال

توما من الفارات الطبيعية التي وضع نجاحها . كما ذكرت Taralla منداناو : أن الشريف (كابيسوان) قد وصل إلى منداناو بإسلام كما وصل راجا بجندا ، وبذلك اتفق المؤرخون الوطنيون في سولو ومنداناو على أن إقامة الحكم الإسلامي في سولو على يد « راجا بجندا » وفي منداناو على يد « الشريف كابيسوان » كان بطريق مسلم ولم يستعمل فيه السيف أو القهر والقوة .

والحق أن عمل التجار المسلمين والمبشرين والدعاة - كما هو ثابت على القبر الموجود في جبل داتو القريب من هولو والذي توفي صاحبه سنة ٧١٠ هـ - قد سبق إقامة الحكم الإسلامي ومهد له الطريق منذ مطلع القرن الثالث عشر أو قبل ذلك إلى حين وصول راجا بجندا سنة ١٣٨٠ م حيث وجد شعباً مسلماً في حاجة إلى قائد فكان هو القائد المنتظر الذي أقام حكماً إسلامياً دون أن تراق فيه دماء إنما هو إقامة لحكم إسلامي بين قوم مسلمين .

ومن سولو ومنداناو انتشر نور الإسلام وعمه تعالى به بين البساي وغيرها من جزر الفلبين كما فأصل في جزر مندورو وباتجس وأقيمت إمارات وممالك في وسط وشمال الفلبين في سنة ١٥٧١ كانت مانيللا - عاصمة الفلبين الآن - مازالت مملكة مسلمة تحت

ذلك لأن الهداية العظمى التي أثرت بها الحضارة العربية في الفلبين هي الإسلام الذي لا يزال ديننا للأمال في متدائلو وسولو . فتح يحيى هذا الدين أن نوع جديد من نظام الحكم وهو نظام السلطنة وكذلك جاءت الحروف العربية التي لا تزال تستعمل في كتابة الفن والعلم وتنفش على الأسلحة هناك .

وقد أثرت الحضارة العربية الإسلامية في القانون والتاريخ والأدب . فالفلسون في جنوب الفلبين لا يزالون يستعملون التاريخ العربي ويتعاكرون حتى اليوم إلى القانون المأخوذ من القرآن . كما قد تأثر أدبهم بالأدب العربي وبخاصة القصة مثل : (ألف ليلة) وكذلك كثير من الكلمات في لغة سولو ومنداناو هربية مثل دنيا - كتاب - م - دسة - قاض - عقل شريعة حتى (التجاج) لغة الشمال يوجد فيها كلمات هربية مثل خطاب Sulat .

وصول الأسبان إلى الفلبين :

وقد ابتدأ وصول الأسبان إلى الفلبين في ١٧ مارس ١٥٢١ حين وضع (ماجلان) قدمه على أول أرض في الفلبين وكان ذلك في جزيرة غير مسكونة جنوب جزيرة سمر تسمى Homonhon وقد حضر إلى الجزيرة بعض الفلبينيين فأعطاهم ماجلان بعض الهدايا وأعطاه الفلبينيون بعض الأسلحة وفي ٢٥ مارس أبحر ماجلان نحو الجنوب

حيث كان يحكمها الملك المسلم . راجا سليمان . ولكن وصول الأسبان بقيادة ماجلان إلى الفلبين كان عاملاً على وقوف المد الإسلامي ووقوع الصدام بين الإسلام والمسيحية في جنوب شرق آسيا فقد قامت صاركدموية بين الملك راجا سليمان والأسبان في سنة ١٥٧٠ ، سنة ١٥٧١ م . ولم تكن الحرب من أجل كفاح سياسي بين الأسبان الفرسان وبين المحاربين الفلبينيين للاستيلاء على حكم الوطن فحسب ؛ بل كانت أيضاً حرباً صليبية بين الصليب والحلال - الذي ما زال يتمسك به بعض الحكام الوطنيين من المسلمين في أعلامهم إلى الآن - لتحقيق السيادة الدينية . وقد كان انتصار الأسبان على المحاربين من المسلمين بقيادة راجا سليمان قرب ما ميلا انتصار للمسيحية على الإسلام في شمال الفلبين . فتوقف المد الإسلامي إلى جميع الأجزاء الشمالية من الفلبين ، كما ترتب على انهزام المسلمين في (لوزون) انكشاف الرقعة الإسلامية إلى جزر سولو ومنداناو في الجنوب حيث استقر الإسلام فيها إلى الوقت الحاضر حيث استطاع أن يحمي نفسه فيها إبان الاحتلال الأسباني والأمريكي أكثر من ثلاثة قرون وأربعة عقود سعى خلالها الأسبان والأمريكان جهد ونشاط لكي يزرعوه من قلوب وعقول معتنقيه ولكن دون جدوى .

عنه من سيوة طيبة وليفتري طعاما من التجار فأظهر الملك رغبته في استقباله ولكن بشرط أن يدفع ماجلان للضريبة التي تدفعها سفن التجار الذين يدخلون الميناء ، وبعض هذه السفن لدول أجنبية مثل سيام .

ولكن ماجلان رفض أن يدفع الضريبة ، وتدخل ماجا كولامبو ونصح ملك سيو ، وبين له الرغبة الطيبة الأسبان فتنازل الملك عن طلب الضريبة ، وترك ماجلان ينزل إلى شاطئ سيو . وفي ٧ إبريل سنة ١٥٢١ : احتفل أهل سيو وماجلان ببداية الصداقة بينهما ، وكانت سيو في ذلك الوقت مدينة اقتصادية لها صلات تجارية مع الجزر الأخرى وشرق الهند وسيام والصين ، كما كان أهلها يرتدون الملابس والحلي ولهم منازل ويحكمهم قانون ولهم صناعة وتجارة وميزان وقياس ويستخدمون كثيرا من آلات الموسيقى والعرب ، كما كان لهم رقصهم وذهبهم الثماني مما يدل على تقدمهم الحضاري .

وقد بذل ماجلان جهدا كبيرا لكي يفشر المسيحية بينهم وبين لهم مزاياها ، وبسرعة اعتنق ملك سيو وأتباعه المسيحية وتنصر في ١٤ إبريل سنة ١٥٢١ حوالي خمسمائة من أهل سيو وكان من بينهم الملك وأسرة وكذلك واما Kaimbo وقد أقيم صليب كبير على الشاطئ حتى بلغ هذا المنتصرين ثمانمائة من رجاله

الغربي فوصل إلى جزيرة ليماسوا في ٢٨ مارس حيث وجد ملكه تحت حكم راجا Kolombo واستطاع ماجلان أن يتحدث مع الملك بواسطة جسد له ترجم اسمه Barigue من الملايا وقد أعلن كلاهما صداقته للآخر وفي ٢٨ مارس أعلن اتفاقا دمويا بينهما وهذا هو أول اتفاق فليبي أسباني في التاريخ .

وبهذه المناسبة أقام الأب Pedro de valderroma حفلة على شاطئ جزيرة Limeswa حضرها ملك Kolombo وماجلان ورجالهم لكي يعلنوا هذه الحادثة التاريخية ، وهي وصول الأوربيين إلى الفلبين ، وقد زرع ماجلان شجرا على الجبل وأقام صليباً والنحن له وكذلك فعل الملك ، وقد ساعد جنود الأسبان ورجال الملك في حصاد أرزهم وبعد ذلك صاحب الملك الحفلة إلى جزيرة سيو . وفي ٧ إبريل سنة ١٥٢١ وصل ماجلان إلى شاطئ جزيرة سيو ، واستمد لحوم ممركة حريسة ، فأطلق مدافعه التي سببت ذعرا وخوفا شديدا للناس ، وأرسل ابنه مع المترجم Enrigo يقول للملك سيو راجا Homaban الذي كان رئيسا لثمانية قبائل و ٢٠٠٠ فارس بالرمح : إن سيده قائد الأكبر ملك في الدنيا وأنه حضر لكي يكتشف Molucha ويريد أن يزوره لما سمعه

وفناء وأطفال وبعد عدة أيام طلب ماجلان من أهل سيوان يحرقوا صنمهم *pgon idols* كما وعدوا عندما تصرا ولكنهم رفضوا ذلك لأنهم ما زالوا يقدمون الضحايا لأجل أن يثنى الصنم أما الملك ألتيج وأحكم رجل في الجزيرة والذي كان قد شمر بمرض خطير منذ أربعة أيام ، ولكي يحس ماجلان عقيدة المسيحيين الجدد ذهب إلى الرجل المريض ونصره وأمرته وعالجه وبعد خمسة أيام من العلاج شفى الرجل المريض ففقد الناس ثقهم في الصنم وأشعلوا فيه النار

لابولابو يقاوم الأسبان ويتحداهم :

وبوحي من النجاح الأول الذي لاقاه ماجلان في سيو أمر كل القبائل في سيو والجزر المجاورة أن يمتثلوا بملك سيو Homebon كذلك لم يقبلوا يده سلامة على الطاعة ولكن حاكما فلبينيا مسلحا لهما وصو لابولابو ملك - Makton - جزيرة صنوة جهوار سيو - رفض بإياه أن يفعل ذلك وقاوم الأسبان فأرسل ماجلان رجاله وأحرقوا القرى هناك ؛ ولكن ذلك لم يخف لابولابو أو يحمله على التسليم والخضوع وفي ٢٦ إبريل سنة ١٥٢١ جاء ابن الملك Zula وهو ملك آخر في جزيرة Makton إلى سيو بهدايا ورسالة يطلب فيها المساعدة ضد لابولابو فوعده ماجلان بالمساعدة . وفي

لحر ٢٧ إبريل هاجم ماجلان جزيرة (مكتن) بقوة مكونة من ستين فارسا أسبانيا في ثلاث سفن وألف مقاتل من خلفاء أهل سيو يركبون ثلاثين سفينة محلية، وأحب ماجلان أن يظهر شجاعة جنوده لملك وأهل سيو فقال لهم امكثوا في سفنكم وانظروا كيف يحارب الأوروبيون . وقبل أن يبدأ الحرب أرسل رسالة إلى لابولابو ليحطيه فرصة أخيرة للسلام، وطلب منه الاعتراف بسيادة الأسبان ودفع الجزية ، وأجاب لابولابو بمرأة أنه لا يخضع لأي ملك ولا يدفع الجزية لأية قوة وإذا كان المدعي ملكا رماها فنعن نملك رماها أيضا وشعلا نارية . وقد أخذ ماجلان من رجاله تسعة وأربعين رجلا وترك أحده عشر رجلا يحرسون السفن وعندما وصل القرية إلى القاطيء وأوا لابولابو مع جنوده يتظفرون عديم وقد اصطفوا ثلاثة صفوف، فأطلق جنود ماجلان نيرانهم أولا ولكن بنادقهم لم تظهر تأثيرا في أهل مكتن الذين هبوا مسرعين ليحرقوا حريتهم ووطنهم وصاحوا صيحة الحرب وشرعوا رماحهم وسهامهم وعصيهم النارية والحجارة .

موت ماجلان :

وقد أمر ماجلان بعض رجاله بحرق بيوت أهل مكتن ليخيفهم فيذعنوا له ولكن ذلك

ولو دفع كل ثمين في العالم ولكنهم سوف
يبتغون جسده لذكري ، وحتى الآن لا أحد
يعرف أين جسد ماجلان وإن كان يوجد
الآن متحف لذكري مقتل ماجلان قريبا
من المكان الذي مات فيه ، وقريبا من
هذا المتحف يوجد متحف آخر في قرية
Open Macton يحمل ذكرى لابولابو البطل
الشجاع المسلم هازم ماجلان .

إن انتصار لابولابو في مكتن كان صدمة
وكارثة للأوروبيين ، فهذا أول نجاح للدفاع عن
استقلال الفلبين ضد الاستعمار الغربي وأول
لصر جبهة الجيش الفلبيني على قوى الغرب
بفضل لابولابو أول بطل يستطيع
في التاريخ الملايوي وهزم ماجلان هازم
البهار .

وبعد موت ماجلان اختار رجاله اثنين
خليفة له ، أما ملك سيبو وسكانها فقد تقصوا
قتلهم في الجماعة النادرة التي كانوا يرونها
للرجل الأبيض ، وحتى الأسبان أنفسهم الذين
يفاخرون بفجاعتهم قد تقصوا عن هذا
الفخر الكاذب .

محمد شتا شتا

بجمع البحوث الإسلامية

أني بتيقن عكسية لأنهم عندما رأوا منازلهم
تتحرق حاضفوا شجاعتهم وهاجموا المفيرين
بجراحة وبساله أدت إلى وجهان كفتهم فلما
رأى ماجلان أن النجاح ليس في صفه أمر
رجالہ بالانسحاب وأحسن بالمزجعة ، إذ اشتد
المهجم من كل جانب فوقف ماجلان على
الشاطئ وحارب بفجاعة ليحصى رجاله
في عملية الانسحاب إلى السفن ولكن سبها
محموما جرحه في ثلثة البنى وطارت قبعته
من رأسه ، وجاءت حربة فأصابته في وجهه
لحارل أن يأخذ سيفه فحجز من ذلك
لأن حربة أخرى جرحته في زراعته اليمنى
وجاء رجل من مكتن وقطع وجهه اليسرى
فسقط على الأرض واقض عليه آخر وقته
بجرحته وسيفه ، وبذلك مات (ماجلان) كما
مات معه ثمانية من الأسبان وأربعة من أهل
سيبو وكانت خسائر أهل مكتن خمسة عشر
وجيلا .

لابولابو هازم ماجلان :

وظهر يوم المعركة أرسل ملك سيبو إلى
أهل مكتن رسالة يارضا عليهم أي ثمن لكي
يسلوا إليه جسد ماجلان ، فأجاب أهل
مكتن أنهم سوف لا يسلون إليه ماجلان

تأريخ الإسلام

تأريخ الإسلام في العصر الوسيط "للاستاذ ساندروز"

تعليل للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

A History of Medieval Islam

By : Saunders — London, 1965

فلا يتخددع بما جاء في الكتاب من بحث
يكتفى وداء العلم .

ولكتابة التاريخ طرق كثيرة مختلفة ،
أقدمها طريقة المؤرخين التي سادت في الزمن
القديم ، وهي تجري على سرد الحوادث
متتابعة زمنياً طاماً بعد آخر .

وبرز في الوقت الحاضر المنهج الحضاري
الذي يرسم صورة الحضارة في أمة أو عدد
من الأمم ، من ارتفاع وانخفاض ، وازدهار
وزوال ، بحيث تكون الحوادث الحربية
والسياسية جزءاً من الحضارة ، مع توضيح
عوامل التقدم أو التأخر الحضاري .

وقد ظهرت فيما يختص بالتاريخ الإسلامي
طريقة جديدة يسلكها بعض المؤلفين الغربيين
وهي إبراز الصراع بين الإسلام من جهة
وبين المسيحية من جهة أخرى ، وأن هذا
الصراع بدأ منذ ظهور الإسلام حتى اليوم
حاداً بين الديانتين الإسلامية والنصرانية ،

المفروض أن هذا الكتاب على (أكاديمي)
أو هكذا يوحى مظهره ، من جهة طباعته ،
والدار التي صدر عنها ، وعنوانه : (تاريخ
الإسلام في العصر الوسيط) ومؤلفه الأستاذ
ساندروز ، صدر بلندن سنة ١٩٦٥ .

وأول سؤال يقادد إلى الذهن هو وجه
الحاجة إلى مثل هذا التأليف في الوقت الحاضر
على الرغم من وجود عدد من الكتب تبحث
موضوع الإسلام في العصر الوسيط ، وقد
نشرت : إما بالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية
فهل جاء صاحب هذا الكتاب ، الأستاذ
ساندروز بم جديد ، وهل له تفسير جديد لهذا
التاريخ ، ولا سيما نحن في دور النشر الكبيرة
المحترمة هذه السكتبوا أمثالها . وهذا الكتاب
من منظورات (وتدريج وكيجان بول) في لندن
وم من أم دور النشر الرصينة .

الجواب عن هذه الأسئلة يوضع حقائق
كثيرة ينبغي أن يفتبه لها القارئ المسلم ،

يشبه مؤلف الكتاب المسلمين عند ظهور الإسلام بالبرابرة الذين غزوا أوروبا الرومانية وأسقطوا حضارتها . ففي بداية الفصل الثالث (ص ٣٩) يقول : « وبمنظرة عامة يمكن أن تشمل الغزوات العربية وكأنها تقبى الغزو الجرمانى الذى أسقط قوة روما فى ممالك أوروبا الغربية . فى كلتا الحالتين تعققت الجيوش الامبراطورية مع مجملات « العدو البربرى » وانتزعت من الامبراطورية أوضاعها الواسعة التى ظهر فيها نظام جديد على أنقاض نظام اجتماعى بال . ولقد كان هناك فارق أساسى بين هاتين الغزوتين على الحضارة اليونانية الرومانية . ذلك أن الجرمان دخلوا العالم الرومانى إما وثنيين كالفرنجة والآنجلو سكسون ، وإما مسيحيين كالقوط والوندال وتجمع هؤلاء جميعاً آخر الأمر فى يد الكنيسة الكاثوليكية . وتعاون الرومان والتيتوتون ، وهم المغلوبون والغالبون على تكوين المجتمع المسيحى فى العصر الوسيط . أما العرب فإنهم لم ينقضوا على الامبراطورية وثنيين أو مسيحيين ، بل أتباعاً لدين جديد وضع سداً بينهم وبين خصومهم لا يمكن اجتيازه . وهو اللغة العربية التى دفعها النبي إلى أعلى مرتبة لأنها لغة الوحى ، فانتصرت على كل لسان آخر فى كل أوصى ساد فيها الإسلام . وظهرت حضارة إسلامية جديدة ، وبرز نموذج جديد

انتهى بمد وجزو فى قرات مختلفة من القرون الأربعة عشر التى عاشها الإسلام .

ولو كانت الروح التى أملت على المؤرخين هذا المنهج هى الروح العلمية المتجردة من الحموى دون تحيز إلى إسلام أو نصرانية ، لكانت النتائج المترتبة على اتباع هذا المنهج مقبولة . ولكن الواقع يختلف عن ذلك لسيين ، الأول أن المؤرخ لا يمكن أن يتجرد من هواه الدينى ، والثانى أنه يعتمد عامداً متعمداً أن يكون صاحب حموى .

إن مؤرخى أوروبا وأمريكا يتمعدون اتباع هذا المنهج لينفخوا فى نفوس أبناء وطنهم نار الصليبية الدينية ، ويؤلبوم على الشعوب الإسلامية ، ولذلك ما تزال هذه الكتب تكتب بروح صليبية ، والحق أنك حين تقرأ كتاب الأستاذ ساندروز فإنك تشهد مؤرعا كأنه فى ملعب كرة قدم يسجل لعبة بين فريق المسلمين وفريق المسيحيين الذى يتميز له دون أن يخفى تحيزه ، فسكلاً أحرز المسيحيون نصراً صافق وحلل ، وكلما ظفر المسلمون بنصر أبدى أسفه على ذلك .

لنرضى إذن من هذا الكتاب هو إذكاء نار الحماقة بين أبناء أوروبا وأمريكا ضد العرب والمسلمين ، فى حربهم الصليبية العدوانية على الشرق ، وبخاصة الشرق الأوسط ، واتخاذ الدين ستاراً يخفى وراءه هذه الأهداف الاستعمارية .

(على) . وإلى هنا يسدل الستار عن الفصل الأول من مسرحية تاريخ الإسلام . ويرفع الستار مرة أخرى عن فصل آخر هو تكوين الإمبراطورية العربية على يد الدولة الأموية ، ثم ثورة العباسيين وتكوين الخلافة العباسية التي بدأت قوية القوكة ثم أضعفت تنفكك إلى دويلات ، ويضعف الخليفة في بغداد ولا يصبح له سوى نفوذ اسمي .

إلى هنا يحسب تسلسل الحوادث بشكل طبيعي ، غير أن المؤلف يعترض هذا التسلسل ، فيحذف فصلا خاصا عن الفترة الإسلامية بعد في واقع الأمر نقطة شاذة في هذا السجل التاريخي . حاكا كان الفاطميون إسماعيلية ، ظهروا في شمال إفريقيا ومنها فتحوا مصر ، وأنشأوا القاهرة والجامع الأزهر ، واستمر حكمهم زمنا ، بدأ مزدهرا قويا على يد المعز لدين الله ، ثم تدهور في آخر دولتهم إلى أن انقرضت . ولكن المؤلف يحاول أن يربط بين هذه الدعوة الفاطمية وبين دعوات أخرى ظهرت في المشرق الإسلامي ، مثل القرامطة والحشاشين وغيرهم . إنه يسمى هذه الدعوات « ثورة » على الإسلام ، استغلت بكثير من الولايات الإسلامية من الحكم السني ، وعزت العالم الإسلامي من أسلمه ، ويسرت العالم المسيحي فرصته الأولى الجديدة في استعادة بعض أراضه

من المجتمع ، حضارة ومجتمع يتحديان عقائد العالم المسيحي وقيمه .

ولقد كان الفرس على حضارة كذلك ، ومع ذلك فلا نجد من المؤلف مثل هذه المواجهة ، ومش هذا الأسى . وقد نسي المؤلف أن العرب لم يكونوا « برابرة » بل كانوا مؤمنين أقياء عدولا حردوا الإمبراطورية من الاستعباد الاقتصادي والديني

يقع الكتاب في اثني عشر فصلا : الأول : وصف الجزيرة العربية وجهانها ، والثاني : الرسول ، والثالث : الفترات الأولى ، والرابع : الحروب الأهلية ، والخامس : الإمبراطورية العربية ، والسادس : الثورة العباسية ، والسابع : ضعف الخلافة ، والثامن : الفترة الإسلامية ، والتاسع : نفوذ الأتراك ، والعاشر : رد فعل العالم المسيحي ، والحادي عشر : فكتبة المنول ، والثاني عشر : حضارة الإسلام في العصر الوسيط هذه الفصول ليست منفصلة ، لأن الكتاب كله عبارة عن مائة صفحة أو تزيد قليلا ، فهي إذن أشبه بنظرات عامة ، أو استعراض سريع للقوى المختلفة التي ظهرت على المسرح السياسي والتاريخي الوسيط . الفصول الأولى حتى الفصل الرابع تمثل ظهور الإسلام واقترافه في عهد الرسول والشيعيين أبي بكر وعمر ، ثم النزاع على الحكم وما ترتب عليه من فتن وحروب أهلية وبخاصة في خلافة

ولد في ضوء ساطع من التاريخ ، قضية لا يمكن تأييدها لأننا لا نملك اليوم شاهدا معاصرا على ذلك . إن معرفتنا بمحمد مستمدة من القرآن ، وعن الحديث ، ومن السيرة . وفيما يختص بالقرآن فلا يوجد أى باحث غير مسلم يشك في أن القرآن من تأليفه الشخصى his personal composition . وأنه الوحي الذي رآه أنه تلقاه من عند الله خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته . فالقرآن في ظنهم ليس مصدراً يرضى عنه لحياة الرسول . أما السنة فهي كما يقول : « إن إقامة حياة الرسول على الحديث كمن يبنى هذه الحياة على الرمال » (ص ٢٢) . وبهذا عدم صحة الحديث بحجة قلم .

الأجيب من ذلك أنه يعتمد على السيرة كصدر تاريخي له قيمة أعظم ويمكن الاعتماد عليها أكثر ، بحجة أنها تقدم لنا سيرة كاملة عن محمد في صورة خبرية .

وليس لنا أن نقاش مثل هذا المؤرخ الذي يميز عن التمييز بين المصادر التاريخية الثابتة الصحيحة ، وبين المصادر غير الثابتة أو التي تقل درجة صحتها . وكيف يجرؤ عالم باحث في القرن العشرين على الشك في صحة القرآن مصدراً لحياة الرسول ، وقد انتهى معظم المستشرقين إلى هذه النتيجة ، بل إن بعضهم رفض كل مصدر آخر ولم يمتد سوى

المسلوبة . وإعادة بعض النفوذ في البحر الأبيض . (ص ١٢٥) .

لم تكن إذن الثورة الإسماعيلية في صالح العالم الإسلامي . ولكنها ، كما أوضح المؤلف ، تخضع أغراض المسيحيين ، وقد نص على ذلك حين أوضح أن المسيحية استطاعت أن تستعيد بعض الأرض والنفوذ . الحق أن الدعوة القبيحة من أساسها يحوطها الغموض ، وقد جعل التاريخ قصة عبد الله ابن سبا اليهودي الذي كان يدعو إلى (على) في حياته ويزعم أنه إله ، وغلاف شأنه ، حتى اضطر على إلى القبض عليه ونفيه . والإسماعيلية وما شابهها من فرق ، تعد بما تنغذه من دعوة باطنية سرية ، ولعالم مستورة ، عارضة على الإسلام وسببا في هدمه . من أجل ذلك نجد المستشرقين يحملون هذه الدعوة ، ويتبعون تلويحها ، ويؤيدون تعاليمها ، ويضعونها مع أهل السنة وهم الغالبة المظلمة من المسلمين في مستوى واحد .

وأخطر من هذا كله أن المؤلف يعلنها صراحة أن الإسلام ليس ديناً مهادياً . هذا مع العلم أن بعض المستشرقين في الوقت الحاضر قد عدلوا من موقفهم وأحسنوا يعدون الإسلام ديناً والقرآن كتاباً . يقول المؤلف (ص ١٩) : « أما دهمي (ديثان) أن الإسلام كان الدين الوحيد الذي

كان يتحنن ويشهد على طريقة الخفاء .
ونحن لا ندري (هوية) المؤلف الدينية
أمر مسيحي أم يهودي ، ولكن عبارات
المدح والثناء التي نطلمها لليهود ، والعبارات
التي سالت على قلبه حين كتب عن طردهم من
الجزيرة العربية بعد سقوط خير في حياة
الرسول ، كل ذلك يفضح ولا شك هويته
الصهيونية . وإليك نص هذا الزئاع :

« وهكذا طويت صفحة تاريخية في تاريخ
اليهود بالجزيرة العربية ، صفحة لمحب النفس
ملاذا في أرض جدياء من أخطاها البابليين
أو الرومان . وهو شعب على الرغم من إيمانه
عن قتيار الرئيسي لليهودية ، ظل يحتفظ
بطهارة الإيمان ، وأسهم بنفوذ الصامعة
مؤيدا بالنصرانية في القضاء على آلهة العرب
القديمة ، ولقد تأثر عهد إلى الأعمق بتاريخهم
القديم ، وديهم ، وأسفارهم المقدسة ، وشعائر
عبادتهم . . . الخ ، (ص ٢١) .

ومن هذه العبارات يتكفف تحالف
الصهيونية مع الاستثمار في تشويه حقائق
الإسلام . ٩

أحمد فؤاد الأهواني

القرآن كإنفل الأستاذ (بلاشهر) مثلا ، وغيره .
هذا الكاتب - إذن - إما جاهل ، وإما
مضلل ، وإما أنه يجمع بين الجهل والتضليل .
فن أمثلة قوله : إن محمدا وله بين ستي
٥٧٠ ، ٥٨٠ . ولو كان عالما متبنا لقال : بين
٥٧٠ ، ٥٧١ . وإن محمدا لم يكن ينتمي
إلى الطبقة (الأرستقراطية) ، أو الملائكة ، في
قريش ، بل إلى قبيلة أقل في مستراها
الاجتماعي ، وهي قبيلة بني هاشم . والذين لم
أدنى المسام بتاريخ العرب يعلمون منزلة بني
هاشم في القبائل العربية ومبلغ شرفها .

ومن أمثلة الجهل الفاضح مع الافتراء
والتضليل قوله (ص ٢٥) : « ومن آلهة
العرب ثلاث : اللات والعزى ومناة . وقد
أعلن النبي لجاء أنه تلقى وحيا بمجربايتها .
وبعد فترة قصيرة اعترف أن الشيطان خدعه ،
وجعله ينطق بهذه الآيات التي نصحتها وحى
صحيح بؤيد وحدانية الله ، . ولو كان عند
هذا المؤلف أدنى علم بالتاريخ الإسلامي
والديانة الإسلامية ، لعرف أن النبي عليه
الصلاة والسلام ، ما ينطق عن الهوى . إن
هو إلا وحى وحى . . . وأنه عليه الصلاة والسلام
حسم عن عبادة الأصنام التي عابها العرب في مكة
طيلة حياته ، وأنه قبل نزول الوحي والرسالة

الكتاب

الإسلام والعقل
للكنوز عبد الحليم محمود

للاستاذ مصطفى عبد الواحد

جعل له عنوان « السجود » ، الإمام الغامض
والفكر اليوناني ، ثم إختار الفلسفة .

والقسم الثاني في علم الكلام وفيه فصول
ثلاثة : الفلسفة وعلم الكلام - علم الكلام
الراهن - علم الكلام فيما ينبغي أن يكون .

ومباحث الكتاب كما ترى طريفة ، يمزج
فيها المسأوف بالجديد ، أو أنها مسائل من
العلم القديم تحمل الطابع الذاتي للوقت الذي
درس الفلسفة في باريس بعد أن استكمل
ثقافته الإسلامية في الأزهر الشريف .

وقد كنت أحب أن أكتب في هذا المجال
بعرض فكرة الكتاب أو تلخيص آرائه ،
ولكنني وجدت في الكتاب بعض اللحات
الموجزة التي تحوى أحكاما صامدة أو آراء

هذا الكتاب حل لإجماده ، يعرض لقضايا
ذات أهمية بالغة في الفكر الإسلامي ويناقش
مسائل من الفلسفة والعلم يحتاج استيفاء
القول فيها لطولات واسعة .

ولكن الهدف الأصيل الذي جعله المؤلف
في كتابه هذا أمام عينيه : أن يقنع القارئ
بحقيقة كبيرة هي أن الدين بطبيعته يعتمد على
التفديس ويتخاطب في الإنسان حاسة وروحية ،
والتحويل على العقل في هذا المجال أو إلقاء
الزمام إليه يؤدي بالإنسان إلى متاهات تجنبه
طريق الصواب .

وقد قسم المؤلف كتابه إلى قسمين : القسم
الأول في الفلسفة ويمرر أربعة مباحث :
القرآن ضد العقل ، موقف المسلم من الدين وقد

يحدوه المؤلف من إعلان أن الإسلام يخاطب العقل ويستثير فيه التفكير المستقيم ، كما قال الله سبحانه : « قل إنما أهلكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا : ما يصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (١) . إن ما يحتاجه المؤلف من ذلك أن يقال : إن الإسلام قد جعل العقل حكماً على الدين : « ويقتضى ذلك لا مناص بأن يكون العقل هو القاسم وليس الدين ، وذلك قلب للأوضاع وانعراش عن المراتب المستقيم » (٢) ، ويرى المؤلف أيضاً وما يراه حق : « أن القرآن لا يستشهد الإنسان في أية قضية من القضايا التي جلد بها الوحي » (٣) وكل هذه المحذورات لا تأتي من القول المذكور ، إذ أن اقتناع العقل مرحلة سابقة للإيمان وبمدها يتبع المسلم دينه ويسلم وجهه إلى ربه ، بعد أن أيقن بأن ذلك هو الحق ، وتلك خطوة يقوم بها العقل للإنسان في كل اتجاه يتجه إليه في حياته .

• • •

(١) سورة سبأ .

(٢) ص ٩ .

(٣) ص ١٤ .

قد يصير فهمها على أحباب الثقافة الإسلامية المحدودة ، أو يتمكن من تأويلها على غير وجهها ذور الأغراض السيئة .

ومن هنا آثرت أن أشير إليها مبدياً الرأي أو مستغنياً الصواب .

١ - في الفصل الأول أراد المؤلف أن يحدد مفهوماً جديداً لصلة الإسلام بالعقل غير المفهوم الذي يردده كثير من النواة في العصر الحديث وهو أن القرآن كتاب العقل ، وأنه دعوة لتحرير العقل من قيوده . فذكر المؤلف حدود الصلة بين الإسلام والعقل وبعد أن بين أن الدين جاء هادياً للعقل في مسائل معينة ، هي ما وراء الطبيعة ، والأخلاقي والتشريع ، وأن القرآن لا يناقض العقل ولا يسر عليه فهمه ، ذكر أن القرآن نزل في حقيقة الأمر ليقود الإنسانية نحو الكمال الروحي ... « وما دام الأمر كذلك فليس للعقل إلا التسليم والخضوع والخضوع ، أو بتعبير أدق : السجود وهو ليس سجوداً تصفياً أو تحكيمياً ، وإنما هو سجود مصدره الإيمان اليقين بأن هذا من عند الله » (١) .

فما دام الأمر أخيراً يعود إلى اقتناع العقل بأن هذا الدين من عند الله ، فما الذي

(١) ص ١٣ .

منه ، وفيك ، فصحة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعلق الدكتور على ذلك بأن الكلمة التي أبدلها البراء بن حازب ، بحسب منطقتنا وعقلنا تكون سالحة ، ولكننا لا نرى بعقلنا ومنطقتنا إلا الشكل الظاهر ، أما بواطن الأمور أما أسرار الكلمات ، أما حكمة الأوصاف المحددة ... فإننا لا نصل إليه بمنطق البشر .

إن كل ما هناك أن البناء الذي حله الرسول لبراء بن حازب قطعة مختارة من أدب النبوة العالي ، ويمكن العقل أن يدرك يسر لماذا أمر الرسول صلوات الله عليه بكلمة فيك بدل رسوله في هذه الجملة ، وذلك لتجنب التكرار في كلمة رسوله وأرسله ، ليصبح لكلمة أرسلت معنى بريد على مجرد التأكيد اللفظي .

٢ - وبعد المؤلف في الفصل الذي جعل عنوانه (السجود) بمعنى ترك تحكيم العقل في الدين طائفة المعتزلة من خلفاء إبليس ، فهم في نظره لم يسجدوا لله بسجود خضوع وإذعان ، فلم يسجدوا له إلا شكلاً .

ثم لا يجد مناصاً من الإقرار بأن مدونة الشيخ محمد عبده إنما هي مدونة اعتزالية في عبادتها وأصولها ، وهي مدونة اعتزالية في غاياتها وأهدافها ، ذلك أنها تضع قضايا

ويبلغ من حذر المؤلف من التسليم بدور العقل أن يقول الآيات التي تأمر بالتدبر والتفكير والنظر بأن المراد بذلك الاعتبار فيقول : وكل ما ذكره من التفكير والنظر والتدبر إنما أراد به الاعتبار ، وأراد أن يقول : تفكروا لتروا أن ذلك هو الحق ،^(١) .

وهو نفس المعنى الذي يقصده من يقولون : إن الإسلام دين العقل ، دون تأويل .

ولذلك لم أروهاً لقوله المؤلف يصف السلف الصالح : « لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ويمسكونه القائد الحكم المهيمن »^(٢) فإن الإخضاع يعني تأني النص على الفهم أو مناقضته للعقل ، وليس في الإسلام شيء من ذلك ، والآيات المتشابهة لا تمثل إلا مناطق لم يسمح فيها الوحي بالكثير من التفاصيل وليس معاً كل يقف أمامها العقل أو تعسر على الاقتناع .

والمثال الذي ذكره المؤلف تأييداً لقوله لا يمثل هذا المعنى الذي أراد ، إذ يذكر أن البراء بن حازب أخطأ في دعاه عليه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به قبل نومه فقال : « ورسوله الذي أرسله ، بدلا

(١) ص ١٤ .

(٢) ص ١٥ .

عصره ، وحفاظاً على الإسلام الذي تكالبت عليه قوى الشر في هذا العصر ، وفي الحق أن هذا الرجل قد كذب للإسلام أضراراً ما كان يفلح معهم منهج التسليم ونبد التفكير ، بل كانوا يعملون من هذه المحورة إلى الإذعان وإخضاع العقل وسيرة أخرى الصده عن الإسلام والتي عليه .

وفي رأي أن الشيخ محمد عبده لم يكن «فتوياً بالعقل» ولكنه اضطر إلى ذلك السبيل في عصر كانت الحضارة الحديثة تخالبل للناس فيه بدعوات براقة من البحث والاقتناع ، باستمال لماذا وكيف ...

وقد فقه الرجل دينه وأدرك صلابته ، وعرف أنه لا يصحيق بالبحث ولا يتخرج من النقاش والاقتناع ، بل للامة الإسلامية هذه الحقيقة ، وأظهر لأعداء الإسلام عاصية الإسلام الفذة ، ووقف يتنازع بالحجة والدليل ، ولا نريد أن نقول : إنه لم يعطى في بعض جزئيات تفكيره ، أو لم يبالغ بعض الشيء في منهجه ، ولكننا خلفنا الأنظار إلى تقدير دوره أو محاسبته بطرقه وموقفه من عصره وقومه .

• • •

الدين في ميزان عقلها فتنبى وثبت حسب مقتضيه الأمور والزمات^(١) .

ثم يرى أن المدرسة العقلية في الدين لم تسجد لله سجود خضوع وإذعان ، وإنما مهدت العقل وجبت العقل^(٢) .

والمعتزلة أيا كان الأثر الذي تركوه في التفكير الإسلامي ، كانت لم أخطاؤهم التي أنكرها عليهم جهود الأمة ، في حرية عقلية وحول استمر طويلاً ، وكل مسلم يستطيع أن يدرك حساب المعتزلة من الخطأ والصواب ، ورغم ذلك فإنهم لا يهتمون في خضوعهم لرهبهم أو ولائهم لدينه ، فما فعلوا ذلك إلا اجتهداً للدفاع عن الإسلام في عصر استترف فيه العقل العربي للجدل وشاعت فيه الثقافات المختلفة ، ولم يعد مجرد الإذعان كافياً للإقناع ، فكان لابد من البحث في حقائق كثيرة ، ذلك البحث الذي حمل طابع عصره وتميز بخصائصه . ورغم أخطاء المعتزلة في التمسك فقد كانت لهم حسناتهم العديدة في قوة الاحتجاج للدين والهد منه أمام تيار الإلحاد والزندقة .

كذلك فإن الشيخ محمد عبده لم ينجح النهج العقل في البحث في الدين إلا استجابة لحاجة

٣ - ومن هذا القبيل يرى الدكتور أن علماء الكلام الإسلاميين : « يعمرون من

(١) ص ٢٢ .

(٢) ص ٢٢ .

« قد وصل إيمانها إلى درجة يشبه أن يكون معدوما ، وما ذلك إلا لتغلغل نهج الوثني في بحث قضايا الدين ومبادئه ... » .

وهذه معركة جديدة يشيرها المؤلف ، حله عليها يقينه الصادق وتصوفه العميق ، وهي لا شك دفعة عاطفية تحمد الباحث عليها ، ولكنها ليست رأيا تحمد عقبا ، إن الأمة الإسلامية قد أثبتت وجود الله سبحانه بالأدلة العقلية ، استجابة للحاجات العقلية المتفادئة ، فع معرفة المسلم لربه بطريقه إلا أن الأدلة العقلية تزيد إيمانا ويقينا : « أروم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليظعن قلبي ، والقرآن نفسه قد استدل على وحدانية الله سبحانه بأدلة عقلية رغم بداهتها ، وصديق العمود بها ، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، « هذا خلق الله فأدرك ماذا خلق الذين من دونه ، « كما أشار إلى إثبات الوجود بقوله : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . »

وليس الإسلام بالذي يضعف الإيمان به حين يوضع موضع البحث ، بل هو كالجوهر الرقيق لا يذبله النظر فيه والتأمل في حسنه إلا جمالا وبها .

وبعد : فإن كتاب الدكتور عبد الحليم محمود ، نقعة وحية يقتنع بها أهل الصفاء ، تشمل كل غيرة على الإسلام وحبه له ، وحسب

نزعة بشرية تقف نفسها في الراس بصورة تحاول أن تكون مقننة ، (١) .

والقراءة التأويلية لعلم الكلام تبين أنه نفسا كحاشية عليية للاحتجاج على عقائد الإسلام بالطريقة التي عرفها المسلمون من دراسة للفلسفة ، وقد كان على المؤلف بدلا من النفي عليهم أن يبين لنا على وجه الإجمال موقف المسلم من كل ثقافة أو علم ينتشر في بيئته ، هل من حقه أن يحدد موقف دينه منه ؟ أم السبيل أن يقفل على نفسه دائرة لا يسمع فيها شيئا ولا يحس بشيء ؟

٤ - ويبقى بعد ذلك أن المؤلف يرى أنه لابد من حذف مسائل ثلاث من علم الكلام ، هي القدر ، والصفات ، ووجود الله ، ومن العجيب أنه يرى أن الإسلام لم يحسم لإثبات وجود الله وإنما جاء لتوحيده ، وأن الآيات الكثيرة التي بطن بعض الناس أنها زلت لإثبات الوجود فليست من ذلك في قليل ولا كثير ، (٢) .

وأن نهج إثبات وجود الله عقليا منهج وثني ، وهو الذي أتاح الانحراف الكامل ، أي إنكار وجود الله ، وأن الأمة الإسلامية

(١) ص ٤٧ .

(٢) ص ٦٦ .

وحسان بن النعمان الأزدي، وموسى بن نصير.
ومنهج الكتاب في الترجمة لمؤلفه القادة :
هو عرض حياة كل منهم بإيجاز ، وبين
دوره في الجهاد ، ومشاركته في القيادة ، وحديث
التاريخ عنه ، و عرض لمحات الجوانب
الإنسانية البارزة في حياته .

والكتاب كما نرى يجمع بين جانب التأريخ
والأحداث وبين جانب التراجم والتعريف ،
فن الممكن اعتباره تاريخاً للفتح الإسلامي
للغرب العربي ، ومن الممكن كذلك النظر
إليه على أنه تراجم لقادة هذا الفتح .

وقد سار المؤلف على المنهج العلمي
في تحليل الأحداث ونقد الروايات ، فعرضها
على مقاييس الاجتهاد وقوانين البيضة حتى
يقف على الرأي الذي يسترجح إليه ، وقد
اعتنى - وهو من رجال الحرب - بتحليل
أسباب النصر والهزيمة والكشف عن قوة
الخطأ وضعفها ، وذلك ميزة جديدة ينفرد
بها بين كتب التراجم والتاريخ .

• • •

يوسف عليه السلام

لفضيلة الأستاذ عبد الحميد كميل

وكيل الدعوة بأوتاف الجزيرة

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر

يقابل هذا الكتاب تفسير سورة يوسف

القاري . المسلم ذلك في كتاب يتحدث عن
الإسلام

• • •

قادة فتح المغرب العربي

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب

الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت
الجزء الأول ٣٥٠ صفحة .

يعرض هذا الكتاب لتاريخ الفتح الإسلامي
لأقطار المغرب العربي من خلال عرضه
لتاريخ قاده ..

والنصد منه - كما يقول المؤلف - أن يذكر
أهل المغرب في أقطاره كافة كيف دخلت
العربية إلى بلادهم ، وكيف انتشر الإسلام
في ربوعها ، أو كيف ضحى آباؤهم وأجدادهم
بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ..

وقد بدأ الكتاب بمقدمة موجزة عن
الناحية الجغرافية للغرب العربي ، عن الموقع
والسكان ، وعن الناحية التاريخية للغرب
قبل الإسلام ، وبعد ذلك اتجه إلى موضوعه ،
وهو الحديث عن القادة العامة الذين تم على
أيديهم الفتح الإسلامي لأقطار المغرب ،
وم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومعاوية
ابن حجاج الكوفي ، وصفية بن نافع
وأبو المهاجر دينار ، وذوهم بن قيس البلوي

الكريم ، ولا نجشهم هناك المصطلحات الغامضة ومكابدة المشقة في فهم مقاصد الآيات ، وفي نفس الوقت لا نوجع القول في التفسير حتى يصبح حلا للفردات ، لا يجل عبث ولا يكشف حقيقة .

إن كتابنا الكريم بحاجة إلى جمهور العلماء كل في ميدانه ، ليربطوا النفوس بمبانيه وينيروا الآفاق بسنائه .

• • •

المشابهة مع القرآن

تفسير الآيات الغامضة

تأليف محمد علي حسن الحل

دار الفكر بيروت ٣٠٠ صفحة

ورد هذا الكتاب من مؤلفه إلى مجلة الأزهر ، وقد استوقف عنوانه نظري ، إذ أن التقاطع من القرآن يعني ، الآيات غير الفاطمة الدلالة على معنى بذاته ، والتي يجتهد العلماء في بيان المراد منها أو يفرضون عليها إلى الله سبحانه ، ولكن القرآن لا يحوي آيات غامضة كما يشير عنوان الكتاب ، إذ أن الضموض معناه الخفاء ، بمعنى ألا يتضح من الآيات معنى قاطع أو غير قاطع .

وبعرض قصته من خلال التفسير ، فهو نظرة إلى قصة يوسف بمنظار القرآن الكريم ، بعيداً عن الروايات المدسوسة والأخبار المنزوية .

وقد اعتمد المؤلف في هذا التفسير على أشهر التفسيرات القديمة ، ولكنه يصرح في المقدمة أنه خرج بين أقاويل المفسرين بحيث لا يمكن نسبة كل منها إلى قائله ، وتوخى في ذلك قاعدة القاري ومثته ... وأضاف إلى ذلك ما اعتدى إليه من فهم وفكر ،

والطابع الذي يتميز به هذا التفسير لسوء يوسف هو المنايا بجانب العظة والاعتبار بالمفرد الخلق والنفس الذي تفسر إليه الآيات ، تحفياً مع مقاصد الهداية في قصص القرآن ، والمؤلف بذلك يؤدي واجبه أيضاً فهو من رجال الدعوة العاملين .

وقد ختم المؤلف تفسيره بالعبر والدروس التي يتضح بها من عرض القرآن لقصة يوسف بهذه الصورة مبيناً جوانب العظة أيضاً في حياة هذا النبي الكريم .

والحق أن هذا الانجاء القريب من نفوس جماهير المسلمين في عرض معاني القرآن جدير بالاهتمام فالحاجة إليه ماسة ، حتى فصل أبناء الأمة الإسلامية جميعاً بمنابع الهداية في القرآن

ويدلنا على أن المؤلف قد أخطأ التوفيق
بتمرضه لتفسير القرآن دون استكمال الطبعة
لذلك ما نشهد إليه في إيجاز ما بنا فيه من
الصواب :

وعجبت بعد ذلك حين رأيت المؤلف يبدأ
كتابه بتفسير الفاتحة مع أنها سورة محكمة
لا متشابهة ولا غامضة ثم يمرض تفسير
آيات من سور القرآن على الترتيب من البقرة
حتى سورة هود .

١ - يقول في تفسير الآية : « مثلهم كمثل
الذي استوفد ناراً ، أى مثل هؤلاء المنافقين
كمثل أصحاب الذي استوفد ناراً ، يعنى طلبه
إيقاد النار وهو موسى بن عمران . . . (فلما
أضاءت) يعنى فلما أضاءت الشجرة التى كلم الله
تعالى منها موسى بالعلم والهداية (ما حوله)
يعنى أضاءت على موسى ومن حوله ومن
بنو إسرائيل بأن أقضد من يدفعون ، وهذا
(ذهب الله بنورهم) أى بنور الهداية ، وهذا
تخطيط لا يحتاج إلى رد .

ومع أن فهم القرآن والنظر في معانيه حتى
لكل مسلم ، إلا أن ادعاء المسلم بتفسيره
وإذاعته على الناس يبنى أن يصحها شيء من
التيب والإجلال لقداسة هذا الكتاب
الكريم ، وقد كان كبار علماء السلف الصالح
وأئمة الهداية يفرهون أن يقولوا في القرآن
بآرائهم فهل يكون . وأقل ما يقال في هذا
المجال أن العلم بلغة العرب وإجادة علوم الحديث
وحسن التلقى عن أئمة التفسير أبسط شرط
لمن يجلس من المسلمين مجلس تأويل القرآن
وتفسير آياته .

٢ - وفي تفسير قوله سبحانه : « ثم أتوا
الصياح إلى الليل » يرى المؤلف أن المسلمين
أخطأوا في إظهارهم في الوقت الحاضر ، فهم
يفطرون وقت غروب الشمس ، ولا يسمى
هذا عند ليلاً ، بل لا يكون الليل إلا عند
الظلام وظهور النجوم ، ولا يجوز الإظهار
إلا بعد غروب الشمس بنصف ساعة ،
وكذلك يفسر قوله تعالى : « ولا تبashروهن
وأتم ما كفون في المساجد أى ولا تنكحوا
نساءكم وقت الصلاة والخطب ، فإن الله نهى
عن النساء وجماعهن في أول وقت من الليل

ولكن المؤلف - كما يقدمه لنا كتابه
نفسه - لا يعرف من البلاغة والبيان
أكثر مما يعرفه طلاب المدارس المتوسطة
ليس إلا - ومع ذلك جاء بمقاييس القرآن
وجملها في تناول الجميع كما يقول - وهو
أيضاً - كما يقدم لنا نفسه : (سأل الله الثواب
فأعطاه علم الكتاب ، والجنان فعله تفسير
القرآن فهو علم له لا فظير له في كتب
التفسير . . .) .

وذلك خاص في شهر رمضان أى من وقت
الإفطار إلى بعد صلاة العشاء بساعة .
وقد وقع المؤلف بذلك في تحريم الحلال
وفي التلبس على جمهور المسلمين في أمر
دينهم .
٣ - ومن ذلك تفسيره قوله سبحانه :
(إن الذين آمنوا ثم كفروا) بأنهم اليهود
آمنوا بموسى ثم كفروا وهبوا المصل
ثم آمنوا ثم كفروا ، مع أنها واضحة الدلالة
في أنها تعنى المنافقين ولا ذكر فيها لليهود
ويدل على ذلك سياقها وما بعدها من الآيات .
وهكذا يسير المؤلف في كثير من الحالات
وأقل ما يقال في هذا الاتجاه أنه اعتماد على
الظن في تفسير القرآن وقد الاستعداد الأول
لمن يضع نفسه في هذا الموضع الخطير .
مصطفى عبد الواحد

من وصايا الحكماء

لقد سجل حكما فقال : كيف ترى النهر ؟
قال : يخلق الأبدان ، ويمجد الآمال ، ويقرب المنية ، ويباعد الأمنية .
قال : فما حال أمه ؟ قال : من ظفريه منهم نصب ، ومن فاته نصب .
قال : فما النقي عنه ؟ قال : نطع الرجاء منه .
قال : فماى الأصحاب أبر وأوفى ؟ قال : العمل الصالح والتقوى .
قال : أيهم أضر وأردى ؟ قال : التفتن والهوى .
قال : فأين المخرج ؟ قال : سلوك المنهج .
قال : وما هو ؟ قال : بذل الجهود وترك الراحة ، ومداومة الفكرة .
قال : أوصنى . قال : قد فعلت .

انبثاء وآراء

وبعض المسلمين يرحل إليهما مسافراً نحو ثلاثين كيلومتراً ، والمئسبان الجامعتان للمسلمين ببولندا هما : عيد الفطر ، وعيد الأضى ، فقبهما بعد المسكون الرجال إلى هاتين القريتين فليس في العاصمة مساجد .

وقال سيادته عن التعليم بين أبناء المسلمين :

ليس للمسلمين لغة عامة ، وإن كان في هاتين القريتين مسنون يلتقون أبناء المسلمين القرآن بالعربية ، وإن كانوا لا يستعملونها في غير ذلك ، لذلك كانت الصلاة تؤدي مترجمة في معظم الأحوال .

ووجه سيادة الزائر أن يتفضل بالجمع فيعمل على الاتصال بالجهات المسئولة في بولندا ليستفيد أبناء المسلمين من منح الجمع . وبمئاته التعليمية .

ووعده السيد الأمين العام الزائر بالنظر في رغباته وتقديم ما يمكن تقديمه من منح وكتب دراسية في العام الدراسي ٦٧/٦٨ .

ترجم إلى اللغات المحلية لمسلمي بولندا .

استقبل السيد الدكتور محمود حب الله الأمين العام لجميع البحوث الإسلامية السيد : (علي رداقسي) عضو الوفد التجاري البولندي ورئيس مسلمي بولندا الذي يزور الجمهورية العربية المتحدة .

ودار الحديث بين الزائر الكبير والسيد الأمين حول ما يمكن أن يقدمه الأزهر وجميع البحوث الإسلامية لمسلمي بولندا ، وأبدى الأمين العام رغبة الأزهر في التعرف على أحوال المسلمين في بولندا ومدى القسيات التي يمكن أن يقدم الجمع في ضوئها مساعداتهم ، وهي مساعدات شاملة تجمع بين البعثات التعليمية ، والمنح الدراسية بالأزهر والكتب الثقافية .

وقد وصف السيد الزائر أحوال المسلمين في بلاده فقال : إن عددهم محدود ويمشون نحو أربعين في المائة منهم بقرتي : كروششتان ونجيتسكي ، وفي هاتين القريتين مسجدان الأمر الذي ترتب عليه ألا يصل أكثر المسلمين الجمعة ما هذا ما كنى هاتين القريتين

الحياة إلى تطور البحث العلمي فأبانا لا نهم
بوضع (دائرة معارف قرآنية) تهتم بإبراز
الجوانب العلمية التي تضمنتها الآيات القرآنية
فتنشر الآية تفسيراً شاملاً كاملاً من النواحي
الدينية ، والتاريخية والفنية والقانونية
والاقتصادية والجغرافية وغير ذلك .

ومذا العمل سيكون أكرم عمل تقدمه
هيئة إسلامية من الهيئات التي فيط بها بيان
الثقافة الإسلامية ومدى باناطة التي تنكسها
نفس فاعليتها الأولى :

وإن عملاً ، كهذا يحتاج إلى لجنة تمثل فيها
الخبرات العلمية في كل جانب من فنون البشرية
وعلمها وبذلك قول : إتنا قد أسدينا إلى
الإسلام خدمة ، وإلى المسلمين معروفاً .

على علي الختاني

مجلة الأزهر :

نسارع فتؤكد السيد / علي علي الختاني أن
هذه الرغبة أنتمد باقتراح شامل قدمه
إلى مؤتمر مجمع البحوث الثالث هذا العام السيد
الدكتور عبد المعين عان عضو الوفد الهندى
بالمؤتمر ومدير المعارف الثانية بميدى أبلد
ولا شك أنها رغبة ستجدى قلوب المسئولين
وذوى الكفاية استجابة مباشرة .

وشكر السيد الزائر الأمين العام مينا
جدوى هذه المنح في ارتفاع المسلمين في بلاده
مستقبلاً منها ؟

حول دائرة معارف قرآنية

كتب السيد علي علي الختاني إلى المجلة يقول :
إن القرآن الكريم كان وما زال يكون
الأساس الذي يقوم عليه البناء الإسلامى ؛
لهذا كانت عناية المسلمين ببحث تفوق عنايتهم
بأى أمر آخر سواء ، وكانت نتيجة ذلك
ذخيرة علمية تضمها آلاف الكتب في الشرق
والغرب على صواء ، وما زلنا نلح آثار
القرآن الكريم واضحة في بعض المسامير
العالمية مثل القانون الفرضى ، وبعض الهيئات
الألمانية تطالب بأن يتضمن القانون الألماني
فضاً يبيح تعدد الزوجات كذلك امتد أثره
الكريم إلى الناحية الأدبية ، ويرى ذلك
واضحاً في آثار الشاعر الألماني ، جوته . .

ولما كان العلماء الذين اشتغلوا ببحثه ذوى
اهتمامات مختلفة بجوانب علمية مختلفة اختلفت
نما لذلك - مناهجهم ، وإن لم يقصروا جميعاً
في توضيح المانى المقصودة .

وما لا شك فيه أن العلوم قد ازدهرت
في هذا القرن ازدهاراً عظيماً ، ودفع تطور

تفسير الفخر الرازي

وكتب الأستاذ أحمد عبد الطيف بدر مفتش اللغة العربية بيور سعيد كلة يرد فيها على منكرى إتمام الفخر الرازي لتفسيره ، وهو الموضوع الذى يقوم بدواته دراسة علمية موضوعية الأستاذ (على الهامى) بقول الأستاذ أحمد عبد الطيف :

لعل الشجة التى عرضت للعرضين أو الهاكين فى نسبة التفسير للفخر تعود إلى تركه ما اعتاد قوله فى نهاية تفسير كل سورة ، لكن كل ذى بصير بالأساليب ، والاسلوب هو الإنسان، تمكنه من التعرف على روح عرضه ، وطريقة بحثه ، وحسن تأنيه فى التأويل وبراعته الفاتحة فى دفع المترض .

إن منهج بحثه الفخر ، يدل عليه ، ولا يمكن تقليده ، أما قولهم : إنه فسر إلى سورة الأنبياء ، فإن طريقته فى الاستدلال بالزعمرى مطردة واضحة ، وهى طريقته المنهجية التى اتبعها فى كتابه من مفاتيح النيب ، والى لم تختلف فى أى جزء من أجزاء الثمانية الضخام ، وقد أعكنتى استخلاص طريقته بمصانفها التى أبرزها فيما يأتى :

أولا : اتجاهه إلى التأويل ، وإيراد المعنى على وجوه يؤكد بعضها وينفى البعض .

ثانيا : قوة محجة على فنى ما يريد نفيه .
ثالثا : استطراده عند تحقيق مسألة علمية لغوية أو منطقية أو نحوية .
رابعا : نزعة التجريدية الصوفية فى تفسيره آيات أسرار الكون .

خامسا : عنايته بالفحوى فى نهاية مطافه .
هذه الخصائص - وغيرها تدل على وحدة المنهج فى تفسيره إذا أحسن القارىء البصير بصوته فيتعرف على حقيقة من بين سطوروه أحمد عبد الطيف بدر

● خصصت إدارة الأزهر مسع وزارة الأوقاف مائتى واحد ومئوس أزمري لنشر الوعى الدينى وتقيم الروحية بين جنود وضباط القوات المسلحة .

● اعتمد الاتحاد العالم لعلماء المساجد برنامجا لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم جميع مساجد القاهرة والمحافظات ونبيل المساجد التى يتم ذلك فيها اثنى عشر ألف مسجد موزعة فى جميع أنحاء البلاد .

- أعلنت إدارة الأزهر برنامجاً لإلقاء دروس في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالجامع الأزهر ، يتخللها ندوات شعرية طيلة شهر رمضان ، وذلك في فترتين من كل يوم تبدأ الأولى بعد صلاة العصر . والثانية بعد العشاء ، ويقوم بإلقائها نخبة من أساتذة الأزهر على رأسهم الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

- تجرى المراقبة العامة لرعاية الشباب بالأزهر مسابقة الأدبية التي اعتادت إقامتها بين جميع طلاب المعاهد الأزهرية الثانوية . وتتناول المسابقة الموضوعات الآتية :

حفظ وتجويد القرآن الكريم ، الفصح والحطابة ، المجال والفصحة ، صحافة الحافظ والرجل . . وهذه رابع مسابقة لها فقد بدأت بأولى مسابقاتها عام ١٩٦٢ وتقوم المعاهد حالياً بإجراء المسابقة في مستوى المحافظات . ثم ترفع نتيجة اختبارات إلى المراقبة في أواخر شهر إبريل ليتم اختيار الفائزين في مستوى الجمهورية .

- احتدق مشروع ميزانية الأزهر الجديدة ٢٠٠ ألف جنيه لإنشاء معبدتين جديدين للأزهر في كل من مدينتي دسوق بمحافظة كفر الشيخ ، وشبين الكوم بمحافظة المنوفية ثم تجديد عدد من المعاهد الأزهرية الأخرى .

- صدر في ١٥ / ١٢ / ١٩٦٦ قرار رقم ٤٠٨ بتحقيق رغبات ستة وصيين ومائة مدرس من مدسسي المعاهد الأزهرية في الانتقال إلى أماكن اختيارهم على أن يتم إخلاء طرفهم عقب انتهاء دروس يوم الخميس ١٩٦٦/١٢/٢٢ ليقتلوا عملهم في المعاهد المنقولين إليها صباح السبت ١٩٦٦/١٢/٢٤ م .

في محيط العالم الإسلامي

- تلقى الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر دعوة من الفقيه (عنياء الدين خان) مفتي مسلي الاتحاد السوفيتي ورئيس الإدارة الدينية لمسلي آسيا الوسطى وقازاقستان - لزيارة مسلي الاتحاد السوفيتي ، وقد وعد فضيلته بالنظر في طلبه .
- انتهت في الشهر الماضي أعمال المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية الذي رأسه الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ، وقام فيه بأعمال الأمانة العامة الأستاذ الدكتور محمود حب الله الأمين العام للمجمع ، واتخذ المؤتمر عدة قرارات وتوصيات هي الآن على رعاية المسئولين .
- أعدت إدارة الثقافة الإسلامية التابعة لمجمع البحوث الإسلامية للطلبة الوافدين الذين لا يجيدون العربية ، ويرغبون في استكمال دراستهم بالأزهر : معاهده وكتباته - ودروسا خاصة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية لتمكينهم من تحقيق رغباتهم .
- بلغت منح إدارة البحوث الإسلامية التابعة للمجمع للطلاب الوافدين من مختلف بلاد العالم الإسلامي ثنتين وستة مئة دراسة للعام الحالي ١٩٦٧/٦٦ م
- بلغ مجموع الطلبة الوافدين إلى الأزهر هذا العام ١٩٦٧/٦٦ م اثنتين وستة وأربعة آلاف طالب انقسم إلى جامعة الأزهر منهم سبعة وألفا طالب ، وإلى المعاهد الدينية خمسة وتسعون وخمسة وألفا طالب :
- من الوطن العربي ١٩ دولة ٧٢٢ طالبا بالمعاهد الدينية ، ١٣٢٧ بجامعة الأزهر من إفريقيا ٢٨ دولة ١٤٢٤ طالبا بالمعاهد الدينية ، ١٣٦ بجامعة الأزهر من آسيا ١٨ دولة ٢٦٨ طالبا بالمعاهد الدينية ، ٥٢٨ بجامعة الأزهر من أوروبا والأمريكيتين ١٣ دولة ٨١ طالبا بالمعاهد الدينية ، ١٦ بجامعة الأزهر .
- ويقيم جود هؤلاء الطلبة بمدينة ناصر للبحوث الإسلامية حيث تتوفر لهم

في العالم الإسلامي والعربي يشرف عليها
الأزهر الشريف .

الرعاية الطبية وتقدم لهم وجبات غذائية
كاملة وتشرف عليهم لجنة تسهر على راحتهم .

● طلبت حكومة (أفغانستان) من هيئة المطابع
الأميرية بالقاهرة إمدادها بأنواع خاصة
من الحروف المشكلة تمهيداً لإصدار مطبعة
جديدة من القرآن الكريم بأفغانستان .

● زادت بعثات مجمع البحوث الإسلامية
العالم الإسلامي هذا العام من ذي قبل
وزودت تلك البعثات بالمكتبات الثقافية
وقد بلغ مجموع أعضاء البعثات من مدرسي
المحاضر والوعاظ ستين وأربعين أستاذ ،
ومن جامعة الأزهر تسعة وأربعين أستاذ
ذهبوا إلى سبع وثلاثين دولة بين إفريقية
وآسيوية وأوروبية وأمريكية .

● حققت الوفود العربية نصراً كبيراً
في اجتماعات اللجنة الإدارية لمنظمة
« اليونسكو » الدولية بباريس ، فقد
وافقت اللجنة على استخدام اللغة العربية
داخل المنظمة اعتباراً من الدورة القادمة
للتوتمر العام لليونسكو التي ستعقد
في نوفمبر ١٩٦٨ تمت الموافقة بأغلبية
خمسين صوتاً ، ومعارضة إحدى عشرة
دولة ، وامتناع عشر عن التصويت
ستكفل الكويت بتنظيم نفقات
المشروع وقدرها ٨٠ ألف دولار .

وتعنى هذه البعثات بأداء رسالتها المقدسة
في نشر تعاليم الإسلام واللغة العربية ،
كما تؤدي جهوداً مشكورة في سبيل توثيق
العلاقات الودية بين هذه البلاد
والجمهورية العربية المتحدة وقد أثمرت
هذه الجهود عن افتتاح عدة معاهد دينية

على الطيب

youth, so that he passes this stage unpolluted is worthy of being under the shadow of Allah on the day when people are brought together before Allah.

The third type is represented by the man who loves places of worship so much that the call to prayer to God touches him to the heart, and rouses his exaltation of God, and his submissiveness to Him, even though with his own free will. He rejoices that he is going to commune with Allah in his prayer, his mind being conscious and prudent, his tongue reminiscent and thankful and his heart extremely faithful. To God he has ever devoted his prayer, his devotness, his life and his death. And he shall be under the shadow of Allah at the Hour of Doom which none may retard.

The fourth type is represented by two men who loved and obeyed God; which led them to loving one another faithfully; a love in which they met and in which they parted. This Hadith exhorts us to make the sake of God and His worship the motive behind our love and hate, so that one should establish strong relations with those who, like him, are faithful and love God and His Apostle, not those who do evil and cherish indecent feelings. Happy are those who seek good example, to follow and who do right; for this is to their own advantage on the Doomsday.

The fifth type is that of a man who resisted temptation into sin matched against him by a beauty that not only turned heads, but also had the power to avenge her pride if once it is wounded. Though he might have yielded to the seduction of the charms at his disposal, like Joseph, he said "Allah forbid". Such a man whose passion melted with fear of God is an example of the miraculous education of Islam, and on the Appointed Day, shall be under the shadow of Allah.

The sixth example is that of a man who guarded himself against sham goodness and hypocrisy. He gave charity, but behind a thick veil of concealment; thus he secured the poor man, to whom he gave this charity, dignity and respect rather than exposure.

Everyone should virtually contrive to free his acts from whatsoever may render them false or imperfect. God's reward should be dearer to him than any other consideration, that he may be under the shadow of God on the Day of Last Judgement.

The seventh and last example is that of a man who, once alone, recalled God to his mind and then, out of love, faith, contemplation submissiveness or fear, he wept. For the sake of these tears he shed, he shall be forgiven his sins and richly rewarded on the day when no excuse will help the evil-doers...

From the Tradition of the Prophet :

Under the Shadow of Allah

By

SOLIMAN BARAKAT

The Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, said :

"Seven men shall be under the shadow of Alla on the day when there is no shadow but His : an equitable imam ; a youth who grew up in the worship of Allah ; a man whose heart clung to mosques ; two men who loved one another in their love of Allah, so that in this love they met and in it they parted ; a man whom an influential and beautiful woman called on but he said, "I do fear Allah" ; a man who gave charity in such secrecy that his left hand never knew what his right hand spent ; and a man who in loneliness recalled Allah to his mind, and then his eyes filled with tears."

In this Hadith, the Apostle of Allah demonstrates to us seven types of people whom Allah is well pleased with and will reward richly. Anyone possessed of their qualities shall be sheltered and protected on the day of Reckoning, when the Judgement of Allah, lies in wait.

The first type is that of the equitable imam. By an imam, or leader, is meant any person entrusted with the observance of any good or interest of Muslims. The Prophet demonstrates this type of men first on account of the responsibilities confided to them and the prevalence of their help if they are just and straight. And the term is applied not only to political or religious headmen, to generals or instructors, but in fact to anyone who undertakes a common welfare. These, then, should fear God and be fair and straight that they may be under the shadow of Allah on the Last Day.

The second type is represented by the youth who grows up in the worship of God. He loves God, recalls Him to his mind, submits himself to His commandments and rejects His interdicts. He prefers the tranquility and peacefulness of his heart, through worshipping God and seeking His consent, to indulgence in wordly wishes and bodily desires. Such a man who retains his chastity in the critical stage of

helplessly buried the same way as the poor, the quantity of pigmentation that colour the skin deep near the equator and light near the poles, nevertheless, distion of colour, race and creed are unknown to Islam and God rewards or punishes people according to their virtues or vices.

Equality in Islam is clearly marked on friday noon where people stand for prayers, the poor in close shoulder to the rich and the white beside the black in straight lines, where the guiding prayer must be the most religious man in the assembly regardless colour or wealth. Bilal, the Abisinian muslim, was elected mayor of El Medina by the prophet during a certain war, and all the Muslims welcomed the election because the faith and spirit of Islam was warm in their hearts.

Before Islam, slave markets were at large and the rich was free to purchase as many women as he could afford, but Islam teaches equality as men and women come from the same essence, possess the same soul and they are equipped with the equal capability for intellectual and spiritual attainments. Islam places man and woman under like obligations - the one to the other. The Quran says :

•استجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم

من ذكر أو أنثى ينكم من بهي ...

(آل عمران ١٩٤)

(And their Lord hath heard them (and He said) : Lo ! I suffer not the work of any worker, male or female, to be lost. Ye proceed one from another).

Muslim women are in the same level with men as they are rewarded or punished the same as the good and the bad men. A married couple partly confide on one another, and partly on their parents, but at the loss of their parents, they fully confide on each other and in case one of them is lost, the other would feel the shock of separation by death very badly.

A muslim man may marry a girl of the scripture who should not be forced to Islam against her wish unless she fully believes in the faith. As the Quran declares :

•لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...

(البقرة ٢٥٥)

(There is no compulsion in religion. The right direction is distinct from error).

If the son is muslim, he has to keep up with his faith and fulfil all the obligations of Islam in full and then to obey his parents in other matters if they are not muslims. The Quran says :

•وإن يامرك على أن تترك في ماليش لك به علم

ولا تطعها وماحبها في الدنيا مروة • (لقمان ١٤)

(Continued on page 12)

Estimation of Mankind in Islam

BY : ALY OMAR FADEL

Arabs worshipped statues of certain mortal in gigantic forms, beautiful shapes and marvellous colours. The farce of worship is a big ridicule as the elements of the statues are only water, mortar, colours and art which are far from being heavenly as they are obtainable from the earth, made by man.

Islam made the Arabs to realise the one God with a complete submission to the Divine control in the mode of conduct of life and obedience of laws revealed by the Qur'an.

The big miracles of the Qur'an that survive as it is delivered through revelations to Muhammed for the development of human faculties, illuminated the hearts of the companions of the prophet. They were the nucleus for spreading Islam all around the world to restore the true faith and eradicate clouds of ignorance, infidelity, dishonesty, unchastity and libertinism that were hanging over the whole world.

A needy muslim crossed the desert to meet the kaliph. He entered the mosque where the Kaliph was doing his prayers. After his prayers, the kaliph started to

ask God compassionately for health, safety, preservation of his children and so many other requests that took a long time. After doing his own prayers, the man did not hesitate to return to his country as he preferred to work hard and ask God for help instead of asking the kaliph for help.

The Almighty God raised the position man to a large extent for obliging the Angels to kneel down for Adam who is posted vicegerent of God on earth.

• وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ... [القرآن : ٢٠]

(And when We said unto the Angels : Prostrate yourselves before Adam, they fell prostrate, all save Iblis).

Islam started from the Arabian Peninsula, and the Arab chieftains resisted that faith which forbids the strong to enslave the weak, the rich to look down upon the poor and the white to disdain the black.

The rate of worthiness of man is not esteemed by the ample means of monetary situation, the variety of ranks and artificial superiority of their bygone predecessors who are

What is more promising and fills our hearts with confidence and hope is that the Arab peoples led by the U.A.R. have decided through God's help to restore their right and glory and have attained the means that will help them to accomplish their cherished aims. They have already covered a long way towards this end, accomplished justice; equality and eradicated monopoly and exploitation. Through God's blessing and help they continue to walk along the path of welfare and progress with a fast pace, exerting all possible effort to raise the standard of individuals and communities and accomplish reform in all spheres of life.

In this same context, it is noteworthy to underline an aspect which is of great influence in reforming individuals and societies alike. It is an essential part of man's spiritual formation which no authorities nor positive laws can develop without spontaneous impulses on

the part of individuals and communities, impulses springing from the depths of their conscience, and purity of heart, coupled with sincere support from those in charge of education and the youth, and those interested in guiding communities and deepening their faith in God. This aspect is "straight forward character and pure conscience..

This is the best safeguard against error and flagrant vices such as cheating, bribery, corruption and dereliction of duty, brutal aggression, subversive movements, treachery and other vices that prevent nations from attaining perfection.

We entertain high hopes that those responsible for the education of the rising generation will do their utmost to infuse these sound principles in their minds and to fill their hearts with faith and noble character.

If they do they will contribute much to the cherished progress and reform.

(Continued from page 14)

(But if they strive with thee to make thee ascribe unto Me as partner that of which thou hast no knowledge, then obey them not. Consort with them in the world kindly..),

Islam commands the freedom of thinking by applying what is right and denying what is wrong, nevertheless, there are certain people who lack any personality and are easily persuaded to adversities for

lack of deep thinking and love of lust and exorbitance.

The call of the Qur'an is basically addressed to intelligent understanding; it invites man to look at every thing in the universe and to reflect upon it. The true faith at heart enables man to be a first class undefeated warrior, and he can live in a happy and stable life.

themselves of the yoke of slavery. Others again have attained a relative measure of maturity. It is incumbent on these countries, therefore, to get together, close their ranks and stand as one man against imperialists and the covetous, for imperialists, apart from strength, depend upon their unity and depend them selves through co-operation, to commit aggression despite their various aims and intentions. Developing peoples should, therefore, confront such vile co-operation by co-operating for good, charity and development as nothing "can cut iron but iron."

If such people wish to keep pace with development and progress, they must form a front of themselves aiming at their good and social justice in order to accomplish liberty, glory, honour and dignity. By God's help they will go along the right path and will prosper in the near future.

As for the Arab and Islamic peoples, they have long been dominated by the imperialists and foreign rulers who frittered their countries away, divided their ranks, and suppressed their breath till they became weak, almost oblivious of their former glory. They lost most of the noble qualities inculcated in their minds by Islam, as well as

the principles of power, dignity and noble character.

Now, they have risen from slumber, with pure blood running in their veins, urged by the memory of their past glory and the feeling of having had an influential position.

The most effective way of restoring their former glory and status is by resorting to the three sources already mentioned so that they may develop the element of good, truth, sympathy and benevolent nature and proceed with strong will towards the accomplishment of the message God has entrusted to man as His vicegerent on earth. This message can be fulfilled by giving due attention to production, construction, and the exploitation of the rich resources of the Arab world for the good and benefit of all Arab Nations, their friends and all peace lovers. It behoves the Arabs to close further the bonds of co-operation among them in pursuance of God's words. "And hold fast, by the Rope which God (Stretches out for you), and be not divided among yourselves."

Their word would thus be one, and their aims become clearer to the whole world and they would go forward to attain dignity, security, justice and set up their life upon firm and sound foundations.

and the spectre of a greedy oppressive war stirring their fright and shaking the earth under their feet.

This is largely due either to ruinous greed and exploitation which dominate their mind, craving for money which dims their sight and conscience, or to the cruel hearts which have no pity on suffering humanity, being void of sympathy and missing the path of right and good or is due to the two causes combined. After tasting the ill-effects of their conduct, these nations tried to make amends for what they committed.

They advocated principles of liberty, fraternity and equality but they soon denied these principles and fulfilled nothing of them, instead, they enslaved the free, subjugated the weak and the defenceless people whom they deprived of all means of power. Their principles thus turned into flagrant evil. Liberty developed into slavery, equality into humiliation, fraternity into injustice and aggression.

This is because the true spiritual education in these imperialist countries is neglected and public interest is thought of only when all the gains are for them, and where they get the lion's share of them.

Let these countries be indulged

in their excessive oppression and obsessed by their gross injustice untill such time as they are awakened by the currents of liberty and consciousness that have prevailed all the rising peoples, only their will they be brought back to reason; and follow the path of good and right either voluntarily or under compulsion.

2 — As regards underdeveloped nations, they have long suffered the yoke of imperialism. Their riches being plundered and the sources of their wealth and power exhausted, illiteracy and poverty were spread in them far and wide. They were exploited by imperialists and deprived of the mere sustenance that may keep them alive.

Thy almost lost the feeling of being human and of their right to live, to be free and respected. These peoples have already seen their riches being exploited by the imperialists, the exploiters and those revolving in their orbit.

The fate of those peoples may be attributed to their weakness, negligence or slavish subordination to imperialists, their agents and supporters who exploited their national resources. Some of these countries are backward, others are progressive, diligently following the path of development after they have rid

required, Islam also urged diligence and constant endeavour to produce and to construct for the welfare of man and society alike.

Just as God made man his vicegerent on earth, He also made him heir to dispose of that He has bestowed on him in the way of wealth and riches. God the Almighty says : "Believe in God and His Apostle. And spend (in charity) out of the (substance) where of He has made you heirs."

So Islam considers the rich as guardians of wealth which actually belongs to God.

Being heirs to wealth does not mean hoarding it up; monopolizing or exclusively appropriating it, but rather using it for the benefit of the society, in order to aid the needy, feed the hungry and help the poor.

If people act according to those teachings in their financial dealings, in distributing wealth, preventing monopoly, and properly investing and promoting their riches, they will thrive and society will prosper with them.

That is the frame which Islam has drawn up for an ideal life. It is a formula which ensures good for peoples, communities and individuals. It also ensure the prevalence

of justice, equality and love, eliminates poverty and backwardness and lays a firm foundation for the dignity cherished by humanity.

This Islamic ruling has proved a great success in reviving muslims during flourishing Arab eras. Progress was comprehensive then and science so advanced that peoples near and far benefited by it. Arab capitals were the cynosure of many people; due to the spirit of Islam, its principles and directives which gave an impetus to the establishment of justice, equality, fraternity, love and mercy. Islamic civilization was a source of radiation to all peoples and nations of the world. Security prevailed and liberty was assured for all people of different religions.

Will muslims now restore their former glory ? when ? and how ?

To prove the way for answers to these questions we should be well advised to cast a glance on peoples of different levels of progress or backwardness, then revert to the Islamic nation to consider its present and look forward to the glorious future we hope for it.

1 — As for the countries known as progressive, thinking they have a big share of civilization, we find unrest still prevailing all through them, greed threatening their being

The Spirit of Islam is the Chief Factor in Reforming Contemporary Society

BY

Prof. ABDUL HAMEED HASSAN

(Continued from the October 1966 issue)

One of the most important aims of man's message in life is to amass riches, being a symbol of wealth. This, however, is a two-edged weapon. It is necessary for the needs of life and people but, if misused will turn into great evil.

That is why Islam objected the domination of capital and reminded of evils that might arise from the hoarding up of wealth, depriving the society of its benefits, and concentrating it in the hands of a few feudalists. Gracious God Says : "And these are those who bury gold and silver And spend it not in the way of God; announce unto them a most grievous penalty".

And Says: "In order that it may not (Merely) make a circuit Between the wealthy among you".

Money or wealth in general is the main cause of the struggle between man and himself, between himself and others. It is a severe hot struggle with himself because

of his love for material things and his passion that prompt him to love wealth and crave for riches. He is in constant strife with others because of his love to appropriate wealth to himself. His quest for riches in order to satisfy the greed of his soul or unsatiated bestial instincts may incline his heart towards the pleasures and luxuries of life, thus weakening his search for noble aims and lofty ideals. His absorption in money gathering blinds his sight and directs him towards aggression and strife with others, and so he overlooks the elements of a contented soul and the motives of seemly conduct, eventually suffering destruction.

That is why Islam urged charity and generosity and encouraged them in many ways. It regulated the financial policy of the state in the interests of the poor and needy. Alms giving (zakat) was thus ruled at prescribed rates which may be increased if public interest so

Another reason why Ramadan is important to Muslims is because the Quran says: "Ramadan is the month wherein the Quran was revealed." This is the holy book which is a guide for all mankind. The 27th of this month, Lailat al-Kadre, is described in the Quran as a night "better than 1,000 months" in which the angels descend free from every commission, and which means blessings until the appearance of the red of dawn. This night comes during the last ten days of the month which many Muslims spend in seclusion, usually in a mosque, not leaving it day or nights and perform the special prayers of Ramadan, the Salat al-Tarawih; these are eight or twenty Rakats performed every evening immediately after the Isha prayer.

After the last day of Ramadan, the "Id al-Fitr" (festival of the breaking off the fast) is celebrated on the 1st Shawwal and the following two days. On the first day the Salat el-Id, is celebrated in the open air between sunrise and the moment when the sun has reached its zenith. As this marks the end of the period of fasting, it is, although called the "Minor festival", celebrated with much more festivity

and rejoicing than the "major festival"; with people putting on new clothes, visiting and congratulating and bestowing presents on one another.

It is at this time that the Zakat al-Fitr must be paid if it has not been paid during the period of fasting. This is the obligatory gift of provisions which, according to Tradition, was ordered by the Prophet in the year 2 A.H. and fixed as regards the amount. It has to be given by every free Muslim for himself and all persons whom he is legally bound to support, a man is exempted only if he does not possess more than the bare necessities of life for himself and his family. Throughout the Muslim world the regulations about the Zakat al-fitr are observed with particular scrupulousness, for it is considered to be part of the duties of Ramadan and to serve as atonement for any involuntary negligence during this month.

Indeed it is well known that for the faster there are many joys waiting for him in Paradise and that he will be honoured there, that he will enter by a special gate and meet Allah. Let us remember all these things during the month of Ramadan and emerge from it a better and finer Muslim.

fasting is one of the five pillars of Islam. . . Shahada, Salat, Zakat, Sawm, and Hajj.

The things which break the fast are :

1 — The entering into the body of any material substance in so far as it is done conscientiously and is preventable.

2 — Deliberate vomiting, which is only permitted by doctor's orders.

3 — Sexual intercourse.

4 — Deliberate seminal emission, which is a consequence of sexual contact; in other case a distinction is made as to whether it is caused by passion or not.

5 — Menstruation.

6 — The bleeding of a pregnant woman.

7 — Unsound mind.

8 — Intoxication.

Special dispensations are granted to invalids and travellers on condition that they make restitution for it; and "if one eats by an oversight", says the tradition, "he may continue the fast because Allah himself has caused him to eat".

It is to be commended if the 'Saim' or faster :

1 — Takes the 'Fatur' as soon as possible after he is certain the sun has set; he ought preferably to use ripe dates for this or water.

2 — Eats the 'Sahur' (what is eaten after midnight) as late as

possible and uses for it the same as is recommended for the Fatur.

3 — Refrains from indecent talk, slander, calumnies, lies and insults.

4 — Avoids such actions as, although not actually forbidden, might arouse passion in oneself or in others.

5 — Refrains from being bled.

6 — Tastes no food.

7 — Chews nothing edible.

8 — Thanks Allah after the day of fasting.

9 — Recites the Quran.

10 — Forms a special intention (Niyya) before fasting each day.

One should also remember that fasting consists in not only refraining from eating and drinking, but from all mean desires and worldly thoughts, in keeping one's organs of sense members free from sin and from all things that detract from Allah. Everything should be avoided which might affect the result of the fast; for example, at the 'iftar' one should not eat more or far better than usual and one should not sleep during the day to avoid feeling hunger or thirst, for they fight the power of the passions. Subjection of the passions, where by the soul is brought nearer to Allah, is the real object of fasting, not mere abstinence. Tradition says: "How many fasters there are for whom only hunger and thirst are the results of their fast."

THE SIGNIFICANCE OF 'RAMADAN'

BY

RASCHIED AL-ANSARI

'Ramadan' is the holy month of all Muslims in which they fast by the divine command of Allah. For one lunar month, from dawn till dusk, nothing is eaten or drunk in this ninth month of the Muslim calendar. This month is like no other in the year, there is an atmosphere and feeling about this month that can not be mistaken. . . a mixture of piety and gayety for at this time a Muslim comes very close to Allah.

Piety because of the high esteem in which fasting stands with Allah, this is pointed out by Al-Ghazali and he gives a reason for this tradition that fasting is a passive act, no one seeing men fast except Allah; also it is a means of defeating the enemy of Allah, because human passions, which are Satan's means of attaining his ends, are stimulated by eating and drinking. The passions "are the places where Satan lives in abundance and where he feeds; so long as they are fruitful he continues to visit them often, and so long as he visits them frequently, the Majesty of Allah is concealed from His servant and he is shut off from meeting with Him. The Prophet

of Allah even says : "If Satan did not fly around the hearts of men they would readily think of heaven". Fasting is therefore "the gateway to divine service".

Gayety because fasting in Ramadan is the most fitting atonement for sins committed in the course of the year. Tradition says : "Fasting on one day in Ramadan is better than thirty days in a holy month", and "the scent of the breath of a fasting man is more pleasant to Allah than the scent of musk". Allah compares one who denies his passions for His sake with His angels and says to him : "Thou art with Me like one of My angels", and He urges His angels to regard those who fast.

Fasting, Sawm, in Arabic originally meant "to be at rest". It also has the meaning "Silence", for in a Meccan Sura a voice commands Mary to say "I have made a vow of Sawm the Merciful, wherefore I speak to no one this day". Fasting in the legal sense is abstinence (imsak) from things which break the fast and there is an obligation to fast on every Muslim adult, for

وَأَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ
مِنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ
كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَضَاعَ غَنَمَكُمْ ،
فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَتِمُّوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ،
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبْقِيَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ
مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ
إِلَى الْغَيْلِ (الْبَقَرَةُ ١٨٧)

"It is made lawful for you to go unto your wives on the night of the fast. They are raiment for you and ye are raiment for them. Allah is aware that ye were deceiving yourselves in this respect and He heth

turned in mercy toward you and relieved you. So hold intercourse with them and seek that which Allah hath ordained for you, and eat and drink until the white thread becometh distinct to you from the black thread of the dawn. Then strictly observe the fast till night fall...."

Surah II Verse 187.

In fact, fasting in Islam does not simply imply abstaining from food and drink and refraining from evil, but also teaches man the ways leading to suppression of the tendency to evil and improving the tendency to good.

Sayings of the Prophet

« اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَحْمِلْهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِهَيِّئِ حَسَنًا » .

"Fear Allah wherever you may be and cause the good deed to follow the evil so that it may be expiated thereby, and treat people in a kindly way."

« لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ دَرَجَةَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ غَنَافَةً مَا بِهِ بَأْسٌ » .

"Man will not attain to the exalted position of the pious until he refrain from the mere permissible lest he be tempted by it to lapse unto the forbidden."

« مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا فِي عَفَافٍ كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ » .

"Whoso seeketh the world within the bounds of the lawful and according to the dictates of virtue, will be reckoned in the same category as the martyrs."

power to renounce unlawful gratification. Thus he can guard himself, morally and spiritually against evils. As every faculty of man requires training to attain its full force, the faculty of submission to the Divine will should also require to be trained. In addition to that moral and spiritual achievements fasting has its physical advantages.

It accustoms man to a life of hardship and frugality, so that he may not be too much given over to ease. But also exercise a very good effect upon health in general. The prophet Muhammed (peace be upon him) teaches that hunger is the best cure to many ailments; this is a well-known fact proved and defended nowadays by medical authorities. The fasting creates power of will and patience in man and teaches him the lessons of self control and keeping system in all walks of life. It will help him to keep his duties and to face difficulties of life. In fact, the fasting creates discipline and unity of intention and action among the Muslims; and they acquire the power to suffer tribulations and adversities which they must face in defence of their Faith, culture, freedom and unity.

As regards those who are temporarily sick or on a journey during the month of Ramadan, included in

this class are the women who are with child or who breast feed their child; they shall fast a like number of other days. Those who cannot keep the fast on account of persistent or long-standing disease or who are too old or weak, they shall give away the measure of one man's food to a man in need every day during the whole month. This practice is definitely stated in the following verses of the Quran :

وَأَيُّاماً مَّعْدُودَاتٍ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَعَلَى
الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . — البقرة ١٨٤ —

"(Fast) a certain number of days; and (for) him who is sick among you, or on a journey, (the same) number of other days; and for those who can afford it there is a ransom: the feeding of a man in need — But whose death good of his own accord it is better for him: and that ye fast is better for you if ye did but know —".

Surah II verse 184.

The duration of each day of the fast is from dawn to sunset. Nothing whatsoever is allowed to be eaten or drunk; sexual intercourse is also strictly forbidden, within that duration. As the Holy Quran says :

soul that inclines man to evil doings or tends to lead him into immoral paths and it is the primitive nature of man which is prone to transgression at certain age in his development. As long as he is devoid of high moral qualities, the evil nature is predominant in him and he will continue to be subject to this state.

When he frees himself from the control of animal passions and is guided by wisdom and knowledge he then passes the physical stage and becomes a moral being in the strict sense of the word. He then walks in the light of true natural upright. The source of the moral conditions of man is called in the Qur'an as « النفس الزواني » (the self-accusing soul or conscience). The Qur'an says : « ولا أقسم بالنفس الزواني » (Nay, I swear by the accusing soul.) surah LXXV, verse 2. By this stage he changed from the disobedient to the self-accusing soul. It upbraids a man for the doing of an evil deed and strongly hates unbridled passions and bestial appetites. At this stage the soul is anxious to attain to moral excellence and revolts against disobedience which is the characteristic of the first or the animal stage of man. The duty of this soul is to generate noble qualities and to transform life so as to bring the whole course and conduct of it to

moderation and to restrain the carnal passions and sensual desires. The third stage is to reach the soul on attaining to the source of all spiritual qualities; then it is called « النفس المطمئنة » (the soul at peace). The Holy Qur'an describes this soul as follows :

« يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية
مَرْضِيَّةً فَاَدْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » .

«But ah ! thou soul at peace !
Return unto thy Lord, content in
His good pleasure ! Enter thou
among my bondmen ! Enter thou my
Garden!» surah LXXXIX, verses 27-30.

Fasting, as prescribed in Islam, has its physical, moral and spiritual advantages in the three fold conditions of man. Before, Islam, fasting meant the suffering of some privation in times of mourning and sorrow. In the Bible it is stated that fasting has in all age and among all nations been an exercise much in use in times of mourning affliction. All the institutions of Islam are actually practical steps leading to perfect purification of the soul. The fasting is aimed at that man may learn how he can shun evil. The Qur'an declares : « لعلكم تتقون » .

«Ye may ward off (evil)» or you may guard against evil doings. Because he who is able to renounce the lawful satisfaction of his desires in obedience to Divine Commandments, certainly acquires the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Sha'ban
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

November
1966

FASTING IN ISLAM

BY

A. M. Mohiaddin Alwaye



Fasting is a universally recognized institution and an old worship prescribed in all religions. In Islam it is one of the fundamental practical ordinances. The Holy Qur'an says that fasting was enjoined on all nations who passed before the prophet Muhammad; But Islam has introduced a new meaning into the fasting. It is enjoined in Islam for the moral elevation of man and for his spiritual development. This object is made clear in the following verse of the Qur'an :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ ثَوَابٌ »

• O ye who believe! Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that ye may ward off (evil) • Surah II verse 183.

It is plainly stated in the concluding words of this verse that the object of fasting is that he may be able to guard himself against evils physically, morally and spiritually. For Islam has dealt fully with three conditions of man, namely the physical, the moral and the spiritual. This three fold condition of man is the three stages of his development. The Holy Qur'an mentions three springs out of which these three conditions are flowing. The first of them is, as termed in the Qur'an, « النفس الأمارة » which signifies the uncontrollable soul (the soul prone to lust and evil). The Qur'an says about this kind of soul: « إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ » (Lo! the (human) Soul enjoineth unto evil) Surah XII, verse 53.

This is the characteristic of the

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

تجدر عن شيخنا الأزهري في أول كل شهر جمادى

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العشرين»
إدارة المجامع الأخرى
بالقاهرة
٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
١٠ في المرسى لعمارة القوت
٥٠ خارج المرسى
والدروس الطلابية تخص فاس

الجزء السابع - السنة الثامنة والثلاثون - رمضان سنة ١٣٨٦ هـ - ديسمبر ١٩٦٦ م

لِسَالِمِ الْمَرْيُوتِيِّ

الثَّوَرَاتُ بَيْنَ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ

بقلم

أحمد حسن الزيات



من الخلط بين الحيوانية والإنسانية في بني آدم ؛
فالإنسان باهتباره حيوانا تحكم فيه هريزان ؛
هريزة حفظ الحياة مئة في القوت ، وهريزة
حفظ النوع مئة في المرأة . وأسباب الحموضة
بين الأفراد والجماعات إنما هي النزاع المستمر
على هاتين الوسيلتين ، كانت المرأة في بدء
الخليقة هي حواء ، وكان القوت في حياة الجنة
هو الشجرة ، وكانت الآثمة والطعم والحسد
هي إبليس ، وكانت الضحية لحواء جميعا هي
سعادة آدم .

حاول بعض فلاسفة التاريخ والاجتماع
أن يفسروا الحروب والثورات نفسها
اقتصاديا فهدموا جميعا إلى الجوع أو إلى
الخوف منه . ذلك لأن الجوع كافر بالأخلاق
والقيم والعواطف والقوانين والأنظمة ،
ولأن الخوف منه علت ما يصيب الأفراد
من الآثمة والنسج ، وسبب ما يحصل القول
على الاستعمار والتنافس .

ولقد جرت مستشرق دوسي معاصر فزم
أن دعوة الإسلام كانت ثورة على وأسمالية
فريش وهذا الرأي الفاعل وأمثاله إنما نشأ

اعتبرناه إنسانا فإنه ينزل من خلق الله في المنزل
الوسط بين البهيم والملك ، فيكون بماديته
مرتبطا بالأرض ، وبروحيته متصلا بالسما
وبهاتين الطبعيتين فيه يشاؤك الحيوان في
رغائب جسده فيثور أو يهدأ تبعاً لما يجد في
حسه ، ويشاؤك الملك في رغائب روحه
فيستعطف أو يرضى تبعاً لما يجد في نفسه ، وكلما
بعد همه وارتفع هواه وبأ بنفسه عن مواطن
الذل ، وسما بهزمه إلى معالي الأمور ، فيطمع
إلى أبعد من المال ، ويسمى لاكثر من القوت
وينضب لما هو أشد من الفقر ، ويثور لما
هو أعظم من الجوع : يطمح إلى العلا ،
ويسمى للجد ، وينضب للكرامة ، ويثور
للحسرية .

والإنسان يظل حيوانا ما دام يكفيه من
العيش قضاء شهوته . والرقيق يظل عبدا
ما دام يفتنيه طعام سيده من حرته .

ولا خير في من كان غاية همه
من العيش أن يلقى لهوسا ومطما
وقد هرب الملك الفاسد التائر امرؤ
القيس عن المطمع الأسمى لنفسه الرقيقة ،
والمثل الأعلى للحياة الكريمة ، فقال :
ولو أن ما أسمى لأدنى معيشة
كفاني ، ولم أطلب ، قليل من المال
ولكنني أسمى لمحمد مؤنل
وقد يدرك المجد المؤنل أمثال

مضى هؤلاء الثلاثة يعملون في الدنيا
ما يشاء القدر : يخلفون التنافس لتنفط عناصر
الحياة ، ويوجدون الخلاف لتتفق هوامل
الموت ، حتى قال ابن أبي الحديد في شرحه
لنهج البلاغة : « لم تسل السيوف إلا لوجهه
أصبح من وجه ، واقعة أسوخ من لقمة » .
هل أن اللقمة كانت أشد الثلاثة إيقادا لنار
الخصومة ؟ لأن الدعب أو الفرد يصاب في
حرته فيصبر ، ويؤذى في كرامته فيستكين
ويبتن عن عقيدته فيرضى ؛ ولكنه إذا حرم
الرغيف اقلب ضاريا كالوحش ، جارفا
كالبركان .

وكان الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه
يذكر عثمان وعلياً وطليحة والزبير فيقول :
« والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر » ،
يريد بالثريد الأعفر الخبز المفتوت في مرق
الحم الحام .

وإذا قمنا أسباب الصراع بين أم الشرق
وأم الغرب ، أو بين الرأسمالية والاشتراكية
لا نجد إلا السبب الذي قاله كشمير بن شهاب
لنلامه ، وقد طلب منه العلم يومما فقال له :
ما عندي إلا خبر وبقل : « ويحك ! وهل
اقتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل » ؟
وكل ذلك حتى لا نزاع فيه إذا اعتبرنا
ابن آدم حيوانا ليس غير ، له معدة وليس
له قلب ، وله شهوة وليس له عقل ، أما إذا

أعلى وقوة المادة من أسفل فظفرونا يالناه الحماة وإعلان الدستور .

ثم ثلوقادة الجيش في سنة ١٩٥٢ على طغيان الملك وفساد الحكم ولجور الإقطاع وتبعهم الشعب لا لأنه أصيب في شياجه وأقواته ومواسيه ، ولكن لأن وجهه كان قد لفضج ، ورشده كان قد اكتمل ، ومثله كان قد علا ، قرأى أنه أمة من الناس يصمق عليه قول الله تعالى : ، ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا . ، ثم جرى في خواطر خاصته معنى المحدثي الحمدي المأثور : (كيفما تكونوا يول عليكم) فأقبل بعضهم على بعض يتسألون : أنص من الفجر والفحش والخلال والانحلال والعفن بحيث يتولى أمورنا ملك داهر كهذا الملك ، وحاشية فاجرة كهذه الهاشمية ، وحكومة فاسدة كهذه الحكومة ؟ ولكن الأجوبة التي انبعثت همسا من أفواه العامة إلى آذان الخاصة أقنعت القباب الأحرار من قادة الجيش أن الوطن سليم ، وإنما المرض في زعمائه ، وأن الشعب صالح وإنما الفساد في كبارائه ، فظفروا على مصيره قول الله عز وجل : ، وإذا أردنا أن نمهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ، فثاروا على هذه الحال فأخفوا ذلك الملك الخليع فآلقوه في البحر ، وقبضوا على تلك

نعم ، لو كانت امرؤ القيس قد قنع من حياته بالتصيب الآخر لكفاه صرح من الإبل أو قطيع من الممر ، ولكنه ركب ما ركب من غمرات المول ، وكابد ما كابد من ويلات الحرب ، ليدرك مجدا غاب ، ويرجع ملكا ذهب . فالثورة إما أن يبعثها الجسد الحيواني في الناس وإذن تبدأ بها العامة ، وإما أن يبعثها المعنى الإنساني فيهم وإذن تبدأ بها الخاصة . وسواء أبدأت بها العامة أم بدأت بها الخاصة فإنها تنتهي في الغالب إلى أن تكون ثورة الفريقتين جميعا . وإن لنا في ثورتنا الثانية على الاحتلال والاستعباد وفي ثورتنا الثالثة على الطغيان والفساد ، أصدق الفوائد على ذلك .

ثارت طامة الشعب على الإنجليز في سنة ١٩١٩ لأنهم استغلوا وقتلهم : سحرروا قنارات شبابهم وأقواتهم ليؤثروا بها الجيش في الحرب ، وغصبوا حرمهم وخيولهم وبغالهم ليحملوا عليها عتاد الحرب ، فهلك من هلك من الأتقى ، وحضاع ما حضاع من الأموال ، قسبه من كانوا غافلين من الفلاحين إلى أن هؤلاء الدخلاء الذين طلبهم وزقمهم وثورتهم ، هم الذين طلبهم وطنهم وحريتهم ، فصرخوا لهم بالشر ، وتقدسروا عليهم بالنضب ، فقطعوا المواصلات في الطرق والأنهر ، وقاتلوا الإنجليز في المدن والقرى . ثم تلاقت في هذه الثورة قوة الأدب من

الحاشية الحاجة وطرحوم في السجن ،
 وانفروا الساسة المريبين لغيرهم في المعتقل ،
 وفردوا الموظفين الفادرين وروموم في الشارع
 ثم فتحوا باب الإصلاح والإصلاح على عهد جديد
 فيه العزة للوطن والكرامة للواطن والمداة
 لكل مظلوم والرعاية لكل عامل والعناية بكل
 ضعيف ، حتى شعر كل مصري بأنه ارتفع إلى
 مقام الإنسان الكريم الحر ، فأودع له وحكامه
 منه وسعيه لنفسه وزمائه بيده .

• • •

الثورثان كما يلاحظ المؤرخ الاجتماعي
 اختلفا في الأسباب المباشرة والوسائل المؤدية
 والأيدي المبادئة على حسب اختلافهما
 في البراءات المادية والأدبية ، وفي آثار تلك
 البوارث في نفوس العامة والخاصة ، ولكنهما
 اتفقتا في النتائج القريبة والغايات البعيدة

أحمد حسن الزيات

آفة الشرق هذا الغرب

يخيل إلى من هول ما أسمع وأرى أن هذا الغرب قد مسخ حوتنا من حيثان الأساطير
 له وروس أربعة قد فتر أفواها جميعا على الساحلين الإفريقي والآسيوي يريد أن يطبق
 فكوكها على العالم العربي بأسره ، وإنما عوق هذه الملاقم عن الازدراء هذا الخلاص
 الصاخب بين تلك الروس على الانقسام كيف يكون وعلى الانتقام متى يبدأ ، وإذا تصورت
 أفواج المسك حين يسوقها التياو إلى شبكة الحوت فتخرج وتضطرب ، تصورت أم الشرق
 الصغيرة وقد روها هذا الوحش الهائل وهي وادعة في ظلال دينها ، قاتلة بحلال الرزق
 من أرضها ، فتتظر إليه نظر المقتضى عليه ، تستنجد باليهود فلا تنجد ، وتستغيث
 بالموائيق فلا تنقذ .

وحى الرسالة ٣ : ٧٤

الرَّسُولُ ﷺ يَصِفُ الْقُرْآنَ

للأستاذ محمد محمد المدني

جبا يهدي إلى الرشده فأنتابه ولن نترك
بربنا أحداً ، ، من قال به صدق ، ومن حكم
به عدل ، ومن حمل به أجر ، ومن دعا إليه
هدى إلى صراط مستقيم .

• • •

وهذان الحمدان الشريفان فهما ألفاظ
وعبارات يحتاج بعض القراء إلى الكشف
عن معانيها والمراد منها .

ونحن شارحوها في قصد وإيجاز :

• قوله : « إن هذا القرآن مادة الله » .

شبه ما في القرآن من غذاء للمقول
والأرواح ، عباح ميسر لمن قدم إليهم ،
بالمادة التي يدهي إليها الناس - وقد جرت
العادة بأن تكون حافلة كثيرة الحفريات ، ثم
بين بقوله : « فتمتلوا من مادته » ، أنها
مادة معنوية ، فهي مادة علم ونور ،
لا مادة طعام وشراب .

• قوله : « إن هذا القرآن حبل الله » .

تمثيل بالحبل الذي يمسك به حذراً
من الوقوع ، فالقرآن كأنه حبل مده الله
لناس ليتمسكوا به إذا أرادوا النجاة والفلاح .

• « لا يزوج فيقوم » .

لا يمكن أن يصيبه هوج في وقت ما ،

فيأبرويه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال :

« إن هذا القرآن مادة الله تعالى ، فتمتلوا
من مادته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل
الله ، هو النور المبين ، والشفاء النافع ،
حصنة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ،
لا يزوج فيقوم . ولا يزوج فيستعيب ، ولا
تنقض مجابته ، ولا يخلق على كثرة الرد » .

وفيما رواه الحارث الحمداني عن الإمام علي
رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول .

« ستكون بمسدي قن » ، فقلت :
وما المخرج منها ؟ قال :

« كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر
ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ،
ليس بالهزل ، هو الذي من تركه من جبار
قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله
الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر
الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي
لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ،
ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة
الرد ، ولا تنقض مجابته ، هو الذي لم تنقه
الجن إذ سمعته أن قالوا : « إنا سمعنا قرآنا

هذه إحدى خصائص القرآن الكريم ،
فهو كتاب مقروء بماثل في عظته كتاب
الكون المشاهد ، لا يزال الناس يطلعون
منها على جديد عجيب ، ولذلك كلف الله
الناس أن يتدبروا القرآن ، وأن يتدبروا
آيات الله في الكون ، فكلامها موصل إلى
الإيمان ، وهذا تكليف موجه إلى جميع
العصور ، وجميع العقول ، وقد أظهرت
الأيام والحوادث والعلوم والمخترعات ، كثرة
ما كان غافيا على الناس في الكون ، وفي القرآن ،
وسيطر في المستقبل أيضا ما شاء الله أن يظهر ،
تحقيقا لقوله تعالى :

« سنوهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
حتى يقين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك
أنه على كل شيء شهيد » .
« لا يخلق على كثرة الرد » :

أي هو جدد دائما مع كثرة تزيده
والتأمل فيه ومدادسة معانيه .

شبه ثوب لا يخلق - أي لا يبل ولا تدركه
الملاحة - مهما استعمل .

« فيه نباء من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ،
وحكم ما بينكم » .

يريد أن القرآن الكريم متضمن لثلاثة
جوانب تدور عليها أمور الناس :

أحدها : إنباء النيب عن الأمم السابقة ،
والرسالات المتقدمة ، وقد جاء القرآن فيها
بفصل الخطاب ، وكان كثرة منها قد حرف
أو طمس معالمه ، أو أخفاه أهل الكتاب
عن الناس ، فلم يعد يعلمه إلا القليل .

حتى لا يحتاج إلى أن يقوم ، أي يعدل : وأنه
لكتاب هو ، لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

فليخبرهم هذا أولئك الذين يحاولون الخروج
على أحكامهم زاعمين أنها لم تعد مناسبة لأهل
العصور الحديثة ، أو للذنيات والحضارات
الجديدة ، فكأنه في أفتاؤهم موج ، وهم
يريدون أن يقوموا هرجة « قل أنزه
الذي يعلم السر في السموات والأرض » .
« أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .
« ولا يزيغ فيستتب » .

معناه : لا يميل ولا يجر في حكمه ،
حتى يحتاج الناس إلى أن يستنبوه ، أي
يسترصوه ويطلبوا منه أن يكف عنهم جهوه
وذلك من قول القائل « استنبه فاهتبي » ،
أي استرصيته فرضى عنى .

وهو تمثيل بالحاكم الذي قد يجر في حكمه
بنفا على الناس ، كأنه عليهم غضبان ،
فيستنبونه ، أي يرصونه ، والقرآن حاكم
عادل لا يكون منه ذلك ، لأنه جاء وحيه
للعالمين ، وقد كان الناس من قبله ربما أذنبوا
أو حسوا عن أمر وهم فغضب عليهم
وعاقبهم بتحريم شيء من الأشياء ، أو
بتكليفهم ما فيه مشقة عظيمة ، كظهور من
مظاهر الغضب ، وقد سمي الله أمة القرآن
وحدة وذكرى للعالمين ، وهدى وبشرى
للؤمنين .

« ولا تقضى عيانيه » .

هي نسج وحدها ، تراها متباعدة عن سائر الكلام مهما بلغ من القوة والفصاحة ، فلا يمكن لأي لسان ، أي لأي كلام ، أن يلتبس بها أو يلحقها .

وإنك لتدرك جمال اللفظ القرآني بين سواء من الألفاظ ، حتى لتحسبه الدر بين المحصى .
« ولا يشبع منه العلماء » :

من خصائص القرآن أنك كلما زدت نظرا أزدك حلا ، وازددت به شغفا . وكما أصغيت حيك ، وقبلت عليه بقلبك ووجهك إليه تائب نظرك ، تتبع الله به عليك فتوحا وكشف لك به عن أسرار الفهم والعلم ما تقر به عينك ، وتهم به ووجهك ، ولذلك كان يدأب عليه العلماء في إقبال وشغف ، فلا يشبعون منه ، ولا يملون دراسته ، لأنهم ذاقوه فسروره .

وفي ذلك يقول بعض العلماء :

إن القرآن الكريم قد جاء على نحو عجيب يجعله آية ومصددا للبليغ في بلاغته ، والحكيم في حكمته ، وفيلسوف في فلسفته ، والاجتهاد في اجتهاده ، والفن في تقنيته ، والسياسي في سياسته ، والحاكم في حكمته ، والزراعي في زراعته ، والفنكي ، والمهندس ، والمعلم ، والصانع ... كل واحد من هؤلاء يجد فيه ما يده على قوته غير العادي ، وما يشبع به نهمه العالي ؟

مراد الحق

الثاني : أخبار الغيب المستقبلة عما يأتي من أحداث ووقائع ، أو عما سوف يستحدثه الناس أو يكتشفونه .

وقد جاء القرآن بأخبار كثيرة تحققت حوادثها بعد صغر نزوله ، وأشار إلى أمور ومكتشفات وسنن وآفاق ما يزال الناس يطلعون عليها عصرًا بعد عصر .

الثالث : أحكام القرآن وقوانينه ومبادئ التي هي دستور الأمة وقوانينها الكاملة التي لو ساروا عليها حقًا ؛ لاستقرت أمورهم ، وسعدت حياتهم .

« من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله » :

وحوادث التاريخ شاهدة بذلك لمن تتبع سير العظماة ، وأخبار الجبابرة ، وحوادث أهل الانحراف عن تعاليم القرآن ، فإن نهايتهم كانت دائمًا خذلانًا أو هلاكًا ، أو ضياعًا ، ومنهم من أصابته القوارع ، وجعله الله مثلاً للآخرين .

« ولا تزنج به الأهواء »

أي : لا تعيل به ، ولا تستطيع أن تهرفه بقيادتها مهما عنفت واشتدت ، بل تزول من بعد حين ، ويبقى هو ثابتًا شامخًا لا يتزلزل ، فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

« ولا تلبس به الألسنة »

من قولهم : التبتت به الخيل ، أي لحقت .
والمراد أن عبارات القرآن وتراكيبه ،

الإسلام والسياسة

للأستاذ الدكتور محمد غلّاب

المتناقضة مع الواقع آثم التناقض ، كل ذلك قد أسهم في فتح عيون السواد الأعظم من الشعوب . ولا غرو فإن الأمم مضطورة على الاحتفاظ بكثير من الجوانب الخلقية الجبلية التي أنبأنا الإسلام بأصولها وفطرتها لدى الإنسانية على السواء ، وهذا هو سر العطف لجميع الأمم من غير استثناء إلى تثبيت العدالة الحقيقية . وهو كذلك منقأ قوة الحاسة الخلقية في نفوسها إلى حد أن تزييفها ، أو توليها يده السياسة بشوها ، ويدفع قلوب أبنائها إلى الامتناع . وهذا ينتهي بها حتما إلى الارتياحية السياسية . ونحن نعلم أن الارتياحية في السياسة تصل بها إلى العجز والإجذاب التامين كما هو شأنها في الفلسفة أثناء هورد الشك أو (اللا أدوية) وأن العالم الذي نحن فيه يتطلب الآن حياة قوية مفسدة أكثر مما كان يتطلبها في أي وقت آخر .

على أن هذا الاضطراب ، وتلك الفوضى الذين أصابا كثيرا من الأمم قديما وحديثا ، لا ينبغي أن يصيبا المسلمين المتسكين بدبهم لأن الإسلام يمتاز بالاشتغال على الاتساق

منذ الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، جعلنا نشاهد لدى الشعوب عامة نوعا من التردد والامتناع من السياسة بتفاوت مظهرهما والتميز ههنا كثرة وفلة بتفاوت الظروف والأحوال التي تدعو إلى تمعد النعوض ، ضمير أن الأضرار الناشئة من الأحداث ، أو النتيجة من لتزوج الشعوب ، قد أخذت تنشر شيئا فشيئا حتى أوضحت معالمها ، وجلت أسبابها ومصادرها ، فبعت أصوات واحة مشرقة ، وطفقت تملن أكاذيب السياسة الداخلية الحزبية ونفاقها وأخطارها من جهة ، وكشفت عن وجه السياسة الدولية الكالح المرائي الذي يتحدث عن العدالة ، وهو أبعد ما يكون عن تطبيقها أو التفكير فيها ، ولقد نهبت هذه الأصوات المدوية المنادية بالحدود من نفاق السياسة عددا من العقول الراجحة المثقفة إلى تلك الهوة الواسعة التي تفصل السياسة من الأخلاق في العصر الراهن . ولو أن كلا منهما ينأى على التوال بالعدالة المطلقة ، بل إن هذا النداء المتوال ، وتلك الدعاية الواقة للعدالة ، ومعاودة نتائجها

المؤرخ في هذا الشأن ما سجله في الكتاب الخامس من (تاريخ الحرب البيلوبونية) عن تلك المأزقة الشهيرة التي دارت بين مستعماري جزيرة (ميلوس) وسفراء (أثينا) وهي القصة التي تحتوي على تلك الأسرار التي يضعها الساسة المعاصرون تحت عنوان «السياسة الرضعية» .

وعملها أن جزيرة ميلوس كانت تريد أن تظل محايدة بإزاء الحرب التي اشتعلت أوادها بين (أسبارطا، وأثينا) . فصر أن أحد الجيوش الأثينية لم يلبس أن نزل إلى الجزيرة بقتة وطلب من أهلها في حزم : إما الخضوع والانضيل إليه ، وإما الحرب ، ولما كانت ميلوس ضعيفة ، فإن اشتراكها في الحرب معناه القضاء عليها نهائيا . ولهذا يسأل مستشاروها قائلين : «أهذا عدل؟ ، فيجيبهم سفراء أثينا بقولهم : «عندما يتعلق الأمر بالقضايا الإنسانية العامة ، لا يتحقق الخضوع للعدالة إلا إذا اقتضت ذلك ضرورة» . والقاعدة الوحيدة في هذا هي السلطان بالنسبة إلى القوى والخضوع بالنسبة إلى الضعيف ، وهنا يسأل مستشارو الجزيرة قائلين : وهل هذا الخضوع يكون مشرفا للضعفاء ؟ فيرد سفراء أثينا بقولهم : «احذروا فعندما يترك المرء نفسه ينزلق وراء كلمة التفرد ، فإنه يكون ممن تستهويهم الكلمات . أما القوى فلا يحتاج إلا إلى التبرر ، وفي كل مكان توجد فيه القوة

في العدالة بين السياسة والأخلاق ولا يتعلق الأمر إلا بنا ، وبممثلينا في أن نفتبس هذه المبادئ الرقيقة من ديننا ، وأن نطبقها أحسن التطبيق ، والآن يجب علينا أن نبين كيف انصرفت القوة بين السياسة والأخلاق وما هو موقف الإسلام من هذه المسألة .

لكن تفهم أن هذه الثنائية بين السياسة والأخلاق اللذين يتحدثان كلاهما باسم العدالة قد أنتجت نتائج عملية لا يمكن التوفيق بينها وبغضى الصعود على سلم التاريخ إلى عهد الإغريق الذين يصورهم (نيقشا) في هذه الناحية فيقول : «عندما نتحدث عن الإغريق ، إنما نتحدث عن الأمم واليوم ... فالحرية التي نملكها للكتابة عنهم هي التي تسمح لنا بالصمت عن قوم آخرين ، لأن الإغريق هم الذين يسرون في أذن القارئ المتأمل ما يستفيد منه ، وهم الذين يسرون لإنسان زماننا مهمة تسجيل الأشياء التي تدفع إلى التأمل» .

ولكني تغفل إلى أحماق السياسة الرضعية ، ينبغي أن تنبه إلى المؤرخ الإغريقي (توكوديديس) الذي امتاز بدوغة عالية من ذكاء بني جلدته ، وصفاء فرائضهم ونزاهتهم ، والذي استطاع أن يقرأ ما في نفوس الأناشي ، وأن يكشف أسرارها كبرى لولاء هو وأمثاله ، لظلت عافية بين ثنايا الزمن . وما نستفيد به من كتب ذلك

الحكمة . ولا نرو فإن هذه الشخصية العظمى
المنبعثة من فطرة أشد عظمت والتي شاءت
السماء أن توجد في إغريقيا أثناء عصر الانحلال
والتمدور الذي أفدته تعاليم السوفسطائية
التي أطلقت غرائز القوة الوحشية من عقائدها
وقدمت الفلبة البهيمية على الحق والاستقامة ،
فلم يكن يشاهد هذه الحالة الأسيفة حتى هب
يقاومها بكل ما لديه من قوة ، وبدأ بنفسه
لحكم قوته الناطقة في قوتية الشهوة والغضب
وبهذا قدم لمعاصريه وللأجيال الآتية أصفح
المثل الرائعة التي تصلح لأن تكون قدوة نموذجية
للإنسانية جمعاء ، ولقد بدأ دراسته هذه
باستكشاف ذلك الظل السيك الذي كاد
يغنى التلائم الإغريق والذي هو الحاجة
إلى سيادة القوة التي لا تهدف إلا إلى تربية
مادية فظة . . وهكذا صمم إفلاطون على أن
يجعل كل هذه الظلال الكثيفة ، وأن يجعل
عملها طموحات سامية نية وهي الأهداف
الفلسفية التي استطاعت - لحسن حظ
البشرية - أن تأسر عقول القباب ، وتسحر
قلوبهم . ومن هؤلاء وحدهم تألفت الأجيال
المقبلة بسبب ما أقره في رؤوسهم من فكر :
« العدالة في ذاتها ، و « الحرية في ذاتها ،
إلى غير ذلك مما صار ، بفضل تعاليمه ، مألوفا
لدى الخاصة والكافة .

ومن أم ما بلغت النظر عند إفلاطون هو
أن العدالة ليس معناها التعادل بين قوتين

تتقضى الضرورة المحتومة أن توجد السيادة .
ولسنا نحن الذين وضعنا هذا القانون ، وإنما
هو أزلي ، حقا إن هذا القانون في اعتقادهم
قاسم ولكنهم يرون أنه هو الوحيد الذي
يمكن أن يقر النظام في العالم . وهو ليس
منافيا للعدالة ، لأن العدالة في رأيهم لا يمكن
أن توجد إلا بين أطراف متساوية في القوة
تتناوب الخدمات أو الضمانات ، لأن مصالحها
إذاً ذلك تتحقق في الأتعادل الهدم فيما بينها .
وإذاً فالعدل عندهم ليس مضادا لقانون القوة
وإنما هو حالة خاصة من حالات هذا القانون
وهي التعادل بين القوي المتساوية .

وفي هذه النصوص القديمة المأثورة عن
الإغريق تبين جليا عناصر السياسة المستعملة
اليوم بين الكنتيتين : الغربية والشرقية .
ومعنا متاوراتهما التي ترى دائما إلى الاحتفاظ
بهما التعادل ، وتلك هي السياسة المنبثقة من
النفس البشري .

ولكن لا ينبغي أن نفهم من هذا أن
الإغريق قد أجمعوا على وجوب سيادة هذه
المبادئ التي ترى ضرورة تحكم القوي
في الضعيف كلاً (إفلاطون) يلاحظ وجود
هذا القانون ولكنه يصلحه إصلاحا أساسيا
إذ يقرر أن على الحكام أن يسودوا ويأمرؤا
وعلى المهلهل أن يخضعوا ويطيعوا ، وإلا
لما وجدت في العالم مثالية ولا عدالة
ولا أصبحت الصدارة لقوة الوحشية على

تظهر المجون هل أتم صوره معلنا أن السياسة شيء، والأخلاق شيء آخر . وقد صوره هؤلاء الوضعيون تلك القطيعة بين الأخلاق والسياسة بما أطلقوا عليه اسم السياسة الواقعية أو (الضرورة الحيوية) التي تسمح لبعض بقدر الآخرين على القضاء ضرورية حياتهم ، وقد نجم عن ذلك أن السياسة خلت من جوهرها الأخلاقي ثم هوت بين أيدي أولئك الذين لا يرمون إلا إلى النجاح المادي الفوري أو إلى فوائد طائفة معينة ، أو إلى تحقيق مطامع لا تنف عند حد ، فصارت جهازا مفرغا ، أو آلة ميكانيكية فارغة تلهم كل ما يصل إليه أو يصل إليها ، وتصنع شقاء الأناسي بمداومة لا تتحد ولا تسكل .

هذا هو سجل مظاهر السياسة الحديثة التي نعرف الدعاية بأنها (حفظ التوازن الضروري في منطقة أو مناطق معينة من الكرة الأرضية) ولطالما تحدث الساسة عن حفظ التوازن في أوروبا . والآن هم يرددون في كل يوم كلمة (حفظ التوازن في منطقة الشرق الأوسط) دون أي التفات إلى شقاء بعض الشعوب الصغيرة أو إلى اندحاقها في سيل ذلك التوازن الذي لا يخرج عن كونه ضروريا لقوى الاستثمار وأيا ما كان فإن هذه القطيعة التي انتمى إليها العالم الحديث بين السياسة والأخلاق ، قد نشأت في مجموعها من ضعف العاطفة الدينية وانتصار الوضعية المادية التي أولى نتائجها

مساويتين وهي أيضا لا تنحصر في طاعة قوانين الدولة مهما كانت حسنة ، وإنما هي هذه وجوب وجود إصلاح سياسي كامل تكون فيه العدالة هي المحطة الأساسية أي همداد جميع الفضائل أو جماعها كلها .

وكذلك (أرسطو) يحتفظ للعدالة بنفس المنصر الأخلاق ، أي أنها هي التي يجب أن تسود كل علاقتنا مع الآخرين . ومنذ عهد هذين الحكيمين لم تتعارض السياسة مع الأخلاق قط ولو نظريا على الأقل بل ظلنا مترابطين في نفوس البشر ولو بالقسوة لا بالقلم كما يقول الفلاسفة .

يبد أن هذا الكفاح المجدى الذي قامت به الفلسفة لتلطيف السياسة من أدائها ، وإخضاعها للأخلاق لم ينجح في هذا التطهير كل النجاح ، بل إن هذا النبع الصنهر الذي بدأ بمجد القوة ينبس منه في عهد (تروكوبديس) ضئيلا أول الأمر قد جعل يقسع ويمتد حتى صار نهرا ظلم والظلميان . ولكن مثليه ، كانوا دائما يصنعون الأفتنة على وجوههم للكالحة زمنا طويلا ليخفوا وحشيتهم متحكمين بالعدالة دائما خوفا من حكم قناريخ الذي لا هراة فيه ولا رحمة . وقد ظلمه الحال على هذا المنوال حتى تم انتصار المذاهب الوضعية والمادية في القرن التاسع عشر وكشف أشياءها النفاق من نفاق السياسة ، وحطوا الزجاج الذي كان يحجبها نوما ما ،

هي المبدأ الثاني الذي نادى به الإسلام بعد التوحيد ، ويذكر هذا الفريق للتدليل على ضاية الإسلام الفائقة برعاية حقوق الغير تلك العبارة الإسلامية الماثورة وهي : إن الظلم الذي يقع على الناس من أفراد أو من جماعات حتى لو كان على غير معرفة من المظلمين ، يبقى عبثا على فاعله أو قائله ، ويظل ذلك في حقيقته حتى يعترف أمام المظلوم ويرد إليه حقوقه كاملة ويظفر منه بإبراء ذمته في وضوح لا يعرف المواربة ، ومعنى هذا في صراحة أن الأسف والندم النظريين لا يجديان قليلا . وإلى جانب ذلك يدين الإسلام - في جدد لا يألف الدين ولا الاحتناء - روح السيادة والاستعلاء والسيطرة والفساد بأوسع معانيه أي الفساد الأدبي والمادي والفوضى إذ يقول : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . (سورة ٢٨ آية ٨٣) .

وبما هو موضع إجماع في المبادئ الإسلامية ، أن سياسة العدوان والابتلاع التي تطلق عليها لغة العصر اسم ضرورة الحياة ، لم يفت القرآن أن يدينها ويندبها . وبنى أتباعه من استعمالها فيقول : « وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (سورة ٢ آية ١٩) « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما

تقسية القلوب » ولكن هذا الخطر الدائم يجب أن يكون بينه وبين الأمم الإسلامية بون شاسع بشرط أن تتحد فيما بينها ، وتكون قيادتها في أيدي زعماء مؤمنين ذوي كفايات ممتازة ، وهي متيقظ وإبصار فمداني وذلك لأن الاتحاد مع حسن القيادة ، يمنح الشعوب قوة قتيها من أن تكون محاييا للطغيان والجور ولكن هذه القوة الواقية لا تخلق ألبنة من الأمم الإسلامية جلادين ولا ظالمين لأن مبادئ الإسلام تربط وربط محكما بين والأخلاق والسياسة لانهما تأمر معتنقها باستعمال العدالة مع الأعداء والأصدقاء بدرجة واحدة ولا تسمح بالظلم الفردي أو الجماعي تحت عنوان أي مشروع ولا في ظل أي ظرف مهيأ كان ، ومن أي كان ، وضد أي كان .

« إنه لا يجب الظالمين » (سورة ٢ آية ٤٠) « وقد عاب من حل ظلالا » (سورة ٢٠ آية ١١١) « ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا » (سورة ٢٥ آية ١٩) « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداءه ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » (سورة ٤ آية ١٣٥) من هذه العدالة التي بلغت في الإسلام أقصى حدود القسوة والعناية ، يتبين جليا أن حقوق الغير لها في هذا الدين الجليل الخالد قداسة خاصة إلى حد دفع فريقا من الأجانب إلى القول بأن هذه الحقوق توشك أن تكون

جمل الله لكم عليهم ميلا ، (سورة ٩ آية ٩) .
 وهنا ينبغي أن نعلن سرورنا واعتباطنا
 ومباهاتنا بالسهر على نهج القرآن في هذا
 ولم لا ! ألم يقل رئيس جمهوريتنا : « فساد
 من بصادقنا ونعادي من بعادتنا » .

ولم يكتف الإسلام بمطالبة أتباعه بعدم
 الاهتمام على الآئنين المالمين ، بل أمرهم
 بالمسارعة إل إغاثة المظلومين ، وأوجب
 عليهم المبادرة إلى مناصرة المضطهدين ولو
 أدى ذلك إلى الحرب في سبيلهم والقتال في
 صفوفهم بلا أي غرض من أغراض التوسع
 أو الاستعباد وإنما بنضال الباطل والمجور
 وحبا للحق والعدل ، « وما لكم لا تقاتلون
 في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
 والولدان » (سورة ٩ آية ٧٥) . غير أن
 المروءة والرجولة والشهامة الحديثة قد شاءت
 للمحاربين المعاصرين - بدلا من حماية
 المستضعفين من الصيوخ والنساء والولدان -
 أن يلقوا عليهم القنابل وهم نائمون في بيوتهم
 فيفزعهم من نومهم ولو أن لديهم من تعاليم
 الإسلام ما يرشدهم إلى الماطم الباقية من
 الإنمائية ، لحصروا الحروب في جبهاتها
 ميادينها .

وما يسترعى الانتباه في هذا الصدد أن
 الفضائل التي يأمر بها الإسلام ، لا تتعلق
 بالجوانب المادية أو بالإنشؤون العملية من

الحياة فحسب ، بل هي قبل كل شيء مسئولية
 معنوية مثالية رفيعة وهي مطلوبة من كل فرد
 وجماعة في الأمة ، وهي لدى الحاكمين
 والمهيمنين أشد منها لدى المحكومين والمسيرين ،
 إذ أن هؤلاء الآخرين مسئولون عن أنفسهم
 فحسب بينما أن الأولين مسئولون عن أنفسهم
 وعن غيرهم كما ينص الحديث الشريف بقوله :
 (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) أي
 أن رئيس الدولة مسئول عن الدولة كلها
 والوزير مسئول عن وزارته ، والأستاذ
 مسئول عن تلاميذه ، ورب الأسرة مسئول
 عن أسرته ، والزوج مسئول عن منزل
 وزوجها ، والمقدم مسئول عن مصالح
 غنومهم ، وبمناصب الحديث عن مسئولية
 المهيمنين على القهرون العامة وفي مقدمتهم
 رؤساء الدول يجب أن نعلن رأي الإسلام
 في احترام المعاهدات وفي الوفاء بالعهود
 ومصافحة القنادين بقدرهم ، والخاتمين
 بخيانتهم وذلك كله مناف لسياسة العصر
 الدولية المؤسدة على الخيانة والمراوغة ،
 والتي تقر مناقضة المعاهدات قبل أن يحف
 مدادها ، وتعتبرها « قصاصات ورق » وهو
 كذلك متعارض مع السياسة الداخلية المكونة
 من الوعود المصنوعة « للاستهلاك المحلي » .

ومعنى هذا في وضوح أن رؤساء الدول
 يجب أن يكونوا شرفاء صرحاء فجعافا في

بأن أى أمر من الأمور الداخلية لا يمتنع الكلمات ، كما يقول الفرنسيون أى هو يصارحها بأسوأ الحالات وينبها بتفاصيل المعجز والنقص فى الإنتاج والزودة فى الاستهلاك ، وكذلك ياراء السياسة الخارجية هو يعلن على ودوس الأشرار ، وفى عظات الإذاعة (والتليفزيون) أن الدولة الفلانية من العرب قد خرجت على الإجماع ومرتت من الوطنية أو أن دولة كذا أو كذا تريد أن تمل علينا شروطها ، ونحن نصارحها بأننا لا قبل بشروط أحد ولا نريد أن نخضع لأية قوة كانت فلتعلم هذه الدول ودوسها على الصغور وأنا سفتنصر حتما لأننا مؤمنون بمبادئنا حاملون بإيماننا ؟

الركنور محمد غنوب

صراحتهم مع الصديق والعدو على قدم وساق مع الداخليين والخارجيين على قرار واحد وتلك السياسة هى التى يرسم القرآن خطوطها الرئيسية فيقول : « وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . » (سورة ٨ آية ٥٨) . « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . » (سورة ٥ آية ١) . « ولا تكونوا كالتى قطعت عهدا من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، » (سورة ١٦ آية ٩٢) . ونحن إذا تأملنا فى هذه السياسة الداخلية والخارجية التى رسم لنا الإسلام هياكلها الرئيسية ألفيناها - وهه الحدد أولا وأخيرا - تطبق الآن فى جمهوريتنا تطبيقا يسير نحو الكمال بخطوات : واسعة إذ أن الرئيس (جمال عبد الناصر) عندما يخاطب فى جماهير الشعب

عزل وال

لما حج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة ومعه يحيى بن خالد : فأنبرى إليه العمري فقال : يا أمير المؤمنين ، كف حتى أكلبك ! فقال : أرسلوا زمام اللقاة ، فأرسلوه ، فوقف فكأنما أوتيت . فقال : أقول ؟ قال : قل ، فقال : عزل عنا إسماعيل بن القاسم . قال : ولم ؟ قال : لأنه يقبل الرشوة ، ويعطيل النفقة ، ويضرب بالعصاة ، قال : قد عزلناه منك ، ثم التفت إلى يحيى فقال : أعندك مثل هذه البديهة ؟ فقال : إنه ليحب أن يحسن إليه . قال : إذا عزلنا منه من يريد عزله فقد كافأناه .

وظيفة الراعي ومسئوليته :

وثيقتان من الأدب الإسلامي السياسي

للأستاذ محمد خلف الله أحمد

- ٢ -

واحفظ وجهتك في الليل والنهار ، والزم ما أوصاك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يوصلك من الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه ، فإن الله سبحانه قد أحسن إليك ، وأوجب الرأفة عليك بمن استمرأك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل فيهم ، والقيام بحقه وحدوده عليهم ، والذب عنهم والدفاع عن حريتهم وبيعتهم . والحقق لدعاتهم والأمن لسرهم ، وإدخال الراحة عليهم ، وواخذك بما فرض عليك وموفئك عليه وساتك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت .

ثم تعدد الرسالة الصفات والفضائل التي يجب أن يكون عليها الرائي في شخصه وفي ملوكه ؛ فعليه أن يلزم نفسه المواظبة على ما فرض الله عز وجل من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس ، والأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده ، والاقتصاد في الأمور كلها ، والاستكثار

أما الوثيقة الثانية التي اخترنا أن نعرضها هنا فتجيء متأخرة عن وثيقة الإمام بقرنين من الزمان ، ومثبوته لم يكن خليفة ولا أميراً للتؤمنين ؛ ولكن قائداً وكاتباً ومؤسس أسرة من الوزراء والولاة فارسية النسب عربية الولاء ، لعبت دوراً كبيراً في الحكم والإدارة في العصر العباسي الأول ، وامتد نفوذها قرابة ثلثي قرن . في تلك المرحلة التي بلغت فيها الحضارة الإسلامية - أو كادت - ذروة انصافها السياسي والثقافي والعمراني . هذه الرسالة المطبوعة التي نعتزك مع رسالة الإمام في الموضوع وفي كثير من الخصائص الأدبية والسياسية - حتى ليطلب على الظن أن منشأها حلقاً فيها حظو الإمام في رسالته - كتبها طاهر بن الحسين - رأس الأسرة الطاهرية - لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر . وهي - كرسالة الإمام - تبدأ بمحض الرائي على توفيق الله وبيان مشرئبه في وجاية أمل ولايته والعمل فيهم فنقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وغشيتيه ومراقبته عز وجل ، ومزاياه عظمه .

ولا ترحم قاجراً ، ولا تملن كفوفاً ،
ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردن سائلاً فقيراً ،
ولا تفضن من ظالم رعية منه أو محاباة ...
٦ - وينصح له في شأن الأموال وإضافتها

والخراج وجبايته وتوزيعه فيقول :

« واعلم أن الأموال إذا كثرت وأدخرت
في الخزائن لا تنمو ، وإذا كانت في صلاح
الرعية وإعطاء حقوقهم وكف الأذى عنهم ،
نمت وركت وصلحت بها العامة ... فليكن
ككز خزائنك تقريق الأموال في عمارة
الإسلام وأهله ... وانظر هذا الخراج الذي
استقامت عليه الرعية وجهه الله للإسلام
هو أمانة ، ولا تله تروسة ومنعة ، فودعه
بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والسوم ،
ولا تدفن شيئاً منه عن شريف لشرفه ،
ولا عن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ،
ولا عن أحد من عاصتك ولا حاشيتك ،
ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ... واحمل
الناس كلهم على أمر الحق فإن ذلك أجمع
لألفهم ، وألزم لرضاء العامة ... واعلم أنك
جملت بولايتك عازناً وحافظاً وراعياً ، وإنما
سعى أمل حملك وعيتك لأنك وإصمهم
وقيمهم ، غفد منهم ما أصطرك من ضررهم ،
ونفذ في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم
أودم ، واستعمل عليهم أولى الرأي والتدبير
والنخبة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة
والعفاف ... »

من غير والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله
تعالى ومرضاة ، وإيثار الفقه وأهله والدين
وجملته ، وكتاب الله هو وجل والعاملين به ،
والإكثار من مشاورة الفقهاء ، والأخذ من
أهل التجارب وذرى العقل والرأي والحكمة ،
ونهي ... بعد هذه صفات أخرى أدخل
في عمل الوالي وأكثر النصائح بالناس . يقول
طاهر بن الحسين لابنه : « ولا تهين أحداً
من الناس فيما توليه من حملك قبل أن
تكشف أمره ، فإن إيقاع النعم بالبراءة
والظنون السيئة بهم آثم إثم ... ولا يمنحك
حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيك أن
تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ... »
ويقول له : « ... واسلك بمن تسوسه
وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدى ، وأقم
حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر
منازلهم وما استحقوه ... وإذا ما عدت عهداً
فأوف به ، وإذا وعدت الخير فأنجزه ،
واقبل الحسنة وادفع بها ، واغضض عينك عن
كل ذي عيب من رعيك ، واشدد لسانك
عن قول الكذب والادور ، وابغض أهل
النميمة وأحب أهل الصلاح والمصدق ...
واجتنب سوء الأموال والجور ، وأظهر
برائك من ذلك لرعيك ، ولما يك أن تقول ،
أنا مسلط أقبل ما أشاء ، فإن ذلك سريع إلى
تقص الرأي وقله اليقين بالله هو وجل ...
ولا تحقرن ذنباً ، ولا تملن ساعداً ،

ومؤامراته وما عنده من حوائج العيال وأموار الدولة والرحمة ؛ ثم تنصح له أن يفرغ من عمل يومه ولا يؤخره لئلا يكثر الأذن للناس عليه ويربهم وجهه ، ويسكن لهم حوائجهم ويخفف لهم جناحه ، ويعطى لهم بشره ويلين لهم في المسألة والنطق ، وأن يفرد نفسه بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليه ، وأن يتعاهد ذوي البأساء واليتامى والأرامل ، وأن يجرى للأضرار من بيت المال ، وأن ينصب للمرضى المسكين دورا تأويهم وقواما يرقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم .

ثم يختم : طاهر بن الحسين ، عهدك إلى ولده بقوله .

« وفهم كتابي إليك ، وأمن النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله في جميع أمورك واستخره ، فإن الله عز وجل مع الصالح وأهله ، وليكن أعظم مهنتك ، وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضى ولديه نظاما ولاءه مرا وتمسكنا ، والله والمنة هدلا وصلا . »

(٧) خاتمة :

إن هذه الدراسة التحليلية لوثيقتين هامتين من الأدب الإسلامي في سياسة الرحمة قد كشفت عن اتجاه إسلامي عام في سياسة الرحمة يقوم على ربط رعاية العباد بتقوى الله وخشيته وعلى وجوب تحمل الوالي في نفسه بالصفات

وتصالح الرسالة . كما طالعنا رسالة الإمام - شئون بعض الفتاوى التي تقوم على مرافق عامة في حياة المجتمع كالجند والقضاء والكتاب وغيرهم .

فأما الجند : فعلى الوالي أن يتفهم في دواوينهم ، وأن يدير عليهم أوزانهم ، ويوسع عليهم في معاشهم كي يقوى أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعة الوالي وأمره خلاصا وإشراحا .

وأما القضاء : فهو من الله تعالى بالمسكان المعنى ليس فوقه شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي تمدل عليه أحوال الناس في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرحمة ، وتؤمن السبل ، ويتصف المظلوم ، وتأخذ الناس حقوقهم ، وتحقق المصلحة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ورضي الدين ، ويجرى الصدق والشرائع في مجاريها

وتتناول الرسالة نواحي متفرقة من النصح والتوجيه في صلة الوالي بجماله ، وفي رعاية المرضى والفتاوى غير العادية من الشعب ، وفي صلة الوالي بالجمهور ؛ فنصح للوالي أن يعمل في كل (كورة) من عمله أميناً يخبره خبر عماله ، ويكتب إليه بسيرهم وأعمالهم ، وأن يعرف ما يجمع حاله من الأموال وما ينفقون منها ، وأن يوقت لكل رجل من عماله وكتابه بمحضته في كل يوم وقتا يدخل فيه يكتبه

التي دعا إليها الإسلام: من الصلاح والتواضع لله، والصدق في المعاملة، ومراعاة العدالة التامة بين جميع الفئات التي يتألف منها المجتمع وتوجيه مزيد من الرعاية للفئات غير القادرة على الكسب وإتقان الأموال العامة في عمارة البلاد واستصلاح العباد.

هذا الربط بين حمل الولاية في سياسة الرعية وبين توحيد الله وعبادته والمحافظة على حدوده جزء من ظاهرة عامة واضحة، هي ظاهرة التكامل المعبر الذي يقسم به النظام الإسلامي في عقيدته وعبادته ومعاملاته واجتماعه وسياسته وأخلاقه، وهو تكامل لم يتبع مثله لأي نظام آخر في تاريخ البشرية وإلى هذا التكامل يرجع كثير من أسرار النجاح الذي حققته الحضارة الإسلامية في عصورها النخبة، والذي يمكن أن نحفظه في تاريخها الحديث إذا حافظت على مقوماتها وسماتها الأصلية.

وقد أكدت هذه الدراسة التحليلية ما كشفت عنه البحوث الحديثة من سبق الذي تفردت به الحضارة الإسلامية في تقرير حقوق الأفراد والجماعات، وإرساء قواعد العدالة الاجتماعية، والتنبيه إلى مسئولية الحكام والولاة والرعاة فيما يحملون من لعاة الولاية على الرعية والنيابة عنها في توجيه شئونها العامة، والسير فيها بالعدل

والنظام^(١)

كما أكدت نتائج الدراسات التي قام بها السابقون من العلماء المسلمين في سياسة الراعي والرعية، وقد اشتهر من بين هؤلاء مؤلفان عالما الموضوع صالحا كثيفة: أحدهما القاضي أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ صاحب: «الأحكام السلطانية والولايات الدينية»، و«أدب الدنيا والدين»، وغيرهما ويقرر المؤلف في كتبه أن صلاح الحياة

(١) أنظر لكتاب هذا البحث:

١ - «موقف الحضارة الإسلامية من حقوق الإنسان».

(بحث نشر بالمجلة المصرية للقانون الدولي ١٩٥٦ مجلد ٢).

ب - «حرية العقيدة والفكر في الإسلام».

(بحث ألقى في المؤتمر الدولي للثقافة الإسلامية في لاهور - باكستان ٥٨/٥٧ نشر بالعربية في مجلة كلية الآداب بالإسكندرية مجلد ١٢/١٩٥٨.

وبالإنجليزية في كتاب المؤتمر.

ج - «الإسلام والحضارة» (من مختارات الإذاعة - وزارة الإرشاد القومي - القاهرة).

د - «أثر الحضارة الإسلامية في ورق البشرية وسعادتها».

(بحث ألقى في المؤتمر السنوي لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٥ ونشر في كتاب المؤتمر).

كتاب « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » ، وقد أوضح فيه الفكرة الإسلامية في السياسة العامة والولاية الصالحة ، بأنها تلك الفكرة التي قواعد أساسية تضمنتها الآيتان الكریمتان : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تعلمون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » سورة نساء ٥٩/٥٨ . وقد طبق ابن تيمية هذه القواعد في مجال السياسة العملية ، وبين كيف يؤدي كل من الراعي والرعية الأمانة كما يجب . واقتبس من الآيات والأحاديث ما يكشف عن أسرار المبادئ الإسلامية في نواحي الحكم : من اختيار الولاية والعمل ، وحماية الأموال وحرفها ، وحماية الحقوق ، وتنظيم الجهاد ، والأخذ بمبدأ الشورى ، وما إلى ذلك من ضروب التنظيم للحياة العامة الصالحة .

وإذا كان هذا البحث قد اقتصر على تحليل وثيقتين من الأدب الإسلامي في سياسة الرعية فإن التراث الإسلامي حافل بأمثالها من المهود والرسائل . ومن الملاحظ أن هذه النصوص والوثائق لا تنص على شكل معين من أشكال الحكم والولاية ، ولكنها

الإيمانية وانتظام شئونها يقوم على ستة أركان رئيسية تتفرع عنها بقية أبوابها وهي : دين متبع ، و سلطان قاهر ، و عدل شامل ، و أمن عام ، و نصب دائم ، و أمل لمسيح : فأما الدين المتبع : فإنه بصرف النفوس عن شهواتها ، إذ يصير زاجرا للضائر ، وقيما على النفوس ، وأما السلطان : فوجوده ضروري لنظام العمران ، ووظيفته في الأمة حماية الوطن من أعدائه ، وحرارة البلدان ، و التصرف في الأموال العامة على مقتضى السنة المشروعة ، والقضاء على المظالم ، والأحكام بالتسوية بين أهلها واختيار الولاية والعمل من أصل الكفاية والأمانة ، وأما العدل العامل فإنه يذهب إلى الألفة ، ويبعث على الطاعة ، و تعمير به البلاد ، وتتمى الأموال ويأمن السلطان . والعدل عدلان : عدل الإنسان في نفسه ، ثم عدله في غيره . وأما الأمن : فيه مطمئن النفوس ويأمن الضعيف ، ويقر الخائف . وأما النصب : فإنه يقوى رابطة الود والتواصل ، ويخفف من حدة الحسد بين الناس ، وأما الأمل للمسيح : فهو نعمة من الله ، تدفع على العمل والتصميم والإصلاح ، إذ لولا الأمل ما تجاوز الواحد حاجته يومه ، ولا تعدى ضرورة وقته .

والمؤلف الثاني هو العالم الجليل تقي الدين ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) صاحب

الإسلاميين بدراسة هذه النصوص في ضوء التطور السياسي الحديث وداسة مقارنة تكشف عن الصلة الوثيقة بين ما تضمنته من تعاليم وما يحاول كفاحنا العربي والإسلامي في العصر الحاضر انجازه من تحقيق الكرامة والمعيشة المطمئنة والفرص المتكافئة والمعادلة الاجتماعية والحرية السياسية والاقتصادية والفكرية لجميع المواطنين وبذلك يتم الربط بين ماضينا وحاضرنا ، وتكسب فلسفاتنا الحديثة من هذا الربط ثركية وأصالة .

٤ - وأن تختار مجموعة من هذه الوثائق السياسية الإسلامية بترتيبها التاريخي إلى وقتنا الحاضر وتترجم إلى مختلف لغات الأمم الإسلامية كالأردنية والأندونيسية والتركية والفارسية وإلى بعض اللغات الكبرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والأسبانية وغيرها لتقوم دليلاً ما تلاه على أصالة ثقافتنا وقيمنا وشاهداً مصداقاً على السبق الذي تفردت به الحضارة الإسلامية في مضمار التطور السياسي والأخلاقي إذ وضعت أسس الديمقراطية الصالحة ، ودعمتها بروح الإيمان والعقيدة ووضعتها موضع التطبيق الفعلي في سياسة الرعية ، وقررت من مبادئ العدل والشورى والمساواة ما تحاول البشرية الآن جاهدة أن تفصل إلى تقريره عن طريق جهودها وكفاحها وثوراتها وهيناتها الدولية . ٥١ .

محمد خلف الله أحمدر

عضو مجمع البحوث الإسلامية

شأن التعاليم الإسلامية في تقريرها للأصول الكبرى لشئون الاجتماع الإنساني - تعطى فلسفة وروحاً ودليلاً مرشداً يبق على توالي الأيام مصدراً معيئاً ، ينهر معالم الطريق ، ويفيد منه كل من يتولى أمراً من أمور المجتمع الإسلامي ، سواء أكان ذلك المتولى فرداً أم هيئة أم مجلساً ، وسواء أكانت ولايته عامة على الرعية أم خاصة بإقليم منها ، أم محددة بقطاع من قطاعاتها .

وفي ختام هذا البحث نوصي بما يلي :

١ - أن يعطى هذا الجانب من الأدب الإسلامي مكاناً في مناهج تربية القادة ، ومن يعدون لتولى الشئون العامة والإشراف عليها في حياة الأمة : كمنكليات لقانون والشرطة ومساعد الإدارة وتخرج القادة والمنكليات الحرة وما إليها من المؤسسات .

٢ - وأن يجمع ما تفرق من نصوص هذا الأدب في كتب التراث الإسلامي في مجموعة أو مجموعات تضم توجهات القرآن الكريم والسنة النبوية وهجود الخلفاء للدولة والزواج والمال والقضاء والقواد ومن إليهم ، ونماذج من سيرة الحكماء الصالحين وأحاديثهم وخطبهم في القديم والحديث ، على أن تنشر تلك المجموعات في طبعات ميسرة للشعب تعادك في تكوين الذوق الأدبي والضمير الأخلاقي لشباب الأمة .

٣ - وأن يقوم بعض المعاصرين من الباحثين

نقض ما كتب في رسالة "دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني"

للكاتب محمد الزبادي رحمه الله

- ٢ -

قبل هذا التغيير ، كان بتوقيف من الله تعالى ، بل إن أسلوب الباحث صريح في أن هذا التغيير كان من النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل عليه بما أنزل ولأنه يلجأ إليه باعتباره أمراً طبيعياً وتفضيه رغبته الشخصية في استقلال ما في طبيعة القوم المخاطبين من ارتياح إلى من يحدثهم بلغتهم . وهذا صريح في أن نظام المرحلة القرآنية النازلة من عند الله كان أقل وضوحاً في إفادة المعنى المطلوب من نظام الآية التي استحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم التغيير والتبديل ، وحينئذ يكون القرآن قد نزل إلى المخاطبين بما لا يحقق إفهامهم المعنى من أقرب طريق كما هو موجب البلاغة فيكون غير بليغ ، ولا معجزاً .

وهذا يفتح الباب على مصاريفه لكل من تحدثه نفسه أن يغير في نظام حمل القرآن حمل حسب تقديره يعلم أو جهل - ليحصل الآية أكثر وضوحاً - في نظره - لإفهام المخاطبين ، وحينئذ لا تبقى جملة من حمل القرآن إلا ويمكن فيها القول بأن نظامها يحتاج إلى تغيير بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص لتسكون أكثر وضوحاً عند بعض المخاطبين لأن الباحث

الطامع الثالثة : قالت صاحبة الرسالة (من الطبيعي - إعادة لأصل النص لتحقيق الربط - أن يغير - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - في نظام جملة يحملها أكثر وضوحاً) ، وهذه العلامة ليست ثالثة الأتافي ولكنها داعية الهدام لأن التغيير في نظام الجملة يحتمل تقديم كلمة فيها كانت متأخرة أو تأخير كلمة فيها كانت مقدمة ، وقد يحتمل التغيير الزيادة والنقص في كلمات الجملة ، كما يحتمل تبديل كلمة بأخرى ، وأي ذلك أريد كان تحريفاً للنص القرآن وتبدلاً له ، وهذا التحريف والتبديل تنصص القرآن ترى صاحبة الرسالة أنه من الطبيعي أن يفهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الجملة التي أنزلها الله تعالى عليه كانت خاضعة مهمة مثقبة ، لا يتضح معناها ، وبهذا التحريف والتبديل نصير الجملة المفيدة المبدة التي لم ينزل بها القرآن من عند الله أكثر وضوحاً المعنى المقصود والباحث لم يشر - من قريب أو من بعيد - إلى أن هذا التغيير الذي يحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم في نظام الآية القرآنية النازلة من عند الله بلغتها وأسلوبها ليحملها أكثر وضوحاً منها

يدى المسلمين في مشارق الأرض ومقاربها بما هو بين دفتي المصحف أنه هو القرآن النازل من عند الله المتعبد بتلاوة لفظه ؟ إن أعداء الإسلام وعصوم القرآن من الملاحدة القدامى والمحدثين ، ومن اليهود القدامى والمحدثين ، ومن المستشرقين المتربسين بهذا الدين - الإسلام - وكتابه المبين لا يستطيعون أن يهدموا صرحهما - ولئن فعلوا - بأقوى من هذا المحول المصنوع الخبيث ، وفي هذا الصدد يقول أبو بكر الأنباري في كتابه الرد على من خالف مصحف عثمان وهو عطلوه ، ثم يد بعض أصحابنا بعض أوراقه منه اطلعنا عليها - وإذا على أبي الحسن بن شبلوذ بدعته في القراءات العادة (وقد نبغ في زماننا هذا رائغ داغ عن الملة ، ويجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التي لا يزال الله يقبضها ويثبت أسسها وبنيانها) ويحرسها من معاصي أولي الخيف والجور مسكايد أهل العداوة والكفر ... ثم ساق أمثلة من قراءاته التي تغير نظام الجملة القرآنية بالزيادة والنقص وتبديل لفظه بلفظ ... إل أن قال (والقرآن الذي همه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر حرفاً منه منكر كان كافراً ، حكمه حكم المرتد ، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه) ... وقال أبو حنيفة : (لم يزل صنيع عثمان دعى الله في جمع القرآن بعينه لأنه من مناقبه النظام) .

لم تقصر هذا الحق على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل جعلته لأصحابه رضوان الله عليهم ، فهي قول في ص (١٠) : (وحين نزل القرآن أول هذه كان الهدف الأول للمسلمين نشر الدعوة الإسلامية ، وطبيعي جداً أن يتركوا الاهتمام حل الفكرة ، وأن يشتغل بها الجميع ، فكان الرسول يقرأ النص ، ويغير فيه حسب الظروف ويسمح لمن يقرأ عليه بقدر من المخالفة) .
ياداعية الدوامي :

(١) الهدف الأول للمسلمين حين نزول القرآن عدم الجبالة بلفظ القرآن النازل من عند الله المتعبد بتلاوته .

(٢) الرسول يغير نص القرآن حسب الظروف وهذه الظروف ما هي ؟ وما حصرها ؟

(٣) التغيير حسب الظروف لا يقف عند النبي صلى الله عليه وسلم ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يسمح لمن يقرأ عليه بقدر من المخالفة في النص الذي سمعه منه ، وقد يكون هذا النص هو الذي جرى عليه التغيير من النبي صلى الله عليه وسلم حسب الظروف وقت الإفراء ، وقد تنغير هذه الظروف بظروف أخرى يحصرها من يقرأ عليه ليقري غيره أيضاً فالتغيير لا يقف عند حد ولا حصر وإنما هو يمنع الظروف التي لا تهد ولا تنحصر . وليتصور أي مسلم هذا الوضع ليرى هل يبقى القرآن المنزل من عند الله وجود كما أنزه الله ؟ وهل تبقى أية أية فيما بين

من القدرة على أن يزيدوا فيها أو ينقصوا منها
أو يمارضوها بمثلها .

وقى قول أبي بكر الأنباري (فإذا قرأ
قارىء . تبى يدا أبي لمب وقد تب ، ما ألقى
عنه ماله وما كسب ، سيصل ثارا ذات لمب ،
وأمرأة حالة المطلب ، في جديها جبل من
ليف) فقد كذب على الله عز وجل وقوله
ما لم يقل وبديل كتابه وحرفه (وضع لفكرة
صاحبة الرسالة في موضعها من العلم والدين فهي
ليست من العلم في شيء . لأن العلم يعتمد على الحجة
والدليل ، ولم تنسق صاحبة الرسالة حجة ولا دليلا
على فكرتها المستقرقة في السباح بتغيير نظام الجملة
القرآنية دون توقيف من الله سوى الأسباب
والطامات التي اختلفتها اختلافا .

فأما وضعها في مكانها من الدين فهو كما
صرح به أبو بكر الأنباري : أنه كذب على الله
واقتراف عليه وتبديل لكتابه وتحريف له
وايس وراء ذلك إلحاد في دين الله ، يجره
الجهل أو الإصرار . واستشهاده الذي ذكره
نص في موضوع لأنه وقع فيه تغيير لنظام الجملة
القرآنية بزيادة كلمة (وقد) قبل الفعل الماضي (تب)
وينطبق عليها أحد الأسباب المختلفة في الرسالة ،
كما وقع فيه تغيير أيضا لنظام الجملة القرآنية
بتبديل لفظة بأخرى قد يرمي زاعم أنها
أوضح منها ، وهي لفظة (ليف) التي وقص
بديلا عن لفظة (مسد) التي نزل بها القرآن
في قوله (في جديها جبل من مسد) .

وقد طعن عليه بعض أهل الزيف فانكشف
عراؤه ووضعت فضائحه وقال أبو حبيد : وقد
حدثت عن يزيد بن زريع ، عن عمران بن
حدير ، عن أبي جاز قال : طعن قوم على عثمان
رضي الله عنه بجهنم - جمع القرآن ، ثم
قرأ بها نسخ .

قال أبو حبيد : يذهب أبو جاز إلى أن عثمان
الذي أسقط يعلم ، كما أثبت الذي أثبت يعلم .
قال أبو بكر وفي قول الله تعالى (إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) دلالة على كفر
هذا الإنسان ، لأن الله عز وجل حفظ
القرآن من التفسير والتبديل والزيادة والنقصان
فإذا قرأ قارىء (تبى يدا أبي لمب وقد تب ،
ما ألقى عنه ماله وما كسب ، سيصل ثارا ذات
لمب ، وأمرأة حالة المطلب ، في جديها جبل
من ليف) فقد كذب على الله عز وجل وقوله
ما لم يقل ، وبديل كتابه وحرفه ، وحول ما قد
حفظه منه ومنع من اختلاطه به .

وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل
الإلحاد ليدخلوا في القرآن ما يحملون به عرى
الإسلام ويفسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين
أسأل هذه الأباطيل عليهم .

وفيه : إبطال الإجماع الذي به يحرص
الإسلام ، وبشائه تثبت الصلوات وتؤدى
الزكوات ، وتحرى المنجذبات .

وفي قوله تعالى : (الركناب أحكمت آياته)
دلالة على بدعة هذا الإنسان وخروجه إلى
الكفر لأن معنى : (أحكمت آياته) . منع الخلق

يشهدان (طعام الناسى والكافر والغاسق
والظالم) وهذا بين البطال لا خفاء فيه
ولا شبهة في رده .

ولو كان القرآن في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ على المعنى وببدلاً اللفظة بما يقوم
مقامها لم يخرج حرمه وعهام بن حكيم ، وأبي
مع الذين سمعوه يقرءون خلاف قراءتهم إلى
ما خرجوا إليه ، ولم يكن في ذلك النزاع
والخصام ولم يجر أن يتداخل أياً من الشك
مثل الذي كان يعقوب في الجاهلية حتى يحتاج
النبي صلى الله عليه وسلم أن يثبت . والرغبة
إلى الله تعالى في إزالة الشك عنه .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه (كذلك
أنزل على) فدل ذلك على تضيق الأمر عندهم
وحصره على لغات معينة ، وبدل على ذلك
إجماع الأمة على ما ثبت من دين النبي صلى الله
عليه وسلم ، بكفار ابن أبي سرح لأنه صلى الله
عليه وسلم استكتبه فكان يعل عليه شيئاً
ويكتب هو ما يقوم مقامه ولا يفسد نظماً ،
ولا يخل معنى قروء عليه الصلاة والسلام
على ذلك تروم أن النبي صلى الله عليه وسلم
يؤدى القرآن على غير ما أوحى إليه به فاعتقد
تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم .

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم
ابن أبي سرح أن ذلك جائز وأن له أن يبدل
كل لفظة بما يقوم مقامها لم يتخالفه شك .

وقال الإمام ابن عطية في تفسيره (أباح الله

وقد عرض الإمام أبو بكر الباقلاني
في كتابه (نكت الانتصار) وهو أحد
المخطوطات الهامة التي تحض يد بعض أصحابنا
ومن نسخته قلنا هذه النصوص : إلى قضية
المسألة في تغيير نظام اللفظة القرآنية بتبديل
لفظة بأخرى وهي جمع العظام التي دارت
حولها فكرة الرسالة ، فأوانا (الباقلاني)
أنها قضية قديمة اختلقها أعداء الإسلام من
الملاحدة ليزولوا الثقة بأصل أصول هذا
الدين وهو القرآن الكريم فقال : فإن قيل :
فقد سلمنا أن نقل القرآن شائع ذائع وأن
أبا بكر رحمه الله لم يأمر بطلب البيئة لإثباته
جملة أو إثبات ما هو معجود لكنه علم أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يفسح لمن قرأ
عليه أن يقرأ الكلمة على وجه غير الوجه
المعروف إذا كان المعنى واحداً ، لأن قدر
الكلمة والكلمتين غير معجز فأمر أبو بكر
بطلب البيئة لتلاييش كلمة إلا بشهادة ؟ وهذا
باطل لأن أبا بكر رحمه الله إذا علم أن النبي
صلى الله عليه وسلم وسع في ذلك فلا يجوز له
تضييقه ومنع القارئ من تبديل الكلمة
بما هو في معناها .

ولو جلا ذلك أيضاً لادى إلى الزيادة العظيمة
في القرآن وبدل أكثره ، ولا يحصر ذلك
عدد بل قدر ما تحتمل الكلمة وذلك أن يأتي
بالشاهدين يشهدان أن القراءة (طعام الأثيم)
وآخران يشهدان (طعام الفاجر) وآخران

بتبديل لفظ آخر أو تقديم لفظ على آخر أو زيادة لفظ في الجملة أو قص لفظ منها دون توقيف من الله تعالى كما ذهبت إليه صاحبة الرسالة إنسداداً لنظم القرآن فيكون كفرأبه . . الطامة الرابعة : قالت صاحبة الرسالة : (من الطبيعي - إعادة لأصل النص لتحقيق الربط - أن ينهر - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - في نظام الجملة - القرآنية ليسكبها بلاغة أكثر في نظر القوم الذين يقرأ أمامهم وهذا واضح في أن صاحبة الرسالة تعتقد أن الجملة القرآنية النازلة من عند الله تعالى على لسان ملك الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون أقل بلاغة مما يجب لها في نظر القوم الذين يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم أمامهم ، فيعتبر النبي صلى الله عليه وسلم دون توقيف من الله منزل القرآن نظام الجملة ليسكبها بلاغة أكثر في نظرهم .

وهنا يجب - في نظر صاحبة الرسالة - أن توضح بلاغة القرآن موضع التفسير والتبديل في نظام الجملة القرآنية ، لأن الجملة القرآنية النازلة من عند الله قد تكون أقل بلاغة في نظر السامعين فينبغي ما من يقرأ عليهم - سواء أكان هو النبي صلى الله عليه وسلم أو من قرأ عليه - إلى جهة أكثر بلاغة في نظرهم . وهذا تذهب صياغة الأسلوب القرآني النازل من السماء وتغير إلى صياغة بشرية بعضها من يرى أنه يستلزم أن يأتي بجملة

لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه الحروف السبعة وعارضة بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي فيه الإيجاز وجودة الرصف ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام : فاقروا ما تيسر منه بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يستبدل اللفظة من بعض هذه اللفاظ جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب إيجاز القرآن وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة للنبي صلى الله عليه وسلم في الحروف السبعة ليوضح بها على أمته ، فأقرأ مرة أيما بما عارضة به جبريل ، ومرة ابن مسعود بما عارضة به أيضاً ، وعلى هذا تبيح قراءة حزين الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها ، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم في كل قراءة منها وقد اختلفتا هكذا أقرأني جبريل ، هل ذلك إلا أنه أقرأ مرة هذه ومرة هذه ... وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه - كما هو فكرة الرسالة الراضة للتوقيف - لبطل معنى قوله تعالى : إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّاه لمافظون .

ويقول أبو بكر الأنباوى في كتابه : (الرد على من عالف صحف عثمان) .

« ومن أقصد نظم القرآن فقد كفر به ورد على محمد صلى الله عليه وسلم ما حكاه عن ربه . . ولا شك أن تغير نظام الجملة القرآنية

مع التوقيف أفرج حذيفة فقال لمبأن رضى الله عنه : وأدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى كما رواه البخارى ، فإبالتنا بتغير (سجل) في نظام المجلة القرآنية وحسب البحث ذلك في تقرير الرسالة عليها .

أما من الوجهة الدينية ، فالحكم على (الفكرة) - فكرة الرسالة - واضح لأنها تقوم على جهالة تدور إلى التعريف في نصوص القرآن ، أو على قصد دفع إلى الإلحاد في دين الله والله هو العليم بهما تخلق وفي الطامة الرابعة (نكتة) خفيفة تدفع إلى كفر جهول ، وهي أن الله منزل القرآن أدى معنى من المعاني القرآنية بلفظ أقل بلاغة من لفظ آداة به مخلوق أى مخلوق : النبي عليه الصلاة والسلام أو غيره ، وأن لفظ المخلوق أبلغ من لفظ الخالق .

ثم قاله صاحبة الرسالة في ص (١١) بعد أن أشارت إلى بعض الروايات في اختلاف القراءات ، ولأمر ما لم تقا أن تذكر النصوص كاملة (وهكذا الروايات على اختلافها تنفق على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبيح الاختلاف ، ولا بعد إلى التخطي ، كان يتسامح عليه السلام ببعض الشيء في النص ، كان كل ما يهم الرسول عليه السلام المحافظة على الفكرة - أى أنه عليه السلام ما كان يهمه لفظ القرآن وأسلوبه وصياغته ونصه النازل من عند الله - هذا

أبلغ من مجلة القرآن ، وبقي هذه الصياغة البشرية هي القرآن الذي يتعبد به المسلمون ويعلمون على قواعده وأصوله أنظمة حياتهم في عبادتهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقيهم .

وقد تمتد النصوص المخيرة حسب تعدد تقدير المخاطبين لبلاغة المجلة القرآنية ، وحسب ما يطرأ عليها من التغيير والتبديل تبعاً لظروف السامعين الذين قد تكون المجلة القرآنية بالنسبة لهم أقل بلاغة في نظرهم .

ولاشك أن هذا يؤدي إلى أن يكون لدى المسلمين عديد من النصوص المختلفة للفكرة الواحدة كلها تسمى (قرآن) ، وهذا يبطل آيات التحدى بسورة من مثله ، لأنه يقتضى نظرية إباحة التغيير في نظام المجلة القرآنية تكون أكثر وضوحاً و (أكثر بلاغة) و (أكثر شيوعاً) و (تحصل ثنات من المعاني تفهم الفكرة أكثر) يمكن وجود أكثر من سورة ، بل أكثر من قرآن - على مرور الزمن - لأن احتمال التغيير لا يوجب من هذه الأسباب يمكن أن يكون في أكثر آيات القرآن الحق تنازل من عند الله .

وما ظن أن يجد الملحدون وأعداء الإسلام من اليهود والزنادقة والمشتريين المترصين باباً يدخلون منه إلى هدم الإسلام وأبطال أصوله وتعريف القرآن وتبديله أوسع من هذا الباب الذي تفتحه نظرية إباحة التغيير في نظام المجلة القرآنية ، والاختلاف

ما يحتمله التغيير من استبدال لفظ بلفظ ، أو تقسيم لفظ على لفظ أو زيادة لفظ أو ألفاظ في الجملة ، أو حذف لفظ أو ألفاظ من الجملة وبديهي أن هذا التغيير هو الذي تضمنه صاحبة الرسالة بالاستبدال الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا عليه وبطوره بداهة ما قلنا سابقا : إن نظام الجملة القرآنية النازل من عند الله كان جاريا على غير الاستبدال ونمود ذلك من أن يعتقد مسلم ذلك ، يسهل أننا لا نستطيع أن نفهم كيف كان الرسول عليه السلام إذ يفعل ذلك - أي الحرس على على الاستبدال وإباحة الاختلاف في القراءة بتغيير نظام الجملة القرآنية - معطشتا على النص القرآني () ؟ فإن لفظ (نص) لها مدلولها القرآني ولها مدلولها (العربي) وهي دائما تعني الألفاظ تخصها المعبر بها من الفكرة في نظامها الخاص التي وردت به من صاحب الفكرة . أما إذا لحن الألفاظ بتدليل بمرادف - ولا ترادف في اللغة أولحفا لتغيير في نظامها ووضوحها من الجملة ، أو زيدها أو اقتصر منها فلا يمكن أن يقال حيث قد : إن النص الذي أوردته المتكلم هو الذي جاء في الجملة التي غير نظامها ، فكيف إذن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام - معطشتا إلى النص القرآني ، بعد إباحة الاختلاف ، والاختلاف قد وقع بالفعل وتغير نظام الجملة بأي نوع من أنواع التغيير ؟

بالإضافة إلى أن الرسول لم يضع في اعتباره التنحلي - مجرد اختلاف لفظين يؤيدان معنى واحدا) .

كان يجب في أمارة العلم أن تذكر صاحبة الرسالة اختلاف الروايات في اختلاف القراءات بنصوصها ليقين القاري أولا مدى ما فيها من اختلاف ، وليتبين - ثانيا من نصوصها أن هذا الاختلاف في القراءات هل كان توقيفيا منزلا من عند الله أم وراثة النبي بتقليده كما هو صريح الروايات الصحيحة الثابتة أو كان مجرد رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في استقلال ما في الطبيعة الإنسانية مع الارتباط والشعور ؟ أو مجرد أنه كان كل ما يجهه الفكرة دون اللفظ والأسلوب ؟ وقد وودنى أصحاب الروايات وأعلاما سندا وأقربها لتواتر (أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف لتكلمها شاف كاف فافروا ما يتيسر منه) وهو حديث عمر ، وعشام في سورة الفرقان من رواية البخاري وفيه (كذلك أنزل) بقولها تصويبا لقراءة كل منها .

ثم قالت صاحبة الرسالة (ص ١١) ولكن الرسول عليه السلام كان حريصا على الاستبدال ، وإباحة الاختلاف ما دامت الفكرة لم تتغير والعبارة لا تخرج عن حدود العربية السليمة) .

هذا إيمان في تأكيد فكرة صاحبة الرسالة في إباحة تغيير نظام الجملة القرآنية بكل

الظاهرة اللغوية الأولى التي أشرت إليها في الفصل السابق بإفادة نص عام يحرص فيه الجميع أولاً على حرقية الفكرة ، وثانياً بحكم حالة من القداسة على الاتفاق على ما يشبه النص الموحد - تأمل - وقيل منهم الرسول عليه السلام ذلك لأنه كان مطعماً إلى أن التحريف لن يدخل القرآن) .

فهى في هذا النص تؤكد أن جميع المسلمين يحرصون ، أولاً : على حرقية الفكرة فقط . وثانياً : بحكم حالة القداسة لا يحكم نظر على ولا إيمان ديني ٢٤ . وحالات القداسة مجردة عن الحقائق العلمية والمنطق العقل ليست من معارف المسلمين الأولين الذين تلقوا حقائق إسلامهم من فم الوحي في ظل العقل والدلم . وليتأمل الناظر في هذا البحث قول صاحبة الرسالة (على حرقية الفكرة) أما اللفظ المنزل ، وأما الأسلوب الموحي به ، فلهما نظام الجملية القرآنية كما جاءت من عند الله ، فإن ذلك لا يحرص عليه المسلمون ويمرر فيه التغيير والتبديل بنهر حرج على أحد ما دامت الدواعي للتغيير التي ذكرتها في إباحة تغيير نظام الجملية القرآنية قائمة ، ثم ليتأمل الناظر في هذا البحث قول صاحبة الرسالة : (الاتفاق على ما يشبه النص الموحد) فنص القرآن عندما ليس موحد ، ولكنه متمدد تعدداً لا يجمده من شبه النص الموحد ، والتعدد بهما صور فهو بهذا الوجه مشعر

٨ - وصاحبة الرسالة تخطط بين (الآداء) وبين (نظام الجملية) لأنها تقول (ص ١٢) (ومهما حاول أفراد الجزيرة العربية من المسلمين أن يقلدوا الرسول عليه السلام يدفعهم إلى ذلك شعورهم الديني فإن آداءهم لن يسلم من العوامل الالهية والشخصية ، ولذلك وفر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا البناء ، وسمح لهم بالاختلاف ولم يخطئ فرداً منهم) وهنا فأسأل : أى اختلاف هذا الذي تعنيه صاحبة الرسالة؟ هو الذي سمح لهم به الرسول عليه الصلاة والسلام، إن أرادت الاختلاف في الآداء أى التلاوة لنص ما نزل من القرآن ، وهو ما يجب أن يراد لقولها (لن يسلم من العوامل الالهية والشخصية) والآداء أى - التلاوة - هو الذي يتأثر بالعوامل الالهية والشخصية فالأمر في ذلك مرجعه إلى ضوابط الآداء القرآني التي اتفق عليها القراء جيلاً بجيل إلى وصول الله صلى الله عليه وسلم والاختلاف فيه يسير الأمر ما لم يخرج باللفظ القرآني عن حده .

وإن أرادت الاختلاف في نظام الجملية القرآنية - أى في جوهر ألفاظها وأسلوبها - وهو ما تدور حوله الرسالة فالأمر فيه خطير كما شرحناه فيما سبق .

٩ - وقد عادت صاحبة الرسالة في ص ١٣ تؤكد فكرتها فتقول : (وعلى العموم فإن قراءة القرآن في تلك الفترة الزمنية تشبه

بقراءتها) ، ومن البداهة أن يكون من غير الغالب - بمقتضى نص الرسالة - أن لفرد من الصحابة يغير النص في كل مرة بقراءتها ، يجعل النص الواحد نصوصا كثيرة بعدد ما يتاح له من التفسير غير ملتزم بالصورة الأولى التي قرأ بها على الرسول عليه الصلاة والسلام وأقرأ عليها ، فالقرآن - إذا - فيه نصوص التزم فيها الفرد من الصحابة الصورة الأولى التي قرأ بها على الرسول عليه الصلاة والسلام وأقرأ عليها وفيه نصوص لا يلتزم فيها الفرد من الصحابة الصورة الأولى التي قرأ فيها على الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بل غير فيها وبذلك وهذا التفسير والتبديل في القرآن الذي بين أيدي المسلمين .

ولا ندرى ماذا بقي للقرآن بعد ذلك من حقيقته الأصلية المنزلة من عند الله ؟ هذه نتائج خطيرة أشد الخطورة تؤدي إليها نصوص الرسالة ، وخطورتها ليست من الناحية الدينية لحسب ؛ بل خطورتها من الناحية العملية إلى جانب الناحية الدينية ، لأنها نصوص تلقى هكذا دون أية دراسة وبجهل ولائها نصوص تؤدي على الأقل إلى التشكيك في القرآن ونصوصه ، ولا ندرى أية مصلحة عملية في هذا التشكيك ؟

يتبع
محمد الصادق عرجون
معيد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

بالاختلاف ، ثم تقول صاحبة الرسالة : (إن الرسول قبل منهم ذلك) - أي اختلاف النص وقطعه في دائرة ما يقبضه النص الموحد لأنه كان مطمئنا إلى أن (التحريف لن يدخل القرآن) فإن صاحبة الرسالة تهيب عن هذا فتقول : (لأن لغة القرآن هي العربية بين قوم يتكلمون العربية) ومعنى ذلك أن تغيير نظام الجملة القرآنية ما دام في إطار اللغة العربية فلن يؤدي إلى تحريف القرآن وتبديل أسلوبه وكان القرآن نزل بلغة العرب ليضع له العرب الصياغة والأسلوب والألفاظ اللافقة بأداء الفكرة ، ولم ينزل من عند الله بأسلوب وألفاظ متعبد بها تلاوة وتحدياً ، وعندئذ ما الذي يمنع خصوم القرآن من ادعاء أن القرآن الذي بين أيدي المسلمين ليس هو النص الحقيقي الموحد النازل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو شيء شبيه به وما الذي يمنع هؤلاء الخصوم من ادعاء أن القرآن الذي بين أيدي المسلمين هو مجموعة من النصوص التي فهم فيها نظام الجملة على حيل المعارضة لنص الأصيل الذي نزل به جبريل ؟

لما هذا النص الأصيل (الموحد) فلا وجود له . وليتأمل الناظر في هذا البحث إلى قول صاحبة الرسالة : (وفي الغالب لم يكن لفرد من الصحابة ليغير النص في كل مرة

ابن الياسمين وقصة الأرقام العربية

للمؤلف الأستاذ عبد الله كنون

عضو مجمع البحوث الإسلامية

هويته :

العالم الرياضي الأديب أبو محمد عبد الله
ابن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين ،
عن أهل مدينة (فاس) ، بربري الأصل من
بنى حجاج أهل قلعة (مندلاوة) . كذا عرف به
في (الذخيرة السنية) وحلاه بالفقيه الحاسب .
وبه تعلم أن وصف ابن سعيد المغربي له
في كتاب (الفصول الياضة) بالاشبيل إنما هو
جهرى على عادتهم من اعتبار الشخص الذي
أقام بفطر ما ، من أهل ذلك الفطر ، ولو
جهرنا نحن على هذا الاعتبار لتبيننا أكثر
نبناء الأندلس في القرنين الخامس والسادس
وما بعدهما .

والياسمين اسم أمه نسب إليها وكانت
حوداء ، وكان هو أيضاً أسود ومنه يعلم أن
هذا الاسم في الإمام قديم .

قال في الذخيرة : أخذ عن عبد أبي عبد الله
ابن عبد الله بن قاسم علم الحساب والمصدق
وشارك في عهد ذلك . وكان أحد خدام
المقصود (الموحدي) ثم ولد الناصر . وله
أربعون في الجبر قرئت عليه وسميت منه
بـ (إشبيلية) سنة سبع وخمسين وخمسة ، وقال
في الفصول الياضة : تخرج إشبيلية في فنون

العلم . وكان أول تعلمه بالفقه والتونيق .
حتى صار من أعلام المارفين بالرياسة . ثم
اشتغل بالنظم والنثر وفنون الآداب فصار
من أعلام الأدباء والكتاب .

ويظهر من النصين أنه كان مشاركاً في الفقه
والآداب زيادة على وسوخته في علم الحساب ،
وإن براعته في هذا العلم كانت بالأخذ عن
ابن قاسم الذي خلفه بعد في فترة إشبيلية .
فخصية أدبية ممتازة :

وريفض ابن سعيد في الناحية الأدبية من
ترجمة صاحبنا على حين أن الناحية العلمية
لا تحظى منه بأدنى اهتمام ونحن نقترح ما عنده
في ذلك ثم نلقيه بالكلام على الناحية الأخرى
إذ كانت الشخصية الكاملة للترجم لا تبرز
إلا بخصيتيها مما .

ولقد حكى مما يدل على أوليته الناجية بأنه
جاء إشبيلية إلى شيخ طيب فحكا إليه بطلب
معدته وأنه لا يشبه شيء ، فقال له : وقد لمع
عليه بوارق السعادة لا بد لك من أن تفشكي
بأسوء هضم معدتك . نعم وبثانية . نعم
وبثالثة . فضضت الأيام وطلع (١) إلى

(١) يقال طلع المكان يلفه والندية إلى هوية
وهو كذلك من التمثل في الحياة الفترية .

الحال التي وجد فيها الفتح بن عاتق صاحب
(قلانة العقيان) و (المطمح) ، وتطرق
لذكر بعض أشعاره المكشوفة في هذا الصدد
وحكى الحكاية الآتية عن أبي عمران الطبراني :
« قال كنت في اليوم الذي أصبح فيه
ابن الياصين مذموحا عند الكاتب أبي الحسن
ابن هياش ، فبينما أنا ألعب بالطرنج إذ
دخلت إليه أمة له وألفت لديه براءة حرقة
أن امرأة دفعتها إليها ، ورغبت منها أن توصلها
إلى سيدها . فقال هذا وقتك ؟ ولم يلتفت إليها
قال : فقلت : له ولعل فيها ما لا يجب تأخيرها ،
قال : ولعل . ثم أخذها وقراها ، فإذا برجمه
تفوه ثم ضحك ورمى بها إلى . وقال انظر هذا
الذي لا يجب تأخيرها . فقرأتها فإذا فيها :

هذا ابن حجاج فقام أمره

وجرى وجرح لدغائه الرمن

حتى غدا ملقى ذبيحا حاكيا

لناس رقدته إذا جرح الرمن

فليحذر الكتاب ما قد غاله

وأخص بينهم الفقيه أبا الحسن

فقلت ومن ترى قاتل هذه الآيات لحنه

الله ؟ قال يا سبحان الله . وهل صاحبها غير

السكراني^(١) (الجرأوي) الذي طبعه الله على

(١) يعرف ابن سبويه بالسكراني ويختلف ليه

كذلك عنه غيره من المؤرخين ، وهو الجرأوي .

أنظر الحلقة الخامسة من سلسلة ذكريات مشاعر

الغرب

(مراکش) ، وبلغ المبلغ العظيم من مجالسة
المنصور ومصارفهم له إذا ركب في أسفاره ،
لا فتانته بحديثه وما يجد عنده مما لا يجد
عند غيره . فاتفق أن طلع ذلك الطبيب إلى
مراكش واجتمع به . فقال له : يا حكيم
صدقت فيما أئذرتني به من سوء المعظم فما
تراه ؟ فده على ما يصنع ، ثم مضت الأيام
فحكاه بالقرس^(٢) ، وقال أظن هذه الثانية .
قال : نعم ، ثم أقام مدة ووقع اجتماعه به ،
فقال له يا حكيم : صدقت في اثنتين فأين
الثالثة ؟ فقال : يا فقيه بلغتني على ألسن الناس
ولو كانت حقة شكوت بها . فضحك أبو محمد
وكان كثير الاحتمال والمطايبة . وأحسن
الطبيب . وكان قبل ذلك لم يقصر عليه من
دنياء بشيء ، قال ابن سعيد : وإنما أشار
الطبيب إلى الخلة التي اشتهرت عن ابن الياصين
وأنه أعلم بالسراير .

وظهر أن هذا الطبيب كان إلى جانب معرفته
بطلب الأبدان طيبا نفسانيا ولذلك تعرف على
ما سيؤول إليه حال مترجمنا من المهراف
وشذوذ ، أن سمح هذه الحساسة وهي على
كل حال تدل على نشأته المدللة وسماحة أخلاقه ،
وتدل على أنه كان باشييلة في صفوان شبابه .
ثم أشار ابن سعيد إلى وفاته ذبيحا بداره
بمراكش والكيفية البشعة التي وجد عليها بمثل

(٢) القرس مرض دسمي يهدد بالبلوك وهو ألم
يأخذ في الرجل والقدم على الخصوص .

نبذتم مقالة هذا وذا
فوال المرء وقل الخصوم
وأثبتم قول من لفظه
هو الحق والشرح منه يقوم
فلا دلتكم لكاه الهدى
وإحياء دارس درس العلوم
وقوله من قصيدة ناصرية :
عجبت لمن يراك وبعد هذا
يحاول أن يرى ملكا سواكا
وله جمع الإله عليك ما قد
تفرق في البرية من حلاكا
وما أحد يؤم ذراك يوما
فيختار للرحل من ذواكا
فسبحان الذي أعطاك ملكا
على مقدار ما أعلى علاكا
قال : وخرج ابن الياسين إلى بعض بختار
مراكش فنظر إلى زهر تلوح فاستحث
على وصفه من كان معه من أهل الشعر
والأدب ، فقال كل واحد منهم على ما أعطاه
فسكره فلم يحفظ من ذلك إلا قول ابن الياسين :
جاء الزبيج وهذا
أولى البشار منه
كأنما هو نثر
قد جاء يضحك منه
وختم ابن سعيد ترجمة صاحبنا بهذه المحاورة
الشعرية التي جرت بينه وبين ابن الحجاج
ابن نموي أحد كبار علماء قاس ، وكان حضر

ألا يصيح فرصة من فرص الآذية ؟ قال
أبو عمران ثم اشتهر بعد ذلك قول السكودي
(الجرادي) في تلك القضية مع رعايا بن عياش :
فليحذر الكتاب ما قد غاله
وأخص من بين الجميع فلانا
لحصول التحقيق بأنه قاتل ما تقدم .
ومما وقع بينه وبين الشاعر أبي العباس
الجرادي أن هذا جهاه بقوله :
اصت الجبوى ورأس الفرس بينهما
لون الغراب وأقاس من الجمل
خذا إليك بمحك الوزن أربعة
كانت والمطف والتوكيد والبذل
فاشتهر قوله بين الناس حتى استغفر حلم
ابن الياسين فقال يهيبه :
يا أهرق الناس في نسل اليهود (١) ومن
تأني شتائه التفصيل الجمل
خذا بمحك اجتماع الهم واحدة
تغنى عن المطف والتوكيد والبذل
ثم قال ابن سعيد : وله موشحات يغنى بها .
وأمداح في المنصور والناصر . وأمثل ما وقع
من ذلك قوله من قصيدة منصورية ذكر
فيها قطع المنصور الاشتغال بكتب الفروع
والاقتصار على ما تبعت من الأحاديث النبوية :
أسيدنا قد وودتم بنا
موارد كننا عليها نعوم
(١) نسب إلى اليهود لأن الهية التي هو منها
كانت على اليهودية قبل الإسلام .

إلى مراکش فاستحسن مذاكره بها
وأحسن إليه وخلق عليه كل حسب مذكره
(أبو الوليد الشقندي) في معجبه ومنه نقل
ابن سبيد . قال : وحضر مع ابن الياسين
فاستجيب صوته واستحسن كلامه فقال فيه :

أيها اللابس لون اليه
لن ثوبا حين أعظم

والذي يضر داء

منه يوما ما تألم

أنت من أفبح خلق

الله ما لم تتكلم

بشذور بالهفات

ساحرات لو تجسم

أصبحت في كل جيد

حسن عقدا منظم

فلما بلغ ذلك ابن الياسين قال :

أيها الناسي أتى ربك

قبل النجوم بفضم

في قريش حسن الصور

رة بالهجو مجذوم

فقبلناه وقد جاء

لنا بالمدح مسلم

ثم قلنا بمسحاح

منك يوما ليس يعدم

إنما الحان فسته

حالم ليس يعلم

لا تراء الدهر إلا

بفريم الكأس مفرم

يرفض النقل مع لفة

رضيا أو ان الزير واليم (١)

وإذا صلي ريد

كان فيها مثل أبكم

في ثياب كرميع

قد سري فيها المحرم

ذا جواي وهو ظلم

لك والبادي أعظم

قال الشقندي : ماذان الشعران بمنزلة

الشعريين ، وكلاهما عين في مقابلة عين ...

وناهيك بها شهادة من الشقندي صاحب

الرسالة المعروفة في الإزراء على أدباء المغرب

وشعرائه .

وإلى هنا نكون ، قد انتهينا من ترجمة

ابن الياسين الأدبية ، وقد عرفنا أنه أديب

بمستحسن الحديث فكذلك المصنوع مع ساحة

نفس وطيب خلق ، وبذلك تأهل بحالة

المنصور والناصر في مصيتهما . وأما حظه

من الشعر فكان ، كما رأينا في هذه النماذج

من نظمه ، ليس بالظليل فهو يزاحم الشعراء

والفقهاء بمسكنيه ولا يخسر في التاليف صن

إجادة وإن كانت ميرة هي المحاضرة بعلمه

وأدبه والحديث الطلي الذي يرض به ولذلك

سلا ابن سبيد بقوله الجليس المتفنن الكاتب .

حالم رياضي كبير :

بقيت الناحية العلمية من ترجمته ، وهي التي

(١) الزير وتر وبقين والم بخلافه وتر غليظ .

[٣]

و بعد ما يصير قليقابل
 بطرح ما نظيره بمائل
 وقوله في أحكام الجبر :
 على ثلاثة يدور الجبر
 المار والاعداد ثم الجذر
 قاللأكل عدد مربع
 وجذره واحد تلك الأضلع
 والعدد المطلق ما لم ينسب
 للبال أو العذر فاحكم تصب
 فبعضها يعمل بمضا عددا
 مركبا مع غيره أو مفردا
 تلك ست نصفها مركبة
 ونصفها بسيطة مرتبة ...
 والجذر والثوى بمعنى واحد
 كالقول في لفظ أب ووالد الخ

كتابه تليقح الأنكار
 ولأن الياسمين أيضا كتاب تليقح الأنكار
 في العمل برسوم القبار ويوجد غطوطا
 في الخزنة العامة بالرباط ضمن كتب المكتبة
 الكتانية . وهو كتاب له أهمية علمية
 وتاريخية كبيرة . أما العلمية : فتظهر من
 محتوياته وقد جمعه على خمسة أبواب تتضمن
 أربعين فصلا .

قالباب الأول في العدد الصحيح وما يتعلق
 به ، وينقسم إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : في ضرب الأعداد بعضها
 في بعض .

قامت على شهرته بالبراهنة في علم الحساب
 والجبر ، وهو لذلك يعد من ألمع علماء العرب
 شهرة في الرياضيات ، وقد تقدمت الإشارة
 إلى أوجزه في علم الجبر التي أخذت عنه
 بأشيلة ، وهي تبدأ في العدد الصحيح وأبواب
 في الجمع والطرح والضرب والقسمة وحل
 العدد إلى أصوله ، ثم مقدمة في الكسور
 وأبواب في الجبر أي جبر الكسور والمنسط
 وهو عكس جبر الكسور والصرف وطرق
 استخدام الجهولات ، وأخيرا يقتل إلى علم
 الجبر والمقابلة وهو أهم أبواب الأوجزة
 وأنفسها (١) وقد شرحها كثير من علماء الفن
 كالساردينى والفصاهى وابن الهائم وغيرهم ،
 ومنهم من اقتصر على شرح القسم الآخر منها
 وهو المتعلق بالجبر والمقابلة لعظم فقهه وكثرة
 فائده ، وفي هذه الأوجزة توجد خلاصة
 كثير من القوانين والمعادلات الجبرية التي
 تتضمنها كتب الجبر الحديثة ، وهي تدل على
 تضاع النظم في الجبر وبعد فوره فيه كما تدل
 على أن ثروته الأدبية لا يستهان بها فلو لا
 أساطره بالجبر والشعر أحاطة كلية لما استطاع
 أن يضمهما في قالب جذاب (٢) .

ومثال منها قوله في معنى الجبر والمقابلة :
 وكل ما استثنيت في المسائل

صيره إلى ما جامع المتادل

(١) قدرى طوقان في كتابة تراث العرب المثل

في الرياضيات والفلك ص ١١٦

(٢) السكاك تسمي في مجلة الرسالة العدد ٦٣

الفصل العاشر : في معرفة تركيب الكسور .

الفصل الحادى عشر : في جبر الكسور .

والباب الثالث : في فوائد لا يستحق عنها فيها
تقدم من المسائل ، وينقسم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : في معرفة العلوجات التي
يستدل بها حل الصواب من الخطأ .

الفصل الثانى : في معرفة ما للعدد من
المقامات في القسمة وغيرها .

الفصل الثالث : في الأجواء التي لا تنقسم .

الفصل الرابع : في حكم التكرار من الآلاف

والباب الرابع : في استخراج الأحوال
الجهولة وينقسم إلى أحد عشر فصلا :

الفصل الأول : في جمع الأموال لجرء الكسور .

الفصل الثانى : في جمع الأموال بزيادة الدرهم .

الفصل الثالث : في جمع الأموال باستثناء
درهم من كسورها .

الفصل الرابع : في جمع الأموال باستثناء

درهم من كسورها وزيادة درهم في كسر آخر .

الفصل الخامس : في جمع الأموال بلا مثل .

الفصل السادس : في الأموال المختلفة .

الفصل السابع : في طرح الأموال .

الفصل الثامن : في ضرب الأموال .

الفصل التاسع : في جمع الأموال .

الفصل العاشر : في أنواع شتى من الأموال .

الفصل الحادى عشر : في امتحان الأموال .

والباب الخامس : في أشياء يحتاج إليها في
الجبر والمقابلة وينقسم إلى تسعة فصول :

الفصل الثانى : في قسمة الأعداد بعضها

على بعض .

الفصل الثالث : في تسمية الأعداد بعضها

من بعض .

الفصل الرابع : في جمع الأعداد بعضها

إلى بعض .

الفصل الخامس : في طرح الأعداد بعضها

من بعض .

والباب الثانى في الكسور وما يتعلق بها ،

وينقسم إلى أحد عشر فصلا :

الفصل الأول : في ضرب الكسور المتصلة

وأخذ بعضها .

الفصل الثانى : في ضرب الكسور المنفصلة .

الفصل الثالث : في ضرب الكسور المبيعة

على اختلافها

الفصل الرابع : في ضرب الكسور المستثنى

منها على اختلافها .

الفصل الخامس : في جمع الكسور بعضها

إلى بعض .

الفصل السادس : في طرح الكسور بعضها

من بعض .

الفصل السابع : في صرف الكسور من

اسم إلى اسم .

الفصل الثامن : في قسمة الكسور بعضها

على بعض .

الفصل التاسع : في معرفة تسمية الكسور

بعضها من بعض .

فلم أزل أمطليهما وأسوف، وأعدتهما وأخلف
وكل ذلك لا يتنقض عهدهما ، ولا يجبل ودعهما
إلى أن فتح الله عليهم في وجود بعض مسائل
منها هند بعض إخواني ، فحدث الله عوجل
على ذلك كثيراً ، وصرفت المهمة إلى جمعها
وأضفت ما لا غنى عن معرفته منها مثل جمع
الأموال وطرحها وضربها وامتثالها ،
واختلاف أحوالها لاختلاف صانعها وما
يستحيل منها وبعض ما يتصرف فيها من
وجوه الأعمال مثل الجبر والقياس ومثل
المسكبات الخ

حل مشكلة الأرقام العربية :

• • •

وأما أهميته التاريخية فإنها في إشارته إلى
أصل الأرقام الحساية المعروفة بالنسب
ووجه تسميتها بذلك وأنها — وهذا من
الأهمية بمكان — لها شكلان ، شكل هو
هذا المستعمل بالمغرب وشكل هو المعروف
بالأرقام الهندية وهذه هي عبارة في ذلك
أثناء المقدمة : واهل أن الرسوم التي وضعت
للعدد تسعة أشكال يتركب عليها جميع العدد ،
وهي التي تسمى أشكال النبار وهي هذه
(وهنا رسم أرقام الحساب كما رسمها في المغرب
من واحد إلى تسعة) وقد تكون أيضا
هكذا (وهنا رسمها بالعقل المعروف بالهندي)
ثم قال : ولكن الناس عندنا على الوضع
الأول . ولو اصطلحت مع نفسك على تبديلها
أو عكسها لجاز . ووجه العمل على حالة

الفصل الأول: في المسائل الستة التي يحتاج
إليها في الجبر .

الفصل الثاني : في أخذ الجذور .

الفصل الثالث : في ضرب الأجزاء بعضها
في بعض .

الفصل الرابع : في قسمة الأجزاء بعضها
على بعض وتبسيطها .

الفصل الخامس : في جمع الأجزاء بعضها
إلى بعض .

الفصل السادس: في طرح الأجزاء بعضها
من بعض .

الفصل السابع: في ضرب كسور الأجزاء .

الفصل التاسع: في مسائل من المساحة مقربة
إن شاء الله .

والدارس لفصول الكتاب لابد أن
يقف على دلائل كثيرة تعرفه بعقيدة صاحبنا
في هذا الفن وتظهره منه على ذهنية رياضية
قلما توفرت إلا للأنذاذ من العلماء . وعلى
حسب ما يظهر فإن هذا الكتاب جمع من
مذكراته التي كان يلقيها دروسا على الطلبة ،
فإنه يقول في مقدمته : « كنت في مدة تعلني
الحساب أثبت مسألة من كل نوع من أنواعه
عناية اختلافه في حين إعماله ... فأكثرت جماعة
من الإخوان البحث عنها ورضوا في انتساخ
ما تحصل منها ، فدفعت إليهم ما كان هندي ،
فلم يمد منها شيء إلى ... وكان من جملة من
رغب فيها أخوا صدق ، وصدقوا حق ،
فتدبر الله عز وجل أمالها قبل أخذها لها .

الغريبيين لما عن طريق المغرب العربي بواسطة
(الابا سلفستري الثاني) أو غيره الذي تعلمها
في الأندلس أو هنا في المغرب ولا ريب ،
وإلا فالتشاكلان معا غباريان بمعنى أنهما كانا
يستعملان في الأعمال الحسابية على الطريقة
الهندية ، وكانا مستعملين أيضا عند أجدادنا
العرب في المشرق والمغرب .

والسبب الذي اخترناهما له هو بعينه السبب
الذي كن الحامل للغريبيين على اختيار هذا
الشكل المسمى هندهما بالعربي ، وهو السهولة
والوضوح والبساطة ، وقد نوه صاحبنا ابن الياسمين
في خطبة كتابه الذي نحن بصدده ، بهذه
المزية التي لها في هذه العبارة : (هذا العمل
المعروف بالغبار أقصر أنواع الحساب
وأفيدها وأوضحها بجودة بيانه وبطوح برهانه) .
هذا هو ابن الياسمين العالم الرياضي الفذ
والأديب المحاضر المتبحر ، لا نزعنا أننا كتبنا
ترجمته له ، وإنما رسمنا الخطوط الأولى
في ترجمته ، وهو حري بأن ينحصر بحث واسع
مستقل يحلل شخصيته الأدبية ، ويبرز مظاهر
قبوذه العلمي ، وفي انتظار هذا البحث نأمل
أن يكون في هذا التعريف الموجز ما يسطر
فكرة ولو بسيطة عن حياته وإنتاجه .

وقد كانت وفاته رحمه الله سنة ٦٠١ وقيل
آخر سنة ٦٠٠ وعلى الأول اقتصر صاحب
المختارة السنية وابن سميذ في الغصون الياقنة .

عبد الله كنون

لا يتبدل . وقد صنعها قوم من جوامع الأرض
مثل الحديد والنحاس من كل شيء منها أعداد
كثيرة ويضرب بها ما شاء من غير قش
ولا حو . وأما أصل الهند فإتهم يتخذون
لوحا أحود يمدون عليه الغبار وينقشون فيه
ما شاءوا . لذلك يسمى حساب الغبار . وعلى
الحقيقة ليس إلا المداد والحو .

إن لفظة التبدل من القيمة التأويلية ما لا يعني
فإننا كهفت أن التشاكلين المستعملين في البلاد
العربية من هذه الأرقام الحسابية أصلا واحدا
وأنهما قديما كانا مستعملين هنا وهناك .
فإن صاحبنا يقول (ولواصطلحه مع نفسك
على تبديلها أو عكسها لجاز) وهذا واقع
فإننا نجد ههما في بعض المخطوطات مما يقرب
من عصر المؤلف (القرن السادس) يتقارضان
كما أنها تثبت اشتراكهما معا في التسمية
بمخروف الغبار أو برسومه جريا على اصطلاح
المؤلف . وقد كان هذا بحسب الأصل ، وإن
كان هذا الاسم فيما بعد كاد يختص بالأرقام
المستعملة في المغرب في حين أن الأرقام
المستعملة في الشرق اشتهرت بالأرقام الهندية
والهندودم الذين كانوا يتخذون طريقة الرقم
على الغبار في الأعمال الحسابية فأطلق على
هذه الأرقام بملاحظة تلك الطريقة اسم الغبار
والغباري والغبارية ، يبقى أن أرقامنا المغربية
التي اشتهرت أيضا بالأرقام العربية عند
الغريبيين إنما جاءها هذا الاسم من اقتباس

في حجاب القرآن

رسول الله هود عليه الصلاة والسلام

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

وبمجموع الآيات التي تناولت قصة هود وقومه : تسع وسبعون آية ؛ ولكن سورة هود كان لها كبير شأن فيما ورد بها من العظات ، والدكريات حتى ليرى : أن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يا رسول الله : قد شئت - بفتح التاء - فقال صلوات الله عليه : شيتني هود ... وفي بعض الروايات : شيتني هود وأخواتها) .

ويذكر العلماء : أن أخواتها هي ... : سورة الواقعة . والمرسلات . وهم . وإذا همس كودت ... فإن في هذه السور من القصص الرهيب ، والجزر القوي ما يثير الخوف ، ويضاعف الخشية من الله ، وبسبب ذلك يسارع الغيب عادة إلى شعر الإنسان كما يكون الغيب ، وتجاهبه الخلفة وليه المغموم كثيراً .

٣ - هذا وكانت قبيلة عاد ذات بأس ،

١ - هو هود بن عبد الله بن رباح ... وابتنى مع إبراهيم في جده - سام بن نوح - سلام الله عليهم جميعاً ... سام هو الجسد السادس لهود ... والثامن لإبراهيم .

وكانت رسالة هود - من بعد نوح - إلى قبيلة (عاد إرم) ، وهذه القبيلة تنسب إلى جدها الأهل - إرم - بكر الممزة . وكانت تقيم في منطقة الأحاف ... بجموار أرض حضرموت .

٢ - وقد تعرض القرآن كثيراً لأدكر هود وقبيلته عاد .

ففي القرآن سورة باسم هود ، وهي السورة التي نحن بصدد ما الآن ...

ثم ذكر القرآن قصة عاد في سورة الأعراف ... والمؤمنون ... والشعراء ... وفصلت ... والأحاف ... والذاريات ... والقمر ... والحاقة ... والفجر .

جلدية على اللسان ، كما هي شائعة في روح الدعوة ومقاصدها .

ولذلك كان هذا النداء بلفظ - يا قوم - شعار الأنبياء السابقين في الأمم ، كما يحكي لنا القرآن عنهم ... ولم يكن تقليداً للرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - لأنه مبعوث إلى الناس عامة ، فكان نداؤه : يا أيها الناس إلى رسول الله إليكم جميعاً ... ، ولم ينص قومه بالدعوة إلا تمهيداً في أول الأمر ، حسب تكليف الله في قوله : وأندعهم ذلك الأقربين ، يعني : أبدأ بهم .

ثم صار هود عليه السلام يواصل دعوته إلى التوحيد ، ويذكرهم بنعم الله عليهم ، وأن الله جعلهم خلفاء من بعد نوح ، وزادهم عليهم بسطة في النعم .

ويؤكد لهم ما يعرفونه : أنه واحد منهم ، وأنه لا يطلب منهم أجراً ، ولا يبتغي سلطاناً ، ولكن هادياً لم تكن واهية لعودة هود ، ولا عاتفة من سلطان الله ، فسط الله عليها ربها شديدة البرد ، مزججة الصوت ، أحدث بهم سبع ليال ، وثمانية أيام ، حتى تقلصت جلودهم ، وجفت دماؤهم ، ونحرت عظامهم . وصاروا كنخشب النخل الذي تهوف ولم يعد فيه أثر من الحياة ... وما ظلمهم الله ولكن كانوا الظالمين .

وبار لم تظهر بمثلها أمة سابقة ، حتى كان من وصف القرآن لها بعد : ألم تركيف لعل ربك بصاد ، إرم ذات الجهد ، التي لم يخلق مثلاً في البلاد ؟؟

هم ١١ بسط الله لباد في الأرزاق ، وأفسح لها مجال العيش والحضارة ، وأتاح لها قطعاً كبيراً من حياطة الأبدان ، والقدره على بناء القصور الفخاعة ، وتسيق الحدائق ، وتعبيد الطرق ، ووفرة الحظ في كل ناحية . - ثم لم يكن لهذه النعم تقدير عندهم . ولا أثر طيب في صيغهم ، ولا قليل من الشكر لله الذي أحبها عليهم .

بل كانوا غواة صرفين ، وكماراً بمعنين . يمكفون على أصنام يعبدها .. ولا يفتنبون إلى ما يصلح شأنهم ...

فبعث الله إليهم أعلام هوداً - عليه السلام - وهو كريم النسب فهم ، ويمتاز عليهم عقلاً وشكلاً ، وخلقا ، كما هو المفروض فيمن يختاره الله لهداية قومه ، وتبليغ رسالة ربه . دعاهم هود : يا قوم : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

والنداء بلفظ - يا قوم - يثير بالتلطف في الخطاب ، ويشير عاطفة الإغاء في الجنسية والإقليمية ، ويحد من الذهن مظنة التحكم ، والآنانية ، ويرد مساقى الرحمة ، والمودة

• — وقد بدت سورة هود بثلاث آيات: في الأولى وصف القرآن: بأنه كتاب أحكمت آياته ، فلم يكن في شيء منها خلل في لفظه ، أو معناه ، ولا يقرب إلى شيء منها باطل فيها جلد به — لأنها من إله حكيم في صنعه ، خبير بما يفعله ، ويقضى به ، وبفضله في بيانه لعباده بالآيات أو بالسنة وفي الثانية دعوة إلى التوحيد والإيمان بأن محمداً رسول ينزل ، ويشر فيها أمر الله أن يبلغ إلى أمته (ألا تعبدوا إلا الله ، إني لكم منه نذير وبشير) وتلك هي الدعوة التي كان مثلها منج الرسالات الأولى ... وهي المراتب بين الله وعباده منذ احتضر الأرواح في الأزل ، وطرح عليها سؤال (ألسعد ربكم) فكان الجواب — بلى — يعني نعم ، أنت ربنا وحدك ، لا شريك لك وفي الآية الثالثة — توجيه إلى الاستغفار والتوبة دائماً (وأن استغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه) وبذلك التوجيه يشرنا أن المزمع في حاجه قصوى إلى التوبة — أولاً — عن دنس الشرك — ثم هو في حاجة مستمرة إلى التطهر بالاستغفار ، والتوبة من كل خطيئة يترحم لها أو مضرة تبدو على لسانه ، أو تشوب عمله للدين ،

أو الدنيا ... وبذلك يكون المزمع حل وقائه حتى يهد الله سائقا ويكون بنجوة بما يلوث صفحته .

٦ — ثم اتجهت الآية في سياقها إلى ناحية الجزاء الذي يكون حل هذا السخط فيقول تعالى يتمتع متاعا حسنا إلى أجل مسمى .

فالمتاع الحسن إلى نهاية الدنيا : هو السلامة من الهلاك الذي كان ينزل بالكافرين وهو ثانياً راحة الضمير من القلق الذي يساور النفس الماضية ، حينما تذكر إنجازها وتغلفها في غلة الضلال .

والمناج — ثالثاً في الدنيا — يكون بالاعتماد على ما يختار الله لعبده من حظ ، ورضى ، وكل ما يجرى به القدر . فتلك هي حلوة الإيمان في الدنيا ، وهي المتاع الحق فيها .

وبعد ذلك جزاء آخر : هو أن الله يوث كل عبد صاحب فضل في تدينه ما يستحق من فضل الله في جناته ، وليس لهذا الفضل حدود مرسومة لنا ، وإنما ذلك موكل إلى علم الله وكرمه ، والله ذو الفضل العظيم .

عبد المصطفى العسكي

مواكب النصر في رمضان

للأستاذ إبراهيم علي شعوط

القرآن هدى الناس وبيّنات من الهدى
والفرقان .

في قنصار المظلم في جبل حراء اقتدحت
أول شرارة أضاءت في آفاق مكة وأرسلت
شعاعها الخالد إلى كل أنحاء العالم . فكانت
الكلمة الأولى من الخطوة الأولى في سبيل
العلم والمعرفة دفعت البشرية كلها إلى طرق
أبواب العلم بكل إمكانياته .

دعوة دوى رجحها في جنبات العالم حين
قال الله لرسوله الأجي " إليه في غار بعيد
مظلم يلتبس منه الهدى والمعرفة . اقرأ باسم
ربك الذي خلق خلق . الإنسان من علق .
اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم
الإنسان ما لم يعلم .

لشهر العظيم سر والصوم فيه معنى يدركه
الذين تجردوا من شهواتهم وكبشوا كل
رغباتهم في سبيل الله حتى صارت رائحة
أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك .
وهناك من قصار النظر من يعتقد أن شهر
رمضان فترة رمنية يخلد فيها المسلمون إلى
الكسل ويمتري عزائمهم الفتور والصف .

١ - نزول القرآن في هذا الشهر :

شهر رحمة ووحية يقطعها المؤمن ذهاباً
إلى ربه محاولاً بكل إمكانياته التخلص من
سيطرة المادة ، ويمجد المؤمنون فيه لأنه
كبرى للركون الروحي والإحساس النفس
بأن تلك العبادة تنزيه البدن وسجود في آفاق
الروح الخالدة مع بارتها في شوط طويل
من العبادة والتبذل والتخلص من الثقل المادي
تتمطلق الروح علفة في آفاق تتلاشى عندها
كل الشهوات والذات .

ولعل هذا الشهر قد اختصه الله من حيث
وحده الزمني بخصائص لا تكاد توجد ،
بل لا تكاد تدرك إلا في هذا الشهر .
ثم جعلها المولى سرا من أسرارهِ ، وخاصة
من خواصهِ فاختار زمان شهر رمضان
ليكون فيه مطلع النور ، ومنه مصدر
وميض البرق الذي يبدد الضلال والظلام
الملتصق بالأرض والسماء وجعل وجوه العالم
كلها تشرق فيه حين أشرقت في مهباء رمضان
آيات القرآن الكريم الذي نزل على رسول
رب العالمين . شهر رمضان الذي أنزل فيه

منافذ الجسد المطلة على الشهوات ويبتك الحجب
الكثيفة التي تحجب الأنوار ، ويفضح المجال
أمام الروح لتنتقل من قيود المادة وتصبح
في آفاق عليا لا يصل إليها إلا من أضناه
الجوع والعطش لله وفي الله .

موقف لم يحدد المسلمون زمانها ولا مكانها
ولكن الله هو الذي حدد الميعاد فقال لنبية
« ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن
ليقض الله أمراً كان مفعولاً » .

من أجل الزمان الذي حدثت فيه هذه
الموقف الكبرى لم تكن منزلة بدر بين
حوادث التاريخ أنها معركة حرية انتصر
فيها فريق على فريق ، أو لأنها انجلى
عن عدد من القتل وجلة من الأسلاب فك
من معارك حرية كان حصادها من القتل
آلافاً ومن الأسلاب والقتل ما لم يحضر
على بال .

وإنما أخذت موقف بدر مكانها في التاريخ
بزمانها الذي أفت لها ومكانها الذي التقى فيه
طرفاها - لأنها قلب الميزان السياسي والاجتماعي
والاقتصادي في جزيرة العرب ، وانزعجت
السيطرة من اليد التي كانت فيها ووضعها
في يد الصفوة المنتصرة من المؤمنين .

وأصبح الزمن كله - من يومها - مدينة
لهذه الغزوة لأنها وضعت أساس دولة جديدة

وبما يوصف له حقا أن هذا الحاضر يسرى
في عقول الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية
فيجعلون من رمضان شهر النوم والبطالة
والكسل ويتمسكون بمبررات لإهمالهم
وتقصيرهم في أداء واجبهم .

ونحن في هذا المقال نعرض للمسلمين شهر
رمضان ونطوف معهم فيه بمواكب النصر
التي حقها الصائمون في رمضان ، ونكشف
سر الطاقة الروحية التي تهرت الأحداث
والأعداء وخلقته في أمة الإسلام روحاً
وثابة تصل إلى غاياتها في عزرة الصائمين
كرامة المؤمنين .

باستعراض الحوادث الكبرى والمواقف
الحاسمة في التاريخ نجد أن المولى جل جلاله
هتما يريد النصر لأوليائه يختار لهم الزمان
والمكان اختيار الذي وضع سره في اقتران
الزمان بالمكان ليحقق الوعد الذي وعد
والتصر الذي يرفع به هامات أوليائه ويلتزم به
دينه ويؤيد به الحق الذي جاء على لسان
وصوله .

٢ - موقف بدر :

كان الزمان الذي دبرته العناية الإلهية
لمعركة بدر شهر رمضان حيث كان كل مسلم
في عبادة ووحية لا يفرقه فيها رياء ولا يذوقه
فيها الإخلاص ، في صيام وحرمان يسد

صلى الله عليه وسلم يقدمون أرواحهم فداء
للداء الموجه إليهم من وبهم ، وإذ يعدكم الله
إحدى الطائفتين أنها لكم .

لما كانت الضراعات الموصولة بالسيل من
القلوب الصائفة والبطون الجائفة تصل إلى
الملا الأعلى في تجاوب وإخلاص أجلب المولى
هذه القلوب الخائفة المضارعة بقوله : « أنى
يحكم بألف من الملائكة مردفين ، كما أوصى
إلى المهدد الملائكة بقوله ثم : « إني حكم
فتبثوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين
كفروا الرعب » . ثم يبالغ المولى في نصرة
الصائمين وإمدادهم بإسكانيات النصر كلها بعد
ما تبين من طهارة قلوبهم بالحرمان من شهرات
نفوسهم وجهارة أصواتهم بالعباد ، فيقول
لرسوله وحبيبه في حومة الوغى واشتداد
المعركة : « إذ تقول للؤمنين : ألن يكفيكم أن
يحكم بكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين
بل أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم
هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسنودين . »

من سياق هذه الآيات ثبين عناية الله
بالصائمين المقاتلين في بدر وفي قلة من العدد
وإن كانوا قد سحروا بأرواحهم وجرودوا
أنفسهم عن المادة بصياهم فلم تعد المادة
شيئا في أعينهم وحلقوا بأرواحهم في عالم
النسليم والرضا بعد أن رأوا بأعينهم منازلهم

على اقتاض نظام منهاد وسارت بركب
الإفسانية في طريق الهدى والنور ، ولقنت
العالم كله مبادئه لم تكن لتخطر لأحد
من البشر على بال .

وكان المسكان (بدرا) بين العدو الدنيا
والصدوة القصوى ، وكان موقف المؤمنين
بالعدوة الدنيا حيث كانت الأرض ثابتة
تحت أقدام الصائمين وكان الماء تحت سيطرتهم
وحدهم ، وكان مكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم على شرف عال يدير منه المعركة
ويتلقى توجيهات ربه الذي يدير له المعركة ،
ويتولى منه نحر أعدائه الذين اعزوا بكثرتهم
ويسجل عليهم الخزي أمام العالم كله .

زمان مختار في شهر مبارك ومكان منتخب
لتدور المعركة فيه كما أراد خالق الزمان
والمسكان ، من عليهم بالنوم قبل الموقعة ،
وأزله عليهم مطراً طهرهم به ، وأذهب عنهم
رجس الشيطان ووطأ الأرض وصلب به
الرمل وثبت الأقدام : « إذ يفثيكم النعاس
أمنفتمه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على
قلوبكم ويثبت به الأقدام . »

ضراعات إلى الله من أفراء الصائمين المعطرة
بخلوف الصيام واستغاثت من المسلمين الذين
هم في طاعة مولا ممتطيين إلى رضا رسول الله

الضربات يلتقي بعضها ببعض حتى كأنه يكفى المؤمن أن يحرك سيفه فتجهز الملائكة على خصمه فإذا بالروح تطاير، وإذا بالصوف تهاوى ولم يدرك السر إلا بعد أن أعلن الله للمؤمنين مشاركة الملائكة لهم في المعركة :

٢ - فتح مكة في رمضان :

من بين هذا الشهر ، ومن طهر الصائمين فيه ، ومن سمو الروح وتحليتها في مجالات ربانية تطلب منه العون وتبذل من أجله الروح تمت في هذا الشهر أحداث كبرى وأعمال جليلة اكتسب فيها المسلمون النصر والظفر بطهارة الروح وبذل المهج عبادة لله وطلباً للشهادة وإحساساً بحلاوة الجهاد والبطون عافية والقلوب ظمأى في سيل الله .

لم تكن مجرد الصدقة التي جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بكتائب الإسلام وجنوده الرحمن في العام الثامن للهجرة وبعد مضي عشرة أيام من رمضان ويقرو في نفسه هو ما أكيداً على فتح مكة هذا الفتح الذي أهرقه دمه وسوله وجنده وحربه الأيمن ، واستنقذه به يله وييته الذي جعله الله مهوى الشدة الناس أجمعين .

هذا الفتح الذي استبشر به أهل السماء ودخل الناس به في دين الله أفواجا وأشرق وجه الأرض وزحفت جماعات الجيش الصائم

في الجنة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصارع الكفار في المعركة ومواضعهم في النار .

وفي منازل القرب من الخالق منزلة الشعور بالذل والإحساس بالضعف لدى ذل العبد بين يدي ربه وجه العزة على خصومه وذلك وصف القرآن للمؤمنين : « أذلة على المؤمنين أذلة على الكافرين » .

ومن أجل هذا الذل الذي هو مقدمة النصر وعلامة النصر قال الله لأهل بدر الصائمين في المعركة الخاشعين في العبادة الأذلة في الضراعة قال : « ولقد نصركم الله بيدرو وأنتم أذلة فاقفوا الله لعلمكم تشكرون » .

وأى إكرام أعلى من ترتيب المولى لمراكب النصر في شهر رمضان ، وفي الموقعة الأولى بين أوليائه وأعدائه ؟ أى إكرام بعد أن كانت نهاية الله بالمعركة واضحة في إمداده أجياله بألف من الملائكة مردفين ، ثم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ثم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

إن اختلاط الملائكة بالمؤمنين في موقعة بدر لم يتم إلا بعد أن تهرده المؤمنون من سيطرة القادة وإغراء الشهوات وارتفعوا بأرواحهم إلى صفوف الملائكة الذي وجدوا في طهارة ووحدهم ، وفي مهارة ومهيم ما جعل

بصره في جبال مكة وشعابها ومنازلها المبهمة
 هنا وهناك وفي البيت الحرام الذي يقع
 في مكة في وسطها فلما وضعت في ذمته
 هذه الصورة تفرقت في هيئة دعة الشكر
 العميق للولي سبحانه وتعالى بمزوجة بلادة
 النصر الذي حققه له به ، وأدرك أن مهمة
 القائد قد انتهت فركب من فوره ناقته القصور
 وسار بها في مدارج صباه ، وذكرى طفولته
 حتى بلغ الكعبة فطاف بها سبعا على راحته
 يستلم الركن بعصا في يده ، فلما قضى طوافه
 دعا (عثمان بن طلحة ففتح الكعبة ووقف
 الرسول على بابها ثم قال : (لا إله إلا الله
 وحده ، صدق وعده ، وفسر عبده ، وهزم
 الأحزاب وحده) ، ثم تكاثرت الناس حوله
 حتى امتلأ بهم المطاف قتلا عليهم قوله تعالى :
 « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،
 وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم
 عند الله أتقاكم » ، ثم قال : (ألا كل دم
 أو مائة أو مال يدمي فهو تحت قدمي هاتين
 إلا سدانة البيت وسقاية الحاج : يا معشر
 قريش : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا :
 خيرأ . أخ كريم وابن أخ كريم . قال :
 اذهبوا فأنتم الطلقاء)

فصاح رمضان صلت ثم واصل الله فـ
 يخرج منه إلا طهر ، وما يفوح إلا بالمسك
 فتجاوز عن جرائم قريش الماضية كلها ،

لتصور بسحرها وسرها أقواما ضالين إلى
 هداية الإسلام .

تمركت الجموع مع رسول الله إلى مكة
 في الحادي عشر من رمضان وفي قلوبهم التيقن
 بشهر رمضان وفي قلوبهم الأمن بعبادة
 الصوم فكانوا كلما أغذوا السير وتقدموا
 انضم إليهم من سائر القبائل من يزيد في عددهم
 ومنعتهم وسار هل رأسهم رسول الله يفكر
 في دخول البيت الحرام في شهر الصيام من
 غير أن عراق قطرة دم واحدة .

وبلغ الجيش (من الظهران) قرب مكة
 وقريش لا تظلم شيئا عن هذا الجيش الجرار
 وأمر الرسول بالفطر من شدة الحر .

وهناك في من الظهران أخذت طلائع
 الرافضين في الإسلام تستقبل رسول الله في جيفة
 معلقة لإسلاصا . وكان العباس بن عبد المطلب
 هم رسول الله دور خطير في التمهيد لفتح مكة
 وتحقيق رغبة رسول الله في أن يتم الفتح بسلام
 من غير اضطدام أو إراقة دماء .

ومع ما استقبل به رسول الله من الرضا
 والتسليم لآله فرق الجيش إلى مجموعات تدخل
 مكة من كل مداخلها دفعة واحدة ثم نزل
 عليه الصلاة والسلام : (المحزون) على مقربة
 من قبر خديجة وحمه أبي طالب وضريح له قبة
 هناك فلما سئل : أيريد أن يستريح في بيته ؟ قال :
 (كلا فأتروا لي في مكة بيتا) ، ثم أجال

ومؤازرة الرسول، كما أن هذه الغزوة سجلت
للمسلمين قوة كامنة يستطيعون بها أن يتصدوا
دولة الروم ويطرقوا أبواب القياصرة
في قوة وإصرار.

بلغ الرسول عليه الصلاة والسلام أن
قيصر الروم قد سلح القبائل العربية القيمة
على حدود الشام فأعد قبايل لحم وجهام
وخصان بكل ما عنده من أسلحة لينقض
بهؤلاء مع الجيش البيزنطي. على أتباع محمد
ومعتق الدين الحميدي، ثم ذهب (عمر بن
الخطاب) قيصر الروم بنفسه إلى مدينة حصن في أرض
الشام ليدير بنفسه العمليات الحربية ضد
محمد وأتباعه.

وأعد رسول الله جيشا جرارا لينقض
على كل أساليب التهديد التي يقبها عمر بن
الخطاب ومن معه ورغم أن هذه الغزوة لم يحدث
فيها قتال فإنها سجلت نصرا مؤدرا للمسلمين
حيث انسحبت الجيوش الرومانية من
مواقعها لما عرفوا قوة الجيش الإسلامي
والروح التي تموده من الرغبة العارمة في
خوض المعركة الفاصلة بينهم وبين الروم.

ولما انفرد رسول الله بالسيطرة على
مواقع الروم، وعلت القبائل المجاورة فرار
الروم من وجه المسلمين أقبلت كل جماعات
العرب المقيمين قريبا من الحدود الرومانية
أو الواقعة ديارهم في طريق هجرة المسلمين

وصفح من كل ما تقدم من أحاطهم الرهبة،
ومسح قلبه العاتم من آثارها كلها فلم يشترط
عليهم شرطا للمستقبل، ولم يسترد منهم حتى
يتملكات المهاجرين التي استولت عليها قريش
هقب يجرتهم إلى المدينة، بل طلب من
المهاجرين أن يزلوا عن كل حقوقهم القديمة.
تحت ملك أرواحها للمسلمين الصائمين،
ولكنها حين رأت من رسول الله سماعة
ونبيه وكرم أخلاقه فتحت له قلوبها فكان
هذا الفتح أجل وأعظم من أن تصل إليه
سيوف المسلمين إذا كان اعتماد على السيوف
وحدها فلان قلوب ما كانت لتلين، وتأثر
لغة القلوب وغلاظ الأكباد بهادي
الإسلام القوية السامية.

غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة:

ويبدو الفلك بالثهور والأيام ليكمل
من شهر رمضان شهرين وبركة على المسلمين
في مواضع الحربية التي يخوضونها في هذا
الشهر.

كانت آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي غزوة تبوك وأدركها من
رمضان حيث حل أعباءها جيش السرة
الذي تبارى في تجهيزه صحابة رسول الله
فكشفوا عن إيمان عميق وقصصيات رفعت
من قدوم وصارت نماذج رائعة لبذل
الأموال والمهج في سبيل فصرة الإسلام

أسرعوا إلى عقد الصلح مع رسول الله ،
والارتباط معه بمعاملات الصداقة التي
أمنه حدود الديار الإسلامية وألقت
الزغب في قلب أكبر دولة عرفها العرب
منذ قديم .

موقعة الفراض في عام ١٢ هـ :

وهذه معركة رمضان أيضاً لها طابع جديد
في مجرى الفتوحات الإسلامية وهي تعتبر
قطعة تحول في سير الحروب ضد الفرس
وهذه المعركة قادها خالد بن الوليد ،
وقد اقتضى هذا الموقع توجيه الحرب وجهة
جديدة لم يكن خالد ولا أبو بكر ليفكرا فيها
إلى ذلك الحين .

و نرجع أهمية موقعة الفراض إلى أنها
أول موقعة يتحالف فيها الفرس والروم
ضد المسلمين ، وأنهما يتحالفان هذا حلا
للمسلمين حلا على أن يدخلوا حتما في حرب مع
الروم الذين شعروا أن قضية الفرس إنما هي
قضيتهن . وبدأ المسلمين أنه ليس من الحكمة
أن يقتصر الأمر على فتح فارس بل لا بد أن
يعرضوا معاوك دائمة مع حلفائهم الذين
اعتبروا المسلمين عدواً مشتركاً بين الدولتين .
ومن أجل ذلك لم يعد في إمكان المسلمين
أن يترسكوا الروم بعد ما ظهرت نواياهم
بالانضمام للفرس في معركة الفراض . وذلك
أن قلوب الفرس وحرب العراق الذين فروا
أمام جنود خالد في معركة (الحسيدي)

و (الخناقص) استمر بهم الإيمان في السير
شمالا ، و جنود خالد من ورائهم حتى وصلوا
(الفراض) وهي تطل على حدود الروم
ولا يفصل بين الدولتين في هذه المنطقة سوى
نهر الفرات .

وهناك اجتمع الحلفاء من الفرس والروم
وحرب البادية والتقى الجمعان في رمضان
والأكباد صادية والبطون غاوية والصامخون
مع الله في صلح وحببة فكلما ظلوا بأنفسهم
الضعف زادهم الله قوة . وكان خالد بن الوليد
يدرك قوة الروح في جنده فأمرهم أن يلحروا
على أهدانهم ولا يرفسوا أيديهم لحظة عن
الطعن والإجهاز على عمالة الدولتين ، وعدم
الكيان العارضي والروسي على مرأى ومسمع
من شبيهما على ضفتي الفرات .

وقد أبدى خالد من فنون القتال ما لم يعهده
الجنود في المعارك السابقة حتى انكشف الروم
وحلفاؤهم وتبعهم المسلمون يعمنون فيهم قتلا
حتى بلغت ضحايا موقعة الفراض مائة ألف
قتيل بإجماع المؤرخين . على الرغم من أن
الشهر كان رمضان ، والفصل كان صيفاً ،
والمكان حل مئات الأميال من المدينة .

فتح الأندلس في رمضان عام ٩٢ هـ :

وإذا سرنا في ركب الزمن وصاحبنا قافلة
رمضان المنتصرة في كل زمان ، وجدنا أن
الجد الذي حققه شهر الصوم لم يتغير أبداً

لوزيق في سنايك غيل المسلمين الذين لم يرد
عدهم عن اثني عشر ألفاً .

ومن أسرار رمضان العجيبة أيضاً أن
موسى بن نصير حينما ذهب إلى الأندلس
ليساعد طارق في فتحها اختار أن يكون
دخوله هذه البلاد في رمضان عام ٩٣ هـ .
ولما اشترك في المعارك الحربية ورأى بنفسه
تلك المدن المحصنة أراد أن يضرب المدن
الكبرى ليفتحها على مصراعها للمسلمين
لحاصر مدينة (ماردة) حصار الواق من
قوته ، وأحسب المدينة بمصرها على يد
موسى بن نصير فسلك صلحاً في آخر يوم
في رمضان ما ٩٤ هـ .

وليس في وسعنا سرد الانتصارات
الرمضانية كلها في الإسلام كما أنه ليس
في صفحات مجلة شهرية مكان يتسع لكل نصر
ثم في رمضان . ولعل هذا البحث يكون فاتحة
لكتاب يتناول مواكب النصر كلها في رمضان
إن شاء الله . ولكننا نختم هذا المقال بهذا
التساؤل : ما الذي جمع في هذا الشهر كل هذا
الحسن ؟ وما السر الذي جعل رمضان
مقروناً بالنصر والفتوح في ميادين الحياة كلها ؟
أهو سر طوابعه في زمانه ، وسره من
خلقته ؟ أم هو سر الصائمين المتقادين في
في الثلاثين يوماً التي احتواها رمضان ؟ لعل
كل ذلك ؟
دكتور إبراهيم شعوط

شهر سواه . حين سبغت الأرواح الصالحة
مع الآمال الهائلة إلى دفع العقيدة الإسلامية
إلى أوروبا عبرت برغاز جبل طارق محلة
في شهر رمضان .

ومن الغريب أن كل معركة مهمة أو فتح
بلد عظيم أو مدينة كبرى في الأندلس
ارتبطت بشار النصر فيه بشهر رمضان .
أمر عجيب يلفت الأنظار حقاً .

حين أراد (موسى بن نصير) أن يخوض
الأرض الجديدة في أوروبا بإسرايا وبست
في طليعة هذه الإسرايا مولاه (طريف بن مالك)
ليرتاد ويكشف مقدرات أهلها كان ذلك
في رمضان حيث حقق طريف نصراً رجح بعده
محلاً بالفنائم إلى قائد موسى يبشره بتحقيق
الآمال إذا وصل المسلمون إلى تلك البلاد .

وحين أهدى موسى بن نصير جيش الفتح
لأندلس بقيادة (طارق بن زياد) كأنه كان يعلم
أن المعركة الفاصلة ستكون في رمضان ، فما
كاد يدخل طارق بلاد الأندلس حتى وافاه
رمضان بأجاده الإسلامية ، ويمنه في المعارك
الحربية ، ووجد جموع القوط هناك عند
مدينة (شريش) وعند مائة ألف من جنود
القوط بقيادة ملكهم (لزريق) دارت المعركة
في سهل شريش مع فجر يوم ٢٨ من رمضان
عام ٩٢ هـ وجال طارق برجاله جولات جددت
تلك الجموع الهائلة بعد أن فقدوا ملكهم

شهر رمضان موسم التقسية الروحية

للأستاذ حسن جواد

إنما هو العبادة الوحيدة التي تحقق الإخلاص في التقوى ، والصدق في العبودية .

فهو ممتاز عن العبادات الأخرى بأنه حمل ساي ، ليس له مظهر خارجي يحس ، فهو سر بين العبد وربه ، لأنه ليس إلا (نية) في القلب ، و (كف) عن الطعام والشرب ، و (إمساك) عن كل منكر من القول أو الفعل ، ولهذا لا تنافي فيه للواربة ولا الرياء ولا الخداع ، كما يمكن أن نكون في العبادات الأخرى ، ومن هنا جاء في الحديث القدسي : كل حمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشرابه من أجله . وهذه السلبية هي جوهر الإخلاص ، وهي حقيقة اليقين ، لأنها تعتمد على مراقبة الله وحده ، وعلى ضمير العبد وبقائه . يقول الرسول الكريم : (ليس في الصوم رياء ، والذي نفس بيده لخلوف قم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

ويقول بعض السلف : (طوبى لمن ترك شهوة حاضرة ، لمعهد غيبيل يره ، لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه في ترك شهواته قدم رضا مولاه على هواه ، فصارت له

[١]

يحيى شهر رمضان من كل عام ، فيكون راحة ظلية تدور روح فيها النفوس المثقلة طول عامها بأصار المادة ، وتنجد الأرواح عما ران عليها من أوصار الدنيا ، وتنفض القلوب عن جورها لتتقى عاشابها من غبار التنازع والشهوات ، فالصوم تدريب نفسي ، وتنمية روحية ، بهما تحقق الغاية منه ، وهي (التقوى) ، كما قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، وكما يقول الرسول الكريم : (الصوم جنة) أي وقاية ، والتقوى هي الوقاية ، وقاية النفس بما يسوءها من غضب الله وعذابه ، بإشتال أوارمه ، واجتناب نواحيه ، وصونها عما يريدها من الشهوات والذنوب . وحفظها بما يراودها من التنازع والميل ، وتزكيتها بصالح الأعمال وكريم الأخلاق .

ومتى بلغ العبد هذه الغاية . وحقق هذا المقام ، تخاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى .

ولا شك في أن الصوم - بما يقوم عليه من إمساك عن الشهوة ، وضبط للسلوك ، وكبح لمناج النفس ، وكبت لسعار الفرائز -

وما يوجب من إضعاف الجسم، وكسر الشهوة،
وقع الفريضة، ومخالفة العادة؛ وبذلك يعود
ترك ما ألف من قبيح العادات المادية
والخفية .

وبحسب الصيام أنه يعود العبد على الصبر،
فهو نفسه صبر، وبذلك يجابه ما يعترضه من
مشاق، وما يقتاه من توازل، بالصبر الذي
تعوده على الحرمان في الصيام، كما أنه يعود
الصبر على الطاعات، ويألف الصبر عن
المعاصي. وبذلك تفتد هويته، وتقوى
روحه .

وهكذا نرى في الصيام تنظيمًا للسلوك،
وتقويةً للنفوس، وتمديدًا للفراغ، وتعبئةً
للأرواح، وتقويةً للإرادة، وتحقيقًا للمعنى
الإنسانية في الإنسان .

وإذا كان الصوم رياضةً جسمية، تقوى
البدن وتخلصه من رواسب الأغذية وسمرها،
إلى جانب كونه تعبئةً روحية، ورياضةً
نفسية، يتحقق بها الإخلاص في العمل،
والمراقبة لله، والصبر على الهدائد، وضبط
النفس، وقوة الإرادة. فما أخرى المجتمع
الذي يربي الصيام أفراد هذه التربية، أن
يحقق المعجزات، ويواجه العفبات. ويجتاز
المشاق، ويحقق ما يصبو إليه من أمل .

ما أحسج بمجتمعنا الراهن إلى أن يدرك
أفراده هذه الحقائق التي يجهلها لنا شهر
رمضان، وأن يستقروا أسرار الصوم،

في ترك شهوته لله، إثارة لرضا به على
هوى نفسه .

وسئل ذوالنون المصري: متى أحب ربى؟
فقال: (إذا كان ما يكرهه أمره منك
من الصبر) .

إن الصوم انتصار لإرادة الروح، وحصار
لبواهي الشهوة، وسد لمنافذ الفتنة، وتضييق
لجاري الشيطان؛ يقول صلوات الله وسلامه
عليه: (إن الشيطان يجري من ابن آدم
جري الدم، فضيفوا بجاريه بالجوع)، كما
يقول لعائشة رضي الله عنها: (داوى قرح
باب الجنة... بالجوع) .

لأنه فرصة الروح تنطلق فيه من إसार الجسم
وتليود المادة، لتسبح في عالم الصفاء والنفاء
تظللها السكينة المؤمنة، وتغمرها أشراق
الملك الأعلى، وتزود من زاد التقوى بما
يعينها على رحلتها في هذه الحياة .

بحسب الصيام أن يحقق الإخلاص في العبد
كما قلنا - باعتبار أنه المبادأة التي تتجرّد
عن الرياء، ولا يمكن أن يتمثل فيها الخداع،
إذا أن العبد لو أراد الرياء لاستطاع أن
يتناول ما يشتهي في الخفاء، دون أن يعرف
أحد أنه مضطر؛ فالصوم الحق لا يمكن
إلا أن يكون ابتغاء وجه الله، لا بقربة
غرض، ولا يداخلة رياء .

وبحسب الصيام أنه يقوى إرادة العبد،
وينسى هزمه، بما يفرض عليه من السلوك،

الإنسانية في نفس العالم ، وبما يربى فيه من الإحساس بالأم الغير حين يحس قبح الجوع وسورة الظلم ، وبذلك تستيقظ في نفسه دوافع الخير ، وتقوى دواحيه ، فيسارع إلى كفكفة دموع البائسين ، وودلفة المحرومين . وما أجمل ما يقوله شوقي في هذا المقام .
« الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ؛ لكل فريضة حكمة ، والصوم ظاهر العذاب وباطنه الرحمة ، ... يستثمر الشفقة ، ويحرض على الصدقة ، ويسكر الكبير ، ويهلم المبر ، ويسن خلال البر ؛ حتى إذا جاع من ألف العجيب ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، وألم الجوع إذا فزع . »

ترى هذه التبعة الروحية ، بما فيها من هجرة إلى الله بالروح من قيود الجسد وأهوائه ونواذه ، وفراد إليه بالإخلاص والمراقبة من شوائب الأرض والمادة . . إعداد واستعداد لهجرة الروح والجسد معا إلى يد الله في موسم الحج ؟ بعد أن تنكسر حدة الجسم ، ويتم الروح سلطانها عليه ، وتقر ما له ، حتى يكون مهياً لتلك الرحلة المقدسة التي يراجه فيها مشقة الصبر ، وعناء الاعتقاب ، فيصطب ما عبا به هذا النهر من قوى روحية ، تمينه على أمره ، وتؤدبه في حضرة ربه ، وتضيقه ما سواه ، وتصرفه عن شواغل (البقية على الصفحة التالية)

ويتذوقوا طعمه ، ويترسوا بما يقرسه في النفوس من ضبط الإرادة ، وبقطة الضمير ، ومراقبة الله ؛ وأن يحملوا من هذه التبعة الروحية زاداً لم طول العاصم ، يدفعهم إلى الإخلاص في العمل ، ومراقبة الله في الإنتاج ، والصبر على الضغوط والتعديلات ومواجهة الصواب والمشقات ، والاعتدال في الإنفاق ، والاقتصاد في المظلم ، وكبح جماح الشهوات في كثير مما ترومه من مظاهر البذخ والإسراف والترف .

إن هذه التبعة الروحية في شهر رمضان خليقة أن تنسحب على غيره من شهور العام ، فتعود ما ألفناه فيه ، لنستفيع بهذه التبعة فيما نواجهه من ضغوط اقتصادية ، تقتضينا إخلاصاً وإنتاجاً ، وتطلب منا صبراً وجرماً ، ونحتاج إلى كسر الشهوة ، واعتدال النفقة .

وإذا لم توجد المراقبة والإخلاص لدى العامل فلن يتحقق ما نريد من زيادة الإنتاج لمواجهة زيادة الاستهلاك .

وإذا لم نقتصد في ما كلنا ومشربنا ، فلن نجد ما يفي بحاجتنا عسى أن نجد في هذا الشهر فرصة ، تصوم سلوكتنا ، وتصفي نفوسنا ، وتروحننا على مجاهدة النفس ، ومغالبة الشهوة ، ومراقبة الله .

وبعد فإن الصوم الصحيح خليق أن يحقق التكافل الاجتماعي ، بما يثيرة من المواطن

تاعة رمضان بقلعة الجبل

للدكتور عباس علي اسماعيل

فضلا عن ذلك أبو الكاتب التحرير: يحي الدين
ابن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء بدوة
الماليك الأولى المصروفة بدوة الماليك
البحرية (١).

واهتم الكامل بقاعة رمضان، لأنها كانت
بجما لأصدقائه العلماء. وبلغ من اطمئنانه
إلى أحدهم وهو زين الدين بن الياس أن
ولاه الخطابة بقلعة الجبل، فضلا عن نيابة
الحكم بيمين البلاد وكثيراً من الوظائف
الدبلوماسية. كذلك وصله حب الكامل (الصلاح
الإريلي) أن اتخذ أحد دعامه، وتولى الإتفاق
على آثاره وماليكه، وأقطع ولده بسنتين
قليوب. والواقع أن بيت الكامل بالقلعة

حرص الأيوبيون كما حرص الفاطميون
من قبلهم على إحياء ليالي رمضان، وبلغ من
حرص السلطان الكامل الأيوبي على إحيائها
أن شيد قاعة بقلعة الجبل بالقاهرة سماها
قاعة رمضان، منذ أن انتقل مقر الحكم إلى
القلعة سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٨ م) وجلس
الكامل مع الفقهاء والقراء في تلك القاعة
في هذا الشهر الكريم، ليحيوا ليالي رمضان
على المذهب السني (٢) ومن أئمة القراء
الذين أجادوا فن تجميد القرآن في تلك القاعة
على عهد الكامل المقيم الشهير الشيخ؛
زيادة بن عمران، والشيخ: عبد الظاهر بن
ندوان الذي انتهت إليه مشيخة القراء
ورئاسة فن القراءة في ذلك الزمان، وهو

(١) السيوطي: حسن المحاضرة ج ١
ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) التنوير: نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٥٥.

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

سبحانه: والحج أشهر معلومات، فن فرض
فيه الحج فلا رقت ولا فوق ولا جده الـ
في الحج.

جعلنا الله عن يصومون رمضان حتى الصوم
ونصرنا به على نفوسنا وشهواتنا، وغفر لنا به
ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر، إنه غفور رحيم.

صوم جاد

الدنيا والحياة، وتفضل نفسه، وترصف عنه
وتسمو به مما لا يلقى.

« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له
ساجدة فأن يدع طعامه وشرابه - إذا كان يوم
صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن
سأه أحد أو قاتله؛ فليقل: إني صائم. »

ومكذا نرى الأدب في الحج، كما يقول الله

بكلام مليح ، ولذا شيد سنة ١٢٢٢هـ (١٢٢٧م) دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة . وقيل إنه عندما حضر المال أساسها وجدوا تمثالا كبيرا من الذهب ، فأمر الكامل بأن يسبك وينفق على بنائها الذي وقصه على المختلن بالحديث من الفقهاء الخاضعية (١) .

وأول من تولى مشيخة هذه الدار الشيخ أبو الخطاب عمر بن دحية ، وبقيت هذه المشيخة في بيته زمنا طويلا ، ثم تولاها الحافظ عبد العظيم المنذرى الذي قيل عنه : « ما على وجه الأرض من مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم » . ولم ينس الكامل أن يدعم مكانة المدرسة الصلاحية بقبة الإمام القاضي بالقاهرة ، فبين لها الفقهاء والمدرسين بعد أن كان يعلم بها المعيدون فقط ، وأسند مشيختها لشيخ الشيوخ كالدين أحمد بن حمزة ثم لقيب الأشراف شمس الدين الأدموي ، حتى جاء وقت سميت فيه بالمدرسة الشريفة ، وفتحت هذه المدرسة أبوابها للطلبة الغرباء ، فوجدوا مساكن مريحة ، وحمامات مزودة بالماء الساخن ، وأطباء يتفقدون أحوالهم الصحية ومعاليم يتفقون منها ، هذا علا ما لشيخ المدرسة كل يوم من راتب الخبز وراوترين من ماء النيل ، وشجع الكامل بناء المدارس بالصعيد ، ليتيسر على أبنائه التعليم ببلادهم ،

(١) ابن راس : بئاتم الزهور ج ١ ص ٨٩ .

كان بمثابة مدرسة ، إذ كان يبيت عنده كل ليلة جمعة ، على سرور متعاقبة ، صفوة من العلماء أمثال : الخال الخن ، وعمر بن دحية ، ليعرض الكامل عليهم الموضوعات الدينية والمسائل العلمية ويساؤهم في مباحثاتهم . وأثار الكامل مرة مناقشة حول الطريقة الصحيحة لكل الخيار ، ولعله أراد بهذه المناقشة أن يقبل قبل الإقطار ليل وقت الفراغ . واشترك في المناقشة الفيلسوف : أفضل الدين الخرنجي والطبيب رشيد الدين أبو حليقة ، وأشار الخرنجي بأكله بقشره لما عسى أن يكون به من عناصر غذائية وألياف مفيدة ، ونصح أبو حليقة بأكله دون قشره لأنه غليظ صعب الهضم ، وهندئ استحسن الكامل إجابة أبي حليقة ، فقرر له جاسكية كبيرة .

والواقع أن الكامل حرص على أن يكون عالما من الطراز الأول بالبحث والمناقشة والمجادلة ، ليثبت الفقهاء والعلماء والأدباء أنه جدير بالسلطنة لقوة علمه فضلا عن براعته السياسية والحرية ، فكان له آراء شخصية في النحو ومسائل في الفقه ، بسطها على علمائه ، وكافأ من حلها عنهم بأكثر (المعالم) . وساعده على ذلك نشأه الأولى ، فقد تعلم منذ نعومة أظفاره الأحاديث النبوية ، وأجازه العلامة أبو محمد بن برى وأبو القاسم البوصيري وابن صدقة الحراقي ، فنشأ على حبها ، وحرص على حفظها ونقلها ، ونسك على صحيح مسلم

يشترك اليهود والنصارى بخطه وأحبيته ، وهو الذي اقترح على الكامل ضرب عملات صغيرة ، فصل للكامل باقتراحه تبركا ، وحك الفلوس ليسهل شراء الحاجيات الصغيرة التي يكثر الإقبال عليها في شهر رمضان . والواقع أن الكامل أحب الصوفية ، وتدلل عليه منهم الشيخ عمر بن الفارض ، وسمى بابن الفارض لأنه كان يكتب الفروض للنساء على الرجال ، وعرف بين معاصريه باسم حجة أهل الوحدة ، لأنه كان يسبح في أودية المقطم طلبا للوحدة والعملة ، وكان الكامل يزوره في قاعة الخطابة بالجامع الأزهر لينتبه به (١) .

هكذا أسهمت قاعة رمضان بالقلة في إحياء ليالي رمضان مع شهرها من دور العلم والعبادة بمداورة القرافة الكريم والأساديت النبوية الشريفة ، من أجل إقامة مجتمع تسوده المودة والمحبة ، مصفى من التهمة والعبودية ، وهو في نفس الوقت يعمل على تحرير كل شعب من أوضاعه من أدناس الصليبيين وأطباع التتار ؟

عباسي ملهى إسمايل

وليتنى على المذهب الشيعي الذي ظل متفشيا في قوص وطود وقط وإسنا وأسوان ، بفضل معاضدة عرب بني عبد القوي وبني الكنز لبقايا الفاطميين المشردين الذين هاجروا إلى أقصى الصعيد ، ليسكنوا في مأمن من ضربات السلطان ، وليعبروا بخطط قلب الحكم السنّي وقتل دمه ، ومنهم ابن سيد الكل الذي نشر المذهب السنّي بإسنا ، وصنف كتاب (التصانح المفترضة في فضائح الرضة) (٢) .

وبلغ من حب الكامل للأدب والمعلم أن استولى على مكتبة القاضي الفاضل وزير صلاح الدين ، وكان بها آلاف كثيرة من الكتب ، منها كتاب الأبيك والفصوص لأبي العلاء المبري في ستين مجلدا .

ومن دور العلم والعبادة التي أسهمت في إحياء ليالي رمضان ، جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، فكان يقبض أربعين حلقة حلقة حلقة صباحا ومساء يوما بعد يوم ، ويضاء كل ليلة بالقناديل ، ويتفق عليه من أوقاف بيلاذ المتوفية المحبة ، وولى الكامل خطابة الجامع للشيخ أبي الطاهر المحلى ، وكان أول أمره (شرايبا) يبيع الشراب الخلو في الأسواق ثم جنح إلى التصوف وصار عالما هنيئا

(١) ابن الهيثم الحنبل : شذرات الحمير •

من ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) الإذوى : الطالع السيد ص ٣٩٧ .

الصِّيَامُ عَنِ اللَّحْمِ وَنَتَاجُ الْحَيَوَانِ

لِلأَسَاقِيفِ عَلَى الْخَطِيبِ

طبيعته تلك - مرتبة التقصد والاعتدال ،
وحيات له يمارسته الصيد إشباع تلك الغريزة
في أغلب الأحوال حتى أصبح لا يلتفت
لظروف المستقبل ، ولا يفكر في الادخار
لوجة أخرى ، وختم بعضهم ذلك بلم أخيه
بل وصل به الأمر أن يعد فريقاً من بني جنسه
لوجبات شبيهة بقسميهم لإعداداً للذبح
كالأنعام (ص ١٩ - ٢١) قصة الحضارة .
ففي البدايات إذن عاشت الفطرة تحسوها
الشهوة فتطورت إلى تلك القسوة هل أن الذي
يعطينا من ذلك كله بيان طبيعة الإنسان
ومدى حبه للطير اللحم ؛ فأما شهوته الأليمة
التي تنكبس به الطريق فقد تولدت حسابها
أديان السلا .

إن أقدم نص يهدينا السيل إلى تقرير أمر
السماء في هذا الموضوع كتبته العلامة
(ابن كثير) فقال : « وإن الله قد نص في كتابهم »
التوراة أن نوحاً عليه السلام لما خرج من
السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل
منها » (١) يشير رضي الله عنه إلى ما ورد في العهد
القديم : « كل دابة حية تكون لكم طعاماً

تعيش فوق الأرض - إلى يومنا هذا - أم
منها من أخذ بصيب وافر في المدينة ومنها
من أقدمته ظروف شتى عن اللحاق بها فاقصر
منها - هل نصيب ، ومنها أم ما زالت تعيش
على بدائية فطرية لم تتدخل عنها حتى اليوم .
وهل الأرض أديان سماوية اهتمتها كثرة
من الناس ، وأديان بشرية ليس لأحكام
السماء فيها نصيب ، ودانته كثرة غالبية من
الناس لهذه الأديان ، ونزلت على أحكامها
عن رغبة أو خوف إذ بين هذه الأديان
ما يشغل السحر وغيره من طروب الأذى
سبيلاً للسيطرة والإرهاب .

وبين فرق من معتققي المذاهب البشرية
وغيرها من ينسب لأديان سماوية نحمد أناساً
تصمد بصوم يضئ عليهم أن يبتعدوا عن
تناول اللحم وتناج الحيوان لفترة الصوم ،
أو تختص منه إلى الأبد .

إتنا قبل أن ندوس (شرائع) هذه الأديان
ينبغي أن ننظر إلى (الفطرة) لفطرة الإنسان
التي جبل عليها ، وعاش لها ، واستقام بها ،
وتتمثل هذه الفطرة بنهر تجميل من أفضة
الحضارة في نفوس البدائيين ، وحس هؤلاء
لحم غريزي ؛ والبدايات به نهم لا يعرف - مع

(١) أي اليهود .

(٢) ص ٣٨٧ تفسير ابن كثير المجلد الأول .

أن يستنتج منه امتناع بني إسرائيل عن اللحم فترة إلى أن يوسع الله عليهم تحريمهم قول : إن الله رزق بني إسرائيل المن والسوى في فترة التيه قبل توسيع التخوم وكان أحد هذين النوعين لهما غالبا .

غير أن شريعة التوراة حرمت أنواعا من اللحم كالخنزير والإبل تحريما دائما ولكنهما لم تحرم ما أحلت من اللحم لفترة تعتبر صياما عن اللحم ، كذلك لم تحرم نتاج ما أحلت منه فترة حتى يمكن أن يعتبر ذلك صياما عنه ، قرأ هذه المحرمات في سفر (اللاويين) كله كما قرأ عنها في سورة (الأنعام) من القرآن الكريم . ولكي نوفي هذا البحث حقه ينبغي أن نفرم إلى ما ورد بالعهد المتداول من حادثة اتخذها البعض ذريعة إلى تقرير هذا الصيام .

أورد العهد - في غير قصص أسفاوموس - قول دانيال - زمن السبي - أي بعد وفاة موسى بنحو ثمانية قرون يتحدث عن نفسه وهو أسير بمملكة بختنصر (بابل) :

(في تلك الأيام ، أنا دانيال ، كنت قائما ثلاثة أسابيع ، أيام . لم أكل طعاما شبيا ، ولم يدخل في لي لحم ، ولا خمر ، ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع) دانيال ١٠ - ٢ ، ٣ . وكان ذلك عقب رؤيا فهم منها (دانيال) وجوب الجهاد ليتخلص بنو إسرائيل من أسرهم ؛ فهل يعتبر هذا التصرد ليلاهي شهرة صيام بالكف عن اللحم ونتاج الحيوان ؟

كالمشب الأخضر دفعت إليكم الجميع ، .
تلك ٩ - ٥٠٤ .

ويصدق ذلك قول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم : دكل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، واستعانة بالنصين ، بل بالأخير يتبين في وضوح أن الله سبحانه لم يحرم تناول اللحم مطلقا حتى عهد يعقوب عليه الصلاة والسلام . . وكان يعقوب هو الذي حرم على نفسه - دون أن تحرم أوامر السماء - جزءا من لحم الإبل ، ويذهب بعض المفسرين إلى أن الذي حرمه إسرائيل على نفسه إنما هو ألبان الإبل ، ونتيجة لذلك كله قول : إن شريعة الله يعقوب في المأكول والمشروب كانت استمرارا مطلقا لشريعة (نوح) فلم تحرم من ألوان الطعام شيئا ، واستمر الحل قائما ، ولم توجد فترة صيام عن اللحم ونتاج الحيوان قاصرة عليهما .

ويمكن أن نستمر في البحث بعد يعقوب بنحو خمسة عشر قرنا أو أكثر حين نزلت التوراة في (العهد) المتداول نص صريح لا يحرم الامتناع عن اللحم لفترة تعتبر صياما يقول : . إذا وسع الرب تخومك كما كلمك وقلت : أكل لحما ، لأن نفسي تشتهي أن تأكل لحما فمن كل ما تشتهي نفسك تأكل لحما ، تث ١٢ - ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ . وقد يحاول بعض الناس أن يعمل في النص هذه ويقول : في النص ما يشير ، أو يمكن

وتناج الحيوان فترة صومهم ، ولم يحتسروا
عن الحر ولا استعمال الطيب .

ولقد حدث أن امتنع دانيال وبعض
رفاقه عن تناول اللحم فعلا حيناً وقهوا في
الأسر واختبروا ليكفروا بحاشية الملك -
وكان يجب على دانيال أن يفعل - فهو يحافظ
على الشريعة ، وهو أيضاً لا يعلم ما هي جنس
اللحوم التي تقدم للملك وكبار حاشيته ، ولا
هذه له بالجهل ، فالجهل ليس بصدق ، والتقية
لا تعفيه فهو (قدرة) وليس هو من عامة اليهود
حتى يكون الإكراه ، مثلاً حجة له .. ومثله
في ذلك مثل غيره حتى من أصحاب المسلمين .
وكانت كذلك فتوى أئمة الإسلام في التقية ،
ثم بعد ذلك نجد نص العهد المتداول صريحاً .
يقول : «أما دانيال فجعل في قلبه أنه لا يتنجس
بأطياب الملك ، ولا يخمر مشروبه» (١) .
ولذلك انصرف على النطاق .
ذاك من اليهود .

وأما الأناجيل المتداولة فهي بريئة كل
البراءة من هذا التشريع . وفي الأصناف الملحقة
بها جاء عن (طائفة) تشرح ما لم يشرحه الله .
«مرايين ينطقون بالكذب وضماثوم
مكوبة ، ويمنعون عن الزواج ، وعن أكل
أطعمة خلقها الله ليتناولها بشكر كل من آمن
وهرف الحق» (٢) .

(١) دانيال ٩ - ٨ .

(٢) اللؤلؤ الرابع ٢ ، ٣ من رسالة القديس
بولس إلى تيموثاوس .

ومثل نشر دانيال هذا الصيام
في بني إسرائيل ؟

إذا التزمنا حق الإجابة العلمية فقرر أن دانيال
عليه السلام ليس مشرعاً ، وإنما الشريعة
التوراة وحدها ودانيال وغيره من الأنبياء
في بني إسرائيل من بعد موسى كانت وظيفتهم
- بالنسبة للتوراة محددة - وهي الحفاظ عليها
ومباشرة تطبيقها وأخذ الناشئين من بني
إسرائيل بالعقاب . وهل ترى في الخبر شيئاً
غير حالة طاعة لم تذكره ١٢ .

ونضيف إلى ذلك أن دانيال لم ينشر هذا
الصيام في بني إسرائيل ، ولو أنه نشره
- كرهية مثلاً فعلت (أستمر الجنية) لحفظ
اليهود ذلك وليس بحث ذلك بين اليهود عسير .
ولم نعلم مفارقة بني إسرائيل له في هذا
الفعل لا يمكن أن نعتبره فعلاً للجميع بوجه
من الوجوه ، والنص بعد ذلك يفسر نفسه ،
فما كان دانيال بعد رؤياه إلا رجلاً حزينا
ينوح ليل نهار في حزن دائم لمصدر بني
إسرائيل ، حزن يقبض الشبهة ويطلق في
الإنسان رغبة الزوال الحسن ، ولو حملناه
على الصيام لكان صيام (وصال) كالذي أداه
موسى أربعين يوماً متتالية ، وكما في فصل
هيسى وعهد عليهم الصلاة والسلام ، وليس
استماعاً خاصاً عن اللحم ، ثم النص بعد ذلك
حجة على من يدعي تشريع هذا الصيام بأمر
من السماء ، فهو لاء حرعوا على أنفسهم اللحم

فن أين جبت تلك البرج . ١٤
الرج التي أرسلت بلوايح صمت دبانة ذات
أصل سبوى . ٩

إننا ينبغي هنا أن نقرر حقيقة قروها
مطمئنين قبل من يرغب في تقضا أن يتقدم
بالبرهان :

• إن موقف شرائع السماء من قضية اللحم
وتناج الحيوان هو موقفها من (التناسخ) .
إن أديان السماء تنكره لذلك تنكر نصوصها
الصيام عن اللحم وتناج الحيوان .
أنكرت أديان السماء التناسخ بدرويه
الأدنى والأعلى :

فلا تقول شريعة منها : إن الإنسان يموت
ظاهرا ولكن روحه تظل تنقل ممذبة
من جسد لآخر . من أدى إلى خزي ولكنها
.. أبدا - لا تموت .

كذلك ليس في نصوص شريعة منها :
أن الإنسان يموت في الظاهر لكنه يولد
ولادة ثانية يسمو فيها فيكون ملكا
في الملائكة . أو يسمو أكثر فيصير إلها
كما ترى الجاثنية . (١)

والإيمان بالتناسخ هو الموجد المباشر
لتحريم اللحم وتناج الحيوان .

والمؤمن بالتناسخ يؤمن بأن (جسد
أى حيوان يمكن أن يكون (طرقا) (روح

(١) أنظر الجاثنية في الهند قصة الحضارة . الهند
والعرق الأفصى : ولدهورانت .

• فلا يحكم عليكم أحد في المأكول أو
المشروب ، أو من قيل عيد ، أو رأس شهر
أو سبوت ، (٢) .

ومعروف أن الكنيسة في أى الطوائف
المسيحية اتخذت لها حتى تشريع غير إجملي
يسمى بـ (التشريع الكنسى) . ومن التشريع
الكنسى هذا الانقطاع عن الحيوان وتناجه
في أيام معلومة جعلت صوما (٣) .

ومن العجيب أن بعض القسس يستشهد
بهادثة دانيال كتأكيد لهذا الصوم ، فإذا
كان الأمر كذلك فلماذا عارضت النصوص
بعضها إلى مستوى التناقض . ففي إجملي
(من) حث على التطيب .

• أما أنت فإذا صممت فادمن رأسك واغسل
وجهك ٦-١٧ .

• وإذا صمت فلا تكونوا ممسحين كالمراتين
فإنهم يشكرون وجوههم ليظهروا للناس
صائمين ٦-١٦ .

انظر لما فعل دانيال - إذا افترضنا أنه
كايرون - هل تطيب ١٤

في الحق أن أديان السماء جميعا بريئة من هذا
التشريع ولا تعرف مستوى فيهادين نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى وعهد عليهم الصلاة والسلام .

(١) الفصل الثاني من نفس الرسالة إلى أعالي كولسى .

(٢) أنظر في ذلك الوصية الثانية للكنيسة
الكاثوليكية كتاب : سلاحك أيها المسيحى الضمير .

وه الصوم في كنيسة القبطية . - نفس صودة
سناء الأوثود كسية .

الحداد ، ولا يدخل في أفواه من شيء غير الماء .
والخضر مدة سبعة أيام يصنع خلالها طعاما
من غير حديد اللونين من الطعام والشراب
حتى يتم دفن أبيس^(١)
ويغنى تكريس الكهنة بذلك في مراسله
المتنفة قد قضي (لوكيوس) عشرة أيام صائما
من أكل اللحم .

ومضى فيثاغورس في اليونان على التحريم
نفسه ورأى ، أن جميع الحيوانات التي تدب
على الأرض أهل للحلول لنفس البشرية فيها
وإذا ثبت ذلك فسحق المحتل أن يكون
كل حيوان طرفا لنفس بشرية ، وإذا فذبح
الحيوانات أو قتلها جريمة كبرى لا تقل عن
قتل الإنسان ... ومنذ ذلك العهد أصبح
أكل اللحوم محظورا على كل فيثاغوري
مخلص^(٢) .

وكان على الكهنة في الصيام - استعدادا
لتنبؤ - أن تصوم ثلاثة أيام لا تتناول خلالها
إلا ورق النار لقمضه وتأخذ من رحيته^(٣)
هذا واقع يفهمه اليهود ويشيح عنه
المسيحيون - إلا البروتستانت ، فكل النصوص
التي يستشهد بها المسيحيون من : كاثوليك
وأرثوذكس ، في هذا الباب تؤخذ من العهد
المتداول ... بينما أصحاب العهد ، وم اليهود

إنسان . أو يكون هو الإنسان نفسه في
ولادة ثانية .

ومسيرة لهذا المنطق يحرم البرمى والجماني
والفيثاغوري بداهة طعام الحيوان ؛ لأن في
أكله أكل لحم أخيه . ومن هنا شرع في تلك
العقائد ألوان من هذا الصيام : أبديا أو لفترة .
وأي رسالة سماوية لم تتعرف إلى اعتقاد
(الحلول) على أي وجه مثل الحلول بأكل
الحبر المقدس ، أو الحلول في الله - والبياد
بالله - لا يمكن أن تترو تلك الشريعة . .
فأما إذا قالت : عاش في الله . أو مات في
الله ؛ فهي من التناسخ والحلول على عقيدة .
ومى من هذا الصيام على تفريع ...
ولكن ... ليس من عند الله !!! .

وجولة مع الحلولين تبين لنا ذلك :
لهذا (ماني) الذي بدأ مسيحيًا زرادشتيًا
وانتهى برهبانية طلب إلى أتباعه تحريم
اللحم إلى الأبد بجانب محظورات أخرى^(٤) .
واعتقد المصريون القدماء في الحلول وكان
التجسيد ، ظاهرة عند تلازم الإلهة فروح
(إزوريس) منذ مات في الظاهر ، حطت ، في
جمل (أبيس) كما حطت روح (إيزيس) في
البقرة (نوت) .^(٥)

فإذا مات جمل إيزيس قضت الشعائر أن يتم
الحزن مصر كلها ، وترتدى النساء ثياب

(١) نفس المرجع ص ٤٨٦ .

(٢) ص ٥٧ مقدمة الأفرنجية ص ١٠٩ هـ

(٣) انظر - ص ٢٠٢ قصة الحضارة ولديورات

(٤) انظر الفهرست لافانديس ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤

(٥) ص ٤٩٨ ديانة مصر القديمة أدولف إيمان .

لا يقررون هذا الصيام ولو كان الأمر كذلك لسكان اليهودية أول .
لأن عبادى يبتدعه المسلم نفسه .

ولقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصد ربح هذه الفتنة ، حتى ما يظهر منها عن
حسن نية وقال : من رغب عن سبقي فليس
منى ، واشتد عليه الصلاة والسلام في ذلك
حين رأى جماعة من أصحابه ، وكانوا نحو
عشرة منهم : سالم مولى أبي حذيفة رضى الله
عنهما ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الله
ابن عمرو بن العاص ، وعمل بن أبي طالب ،
وعبد الله بن مسعود ، والمقداد بن الأسود .
يحتشرون فيقول بعضهم لبعض : ما حلتنا إن لم
نحدث عملاً ؟ فإن النصارى قد حرموا على
أنفسهم قنح نحرهم ، وقالوا : نقطع هذا كبرنا ،
ونترك شهوات الدنيا ونسبح في الأرض كما
يفعل الرهبان ، ثم نبتلوا لجلسوا في البيوت
واحتلوا النساء ، ولبسوا الفسوح ومما
أن يحتصوا ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
أمرهم فأرسل إليهم ، فذكر لهم ما بلغه منهم
فقالوا : نعم . فقال عليه الصلاة والسلام :
لكنى أصوم ، وأفطر ، وأصل ، وأنام ،
وأنتكح النساء ، فمأخذ بسبقي فهو منى ،
ومن لم يأخذ بسبقي فليس منى ونزلت الآية .
أى السابقة .

وقال عليه الصلاة والسلام : سيد طعام

(البقية على الصفحة التالية)

غير أن المسيحيين يعرفون الحبر المقدس .
ويؤمنون بطرف من الحلول المنقمة فمرت
فيهم حدوده ... ولما كان هذا القرن من
الصيام لا يجد سندا في الأناجيل المتداولة ،
استكروا له بعض نصوص العهد القديم التي
سبقتم لجعلها استئناساً لحكم الكنيسة .

كذلك لما كان (البروتستانت) نافرين بطبعهم
ووضعهم على الكنيسة الكاثوليكية فقد
أنكروه ؛ بل أنكروا فرضية الصيام جملة
وتفصيلاً وناطوه بالرغبة (١) .

وأنكر الإسلام كل شيء من هذا اللون
وحاربه . أخبر ابن عباس رضى الله عنهما :
« أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت النساء ،
وإن حرمت على اللحم ، فزل قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
ما أحل الله لكم ولا تستبدوا إن الله لا يحب
المتعدين » (٢) .

بل تعدى الأمر إلى عبارة (تشريع أى

(١) انظر مقالنا في هذا الموضوع في رمضان
الماضى ١٣٨٥ هـ مجلة الأزهر .

(٢) انظر (ابن كثير) تفسير الآية من لسانه .

الجمال في القرآن الكريم

دكتور الدكتور محمد أحمد الفراءى

- ٦ -

« وألقى في الأرض رواسي أن تُميدَ بكم ، من تسع آيات في القرآن الكريم ذكرت الجبال فيها بالرواسي ، نظرنا في ثلاث ، ذكرت الرواسي فيها متصلة بين الله على عباده بعبدة الأرض ، وهي آيات سورة : ق والحجر والرعد . وهذه في الآيات الست الباقية فنلاحظ ثلاث ذكرت الرواسي فيها سيا متصلة أخرى كبرى هي أن الله صنع منها الأرض أن تُميدَ وتضطرب بالناس . تلك الآيات الثلاث هي حسب ترتيب نزول الوحي بها : آية سورة لقمان : « الله الذي خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تُميدَ بكم ، الآية (١٠) » وآية سورة النحل : « وألقى في الأرض رواسي أن تُميدَ بكم وأنهاراً ، الآية (١٥) » وآية سورة الأنبياء : « وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميدَ بهم ، الآية (٣١) »

(بقية المنظور على الصفحة السابقة)

أهل الدنيا وأهل الجنة اللهم . وكان كبار الصحابة لا يمتنعون عنه ومنهم فقهاء الأمة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فإنه كان إذا جاء ومضاه لم يفته اللهم (١) . إنما يفسد الجسد إسراف وهو الذي يردى به . فهو العلة ؛ لذلك استهدف الإسلام بالتحريم قال تعالى : « ... كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

فالقصد والاعتدال شرعة الله ومذهب

على الخطيب

(١) أنظر ص ٢٨٩ الطب الثاني - وي لاين قيم
دار إحياء الكتب العربية

(١) أنظر ص ٢٨٩ الطب الثاني - وي لاين قيم
الجوزية والاول من سنن أبي داود

ما يحيط باليابسة من البحار كأنما الأرض سفينة فوق ماء يخشى أن يضطرب بها لولا أن نظلها الله بالجبال، وكذلك فسروا (وتدعى) الجبال في قوله تعالى : (والجبال أوتادا) بأنها تثبت الأرض كما تثبت الأوتاد الخيمة . وليس الأرض بخيمة كما بينا عند النظر في الآية الكريمة في المقال الرابع^(١) فلننظر الآن فيما يمكن أن يقال من الناحية العلمية في الجبال : كيف يمكن أن تكون سببا في عدم اضطراب الأرض في حركتها ليستقيم بهم اضطرابها عيش الناس عليها . فلو أنها اضطربت بهم في حركتها اليومية لساء عيشهم فيها سوءا لا يقدره ولا يدرك أى فسة لله على الناس في امتناعه إلا من اضطرب به السفينة في البحر، أو الطيارة في الهواء، وطال ذلك عليه ثم ذهب ما كان به حين هذا البحر أو سكن الهواء بدخول المرفأ أو نزول المطر . ولينصور الإنسان بعد ذلك ماذا كان يكون حاله لو أن ذلك الاضطراب استمر به طول الحياة . ١٩ .

إن الأرض كرة - أو كالكرة - تدور أمام الشمس من المغرب إلى المشرق دورة كاملة في اليوم حول محورها بمنع مع مستوى فلك دورانها حول الشمس زاوية قدرها ثلاث وعشرون درجة ونصف . هذا الدوران

والخطاب في آيتي : لقمان والنمل للناس كافة ، أما صير الجمع لقائب في آية الأنبياء . فراجع إلى (الذين كفروا) وفي الآية قبلها إذ يذكرهم الله بمجائب من آيات قدرته وحكمته حتى أن يؤمنوا به وحده : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ؟ » وجعلنا في الأرض رواسي أن تعبد بهم ، الآيات .

وأسرار الفطرة المنبئة إليها في الآيات الثلاث متعددة لكننا سنقتصر القول هنا على ما تعلق منها بالجبال ، ما كشف العلم الحديث عنه وما ينتظر الكشف . وأول ذلك ما في قوله تعالى : (أن تعبد^(٢) بهم) من إشارة واضحة إلى حركة الأرض ؛ فإن الذي يخشى منه أن يبعد ويضطرب هو الجسم المتحرك لا الساكن .

وحركة الأرض لم تكن معروفة للفسرين القدامى وإنما الأرض كانت عندهم ساكنة كما كانت عند الناس أجمعين حتى الفلاسفة . ولذا ودوا احتمال اضطراب الأرض إلى

(١) في القاموس : (ماء) : يجيد مينا وميدانا : تحرك وراغ .

والسراب اضطرب .

والرجل أساه غتيان ودوار من سكر أو ركوب البحر .

(١) عنه جادى الأولى ١٩٨٦ .

محور لا يضطرب ولا يميل إذا دار أو (دور)
حول ذلك المحور .

والأرض في الواقع لا تقيد ولا تضطرب
في دورها أو دوراتها المستمر حول محور
لها لا يتغير ولا يقبل ، فلا بد طبقاً لسنة الله
هذه أن تكون متناهية في الكتلة بالنسبة لهذا
المحور ؛ هذه نتيجة رياضية فيزيائية أظن العلماء
اكتشفوا بها فلم يحققوها عملياً لها يكتشف
تحقيقها من الصعوبات ، خصوصاً فيما يتعلق
بتوزيع كتل الجبال إذ معنى التماثل في الكتلة
أن أي مستوى يقطع الجسم ماراً بمحور التماثل
فإنه يقسم الجسم إلى قسمين متماثلين في الكتلة ؛
لكل جزء في أحد القسمين نظير في القسم
الآخر يساويه في الكتلة والوزن ، لا في
الحية والحجم .

لكن الله فاطر الأرض ومرتضى جبالها
ينبغي عباده في كتابه العزيز أنه أودى الجبال
فيها بحيث يتمتع ميدان الأرض واضطرابها .
فأول تفسير لهذا ، طبق سته سبحانه في الجسم
الدار غير المضطرب ، أن الجبال موزعة
في الأرض بحيث تماثل في الكتلة بالنسبة
لحركة الأرض اليومية . وهي نتيجة مجيبة
حقاً . فمن أعجب عجائب القدرة والإحكام ،
أن تماثل كتل الجبال الواقعة في شق
الأرض إذا انشقت في أي اتجاه بمستوى
بحر محور دورانها اليوم أمام الشمس .

المستمر حول محور ثابت يسمى في اللغة
دوراً^(١) ، وهو الأرض ثابت المقدار
والانجاء طبقاً لسنة الله كشف عنها (نيوتن)
فهو قانون من قوانين الحركة المفسوبة إليه
يقول : إن الجسم المتحرك لا تتغير حركته
في المقدار أو الاتجاه إلا بقوة تؤثر فيه من
حيث المقدار أو الاتجاه أو كليهما .

وقد صان الله الأرض ، منذ فطرها على
تلك الحركة اليومية ، من كل قوة عارضة كي
تدوم حركتها تلك إلى ما شاء الله ، أي إلى
إن يشاء الله طلوع الشمس من مغربها كما جاء
في الحديث الصحيح . إذ من الممكن في العلم
أن يحدث هذا = والشمس تهرى بمجموعتها
في الفضاء بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية - بأن
تقرب من نجم أكبر منها ينجلبها على الأرض
بالقدرة الذي يتغير به اتجاه حركتها اليومية ،
فيصبح من المشرق إلى المغرب بدلاً من
المغرب إلى المشرق فيصير المشرق مغرباً
والمغرب مشرقاً ، وعندئذ لا ينفع نفساً
إيمانها لم تكن آمنت من قبل كما جاء
في الحديث الصحيح .

وسنة ثانية في سبحانه يعرفها علماء حركة
الأجسام : إن الجسم المتماثل في الكتلة حول

(١) في اللاموس : دور السهم دوراً دار دوراتها
على الظفر وأدوت - الفازلة - للنزلة فظه هديداً
حتى كأنه واقف من دوراته .

كل من هذا له دخل فقد أشارت إليه الآيات
الكريمة بكلمة واحدة هي كلمة (رواسي)
التي سميت بها الجبال إذا تذكرنا الحقائق
العلمية التي ذكرتها في المقال الخامس عند
النظر في قوله تعالى (والجبال أوساما).

وعلى أي حال فقد نهت تلك الآيات
الكريمة إلى مجيبة من عجائب آيات الله
في القطرة تتصل بعيش الناس في الأرض
وعليها يتوقف مناوئهم فيه، وعلى علماء القطرة
أن يبحثوها، وأولام بذلك علماء القطرة
من أهل القرآن، فإن لم يفعلوا فسيقضي الله
شهم لبحثه والكشف عنه وفاء بوعده
سبحانه في قوله: (سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق). كما قد
حدث فعلا على أيدي علماء الفلك الحديث
بالكشف عن حريان الشمس في الفضاء وعن
الحركات الذاتية للنجوم، فكان في ذلك تفسير
لقوله تعالى: (والشمس تجري) من آية سورة
(يس) ولقوله تعالى: (كل في فلك يسبحون)
من الآية (٢٣) في سورة الأنبياء ٩.

محمد أحمد محمد

فهذا مجال واسع أمام علماء القطرة وعامة
من أهل القرآن، ليثبتوا عليها ولو في اتجاه
واحد أن الجبال ذات كتل مئاة بالنسبة
لهو دور الأرض، وهو عمل عظيم لا بد
من اشتراك الحكومات فيه لتكفل
ما يقتضيه من نفقات، ومن يقل: إن هذا ناتج
فقط من قانون عدم اضطراب الجسم الدوار
وإن فلا داعي لتحقيقه عليها إذا قامت دورته
الصورية، قلنا: كفى إجحازا عليها للقرآن
ودليلا كونيا على أنه من فطر القطرة وعالقي
الأرض بحسب قدر ولا تميز، أن القرآن
فيه مرة بعد مرة إلى هذه الحقيقة
النظرية الرياضية قبل أن يعرف العلم القانون
الذي ينتجها.

وقد يكون الأمر أعظم سرا حتى من هذا
قد تكون هناك عوامل ثانوية تعمل على اتزان
الأرض في حركتها اليومية حتى لا يفسد
بها الناس، مثل فعل حركة الجزء السائل
في جوف الأرض أثناء الدوران أو فعل
حركة مياه البحار على الصوامع، وما
أكثرها، إن كان لها أثر في مثل هذا، فإن

خسوف القمر للأستاذ علي الجندى

خسوف القمر يحدث من مروره في ظل الأرض ؛ ولا يقع هذا إلا عند الاستقبال أى عند ما يكون القمر بدراً ۱۱

والخسوف الكلى أندر من الخسوف الجزئى ، وأكثر الخسوفات يبدو لاكثر سكان الكرة الأرضية .

ويمكن أن يشاهد الخسوف كل المدة . وقد تشاهد بدايته ، وقد تشاهد نهايته . غير أن القمر لا يختفى تماماً عن النظر ، حتى في الخسوف الكلى ؛ وذلك بسبب انكسار أشعة الشمس بمرورها في طبقات الهواء السفلية حيث يتحلل النور ، ودوامة الانكسار واللون تترققان على كثافة الهواء في ذلك الوقت .

ويقول ابن منظور : وتقابل الشمس نصف القمر الذى يل الأرض ، إلا ليلة الخسوف فتحول الأرض بينهما فيجب القمر عن الشمس ، فيتخسف بظل الأرض . وأنت لا ترى فرقا بين قول ابن منظور العالم الفنوى الأديب ، وبين أحدث ما يقوله علماء الفلك في عهدنا هذا عن خسوف القمر ۱

فهم يقولون : إن ظل الأرض يتدور دائما إلى مسافة تقرب من تسعمائة ألف من الأميال فإذا اتفق ووقع القمر - وهو الجرم الوحيد - ضمن هذه المسافة في هذا الظل أثناء سيره حول الأرض ، حدث خسوف إما كان ؛ فإذا صادف ووقع كله في الظل ، شملته خسوف كلى ۱۱

ومن الغريب أن الشعراء عرفوا كثيراً من هذه الحقائق الفلكية الدقيقة العميقة ۱۱

عرفوا : أن القمر جرم معتم يستمد نوره من الشمس ۱۱

وفي ذلك يقول ابن المعتز :

يا مفرداً بالحسن والشكل
من دل عينك على قلى

البدر من شمس الضحا نوره
والشمس من نورك تسلي

ويقول المتنبي : وقد أخذه من ابن المعتز ، وكان كثير الأخذ منه على إنكاره النظر في شعر المحدثين ، كما يقول التتالي :

تكسب الشمس منك النور طامعة
كما تكسب منها نورها القمر

وعرفوا : أن الأرض تسبب الخسوف للقمر ؛ باعتراضها بينه وبين الشمس !!
وقد أشار إلى ذلك الشاعر القروي
المعاصر بقوله :

وفي ذلك يقول الشيخ تاج الدين المالكي :
مذواصل الخلل شمس الراح قلعه له :

الشمس لا ينبغي أن تدرك القمر
فقال - مستنفاً - : لو حيل بينهما

واقف الخسوف لبدر التمت مبتدرا
والأرض حاوت ألقى القمر ضاحكة

لأما الشمس أم تبكي ابنا القمر !!
ولكن ذلك ليس بعجيب من الشاعر القروي
فهو يعيش بين كشف العلم الحديث .
• • •

وصف القمر في الخسوف :
قال ابن الرومي :

يا من بخرته المسلال أما ترى
لقر الباء وقد بدا في المشرق

كخريدة نظرت إلى إلف لها
فتلثمت خجلا بكم أذيق

وقال نصر الدين بن يقوب ، وقيل :
أبو سعيد بن نصير :

كأنها البدر به الكسوف
جلم لطيف رائق نظيف

في نصفه بنفج قطيف
ومن التعليل الديدع للخسوف قول (صردر)

في طبيعة سوداء من جواربه :
علقتها سوداء مصقولة

سواد عيني صفوة فيها
جزء من الشمس ؛ فهو حفيد للشمس !!

وفي ذلك يقول الشيخ تاج الدين المالكي :
مذواصل الخلل شمس الراح قلعه له :

الشمس لا ينبغي أن تدرك القمر
فقال - مستنفاً - : لو حيل بينهما

واقف الخسوف لبدر التمت مبتدرا
والأرض حاوت ألقى القمر ضاحكة

لأما الشمس أم تبكي ابنا القمر !!
ولكن ذلك ليس بعجيب من الشاعر القروي

فهو يعيش بين كشف العلم الحديث .
• • •

وصف القمر في الخسوف :
قال ابن الرومي :

يا من بخرته المسلال أما ترى
لقر الباء وقد بدا في المشرق

كخريدة نظرت إلى إلف لها
فتلثمت خجلا بكم أذيق

وقال نصر الدين بن يقوب ، وقيل :
أبو سعيد بن نصير :

كأنها البدر به الكسوف
جلم لطيف رائق نظيف

في نصفه بنفج قطيف
ومن التعليل الديدع للخسوف قول (صردر)

في طبيعة سوداء من جواربه :
علقتها سوداء مصقولة

سواد عيني صفوة فيها
جزء من الشمس ؛ فهو حفيد للشمس !!

ما انكشف البدر - على نعمة ،

ونوره - إلا ليحكىها
لأجلها الأزمان أوقاتها

مؤدعات بليالها
وقول شاعر :

انظر إلى البدر في الخسوف بدا
مستلما لقضاء الله والقدر

كأنه وجه مصفوق أدل على
على صفاته فابتلاه الله بالقمر
وقول آخر :

من لم ير البدر لم ير العجا
في ليلة التم إذ رأى طربا
سار إلى الشمس كي يقبلا

فلم يحمدها فماد منتقبا
وفي التعري عن القعود دون النهاية يقول
شوق في سقوط الطائرة بأحمد حسنين :

هـ سرجك في السماء فإنه
سرج الأمل ما عليه غبار
عرض الخسوف له ما أزدى به

ما في الخسوف على الأمل عار
أو لم تظأ أرض السماء ولم تدر

حيث الشمس تدور والأفار
ويقول على شوق أحمد موطى وزادة
الأوقات سابقا :

وما أنا إلا البدر عاق سفوره
خسوف ولكن لم يفته من السير
• • •

طرائف الخسوف ١١

يقول القاضي كمال الدين الزمكاقي يداعب
إنسانا يسمى « بدر الدين » :

يا بدر دين الله ، صل مدقا
صوره جبك عود الخلال

لا تخش من عار إذا زوت
فما يخاف البدر عند الكمال

فما سمع بذلك الشيخ صدر الدين بن
الوكيل كتب إلى بدر الدين معارضا :

يا بدر لا تسمع مقال الكمال
فكل ما نطق زور محال
البدر يفتنى لنفسه في نفسه

وإنما يهضم عند الكمال ١١
وكان عبد الله بن ذرير الأندلسي مات

له جارية يهاها فبات عند حرجها ، وكان قد
عرف أن القمر سينسف فتظم بيتين ولحهما
حتى إذا كان قبيل الخسوف ، تقى فيهما
بصرته المشجى ، والحن يسوق الفوق
ويزجي ١١ وهما :

شقيقك غيب في الحدة
وتطلع يا بدر من بعده

لما خفت فكان الخسوف
حدادا لبس على قتله

فاستم الفناء حتى دخل القمر في الخسوف ١١
نمد ذلك من النوادر الغريبة ١١

على الجنى

زواج المتعة بين الشيعة والسنة

للدكتور عبد الفتاح محمود

هذا هو نص المصدر الأول . أما المصدر الثاني ، وهو البحر الزخار وصاحبه شيخي زبدي بتصل فكره بالإمام زيد عم الإمام جعفر الصادق فيقول : (الأكثر يحرم نكاح المتعة ، وهو المؤقت ثبته صلى الله عليه وسلم وعلى عليه السلام عنه)^(١) .

ويعود ابن المرتضى فيقول (وأما هـ - يا صا - ابن جريج - الإمامية ؛ فيجوزون نكاح المتعة) وقد حدث إلى تفسير الرموز فوجدت أنه يقصد ابن عباس الذي ومن إليه يحرف المعين ، والباقر الذي ومن له (يا) ، والصادق الذي ومن له (صا) وابن جريج معروف كإمامية من الشيعة ، والملة عندهم كما يروى البحر الزخار (فاستمتم به منهم فأتوهن أجودهن فريضة) .

أما المصدر الثالث ، وهو أحدث المصادر للشيعة فيقول : (وعن طريقنا الوثيقة عن جعفر الصادق عليه السلام أنه كان يقول (ثلاث لا أتق فيهن أحد : شمة الخبج ، وشمة الفناء والمسح على الخفين)^(٢) .

كان أول ما فوجئت به في الجانب الشيعي ثلاثة مصادر عامة قديمة وحديثة تبيح زواج المتعة ، وتوثق حجتها بسند من إمام الشيعة الأكبر جعفر الصادق (ت ٥١٤هـ) وسفرى أن الإمام الصادق قد أنكر هذا الزواج المؤقت وربطه بالانحراف ، والتحلل من الفسريع السليم . هذه المصادر الشيعية هي : السكافي السكيني ، والبحر الزخار لأحمد بن يحيى المرتضى ، وأصل الشيعة لكاشف الغطاء وهو أحدثها .

أما السكافي فيقول : (إن علياً والباقر والصادق قد أحلوا زواج المتعة . وأن الباقر سئل عنها فقال : أحلها الله في كتابه وسنة نبيه . نزلت في القرآن ، فاستمتم به منهم فأتوهن أجودهن فريضة ، فهي حلال إلى يوم القيامة . فقيل له يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ؟ فقال : وإن كان فعل . فقيل : إنا نفيك بأنه أن تحمل شيئاً حرمه عمر فقال : أنص على قول صاحبك ، وأنا على قول رسول الله) . كما يروى السكافي عن جعفر الصادق أنه قال : (ليس منا من لم يستحل متعتها)^(٣) .

(١) أحمد بن يحيى المرتضى : البحر الزخار ج ٢ / ٣٦٧
واظهر الدكتور أحمد أمين ضمن الإسلام ٢٥٨ / ٢٥٩

(٢) كاشف الغطاء أصل الشيعة ١٦٧ .

(٣) السكيني : السكافي : ٩٥ المخطوط .

في تفسير هذه الآية : (فاستمتعتم) قيل : المراد بالاستمتاع هنا دوك البغية ، والمباشرة ، وقضاء الوطر من اللذة . والمنى فاستمتعتم أو تلذستم من الفناء بالنكاح فأتوهن أجورهن أى مهودهن . وقيل : المراد : نكاح المتعة ، وهو المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم وهو مذهب أصحابنا الإمامية . والواضح أن لفظ الاستمتاع - وإن كان في الأصل واقفاً على الإمتاع والالتذاذ - فقد صار يعرف الشرح مخصوصاً بهذا العقد المعين ، لا سيما إذا أضيف إلى النساء ، فكل هذا يكون معناه : فحق مقدم عليهن هذا العقد المسمى متعة فأتوهن أجورهن . (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) قيل المراد به : لا حرج ولا إثم عليكم فيما تراضيتن به من استئناف عقد آخر يريد الرجل فيه الأجل ، وتزويجه المرأة في هذه ...

هذا هو تفسير الطبرسي الشيعي ، وقد أضاف المكاف وهو من أم المراجع الفيعية أيضاً إلى الآية الكريمة : فاستمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ، جملة زعم أنها عذوبة من القرآن الكريم فلق بها هكذا : فاستمتعتم به منهن - (إلى أجل مسمى) - فأتوهن أجورهن فريضة . خلاصة الرأي الشيعي : أن نكاح المتعة عقد لأجل طال أو قصر ، ولا توارث فيه ،

إن موقفنا في مناقشة هذه الآراء القديمة والحديثة ، يضطرنا بل يوجب علينا ، منهجياً الرجوع إلى المشكلة من جذورها وأصولها من القرآن ومفسريه من الشيعة والسنة ثم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحريمه لهذا النوع من الزواج بعد إباحته بثلاثة أيام عند فتح مكة . ثم تذكر المؤيدن والمعارضين والمتوقفين معتدين على رأى ابن عباس الذي وافق ثم عارض ، وكان في موافقته ومعارضته أدق المؤرخين المفسرين الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن ابن عباس نفسه ثم نذكر موقف الإمام جعفر الصادق الذي تجاهله الأندلسيون والمحدثون من الشيعة ، وفيه أهل السنة في حجبهم إزاء رأى الشيعة .

أصل الآية الكريمة^(١) (والمحصنات من النساء ، إلا ما ملكت أيمانكم ، كتاب الله عليكم . وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم عصفين غير مسالخين ؛ فاستمتعتم بهن منهن فأتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً) .

يقول الإمام الطبرسي^(٢) المفسر الشيعي

(١) الآية ٢٤ من النساء .

(٢) الطبرسي : مجمع البيان المجلد الثاني ٣٢ وانظر

فقه الإدلعية لابن القاسم الحلبي ٢٠٥ / ٢٠٦ .

أجود من أى مهود من (قريضة) حال من
الأجود بمعنى مفروضة ، أو صفة مصدر
مخوف أى إيتاء مفروضا . (ولا جناح
عليكم) فيما يزداد على المحسى أو يحط عنه
بتراض ، أو فيما تراضيا به من تفقة أو مقام
أو فراق .

وقيل : نزلت الآية في المنة التي كانت ثلاثة
أيام عند فتح مكة ثم قصفت ، لما روى أنه
صلى الله عليه وسلم أباحها . ثم أصبح يقول
بأيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء ، إلا أن الله حرم ذلك إلى
يوم القيامة . وجوزها ابن عباس ثم رجع
عن ذلك . (إن الله كان عليا حكيا) : عليا
بالمصالح ، حكيا فيما شرع .

وملخص وأى جهود المعارضين يؤكد
أن المقصود من الآية ليس زواج المنة ولا
وصفها بصفة الزواج ؛ لأن المفروض في
الزواج بمعناه الحقيقي أنه الدوام لا ذلك
النكاح المتقطع ، ولأن سياق الآية كلها في
الزواج . فالآية الكريمة ذكرت ما يحرم
من الزواج وما يباح ، وذكرت أن معنى
الاستمتاع يكون بعد النكاح ، أما دليل الشيعة
الذي يتسك به بلفظ الأجر ، فلا محل له لأن
الأجر قد ذكر في آيات كثيرة ترتبط بالزواج
لا بالمنة مثل . (فانكحوا من يافن أهلن ،

ولا يشترط أى شاهد ، ولا ضرورة فيه
لطلاق ؛ فانتهاه أجل العقد مع انتهاء المدة ،
والمنة حيثان لمن تبيض ، ونخمة وأربعون
يوما لمن لا تبيض ، ويمكن عند تجديد
العقد . ودليل الرأى الشيعي هو التعبير
القرآني بالاستمتاع أو المتعة دون
النكاح ، ثم التعبير بالأجر ، والمنة
عند إجماع على منفعة ، والأجر بمسند
الاستمتاع ، ولو كان زواجا دائما فإن المهر
بنفس العقد ، ويطلب الزوج بالمهر أولا ،
ثم يمكن من الاستمتاع . وهذا عند دليل
على جواز عقد المنعة . ولكن ماذا يقول
التفسير غير الشيعي ؟ يقول البيضاوي (١) :

وأحل لكم : قرأما حمرة والكسائي
وخص على البناء للعلوم (ما وراء ذلكم)
ما سوى المحرمات الثماني المذكورة ، وخص
عنه ما في معنى المذكورات كآثار محرمات
الزناح ، والجمع بين المرأة وعملها .
(أن تبتغوا بأموالكم عصفين) مفعول له ،
والمعنى أحل لكم ما وراء ذلك إرادة أن
تبتغوا بأموالكم بالصرف في مهود من ،
والإحصان المنعة فإنها تخصن النفس من
القوم والقباب ، والسفاح الزنا (فاستمتم)
فمن تمتم به منهم من عقد أو جماع فأتموهن

(١) البيضاوي : تفسير الآية المذكورة والبحر
الزاهر ٣٦٧ / ٣٦٨ .

حرم ذلك إلى يوم القيامة ؛ فمن كان عنده منهن شيء فليخل سيئها ، ولا تأخذوا بما آتيتوهن شيئا) .

وقد أكد صحيح^(١) مسلم أيضا أن محمد بن الحنفية روى أن أباه الإمام عليا بن أبي طالب قال لابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء . . . كما روى مسلم كيف نادى ابن عباس بالمتعة ، ثم نهى عنها في روايته التي تقول^(٢) (قال ابن شهاب : أخبرني عروة بن الزبير أن عبدا لله ابن الزبير قام بمكة يمرض بابن عباس قائلا : إن أنا ما أحمى الله فلو بهم كما أحمى أبصارهم يفتنون بالمتعة ؛ فتأذاه (ابن عباس) فقال : إنك لجلت جاب ؛ فلعمرى قد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين . فقال له ابن الزبير : لجر ببنفسك . فو الله لئن فعلتها لأرجنك بأصحابي) وتعود الرواية فتحكي كيف نادى ابن عباس إلى إنكارها بعد تأييدها فتقول : (إنما كانت المتعة في أول الإسلام ، وكان الرجل يقدم البلد ، ليس له بها معرفة ، فيزوج المرأة بقدر ما يرى أن يقيم تحفظ مشاعه ، وتصلح له شأنه ؛ حتى إذا نزلت الآية

وآتوهن أجورهن)^(٣) . أمر آخر خطير هو أن الآية الكريمة التي تقول (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم)^(٤) . هذه الآية تحدد في دقة أن الشريعة حرمت الجماع إلا بأحد شيئين : عقد نكاح ، أو ملك يمين ، والمتعة ليست هذا ولا ذاك ، ثم إن المتعة أيضا ترتفع بنهر طلاق ، ولا يجرى فيها توارث . أما كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، فإن ذلك مجمد في رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصها^(٥) (عن ابن عباس قال سمعت عمر يقول : والله لا أتاكم عن المتعة ولقد فعلها رسول الله) يعني العمرة في الحج لا متعة النساء ، وقد روى^(٦) مسلم بن الأكواع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد (رخص لنا عام ، أو طاس ، في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وراه مسلم) .

وعن سيرة ابن مبرد . قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ، ثم لم يخرج حتى نهاه عنه ، وأخرج مسلم وأبو داود والفساني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يأبى الناس إني قد أذنبت لكم في الاستمتاع من النساء ، وأن الله لا

(١) وانظر أيضا صحيح مسلم حديث رقم ١٤٠٤ -

١٤٠٧

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٤٧ باب ١٦ (باب

النكاح) .

(١) آية ٢٥ من النساء .

(٢) آية ٦٤ من (المؤمنون) .

(٣) ابن القتيبي البحر الزخار ٦٣٧ / ٦٣٨ .

(٤) صحيح البخاري حديث رقم ١١٨٩ .

وقد لاحظت أن الإمام الصادق يتفق مع
عمر بن الخطاب^(١) في قوله: إن المتعة زناً؛ فقد
روى عروة ابن الزبير أن خولة بنت حكيم
دخلت على عمر بن الخطاب فقالت: إن ريعة
ابن أمية استمتع بامرأة لحملت منه، فخرج
عمر يجر رداءه، وهو يقول عنه هي المتعة،
ولو كنت قد نسيت فيها رجعت، ولو أوتى
رجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجعت).

فإذا عدنا إلى كشف النظام العالم الشيعي
نجد يقول في جبرية محجية به: إنه متمسك بما
قاله المعصوم أولاً، وهو لا يخطئ، ولا يجوز له
أن يخطئ، أو يغير من رأيه، ثم يعود فيقول:
(ومن طرقنا الوثيقة عن جعفر الصادق
أنه قال: ثلاث لا أتق فيهن أحد: متعة الحج،
ومتعة النساء، والمسح على الخفين).

ولا ندري ولا يدري المنهج العلمي
ما الطرق الوثيقة التي يلزمها كشف النظام.
فلا يكشف لنا عنها؟ وهل في العقل أن نلزم
النبي صلى الله عليه وسلم بأمر أبيض اضطراباً
لضرورة كالميتة لا نحل إلا لاضطر كما يقول
ابن عباس؟ ثم حرمه الله بعد ذلك لما زالت
أحباب الضرورة؟ وهل ما هو مؤقت
يوجب الأبدية على أساس دعوة العصمة؟

(١) حوطاً ملك حيث ٤٢ وأظن أحد أمين
محي الإسلام ج ٣ / ٢٥٨ .

الكرامة (إلا على أنواجهم أو ما ملكك
أيمانهم : قال ابن عباس : فكل فرج حرامهما
حرام ، وقد أخرجه الترمذي أيضاً . فإذا
عدنا إلى الإمام جعفر الصادق إمام الشيعة
الأكبر فإننا لا نجد كما نزع أمهات المصادر
الشيعة يبيح هذا النظام من الزواج ؛ فقد
روى البيهقي عنه أنه سئل عن المتعة ؟ فقال
هي زنا بعينه . أي بعد تحريرها تحريراً
تاماً ؛ فلم يضلها الرسول ولا الخلفاء
الراشدون ، ولا الحسن ، ولا الحسين) .
(والمتعة صورة من البغاء وهذه كانت مباحة
في عصر الجاهلية إلى صدور الإسلام كآخر
وقد حرمها) (١) .

(وقد اعتمد (زفر) (٢) صاحب الإمام
أبي حنيفة على مبدأ ابن عباس الفائق بأن
المتعة كانت كالميتة لا نحل إلا لاضطر أقول :
إن صاحب أبي حنيفة اعتمد على هذا المبدأ
الخطير فأكده أن الشرط المنقطع يوجب
التحريم لموضوعه ، بمعنى أن كل شرط
شرط مدة لا يمتد ولا بد من قصد الدوام
ولهذا نهى الرسول عن ذلك كما نهى على
وابن عباس وجعفر الصادق .

(١) محمد عبدالغفار الهاشمي الشيعي : (أئمة الهدى
من آل بيت المصطفى ٣٠ - ٣٥ وأظن أيضاً عند
مرت حدود : المسعودي ٤٤٧
(٢) الجبر الزخاري ج ٢ / ٣٦٢ .

العجيب هنا قول الأستاذ مغنية أنهم يبيعونها ولكنهم لا يفعلونها . ولا شك أن هذا التوقف أخطر من الموافقة على إباحتها ، ولكن مادامت الإباحة قائمة بالفعل بالتبعية مباح قائم ، وإن ترم أو توقف فضيلة الأستاذ جواد مغنية في رأيه المعلق ، فإذا ذكرنا له ما رواه الجاحظ عن غلاة الشيعة في هذا الصدد أو تخفنا له خطورة توقفه في رأيه يقول الجاحظ (١) (إن جماعة من الرافضة الشيعة يقولون بالوقاية وطريقتها : أنه إذا احتلت امرأة أحدهم استعار امرأة غيره) ولا شك أن نظرية الوقاية تخرج شيعة دقيق لنكاح المتعة وهو ما دعا إليه كاشف الغطاء في قوله : إن المتعة أمر ضروري للسافر للتجارة ، أو طلب العلم عصمة له وقد نسي كاشف الغطاء أن تقعيد نظام المتعة يشبه تقعيد نظام البغاء وإذا كان البغاء نظاما مدنيا فالمتعة عنده وعند تابعيه نظام ديني كما نرى هؤلاء جميعا أن مبدأ التماسي مبدأ إسلامي أقوى أساسا للصوم والعمل بالنكاح المؤقت أو ضرورة الوقاية أو اتباع أخف الضررين الذين أكبرهما الزنا وأخفهما المتعة . وكلامهما حواء في الواقع رغم تقعيده نظام المتعة .

إن سيد المرسلين اجتهد في أمر أسرى بدر وزل القرآن بنير ما اجتهد ، فهل هذا ينقض من قدر الاجتهاد ؟ وهل العصمة بمفهومها الشيعي تمنع الاجتهاد ؟ أعجب ما في الأمر أن كاشف الغطاء (٢) يقول : (وكل منفعة لا ضرر فيها في عاجل ، ولا في آجل مباحة بضرورة العقل وهذا نكاح المتعة) ، ومن قال : إن ضرورة العقل تبيح كل منفعة لا ضرر فيها .

ولو سرنا وراء هذا المبدأ لخرجنا عن الحدود والواجبات الدينية والإضافية خرجنا على منهج الإسلام سواء بسواء . . . والعجيب أيضا أن أحد طائفتي الجاهل معاصرا هو الأستاذ محمد جواد مغنية وهو شيعة واضح بصره يقول (٣) : (إن الشيعة لا زالوا يقولون بإباحة المتعة ، ومع ذلك لا يفعلونها ، وما هي بشائنة في بلادهم . فلم تستعمل المتعة شيعة سوريا ولبنان والعراق ، والمنقول أن بعض المسنات في إيران يستعملنها) ،

(١) كاشف الغطاء : أصل الشيعة ١٧٠ / ١٧١ الطبعة المباشرة .

(٢) محمد جواد مغنية (رئيس المحكمة القومية في بيروت) الشيعة الإمامية ١١٤ .

(٣) (١) الاصفهاني : محاسن الأديان ١٤٠٢

التحقيق لتشبهها بفهم الواقع الفريزي ، بينما وجهة النظر الشيوعية غير مقبولة لاشكلا ولا موضوعيا لبعدها عن المنطق الإسلامى للتشريع الواضح الكامل ولا شك أن هذا المبدأ رغم اختلاف اتهاماته قد أعان على ظهور ما يسمى في القرن العشرين باسم زواج التجربة Trial Marriage حرصا على سلامة المجتمع من العقد النفسية كما يزعم بعض علماء النفس المقعدون لنظم زواج التجربة ، أو البغاء الرسمى أو زواج المتعة ، أو الزواج الخاص ، أو المؤقت أو ما يتواءم من كل هذه المصطلحات البعيدة كل البعد عن الروح الإسلامى أو المنهج الإسلامى الذى يملك برائته ومناهجه الذاتية والموضوعية كل مبادئه وفى الفرد والمجتمع

عبد الغفار محمود

وفد لا حطه بالرجوع إلى نظم الزواج قديما وحديثا أن هذا الزواج المؤقت عند القيمة يمانه ذلك الزواج المؤقت للفلاسفة ورجال الجيش في جمهورية أفلاطون رغم اختلاف الاتجاه والمصنف . فقد أباحه أفلاطون لاعتبارات عامة ترتبط بتحقيق مبادئه جمهوريته المثالية بينما أباحه القيمة للوقاية فقط عند الاعتقار في الحرب أو التجارة أو طلب العلم وباسم الدين ، وبينما كانت نظرية أفلاطون عامة قاصرة على الحكم والحراس ، فإن نظرية القيمة مطلقة دون أى قيد مكافئ أو ضمان أو دينى في الواقع . وربما كانت وجهة نظرية أفلاطون غير المسلم مقبولة حسب مبادئه جمهوريته ، وإن كانت في الواقع صعبة

بنو وهب

أعرق بنو وهب في الكتابة وأنجبوا ، وفهم يقول الطائي :

كل شعب كتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب
وكان الحسن بن وهب حسن الشعر والبلاغة . قال :

إبك ؛ فن أحسن ما في البكا أن البكا توجد تحليل
ومصر إذا أنت تأملت حزن على الحدين حلول

زهر الآداب ٣٨ ص ٦٤٤

فتوى "الإمام محمد عبد" في التأمين على الحياة

للأستاذ محمد الدسوقي

المذكور مع الربح الذي يتبع مما دفعه فهل ذلك يوافق شرعا ؟

الجواب : اتفاق هذا الرجل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكون من قبيل شركة المضاربة ، وهي جائزة ، ولا مانع للرجل من أخذ ماله مع ما أتجه من الربح بعد العمل فيه بالتجارة ، وإذا مات الرجل في إبان المدة ، وكان الجماعة قد عملوا فيما دفعه ، وقاموا بها التزموا من دفع المبلغ لورثته ، أو لمن يكون له حق التصرف في المال ، أن يأخذ المبلغ جميعه ، مع ما ربحه المدفوع منه بالتجارة على الوجه المذكور .

٢ - غير أن هناك فتوى أخرى نشرها

فضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي - رحمه الله - في مجلة الأزهر ، المجلد الأول ص ٦٧٩ ، ونفسها إلى الأستاذ الإمام ، وقد جاءت كالتالي :

السؤال : رجل يريد أن يتعاقد مع جماعة ، على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط متساوية ، ليعملوا فيه بالتجارة ، واشترط معهم أنه إذا قام بما ذكر وانتهى أن الاتفاق بانتهاء الأقساط المعينة ، وكانوا

١ - نسبت إلى الإمام محمد عبده فتوى في التأمين على الحياة ، يجوز فيها هذا النوع من التأمين : لأنه كما يرى : من قبيل شركة المضاربة ، وهي جائزة شرعا ، وهذه الفتوى صادرة بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣١٩ هـ ، وهي منقورة في مجلة الجماعة السنة الخامسة رقم ٤٦٠ ص ٥٦٣ هكذا :

فتوى شرعية

تأمين على حياة - جوارده - شركة مضاربة .
القاعدة الشرعية : عمل شركات التأمين على الحياة عمل مباح ؛ لأن اتفاق الشخص مع أصحاب شركة التأمين هو من قبيل شركة المضاربة وهي جائزة .

السؤال : سأل جناب مدير شركة (قومية) مترال ليف (الأمريكية) في رجل اتفق مع جماعة (قومية) على أن يعطيهم مبلغاً معلوماً في مدة معلومة على أقساط معينة للاعتماد فيما يبدو لهم فيه الحظ والمصلحة ، وأنه إذا مضت المدة المذكورة ، وكان حياً يأخذ هذا المبلغ مع ما ربحه من التجارة في تلك المدة ، وإذا مات خلالها تأخذ ورثته ، أو من يطلق له مال حياته أخذ المبلغ

قد عملوا في ذلك المال وكان حيا ، فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الأرباح ، وإذا مات في تلك المدة فيكون ثورته ، أو لمن يكون له حق الولاية في ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق موارثهم مع الأرباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يصكون مفيدا لأربابه ، بما يتجنى لهم من الربح جائز شرعا ؟

الجواب : أنه لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل ، وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة ، كان جائزا شرعا ، ويحوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والعمل في المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما يخصه من الربح وكذا يحوز لمن يوجد بعد موته من ورثته ، أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أتتبه من الربح ، ويضم من هذا النص أن المستأمن إذا مات قبل أن يؤدي الأقساط جميعها لا يأخذ إلا ما دفع من أقساط مع ربحها .

وثالثها : ما نشر في مجلة الأزهر لا ينطبق على نظام التأمين بأوضاعه القانونية الحديثة فهو صورة مضاربة وإن لم ينص على طريقة تقسيم الربح أو تحمل الخسارة أما ما نشر في الحمادة فإنه يأخذ شكلا من أشكال التأمين في أخذ المبلغ المتفق عليه ، وإن لم تؤد الأقساط جميعها .

٤ - ومع هذا فليس قويا نشر في الحمادة أو الأزهر دليل على مشروعية التأمين على الحياة كما هو اليوم ، لأن ما نشر في الأزهر لا علاقة له بهذا التأمين وهو كما أشرت صورة مضاربة ، وليس بين التأمين على الحياة والمضاربة المشروعة شبه كما يأتي بيان ذلك قريبا ، ولكن ما نشر في الحمادة ، هو الذي يمكن

قد عملوا في ذلك المال وكان حيا ، فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الأرباح ، وإذا مات في تلك المدة فيكون ثورته ، أو لمن يكون له حق الولاية في ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق موارثهم مع الأرباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يصكون مفيدا لأربابه ، بما يتجنى لهم من الربح جائز شرعا ؟

الجواب : أنه لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل ، وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة ، كان جائزا شرعا ، ويحوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والعمل في المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما يخصه من الربح وكذا يحوز لمن يوجد بعد موته من ورثته ، أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أتتبه من الربح .

٣ - ويلاحظ أن ما نشر في مجلة الأزهر ، يختلف عما نشر في الحمادة من وجوه :

أولها : ما نشر في مجلة الحمادة ، نص فيه على أن شركات التأمين على الحياة من قبيل شركة المضاربة وهي جائزة شرعا ، فيكون التأمين على الحياة جائزا ، على حين أن ما نشر في مجلة الأزهر ، لم ينص فيه على ذلك .

وثانيها : وردت في الحمادة ، العبارة جاز لثورته أو لمن يطلق له حق التصرف

في حالة حدوثها ؟ إنه كما هو معلوم يؤدي الأقساط وتصبح بعد أدائها ملكا للشركة تصرف فيها كيف تشاء ، وتستغلها بالطرق التي تراها مجدية لها ، وذلك في مقابل قيامها بدفع مبلغ التأمين المتفق عليه ، وقد يكون ذلك بعد أداء المستأمن قسطا أو قسطين مثلا فأين هذا من المضاربة التي تقوم على تبادل المنافع والتعاون ، وتهيئة مجالات الحياة الكريمة للعاملين ؟

إن طبيعة المضاربة تقتضي الإشتراك في الربح والخسارة ، وفي التأمين على الحياة لا مجال للخسارة بالنسبة لشركات التأمين ، فقد وضعت الشروط التي تمنحها الخسارة أو الضرر على حين يتعرض المستأمنون لأضرار بالغة بسبب تلك القوانين التي هي في صالح الشركات دائما .

هـ - وقد جاء في الفتوى المنسوبة للإمام محمد عبيد أن أخذ المبلغ جميعه مع ما ربحه المدفوع منه جائز ، فالدليل على هذا ؟ هل يمكن أن يكون ضريبا من التعاون والتكافل ؟ أو أنه وفاء بالتزام قد فرضه المؤمن على نفسه ولا مانع شرعا من الوفاء به ؟

إن شركات التأمين التجارية تعمل على تحقيق أرباح للساهمين ، ولا تكون ملزمة قبل المستأمنين بشئ . إلا طوعا لشروط وقواعد

أن يتخذ دليلا لحل هذا النزاع من التأمين ، لأنه حكم عليه بأنه من قبيل المضاربة ، وهي جائزة شرعا .

ضمم أن القول بأن التأمين على الحياة من قبيل المضاربة الشرعية غير صحيح ، لأن المضاربة كما عرفها الفقهاء عبارة عن عقد على الإشتراك في الربح على أن يكون رأس المال من طرف ، والعمل فيه من الطرف الآخر ، وقد صاحب رأس المال ، كما يتعدد العامل ، وأم شروطها أن يكون نصيب كل من الطرفين في الربح محددًا غير مجهول النسبة وأن يتحمل صاحب رأس المال الخسارة وحده إذا لم تكن بلا تعدد من المضارب (١) فهل نظام التأمين على الحياة يمكن أن يكون من قبيل المضاربة الشرعية ، وما أوجه الشبه بين هذه وذاك ؟ وهل يقوم المستأمن بدفع الأقساط للشركة على أن تعمل فيها ثم يتقاسم الربح ويتحمل الخسارة وحده

(١) أنظر مختصر المعاملات الشرعية للأستاذ علي الخفيف ص ٢٥٢ .

(٢) التأمين على الحياة : عقد تصد الشركة بمقتضاه - مقابل أقساط تد - بأن تدفع عند وفاة المؤمن على حياة مبلغ التأمين ، ويسمى التأمين في هذه الصورة - التأمين في حالة الحياة - أو تدفع مبلغ التأمين إذا بقي المستأمن -يا إلى تاريخ ميته - ويسمى - التأمين في حالة الحياة - (راجع التأمين على الحياة للدكتور عبد الوهيد محيي)

(٣) أنظر المصدر السابق .

الأجنبي قد وجد من المسلمين عروفا عنه ،
لارتياحهم ، وعدم اطمئنانهم دينيا إلى
ما يدعوم إليه ، فلم يجد وسيلة أجدى من
أن يعرض الأمر على المفتى ، وقدم سؤاله
إليه بصيغة لبقة ، فلم ترد فيه كلمة التأمين ،
ولذا لم ترد في الإجابة أيضا (١) ، وقد جاءت
الفتوى بحفظ لما يتطلع إليه المدير الأجنبي ،
فطار بها فرحا ، واتخذها ، كما اتخذها سواه
من أصحاب شركات التأمين ، سلاحا يجذبون به
العملاء ويرغبونهم في التأمين .

ولكن مع هذا لا قصد هذه الفتوى
- مع التلميح بصحتها - دليلا على حل التأمين
على الحياة ؛ لأنها اعتبرت من المضاربة
الشرعية ، وهذا غير صحيح ؛ لأن التأمين
التجارى نظام حديث بقوانينه ونظمه
وأهدافه ، ولا يشبه المضاربة في شيء ،
فلبست هذه الفتوى إذن سنداً لحل هذا
النوع من التأمين ، وإن زعم بعض فقهاء
التأمين (٢) أن الإمام محمد عبده قد دأب إلى
التأمين ؛ لأنه ليس بميزانه ، وأثره في الحياة
الاجتماعية والاقتصادية .

نظر المرسوقى

(ماجستير في الفريعة الإسلامية)
محرو بمجمع اللغة العربية

معينة ، وهو لا يقوم على التعاون لأن المستأمن
ليس عضواً في شركة التأمين ؛ لأنه لا يمكن
أن يكون عضواً في شركة هو فيها طرف
وهو طرف ، ومن ناحية أخرى لا تعد
هيئات تصاعد المحتاجين والمكروبين ،
ولأن عقد التأمين من ناحية ثالثة عقد
معاوضة يحصل كل حاقه فيه على مقابل
لما أعطاه انتفى - إذن - أن يكون ما تدفعه
شركات التأمين تبرعا أو تعاونا وإذا لم يكن
ماتدفعه هذه الشركات تبرعا ؛ فإن الالتزام بدفع
المبلغ جميعه دون أن يكون المستأمن قد أدى
الأنساط كلها ليس له سند شرعى ، وهو
صورة من صور المقامرة لأن أخذ المبلغ
- مع عدم دفعه كله - معلق على حصول أمر
مجهول للطرفين وقت حصوله ، فمضرة
المقامرة متوفرة في هذه الحالة .

٩ - وأخيرا لماذا كان السائل وجلا
أمر بكياء مدير شركة تجارية للتأمين ، وليس
وجلا مسلما يسمى لمرة حكم دينه في هذا
اللون من التعامل ؟

إن الذى لا ريب فيه أن هذا السائل
لا يجهل أن يحرص المسلمون على أحكام دينهم
وأن يأخذوا بها في أقوالهم وأفعالهم ، ولكنه
يرى من وراء ذلك إلى تحقيق مصلحته فقط ،
إن الغاية من سؤاله ، الحصول على تصريح
من المفتى - مرجع المسلمين في صرة شئون
دينهم - بشرعية تلك العملية ، إن هذا المدير

(١) أنظر مجلة إدارة قضايا الحكومة السنة
السادسة العدد الثالث ص ٩٤ .

(٢) أنظر مجلة القانون والاقتصاد مارس سنة ١٩٥٦ .

الدَّقِيرى وحياة الحيوان

للأستاذ محمد جاد البنا

بهرق مكثباتها ، وإطفاء منارات الفكر واللم بها - وكان لواما - كما رأى السلطان بيبرس أن تنتقل الخلافة عن بغداد إلى القاهرة التي عاشت عيشة هادئة نسبية ، والعلم لا يفرح إلا في ظل الهدوء والأمان . كذلك فإن من طبيعة الموسوعات - كما يقول أحمد أمين في ظهر الإسلام - أنها جمع لمتفرق وهي تحتاج إلى جد وصبر أكثر مما تحتاج إلى كبير عقل وهذا مظهر من مظاهر التقليد وعدم الاجتهاد .

ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن هذه الموسوعات وإن اتسمت بسمة النقول وجمع المعلومات دون ابتكار بالغ - استطاعت أن تحفظ الكثير من التراث الحضارى الذى كان لا بد من حفظه ودفع يد البلى من ذواته الحافظة ودوره النادرة ومصادرة الزمان في سبيل بقاء هذا التراث الضخم .

ومع أن الأزهر كان متألقا يرسل الضوء بعيداً في ذلك الحين فإن علماءه - وحكماءه - قصروا جهدهم وقتها على مجرد افتيا المنمية والاجتهاد المقيد . ولكننا لا نستطيع أن

الشيخ كمال الدين هلم من أعلام القرن الثامن الهجرى ، وإن كانت وفاته في مطلع القرن التاسع ٨٠٨ هـ ، مما جعل طائفة من المؤرخين والمترجمين يدسونه مع أعيان هذا القرن إلا أن الصواب غير ذلك ، فالرجل عاش زهرة عمره بين ملارب القرن الثامن تقرب منتصفه ٧٤٢ هـ ، وفيه تلقى العلم ومع أيامه ازدهر ، وفيه اقرن وأنجب وفيه أعطى غير ثمره فلا نعلم علينا إذن أن تلقى عاقبة من الضوء على النواحي الاجتماعية والسياسية والتيارات الثقافية والعلمية التى ما ج بها هذا القرن حتى إذا التقينا بالمترجم له كان اللقاء أليفا والمعرفة آكدة .

القرن الثامن الهجرى يسجل نهضة علمية شاملة نكاد نطلق عليها نهضة الموسوعية ، لكثرة المؤلفات الجامعة التى ولدت وتم فضجها زمان هذا القرن ، ولعل السبب الذى يفسر ازدهار هذه الحركة الموسوعية هو انتقال الرعاية العلمية والسياسية من العراق إلى مصر التى نهدت من حركة التخریب التترى بمد ما نكبت الحضارة الإسلامية في بغداد

من علوم الشريعة ، وممداد من التقوى
ووجاهة في الرأي والمنصب .

حلقات العلم إذن كانت تمتد في المساجد
والمدارس المنتشرة كالمنازل في المدن الكبيرة
بيننا (كتاتيب) حفظ القرآن الكريم
تقتصر كالأصناف الدقيقة في القرى والكشوف
والنجوم ، من بين هذه القرى كانت
قرية دمنورة - بفتح الدال وكسر الميم -
على شاطئ فرج من فرعي قنبر الخالد المسافر
لبنات البحر الأبيض عند دمياط ، وكانت
هذه القرية بما لها من حضارة قديمة تعج
بجمع حافل من العلماء والفقهاء والأشراف
والسادة فهي ترفع رأسها في غروبها على
القرى المجاورة لها في ذلك الحين لأنها
استطاعت أن تهدي إلى القاهرة نخبة من
رجال الفكر والعلم والحكم ، فهي التي أعدت
إليها بل إلى مصر كلها والعالم الإسلامي أجمع
، صاحب صني الدين الدميري ، المعروف
« بابن شسكر » الوزير العالم الذي اشتهر
بعزمه وحزمه وحسن سياسته وجليل عمله (١)

(١) ولد لصاحب صني الدين الدميري
سنة ٥٥٤٨ هـ ، وظل وزيراً للملك العادل ثم
لابنه الملك الكامل حتى مات في سنة ٦٢٢ هـ
قال المقرئ : وهو الذي أنشأ المدرسة
الصاحبية في القاهرة . الخطاط لعل مبارك
١١ / ٥٧ / ٦٠ .

نبخس الأزهر حقه أو نقطه فضله فلولاء
لصنعت علوم الشريعة ولجانت لغة القرآن
ولولاء لساد غلام الجبل آفاق الشرق العربي
والإسلامي الذي ظل لمدة طويلة من الزمن
ينهل من ينابيعه ويسهر في ضوئه .

ونحن ، وإن كنا لا نجهد للماليك بحكام
مصر والشام في ذلك العصر - فصلهم على العلم
وآيادهم على العلماء إلا أننا لا نستطيع أن
نغض النظر عن تهجينهم للشكايا والخرافات
والربط والزوايا التي أفسدت روح العلم
وصاعدت حل انتشار الأمراض الاجتماعية
بما أشاعت من صوفية عيياء انتشرت خلال
هذا العصر فأضلت أكثر مما هدت ، ولعل
السبب في ذلك الاتكال المريض والتكهن
لهذه الصوفية المشوهة أن الماليك كانوا
يمنون من وراء ذلك إلهام الشعب من
وضعه وتركه تحت رحمة الأقدار فعبث به
الخططات الحاكمة ففهم ستار من الدين ، والدين
من ذلك براء .

ذلكم كان بحال الحال في القاهرة العاصمة فإذا
عن الحال في القرى والأقاليم المصرية وقتذاك؟
الحق أن علوم الشريعة الإسلامية كانت
تنفوذ العقول وتسيطر على الأفتدة لأنها
كانت تمثل اللون الثماني في ثقافة ذلك العصر
فكنا نجد أسرة في القرية المصرية وقتها تملك
بيتاً من اليسار لم تبك بغير لها ليعتقه
في الدين وليتوقف بالعلم كي يعود إلى أهله براء

كان مولد كمال الدين الدميري في القاهرة أوائل عام ٧٤٢ هـ كما كتب ذلك بخط يده ، وكما هي العادة لم يعلم يوم مولده تحديدا شأنه في ذلك شأن كل العلماء الذين وقفوا فوق قمم العظمة والخلود يحفر يوم موتهم في القلوب والتواريخ والصخر البارد وينسى يوم مولدهم لأنهم يومها لم يكونوا عظما بعد .

ويبدو أن أسرة الدميري كلها كانت قد هاجرت إلى القاهرة لتكسب وطلب الرزق بعد أن أوشكت مصانع (النشادر) ، التي اشتهرت بها القرية والتي كانت مصدر وذن وفير لأهلها^(١) ، أن تنقل أبراجها ويتراكم ظل الإهمال حولها بسبب فساد الاداة الحاكمة . أو لعمل السبب الذي يفسر هجرة الاسره الدميرية من موطنها هو سوء حالة الفلاح

ولم لاترفع الدميرة^(٢) وأسبها في علو وكبرياء . ١٢
أليس هي منجبة الرجل الصالح التقى الورع الشيخ ، أبو تراب ، عبد الوهاب بن خلف الشهير ، بالخلف ، الذي مات في نهاية ٥٢٧ هـ^(٣) ثم هي تستمد مع منتصف القرن الثامن الهجري كي تقدم إلى القاهرة العاصمة بل إلى الإنسانية قاطبة هديتها الثمينة مثلة في ولدها النجيب محمد بن موسى بن عيسى بن علي الكمال أبو البقاء الدميري الأصل والنسب ، حقا إن دميرة لا تنكر أنه ولد في القاهرة ، والقاهرة أن تفخر بذلك وتمتد ولكن دون نظر القرية التي يعزى إليها أصله وفرعه والتي ما فقد يذكرها بالخبر طوال حياته حتى أنه تمنى يوم أن كرم في القاهرة أن يكون في موطنه المهيب بين المرتين^(٤) .

— وكفر دميرة القديم (من قرى مركز طنطا محافظة الدقهلية الآن) وقد كانت بلدة واحدة مكونة من دميرة القبلية ودميرة البحرية حتى تم انفصالها أخيرا أكابا في تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ .

(١) يقول علي مبارك : إن دميرة كانت مشهورة بصناعة النشادر وذكر في الخطط كيفية استخراجها وقتها وكيف كان يصدر إلى أوروبا وقال : إن هذه القرية كانت من القرى المستورة في ديار مصر .

الخطط ١١ / ٧٥ أميرية

[٦]

(١) دميرة : اسم فرعونى قديم لتلك القرية ، وليس عربيا ، وبسبب ذلك وقع النسب لها على لفظها فقيل : دميري بدون حذف الياء كما يجري في مدينة ... الخ ، ومضاهيها في لفظها : الأرض الحصينة .

(٢) قال صاحب معجم البلدان : وإليها ينتسب : أبو عسان مالك بن يحيى بن مالك الدميري ٨٥ / ٤ ، وى الخطط التوفيقية الحادى عشر ذكر طويل لشايعها فليرجع إليه من أراد .

(٣) الدميرتان ، هما قرينا : دميرة ، —

الأيام ما فتئت أن تساءلته هل خلق الفنى
 « لشد الخيط » ونظم الأبر « ؟ أم أنه هيء
 بطبعه وطموحه لئىء غير هذا ؟ إن داعى العلم
 يدهوه ورواد المعرفة تفتتق فى فؤاده
 ورواد الثور الإلمى تكاد تفتق من صدره ،
 واستجاب الفنى لداعى العلم وكان لابد له
 أن يستجيب والافن الفقه والاصول ١١٤

من للأدب والشعر وتلويع الحيوان ؟ من
 للمعرفة الموسوعية والتحقيق الدقيق والنظر
 الثاقب ١١٥

وسرعان ما حفظ القرآن الكريم وجوده ،
 وسرعان ما انقلب إلى الأزهر - جامعة الدين
 والدنيا فى ذلك العهد - ولزم الشيخ السبكى
 (بهاء الدين أحمد) ليأخذ منه الفقه الشافعى
 ولم يقتصر عليه وحده وإنما كان يتردد إلى
 حلقة السكالك أبو الفضل (التنويرى) وكان
 لواما عليه أن يتصل بحلقة برهان الدين
 (القوراطى) ليأخذ منه الأدب ويتردد على
 درس الهاء بن عقيل ليأخذ منه العربية .
 وهكذا صار يتنقل من حلقة إلى حلقة ومن
 أستاذ إلى أستاذ كالنحلة الدوب يلقت من
 هنا فائدة ومن هناك شاردة حتى امتلأ لها
 وقفا وفضلا وأدبا وظهرت عليه معالم النجابة
 ورواد التفوق ، ولكنه لم يفتتر بذلك
 ولم يتخذ مجلس الأستاذية الذى كان ينتظره
 فى الأزهر جامعته التى تخرج منها وإمام أدرك

المصرى آنذاك ؛ لأن الضلال التى كان يسقطها
 بحرق جبينه يذهب معظمها مخازن الدولة
 وأولى الجاه وأصحاب السلطان ، وقد أدى هذا
 الأمر ، كما ذكر صاحب الخطط ، إلى خراب
 القرى ، وتشرذم الفلاحين ، وهجرتهم إلى المدن
 يتسككون فى شوارع القاهرة وأزقتها
 لا يعرفون لهم مأوى .

ويذكر كذلك أنه حينما استقرت الأسرة
 المهاجرة فى القاهرة عملت بالتجارة ، أو اتخذت
 بعض الصناعات والحرف ، ولم أجد مؤرخا
 واحدا يذللنا فى وضوح على نوع هذه التجارة أو
 نوع هذه الحرفة لأن المؤرخين والمترجمين للشيخ
 الدميرى اقتصروا على تتبع حياته بينما تركوا
 الأبناء بعيدا عن حياة أبيه وأمه والى
 لوساطة عليهم لاستفدنا - نحن الدارسين -
 من ذلك فائدة جليله .

قال الرواة : حينما شب الفنى الدميرى عن
 الطوق ، وقارب سن النضوج كان لابد له وهو
 ابن الأسرة السكاكحة المهاجرة من عمل أو
 صناعة ليتكسب ويميش ، ورأى أمه أن
 والخياطة ، وهى مهنة رابحة فى ذلك الزمان ،
 فكفبه مؤنة الميش وساجدة الحياة ، فذهبوا به
 إلى « خياط » ليعلم ويجهز إذا هو أحسن
 صناعته وقد كان ما أرادوا فأجاد الغلام خياطة
 الملابس وتمكسب منها زمنا ، ولكن

قياساً على تذكرة داود وفي الموصولات الخاصة
كتاب (حياة الميراث) في جوين وعليه
سنقصر الحديث لأنه الكتاب الأحدث الذي
عثرنا عليه مطبوعاً من بين هذه الثروة العلمية
الضخمة والتي تحتاج إلى العناية من لجنة إحياء
التراث في وزارة الثقافة .

وقبل أن نلتفت إلى صحة حياة الميراث
يجب أن نلم بشيء من مجالس طه وفضله
وتقواه التي كانت تعقد بالقاهرة ومكة
والمدينة وجوف الكعبة فلقد تعلم كرمي
الاستاذية في الأزهر لمدة طويلة بعد أن عاد
من رحلته المسكية الأولى - وكان يذاكر الرواة
يفضل الطلاب في حلقاته الأزهرية هذه يوم
السبت غالباً ، وكان يدرس الحديث بأقبة
البيبرسية ، وكان يذكر الناس ويمطهم
بمدرسة ابن البرقي داخل باب النصر يوم
الجمعة . قال صاحب الضوء اللامع : وكان
يقيد في مجلسه هذا أشياء حسنة من فنون
العلم ، وكان يذهب إلى جامع الظاهر بالحسينية
بعد عصر الجمعة غالباً .

قال المقرئ في عقوده : ... صاحبه
سنتين ، وحضرته مجلس وعظه سراوا لإعجابي
به ، وأتقنتي وأقادت وكنت أسبه في الله
لسمته وحسن هديه وبجميل طريقته ومدامته
على العبادة لثقتي مرة فقال : ما زال المقرئ

بحاسة ابن القرية المهاجر أن لا بد من الرحلة
لأرض المعرفة : ما قام على الكتاب
والشاهدة ، والنظر والعمل ، قل سيروا
في الأرض فانظروا ، كان عليه إذن أن يطلب
الحق الثاني المتم لمعرفته والمكمل لتفانيه .
وكانت أولى رحلاته سنة ١٧٦٢ هـ إلى مكة

المكرمة ، لالجع وحده ، وإنما العلم كذلك
فهو لا يضيع وقتاً يستطيع أن يطلب فيه
مجلس علم فهو دائم التردد على حلقة الجلال بن
عبد المطلب ليقرأ عليه الترمذي كذا فهو
يطلب مجلس السكال محمد بن عمر بن حبيب
وعليه قرأ مسند أحمد . ثم عاد إلى حاشية
الأزهر بعد أن أدى فريضة الحج الأولى
وحاجة النفس العظمى فانسكب طه لغير
وانهل نبعه الفرو وأبشع حقله الخصب فأعطى
الحصاد الوافر والثمر الحلو في كل فن ومن كل
لون في الحديث - أعطى (الديباجة في شرح
سنن ابن ماجه) قال عنه حاجي خليفة في كشف
الظنون : إنه في مجلدات خمسة وإنه مات قبل
تحريره وتبيينه . وفي التوحيد والمعاني -
الجمهور الفريد في علم التوحيد - وفي الفقه
الشافعي - (النعم الواجب في شرح المنهاج)
النووي - وفي الأدب والشعر - أعطى (شرح
غاية الأرب في معرفة كلام العرب) وشرح
المعلقات السبع ، هذا عدا عتصر لشرح لامية
الحكم المفدى . وفي الفروع - تذكرة الدهري

سنة اثنتين وستين وسبعمائة وجاور بها حتى حج في السنة التي بعدها ثم تعددت زياراته وكثرت أوبائه حتى صار له طلبا ينتظرونه في مكة مثلا يقتضون إليه المريدون في القاهرة ولو ذهبنا مثلا ذهب صاحب القصور اللامع، في تعداد مرات سفره إلى مكة لطال بشا الوقوف وامتد بنا الأمد.

والذي يسنينا الآن أنه انفصل عن مكة سنة تسع وتسعين وسبعمائة لطل بالقاهرة يحاضر الطلاب في حلقات العلم ويذكر الناس في مجالس الوعظ ثم هو لا ينسى حين يعود إلى داره أن يلم بالقراطين فيجبر يياضها بتفاج فكره وفائض حقيقته وغزير عليه حتى طواه الموت فيمن طوى لثلاث ليال خلون من هادي الأولى سنة ثمان وثمانمائة من الهجرة وذكرت كتب تراجم المعتمدة أنه دفن بمقابر الصوفية المعروفة بومها بمقابر « سعيد السعداء » ويبدو أن زاوية صغيرة أقيمت على قبره وما زالت باقية حتى الآن بعد أن جددتها وزارة الأوقاف عام ١٣٣٤ هـ أي منذ ستين عاما . وبالزاوية . في حي الحسينية بالقاهرة - ضريحه المعروف بضريح سيدي محمد كال الدين البهيري الشهير « بالصواوي » إلا أن المسجد صغير مهتم لا يليق بقدر الرجل الذي اهتم به علماء الغرب ويستشرفوه فزجوا مؤلفه عن حياة الجيران (البقية على الصفحة التالية)

يروى - وأيت في المنام أن أقول لشخص : لقد بعد عهدي بالبيت العتيق ، وكثر شوق إليه فقال : قل لا إله إلا الله لفتاح العلم الرقيب المنان . نصار يكثر ذكر ذلك حتى حج في تلك السنة رحمه الله وعظ فأفاد وخطب فأجاد .

وقالوا عن نقواه الشيء الكثير في يروى عنه أنه كان أكرلا نهما في مطلع حياته فلما أخذته سبحات العبادة وتصبغ برداء التقوى صار بحيث يطبق متابعة الصيام . وكان له أذكار يواظب عليها وعنده خضوع وخشية وبكاء عند ذكر الله سبحانه . ويقول صاحب شذرات الذهب : « وكان ذا حظ في العبادة تلاوة وصياما وجماعة في الحرمين ويذكر عنه كرامات كان يخفيها وربما أحاطا على غيره . » والرجل لا يقتصر على مدارس القاهرة ومساكنها ودور عليها فهي وحدها لا تسكن فيمنه الفزير وإنما يطلب الرحلة العلمية من جديد لينبذ بعدما استعاد وليعطى مثلاً أخذ ، ثم هو كذلك في رحلاته هذه يلهم بصيرته الضياء والنماء والاكتمال وبعد الرجال إلى أم القرى مكة مرة بعد مرة حتى توثق بينه وبينها نسيبا وصهرا ؛ فلقد ناهل فيها بأم فاطمة ابنة (يحيى بن عباد الصنهاجي : المسكية والتي ولدت له) أم حبيبة وأم سلمة وعبد الرحمن وكانت أولى قدماته على ما أخبرت عنه زوجها ، في موسم

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

د. استاذ محب الدين الزواوي

- ٣ -

الدعوى ، صاحب كتاب ، حجة الله البالغة ، المعروف الذي يعد من أمهات المؤلفات العربية في القرن الثاني عشر .

وقد ولد الشيخ الإمام قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم ، الملقب بشاه ولي الله الدعوى ، في الرابع عشر من شوال سنة ١١١٤ هـ ، وكان جده الشيخ وجهه الدين المصري ، من كبار مشايخ (دلى) ، وقيل : إن نسبه يتصل بالإمام موسى الكاظم رضي الله عنه ، وبعد أن أخذ العلوم عن والده الشيخ

قدنا في العدد السابق بعض المؤلفات العربية القيمة لعالم الهندى الشيخ عبد الحى ابن عمر الدين الحنفى ، واستعرضنا نماذج من كتابه ، نزهة الخواطر ووجهة المسامح والنواظر ، في تاديج رجال الهند وأعيانها المسلمين في مختلف العصور ، وكذلك كتابه ، حجة المشرق ومطلع النور المشرق ، في جغرافية الهند وتاريخ الإسلام فيها . ونقدم الآن بعض المؤلفات العربية في مختلف العلوم ، الشيخ الإمام ولي الله بن عبد الرحيم

(بقية المنعقد على الصفحة السابقة)

سيرته التي ما زالت تهب الضياع تائهة في بطون المؤلفات والتراجم النادرة .

هذا عن الرجل أما الكتاب فهو دنا معه لقاء فاهم إن شاء الله ؟

محمد باقر

مهد البحوث والدراسات العربية النادرة

= وانتهى منه إلى حرف الفاء = نقل من كشف الظنون لحاجي خليفة الذي ذكر أيضا أن الحكيم شاه محمد القزويني ترجم حياة الحيوان إلى الفارسية وزاد عليه أشياء .

إلى لغات عدة واختصره وهذبوه واستفادوا منه (١) . ولا شك أن الشيخ الدميرى جدير بنظرة من الأزهر أو وزارة الثقافة أو وزارة الأوقاف فهو حقيق بإحياء ذكره وتجهيز ضريحه ومسجده وإلقاء بعض الضوء على

(١) في مجلة المشرق ١٥ / ٧٦٥ - أن الكولونيل ، جاينكار ، أحد أساتذة كلية (مباي) بالهند ترجم كتاب ، حياة الحيوان ، إلى الإنجليزية ووضع القسم الأول منه في لندن سنة ١٩٠٦ م والقسم الثاني سنة ١٩٠٨ م =

عنه الحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ إبراهيم بن الحسن المدني ، وعاد إلى الهند سنة ١١٤٥ هـ .

وكتابه (حجة الله البالغة) هو حجة تصانيفه في علم أسرار الشريعة وأصول الدين ولم يتكلم في هذا العلم أحد قبله على هذا الوجه من تأصيل الأصول وقصص الفروع وتبسيط المقدمات والمبادئ . واستحتاج المقاصد . ويعمد كتاباً مبتكراً في موضوعه وأسلوبه العلمي (١) . ومن نعم الله تعالى عليه أن أولاده أجمع بين العلوم والفنون الكثيرة والفصاحة في اللغة العربية والربط الخاص بالفنون الأدبية في النظم والنثر ، فإنه حاز علم تفهم القرآن وعلم الحديث والأثر مع حفظ المتن وضبط الأسانيد والنظر في دواوين الجامع والمانيد وعلوم الفقه على المذاهب الأربعة وأصحابها ، والاطلاع على ما أخذ المسائل ومنازع الحجة والدلائل ، وعلم العقائد وأصول الدين وعلم الحقائق وآداب السلوك .

وقد أثنى كثير من أجرة العلماء على الشيخ ولي الله الدهلوي وأولاده ومريديه الأجداد ، لما نفع الله بهم وبعلومهم في سبيل توطيد دكن علم الحديث في الهند وود كيد الشرك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ، كما شهدت بذلك كتبهم وقناوهم ، ومنهم شيخه أبو طاهر

عبد الرحيم ، وحصل له التبحر في علوم الحديث والفقه والتوحيد ، اشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فرحل إليهما سنة ١١٤٣ هـ ، ومعه عاله الشيخ عبيد الله البارهمي وابن عاله محمد عاشق ، وغيرهما من أصحابه ، فأقام بالحرمين عامين كاملين ، وحسب علماء الحرمين محبة علم وتحقيق ، وتلف على الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني في المدينة المنورة ، فتلقي منه ما بين قراءة وسماع ، صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن ابن ماجه ، وموطأ الإمام مالك ، ومسنن الإمام أحمد ، والرسالة الشافعي ، والجامع الكبير ، ومسنن الحفاظ الدارمي ، وسمعه من أوله إلى آخره في عشرة مجالس كلها بالمسجد النبوي عند الحراب العتيق تجاه القبر الشريف (١) .

وأجاز له الشيخ أبو طاهر الكردي والمدني إجازة عامة بما تميز به وعنه روايته من مقروء ومسروح وأصول وفروع وحديث وقديم ومخطوط ورفيم ، ثم ورد الشيخ ولي الله الدهلوي بمكة المكرمة ، وأخذ موطأ مالك عن الشيخ ، وقد أقره المالك المكي وحضر دروس الشيخ تاج الدين القليبي المكي ، وسمع عليه أطراف الكتب الستة ، وأخذ الإجازة عنه لسائر الكتب ، وأخذ

(١) أميد طبعه وتخريج في مصر مزاراً .

(١) نزعة الخواطر ج ٦ :

أن الزنادقة والملاحدة تسعوا في ذي الصوفية وتطاولت أيديهم بمبارات القرآن العظيم والأحاديث النبوية وكلمات المشايخ الكبار، وحلوا على غير المراد فضلوا وأضلوا فسكاد الزمان أن يكون شيئا بزمان الجاهلية فاقضى التدبير السكلي والحكمة الأزلية أن تظهر حقيقة الحقائق بالقدرة المفتركة الجامع بين علوم النبوة والولاية بل الجامع بين العلوم كلها مرة أخرى في مظهرها الثالث ليكون منحة لظهور حقائقها الجامعة المميزة بين العلوم ومراتبها فهو يتن قرائن ويدون قواعده يحصل بها الامتياز التام بين علوم النبوة والولاية بل بين العلوم المعتدة كلها من التفسير والحديث والفقه والكلام والتصوف والسلوك فيزل كل علم منزله ويبلغ كل عبارة وإشارة مبلغه وهو الكامل المسكول ، ذبذبة المتقدمين ، قدوة المتأخرين ، قلب المدققين ، الشيخ ول الله المحدث الدهلوي .

وتطاولنا في النقل مما كتب عن هذا المؤلف العظيم نية أن يكون بمثابة تعريف عاجل بطريقته الجديدة وأسلوبه الخاص في تحقيق أسرار الشريعة وغوامض العلوم العقلية والعقلية وتمييز العلم المنقول من الحرف المدخول وفرق السنة السنية من البدعة غير المرضية ، وتطهيرها من قذو أهل المعقول والهلوى .

محمد بن إبراهيم المدني حيث قال : إنه بسنده عن اللفظ وكنت أصح منه الحق ، أو كلة تعبه ذلك ، وكتبها فيما كتب له ، وهذا يقرب من قول البخاري في أبي عيسى حين قال له : ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت في ، وليس وراء ذلك مفسدة ترام ، ولا فوقها منقبة تنفي ، ومنهم الشيخ شرف الدين محمد الحسيني الدهلوي في كتابه (الوصية إلى الله) . ثم لها دونت علوم الولاية وقواعدها وقوانينها وتحققته النفوس السكاملة بأصولها وفروعها وغلبت على الاستمدادات المختلفة نتائجها وثمراتها ومرت الدعور والأعصار وتطاولت إليها أيدي الأنسكار اختلطت علوم الولاية بعلوم النبوة لعدة غموضها اختلاطا صعب معه التميز بينها ، بل اختلطت العلوم كلها من الفاضلة والفضيلة لاختلاط الناس عربهم وعجمهم ، ولاختلاف استمداداتهم وأمرجهم ولقارص العلوم وتداول الكتب بينهم فتيسر لكل واحد من الناس أن يحمل أي عبارة من أي علم شاء على وفق ذوقه بطريق من الاعتبار ويستدل بها على مدعاه وهو لا يدري أن حلها بطريق الاعتبار لا يتأتى به الاستدلال فاشتبه الأمر على نفوس المستعدين وتصر التحق لها بالعلوم على حيا لها فأصيبت المصيبة واستطارت البلية إلى كل الجهات حتى

ومن مؤلفاته في التفسير : « الفوز الكبير
في أصول التفسير » ذكر فيه العلوم الخمسة
وتأويل الحروف المقطعات وحقائق أخرى ،
و « الفتح الحبيب » واقتصر فيه على غريب
القرآن وتفسيره بما روى عن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما ، وتأويل الأحاديث
في توجيه قصص الأنبياء الواردة في القرآن
وبيان مبادئها التي نهأت عن استعلاء النبي
وقاطبة قومه ومن التبهر الذي دبرته الحكمة
الإلهية في زمانه . وفي الحديث : « المنصق
شرح الموطأ » برواية يحيى بن يحيى الليثي مع
حذف أقوال الإمام وبعض بلاغياته ،
وتكلم فيه كلام المجتهدين . « والمسوى شرح
الموطأ » واكتفى فيه هل ذكر اختلاف
المذاهب وعلى قدر من شرح الغريب .

ومن أم كتبه في التصوف ولطائف
النفوس كتابه « التفهيمات الإلهية » ومن أطرف
ما ورد فيه قوله : « ومن نعم الله على ولائنا
أن جعلنا ناطق هذه الدورة وحكيمها وقائد
هذه الطبقة وزعيمها فنطق على لسان ونطق
في نفسي فإن نطقنا بأذكر القوم وأشغالهم
نطقنا بمجامعها وأتيت على مذاهم جميعا ،
وإن نسكمت على نسب القوم فيما بينهم وبين
ربهم زويت لي مناكبها وبسطت في جوانبها
ورافقت ذروة سنامها وقبضت على مجامع
خطامها ، وإن خطبت بأسرار الطائفت
الإفسانية تعرضت قاموسها وتلست ياغوسها

ومن مؤلفاته في التفسير : « الفوز الكبير
في أصول التفسير » ذكر فيه العلوم الخمسة
وتأويل الحروف المقطعات وحقائق أخرى ،
و « الفتح الحبيب » واقتصر فيه على غريب
القرآن وتفسيره بما روى عن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما ، وتأويل الأحاديث
في توجيه قصص الأنبياء الواردة في القرآن
وبيان مبادئها التي نهأت عن استعلاء النبي
وقاطبة قومه ومن التبهر الذي دبرته الحكمة
الإلهية في زمانه . وفي الحديث : « المنصق
شرح الموطأ » برواية يحيى بن يحيى الليثي مع
حذف أقوال الإمام وبعض بلاغياته ،
وتكلم فيه كلام المجتهدين . « والمسوى شرح
الموطأ » واكتفى فيه هل ذكر اختلاف
المذاهب وعلى قدر من شرح الغريب .
و « شرح تراجم الأبواب لبخاري » وأتى
فيه بشحقيقات دقيقة وغريبة و « النوادر
من أحاديث سيد الأوائل والأواخر »
و « الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين » .
و « الإرشاد في مهمات الإسناد » و « إنسان
العين في مناقب الحرمين » و « كتاب
الأربعين » وجمع فيه أربعين حديثا من
أحداث الأحاديث النبوية ، رواها عن شيخه
أبي طاهر بسنده المتصل إلى علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه .

وفي أصول الدين وأسرار الشريعة :
كتاب « حجة الله البالغة » المذكور ، في علم

وقبضت على جلايتها وأخفت بتلايتها ،
 وإن تمطيت ظهر علوم النفس وبهايتها ،
 فأنا أبو عذرتها آتيم بمصائب لا تحصي
 وغرائب لا تكتنه ، ولا اكتناها يرجى ،
 وإن بحثت عن علم الشرائع والنبوات
 فأنا لست هربها وحافظ جريتها ، ووارث
 خزائنها وباحث مغائنها ، (١)
 وروى في كتابه المقامات ، الشيخ غلام
 علي العلوي الدهلوي : « أن الشيخ ولي الله
 ابن عبد الرحيم قد بين طريقة جديدة وله
 أسلوب خاص في تحقيق أسرار المعارف
 وغوامض العلوم وأنه وباني من العلماء ،
 ولعله لم يوجد مثله في الصوفية المحققين الذين
 جمعوا بين علمي الظاهر والباطن ، وتكلموا
 بطور جديدة ، إلا رجال محدودون .
 ومن مؤلفاته بالعصر العربي : أليبيب النغم
 في مدح سيد العرب والعجم ، ويتم منه نبوغه
 في الشعر أيضا في رقة الأسلوب وصفاء المعنى
 ونحسب الخيال ، وفيما يلي إحدى قصائده
 العربية ، في مدح الرسول العربي :
 كأن نهوما أو مضت في القياب
 هيون الأكامي أو رموس القارب
 إذا كان قلب المرء في الأمر خائرا
 فأخيق من تميم وحب الباسب
 وتغفلني عني وعن كل راحي
 مصائب تنفرو مثلي في المصائب
 (١) نزهة الخواطر ج (٦) .

إذا ما أثنى أذمة مدحمة
 تحيط بنفسي من جميع جوانب
 تطلبت حل من تاجر أو مساعد
 ألؤذه من خوف سوء العواقب
 قلست أرى إلا الحبيب محمدا
 رسول الله الخلق جم المنائب
 ومستمع المكروب في كل عمرة
 ومتتبع الضفائر من كل جانب
 ملاذ عباد الله ملجأ خروهم
 إذا جاء يوم فيه شيب الخواب
 إذا ما أتوا نوحا وموسى وآدا
 وقد عالم أبصار تلك الصعائب
 فما كان يفتي عنهم عند هذه
 نبى ولم يظفرهم بالمآرب
 هناك رسول الله ينهوا ربه
 شفيها وقناحا لباب المواهب
 فيرجع مسرورا بنيل طلاه
 أصاب من الرحمن أغل المراتب
 سلاة إسماعيل والصرق نازع
 وأشرف بيت من لؤي بن غالب
 بدارة عيسى والذى عنه عسبروا
 بقدة بأس بالضمرك المحارب
 ومن أخبروا عنه بأن ليس خلقه
 بفظ ، وفي الأسواق ليس بصاحب
 ودعوة إبراهيم عند بنائه
 بمكة بيتا فيه نيل الرغائب

ويا ويل قوم حرفوا دين ربهم
وأقنوا بمصنوع لحفظ المخاصب
ويا ويل من أطرى بوصف نبيه
فصلاه رب الخلق اطراء عائب
ويا ويل قوم قد أباء قنوسهم
تكلف تزويق وحب الملاعب
ويا ويل قوم قد أخف عقولهم
تجبر كسرى واصطلام الضرائب
فأدركهم في ذاك وحده وهنا
وقد أوجبوا منه أشد المعائب
فأرسل من طيا قريش نبيه
ولم يك فيما قد بلوه بكانب
ومن قبل هذا لم يخاطب مدارس ال
جود ، ولم يقرأ لم خط كاتب
فأوضح منهاج الهدى لمن اعتدى
ومن بتعليم حل كل راضب
وأخبر عن بدء السبيل لم وعن
مقام غوف بين أيدي المخاصب
وعن حكم رب العرش فيما بينهم
وعن حكم تروى بحكم التجارب
.....
وقد توفى المؤلف الشيخ الإمام دلى الله
السلوى في شهر المحرم عام ١١٧٦ هـ بمدينة
دلى فدفن بها إلى جوار ضريح والده العظيم
طيب الله ثراها ، وجزاها خيرا على ما قدماء
من خدمات في سبيل العلم والدين . ٩

(يتبع) بحسب الميسر المرقوم

جبل الحيا أبيض الوجه ربة
جليل كراديس أزج المخاصب
صحيح مليح أدمج العين أشكل
فصح له الأعلام ليس بقائب
وأحسن خلق الله خلقا وخلقة
وأفضلهم للناس عند التواب
وأجود خلق الله صدرا ونائلا
وأبسطهم كفا على كل طالب
وأعظم حشر للعالم نهضة
إلى الحمد سام المظالم خاطب
ترى أجمع الفرسان لاذ بظاه
إذا احمر بأس في بئس المخاصب
وآذاه قسوم من سفاقة عقلم
ولم يلعبوا من دينه بمذايب
وما زال يدعو به لهدام
وإن كان قد قامى أشد المخاصب
وما زال يهفو قادرا من مستهم
كما كان منه عند هيفة جاذب
وما زال طول العمر له مرحاضا
من البسط في الدنيا وعيش المزارب
بديع كمال في الهاني فلا ارؤ
يكون له مثلا ولا بمقارب
أنا مقيم الدين من بسد قرة
ومحريف أديان وطول مشاهب
يا ويل قوم يشركون برهم
وفهم صنوف من وخيم المثالب
ودينهم ما يفكرون برأيهم
كتمريم حام واختراع السواب

الإمام ابن حزم

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

٣٨٤ - ٤٤٦ هـ

التكامل الاجتماعي التي اعتمد فيها على القرآن والسنة ، والتي تجعل له السبق في هذا المضمار .

• من هو ابن حزم ؟

هو الإمام الحافظ المجتهد المناقد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (١) بن غالب ابن صالح بن خلف بن ممدان بن سفيان ابن يزيد مولد يزيد بن أبي سفيان بن حرب ابن أمية بن عبد شمس الأموي ، وهو من أئمة الظاهرية ، وصاحب كتاب ألف الممتعة المفيدة ، وذر النفس الطويل في كل ما يمرض له من بحوث وماتل ، وأحد علماء الأندلس الإسلامية .

وأصل أجداده من بلاد فارس فهو فارسي الأصل ، وجدده يزيد أول من أسلم من أجداده ، وجدده خلف أول من دخل الأندلس منهم ، ولعله كان من جنود الفتح الإسلامي لهذه البلاد ، وكان أبوه وزيراً جليلاً كبير الشأن يلاذ الأندلس وذر في عهد

(١) لحزم ليس بأبيه ولكنه جد أبيه واسكن اشتهر بالنسبة إليه .

في تاريخ الإسلام رجال كثيرون ، صنمهم الإسلام بثقافته ، وسامحوا في الثقافة الإسلامية الأصلية أيما إسهام ، وشاركوا في الحياة العقلية ، والترات الإنسانية مشادة نستحق الإكبار والإعظام ، وتركوا ثروة من المؤلفات والموسوعات التي لا تزال ذات تأثير في الثقافة المعاصرة ، بل منهم من سبق إلى أفكار ومذاهب تشريعية واجتماعية وأخلاقية لم يعرفها الغرب إلا في العصور الأخيرة ، ما يشهد للعقلية الإسلامية والعربية بالخصوبة ، والإنتاج ، والابتكار .

وعبروا في باب الحرص على المسلم والمعرفة ، وتحمل الحقائق في سيطرتها مثلاً عليها تعتبر مضرة من مفاخر المسلمين والعرب ، بل منهم من أثر العلم والبحث عن الحقيقة على الوداعة والرياسة . من هؤلاء العلماء الأفاضل الإمام : أبو محمد ابن حزم ، وستخرج له ترجمة موجزة ولكنها مركزة انتعرف شيئاً من ملاح هذه الشخصية الفذة ، ثم نعرض بعد ذلك لقرائنه التي تعتبر من ذخائر الإسلام وكنوزه القيمة ، والتي كونت لبنات في بناء التراث الإنساني ، وآدائه في باب

والصكد والتصب على الراحة والسكل ،
والعلم على الوزارة ، والمجد الباقي على المرض
الزائل ، وهو مثل من الأئمة الفريدة ،
في تلويح الدنيا .

أحداث أثرت في حياته :

ويذكر الإمام النجدي في تذكرته أحداثاً
وقعت له أثرت في حياته واستحثته على البحث
والعلم ذلك أنه قدم (بنفسه) فوجد فيها مجلس
علم ، فصار يسمع ويتعجب ثم سأل الحاضرين
عن شيء من الفقه ، فأجيب عنه ، فاعترض
عليه ، فقال له بعض الحاضرين : هذا العلم
ليس من متحلاتك ، فخر عليه هذا وأقبل
على العلم ولقاء الأشياء ، ولم تحض إلا مدة
وجيزة حتى قصد إلى ذلك الموضع الذي نبيل
منه فيه ، فنأظر أحسن مناظرة قال فيها :
أنا تبع الحق ، واجتهد ولا أتقيد بمذهب .^(١)

ويذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المغربي
عن ابن حزم أن حبيب تعلمه الفقه أنه شهد
جنازة فدخل المجلس جلس ولم يركع وكتم
فقال له رجل : قم فصل تحية المسجد ، وكان
ابن سبع وعشرين سنة قال : قمصت وركعت
فلا وجعنا من الجنازة جثت المسجد فبادرت
بالتحية ، فقال لي : اجلس ، اجلس ، ليس
ذا وقت صلاة يعني بعد العصر فانصرف
حزينا وقلت للأستاذ الذي وباني : دلي على

النصوري محمد بن أبي عامر (١) الذي استأثر
بالسلطان في عهد الخليفة هشام الثاني
(٣٦٦-٤١٣ هـ) .

نشأته وحياته

لئن كانت بغداد بلد العلم والخلافة في الشرق
الإسلامي العربي ، فقد كانت قرطبة بلد العلم
والخلافة في الغرب الإسلامي العربي ، وقد
بقى البلدان بهذه المثابة بضعة قرون فكم نخرج
فيهما من فقهاء ومفسرين ، وعلماء ومكتفين
وأدياء ، ونحويين ، ولغويين ، وحكام ،
وفلاسفة ... وفي قرطبة ، وعلى التحديد ،
في الجانب الشرقي منها ولد ابن حزم ، وكانت
ولادته في رمضان سنة أربع وثمانين
وثلاثمائة من الهجرة ، وقد نشأ في مطارف
النعم والجلاء والآية حتى قيل فيه : « كان
أولاً يلبس الحرير ، ولا يرضى من المكاة
إلا بالسري ، ولا يحب فقه كان يته بيتي
علم ووزارة وقد كان أبوه وزيراً للنصور
محمد بن أبي عامر ، ووزر هو للمستظهر
بألف عبد الرحمن بن هشام مسدة ، ثم نبذ
الوزارة ، وأقبل على علوم الإسلام فنال
ما لم ينله أحد (٢) ، وهكذا نرى أن
ابن حزم صرف عن حياة الدعة والخلول ،
وزهد في الدنيا ومناصبها وآثر البحث

(١) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٢٣ .

(٢) المرجع السابق

(١) التذكرة ج ٣ ص ٣٢٤ .

في هذه العلوم في القرون الأولى ، وإن كان المحدثون أشد تطبيقاً لأصول الرواية في الإسلام من غيرهم ، وأكثر تدقيقاً فيها من غيرهم ، لأنهم يدعون أنهم يروون السنة ، وهي الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام .

فلا تعجب إذا كان ابن حزم أخذ العلم عن كثير من الفيوخ والأساتذة منهم أبو عمر أحمد بن الحسين ، ويحيى بن مسعود بن وجه الجنة ، ويوسف بن عبد الله القاضي ، وحام ابن أحمد القاضي ، وعبد الله بن ربيع التيمي ، وعبد الله بن محمد بن عثمان ، وأبي عمر الطليسي^(١) ، وأخذ المنطق عن الفصح محمد بن الحسين المذحجي القرطبي المعروف بابن المكثاني ، وكان أدبياً شاعراً طيباً ، له في الطب رسائل ، وكتب في الأدب^(٢) .

وأخذ منه العلم تلاميذ كثيرون من مشاهيرهم : الحافظ أبو عبد الله الحميدي ، وقد أكثر من الأخذ عنه ، وابنه أبو رافع ، وكان ابنه هذا صرياً فاضلاً ، وكان في حجة المعتمد بن عباد صاحب « أشيلية » ، وغيرها من بلاد الأندلس ، وكان له مع المعتمد هذا موقف كريم مما زاده كرامة وجبا عنه^(٣) ،

دار الفقيه أبي عبد الله بن دحرون ، نقضته وأحلتها بما جرى على ، فدلت على (الموطأ) فبدأت عليه قراءة ، ثم تابعت قراءتي عليه وعلى غيره ثلاثة أعوام ، وبدأت بالمناظرة^(٤) .

ولعل في هذه القصة عبرة لكثيرين من أهل العلوم الدينية وأرباب الجلاء والسلاطين الذين لا يعلمون من أمور دينهم ، وهولوم الشريعة ما يصححون به عباداتهم ، ويعرفون الحلال من الحرام فيتزودوا من علوم الإسلام بما ينأى بهم عن الخائب والخطأ ، إن لم يبلغوا ما بلغ ابن حزم من مرتبة الفقه والاجتهاد .

• شيوخه وتلاميذه •

من خصائص علماء الإسلام ولا سيما علماء الرواية والحديث أنهم لا يأخذون العلم إلا من الفيوخ ، والتلق من الأقواء ، لأن ذلك أدعى إلى الضبط والتركيب ، وأبعد من الخطأ والتصحيف ومن المعروف عند المحدثين قولهم : لا يؤخذ العلم من الصنفين ، أي الذين يأخذون الحديث من الصحف ، ولا يعتمدون في الرواية على التلق الشفاهي ، وقد أخذ بهذا الأصل الذي يعتبر من قواعد علم أصول الرواية ، غير المحدثين من علماء التاريخ ، واللغة ، والأدب في العصور الأولى كما تجد ذلك واضحاً في الكتب التي ألفت

(١) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٦ .

وآخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن
شرح بن محمد .

، حفظه الحديث وقته ،

وكان أبو محمد بن حزم حافظا للحديث ،
حالا بعلومه وقته ، مستنبطا للأحكام من
الكتاب والسنة صاحب اجتهاد ، واستقلال ،
ورأى ، وقد كان مبدأ أمره شافعي المذهب ،
ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر ، ونفى
القول بالقياس ، وتمسك بطواهر القرآن
والسنة وحموها ، والبراءة الأصلية حتى صار
من أشهر أئمة الظاهرية بمدة أود الظاهري .
، سعة علمه وتفنته .

وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ ،
وسعة الدائرة في العلوم ، ولم يقتصر عليه
على الحديث وحفظه ، والفقه واستنباط
الأحكام كما هو الشأن في كثير من علوم
الحديث والفقه ، ولكنه تفنن في علوم
أخرى كالمنطق ، والفلسفة ، وعلوم اللغة
والبلاغة والأدب ، والمعرفة بالسيرة والأخبار
حتى قال تلميذه أبو عبد الله الحيدى :
ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة
الحفظ ، وكرم النفس والتدين ، وما رأيت
من يقول أقصر على لبديته أسرع منه ،
ثم قال أخذني نفسه :

لئن أصبحت مرغلا بجسمى

فروحي عندكم أبدا مقيم

ولكن البيان لطيف معنى
له سأل المعانيه السليم
وله أيضا في المعنى :

يقول أخى : شباك وحيل جسم
ودروحك ماله هنا وحيل
فقلت له : المعاني مطلق
لذا طلب المعانيه الخليل
وقال ابن بشكوال في حقه : كان أبو محمد
- يعنى ابن حزم - أجمع أهل الأندلس قاطبة
لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع ترويه
في علم الحسان ، ووفور حظه من البلاغة
والشعر والمعرفة بالسيرة والأخبار .

فلا تعجب إذا كان ولده أبو رافع الفضل
ابن أبي محمد قال : إنه اجتمع عنده بخط أبيه
من تأليفه نحو أربعائة مجلد تشتمل على قريب
من ثمانين ألف ورقة (١) وهذا يدل على
التفاني في سبيل العلم ، وعدم إضاعته دقيقة
من العمر في غير النافع ، وهذه القصص تذكرني
بما ذكر عن الإمام العلامة محمد بن جرير
أبي جعفر الطبري من أنه مكث أربعين سنة
يكتب كل يوم أربعين ورقة (٢) ، وكذلك
نقل عن كثير من أئمة العلم في الإسلام نحو
هذا ، وهي مثل مشرفة ، وقم حليا بنهني أن

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢ .

بداية ونهاية ج ١٢ ص ٩١ .

(٢) أعلام المحققين للكتاب ص ٢٩٣ .

والعمل بعلمه قال ابن خلكان : « كان مفتتاً في علوم جمة ، حاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك ، متواضعا ذا فضائل جمة ، وقال الحافظ القناد أبو عبد الله الذهبي : « كان صاحب قنون فيه دين ونور ، ونهر الصدق ، وتزهد » .

وقد تعرض ابن حزم في حياته لمن وقته بكثرة بسبب صلابته فيها يعلم أنه حق ، واعتداده بنفسه ، ونيله من بعض العلماء الكبار ، واختلفت آراء العلماء فيه ما بين من مؤيد ، وشاق ومعارض ، وهو ما تعرض له في المقال الآتي إن شاء الله تعالى .

رحمه الله أبو شامة

يحتفيها في حاضرنا ورجال العلم ، وشباب الطلاب في الجامعات والمعاهد ، ليصلوا حاضرنا بمحاضرات الواهر ، ويحيوا ما درس من هذه المثل العلمية الرقيقة .

وقد أتني عليه بالتوسع في العلوم والفنون صاعد بن أحمد ، وبالحفظ وسيلان الدهن تليذه الحيدى ، والإمام أبو حامد الفزالي قال : وجدته في أسماء الله الحسنى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه (١) .

و أخلاقه وزهده :

كان ابن حزم يجمع إلى العلم الخلق ، والتدين الصادق ، والزهد في الدنيا ومناصبها ،

(٢) التذكرة ج ٢ ص ٢٢٢ .

عظمة حكميم

قال الأصمعي : بلغني أن بعض الحكماء يقول : إني لأعظمكم ، وإني لكثير الذنوب مسرف على نفسي ، غمر حامد لها ، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله .

وقد بلوتها فلم أجد لها شكراً في الرضاء ، ولا صبراً على البلوى ، ولو أن أحداً لا يعظم أعاء حتى يحكم أمره لترك الأمر . . . واسكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكهم من الفسيان ، واهلوا أن الدنيا موروها أحزان وإقبالها إديار ، وآخر حياتها الموت ، فكمن مستقبل يوم لا يستكفه ومنتظر فدا لا يبلغه؟ ولو تنظرون الأجل ومسيره لا ينضم الأمل وغروره .

أَهْلُ الرَّأْيِ مِنَ الْفِقْهَاءِ

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

نقول أولهم ، فقد قضى أبو بكر بالرأي في مسألة الخلافة - على الرغم من تخرجه الفريد من استعماله له ، ولجونه إليه - وذلك حين أعوده فيها الدليل من كتاب الله أوسنة رسوله فلم يجد إلى ذلك سبيلا ، فكان لا مفر من استعمال الرأي في أمر لا نص فيه ، ولا سابقة له . يظهر ذلك حين اجتمع الأنصار ورسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير الموت ، وراجحت بينهم فكرة إسناده الخلافة بعد الرسول إلى زعيمهم سعد بن عبادة . ، فدخل أبو بكر وعمر وعبيدة بن الجراح ، وخطبهم أبو بكر مرجعاً جانب المهاجرين في الخلافة ، فصاح صائح الأنصار : متأمروا ومنكم أمير ، فرد سعد : وهذا والله أول الوهن ، وأبدى أبو بكر قائلاً : لا يصلح وأحسيفان في قراب واحد ، بل منا الأمراء ومنكم الوزراء . . وبهذا الرأي انقسم الموقف الذي حدد وحسده الأمة الفتية بالانقسام والفشل . وبهذا نرى أن الصحابة في جملتهم لم يردوا الرأي لأنه رأي ، ولا تنكروا الحكم العقل حين يبرر عليهم مدلول النص ، بل كلهم ، أو جملهم يتشد بالرأي ، ويعول عليه كمصدر من مصادر التشريع . .

إذا ذكر هذا الاسم فإنما ينصرف أول ما ينصرف إلى المدرسة الفقهية التي ظهرت في القرن الثاني الهجري مثثلة لأصدق التمثيل وأعظمه في الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وليس أبو حنيفة في واقع أمره إلا رمزاً لتلك المدرسة ، وملقياً لأصول اتخذت من الرأي في العقيدة مذهباً وديناً ، وفروعاً اهدت فيها تلك السليقة الفقهية ، وآثرتها وأباً وانحازها ، ونستطيع أن نضرب لأبي حنيفة ومن أثر فيه وتأثر به من فقهاء الرأي ، مثلاً بالشجرة الطيبة الأصل ، الزاكية الفرع ، فمخصصة الإمام تمثل الساق التي تركزت فيها عصادات الجذور على تقعرها وتمددتها ، ومن هذا الساق الطويل المريض العميق امتصت الفروع مادة حياتها وعصارة كيانها وبمجموع تلك الوحدة الفقهية التي انصبت بصفة الرأي ، يمثل في التاريخ التشريعي للإسلام مدرسة الكوفة ، أو مدرسة الرأي ، أو مدرسة العراق . . وإذا قممنا أصول تلك المدرسة التي قامت عليها ، وحاضتها بها ، وجدنا أن أبعد ما غورا ، وأصلها عوداً ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . فقد كان أبرز من استعمل الرأي من الصحابة ، ولا

الكبرى . على عكس ما كان عليه العمل زمن الرسول وأبي بكر . حيث كان الملاقاة الثلاث بكلمة واحدة يقع واحدا . وقال في ذلك : « إن الناس قد استعملوا في أمر كان لهم فيه أناة » . وأما طهيم ثلاثا . إلى غير ذلك من الشواهد العديدة على مدى استخدامه للرأي في الفقه ، واستنباط الأحكام منه . وكان أشد العناية تأسياً بعمر . واقتداء به في هذا المذهب المعقول واستنباط الأحكام منه . عبد الله بن مسعود الذي قال : « لو سلك الناس وادياً وشعباً ، وسلك عمر وادياً وشعباً لسلكت وادى عمر وشعبه » . وقد كان رضي الله عنه عظيم الثقة في فقه عمر . دائب التشبه به . متشبهاً . بل متضلماً بأفكاره وأسلوبه الاجتهادي ولذا قال الشعبي : كان عبد الله لا يقنت ، ولو قنت عمر . نقنت عبد الله ، يقصد عبد الله بن مسعود ، ويعني بالقنوت : القنوت في صلاة الصبح .

ولما دار الفلك دورته . واثقل مركز الإشعاع إلى العراق . وعاصمة إيمان مصر بنى العباس . برزت مدرسة العراق إلى حيز الوجود الفقهي . مكاتبة في سبيل آرائها التي لم تكن جديدة في أصلها . وإن اغتفت صفة الجدة فيما تفرج بعد ذلك من أحكام وقضايا ومؤلفات كانت في عالم الفقه الإسلامي قتما ميئنا . أضنى على التشريع ثوباً فثيباً من المرونة الفكرية . والحيرية

بعد أنه منهم من يميل إلى التوسع فيه والاطمئنان إليه أمثال عمر ، وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعلي ، وأبي موسى الأشعري .

ولذا قال الشعبي : « ثلاثة يستفتي بعضهم من بعض : عمر ، وابن مسعود ، وزيد ، وكل علي ، وأبي بن كعب وأبو موسى يستفتي بعضهم من بعض » . وكان عمر بن الخطاب أمير الصحابة في استمارة الرأي ، وأكثرهم توسلاً فيه ، وكان له في ذلك بصيرة نافذة ، ورأي لحاح ، وفكر فضيج . وقد بدأ ذلك مبكراً في حياة الرسول وأقره عليه ، وأجيب به ، وقال فيه ما يفيد أنه أوشك أن يكون من المذمومين المحدثين بما وراء النسيوب ، وله في ذلك سوابق تشريعية جريئة . منها : حرمان المولفة قلوبهم ما كانوا يستحقونه بنص الكتاب . لأنه رأى أن هذا الحكم قد صار غير ذي موضوع لأنه استنفذ أغراضه . وقال في ذلك : « إن الله أهر الإسلام ، وأغناه عنهم ، ومن ذلك .. » . عدم قطع يد السارق عام الجماعة . حين وجد الشبهة تكشف الحد . وهي شبهة الحاجة والاضطرار فأضيق الحد ، وكذلك تحريمه المعتدلة تحريماً مؤبداً على من تزوجها في العدة لأنه قهراً في شيء كان يمكنه التأني فيه فعاقبه بحرمانه منه ، وإيقاعه الطلاق ثلاثاً بكلمة واحدة . وجعله موجبا للبينونة

والتقية . التي أتاحت الفقه بسط سلطانه على آفاق ما كان يستطيع بلوغها . لو لم يتخذ من الرأي مركبا ذلولا ومن العقل رطبا مهادا . وكان إمام هذه المدرسة العراقية بعد انتقال النشاط الفقهى إلى تلك الأرض الجديدة : عبد الله بن مسعود . الذى كان مرآة صافية انعكست عليها كل آراء عمر وفلسفته الاستنباطية لدرجة أن ابن مسعود لم يخالف عمر قطبا إلا فى مسائل معدودة عند الفقهاء . ومن العجيب أن آراء ابن مسعود المخالفة لمركانت أحب إلى الفقهاء من آراء عمر . فقد جاء فى إصلام الموقعين عن الأعمش عن إبراهيم النخعي : « أنه كان لا يمدل بقول عمر وعبد الله بن مسعود إذا اجتمعا . فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب إليه لأنه أظرف » .

ولكن الذى لا شك فيه هو أن عبد الله بن مسعود كان نقطة البدء فى حياة مدرسة الكوفة ، وكان واسطة العقد بين زعمائها والمؤسسين لمذهب الراى فيها . حتى إن أقواله على لم يرتق بها إلا إذا جاءت عن طريق ابن مسعود ، وكان طبعيا أن يكون أستاذ مدرسة الكوفة الأول هو عبد الله بن مسعود ، وأن يتلفذ على يديه نخبة من أهل العراق . . .

لهموا فى أئق الحياة التشريعية . وكان لهم فى ميدان الفقه صولات وجولات بقيت ، وسوف تبقى منارا للساكنين ، وملاذا للباحثين ، منهم الفقهاء الستة : حنيفة بن قيس النخعي ، الأسود بن يزيد النخعي ، مسروق بن الأجدع المهداني ، عبيدة بن عمرو السلماني ، شريح بن الحارث القاضي ، الحارث الأعور . . .

فهؤلاء الستة هم أصحاب ابن مسعود وحواريوه الذين قاموا على أكتافهم أصول مدرسة الراى فى الكوفة ، ولقد بنى دارتهم بمجلة الفقه المعقول بصورة متجيزة ، وقد قال فيهم الفاعر :

وابن مسعود الذى سرج له

خربة اصحابه ذوو الأحلام
وكان هناك أنبايع وأشبايع لابن مسعود
بنفوا الستين كاحكى إبراهيم التيمي ، وإن لم يبنفوا مبلغ الستة السابقين هذا وقدمه وشهرة ، وأعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله

ومع ما كان لعبد الله بن مسعود من الأثر البارز ، والبصمات الواضحة فى منهج المدرسة الكوفية . كان لعل بن أبي طالب القدح الممل فى ثقافة هذا الإقليم ، وطريقة تفكيره . . . إذ أنه ارتحل إلى الكوفة ، واتخذ منها دارا لإقامته ، ومثرا لرسائله ، وعاصمة لخلافته ، وبقعه جمع من الصحابة الذين استراحوا إلى خلافته ، واستروحوا أرج الحزن من حكمه ، والتف حول . بعض أهل الكوفة أثناء مقامه بينهم تلك المدة القصيرة الراجعة بالأحداث الجسيمة

ومع ما كان لعبد الله بن مسعود من الأثر البارز ، والبصمات الواضحة فى منهج المدرسة الكوفية . كان لعل بن أبي طالب القدح الممل فى ثقافة هذا الإقليم ، وطريقة تفكيره . . . إذ أنه ارتحل إلى الكوفة ، واتخذ منها دارا لإقامته ، ومثرا لرسائله ، وعاصمة لخلافته ، وبقعه جمع من الصحابة الذين استراحوا إلى خلافته ، واستروحوا أرج الحزن من حكمه ، والتف حول . بعض أهل الكوفة أثناء مقامه بينهم تلك المدة القصيرة الراجعة بالأحداث الجسيمة

الناس فقها ، وأحسنهم اجتهدا حتى قال :
أبو حنيفة للأوزاعي : « إبراهيم النخعي أفقه
من سالم ، ولولا فضل القصبة لقلت : إن
عاقبة النخعي أفقه من عبد الله بن عمر ، وقد
أكب أهل العراق على جمع ما يتيسر لهم جمعه
من فتاوى ابن مسعود وقضايا علي بن أبي
طالب وفتاواه ... وكان أحفظهم لهذا ،
وأرحمهم فيه إبراهيم النخعي الذي صار فيما
بعد فظا للرحم ، وعور الفشاط الفضي
في العراق ... حتى إن مذهب الإمام
أبي حنيفة يستند في أغلب آثاره إلى هذا
الإمام وآرائه كما يقين هذا جليا من كتاب
الأثر لابن يونس ، وكتاب الآثار لمحمد
بن الحسن الشيباني ، ومصنف ابن أبي شيبة
وجامع عبد الرزاق حيث أسندت معظم آراء
أبي حنيفة وما أخذه الفقيه إلى قريضة إبراهيم
النخعي الحنيفة . ونستطيع أخيرا وليس
آخرا أن نقول : إن تلك المخرجة الفقهية
التي قسطلت من لدن عمر وحملها عنه
ابن مسعود إلى الكوفة ، ثم أفرغها في صدور
الفقهاء الستة وأضرابهم ، واستقاموا النعميون
وعاصروا إبراهيم ، وطمعت بفقته على وقضايا
قد أودعها عقليته الإمام أبي حنيفة وتفاضلت
بها نفسه الحقيقة ، وفطرت الألفية ، وقرعته
الوقادة . حتى ظهرت بعد ذلك صرحا شامعا
من الفقه المدعم بالرأي .. المدلل عليه بالعقل
المترجم عن معاني الحرية الفكرية في ميدان
الفقه والاجتهاد .. ويظهر وفقته أبي حنيفة

ابن مسعود وأجمعهم لمذهب ، وأندم
تأثيره ، ودعوة له : إبراهيم النخعي ،
ونافسه في هذا الميدان : حار بن شراحيل
الصفي إلا أن هذا الأخير أخذ من على
وأهل المدينة أتباعا لمروق .

ويبدو طابع هذه المدونة الفقهية بوضوح
في كراهيتهم للخوض وتفسير القرآن الكريم ،
ونحاشي تأويله . إذا كانوا يرون أن خصوبة
الرأي لا تعمل عملها إلا في تربة الفقه ..
حيث يترسخ الفقيه لبيان الأحكام الشرعية
العملية من أدلتها التفصيلية ، معتمدا أولا
بالحديث على ما يهديه إليه غالب ظنه في إطار
الكتاب والسنة ، والقياس ، وتوابع الرأي
من استحسان ، ومصالح مرسة ، وتحكيم
للصلحة ، ونحو ذلك .

وهذا اللون من التفكير ينتشر فيه
من الخطأ ما لا يقتصر في جانب القرآن
الكريم وتفسيره ، ويبان المعاني التي تنطوي
عليها ألفاظه ، ويهدف إليها سياقه ولحاظه ..
والقاعدة المشجعة لعمل الفقيه هي الحديث
الذي رواه أحمد بن حنبل الصحيح : أنه جاء
خصيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتمنان ، فطلب النبي إلى عقبه بن حار
المجشي أن يقض بينهما وقال له : اجتهد ، فإن
أحسنت فلك عشر حسنات ، وإن اجتهدت
فأخطأت فلك أجر واحد ..

وتتلخص الفكرة العامة لدى فقهاء الكوفة
في أن عبد الله بن مسعود وأصحابه هم أثبت

القانون ... لا في ضوء الواقع حين التطبيق كما هو اتجاه المدرسة الحديثة في القانون ... وقد اهتم الأستاذ أهرنج ، على هذا الخط من التفكير التقديرى الافتراضى في الفقه الفرنسى ووصفه بأنه بعيد عن روح القانون نفسه وجعل به ... وقال : « من الخطأ أن نحاول باسم المنطق أن نجعل القضاء يجرى على النظريات الرياضية ، ولا ينبغي أن نلغى الحياة لمبادئ موضوعة ، وإنما يجب أن نضع مبادئنا بحيث تتفق وما يجرى في الحياة العملية ... إن المسألة ليست مسألة منطق ، وإنما هي الحياة ... هي المعاملات ... هي الذوق القانونى الذى يتحكم فيها يجب أن يكون ولكننا في ضوء المركبة الأخلاقية التى ندين بها والمثل العليا الثابتة لا يمكننا أن نتفق مع الأستاذ أهرنج ، فى التشكر للقياس القانونية - التى يجب أن تستند أساسا إلى مبادئ الدين أو إلى مبادئ القانون العليى المستمدة من العدل والحق والأخلاق المركوزة فى طباع كل الشعوب ونرى أن توسيع دائرة البحث عن طريق الافتراضات الفقهية ... أو بمادة أخرى من طريق « الفقه التقديرى » الذى يميز به فقه أى حنيقة ... إنما هو تعبير عن بلورة معينة لروح القانون تستهدف الاستعداد للمستقبل ، والتأهب للبلاء قبل وقوعه ... ولا سيما فى الجهود التى تضمحل فيها القوة الاجتهادية ... كما حدث فى نهاية القرن الرابع

على مسرح الكوفة . تبعه لأول مرة فى مجال الاجتهاد الإسلامى الاصطلاح المحسوف حاليا ، بأهل رأى ، وهو تعبير جديد فى باب ، لم يسبق إليه أحد فى عهد الصحابة وإن كان كثير منهم قد طلب عليه هذا الطابع القياسى بمعناه الأهم كما برزت فى أفق البحث الفقهى ظاهرة جديدة تعتمد على التشرع والبيان مرتين : مرة بطريق المتن والمختصرات . ومرة بطريق التشرع على المتن ، وهذا يشبه إلى حد كبير ... المرحلة الثانية من مراحل مدونة الشراح على المتن فى « أوروبا » التى ظهرت فيها بين سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٨٠ م بفرنسا ، وأهم خصائص هذه المرحلة ... البحث عن إرادة المشرع تمت صيغة الحاجة العملية إلى ذلك . وقد جرم ذلك الأسلوب الفلسفى لاستجلاء بواحد المشرع ودوافعه إلى الخروج عن نطاق الأعمال الواقعة ... والاستئصال بالافتراض الفروض ... واستئصال المنهج المنطقى المجرد والتخليق فى أفق التقديرات والافتراضات بما أبعد القانون الفرنسى فى تلك الفترة من القرن التاسع عشر عن نطاق العمل وصيغته بالصيغة النظرية البحتة :

وقد دأب فقهاء القانون الفرنسى فى هذه المرحلة على عبارة التعرف على الفكرة التشريعية الكامنة فى إرادة المشرع ... فإن لم يجدوها افترضوها افتراضا بالوصف الذى يمكن أن يتصوره المشرع أيام وضع

المجهرى ... حيث أفضرت العقليات الفقهية من وسائل الاجتهاد ، وعم التقليد ... وعاش المتأخرون عالة على التقديرات والافتراضات الفقهية التي افقن في تفريعها وتخرجها المتقدمون من أهل الرأي ... وقد كانت نزعة معوضة الكوفة بصفة عامة الإغلال من الاعتماد على الأحاديث ، ووضع القيود المصددة على ما يصلهم من تلك الأحاديث وتغليب جانب الاحتياط على حسن الظن في قبول الروايات ، والتعويل في مقابل ذلك على القياس ووجوه الرأي المختلفة كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا مما خلق على الفقه ثوبا نظريا الأمر الذي دعا أهل الظاهر إلى إن يوجهوا تقدم لفقه الحنفى بقولهم : « إنه صدر الفقه الإسلامى فلسفة فارسية ، كما يدل لذلك قول ابن حزم الظاهرى في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » حيث ذكر : « وإن كثرة التقديرات في فقه الحنفية ... وقولهم في أغلب تفرعاتهم : « رأيت لو حدث هذا ... رأيت لو كان كذا ... حتى فقههم » الفقه التفرعى ، أو فقه الأرابيين » .

والأشبه بالحق أن فقه أهل الرأي في مدرسة الكوفة لم يخرج عن نطاق الحدود الدينية . المنبثقة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وهو ، وإن سلك مسلكا فلسفيا في التفكير والتحليل . والقياس والتخريج ، فرجع هذا إلى جو العراق الذي اختلف عن جو المدينة فقد كان جو العراق بعيدا عن أسلوب التقليد

فريابن الحرية الفكرية الواسعة ، ولذا ظهر فيه القياس تارة والاستحسان أخرى ، والعرف حيناً ، وتحكيم المصلحة حيناً آخر إلى غير ذلك من وسائل الاستنباط الحرة . ولقد حدد أبو حنيفة إطار عمله الفقهي بقوله : (إني أخذ بكتاب الله إذا وجدته ، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآثار الصحاح عنه ، التي فشت في أيدي الثقات ، فإن لم أجده في كتاب الله ولا في سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت ، وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم ، والشعبى ، والحسن ، وابن سيرين وسعيد بن المسيب (وعدوا جالاً قد اجتهدوا) فلي أن أجتهد كما اجتهدوا (فنعن رجال وم رجال) وبناء على هذا التخطيط الفقهي لأبي حنيفة دخل هذا الإمام باب الاجتهاد من أوسع أبوابه ، وصالح فيه رجال ، وكان اشتراطه المشدد للحديث المقبول مدعاة لصيق الاستدلال به وذلك لأسباب دماء إليها حرصه على أن يصل إلى اجتهاده إلى ما يطلب على ظنه أنه حكم الله . فلا يلزم بعد هذا أن أن نسى هذا اللون من الاجتهاد فلسفة فارسية ، أو نزع أنه قدم الرأي على النص الثابت عنده بعد أن اتفق مع سائر الأئمة على القولة المشهورة : (إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وأضربوا بقوله عرض الحائط) .

وترجع أهم العوامل في استعمال الرأي

يرجعون من دائرة الرأي إلى الحد الذي جعلهم ينظرون إلى الأحكام من خلال العقل والمنطق ولكن في دائرة الدين والأخلاق الإسلامية . قال سهل بن مزاحم : (كلام أبي حنيفة أخذ بالآوتي ، ونظر في معاملاته الناس على ضوء ما استقاموا عليه وصلاح عليه أمرهم . يسلك سبيل القياس ، فإذا لم يستقم له معنى على الاستحسان . فإن لم يحسن له رجع إلى ما يتعامل المسلمون به ، وكان يقبل الحديث المعروف . ثم يقيس عليه ما سأل له القياس .

ثم حل لواء الرأي في الفقه بعد أبي حنيفة تلاميذ نوايخ رجع إليهم الفضل الكبير في حفظ مذهبه وانتقاده وخلوده منهم أبو يوسف قاضي الرشيد والمهادي والمهدي ، ومحمد بن الحسن الشيباني الذي بلغه تصانيفه في العلوم الدينية تسعة وتسعين كتاباً ، وحل كتبه يعتمد الحنفية في المذهب ، ومنهم الحسن بن زياد ، وذر بن الحزبل .. فهؤلاء الأربعة أشهر من نشر مذهب أهل الرأي ، وهم الذين دونوه ، وانصروا له ، وأكثروا من التفريع فيه ، والإجابة عنه .

ولم يكونوا يقفون عند حد فتاوى أبي حنيفة . . بل كان لهم من حرية الرأي وأصالة الفكر ، ما يجعلهم على مخالفة إمامهم طالما ظهر لهم ما يوجب الخلاف ، وقد ثبت أن أبا يوسف ومحمد رجعا عن آراء كثيرة رآها الإمام نتيجة لاتساع ثقافتهما ، وإطلاعهما على ما عند الحجازيين .

بتوسع وكثرة عند أهل العراق إلى ما يأتي :
أولاً : عاينهم لأسلوب ابن مسعود رضي الله عنه الذي اقتبسه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي عاش بينهم معلماً ومفتياً فأثر فيهم وتأثروا به .

ثانياً : الاكتفاء الذاتي بأحاديث صحابة الكوفة الذين وفدوا إليها في خلافة علي وم كثير حتى لتصبح الكوفة أوفر الأمصار بعد المدينة باجتماع الصحابة فيها . مع مراعاة بعد الثقة عن المدينة وصعوبة المواصلات ، وندرة التبادل الثقافي ، والاتصال العلمي بين العلماء .

ثالثاً : ولعله أم الأسباب . أن العراق كانه أرض ثورات والفن التي جرت بها مصنف وخطورة عوامل السياسة لأول مرة فهي منبع الفسقة ، ومقر الخوارج ، فيها قتل علي ، والحسين من بعده . وتعددت النعرات المذهبية ، والعصبيات السياسية . مما أدى إلى تزييف الحديث ، وانهمج على قدسية نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فظهر الوضع فيه والكذب في روايته وإسناده . كل هذا بالإضافة إلى تنوع مظاهر الحضارة في العراق منها في الحجاز ، وتعدد الثقافات الأجنبية التي اتصل بها المسلمون بحكم الجوار والاختلاط وما نتج من هذا من كثرة المسائل الفقهية وجدها . وظهور صور عملية لم يكن للسليين بها من قبل عهد . مما جعل فقهاء العراق يتشددون في قبول الأحاديث ، ولا يقبلون منه إلا الذائع المشهور ، وبالتالي

ما بقي . . وما دوس . . ولا يقصد بها إلا صاحباً أبي حنيفة وهما أبو يوسف ومحمد . . وذلك لما بذلاه من جهود مضية للحفاظ على المذاهب عن طريق التدوين والتصنيف ، والتفريع والتخريج ، والفهر والتزويج ، حتى انتقل مذهب الرأي من حيث نشأ بالكوفة إلى سائر أنحاء العراق ومصر وبلاد الروم من بلاد همدان واسقرباذ وغيرها وفي فارس وبخارى وخراسان وأصبهان وشيراز وطوس والهند والسند ولا يزال إلى يومنا هذا يحتل في الهند مكان الصدارة ، وبعد هولاء كرا انتشر في دمشق وحلب . . وكان الفضل الأكبر في ذلك الوصف العقلي للعامل مؤلفات الصاحبين (أبي يوسف ومحمد) التي فتحت لمذهب أهل الرأي الأبصار والأبصار ، وغزت كل شبر في الأراض التي امتد إليها سلطان الإسلام ، ولقد كان لأبي يوسف يقرب المتوفى سنة ١٨٢ هـ مصنفات عدة منها كتاب الآمال وهو نيف على ٢٦ كتاباً ، وأشهر كتبه كتاب الخراج وهو في السياسة المالية للدولة الإسلامية ، وكتاب الجوامع والآثار واختلاف ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والإد على سائر الأوزاعي وكتاب أدب القاضي والمناسك والصلاة والزكاة والفرائض والحج والصيد ، وأعتبر كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني أشهر وأكبر كتب الرأي في مذهب الحنفية وعليها الاعتماد في الفتوى وهي أصح

فيها في حقيقة أمرها مجتهدان والكنهما ينتسبان إلى الإمام . . وقد خلفه قائمة أهل الرأي من الفقهاء بالكثير من رجال الطبقات ، منهم هلال ابن يحيى البصري الذي اشتهر باسم : (هلال الرأي) ، ومحمد بن سماعه الذي قال فيه يحيى ابن معين حين مات : دعات ويحاجة العلم من أهل الرأي ، . . وهد منهم الحنطاف ، والطحاوي المصري ، وعبد الله الكرخي ، وأحمد القدوري صاحب مختصر القدوري ، والدرخمي صاحب المبسوط ، والنسفي صاحب الكنز ، وتاج الشريعة صاحب الرواية ، والمرغنيان صاحب الهداية ، والمصدر السعيد صاحب المحيط للبرهاني ، وابن الساطق صاحب مجمع البحرين وملحق البحرين ، وابن نجيم المصري صاحب الأشباه والنظائر .

فهؤلاء الفقهاء هم الذين حلوا نواء مذهب أهل الرأي ، ونشروه في الحافظين ، بما صنّفوا فيه ، وشرحوا له . . وكانوا بمن مضخرة عليّة فقهية يمزجها التراث الإسلامي كلها ذكر الفقه وأهله . . ولكنهم على أي حال ، لم يبلغوا في ذلك مبلغ الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد ابن الحسن . . ولقد صارت كلمة الصاحبان ، أشهر اصطلاح فقهي إسلامي لا في مذهب الحنفية وحده ، بل في سائر المذاهب سواء منها

في تلك الحقبة الزاخرة بالفتح والنصر . قد بسط أجنحته على مشارق الدولة الإسلامية ومغاربها ، وخرج من دائرة النظرية المجردة ، إلى دفا الواقعية العملية بما فيه من وسائل اجتهاد عدة ، وبما ينطوي عليه من حيل شرعية لتوفيق بين النظريات والعمليات عند تناقضها . حتى لا تمس مبادئ الإسلام الأصلية بأذى إهمال ، وحتى لا يصاب الفقه بالانزالية أو القسرية .

فالحيل الشرعية التي هي من خصائص مذهب أهل الرأي إنما تسمى لتوفيق بين المثالية والواقعية وهي أكثر ما تكون في نطاق الأعمال وأقل ما تكون في العبادات كما في حيل الهيباني والخفاف والقزويني وعبد بن الحسن ، وهي عبارة للخروج من مأزق الأحكام مع الحفاظ على النصوص .

وقد كثرت ذلك عند الحنفية وقل عند غيرهم وقد كانت في مطلع أمرها تستهدف التيسير ورفع الحرج .. ثم استغلت فيما بعد استقلالاً لا يتنافى مع أهداف الدين وأخلاقه . ومهما يكن من أمر ... فإن مذهب أهل الرأي بمروته ولبانة أنصاره استطاع أن يتحكم في المسائل الخاصة والعامة للصالحين ، ويحكم فيها عن رغبة وطواحية نظراً لانسياحه مع العقل ، مع عدم الإخلال بما يمليه العقل ؟

محمد محمد الشرفاوى

وأقوى ما في المذهب وأشهرها كتب ظاهر الرواية وهي الميسوط ويسمى الأصل ، والجامع الصغير ، والجامع الكبير ، والسير الصغير والسير الكبير ، والزيادات ، وزيادة الزيادات ومسائل الترادد والآثر ، وكتاب الكسب ، وموطأ الإمام مالك من روايته .

وبعد : فقد كان ظهور مدرسة الكوفة على مسرح الفقه الإسلامي عاملاً مشجعاً على الحرية الفكرية في قطاع التشريع . وآية عملية على مرونة مبادئ الإسلام ، وحيوية قوانينه ، وملاءمتها لطروف البيئة والزمان هما أثره وجمودت . وقد زاوجت جهود تلك المدرسة بين أصول الإسلام وقواعد الفلسفة والمنطق . وأبرزتهما في صورة متكاملة متجانسة . فيها يرقى العقل ، وومض الفكر ، وانطلاقة الحرية . الأمر الذي دعا الشعوب الحديثة العهد بالإسلام إلى الانتفاخ حول مذهب أهل الرأي ، والتمسك به ، والأخذ عنه ، وكان لفقه التقديري الذي تتميز به هذا المذهب والتفريعات الكثيرة فيه أثر كبير في تلبية الأحكام الشرعية لصور الحياة المتجددة . فوجد الناس فيه لكل سؤال جواباً ، ولكل حادثة حكماً ، ولكل جديد بياناً وافياً ، وتأويلاً شافياً .

ولهذا لا تعجب إذا رأينا الفقه الإسلامي

فُزِّلَ الْعَجْزُ الْإِنْسَانِي عَلَى كِتَابٍ

الحركة الرومانتيكية في إنجلترا

للكتور محمد مستجير عبد الحميد

— ٣ —

"The most Eastern and sublime tale"

ونحن نتمنى تماماً مع القورد بيرون حين

يقول في مقدمته لإحدى قصصه الشعرية

المسماة The Glaur عام ١٨١٣ :

"For correctness of costume, beauty of description and power of imagination, it far surpasses all European imitations, and bears such marks of originality, that those who have visited the east will find some difficulty in believing it to be no more than translation."

ول نفس تلك المقصدة يعترف Lord

Byron بصراحة بأنه يدين لتلك القصة

والعربية ، بنى كثير في قصته الشعرية

الأخرى (1817) Manfred سواء فيما يختص

ببعض المناظر أو ببعض الشخصيات الهامة

مثل شخصية الشيطان Abriman وهي صورة

مكررة لصورة إبليس في قصة بكفورد .

ومن بين الأدباء الرومانتيكيين الآخرين

الذين تأثروا بشكل ما بمؤلفاتهم بقصة الخليفة

الرائق هم R. Southey وآثار Vathek

نبدو في قصة ثعلبة (1810) Thalaba التي

نشرها إلها فيما بعد Sir Walter Scott.

ه — أثر هذا الكتاب الفذ في المؤلفات

الرومانتيكية :

لا يتسع المقام هنا لغير الإشارة المختصرة

إلى تلك المؤلفات التي نجد فيها أثراً من

قصة الخليفة الرائق بالله التي اشتهرت إبان

المرحلة الأولى من تاريخ الحركة الرومانتيكية

وقد زاد اهتمام النقاد بها بعد ذلك إلى حد أن

بعضهم مثل مور P. E. Moore ودكتور

جارنيت Dr. Garnett يعتبرها أحد مصادر

الحركة الرومانتيكية وقد صرح الدكتور

Oliver Elton في موضوعه الهامة بتاريخ

الأدب الإنجليزي بأن (١) .

"Beckford's honours require asser-

ting"

وبالإضافة إلى هؤلاء فهناك الكثيرون

غيرهم يشهدون بأن روح الشرق تتجلى واضحة

في قصة الخليفة الرائق ومن أم هؤلاء

Lord Byron الذي كان من أشد المعجبين

بهذه القصة حتى وصفها بقوله :

1 — O. Elton, A Survey of English Literature (1920),

Part III, vol. 1., p. 209.

٦ - قصة « خروبة ملك مصر » وعلاقتها بالحركة الرومانيسكية :

ولعل من الخير أن نشهد إشارة جادة إلى قصة « خروبة ملك مصر » ، وهي قصة عربية الأصل كتبها أحد المؤرخين المصريين عام ١٥٨٤ وتقلها إلى الفرنسية عام ١٦١٦ صنفه فرانسيس بيبي Pierre Vattier كان يعمل في مكتبة قصر لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، ثم ترجمت بعد ذلك إلى الإنجليزية عام ١٧٨٥ وظهرت ضمن مجموعة قصص رومانسية جمعها أديسة إنجليزية تدعى كلارا ريف Clara Reeve ونشرت تلك المجموعة بعنوان The Progress of Romance وملخص هذه القصة العاطفية البسيطة هو ما يلي :

« وليت خروبة هرش مصر بعد وفاة والدها الذي كان حاكماً قوياً خضع لنفوذه كثير من ملوك الدول المجاورة وكان من بين هؤلاء « جابر » الملك القشرس العملاق الذي أغراء وجود فتاة جميلة وصغيرة السن على عرش مصر على غزو بلادها وإكراهها على الزواج منه ، وبعد أن نجح في غزو مصر تمكنت « داليسا » وصيفة الملكة - وكانت ساحرة ماهرة - أن تمنع الملك جابر بعتى الطرق حتى وعده أن يقيد مدينة حديثة بالأحجار الثقيلة التي كان قد جلبها ليدبها بجرى النيل انتقاماً لثأر قديم، وذلك كي تقبل

في قصته (الشرقية) المشهورة The Talisman (1825) التي يظهر فيها صلاح الدين الأيوبي مع ريتشارد قلب الأسد وأعوانه الصليبيين Coleridge، في صيدته الشهيرة :

Kubla Khan (1797), The Ancient Mariner (1798).

يصف بعض المتأخرين بشكل يرجع تأثره بأسلوب قصة الخليفة الوائلي، ويشهد على ذلك John Livingston Lowes في كتابه عن S. T. Coleridge The Road to Xenadu الذي ظهر عام ١٩٣٠ .

أما من أثر Vathek في قصص Keats الشعرية من حيث المادة والأسلوب فيقول Dr. Varma في كتابه الحديث The Gothic Flame (1957)

‘Vathek was known to Keats and the book seems to have contributed a few detailed devices to two of his famous poems : Hyperion (1818) and Lamia (1819).’

وفي عالم القصص الخرافية نجد أثر الوائلي Vathek واضحاً في قصة B. Disraeli المنيعة The Wondrous Tale of Alroy (1833) وقد اعترف المؤلف نفسه بذلك في مقدمة القصة . ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن هذه القصة تصور أول محاولة لكاتب إنجليزي يمدى يدو فيها لإعادة مجد إسرائيل وجمع شملهم في وطن واحد .

• • •

Odyssey وكذلك بعض أجواء من

قصة أوفيد Metamorphoses .

ولمذا كله فليس غريبا أن تصبح هذه القصة العربية الساذجة المصدر المباشر للمحنة شعرية عامة في الأدب الإنجليزي تدعى Gebir ظهرت لأول مرة عام ١٧٩٨ ومؤلفها هو Walter Savage Landor أحد لطاحل شعراء القرن التاسع عشر ، وقد أكد هذه الحقيقة في صراحة الباحث M. Elwin في صفحة ٤٧ من كتابه : Savage Landor الذي ظهر سنة ١٩٤١ ، والمحق أن شهرة هذا الشاعر الكبير قامت على هذه الملحمة التي يدين فيها إلى حد كبير جداً قصة (خروبة) العربية ، وعلى الرغم من أنه احتفظ بكل عناصرها الرومانتيكية وصفاتها التي جذبت انتباهه فإنه - كما يتوقع - حوّر بعض حوادثها وشعر أسلوبها بما يلائم هدفه الخاص الذي حتم عليه أن يجعل (جابر) هو بطل القصة بدلاً من خروبة ، وبعد ظهور هذه القصة بمائة عام (أي عام ١٨٠٠) نشر مؤلفها ديواناً صغيراً من الشعر تحت عنوان :

Peoms From the Arabic and Persian

والطريف جداً في هذا الموضوع أن لاندور لا يعرف اللغة الفارسية ولا العربية إطلاقاً وعندما سئل اعترف بذلك وقال: كتبها فقط

خروبة الزواج منه ، ووافق الملك على ذلك وابتدأ مشروعه العظيم ولكن مضى الأسابيع والشهور ولم تظهر أي نتيجة لجهود الجبار . والسرف في ذلك أن دليلاً استخدمت الألوف من الجن ، فكانوا يهدون بالليل ما نصح العمال في تقييدهم بالنهار - كشفت ذلك السرحودية من حوريات النيل وكانت تظهر على الشاطئ كل ليلة لتصارح أحد الرعاة فتهمزه ، وتأخذ خروفاً من قطيعه ، ثم يحتق الملك جابر نفسه في ذى الرعاة وعند ما تظهر حورية البحر هذه يجرسها ويأسرها ، فتكشف له السر ويطلق سراحها ، وتعلمه التحريضة اللازمة ليقضى بها على سحر دليلاً وفي ليلة العرس بعد أن بدأت خروبة تنصاع لنصح وصيقتها مرة أخرى وتنفذ ما دبرته من مؤامرة كبرى ، ففي أثناء حفلة الرقص والشراب تنطيه برداء مسمم فيموت لساعته تحت أقدام الملكة المائنة القادرة ، ولكنها لم تفلت من الجزاء السلوى فلم تلبث أن ماتت بلذغة ثعبان ، ودفنت في المدينة الجميلة التي بناها لها جابر .

ما أشبه هذه القصة بالنص العربي في الشعر اليوناني والروماني ولقد قال المترجم الفرنسي لهذه القصة أنه أثناء ترجمته لها كانت وقائها وأسلوبها تذكره بالجزء الرابع في قصة هوميروس المروعة بالأوديسة

التي ظهرت عام ١٨١٠ ، وفي مائتين القصتين الشرقيتين نجد أن Southey حاول أن يخرج الشعر القصصي الرومانتيكي عن مجاله التقليدي أي جو العصور الوسطى . وهذا في الوقت ذاته مثل على ما يتصوره خيال الشاعر الرومانتيكي عندما يفكر في حياة الشرق الزاخرة بالفرائد والأساطير العجيبة ويكون له من هذا التصوير هدف في معين .

ونقلا عن Jhon Simmons في كتابه Southey الذي ظهر عام ١٩٤٥ يقول الشاعر: لقد بدأت بالديانة الإسلامية لأنها الديانة التي أحسن معرفتها شخصيا ولأنه يسهل على كل من قرأ كتاب " ألف ليلة وليلة " وألم عن طريقه بأصول هذه الديانة " أن يفهم القصد ويندج في روح قصة " ثعلبة " . وتبدأ القصة بوصف الظروف العائلية المتميزة التي عاش فيها الطفل العربي الصغير ثعلبة وكيف أنه بعد أن قتل دمه السحرة

(١) ليست قصص ألف ليلة وليلة مرجعا دينيا حتى يصور الإسلام على حقيقته ، ولكن الشاعر أراد أن يسبح على نفسه ، وداء المعرفة فأخطأ اختيار المرجع لقراء وما في كتاب " ألف ليلة وليلة " من خرافات لا يتفق مع روح الإسلام في شيء ...

مجلة الأزهر

مقلداً ، بعد ما قرأت ما ترجمه سير وليام جيمز Sir William Jones من قصائد عربية وفارسية ، القصائد العربية هي المعانيق السبع التي ترجمها ذلك المستشرق العظيم الذي أسس الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية The Royal Asiatic society ، في عام ١٧٨٤ ، وكان له فضل كبير في نشر الثقافة والأدب الشرقي بوجه عام في جميع أنحاء أوروبا .

٧ - قصة ثعلبة والشاعر الرومانتيكي روبرت صاى :

وبعد لاندور Landor كان أول من استجاب لتيار الاهتمام المتزايد بالشرق وأمله خلال السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر هو أمير الشعراء Robert Southey . وقد بدأ مشروعه الأدبي الضخم الذي كان ينو أن يتناول فيه العقائد الدينية الميثولوجية التي عرفها الجنس البشري في أنحاء العالم المختلفة في أربع قصص شعرية طويكة كان أولها القصة العربية " ثعلبة " :

Thalaba the Destroyer

التي ظهرت عام ١٨٠١ وقارنها بمض المقاد ملحمة Milton الخالدة " الفردوس المفقود " ، Paradise Lost من حيث الهدف والمنزى الديني وثالثها القصة الهندية :

The Curse of Kehama

الشاعرية البديعة التي اجتذبت الآلاف من قلوب قارئها واشتهرت لفترة طويلة في أوائل القرن التاسع عشر .

بعد أن قتل السحرة الأشرار ثمانية من أفراد عائلة (حديرة) لم يبق سوى الطفل الصغير ثعلبة وكان في بقائه حيا خطر دام على كيان سلالة السحرة في جميع أنحاء العالم . ودم هذا الطفل وحده هو الكفيل بإطفاء شعلة النار الزرقاء التي هي بمثابة رمز الخطر في قصر النبي دانيال ويحاول هؤلاء السحرة بشق الطرق لإفراجه بالانحدار في طريق الرذيلة فيقوده إلى جنة ساحر أفاق اسمه (علا الدين) حتى يصل إلى فردوس الرذيلة الملى بكل أنواع الملهات الحسية والجنسية لإشباع شهوات الرجال الذين ضلوا سواء السبيل، واتبعوا خطوات الشيطان . وعندما يدخل ثعلبة فيها لأول مرة يرى عجبا من نساء جميلات فائنات يحاولن جامعات إيقاعه في شبا كهن .

ومن أم ما جله في هذا الجزء من القصة وصف المنظر لاجتماع أتباع (علا الدين) وكيف انتهز ثعلبة فرصة اقترابه من هذا الساحر الأفاق وقضى عليه بمساعدة زوجته الشابة الصغرى (حنيزة) - وفي لمح البصر انتهزت أركان فردوس الرذيلة واختفى عن فيه إلى الأبد .

أباه وإخوته السبعة اختارته العناية الإلهية ليكون المنفذ لإرادة الله التي تقتضي بالفتك بحيل السحرة الذين عاثوا في الأرض فسادا واتخذوا قصر الملك دانيال في جوف البحر مقرا وحصنا لهم . ويحاول عبدالدار الساحر الماكر أن يقتل لعلقى المختار ، ولكنه يقع بجنة هائلة عندما تهب السوم لجأة وبغنى أثناء محاولته . وبواسطة الخاتم السحري الذي يأخذه ثعلبة من أصبع عبد الدار يعلم ثعلبة أن أباه حديرة ، قد قتله عقبة أحد قادة السحرة ، ويضم أن يأخذ بثأر أبيه ويثأر لجميع من قتلهم السحرة من قبل . فيشد رحاله ليحقق رسالته ويصل أن التمويذة الكبرى التي سيقضى بها على السحرة وأعران الشيطان هي قوة الإيمان فيشترك كل على الله ويشفى طريقه بنجاح إلى قصر النبي دانيال في جوف البحر وبعد مراك حنيف تظله العناية الإلهية وتحميه قوة الخاتم السحري ، يدك ثعلبة جدوان ذلك الحصن المنيع وبفتك بالسحرة جميعا مجتمعين عندما يخرج سيفه ويطن قلب تمثال إبليس طاعة لهلاكه . ويستشهد بعد أن أدى رسالته أحسن أداء وتصد روحه الطاهرة إلى بارئها وهو مطمئن أنه سينعم في جنة الخلد بمجوار زوجته الحبيبة (حنيزة) التي اختطفها الموت منه ليلة العرس .

وهذه مقتطفات قصيرة من هذه القصة

إبليس معبودهم من الفاعر هو الخلقنا يلاغته
وقوة تصويره للوقف الذي ينتهى باستشهاد
البطل بعد أن يضرب ضربة الحامة بأمر
الله ويهلك السحرة جميعا ويخلص الإنسانية
من شرورهم .

Thalaba knew that his death hour
was come ;

And he leapt, and springing up,
Into the idol's heart

Hilt deep he plunged the sword.

The Ocean vault fell in, and all
were crushed,

In the same moment, at the gate

Of paradise, Oneiza's Houri form

Welcomed her husband to eternal
bliss.

واندكان Shelley من بين الشعراء البارزين
في الحركة الرومانتيكية الذين أعجبوا كثيراً
بقصيدة Thalaba وترك ذلك الإعجاب أثره
في بعض مؤلفاته مثل قصيدته بعنوان
Alastor عام ١٨١٦ ، والأخرى بعنوان

The Witch of Atlas عام ١٨٢٤ .

وقد استعرض أحد النقاد الحديثين وهو
A. M. D. Hughes في مقال نشر في المجلد
السابع من مجلة The Modern Language
Review لعام ١٩١٢ تأشير Thalaba

في قصيدة Shelley الأخيرة وهي :

The Witch of Atlas.

Thus fled the arrow from Oneiza's
hand ;

It pierced the Monster Bird,

It broke the Talisman . . .

Then darkness covered all . . .

Earth shook, heaven thundered,

and amid the yells, of evil

spirits, perished

The Paradise of sin.

ينهب ثعلبة بعد ذلك إلى دار هاروت

وماروت ليطمس التوبة التي يستطيع بها

القضاء على السحرة وبعد كفاح مرير ضد

الأرواح الشريرة التي تحرس هذا الكهف ،

بسمع ثعلبة هاروت معلنا .

Sen of Hodirah. Thou hast
proved it here ;

The Talisman is Faith

ومن المناظر المؤثرة والتي تبعث على

الغمور بالرحمة والحرف منظر جوع السحرة

وهي في قصر النبي دانيال أثناء الليل لتقوم

بمحاولة أخيرة يائسة القضاء على رسول

القناعة الإلهية ثعلبة .

Suddenly the Magic Fire went out and

Darkness spread all over the place

At that portentous sight

The Children of Evil trembled,

And terror smote their souls..."

وفي المشهد الأخير حينما تمكن ثعلبة من

الدخول إلى مقر السحرة بمسد مفاتيح

مطهرة ومجهود جبار ، ويقف أمام تمثال

عقائد المسلمين وطقوسهم الدينية تسمى :

Picart's Religious Ceremonies
والتأخرات الفردوسى وكتاب « ألف ليلة
وليلة » . كما أن زيارة صاذى لاسبانيا
ومابها من آثار التراث الإحلامى ساعده على
فهم الروح والعادات الشرقية. ولقد شهد كثير
من الأدباء والنقاد بقدرته الفائقة فى حسن
اختيار المادة ودقة استيعابها وحسن تصرفه
فى كثير من المواقف المرحجة التى يصعب
على متعصب فى الدين أن يخرج منها بسلام .
أما عن المصدر المباشر الذى أوحى له
بموضوع تلك القصة الشعرية فهو باعتراف
الشاعر نفسه قصة « المغربى الساحر »
"Maugrabi the Magician" . وهى إحدى
القصص المكنة لمجموعة قصص « ألف ليلة »
ظهرت عام ١٧٩٢ وكانت منقولة عن نسخة
فرنسية . فى مقدمة الطبعة الرابعة لقصة
نعلبة يقول المؤلف :

"In the Continuation of the
Arabian Tales, the Domdaniel is
mentioned; a seminary of evil
magicians, under the roots of the
sea. From this seed, the present
romance has grown.

يبيع  سمير عبد الحميد

ولقد كان Shelley نفسه متحمسا ومنها
بقراءة الكثرة مما ينشره ويترجمه المستشرقون
الإنجليز من اشرق الساحر الذى جذب
اهتمام Shelley إلى حد كبير ، فى عام ١٨٢١
كتب قصيدة حماسية عارولا بمدحها تخليد
أسلوب قصة « هنتر بن شداد » ومماها :

From the Arabic An Imitation

والآن نعود للسؤال الهام : من أين اشتق
هذا الشاعر الإنجليزى ووبرت صاذى
معلوماته التى بنى عليها تلك القصة الشرقية التى
لعبت فى وقت ما نجاحا كبيرا ؟ - الواقع أنه
اعتمد كثيره من الشعراء الذين كتبوا عن
الشرق بشكل أو بآخر على كتب الرحالة
الإنجليز الذين فطموا كثيرا منذ نهاية القرن
الثامن عشر نظرا لزيادة العلاقات التجارية
والسياسية بين إنجلترا وبلدان الشرق الأوسط
حالة . كما أنه استفاد كثيرا من مؤلفات
وترجمات المستشرقين الإنجليز الذين كان لهم
أيضا فضل كبير فى تغذية الحركة الرومانسية
بالمادة المطلوبة عندما اتجه التيار نحو الشرق
أو تيار الاسفراق فى الأدب الإنجليزى وأهم
الكتب التى اعتمد عليها هى : القرآن الكريم
مترجما ، وموسوعة تخونى على كثره من

موطنُ الجمال "فلسطين"

للاستاذ إبراهيم محمد نجيا

(حوار بين شيخ لاجئ وابنه المني ...
أمام خيمة من خيام اللاجئين ... العائدين)

| | | | |
|---------|--------|--------------|------------|
| يا موطن | الجمال | والسحر | والخيال |
| يا حنة | تزينك | بالنسور | والظلال |
| أعيش في | دورها | بالروح . . . | بالآمال |
| كقطرة | منـ | على ذرا | الدوال |
| كقطرة | في | تساب | في خيال |
| أو زهرة | من | ترب | كالكلال |
| أو لمسة | من | على ثراها | الفضال |
| أو لمسة | من | رحيـ | الجمال |
| أو همة | من | تحني | إلى الأعلى |
| عاشقة | لربها | تدعوـ | في ابتال |
| أو أمل | منـ | في بسمة | الأطفال |
| أو نبضة | قوية | في عزـ | الابـ |
| أو قصة | جديدة | في خاطر | اليـ |

• • •

| | | | |
|------------|---------|-------|--------|
| أواه . . . | هل أهود | ويسمح | الوجهـ |
| وبالني | يهـ | ريـ | الجمـ |
| يا أرض | أجـ | يا سر | أجـ |

• • •

| | | | |
|-----------------|-----------|--------|-----------|
| قل يا بني . . . | نبي | هل ثم | من جديد ؟ |
| هل حان | وقت هودني | لموطني | الجيـ ؟ |

لقد أرق قـه فقدتها من زمن عديد
أخرجت منها عنوة لمحت كالكريد
لقربى . . . وقربى صحرة الذهب
الأسود فيها قبله من شـفة الخلود
والظلم فيها حسنة من نعم بعيد
والنـر فيها بسمة كسمة الوليد
أو أريج تربة إشرافه الرودود
والزهر فرحة الربا بالطائر السميد
وكل شيء . . . رائع كفجر يوم العيد

* * *

أواه . . . لـلأمرد ويسمح الوجـود
وبالمنى بـود ديمك الجهد
بالأرض أجدادى يا سر أجدادى ؟

* * *

أجل . . . أجل يا أبى غدا نعود للوطن
غدا سزفع الجباة فوق لجنة المن
غدا نعود للحياة من قراوة الأمن
بومنا . . . وإن نرد بفجر هزنا . . . قلن

* * *

غدا نعيش في ديارنا يظلنا السلام
حصادنا إذ نزع الآف راح . . . حب وابتسام
وأرضنا المومح من الجنى . . . على الدوام
وفي مروج التين والابتون يجرح الحمام

* * *

إننا انتفضنا يا أبى مثل الأسود في الأجم
قد راعها طرد بدا وهاجها طت هجم

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| كالمسوح ثار واحتدم | فزعجرت متفضة |
| لنضاله . . واعتردم | وجيشنا قد احتدم |
| بالسلاح . . من أرض الحكم | أن يطرد اللثام |
| لأهلها منذ القدم | لحكى تعود أرضنا |
| دك الحدود واقتم | انظر أي فانه |
| مرددا هذا القسم | أنصف أي لمسومه |
| في أرض الله ربه | قيا بمحمدك يا بنية الأجداد |
| إلى ديارهم الحبيب | سنعيد كل اللاجئين |
| فوق أرضهم الحبيب | فيعود نور الحق يسطع |
| ذنب الإيمان طيبه | ومن القلوب الخضر ينثر |
| أدهارا وأخصانا وطيبه | وبمسوخ باسم الله |
| فأنت من يدنا قريبه | يا أرضنا مدي يدك |

. . .

| | |
|------------------------|--------------------|
| في صولتي . . وافرحتاه | والهجرته بالهجرة |
| وأبصرني مة قتاه | اليوم أبصرت السنا |
| ة لا يراني . . أو أراه | وكان من ظلم الطفا |
| بصب في دى قواه | اليوم ربي الشبا |
| آفاقنا أبهى رؤاه | وأطلق الريح في |
| يحملني إلى مدهاه | فكل شيء . . أمهل |
| بأمرني . . حتى صداه | وكل مسسوت . . نعم |
| ل . . عند شاطئ القناة | اليوم أمضى في الحق |
| ر . . لا ثما كل حصاه | مقبلا كل انخضرا |
| قلبي . . وإن تقول : آم | إن تعرف الدموع يا |
| حمدا وشكرا للإله | وكل ما تقوله |

ابراهيم محمد نجما

ما يقال عن الإسلام

محمد النبي والحاكم

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

Mohammad, Prophet and Statesman

(محمد النبي والحاكم) قد قصد إلى جمهور المثقفين ، وبعد اختصارا الكتابين (محمد في مكة) ، و (محمد في المدينة) . وهو كتاب صغير نسبياً ، يقع في ٢٥٠ صفحة من الحجم الصغير . وربه صاحبه على أحد عشر فصلاً ، ومحب فيه الرسول عليه الصلاة والسلام منذ مولده حتى وفاته . لهذا الفصل الأول بعنوان (اليقيم الموهوب) والثاني (من الدعوة إلى الرسالة) ، والثالث (المعارضة والرفض) ، والرابع (الهجرة إلى المدينة) . وهكذا إلى آخر الكتاب . وهذا التهج في كتابة السيرة ليس جديداً سواء عند كتاب العرب قديماً مثل سيرة ابن هشام ، أو عند المحدثين مثل حياة محمد لميكل ، أو غيره من المستشرقين . وهو منهج معروف سليم .

وإذا كانت كتب سيرة الرسول من الوفرة كما ذكرنا ، فما هو الجديد الذي استحدثه المؤلف ؟ الجديد عنده أنه كتب

الكتب المؤلفة بالأمم المستشرقين عن محمد صلى الله عليه وسلم منذ أواخر هذا القرن حتى الآن كثيرة ومتعددة ، ولا تزال تصدر في ثوب جديد تستفيد من الدراسات السابقة من جهة ، وتعتمد على مناهج جديدة لبحث من جهة أخرى .

ومنذ سنوات قليلة طلع علينا الأستاذ (متوجو صرى وات) بكتاب جديد عن (محمد النبي والحاكم) صدر في طبعته الأولى سنة ١٩٦١ ، وفي طبعته الثانية التي اطلعت عليها سنة ١٩٦٤ . وليس (متوجو صرى وات) مجهولاً لدى المختصين بالإسلاميات ، له - منذ ربع قرن - كتاب من الفضاء والقدوة في الإسلام ، وشرح منذ سنة ١٩٥٢ يكتب عن محمد والإسلام ، فأصدر سنة ١٩٥٣ (محمد في مكة) وسنة ١٩٥٦ (محمد في المدينة) ، و ١٩٦١ (الإسلام وتوحيد المجتمع) . وهي مؤلفات ضخمة كتبت للتخصص . أما هذا الكتاب

في ذلك مضطربا ملتويا ، لأنه يعتمد في رأيه على صنائع العلم . ولكن الدين شيء ، والعلم شيء آخر ، وهما ميدانان مختلفان ، ومتى شرعنا في تطبيق المنهج العلمي على الدين ، لا جرم ننهي إما إلى شك وحيرة ، وإما إلى الحساد صريح . وقد وقع المؤلف في الشك والحيرة ، ولم يستطع أن يهزم بشيء . لجاء تبهير اللغوي مفصحا عن هذه الحيرة ، فيقول : « إن صح ، أو « أكبر الظن » ، أو « في الأغلب » ، أو « على الأرجح » ، وهكذا مما يباحه بينه وبين اليقين .

إن التفسير الذي يذهب إليه المسلمون ، وبدونه لا يعد المسلم كذلك ، هو أن القرآن كلام الله نزل على محمد وحيا بالطرق المذكورة المقررة في القرآن والحديث ، ولو كان القرآن من كلام محمد ، ما كان الإسلام ديننا سماويا ، ولا كان محمد رسولنا نبيا ، بل مجرد رجل عظيم ، أو مصلح اجتماعي كبير .

ليس إذن عند المسلمين شك في نبوة الرسول وفي قداسة القرآن وأنه كتاب الله ، لا ريب فيه . ولكن المستشرقين في ظهريهم مرض . بدسوس للإسلام وينكرون صحته . وفي الكتاب الذي نعرضه أمور ثلاثة تظن في النبوة ، وهي :

١ - في الفصل الخاص بنزول الوحي على محمد وقيامه بالدعوة إلى الرسالة ، يحاول

السيرة في إطار من الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا أمر طبيعي به تقدم علم الاقتصاد والاجتماع . ولكن يقف عاجزا في سبيل تطبيق نتائج هذين العلمين ومناجهما على السيرة النبوية ، إنا نهميل حقيقة الواقع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت موجودة في ذلك الزمان ، أي في الجاهلية قبل الإسلام ، اللهم إلا على سبيل الفرض والتخمين . فليس هناك وثائق تاريخية مدونة عن العصر الجاهلي ، ولا توجد إحصائيات وبيانات وهي عمدة الباحث الاقتصادية والاجتماعية . والمصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه والوثوق به ، والبيد من التزييف ، والذي يمد مرآة صادقة لحياة العرب في الجاهلية وعند ظهور الإسلام هو (القرآن) ولذلك كتب كثير من المستشرقين حياة النبي مستعين على ما جاء في القرآن فقط ، أما الاعتماد على ما جاء في السيرة التي إنما دونت بعد وفاة النبي بقرن ونصف من الزمان ، فليس مما يوثق به وبخاصة إذا تعارض مع ما جاء في الكتاب العزيز .

من أجل ذلك وقع بحث موتجومي هذا على الرغم من طرافته في انحراف جهري بهم أساس الكتاب وهو نبوة محمد . والحق لقد تصائل المؤلف ، إن في أول الكتاب وأن في آخره ، هل كان محمد نبيا ؟ وكان جوابه

تناقض المؤلف واحطراه في الحكم على معرفة عهد الكتابة والقراءة ، فهو يذكر في صفحة ١٦ عند الكلام على نزول القرآن ، أن الأغلب أن معظم الآيات التي أنزلت قد دونت في أثناء حياته ولكن المصاحف الصالحة للكتابة كانت نادرة في مكة والمدينة وأن إحدى الروايات القديمة تنصب إلى أنه بعد وفاة محمد وجد أحد كتابه سوراً من القرآن مدونة على الحجارة والصفصاف والكتف ووثائق الجلد . فافترض إلى شك المؤلف في الروايات المتواترة الثابتة ، إذ المقرر عندنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر كتاب الوحي أن ينعوا الآيات التي تنزل عليه في مكانها بعد آية كذا أو كذا ، ومن الثابت لدينا أن القرآن حفظ سماعاً وكتب صحفاً ، وفيما أوردناه من المؤلف من نسخة مادة الكتابة . وأمر النبي كتابه بالكتابة ما يدل على أنه كان أمياً ، لا على أنه كان يعرف القراءة ، وأبلغ من هذا في الدلالة ، أن المؤلف حين ترجم أول الآيات التي أنزلت على النبي وهي :

واقرأ باسم ربك ، قال recite ولم يقل read . ونعود إلى القضية التي أثارها المؤلف وهي أن ما جاء في القرآن سمعه النبي من أفواه المسيحيين واليهود ، فنقول : إن التهمة ليست جديدة ، وقد رددتها كثير من المستشرقين

المؤلف القول بأن محمداً نأثر بالتراث المسيحي واليهودي ، وهو تراث كان معروفاً في بلاد العرب آنذاك ، اطلع عليه من ورقة بن نوفل ، أو من أحفاده إلى تمام . وفي سبيل ذلك يزعم المستشرقون أن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة ، وأن تأكيد المسلمين أنه أمي ، لا يعرف القراءة ولا الكتابة إنما سببه تدهيم القول بأن القرآن كان محجزة ، وإلى هذا ينصب المؤلف ص ٤١ ، حيث يقول : « على العكس ، من المعروف أن كثيراً من أهل مكة كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، ولذلك من المفروض أن تاجراً كفتاً كالخال في عهد كان يعرف تلك الصناعة . » ولكن المؤلف تردد بعد ذلك فلم يذهب إلى الزعم بأن محمداً اطلع على التراث المسيحي في مصادره المكتوبة ، بل قطع بأن معرفته بهذه المعلومات وصلت إليه سماعاً وشفهاً وبعد صائفة طويلة ينتهي المؤلف ص ٤١ إلى ما يأتي : « الخلاصة أن محمداً تلقى معرفته بالآراء الواردة في الإنجيل من البيئة الفكرية المحيطة بمكة ، وليس من طريق القراءة أو الاتصال بأفراد أعيانهم . وهكذا يمكن القول بأن الإسلام ينتمي إلى التراث اليهودي المسيحي حيث إنه نشأ في وسط مشبع بأفكار الكتاب المقدس . »

وقبل أن تناقش هذا الرأي . نشير إلى

من قبل ، ونهض من المسلمين من تولي الرد عليها ، وبخاصة الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ونضيف إلى ذلك أن النبي كان يجادل النصارى واليهود في زمانه بالتي هي أحسن ، وبين أن ما يذهبون إليه باطل يخالف الشريعة الصحيحة ، وذلك بالحجة الواضحة ، والأغلبية أنه لم يكن يبدأ بمناقشة اليهود أو النصارى ، وإنما هم الذين كانوا يمشون إليه بوقودهم يهاجمونه ، فكان عليه السلام ينتظر نزول الوحى ثم يرد عليهم بما أنزل عليه ، وعندئذ يبهت أولئك الذين جاءوا يتحدونه ، ولا يجرون جواباً ، وهم أولئك المفروض أنهم على دواية وثيقة بترائيم المغائدى اليهودى أو النصرانى ، وهم هم المفروض فيهم أن محمداً استقى منهم معلوماته فكيف يرغم المستشرقون أن الإسلام صورة محرقة عن التوراة والإنجيل ، وفي الوقت نفسه يقدم الإسلام حقائق أكثر دقة وموافقة للعقل وعلماً بأخبار الأمم الماضية والأنبياء والمرسلين السابقين ، وهي حقائق لا يمكن أن تكون متداولة بين الجمهور ، إلا إذا كانت متداولة داخل الكنائس ، ولم يعرف أن النبي أقبل هذه المبادئ والكنائس ونطق بدروسا كهنوتية تفسر له المعرفة الوثيقة بذلك التراث .

من قبل ، ونهض من المسلمين من تولي الرد عليها ، وبخاصة الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ونضيف إلى ذلك أن النبي كان يجادل النصارى واليهود في زمانه بالتي هي أحسن ، وبين أن ما يذهبون إليه باطل يخالف الشريعة الصحيحة ، وذلك بالحجة الواضحة ، والأغلبية أنه لم يكن يبدأ بمناقشة اليهود أو النصارى ، وإنما هم الذين كانوا يمشون إليه بوقودهم يهاجمونه ، فكان عليه السلام ينتظر نزول الوحى ثم يرد عليهم بما أنزل عليه ، وعندئذ يبهت أولئك الذين جاءوا يتحدونه ، ولا يجرون جواباً ، وهم أولئك المفروض أنهم على دواية وثيقة بترائيم المغائدى اليهودى أو النصرانى ، وهم هم المفروض فيهم أن محمداً استقى منهم معلوماته فكيف يرغم المستشرقون أن الإسلام صورة محرقة عن التوراة والإنجيل ، وفي الوقت نفسه يقدم الإسلام حقائق أكثر دقة وموافقة للعقل وعلماً بأخبار الأمم الماضية والأنبياء والمرسلين السابقين ، وهي حقائق لا يمكن أن تكون متداولة بين الجمهور ، إلا إذا كانت متداولة داخل الكنائس ، ولم يعرف أن النبي أقبل هذه المبادئ والكنائس ونطق بدروسا كهنوتية تفسر له المعرفة الوثيقة بذلك التراث .

٢ - إذا ثبت أن القرآن محرف ، وأنه

ونحسب أن هذا كان كافياً لأن يجعل الأستاذ مونتجومرى وات يمدد عن الاعتماد على هذه الأكفوية ، وهو الضليع في الدراسات الإسلامية ، ومن الغريب أن يشغل عرض القصة أربع صفحات من كتابه الصغير ، (من صفحة ٦٠ إلى ٦٤) . ولعله فطن إلى اضطراب الروايات بشأن هذه القصة ، فقال ما نصه : « تختلف الروايات عن هذه الواقعة بعض الشيء في التفاصيل ، بحيث يجعل البدء بالنقاط المؤكدة (هكذا) ، ثم نمضى بعد ذلك إلى تلك المشكوك فيها بدلاً من اختيار رواية كاملة ونقد عناصرها . ولا بد أن محمداً قد تلا آيات من القرآن تسمح بطلب الشفاعة من أصنام العرب . وهذه هي إحدى الروايات : « أفرايم اللات

(والله يا هم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته . .) .

إن ما نأخذه على المؤلف وهو يدعو إلى الموضوعية والبحث العلمي، قوله : إنه سيذكر الرواية المؤكدة ، فما أساس هذا التأكيد ، ورائحة الوضع في الرواية أو الروايات تفوح من كل جانب ، وقد كان الإنصاف يقتضيه أن يذكر جميع الروايات وتقنيدها، ويرجع الجانب الصحيح الذي يرجح تزييفها ووضعها

(٢) تسأل المؤلف في آخر الكتاب (من صفحة ٢٢٧ إلى ٢٤٠) هل كان محمد رسولاً نبياً ؟ وفي هذه الصفحات القلائل ذهب مع بعض المؤلفين الأجانب إلى أن الراس الديني يصدر عن المتخيلة المضطربة ، وهذا التفسير ليس في الواقع جديداً لأن بعض فلاسفة العرب القدماء ذهبوا إليه ابتداءً من الفارابي إلى ابن سينا ، ولكن على أساس أن المتخيلة قوة نفسانية متوسطة بين قوة الحس وقوة الفل ، وهي المختصة بالاتصال بالهتل الماشر للفعال الفاضل عن الله ، وبهذه السيل يتيسر الاتصال بالله ، غير أن الجديد في تفسير موتو جومري أنه يستخدم ما ينبغي إليه علم النفس الحديث من أنشاق الشاعر والأفكار عن اللاشعور

والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، تلك الفرائيق الملا ، وأن شفاعتهم لترجيى . وبعد فترة من الزمن نزل عليه الوحي بمحو هذه الآيات ووضع آيات أخرى بدلا منها ، وهي : « أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ألسم الذكر وله الآتى . . . » (سورة النجم من ١٩ إلى ٢٣) إلى قوله ولا يمكن أن يتطرق إلى الفكر أن أحدا قد اخترع مثل هذه الرواية وأقنع جملة المسلمين بقبولها (ص ٦٠ - ٦١) وبسبب المؤلف هذه الآيات ، (الآيات الشيطانية Satanic) أى التى ألغها الشيطان في روجه ، نسبة إلى الآية من سورة الحج التى تقول : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى . ألقى الشيطان فى أمنيته . فينسخ الله ما يلقي الشيطان . . . إلى آخر الآية . وقد ود القراء على هذا الحديث الموضوع ، فقال ابن إسحاق : إنه من وضع الزنادقة . وذهب محمد عبده إلى أن العرب لم يصنفوا آلهتهم بأنها الفرائيق ، وأن الفروق فى لغة العرب اسم طائر مائى كما أن فى تعدد الروايات واختلافها ما يدل على اضطرابها ، هذا فضلا عن أن تسليم محمد بشفاعة أصنام العرب بما يقتضى أصلام دعوة التوحيد التى اضطلع بالدهوة إليها ، والتى لقي من أجلها تعذيبا رهيبا حتى قال قولته المشهورة :

أو الفناء ، وبذلك ترتفع عن صفة النبوة
وفيما يلي ترجمة دقيقة لفقرة الأخيرة من كتاب
مونتجومري ، يتبين منها رأيه الصريح
في نبوة محمد ، قال :

وأخيرا ماذا عن سؤالنا عن نبوة محمد ؟

نقول في الجواب: إنه كان إنسانا عجيبا مخترعا
تشتغل على مستويات عميقة قتلج أفكارا
تتصل بالمسائل الرئيسية من الوجود الإنساني
بما جعل دينه يلقى انتشارا واسعا في زمانه
فقط بل في القرون المتتالية ، وليس كل
الأفكار التي أعطاها صادقة صحيحة ، ولكن
بفضل الله ونعمته تمكن من أن يمد ملايين
من البشر يدين أفضل مما كانوا يمتدنون
فيه قبل أن يشهدوا بأنه لا إله إلا الله ، وأن
محمد رسول الله .

أحمد فوزي الوهاني

بطريق الخيلة المخترعة ، كما يفعل الشراء
والضانون وليس من الضروري أن يكون
كل ما يصدر عن الخيلة المخترعة معبرا عن
الحقيقة ، فقد يكون بعضه صادقا وبعضه
الآخر كاذبا .

ولكن المسلمين يمتدنون أن القرآن الذي

أوحى لمحمد أنزل إليه من عند الله ، ولم يكن
مستقدا من أهوار اللاشعور ، ومن المعروف
أن جبريل عليه السلام كان أحيايا في
صورة رجل هو الذي ينزل بالوحي ، وهكذا
أجمعه الأساطير ، ويشهد به ما جاء من آيات
تنص على أن الروح الأمين هو الذي كان
ينزل بالوحي ، فاقول إذن بأن الوحي ينبع
من اللاشعور عن طريق الخيلة المخترعة ،
قول يفسح المجال لأولئك الذين يذهبون إلى
أن القرآن ليس كلام الله ، بل مخيلات
شعبية من محمد أشبه بما يفعله الشاعر

مرت امرأة يقوم من بين نعيم فأحدرا النظر إليها ، فقال منهم قائل : والله إنها لرغاء
(أي كثيرة العرق) ، فقال له : يا بني نعيم ، والله ما امثلتم في واحدة من النقيين ، لا قول
الله هو وجل : قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ولا قول الشاعر :

● فغض الطرف إنك من نعيم ●

« وقال الشيطان لا نفي الأمر إن الله وعدهم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم (ابراهيم ٢٢) »

(And when the matter hath been decided, Satan saith : Lo ! True was the promise which Allah made you. I too made you a promise, but I did not keep it. I had no power over you. Save that I called you and you answered me. So do not now blame me but blame yourselves.)

« وإذا يساجون في النار فيقول الضعفاء الذين استكبروا إذا كنا لكم تبعاً فهل أنتم متنون هنا نصيباً من النار . قال الذين استكبروا لا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد . (طه ٤٧-٤٨) »

(And when they argue in Hell, the weak say to those who were proud : Lo ! We were your followers: will you therefor rid us of a portion

of the Fire ? But those who were proud say : Lo ! We are All herein. Lo ! Allah has judged between His servants.)

A Muslim, then, should not let vanity carry him off to sin if he is called to good ; nor should he be deceived by the imposture of those who walk in Satan's footsteps, commit evil and indecency and assert about Allah what they do not know. He had better be a benevolent improver, aloof from evil-doers.

For the Prophet, may peace and blessing be on him, has said : "Let no one of you be an unprincipled time-server who says : I am like the people, whether they do good or evil so do I ; but you all should be determined to do good if men did good, and shun them if they wronged."

(Continued from page 14)

are leaving a house you were born in to a house you would live in ; keep things and you will have a happy life : You must always feel satisfied, be obedient and far-sighted.

Soufyan El - thawry advised his friends by saying : Seek knowledge and science to teach and guide others and not to attack or mock other men of letters.

Shehab El-Din Sahrawardy told some of his friends : If God inflicted

something on you, except it and do not show dissatisfaction because He is aware of what you are thinking, and if you showed satisfaction He would reward you. If you think either way you would alter nothing of your fate. Be patient, for patience is the prerequisite of faith. But if you could not do this and found no outlet for your distress then ask His help, and be sure that He would help you.

From the Tradition of the Prophet;

The Ways of Good and Evil

By

SOLIMAN BARAKAT

The Prophet has said :

« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور
من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا
إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

(Whoever calls others to guidance shall be rewarded a recompense equal to that conferred on all those who follow him, without decreasing a bit their recompense. Whoever calls others to error shall be burdened with as heavy sin as shall be all those who have responded to his call, without the least cutting short of their sins.)

By guidance here is meant what is good and pious, such as building an institution for public welfare, contending vice, giving in charity to the poor, fighting for Allah's cause, working for the unity and strength of Muslims, or, in general, obeying Allah. Such a call may be in word or in deed.

On the other hand, error is the contraposition of guidance, and by it is meant transgression against divine law or against principles of morality, such as debarring others from the path of Allah, or the

neglect of duty. Again such a call may be in word, deed or in silence which gives the consent of the persuader at the occurrence of evil.

Then, one's call shall be either to one's credit or to one's disgrace, and one shall either be favoured with Allah's requiteful justice and pleasure, or incur His wrath; and in any case one's reward shall balance that of all the men one has induced.

In this Hadith, there is impressive persuasion into enjoining justice and the endurance with faith and fortitude of whatever befalls one, as well as alienation from calling other men to evil and making foul deeds seem fair. On the other hand, there is also urge to following those who call to a straight path and to having faith in Allah, as well as warning of responding to those who call to Hell-fire. After all, the principle of man's responsibility for his own acts is well established in this Hadith. The allegation of being tempted or misled is an invalid excuse.

willingness you will be mune and they can hurt you not, and deprive you of naught. To meet hardships with endurance and patience results in reward, for verily along with trouble cometh ease.

Abu Darda'a quoted that prophet Muhammad said : Do good and gain what is good; consider yourself among the dead for the day of Judgment is coming soon.

Once Muhammad said to a man: Beware of God whenever you are : "if you did evil then let good follow it for the latter eliminates the former, and treat people well."

Omar ben Al-Khattab told a man to keep what God had given him, to realize that.

God knows what he does and remember what he would meet when he dies-wherever he is.

Omar ben Abd El-Azziz told one of his men after appointing him to be in charge of a region : Consider the young Muslims as your sons, and the elder muslims your brothers and the eldest your parents, thus be merciful to your sons, sympathetic to your brothers and obedient to parents.

As a matter of fact, almost all Muslim thinkers and wisemen recommended to their sons or close f.i-

ends practical advices so as to be wiser and to take care of themselves.

Let us hear what said, Saeed Ben Gohelr advising his son : O my son, treat people with kindness, do not be persistent in your demands. Pray as a human who would die soon; if you can do tomorrow better than yesterday, then do. Be always hopeful.

Once a philosopher told his son If you want to get what you like, you must endure what you do not like. You will get rid of what you dislike if you wait for what you like. Modesty will prevent humiliation.

A woman told her son : Beware of back-biting because it leads to hatred and disunity.

Do not pick out other's defects. Stick to your religion and be generous. Follow the good acts of others and avoid bad actions.

Another woman advised her son by saying : Be virtuous and modest. Treat your friend with easiness and patience; lend them a hand when in a crisis. By so-doing they will like you and trust you.

A beduin woman advised her daughter on her marriage : Adopt yourself to your life, because you
(Continued on page 16)

'Wassaya' in Islam

By

Dr. Gamal Eldin El Ramady

"Wassaya" do not mean what the men of law and jurisprudence consider "wills" which are concerned with legal subjects and rights. It is a well-known fact that rights resulted of voluntary actions - from those who have the rights - to achieve certain results which we call legal proceedings - such as buying, granting and the wills we are speaking about, or resulted from legal actions which have no thing to do with those rights.

Therefore, the will is considered as a contract whose effect cannot be implemented except after the death of its owner; for instance, ownership cannot become valid before the death of the man who signed the will.

Heirdom is a very complicated matter yet it is well-explained in Islam. It depends on the man's will, and he is free to decide his heirs according to the Islamic legislation.

The English law allows the British to give their properties to whoever they want and not

according to their religious legislations. On the other hand, the French law allows the citizen to put all his properties in his will-except a portion to be divided among his heirs.

This, however, concerns the legal aspects of the "wills", but as for the "wills" in the sense that they are related to wisdom, education and enlightenment, they are to be found in literature.

This sort of "wills" which have better call "Wassiyah" was-and still is-practised by prophets, philosophers, poets and others. They believe that philosophy - in the full meaning of the word - gives man experience and wisdom. It also affects his social behaviour.

In this sense, Ibn Abbass quoted Prophet Muhammad saying : I shall teach you words that will benefit you; comply to God's orders and He will make you happy; do not forget your God when you are happy and prosperous, if you did He would forget you when you are in distress. Ask God only for help and assistance. If all humanity gathered to hurt you without God's

The entrance to the cavern beneath is by means of the Bab al-Magbara, the humble pilgrim descending the eleven steps with the following "Prayer of Solomon" on his lips : "O Allah, pardon the sinners who come here, and relieve the injured". The height of the cave is six feet, and on the roof may be seen the impress of Muhammad's head. The floor is paved with marble and a projecting piece of rock is known as the Tongue of the Rock because it greeted Umar on one occasion.

The dome itself is of wood, covered outside with lead, and inside with stucco, beautifully gilded and richly ornamented. Quranic passages wonderfully inscribed in interwoven characters from a frieze round the building. In the interior four massive piers and twelve columns surround the Al Sakhra in the centre and the dome rests on these. Tradition states that all the prophets of Allah up to the time of Muhammad have come to pray here at the Rock which is daily surrounded by a body guard of 70,000 angels. Most

important of all, it was from here the Prophet ascended to heaven on his horse al-Buraq. His foot-print may be seen still, Qadam Muhammad.

The round hole in the middle of the Rock is where the Prophet's body pierced its way upwards, and nearby is shown the Saddle of al-Buraq in the shape of several marble fragments. There is also on the west side of the Rock the impression of the Handprint of Gabriel where he held down the Rock when it was about to rise with Muhammad.

The Kubbat al-Sakhra is one of the most beautiful sights in the world and one that is known to all Muslims. Millions of pilgrims come to see and wonder and pray. The eulogy pronounced on it by Mukaddasi still describes the wonderful beauty to this present day : "At dawn when the light of the sun first strikes on the cupola, and the drum catches the rays, then is this edifice a marvellous sight to behold, and one such that in all Islam I have never seen its equal".



'Kubbat Al-Sakhra' (The Dome of the Rock)
Jerusalem

The building thus became the model for all the "Temple" churches built in Europe. The dome being the symbol of the order appearing on the Grand Master's seal.

In 1187, Saladin, the famous warrior and scholar, captured the Holy City amongst great rejoicing throughout the Muslim world. He immediately removed all the Christian additions from the Dome and there may be seen the inscription set up by Saladin inside the cupola, that records the fact of his restoration.

* * *

Ibn Abd Rabbihi states : " Now when thou enterest the Sakhra make thy prayer in the three corners thereof, and also pray on the slab which rivals the Rock itself in its glory for it lies over a gate of the gates of Paradise ". This slab is a portion of the marble pavement near by the Bab al-janna and marks the place where the prophet Elias knelt in prayer. Others believe it covers the Tomb of Solomon. All, however, assert that it was originally part of Paradise and so is called the Flagstone of Paradise. A tradition has it that Muhammad (may peace be with him) drove into this slab nineteen nails of gold which are destined to drop out periodically and when all have fallen through, the end of the world will

come ; the Devil almost succeeded in removing them but the angel Gabriel intervened just in time. Nowadays three nails remain in place, but one has become a little sunken. It is with humble step and slow, therefore, that the pious pilgrim treads this holy place lest by dislodging one of the nails he should hasten the day of judgement.

According to legend, angels visited the Rock 2,000 years before Adam was created, and Noah's ark rested here after the Deluge. It is said to be actually one of the rocks of Paradise, and that here on the Resurrection Day the Angel of Death will blow the last trumpet ; but previous to this the Ka'ba will come from Mecca as a bride unto the Sakhra. It is also said that it rests on a palm-tree beneath whose shade Asiya, Pharaoh's wife, and Maryam, Moses sister, will give the faithful a cooling draught from one of the rivers of the Garden ; for all the sweet waters on the earth are believed to originate somewhere beneath it.

Beneath the Rock is a cave the floor of which when stamped upon by the foot emits a hollow sound pointing to the presence of a cavern beneath, perhaps a well, the " Well of the Spirits " where the souls of departed are believed to assemble twice weekly.

The Sacred places of Muslims :

KUBBAT AL-SAKHRA

By

RASCHIED AL-ANSARI

Situated in the second most holy city of Islam, al-Kuds (Jerusalem), lies the most beautiful edifice known as the Kubbat al-Sakhra or otherwise known as the Dome of the Rock. This is considered next in importance to the Ka'ba in Mecca and the following may help to explain why this is so.

The history and legends surrounding the Kubbat al-Sakhra are diverse and fascinating, it being quite well known in historical literature. When Umar managed to conquer Jerusalem he found the Rock scandalously covered with muck and filth, this he ordered to be removed by the Nabataeans and, after heavy rains had thrice cleansed the Rock, prayers were then given there.

The fifth Umayyad Caliph, Abdul Malik, built the Dome above the sacred rock in the years 69—72 A.H. and there is a famous Kufic inscription in yellow and blue mosaics above the cornice round the base of the Dome which states: "Hath built this dome the servant

of Allah, Abdul Malik, commander of the Faithful, in the year two and seventy - Allah accept him". For the expenses of building this magnificent domed edifice, he is reputed to have set apart the revenue from Egypt for seven years; causing a treasure-house to be built for this money to be kept in what is now known as the Kubbat al-Silsila, or Dome of the Chain.

In these days a latticed screen of ebony and lavish curtains of brocade surrounded the Sakhra. There were also to be seen a precious pearl, the horn of Abraham's ram, and the crown of Khursaw, suspended by a chain hung from the centre of the Dome; but with the coming of the Abbasids these were then transferred to the Ka'ba.

The year 1099 was a sad year for Muslims for then Jerusalem was taken by the Crusaders. The building was endowed by Baldwin II, and became the Temple Domain, the Church of the Knights Templars.

troubled waters as it did in the past if it is accepted once again as a guide to thought and action and its contents are actually implemented in life. History tells us that the age of in which the Prophet Muhammad (peace be on him) was born, lived and worked, his own people, the Arabs were the most degenerate people morally, culturally, socially, politically, in fact in respect of every aspect of human life. They were the worst specimen of the then civilised humanity. The Prophet lived only for Sixty-three years and he received revelation in his fortieth year. His ministry, therefore, lasted only for twenty three years and it is during these twenty three years that he delivered his mission and worked. History tells us again that the very same Arabs, the nomadic children of the desert who only a few years ago were the worst specimen of humanity at the time of the Prophet's death were in every respect—morally culturally, socially and politically were the best amongst men. The unlettered Arabs became the teachers of the then civilised world. The uncultured Arabs who would delight in drinking, debauchery, gambling and in every imaginable kind of moral and intellectual perversion gave the world all refinements and fineries of culture. The Arabs divided into

countless tribes, clans, families and ever-engaged in neverending family and tribal feuds moulded themselves into a compact and homogeneous nations and gave the world the conception of a real world-wide brotherhood of man. The most easily ignitable Arabs incapable of resisting the slightest provocation and temptation presented a perfect example of temperance and tolerance. The brutes, the uncivilised peoples of Arabia created a magnificent and wonderful civilization in twenty three years the like of which the world had never seen. This in itself is a miracle the miracle of the Kalima. Twenty three years, in the life of an average man is not very much significant, far less so it is in the life of a nation and the humanity taken as a whole twenty three years can only be linked to a bubble in the ocean. The question that appears here in bold relief to every inquisitive mind is how this mighty transformation was possible within such a small period of time and what were the ingredients in the teachings of Muhammad (peace be on him) which caused this unparalleled revolution in the thinking, feeling and action of man. This question when answered in concrete terms will reveal the revolutionary character of the Kalima.(1)

(1) The Creed of Islam.

Prophet was again mutilated to give divine rights to the sultans. This novel and un-Islamic conception of religion found a very congenial seed-bed for its growth and development in materialistic Europe and has very nearly destroyed religion.

The Prophethood of Mohammad (peace be on him) is an integral part of the text of the Kalima. This was necessary for ensuring the purity of faith in the Oneness of God and in the Divine origin of the Holy Quran. There is an innate tendency in man to exalt and even to worship their heroes and perhaps the influence of Polytheism created and developed this habit into an instinct. This instinct is mainly responsible for destroying the purity of faith and mutilating the text of the previous revelations. Jesus was raised to divinity by his over-zealous followers. The Christians called Jesus the son of God and forged Trinity out of strict monotheism of pure christianity. The Brahmins of India described their teachers as incarnations of God and ultimately created a cult of idol worship destroying the sublime monotheism of pure Vedic Dharma. That the followers of Muhammed (peace be on him) in their blind devotion to the master may not commit the same error consciously or unconsciously, the fact that Muhammad

(peace be on him) is not God or is not in any way associated with Him but is merely a Prophet, is mentioned in the body of the Kalima itself. The Holy Quran directs Muhammad (peace be on him) to say, "I am a man like you except that I receive revelation" (S.XLI : V,6) and again, "And before thee also the apostles are sent were but men, to whom We granted inspiration : if ye realise this not, ask of those who possess the message" (S.XVI : V,43). In fact, all the prophets were men and their distinction was that they received revelation. The Prophethood of Muhammad (peace be on him) implies faith in revelation and the divine origin of the Holy Quran, the Book of Islam. The mention of the Prophethood of Muhammad (peace be on him) in the text of the Kalima protects and actively guards against corruption of the faith in God, faith in the Prophet and faith in the Holy Quran, the three main sources of Islam. But for this, the purity of the sources of Islam, its precepts and examples would have had the same fate as previous revelations had.

The Kalima has the potentiality of carrying humanity from progress to progress and achievement to achievement towards its goal as the mariner's compass leads a ship to its destination safely and safe through the

if some advanced and progressive people had been selected and given the distinction of being the nursery of Islam; a diamond shines most when set in lead, a base metal. This is the law of nature. According to calculations of Karl Marx some industrially advanced country like England or America having highly organised labour should have been the incubator of his philosophy but contrary to his expectations Russia, an industrially backward country, had the credit of demonstrating to the world the cult of Marxism in a living form.

The Kalima when its contents were actually implemented in life moulded the human materials of Arabia into a magnificent and lovely nation and that mighty nation was sent back to the sands again from which it sprang when the Arabs reduced their faith in the Kalima into a lip profession having no bearing upon their active life. The Muslim nations of the World are by no means the chosen people of God. The invariable and impartial Laws of God operate equally on them as they do on other peoples. The Muslim Arabs were great as long as they maintained the purity of faith and action.

To be free from the sovereignty of the contents of the Kalima the Abbaside Sultans of Baghdad and

their feudal chiefs, the noblemen and the aristocracy of Baghdad induced the Ulemas or the Pundits of theology who for material advantages would always manufacture religious sanction for all un-Islamic actions of the Sultans to mutilate the Kalima. They invented a new Arabic version of the Kalima, "La Ma'buda Illallah Muhammad al Rasullullah" or "There is no object of worship but God and Muhammad is His Prophet". Thus Islam was reduced to a mere form of worship and divided life into two water-tight compartments-temporal and spiritual. No time was lost in creating temporal and spiritual lords. The Ulemas themselves became the spiritual lords and called themselves representatives of the Prophet. The Sultans became the temporal lords. The temporal and the spiritual lords in perfect harmony and concord with each other conspired to exploit the people. For securing the pleasures of Heaven, obedience to the spiritual lords and for securing pleasures of the earth, obedience to the Sultans became the order of the day. There is a saying of the Holy Prophet, "The rulers are shadows of God" which means that the rulers must sustain the people under their charge faithfully in the manner in which God sustains His creature. This Hadith or the saying of the

The Effects of the Belief in the Oneness of God

By

ABUL HASHIM

The "Kalima" or the belief in the Oneness of God and the prophethood of Muhammad (peace be on him) is the Corner-stone of Islam. It contains in itself in seed-form, all the magnificence of the mighty revolution, Islam, created in the thinking, feeling and action of man known in the history of human evolution as the Arab civilization.

"There is no deity but God and Muhammad is His Prophet", is the correct English rendering of the text of the Kalima. The Kalima negates Atheism and Polytheism and positively proclaims the Oneness of God and the Prophethood of Muhammad (peace be on him). By implication the Kalima teaches the composite Nature or the Unity of the Universe and the oneness of man and insists upon belief in revelation and intuition as sources of transcendental knowledge and wisdom. God of the kalima is not a blind cosmic force, the unconscious first cause or inert fountain-head of vitality but He is the Living and the Conscious Creator, Sustainer and

Evolver of the Universe. The Holy Qur'an categorically defines God and the purity of faith in God in a few short verses, "Say, He is God, the one and Only; God, the Eternal, Absolute; He begetteth not nor, He is begotten; and there is none like Him". (S. CXII : V.1-4), and again "All praise is due to God, the Creator, Sustainer and Evolver of the Universe, the Beneficent and the Merciful and the Lord of the Day of requital" (S. I. : V. 1-3).

Faith in the Kalima is not a passive faith in some uncertain deity but is an active faith in the Living and conscious God who is visible in Nature. This faith has concrete values in the everyday business of life. A faith without action or an action without faith has no place in Islam or in any view of life worth the name. Belief in the Kalima, therefore, demands a faithful implementation of the contents of the Kalima in every aspect of human existence. The truth grandeur and practical values of the Kalima would not have been made so clearly manifest

and the followers asked him to remain in it in case they were defeated, so that he might be safe and join the Muslims in Madinah. It was an extraordinary thing to ask of a man who was leading the battle, but these soldiers thought more of the safety of their leader than of themselves. No doubt that they believed in God and the leadership of their prophet, yet they could see no danger, but thought first of the safety of their beloved leader and hoped for victory against the aggressors. But we find Muhammad (peace be with him) among the gallant little army encouraging and speaking to them about the help of God.

The battle was started between the army of Qurish and the Muslims by the water of Badr. Three of the warriors of the Qurish advanced into the open space which divided the two armies and challenged three warriors from the Muslims to single combat. Hamza, Ali and Ubaidah accepted the challenge. The combat was nearly over with

the last remaining warrior of the Qurish about to be killed and seeing that their opposite numbers were uninjured, the Maccans advanced against the Muslims who engaged them in battle. The battle went at first against the Muslims, but ended in a signal victory for them. The leader of Qurish and several of their greatest men were killed and many were taken prisoners. It was indeed a day to be remembered in the history of Islam.

Their sincere faith in God and His messenger and the leadership of their Prophet, enabled them to face an enemy of more than three times their number and better equipped, with courage and talent. It was a strong belief and good faith in their mission that enabled this little army to defeat such a huge and well equipped army within a few hours. A glorious 'victory' that paved the way to unity of the Arabs, the spread of Islam and the dawn of the greatest humane civilization in the world !

When the Prophet saw this huge army of the Qur'ish, in comparison with the small number of his own, he prayed God that the handful of the Faithful might be saved and he said : "O my God ! if this little band were to perish, there would be none to offer unto you pure worship". The Muslims advanced into the valley of Badr and the Prophet ordered them to prepare for defence on a line in front of the wells, which meant that the water would be between his followers and the Qur'ish.

How did the Prophet organise his little army and the planning of the battle ? Muhammad, (peace be with him) being of a democratic nature, began by consulting his followers. Naturally the exiles were overkeen to fight for their faith and right. The Prophet gave the 'Ansâr' (The helpers) of Al-Madinah, whose oath of allegiance had not included fighting in the field, the chance of returning if they wished; but they were only hurt by the suggestion that they could possibly forsake him. They said in reply : "We have faith in you, we believe you and have witnessed the truth you have brought unto us. We promised you and gave our consent to hear and obey. Go ahead for whatever you want. We are with you. By God if you cross the sea afoot we will

cross it with you. Not one of us will remain behind. We are not afraid to face our enemies tomorrow. We are patient in war and sincere in battle".

When the Muslims advanced into the valley of Badr and took position in front of the wells, a Muslim expert asked the Prophet : "Is this place ordered by God ? If so, we cannot change it, or let it your plan of war ?". The Prophet replied : "It is my plan of war". The expert said : "Then it is not the right place, order your men to move beyond the well and build a defence around it, so that your army may drink from it and the same time deny it to your enemies". The Prophet ordered the army to move according to this plan. When his little army of three hundred and thirteen men, ill-armed and roughly equipped halted near the water of Badr, the army of Qur'ish outnumbered the Muslims by more than two to one and was much better mounted and equipped, so that their leaders counted on an easy victory. When the Prophet saw them streaming down sandhills he prayed : O Allah ! Here are Qur'ish with all their chivalry and pomp, who oppose Thee and deny Thy messenger. O Allah ! Thy help which Thou hast promised me ! O Allah ! Make them bow this day ! A tent was arranged for the Prophet

against you, but begin not hostilities. Lo ! Allah loveth not aggressors).

The Battle of Badr, which occurred in the 17th Ramadan 2-A.H, was the first battle in the history of Islamic faith. It ended in a glorious victory for Muslims as it was the first step towards the immense prestige for the cause of Islam over all of Arabia. It had also a great effect upon the civilization and humanity. The Battle of Badr was a most outstanding event in the history of Islam on account of its important results. Here we must point out the motives behind the intrigues used against Islam and the impending catastrophe which was awaiting Muhammad and his followers at that very critical time.

A caravan consisting of Muslims was raided during a sacred month, in which it is forbidden to fight except in defence. During these sacred periods, however, some of the raiders were killed by the defenders. This soon gave the lie to propaganda against Muslims all over Arabia. This propaganda was being spread mainly by the Jews who had reached a point of despair against Muhammad's help and they broke off their promises and began openly their intrigues again. The Jews informed the 'Qurish' of every detail about the Muslims' strength

in 'Madinah' and they promised them their full support when the 'Qurish' advanced upon Madinah. It was a very critical period for the Prophet, who was aware of the intrigues; he had no means of defence because the Muslims had not built or considered the fortification of the City of Madinah.

Here we must remember that Muhammad (peace be upon him) was not a mere preacher of a new religion, who could ignore the catastrophe which might destroy his plans or exterminate his followers. The army of the Qurish was approaching Madinah, destroying trees, stealing sheep and camels in their path. Their army was a thousand strong and well equipped. They were approaching the City with the main intention of exterminating the Muslims and capturing the City. Owing to the grave situation Muhammad (peace be upon him) had to fight against his inclinations of human kindness and forgiveness.

With an army of only three hundred disciples, the Prophet (peace be upon him) left Madinah City and occupied positions in the Valley of 'Badr'. The Meccans advanced forward of the wells, since as water is a vital weapon in war, they decided to cut all supplies from Muhammad and his small army.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Ramadan
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYS

December
1966

THE BATTLE OF 'BADR'

BY

A. M. Mohiaddin Always



The Holy Qur'an stated that the message of the Prophet Muhammad is general to all nations till the end of this world. The early Muslims ardently believed that they were doing a great service to other people by guiding them to a faith that secures for its adherent the happiness of the two worlds. Although they were ready to give up their lives for propagating their faith, they were carrying on that duty by preaching and conveying the people, the message of God in peaceful way.

The use of force in spreading Islam is contrary to the very spirit of Qur'anic principles as it is stated :
« لا إكراه في الدين » (There is no compulsion in religion). In the Islamic point of view fighting is not the thing to be liked and sought, that peace

should be clung to as far as possible. This great human idea of a true Muslim is embodied in the following verses of the Qur'an :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ » (Fighting is enjoined upon you, although it is something disliked by you) and

« وَإِنْ جِئُوا بِالسَّلَامِ فَاْجِبُوا .. » (But if they lean toward peace, you also lean to it (peace)). Islam likes order, truth and liberty. Wars, under Islam, cannot be declared except in the case of defence and it tried to organise and confine to its narrowest limits. For this aim, rules were set in the most humanitarian form even in the defensive wars. The Holy Qur'an says :

« وَقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا »
« إِنْ الله لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ » (Fight in the way of Allah against those who fight

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

بَعْدَ رَعْنِ شَيْخَةِ الْإِسْلَامِ د. زَيْدِ بْنِ كَثِيرٍ

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة المجتاع الأخر
بالقاهرة
٩٠٥٩٤ م

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بذل لا شتر لك»
١٠ في المروعة أمرية، الخمة
٥٠ خارج، المروعة
والدكتور الطالب يفيض فاض

الجزء الثامن - السنة الثامنة والثلاثون - شوال سنة ١٣٨٦ هـ - يناير سنة ١٩٦٧ م



لِسَمَاءِ الْهَارِثِيَّةِ

لغتنا بين الجمود والميوعة

بقلم

أحمد حسن الزيات

أما الأزمة التي تأخذ بكاملها اليوم فهي
تصيبها والملك في أيدي أهلها يكاد يستمر ،
والحكم في جميع أقطارها يوشك أن يستقل .
وكان منطق الأشياء يقتضي بأن تنهض العربية
بنهوض العروبة ، وتجدد بتجدد الإسلام ،
وتزدهر بازدهار الحضارة ؛ ولكنها وقفت
وقفة الجسم القاصر بين قوتين متضادتين :
قوة تجذبه إلى الوراء ، وقوة تجذبه إلى الأمام ،
حتى انتهى به الجذب من هنا ومن هنا إلى أن
تمزق ، ليجد بضعه في أيدي فريق ، وماع

لغتنا اليوم في أزمة لم تتعرض لمثلها منذ
ابتليت هي وأهلها بسلط التتار على العراق ،
والصليبيين على الشام ، والفرنجة على الأندلس ،
والترك على مصر . فلو أنها استكانت لهذا
السلط فأنحلت إلى لهجاتها السامية ، ولحقت
بأخواتها السامية لما كان ذلك بدلا من القول
ولا حدا في التاريخ ؛ ولكنها بقيت في خلال
تلك الحقب السود جزءاً من حقيقة الإسلام
تحيا في كتابه ، وتفسر في كتبه ، وتدرس
في معاهده .

فينظر إليها نظر السئى إلى البدعة ؛ فإذا استحسنتها حاول أن يسوغها بقول مروى عن أحد البداة ، أو رأى منقول عن بعض النحاة ، فإن وجد قولاً لنحوى ولو أعجمياً ، أو لحناً لقيمة ولو حوشياً ، أجاز وإلا منع !

وربما كان نحوى اليوم أدقّ فيها لأسرار اللغات من نحوى الأمس ، ولكنها التبعية العقلية التى سرت من الفقهاء إلى اللغويين بحكم الصلة الوثيقة بين اللغة والدين .

لو أن عبارة النص القديم كانت من تقوى القلوب التى تحرص على سلامة الأسلوب فى اللغة كما تحرص على سلامة المنهج فى الشريعة لقلنا : نعم ونعام عين ؛ ولكنها تعلقت بالضميف كما تعلقت بالقوى ، وأخذت بالشاذ كما أخذت بالمطرد ؛ فكان من هذا التناقض أن فسدت كل قاعدة وصح كل خطأ !

ذلك على الإجمال لصيب المترجمين من الشيوخ فى أزمة اللغة . أما لصيب الإباحيين من الشباب فيها فهو نتيجة محتومة لو قوف كهنتها على باب ميكها يذودون عن حوضها كل شارب ، ويصدون عن عليها كل طالب ، إلا من تذر نفسه طول البحر لدراستها على المنهج الموروث من تعدد الأوجه واختلاف الصيغ وتباين المذاهب وتناقض الأقوال . وكيف يطلب علانها من النشأ أن يغفلوا ذرعهم لتحصيل اللغة على هذا النمط ، وليست قواعدها إلا مادة من مواد الدراسة

بعضه فى أيدي فريق . وهذان الفريقان اللذان أزماها هذه الأزمة هما : شيوخها الذين يتعبدون بتقديمها عن تعصب ، وشبابها الذين يتصرفون فى جديدها عن جهالة .

شيوخها علوها كل العلم ، وأحبوها كل الحب ، ثم اعتقدوا أنها حين استطاعت أن تعبر عن وحى الله وسنة رسوله وأحكام شرعه قد كملت كالدين وتمت ترم النبوة ، فحرصوا على أن يظل باب الوضع مطلقاً ووقفوا من موادها وقواعدها حيث وقف الأقدمون ، لا يتقدمون إلا بدليل منهم ، ولا يحكمون إلا بنص منقول عنهم ، ويحفظون قول (ابن فارس) : « ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه » . وينسون قول ابن جني : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » ولا يدخلون فى حسابهم أن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبات الدين ، ولا أن تختم ختام النبوة ، لأنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، والمعاني لا تنفد .

ترى النحوى المعاصر وقد اكتملت له الآلة وقويت فيه الملكة فاستقصى أطراف النحو وأحاط بأصوله وفروعه ووقف على شاذه ومفقيه ، ثم تعرض له أو تعرض عليه مشكلة من مشكلات التعبير الحديث تتطلب منه جواز المرور إلى حرم القواعد المقررة ،

لأنهم يدعون إلى العامة لأنها أسهل لا لأنها أفضل ؛ فإن تحميلها لا يحتاج إلى كتاب ومعلم ودرس ؛ وإنما يحتاج إلى جواب وشارع واستماع .

وشر ما في الأمر أنهم يكثرون والكتاب الأصلاء يقلون ؛ وعما قريب أو بعيد ينخفض مستوى الأدب حتى يبلغه الكسح ويناله القزم ويتزعمه الجاهل ، ويومئذ يستأخرف نفسه ، ويؤلف السخف ، وتصبح القصص هي الغريبة والأدب الرفيع هو المنكر .

أما تفريغ هذه الأزمسة طلعها يكون إذا توسط بين التزمّت الجامد والإباحية المائعة قوام من اللبونة المعتدلة ، تصوغ ألفاظ اللغة على الأوضاع التي تقتضيها حال الحضارة وتشكل أساليبها على الصور التي يرتضيها ذوق العصر ، وتنتظر إلى النحو والصرف على أنهما قواعد لفظة واحدة ولهجة واحدة ؛ فيقتصر منها على القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة وتقوم هذه اللهجة .

والمأمول المعقول أن يكون مجمع اللغة العربية هو الكتلة الثالثة التي تعدل المزاج بين الكتلتين البيئية واليسارية ، أو الرأسمالية اللغوية التي يقوم عليها حفاظ الشيوخ ، والشيوعية الأدبية التي يدعو إليها سفه الشباب .

أحمد محمد الزيات

المتعددة المتنوعة ، ولكل مادة على الطالب واجب مفروض من الجهد والوقت ؟ أما كان الأولى أن تقتصر المدرسة العامة من النحو والصرف على قواعدهما الأساسية العملية ، ثم تقدمها إلى الناشئ مبسطة في صور مشق من الأمثلة الشارحة والنماذج الموحية والتمارين المدربة فتلائم بين قدرته وطبيعته ، وتوفّق بين علمه وعمله ؟ بلى كان ذلك هو الأولى ، ولكن المدرسة غيّبت بالحفظ لا بالفهم ، وبالشهادة لا بالكفاية ، وبالكلم لا بالكيف ، فجزّت عن تخريج القارئ والكاتب والمفكر .

وكان الجاري في حرف الناس ألا يتعاطى إنسان عملاً إلا إذا تجهز بجهازه فلا يزال الطبابة إلا من درس الطب ، ولا الكتابة إلا من درس الأدب ؛ ولكن طائفة من الشباب آتاهم الله الاستعداد ولم يؤتهم العدة أرادوا أن يكونوا كتاباً فافتحموا مكاتب الصحف واقتعدوا كرامى الإذاعة وأخذوا يقودون الرأي ويوجهون الأدب ويروضون الأذواق على ثقافة العامية ، فإذا ألهمهم النقد وأحيام البيان ثاروا على القصص المنبعة البديعة ثورة الثعلب على عقود العنب البعيد المال ، ودعوا إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يشاء ، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة .

لا " اني قيل انها زائدة ، وليست كذلك
 درء مظاير من الجراءة في تفسير الكتاب العزيز
 لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا رسول الله .
 ، أما بعد ، فهذا بحث موضوعه : : لا ، التي قيل : إنها زائدة
 وليست كذلك .

والخاصة التي أشرنا إليها ، وهي آيات معينة قال
 بعض العلماء بل كثير منهم : إن (لا) فيها زائدة .
 وينبغي أن يعلم أن الكلمة تكون زائدة
 إذا كانت لا تعطى معنى أصليا زائدا على
 ما استفيد من غيرها في جملتها . وبعبارة
 أخرى إذا كان ما تدل عليه من معنى بحسب
 أصل وضعها المنفرد مستفادا من كلمة أخرى
 وردت قبلها في الكلام نفسه :

فكلمة (لا) تكون زائدة إذا كان النفي
 الذي هو معناها الوضعي مستفادا من غيرها ،
 فتكون زيادتها بعد ذلك مفيدة تأكيد هذا
 النفي وتقويته : فإذا قيل : هل في الديانات
 السابوية ما يبيع شرب الخمر ، ثم قيل
 في الجواب : (لا) ، كانت هذه الكلمة مفيدة
 قطعا بأصل وضعها عدم جواز شرب الخمر
 في شيء من تلك الديانات ، فإذا زيد على
 (لا) هذه أخرى ، وقيل : (لا ، لا) كان
 الجواب بالنفي مستفادا بالوضع الأصلي من
 الأولى ، وصارت الثانية تأكيدا وتقوية
 لهذا النفي .

والكلام في (لا) هذه التي قيل : إنها زائدة
 وهي ليست بزيادة ، مقصور على ما هو وارد
 منها في القرآن الكريم : في آيات معينة
 محدودة ، قرر بعض العلماء الذين عنوا بتفسير
 الكتاب العزيز ، أن (لا) فيها زائدة ، على
 حين أنها أصلية وأصلية في موقعها ، كما يتبين
 ذلك بمشيئة الله تعالى .

وليس معنى هذا أننا نمنع أن تقع
 في القرآن كلمات زائدة يقصد بها معان خاصة
 كتوكيد حكم بنى أو إثبات ، فإن ذلك واقع
 وكثير ، وهو من الحقائق التي لا شبهة فيها :
 فمن ذلك كلمة أن بعد (لما) في قوله
 تعالى : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه
 فارتد بصيرا » .

وكلمة (ما) في قوله سبحانه : « فبارحمة من
 الله انت لهم » ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون » ،
 و (الباء) في قوله عز وجل : « وما يدرك
 بظلام العبيد » ، أليس الله بكاف عبده » ،
 نحن لا نمنع شيئا من ذلك ، ولكننا نمنع
 أن تكون (لا) زائدة في تلك المواطن

تكون زائدة مأثراً بها لجراد التنوية والتأكيد
ثم يكون من غير المعقول ومن عكس الوضع
الطبيعي أن تكون مؤكدة لما بعدها ، فإنه
إذا جاء بعدها لفظ بمعناها كان هو الجدير
أن يعتبر زائداً مؤكداً .

وقد نقل ابن يعيش ، عن « ثعلب »
أنه يمنع أن تجيء « لا » الزائدة للتأكيد
في ابتداء القول ؛ كما أثبت عن بعض العلماء
أنه ينكر ويستفح أن يأتي الحرف المزيد
للتأكيد أول الكلام ، وأنه يقول : « إن
حكم للتأكيد بنفي أن يكون بعد المؤكدة » .
(شرح المفصل ٨٣ ص ١٣٦) .

الثاني : أن تكون مؤكدة نفيًا استفيد بما
قبلها ، فلا يمكن أن تأتي لتأكيد ثبوت معنى
سلطت هي عليه ، فإن من غير المعقول أن
يكون نفي المعنى مؤكداً لثبوته ، فنفي العلم
بشيء لا يؤكد ثبوت العلم بذلك الشيء .

هاتان قضيتان ضرورتان لا تقبلان أن
تكونا محلًا لخلاف أو اشتباه ؛ وقد آثرنا
إيرادهما هنا للتنبيه والتذكير ، ولأنه سيبنى
عليهما الحكم في المسائل الآتية ، التي سنعرض
فيها لبعض الآيات القرآنية ، تلك الآيات
التي وردت فيها كلمة « لا » الزائدة للتوكيد
أو غير الزائدة أصلاً ، كما سيتبين الأمر
في ذلك .

على أنه بالرغم من أن هاتين القضيتين كانتا

إذاً لا ينبغي أن يفهم من أن كلمة قد وقعت
زائدة في بعض الآيات القرآنية أنها عالية من
المعنى ، مجردة من الفائدة ، فإن هذا يعني أنها
تكون لقوا ياطلوا وحشوا عابثاً ، وذلك
بحال أن يكون شيء منه في الكتاب العزيز .

وفي هذا يقول ابن يعيش : « ليس المراد
- بزيادة الحرف - أنه قد دخل بغير معنى
ألبسة ، بل يزيد لضرب من التأكيد ،
والتأكيد معنى صحيح » .

ثم ينقل عن (سيوطي) قوله - في تلك
الحروف الزائدة - : « إنها زائدة من حيث
إنها لم تحدث شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من
المعنى ، سوى تأكيد الكلام » . (شرح
المفصل ٨٣ ص ١٣٩) .

ثم إنه يلزم لصحة الحكم بزيادة (لا)
ألا تكون زيادتها موجهة لشيء من اللبس
والاشتباه ، كما نص على ذلك أيضاً ابن يعيش
بقوله : « إنها لا تزاد إلا في موضع
لا لبس فيه » (شرح المفصل ٨٣ ص ١٣٧) .

• • •

مدا - وزيادة (لا) لإفادة التنوية والتأكيد
على الوجه الذي بيناه آنفاً ، تقتضي أمرين :
الأول : أن تكون مسبوقه بذلك الذي
تؤكد ، فلا تقع إذاً في أول الكلام ؛ لأنها
لو وقعت كذلك لكان المعنى الوضعي - وهو
النفي - مستفاداً منها بطريق الأصالة ، فلا

التقريرين ، أن القضايتين - على رغم أنهما من الثبوت والوضوح ، بحيث لا تقبلان أن تكونا عللًا لخلاف - قد عالج فيها بعض العلماء .

أما الوجه الثاني : من الجواب ، فهو قائم على عدم التعويل على ذلك الخلاف ، وعدم اعتباره خلافاً صحيحاً ؛ فإنه ليس كل خلاف يعتبر ، إلا إذا كان له حظ من النظر كما يقولون ؛ وهؤلاء الذين عالجوا في القضيتين أو في إحداهما ، ليس لهم مستند فيما صاروا إليه من الخلاف ، إلا ما لاح لهم بياض الرأي ، من تلك الآيات القرآنية ، أن « لا » فيها زائدة في أول الكلام ، أو أنها في بعض الآيات لتأكيد ما وجه إليه التنبها من إثبات ، ولكن من أين لهم أن « لا » في تلك الآيات على ما ظنوا ؟

إن القول بأن « لا » جاءت مزيدة في القرآن في ابتداء الكلام ، أو أنها جلت في بعض الآيات لتأكيد ثبوت ما هو متنف بها ، هو من قبيل المصادرة ، أو هو مجرد دعوى حارية من الدليل .

...

هذا - والآيات التي هي مثار هذا البحث - وهي التي كثر فيها كلام النحاة والمفسرين ، وتشعبت فيها طرق التخرُّج والتعطيل ، واختلفت فيها وجوه الإعراب والتأويل - .

من الثبوت والوضوح بالمتزلة التي قد تجعل القول فيها من الفضول ، فقد وجدنا من المفسرين القدامى والحديثين من يجادل فيها جميعاً أو في إحداها ، وأن بعضهم يزعم جواز أن تضع « لا » الزائدة للتأكيد في ابتداء الكلام ، كما ينهض بعض آخر إلى جواز أن تضع « لا » الزائدة ، مؤكدة لثبوت نفس المعنى الذي سلطت عليه (١) . وقد ارتكب هؤلاء وهؤلاء - في سبيل تخرُّج بعض النصوص القرآنية على ما ذهبوا إليه - شيئاً كثيراً من التكلف والتعسف .

قد يقال : إذا كان العلماء قد ثبت خلافهم في القضيتين ، على النحو المصرح به هنا ، فكيف ادعى آخراً أنهما من الضروريات ، التي لا تقبل أن تكون عللاً لخلاف أو اشتباه ؟ ألا يكون ذلك من التناقض ؟

والجواب من وجهين :

الأول : أنا في أول الأمر ، لم نقول : إن القضيتين لم يضع فيهما خلاف ، حتى يكون ذلك مناقضاً للاعتراف بعد ذلك ، بأنه قد وقع فيهما الخلاف ، وإنما الذي قلناه ، هو أنهما من الضروريات التي لا تقبل أن تكون عللاً لخلاف أو اشتباه ؛ وإذاً يكون حاصل

(١) أو يقال : إن المكي زيادة « لا » فيها - كمنه بذلك - يزعم القول بجواز أن تضع « لا » الزائدة مؤكدة لثبوت نفس المعنى الذي سلطت عليه .

إنه لقول رسول كريم . . (٣٨-٤٠ الحاقة)
« لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس
اللوامة » . (١٠٧-١٠٨)
« لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا
البلد » . (١٠٧-١٠٨)

القسم الرابع : ما وقعت فيه « لا » بعد
أن المصدرية المسبوقة بلام التعليل ، ثم وقع
نفي بعدها في الجملة نفسها وذلك كما في الآية
الآخيرة من سورة الحديد : قوله تعالى :

« ثلثا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على
شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء » .

وهذه هي الآية التي اتخذها كثير من العلماء
أساساً للقول بالزيادة ، يحملون عليها غيرها
من الآيات التي جعلوا « لا » فيها زائدة ؛
فهم كلما صادفهم آية من هذه الآيات ، قالوا :
إن « لا » فيها مزيدة لتأكيد ، كما في قوله تعالى :
« ثلثا يعلم أهل الكتاب » ؛ كأن « لا »
في هذه الآية الأخيرة مفروغ منها ، ومنقطع
فيها الحكم أنها زائدة ، وكأنه لا يستقيم الآية
معنى إلا على أساس هذه الزيادة .

ونحن سنبين القول للفصل في ذلك بمشيئة
الله تعالى وحسن معونته .

القسم الخامس : ما ذكرت فيه أداة النفي

يمكن حصرها في خمسة أقسام سنفصل القول
فيها تفصيلاً ، ثم نبعث بعض متفرقات ،
نوردتها في خاتمة البحث ، إن شاء الله تعالى :

بجمل الأقسام الخمسة .

القسم الأول : ما كررت فيه « لا » أي
ذكرت مرتين في الجملة الواحدة ، مع الفصل
بينهما بقسم .
وذلك مثل قوله تعالى : « فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكوك فيما همخبر بينهم » .
(٩٥ سورة النساء) .

ومثال ذلك من الشعر العربي قول امرئ
القيس :

فلا وأبيك ابنسة العامري
لا يدعى القوم أنى أفر
القسم الثاني : ما وقعت فيه « لا » مع أن
المصدرية بعد فعل منع .

ويدخل تحته قوله تعالى : « قال ما منعك
ألا تسجد إذ أمرتك » . (١٢ سورة الأعراف) .
وقوله عز وجل : « قال يا هارون ما منعك
إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعهم » . (٩٢ سورة طه) .
القسم الثالث : ما دخلت فيه « لا »
على فعل أقسم .

وهو آيات كثيرة ، مثل قوله تعالى :
« فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم
لو تعلمون عظيم » . (٧٥ ، ٧٦ الواقعة)
« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون

السداد والاستقامة ، في تفسير هذه الآيات ، وذلك على أساس أن كلمة «لا» فيها - وهي التي قالوا إنها زائدة - ليست بزيادة ؛ بل هي واقعة موقعها ، أصيلة في موردها ، مؤدية معنى التثني الذي وضعت له في اللغة .

• • •

القسم الأول :

« ما ذكرت فيه » لا . في الجملة الواحدة مرتين مع الفصل بينهما بقسم .

وذلك مثل آية النساء : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيها نحر بينهم » .

هذه الآية قررها «الزحطري» - وتابعه كثير من المفسرين -^(١) أن « لا » الأولى في قوله سبحانه :

« فلا وربك لا يؤمنون » زائدة لتأكيد معنى القسم الذي ورد بعدها . وهذا نص عبارته ، قال : « فلا وربك » معناه « فو ربك »

مرتين ، وجهلت ثانيتهما مع ثاني الأمرين ، في مقام نفى القسوة بينهما . »
وذلك كما في قوله تعالى :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن » . (٢٤ - هـ)

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الخرو ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » . (١٩ - ٢٢ فاطر)
ومنه قوله سبحانه :

« وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء » .

(٥٨ - غافر)

هذه الآيات جميعها ، التي اشتملت عليها الأقسام الخمسة التي بينها ، قد قال كثير من العلماء : إن « لا » فيها زائدة ؛ وخرجوا ذلك تخريجات ، ما ظن أنها كافية للاطشنان إلى الحكم بزيادتها .^(٢)

وستعرض ما قالوه في آيات كل قسم من تلك الأقسام ، ثم لعقب بالوجه الذي نرى فيه

(١) قد تابع « الزحطري » في القول بزيادة « لا » الأولى جماعة من المفسرين : كأبي السوءد والفتن الرازي والفتن ، والألويس ، والبيوطي ، وغيرهم غير أن منهم من اقتصر على ما جرى عليه الزحطري ، من أنها زائدة لتأكيد القسم ؛ ومنهم من جور مع ذلك ، أنها زائدة لتأكيد التثني الوارد بعده - هذا القسم - في قوله : « لا يؤمنون » ؛ كما انفصل القول في ذلك ، وهناك رأى ثالث أنها أصيلة ثني أمر ذلك على الآيات السابقة ، وهو رأى الطبري وتابعه فيه جماعة من العلماء .

(٢) من سار على أن « لا » زائدة في آيات الأعراف ، و « لا » ، و « لا » ، و « لا » ، من علماء الفقه صاحب « القاموس » ؛ فإنه قال - في « لا » من باب الألف الثنية - بعد أن ذكر لها عدة احتمالات : وتكون زائدة : « ما منك إفرأيتهم سلوا الأجبين » « ما منك ألا تسجد إذ أمرتك » « فلا يمل أهل الكتاب » .

بها « لا » الثانية ؛ أما الأولى فقد وقعت موقعها ، وأدلتها يراد من المعنى ، فلا تكون هي المزيدة .

« الوجه الثاني » بما يعترض به على كلام « الزعشري » أنه يجعل « لا » الزائدة تأكيداً لمعنى القسم ، ولا يرضى أن تكون تأكيداً للنفي الذى جاء بعده ، كما يصرح بذلك فى بقية كلامه ، الذى أوردناه له ؛ فكيف تكون « لا » التى هى أداة نفي فى أصل وضعها ، مؤكدة للقسم بعدها ، وهو معقول بجوابي ؟ ثم أى علاقة بين « لا » ومعناها ، وبين القسم ومعنونه ، حتى تكون مؤكدة له ؟

لورضى « الزعشري » بأن تكون « لا » الأولى - وهى النفي أصلاً - قد زيدت تأكيداً للنفي الذى وقع عليه القسم ، لئلا الأمر بعض الشيء ، ولئلا نقض كلامه من وجه واحد هو الوجه الأول ، الذى قلنا فيه ؛ إنه جعل السابق تأكيداً للاحتق ، وذلك خلاف الوضع الصحيح ، لكنه لم يرض بذلك محتجاً بأن « لا » هذه ، قد زيدت تأكيداً للإثبات ، فى قوله تعالى : « فلا أقسم ببصرون وما لا تبصرون » ، إنه لقول رسول كريم ، وإذا لا تكون تأكيداً للنفي . وهنا يأتي الوجه الثالث ، من أوجه الاعتراض على كلامه .

« فى هذا الوجه الثالث » نقول : إنه جعل « لا » تأكيداً لمعنى القسم ، ولم يجعلها تأكيداً للنفي بعده ، لأن هناك مانعاً - فى رأيه - من

كقوله تعالى : « وفورك لنسألتهم » ، و« لا » مزيدة لتأكيد معنى القسم ، كما زيدت فى « لا يعلم » لتأكيد وجوب العلم ، و« لا يؤمنون » جواب القسم ، ثم قال : فإن قلت : هل زعمت أنها زيدت لتظاهر « لا » فى « لا يؤمنون » .

قلت : يأتى ذلك استواء النفي والإثبات فيه ، وذلك قوله : « فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون » ، إنه لقول رسول كريم ^(١) . غريب من الإمام « الزعشري » أن يسير هذا السور فى تفسير الآية الكريمة ؛ وغريب أن يتابعه فى ذلك جماعة كبيرة من جلة العلماء والمفسرين .

إن كلام « الزعشري » هذا ، يمكن أن يعترض عليه من عدة أوجه :

« الأول » من حيث إنه يجعل « لا » ، مزيدة لتأكيد معنى القسم الوارد بعدها ؛ وقد قلنا ؛ فيها قدماء من قضاياء وأحكام ؛ إن هذا خلاف الأصول ، وعكس المعقول ؛ وهو قلب للأوضاع التى يهبها الناس ، وتجرى عليها اللغات ؛ فإن ما تكون زيادته للتأكيد ، ينبغي أن يكون متأخراً عما هو مؤكد له .

ثم إن « لا » قد ذكرت فى الآية مرتين ، فإذا كان لابد من القول بالزيادة ، فإن الاحتق

وقد اقتصر « الزحشرى » على ذلك الوجه في إعراب « لا » في قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيهما شجر بينهم » ، وهو جعلها صلة مؤكدة للقسم .
واقصر على هذا الوجه أيضاً - تبعاً له -

العلامة « أبو السعود » .

أما « الفخر الرازى » فقد صدر كلامه بهذا الوجه ، أتى به نصاً عن غير تغيير كلمة ، ثم أتبعه بوجهين آخرين :

« أحدهما » : على أساس أن « لا » زائدة للتأكيد أيضاً ، ولكنه تأكيد للنفي الذى جاء فيها بعد . قال : لأنه إذا ذكر في أول الكلام وفى آخره ، كان أوكد وأحسن .

والرد على هذا الوجه يعلم بما قدمناه ، فإنه ليس بما يقبل ، أن تكون الكلمة التى ذكرت أولاً ووقت موقعها ، زائدة لتوكيد شيء يأتى بعدها .

« الوجه الثانى » من الوجهين اللذين أوردهما « الفخر » : هو أن « لا » أصلية لا زائدة ، فهى مفيدة معناها الذى وضعت له فى اللغة ، وهو النفي ، ولكن هذا النفي موجه إلى أمر سابق ، وتقدير الكلام : ليس

== يكون السابق مزبداً لتأكيد اللاحق ، ولا على

أنت يسكون النفي تأكيداً للإثبات هذا - . وأما قوله : « كما زهدت فى » التلايم » لتأكيد وجوب العلم ، فإننا نرجى القول فيه إلى ما حياضى عند الكلام على هذه الآية من سورة الحديد فى القسم الرابع

جعلها تأكيداً لهذا النفي : ذلك أنها جلت فى موطن آخر تأكيداً للإثبات ، فلا تكون تأكيداً للنفي ، لأن النفي والإثبات بمنزلة النقيضين ، فإذا وردت زائدة لتأكيد أحدهما فلا تزداد لتأكيد الآخر .

هذا ما قاله « الزحشرى » فى توجيه كون « لا » فى آية النساء ، تأكيداً للقسم ، وليست تأكيداً للنفي الذى بعده ، وهو فى نظرنا توجيه غير وجيه ؛ لأنه لا مانع من جعلها فى مقام النفي ، تأكيداً لمعنى النفي ، كما كانت فى مقام الإثبات ، تأكيداً لمعنى الإثبات ، مادام معنى التأكيد الذى تحمله ، إنما تحمله بحكم أنها مزيدة ، ولجورد كونها مزيدة ، وليس لسبب آخر ، فهو وصف ملازم للزيادة ، والكلمة مزيدة هنا وهناك ، فلا مانع إذاً من أن تؤدى معنى للتأكيد فى الحالتين ، وفى كلا الموطنين .

على أنه إذا لم يمكن أن يكون لها الأمران جميعاً : التأكيد فى الإثبات والتأكيد فى النفي ، فالأولى بها والآنسب لأصل وضعها ، أن تنصرف على تأكيد النفي ، وتعض له ، لأن النفي هو أصل معناها ، وطبيعى ألا تخرج من نطاقه ، حينما تزداد للتوكيد (١) .

(١) قد جربنا فى مناقشة كلام « الزحشرى » والرد على استدلاله ، على ما يقتضى به قواعد النظر مما فيه الكفاية والوثاق ، بهذا الرد . أما حقيقة رأينا فى المسألة ، هى أنها لا توافق بحال ، على أن ==

يعطوك حكما بينهم ، فيما اختلط بينهم من أمورهم ، فالتبس عليهم حكمه ، ٥١ . (١)

ومعنى هذا أن النقي الأول (فلا) ، موجه

إلى أشياء سبق القول فيها ، في الآيات التي قبل

هذه . فهو تكذيب لأولئك المنافقين ،

في رعمهم أنهم مؤمنون بارسول صلى الله

عليه وسلم ، وبما أنزل عليه . على حين أنهم

يصرون الخلف والكفر به ؛ ولذلك هم

لا يقصدون إليه صلى الله عليه وسلم ليحكم لهم

في شؤونهم ، بل يتحاكمون فيها إلى الطاغوت ؛

ثم استأنف الكلام بخطاب الرسول ، والإقسام

له يريه ، بقوله سبحانه : « وربك لا يؤمنون

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في

أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسليما » .

فهو كلام مبتدأ مبدوء بالقسم من الله على

أن أولئك المنافقين لا يؤمنون إيماناً صحيحاً ،

يعتقدون فيه اعتقاداً يقينياً لازماً ، حجة

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى يحكموه

في شؤونهم ، ويرضوا بحكمه ويطمئنوا إليه ،

فلا يكون عندهم شيء من الضيق أو التبرم

بحكمته ، وإنما يذعنون لها إذعاناً خالصاً ،

ويسلون بها تسليماً تاماً .

هذا كلام له في ظاهره شيء من الوجاهة ،

ولكنه عند التحقيق لا يستقيم تمام الاستقامة ،

على المعبود من أسلوب القرآن ، الذي هو

في أعلى درجات البلاغة ؛ لأنه لا يستقيم على

الامر كما يزعمون أنهم آمنوا بك وهم يخالفون

حكمتك . ثم استأنف القسم بقوله : « فو ربك

لا يؤمنون حتى يحكموك » (٢) .

وهذا الوجه قد سبق إليه (ابن جرير

الطبري) ، ولذلك سنؤخر الكلام عليه ،

حتى نورد ما قاله هذا الإمام الجليل في تفسير

هذه الآية .

غير أننا هنا نلاحظ ملاحظة سريعة :

أن الإمام (الفخر) يقول : ثم استأنف القسم

بقوله : « فو ربك » ؛ فإنه صنيع لا يستقيم ،

إلا إذا كان نص الآية هكذا : « لا فو ربك

لا يؤمنون حتى يحكموك » ؛ لكن الامر

ليس كذلك ، وليست الفاء في الآية متصلة

بالقسم ، على النحو الذي جله به كلام الإمام

الرازي .

تفسير الإمام الطبري آية النساء :

قول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون

حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

قال رحمه الله : يعني جل ثناؤه بقوله :

(فلا) فليس الامر كما يزعمون ، أنهم

يؤمنون بما أنزل إليك ، وهم يتحاكمون

إلى الطاغوت ، ويصدون عنك إذا دعوا

إليك يا محمد . واستأنف القسم ، جل ذكره .

فقال : (وربك) يا محمد (لا يؤمنون)

أى لا يصدقون في ربك وبما أنزل إليك

« حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ؛ يعني حتى

حقيقة بذلك المعنى ، ينبع بقوة من قلب تلك الكلمة ، أو أنها قد مسته ولو ما خفيها ، بعد أن حلت به وأكرمت عليه .

إن الآيات التي تريد عرضها هنا ، هي الآيات من الستين إلى الرابعة والستين ، من سورة النساء ، وهي التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » (٦٠) « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » (٦١) فكيف إذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا » (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم ، وعظمهم ، وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا » (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » (٦٤) « فلا » .

هذه هي الآيات ، وهذه كلمة « فلا » عقيها موقوفا عليها ؛ فما الذي أهمته هذه الكلمة ؟ ومن الذي يستطيع أن يدعى ، أنه

أسلوب القرآن ؛ ذلك الاقتضاب الشديد ، بل ذلك البتر ، الذي تصير إليه الآية على ذلك الرأي .

إنه على ذلك الرأي ، تكون كلمة (فلا) وحدها ، قد حلت محل جملة تامة من الكلام ، مقصود بها الرد على ذلك الزعم ، الذي زعمه المنافقون . وحينئذ يكون الوقف على تلك الكلمة (فلا) جائزا ؛ لا بل لأنه يكون وقفا تاما ، من حيث إنها حلت محل آية كاملة ، أو محل جملة تامة من آية ؛ وهذا شيء نستطيع أن نقول : إنه يأباه النوق القرآن الكريم . ونكتفي بهذا من أن نقول : إنه شيء يأباه فوق كل أسلوب عربي سليم .

إننا - وأيم الحق - لا ندري كيف كانت كلمة (فلا) هذه ، المقنضة المبسوطة ، مفيدة ذلك المعنى الذي أشار إليه (الطبري) ومن رأى رأيه .

إن هذه الكلمة لا تشعر بشيء مما قاله ، حين تنطق بها وحدها ، مقطوعة عما بعدها ، وبعد تلاوة الآيات التي سبقتها ، وهي الآيات التي قالوا : إن للكلمة تحمل الرد على مزاعم المنافقين ، التي حدثت عنها تلك الآيات .

ولا بأس أن نعرض هنا تلك الآيات ، التي سبقت الكلمة « فلا » ، ثم نقبحها بها موقوفا عليها ، كما يريد أصحاب ذلك الرأي ، ثم نرجع إلى أنفسنا ، نرى هل شعرت

قد عقل منها ذلك المعنى ، الذى حملت به أو شيئا منه ؟
وكال اختيار ، ويطامتون إلى حكمه ويذعنون له تمام الإذعان .

إن ذلك المعنى الذى حملوا به تلك الكلمة ، قد تصيدوه لها تصيدا ، وهو - مع ذلك - لا يكاد يفهم إلا بمعونة الآية المبسوطة بتلك الكلمة ذاتها ، وهى قول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما تحجبهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

ومن هنا يقول « أبو حيان » - كاسياتى فى آيات القسم الثالث : « إن ذلك الوجه لا يجوز لأنه يلزم عليه حذف اسم « لا » وخبرها من غير دليل .

• • •

الوجه المختار فى تفسير آية النساء :

إن الحكم الذى تحمله آية النساء : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما تحجبهم » هو حكم بنى الإيمان عن أولئك المنافقين ، الذين يزعمون أنهم مؤمنون بما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل من قبله ، على حين أنهم لا يصبون أن يتعاضدوا فى شؤونهم إليه .

فآية نفى الإيمان عنهم ، وحكم فصل بأنه لا يثبت الإيمان لهم ، إلا إذا كانوا يحكمونه صلى الله عليه وسلم فى شؤونهم ، عن رضا

وإذا كان الحكم فى الآية هكذا ، فقامه نفى الإيمان عن أولئك المنافقين حتى يحققوا شرطه الذى بيته الآية ، كآب من مقتضى البلاغة القرآنية ، لإراز ما يدل على الاهتمام بهذا النفى ، والعناية بما يكسبه قوة وتأكيده . وهذا هو السر فى مجيء أداة النفى فى صدر الكلام ، للدلالة على العناية بحكم النفى والاهتمام بشأنه ، ثم فى تأكيد هذا النفى بالقسم مع المبادرة بهذا القسم مبادرة تقضى بتوسيطه بين أداة النفى والمنفى بها .

إن الاهتمام بالنفى ، وإراز ما يدل على هذا الاهتمام ، وتأكيده بالقسم والمبادرة بمبادرة تجعله فى شبه مقام الصدارة ، فلا يتقسم عليه إلا أداة النفى وحدها ، حتى يكون من أثر ذلك أن يفصل بالقسم بينها وبين المنفى بها . إن هذا كله قد جمعه الآية فى أسلوبها الرائع الذى جاءت عليه .

فقد كان من الممكن - لإفادة المقصود الأصل من الآية ، مجردا عن اللفظ بتلك المعانى الخاصة بأن يقال : « وفربك لا يؤمنون حتى يحكوك » كما قيل فى الإنبات : « وفربك لنسألهم أجمعين » ؛ لكن هذا الوضع تفوت به الدلالة على قوة الاهتمام بحكم النفى ، تلك

بعينها « لا » الثانية من دون اختلاف أى اختلاف ؛ ومثل هذا لا يقال فيه : إن أول الأمرين موطنه ومهد الثاني، بل الذى يقال - وهو المعبود فى مثل هذا المقام ، ولا معبود غيره - هو أن أول الأمرين واقع موقعه ، والثانى مسؤكه له .

٣ - وكما أنها ليست زائدة لشيء من ذلك هى ليست أصلية لشيء علم بما سبق من الآيات ، كما يقول « الطبرى » لما قدمناه .

وإذا ففى أصلية واقعة موقعها ، مفيدة معناها الذى وضعت له ، وهو التنى ؛ ففى لنى شيء بأتى بعد فى الآية نفسها . أما « لا » الثانية ففى المريدة ، كما تفضى بذلك طبيعة الأشياء .

وهذا الوجه قد أشار إليه أبو حيان فى (البحر المحيط)^(١) ، حكاه فيها حكى من أقوال ؛ وهو رأى قد خطابه صاحبه خطوات فى سبيل الوجه المختار فى تفسير الآية ، لكنه لم يبلغ فى ذلك الغاية المرجوة .

وذلك أن « لا » الثانية ليست زيادتها فى رأينا - لجرد التأكيد ، كما يحكى « أبو حيان » فى بعض تلك الأقوال ؛ لأنه لو كانت زيادتها لذلك وحده لأمكن أن يستغنى عنها ، ويكون

الدلالة التى إنما يوفى بها تقديم أداة التنى ، وجعلها فى صدر الكلام .

وكان من الممكن أيضا أن يقال : « فلا يؤمنون وربك حتى يحكوك » ؛ ولكنه وضع ضعيف ؛ هو أضعف من سابقه ، من حيث إنه قد زحزح فيه القسم ، عن حكم مكان الصدارة ، حتى فقد قوته البالغة ، فى تأكيد حكم التنى ، وهى القوة التى تتوافر له فى حالة تقديمه .

إن القسم إذا أخر عن الحكم ، فإنه لا يتخلف عن أن يفيد تأكيد هذا الحكم ؛ ولكنه تأكيد يأتى متأخرا ، بعد ما يقع الحكم بالتنى عاريا عن ذلك التوكيد .

هذا - وحاصل هذا الوجه المختار ، الذى يتفرد به الأمر فى كلمة « لا » فى آية النساء التى معنا :

١ - أن « لا » الأولى فيها ليست زائدة لتأكيد القسم ، ولا لتأكيد التنى الذى جاء بعده ، لما - مناه من البيان .

٢ - وكذلك ليست زائدة توطئة وتمهيدا لنى الوارد بعد القسم ، على ما يحكىه العلامة الطبرى (١) وذلك أن « لا » الأولى هى

(١) مع البيان للشيخ أبى على الفضل بن الحسن

الطبرى ج ٣ ص ٦٨ - ٦٩ مطبعة المردان ميديا - سوريا .

(١) تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأمدلى ج ٣ ص ٧٨٤ .

أنها لدفع توهم غير المراد - فالذى نراه أنه لا يمكن من جهة البلاغة ، طرح هذه الزيادة . وإذا كان أهل العربية يقررون أن أداة التعريف « أل » ، قد تكون زائدة لازمة ، ويقول في هذا المعنى ابن مالك :

وقد تزداد لازماً كالكلمات

والآب والذين ثم اللان

فإننا نستطيع أن نقرر هنا ، أن « لا » ، الثانية في الآية ، هي في الاعتبار البلاعية من قبل الزائد اللازم ، فلا يمكن الاستغناء عنها ، نظراً إلى ما تؤديه من المعنى الضخم ؛ وما تدفعه من خطأ الوهم .

• • •

هذا - وعلى الوجه الذى اخترناه في آية النساء ؛ يستقيم بالضرورة بيت امرئ القيس :

فلا وأيك ابنة العامرى

لا يدعى القوم أنى أفر

فإنه صدره بأداة التثنية التى هي أصلية في موضعها ، إذ تثني بها عن نفسه ما قد يدعيه القوم عليه من الجبن والضعف ، والقرار من لقاء العدو ؛ وهو ما أشار إليه في هذا البيت نفسه لا في بيت آخر .

وهذا المحكم مهم عنده ، وهو حريص كل الحرص على تحريره وتوكيده ، ولذلك يادر فيه بأداة التثنية ، ثم أراد أن يؤكد التثنية وأن يبادر بهذا التأكيد ، حتى يكون له ما يشبه

الكلام مستقيماً بدونها ؛ فهل يمكن مع المحافظة على الخصائص التى أشرنا إليها فيما سبق - أن يقال : فلا وربك يؤمنون حتى يحكموك ، لا لظن أنه يمكن ذلك في أسلوب البلاغة القرآنية ؛ فإن هذا وصح في ظاهره شناعة يبرأ من مثله الكتاب العزيز .

إن هذا الوضع قد يحمل بظاهره على الظن الخطأ ، بتوجيه القسم غير وجهه الصحيحة ، فإنه قد يظن خطأ في بادىء الرأى ، أن المقسم عليه هو إيمان أولئك المتأقين ، وليس هو ثبوت الإيمان عنهم ؛ وهذا هو ما تقتضى عليه « لا » الثانية وتسمو أثره .

غير أنه قد يقال : كيف تكون « لا » هذه زائدة ، وقد حصلت تلك الفائدة الكبرى وقضت بوجودها على ما قد يتوهم من ذلك المعنى الخطأ ؟ أليس فيما قرره العلماء ، أن الكلمة الزائدة في التركيب لا يخل إسقاطها منه بما يؤديه من المعنى ؟

والجواب ، أن إسقاط الكلمة الزائدة لا يخل بما يؤديه التركيب من المعنى الأصلى ولكنه قد يخل بما يراد لإفادته من المعانى البلاغية التى يقابن في ميدانها البلغاء .

فالزيادة التى يمكن إسقاطها فلا يتأثر بسقوطها المعنى ، هي الزيادة التى تكون مجرد التأكيد ، أما إذا كانت لشيء آخر كالذى أشرنا إليه آنفاً في الآية التى معنا - وهو

هذا - وتعرض هنا ملاحظة بسيطة على ما جاء في التفسير الكبير للإمام «عمر الدين الرازي» في تفسيره أول سورة «القيامة» ، من نقاش حول بيت امرئ القيس ، وأنه يصلح الرد على دعوى أن « لا ، لا تراد في أول الكلام ، إذ أن الشاعر زادها في مستهل قصيدته .

والذي نريد أن ننبه إليه ، هو أن المتبادر من عبارة « مستهل » القصيدة هو مطلعها ، وأن المراد أن الشاعر زاد كلمة « لا » في أول البيت الذي هو مطلع القصيدة .

ولكن الحقيقة أن البيت ليس هو مطلع تلك القصيدة ، بل مطلعها يتقبله بقول فيه :
أحار بن حمر كأنني حمر
ويعدو على المرء ما يأتى

تنبيه : قد تبين مما قدمناه ، أن رأينا في هذا الموضوع ؛ هو أن « لا ، الأولى ليست زائدة في آية النساء ؛ وليست زائدة في بيت امرئ القيس ؛ سواء أكان البيت هو مطلع القصيدة أم لم يكن كذلك ؟

(يتبع)

د. محمد العربي تاج
بحر مهدى للبحر

مكان الصدارة الحقيقية ، تأتي بالقسم والياً لأداة النفي ، وكان من نتيجة ذلك ، أن فصل به بين أداة النفي والمنفي بها . وهو فصل مفتفر من أجل أنه بالقسم كما يقرر العلماء . ثم زاد « لا ، الثانية لامرين :

« أولها » - وقد يكون هو أدناها في الاعتبار - هو قصد تأكيد النفي المستفاد من « لا ، الأولى .

« والثاني » - وهو الأهم - هو إرادة الحيلولة دون ما يلزم على إسقاط « لا ، الثانية من صورة الأمر المستكره لو قيل :

لا وأيك وإنسة العامري
يدعى القوم أي أفر

ومن هذا يتبين أن « لا ، الأولى في بيت امرئ القيس ليست زائدة لتأكيد القسم الذي بعدها ؛ ولا لتأكيد النفي الذي بعد هذا القسم ؛ وليست أصلية لنفي شيء دل عليه كلام سابق ؛ وإنما هي أصلية لنفي ما أراد نفيه في البيت نفسه ، من ادعاء القوم أنه جبان فرار .

ومثل هذا يمكن أن يقال في كل ما هو من قبيل بيت امرئ القيس ، مما يكون على نهج تلك الآية القرآنية الكريمة .

لاوساطة بين الخالق والمخلوقين

للأستاذ محمد محمد المدني

بنائه لا يقول يقال ؛ ثم هو « قريب » :
إما على معنى قوله في آية أخرى : « ما يكون
من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » - أي قرب
الحضور والعلم - وإما على معنى : « إن رحمة
الله قريب من المحسنين » - أي هو قريب
برحمته واستجابته بحيث لا يحتاج عباده إلى
أن يتخذوا بينهم وبينه سفراً أو وسيطاً ؛
ثم يقول : « أجيب دعوة الداع إذا دعان »
فيرشد إلى أن قرب الإجابة مرتبط بمصدق
الاتجاه في الدعاء ؛ وذلك إذ يذكر « الدعوة »
وهي لا تكون جديرة بهذا الاسم إلا إذا
كانت عالصة لله ؛ ويذكر « الداعي » وهو
ذلك الذي التجأ إلى ربه عالماً بأنه لا يسوق
الخير حقاً أحد سواه ؛ ولا يدفع الضرراً
أحد سواه ؛ ويذكر « إذا دعان » ليؤكد
معنى الإخلاص وصدق التوجه ؛ ثم يأمر
عباده بأمر جامع لكل ما يرشح العباد لقبول
الدعاء . فيرشدهم بذلك إلى أن مفتاح الإجابة هو
الاستجابة : « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي
لعلهم يرشدون » .

وإذن فليس هناك شرط لقبول يرجع إلى

من العوائد التي قررها القرآن الكريم ؛
وكان لها أثر بعيد في إصلاح أحوال البشر ؛
تلك التي تصف الله تعالى بأنه قريب من عبده .
يميب دعوة الداعي إذا دعاه . دون وساطة
أحد من الخلق .

ومن الآيات التي تقرر هذا قوله تعالى :

« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب
دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا
بي لعلهم يرشدون » .

وفي هذه الآية الكريمة يبدأ الله تعالى
بمخاطبة رسوله فيقول له : « وإذا سألك
عبادي ، فهو يستجيب إليهم . ولا ينتظر سؤالهم
عن ذلك فعلاً . بل يمرضه . ويشير إليهم
بأنه ينتظره ؛ وهو يصفهم بأنهم « عباده »
فيضيفهم إلى ضمير التكلم تكريماً لهم ؛
ولابدناً بحبه ورحمته ثم يأتي بجواب (إذا)
فيقول : « فإني قريب » ولا يقول : « كما
يقتضيه ظاهر الكلام » - فقل لهم : إني قريب ؛
وذلك لأنه يريد أن يجعل لهم الحقيقة ذكراً
لربها بأسلوب مباشر منه هو ؛ ليس فيه
واسطة ؛ دالاً على أن هذا هو شأنه المتقرر

واستعبدوا الناس بهذا الأسلوب وخوفهم ؛
وعطلوا مواهبهم ؛ وضيعوا كرامتهم .

ولذلك كان فضل القرآن على البشرية عظيماً
إذ هم هذه الأوهام ؛ وخلق بين العباد ورب
العباد على هذا النحو من القرب والتجاوب .

...

وكما حرص القرآن على انتزاع هذا الوم
من نفوس الناس ؛ وعلى إقناعهم أن الله
وحده هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويغفر
عن السيئات ويعلم ما يفعلون ؛ حرص كذلك
على انتزاع هذا الوم من نفوس القادة
والمصدرين في شئون الدين ؛ حتى وصل
الامر به إلى نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن
الاستغفار للشركين ؛ أو الصلاة عليهم إذا
ماتوا ؛ وكذلك نهي أصحابه عن الاستغفار
لهم قطعا لما بر هذا الوم الذي جعل الناس
من قبل فريقين : فريق الشعب الذي يتطلب
الغفران ؛ وفريق رجال الدين الذين يمنحونه
أو يتوسطون فيه .

فمن ذلك قوله تعالى :

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » .

فبين بذلك أن استغفار الرسول لهم لا
يتنعم ؛ وألح إلى أن الاشتغال بما لا فائدة فيه .
يستحبه الله لانه اشتغال بما لا فائدة فيه .

أحد بين الخالق والمخلوقين ؛ وإلما شرط
القبول هو الاستجابة والإيمان . وهما
في إمكان العبد .

...

وقد اتفقت على هذا الأصل أن الله تعالى
يقبل التوبة عن عباده مباشرة . دون أن
يلجئهم إلى أن « يعترفوا » لأحد . أو يدلوا
بأية وساطة أو سفارة . وأن الكرامة
الإنسانية حفظت على الناس ؛ فلم يعد أحد
محتاجاً إلى أن يبذل ماله أو ماله وجهه لإنسان
مثله ؛ باسم أنه جبر من الأحيار ؛ أو كاهن
من الكهان ؛ أو عالم من العلماء ؛ لكي يكشف له
ما ستر الله عليه من ذنبه ؛ ثم يطلب منه أن
يبه أو يبيعه الغفران .

ولقد كان هذا الامر قد وصل قبل الإسلام
إلى حد الوم والخرافة التي جعلت الناس تحت
سيطرة رجال الدين ؛ لا ينقضون أمراً ؛
ولا يرمون أمراً في شئوهم الخاصة أو العامة
إلا بإقرار رجال الدين ؛ فمن أراد أن يبيع
فلا بد له من أن يستأذن الكاهن ؛ ومن أراد
أن يهب شيئاً من ماله أو ملكه ؛ فلا بد له
من أن يحصل على موافقة الكاهن ؛ ومن
أراد أن يرمي أو يتعاهد ؛ أو - حتى - أن
يموت ؛ فلا بد من أن يتدخل في أمره
الكاهن ؛ وما كفاهم ذلك حتى زعموا أنه
لا توبة إلا بهم ؛ ولا غفران إلا عن طريقهم

وفي ذلك النهى العام عن الاستغفار للشركين
مهما كان شأنهم يقول الله تعالى أيضا :
« ما كان لربي والذين آمنوا أن يستغفروا
للسركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين
لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

والتعبير بقوله « ما كان لربي والذين آمنوا »
يفيد قوة في النهى عن ذلك ؛ إذ هو نهي لأن
يكون لأحد منهم هذا الحق ؛ على حد قوله
تعالى في النهى عن إبداء النبي وعن تكاح
أزواجه من بعده :

« وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
ولا أن تتكفروا أزواجه من بعده أبدا ؛ إن
ذلكم كان عند الله عظيما » .

ولما كان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛
قد سلف منه الاستغفار لأبيه ؛ جاء بعده
هذه الآية قوله تعالى :

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن
مودة وعدما إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله
نهرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم » .

وهو تعليل لإقلام إبراهيم على الاستغفار
لأبيه ، بأنه كان توفية بوعده وعده إياه ،
كما حكى الله عنه أنه قال له « لا تستغفرن لك
وما أملك لك من الله من شيء » ، أي :
وما أملك لك هداية ولا غفرانا ، وإنما
الله هو المالك لذلك . وقد وفي إبراهيم بهذا
الوعد ، كما حكى الله عنه أنه قال في دعائه

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :
« ولا تصل على أحد منهم مات أبدا
ولا تقم على قبره . إنهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون » .

وهذا بيان لما شرعه الله تعالى في شأن
من يموت من المنافقين . الذين هم في الحقيقة
كافرون ؛ وقد تقدمه بيان لما شرعه جل شأنه
في شأن الأحياء منهم ؛ إذ جاء قبل هذه الآية
مباشرة من سورة التوبة :

« فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذوك
للخروج ؛ فقل لن تخرجوا معي أبدا ؛ ولن
تقاتلوا معي عدوا ؛ إنكم رضيتم بالنعوذ
أول مرة ؛ فاعدوا مع الخالفين » .

وبمجموع الآيتين يفيد : أن الله يأمر نبيه بأن
يقطع ما بينه وبينهم في حال الحياة ؛ وفي حال
المات ؛ فلا يقبل خروجهم معه إلى الجهاد بعد
تخلفهم الذي تخلفوه عنه ؛ ولا يقدم على الاستغفار
لهم أو الصلاة عليهم بعد موتهم .

وبين له أنه لا ينفعهم استغفاره أو صلته
لأنهم ماتوا وهم فاسقون ؛ ورضوا بالنعوذ
من قبل وهم قاديرون .

ومما ورد في ذلك أيضا قوله تعالى :
« سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر
لهم ؛ إن يغفر الله لهم ؛ إن الله لا يهدي
القوم الفاسقين » .

وذلك حديث عن الأحياء منهم بدليل
قوله « إن الله لا يهدي القوم الفاسقين » .

وذلك قوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ؛ إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله ؛ كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » - إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء .

أى : أتم أيها المؤمنون مطالبون بالتأسي بفعل إبراهيم والذين معه في شأن المشركين ؛ إلا في قول إبراهيم لأبيه : لاستغفرن لك ؛ لأن ذلك ، وإن أقدم عليه إبراهيم قبل أن يتبين له أن أباه من أصحاب الجحيم ؛ ليس مما يجب الله أن يؤتى به فيه ؛ وذلك سدا لباب الشفاعات ؛ ودرما لأن يفتح ولو على نحو من التأويل .

وهكذا يحسم القرآن هذا الأمر حسبا كاملا ؛ فلم يبق لإلسان أن يعتمد إلا على نفسه ؛ وإصلاح ما بينه وبين الله بالتوبة المباشرة ؛ والاستغفار المباشر .

فصل في التأسي

« واغفر لآلئ إنه كان من الضالين ، فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه ، وهو قبل هذا الضالين كان طالما في إيسائه وإفلاسه عن الشرك ، فاستغفاره له بمعنى الدعاء لله تعالى أن يهديه ، لأنه لا يمكن أن يغفر له وهو مصر على الضلال ، راسخ القدم في الشرك .

فكان القرآن يقول فلتبي والمؤمنين ؛ ليس لكم أن تستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى ، بعد أن يتبين لكم أنهم ثابتون على الشرك ، أو أنهم قد ماتوا وهم مشركون ؛ وإبراهيم إنما استغفر لأبيه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ؛ فلما تبين له ذلك تبرأ منه .

ولما كان قد يفهم من ذلك أن للسليين أن يأتسوا بفعل إبراهيم في ذلك ؛ فيستغفروا للمشركين قبل أن يتبين لهم إصرارهم أو موتهم على الكفر ؛ أراد القرآن أن يبطل هذا المفهوم بصراحة ؛ ويبين أنه مفهوم غير مراد ؛ ولذلك جاء التصريح في سورة الممتحنة باستثناء التأسي بفعل إبراهيم في ذلك من وجوب التأسي به في معاملة المشركين .

الحلال والحرام

للأستاذ عبد الله كنون
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وهي التي لا تنتعش ولا ترتاش إلا إذا حاماها القانون ؛ فإذا تخلى عنها صارت فوضى وتعضفا لا يطاق ؟ .

ولعل أحدا منا لا يختلف في أن صور النور الحقيقية هي التي تصان فيها الحرمات وتحفظ كرامة الإنسان ويكون للقيم الروحية والأخلاقية الدولة والسلطان على ما عداها من المذاهب والآراء . أما إذا دبست هذه المعاني السامية بالأرجل ؛ وأطلق العنان للفرائز الحيوانية تمارس حريتها ؛ فإن ذلك هو الزمن الذي يسود فيه الظلام ولو غلبت أضواء ليله على نهاره .

إن مسألة الحلال والحرام هي عين القانون الذي يضبط قضية الحرية ، ويحدد شروط مراولتها للناس أي أنها تعيين الفعل والترك وما لا يجوز أن يتورط الإنسان فيه منهما تفاديا لطائلة العقاب . ومعلوم أنه بقدر احترام الإنسان للقانون تسمو مكانته في المجتمع ويبتعد عن مواطن الانهزام ؛ وأنه لا يتلطف بالثمة ويوصف بالإجرام إلا من استهان بحزمة القانون واجترأ على مخالفته . فهل علينا إذن من حرج إذا نحن بحثنا في هذا الجانب

ليس شيء من تعاليم الإسلام بعد القواعد الخمسة . أحق بالبحث من مسألة الحلال والحرام ؛ لأنها مناط الفعل والترك وعليها ينبنى سلوك الفرد المسلم ، وبها تتميز طبيعة المجتمع الإسلامي ويختلف كثيرا عن غيره من المجتمعات ؛ وإذا كان هذا حقيقة ثابتة فياهض من الصور ؛ فإنه في عصرنا الحاضر ، الذي طنت فيه المذاهب والآراء الاجتماعية والتربوية المختلفة المبدأ والمتعمدة الغاية ، أخرى أن يكون حقيقة الحقائق وأكثرها ثبوتا عند النظر والاختيار ؛ كي نحفظ لمجتمعنا بسمته الإسلامية التي تجعله واضح المعالم بعيدا عن التأثير والانفعال بالافكار الهدامة والدعوات المربوطة .

وليس علينا من تقيصة ولا عار إذا نحن بحثنا مسألة الحلال والحرام في هذا العصر الذي يسمونه عصر الحرية وعصر النور ؛ موهمين السذج والأغرار أن الصور الماخضية كانت صصور عبودية وصور ظلام ؛ فهل هي إلا مسألة قانونية تتعلق بمحيط النظام وحقوق الإنسان وبناء المجتمع الفاضل الذي توعاه الحكماء والفلاسفة من قديم الزمان ؟ ومتى كان بين الحرية والقانون تعارض ؛

ثانيها : تتعلق بتحقيق المضار وحكمة الحرمة سواء كانت المضرة للنفس أو للغير الحديث ابن ماجه وغيره : « لا ضرر ولا ضرار » يعنى فى شرعنا ، والمراد أن ذلك لا يجوز ، فيحرم كل فعل أو قول يضر بنفس الإنسان كالالتعاطى والسكر والكذب وما إلى ذلك كما يحرم كل فعل أو قول يضر بالغير كالقتل والنصب والعيبة وما أشبه ذلك .

وهاتان الشعبتان لا خلاف فهما بيننا وبين جميع أصحاب القوانين الوضعية إلا من حيث التعبير . فنحن نطلق على جزئياتهما لفظ حلال وحرام على ما أتى به الشرع . وينبغى أن نحفظ بهذا الإطلاق لماله فى نفوسنا من دلالة موحية بالامتنال لأمره عز وجل . ورجال القانون وعلماء الأخلاق يعبرون بجمرية التصرف وبالحاففة مثلا ، ولا زائد على ذلك . ثالثها : تتعلق بما تردد بين المنفعة والمضرة واشتبه أمره على كثير من الناس وهذا يجب أن نقف عنده وقفة طويلة لأنه المقصود من هذا البحث إذ مرجعه إلى أمور المعاملة بين الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة » .

فبعض الناس تهتك فيه حتى قال قائلهم تلك العبارة التى تجرى على ألسنة كثير من المتعاطلين من أوامر الشرع المطاع وهى « الحلال » ما حل باليد ، « وبعتهم تشدد فيه غاية التشدد حتى نرى أن يكون فى الوقت شيء حلال » قال

من قانوننا الإسلامى وأحكم شريعتنا الفراء التى هى أكل الشرائع وأعدل القوانين ؟

وباعت آخر يحملنا على تناول هذا الموضوع . وهو تجلية ما يتضمنه حكم الشرع الشريف فى مسألة الحلال والحرام من السباحة والتيسير ورفع الحرج عن الناس وعلم التعنيق عليهم فى مطالب الحياة . على خلاف ما يعتقده الكثير منهم فى هذا الصدد إذا سمع كالمق : الحلال والحرام فيظنون أن الالتزام بذلك من العسر يمكن لما فيه من التشديد والمشقة والحصرمان . وهو اعتقاد خاطئ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ويقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن هذا الدين يسر فأوغل فيه برق » ويقول : « بعثت بالحنيفية السمحة » إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تؤكد أن روح الإسلام هى هذه السباحة والتيسير المتجليان فى جميع تعاليمه سواء كانت من قبيل العبادات أم العبادات . ومسألة الحلال والحرام ذات شعب ثلاث .

أحداها : تتعلق بالبراءة الأصلية وحكمها حلية الأشياء ما لم يتبين ضررها لقوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » قال القائلان : اختلف فى تعريف الحلال فقيل : هو ما لم يعرف أنه حرام . وقيل : هو ما عرف أصله . والاول أرفق بالناس لاسيما فى هذا الزمان .

إلا طيباً . وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً » ؛ وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » الحديث ؛ فهل يعقل أن يتحدث النبي إلى الناس مبيناً لهم ما نزل إليهم من الأمر بطلب الحلال الطيب وعدم الأكل إلا منه ؛ وأنهم ورسول الله في ذلك سواء ؛ ثم يكون هذا الحلال الطيب مفقوداً غير موجود ؟

إن ذلك يقتضى أحد أمرين إما بطلان التكليف ، وإما التكليف بالمال . وكلاهما باطل يزه الشرح الشريف عنه .

وفي الحديث : « لو كانت الدنيا دماً عيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً » وفي رواية « لو كانت الدنيا بركة دم لكان رزق المؤمن منها حلالاً » وهو وإن كان لا يعرف له إسناد إلا أنه صحيح المعنى . بل هو من لحوى الخطاب الوارد في الآيتين المذكورتين في الحديث قبله . وإذن فالحلال موجود باق بقاء التكليف لا يصح إنكاره ولا دعوى فقدته فيما مضى من الزمن ولا في زماننا الحاضر ولا في الزمن الآتي . والذين قالوا بعدم وجوده أوقموا أنفسهم والأمة في ورطة عظيمة من حيث لا يشعرون . فهم إذا كانوا يعتقدون عدم وجوده كان عليهم أن لا يتلفوا إلا بما يسد الرمي ولا يقسموا في مأكل ولا مشرب ولا ملابس . وهو حرج في الدين ما أنزل الله

الجزولى : اختلف في وجود الحلال في زماننا هذا فذهب النزال إلى أنه معدوم وذهب ابن العربي إلى أنه موجود وهو المشهور ولكن طلابه قليل . .

فهل الأمر بهذا الفوضى حتى يصح أن يذهب القوم هذين المذهبين المتطرفين في التحلل والتشدد ؟

الهم لا ! فقد جاء في الصحيح عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الحلال بين وإن الحرام بين ؛ وبينهما أمور مشبهات لا يدهن كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ؛ ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » الحديث .

فهذا صاحب الشرح صلى الله عليه وسلم يقرر أن الحلال بين وامنح لا خفاء به لمن أرادته وطلبه ؛ وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان موجوداً غير معدوم ولا مفقود . وكذلك الحرام موجود لأنه بين ظاهر ؛ وإنما يبقى بينهما أمور قليلة تشبه أن تكون حلالاً أو حراماً فينبغي تجنبها ما دامت الشبهة قائمة ؛ خوفاً من الوقوع في الحرام فإذا انتفت شبهة الحرام وضعفت حلت (ولا يفتى الاستقصاء في السؤال عن ذلك فإنه بدعة) قاله النووي . وأيضا فإن مما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى طيب لا يقبل

بصدق ؛ وأجرة ينصح ؛ وأعشاب الأرض
غير المملوكة ؛ وصيد البحر وصيد البر في
غير الحرم والإحرام ؛ وأقسام الغنائم
وأخاسها إذا قسمت بالعدل وأصدقاء النساء ؛
والموارث ما لم تعلم حرمتها ؛ والسؤال عند
الحاجة الشديدة ؛ وينبغي أن تكون هذه
أمثلة للحلال لا أصولاً له بدليل أن بعضهم
زاد عليها الهدية من أخ صالح وماء النهر .
والمهم أن زروقاً وهو محسوب العلماء
والأولياء كما يقولون عنه ؛ لم يذهب مذهب
القلاة من الفقهاء والمتصوفة في عدم وجود
الحلال . وأهم من ذلك أنه لم يقل بوجوب
النظر في أصول هذه الأشياء وأصول أصولها
كما يشترط بعض المتطعين لأجل أن تكون
حلالاً . وهذه هي روح التشريع الإسلامي
المتبنى على المسامحة وعدم التعنت ؛ لا ما يأخذ
به أنفسهم أولئك المفتاتون على الشرع ؛
ويحاولون أن يأخذوا به غيرهم من عامة
المسلمين فينفرون الناس ؛ وقد أمروا أن يبشروهم
وبصرون عليهم وهم مطالبون بالتيسير
والقسيد والمقاربة (ولن يشاد أحد الدين
إلا غلبه) وفي القرآن العظيم : « ولا تقولوا
لما تصف الكذب هذا حلال وهذا
حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

عبد الله كنوه

به من سلطان . فإذا خالفوا ذلك وقعوا
في الحرام وهم يعلمون . وهذا لا يناسب العلم
ولا الزهد الذي يدعون . وأما الأمة فقد
جعلوها تتعبط في الحرام وتفرق في بحر من
غير مبالاة بأمر الشرع حتى قامت طائفة منها
تعتد بحلية ما حرم الله وتقول تلك القولة
المنكرة : « الحلال ما حل باليد » وهذا كلام
يشبه أن يكون مروفاً من الدين أدى إليه
التزمت والتنتطح والغلو المذموم .

والحق الذي يجب أن لا يعدل عنه هو أن
الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله
وكلاهما ظاهر لا خفاء به ؛ وليس الحلال
هو كل ما حل باليد ولا الحرام فقط هو
الموجود ؛ فإذا تجسرى المسلم في بعض
المعاملات الربوية الخفية وتجنب الفش
والغرور ؛ فكل كسبه حلال طيب إن شاء
الله لا شبهة فيه ولا حرام . فالعامل إذا قام
بما عليه من عمل ولم يفسد فيه فأجره حلال
طيب ؛ والتاجر إذا تصح في تجارته ولم يفسد
بها فكسبه حلال طيب ؛ والموظف إذا قام
بواجبه وأدى ما عليه من حق فرتبه حلال
طيب ؛ وهكذا كل من زاول عملاً وقام
بخدمته ؛ مخلصاً النية في ذلك فما يستفيد لقاء
أتعابه من مال ؛ كله مال حلال لا شبهة فيه
ولا دخل .

ولقد جاء في شرح الوغليسية للشيخ زروق
رحمه الله أن أصول الحلال عشرة : تجارة

نقض ماكتب في رسالة ”دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني“ للكاتب محمد القادري عزمون

- ٣ -

في جانب تغيير الكلمة بما يزعم أنه مرادف - ولا ترادف في لغة العرب - كالذي قرأ قوله تعالى حكاية عن إبليس (لأفعلن لم صراحتك المستقيم) فقال: (لاجلس) بديلا عن (لأفعلن) فلما روجع أجاب (قعد وجلس سواء) والعامة، ممن يفقهون شيئا من استعمالات هذه اللغة الشريفة يعرفون الفرق التي بين (جلس وقعد) ويعرفون متى يصح أن يعبر (بجلس) ومتى يصح أن يعبر (بقعد) فكيف بأعرافي عاش في بيئة عربية محضة في قلب الصحراء؟ أتصيب عنه هذه الفروق؟ أم أن هذه روايات ما كان يصح أن يذكرها بحث علمي يتعرض لأخطر قضية من قضايا العلم والدين؟

١١ - ثم تحدثت صاحبة الرسالة في ص (١٦-١٧) عما أسمته ظواهر حدثت في البيئة الإسلامية فيما يتعلق بقراءة القرآن بعد أن قبض الرسول عليه الصلاوة والسلام، وذكرت من هذه الظواهر؛

١ - البيئات التي تركز في بعضها السلطة المركزية التي تبتت فيها، بسبب تدخل العامل

١٠ - ومن العجيب استشهاد صاحبة الرسالة ص (١٧) على التغيير الذي تناول نظام الجملة القرآنية في إطار اللغة العربية بروايات عن بعض أجلاف الأعراب - أنه أحل بصحة نسبتها إليهم - ثم لا تكلف نفسها البحث عن قيمة هذه الروايات ومئاتها من العلم والبحث؛ فتذكر رواية عن أعرافي قسم وآخر في آتي آخر سورة الزلزلة؛ فوضع الآية الأولى مكان الثانية، والثانية مكان الأولى فلما قيل له: قدمت وأخرت أشد بيتاً من الشعر في معنى قافه أراد به أن يبين أنه لا قيمة لهذا النظام بين جملي الآيتين؛ وإنما المقصود هو الملاحظة على (الفكرة) كما تقول صاحبة الرسالة؛ ومن البدهة أننا لا نستطيع أن نكلف أحداً أن يتحمل ما لا طاقة له به من فهم دقة النظام في جمل القرآن وأن كل جملة في مكانها لو تحولت عنه لذهب بهذا التحول معنى النص الذي يقصده القرآن ويفهمه العلماء وقد بيني المعنى الذي يفهمه العامة من كلام أي كلام؛ ومثل هذا النوع من الاستشهاد

ليصعب عليه أن يقرأ (حق حين) كما يقرؤها الحجازيون وسائر المسلمين . ولم تعرف عنه هذه القراءة المنيرة (حق حين) إلا بهذه الرواية التي شكلت السند الصحيح ولو سلمنا صحة الرواية جمدلاً فنسأل : ولماذا عالف عبد الله بن مسعود قراءة نفسه في حياة الرسول عليه السلام إلى قراءة منيرة لحرف ، قيل : إن هذيل قبيلته تنطقه هكذا . لعله رغبة في تملق عرواطف قبيلته ؟؟؟ وعبد الله ابن مسعود عاش حياته في الإسلام سلازماً للرسول عليه السلام ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فارق الحجاز إلى العراق . فهو حجازي الحياة زمن نزول القرآن وليس لهذيلته إلا هذا الحرف .

ومن هنا كانت هذه الرواية أشبه شيء بالاصطناع الذي يتكلمه الباحثون عن اختلاف اللهجات المصرية قبل زمن نزول القرآن على أن صاحبة الرسالة ذكرت عبد الله ابن مسعود في ضمن الأفراد الذين لهم نفوذ روحي ، وتورعت السلطة المركزية عن إجبارهم بالعنف على ترك قراءتهم قبل بن عبد الله بن مسعود متمسكاً بقراءته الهذيلية (حق حين) كما تمسك أبي عتجا بقوله : أخذته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء . ولكن عبد الله بن مسعود لم يعرف عنه أنه قال أخذت (حق حين) من رسول

الدين ، فكرة محاولة قراءة القرآن كما كان يقرؤه الرسول عليه الصلاة والسلام متبعا للنظام اللغوي الحجازي إلى أن وثبتت صاحبة الرسالة وثبا إلى أن عبد الله بن مسعود قرأ (حق عين) منيرا حرف (الحاء) من حق بحرف (العين) فكشبت إليه عمر بن الخطاب : (أن الله أنزل هذا القرآن لجملة قرآنا عربيا مينا وأنزله بلغة هذا الحى من قريش فإذا جاءك كتابي هذا فأقرء الناس بلغة قريش ولا تغرهم بلغة هديل والسلام) .

والمفهوم من هذا النص أن محاولة قراءة القرآن كما كان يقرؤه الرسول صلى الله عليه وسلم نبتت في البيئة التي تركز فيها السلطة المركزية بعد أن قبض الرسول عليه السلام ؛ وهنا يسأل : كيف كانت قراءة هذه البيئة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ هل كانوا يخالفون قراءته بالنظام الحجازي ؟ وهل كان عبد الله ابن مسعود الذي قال عن نفسه : لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضا وسبعين سورة يخالف قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جاءت السلطة المركزية ممثلة في عمر بن الخطاب فردته عن هذه المخالفة وحينئذ تكون القضية ليست قراءة القرآن كما أنزل من عند الله بلفظه وأسلوبه وإنما هي شيء تتدخل فيه العصية القبلية والسلطة المركزية . لأن عبد الله بن مسعود لم يكن

ورطانات بعضهم . ولكن هكذا أريد البحث العلمى أن يقول فقال .

١٤ - ثم ذهبت صاحبة الرسالة تتحدث عن المصاحف الثمانية ثم تساءلت : ماذا كان موقف الأمة من هذا العمل ؟ . وأجابته من عند نفسها : بأنه بلا شك آثار كثيرة من النقاش والجدل ؛ واقسم الناس لإزائه بين مشجع له راض عنه ، وبين غاضب حائق . ثم راحت تذكر الراضين عن عمل عثمان ولم تذكر من الغاضبين أحدا سوى عبد الله ابن مسعود فهل يعد هذا انقساماً ؟ وهل يليق بالبحوث العلمية لإلقاء النتائج هكذا بغير مقدمات ؟ وكان من حق البحث أن يذكر الروايات التي أفادت أن ابن مسعود رجع بأخرة عن رأيه في عمل عثمان ورضى به . ثم ذكرت صاحبة الرسالة في ص ٢٦ : (أن مصحف عثمان لم ينجح في إزالة الفروق النصية) لأن كتابة المصحف كانت غير منقوطة فأدى ذلك إلى اختلاف كثير من الكلمات وطربت لذلك أمثالا متصيدة من كتاب المصاحف لابن أبي داود الذي رماه أبوه بالكذب . ١٥ - ثم قالت في ص ٢٧ : (أما الكلمات التي عاينت ما جاء بالمصحف فقد استبدلت بكلمات أخرى توافق كتابتها بالمصحف ...) إلى أن قالت : (إنه نتج من عمل عثمان أن تكونت - من وجهة نظر النص - ما يشبه النظم الجديدة التي تتكون من جزء كبير من

الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركها لقول أحد . ١٢ - وقد جعلت صاحبة الرسالة في ص (١٩) من ذلك تفسيرا لهجرة أصحاب القراءات الخاصة - تأمل - إلى المدن المفتوحة ليجدوا أمامهم مقبلا لنشر قراءتهم الخاصة ، ووزعتهم على اصهار الإسلام وعوامهم ولم تفسر أن ترسل بعض القراء من الصحابة أو غيرهم إلى بعض الجهات النائية أو بعض القرى الداخلية ، وأصبح الأمر في قراءة القرآن في هذه البيئات يشبه لقاء مستشرق يتقن العربية ويحفظ القرآن ولكن أدائه لا يسلم من بعض الرطانات - بيا كستانى لا يعرف العربية إلا ما حفظه من القرآن .

١٣ - ثم تقول صاحبة الرسالة ص (٢٠) (كان من الطبعى حين يلتقى هذا الخليط غير المتجانس من المسلمين أن لا يفهم بعضهم بعضا ، وأن تحدث بينهم مشاحنات حول قراءة القرآن) ثم سأقت قصة حذيفة وقدموه من فسر ج أرمينية فزعا لما رآه من اختلاف القراء في القراءة مستنجدا بعثمان في توحيد المصاحف دليلا على ما ذكرته عن الخليط غير المتجانس ثم سأقت رواية حذيفة عن العنبري وفيها بيان الاختلاف ومشؤموه أن هذا الاختلاف وقع بين قراء أهل الشام وأهل العراق ومقرىء أهل الشام أبي بن كعب ومقرىء أهل العراق عبد الله بن مسعود ولا دخل مطلقا في هذه القصة للخليط غير المتجانس

بقلب الجمل تقديمًا وتأخيرًا وتبديل ألفاظ
بأخرى وزيادة ألفاظ أو نقصها، وهذا هو
التحريف الذي يرفع الثقة بنص القرآن، وهو
أخبت الكفر والإلحاد في دين الله .

قالت صاحبة الرسالة. في ص (٣٠) بعد
ذكرها ازدياد الفتوحات الإسلامية وبجوع
الموالى في دراسة اللغة العربية ودراسة القرآن
باعتباره المظهر الأول للإسلام : (وإذن
فن المتوقع في مثل هذه البيئات أن تحدث
تحريفات في النص القرآني بعضها
.. أى التحريفات .. يظل في حدود الصحة ..
ولكنها تحريفات لم يزل بها القرآن من عند الله
.. وبعضها .. أى التحريفات في النص القرآني ..
يتعداها إلى الخطأ ؛ وكذلك الحال في الأداء
وبالتالى تتعدد القراءات .. أى المحرفة الخاطئة
أو التي تظل في حدود الصحة .. ويبدو
بعضها غريباً) .

هذا النص اضطررنا لتصوره بما وضعنا
لنبين أن فكرة صاحبة الرسالة منه أن تقول:
إن القرآن الذي بين يدي المسلمين محرف تحريفاً
عاطفاً في المعنى والمبنى، وتحريفاً عاطفاً في المبنى
وظل صحيحاً في المعنى ؛ وحينئذ يفرج أعدهاء
الإسلام بهذا الكشف العلوي الذي قدمته لهم
صاحبة هذه الرسالة .

والقول يحدث (تحريفات في النص
القرآني) كفر بواح، وإلحاد في آيات الله

النظام النصي قارىء النص ... ذلك الجزء
الذي لا يخالف خط المصحف وكان الجزء
الآخر من النظام النصي القرشي كما دونه عثمان).

وليس هذا النص من صاحبة الرسالة
في حاجة إلى شيء من الاستنتاج لأنه صريح
في أن القرآن الذي بين يدي المسلمين مشتمل
على نصين : نص قرشي دونه عثمان ؛ ونص
يشبه النظم الجديدة تتكون من جزء كبير
من النظام النصي قارىء النص ؛ وقد
أوضحت ذلك بما لا يدع مجالاً للشك فقالت
في ص ٢٨ : (وبناء على هذا العرض يمكن
أن نقول : إن عمل عثمان كان من نتيجته
بمجرد الأمر بالزمام :

١ - نشر نظام جديد من حيث النص
كما بينا من قبل .

٢ - استمرار القراءات القديمة الموجودة
قبل عمل عثمان .

والنتيجة الحتمية لهذا أن القرآن دخله نظام
جديد في نصه، ومعنى الجدة أن هذا النظام في النص
بعد عمل عثمان ليس هو النظام النصي الذي
نزل به القرآن من عند الله، ويؤيد ذلك اعتبار
القراءات التي قرئ بها القرآن قبل عمل عثمان
قراءات قديمة وهي مستمرة إلى جانب النظام
النصي الجديد ؛ وليس لذلك معنى إلا تبديل
وتغيير لنظام النص في آيات من القرآن
لا يعرف عددها، والتغيير في نظام النص يكون

ولا ميزان ثم خلصت إلى مقصودها بغير لف ولا دوران فقالت : (وعرض الأمر على هذا النحو يساعد على (فهم) هكذا نعبأ بحروفه - ففكرة التوقف في قراءة القرآن ؛ تلك الفكرة التي لا يقرأها المدرس القسوى والواقع التاريخي) ثم خلصت من هذه النتيجة إلى نتيجة أخرى فقالت في ص (٣٧) :

(أ) فالرسول نفسه اختلف أدائه باختلاف الظروف .

(ب) كذلك اختلف الصحابة في قراءاتهم منذ عهد علي عليه السلام ولو كانت القراءة توفيقية لما أنكر بعضهم قراءة البعض ؛ ولما اختلفوا ورجعوا إليه عليه السلام .

وهنا نقف قليلا لنقول : ان المنطق يقول : الملازمة في الشرطية إذا لم تكن مسلة كان يجب أن يقام على صحتها دليل ؛ وإلا أصبحت باطلة وفي الكلام هنا ملازمتان : الأولى تصح لو كان كل توقف في كل آية يجب أن يعمله ويحيط به كل صحابي ؛ لكن الثاني باطل ؛ وبهذا تبطل الملازمة الثانية على أن التوقيف المذكور في كل رواية من روايات حديث الأحرف السبعة ؛ وهو مدار اختلاف القراءات وقد أوردت صاحبة الرسالة شيئا من هذه الروايات في معرض الاستدلال ؛ ولم تناقشها بل سلتها .

(ج) كذلك فإن محاولة عثمان رضي الله عنه لكتابة المصحف بصرف النظر عما يحيط

واستتار بالقيم الدلالية ، واستهانة بالجمتمع الإسلامي منذ وجوده على عهد النبوة الخاتمة إلى أن يرتفع الحق من الأرض .

قالت صاحبة الرسالة في ص (٣٢) وكان بعض هؤلاء العلماء حين يصل إلى هذا المستوى من العلم يحاول التوفيق بين أكثر من قراءة ثابتة صحيحة حتى ينتهي إلى قراءة جديدة يراها أكثر معقولة وملائمة للحال .

وهذا نص صريح لا يحتاج إلى كشف عن شيء مستور فيه ؛ لأنه يقول : إن بعض العلماء اختلق قراءة جديدة ملفقة من جزئيات قراءات معترف بها ، ولكن القراءة الملفقة لا يمكن أن يدعى أنها كانت بصورتها الجديدة موجودة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويلزم من هذا بداهة وجود قرآن جديد بصورة لم تكن معروفة للرسول عليه الصلاة والسلام ولا قرأ بها هو ولا أصحابه وبطل قول الله تعالى : « فليأتوا بحديث مثله » لأنهم جاءوا بهذا القرآن الجديد الملفق من جزئيات قراءات كان معمولاً بها .

وهذا ما نعرف به صاحبة الرسالة في قولها في ص (٣٣) (وهكذا ؛ فإن هذا التوفيق - أي للتطبيق - مع قلم جزئياته إلا أنه كبناء - على هذه الصور - يعتبر نظاماً جديداً في كل شيء - (النص والأداء) فهو إذن قرآن جديد .

وهكذا أطالت صاحبة الرسالة النفس في صفحات لتكرر تعدد القراءات بغير ضابط

الذكر وإنما له لحاظون) وقد حقق انقوعه
لحفظ كتابه رغم كثرة أعدائه كثرة هائلة منذ
نزل من السماء ونقل متواترا تواترا قاطعا
يحفظه ملايين المسلمين في صدورهم . ويقروونه
في صلواتهم وخطواتهم . ولن تكون هجيات
الأعداء الجدد أقوى من هجيات إخوانهم
القدامى من أمثال ابن الراوندى الملحد
الحديث ، وليس تحت الشمس بالنسبة للقرآن
الكریم جديد .

ثم أخذت صاحبة الرسالة في فصول أكثرها
تراجم ونقول من كتب اللغة والقراءات
تضمن بها حجم الرسالة جدا في أمور لا يعنى
بحشنا الآن الوقوف عندها إلى أن وصلت
إلى عاتمة الرسالة فقالت فيها - تعيد وتكرر
رأيها بإصرار متعمد فيهم التوقيف في قراءة
القرآن ورفعته رفضا قاطعا مؤكدة ذلك
بجميع ما تملك من ألوان التأكيد فنقول
في ص (٢٨٨) :

بعد هذه الجولة الطويلة في الكتب الغوية
والقرائية يمكن أن يحمل أهم نتائج البحث
فيما يلي :-

١ - أول نتيجة توصل إليها هذا البحث
هي رفض فكرة التوقيف في قراءة القرآن .
ثم أعادت نفس أدلتها المتأوية التي ذكرتها
بنعها في ص (٢٧) .

٢ - ثم قالت : (كان الأداء القرآني
في أول عهد مسيرنا لقواعد وميول وعادات

بها من الروايات تدل على وجود فروق كثيرة
واختلافات - هذا مسلم ومن أجله أدرك إمام
الأمة كتاب الأمة - إلى أن قالت : (وهكذا
تتنافر العوامل المختلفة على رفض فكرة
التوقيف) وإذن فالأمر في قراءة القرآن
(سبيل) لاسنده ولا ضابط ولا أصول يعتمد
عليها ولا قواعد يبنى على أساسها : (وكل
ما يمكن أن يقال : إن قراءة القرآن اتفقت
أصولها مع أصول الأداء القرآني ثم بعد ذلك
تولدت بلون الظروف المختلفة) .

قالت صاحبة الرسالة (ص ٣٧) : (هذه
القراءات التي بين أيدينا يصعب جدا الادعاء
بأنها كانت القراءات الملتزمة على عهد الرسول
عليه السلام بسبب تدخل عوامل التطور
واللهجات ثم عامل الاختيار الذي جعل القارئ
يفتخب قراءة من عدة قراءات تعلمها) .

والنتيجة المحتية لهذا أن : هذا القرآن
الذي يتمسك به المسلمون في مشارق الأرض
ومغاربها ليس هو الكتاب الذي قرأه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه
بالأحرف المنزلة من عند الله تعالى وإياها هو
كتاب آخر ملحق من قراءات مختلفة استحدثت
بسبب تدخل عوامل التطور واللهجات .

فلينأ أعداء الإسلام من اليهود والنصارى
والملاحدة وخبثاء المستشرقين بهذا الفتح
الإلحادى يقسم إليهم هدية باسم البحث العلمى .
ولكن الله تعالى يقول : (إننا نحن نزلنا

العامل الديني حرم قراءات القرآن؛ بل حرم
الدرس اللغوي نفسه من مسيرة التطور
وظلت أسس الأداء للقرآن كما هي منذ القرن
الأول للهجرة رغم تطور اللغة وتغيير
العادات والميول والأذواق بحيث يمكن
أن يقال: إن اللغة المنطوقة سارت في واد
وسار الأداء للقرآن في واديه للتقديم من
حيث الأسس .

هذه شهادة - رغم أنها أشبه بالنقد العائب
أو هي إياه سواء - يعثر بها القرآن الكريم
لأنه استطاع ويستطيع دائما أن يقف شامخا
قاهرا أمام تطور اللغة وتغيير العادات
والميول والأذواق وسائر المؤثرات بطبيعته
ونظامه وأداته فلا ينضع لمؤثر خارج عن
ذاته وأسلوبه ونظامه الذي نزل به من
عند الله تعالى .

وصاحبة الرسالة إذ تقرر ذلك - وهي كما
نظن آسفة - تقع من غير شعور أو قصد
في تناقض الفكرة لأنها سبق أن قررت
عن القرآن باعتبار نفسه هو بناء لغوي منطوق
تأمر كأي بناء لغوي منطوق بالمؤثرات
اللهجية والبيئية الشخصية والزمنية ولا تدرى
بأي قولها يأخذ البحث ؟؟ ولعل هذا
الاضطراب في البحث نشأ من عدم الصبر
على الدراسة العميقة للوضوح لاعداد
وسائله العلمية .

اللغة العربية في ذلك الوقت وكان نظامه العام
قريبا في النظام الشعري .

خصوصا وأن بناءه النصي كان قريبا جدا
من هذا البناء - أي الشعري - وقد كررت هذا
في ص (٢٧١) حيث قالت :

النص القرآني نص فني - والتفكير المنطقي
والذي يؤيده الواقع يرجح أن القرآن جاء
قريبا في بناءه من الشعر .

هذا الكلام ينادي على نفسه بأنه لم يعرف
البحث الجاد ، لأن بناء النص القرآني الفني
أعيا التحول من الباحثين من المؤمنين بالقرآن
ومن الكافرين به ومن الملحددين العاشين
فلم يحدوا منفذا إلى القول بهذا القرب الشعري،
والقرآن الكريم تحدى تحديا صارخا مفرقا
مؤبيا آخذا الطريق على خصومه أن باتوا
بسورة آية سورة في قدرها الكمي (ثلاث آيات
قصار) مثل سورة (والعصر) إن الإنسان لفي خسر)
وسورة (الكوثر) وقال لهم مقدما : (لن تفعلوا)
زيادة في التحريض على المعارضة إن استطاعوا
فلم ينسوا إلا بهذيانات المبرمين ومن البداهة
التي تقيظ أعداء القرآن أنه لو كان بناؤه النصي
قريبا من البناء الشعري لقالوا شيئا مما هو
مثلهم الأعلى وخذوه فبهم الكلامي في معارضة
هذا التحدي الصارم ؟ ولكنهم هجزوا عن
المعارضة وأبلسوا فلم ينطقوا .

ثم قالت صاحبة الرسالة (ولكن تدخل

في هذا البحث ، وبالتأمل غير العميق يظهر جليا ما بين الكلامين من تناقض لأن الكلام السابق يقرر صراحة أن العامل الديني حرم قراءات القرآن من التأثير ومسايرة التطور وظلت أسس الأداء القرآني كما هي منذ القرن الأول .

وفي هذه الفقرة تقرر صاحبة الرسالة أن الجانب الفني في الأداء القرآني تأثر بالظروف المحيطة به وكيفيا يكن لحسب البحث أن يظهر بهذا الاعتراف الذي يقرر صراحة أن للأداء القرآني أسسها ضوابطها وطرائقها الخاصة لم تتأثر بالظروف المحيطة بها وظلت كما هي منذ القرن الأول ، بل إن هذا الأداء القرآني تعاضى على مسيرة اللغة المنطوقة التي سارت في أداها في واد واد وسار الأداء القرآني في واديه القديم ، وهذا بلا شك نقض لما قررته صاحبة الرسالة في أكثر من موضع من أن الأداء القرآني تأثر بالظروف والهجرات والبيئتين العادات والميول والأخلاق ولكافة العلم الحكيم :

« يحول بين المرء وقلبه ، فلا يدري ماذا قال . ولا ماذا يقول :

« وفي الأمر من قبل ومن بعد » .

محمد الصادق عرجون

قالت صاحبة الرسالة في آخر فقرات غائمة الرسالة : (ولم تحظ اللغة كأداء فني باهتمام كبير من جانب اللغويين . وكذلك القراء الذين أنكروا الاعتراف صراحة بالجانب الفني في الأداء القرآني . وأيضا تأثره بالظروف المحيطة به والتي أمكننا إظهار بعضها فقد كان واضحا في قراءة الكوفيين تأثر الأداء بالطابع الشخصي للوقى هؤلاء الكوفيون يمثلون أكثر عرب المدين نخوة ولذلك مالوا جميعا إلى تحقيق الحمزة .

هذه قضية ينقصها العلم والصبر على البحث ؛ فإنه ثبت عند الأثبات من أئمة الفراءات أن حمزة بن حبيب الزيات ، وهو إمام من أئمة القراء الكوفيين كان لا يحقق الحمزة في بعض المواضع ، وكذلك الإمام طاسم ، وهو كوفي ، ثبت عنه من رواية شعبة عدم تحقيق الحمزة في بعض الالفاظ .

ثم قالت صاحبة الرسالة : ووضع تأثر القراء بالجانب الفني في أداء ورش الذي رسم لنفسه قواعد غير التي نصبت عليها كتب اللغة ليحقق لإذنه موسيقية يحرص عليها ، أما التأثر بالجانب الثقافي فيبدو واضحا في قراءة أبي عمرو) .

هذه الفقرة التي ختمت بها صاحبة الرسالة رسالتها جاءت تالية مباشرة للفقرة التي سبقتها

فيحيات الفقر

المبالغة في الإنكار للحق كون في قوة الاعتراف به

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

« فإني لم يستجيبوا لكم ، فاعلموا : إنما أنزل بعلم الله
وأن لا إله إلا هو ... فهل أنتم مسلمون ، ١٤ - هود .

ويكون هذا الإنكار المسرف ، والمجرى
المطبق مثار الإيمان الصحيح ، وطريق
الملم الأكيد بأن القرآن لا يكون ، ولا يمكن
أن يكون إلا من عند الله ، أنزه بطله ، وعلى
مقتضى حكمته ، وحسن تدبيره .

ويكون موقف المكذبه بمثابة
الاعتراف على أنفسهم بالإلحاد ، والإيمان
في الباطل .

ويكون هذا الباطل في خدمة الحق ، من
حيث لا يريد المبطلون ... وهكذا يكون
مصدق المثل - كاد المرئيب يقول : خذوني -
إذا أتتك مذمت من ناصي

فهو الشهادة على بآتي كامل
وتطبيق ذلك واضح في الفروع الفقهية
عند القطع ... حيث يعتبرون المنكر ،
الناكل عن اليقين ليبريها إنكاره - في معنى

١ - بالغ الكفار قديما - ولا يزالون
بالبغى - في تكذيب القرآن .. حتى نعدام
الله غير مرة أن باتوا بمثله ، أو بشر سور
مثله ، أو بأقل من ذلك ... بل أوحى لهم
الضمان أن يجمعوا كل ظهير لهم ، وأنه
يستمينوا بكل وسيلة مما يخطر ببالهم ، ليأتوا
بشيء يفترونه كما يفترى محمد - في ذهنهم -
كتاب الله ...

فلم يكن لهم قدرة على شيء من ذلك ... ومع
هذا بلغوا في الإنكار مبلغهم ، وبلغ العجز
منهم مبلغه ، وظل إجماع القرآن على توالي
الضروب ... وبقى طوقا في دلاب الكافرين به
إلى وقتنا ، وسيظل فيما بعد ، كما وعد الله
الذي أنزه ، ونكفل بحفظه ... فلم يبق
إلا شأن واحد مقطوع به لدى العقول الواهية
وهو أنهم على باطل ، وأن كتاب الله حق
وأن محمداً فيما جاء به على تمام الصدق .

والثالث : أن أحد لا يستطيع ذلك ، ولا تكون له صفة الألوهية إلا الله - تعالى .

ومن هذا الطريق يكون الإنسان على بصيرة ، وعلى رشد في دينه ، وفي دنياه ، ويكون في وجهه متأسيا بهدي الله ، وداخلا للبيت من بابه المشروح .

٤ - ثم توجه بنا الآيات إلى مقارنة بين من يتعلق بالدنيا وحدها : ومن عاش فيها حريصاً على النجاة من مفاتها .

ففي الأول : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ، نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبنصون » .

يعنى : من جنح إلى دنياه ، وتعلق بزينتها ، وتوفير الرغبات فيها : فإنما نوفيهِ نصيبه من جزاء فيها ... دون أن يتجاوز هذا إلى متاع الآخرة ... وهذا شأن من لم يؤمن ، ولم يأخذ نفسه بالانجاء نحو العاقبة الحسن .

فتأخذه في حظه المقسوم له من أموال ، وأولاد ، وجاه ، وأهراض . تزيد ، وتنقص وتسر ، وتقرى ... ثم لا يكون هذا المتاع على قدر ما يفرض العبد لنفسه ... بل على نحو عاشرات حكمة الله له وتوفيره : من تقسيم المخلوط في حياتهم الدنياه ... ثم لا يكون لهذا الكافر نصيب من رحوان الله عنه في الآخرة .

المعترف بالحق ، ولا فضل له ... وهذه نتيجة أولى لذلك الإنكار .

• • •

٢ - وهناك نتيجة حلية أخرى نستفيد منها ... وهي الاعتناء إلى توحيد الله ، وأنه المتصرف وحده وأنه : لا إله إلا هو . ومقتضى هذا : لزوم الحقبة ، ووجوب التسليم لله

وذلك ما بصارحنا لقرآن به ، في قوله تعالى : « فهل أقم مسلون » .

فإن ذلك الاستفهام لا يراد به الاستسلام . بل هو مطالبة بالإسلام في أسلوب يتضمن الاستفهام ، وفيه تليح بشكوك الإنسان من المطالبة إلى تفويض الأمر لاختياره ، والاستفهام منه مما يراد القيام به ... كما تستفهم من وفيتك ، بدلا من التكليف بها أو هو خطاب وفيتك ، يدركه أولو الأبواب .

٣ - فذلك نتائج تفرض على المكفبين أن يمثلوا ، وتوجب عليهم وعلى كل إنسان أن يصحح إيمانه ، ويهلم وجهه إلى الله ... لإحداها : العجز الفاضح عن مقاومة القرآن ...

والثانية : العلم اليقيني بأن القرآن ما نزل إلا من عند الله ...

وهذا نمط العمل الكامل بين الله وعباده
 حيث قصر العبد عمله ، وجهده على دنياه ،
 فإنه لا يتجاوز الإطار الذي رسمه لنفسه ...
 وذلك قوله تعالى : « ومن كان يريد حرث الدنيا
 نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب » .
 ثم لا يكون حظه في دنياه نسيجا كما يشتهي
 لأن الأمر في هذا متوط بحكمة الله ،
 لا برغبات الناس ، فإن الرغبات قد تكون
 مفسدة الدنيا ، والله لا يحب من الناس أن
 يفسدوا ... فلذلك كان عطاؤه لنا بقدر
 ما سبق في تقديره ، وفي حدود مشيئته ، من
 كان يريد العاجلة جعلنا له فيها ما نشاء : لمن نريد ،
 ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ،

فقره تعالى في موضوعنا : « ومن فيها
 لا يبينسون » معناه : نعطهم في الدنيا جزاءهم
 في حدود ما سبقت به الحكمة ، وبقدر
 ما قسمنا لهم من غير محس لتلك المقدور .
 وهؤلاء الذين توارثوا الكفر بالقرآن :
 هم الذين يقول الله فهم جميعا : « ... أولئك
 الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، وحبط
 ما صنعوا فيها » وباطل ما كانوا يعملون ،
 يعني بطل عملهم الطيب الذي كان يتفهم
 لو آمنوا في دنياهم فلاحظ لهم في أخراهم ،
 وذهب أهلهم هباء منثورا ، وبخلفنا الله من
 الضلال ، ومن سوء العاقبة ؟

عبر اللطيف الحكيم

الفسرآن

القرآن جبل الله الممدود ، وعهده الممدود ، وظله العميم ، وصراطه المستقيم ، وحيته
 الكبرى ، وحيته الوسطى ، وهو الراضح حنيبه ، الراشد دليله الذي من استضاء بمصابحه
 أبصر ونها ، ومن أهرض عنه ضل وهدي .
 حجة الله وعهده ، وعهده ووعده ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، بشهر الثواب ،
 ونذير العقاب ، وشفاء للصدور ، وجلاء للأمور ، من فضائله أنه يقرأ دائما ، ويكتب ،
 ويعمل ، ولا يمل ، ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه ، وقصور الموت أمامه ، طريق
 لمن جعل القرآن مصباح قلبه ، ومفتاح لبه .
 من حق القرآن حفظ ترتيبه ، وحسن ترتيبه .

أبو إسماعيل المصري القيرواني

الوَحْدَةُ المَعْنَوِيَّةُ فِي الإِسْلَامِ

لِلأَسْتَاذِ الدُّكُورِيِّ مُحَمَّدٍ غُلَابٍ

بالتواجد ، وكانت النتائج المنطقية ، بل الطبيعية لهذا أن الإسلام - رغم الظروف السيئة التي مرت به بسبب عصوره الماضية - قد ظل يمتد ويتسع من نفسه وبذاته ، أي دون تدخل العوامل الخارجية حتى كسا رقعة الأرض من شواطئ الأطلنطي إلى شواطئ المحيط الهندي جامعا تحت وابتة شعوبا من أجناس مختلفة وأروام متعاونة وألوان متباينة ، وأجواء متضادة ، ضاربا بكل هذه الاختلافات الظاهرية عرض الألق متمسكا بمبدأ واحد وهو : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا ولقبائل لنعرفوا إن أكرمكم عندنا أتقاكم » (آية ١٣ من سورة الحجرات) .

وهكذا بقي ذلك التراث العملاق سليما من أية شائبة مدى أربعة عشر قرنا من الزمان لم تل منه أي منال تلك الكوارث المثلثة التي جعل الاستعمار البغيض يصيبها على مبادئها ، وعلى رموس معتقده واحدة تلو الأخرى ، بل إن تلك القوة الذاتية الناشئة من قواعده التأسيسية ، ومقدومه على التطفل والامتداد بلا عون عاجي قد طفقتا تزيدان وتتضاعفان في وسط هذه

بما لا سبيل إلى الفك فيه أن جميع العلماء الأقدماء الذين تخصصوا في دراسة التاريخ العام ، وتصفوا في وقائمه ، وحلوا أحداثه قد اتفقوا بالإجماع على أن جميع شعوب الأصقاع التي فتحها الإسلام كانت كأنها في انتظاره ، أو على موعد منه تتلف على تجهزه بفارغ الصبر ، وأن صيوف المسلمين الفاتحين لم تزد على أنها كانت تزيل القشرة الخارجية التي كانت تحجب تلك الشعوب عن مشاهدة هذا النور المثلثي ، فلما زالت هذه القشرة المارضة الحاجبة ، وسطح عليهم ذلك الضوء الهادي الذي ملك أفئدتهم قبل أن يهر أهنيهم ، وجسد القلوب معدة ، والنفوس متمدة ، والأجواء مهيأة ، والأرض مهيبة ، والطرق مهيبة لاستقباله ، بل لاحتضانه واعتناقه بصورة لم يسبق لها في هذه الحياة نظر ، فتثبت أقدامه ورحمت قواعده وأركانه في جميع البلاد التي شرفها بفتحها ، وأخذها بمبادئه من الظلمات إلى النور ، وأغاثها من الباطل والضلال ، والظلم والفساد ، وأرشدنا إلى الحق والهدى والعدل والهناء ، وقد عرفنا هذه الشعوب قبيته ، واعترفنا بفضلها عليها فحضت عليه

المغرضون من أنه غزا البلاد التي قسها بالسيف ، كبرت كلفة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . ثم كذبوا في هذه الدعوى الباطلة ، لأن سيوف المسلمين الفاتحين لم تزل - كما أسلفنا - إلا القشرة السطحية التي كانت تحجب نور الإسلام عن تلك الأمم ، وبالتالي كانت تحول بينها وبين الهدى والسعادة ، ومن آيات ذلك أن هذا النور المملو عند ما زالت من أمامه تلك الحجب تنفلت إلى أبعد حدود أمان القلوب والمقول في أفراد تلك الشعوب ومجتمعاتها ولم يبق منحصرا في الطبقات الحاكمة التي لا تلبث أن تلفظ المفاد التي فرضت عليها فسرنا وتبذلها في سرور عند ما تتغير الظروف ، ولو أن الإسلام كان قد دخل تلك البلاد بالصف والإكراه ، لمحاولت الأمم المفتوحة أن تنخلص منه كلها كانت لها الفرص ولما عصت عليه بالتواجد على هذا النحو الذي يشاهده ويشهده الأعداء قبل الأصدقاء وهنا قد ينقأ سؤال : مؤداه : من أين أنت إلى الإسلام هذه القوة الذاتية ، وتلك الجاذبية التي لا يقوى على مقاومتها كبحر ولا صغير ؟ والإجابة على هذا السؤال هي : أن مبادئه التأسيسية تتجاوب مع حاجات الإنسان الفطرية إلى الإيمان والشعور والعمل ، وهذا التوثر الدائم المركب في الإنسان هو منبثق من غريزة منطقية ،

العواصف الهوج ، والأعاصير الجانحة كما يسجل ذلك الأستاذ المشرق ، بيروندو ، مدير مركز الدراسات العليا في إفريقيا وآسيا الحديثين في كتابه ، الإسلام وصلو اليوم ، إذ يقول ما نفسه :

« من الموقن به أن تقدم الإسلام ليس ثابتا ولا مستترا ، أو أن سرعة استمراره تزيد باطراد لحسب ، بل إنه في مجمله أسرع من تقدم المسيحية ، (ص ٢٢ من المجلد الثاني) . فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسيحية مبشرين ودعاة لا يحصيهم العدد ، وأمر الاطاعة تنفق سهلة رخيصة في إنشاء المدارس التبشيرية ، والمستشفيات الخيرية المثمرة في العلاج ، إذا أضفنا هذا كله نبين لنا أن الإسلام يحتمل على قوة واضحة من الحقيقة المقيدة التي لا يتناول إلى حليتها أي دين آخر . وهذه الحقيقة هي التي تدفع العقول إلى اعتناقه بلا قسر ، بل في حرية كاملة ، لأن جميع الأنظمة الصناعية لا تحيا إلا حيا محدودة ، بل قصيرة لا تلبث أن تزول عند ما تنهار القوى المادية التي فرضتها فرضا وأوغمت الأمم على الخضوع لها ، هذه هي سنة الناموس الكوني الذي يزيل المسيات عند ما تزول العوامل التي كانت تسند كياناتها أو تتضافر على منحها الوجود .

أما الإسلام فليس من هذا النوع ألبتة ، لأنه لم يفرض بالنف وهم ما يتخسر به

بسيطة تتخذ في القرآن هيئة ذات قوة وجلال منقطعي النظر ، وقد أدرك أدق المقترنين المتمعين الزهاء هذه الحقيقة وما تلته في نفوس المؤمنين من نتائج فردية واجتهادية ، إذ أنها لم بمثابة مبدأ مرشد ذي قوة استثنائية يعبر لم بديا عن وجود الإله الخالق المجازي المجد بحمده ، والشرير بشره ، فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (آي ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة) .

وبعد ذلك يكون هذا التوحيد رمزا للجهود المسلمين المبذولة لتحديد غاية معينة لكل حمل من أحلام المتعدة ، وتوجيه هذه الغايات الفردية كلها نحو الغاية النهائية العظمى التي هي المبدأ الأول والغاية الأخيرة المعبر عنها بكلمة التوحيد . . . لا إله إلا الله وحده هو الأول والآخرة والظاهر والباطن . . . وأخيرا ينبغي أن نعين أن هذا التوحيد المقيد يتكشف عن معنى عظيم يفيض على المجتمع النظام والخير والتناك والمادة ، إذ أنه يتضمن وحدة أخوية حرة واسعة النطاق تربط بين الأمم دون أن يستبعد إحداها للأخريات أي أن مبادئ الإسلام الحقيقية لا تفرض على دولة أن تقيس نفسها على أخرى ، وأن تماكيا في أفضمتها الخاصة بل هي تترك لكل منها تمام الحرية في الاختيار والعمل مادام أنها جميعها تستظل

أو من منطق غريزي كائن في أعماق كيانه مهما يكن جاهلا أو ممدوم الثقافة والاستقامة ومعنى هذا أن الإيمان ينبثق من ضرورة منطقية ، هو أن الإنسان بفطرته لا يستطيع أن يقبل حقيقة عقيدة معروضة للتباين مع حقيقة عقيدة أخرى ، أو تصبح فتنة معروضة لحلول عقيدة أخرى محلها بينما أن سلسلة طويلة من مبادئ إنسانية متينة لا توجد فيها ثغرة ، ولا يصيبها صدع ، وطرفها متمسك إلى الأصول الأولى ، هي تملأ قلبه بالثقة واليقين ، ولهذا وحده كانت المبادئ القرآنية المتمسكة على الوحدة والعمومية ، بل الكونية واللبات تبدو - نظريا - المعقل كأنها هي ذات التعبير عن الحقيقة العقيدة .

وبما هو جدير بالإيضاح هنا أن هذه الوحدة القرآنية قد أثبتت قبل كل شيء من التوحيد الذي هو المبدأ الأول للإسلام والذي كان موضع الصدور والصدادة في عقيدته ، إذ أن الإسلام كله يتكون من الاعتقاد بالله واحد لا شريك له ، ولا حد ، ولا ضد ، ولا مثل ولا شبه ، ولا قسم والخضوع والامثال لأوامر هذا الإله الواحد الواردة في كتابه الكريم ، أو على لسان نبيه الجليل الذي لا ينطق عن الهوى ، وإنما كل أنواله وأفعاله وحى يوحى ، ولا ريب أن هذه العقيدة التوحيدية التي تبدو في ظاهرها

المشط لافضل لعربي على أعشى إلا بالتقوى .
أقول : إن هذه التقوية ذاتها هي التي أبلغ
هنا ذلك الرسول الصادق الأمين بقوله :
(كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه
عما الذان يحسانه أو يهودانه أو ينصرانه)
وهذا المعنى العميق هو الذي رس إليه القرآن
حين قال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام :
وما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، (آية ٦٧ من
سورة آل عمران) أي أنه كان على دين الفطرة .
ولقد سمنا من أحد المتضيقين من أنصاف
المتعلمين اعتراضا على هذا التعبير القرآني ،
وتحكما متفهدا ، مؤداه أنه كيف يوصف
إبراهيم بأنه مسلم وقد وجد قبل الإسلام
بأكثر من عشرين قرنا ؟ ! فالتفتنا حبرا
بقولنا : (إن معنى الآية الشريفة هو أن
إبراهيم كان على دين الفطرة الذي لا فرق
بينه وبين الإسلام ألبتة) .

كانت التقوية التي نص عليها القرآن بين
بني البشر جميعا إذن موجودة وتامة ولم تحدث
التفرقة إلا فيما بعد ، وبأسباب خارجية ،
وعلى أجنبية ، دعت إليها الأغراض
والأهواء ، أو العوامل التي لم يكن يد من
طروتها على الأناسي كنفوس الهدى ، ونسيان
التعاليم الإلهية ، فبا تقضم ميثاقهم لتنام
وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن
مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال

براية الكتاب الكريم والسنة الفسراء
دون أن تضيق على نفسها مسالك الحياة
، أتم أعلم بأمور دينكم . ولا جرم أن
هذا الاختلاف في الأنظمة الداخلية ،
لا يتعارض مع الاتحاد الروحي الذي يكون
الأسرة الإسلامية الكبرى التي تعيش
في رحاب الإيمان وتحف رواية الإسلام هيفة
السلام والوئام .

على أن هذا التوحيد المعنوي المنتهى إلى
الوحدة المتينة ، لم يبدأ بظهور الإسلام ،
بل بدأ متجها إلى بني الإنسان جميعا منذ
الميثاق الأول : « وإذا أخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
ألسن ربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم
القيامة إنا كنا من هذا غافلين » (آية ١٧٢
من سورة الأعراف) . ومن هذا الميثاق
الأول الذي يصوره لنا القرآن أسى تصوير
وأكله ، يتبين لنا أن الله جل وعلا
قد أفهم البشرية قبل حلول أرواح أفرادها
في أجسامهم ، أنه هو الأحمد الخالق المنعم
المتفضل الجدير بالعرفه والمعبادة ، وأنه أخذ
عليهم العهد والميثاق جميعا ألا يبدوا إلا إياه .
ولارب أن هذه التقوية السكامة أمام
الميثاق والتي تتفق أتم الاتفاق مع قول
القرآن : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة ... » (آية واحدة من سورة
النساء) وغزل النبي الجليل : « الناس كأسنان

كما أوحى إلى اليهود ، وأن « شائع - تي »
ليس سوى إله الكتاب المقدس ... وفوق
ذلك فإن عظمة الأخلاق الصينية وقوامها
كانا يبدوان غير مفهومين لدى المسيحيين
الأوروبيين لولا أن فرضوا نظرية الوحي
الإلهي في تلك الأصقاع .

ولا ريب أن هذا يؤيد ما قلناه مراراً
في هذا الصدد : من أن الميثاق الأول قد شمل
الجميع ، وأن الرسائل السبارية قد أرسلت
إلى الكل بلا استثناء ، ومن ثم فإن هذا
الذهول الذي أصاب الأوروبيين عندما ألحوا
بالألوهية والأخلاق الصينية لم يصب
المسلمين أدنى إصابة ، لأن القرآن كان قد
أنار لهم هذا الجانب الأسامي من جوانب
الحياة فأدركوا أن الله جل شأنه قبل الوحي
الإسلامي ، لم يهمل أية بقعة من بقاع الأرض
دون رسالة هي واحدة في كل مكان وكل زمان
ولا تختلف إلا في التفاصيل التي تلتئم مع
العقليات المتباينة التي يتفق بعضها مع هذه
الرسالة وبعضها مع تلك ، ولكن العدالة
الإلهية لم تحرم أحداً هذا الفضل المائل
في الرسائل جميعها ، وإن من أمه إلا خلا
فيها نذير ، (آية ٢٤ من سورة طه) .

ومن الآيات الواضحات في هذا الشأن أن
(إفلاطون) حكيم أثينا الذي تلتذذ على كمنه
مصر كنانة الله في أوحى (كما قال النبي عليه
صلوات الله وسلامه) فرف من أمانته

تطلع على عاتق منهم إلا قليلاً منهم قاصف
منهم واصفح إن الله يحب المحسنين .
(آية ١٣ من سورة المائدة) .

أو كتعريف كلام الله ونسوية تعاليمه
وجعلها دميعة في ألفاظها ومعانيها ، أفتعلمون
أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
وهم يعلمون . (آية ٧٥ من سورة البقرة)
أو كالخضوع للأمواء واتباع الأغراض
التي تصد عن التعاليم الإلهية ولو كان المفترضون
يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن
فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ،
(آية ١٤٦ من سورة البقرة) .

ومما يسترعى الانتباه في هذه المناسبة
أن معرفة هذا التوحيد المبدئي لدى المسلمين
من طريق القرآن الذي حدثهم عن الميثاق
الأول قد سمحت لهم بأن يدركوا هذه النظرية
أكثر من غورهم عن أهل الأديان الأخرى ،
إذ أن الأستاذ (دانكير) المفسر الألماني
يسجل ذلك في مقدمة كتابه (تاريخ الفلسفة
الصينية إذ يقول ما نصه :

« إنه المبشرين المسيحيين الذين كانوا أول
من عنوا بالفلسفة الصينية ، قد فعلوا من
حق النظريات الأخلاقية وقاماتها ، وأجمعوا
على أنه لا يمكن شرح هذه الظاهرة إلا إذا
أمنوا بأن الإله قد أوحى إلى الصينيين

المرتبطة بكل واحدة منها . وأكثر من ذلك التفاصيل الشاملة البت والحشر والسؤال والميزان والصراط ، وما إلى ذلك مما هو بارك في النصوص الإسلامية . ولقد انخرقت عقليات بعض المستشرقين في هذا العدد فسلخوا في تحليل هذا كله مسالك مثنوية موهجة ، إذ زعموا أن الأديان التي تدعى السابرية قد أخذت هذه الصور كلها من أساطير الأديان الوثنية بدلا من أن يفهموا الحقيقة المستقيمة ، وهي أن تلك الصور المصرية القديمة ليست سوى بقايا ظلت محفوظة من دين الفطرة الذي أوحى إلى الجميع بفهم استثناء ، والذي هو في ذاته فكرة عقلية بلغت أقصى الدرجات وأسمائها .

غير أن سؤالنا لا بد منه يمرض هذا بطريقة طبيعية ، وهو : ما الذي سوأ هذه الفكرة الفطرية لدى بعض الشعوب وغير من معالمها وشبه جمالها ، وبذلك أهدافها لدى البعض الآخر ؟ .

والإجابة على هذا السؤال هي أن هذه الفكرة التوحيدية قد تفلخت في المبداء والإرشاد وعالم مفرية الأخطاء والانانية والفسيرة والحسد والاحقاد والمطامع والشهوات والأموال والمنافع . وبالإجمال كل أسباب التباغض والتناكر والوثنية والإلحاد وما إلى ذلك مما أشار إليه القرآن حينما ، وأسهب في تفصيله أحيانا ما تقتضت هذه كل هذه العوامل المدمرة على تشويه هذه

أسرار الدين الفطري ومكنوناته ثم سجل في مؤلفاته عن الألوهية تسجيلات جعلت أعلام المفكرين يطلقون عليه اسم إفلاطون الإلهي . وأنه أول من جعل العدالة مركز الفضائل ، وأنه أول من ربط السياسة بالأخلاق ذلك الربط القوي المحكم الذي لم تستطع القرون الطويلة أن تفهم وراءه . بل إن الساسة المعاصرين القتالين المضلين لا يزالون حتى الآن يستعكفون بالمبادئ التي وضعها هذا الحكيم منذ أربعة وعشرين قرنا . وليس هذا لحسب ، بل إن من تلقى نظرة متفحصية على الفيداء كتاب الفنون المقدس ، يسترعى نظره ، بل يبهده في كل خطواته ما يلقى فيه من فكرة الإله الأحد ، ولو أنها غريبة - في كثير من الأحيان - بقصور صدفية تلتهم مع عقليات العامة وخرافات الجاهل . ولكن قد بقيت أضواء دين الفطرة فيها ساطعة متلألئة تنبج مباشرة إلى قلوب الأتقياء وعقول المتفكرين ، بل إن من يتصفح تاريخ مصر الفرعونية ولم يكن قد استضاء بضوء القرآن فإنه يصيبه نفس الدهول الذي أصاب المسيحيين الأوروبيين عندما ألوا بالألوهية والأخلاق الصيفيتين في العصور الأثرية ، إذ أن المرء لا يكاد يلم بالديانة المصرية القديمة حتى يبهده ما يجده فيها من تصورات دقيقة للفضائل والذائل ، والخيرات والشرور ، والمثرجات والعقوبات

وإما عن طريق الجهود الخلفية الشخصية التي تكون القدرة المقترية من أخلاق النبي بقدر المستطاع .

وأخيرا ينبغي أن نعيد إلى الذاكرة أن فكرة الوحدة المنبثقة عن توحيد المبدأ الأول هي على قم الفكر الفلسفي ، وأن فلاسفة الإسلام الذين طال تبصرهم في عظات القرآن ودهوته المؤمنين إلى التفكير والتأمل في أسرار الكون ، قد استلهموا منه طرق النظر المتنوعة ثم انتهوا بقضه إلى إدراك مبدأ التوحيد وحدو الكون كله عن الأحد الذي لا شريك له ، ونبينوا من جهة أن المتعددات التي يكتسب بها الكون صادرة كلها عن هذا الأحد الخالق ، وأن العقل البشري من جهة أخرى قد استطاع بفضل الفيض الإلهي أن يرجع هذه المتعددات الكثيرة إلى الوحدة الصادرة عن الأحد ، وما أمرنا إلا واحدة كلح بالبصر ، (آية ٥٠ من سورة القمر) .

ونصاري القول أن كشف القرآن لهذه الوحدة المقيدة ، ودهوته إلى العودة إليها قد منعا الإسلام هذه القدرة الفاتحة على الإنقاذ ، وذلك القوة الدفاعية التي تتقدم به يوما من يوم في طريق التغلب المنصوي في محيطات السجلات ، والامتداد المادي في محيطات الحياة ، والتي ضمنت له الصلاحية لجميع الأزمنة والأمكنة بلا استثناء .

الدكتور محمد غريب

الوحدة النظرية ، وكست نورها الأزل الأبدي بتأريخها جي كفيف يصحها عن الناس وإن كان لا يستطيع أن ينال من ذاتها أدنى مثال ، لأنها من عالم النور والخلود .

وهنا شادت الإرادة الإلهية أن تتابع إيماءات جزئية عملية خصص لإرشاد الضالين وبلج النفوس المتفرقة المنتثرة في أنحاء الحياة ، فجعلت تؤدي رسالاتها بقدر ما تسمح لها طبائع المرسلين الذين كفوا بها ، وظروفهم إلى أن أدان الرسالة القرآنية التي شرحت أصل هذا التوحيد ، وأبانت عناصر هذه التفرقة ، ثم أوضحت عوامل العودة إلى الوحدة في الواقع أن أضواء القرآن لم تكف تشع حتى مزقت تلك الأستار ، وبددت ظلماتها ، وكشفت عن الآلاء الذي بهر العقول ، وأخذ بمجامع القلوب ، إذ طفق القرآن يدهونا إلى العودة التامة إلى الوحدة المقيدة التي رسمت خطوطا للأمة الإسلامية في كتابها وسنة وسولها بهيئة بارزة ، إذ يوجه القرآن الدعوة إلى كل فرد أن يسهم في تحقيق الوحدة المؤسسة على التوحيد : إما بواسطة الإقناع المكون من أسلوب السلام والدعة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، (آية رقم ١٢٥ من سورة النحل) . قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، (آية رقم ٦٤ من سورة آل عمران) .

مَكَانُ الْفَقِيهِ الْإِسْلَامِيِّ

لِلْأُسْتَاذِ زَكَرِيَّا الْبَرْي

- ٢ -

أصول الشريعة أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وهذه الآية مفتحة على تقرير هذه الأصول الأربعة بهذا الترتيب ، أما الكتاب والسنة فقد وقعت الإشارة إليهما بقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وقوله تعالى : « وأولى الأمر منكم » ، يدل على أن إجماع الأمة حجة ، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم ، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجرم والقطع لا بد أن يكون منصوباً من الخطأ ...

والإكراه في ذلك أمر من الله بمثابة الخطأ المحتمل ... والمقصود من أولو الحل والمقد من الأمة ، وهم أولو الأمر (١) وقوله تعالى : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » ، يدل على أن القياس حجة ، والمراد فإن تنازعتم في شئ حكمه غير المذكور في الكتاب والسنة والإجماع فردوا حكمه إلى الأحكام المنصوصة

(١) ليل المحذوف من كلام الرازي كليل بالفاء .
أشواء على المقصود من : إجماع الأمة وأولى الأمر ،
وأهل الحل والعقد وما بين ذلك من عموم وخصوص .

بجدة الأزهر

المنهج القرآني لمعرفة الحكم الشرعي :
يقينا في مقالنا السابق مكانة الفقه الإسلامي وحيويته ، ووعدنا بعرض المنهج القرآني الحاكم ، في معرفة الحكم الشرعي ، والذي يتضمن لهذا الفقه الاحتفاظ بخصائصه وأهدافه في تنظيم العلاقات الاجتماعية ، وتحقيق السعادة البشرية .

وفي هذا يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » .

بهذه الآية الكريمة الجامعة ، رسم القرآن المنهج الإسلامي ، لتصرف الأحكام الإلهية ، في كل ما عرض أو يعرض للسين في حياتهم وشتونهم ، بحوائجها المختلفة وآفاقها للفصاحة الاجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها .

يقول الإمام الرازي : « اعلم أن هذه الآية آية شريفة ، مشتقة على أكثر علم أصول الفقه ، وذلك لأن الفقهاء قرءوا : أن

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء

لسياسة الناس في مختلف العصور والبيئات ، ويتسع لحاجاتهم المتعددة والمتغيرة والمتجددة ، من أن يقف عند وضع القواعد الكلية ، والأسس العامة ، دون دخول في التفاصيل والجزئيات ، وذلك فيما يمكن أن تتطور فيه حالة المجتمع وتنغير ، في النظام المستوي مثلا لا يحدد القرآن شكلا معيناً للحكومة ، ولا لتوزيع السلطات فيها ، ولا لطريقة الشورى ، وإنما يقرر العدل : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، وينادي بالشورى : « وشاورهم في الأمر » ، وأمرهم شورى بينهم ، ويعلم الإعلاء والمساواة : « إنما المؤمنون إخوة » .

وفي العلاقات الدولية يؤسسها على السلام والتعاون بين أفراد المجتمع الإنساني : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتتسطروا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

وفي المعاملات المدنية يضع أسسها العامة ، وهي التراضي ، وعدم أكل الأموال بالباطل والوفاء بالعقود : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم » ، « يحق الله الربا ويربي الصدقات » ، « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وهكذا .

في الوقائع المشابهة له ،^(١) وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة زادت هذا المنهج وضوحاً وتفصيلاً وسنقدم إليها فيما بعد .
القرآن الكريم :

فأول المصادم الإسلامية كتاب الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - (٢) : « كتاب الله ، فيه نيا ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ فيه الأهواء ، ولا تقبض منه العلماء ، ولا تتلبس به الألسن ، ولا يخلق هل كثرة الرد ، ولا تنقضي مجانيبه ، وهو الذي لم تنته الجن لما سمعته حتى قالوا : إنما سمعنا قرآنا مجبياً يهدي إلى الرشـد ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن هدى به هدى إلى صراط مستقيم » .

ولا بد للمستودع الإلهي الحكيم ، حتى يصلح

(١) مفتاح القريب ٣ = ٣٥٧ وما بعدها ، بصرف وحذف ، وانظر روح المعاني للأزهري ، ص ٦٠ ط المنيرة .

(٢) أخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنها ستكون فتنة » ، التفتنا المخرج منها يارسول الله قال : « كتاب الله ... »

السنة النبوية :

وقد جعل الله له هذا البيان في قوله تعالى :
« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ » ، يقول حسان بن عطية : كان الرحي
ينزل على رسول الله ، وبحضرة جبريل بالسنة
التي تفسره ^(١) .

وقد حاول بعض الناس أن يهككوا في
حجية السناد وما وجدناه بمحسنة وسداجة
حينما ، وبسوء نية أحيانا ، وأخذوا
بتمسكون بشبه باطلة ، فقالوا : إن القرآن
قد حوى كل شيء ، فهو يفتينا هنا ، محققين
إلى قوله تعالى : « مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
شَيْءٍ » ، وقوله تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ بَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ » .

ومن هنا تكفل الله بحفظه وحده في قوله
تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ » ، وإنا له
لحافظون ، فكتب وحده أول الأمر دون
السنة ، التي نهي الرسول - صلى الله عليه
وسلم - عن كتابتها في مثل قوله : « لَا تَكْتُبُوا
عَنِّي ، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي خَيْرَ الْقُرْآنِ فَلِيَمِّحْهُ »
ثم قالوا : إن العمل بالسنة - وهي عتظف
في حجة الكثير منها - يؤدي إلى اضطراب
أمر التشريع والاختلاف فيه .

ولهذا ، ولأن القرآن الكريم ، حال
ذو وجوه - كما قال الإمام علي - حين بحث
عبد الله بن عباس إلى الخوارج وقال له :
« لَا تَخَاصِمُهُم بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَالُ ذَوِ وَجُوهِ » ،
تقول ويقولون ، ولكن حاجتهم بالسنة ،
فإنهم لن يجدوا هنا ميسما ^(٢) كانت السنة
النبوية - وهي أقوال الرسول - صلى الله
عليه وسلم - وأفعاله وتقريراته ، في مقام
الهداية والتشريع ، هي المصدر الثاني بعد
القرآن نفسه ، يقول الله سبحانه : « مَنْ
بَطَلَ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » ، ويقول :
« وَمَا آتَاكُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا » ، « وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا وَلَا تَكْفُرُوا إِذَا
قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخُفُؤُةُ
مِنْ أَمْرِهِ » ، « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
حَرَجًا بِمَا فَضَّلَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

وقد جاء القرآن بفرائض بمجمل في الصلاة
والزكاة والصيام والحج وغيرها ، ولا يمكن
معرفة هذه الفرائض إلا ببيان الرسول لها ^(٣) .

(١) نهج البلاغة - ٢ ص ١٣٦ شرح الامام
محمد عبده - ط الحلبي .

(٢) وقد استغنى رجل عمران بن حصين ، فأجابه
بحديث ، فقال له الرجل : حدثونا عن كتاب الله
مز وجل ، فقال له : إنك امرؤ أحمق ، أتجد في كتاب
الله صلاة الظهر أربعاً لا يجهر فيها ، وعبده أربعة
كثيرة ، ثم قال له : أتجد هذا مفسراً في كتاب الله ؟
كتاب الله قد أحكم ، ذلك والسنة تفسره .

(١) وقد سئل الإمام أحمد عن قول بعض
العلماء : إن السنة تأدية على الكتاب ، فخرج من
هذا الخبر ، وقال : ما أجبر على هذا أن أقوله ،
إن السنة تفسر الكتاب وتبينه (المرافقات
لشاطبي - ٤ ص ٢٦) .

فأما كتابة القرآن وحده أول الأمر ، ونهى الرسول عن كتابتها ، فإنه لا يدل على عدم حجيتها ، لأن النهى عن كتابتها ، إنما كان بالنسبة لكتاب الوحي خاصة ، أو الذين يكتبون السنة مع القرآن في صحيفة واحدة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ، بدليل أن الرسول أباح الرواية عنه في نفس الحديث الذي ينهى عن كتابتها وقال : حدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . فان الأمر بالتحديث بالسنة ، وتهديد من يكذب على الرسول فيها بالعقوبة دليل على حجيتها . وقد أجاز الرسول لبعض الصحابة كتابة السنة ، حين كان يأمن اختلاطها بالقرآن ، كما حدث مع ابن عمر .

وأما القول بأن العمل بالسنة أدى ويؤدي إلى الاختلاف ، فظراً لتفاوت العلماء في الحكم بصحة الأحاديث وعدم صحتها ، فإنه مردود ، لأن الاختلاف قائم على أسباب منطقية وعلمية ، أمر لا يخلو منه أي تشريع في الدنيا سماوياً أو وصفاً ، قديماً أو حديثاً ، ولن يزول هذا الخلاف بالاستناد إلى القرآن وحده ، وأعمال السنة ، بل يزيد ويشهد ، فان القرآن حال ذو وجود ، والسنة معه تؤدي من الأغراض ما تؤديه المذكرات الإيضاحية للقوانين والرائح المتممة لها .

وقد تنافل مؤلفاء عن الآيات القرآنية التي أوردنا بعضها في الاعتماد على السنة مرجعاً ودليلاً ، ونحن أن السنة لا يعمل بها إلا إذا ثبت صدقها بطريق اليقين أو الظن الراجح .

أما استدلالهم بقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، فع التسلية بأن المراد في هذه الآية هو القرآن ، وليس المصحف المحفوظ ، كما هو واضح من السياق قبله ، إذ تقول الآية : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ، ما فرطنا في الكتاب من شيء . ، فإنه يدل على اشتغال القرآن على كل شيء من الأصول والقواعد الكلية فقط ، ومن تلك الأصول الرجوع إلى السنة التي قرر القرآن حجيتها ، وهذا هو المقصود أيضاً من قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » .

أما قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون » ، فإنه لا يعني أن القرآن هو المحفوظ فقط ، بل إن حفظ الله قد شمل كلام القرآن والسنة ، وكما حفظ القرآن بالتواتر في الصدور وفي السطور ، فقد حفظت السنة بالنقل الصحيح عن طريق الصحابة وثابهم بإحسان ، ثم بالتدوين في المصنفات والمسانيد ، ووضع الضوابط والمقاييس العلمية الدقيقة ، في السند والمثبت ، لقبول الصحيح منها ، ورد الدخيل عنها .

يقول الشافعى : إذا بين الرسول آية في الكتاب ، فمن الله بين وحكم الله هو ما في الكتاب على ما بين الرسول ، وكما أنه ليس للسلم أن يخرج عن الكتاب ، ليس له أن يخرج عن بيانه الذي بينه الرسول ، لأن النص وبيانه من الله ويقول الشافعى : لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاختصار عليه ، دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة ، لأنه إذا كان كليا وفيه أمور كلية ، كما في شأن الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها ، فلا يحبس عن النظر في بيانه ، ولقد صدق مطرف بن عبيد الله في قوله : « والله ما نريد بالقرآن بدिला ، ولكن نريد عن هو أعلم منا بالقرآن ، وداعلى من قاله : « لا تهدثونا إلا بالقرآن ، ولهذا كان « نبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام بضرورة دينية لا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في دين الإسلام ،

كما يقول الفوكاني « . ولا تكون السنة صحيحة إذا مارضت فصا قرآنيا فاطما في دلالته ، أو حكا عرف من الذين معرفة ضرورية يعلمها الخاص والعام ، أو خالفت بدهيات العقول وأحكامها القطعية التي لا يتردد فيها عاقل ، لأن ذلك يدل على عدم صحة نسبتها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم فإن أقوال النبي هي الحكمة ، والق جاء ذكرها في مثل قوله تعالى : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وحطك ما لم تكن تعلم ، ويقول الفزالي : « إذا كان الحديث مخالفا لعلوم القطعية عند أهل العلوم ، وجب رده إذا كان خبر آحاد ، ويكون ذلك دليلا على عدم صحة نسبه إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم .

(١) إرشاد الفحول ص ٢٩ .

يتبع ذكر باب الهري

الجدال بغير علم

ألم تروا أنه الله يحرك ما في السموات وما في الأرض وأبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة : ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير .

دراسات حول القرآن : السجع والقرآن والبقلائي للدكتور عبد الرؤوف مخلوف

الأشعري قد ذكر ذلك في غير موضع من كتبه ، ويقول أن من ذهبوا إلى إثبات السجع في القرآن قد زعموا أن ذلك مما يبين فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة .

ولا يقبل الباقلائي آراء القوم المبتنئين للسجع في القرآن ورأيه في التثني يقوم على أمور منها :

أولاً : أنه لو كان القرآن مجسماً - أو فيه من السجع - لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلها أو واحداً منها لم يقع بذلك إعجاز .

ثانياً : لو كان في القرآن سجع لجاز أن يقولوا : هو سجع مجزوء ، ويقع ذلك - عنده - أنه يقولوا : هو شعر مجزوء .

ثالثاً : أن السجع مما يأنفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لأن الكهانة تنافي النبوة ، وليس كذلك الشعر . فإذا كان القرآن نفي

من القضايا الفنية التي حظيت بمناية البلاغ العرب قضية الأصوات والموسيقى في الأداء القوي ، وقد اتحدت بمباحث العلماء في هذه القضية تحت عناوين كثيرة اصطلاحوا عليها في علوم البلاغة من بينها السجع .

ومن تعرض لهذه القضية أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلائي المتوفى ٥٤٠ هـ ، وهو أحد رموز السنة في المائة الرابعة الهجرية ، وصاحب كتب كثيرة في علوم الكلام والمقيدة . ومن بين كتبه كتابه المسمى (إعجاز القرآن) الذي نزع فيه منزح رجال البلاغة ، وعرض فيه لطائفة من قضاياها الوثيقة الصلة بمباحث اللغة - لغة القرآن ، ومن بينها السجع .

وقبل أن ندلي برأينا في رأيه ، نرى ، ويحتم المنهج الصحيح أن نعرض مذهبه في القضية ، لا سيما وهو مذهب كثيرين كما يقول .

يرى الباقلائي أن ليس في القرآن سجع ، ويذكر أن قد ذهب أصحابه كلهم إلى نفي السجع من القرآن) وأن شيخه أبا الحسن

قد استهان ببعض نظمه ، وعجيب تأليفه الذي وقع النحوى إليه .

تلك جملة ما احتج به الباقلاى لتنى السجع من القرآن ، ونحن ننم النظر فيها نرى غلبة روح علم الكلام عليها ، فأولها : أن أصحابه ، وعلى رأسهم شيخه أبو الحسن الأشعري ذهبوا إلى ما ذهب إليه ، ومعلوم أن أصحابه وشيخه كانوا عن علماء الكلام والمجدل ، وليسوا من البلاغة وفنية الكلام في كثير . والنقطة قضية النقد والبلاغة ورجالها قبل أن تكون قضية علم الكلام ورجالها ، وعلى هذا يكون الاحتجاج برأيهم فيها احتجاجا برأى غير خبير .

وأما أنه لو كان في القرآن سجع لكان جارا على غرار كلام العرب ، فإننا لا نرى ما صاع يمنع أن يكون القرآن كذلك . بل هو في واقع الأمر كذلك . وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، وهو يتحدث عن نفسه وأنه جاء بلسان عربي مبين ، وإعجازه ، والأمر كذلك ، يرجع إلى قوته سائر كلامهم في نظمه وتأليفه مراعىا مناسبة اللفظة . من جميع الاعتبارات الفنية . للحن . وليس إعجازه من جهة المخالفة في الجنس ، لأن مخالفة الكلام في الجنس لا تنطق عليه فنية ، ولا تسكب صفة البلاغة لذاتها فضلا عن أن تبلغ به حد الإعجاز .

وأما أنه لو كان سجعاً لصح أن يقال فيه :

من نفسه بنفسه أن يكون شعرا ، فكذلك لابد أن يقتنى عنه أن يكون سجعاً .

رابعا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين كلوه في شأن الجنين وقالوا : (كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح قاسهل ، ليس ذلك دمه قد يطل ؟ قال لهم عليه السلام : أجماعه كسجاعة الجاهلية ؟ وفي رواية : أجماعه كسجع الكهان ؟) .

خامسا : لو سلم لثبني السجع موضع أو مواضع معدودة منه في القرآن لم تمد سجعاً ثقتها ، ولأنها لم تأت فيها مقصودا إليها ، ومثلها - حيثئذ - كمثل عبارات منه جاءت منزلة بأوزان الشعر فلم يدع من أجلها أن فيه شعرا ، فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقترونه .

سادسا : يقول : لو كان الذي في القرآن على ما تقدروا به سجعاً لكان مذموما مرذولا ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقة كان قبيحا من الكلام ، لأنه السجع له - قبا يرى - منهج مرتب محموظ ، وطريق مضبوط ، من أدخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة ، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطلا . ومن جاوز وقوع السجع في القرآن فإنه يكون قد سلم بوقوع الخبط في طريقة النظم ، وأنه من فرق شتى ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم . . ويكون

لا يقال في القرآن الكريم أجماع ، بل إنما يقال فواصل ، أما مناسبة فواصل لقوله تعالى : « كتاب فصلت آياته ، وأما اجتناب « أجماع » فلأن أصله من جمع الطيور .

بل جاوز الأمر في السجع حد الرأي فإذا هم يروون أحاديث تنهى عنه فقد جاء في إحياء علوم الدين للفرالي رواية تذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إياكم والسجع في الدعاء ، حسب أحدكم أن يقول : اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من عمل ولكن وجلال مصطلح الحديث لا يجوزون بمثل هذه الرواية دون أن يقولوا « حديث إياكم والسجع في الدعاء » غريب .

وهكذا يضم ناس على البلاغة وفنية الكلام ما يسمى إليها وإلى قضية الإيجاز التي تقوم على فن الكلمة في نظم القرآن ، ومن ثم ما قال الأستاذ علي الجندى « وهذا هو الخط الذي لا ندلم به ، والمخالفة الظاهرة التي تحمل معاني الحجر ، والتضييق ، والتعكم ، فالفاصلة التي منعوا استعمالها في الشعر لأنها من خصائص القرآن معروفة لعرب قبل نزول القرآن ، وهي في الأصل الحوزة بين الحزبتين ، وكيف لا تقول « فاصلة » في الشعر وهي جزء من أجزائه ، إن الأمر لا يخرج عن أن يكون استعمالاً لغوياً سائناً لا ضير فيه على التذليل الحكيم ، وقد سعى الوجودي كتابه في النحو « الفصل » ولم

هو جمع معجور ؛ فإننا لا نرى ما لنا يمنع من ذلك ما دام قد تحققت فيه صفة الإيجاز ، ولفوق قدر البشر وطاقاتهم .

ويبدو أن نزعة الجدل عند الباقين وأضرابه من زهوا منزعه هي التي حملتهم على أن ينكروا أن يسمى ما في القرآن من سجع جماعاً لأنهم رأوا الكلمة تطلق على أصوات الطير كما في قول ابن دريد : « جمعت الحمامة معناه : رددت صوتها ، وأشد :

طريقه فأبكتك الحمام السواجم

تميل بها نحواً غصون نوائح

على أن إضمار الدين في البلاغة ، ودراسات القرآن لم يكن مذهب الباقين لحسب ، وإنما هو اتجاه غلب على كثيرين ؛ فلب على أبي يقرب المغربي حين قال : « ولا يقال في القرآن أجماع » بمعنى أنه ينهى عنه ، لا لعدم وجوده في نفس الأمر ، بل لرعاية الأدب وتمظيم القرآن وتنزيهه عن التصريح بما أصله في الحمام التي هي من الدواب العجم ولكونه من فئات الكهنة في كثرة أصل إخلاته . وغلب على التفتازاني حين قال : ولا يقال في القرآن أجماع « رعاية للأدب » وتسطيحه ، إذ السجع في الأصل هدير الحمام ونحوه . . . وقيل لعدم الإذن الشرعي . . . على أن الرجل اتبع ذلك بقوله : وفيه نظر . وغلب على بهاء الدين السبكي حين قال :

نقط ولا عند توافيق الفواصل على حرف واحد ، إذ لو كان الأمر على ذلك لكان كل أديب من الأدباء مجاعاً ، وليس الجمع كما يقع في الوهم يبداء يركب منها اعتسافاً بلا تبصر ولا تفكير ، ولكن طريقاً لأحب تحفه الخلود الواضحة الدقيقة ، وتنظفه الصوى المرشدة ، والعالم المادية ، وهو مع ذلك ليس سيرا على بساط غل منقوش بالأزمار يتهدى عليه من شاء كيف شاء مزجوا عتالاً ، ولذلك خطأ بطيئة تنقلها الأصفاة فوق شوك حاد نافذ يحتاج إلى إحمال الفكر ، وإنعام النظر قبل نقله كل قدم .

يقول الباقلائي : (قد علمنا أن بعض ما يدعونه مجعاً متقارب الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضه مما يمتد حتى يتضاعفه طوله عليه ، وتود الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير . يقول الباقلائي : - وهذا في الجمع غير مرضي ولا محمود) . وينظر لذلك بالشعر في قوله : إنه متى وقع أحد مصراعى البيت غائلاً للآخر كان ذلك تخليطاً وخطأ ، كذلك فإنه لما اضطرب أحد مصراعى الجمع وتفاوت كان خطئاً) .

وظاهر من هذا النص أن الرجل يشترط في السجع التماثل في الوزن وفي الصوت الأخير من الفقرتين أو الفقر . وحتى لم يتحقق ذلك فإنه لا يعد السجع صحيحاً . والذي حمله على تضيق ما وضعته اللغة ، وارتضاء الجمهور

يعنه من ذلك أن المفصل اسم لمورد خاصة من القرآن ..

أما أن الكهان كانوا يسجعون ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي جمع : أجماعة كجماعة الكهان .. فإنه وجه آخر توضيحه أن السجع صورة من صور الأداء اللغوي في اللغة تتفاوت درجاتها من حيث الصنعة والفنية ، فتأتي فئة منحدرة لا تملك إلا أن ترددا كسجع المصور المتأخرة ، وكأجماع صيلة وأشباعه من كانوا يعمدون إليه للتأثير على السامعين ، ومنه كلمة الرجل النبي ، وكأنما أراد أن يؤثر عليه بموسيقى السجع حتى يصح له كما يريد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقالته ليبين له أنه لن يؤخذ به سحر السجع ، وإنما سيفتحى بالحق ، وتبقى السجع بعد ذلك كله خصائصه التي يفتك بها مع سائر صور الأداء اللغوي . يبقى له أن يجيده جيد ، ورديته ردى ، ولهذا وذاك صفاته .

وكون الكهان تسكفوا السجع لما أرادوا التويه والتأثير على من يقصدونهم ، فأخضعوا المعاني للألفاظ ، وأقسروا الألفاظ للمعاني لا ينال من السجع إذا جاء على النفس الأصح ، وجاءت فيه الألفاظ لما استدعتها المعاني بحققة مع ذلك ضرباً من الموسيقى يزيد التأثير فيبلغ الكلام بإجماع الطرفين غايته من البلاغة حتى ليرق بذلك إلى حد الإيجاز كما في القرآن . وليس الوقوف في السجع عند الاعتدال

وهو ما نلاحظ فيه مقابلة المتحرك بالمتحرك، وإن اختلف نوع الحركة؛ والساكن بالساكن، وليس المراد الوزن التصريفي. ومن المختلف بالروى قوله تعالى: «إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة، خافضة ورافة، إذا رجعت الأرض رجا، وبست الجبال بما فكانت هباء منبثا، وكتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المهيمنة ما أصحاب المهيمنة....» وهكذا.

فإذا استقر في الأذهان أن السجع يمكن أن يتفاوت في الوزن والروى والمساحة، ولا يخرج بذلك عن باب، يمكن أن يرد ما ذهب إليه الباقلائي من أن السجع له منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط، من أجل به المتكلم وقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المقصود كان غلطا، وكان شعره مرذولا، وربما أخرجه عن كونه شعرا وشتان بين منهج السجع وطريق الشعر.

بل نحن - فيما أرى - لا نتجاوز حد الصواب إذا قلنا: إن التوسع في الأبحاج بالمغايرة في الوزن وفي الجهرس، وفي المساحة هو سر جمالها بل هو سر جمال الموسيقى في القرآن.

إن التنقل من وزن إلى وزن، ومن قاسم ذات جرس إلى قاسم أخرى ذات جرس منابر هو سر حدم الإملال في ترديده أو السأم

في الأبحاج أنه اعتنق أولا فكرة نفي السجع عن القرآن فإذا هو يضيق دائرته حتى لا يكون منه فيه. وما صدق عليه تعريفه إياه. وهو قليل، يخرج هو الآخر بأنه جاء غير مقصود إليه مثل كلمات اتزمت بأوزان الشعر في القرآن، فإنه لا يقال فيها من أجل الوزن: إنها شعر. لكننا نرد على الباقلاني مذهبه، ونقول بأن في القرآن سجما - على اصطلاح النقاد والبلاغيين، والسجع أوسع بابا وتصرفا، وأكثر صورا وقوالبا. وليس محصورا في تمام النماثل وكال التناظر في الوزن والجهرس. وقد عرفه جهرة النقاد بما يتسع لما جاء في القرآن الكريم من صوره وألفاظه، واستخلص الأستاذ علي الهندى في كتابه «صور البديع - فن الأبحاج» أنه توأمو الفواصل في حرف الروى، أو في الوزن، أو في مجموعهما. وهذا التعريف يسمع بدخول جميع الصور التي تتفق بالوزن دون الروى، أو بالروى دون الوزن، أو بهما معا تحت باب السجع.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فن النماثل فيهما قبول أي تمام:

تدبير مصمم يالله منتقم
فه مرتقب في الله مرتنب

ومن النماثل في الوزن دون الروى قوله تعالى: «ونمارق مصفوفة، وزوايا مبسوطة»، والمراد بالوزن. الوزن في اصطلاح العروضيين،

ومتخالفة ، وفق جميع ذلك لا نحس تكلفاً ولا تصنعاً ، ولا استكراهاً اللفظ على معنى ولا إخلالاً بمعنى ، من أجل لفظ .

ثم هذا التخلف بالوزن وبالقطع والجرس في وزن الفقر والفواصل ليس خلافاً ولا اضطراباً ، وإنما هو سر الجمال ، ذلك أن التنقل بالفقرى بين ضرب وضرب ووزن ووزن ، ونظم ونظم ، وهيته موسيقية وأخرى ، ذلك مما يكسب الأسلوب طرافة ، ويعطى عليه جدة مستمرة وحداثة تبهر لا يخلق على كثرة الترداد .

ومثل السجع حين تتخالف أطرافه ، ويتردد بين أنغام وأوزان ومساحات شتى على نحو ما نجد في القرآن الكريم مثل العن الذي يبدع فيه صاحبه بما يفعله من آلات العزف التي تعطى ألواناً شتى من الأصوات والموسيقى . يقول بوالو : « إذا شئتم أن تكونوا موضع حب القراء وجب عليكم أن تدأبوا على تنويع أساليبكم ؛ فإن الكتابة على نمط واحد مهما تكن طلاوتها تسبب ركود الفكر » .

« والقارىء يسأم مطالعة إنتاج الكتاب الذين يدخلون الملل على نفسه بسبب جمودهم أمام أسلوب واحد ذي نغمة واحدة متناهية » . « فنم الشاعر الذي يستطيع أن ينوع أسلوبه » .

تكراده ، وحين نستمع إلى القرآن الكريم أو نردده ونفترض آياته وسوره ، ونقف في أثناء ذلك كله عند ما نعدده جماً قاناً نراه لا يتقيد بالطول ولا بالقصر في التفسير والآيات ، ولا يلتزم جرساً بعينه . ولا صوتاً بذاته ، وإنما يتقود المعنى فيه ، والتوفيق الفني في فظله إلى أجل مما يمكن أن يتصور وأكثره امتاماً لنفسه والحسن بما يجيء في رأس الآية من صوت قد يتلوه شيء إذا استدعى المعنى ، وبذلك يتم مع جمال الفكرة حلالة التوقيع فيكون للأذن كما للقلب من أطراف الحسن نصيب .

وإذا كان المعنى هو ما يستهدفه القرآن فإنه لا يهمل الجرس إذ من هـذين يكون الانسجام بين الفكرة واللفظ المعبر به عنها وكل كلام إنما هو سلسلة من الانسجامات تتابع في التثر على غير نظام دقيق كالذي نجده في الشعر .

وإذا كان السجع مقيداً بالتماثل فإن التماثل فيه غير مشروط بالتكامل ، ولا ملتزم فيه النظم ، وإنما يكسنى من ذلك كله بالتقريب ومن ثم جاء السجع في القرآن ، ولم يلتزم فيه وحدة المساحة الصوتية ، ولو أنها التزمت لخرج الكلام من باب الانسجام إلى تضاهيل الشعر ، وعلى ذلك جاءت الآيات والفواصل طويلة وقصيرة ، متقاربة ومتباعدة ، متشابهة

« فيجر أودية الرحمة إلى شاطئ الدقة » .
« ويمر من لحظات السرور إلى ساعات
الحزن » .

« ولا ينبغي من أذنانكم أن الملل
مصدوه القائل ١١ » .

فهذا وجل نال خبر الأساليب وأدرك
ما يسيه القائل الملزم ، والتشابه المكرر
في الأصوات والألفاظ والأوزان .

ونحن - انقاد العرب - حين تصدى
لاختلاف الموضوعات - تأتي في السورة
الواحدة - نعمل من مبررات ذلك ، التنقل
بالقارئ بين فكرة وفكرة حتى لا يسأم
أو يستحيل الحديث في سورة طويلة عن

إن ذلك جميعه يرد على الباقين منهجه
الذي يذهب فيه إلى أن السجع طريقا مرتبا
ومنهما مضبوطا حتى أدخل به أحد أغل
بالنظم والسكلام .

عبد الرؤوف مخاروف

البلاغة

البلاغة ما حظ للشكاف عنه ، وبني على التبيين ، وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ،
بأن جمع مع ذلك سهولة الفرج مع قرب المتناول ، وعسفة اللفظ مع وشاة المعنى ،
وأن يكون حسن الابتداء كحسن الإنتهاء وحسن الوصل كحسن القطع في المعنى والسمع ،
وكانت كل كلمة قد وسمت في حقها وإلى جنب أختها ... ثم ألبس بها الحكمة وثور المعرفة
وشرف المعنى وجزاة اللفظ .

الرماني

زهر الآداب

هل أتم الفخر الرازي كتابه في التفسير؟

للأستاذ علي العماد

- ٣ -

بصاحب النظم هو الإمام محمد بن مالك صاحب الألفية ، وهذا الإمام جاء بعد الفخر الرازي فقد كانه وفاته سنة ٦٧٢ هـ ، فانقل عنه . هل ما يقادر الذهن . يؤكد أن المفسر لهذه السور عالم جاء بعد الفخر ، وبعد ابن مالك ، أو هل الأقل معاصر لهذا الأخير . لكن وجدت الفخر الرازي يقول في أواخر تفسير سورة النساء : (قال الجرجاني صاحب النظم) . فهو . إذن . ليس ابن مالك ، ولكنه عالم من جرجان (لم أقب هل اسمه) سبق الرازي .

• • •

ثم نجيب عن السؤال :

لقد ترجع هندي بعد هذا التردد الطويل بين أخبار أصحاب التراجم ، والتفسير الكبير للفخر الرازي أن هذا الإمام الجليل أتم تفسير القرآن كله ، ثم لأسر له من صنع التناثر الذين أغاروا على خزانة دارم في سنة ٦١٧ هـ ، أي بعد وفاة الرازي بأحدى عشرة سنة ضاع جزء من هذا الكتاب ، ينسب هل الظن أن يكون تفسير سور متفرقة

هذا . وربما وقعت شجة في بعض الأوامر ذلك أن الرازي يقول كثيرا في تفسيره السور الأخيرة من القرآن : (قال صاحب النظم) . ومن أمثلة ذلك :

١ - في تفسير قوله تعالى : « تلقون إليهم بالمودة » من سورة الممتحنة : (وقال صاحب النظم : هو وصف النكرة التي هي (أولياء) . قاله الفراء) .

٢ - وفي تفسير قوله تعالى : « فطلقوهن لمتهن » من سورة الطلاق : (وقال صاحب النظم : صفة للطلاق ، كيف يكون ؟ . وهذه اللام تعني . لعان مختلفة : للإضافة ، وهي أصلها ، وليان السبب ، واللعن) .

٣ - في تفسير قوله تعالى : « قد علمنا ما فرضنا عليهم » من سورة الأحزاب . هـ : (قال صاحب النظم : إذا وصل بعمل لم يحتمل غير الإيجاب ، وإذا وصل باللام احتمل الوجهين) .

• • •

والذي يقادر إل الذهن . وقد وقع لي . لا سيما أن التعليقات كلها نحوية ، أن المراد

بل إن هذه العبارة تشير أن القفطى يشير إلى ضخامة هذا التفسير، وكأنه موضع تعجب منه، إذ يذكر أنه بلغ اثني عشر مجلداً، ثم أورد ذلك بأنه حفظ الرازي النقيض، فكان مقتضى هذا أن ينوه بأن التفسير مع ذلك لم يتم ليكون أدهى إلى التعجب.

ثم نعود إلى ابن أبي أصيبعة صاحب هيون الأنبياء، وهو - كما قلت - أول من نسب إلى الحنفي تمة تفسير الفخر، وهذه أخذ كل من جاءوا بعده، فترى أنه شديد الإعجاب بفيلسوفه هذا، وربما كان هو الذي روج تلمذة الحنفي للرازي، وهذه التلمذة بمعناها الحقيقي موضع شك، فابن أبي أصيبعة يذكر أن شيخه الحنفي مات في سن الشباب، وقد ذكر ابن السبكي أن الحنفي ولد سنة ٥٨٣ هـ وعلى هذا يكون عمر الحنفي حين توفي سنة ٦٣٧ هـ أربعمائة وخمسين سنة، ويبدو أن يقول عن هذه السن: إنها سن الشباب، فراجع أن الحنفي ولد سنة ٥٩٣ هـ وعلى ذلك تكون سنة عند وفاة الرازي ثلاث عشرة سنة وهي سن لا تسمح بأن يوصف بالثلمذة الحقيقة للفخر.

وقد شك التاج السبكي في هذه التلمذة فقال في ترجمة الحنفي: دخل خراسان، وقرأ بها الكلام على الإمام غير الدين - فيما قال بعضهم - وقيل إنما قرأ على القطب المصري تلميذ الإمام.

من السور الأخيرة، كسورة الواقعة، فجاء شمس الدين الحنفي، ووضع تفسيراً لهذه السور، وربما كان وضع تفسيراً كاملاً للقرآن أدخل بسننه في تفسير الرازي.

وقد أشرت فيما سبق إلى أن أول من قال أن الحنفي تلمذة على تفسير الفخر هو صاحب هيون الأنبياء، ولهذا المؤلف اعتبار خاص في هذا الموضوع فهو تلميذ الحنفي، قرأ عليه بعض الكتب، وصحبه زمناً، غير أنه في الوقت الذي يصرح فيه بقصة تمة تفسير الفخر في ترجمة الحنفي، لا يشير إلى ذلك أية إشارة في ترجمته لفخر، مع أنه تعرض لتفسيره، وقال: إنه رآه.

ومن المعاصرين لصاحب هيون الأنبياء وإن كانت وقته أسبق، الوزير بهال الدين القفطى صاحب (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)، وعبارة هذا العالم: ومن تصانيفه - يريد غير الدين - كتاب تفسير القرآن الكبير - سماء مفاتيح القريب، سوى سورة الفاتحة، وأفردها تصنيفاً، اثني عشر مجلداً بحظه الباقى.

فهذه العبارة تفيد أن القفطى رأى التفسير وأنه رآه كاملاً، إذ لو كان ناقصاً لسكان من البديهي أن يشير إلى ذلك، فهو يستثنى تفسير سورة الفاتحة، فكان طبيعياً - إذا كان التفسير ناقصاً - أن يستثنى - أيضاً - الجزء الناقص منه، وإلا لم يتم بالأمانة العلمية،

الجامع ماشيا للصلوات في أوقاتها ، وكان رحمه الله ملازما للصلاة والصوم ، وقراءة القرآن .

وأبعد من ذلك في وصفه قوله في مقدمة الترجمة : هو الصدوق الإمام ، العامل الكامل ، قاضى القضاة شمس الدين ، حجة الإسلام ، سيد العلماء والحكام .

ويقول من تصانيفه : إنها لا تزيد عليها في الجودة .

وكل هذا ينم عن حب عميق ، فهل يسوغ لنا . أن نقول إنه هذا المؤلف بالغ في تلمذة الخوري للرازي ، وبإتق - كذلك - في اعتبار تفسيره لسورة (الواقعة) التي ربما يكون تفسير الرازي لها قد ضاع لأي سبب من الأسباب ، أقول : بالغ في اعتبار هذا التفسير حتى جملة (تكملة) لتفسير الفخر .

ولو قلنا ما قاله (ابن أبي أصيبعة) بما قاله (أبو شامة) - مثلا - في (الروحانيين) وما قاله (ابن السبكي) في (الطبقات) لأدركتنا إلى أي مدى بالغ المؤلف في امتداح شيخه الخوري .

فأبو شامة - وهو معاصر أيضا - لا يريد من قوله : (وكان رحمه الله حسن الأخلاق ، لطيفا ، كثير الإنصاف ، عالما فاضلا في علوم متعددة جملة ، محققا ، ضيفا ، متواضعا ، كثير المداواة ، محبا إلى الناس) .

ولعل ابن السبكي يقصد بكلمة (بعضهم) ابن أبي أصيبعة ، فهو الذي ساق القضية مساق المسالك .

لنأخذ أن يقول : إن ابن أبي أصيبعة شافه الخوري ، وحاش منه ذلك ، فروايته أوثق ، ولكن قد يكون من المقبول أن العلماء كانوا يفخرون بالأخذ من كبار المشايخ ، فلا يبعد أن يكون شمس الدين نزل بالرى في هذه السن المبكرة ، وحضر مجلسا أو مجالس للإمام فخر الدين فاعتد ذلك تلمذة له ، ثم أتم علومه هل القطب المصري .

فلما استصف فكره ، واتسعت معارفه رحل إلى الشام ، والدليل على ذلك أنه حين نزل دمشق وكان صاحبها ، إذ ذاك ، الملك العظيم عيسى بن الملك العادل استحضره هذا السلطان ، وسمع كلامه فوجده أفضل أهل زمانه في سائر العلوم - هكذا يقول تلميذه ابن أبي أصيبعة - .

وصاحب هيون الأنباء - فرق ذلك - بإتق في مدح الخوري ، فيقول - مثلا - : كان أواحد زمانه في العلوم الحسكية ، وعلامة وقته في الأمور الشرعية ، طارفا بأصول الطب ، وغيره من أجزاء الحكمة .

ويقول عنه : وكان حسن العبادة ، قوى البراعة ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، وافر المروءة ، كثير الفتوة ، وكان مع ذلك كثير التواضع ، لطيف الكلام ، يمتنى إلى

والدراسات النحوية التي امتاز بها هذا العالم، فكل ما فيها من هذين العندين لا يختلف عما نجده في تفسير السور التي تأكدنا من تفسير الرازي لها .

وبينوا أن أول من ذكر عمله في تكملة تفسير الرازي هو تاج الدين السبكي ؛ فقد قال - وهو يترجم له في الطبقات - : (وله تكملة على تفسير الإمام الرازي) . ثم تبعه (ابن حجر) في (الدرر الكامنة) .

وكالم يذكر صاحب هيون الأنباء في ترجمة الرازي أمر تصان تفسيره ، مع أنه ذكر في ترجمة الخوي أنه له تكملة على هذا التفسير ، كذلك أحمل ابن السبكي في ترجمة الرازي هذه المسألة ، مع ذكره أن للقمي تكملة .

وكما ذكر الففطي أن تفسير الرازي في اتقى عشرة مجلدات ، ذكر صاحب هيون الأنباء ، ولم يذكر شيئاً بعد إيراد العبارة ، مما يدل على أن التفسير كان كاملاً .

وبحسبني فرض آخر ، وهو أقرب الفروض - هندي - إلى الصواب ، ولهذا لفرض ما يبرره . هو أنه كان الرازي تلاميذ كثيرين ، يصحبونه في غدوده ورواحه ، وبعض المؤلفين يذكر أنهم كانوا يهروا من ثلثاته ، وقد قيل : إن الرازي كان يعمل تفسيره ، فإذا افترضنا أن الذين كانوا يكتبون من هؤلاء التلاميذ يحسون طلباً كان لنا من

وله شهاب الدين أبو شامة بدمشق سنة ٥٥٩٦ هـ ، وتوفي سنة ٥٦٦٥ هـ .

وابن السبكي يقول : (وكان فقيهاً أصولياً متكلماً ، مناظراً ، ديناً ورعاً ، ذا حمة عالية ، حفظ القرآن على كبر ، وكان - وهو قاضي القضاة - يجرى إلى الجامع بدمشق ، وربما بالليلسان يتلفن على من يقرئه القرآن ، ولقاضي شمس الدين مؤلفات كثيرة ، ونظم كثيرة) .

اتفق الجميع على أنه عالم فاضل ، غير أنه تليفه جملة (المصدر الإمام) . وإذا صح أن تفسيره سورة (الواقعة) الملقب بتفسير الفخر الرازي له ، فإنه يدل على سمعة علمه ، وحسن بيانه ، وبلغ تقليده للفخر في طريقته ومنهجه .

• • •

أما فهم الدين القموي - وهو العالم الثاني الذي ذكروا أن له تنمة على تفسير الفخر - فهو عالم مصري ، تقلب في كثير من الأعمال ، وتوفي عن نيابة القضاء بمصر والجيزة ، وكان صدر الدين بن المرحل يقول عنه : ليس بمصر أفقه من القموي ، وكان - مع جلالاته في الفقه - عالماً بالنحو ، وكان رجلاً صالحاً متوطلاً ، لا يفتر عن قول : لا إله إلا الله .

ولسنا نجد في هذا الجزء الأخير من تفسير الرازي أثراً بارزاً لدراسات الفقهية ،

أخرى غطوة على أنه ليس من عمل الرازي ،
وحينئذ لا نجد لذلك نصها - هل ما ترجح
الآن - إلا الذي قلناه .

ولعل ما يدلنا على أن نقصان تفسير الرازي
لم يكن أمرا مشهورا بعد وفاته بخمسين سنة
على الأقل أن (أبا شامة) - وهو مؤلف
يعنى بتحرير ما يقول - ذكر في كتابه :
(الذيل على الروضتين) أنه ورد عليهم
بالعام جماعة من كبار تلاميذ الرازي ، ولم
يشر أية إشارة إلى قضية نقصان التفسير
الكبير ، وهذه قضية ليست بالهينة - حتى
بفضلها مثل هذا المتراسلو كانت معروفة بينهم ،
والتفسير نفسه لم يكن مجهول المكانة بين
علماء دمشق في ذلك التاريخ .

• • •

هذا ما أمكن أن أضمن إليه في شأن هذه
القضية . أما الكلمة الفاصلة فيها فلا تزال
في زاوية مجهولة من زوايا التاريخ ، لعل الله
وفق أحد الباحثين للكشف عن مكانها
المجهول .

ويعلمكم الله ، وهو ذو الفضل العظيم ؟

على العمري

الكتاب خمسون نسخة ، ثم إذا قد عرفنا
أن هؤلاء التلاميذ كانوا من جهات مختلفة ،
فن المقبول أن يكون بعضهم وحل من (الري)
ولم يكتب من التفسير إلا النصف الأول ،
وبعضهم كتب إلى سورة الأنبياء ، وبعضهم
إلى سورة الواقعة ... وهكذا . ثم تفرقت
هذه النسخ لتتأصل في الأقطار ، فأنتم المحري
نسخة ، وأتم القول بالنسخة التي وقعت إليه
في مصر . وكان من وقع لم نسخة ناقصة
السيد مرتضى الذي تحدث عنه الشهاب
الحفاجي ، وقد قلنا هذا الحديث قياسي .

ثم ظهرت نسخة الرازي التي كتبها بخطه ،
وبعض النسخ الكاملة التي كتبها بعض تلاميذه ،
وكتب الوراقون نسخا من هذا التفسير ،
بعضها - ولا شك - كان نسخة كاملة من تفسير
الرازي ، وبعضها في تفسير سورة أو أكثر
لعالم آخر ، كهذه النسخة التي بين أيدينا .

وقد وجدنا الدليل القاطع على أن تفسير
سورة الواقعة الملحق بتفسير الرازي الذي
بين أيدينا ليس من تصليف الرازي ، وربما
قام دليل أو أدلة على تفسير بعض سور
أخر في هذه النسخة المطلوبة ، أو في نسخة

أثر الفتوة الإسلامية في الحضارة الإنسانية للأستاذ محمد رجب البيومي

عنوان (تفانيد الفروسية العربية) ليقرأ أبناء العربية صحائف الحق والخير والجمال يسطرها قلم نزيه ، سمع القوم الآفك قدحته بالنقش هي أحسن .

والحديث عن الفروسية شرقية وغربية إحدى مفاخر الإسلام دون مرأه ، فقد توطأ أكثر الكائنين في لغات الغرب على إنكار هذه البيضاء في خلق الروح الإنساني المرفيع ، والسعي بالناس إلى دنيا من الوفاء والشرف والكرامة مع أن كتاب أوروبا أنفسهم يملئون في أسف حار أن فروسية الغرب - قبل أن ترتفع بها روح الإسلام - كانت فروسية جبروت وإقطاع ، إذ يحرص كل نبيل إقطاعي على المحافظة على سلطانه فيضم حوله ففرا من الفرسان المرتزقين لا م لم غير الاهتمام بعشرون القليل ، ثم تطورت الفروسية الإقطاعية إلى تغليب كشي حين خرجت كتائب الحروب الصليبية راحلة إلى الشرق متأثرة بصيحات مزججة تشكرها المسيحية في لبابها الصميم وفي كلا المهددين لم تكن للفروسية الأوروبية آداب خلفية تنهج إلى النبيل والقصاح والوفاء والشرف ، حتى وقف هؤلاء المعتدون على ألوان راقية

كثرت الكتب التي تتحدث عن الفروسية الأوروبية ، وما أسدته للأجيال المتعاقبة من معاني الأريحية والمروءة والكرم والوفاء وكان مما يدهش القاري أن أصحاب هذه الكتب في أكثر أبحاثهم - يفوهون الحقائق الواضحة حين يملون أثر الإسلام البارز في تكوين مروءة إنسانية علية ، وهو أثر واضح جهر ينادي على نفسه بالأماني الصافية والبراهين الملموسة ، لأنك إذا بحثت جاهدًا عن شاهد واحد لهذه الفروسية النبيلة تقف بعيدا عن تأثير الإسلام ، فلن تجد ، حتى إن الذين يتحيفون الإسلام بأفكار فضائله ، يفقهون على أنفسهم كثيرا في التلويح والتلفيق ثم يفاجئون بمن يدحض آواهم من ذوى ملتهم ، لأن الحق لا يعدم النصير .

قد كتب الأستاذ (واصف غالي) وزير الخارجية المصرية الأسبق سفرًا قديمًا بالفرنسية يعلن سبق الإسلام إلى دم الفضائل النبيلة في الشرق والغرب ، بعد أن قرأ كثيرا من البحوث الملوحة الكاذبة عن الفروسية الغربية ، لجأ بالأداة الحاسمة مؤيدة برقائق التاريخ وشواهد الأحوال لتفسر عن وجه الحقيقة ، وقد ترجم كتابه إلى العربية تحت

قتلوا الشهامة والركة ، لا نحو السيدات
النيلات لحسب ، بل نحو النساء جميعا على
اختلاف طبقاتهن وهكذا تهذبت أخلاق
المصور الوسطى الجافية وتطورت عندما
اتصلت بالعقيدة العربية فلانت ولطفت
ورقت وصحت وذلك في عبارة موجزة هو
أثر العرب في الفروسية الغربية .

وإذا كان عماد الفروسية العالية هو النبيل
الخلق الأصيل فإن الأستاذ واصف غالى قد
بسط من وقائع التاريخ ما يؤكد نبل
الفروسية الإسلامية ، فحضر الأئمة على
ذلك ببعض ما ذاع واشتهر في سجلات العرب
والإسلام فهو يذكر مثلا سماحة الأمير
الأندلسي عبد الرحمن الثالث حين أذن لعدوه
« سافن » أمير (ليون) أن يفسد إلى قرطبة
ليستشير أطباءها المسلمين في علاجه ثم يرجع
معزواً محفوقاً بالرعاية الإسلامية في حين
يستضيف ملك قشتالة المسيحي أباسيد ملك
غرناطة قمتجة جوامره ، وإذا ذاك تحفه
الأنانية القبيحة إلى قتله غدراً وهو في ضيافته
ليستولى على ذهبه وفنته ١١ ثم يستطرد
المؤلف إلى موقف ملك مراکش المسلم من
الملك الفونس الحكيم حين استغاث به
مستنصراً ، فببر إليه الملك المراكشي البحر
ملبياً نداءه عن شرف وحماسة وقد أراد
الفونس أن ينزل من منزلة الصداقة والعرف
لهذا الباسل الذي خف إلى قهده فقال له

من صفات العرب وأخلاق الإسلام ، فأودا
لهي فرساننا الأبطال من روائع المروءة
والبطولة والقصة والتسامح ما لفت أنظارهم
إلى الفروسية الحقيقية ، ووجهاها النبلاء ،
أولئك الذين جعلوا البطولة الأصلية بطولة
شرف ووفاء ، لا بطولة غدر ودناء

بهذه الحقيقة الصريحة تتعلق فصول الكتاب
مؤيدة بالشواهد الموائمة ، وقد أحسن
الأستاذ واصف غالى التعبير عن هذه الحقيقة
حين قال ص ٢٦ .

« إن هؤلاء الذين كانوا يقبلونهم
بالكفار عن كانت الكنيسة تأمر بمقتلهم
دون هوادة ، (يريد بهم المسلمين) إنما هم
أبطال كرام في معاملة الخصم مرت إليهم
الزفة وأصبحوا أشد إنسانية ، وهكذا تعلم
أولئك الفرسان في مدرسة العرب أن يكونوا
سماحاً كبار النفس في عناية العدو ، لقد
وأدا كيف يرعى العهد أولئك الذين لم يتلقوا
المعمودية قطعوا أن يصوروا جميع عهودهم
لا تلك اليهود التي قطعوها وسبوا وأقسموا
على الوفاء بها لحسب ، ورأى الفرسان لدى
أعدائهم ذلك الإزدراء الميؤس للثروة
والنفس ، ولمسوا أيضاً من كرم ضيافتهم
وجوداً لم يتنبأوا مثله قتلوا أن يغدقوا
في صدقاتهم وأن يسخروا في حياتهم ، ورأوا
وعاية العرب لحرمة النساء بل وحرمة أقلهن
شأناً - أولم تصبح بعض الجوارى أميرات -

وإذا كنا نعرف ما اقترفه الصليبيون حين فتحوا بيت المقدس عن استئصال الصخرة من النساء والأطفال والشيوخ حتى كانت الخيل تخوض إلى بطونها في مسيل من الدماء فإننا قرن هذه الوحشية الدفنة بنماذج عتارة مما سطره الأستاذ واصف وحى من التيقن والثبوت بحيث اعترف بها كبار الخصوم من مؤرخي الغرب المسيحي ! ولعلهم كانوا يسمون هرق الخزي من وجوههم حين يقرنون توحش غرسانهم الضاري بسماحة المسلمين العادة ، لو أصاحوا إلى الحق مجردا عن الأهواء والظنون .

في ميدان الحروب الصليبية ، نجد الأمثلة الكثيرة ، صلاح الدين الأيوبي يظهر روح التسامح نحو خصيمه ويتفاد قلب الأسد حين يسمع بمرثته ، فيرسل إليه ما طلبه من الدواء والكثيرى والخوخ والثلج وهو يهذى في سكرات الخمر متعافيا ماضيه بأمرى عكا من قبائح ، كما نجد الملك الكامل يقابل قائد الحملة الصليبية على دمياط (جان دي برين) فيجده متفطر القلب من البكاء وإذا ذاك يسأله عن مر بركاته فيقول في ضراعة : من حق بامولاي أن أبسكى وقد رأيت القعب الذى هدد الله به إلى يهلك بين البرد والماء جوماه . فينأثر الملك الكامل ويرق واحا ثم يأمر بإرسال ثلاثين ألف غنم للصليبيين ويفعل ذلك بضعة أيام متتاليات ١١

الملك المسلم : • إنك مجلس الشرف ما دمت مغلوبا على أمرك ، ولقد أتيتك لأعيتك على تأديب طلق غادر ! فن أدبى هذا الراجب وأصبحت قويا مهابا نازعتك كل شئ . وناصبتك المداء من جديد ، ! ولا يترك المؤلف مواقف الأوربية والبطولة لدى قادة الإسلام في الحروب الصليبية إذ يتحدث بطورا عن موقف نور الدين محمود حين امتنع عن اتهام فرصة موت (بودوان) فلم يبقأ أن يستعيد عقلان إذ ذاك قائلا : • إن لو فعلت ذلك لأهدرت قيم الإنسانية واستهنت بالأمم شعب يبكى مولاه ولا خللت بشرق الحربى حين أهاجم منكربين لم يتأهبوا لدفاع عن أنفسهم ثم يقرن ذلك بما فعله ويتفاد قلب الأسد هند ما دفعه جبهته إلى إصدار أمره بذيح أسرى عكا سنة ١١٩١ رغم ما نصت عليه المعاهدة من تأمين حياتهم وحريةاتهم . ١١ وقارىء كتاب الأستاذ واصف يلمس سمو الروح الإسلامية لدى أبطال مسلمين لا يدرك كيف بلغت مثالياتهم الرفيعة هذا المبلغ من التعاطف الإنساني ! هذا الذى مانت لديه رغبات الانتقام والثأر وماشئ منه نوازع الصفح والإغضاء ! وشيوخ هذه المثالية التنادرة بين المسلمين في الشرق العربى وفي الغرب بالاندلس دليل لا يخطئ . على أن معنى الهداية لديهم قد جمعهم على أنفوخ صال المثالية والنبيل ...

في تلك الضائقة أن توسل إلى القائد العربي من يهيب به أنه لو كان يريد مقاتلة المسيحيين فليذهب إليهم تحت أسوار المريجة حيث ينتظره زوجها ، أما أن يشن حرباً على امرأة فذلك ما لا يحسد به فارس بإجل كريم أن يقدم عليه ونجحت خطتها فاستسلم القائد العربي المدفق إزاء هذا الفتح الغريب ، واعتذر عن خطئه ، وود لو يحظى بتحية المهلك قبل رحيله ، فطامعت عليهم (بيرانجير) وسط حاشيتها فوق الأسوار ومر أمامها الفرسان العرب وهم آخذون في الرحيل ، وكأنهم في مباراة بينا كل في هذا الوقت نفسه وفي أثناء هذا الاحتفال الودي قد استولى الفونس على قرية المريجة .

هذا وشل من محيط يلبث نبالة الفروسية الإسلامية في مضلع الحروب ، أما ميادين الفروسية الأخرى فقد بلغ بها فرسان الإسلام مبلغاً ما زال مضروب المثل في صحائف التاريخ ، وإذا كانت فروسية أوروبا ترى احترام المرأة وتقديرها أنبل ضرور الفتوة والأريحية ، فتنظر مع الأستاذ واصف عالي إلى مكانة المرأة في الإسلام لئن كان إنصاف الإسلام للمرأة مما يفهمه دأوس الشريعة الإسلامية بوضوح ، فإن أهواء الإسلام من غلاة المتعصبين يحرقون الكلام عن مواضعه إذ يزعجون أن الإسلام مصدر تأخير المرأة ومحطاطها ، وقد اضطر المكاتب أزاء ذلك

أما في ميدان أوروبا بالأندلس فيذكر الأستاذ واصف عالي عنه من نوادر الوفاء والتبل ما يفوح عبره في صفحات الكتاب دالاً على كمال المروءة ، ونبالة الأريحية ، ومن ذلك على سبيل المثال ما روى عن (المنصور بن أبي عامر) حين حضريوما في شعب خفي فرقة كبيرة من جنود الأسبان وأصدروا إليهم الأسر بالتسليم ، ولكنهم صمموا على الهلاك والاستتعال دون أن يجيبوا إلى الاستسلام فأمر المنصور في مروءة أن يفتح لهم الطريق وأما عنهم الحصار مؤثراً في حمة تادئة أن يرسل لعدوه تهدة كبيرة على أن بأسر باستئصال هؤلاء وقد وقموا في المأزق الكربة ، ولقد حكى المؤرخ الأسباني (موسدن) عنه أنه كان يدمر المدن بالحديد والنفار حين تنهض المقاومة جيوشه ولكنه لم يصحح بأهون شرم يحرق بمدينة تستسلم دون عصيان ، أما موقف حاكم قرطبة المسلم من زوجة الفونس الثامن فقد كان نادراً حقاً ، إذ أنه اتجه إلى هزمو طليطلة ودأ على مكيدة الفونس في حصار بعض المدن الإسلامية ، وندح الأستاذ واصف يتحدث عن هذه الحارقة النادرة إذ يقول عن القائد الثمهم .

« ودار في حذو حول معسكر المسيحيين وأمن في السحر حتى بلغ أسوار طليطلة حيث كانت الملكة (بيرانجير) تقيم في قصر دارها وتموزها وسائل المقاومة ، فخطر لها زعي

لنراؤه الأمانة بالسوء ومضى في عصور
الانحطاط يردع ويذل تلك التي كان من حقها
عليه أن تصبح رفيقته ، وواصل ذلك حتى
جعل منها كاتنا يقل عنه قدرا ، لا شخصية له
ولا لون من ألوان الكرامة ، وحينئذ نبه
الرجل صوت ضميره يؤنبه على جور وطفيلاته
تسلح بالكتاب الشريف فطلق يذول ويملأ
ويحلى ويقسو على النصوص في تفسيرها
ليثبت أنه يصدر بأمر رسول الله ، وهكذا
حدث يوم واحد أوروبا تقاسل من تخلف
المرأة المسلمة أن كان الجواب معدا ، وكان
من البساطة بحيث أقرته في حماس : جواب
يؤم أن الإسلام هو السبب الوحيد في
انحطاط المرأة وذلك لما يتيحه للرجال من
تعدد الزوجات ومن الطلاق وبما يفرضه
على النساء من الحجاب والازواء .

وكان هذا الإجماع السريع بحاجة إلى تفصيل
كاشف فكتب الأستاذ وأصف غالي فصولا
قوية تتحدث عن المرأة كما اعتبرها القرآن
مؤيدا أقواله بأحاديث الرسول وأحكامه
الثابتة بالسنة العربية ، وقد بسط مسألة
تعدد الزوجات بسطا عادلا يبرره فقهاء
المسلمين ويشهدون بصحته دون تقديم تعرض
لطلاق في الإسلام موضحا أسباب مشروعيته
وطرق تلافيه إذا وجه للطلاق العادل مذهب
مقبول ، ولم ينقل القول عن الحجاب

أن يذكر أن هذا الدين المغترى عليه قد منح
المرأة منذ القرن السابع الميلادي حقوقا
وامتيازات ما زالت أوديات القرن العشرين
ينزعن إليها إذ أن المسلمة في شريعة الإسلام
أصل لأن ترث وتشهد في القضاء ولها أن
تداول التجارة فتبيع وتفتري وتوصى دون
حاجة إلى رضا الزوج ثم أصاب المؤلف
مقطع الصواب حين قال ص ١٥٤ .

« ولكننا ينبغي أن نعترف بأن ما يلعب
إلى الإسلام من مسئولية تأخر المرأة ليس
كله من قبيل الخطأ ، بصرط ألا نخلط هنا
بين الشريعة الإسلامية ، وبين التأويلات
المغرضة المقنونة التي تفتتق منها عقول
الناس في عصور الفساد والانحطاط ، فقد
ظهر التطبيق الخاطئ على المبادئ ، وقدم
العرف السقيم على تعاليم القرآن ومن هنا راح
الناظر إلى المبادئ المنحرفة يتهم الدين
ذورا وبهتانا . »

وهذا كلام صريح يدفع الذين يحكون
على المسلمين ببعض أعمال الجبهة من المنتسبين
إلى الدين دون الرجوع إلى مصادر الإسلام
الصحيحة من كتاب وسنة وإجماع وقياس ،
وقد كرره المؤلف بمبارات مختلفة تزيد
دفاعه المنصف قوة ورسوخا وكل من أصوب
ما قاله في ذلك ص ١٤١

« ولما كان الرجل هو الأقوى فقد استسلم

للنساء ولكننا نستطيع أن ندرك كيف أدت تلك الحضارة - التي كانت في الأصل حماية عالية إلى العبث في مجتمع كان أقل من مجتمعنا تخرجاً إذاً بعض الأمور .

والسؤال الذي يمكن أن نوجهه إلى المسيئين إلى الإسلام باتهامه الصاوخ بظلم المرأة من ناحية الحجاب : أيها أشرف للراء أن تحجب عن الأجني المتوقع أم تقوم له بالتهدليك والاستعظام كما كان ذلك تقليداً تبقه نساء القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر دون استثناء .

وفي مجال الاستشهاد بظلم المرأة العربية : جامعية وإسلامية أقاض المؤلف الكبير في سرد أمثلة دائمة عن أم سيار وليل المقيمة وبيته بنت هوف وزينب بنت محمد وأسماء بنت أبي بكر ، ثم يخلص باستشهاده إلى مضارب الخيام في القرن العشرين فينتقل عن شهامة المرأة العربية في الصحراء ما سجله مدونو الرحلات من الأوروبيين ، ولم يكن جيلاً منا أن تقدم للقراء بعض هذه النوادر الرائعة في دنيا البطولة والشرف والكرم والأريحية للمرأة المسلمة حديثاً وقديماً ، ولكن ضيق المجال يدعو إلى التفتويه الموجز دون التحليل المقتنع ، وفي كل ما قدمه كتاب الفروسية ما يجب أن يقرأ أبناء الإسلام بخورين .

في الإسلام ضارباً الأمثلة بما وقع من أمثال حمرو عاتقة ، والجديد علينا معشر المسلمين في ذلك هو المغارقات الطليعة التي عقدتها المؤلف بين المرأة المسلمة والمرأة الفروسية في القرن الثاني عشر ، فقد نقل من تقاليد المجتمع الأوروبي إذ ذاك ما يندى له الخلق حزناً ، أجل نقل الأستاذ واصع عن الكاتب الفروسي ما تزويه مثل قوله ص ٩٠

« كثيراً ما تذكر قصص الفروسية أن العرف كان ينطى بأن تعمد المرأة أو الفتاة التي تهم بسوء السمعة ، ولقد كان من النافع في أثناء القرن الثاني عشر إلى الرابع عشر ومن صور اضطراب وانحلال في العائلة . أن يوضح الآباء للأبناء عبرة ذلك العقاب الذي خص به الأجداد الحب الآثم ، ويبدى المؤرخون والقصصاء أسام وحسرتهم على حياة ربات العصور المنحلة ، فهنا فتيات يقعن مشاقهن إلى خيامهم ، وهناك سيدات حريقات يستنغن فرساناً ويصلنهم كلما أغنى أدواجهن ، ولقد كانت ترد في كل مكان أغنية قول (تبا الزوج الذي يدوم شهراً أو شهرين طويلاً) .

ثم ينقل بعد هذه سطور عن الكاتب الفرنسي . ب ماير . قوله : « كان التهليلك أثناء الرقاد عنصرًا من كرم الضيافة قديماً ، وكانت شئون الضيافة من نوم واحتشام متروكة

حسين كلة الحق صريحة غلظة إذ أعلن
في مقدمة الطبعة العربية مثل قوله :

« ولقد قرأ المنصفون من الغربيين هذا
الكتاب فأصلحوا من آرائهم وترجمه الأستاذ
أنور لوقا ترجمته هذه المتقنة وسيقرأها العرب
فيعرفون أن صاحب هذا الكتاب لم يكن
كما كان يظن بعيداً عن اللغة العربية وآدابها
وإنما كان قريباً منها أشد اقرب ألقاها
أحسن الإلفاء وأبقى وأنه قد أبل في خدمة
الإسلام والعروبة بلاه لا يحسن إلا أولو
الزم والإخلاص في حب الوطن إخلاصاً
لا تشوبه شائبة من إثارة النفس أو رغبة
في الفناء، أو حرص على الاحتراف بالفضل، »

• • •

وبما لا شك فيه أن نفراً كثيراً من قراء
العربية قد قرءوا الكتاب كما توقع الدكتور
وكه عرفوا أن المؤلف من أولي الصرم
المصادق قد أبل في خدمة العروبة والإسلام
بكتابه أحسن البلاه ! ولعلنا بمقالنا هذا
المتواضع نجزيه إنصافاً بإنصاف !

محمد عبد الباقى

المدرس الأول بدار المعلمين بالقاهرة

أما الحديث عن الوفاء بالعهد والكرم
وحياة الضيف ، فذلك ثلاثة فصول ابتدأت
بصحيفة ٢١٠ إلى ص ٢٨٢ وكل سطر من
هذه الصفحات جدير بالقرأة إذ هو يضيف
إلى الفائدة العلمية لذة مشوقة حين يروى
طرائف الشجاعة والكرم والوفو والمروءة
لدى العرب في الجاهلية والإسلام !

ويضرب الأمثلة بروائع حفظه بن هوف
واسرى القيس وحاتم وحاجب بن زوارة
وعاقبة بن مسعود وكليب في الجاهلية
وبمواقف علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب
وعبد الله بن جعفر وابن عباس وعبد الملك
ابن مروان والكنية الأسدي ومعد بن زائدة
والرشيد والمتعمم وسوام من أعلام التاريخ
وهي طرائف منيرة تطلب لذاتها حتى لدن
من لا يمتنون بربطها وبطها وثيقاً بأخلاق
الإسلام ، فكيف إذا كانت في حقيقة الأمر
استجابة لهذين فاضل يسمو بالخلق ويبحث على
الرحمة والوفو والإيثار ! لقد برهن المؤلف
الكبير على إخلاصه العظيم للحقيقة في ذاتها حين
قدم كتابه المنصف لقرأة اللغة الفرنسية فأتى
أكله ، وبلغ بعض ما يريد من تصويب الخطأ
ومناخلة الحجة حتى قال عنه الدكتور طه

حاجة الخلق إلى هداية الخالق

للاستاذ عبد الرحيم فوده

كلمة الخلق تطلق وتصدق على كل مخلوق ، وقد بين الله في كتابه الكريم أن كل مخلوق وجد بتقدير وحكمة ليؤدي في هذا الوجود وظيفته كما أرادها الله منه ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، وقوله سبحانه : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بعبء » ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ، كما يفهم من قوله جل شأنه : « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » أن كل شيء خلقه الله مزود بما يهدي ويحقق الغرض من وجوده .

ونحن نعرف - من واقع ما نرى ونفهمه - أن كل حيوان تهيئه غرائزه إلى ما تقوم عليه حياته وإلى ما يصون به حياته ، وأن الإنسان من بين سائر أنواع الحيوان - يتمتع بأجل قيمة وأعظم مكرمة وهو العقل الهادي .

والتفكير الرشيد والعمور المتجدد بالتطلع إلى حياة أكل وأفضل وأجمل من حياته التي يحياها ، فإن هذا العمور يدفعه - هدى عقله وتفكيره - إلى السعي والعمل وكسب الطيبات . وبذلك تمر الأرض ، وتخصب الحياة ، ويتجلى السر في أن الله - تبارك وتعالى - آثره دون غيره بالخلقة ، وفضله على كثير

من خلق ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » . لكن هل يمكن العقل والغرائز والشعور المتجدد بالتطلع إلى حياة أفضل في تنظيم المجتمع الإنساني وتحقيق أمته واستقراره ورعايته . . ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي قبل التشرح بها أو الشروع فيها أن نعرف معنى الهداية ومراتبها وأثر العقل فيها ، وتأثير الغرائز في نشاط الإنسان وسلوكه واتجاهه بصفة عامة ، فإن ذلك هو السبيل إلى معرفة حاجة المجتمع وحاجة كل إنسان فيه هداية الدين .

لقد قيل في تعريف الهداية إنها الدلالة بالرفق على ما فيه الخير والحق ، وهذا التعريف مع صدقه لا يفسر معنى الهداية كما يفهم من القرآن الكريم ، فإن مجرد المعرفة والعلم لا يكفي في تحقيق معناها ، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى : « أفأريت من اتخذ لهما هواء وأخذ الله على علم ، إذ يفهم من ذلك أن العلم لا ينجي من الضلال ، وأن معنى العلم

الحواس ، أو تصحح خطأها إذا انحرفت إلى الخطأ ، فإن حاسة الإبصار - مثلاً - وهي العين ترى الشيء الكبير على البعد صغيراً والعمود المستقيم في الماء أعرج ، وحاسة الشم وهي الأنف ينحرف حركتها إذا أصيب صاحبها بركام وما إليه ، وحاسة الذوق كذلك وكما قال الشاعر :

ومن يك ذا فم صر مريض
يحد مرا به الماء الولا
ولهذا كان من أجل ما أنعم الله به على الإنسان أن زوده بالعقل ليصحح به خطأ الحواس ، ويميز به بين النافع والضار ، ويعرف على هداه ما أودع الله في الكون من حقائق وأسرار ..

ولكن العقل محدود ، وبما له نشاطه محدود ، وهو يخطئ كما تخطئ الحواس وينحصر لمؤثرات نفسية ومادية كاللهوى والمرض والبيئة والمعادن ، فلا يستقيم حكمه مع الحق . ولا يلتقي اتجاهه مع الحق بل يزل ويضل . ويغرد صاحبه إلى مواطن الال والاضلال ، وكثيراً ما تستخدمه الفراش ويحكمه الشيطان ، فيكون في عمله الشر وفي نفعه الضر . وفي هذه الضلال ، ومن ثم كان من فضل الله على الناس ورحمة بهم أن يبعث فيهم رسلاً يهتدي بها إلى الحق ليصححوا بها خطأ العقل والحواس ، ويقوموا بها انحراف الفطر والفراش .

قد يختلف من بعض الوجوه عن معنى الهداية وإنما يكون العلم هداية إذا أدى إلى العمل به والسير على مقتضاه ، أو بمباراة أدق وأحق إذا بحث على فعل الخير واتجه بمصاحبه إلى طريق الحق ، فالهداية اتبعات نفس راشدة إلى طريق الخير والرشاد أو هي كما ذكر البيضاوى في تفسيره « دلالة بليغ » ولهذا تستعمل في الخير دون الشر ، أما قوله تعالى في مصير الكافرين : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم » فقد ورد - كما قيل - على حيل التهمك والسخرية والاستهزاء . والهداية - كما ذكر الإمام محمد عبده أنواع ومراتب يكمل بعضها بعضاً ، فنها ، أو أولها :

هداية الوجدان والإلهام الفطري : وأظهر مظهر لها ما نراه من الطفل الوليد الجديد حين يحس الحاجة إلى الغذاء . فإنه يتجه بهدى وجدانه وفطرته أو غريزته إلى ثدى أمه لينص ما فيه من غذاء . ومنها هداية الحواس كالسمع والبصر . والذوق والشم واللمس ، ويشترك فيها مع الإنسان غيره من بقية أنواع الحيوان ، وهذه الحواس توافد العلم كما يذكر علماء النفس وكما يفهم من قوله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » .

ثم تأتي بعد ذلك هداية العقل لتنتم هداية

عليه كارهين له ، فإذا حانت لهم الفرصة والاتفاض — وكثيراً ما تمخ — تمردوا واستأسدوا ، وانطلقوا بكل قوام يعصفون بكل القيم والمثل وقواعد الأخلاق والقوانين وبرهون ودون روح — أمن الآمنين ، ومن ثم كانت معجزات الأنبياء — مع ما تدل عليه من صدقهم في التبليغ عن الله — تذكيراً لمؤلا بالقرعة التي يتساوى الناس جميعاً في العجز عن مناصاتها أو معارضتها ، وكانت الشرائع التي بعث بها الأنبياء — من عمل هذه القرعة التي تحكم ولا تظلم ، بل من راحة الله وفضله على الناس أجمعين ، كما يفهم من قوله في خاتم النبئين ، وما أرسلناك إلا راحة للعالمين .

فليست النبوة لنوع الإنسان بمنزلة العقل للأفراد كما ذهب إلى ذلك الإمام محمد عبده في رسالة التوحيد وإنما النبوة أمم بحاجة الناس مجتمعين ومنفردين من العقل ، فهي للجمع نظام وقوام صلاحه ، وهي لكل فرد في المجتمع نظام وقوام صلاح أمره ، ذلك لأنه دائماً بين حاجات تدفعه . وآمال تحذره أو تدفعه ، وبين هذه الحاجات المتجددة المتزايدة . والآمال التي يرجو تحقيقها لتلبية هذه الحاجات يجد الطرق أمامه تختلف قريباً وبعداً . ويسراً وعسراً ، واستواء والتواء وقد تتعارض الطرق وتتناقض المصالح فتتهدم أمامه السبل ويلتبس عليه الحق والباطل والخير والشر ، وقد يكون الشر

فأنا ، وأنت . وهو ، وكل فرد يزاء فرد في مجتمع ، وكل مجتمع يزاء مجتمع في أمة ، وكل أمة يزاء أمة في هذا العالم تحسنا غرائز فردية وجهادية لا تهمي في أثره جامعة دائمة ، طامعة دائماً ، لا تقنع ولا تفجع ، إلى حب استعلاء يتعيف أقدار الضعفاء . ويستهدف استغلالهم واستغلالهم إلى حرص على البقاء بشير التدافع والتنازع ، ويرقد بين الأفراد والجماعات والعصوب نار المداورة والبغضاء وما ينشأ عنهما من كروب وحروب وخطوب .. إلى آخر ما ركب فينا من ميول وشهوات تدفعنا إلى التماس ما يتيسر ولو من طريق الإثم والجور والعدوان على حقوق الغير .

هذه الغرائز لا يكفي العقل وحده في صدعها وردعها إلى الحد الذي يرتفع فيه الجور ويسود فيه العدل ، بل قد يكون العقل كما ذكرت أو أشرت مطيتها اللول إلى إرضاء ميولها المنحرفة وأهوائها المختلفة .

وإذا افترضنا — مع ذلك — عافلاً فاضلاً أو رجاءة من العقلاء الفضلاء استوحوا حاجة المجتمع إلى العدل والنظام ، فوضعوا قوانين تمنع الطامع أن يجمع ، والسكادح أن يضيع ، والمجرم أن يهزم ، والحاكم أن يظلم . لكان الخوض لهذه القوانين في منطق المنحرفين — وما أكثرهم — خضوعاً لعمل بشري أو قوة عاتية لا يقبلونه إلا مرغبين

وقد قرن الله هديه صلى الله عليه وسلم
بهدي كتابه حيث قال : « وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا
تهدى به من ضلالتهم من هبانا وإنك لتهدى
إلى صراط مستقيم » .

ونخلص من هذا — على إيجازه — بأن
حاجة الخلق إلى هداية الخالق أقوى من
حاجتهم إلى قلوبهم وعقولهم ، وأن هداية
الدين نعمة كبرى تخرج نفع العقل والحواس
والفرائض الهادية إلى الحياة الطيبة ، ثم إن
هذه النعمة الكبرى وجدت منذ وجد
الإنسان والمجتمع الإنساني على ظهر هذه
الأرض كما يفهم من قول الله لأدم وذريته
وفدريتهم : قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم
منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

فسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا
الصراط المستقيم صراط الدين أنعم عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين .

عبد الرحمن قوده

فما يراه خيراً وأخيراً فيما يراه شراً . ومن
ثم كان لابد له وللجميع الذى يعيش فيه من
هداية الدين ، فإنها الخير الذى لا يهتبه شر
والحق الذى لا يأتبه باطل ، لأنها من عند الله
وهو جل شأنه متصف بكل كمال منزّه عن كل
نقص فلا يصدر عنه باطل ، ولا يخطئ
في قول أو فعل ، وهو أعلم بما تستقيم عليه
الحياة في كل زمان ومكان ، وبما يصلح عليه
أمر الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ،
فلا يعترى أحكامه ما يعترى أحكامنا من
شوائب العجز أو القصور .

هذا إلى أن هداية الدين تمثل رحمة الله
بعباده ونعمته عليهم ، وقد كانت هذه النعمة
بالإسلام كما يفهم من قوله تعالى : اليوم
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى
ورضيت لكم الإسلام ديناً . وقوله سبحانه
: فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً
كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون .

ولاشك أن هداية الدين تلتبس من
القرآن الكريم لأنه كما يقول الله فيه : « ذلك
الكتاب لا ريب فيه هدى للتيقن » ثم من
سنة غاتم الأنبياء والمرسلين لأنه كما يقول الله :
« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً وبشيراً
ونذيراً وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً » .

نشأة القراءات ورسم المصحف

للدكتور عبد العال سالم على مكرم

وكان من رأى الزعشرى أن هذه القراءة مردودة ، لأنها غائبة للقواعد النحوية التي لا تميز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بنهر ظرف .

وأرجع الزعشرى خطأ ابن حاصر في هذه القراءة إلى رسم المصحف حيث قال : «والذى حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركاتهم مكتوباً بالياء» (١) فالسبب إذن في هذه القراءة في رأى الزعشرى هو رسم المصحف ، ومعنى ذلك أن ابن حاصر اعتد على المصحف ، ولم يعتمد على الرواية . ومن هنا فتح الباب أمام هذا المستشرق فقال ما قال .

أما الزعشرى فلم يسكت الباحثون عن رأيه ففندوه ونافضوه فأوضحوا الأندلسى يقول عنه في كتابه البحر ما نصه : «وأعجب لعجسى ضعيف في النحو يرد على عروق صريح بعض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما يبيد ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تغيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ،

يرى المستشرق ، جهوله تفسيره ، أن نشأة السكترة من القراءات ترجع إلى رسم المصحف حيث يقول إن «اختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات... كانتاها السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوفاً أصلاً ، أو لم تتحرر الله في نقطه أو تحريكه» (٢) وصحبت لم يتفرد جهوله تفسيره بهذا الرأى العجيب ؟ ومن أين استقاء ، وعن أى مصدر أخذه ؟ ولما وقف على رأى الزعشرى في قراءة ابن حاصر للآية في سورة الأنعام ، وكذلك دين لسكترة من المشركين قتل أولادهم شركائهم» (٣) - تأكد في أن مصدر الوحى بهذا الرأى هو الزعشرى حيث وقف من قراءة ابن حاصر لهذه الآية موقف الناقد .

وبيان ذلك أن ابن حاصر كان يقرأ و قتل أولادهم شركائهم ، برفع القتل ، ونصب الأولاد وجوز الشركاء على إحاطة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما في غير ظرف .

(١) مذاهب التفسير الإسلامى : جوله

تفسير ص ٨ .

(٢) الأنعام آية ١٣٧ .

(٣) البحر المحيط : أبو حيان - ص ٢٢٩

ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون،
قرأها بعضهم تستكثرون بالثاء المثنية فرد
عليه الدكتور النجار قائلا : « لم تعتمد
هذه القراءة في القراءات السبع ولا الأربع
عشرة بل هي منكدة ، ولا يعرف على وجه
التحديد من قرأ بفلك ؟ وحسبك هذا دليلا
على أن الخط لم يكن هو المعتمدة في صحة
القراءة » [١] .

وبما كان من أكبر الأدلة على بطلان
رأى جولد تسيبر ، أن هذه القراءات ووبت
وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف ..
ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط معروف ،
ولا الشكل اخترع ، فظهرت حركة القراءات
قبل النقل والضبط ، فكانت قراءتهم للكلمة
على حسب ما يروون وينقلون ، لا على حسب
ما يقرءون في المصاحف » [٢] .

وفي رأى أن (جولد تسيبر) تروط في هذا
الرأى ، لأنه لم يجد دليلا واحدا يعتمد عليه
الهم إلا رأى الزعزعى في قراءة ابن عامر
التي أشرت إليها ومى - كما بينت - قراءة
صحيحة لا تتعلق برسم المصحف ، وإنما تتعلق
بالرواية والنقل .

ولو كان ما ذهب إليه المستشرق صحيحا
لاضطربت المصاحف وغيره الآيات وبذلك

وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ،
وفهمهم ، وديانتهم » [٣] .

وأما « جولد تسيبر » فقد تكفل بالرد
عليه الدكتور المحرم عبد الحليم النجار
إذ قال معقبا على رأيه في تعليقه على كتابه
« مذاهب التفسير الإسلامى » مانعه : « لم يكن
الخط العربى سببا في اختلاف القراءات ، بل
كان مساعدا على استيعاب القراءات الصحيحة
بجائته التي كان عليها عند كتابة المصاحف
العثمانية من إجمال النقط والشكل ، فليس
العبء بالخط ، وإلا لا صمدت قراءات
يسمح الخط بها » [٤] .

ولم يكتف الدكتور النجار بهذا الرد
على المستشرق بل نصب أدلة التي استدلل
بها على رأيه ليفندها ، ويعلن زيفها . فقد
قال المستشرق : « إن الآية : وما كان استنصار
إبراهيم لأبيه إلا هن موعدة وعدما إياه » (٢)
كان محاد يقرؤها « أباه » بالباء الموحدة فرد
عليه الدكتور النجار قائلا هذه قراءة منكدة
بالاتفاق فليس من السبع ولا الأربع عشرة
ولو كان مجرد الخط كافيا لاحتدمت (٤) » .

وبرى المستشرق أن الآية « ونادى أصحاب
الأهراء رجالا يعرفونهم بسيماهم » قالوا :

(١) المرجع نفسه والصفحة .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٨ (هامش)

(٣) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٨ .

(٤) نفس المرجع ص ٩٠ هامش .

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) القراءات والألحاجات ص ١٨٣ بتصرف

لأستاذ عبد الوهاب حمودة .

ثم قال - والقاتل أبو القاسم - : وكان
أبو العباس (المبرد) صحفياً ومن قتل اللغة
عن المصحف صحف ، وإنما وجدته جبل رمل
فقال : جبل ، وأسقط الرمل (١) .

فإذا كان قتل اللغة عن المصحف تصحيحاً
فالمراد كذلك بصدد المصحف فن نقول
القرآن عنه ، وأغلق أذهن دون الرواية والنقل
وقع في التصحيح ، فلهذا الرواية حفظ القرآن
من المصحف ، وقد أخذ عليه أنه كان يقرأ
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة
وعدها أباه (بالياء الموحدة) (٢) ،

ودوى أن حصة الثابت ، كان يتم القرآن
من المصحف قراءاً يوماً - وأبوه يسمع -
الم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه ، فقال أبوه :
دع المصحف وتلق من أمراء الرجال ،
وحدث إسماعيل بن محمد اليسرى قال : سمعت
هشام بن أبي شيبه يقرأ (وجعل السفاية
في رجل أخيه) فقلت له : ما هذا ؟ قال تحت
الجيم واحدة (٣) .

وأخبر ابن عمار قال : (انصرفت من مجلس
عبد الله بن عمر بن إبان القرشي ... فرده
بمحمد بن حباب بن معمر فقال : من أين
أقبلت ؟ فقلت : من عند أبي عبد الرحمن شككاته
فقال : ذلك الذي يصحف على جبريل -

كلماتها القرآنية بكلمات أخرى لا تمت إليها
بصلة ، وحينذاك يصحح كتاب الله ، وتضيع
معالمه ، ذلك لأن القارئ الذي لم يلق القرآن
من طريق المشاهدة والسماع يمزج عليه في كثير
من الأحيان أن يقرأ صحيفاً ، ومن ثم تفتري
قراءته التصحيح ، ولا نبالغ إذا قلنا : إن هذه
التصحيفات وقعت من رجال لم شهرتهم الأدبية
ومقدرتهم الفكرية كالمبرد الذي تحدث عن
تصحيفه أبو القاسم علي بن حمزة في كتابه
(التنبيهات على أغاليط الرواة) فقال :
قال (١) في قول المفرد ذي .

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد
ومات أبو حسان شيخ الهاذم (٢)
يعني بسطام بن قيس بن خالد القتيبي وهو
فارس بكر بن وائل ، ثم قال : وقتل بالحسن
وهو جبل ، وهذا غلط منه مركب من
تصحيف ، إنما الحسن فجر ، سمى الحسن
لحسنه بكثيب من رمل ، ينسب الكثيب إليه
فيقال : نقا الحسن ، ويقال اليوم قتل بسطام
(يوم النقا) قال المفرد ذي :
عالي الذي ترك التجميع برعه
يوم النقا شرقاً على بسطام (٣)

(١) القاتل : أبو العباس المبرد .

(٢) الهاذم : لقب قيم الله بن ثعلبة
(أقرب الموارد ٢ - ١١٦٥)

(٣) ديوان المفرد ذي ٢ - ٨٥٠ من
قصيده التي يناقض بها جبريل .

(١) التنبيهات على أغاليط الرواة ص ١٤٧
أبو القاسم علي بن حمزة مخطوط ٢٠ لغة مكتبة
السنخيلي .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٩
(٣) التصحيح والتحريف العسكري ص ٩٠ .

لإيمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط أو الرسم .

وإذا نظرنا إلى الأمصار الإسلامية وجدنا أن كل مصر التزم قراءة قارىء بعينه مع احتمال رسم المصحف لهذه القراءة ، وأن القراء انتشروا في الأمصار ليعلموا الناس قراءة القرآن لإيماناً منهم بأن المصحف وحده لا يفتنى شيئاً في مجال القراءة ففي مصر مثلاً أول من أقرأ القرآن بها هو أبو أمية حبيب بن نجر المصافى ، وكل القراءات بمصر رواية عن تافع نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش . ومحدثنا السيوطي أن عمر بن عبد العزيز أرسل تافعاً إلى مصر ليعلم المصريين فأقام تافع بمصر مدة طويلة . وأخسف الأندلسيون قراءة تافع عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصري المتوفى سنة ١٣١ هـ . (١)

وبعد ، أفلم يكن أيها المستشرق - لدى المصريين أو الأندلسيين مصاحف يقرءون فيها ، ويستغنون بها عن تافع وغيره من القراء ؟ إذا كان الأمر يتعلق بقراءة القرآن الكريم حينئذ الحق لصح ذلك ، ولكن قراءة القرآن الكريم دعائها الرواية والمشافهة كما بينت لك .

عبد المال سالم علي مدرم

(١) أدب مصر الإسلامية ص ٣٦ بتصرف :
للدكتور محمد كامل حسين .

يؤيد قراءة : (ولا يفتى ، ويسوق وشرأ وكانت قد حكيت عنه) (١) .

ومن أجل هذه التصحيحات التي تخلف بمقتضى الآيات قالوا : (لا تأخذ القرآن من مصحف ولا العلم من محقق) (١) .

والتصحيح في القرآن من أهم الأسباب التي جعلت أولى الأمر يهتمون بتنقيح المصحف وذلك أن الناس غفروا بقرءون في مصحف عثمان بن عفان ورضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثرت التصحيحات ، وانتشر بالعراق ففرج الحجاج بن يوسف إلى كتابه ، وسأله أن يضمنوا لهذه الحروف المشاهدة علامات (٢) ومن عجيب أن هذه التصحيحات عدما ذلك

المستشرق قراءات ، وبين أنها نشأت من خط المصحف ، وغاب عن ذهنه أن القراءات مصدرها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقيها لأصحابه ، ومولاء تلقوها غيرهم حتى وصلت إلينا وحصل إلينا غيرنا بالطريقة نفسها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وإلى هذا الوقت نجد علم الكتاب يتهدى مع تقليد الصنف أول ما يتهدى . بتحفيظ القرآن الكريم قبل أن يجيد القراءة والكتابة

(١) نفس المرجع

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) وفيات الأعيان : ابن خلكان - ١

ص ١٢٥ ط ١٣١٠ .

الجبال في القرآن الكريم

دؤسمناز الءكنور ءمءء الفراءى

- ٧ -

كما ترى ، وبالضمء فى آئى المرسلات وفصلت
فان الضمء فى (فها) فى كل منها راءع الى
الأرض المصرء بها فى أول الآئىن (٢٦١٢٥)
من سورة المرسلات : « ألم نجعل الأرض
كفافا . أءاء وأموائا . وفى الآءة (٩) من سورة
فصلت : « قل أنكم تسكفرون باللى خلق
الأرض فى يومين وتجعلون له أءاءا ؟ ذلك
وب العالمين . »

وآءة سورة المرسلات أول آءة قرآئىة
ذكرء فيها الجبال بالوصف لا بالفظ . وقبلها
نزل الوءى بثلاث آءات ذكرء فيها الجبال
بالفظ هى آءة سورة المزمل : « يوم ترجف
الأرض والجبال وكانت الجبال كءىبا مءبلا .
وآءة سورة التكوير : « وإذا الجبال سءراء .
وآءة سورة الفارءة : « ثانية الآئىن » يوم
بكون الناس كالفراش المبءوء . وتكون
الجبال كالءى المنفوش . وكلها كاترى ءعلق
بأمور ءائلة ءقع بالجبال بين يءى الساعة
أو ءند قىامها . وإذا قآءة المرسلات هى
أول الآءات القرآئىة التى ذكرء فيها الجبال
من ءىء ءلاءها بهذه الءىاة ، أى من ءىء
وءوءها لافءائها ، ومن ءىء ءلائها على الله

من الآءات التسع التى وصفء فيها الجبال
بالرواسى فى القرآن الكرىم ثلاث آءن فى
ذكر الرواسى ءء (١) الأرض . وثلاث بمنع
مىءان (٢) الأرض . وثلاث أطلق الءكر فىها
فلم يءرن بءسكر ظاءرة ءاصة فى الأرض
كالتى ذكرء فى الآءات السء الأءرى .

ءذه الآءات الثلاث الآءرة هى ءسب
ءربف نزول الوءى بسورها :

الآءة (٢٧) من سورة المرسلات : « وجعلنا
فىها رواسى شاهات . ءبها الآءة (٢٨)
« واسفناكم ماء فراا . »

والآءة (٦١) من سورة النمل : « أنى
(أم من) جعل الأرض قرارا . وجعل ءلالها
أنهارا . وجعل لها رواسى . وجعل بين
البءرىن ساءرا ؟ إله مع الله ؟ بل أكثرهم
لا ءلمون . »

والآءة (١٠) من سورة فصلت : « وجعل
لها رواسى من فوقها . وباءك فىها . وفءر
فىها أنهارها . فى أربعة أيام سواء للساعىن .
وفء جاء ذكر الأرض صرىها فى آءة النمل

(١) القال الءاس عءء شىءان .

(٢) القال الءاس عءء رءفان .

الناس في عصر نزول القرآن أولاً ، ثم في كل عصر يأتي بعد أن نزل القرآن ولأن الماء العذب ضروري للحياة في كل زمان ومكان . وقد جلت آية الماء الفرات تلو في السورة الكريمة آية الرواسي الفاضلات ليدل التتالي على أن بين الأمرين صلة ، وأن شيوخ الجبال له دخل كبير في نزول الماء يسقاه الناس وما لهم من صنوف الزروع والحيوان . ودخلها هذا حق يفروه علماء الجغرافيا الطبيعية والأرصاد ، ويعرف به من وجوه كل مثقف بين الناس ، فمن المعلومات العامة بين المثقفين أن الأنهار مرد منابعها إلى الجبال والماء الفرات ، أي العذب جداً كما يقول القاموس ، يدل أول ما يدل على ماء المطر ، لكن تنكره في الآية الكريمة يفيد العموم ، فهو يشمل كل ماء عذب في الأرض سواء أكلن ماء نهر أم بحر أم مطر . بل إلى الأمطار في النهاية مرد مياه الأنهار والعيون والسدب من الآبار .

والمطر في العلم يشمل كل ما ينزل من السماء من ماء أو ثلج أو برد طبق سنة الله سبحانه في دورة الماء المنسوب بين البحار الملح والمحيطات وبين اليابسة فكل عذب على الأرض أصله الماء الأجلاج . ومنشأ سبحانه على الناس بالماء الفرات في آية المرسلات لا يخلو هذا الوصف من إشارة إلى هذه الحقيقة الكبرى عند من يلحظ ضمير الجلالة

الذي فطرها وحقق بها ما حقق من منافع للناس . ومن هنا تلبين حكمة ذكرها باسمها في آيات التذكير بهول يوم القيامة ، وذكرها بوصفها في أول آية نزلت الله بها عباده إلى مظهر من مظاهر قدرته في خلق الجبال .

وفي الآية الكريمة وصفان للجبال كما نرى : أنهم رواسي وأنهم شاعات على التنكير لا على التعريف ، فبها إلى قبيل خاص من الجبال . فلتن كانت الجبال كلها رواسي (١) من حيث الثبوت والرسوخ في الأرض وهو المعنى الذي يفرقه كل أحد ، فليست كلها شواخخ بالغة الارتفاع ، وإن كان تقدير الصمخ نسبياً عند الناس . لكن مهما يكن اختلافهم في التقدير فالكلمة في اللفظ تدل على امتياز في الارتفاع ، ففي القاموس (شخخ الجبل حلا وطال) . ولعل في الصمخ حداً لا يعتبر الجبل شاعاً دونه عند علماء الجغرافيا الطبيعية أو الجيولوجيا أو الأرصاد الجوية . فإن لم يكن فالآية الكريمة تلفت إلى بحث هذه الناحية فيما تلفت إليه من بحث الكيفية التي رفع الله بها الجبال من ناحية ، وعالفت بين ارتفاعاتها من ناحية أخرى حتى كان منها الشاخخ الممتاز في ارتفاعه عند أهل كل إقليم ، إذ الآية شملت عن الأرض عامة لا أرض العرب خاصة ، والضمير في (وأسقيناكم) من قوله تعالى « وأسقيناكم ماء قرأتا » ضمير خطاب (٢) في المقال الخامس دلالات أخرى لهذا الوصف .

وتارها الشمس وإن من أهل ، وحوامل
بخارها الرياح ، وقوابل قطرها الأودية
ومجارى الأنهار .

ويتضمن وصف الرواسي بالشاعات في آية
المرسلات حقيقة أخرى في الفطرة وظاهرة
معجبة ، تلك هي ظاهرة الثلج الدائم يكلل
هامات الجبال التي تكون درجة الحرارة في قممها
دائماً تحت الصفر إذا زاد ارتفاعها عن حد
خاص يتوقف على موقعها من خط الاستواء ،
حيث الحد الأعلى لارتفاع بدء منطقة الثلج
أو خط الثلج الدائم كما يسمونه . فهو في خط
الاستواء بين ستة عشر وسبعة عشر ألف قدم
أي نحو خمسة آلاف متر في المتوسط . وهو
يقل عن ذلك بالتدرج كلما بعد الموقع عن
خط الاستواء ، أي كلما قلت درجة الحرارة
الجوية في المنطقة . ففي مدار السرطان مثلاً ،
أي شمال خط الاستواء بنحو ٢٣ درجة ،
يكون ارتفاع خط الثلج الدائم نحو ثلاثة عشر
ألف قدم ، ويصغر ارتفاعه إلى نحو ستة
آلاف قدم عند خط عرض ٥٠° شمال خط
الاستواء ، ونحو أربعة آلاف قدم عند خط
عرض ٦٠° ، وثلث جراً حتى ينمحي تماماً
عند خط عرض ٧٠° إذ يكون الثلج دائماً
على مستوى سطح البحر كما يدل عليه الرسم
البياني لخط الثلج الدائم في نصف الكرة
الشمال في دائرة معارف (هافنسن) المصورة
والمحاوّه هذا يحول دون اتخاذ معياراً عاماً

في الآية ويعلم أن البحار والمحيطات ، التي في
مجموعها تغطي نحو واحد وسبعين في المائة
من مساحة الكرة الأرضية ، يقبخر ماؤها
 باستمرار طبق سنن الله في تبخر المساء في
مختلف الظروف ، حتى إذا حملت الرياح
البخار إلى أعلى الجو تكاثف سحباً ، وتكاثف
السحاب مطراً طبق سنن الله في ذلك كله حتى
إذا جرت الأنهار خلال الأرض منسبة نحو
البحار مادمظم الماء إلى المصدر الذي منه
جاء ، وهكذا دواليك يأخذ الله في دورة
تتوقف عليها الحياة في الأرض من غير أن
يضيع فيها من الماء العذب شيء . فإن ما يظن
الإنسان ضياعه ، ذهاباً في جوف الأرض
أو في الجو ، مصيره أن يحتزن في باطن
الأرض ليتفجر حيث يشاء الله صيرفاً طبيعية
وآباراً ارتوازية ، أو أن يتكثف إلى سحاب
ليعود مطراً من جديد .

وشواخ الجبال وكن مهم في تكثيف
البخار سحباً ، والسحاب ماء . فهي من
ناحية تحول مجرى ما يصطدم بها من الرياح
الأتقية المتحملة بالبخار إلى أعلى حتى تصل
إلى مناطق التكثيف للساودة من أعاليها
وأعلى الجو ، وهي من ناحية أخرى تكثف
ما يلاق أعاليها من السحاب الذي تحمله الرياح .
فهي في الواقع تعمل عمل مكثفات صطناعية
في عمليات تطورها تالة دسستها البحار والمحيطات

مقال آت لإنشاء الله طرفاً من هذا الموضوع الجليل عند ما تأمل الآية (٤٣) من سورة النور . لكن لا يفوتنا التنبيه هنا إلى أن المعمم الذي أفاده نكح الماء في آية المرسلات يشمل ماء الطريقين جميعاً : طريق الكهربائية الجوية وطريق شواخ الجبال ، وقد تكرر ضمير الجلالة للتكلم ثلاث مرات في آيات المرسلات : عند ذكر الأرض ، وعند ذكر الرواسي الصاعقات ، وعند ذكر الماء الفرات ، للدلالة على جلال ما أودع الله في كل من أسرار قدرته وحكمته ورحمته بما ذكرنا بعضه وما لا يستطيع استقصاء أحد ، ولكي لا يستكثر أحد على الآية منها أن تدل على ما علم الله أن سيهدى أهل العلم الحديث إليه من أسرارها . وما كشفه أو يكشفه العلم الحديث من تلك الأسرار إن هو إلا تفصيل لما أجملت كل آية من حجة الله على الناس ألا يعبدوا إلا إياه .

أما آية النمل فقد أقام الله حجة على عباده فيها بالأرض أيضاً ولكن من حيث إنها قرار ، وبالماء ولكن من حيث إنه إنهار ، وبالرواسي من غير تخصيص بالواضع منها ، وبآية رابعة له سبحانه في الخلق تتصل اتصالاً وثيقاً بالإنهار ألا وهي الحجر بيننا وبين البحار الأجاج التي تصب فيها أن تغلف البحار عليها ، لأن البحرين المذكورين من غير

لشوخ الجبال في كل منطقة ، لكن من الممكن اتخاذ معياراً للشموخ والمنطقتين الحارة والمعتدلة فيكون الجبل الشاخ في المنطقة ما يفيض حامته بالثلج على الدوام .

وكثير من الجبال يزيد ارتفاعه عن ارتفاع خط الثلج الدائم في منطقته . فإذا كان الفرق بين الارتفاعين كبيراً كان تراكم الثلج فيما بينهما فضل في تغذية الأنهار بالماء نتيجة لدوران بعض الثلج باستمرار لفظط الطبقات العليا على السفلى ، ولا نزلاق ما علا على ما داب من أسفل ليمتدى حد خط الثلج شيئاً فشيئاً ، ولا يكاد يتعدى حتى يسيل .

ولن ننقد الشلوج على قم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها الدنيا ، لأنها كما نسيل هكذا باستمرار تتجدد أيضاً باستمرار . ولولا هذه الظاهرة العجيبة لجفت الأنهار التي تجري في وديان تحفها الصحراء إذا انقضت فصول الأمطار عند منابعها .

ويذكر أن تذكر أن الرياح التي تضرع حولتها من الماء على شواخ الجبال تهب على ما وراها ولا ماء فيها . لكن الله سبحانه يرسل الغيث على ما وراها من طريق آية أخرى له في الخلق هي الكهربائية الجوية التي يلفق الله عباده إلى ما أودعه فيها من مظاهر قدرته ورحمته في الآيات التي تذكر الرعد والبرق في كتابه العزيز . وسنبين في

أما الرواسي في الآية الكريمة فينبغي تقدير آيات الله فيها من حيث علاقتها بجملة سبحانه الأرض قراراً لمن عليها ، وذلك ليس فقط لأن السياق يقتضي هذا ، ولكن أيضاً بقرينة لفظة في الآية قليلة الحروف كبيرة الدلالة هي قوله تعالى (لها) بدلا من (فيها) في الآية الكريمة ، وجعل لها رواسي ، وأول ذلك ما تبين في هذا المقال من صلها بالأنهار أو صلة الشواخ منها . وثاني ذلك حفظ الله الأرض بها أن تميد بالناس ، وهو الجانب الذي نبه الله إليه في آيات كانت موضوع المقال السادس من هذه السلسلة . أما علاقة الرواسي بحد الله الأرض فقد تأملنا آياتها في المقال الخامس ، وهو فيما نبين في ذلك المقال نفس موضوع إنشاء الجبال في أم أنوارها .

وتبقى آية فصلت من الآيات الثلاث المذكورة في صدر هذا المقال . وواضح منها ومن الآية قبلها أن ذكر الرواسي فيها كان طورا من أطوار خلق الأرض تمهيدا لطور الرابع الذي يبارك الله فيه الأرض وقد ربه أقواتها . والدليل على الأمرين جميعا جمعه سبحانه يري الطورين الأدل والثاني مع يري الطورين الثالث والرابع في قوله تعالى : وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقد ربه فيها أقواتها في أربعة أيام ، بعد قوله تعالى في الآية قبلها : وقل أنكم لتكفرون

وصف في قوله تعالى : (وجعل بين البحرين حاجزا) مما صيغ البحرين المذكورين في قوله تعالى من سورة الفرقان : (وهو الذي مروج البحرين ، هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزعا وحجرا محجورا) . وسورة الفرقان قد نزل بها الوحي قبل سورة النمل وهي كذلك أيضا في ترتيبه المصحف ، وهذا يفسر ذكر البحرين في آية النمل من غير وصف بعد أن تبين وصفهما في آية الفرقان . وكذلك الأمر في ذكر حاجز بين البحرين مجردا في آية سورة النمل ، كأنه تلخيص للبرزخ والحجر المحجور وبيان الحكمة الله فيه . وليس هذا موضع بيان كذب أن سنة الله في جذب الأرض لما عليها إلى أقرب نقطة من مركزها هو الحاجز بين البحر أن يطنى على النهر ، لأن سطح البحر أقرب إلى مركز الأرض من سطح اليابسة الذي يجرى عليه النهر . فبسنة الله العامة في الجاذبية ينزل الله الأمطار ، ويجري الأنهار ، ويحفظها من أن تطنى عليها البحار .

والأنهار تاريخ طويل في ماضيها وحاضرها يبحث عنها كيف نشأت وشقت مجاريها وتشتق في الأرض ، وقد أشير إليه في الآية الكريمة بكلمة واحدة هي قوله تعالى : خلخالها أي خلال الأرض . وعلاء طبقات الأرض والجغرافيا الطبيعية هم الذين يدركون جلال ما تدل عليه هذه الكلمة القرآنية الفذة .

بالذي خلق الأرض في يومين ، وقوله في ثانية آيتين بمسحها : « ففضا من سبع سموات في يومين » .
فهذه ثمانية أيام في مجموعها لو أخذت مستقلا بعضها من بعض . لكن الله سبحانه قد أخبر في آيات متعددة أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام . فلا مناص من أن الأربعة الأيام في ثانية آيتي فصلت تفصل حتما اليومين في أولهما . واليوم هنا ليس من أيام الدنيا ولكن من أيام الله . والله سبحانه يقول : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدونه » ويقول سبحانه : « نرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . فله أعلم بطول اليوم في كل من أيام خلق الأرض والسموات .
وقد ثبت في علم الملك المحدث أن الأرض انفصلت عن الشمس استناداً على الاختصاص إلى ما ثبت في علم الكيمياء من أن المشترك من العناصر بين الأرض والشمس لا يقل بل يزيد عن ستين ، وأن الارتفاع المائل في درجة حرارة باطن الشمس كاف في تحليل ما زاد عن الستين والثيف من قهليل عناصر الأرض ، وهي العناصر التي لم يكشفها التحليل الطيفي في الشمس . وإذن فاليوم الأول من

أيام خلق الأرض هو الحقبة التي تم فيها انفصال جزء الشمس الذي صار فيها بعد أرضاً . واليوم الثاني هو الحقبة التي تم فيها تبريد نفس الجزء حتى جمده . واليوم الثالث هو الحقبة التي خلق الله فيها الجبال في الأرض بما سلط على قشرتها من القوى الهائلة التي لا يعرف قهرها إلا هو . والتي عرف علماء طبقات الأرض كثيراً عنها . ومن ههنا

الإعجاز العلى الباني في آية فصلت أن دل الله سبحانه على التداخل بين آخر طور التبريد والتجميد وأوله طور خلق الجبال بجمعه يوم الطورين الأول والثاني إلى يوم الطورين الثالث والرابع ودل عليها جميعاً بقوله « في أربعة أيام » . كما دل بذلك أيضاً على أن خلق الجبال كان ضرورياً لخلق الحياة وتقدير الأقوات في الأرض ، فله أعزبر سبحانه في سورة الأنبياء أنه جعل من الماء كل شيء حي ، ودل بذكر الانهيار أو الزدوع في أكثر آيات الجبال في القرآن الكريم على أن الجبال ضرورية لسقيا الأرض وأهلها وزدوعها وحيوانها بالماء الفرات . وهذا لما يتعلق بالإنسان هو الحكمة الأولى الكبرى في خلق الجبال الرواسي ؟

محمد أحمد النمرودي

حول طبيعة الشعر الجاهلي للأستاذ كامل السيد شاهين

دواعي السهولة

انتخب لها أبطال من نوح عامر ، وإن لم
تجتمع لها مشخصات المقامة بعد أن استوت
فأدبياً من حيث وحدة البطل والراوى ،
ومن حيث دوراتها حول عرض عام واحد
هو الكدية ولطف الحية .

ولعل أصحاب المعاجم أنفسهم كانوا
يلحون ذلك فيمنون بالقرىب الناد أكثر
ما يهمهم الواضح المستبين ... وربما كان
صاحب القاموس مشيراً إلى هذا المبدأ الذى
بنى عليه كتابه عندما سماه (القاموس المحيط ،
والقاموس الوسيط ، فيما ذهب من لغة العرب
شماطيط) (١) ؛ فإن الذى يراجع القاموس
يؤمن بأن الفهرز يادى قد اهتم اهتماماً خاصاً
بالقرىب النادو ، ونحن لا نجد مثل هذه
الحفاوة فى بعض كتب اللغة كالأساس ،
ومقاييس اللغة ، وغيرها .

وليس كل الغويين يترهبون إلى هذا
المنهج ؛ بل ربما ضاق به فريق منهم كالراوى
صاحب مختار الصحاح فهو يقول فى مقدمته :
واقصررت على ما لا بد لكل عالم قتيه أو

(١) راجع شرح ديوانة القاموس ، علامة نصر
المورى .

ونريد بالسهولة هنا ما يعمل البعد عن
الجساسة والفلاطة ، بحيث يكون أدخل فى
المسألة والجزالة .

وقد قلنا فى مقال سلف : إن جامع الشعر
الجاهل كانوا من المؤدبين الذين يرمون إلى
تحفيظ مساند من اللغة ، فكانوا يتحرون من
القصائد ما يبينهم على تحقيق هذا الغرض ، كما
نرى فى المفضليات والأصمىات وغيرها من
مختارات المؤدبين ، وقد لمح ذلك الباتلانى فى
إعجاز القرآن ، فقال :

وقوم من أهل اللغة يملون إلى الرصين من
الكلام الذى يجمع القرىب والمعاني مثل :
أبى عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والأصمى
ومنهم من يختار الوحش من الشعر كما اختار
المفضل للنصوص من المفضليات ، وقيل : إنه
اختار ذلك ليه إلى هذا الفن . ١ هـ

بل كانوا يضعون القصص (التى صارت
لها بعد مقدمة المقامات) على لسان الأعراب
في البوايد .. وأكثر ما جاء من أحاديث
ابن دريد فى كتاب الأمالى من هذا القرى

حتى إن كثيراً من المتأدبين فى هذا العصر
يزعم أنها مقامات باعتبارها قصصاً خيالية

عن ذلك بعض المتحاطين للأدب في القديم
وزعموا الناس أن القصر فصاحة وقدرته حتى
ومفهم ابن قتيبة في مقدمة أدب الكاتب ،
ومحرم منهم بحرية حادة ، وعلى آثاره جاء
علماء البلاغة فهجوا على متبجعي الغريب
وأسفطوا كلامهم عن درجة الفصاحة ،
وبذلك اعتدل الميزان بعد ذبذبة طويلة .

• • •

ولقد تورط الناقد الباحث الدكتور طه
حسين في بعض أحكامه على الشعر الجاهل ،
لجعل السهولة واللين سببا لإسقاط بعض
القصاصد أو نفيها ... وجعل القرآن الكريم
هو المقياس الذي يضبط ما يمكن قبوله من
ذلك الشعر وما يمكن دمه .

ولمنا نستطيع أن نقرر الأصل الذي
يقاس إليه الشعر الجاهل ، ليحرف صحيحه
من مدخوله في مقال مستقل ...

والباحث في هذا الشعر يجد فيه قوة المنة
وشدة الأسر ، ويجد فيه الخلاقة والرهورة
أيضا .

والمتنص السهولة والبسري يجد أنها تظهران
في شعر الفرسان ، وفي شعر النساء ، وفي
شعر الشعراء المختلطين للفرانق والتابعين بها .
وفي بعض الأغراض التي تغلب عليها العاطفة
غلبة ظاهرة كعصر الرثاء . وأسفار التياحة
والتهيج والإلهاب ...

حافظ أو محدث أو أديب من معرفته
وحفظه ، لكثرة استمالة وجريانه على
اللسن بما هو الأمل فالأم خصوصا ألفاظ
القرآن العزيز والأحاديث النبوية ، واجتنابه
فيه هوى الفة وغريبها طلبا للاختصار
وتسهيلا للحفظ ... انتهى .

وكانه لا يجد كبير فائدة في تتبع الغريب
واقتناس الثوارد ، والاحتفال بما هو نادى .

ولقد ظل إجلال الغريب أمرا سائدا في
رواية المؤرخين ، ومحاضرات الغريبين ،
وتأليف أصحاب المعاجم دحرا طويلا ...
وذلك هو ما تورط نقاد الأدب في القديم في
أحكام بعيدة عن الصواب حتى إن يونس
ابن حبيب وأبا عبيدة كانا يفضلان الفرزدق
على جرير على حين كان بهار يفضل جريرا
على الفرزدق ، ويرى أن يونس وأبا عبيدة
ليسا أهلا للحكم على الشعراء .

ولقد كان نطلب يقدم مسلم بن الوليد على
أبي نواس ، وكان البحري يفضل أبا نواس ...
وذهب أن ثعلبا لا يحسن الحكم على الشعراء .

وإذا كان المؤرخون ، فيما يقول الباقلاني ، قد
اختزوا غشاواتهم لغرض يخص كتهجير
ما يشتبه على غيرهم ، وإظهار التقدم في
معرفته ، وعجزهم عنه ، فلا ينبغي أن
يحدثنا ذلك عن طبيعة الشعر الجاهل ونظن به
جساة في اللفظ ، وميلا إلى الحوشية ، وقد

شعر الفرسان

ولقد يكون من الصعب على الباحث تحديد
المارس في العصر الجاهلي ، إذ كان كل أفراد
القبيلة من الغاويين ، ومن يستطيع منهم أن
يملك فرساً أو جواداً يحرض به الفرات
نهر فارس .

ظهر أننا لا نستطيع أن ندفع أن الفرسان
يتفاوتون بلاء في الحرب ، وقدرة على إحراز
النصر ، وإحمال الحيلة .. ومن هنا يمتاز
بعضهم على بعض ويتقدم بعضهم بعضاً ،
فيشتر أمثال: منزة ، وعمر بن معد يكرب ،
ودويد بن الصمة ، والمهمل ، والحارث بن
عباد ، وطاس بن الطفيل ، ودبسة بن مكرم
ومالك بن نيرة ، وهشبة بن الحارث بن شهاب .
على أن الذي دفع هؤلاء إلى الشهرة ليس هو
المهارة في ملاعبة الأسلحة ومقارعة السيوف
ليس غير ؛ بل يضاف إلى هذا انطلاق ألسنتهم
بالشعر يقولونه غزراً وتوحداً وتحميماً وروثاً
للأهزة الراطين .

ولابد أن يكون هناك فرسان لم يشتهروا
لأنهم لا يقولون الشعر ؛ فليس أحد يدعى
أن الفرسية والشعر متلازمان بحيث
لا يكون المرء فارساً إلا انطلق لسانه بالشعر
فإنه فرسان مضمعون قد يكون لهم من
التكاي في العدو والضراوة في الحرب ما ليس
لهؤلاء الفرسان الشعراء .

ولو أننا تقبنا شعر الفرسان لوجدنا
مسحة عامة تغطي على طابع البعد من العودة
وقرب المعاني والتجاني عن التقييع ، ثم
تفاوت هذا الشعر بعد ذلك جزالة ودماثة
أو ليناً وبسراً ولعل السبب في ذلك أن
الفارس مهمل عن عادية شعره بالصفال ،
إذ يقوله عند ثوران العاطفة وتأجيجها ويلقيه
إلى قوم مثله فآثرى المواقف ، ثم هو مطمئن
إلى أن مكانه في القبيلة يعوضه عن التقييع
والعقل ويعطشته إلى قبول قوله مهما يدق
من الإصاف .

ولعل من أبعد القصائد المأثورات بسراً
وسهولة قصيدة المهمل :

وهام بن مرة قد تركنا

عليه القسم من النصور

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا طرد البني من الجرد

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا وجف الغناء من الجرد

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا ما ضيم جردان النجد

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا خيف الخوف من الثور

وهكذا يحض أشراطاً طوالاً .

وقصيدة الحارث بن عباد :

قرباً مربوط النعامة منى

قرباًها وقرباً مربى

وهي مشهورة متداولة .

ويبدو لي أن السر في هذه السهولة التي تدنو من حدود اللين والوكاكة أن المهليل والحارث كانا يقولان قصيدتهما أو جمالا وعمل مجمل وكانا يستمتعان بالتسكراو على استحضار المعنى وابتغاء الوسيلة إلى إصابة الثقافة ، وشعرهما هذا أشبه بالخطب الإلهامية منه بالعصر الذي يقوم على اللبس وتفتي فيه الإشارة ، بل هو أشبه بترديد التناجيات وراء النادية حيث يكرون مقطعا واحداً بعد كل كلام جميد .

ولملك تقول : أين يذهب بك ؟! هذا شعر تغلب وبكر ومعلمها قرية من السواد أوفيه ، فظل اللين جاء إلى شعر القبيلتين من هذه السكتى .

ولكننا إذا واجهنا صلفه طرفة بن العبد البكرى ، والحارث بن حازم البكرى ، عرفنا أن سر هذه السهولة أخرى أن يكون واجعا إلى خصوص القائل وأنه فارس لا يمتنيه اختيار لفظ أو تنقيح معنى أو فجاجة أسلوب . ويؤيد هذا أننا نرى هذه الدماعة نفسها في كلام الفرسان من سكان شرق الجزيرة ، وبحسبك أن تقرأ معلقة عنترة وتقرنها إلى المعلقات الأخرى (حاشا معلقة عمرو بن كلثوم فهي كذلك من شعر الفرسان) نرى فرق ما بين كلام وكلام من حيث الحزونة والتسهيل .. ويمكنك أن تراها في صبي آخر

هو : قيس بن زهير إذ يقول في رثائه لقتيله

حمل بن بدر الفزاري :
تعلم أن خير الناس ميت
على جسر الحياة ما يريم
ولولا ظلة ما ذلت أبكى
عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر
بني والبنى مصرعه وخيم
أظن الحلم دل على قوى
وقد يستجمل للرجل الحليم
وإذ يقول :

شفيت النفس من حمل بن بدر
ونأرى من حذيفة قد شغاني
فإن أك قد بردت بهم غليلي
فلم أطلع بهم إلا بناني
• • •

وإذا أربناك ذلك في شعر شرق الجزيرة مما على العراق وما على البحرين ، فإننا نستطيع أن نريك ذلك كفلك في شعر آخرين من وسط الجزيرة وغربها هناك حيث تسكن قبائل قيس وهيلان من موازن وتقيف وطامر ابن صمصة وكنانة ..

ولننتخب لذلك قصيدة دويد بن الصمة التي قالها تعجيدا لربيعة بن حكيم حامي الطمينة التي حاماها من فارس بعد فارس ، فهو يقول :
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
حامي الطمينة فارسا لم يمتل

أفنتني ذلك من الأدب الجاهلي ، ونذهب
تفكك في أمره لأن صحته تخالف صحة
المختارات . ذلك مذهب بعيد عن التحقيق .

ولا يتم لنا ما نريده من الاستشهاد حتى
نصوق لك أيضا بعض الشعر الذي هتف به
الفسطانيون اليانعون الذين كانت ديارهم
في الجنوب الغربي ، ونختار منهم عمرو بن
معد يكرب الويلدي والذين ارتحلوا إلى أجا
وسلى من شمال الجزيرة ونختار منهم
حاتما الطائي :

قال عمرو يتحدث من فرسه ؛ على طريقته
من الصدق والفسكاة . وهو مذهب الإدلال
والثقة بالنفس :

ولقد أجمع رجلي بها
حقد الموت وإني لفرو
ولقد أطفأها حكايرة

حين للنفس من الموت هرب
كل ما ذلك من خلق
وبكل أنا في الروح جدير
وابن صبح سادرا يوعدي
ما له في الناس ما عشت مجر
وقال حاتم :

غنيا زمانا بالتصعلك والقي
كما الدهر في أيامه العسر واليسر
كسبنا حروف النهر ليثا وغلظة
وكلا سقانا بكأسهما النهر

أردى فواوس لم يكونوا نهزة
ثم استمر كأنه لم يفعل
متللا تبدو أسرة وجهه

مثل المسام حلية كف الصيقل
يزجي ظميته ويحب رحمه
متوجها يمناه نحو المنزل
وتوى الفواوس من مهاة وجهه
مثل البناث خشن وقع الأجل
يا ليت شعري من أبوه وأمه ١٤
يا صاح من يك مثله لا يجمل

وفي ذلك يقول ربيعة :
إن كان بفمك اليقين فاقلي
عن الطمينة يوم وادي الأحرم
إذ هي لأول من أتاها نهزة

لولا طعان ربيعة بن مسكهم
إذا قال لي أدنى الفواوس منهم
خل الطمينة طائما لا تسدم
فصرى راحة الطمينة نهمه
صدا ليمل بعض ما لم يعلم
ومثلك بالرح الطويل إمامه

فهوى صريحا للدين والقيم
وليس هندي شك في أن هذا القرن أدخل
في الجزالة من شعر الحارث والمهمل ، ولكنه
بعد لم يزيل السهولة واليسر ، ولم يقارب
القرن الذي قدمه المفضل والأصمى .

فأزادنا بغيها على ذي قرابة
غنائها، ولا أؤري بأحبابنا الفقر
وقدما عصيت المازلات وسلطت
على مصطفي مالى أنا على المشر
وماضى جلا يا ابنة القوم فاعلى
بصاروني ألا يكون له سقر
بعضى من جارات قوس غفلة
وفى السمع منى عن حديثهم وقر
على أننا لا نتكر أن شيئاً من الغريب
قد يجرى فى بعض القصائد ، كما نجد فى قول
عمرو بن معد يكرب يمتدح من هزيمته
بعدم صدق قومه فى القتال :
ولما رأيت الخيل زودا كأنها
جداول دوع أرسلت فاسطرت
لجاشت إلى النفس أول مرة
فردت على مكروها فاستقرت
علام تقول الرمح يثقل طانق
إذا أنا لم أنمض إذا الخيل كرت
لى الله جرما حكا ذو شارق
وجوه كلاب هارشة قاذبات
فلم تنن جرم نهدما إذ تلاقنا
ولكن جرما فى القاء أبذعرت
طلعت كائن السرماع درية
أناقل من أبناء جرم وفرت
فأرى أن قوسى الطفتنى وماهم
نطقت ولكن الرماح أجرت
فكثير من فوائد هذه القصيدة خسر غريب
(اسطرت ، اذ باتت ، أبذعرت) ولكن ذلك
لا يبنى أن الغريب مسحة عامة فى القصيدة ..
ولا أنه لون طبعى فى شعر عمرو بن معد يكرب .
والقصيدة على كل حال ليست أن شعر كل
قارس قارس فأى من الغلاظة ، وانتهى
إلى اليسر والسجاجة .. كلا ، ولكننا نريد
أن شعر الفرسان فى الأعم الأشيع على هذا
الأصل جاء . وبروز هذه السمكيات الفرائب
فى هذه القصيدة لا يبنى أنها تميل من الفصاحة
كما قد يظن بعض مملى البلاغة ، بل إن
الكلام ساجات قد تطلب الغريب ، ولا يبنى
غناؤه اللفظ المأثور ، وقد تناول هذه
القصيدة ابن الأثير ، وأطلس بها فى بعض
المقالات .
وبعد : فالشواهد لشعر الفرسان كثيرة
تستطيع أن تجدوا فى ديوان الخناسة ، وأن
تلتقطها من أيام العرب ، وكلها على
هذا الروح الذى يخاطبه بعبارة المعاطفة الحارة ،
وساحة الفروسية السكرية ، وينبؤ عن
التجهم والرهورة .
على أنه يبنى ألا نظن أن الشعر الجمال
خلال المدخول ، فهناك شعر غريب دخل

الأدب الجاهلي ، وهناك شعر يميل إلى العمالة
دخل الشعر الجاهلي أيضاً .
فمن لا نستطيع أن نقبل من الرواة
ما نسبوه إلى المهمل في رثاء أخيه :
كليب لا خير في الدنيا ومن فيها
إن أمت خليتها فيمن يخليها
في النجاة كليباً لي فقلت لهم :
مالت بنا الأرض أو زالت رواسبها
ليك السماء على من تحتها وقت
والعفت الأرض فأنجابت من فيها
لا أصلح الله منا من يصلحكم
ما لاحظ الشعر في أعلى جاريها

فهذه بشعر الملحن ، والناشئين في الشعر ،
المقروءين به أشبه منها بشعر شاعر متدفق
سار لمعاطفة كالمهل .
وعلى الجملة ، فإن مقياس العودة والقبول
في الشعر الجاهلي مقياس عادم ، وغير هذا
المقياس أولى باعتبار العلماء .
. . .
وربما تيسر لنا تتبع أسباب السهولة
في الشعر الجاهلي في مقالات مقبلة إن شاء
الله تعالى ؟
أمل فيسر شافين

فقهاء المدينة السبعة

كان هبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علم المدينة ،
وقد ذكرهم هبيد الله في آيات رقيقة في الغزل ، وهم بعد هبيد الله هذا : أبو بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديقي ، وهرة
ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد
ابن ثابت الأنصاري ؟

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

دأستاذ محيي الدين الزواوي

(٤)

اتباع السنة ورد البدعة بأفهامها وأطرافها مع الرد على تحريف الفلاة وتأويل الجامعين وإفراط المتصيين وتفريط المبطلين . فيقول في مقدمة الكتاب : ... هذا كتاب ناطق ببيان ما دلل عليه كلمة الإخلاص والتوحيد وأهمته من رد أنواع الضلال من الشرك والبدعة والتقليد وهي التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه مرسلة أصحابها إلى دار السلام . طالما كان يحظر إلى بالبال أن أحرر في تيك الدلائل صحيفة كاملة وأجر لهذه المسائل وقيمة حافلة . ولكن يعوقني الزمان الحاضر الحاضر الفتن من البلوغ إلى هذا المرام ولا يساعدني الدهر الماشي على خلاف المراد على سلوك هذه السبل : سبل السلام .

وكنهه دائماً بالمرصاد لا تنهاز الفرص تمهيداً لهذه البنية على ما يراد إلى أن وجدته — بحمد الله وحسن توفيقه — فرصة نادرة اختطفها من أيدي آفاه الليل والنهار ، وزماناً يسيراً مرته من حركات الفلك المحدد النوار مع هجرم الأشغال وتشقت بالبال من كثرة الأسقام والاهتلال واختلاف الرجال ،

من أجل المؤلفات العربية لعلماء الهند ، كتاب « الدين الخالص » تأليف العالم الكبير السيد « محمد صديق حسن خان » المتوفى في شهر « بنواب هوبال » المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ ١٨٨٩ م . وقد جعل المؤلف الكتاب جزأين وهما « بالنصيب الأول » و « بالنصيب الثاني » ، وخصص « بالنصيب الأول » بمباحث التوحيد ، و « بالنصيب الثاني » بمباحث الاعتصام بالسنة واجتناب البدع وجاء الكتاب حافلاً بمباحث التوحيد والسنة وسماء المؤلف « الدين الخالص » (١) مقتبساً اسمه من قوله سبحانه وتعالى « آله الدين الخالص » .

وكانت الهند من أسبق البلاد في مناصرة علم التوحيد والاعتصام بالسنة والهدوء إليهما بدليل مسارعة علماءها في نشر وتأليف كتب عديدة بمختلف اللغات في هاتين النمايتين التين يقوم عليهما صرح الإسلام . ولم يدع المؤلف آية من آيات التوحيد الواردة في القرآن إلا أتى عليها بالبيان الواقي لإثبات التوحيد الخالص ، ونفى الشرك بجميع أنواعه وأصنافه ، ولكن غايته في الترغيب في

(١) طبع في مصر في أربعة أجزاء .

وقد ورد في فضلها غير هذا ، لا شتائها على أصول التوحيد ... الخ .

(ب) - دليل وجود الصانع :

مثل بعض الأعراب : ما الدليل على وجود الصانع الواحد ؟ قال : إن البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على المسير ، فيشكل على هذه العنيفة . وسر كونه سفل هذه الكثرة أما يدلان على وجود الصانع الخبير ؟ وفي القرآن من دلائل التوحيد كثير طيب وتكرير قوله تعالى : لا إله إلا هو ، فلنا كنه وقائمة تكريرها الإعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه ، وفيه حكاية المباد على تكريرها والاشتغال بها ، فإنه من اشتغل بها اشتغل بأفضل العبادات ، وبالأشتغال بها ترسخ قدم التوحيد في قلوب العباد ... الخ .

(ج) ود التثليث والتفريد :

وقال تعالى : وما من إله إلا الله ، في رد على من قال بالتثليث من النصارى ، وقال تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، وذلك أن النصارى عبدوا غير الله ، وهو المسيح ، وأشركوا به ، وهو قولهم : أب وابن وروح القدس ، فجعلوا الواحد ثلاثة ، ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله ، تبسكت لمن اعتقد بربوبية المسيح وعزير وإنارة إلى أن هؤلاء من جنس البشر وبعض منهم ، وإذراء على من قلد الرجال في دين الله فخل ما خلوه وحرم ما حرموه عليه ، فإن

جعلتها وقتاً لغير هذا المرقوم على سبيل الاحتمال وجناح الاستحسان بالتفصيل والإجمال ، فجمعت - حسب ما تمكنت - وقد ما تحصلت - آيات بينات وأحاديث شريفة وردت في إثبات التوحيد ونفي الإشراك واتباع السنة ورد البينات مع تفسيرها الذي حرره العلماء الفحول ، وشرحها الذي أذن له سلف الأمة وأئمتها بالتلقي والقبول ضاماً إليها من مقالات أهل العلم المتقدم منهم والمتأخرين ، ما وقعت عليها ، جامعا لأشتات هذه الأبواب المتفرقة في الهداوين المؤلفة إليها ، جاء - بحمد الله - أجمع ما جمع في هذا العلم

ويجد الفارسي ما اشتمل عليه هذا الكتاب من المباحث الهامة من عناوين أبرارها العامة المنقحة إلى موضوعات يحتمل عليها كل باب ، فدونك نماذج من ذلك :

(١) باب في الآيات القرآنية الدالة على توحيد الله تعالى :

١ - أعظم آية في القرآن وأفضلها : حيث قال : من أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله : أي آية من كتاب الله أعظم ؟ قال : « آية الكرسي » ، ليهتك العلم بأبا المنذر (١) ، أخرجه أحمد ومسلم (٢) . قوله : ليهتك العلم ، حيث الأمر القاطع أي ليسكن العلم حينئذ الله ، ولو رواية ليهتك العلم ، وأبو مندوكية أبي بن كعب رضي الله عنه .

المخلوقات وخارجتا عن تعظيمهما المشاهد ،
وهلك من فيهما لوجود التنازع من الآلهة
على المادة عند تعدد الحاكم من التنازع في الشيء .
وعدم الاتفاق عليه ؛ لأن كل أمر صدر عن
الاثنيين فأكثر لم يجر حل النظام . ويدل
المقل على ذلك .

قيل : هذا دليل إقناعي بحسب ما يفهمه
المخاطب وبحسب ما قرط منهم كآله الحفناوى
ولتفتسار ذاتي .

والصحيح أن الآية حجة قطعية الدلالة ،
ونقول بأنها حجة إقناعية قول منكر ...
وأضاف يقول :

وأقول : الأدلة القرآنية والحجج الفرقانية
على توحيد الله تعالى تنفي عن البراهين
الكلامية والمسائل العقلية والدلائل الفلسفية
في هذا المقصود ، وليس وراء بيان الله بيان ،
ودونه غرط القتاد .

قال الرازي : القول بوجود إلهم يفضي
إلى المحال . ثم ذكر دلائل ذلك وقال : هذه
حجة تامة في مسألة التوحيد ، والفساد لازم
على كل التقديرات التي قد روجها . وإذا وقع
على هذا عرفنا أن جميع ما في العالم العلوي
والسفل من المحدثات والمخلوقات والكائنات
فهو دليل على وحدانيته تعالى . وأما الدلائل
السمعية على التوحيد فكثيرة طيبة في القرآن
وفي الأحاديث .

من فعل ذلك فقد اتخذ من قده ربا ، ومنه :
« اتخذوا أجبازهم ورجبانهم أربابا من دون
الله » ... إلخ

(د) أرى آية لأهل التوحيد :
وقال تعالى : « إن الله لا يفرق بين شركه
ويفرق ما دون ذلك لمن يشاء » وهي أرى
آية لأهل التوحيد ، فإنه سبحانه لم يوثقهم
من المنفرة . عن حل قال : (ما في القرآن
أحب إلى من هذه الآية » ومن يشرك بالله
فقد افترى إثما عظيما . » وعن جابر قال :
جاء أحرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجدتان ؟
قال : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ،
ومن مات يشرك به دخل النار ، أخرجه
سلم ... إلخ

(هـ) جواز إطلاق الأخ على الرسل :
وقال تعالى : « وإلى عاد أعمام حمودا »
قال المفسرون : معناه أعما لكونه ابن آدم مثلهم
وبه قال الزجاج . والعرب تسمى صاحب القوم
أعمام . وفيه دلالة على جواز إطلاق لفظة
(الأخ) على الرسل والأنبياء بناء على المثلية
في البشرية والصحية ، خلافاً لمن يزعمون أن
في ذلك استخفافاً لهم وتدفعه هذه الآية .. إلخ .
(و) الآية حجة قطعية لا إقناعية .

وقال تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدنا ، أي لو كان في السموات والأرض
آلهة معبودون غير الله لبعثنا رسلاً فيهما من

كلمة التوحيد هي الفارقة بين الكفر والإسلام
الكفر مقرون بتوحيد الربوبية . الشرك
الذي تسرب إلى المسلمين في العصور الأخيرة
أغلظ من شرك الجاهلية . الاستغاثة بغيره
شرك . الشرك يحبط للأعمال .

(٥) باب في بيان درجات الصاعدين إلى
مقامات الموحدين .

(٦) باب في الآيات الواردة في ذكر
المشركين والمشركات من أم الكتاب وغيرهم .
(٧) باب في إفراد بني آدم بالتوحيد
في عالم الغد .

(٨) باب في رد الإشراك في العلم .
وهكذا أفاض المؤلف في إسهاب أبواب
التوحيد في النصب الأول من الكتاب لرفع
شأنه في الإسلام ، ولكونه الأساس الذي
تركز عليه قبول الأعمال وجعلها مقبولة
عند الله تعالى ، كما صرح به في مقدمته بقوله :
« وإن كان إخلاص التوحيد هو وجه
وقطع هلاق الشرك — كاتنه ما كانت —
لا يحتاج إلى أن ينقل فيه أقوال الرجال أو
يستدل عليه بالأدلة ؛ فإنه الأمر الذي بعث
الله لأجله رسله وأنزل فيه حكمه . ومن
شك في هذا فعليه بالتفكير في القرآن
الكريم ، فإنه سيبيحه من أعظم مقاصده
وأكبر موارده ... » .
وقد بدأ المؤلف « النصب الأول » في

(٢) باب في الأدلة الدالة على توحيد الله
أيضاً ، وأورد في هذا الباب ما يلي من المسائل :
معنى الطاغوت . أنواع التوحيد . معنى
الإله . أقسام التوحيد . معنى توحيد الربوبية
معنى توحيد العبادة . أنواع الشرك . الشرك
في الربوبية . اجتماع الشركين في العبد .
مراتب التوحيد . التقية . تهريف المشركين
تصوير حال المشركين . جواب الإشراك .
جواب التهريف . خلافة اليهود . تهريف
اليهود . الفرق بين الكافر والفاسق في كل ملة .
إطلاق الابن على الصوب . خلافة النصارى .
تهريف النصارى لمعنى (الفارقيط) أقسام
المنافقين . نفاق العمل والخلق . توحيد
الفلاسفة . توحيد الجهمية . توحيد الجبرية .
توحيد الإسماعيلية . توحيد الرسل . وغيرها
من المسائل المهمة .

(٣) باب في بيان أن من حقق التوحيد
دخل الجنة . وأورد فيه المسائل المتعلقة
بالتوكل والدعاء ووحدة الوجود وحكم
العقل .. الخ .

(٤) باب في الكلام على معنى كلمة التوحيد
والتحقق به ، ويقاوم المؤلف في هذا الباب
المسائل الآتية :

إطلاق الكفر على المعاصي . إطلاق
الشرك على الرياء . إطلاق الإله على الهوى .
فضائل كلمة التوحيد . فضائل لا إله إلا الله .

دخلته على غيرها من الأسماء والصفات .
وقد أوضح هذا المعنى أهل البيان بما لا مزيد
عليه .

الخامس : اللام الداخلة على قوله « الرحيم »
والكلام فيها كالسكلام في الرحمن .

السادس : اللام الداخلة على قوله « الخبير »
فهـ ، فإنها تفيد أن كل حدة هـ ومتصور عليه
لا يفارقه فيه غيره وفي هذا أعظم دلالة على
إخلاص توحيده .

السابع : لام الاختصاص الداخلة على
الاسم الشريف فإن مقتضى هذا أنه لا حد
لغيره أصلاً ، وما وقع منه لغيره فهو في
حكم المنع . وقد تقرر أن الحمد : هو التناء
بالسان على الجليل الاختياري لقصد التعظيم ،
فلا تناء إلا عليه ولا جميل إلا منه ولا تعظيم
إلا له . وفي هذا من أدلة إخلاص التوحيد
ما لا يقدر قدره ولا يبلغ معاه وما ليس
عليه بمزيد .

الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر
والثاني عشر : قوله « رب العالمين » فإن لفظ
الرب — باعتبار معناه القوي — مشعر
أتم إشعار بإخلاص توحيده . هذا باعتبار
معناه الإفرادى دون الإضافى ، ثم في معناه
الإضافى في دلالة أخرى ، فإن كونه « رب
العالمين » يدل على ذلك أبلغ دلالة . ثم في
لفظ « العالمين » معنى ثالث ، فإنه قد تقرر

بيان إثبات التوحيد ونفي الإشراك ، مفتتحاً
بسورة الفاتحة ، حيث استدلل بثلاثين دليلاً
من فاتحة الكتاب وحدها على إخلاص
التوحيد لله تعالى بأصوب معاص ، وبطريقة
خاصة اتبناها . وأورد هذه الأدلة كما يلي :
« فاعلم أن فاتحة الكتاب العزيز التي يكررهما
كل مسلم في كل صلاة مرات ، ويفتح بها
التالي لكتاب الله والمتمم له . فيها الإرشاد
إلى إخلاص التوحيد في ثلاثين موضعاً .

الأول : قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم »
فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدر
المتعلق متأخراً ليفيد اختصاص البداية باسم
الله تعالى لا باسم غيره . وفي هذا المعنى
ما لا يخفى من إخلاص التوحيد .

الثاني والثالث : الاسم الشريف أعني لفظ
« الله » فإن مفهومه — كما حققه علماء هذا
العان — الواجب الوجود ، المختص بجميع
المحامد ، فكان في هذا المفهوم إشارتين إلى
إخلاص التوحيد : أحدهما تفرد به بوجوب
الوجود . وثانيهما اختصاصه بجميع المحامد .
فاستغنى عن الاسم الشريف الذي أضيف
إليه لفظ « اسم » هذان الأمران .

الرابع : تحلية الرحمن باللام فإنها من
أدوات الاختصاص ، سواء كانت موصولة
كما هو شأن آية التعريف إذا دخلت على
المشتقات أو مجرد التعريف كما يكون إذا

ثم في معناه الإضافي إلى « يوم الدين » معنى ثان ؛ فإن من كان له الملك في مثل هذا اليوم الذي هو يوم الجزاء لكل العباد وفيه يجمع العالم ، أولهم وآخرهم ، ساقطهم ولا حقهم ، جنهم وإنسهم ، وملائكتهم ، فهو المستحق لإفراجه بالعبادة وفيه إشارة إلى استحقاقه إخلاص توحيد . وقد فسر الله هذا المعنى الإضافي المذكور في قاعدة الكتاب هذه في موضع آخر من كتابه العزيز ، فقال : « وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » ومن كان يفهم كلام العرب ونسكته وأسراره كفته هذه الآية من غيرها من الأدلة واندفعه فيه كل شبهة .

السابع عشر : ما يستفاد من نص لفظ « الدين » من غير نظر إلى كونه مضافا إليه .

الثامن عشر : ما يستفاد من تعريفه ، فإن في ذلك زيادة إحاطة وشمول ، فإن ذلك الملك إذا كان في يوم هو « يوم الدين » الذي يهتمل على كل دين ، كان من له هذا الملك حقيقا بأن يخلص العباد توحيد . ويفردونه بالعبادة ، كما تفرد بملك يوم له هذا الشأن .

فإن قلنا : هذان المعنيان السكاتان في لفظ « الدين » باعتبار أصله وباعتبار تعريفه أخذا في معنى الإضافي حسب ما ذكرته سابقا .

ثمة وشرها — أن العالم هو اسم لمن عدا الله من جبل وصواء ، فيه خل في هذا كل شيء غير الله سبحانه ، فلا رب غيره ، وكل من عداه فهو مرئوب . ثم في تعريفه باللام معنى رابع بمثل ما قدمنا ؛ فإنها تفيد زيادة الإخلاص ، وتقرر ذلك المفهوم في هذا الموضع . ثم في صيغة الجمع معنى خامس بزيادة تأكيد وتقرير ، فإن العالم إن كان اسما لمن عدا الله لم يكن جمعا إلا لمثل هذا المعنى ، وعلى فرض انهاده باللام فهو لا يقتضي ذهاب هذا المعنى المستفاد من أصل الجمع .

الثالث عشر والأربع عشر : قوله « الرحمن الرحيم » وتقرير الكلام فيهما كما سلف .

الخامس عشر والسادس عشر : قوله « مالك يوم الدين » ، فإن لفظ « مالك » ومعناه الإفرادى — من غير نظر إلى معناه الإضافي — يفيد استحقاقه بإخلاص توحيد ، ويفيد أنه لا ملك لغيره ، فلا ينفذ إلا نصرته لا تصرف أحد من خلقه ، من غير فرق بين نبي مرسل وملك مقرب وعبد صالح .

وهكذا معنى كونه « ملك » على القراءة الأخرى وهما السبعيتان ؛ فإنه يفيد أن الأمر أمره ، والحكم حكمه ليس لغيره معه أمر ولا حكم ، كما أنه ليس لغير ملوك الأرض معهم . أمر ولا حكم ، وفيه المثل الأعلى ،

إليه الثالثة ، ما تفيد النون مع ملاحظة
الأسرين المدحكودين ، ولا تراحم بين
المقتضيات .

الثاني والعشرون والثالث والعشرون
والرابع والعشرون : قوله : « وإياك نستعين »
فإن تقديم الضمير هاهنا معمولاً لهذا الفعل له
معنى وهو يقتضى أنه لا يشاركه غيره في
الاستعانة به في الأمور التي لا يقدر عليه
غيره ، ثم مادة هذا الفعل لها معنى آخر ،
فإن من كان لا يستعان بغيره لا ينبغي أن
يكون له شريك ، بل يجب إفراده بالعبادة
وإخلاص توحيده ، إذ وجود من لا يستعان
به كمدحه . وتقرير الكلام في الثلاث
الهلالات كتفسيره في « إياك نعبد »
فلا نعبد . وصيغ المحصر — إذا تعبدنا ؟
من كتب المعاني والبيان والتفسير
والأصول — بلغت ثلاث عشرة صيغة
قصاعداً ، ومن شك في هذا فليقتبع كشف
الوعشري فإنه سيجد فيه ما ليس له ذكر
في كتب المعاني والبيان كالقلب فإنه جمعه
من مقتضيات المحصر ، ولعله ذكر ذلك عند
تفسيره لطافوت وغير ذلك بما لا يقتضى
القيام بسطه ... »

في المدين الأثراني

قلت : لا تراحم بين المقتضيات ، ولا
يستكر النظر إلى الشيء باعتبار معناه
الإفرادى تارة وباعتبار معناه الإضافى
أخرى . وليس ذلك بمجموع ولا مجزوء عند
من يعرف العلم الذى يستفاد منه دقائق
الحرية وأسرارها ، وم أمل علم المعاني
والبيان .

التاسع عشر والعشرون والحادى
والعشرون : قوله : « إياك نعبد » فإن تقديم
الضمير معمولاً للفعل الذى بعده قد صرح
أئمة المعاني والبيان ، وأئمة التفسير أنه يفيد
اختصاص العبادة به سبحانه وتعالى ،
ولا يشارك فيها غيره ولا يستحقها . ومن
اختص بالعبادة فهو الحقيق بإخلاص توحيده
وفه يقرر أن الاستغاة والنداء والتسليم
والادب والتعرب من أنواع العبادة ، ثم مادة
هذا الفعل — أعني لفظ « نعبد » — تفيد
معنى آخر ، ثم المعنى بنون الجماعة لسكون
هذا الكلام صادراً عن كل من تقوم به
العبادة من العابدین كذلك ، فكانت الهلالات
في هذه الجملة ثلاثة : الأولى ، في « إياك » مع
النظر إلى الفعل الواقع بعده . الثانية ،
ما تفيد مادة « نعبد » مع ملاحظة كونها
وافسة من ذلك الضمير عبادة عنه ، وإشارة

دُرُوسٌ مِّنْ فَرِيضَةِ الْحَجِّ

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

ولأنَّ المسلمين توجيهات كثيرة في تفسير هذه الاستطاعة ترغيباً في أن يحاول كل مسلم أن يجيء لنفسه الظروف التي تمكنه من أداء هذه الفريضة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فإن نفدت طاقاته دون الاستطاعة فإن رحمة الله واسعة ، ومن كان في سعة من المال وعجز لمرض أقمده ، اقتضت رحمة الله أن يقبل حجه بالإئابة . أما من أخر أداء هذه الفريضة مع قدرته عليها ثم مات فهو آثم ، وبقي عليه الحج في تركته ، لينيب ورثته من يقوم به من ماله ولو لم يوص بذلك ، وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (لقد هممت أن أكتب في الأمصار بضرب الجزية حل من لم يحج وهو يستطيع إليه سبيلاً) (١) .

أما ثاني الأمرين من مظاهر التيسير : فهو أن هذه الفريضة تلزم المسلم مرة واحدة في العمر حل ما قد يكون فيه عن سعة ويسر ، ذلك لأن الله تعالى يريد من عباده أن يظهرُوا الخشوع والامتثال لأوامره لا أن يعق عليهم ، وهو سبحانه وتعالى يعلم أن في هذه

إن المتأمل في أسرار هذه الفريضة يجد أن وراءها كثيراً من الدروس القيمة التي تنفع الناس في حياتهم ، وترسم لهم طريق النجاة يوم يعرضون على ربهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وإن أول درس بطالنا في هذه الفريضة هو : التيسير ، وأعظم به من درس يحل كثيراً من مشكلات الحياة وعقدها ، وقد دمانا إليه كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، فشاير الرسول عليه الصلاة والسلام بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً . . .

وأم مظاهر التيسير في هذه الفريضة تتمثل في أمرين :

أولها : أن أداءها لا يكون إلا بالقدره عليها ، فقد يعيش المسلم ما يعيش دون أن يؤديها ثم يموت غير آثم ، ولا تارك لأحد أركان الإسلام لأنه لم يترك أداء هذه الفريضة متمسداً ولا متهاوناً ولا منكراً ؛ بل إنه عجز عن القيام بها لسبب من تكليفها فاقضت رحمة الله ألا يكون هذا من المذنبين ما دام غير مستطيع .

(١) إحياء العلوم لفرانج ١ ص ٢٧٠ طبعة المحلى سنة ١٤٢٩ . . .

ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فلا تتبعوه).^(١)
وهكذا رسم الرسول الكريم سبيل قتيبه
واضحة وقد نزلت آية المائدة تؤيد الرسول
الكريم: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء إن تبد لكم تسؤم» وإن تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله
غفور حلیم. قد صالها قوم من قبلكم ثم
أصبحوا بها كافرين» (٢).

وهكذا كانت الدعوة إلى تهجير الأمور
والبعد عن تمقيد الحياة، درسا من الدروس
التي تستفاد من فريضة الحج.

ومن الدروس التي تعلمها من فريضة الحج:
هذه التجارب العملية تهذيب النفس والسور
بالروح، وتطهير القلب.

بالأحرام ينتقل الإنسان إلى نظام في حياته
غير مألوف في سائر الأيام، إذ يجد نفسه
في ثياب لا تدله على أبهة، ولا تحتاج إلى تزيين
أو تجميل أو أي مظهر من مظاهر التجميل.
بل إن الاهتمام بالتجميل ينتقل من الظاهر
إلى الباطن فيحضر الإنسان أنه بحاجة إلى
تنقية نفسه أشد من حاجته إلى نظافة ثيابه
المألوفة وتزيينها، وهذا يبعث في النفس

الآلوف أثر لفة من المسلمين الذين تحب عليهم
هذه الفريضة كل عام في مشارق الأرض
ومغازبها، ما يكنى لبث الحياة في مناطق
الحجاز حول الحرم ويعود على أهلها بالخير
العميم، ثم إن القيام بهذه الرحلة الروحية يعوق
ولفة، وما يصحبها من تغيير في نظام الحياة
المألوف فترة من الزمن ومشاهدة تلك البقاع
الطاهرة وأداء مناسك الحج وما يصحبها
من خضوع. كل ذلك كفيل بأن يترك
في النفس من الآثار والصور ما يجعلها تتذكره
دائما، وقد يكنى الإنسان القيام به مرة في
العمر، ومع ذلك فما أكثر من يماورن
الكرة بعد الكرة كلما استطاعوا إلى
ذلك سبيلا مطوعين راغبين في الاستزادة
من تلك المنح الروحية، والاستفادة بها في
ذلك من دروس.

وقد روى أن أحد الصحابة سأل رسول
الله صلى عليه وسلم: «الحج علينا كل عام؟»
فأعرض عنه الرسول الكريم حتى كرر السائل
ثلاثا، فقال له صلى الله عليه وسلم: (ويحك
ما يؤمنك أن أقول نعم، والله لو قلت: نعم
لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم
لكفرتم، فتركوني ما تركتكم، فإنما ملك
من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٦٧ طبعه
المكتبة التجارية ١٣٥٤.

(٢) سورة المائدة: ١-١٠٢.

النسوة عند صلاة الجماعة في صفوف خلف الرجال ولم يخصص وقت الرجال ووقت النساء أو مكان دون مكان مع ما هو معلوم من شدة الزحام في الحج ؟

والجواب : أن الصلاة تتكرر في كل يوم وليلة خمس مرات أما الحج فمرة واحدة في العمر ، وأن اكتاف المصلين في الصفوف يلبني أن تكون متلاصقة وهذا أمر لا يمكن الاحتراز منه ، وهو لذلك مدعاة إلى إثارة الشعور الجنسي إذا أبيع الاختلاط في الصف الواحد ، أما في الطواف فإن الاحتراز يمكنه وأول إمكانياته هو خلوص النية وعزم الحج على ألا يحاول الالتصاق أو النظر بشهوة وهو يرى نساء من جنسيات مختلفة ، وقد يكون فيهن من هي أكثر جمالا وفتنة وأشد جاذبية من نساء وطنه ، إن شعور المرء في هذا المقام بأن شيئا من الملاصقة أو النظر الخارج قد يقسه عليه حبه ويخرجه من سعادته الروحية التي يعنفها عليه ذلك المقام الكريم وهو متعرد إلى الله ، يحدو الآخرة ويرجو رحمة ربه ، إن القصور بذلك بعيد المرء إلى صوابه ، ويجعله ينفر مزلة حاجلة إلى سعادة آجلة وهذا هو المقصود من بقاء الاختلاط هنا فيتعرد الإنسان في حياته العادية أن يكبح جماح نفسه ويتجنب الاستمتاع بما ليس من حقه فيحفظ إن هو اضطر إلى الوجود في مزدحم .

معاني بعيدة الأثر إلى قيمة زخارف الدنيا ، وأن الإنسان إذا تجرد منها لا يشعر بنقص في إنسانيته ، بل إنه يحس بقيمته كإنسان مهذب . وفترة الإحرام أيام الحج تقيد الإنسان بقيود تكبح جماح النفس فلا تستطيع أن تستمتع بما هو مباح كالنطيب أو التزين أو مقاربة زوجته . . أو الهوى بالصيد . . وإذا كان الإنسان يشعر بقيود وهو قائم يصل فلا يكلم غيره ولا يتلفس . . شعوره بقيد الإحرام أيام الحج عند الوقوف بعرفة والطواف ومنى . . قد يكون أشد وقفا على نفسه من شعوره بقيد الصلاة . وهذا يدعو إلى تعويد النفس الصبر وامتنال أوامر الله تعالى .

وفي اختلاط الجنسين أثناء القيام بهذه الفريضة ما يعتبر من أروع الدروس في المجتمعات العامة ، وضبط النفس وكبح جماح الشهوات ، ذلك أن الحجاج يختلطون رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ، في مزدحمات دونها كل المزدحمات : في الطواف حول الكعبة ، وفي منى ، وفي عرفات . والمبرة هنا أن كلا من الرجال والنساء يكون في أشد الحذر من تلاصق الأجساد ، ولا سيما عند الطواف حول الكعبة حيث تتجمع الألوف المؤلفة في مدار محدود ، ويسمى كل لأن يكون قريبا من بقية الكعبة ليستطيع لمس الحجر الأسود . . ولسائل أن يسأل : لم جعل ترتيب

الأراضي وتحديد الأماكن ، كذلك اقتضت إرادة الله تفضيل بعض الأماكن على بعض فينبغي أن نلزم حدود الله رب العالمين .

ومن الدروس التي تعلمها من فريضة الحج : التمارن ، نعم ، فإن كل حاج يشعر في تلك الأماكن بأنه أخ لغيره ، فإذا ما احتاج لمعونة فإن أعاءه مرعان ما يلبي فداءه ، وما أكثر ما يساعد في موسم الحج من ظاهرة المساعدات والممارقات التي تبدو بين الحجاج فما أن يحس أحدهم بمرض الآخر أو فقدان زاده أو حجرة على أية صورة حتى يسارع إلى معونته إن استطاع ودعوة من يكون أكثر مقدرة على رفع الأذى إن هو حजर .

ومن تلك الدروس إظهار قوة المسلمين بطريقة عملية ؛ فموسم الحج يشهد أنه في الإمكان تجميع المسلمين في صعيد واحد إذا حوهم أمر أو دهمهم عدو .

ولو تدبر المسلمون ما في هذه الفريضة من دروس وما تروى إليه من حكم بالغة وإرشادات سامية لحرسوا عليها ، وسارعوا إلى أدائها ، واعتبروها من نعم الله الكبرى عليهم . والله ذو الفضل العظيم .

الهم بصرتنا ، ووفقنا ، واقضنا بما نعلم ، واحدنا إلى صراطك المستقيم .

الدكتور

سحر المرحوم الجبزاوي

وفي توقيت الوقوف بمرقة من بعد زوال اليوم التاسع إلى قبيل فجر اليوم العاشر من ذي الحجة درس في احترام الوقت ، وتقدير قيمته ، والمحافظة عليه ، فقد يقيم الحاج شهراً أو سنة بالمحار ثم ينبغي هذه اللحظة في تلك الفترة المحددة فلا يقفها بمرقات ؛ فإنه لا يتم حجه ويضيع ما قضاه من وقت طويل . وما أخرجنا في حياتنا العادية إلى مثل هذا الدرس والمحافظة على الأوقات ، ولا سيما عندما يكون أحد مستأجراً على عمل في وقت محدود كوقت الموظف ، فإنه ليس من حق هذا الأجير أن يقضي لحظة من وقته في غير ما يهود على المؤجر بالمنفعة ، وما أخرج أولئك الذين يعيشون بأوقات وظائفهم فيقضون بعضها في العبادة إلى الأصدقاء . أو قراءة الصحف . . . ما أخرج هؤلاء إلى الانتفاع بمثل هذا الدرس الذي يتكرر في تحديد أوقات الصلاة وأوقات الصوم . فليكننا نعتبر

كذلك في تحديد منطقة مرقات ، إن هذا درساً في احترام الأماكن فلأن الحاج وقف خارج المنطقة المحددة في الزمن المحدد فإنه ذلك لا يجزيه ؛ بل يعتبر غاوكة لأحسد الركنين الأساسيين للحج مهما كان قريباً أو غائياً لمنطقة الوقوف .

نعم هنا درس قيم ، فكثيراً ما تحدث منازعات في حياتنا العادية بسبب تعطيل

نائلة امرأة عثمان للأستاذ محمد الأحمد أبو النور

وقد كانت هي وأبوها مسيحين بينما كان
أخوها ضيقاً، قد شرح الله صدره للإسلام،
فلم يقطع ذلك بينهم رحماً، ولم يمنع لهم ودّاً،
وإنما جرحه مياه الحياة بين ثلاثهم راتقة صافية
وسرت رياح التعاطف بينهم رحية وادعة.

لحين خطبها عثمان إثر غاطبة بينه وبين سميد
ابن العاص اغتبط أبوها وأسر ابنه، ضياءً،
أن يتولى عقد نكاحها قائلاً: أنت هل ديت،
ولم يكتف بذلك بل أوصى نائلة، بما يجبها
إلى بعلها ويحصلها مكينة عنده أثيرة لديه
حتى كانت بعد أحلى نساء وأحبهن إليه.

ويروي أبو الفرج الأصفهاني في ذلك أن
سميد بن العاص تزوج—وهو على الكوفة—
هند بنت الفرائصة بن الأحوص بن عمر بن
نعلبة فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه: «أما بعد:
فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب
فاكتب لي بنفسها وجعلها». فكتب إليه:

أما بعد: «فإن نسبها أنها بنت الفرائصة
ابن الأحوص، وجعلها أنها يعضاء مديدة».

ما أكثر من عاشوا فوق هذا الكوكب
عند ملايين السنين ثم مضوا دون أن ينفيدوا
الحياة بشيء، أو يتركوا حتى مجرد ذكرى..
وإذا تقبعت بين جنات التاريخ فلن ترى
لهم أثراً، ولن تسمع لهم ذكراً..

ذلك أن التاريخ لا يبنى إلا بذوى القيم
والمبادئ الذين عاشوا لها وبها وكلموا
ونالوا من أجلها، أو أولى المناقب والسجايا
الذين مثّلوا بسلوكهم الزائد، وإلهاميتهم
البناء، ونفاطهم الخلاق مع الأحداث
والزمن ومع المجتمع والحياة.

من هؤلاء: نائلة امرأة عثمان بن عفان
رضي الله عنها التي وهي لها التاريخ كفاحاً
بامراً، ووفاء نادراً، وبطولة فائقة.

نشأت نائلة، هذه في كتف أسرة عربية
عريقة، تؤمن بحرية الاعتقاد وبإمكانية
التعاطف والتواد بين أبناء الملل المختلفة،
في ظل البيت الواحد وتحت سقف الأسرة
الواحدة.

ربها ، وقد أمسى الإسلام أحرأمانيا فأسلت
على يديه عقب قدمها .

وقد روى البيهقي في سننه أن عثمان بن عفان
رضي الله عنه فكح ابنة الفرافصة (١)
وهي نصرانية - على فساته - ثم أسلمت حين
قدمت عليه .

ودروى كذلك أن عثمان بن عفان تزوجها
وهي نصرانية (أي) ملك عقدة نكاحها وهي
على دينها حتى حقت حين قدمت عليه (٢)
وذكر الطبري في تاريخه أن ذلك كان عام
٢٨ هـ وأنها تحنث قبل أن يدخل بها . (٣)
وألمأ كان فلا ريب أنه قد أتبع لها
في بيت الخلافة أن تعلم عن الإسلام ما لم تكن

فكسب إليه : إن كان لها أخت فزوجها . .
فزوجها إياه . وكان - حسب - مسلماً وكان
الفرافصة نصرانيا ، فلما أرادوا حملها إليه
قال لها أبوها : يا بنية : إنك تقدمين على نساء
من نساء قريش من أقدم على الطيب منك
فاحفظي عنى خصلتين فتكلى وتطبي بالماء حتى
يكون ويحك ريح شئ أصابه مطر (٤) .

وتبادت مع أخيها إلى عثمان - رضي الله
عنه ، ولعلها تعلمت الكثير من الإسلام من
قبل إذ كان أخوها ولا شك - يمارس شعائر
دينه على مرأى منها وسمعه .

ولعلها لم تردد في أن تسأله عن الكثير مما
جال بخاطرهما من الشرائع والأديان وترأى
لها أن تقف على وجه الحق واليتمه فيه .

ولعلها بعد هذا وذاك قد وضعت أمامها
الرؤية وبان لها من الإسلام ما يقنع الطفل ،
ويهدى الفكر ، ويهذب الوجدان ويوائم
الفطرة ويصلح شأن الفرد والجماعة ، صفة
الله ومن أحسن من الله صفة ، فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

فما حتمت أن شرح الله صدرها للإسلام
وكأنما كانت تتهدى إلى عثمان على نور من

(١) الفرافصة من أسماء الأسد وبه سمى
الرجل لشجاعته . قال الضر بن شميل :
الفرافصة بالضم الصغير من الرجال ، ودجل
فراخس وفرافصة شديداً ضخم شعاع . والفرافصة :
هو أبو نائلة صاحبة الترجمة واسمه في ضبطه
يمتاز بهذين الأولي أنه ليس في العرب من
تسمى بالفرافصة بالالف واللام غيره ، والثانية
أن كل ما في العرب فرافصة بعظم الفاء ما عداه
فإنه يفتحها لاغير هذا وقد كان بنو الفرافصة
بنو قومهم وساداتهم . انظر لسان العرب
٢٣٣/٨ وجمهرة أنساب العرب ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٢) السفن الكبرى ١٧٢/٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٥٤ .

(٤) الأغاني ١٥ / ٧٠ نسب قريش ص ١٠٥ .

والشئ : قرية الماء .

للجبلية التي امتلأت بها الدار خرجت فغير الناس وتشتيت بهم قفر الفتنة ودخل الحسن والحسين وغيرهما فوجدوه مذبحاً (١) ثم دفن - رحمه الله - وانتحبت عليه ثانة ، وأخذت تقول :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة
قبيل التيجي (٢) الذي جاء من مصر
وما لي لا أبكي وتبكي قـرابتي
وقد ذهبت عنا فضول أبي عمرو (٣)
ولم يترك ما بين ثانة وبين عثمان باستشهاده ،
بل لعله بدأ أكثر دوعة وإشراقاً وتألقاً .

لقد خرجت منتلبة إلى المسجد النبوي - وهو مجلس الأمة و - برلمان ، المسلمين يومئذ - لجمعت جمهورهم وخطبتهم خطبة بليغة ترقى فيها عثمان وتنتحيت فيها المروءات على الانتصار له ولضرب على أيدي القتل المارقين الذين حاربوا الله ورسوله وخرجوا على خليفته وعاثوا في الأرض فساداً ، ثم بعثت بقبض عثمان وبأصابعها المخترطة وبكتاب يتضمن ما خطبت به المسلمين إلى

تعل ، وأن تحفظ من القرآن ما لم تكن تحفظ وأن تسمع من السنة ما لم تكن تسمع حتى اجتمع لها من ذلك كله ما قتل فكرها وقوم لسانها وجعل منها مثلاً حياً ورائعاً في البطولة النجيدة والرأى النضيج ، والوفاء العزيز .

وقد ذكر الزركلي في (الأعلام) أنها كانت خطيبة شاعرة من ذوات الرأى والشجاعة وأنها حين ابتدأت شرارة الثورة واندلعت ألسنة الفتنة على عثمان رضى الله عنه أشارت عليه بالصلح مع علي بن أبي طالب وكان قد جاء وحذره ، وأن عثمان عمل بمشورتها فأرسل إليه بدعوة ، غير أنه قال : قد أعلمت أنى لست بمعاذ . (١)

وتسور القتل الدار ، ووثبوا على عثمان فحضره أحدم بالسيف فأكفها الروح ، ولا استول عليها الجرح ، ولا ساورها حديث الحرب ، ولكنها تحولت طاقسة بطولة وشهامة ، فألقت نفسها على عثمان فداه له ، بل فداه للأمة كلها وهي تستعصر أن هلاك هلاك الأمة .. كما أن هلاك الرأس هلاك الجسد ، ثم صاحت بخادمها (رباج) فقتل الرجل وهيم آخر فوضع ذباب السيف في بطن عثمان فأمسكت ثانة بالسيف فخر أصابعها وقتل عثمان وصرخت فلم يسمع صراخها

(١) تاريخ الإسلام الذهبي ١٣٨/٢ .
(٢) نسبة إلى قبيلة عربية نزلت بمصر وكانت محالها بالفسطاط .

(٣) الأغاني ١٥/٧١ ونسب قريش ص ١٠٥

(١) الأعلام ٨/ ٣٠٣ : ٣٠٤

معاوية بالعام مع النعمان بن بشير رضي الله
عنها (١) .

ودخل كتابها وخطبتها على مدى ما امتازت
به من قوة في المحفة، وبلاغة في القول، وجرأة
في التعبير، وروعة في الاكتباس، وعظمة في
الوقاء، لبعثها الذي أسلم روحه بين يديها بعد
إذ هدأها الله، وأسدت هي حل يديه من ذي
قبل !! .

ثم لم يقف الأمر بوقاتها النادر من هذا
المستوى؛ بل تعداه إلى ما هو أروع وأسمى،
لقد كانت تدرك أنها مطمح أنظار الرجال
بعد عثمان لما حباهما الله به من جمال وفتنة
فضلا عما لها من نسب وجاء فعمدت إلى أبرز
مواطن الإغراء فيها وكانت كما ذكر الذهبي
ملبحة الثغر فأزال ثيابها بحجر وهي تقول :
والله لا يجتليكن أحد بعد عثمان (٢) ، فلما
هدأت النائرة وسكنت الفتنة وخرجت إلى
الشام خطبها معاوية وهو يومئذ من هوا
وهي من ذكرنا في مبة الصبا وشرح القباب .
وخطبة رجل كمعاوية لها بريق يكاد سناه
يحتظف الأعمار .

يبد أن نائلة كما تجسدت من قبل فداء
تجسدت الآن ولاء فأبى وبشت إلى معاوية
بثبثها قائلة : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى
الثوب وأخاف أن يبلى حرق على عثمان
فيطلع مني رجل على ما اطلع عليه عثمان (٣) .
وقد ذكر ابن حبيب ذلك تحت عنوان :
والأفياض لأزواجهم الرواق لم يتزوجن
بعدهم ، وأن معاوية ألح عليها فقلعت ثبثها
وبشت بها إليه فأملك منها (٤) .

رحم الله نائلة امرأة عثمان وما أودعها
يوم تهادت إليه فهدأها الله للإيمان على يديه !
وما أغشها يوم وقفت بجانبه في عتته نعمة
برأيها وتفسيده بروحها وتفاعل مع
الأحداث فتخطب خطبتها وتكتب كتابها !
وما أنبل وفاءها يوم أبى خطبة معاوية
فرفضت بين الناس من فدوها وأرضت بذلك
زوجها ، وفرضت على القوايح وجودها ثم
عاشت في ضمير الوجود رمزاً لكفاح
والبطولة والوقاء ، وكانت من الخالدين ؟

محمد عبد الحميد أبو النور

معيد بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

- (١) أظفر الخطبة في ملاقات النساء ص ٧٠
والكتاب في الأغاني في الموطن السابق .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ١٤٨ .
(٣) (١) الأعلام للزركلي ٨ / ٣٠٤ .
(٤) (٢) المحبر ص ٢٩٤ .

الحشيش قديماً وحديثاً

للأستاذ عليّ الجندى

آراء العلماء فيه :

ضرر الحشيش :

لقد أفاض الأطباء في بيان ضرر الحشيش على متعاطيه ، وبقى أن نعرف أن المهرام القدامى لم يسكتوا عن هذا (الكيف) الملعون، فهذا القاضي عبي الدين بن عبد الظاهر أحد رؤساء دواوين الإنقاذ في دولة المماليك البحرية ، يصور لنا فعله بصاحبه ، ونفوة في جسمه تظن الحرياء ، وأنه بلاه بعض ، يسلب المبتلى به — واليهاذ بالله — طاقته ورشده وصوابه !! يقول :

ما للحبيبة فضل عند آكلها
لكنه غير مصروف إلى رشده
صفراء في وجهه ، خضراء في فيه
حمراء في عينه ، سوداء في جسده
وفي تصوير ضحايا المساكين ، وقد همدت أجسامهم ، وغدوت أعصابهم ، وسكرت أبصارهم ، فلام أبقاظ ولاهم قيام ، يقول ابن أبي حجلة المغربي — مضمناً شعراً للثعني — :

وقوم بالحشيشة ذاب منهم
فؤاد ما تسليه المدام ،
أرواب غير أنهم ملوك
مفتحة عيونهم نيام .

لم يتقبل من الإمام أبي حنيفة وأصحابه رأي فيه ، لأن أكله لم يظهر في زمانهم بل كان مستوراً بتعاطاه الناس في السر ، وظل سكوت السلف عنه إلى زمان المزي تلميذ الإمام الشافعي . وكان أكله قد شاع وشره قد ذاع ، وتنافس الناس في تناوله ، فأفق المزي بحرمته على مذهب الشافعي ، وكان المزي — إذ ذاك في بغداد ، وكان أول ظهور الحشيش في عراق العرب .

وحين بلغت فتيا المزي ، أسد بن عمرو من تلاميذ أبي حنيفة — وكان في عراق المدمج — لم يتابعه على التحريم . ولكن حينما رأى علماء ما وراء النهر أن بليته قد حمت الناس ، ومضرته شملت البقاع ، حتى ظهرت السفاهة على الحكماء ، وغلطت البلادة على العقلاء ، واضروا بأجمعهم على ما أفق به الإمام المزي من حرمة أكله ، وإحراقه ، وتأديب بائنيه ، والتشديد على آكله ، بل أفق جماعة من العلماء بوقوع طلاق السكران من الحشيش أسوة بالسكران من الخمر زجراً له ، كما أفتوا بأن من يقول بأن أكله حلال ؛ فهو زنديق مبتدع فاسق عترة !!

ضرد الحشيش بالنساء أكبر ١١ .

وتكون المصيبة أعم ، والبلية أدهى وأمر
حينما يكون سيمر الحشيش من الجنس الناعم
اللطيف ١١ فهناك يطير الحياء - وهو وكلمة
العفة ، وقيد الصيانة ، وعقال الطهارة -
وإنك لتجد مصداق ذلك في هذا الحوار
الرشيق بين الشيخ صلاح الدين الصفدى ،
وبين إحدى الشاعرات الملاحات المشاشات ١١
قال هذا الله وهما ١١ .

مليحة مصطوة

إن لنا فيا جرى
تقول : كل ظبية

ترعى الحشيش الأخضر ،
أرايت كيف ألهمها شيطان الحشيش :
أن تحسن الجدول من نفسها ، وأن تقاوط
في الحقيقة إلى أبعد القايات ، وأن تلقى
في وجوهنا هذه الحجة الناصية في ظاهرها
وكل ظبية ترعى الحشيش الأخضر ، حتى
لتكاد تخدع عقولنا بعقلها المخدر ، فلعل
لها دليلها وتقبل عذرها ١١ .

وقد كان أستاذنا الفسردق يفيض
الشاعرات لسبب لا أعرفه ، وكأنه يقول
إذا صاحبت الهجاجة صباح الديك فاذبحوها ١١
يعنى إذا قالت الشعر .

فما العن إذا كانت هذه الهجاجة من يخنر
عقله في لهانة ، أو يخرقه في جردة ،
أو يخرقه في قبحان .

الحشيش أنكى من الخمر ١١

وقد كنت أظن - كما يظن هميرى - أن
الخمر أشد قسقا من الحشيش ، حتى سميت
ابن الصانع المصرى يقول :
عاطيت من أهوى وقد دارنى
كالبدر وان ليلى البدر
والنبل قد مد على متته
شعاعه جسرا من التبر
و خضراء كافرورية ونصب

أعطائه من شدة السكر

يفعل منها دوما فوق ما

تفعل أوطال من الخمر

فراح فتوان بها غافلا

لا يعرف الخلو من المر

بالطيف ، أطف ١١ بسلام : مسلم ١١

أسمت : لا يعرف شاربها الخلو من المر ١١

وتستطيع أنه أن تقوله - دون أن يفتضب

الحليل ابن أحد : لا يعرف التمر من الجوز ١١

لا يعرف الدر من البحر ١١ لا يعرف الخمر

من الشر ١١ فقلت من شعر هذا الشاعر

الحشاش المجرى : أنه لا شئ أقتل للمقل ،

ولا أقتل بالمشقة ، ولا أذهب بالتصون ،

ولا أدهى الفجور من الحشيش ١١ .

الخمر بدل الحشيش :

وأذكر بهذه المناجبة : أنه كان هندسا

في زمن الاحتلال ، المقيت رجل إنجليزي

«غرداء الحديث ١١» وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

رب ليسل قطمته ونديمي

شاهدي وهو مصمى وسخري
يجلس مسجد وشرقي من خضراء

ترضى حسنا بلون نصير
قال لي صاحبي وقد قاح منها
نشرها مزديا بنشر العبير
أمن المسك قطع ليس من المسك

ولكنها من الكافور
مأمر السلطان يا طال الحديث أيضا :

وقد كتب في ذلك رئيس الديوان القاضي
عبي الدين بن عبد الظاهر يقول ... وإبلاهة
التي كانت ترضع ندى الكاس قد ارتعت بعد
ما فطمت ، وإن كلة الشيطان بالتعويض عنها
قد نصرت ، وأنها لما أخرج المنع عنها ماءها
من الخمر ، أخرج لها من الحديث مرعاها
بالأمر ، وأنها استراحت من الخمار واستغنت
بما تشتريه بدراهم عما كانت تبتاعه من الخمر
بدينار ، وإن ذلك فشا في كثير من الناس ،

فعرف في عيونهم ما يعرف من الاحرار
في الكاس ، وصاروا كأنهم خشب مستدة
سكري ، وإذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم
رجلا ويؤخرون أخرى . ونحن نأمر أن
تجنت أصولها وتقطع ، ويؤدب غارسها حتى

يوجه أحر وطربوش أحر يدعى «رسل بشاء»
يفعل حكمة إدارة العاصمة : أي القاهرة حاضرة
الإسلام الكبرى وعاصمة العرب ، وهرس
إفريقية وزينة الشرق الأوسط ١١

كان هذا الإنجليزي يذهب إلى نشر الخمر
بين الخشاشين ، حتى يستبدلوا بالزمردة
الخضراء ، الحقيقة الخراء ١١ على نهج من
يقول : « بعض الشر أعون من بعض » وربما
كان الرجل غلصا في دعوته ، فالحكيم يقول
في الشر خيار ، والشاعر يقول :

والصكر كركب النجس يسقى الأرض أحيانا
ولكنني كنت لا أرى هذا دراء فاجعا
ملا بالحديث الشريف الذي أخذ به الإمام
مالك بن أنس ، ما جعل الله شفاء أمتي فيما
حرم عليها .

وكنف من جهة أخرى أغشى أن يكون
مريدا من وراء ذلك ترويج « الويسكي
الإنجليزي » والله أعلم بالنيات .

الحديث بدل الخمر :

وفي العهد المملوكي الأول حرمت الحكومة
شرب الخمر ، فإذا يفل المدمنون ؟ لجنتوا
مع الأسف - إلى نكت الغاب ، عوضا عن
بفت الأكراب فكانوا كالمتجبر من الرمثاء
بالنار ، وقد اتخذ بعضهم من المساجد

والخشيش انتفاها ذريعا ، وبخاصة بين الجنود الذين هم حصن الدولة وسياج البلاد ، وحماة البيعة ، وذادة العدو ، فأصدر السلطان الظاهر بيمرس ، مرسوما بإحراق الخشيش وإراقة الخمر في مصر والشام - أعاد الله وحدتهما - ولم يقف عند ذلك فأمر بصلب من يتعاطاها أو توسيطه بالسيف - قطعه نصفين - فقتل على هذين المنكرين قضاء مبرما ، وإن الله يبرح بالسلطان ، ما لا يرجع بالقرآن ، كما قال الخليفة عثمان بن عفان .

كيف سجل العصر هذا الحادث الخطير ؟

وقد انقسم الشعراء لإزاء هذا الحادث قسمين كما ينتظر منهم

فسم أشاد بهذا العمل الصالح من السلطان الصالح ، ورجاه منه القصب الخمر الكثير . من هؤلاء قاضي الإسكندرية ابن المنير الذي يقول :

ليس لإبليس عندنا طمع
غده بلاد الأمير مأواه

تحميه الخمر والخشيش معا
أضده ماء ومرماه
وناصر الدين بن النقيب الذي يقول :

منع الظاهر ، الخشيش مع الخمر
فولى إبليس من مصر يسرى
قال : مالى وللقام بأرض
لم أمتع فيها بماء ومرعى

يحمد الندامة بما زرع ، وتطهر منها المساجد والجوامع ، ويشهر مستعملها في المحافل والجماع ، حتى تقبه العيون من هذا الوسن ، وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ، ولا خضراء الدمن .

وهذا النص الأدبي الحكيم يترنن صراحة بأن الخشيش كان يتناول حتى في بيوت الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه . ونفهم منه فوق ذلك - أن الناس لجشوا إلى الخشيش حينما حرمت عليهم الخمر ، وأنه كان أرخص منها .

وفي استبدال الخشيش بالخمر يقول ابن الصائغ المصري :

ما طلق خضراء كافورية
نحسب الخمر لها من جندها
أسكرتني فوق ما تسكرنا
وربما أضما من جدما
يقصد بالجد : حذالكروهم ثمانون جلد .

ويقول البدر المنجي :

ولما خلونا - والمرة - بيننا -
وقد عز شرب الراح فينا على الشرب
نموض كل بالخشيش عن الطلا

ومن لم يجد ماء يسمم بالتراب
إعدام من يتعاطى الخمر والخشيش :

وفي العهد المملوك الثاني انتشر الخمر

وقسم أوجهه هذا العمل ؛ فهب يكي الحرق
ويثدب الحشيش ١١ ريفق عليهما الجيوب ،
وبلطم الحدود ، وينادي بالويل والثبور ،
وعظائم الأمور ١١

الحمد ١١

من زمن بعيد كنت أحد الحكومات
الاحتلالية في اليهود البائدة على الاقتداء
بأسلافنا في سن عقوبة الإعدام لتجار
الحشيش ، حتى يقضى على هذه الآفة التي عمت
وطمت في هذا الوقت حتى غزت المعاهد
والمدارس وأكواخ الفلاحين ودور الصناعة
وهددت البلاد بالخراب والدمار ١١ ولكنني
لم أجد أذناً واحدة ولا نفساً صاغية ١١

وما هي ذي حكومة دوتنا البيضاء ،
في العهد الناصري الجيد ، ترتفع بعقوبة
الحشيش إلى حد الإعدام في بعض الحالات ؛
فتسد على إبليس طرائقه الشريرة ، وتفسد
على بقة إسرائيل ذراتها الثمينة في توريد
الحشيش المصمم لنا ؛ فتحفظ بذلك أجسام
الشعب ، وعقول الشعب ، وأخلاق الشعب ،
وأموال الشعب ١١ إنه لا أحد أحكم مني
خبطه بهذا العمل العظيم الكريم الصالح ،
فاللهم والشكر له أن وفق ولاة أمورنا
إلى ما فيه خيرنا وسعادتنا وقوتنا ورفعتنا ١١
ونسأله المزيد من فضله آمين .

على الجنري

مات يا قوم شيخنا إبليس
ورحلا منه ربته القانوس
هو لو لم يكن - كما قلت - مبيتاً
لم يفتخر لأمره ناموس
أين عيناه والحفاش قد حرقن
بنسار تراج منها الجوس
قلعوها من البساتين إذ ذا
ك صغاراً خضراء وهي هروس
أين عيناه تنظر المذرة ١١ قدأر
حش منه والماجور ، والقادوس ،
وذو النصف ذاهلون وقد كا
دع على سيلها تسيل النفوس
أين عيناه تنظر الحراذ عطل
منها راووقها والككوس

(١) المذرة: شراب يتخذ من الشعير أو القمح

أدب الكدية

للأستاذ محمد كامل الفقى

الذى يقوم على الاستجداء والتكفف وبذل شق الحيل لنيل العرف: أدب كدية، أو أدبا ساسانيا، كما سعى القول بهذه الأساليب تكديا... وأدب الكدية أخو أدب الصلابة، والمكدون والمصالحك أشياء ونظائر، ومنجلو وجه القبح والفرق بينهما. عندما يحين موضع ذلك من البحث..

البحث الثانى نشأتها الكدية أو أدب الكدية:

أدب الكدية وليس له النفع الاجتماعى، والظروف التى منعت الحياة ظروف لم تكافأ فيها القروس، وتبايفت الفواوق فى هذا المجتمع تباينا ملحوظا، فإن من يدوس الحال السياسية والاجتماعية للأقطار الإسلامية فى العصر المباسى، يجد البذخ والثراء فى جانب، والفقر والبؤس فى جانب، ليست هناك مقاييس مفهومة توزع عليها الأرزاق، ولا معايير معلومة تدر إلها أقرانهم ومظاهر حياتهم، فالخلفاء والأمراء وحاشيتهم والمستظفون بهم من العلماء والأدباء والحاشية فى حرف وبلهينة، ونعيم مقيم، أما من عداهم من الناس فإنهم فى سغب من العيش وضر مومج.

الكدية بالضم شدة النحر، كالسكادية، والأرض الغليظة، والصفاء العظيمة الشديدة، والنهى الملب بين الحجازة والطين، وحضر فأكدى صادقها. وسأله فأكدى وجهه مثلها، وأكدى بخل أو قل خيره، أو قل عطائه. وكدى كرمى (١).

وقيل فى تفسير قوله تعالى (أفرايت الذى تولى وأعطى قليلا واكدى): أكدى قطع عطية وأمسك، وأصله إكداء الحافر، وهو أن تلقاء كدية. وهى صلابة كالصخر فيصك من الحفر، ونحوه أجبل الحافر ثم استعمل فقيل أجبل القاهر (٢).

فالمنى الذى تدور عليه هذه المادة هو الحاجة وشدة الحال، ومن ثم سموا الأدب (١) القاموس المحيط.

(٢) تفسير الكشاف للراغبى، وفى صبح الأضنى سطر ٦ (ولا تلق الحب إلا فى مزرعة لا تكدى على الزارع). وفى عيون الأثر فى فتون المعارف والمسير، لابن سبه الناس بسدد بيان معجرات النى (ص) (وهزت الكدية بالخذق من أن يأخذها المعول، فضربها النى (ص) فصارت كتيبا أهبل) أى رملا سائلا.

يسر يسره وتظاهر المومنون بالفقر والحاجة ونأى كثير من الناس عن الخلفاء وعاصيتهم وظهر في الأدب العربي شعر يمدد الفقر ويحث على بجانبه السلطان وذوى الشأن ، وغلبت توجه التصوف على كثير من الناس .

هذا التعرف المزدق ، وذلك الإسراف المفرط ، يقابله عند غيره مؤلف فقر وحرمان وحقيق وشقاء ، مما أدى إلى شيوع الحقن والتعاسد ، والكذب والتدبئة ، والفسس والرشوة .

وأعجب ما في الأمر أن العلماء كثيرهم من سائر الطبقات ، إذا لم يعيشوا في كنف خليفة أو في بلاط حاكم ، منهم الضر ، وصانوا حل الدولة .

فقد الوهاب البغدادي المالكي الأديب الشاعر المؤلف الفقيه ، يهرج بغداد إذ لم يجد قوت يومه .

و (أبو حيان التوحيدى) العالم الأديب الفيلسوف يعنطر في كثير من الأحيان إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الحاجة والعامة ، وإلى بيع الدين والمروءة ، وإلى تماطل الزيام بالسعة والتفاق وإلى ما لا يحصى بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويعطرح في قلب صاحبه لآل (١) .

ولقد بالغ الخلفاء وأشباههم في بناء القصور وإشياء الحدائق حتى شاربوا حديد الخيال . وحددوا ألوان الطعام ، واستكثروا من الجوارى والقيان ، وانتشرت مجالس الخمر حتى وضعت لها القواعد والقوانين ، كالذى فعله كشاجم في كتابه (أدب النديم) . واقتنوا فيما يكتب من الشعر على القناني والكثوس ، واعتاد الخلفاء والوزراء والأسراء مجالس الشراب ، وبالفواى الإسراف ، فيها .

وكما وضعت قوانين لهذه المجالس وضعت قوانين للطرف والظرفاء ، وألفت في ذلك الكتب كالوثنى لوشاء و (حدود الطرف) له أيضا ، و (ما يقدم من الأظمة وما يؤخر) للرازى ، و (ترتيب أكل الفسواكه) ، و (آداب الحمام) له أيضا ، و (الزينة) لحنين بن إسحق ، و (الهدايا والسنة فيها) لإبراهيم الحربي ، و (التنبذ وشربه في الولائم) لتسطين لوقا .

هذه بعض مظاهر الإسراف والتبذل ، وتلك إشارات حادثة لما انتهى إليه الأمر في جو الخلافة والإمارة والوزارة والحاشية .

وقد بالغ الفاطميون في ذلك وغلوا غلوا شديدا ، حتى إذا فقد حال الخلفاء والأسراء كروا على الأهنياء يستصفون أموالهم لينفقوها في شهواتهم ، ومن ثم أغنى كل ذي

و (أبو علي فقال) تدفعه الحاجة إلى أن
يبيع كتبه (على الضن بها) فقد باع نسخته
من كتاب الجهرة (وهو أشد ما يكون حرصاً
هائلاً) فشرى الرضى، وقد وجد الشريف
مكتوباً فيها بخط (القال) :

أنست بها عشرين حولاً وبعثتها
فقد طال وجدي بعدما وحنيت
وما كان ظني أنني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديون
ولكن لضعف واقتدار وصيبة
صفار عليهم تستل جفوني
قلقت، ولم أملك حواشي صبرة
مقالة مكوى الفؤاد حزين
(وقد تفرج الحاجات يا أم مالك

ودائع من رب بيت حنين)
لقد كان الافتقار والحاجة دافعاً ملجئاً
لأبي علي العالم الجليل أن يزل عن نسخته
وهو بها حنين لقاء فمن جسد دواء معدودة .
والرحمى ، العالم المحقق المفسر صاحب
الروائع الخالصة ، حين يصف عن مائة
السلطان تضيق به وحشة الحياة حتى يقول :

فحق من الآداب لسكني إذا
نظرت فما في الكف غير الأنامل
فباليتنى أصبحت مستغنيا ولم
أكن في خوازم ونيس الأفاضل
وباليتنى مرض صديقي ، ومسخط
عمري وأنى في فم سامة باقل

وما حق مثل أن يكون ضيقاً
وقد عظمت عند الوزير وسالي
ويقابل هؤلاء من الأدباء والعلماء
والفلاسفة الذين لم يتحصنوا بلط السطان
وساوا رجوعهم عن الملئ والمداعنة
فنبست لهم الحياة ، طائفة أخرى مثل هؤلاء ،
اتصلوا بالبلط وذوي الجاه ، فاشاؤا في
ضمان من ذهب ، وراينا كثيراً من هؤلاء ،
يطلبون نعمة الحياة ونعيمها بالزاني الخليفة
والأمير والوزير فكانت أكثر المؤلفات
في هذا العصر منحوبة الجهد في إخراجها
والترقيق إليه إلى الأمير أو الوزير مصدراً
باسمها ، منها بتشجيعها لهم والعلماء .

وكان طبعاً أن الآداب والفنون لا تجد
نماء وصقياً إلا في بلاط الخلفاء والأمراء
والوزراء ، وأن كل شاعر يتوفر على الإحسان
والشجيرة لينال المكافأة ، وأن ذوي الفنون
يحميونها ليأكلوا من يد القادرين على المثوبة ،
وقل من الشعراء من كان يقف لنفسه ، فاصطنع
الشعر بلون الاستجداء ، ورأى الشعراء
والأدباء أنهم لا ينجون إلا في ظل حاكم أو
أمير ، فانحذروا وسيلتهم في كسب الميث
المتسول عن طريق الأدب الضعيف ، وشاع
مذهبهم ، وكانت لهم موهبة ذات فنون بارعة
في الاحتياك على الناس ، وهم كالفن يسمون
(الأدبائية) في عصرنا الحاضر ، وما أقدر
حياتهم على ابتدأ المال بالإقناع وغزو المواطن

وسمى المتكبرون بذلك الساسانيين ، أو
(بنى ساسان) . أو (أهل الكدية) (١) .

من هم الساسانيون ؟

قتل المرحوم الأستاذ (أحمد أمين) في ظهر
الإسلام ما قاله (أبو منصور الثعالبي) في
اليقينة من أن (ساسان) هذا قد ورواياه أقوالاً
مختلفة ؛ فن قال : إنه ساسان بن إسفنديار ،
كان من حديث أنه لما حضرت أباه الوفاة
فوض أمر الحكم إلى ابنته ، وأتت ساسان
من ذلك ، واشترى غنماً وجعل يربحها وعهد
بأنه راعي الغنم . فقتل ساسان الراعي ، وساسان
الكردي ، ثم نسب إليه كل من تكدي
فيقال : فلان من بني ساسان .

وقيل : ساسان هذا كان ملكاً من ملوك السمر
حاربه دارا ملك الفرس ، ونهب كل ما كان
له ، واستولى على ملكه ، فصار رجلاً فقيراً
يتردد في الأحياء ويستعطي ، وعام على وجه
مشكدياً فضرب به المثل .

وقيل : كان رجلاً فقيراً بصيراً في استعطاء
الناس والاحتيايل ، فنسبوا إليه . .

ويقول المرحوم الإمام الشيخ (محمد عبده) :
إن الساسانيين شراد من دولة بني ساسان التي
قضى الإسلام عليها ، وشردوا في كل مكان ،
فصاروا نسبهم إلى الساسانيين نسبة ذل وعار ،
(١) راجع في ذلك كتاب وظهر الإسلام ،

الجزء الأول .

بعد أن كانت نسبة شرف ومجد (١) .

الكدية تقوم على المهارة وسعة الخيلة

لا تظن أن الكدية عمل ساذج يأتيه صاحبه
من ذلك قليل ، وتصرف مرهق ، إن الكدية
تقوم على فن ابتزاز الأموال ، وخلق ألوان
من الخيل ثم عن دعا . ومهارة قائمة ، إلى
جانب مالا يقفه الباحث من خلاصة المنطق ،
والقدرة على البيان .

وقد تحدث الجاحظ عن أهل الكدية
حديثاً شيقاً وصف فنههم وشق حيلهم ،
وطريقاً من نواوهم .

وقال : (إبراهيم بن محمد البيهقي) في كتابه
(المحاضر والمساور) في فصل هكده بعنوان
عاشق السؤال : (٢)

قال الجاحظ : (سمعت شيخنا من المشكدين
وقد التقي مع شاب منهم قريب المهدي بالصناعة ،
فسأله الشيخ عن حاله فقال : لمن الله الكدية
ولمن أصحابها من صناعة ما أخسها وأقلها ،
إنها ما علفت ، تغلق الوجه وتضع من الرجال ،
وحمل رأيت مكدياً أفلح ، قال فرأيت الشيخ
قد غضب والتفت إليه ، فقال يا هذا أقل
عن الكلام فقد أكثرت ، مثلك لا يفلح
لأنك عروم ، ولم تستعك بعد ، وأن الكدية
رجال ، فالك ولهذا الكلام ، ثم التفت فقال :
اسمروا بالله يمينتنا كل نبلي قرنان ، وكل

(١) شرح الإمام مقامات البديع .

(٢) الجزء الثاني ص ٢١٧ ط مطبعة السعادة

سنة ١٩٠٦ م .

الله أبا الحسن ، ومع عمر بن عبيد الله ، قولوا
رحم الله أبا حفص ، وغزوت مع البطال
ابن الحسين ، والبرداق بن عمرو ، وحمدان
ابن أبي طهية ، وآخر من غزوت معه
يا ذمار الحاد ، ودخلت قسطنطينية ،
وصلت في مسجد مسلمة بن عبد الملك ،
من سمع باسمي فقد سمع ، ومن لم يسمع فانا
أهرفه بنفسي ، أنا ابن الفزيل ابن الركن
المصيصي المعروف المشهور ، في جميع الثغور ،
والضارب بالسيف ، والطاهر بالرمح ، سد
من أسداد الإسلام ، نازل الملك على باب
طرسوس فقتل الفارسي ، وسبي النساء ،
وأخذ لنا ابنان . وحملوا إلى بلاد الروم ،
نخرجت ماريا على وجهي ، ومضى كتب
من التجار ، فقطع على ، وقد استجرت بالله
ثم بكى ، فإن رأيت أن تردوا ركننا من أركان
الإسلام إلى وطنه وبلده . . . فوافقه ما أتممت
السلام حتى انتهت على الدوام من كل
جانب ، وانصرف ومضى أكثر من مائة
درهم ، فوثب إليه الشاب وقبل رأسه ،
وقال : أنت والله معلم الخير ، جزاك الله عن
إخوانك خيراً .

هذا الذي نقله البيهقي عن الجاحظ يرسم
صورة واضحة عن حيل المسكين وبراعتهم ،
وفنونهم المختلفة في خداع الناس واستلاب
أموالهم ، مع انكسار على قوة البيان واعتماد
على فصاحة اللسان . (يتبع)

محمد كامل الفتحي

حاتك صفعان ، وكل ضراط كشعان ، يتكلم
سبعاً في ثمان ، إذا لم يصب أحدهم شيئاً تب
الصناعة ووقع فيها ، أو ما علمت أن السكينة
صناعة شريفة ، وهي غيبة لذينة ، صاحبها
قد نعيم لا يتقد ، فهو على بريد الدنيا وساحة
الأرض ، وخليفة ذي القرنين الذي بلغ
المشرق والمغرب ، حينما حل لا يخاف البؤس
يسير حيث يشاء ، يأخذ أطايب كل بلدة ،
فهو أيام الفرسىان والمهيرون بالكوفة ،
ووقت الجبوت وقصب السكر بالبحرة ،
ووقت البحرى والأزاد والراذى والرومان
المرسى ببلاد ، وأيام التين والجوز الرطب
بحلون ، ووقت الفروز والرطب والسختيان
والطبرزد بالجبل ، يأكل طيبات الأرض ،
فهو وشى البال حسن الحال ، لا يفتر لأهل
ولا مال ، ولا دار ولا عمار ، حينما حل فلفه
طبل . أما والله لقد رأيتى وقد دخلت بعض
بلدان الجبل . ووقفت في مسجد ما الأعظم
وعلى (فوطه) قد انزوت بها . وتعممت بجبل
من ليف . ويدي هكذا من خشب القل .
وقد اجتمع إلى عالم من الناس كأنى الحجاج
ابن يوسف على مشبه . وأنا أقول .

يا قوم : وجل من أهل الشام ، ثم من بلد
يقال لها المصيبة ، من أبناء الفزاة ،
المرباطين في سبيل الله ، من أبناء الرضاة
وحركة الإسلام ، غزوت مع والدى
أربع عشرة غزوة ، سبعاً في البحر ، وسبعاً
في البر ، وغزوت مع الأرمن ، قولوا : رحم

اللغة بين اللفظ والفكر

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

« نحن لا نفكر إلا بلفظ ، ولا نلفظ إلا بفكر »

شيخ الكتاب « الزيات »

بالمحادثة التي تراعى حاجات النفس منذ تتفتح العين على الحياة .

ولذلك يرجع النسيون لغة الطفل إلى أمه ، ويحكمون على بيته بأداة تعبيره ودرجات صوته ، واختيار ألفاظ تخاطبه ؛ فتكوين النطق مرتبط « بتوجيهه » إلى ما يدور بخلفاته ؛ فيساعد على التعبير عنه باختيار اللفظ المناسب لكل حاجة تعمل في نفسه . ومن هنا كان قطع الكلمات ، والتعريف فيها ، ومقاربتها إلى طبيعته ، والإكثار من « قاموسه » من الألفاظ التي تقتضيه بالفتح والسكون بعد أن يكون قد كون صورة لفظية عن نداء أمه بالميم ، وأبيه بالباء أ .

ومن عجيب الأمر أن للطفولة « قاموساً » فطرياً يتعلم العاطف الكبار حتى يمكنهم الاستجابة إلى متطلباتها ، وقد يجرى على الألسنة الصغيرة كلمات تعود إلى المعاني الكثيرة في النفس . وأذكر أن طفلاً كان يردد كلمة « قبح » تعبيراً عن كل شيء يكرهه - بضم القاف وفتح الباء مشددة - لكنه يقلب القاف كافاً ، وكنا نعمل على إبعاد ما يشبه

[٨]

إذا كانت اللغة « أداة تعبير » فإن أصواتها ذات الدلالات المختلفة يجب أن تصور الفكر . وإن اختلاف الألفاظ من حيث المحس والجهازة - مع مراعاة مخارجها - يقصد به « تصور » ما في النفس من معان عارة تحتاج إلى تبيان حقيقتها ، وتبيان الحقيقة يختلف باختلاف القدرات .

واللغة قد تكون « سلوكاً » إذا العدمت أداة التعبير « القسائية » كإشارة الأخرس التي تختلف قوة ، وضعفاً دلالة على ما يدور في نفسه ، وقد تتخذ درجات صوته تعبيراً عن استفهام ، أو تعجب ، أو حزن وسرور ، وتكون اللغة في انفعالات « مرئية » على الوجه ، وإن تجردت عن اللفظ .

لكن القضية الكبرى في التعريف « المنطقي » من أن الإنسان : « حيوان ناطق » . فالنطق ميزة ؛ لأنه يحدد التعبير تحديداً مقرباً ما يدور في النفس ، ولا منبر في أن يكون « غير جامع مانع » لكنه يصور الحقيقة على أية حال مع تفاوت درجات التصور . و« النطق » المميز يرجع إلى القدرة على « ترطيب » اللسان

المراد ، وهي أفعل من التصريح لتحقيق صدق التعبير ١ . لكن استعمال « الحقيقة » في مرحلة « نشأة الفكر » يدعو إلى اختيار اللفظ الموحي بهذه الحقيقة حتى يقتدر « الفهم » على استيعاب ما يراد إيصاله بحسب « النوع » الفكري . ومن هنا نشأت « الصعوبة » التي تبدو « مظهرية » في تكوين الحاسة اللغوية عند الصغار ؛ فالقائمة ليست كائنة بين « اللفظ والفكر » ، ومن ثم كان التباعد الذي أوجد الآلية في تلي اللغة .

على أن هناك حقيقة جديرة بالاعتبار ؛ مؤكدة أمر « المشافهة » الصحيحة في تكوين « التلقن السليم » ، ولذلك كان خطأ بني أمية يرسلون أبناءهم إلى مشارف البادية لتلي اللغة من الآلة التي لم « ترتطن » باللعن أو جهة المعجزة توقياً من أن يفسد اللسان ! والسمع أمر كبير في المحاكاة ؛ لأن لغة التخاطب تفرض « وحدة » التلقن ومن هنا برزت المفارقة بين لغة « اللسان » ، ولغة « الكلم » ، حين تمازجت العناصر الدخيلة بالعنصر العربي الأصيل ؛ وعلى هذا القياس كانت هناك لغة « شارع » ، ولغة « مدرسة » ، ونحن نعمل دائماً على أن « يعرب » القائلون على تعليم هذا الجيل الآلة بسحاولة نقل لغة المدرسة إلى خارجها حتى ترتقي بلغة التخاطب ؛ فنجد الحدة الواضحة في سوقية العامة .

حتى غير الكلمة إلى ما يعجبه فكانت « أمح » - بتشديد الميم مفتوحة - ومن عجيب المصادفة أنه ما زال يردد اللفظ الأول عند الاستفكار بعد أن أحال اللفظ إلى « قبيح » وقد بلغ الآن السابعة عشرة .

يقين من هنا ، أن الفكر مرتبط باللفظ ، و « اللفظ مرتبط بالفكر » ، وهذا للتلازم يتطلب العمل على « الموازنة » بينهما ؛ فلا تنفع التفرقة ، ويتحقق التماثل « البالغ » غاية القصد من التعبير ، وهذا - في اعتقادي - مدلول « البلاغة » في سداجتها ١ .

وحين نطلب مراعاة مقتضى الحال مع « الإصحاح » عن المراد يكون القصد كون الالفاظ على « قنود المعاني » ، وعلى هذا القياس يصبح التفاوت الأدائي في القرب من الفكر ، أو البعد عنه .

...

وثمة اتجاه آخر متصل باختيار الالفاظ فلفتمنا من أغنى لغات العالم بالترادف ، والاشتقاق ، والاشتراك ، والتجوز . ولقد كان لهذه الخصائص أثرها في « سعة » الدلالة عما في الفكر ، ومطابقة لتوضيح والمضمون ، على صورة جليسة ، أو مبالغ فيها . تارة بالتشبيه وتارة بالاستعارة ؛ بل إن « الرمز » بالكناية له اتجاه يعبر عن رغبة النفس في مداراة ما تريد الإصحاح عنه يلزم المعنى

لا مثيل لها؛ فكيف ندعى «جفاف» لغتنا في طريقة تعلم أجدبها مع أن ملاينها لكل لغة تقدرنا على إعداد أبناء الجيل إعداداً يباعدهم بين «الرطابة» التي تروذي أسماعنا حتى يدا التافض العجيب بين «الكتابة السليمة» ، و«اللعن الملعون» ١١

لسنا ندرى إلى أى منطق يحال الكاتب الذي ينشئ «ثم يخطئ» في قراءة ما أنشأ ١٢ . لكننا نحيل ذلك إلى «رداءة» التكوين اللغوي ؛ فهو قد حفظ تعابير ، واستظهر كلمات من دون أن يتعرف مدى «حياتها» مع نظائرها في العبارات التي يكتبها أو أنه بمعنى أوضح قد تعلم اللغة على اعتبار أنها ألفاظ فردة ، أو قواعد مجردة لا تتصل بالعقل ، ولا بالنفس ، ولا بالحياة ١٣ .

وقد أشار أستاذنا «الزيات» في مقوله إلى أن العقل يربط اللفظ بالفكر والنفس في ربطه بالعمور حتى يكون التأثير يبدائع الأساليب ، وروائع التصاوير .

إن هذه الاتجاهات الثلاثة في الربط الوثيق مؤدية إلى ما يهدف إليه الراغبون في إصلاح الحال ، أما «أثر الذوق في اللغة» فله مقال آخر إن شاء الله ١٤ .

أحمد هبيرة اللطيف بمر

مفتش اللغة العربية ببور سعيد

إن دراسة اللغة العربية تحتاج إلى تبديل من حيث «المنهجية» ، وطريقة العرض ، والكتاب المقرب . ولقد استخدمت طرق اتجهت إلى «مثالية» من حيث العناية بالتعبير عن الفكرة جملة ، من دون رعاية «اللفظ» وحده مع أنه الأصل الأول ، وبالتعرف على دلالاته والواحدة . يمكن تجميع وحدات لها دلالاتها ، وتحقق بها قاعدة : «التفكير بلفظ» ، واللفظ بتفكير» التي صدرنا بها هذا المقال .

إن هذه «المثالية» - في التعبير عن الفكر جملة - أوجدت حفظ كلمات وأضاعت «تصور» كلمة ، ومن ثم جعل التعليق الذي هو صورة التصديق فرع التصور ١٥ .

إن «الإنجدية» وحدها لا تكفي مجردة ، والكلمات لا تصلح محفوظة مجمعة . لكن الأمر يتطلب دراسة طبيعة «الطفولة» ، وحاجاتها واتجاهات «اللسان» في مراحل النمو المختلفة ، ثم معالجة المنهج على أساس الربط بين حاجة الطفل إلى التعبير باختيار ألفاظ «مميته» تحيا معه ، وتعايش وجوده ، وتقبض بحبياته ١٦ .

إن لغتنا لا يصح أن تكون صورة ومسوخة ، لغة أخرى لها طرقها بل لا بد من «التعرف» لنوائيم بين ما عليه لغتنا من أصالة وبين ما عليه العالم من تطورات ، وقد قدرت هذه اللغة على حمل الحضارة إلى أوربة في طوابع

ما يقال عن الإسلام

المسيح في القرآن

للاستاذ الدكتور أحمد فتود الاحواني

Jesus in the Quran. By Geoffrey Parrinder

London, 1965

من كل شائبة ، غالية من الهوى .
ومن أمثلة هذه البحوث المقارنة الناعرة
إلى الإسلام بعين موضوعية متصفة ، وفي
الوقت نفسه عالية ، هذا البحث الطيب الذي
كتبه الاستاذ : (جوفري بارترند) بعنوان
« المسيح في القرآن » ، الصادر بلندن سنة
١٩٦٥ ، وصاحبه صندرس الأديان المقارنة
بجامعة لندن ، ويبدو أنه يعرف اللغة العربية
كما يعرف كثيرا من اللغات السامية ، ولما
كان كتابه « مؤلفا باللغة الإنجليزية فإن الآيات
القرآنية التي اعتمد عليها في بحثه مترجمة كذلك
إلى الإنجليزية ، وهذه أول ملاحظة لسطها
على الكتاب ، لأن القرآن لا يترجم ، فقد
أنزل بلسان عربي مبين ، وحين اتهم الكفار
النبي عليه الصلاة والسلام بأن قرآنه مستمد من
الإسرائيليات أو النصرانيات ، نزل الوحي
بأن اللسان الذي ينطقون به أعجمي ، أما هذا
فلسان عربي مبين .

أدرك المؤلف هذه الحقيقة عن القرآن ،
ولذلك اضطرب في الأخذ عن المترجمين ،

الاجتهاد المعاصر نحو التقريب بين الأديان
وإجراء البحوث فيها يسمى في الوقت الحاضر
بالدين المقارن ، وهذه موجة تسود الغرب
في أمريكا وأوروبا ، يرجع سببها إلى أمور
مختلفة نذكر منها : شيوع الإلحاد في القرن
التاسع عشر وفي هذا القرن ما دفع المتدينين
إلى ضم صفوفهم لمواجهة تيار الكفر ، ومنها
ذوبع المصرفة مع انتشار التعليم والثقافة
وتيسر وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون
وسبينا ومواصلات سريعة يسهل الاتصال
بين الشعوب ، فلم تعد الحقائق مخفية عن
الآعين حتى يتم المتدينون بعضهم بعضا
بالكفر ، ومنها أن عقيدة المسيحيين من
المسلمين ، والتي نشأت في العصر الوسيط
وأدت إلى الحروب الصليبية قد انحلت وشرع
المفكرون ينظرون إلى الإسلام نظرة إعاء
لأعداء ، ولم تعد اتهامات المستشرقين المفرضة
تلك التي كانت بوقا بسد للاستثمار تجوز على
أحد ، ولذلك عدل المستشرقون من موقفهم
وخففوا من غلواتهم ، وأخذوا يبحثون عن
الحقيقة التي تدور حول الإسلام ، خالصة

هذا البحث الأكاديمي بجانب الروح القرآنية ، لأن القرآن لا يتبع منها تعليلاً يشرح فيه الموضوع ، ويقطع أوصاله ، ولكنه يسلك منها تركيباً يصور الموضوع على نحو كلى تصورياً يلائم المعرفة التي شتاقها الإنسان لبلاغ الحقيقة. وموضوع عيسى عليه الصلاة والسلام جاء في القرآن لآلذاته، بل للدلالة على أن عيسى حلقة في سلسلة النبوات والرسول. لذلك جاء ذكره على الأغلب عقب إبراهيم وموسى وغيرهما ، ومن جهة أخرى: للدلالة على قدرة الله تعالى على الخلق من عدم . ومن جهة ثالثة : على تزيه الله عن الشريك والولد ، والإفراق بالوحدانية المطلقة ، وإثبات البشرية للمسيح .

إن عرض قصة المسيح سواء في سورة آل عمران أم في سورة مريم يحقق الأغراض لثلاثة التي ذكرناها ، فسورة مريم نظمت في صياغتها البلاغة بطريقة فريدة رائعة ، مع الترفع عن الإسفاف ، والسمو إلى أعظم الآفاق العلوية . لهذا لا يملك المؤلف إلا أن يردد في أكثر من موضع من كتابه أن : « عيسى يرد ذكره دائماً في القرآن مقروناً بالاحترام ، ولا نجد أي أثر لنقد . ولا عجب في ذلك فإنه مسيح الله . ومع ذلك فلا بأس بمنهج المؤلف ما دام يروقه ، ولكن لنا اعتراضات أساسية منهجية على ترتيب هذه الفصول الخاصة

فهو يؤثر مرة ترجمة بل "Bell" ، ومرة أخرى ترجمة أدبرى "Arberry" ، ومرة ثالثة لا تعبه أي ترجمة فيضع اللفظة القرنية كما هي بالعربية .

وقد اطلع المؤلف على أشهر التفاسير القديمة وبخاصة البيضاوي ، كما اطلع على مؤلفات الدكتور كامل حسين في كتابه : « قرية ظالمة » ، وعبد الحميد جودة السحار في كتابه : « المسيح بن مريم » ، وغيرهما من المصريين ، فضلاً عن مؤلفات كثير من المسلمين المعاصرين في الهند والباكستان .

المتبحر العلم الذي اتبعه المؤلف يبدأ بالرجوع إلى القرآن ، ثم إلى التفاسير العربية كالبيضاوي والرازي والزمخشري ، وينتقل من ذلك إلى الموازنة بين ما جاء في القرآن والإنجيل ، وقد وثب بحثه على سبعة عشر فصلاً تدور حول خمسة أمور: الأول: أسماء عيسى الواردة في القرآن، والثاني: ذكرها وبجي ومريم والبشارة، والثالث: من ميلاد المسيح إلى موته، والرابع: العقائد المسيحية وبخاصة أنه ابن الله والتثليث، والخامس: عن الإنجيل والنصاري .

٢ — أسماء المسيح الواردة في القرآن هي : عيسى : بن مريم ، المسيح ، العبد ، النبي ، الرسول ، كلمة الله ، روح ، آية ، رحمة ، وقد تتبع المؤلف هذه الأسماء في مواطنها من السور التي وردت فيها ، ودون لإحصاء دقيقاً بالآيات القرآنية .

كما أن موسى في العبرية هو موسى في العبرية ؛ وهذا نموذج من الاستطراد في البحث إلى الأصول اللغوية والتاريخية والمقارنة بين اللهجات واللغات والعقائد بما يشيع في كل باب من الكتاب .

أما ابن مريم ، ففي رأينا أنه ليس اسماً لعيسى ، بل نسبته إلى أمه دون أبيه . ولذلك جاءت هذه القبة مقرونة في الأغلب بالاسم عيسى ، ولم ترد وحدها إلا في موطنين ؛ أحدهما في سورة المؤمنون (٥٠) : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية .. » وفي الزخرف (٥٧) : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ... » ؛ وقد هطن المؤلف (ص ٢٢) إلى أن القول بأن اسم أبيه يوسف النجار الذي يذكر في بعض الأناجيل ، ليس له ذكر البتة في القرآن . وهذا الإغفال مقصود ، لأن المسيح حسب الرواية القرآنية كلمة ، مثله عند الله مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . قالت مريم : « أئني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر » ؛ وذهب المصرون بسورة (المؤمنون) إلى أن قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » ، إلى أن الآية فيها واحدة وهي الولادة بغير رجل ، ولذلك لم يقل « آيتين » ؛ فهذا معنى أن المسيح « آية » ، ولو كان من أب وأم ما كان

بالأسماء ووضع عناوينها . فهو يبتدىء في الفصل الثاني بالحديث عن « عيسى » أول أسماء المسيح . ويسمى الفصل الثالث « ابن مريم » ، وكتب العنوان بالعربية بحروف لاتينية ، كما فعل في « عيسى » ، وإذا بنا في الفصل الرابع نحمد هذا العنوان : (أسماء المسيح Names of Jesus) تكلم فيه عن : المسيح - العبد - النبي - الرسول - الكلمة - الروح . ثم يعقب في آخر هذا هذا الفصل بعنوان فرعي هو ألقاب أخرى للمسيح ther title وهي : آية - مثل - شاهد - رحمة - وجيه - من المقربين - مبارك .

ومن الخطأ في اللغة العربية الخلط بين الاسم والصفة والذمت واللقب والكنية . ذلك أن اسم المسيح في القرآن هو « عيسى » لا غير ، وكل ما سوى ذلك صفات أو نعموت أو ألقاب له . وكيف لعمرى يكون « عبد » اسماً للمسيح ، وكلنا عبيد الله . ومحمد عبد الله ، كذلك جاء في القرآن عن سليمان « نعم العبد إنه أواب » ، فالعبد صفة شائعة المقصود منها أن الإنسان عبد الله ، وفي هذا يقول عيسى في سورة مريم : « إني عبده آتاني الكتاب وجعلني نبياً » .

من المفيد ولاربيب رد لفظة عيسى إلى أصلها السرياني ، ثم رد السرياني إلى العبري ، فهي في السريانية يشوع ، وفي العبرية يشواه ،

برسول يأتي من بعدى اسمه أحد ظنا جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .

قال المؤلف بعد أن أورد ترجمة الآية السابقة ما نصه : هذا آخر قول وأكثره أهمية يضعه القرآن على لسان عيسى . ولكن هناك رواية أخرى يقدمها أحد كتبة الرسول وهو أن بن كعبه ، ليس فيها اسم . أحد ، غير أن الرواية الأولى هي الرواية الرسمية ، وقد فسرت عادة بأن المقصود بأحد هو محمد الذي بشر عيسى بنبوته .

ولنا نعرف أن ثمة روايات عظيمة للقرآن :

إله قرآن واحد ، كتاب لا ريب فيه ، كتب في حياة الرسول ، وجمعه أبو بكر جعاً أول ، وأشرف عثمان بن عفان على كتابة أربعة مصاحف وزعها على الأمصار حتى لا يختلف المسلمون في قرآنهم ، كما اختلف اليهود في توراتهم والنصارى في إنجيلهم ، ولا يزال القرآن منذ ذلك الحين حتى اليوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد باتت سائر محاولات المستشرقين للتشكيك فيه بالفشل . وما كان يحذر بالمؤلف وهو خبير بالإسلاميات أن يسمح في كتابه بمشعل هذه المفترقات التي لا سند لها ، مادام يعرف أن القرآن المتداول بين أيدينا اليوم هو الصحيح ، وقد أورد في صفحة ١٤٧ كلاماً

آية للناس ؛ وروى في أسباب نزول آية الزخرف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش : ليس أحد بعد من دون الله وفيه خير ؛ فقالوا : ألسنت تزعج أن عيسى كان نبيا وعبدنا صالحا وقد عبد من دون الله ؛ فأنزل الله : ولما ضرب ابن مريم مثلاً .. الآية ؛ فابن مريم في هذا الموضع تأكيد لمولده من مريم ، وأنه عبد من عباد الله .

قال المؤلف : إن ابن مريم اسم كميبي تماما ، وأن المؤلف في الشعوب السامية أن يسمى الشخص بآبيه ، وهناك بعض الأحوال يسمى فيها الشخص باسم أمه مثل ابن عائشة . ونحن نقول : إن النسبة إلى الأب أو الأم ليست اسما ، كل ما في الأمر أن بعض الناس قد يشتهر بهذه النسبة للتخفيف ، ويفضل ذكر الامم .

...

٢ — كنا نود أن يبرأ كتاب الأستاذ جعفر بارتندر من هذه الملاحظات الصريحة أو الخفية ، والتي درج المستشرقون أن يشككوا بها في القرآن . فقد ورد في صفحة ٩٦ بعدد الحديث عن أقوال المسيح ، وما جاء عنه من أنه بشر بنبي يأتي بعده اسمه . أحد ، ففي سورة الصف (٦) : « وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً

« تحريف » اليهود والنصارى الكتب المقدسة ، ثم أورد آراءهم المختلفة ، فالبيروني مثلاً يصرح بأن اليهود والنصارى قد بدلوا فعلاً نص الكتاب المقدس ، ولكن غيره كالطبري وابن خلدون وغيرهما يقولون : إنهم أخطأوا في تأويل ألفاظ الكتاب المقدس ، وقيل : إن « التحريف » يعني تبديل طبيعة الشيء الأصلية ، ولكن أحداً من البشر لا يستطيع تحريف كلام الله ؛ ولذلك فإن المسيحيين حين يحرفون لما يتعتلون في تأويل كلام الله ، وقد فعل المسلمون ذلك بقرآنهم ، واليهود بتوراتهم .. .

ومن الواضح أن المؤلف نقل التحريف من تفسير النص إلى مجرد تأويله ، وليس هذا المقصود ، لأن التحريف تغيير وتبديل ، لا تفسير وتأويل ، ففي سورة النساء : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » أى يحرفون الكلم الذى أنزله الله في التوراة ، فالتحريف تغيير نص كلام الله .

ومن الواضح أن نص القرآن لفظاً وترتيباً وترجيلاً وتلاوة ، بل ورسماً - أى الرسم العثماني - لم يحرف ، وهذا من جملة الأسباب التي ترفض من أجلها ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية ، لأنه كلام الله أنزل بهذا اللسان ، وخشية التحريف ، أما التأويل فليس بمستكر ، لأنه شيء آخر خلاف التحريف ،

عن جمع القرآن يخلو من البقة التي تعود لها في صفحات الكتاب الأخرى . يقول مانصه : « ويعتقد المسلمون أيضاً أن محمداً كان أمياً ، ولذلك فإن القرآن المكتوب قد جملة أتباعه إذ جمع كتبه الوحي كزبد بن ثابت الآيات المكتوبة من الواقع والسبب وحضور الرجال ، والصواب أن الذي أمر بالجمع عثمان ، وأن الصحف كانت موجودة عند حفصة منذ موت النبي وخلافة أبي بكر وعمر ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يأمر كاتب الوحي كلما نزلت عليه آية أن يضمها بعد آية كذا ، في سورة كذا .

وليس الأمر كذلك بالنسبة للإنجيل والكتاب المقدس . وفي الوقت الذي نزل فيه القرآن كانت التوراة والإنجيل .. أو الإنجيل - تنهب إلى أن يرى ابن الله ، وأن عيسى ابن الله ، وهذه مقالة تتناقض تماماً مع الوحائية ، والإنجيل كما يقرر القرآن بعد محرفاً ، ففي آل عمران ٧٩ : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله .. » قيل : إن هذه الآية نزلت لما قال نصارى نجران للنبي : إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً .

يقول المؤلف صفحة ١٤٦ ما فحواه : إن الخائضين من مفكرى الإسلام تحدثوا عن

أما التوراة وكذلك الإنجيل فإن القرآن يقرر تحريفهما في بعض أجزائهما ، وبخاصة فيما يختص بنوة عزير وعيسى لله .

تأويل : أحد ، بأنها صفة وليست اسماً ، ولكن الأساليب العربية لا تحتمل مثل هذا التأويل .

يعترف المؤلف بالإنجيل الأربعة المقررة منذ القرن الرابع الميلادي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم يتابع الكنيسة في رفضها لسائر الإنجيل الأخرى ، واعتبارها منتحلة غير صحيحة ، ولا شك أن نصارى شبه الجزيرة في الجاهلية كانوا يتداولون إنجيلاً خلاف هذه الأربعة ، بل لقد ظهر أخيراً إنجيل برنابا ، يبشر فيه المسيح بنو يأتى من بعده اسمه محمد ، مما يؤيد ما جاء في القرآن ، غير أن الآية في سورة الصف تسمى النبي المرتقبه أحد ، وقد حاول بعض المستشرقين

صفوة القول : إذا سلمنا بأن عيسى كان حلقه في سلسلة النبوات ، وأن محمداً كما جاء في القرآن عاتم النبيين ، فلا جرم يبشر عيسى بمن يأتى بعده ، كما جاء مصداقاً بمن جاء قبله ، وهذه هي الحقيقة القرآنية التي أكدها الله في أكثر من آية ، والقرآن كلام الله ، كتاب لا ريب فيه أنزل بلسان عربي مبين ، وحياً على محمد النبي الأمي ، الذي كلف بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة .

أحمد فؤاد الأهواني

قول الحق الذي فيه يترون

• وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب .

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهوداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد .

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

الكتاب

بحوث في تفسير القرآن
«سورة المدثر»

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

عوامل الضعف والفساد فيها دون أن يكتفى
بكلمة التضعيف .

وهذا التفسير كما يرى المؤلف للخاصة
لا للعامة بحيث يصلح مرجعا للباحثين
الدارسين .

وقد أثار تفسير المؤلف لسورة العلق جدلا
حول ما رآه الكثيرون إقصاء للقرآن في
تفاصيل علمية لا يقصد إليها وليست موضوعه
فهو كتاب هداية وإيمان لا يهدف إلى معالجة
مسائل العلم أو السبق فيها .

وتأتى هذه الحلقة الثانية في تفسير سورة
المدثر فزاعها أقوم سيلا وأعدل منها ،
فليس فيها شيء من إقصاء القرآن في بحوث
أو نظريات شتى الجدل ، وتكاد تكون
تلخيصا لآراء المفسرين الاقدمين وحاولت
لاختيار الرأي من بينها .

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ جمال الدين
عياد وهذا هو العمل الثاني للمؤلف في مجال
دراسات تفسير القرآن ، وكان الأول هو
تفسير سورة العلق الذي صدر في عام ١٩٦١ .
وهذه البحوث تقوم على منح أشار إليه
المؤلف في مقدمة سورة العلق ، وهو يتلخص
في التزام قواعد البحث العلمي إذ لا فرق بين
العلم والدين في نطاق البحث ، ومن هذه
القواعد :

- ١ - قراءة كل ما يتصل بآيات من
أبحاث ، قديمة وحديثة عربية وغير عربية .
- ٢ - دراسة آراء المفسرين قديما وحديثا
والنظر في الآراء والوجوه المختلفة .
- ٣ - وما أتى بعد ذلك الترجيع وتمحيص
الروايات ، فن واجب المفسر في العصر
الحديث أن يكشف عن الآراء الضعيفة مبينا

ومسائل من العلم القديم تمثل الشفاعة العربية والإسلامية المعهودة في التفسير .

١ — وفيه نقول تحويه ، مثل حذف المفعولين في قوله سبحانه : « قم فأنذر » ومعاني الفاء في قوله : « وربك فكبر » وإعراب قوله : « تذكيرا للبشر » وغير ذلك .

٢ — وفيه عرض لمسائل من علم الكلام لم يكن من الضروري أن تعرض لتفسير القرآن الإشارة إليها فلها مواضعها من البحث والجدل ، مثل عرض الخلاف حول الهداية والضلال في قوله سبحانه : « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » وينتصر المؤلف لرأى أهل السنة وهو أن العبد مختار ، وأن اختياره لا ينفذ بغير مشيئة الله ، وهي نفس النتيجة التي ارتقت لها الأمة الإسلامية من قرون كثيرة فلم يكن لإثارة هذا الجدل مناسبة في التفسير . ومثل عرضه لتعذيب الكفار بالفروع وأدله موافقا في ذلك رأى ابن حزم .

ومثل مناقشته بتوسع لموضوع الشفاعة والخلاف فيه بين أهل السنة والمعتزلة وجميع كل منهم في تفسيره لقوله سبحانه : « فما تنضمم شفاعتنا لنافعين » .

وفي رأيه أن الاستطراد في تفسير القرآن بمعالجة قضايا علم الكلام توسع لا يقتضي له ، فالقرآن لا يفسر بالأراء والخلافات ،

وقد سار المؤلف على تقسيم سورة المدثر إلى أجزاء يعالج كل منها موضوعا واحدا .
فالفصل الأول : بعثة محمد رسولا من الآيات الأولى إلى الآية السابعة . والفصل الثاني : إنذار الكافرين من الآية الثامنة إلى الآية العاشرة . والفصل الثالث : عناد الوليد من الآية الحادية عشرة إلى الآية السادسة والعشرين . والفصل الرابع : سفر اللوامة من الآية السابعة والعشرين إلى الآية الحادية والثلاثين . والفصل الخامس : المجرمون في سفر من الآية الثانية والثلاثين إلى الآية الثامنة والأربعين .

والفصل الأخير : آيات القرآن تذكرا للناس .

وهذا التقسيم مبالغة في الترتيب ، فالسورة كلها وحدة واحدة ، تعالج موضوع رسالة الرسول صلوات الله عليه في مبدأ أمرها وتواجه الكافرين المكذبين بما يتهددهم من عقاب .

وينهج المؤلف نهج الأقدمين في التقديم الآيات بذكر سبب النزول ، ثم يعالج الألفاظ الغريبة ويحلل ذلك وسيلة لبيان المراد من الآيات ، ثم يعرض للقراءات ودلالاتها .

وفي خلال ذلك نجد فيه بحوثا موجزة

ف قوله سبحانه : « ثم يطمع أن أزيد » ،
تكشف عن خبيثة من خصائص الطغيان
وترسم صورة نفسية للكذابين المستكبرين
الذين لا يشبعون من المال ولا توتظهم
النعمة ولا تفتح عيونهم على اليد الممدودة
إليهم بالعطاء ، فلا يشكرون ولا يؤمنون
حتى تأتيم القارعة ، هذه الآية لا يعنى عليها
المؤلف إلا بقوله : « والذي غمره الله بالعم
خلقه من العلم وآتاه المال ممدودا والبنين
شهودا ومهدله تمسدا خطين بأن يشكرو ويقتنع ..
لكنه لا يشكر ولا يقنع وإنما يطمع أن أزيد
وهو سلوك عجيب مخالف لمنطق الأمور .^(١)
ثم يعدل مريعا إلى بيان الآراء في الزيادة
التي طمع فيها الوليد .

فقد كنا نرجو من المؤلف أن يكشف
في تفسيره عن مواضع عصره وطريقته
في الفهم والتدقيق في حدود الدلائل اللغوية
والأدلة الدينية ، فنحن بحاجة إلى كشف
منابع الهواية في القرآن على مستوى التخصص
أكثر من حاجتنا إلى اجترار المناقشات
السالفة والنظرات الفاصرة على الإعراب
الرافقة عند حدود الالفاظ .

ولكن الأستاذ جمال الدين عياد - الذي
درس التفسير في الجامعة الأمريكية - ينظر
إلى هذا المنهج القديم معجبا أشد الإعجاب لأنه
ميدان جديد عليه ، وهو منهج مفيد بلا شك

ولا يتلام مع هذا الجدل العقل الفلسفي
الذي حدث في البيئة الإسلامية بعد اتصال
الفكر العربي بالثقافات المترجمة ، فللقرآن
دلالات وله اتجاهه في الهواية والبيان .

٣ - كانجد فيه لمحات فقهية استطرادية ،
كيانه لتفسير النقاء الطهارة وأحكامها ،
والأصل في ذلك من الكتاب والسنة في
تفسيره لقوله سبحانه : « وثيا بك فطير » .
وهكذا نجد أن هذا التفسير يتخذ من الآيات
القرآنية مناسبة لذكر ما يتصل بمعناها من
موضوعات تستغل ببيانها علوم أخرى ،
كعلم الكلام والفقه والنحو .

يبقى بعد ذلك أن نشير إلى أن الجانب
الذاتي للمؤلف لا يظهر في هذا التفسير فهو
مرتبطة بالمنهج القديم ارتباطا كاملا بمعنى
النظر في الآراء واختيار أصحابها عن طريق
المناقشة بالوسائل القديمة أيضا من النحو
والرواية والنظر في الأسانيد .

ليس هناك تفوق جديد الآيات أو نظر
إليها من خلال الفكر الطليق ولا حناية
بما يمكن له صرفا أن يتعدى إليه فيها من سعة
اجتماعية وحقائق إنسانية .

فالآيات التي تعرض لموقف الوليد بن المغيرة
من الإسلام كانت تقع لكثير من النظر
الذي يستخرج منها حقائق اجتماعية ومواقف
تنشأ به في كل عصر ومكان . .

إلى جانب حكمة التشريع والترغيب والترهيب .
ففي القسم الأول يتناول أحكام الزكاة
من حيث فرضيتها والحكمة منها وما يصيب
المسلم من الخسر بأدائها وما يحق به من
الخط والعقاب حين يهملها وعلى من يجب
الزكاة .

وفي القسم الثاني يعرض للأنواع التي يجب
فيها الزكاة والمقادير التي فرضت في كل منها .
وفي القسم الثالث يبين مصارف الزكاة
والأصناف والذين لا يجوز إعطاؤهم منها ويحتم
الرسالة بالترغيب في الصدقات وآدابها ، وعن
التعفف وذل السؤال ويتبع المؤلف في هذه
الرسالة منهج الإيجاز وتلخيص الآراء الفقهية
والتحويل على الراجح منها .

مصطفى عبد الوارث

في مجال الدراسات اللغوية والدينية ، لكنه
لا يفيد في الوصول إلى الغاية الجوهرية من
تفسير القرآن والاهتداء إلى حقائقه والانتفاع
بها في الحياة .

مرشد المزمك

تأليف داود صبري سليمان

مطبعة العاقى ببغداد ٨٤ صفحة

هذه رسالة موجزة أراد بها المؤلف تعريف
المسلمين بتلك الفريضة المحكمة من فرائض
الإسلام ، فريضة الزكاة والتي شاع إهمالها
في بيئات كثيرة من المجتمع الإسلامي منذ تخلت
الحكومات عن تطبيق النظم الإسلامية .
وهي تسير على النهج الفقهي المألوف
المفروق بالأدلة الشرعية مع الإشارة

يفتخر في المخاطبة ما لا يفخر في المكاتبة

الكتاب يتصفح أكثر مما يتصفح الخطاب ، لأن الكلام متغير ، والمخاطب مضطر
ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أسرعته فيه أم أبطأت ؟ وإنما ينظر أخطأت أم أصبت ؟
فايضاؤك غير قادر في إصابتك ، كما أن إصراك غير منط على غلطك .

زهر الآداب ١٢٣

انبثاء وآراء

● أصدر قسم المصاحف ولحس الكتب التابع لمجمع البحوث الإسلامية بياناً بنشاطه عن عام ١٩٦٦ جاء فيه :

وبلغ عدد الكتب الدينية والثقافية التي صدرها القسم ١٥٥٠٢ كتاباً انتفعت بها إحدى وثلاثون دولة هي : السعودية والسودان والأردن والمغرب والجزائر ولبنان واليمن والعراق وقطر والهند وجزر كومورو وأوغندا ونيجيريا وسيراليون وغانا وأستراليا وألمانيا وأندونيسيا وأمريكا وإنجلترا والدولة الفصحية وكندا والصومال وسيلان وترينداد وماليزيا والفلبين وعمرة ودي والباكستان .

كذلك صدر القسم ٦١٥٠٠ لوحة قرآنية إلى السعودية ، ٢٤٠٠٠ لوحة إلى السودان ، ومصنفين مرتلين لنيجيريا ، ومصحفاً مرتلاً للباكستان .

وقد أتم القسم لحس خمسة عشر نوعاً من حجوم المصاحف وأصدر بها قرار تداول من مجمع البحوث الإسلامية فيما بين

إن القسم صدر ١٩٢٨١٨ مصحفاً لسبع وأربعين دولة هي : السعودية والسودان ، والأردن والمغرب والكويت والجزائر وليبيا ولبنان واليمن والعراق وقطر والهند وجزيرة كومورو وأوغندا ونيجيريا وتنزانيا وسيراليون وليبيا وغانا . والكاميرون وأمريكا وألمانيا وأندونيسيا والدنمارك ويوغسلافيا واليونان وإنجلترا وسوريا وأفغانستان وكندا وفولتا العليا وعدن والصومال وتايلاند وغرب إفريقيا وجنوب إفريقيا وسيلان والحبشة وفرنسا وتركيا وترينداد وماليزيا والكويت والسنتال وكينيا والباكستان وأسبانيا .

وبلغ مجموع الأجزاء المفردة من القرآن الكريم التي صدرها القسم ٢٤٧٣٦٠ جزءاً وزعت على ثمانية أقطار آسيوية وإفريقية وأمريكية هي : السعودية والسودان

١٩/١/١٩٦٦، ٢١/١٢/١٩٦٦ بأرقلم

مسلسلة تبدأ برقم ٧٢ وتنتهى برقم ٨٦ .

كذلك أصدر القسم بياناً عن المصاحف المصادرة خلال العام نفسه ؛ منها طبعة شركة تاج الهندية التي سبق للجنة أن وضعت بياناً كاملاً بالأخطاء التي وردت في طبعتها ومنها طبعة نمت بإديس أبابا ، وثالثة في ألمانيا وذلك للسبب نفسه .

وقد قسم للفحص خلال السنة الماضية خمسة عشر موضوعاً بين : « سيناريو ، ومجلة وكتاب أبيض منها ثلاثة عشر موضوعاً .

• • •

● زادت بعثات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر زيادة ملحوظة هذا العام ، وقد أدى المجمع واجبه نحو المعاهد العلمية التي يشرف عليها بالخارج فزودها بما تحتاجه من المدرسين وهذه المعاهد هي :

معهد غزة الديني ، ومعهد القويري بليبيا ، ومعهدا مقديشو وبرعو بالصومال ، ومعهدا صنعاء وتتم باليمن ، ومعهد أسمرة بأريتريا والمعهد الديني بالقبضية ، ومعهد دبي الديني ويشرف المجمع من الناحية الفنية على :

معهد الدراسات الإسلامية بالصومال ، ومعهد ألورن بنيجيريا ، وجميع المعاهد الدينية بالجزائر ، ومعهد الكويت .

• • •

● لى بمجمع البحوث الإسلامية طلبات الهيئات والجمعيات الإسلامية في كل من : الجزائر والصومال وإريتريا والفلبين ، ونيجيريا - سيراليون ، وأندونيسيا ، ودبي ، وليبيا واليمن فأرسل إليها الكتب الدراسية والمصاحف في حدود خمسمائة نسخة لكل منها .

• • •

● أصبح مقرراً اختصار مدة الدراسة بالمعاهد الثانوية الأزهرية إلى أربع سنوات بدلاً من خمس ، انتهت اللجنة المشكلة لتعديل برامج الدراسة في المعاهد الأزهرية إلى هذا القرار .

• • •

● تسلمت كلية السيدات المسلمات بسلان ثلاثة آلاف كتاب هدية من مجمع البحوث الإسلامية .

• • •

● هرح السيد غالب وزير التربية والتعليم في الحكومة اليمنية بأنه تقرر إنشاء أول جامعة في تاريخ اليمن باسم : جامعة سبأ سقدا بخمس كليات في مقدمتها : الهندسة ، والزراعة ، والطب ، وستوزع الكليات على المدن اليمنية وقال : إن تمويل لإنشاء الجامعة سيعتمد إلى حد كبير على مساهمة أفراد الشعب اليمني .

• • •

● جاء من الهند أن رئيس الأوقاف الإسلامية في الهند رغبته في وقف الأراضي والمعقارات اللازمة لتمويل معهد ديني ومركز إسلامي يتبع الأزهر الشريف في (كلكتا) يتولى التدريس فيه علماء أزهريون .

• • •

على الخطيب

● أصدر مكتب استعلامات الهند كتابه :



such as the delight of 'succumbing to temptation ; and those painful for the present but of future benefit such as curbing souls' desires. Then he puts under sixteen headings. Then in conclusion of his tract he throws light on the reasons that turn people from thanksgiving. They are ignorance, heedlessness, succumbing to passion, and Satan's conquest of men.

Aljab has connected thanksgiving with remembrance in His wise Book. "Remember Me, then, and I will remember you. Give thanks to Me and never deny Me "

Hence, on account of the sublime standing of thanksgiving, Satan did not find a way to lead people astray worse than making them forgetful of it. Satan said to Allah: " I will

waylay your servants as they walk on your straight path and spring upon them from the front and from the rear, from their right and from their left, Then you shall find the greater part of them ungrateful."

Even the Prophet who has been forgiven his past and future sins was discovered by his companions praying long, worshipping Allah and weeping a lot out of thankfulness to Allah. How truthful was Ibn Massoud, then, when he said : " Faith is two divisions, thanksgiving as much as patience"; and how sober and intelligent is the Prophet who said of the believer : " In prosperity he gives thanks to Allah, which promotes his benefit ; and in adversity - he takes patience, which promotes his benefit also ".

(Continued from page 12)

Qur'an came to stay and survive to control the world until its end - The religion is entirely complete as well as it is the final link of literature that encycles humanity with knowledge, theories and experiments till doomsday. Its plasticity makes it fit for all generations to come. It is the religion for all human beings, for the sound bodies and the sick, the residents and the travellers, the youths and the advanced ages, men and women

It assists the creatures as a group with kindness and leniency to Heavens in the eternity.

« إِنَّ الدِّينَ مِنْهُ الْإِسْلَامُ »

(آل عمران)

(Lo ! religion with Allah (is) The Surrender (Al-Islam): to His will and guidance. (III : 19)

In fact, it is the sole religion of all Prophets and Almighty God's messengers.

Illustrated by the errors of the tongue. Among these errors Al-Ghazaly mentions backbiting, lying, hypocrisy, self-praise, wounding jest, insult and defaming the dead. On account of their repetition and familiarity, he considers them the worst offences.

As to misfortunes which man can ward off, man is said to have taken to patience if he abdicates vengeance or reward. Al-Ghazaly throws light on evidence of the necessity of such a type of patience in the verses of the Wise Book, the Tradition of the Prophet and the sayings of the Prophet's companions. After all, Allah will help the patient in both the life of this world and particularly, the life to come.

Endurance of such calamities as the death of dear kinsmen, the loss of property, or as blindness is the most exalted degree of patience. It is the stock of the truthful. In a Holy Speech of His, Allah has said: "If I match an affliction against one of my servants, in his body, his property or his offspring, and yet he conducts himself with becoming patience, I will be too coy of him on the doomsday to hold for him a balance or open a record of deeds." And in His Lightgiving Book He has said: "Say 'Nothing will befall us except what Allah has ordained.

He is our Guardian. In Allah let the faithful put their trust'.

As to thanksgiving, it is based on three pillars:

a) knowledge of the favour, of the ground of its being so considered, and of the Donor Himself without Whom the favour would have not been;

b) joy, not with the favour or the act of being favoured, but with the Donor, submission to Him, and considering the favour a means of advance to Him, to abiding under His protection and to seeing His face;

c) the believer should also cherish benevolence for all creation, declare thanks and use the favours of Allah in acts of obedience and not of disobedience.

With reference to favour, Al-Ghazaly says it is every source of good, pleasure and happiness, and even everything wanted that will have an effect. However, he is of opinion that favour is genuinely the happiness of the other life. In demonstration of the sources of pleasure, he distinguishes them into many classes among which are: those useful in both this life and the next, such as knowledge and good manners; those harmful in both lives such as ignorance and bad manners; those useful for the present but which are harmful in consequence

latter. No wonder, then, that the Muslim Falasifa exuberated in their treatment of these two praise-worthy traits.

According to Al-Ghazaly, patience is the firmness of the religious motive, by which man is distinguished from beasts, on confronting motive of passion. With the variation of situations, patience is termed different names. In adversity it is called patience of which the contrary is despondency or consternation. With abdominal and sexual appetite, it is called chastity. With riches and abundance it is termed self-control, contradicted by wantonness. In war and strife it is given the name courage or bravery, the opposite of cowardice; and with anger it is called clemency; the contraposition of which may be either grumble or indignation. If it is with a wearisome misfortune, patience is called large-heartedness, its opposition being weariness, boredom or depression. In the same way Al-Ghazaly goes on with the demonstration of various circumstances and the terms to be applied in each to patience and its counteract. Thus he mentions reticence, contentment and renunciation of wordly vanities, in face of disclosure or betrayal of secrets, greed and covetousness. Most Islamic morals are, then included in patience.

Al-Ghazaly then classifies patience into : a decreed precept, when it is connected with interdicts; an additional service - or *Nail* - when it is with a misfortune; and a prohibited or hated passivity when connected, respectively, with prohibited or hated harm. Patience, however, is both necessary and unescapable; for not all that a man meets is after his heart. In any case, misfortune may be : connected with his own conduct, as is the case of his disobedience of a Divine decree; having no regard of his option, as is the case of a calamity; or that he can ward off remove or avenge himself for, as is the case of aggression on his security or his property.

The great authority of Islam says that compliance with Divine commandments and interdicts is by no means less severe than patience with calamities; for, by nature, man averts submission and has a liking for lordship. This is why a man may dislike prayer to Allah seemingly out of laziness, almsgiving out of avarice, and pilgrimage or flight out of both sluggishness and cupidity. Indecency, wickedness and oppression which Allah forbids are, according to him, the outcome of the motive of passion. Patience is most fell when passion and habit back up one another, which is best

From the Tradition of the Prophet:

"Thanksgiving and Patience"

By

SOLIMAN BARAKAT

Muhammad, Allah's apostle, may blessing and peace be on him, said: "Wonderful are the ways of the true believer. They are all good for him, which occurs to no one but a true believer. For in prosperity he gives thanks, which promotes his benefit, and in adversity he takes patience, which promotes his benefit also."

Life is a chain of connected links of weal and woe, and of joys and sorrows, and consequently faith shows in both thanksgiving and patience. Instantly, man is spoilt by ease and transported with the joy of abundance, while he is shocked and his heart is broken at a misfortune's befalling him. A faithful believer, however, is not like that. To him both fortune and misfortune are trial from which he emerges nobler and nearer and dearer to the One above, through praise to Him and acceptance of His will, Who sees all, and who has said: "He that thanks has much to gain, but he who is ungrateful... Allah is all-sufficient and bountiful."

The exclamation with which the Prophet initiates his Hadith is an

intelligent allusion to the magic effect of faith that inundates hearts and breathes confidence into souls. Rather than success, affluence and good health and the like, on one hand, and failure, want, illness and the like, on the other, by prosperity and adversity is probably meant the general course of days, months and years. In other words, the faithful are incessantly in a state of acceptance of Allah's will, whether with pleasure or with endurance. Thus, instead of levity or dismay, faith puts the believer in continual contact with Allah and His pleasure and distinguishes the believer by all good and salvation. "Allah holds the rewards of this life and of the next"

As for thanksgiving, it implies both the acknowledgement of Allah's favour and its diffusion through the execution of His ordinances and the avoidance of His prohibitions. Hence, the terms "patience" and "thank", their derivatives and their various forms of usage - not to mention their equivalents - are adduced in the Wise Book as frequently as in more than one hundred positions of the former and than sixty positions of the

we commended unto Abraham and Moses and Jesus (XLII : 13).

Almighty God commands mankind to religious unity and denounces racialism, colour and influence of positions.

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نعزو به شيئاً ولا يفتد بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » (آل عمران ٦٤)

(Say : O People of the Scripture! Come to an agreement between us and you : that we shall worship none but Allah, and we shall ascribe no partner unto Him and that none of us shall take others for lords beside Allah. (III : 64).

Heavenly faithful unity is teaching basically the ten commandments in Torah, in the Bible and in the Qur'an. (1)

« قل تعالوا أتعلموا من ربكم هل يحل لكم ألا تعصوا به شيئاً ... وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتتوه » (الأنعام ١٥١ — ١٥٥)

Muhammed the Prophet has an indefinite reverence to old Scriptures as well as the Qur'an defends, praises and esteems them boundlessly.

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين حاموا ... » (المائدة ٤٤)

This is an open confession of

Islam in praising Torah of Moses and the Bible of Jesus, nevertheless, calling on the Hebrews, Christians and all religions existing to follow Muhammad's message, not only because their correct books had established and described the forthcoming of Muhammad, as well as ordered the following races to embrace his faith during his appearance, but because the Qur'an is the last book from Allah that copes with the future to come.

« والذين هم بآياتنا يؤمنون والذين يعنون الرسول النبي الأمي الذين يحسنونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ... » (الأعراف ١٥٧)

The signs of the truth which acquainted Muhammad the Prophet were effective on the warm hearts of the nobilities and sagacious Christians who recollected and understood the truth carried from one Prophet to another and from one era to another until it settled on the forthcoming final Muhammad the prophet. They all pinned their faith in Islam and the Qur'an.

« ولتجدن ألبهيم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتينا مع الصادقين ... »

(المائدة ٨٢ — ٨٣)

(1) See Old Scriptures in The Torah.

(1) Read the commandments.

effectively with ease and certainty.

The development of human faculties enticed people of various nations to break the natural barriers and come in contact with one another to form one linked whole with a variety of teachings that were taken from one and the same source, and taught one and the same truth.

Muhammad, the last Prophet with a masterly hand, came at this period to restore Islam by a Sacred Book - El-Qur'an - which renewed the old teachings and restored them to their original form, with necessary additions to meet the requirements of the age and the following ages of the world.

«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن
أكثر الناس لا يعلمون» (سبا ٢٨)

(And We have not sent thee (O Muhammad) Save as a bringer of good tidings and a warner unto all mankind; but most of mankind knew not.) (XXXIV : 28)

«ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول
الله وخاتم النبيين» (الأحزاب ٤٠)

(Muhammad is not the father of any man among you, but he is the messenger of Allah and the Seal of Prophets.) (XXXIII : 40)

The Almighty Fair Wisdom is marked amongst the Prophets who believe and entrust each other. Any Prophet undertakes to manifest and pave the way practically to the following Prophet.

The Qur'an came to reveal and teach the previous religions. This holy final Book has recapitulated the old truths in their unalloyed form with requisite additions necessary for the development of present and future human faculties.

The Almighty God has taken the pledge and conveyance on every Prophet to believe and assist the contemporary Prophets.

«وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» (آل عمران)

(When Allah made (His) covenant with the Prophets, (He said): Behold that which I have given you of the scripture and knowledge. And afterward there will come unto you a messenger confirming that which ye possess. Ye shall believe in him and ye shall help him). (III : 81)

For this cohesion and unity of heavenly rules and regulations, religion in all periods, and with every Prophet is originally one, with difference in forms and not in principles, in order to be in harmony with various environments of different eras.

«شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وهيسى» (الدورى ١٣)

(He hath ordained for you that religion which He comended unto Noah, and that which we inspire in thee (Muhammad), and that which

the prophet was treating his followers, his character, his behaviour and his morale.

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » (الأحزاب : ٢١) .

(Verily in the messenger of Allah ye have a good example for him who looketh unto Allah and the Last Day) (XXXIII : 21).

Stages of Islam : Islam appeared with Adam and will eventually commence till the Domsday. It is the righteous sole religion the Almighty God has bestowed upon all the people of the universe.

The Prophets from Adam's era to Muhammad are commanded by the Almighty God to announce and preach Islam. The faithful true believers are attested to be rewarded in the altitude of the two abodes, and the unfaithful disbelievers to anticipate their punishment in the second survival abode.

The Almighty God has duly harmonised Islam to the faithful believers and enabled them to perform their prayers at ease to suit their environment both socially and in various cultural aspects.

Islam has made its appearance with so much simplicity as to suit Adam, Eve and their children in order to fit their life.

At the era of Noah, people increased comparatively in number

and Islam extended and became more collective in order to harmonise with theories, culture and life with its enormous experiences.

People, by the laws of nature which submit to the Almighty Power, occupied the whole earth. They scattered and formed disconnected races and separated by natural barriers in the form of oceans, high mountains and vast barren deserts. These barriers hindered meetings of people to exchange their culture and knowledges. The advent of a Prophet in every area which is remote from the other areas, took place.

Muhammad the Prophet in charge of preaching God's message, was chosen by Almighty God, a kin of his tribe, and not a pure stranger to them in order to facilitate his duty of delivering his message amongst his own people, preach in the way they understand most and explain all their enquiries.

« وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ »
(إبراهيم : ٤)

(And We never sent a messenger save with the language of his folk, that he might make (the message) clear for them.) XIV : 4

The Qur'an announces that every Prophet is sent to his own people for his acquaintance with their customs, and knowledge of their weakness. The Prophet remedies them

UNIVERSALITY OF ISLAM

BY : ALY OMAR FADEL

Islam in its real and apparent forms reveals its glistening superb merit to the eminent and refined humanity.

Definition of Islam : It is a thorough headway to Almighty God by submission of mankind; core and soul, to God by following His orders and avoiding His prohibitions.

Real trust in God means the full submission to the faith, and execution of His commandments in full.

• فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيا شعر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما • الباء ٦٥ •

(But nay, by thy Lord, they will not believe (in truth) until they make thee judge of what is in dispute between them and find within themselves no dislike of that which thou decidest, and submit with full submission). (IV : verse 65)

The importance of the prophet is conspicuous, due to his colossal responsibilities to Islam which is inspired by the Almighty God through revelation.

• وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى •
سورة النجم ٣ - ٤ •

(Nor doth he speak of his (own) desire. It is naught save an inspir-

ation that is inspired) (LIII : 3-4.)

For many reasons, the prophet is the vicegerent to God on earth; by preaching and executing His regulations as they come to him. His integrity is developed as high as to infuse his spirit in Godliness which leaves no vacancy in his sincere heart to any but God, and that is due to his extreme devotion that surmount his own life and existence.

• من علم الرسول فقد اطاع الله • الباء ٨٠ •
(Whoso obeyeth the messenger obeyeth Allah . . .) (IV : 80).

The companions and followers of the Prophet represent his spirit in themselves, and between one another, and with people, in peace and at war. They were Kind considerate and brave warriors.

• محمد رسول الله والذين معه اجمعاء على الكفار
رجاء بينهم • الفتح ٢٩ •

(Muhammad is the messenger of Allah. And those with him are hard against the disbelievers and merciful among them selves).

(XLVIII : 29)

One cannot be a true muslim unless he is in compliance with the laws and regulations of God; by following the prophet, in the way

the Abbasids, then the Tulunids and Fatimids. It was during the Fatimids dynasty that Al-Kuds was captured by the Crusaders in 1099. The famous Muslim, Saladin, recaptured the city in 1187 and he carried out the restoration of the Aksa Mosque at this time. In 1229 the Aiyubid Caliph, Al-Kamil, concluded a treaty with the Emperor Frederick whereby the Christians took possession of Al-Kuds except for the Muslim sacred places on the Haram. Shortly after this the Mamluks came into power and took control of all Syria and Palestine, and so of Al-Kuds.

The rule of the Mamluks lasted for three centuries, after which the

Ottoman Empire came into being. No. events of great importance occurred in Al-Kuds during this time and its inhabitants remained in comparative peace, leading the lives of their forefathers Arab with Arab.

In recent years, after the first world war and the disintegrations of the Ottoman Empire, Al-Kuds became the capital of Palestine. This state changed with the formation of Israel in 1948, it became a city torn in two but held together by its sense of religious significance.

Al-Kuds of today still retains its original place in the Faith of Islam and the passing years only increase the respect and reverence in which it is held by all Muslims.

(Continued from page 5)

Malik bin Habib settled in Kodunkalur and built a mosque there. Afterwards Malik bin Habib moved to Kollam, (Quilon) where he built a mosque. Leaving his family in Kollam, he travelled to Hubli Mawari. After building a mosque there, he visited Pakanoor, Mangalur and Kanjerkode. He erected mosques in all these places and returned to Hubli Mawari.

There he stayed for three months. He then went to Shaliyam, Darmafatan and walapatanam. After building mosques in these places he returned to Kodunkalur. Accompanied by his uncle Malik bin Dinar, He visited all these mosques and said prayers in them. They finally returned to Kodunkalur, and thanked

their Lord for bringing the light of Islam to a land that was the meeting-place of world Religions and Cultures.

Long afterwards, Malik bin Dinar and Malik bin Habib went to Shahar and visited the grave of the departed King. Later, Malik bin Dinar travelled to Khurasan where he died. Malik bin Habib, returned to Malabar. He left some of his children in Kollam and settled in Kodunkalur with his wife where they died.

From this account it is clear that it were Arabs who first took the light of Islam to South India. They were the pioneers in this field and the first Muslims that settled there.

freedom of worship and the security of the churches. The entrance of Umar into Al-Kuds was a remarkable event of a remarkable man. It is well known that when he was offered the Church of the Resurrection in which to say his prayers, he refused because this might have lead his followers to turn the church into a mosque. Instead he performed his prayers on the entrance steps of the church.

It is said that when Umar asked to be taken to David's mosque, he was first shown the Church of the Holy Sepulchre and the Church of Sion. On his insistence that this was not the true place he was finally taken to the site of the mosque. This he recognised by the description given to him by the Prophet who had been there during his famous night journey, when he placed his foot on the the Rock to ascend to heaven.

Upon finding the correct place he had it cleared of all the debris with which it was covered, he then built a simple but large mosque which we are told could hold 3,000 men. This fact is confirmed by Bishop Arculfus (I tineria Hierosolymitana). Due to the fact that the Christians would not build a church on what they considered pagan ground, this was thus satisfactory to both sides and the Muslims acquired the desired place held sacred by them.

During the Umayyads the prestige of Al-Kuds increased. This was mainly due to political reasons, also it was easier to reach from Damascus than Medina or Mecca. Mu'awiya even had himself proclaimed Caliph there in 40 A. H. The Umayyads' plans were further helped by the holiness accorded Al-Kuds by the Prophets and the tradition, recorded by Al-Zahri, in which Muhammad classed Mecca, Medina and al-Kuds as of equal value to pilgrims. In facts, according to the hadith, Al-Kuds was placed first in precedent above the other two sanctuaries.

The Caliph Abdul Malik further persuaded his people in this matter as he did not want them to visit Mecca while Ibn Zuhair was in control of it, he thought they might be coaxed or forced to join the anti-caliph, Ibn Zuhair. It was at this time that Abdul Mulik built the renowned dome over the Rock, the Kubbat Al-Sakhra, around which the tawaf was performed and which surpassed all else in its beauty.

During the following centuries the religious significance of Al-Kuds gradually declined and came to be of less importance for the Muslims. Its history and fortunes being similar to other towns and cities in Syria and Palestine at that time

After the Umayyad period came

The Sacred places of Muslims :

JERUSALEM (AL-KUDS)

By

RASCHIED AL-ANSARI

« سبحانه الذى أمرى بيده ليلا من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لفره من كراتنا
إنه هو السميع البصير » (١- الإسراء)

(Glory be to Him, who carried His servant by night from the Holy Mosque to the Farther Mosque the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our signs, Lo ! He only He, is the Hearer, the Seer)

The old and beautiful city of Al-Kuds, venerated by Muslim, Christian and Jew, has a long and often bloody history stretching back to antiquity. All three religions claim a special interest in this ancient city. The Muslims for the following reasons :

1) Here is the place of the sacred rock, Al-Sakhra.

2) It is on this rock that Muhammad (may peace be with him) placed his foot when he ascended to heaven.

3) The above verse from the Qur'an.

The Arabic name for Jerusalem is Al-Kuds, but there is a still older name of ' Baït Al-Makdis ' Here it was that the wisest king of the ages, Saloman, built his famous mosque to the glory of the One God, Allah. It is on this site of Solomon's mosque where the Rock, Al Sakhra, is located and over which the Caliph Abdul Malik built the Dome in the year 70 A.H.

The Christians' interest is due to the belief that their saviour, Jesus Christ, was crucified here. Marking the place of his death and sufferings are to be seen many beautiful churches belonging to the different sects of Christianity ; Coptic, Roman Catholic, Greek Orthodox, etc. During the Crusades the city changed hands at different times, usually with much bloodshed, the Crusaders turning the mosques into churches.

Al-Kuds first came under Muslim influence at the time of Umar. In 17 A.H., during the siege of Al-Kuds, a treaty was signed granting the Christians their lives and property.



The mosque of Lucknow (N. India)
one of the earliest Muslim monuments in India.

to rule the Kingdom during his absence and wrote down their duties in clear terms.

The ship sailed with them. They spent the night and the following day in 'Fandarina'. They then sailed till they reached 'Darmafatan' where they spent three days. They again sailed and reached Shakar. Here they stayed for many days during which period, they arranged to send a mission to Malabar, to call people to Islam and build mosques there. At this time, the King fell seriously ill. He gathered around him the members of the mission and urged them to go ahead with their duties. They Said :

"O King, we know not your

country, we had decided to go there because you are with us". The King thought for a moment. He then wrote a letter in Malayalam to his relatives. He gave it to them and asked them to go to Kodunkalur, Darmafatan and Fandarina. He asked them not to speak about his illness. Shortly after this the king died.

Two years after the death of the king, Sharaf Bin Malik member of the mission started for Malabar with his brother, nephew, and his wife and children. Soon after their arrival in Kodunkalur they presented the royal epistle to the Governor who granted them lands, gardens and fields as per the King's order.

Malik bin Dinar and his nephew

(Continued on page 8)

"Arab traders used to go to Ceylon for business. Some of them settled there with their families. When some of them died and their families had no one to take care of them, the King of Ceylon sent them by sea to 'Al-Hajaj Bin Yusuf' at Kufah. He gave them costly presents from his privy purse. When the ship reached Dibal in Sindh, a gang of pirates attacked the ship and took away the presents. When this sorrowful news reached Al-Hajaj he decided to attack Sindh in Retaliation". ('Futuh Al-Buldan' p 436 ; History of Farishta, second part.)

These events that took place during the reign of Walid bin Abdul Malik (705 - 715) signify that the people of Ceylon knew about Islam and that Arab traders had settled there during the first century of the Hijrah.

At this period, some arab traders also settled in Malabar.

In his "Tuhfat Al-Mujahidin", Sheikh Zain Al-din Bin Abdel Aziz relates to us how Islam found its way in Malabar. He says that since time long past, Jewish and Christian communities had settled in Kodunkalur (Cranganore) in the capital of Malabar. The Jews settled here were probably those who Kaikhusur, the King of Iran, had banished from the land. They crossed the Arabian

Gulf, and settled in Cochin.

Forester had a slightly different account of the Jewish settlement in Malabar. He says "In 369 A.D. a group of Jews migrated from the island of Miorea in Spain. They were about seven or eight thousand persons. They reached the coast of Malabar and settled in Cochin. As for the Christians, history records that St. Thomas preached in Malabar, and that Nestorian Christians, from-Syria and Chaldea also, came there.

Years after this a group of Muslims passed by Malabar on their way to Ceylon to visit the footprint of Adam, when the news of their arrival reached the King, he received them and made inquiries about the Prophet. An elderly man replied to his questions and gave him an account of the Prophet's life and teachings, and the miracle of the splitting of the moon.

The King believed him and embraced Islam. He confided to the man that on their way back home, he would accompany them to Arabia to visit the Prophet. He asked his arab friends not to speak about it to any one in Malabar.

After their return from Ceylon the King embarked along with his visitors. He then sent for his members of his household and his ministers and told them that he would spend a week in contemplation. He appointed his ministers

Once again these relations suffered a rupture which provided an opportunity for the Arabs to take up the business.

So when the Portuguese reached India, they found trade in the hands of the Arabs. It was the habit of the Arabs to start their voyage to the southern and western coasts of India during the months of July and August when the wind blows to the east. They would stay there for about four months and return to their country in the months of December or January. This voyage would last about thirty to forty days.

After the migration of the Prophet to Medina, hundred of Arab Tribes entered the fold of Islam, in a short period. Great men sent their deputies to prophet to announce their acceptance of the new faith. In the 9th and 10th years, after the Hijra the people of Yemen and Hadramaut embraced Islam in large numbers. These were all traders. Their trade at that time had reached the peak of progress. They were exporting their goods to the Gulf of Arabia, Egypt, Sindh, Konkaram, Malabar, Ma'bar, Ceylon, Sabij (Java) China and other far off countries. In every country they visited they preached the new faith.

Thus came the voice of Islam to India and Ceylon in the first century of Hijrah.

During the reign of Caliph Abdel Malik bin Marwan (65-86) a group of Muslim traders came to Ceylon and settled there. There lived in Harmaz, a town in the Gulf of Arabia, a persian sailor by name 'Buzurg bin Shahrriyar'. In his book : "The Wonders of India" which is an account of his voyage, he writes as follows :

"When the people of Ceylon heard about the Prophet, they sent a distinguished man to Arabia to enquire about the new prophet and to bring them news about him. The man arrived in Arabia in the reign of Caliph Umar (634-644 A.D.). He met the caliph and discussed with him the mission of the new prophet. He started for Ceylon with complete information about the new faith. But he died in Makran and his indian servant who was with him returned to Ceylon and told the people all that he had seen and heard.

He conveyed to the people with information his master had gathered about Islam, the prophet of Islam and the caliphs Abu Bakr and Umar. About Umar, he says, he is a brave and pious man. He puts on patched clothes and sleeps in the mosque (wonders of India, p. 156).

Speaking about the causes of the Conquest of Sindh, the famous historian Ahmad Al-Baladhuri (892 A.D.) writes :

The Arab had contact with the west coast of India many centuries before the advent of Alexander the great.

Indian produce was exported to coasts of Arabian peninsula from where Arab traders carried it to Todmar in Syria, and to Alexandria in Egypt, through Hejaz and Yemen. Western traders would buy the goods from Syria and Alexandria and export it to markets in their countries.

Arabs and Egyptians in those days acted as the media between India and Rome and Greece in commercial relations. The godown of Indian produce was 'Safar' in Hedramaut. Traders from this place had direct business contact with South India. That why we find coconut-tree and 'betel plant' growing there. These trees were imported from Malabar and grown there.

Roman traders living in Egypt began to pour into India. They made Malabar their business centre. Pleny says, "Ships from Egypt would reach India in two months and ten days".

The towns of Moserus and Fohar were the chief ports in those days. From these ports goods were exported to Rome in Roman ships. During the first and second centuries before Christ many Romans settled in these port-towns. They built a big temple in Moserus and called it Caesar Augustus.

These Romans are referred to in ancient Tamil works as 'Yuvaness'. The main items of export were pepper and pearl.

Pepper is chiefly grown in Malabar and Pearl is abundantly found in the Indian ocean even to-day. As for Bana, it is a precious stone resembling emerald. The romans liked it very much.

When king Alark defeated the Romans, he demanded from them an indemnity which included three hundred pounds of pepper. The two great Roman writers, Pleny and Ptolemy knew well the ports and commercial centres on the west coast of India. A Roman trader visited these places eighty years before the birth of Christ, and compiled an account of his travels and named it Barbalas. This account contains valuable information about India and the Roman Traders living there.

Commercial relations between Rome and Malabar were as best as they could until two centuries after Christ. These relations later grew in strength, thanks to the efforts of the Ptolemaic kings and Alexandria became the centre of this trade.

In 215 A. D. Karda resorted to a massacre in Alexandria. This resulted in the rupture of trade relations with India for some time, and they were resumed later on.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Shawwāl
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

January
1967

Spot Light on the History of

"ISLAM IN INDIA"

BY

A. M. Mohiaddin Alwaye



Any study of Islam in India has two different aspects ; the first aspect is the Muslim conquest of India, and the second one deals with the entry of Islam in India, and the efforts of the many individuals to spread the faith of Islam in this new land.

The last aspect of study is more extensive, more glorious and has left more lasting marks in the history of India. Islam does not owe its spread in the length and breadth of the country to the Kings, the Emperors, and the Conquerors ; but it owes its spread to the Arab individuals and their tremendous efforts.

These individual efforts began before the first conquest of India at

the hands of Muhammad Bin Qasim (91 A. H.). Historical research has brought to light the following facts: the first, the coming of Muslims to India was not a colonial movement nor was it a wave of military conquest ; secondly, the small groups that entered India as conquerors, were not Arabs except, of course, the army that conquered India under the leadership of Muhammad Bin Qasim ; and thirdly, nowhere in India did Islam spread by force or coercion.

The following account of Islam in India will, it is hoped, throw some light on the spread of Islam in the sub-Continent of India, and the factors that helped in its spread.

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجوامع الأزهر
بالقاهرة
ت ١ : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بذل الاشتراك»
٥٠ في المائة من المبيعات
٥٠ ضائع المخرجة
والمرسيع الطلاب تخفيض خاص

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزآن التاسع والعاشر - السنة الثامنة والثلاثون - ذي القعدة وذى الحجة سنة ١٣٨٩ هـ - فبراير - مارس سنة ١٩٦٧ م

السلامة العامة



صفحة من حياة الأفغان

بمناسبة ذكرى وفاته السبعين
بفلم
أحمد حسن الزيات

ولكنهم لسوا أن الرسل يلغون والله يثبت،
وأن المصلحين يبدرون والنهر يفيض ، وأن
جمال الدين إنما كان صيحة الحق وإشراقة الهدى
انبعثا في يومها الموعود كما بنفجر المكطوم
فيلوى ويحولك الليل فيصبح .

وهل كانت الثورات الديمقراطية التي شها
الرايون ثم المهديون ثم الاتحاديون ثم السعديون
ثم الهاشميون ثم القهاريون إلا أقباساً من تلك
الشعلة المباركة التي حملها الأفغانى وتنقل بها
في عمالك الشرق ، يحرق ويضئ ؛ وينضج

في اليوم التاسع من شهر مارس عام ١٨٩٧ م
قضى السرطان في عاصمة الخلافة على الحكيم
الثائر المصلح السيد محمد جمال الدين الأفغانى
بعد أن طلع الرسالة وأدى الامانة ومسح عن
عيون الشرقيين ما قترها من هود الكرى ،
وجلا عن قلوب المسلمين ما غشاها من صدا
الجليل ، فاطمان الاستبداد وأمن الاستعمار ،
وظن الذين يتغصنون أو طانم لقيمواعروشهم ،
والذين يزيفون أديانهم ليملأوا كروشهم ، أن
الصوت قد خفت ، وأن المشعل قد انطفأ ؛

الثالثة والثامنة عشرة من عمره علوم الدين والدنيا ، وفنون اللسان والعقل ، على منهاج محيط شامل ؛ وأنه حذق في مراحل حياته ومواطن رحلاته اللغات العربية والآردية والفارسية والتركية والفرنسية ، وألم بالإنجليزية والروسية فاتصل منها بثقافة الشرق والغرب في القديم والحديث ، وأنه طوف ماشاء الله أن يطوف في أقطار الهند وإيران والحجاز ومصر وتركيا وإنجلترا وفرنسا وروسيا ، فازداد بصراً بأحوال الدول وأخلاق الشعوب ؛ وأن موقع أفغانستان بين الهند وإيران أمكنه من أن يرى ميادين الاستعمار المدل المذل تتساقط عليها قوى الإنجليز والروس ظاهرة وباطنة ، فباله منذ شب عدوان الأجنبي على استقلال أمته وجبرته .

كل أولئك الذي ذكرت من كرم المحند ، وشرف المولد ، وبدأوة البيئة ، وعشق للثقافة وحذق اللغات ، وإدمان الرحلة ، ومعاماة الاستبداد ، ومكابدة الاستعمار ، لم يخلق وحده الرجل المصلح في جمال الدين ، وإنما كان مساعداً لسر العبقرية الذي أكنه الله فيه على أن يظهر ميلاً الأسباب مستكمل الوسائل .

• • •

كان رضى الله عنه متواضع النفس لأنه عظيم ، جرى الصدر لأنه حر ، ندى الراحة لأنه زاهد ، ذرب اللسان لأنه قرشى ، أبى العنيم

ويحمى ، ويقبض ويشعل ، وساعده مرفوعة لا تسلك ، وصريته ماضية لا تسلك ؟

ومر القوة في هذا الرجل أنه كان صاحب رسالة لا طالب ملك : هاجم السياسة الإنجليزية في (العروة الوثقى) أعنف الهجوم أيام الثورة المهدية ، فدعى إلى لندن ليروح له اللورد سالسبرى بملك السودان ليطفيء الثورة ويقترح الإصلاح ، فما كان جواب الأفغانى إلا أن قال : ه إن السودان لأهله ، وهل تملكونه حتى تملكون عليه ؟ (١) ، وأراداه السلطان عبد الحميد على مشيخة الإسلام فأبأها وقال : إن وطيفة العالم فيما يزاول من تعليم ، وإن رتبته فيما يحسن من علم (٢) .

أما كيف نبأت نفسه لرسالة البحث والتجديد على فترة من رسل الهدى وأئمة الإصلاح لم فيها الحاكم وكفر المصكوم ، فذلك من علم الله الذي يصطفى من يشاء كما يشاء لنصرة حقه وهداية خلقه . وكل ما نخلته معيناً على هذا التيهو أنه ولد في بيت كريم الأصل يجمع إلى جلالة النسب إلى الحسين ، سودد الإيمارة على بعض الأقاليم الأفغانية ؛ وأنه درج في بيئة تعز ببطباع البداوة من حرية وحيمة وأريحية وأئفة ؛ وأنه درس فيما بين

(١) خاطرات جمال الدين المخرومي ص ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٠ .

وأدار أمره على الثورى ، فأوجس الإنجليز خيفة من هذه النزعة ، فأرسلوا ذعهم إلى منافسه فأخزم الثورة وفرق الكلمة وطرده الأمير .

وخرج السيد إلى الهند يبتغى السكينة عند تاجر صديق ، فاستقبله الإنجليز على الحدود ، وأنزلوه بالإكرام ضيفا على الحكومة . فسألم الإقامة شهرين ، ولكنهم حين رأوا إقبال الناس عليه ، وإصنافهم الشديد إليه ، قهروا هذه المدة وأمروه بالخروج . وكانت الأعصاب الهندية المنفرة ثور حين قال للزماء الهنود وهو راحل : « وعزة الحق ومر العدل ، لو أن ملايينكم مسخت ذبابا لأخرجت الإنجليز بطينتها من الهند ، ولو انقلب سلاحف ، وعاضت البحر إلى الجزر البريطانية لجذبتها إلى القاع » .

وفى الآستانة استقبله المصدر الأعظم استئصال التجلة ، وأحله أعيان الدولة على الكرامة . ثم عين عضوا فى مجلس المعارف ، فرأى فى التعليم رأيا ، وخطب فى الصناعة خطبة ، أحفظا عليه أعران الجهل من رجال العلم ، وإخوان الصلال من شيوخ الدين ، وتولى قيادة الإرجاف شيخ الإسلام لحاجة فى نفسه ، فأقرى على الرجل الأباطيل ، وبس حواليه الخائن ، فلم يجد الأفغانى بدا من النزوح إلى القاهرة ، وهنا وجد الصدر

لأنه أمير ، حاد الطبع لأنه مرهف ، صريح القول لأنه رجل .

ولم يبتغ من وراء هذه الصفات - كما قال - إلا سكينة القلب . وكان محمد الله على أن آتاه من الشجاعة ما بعينه على أن يقول ما يعتقد ويفعل ما يقول ^(١) . ومن تماذج هذه الشرائع وتلك الوسائل فيه اتسعت حوله الأرض ، وامتد أمامه الأفق ، وانصرف همه البعيد عن الدار والزوجة والعشيرة إلى الوطن الإسلامى كله ، وللشرق الإنسانى كله ، لجمال قصده ووكندة أن يدعو إلى إنهاضهما بالوحدة الإسلامية لتدفع غائلة المستعمر ، وبالحكومة الدستورية لتقمع شره المستبد .

وقد آمن بهذه الدعوة إيمانه بانه حتى رأى فى سبيلها السجن وراحة والنفى سياحة والقتل شهادة ^(٢) . وكان الذين يقفون من سيرة الأفغانى على الهامش يظنون أنه قصر جهده فى تحقيق هذه الدعوة على الكتابة والخطابة ؛ والواقع الذى لا شك فيه أنه عكر ثم فخر ثم دبر ؛ ولكن الوحدة كانت من الثبات بحيث لا تلتئم ، والاستبداد كان من الثبات بحيث لا ينزم .

تولى الوزارة وهو فى ريق شبابه لا مير الأفغان محمد أعظم ، لمسع نفسه على الاستقلال

(١) خاطرات جمال الدين ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢ .

وانتقلت الشعلة إلى باريس ، وسطعت في العسوة الوثني ، وظلت ألسنتها ثمانية عشر شهرا تومض في جنبات الشرق كما تومض المنارة في ظلمات المحيط ، حتى دلت على أوكار الطفليان ونمت بأسرار القرصنة ، فاستقدمه شاه العجم واستوزره ، فلما أشار عليه بالشورى أشاح بوجهه عنه ، واستأذنه فيصر الروس واستنجره ، فلما نبأه بمحدث الثوري نفر منه واستدعاه لحاقان الترك واستشاره ، فلما نصح له بالشورى وتقسيم الإمبراطورية إلى عشر خديويات يتولاها أمراء عثمانيون زوى عبد الحميد ما بين عينيه ، ولكنه ألطف الجواب للحكيم الشجاع ، وظل على إكرامه أربع سنين حاول فيها أن يكبله بقيود المنصب والزواج فلم يستطع ؛ ولكن الموت استطاع أن يكبل التأثير الحمر ليلبغ الاستبداد أهله المقذور !

وهكذا كانت حياة جمال الدين كلها جهادا معنيا في سبيل الله والملم والحرية والثوري . كان أينا حل تنفس الصبح واستيقظ المجهود . وأينما رحل ارتجفت العروش واضطربت القيود !

طيب الله ذكرى هذا الإمام العظيم وأجزل له ثواب المصلحين المخلصين في جنات النعيم !

أحمد محمد الزينات

الأرحب في رياض باشا ، فتجلت عبقرية في التعليم والتنبيه والتوجيه ؛ وأوقد بالبيت المقدس شعلته الوهاجة في البيت وفي القهوة فدنا على ضوئها المهادي طلاب المعرفة وعشاق الحكمة من علماء وأدباء وساسة وقادة .

ثم اتخذ من المحفل الماسوني الذي أنشأ منارة هذه الشعلة ، قسم الإخوان العاملين فيه شعبا ، لكل وزارة من وزارات الدولة شعبة . فشعبة الحرية تنظر في ظلامه المصريين . وتندر (ناظر الجهادية) أن يتصفهم من الضباط الجراكسة ؛ وشعب الحفانية والمالية والأشغال تندر وزراءها أن يساوا المصريين بنفسهم في العمل والمرتب . وراع أولى الأمر ما قرأوا في تقارير الشعب ، وما سمعوا من لفظ الموظفين ، وما رأوا من قلق المثقفين ، فاستدعاه الخديو توفيق وفاوصه في ذلك ، فقال له فيما قال : « إن سبيل الإصلاح أن يشترك الشعب في حكم البلاد عن طريق الثوري » .

ثم ازداد جمال الدين إيمانا في حملته ، وانقلب الأدب كله أصداء لأحاديثه وأبواقا لدعوته ، حتى انتهى الأمر بعد جهاد ثنائي سنوات إلى أن ضاق الإنجليز بسعة نفوذ ، فزبنوا الخديو أن يخرجهم من مصر فأخرجهم .

• • •

« لا » يقتضي قبل إتهانائنه ، وليست كذلك
 درء مظاهير من الجرأة في تفسير الكتاب العزيز
 لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج
 القسم الثاني

• ما وقعت فيه (لا) مع أن المصدرية بعد فعل منع •

وليس الأمر كذلك ، فإن المقصود طلب
 ما منعه من السجود ، وقد عبر الرازي عن هذا
 بأنه إشكال يختلف في طريقة حل العلماء (١) .
 ومن قبله الإمام ، ابن جرير الطبري ، يقول :
 إن « ما منعك » معناه أي شيء منعك ؟ وهـ ألا
 تسجد إذ أمرتك ، معناه أن تدع السجود
 لأدم ، إذ أمرتك أن تسجد له . ثم
 يعقب بقوله :

« فإن قال قائل : أخبرنا عن إبليس :
 ألحقته الملامة على السجود ، أم على ترك
 السجود ؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك
 السجود ، فكيف قيل له : « ما منعك
 ألا تسجد ؟ » وإن كان التنكير على السجود ،
 فذلك خلاف ما جاء به التنزيل في سائر
 القرآن ، وخلاف ما يعرفه المسلمون ، ثم
 أجاب بقوله :

« قيل : « إن الملامة لم تلحق إبليس
 إلا على معصيته به بتركه السجود لأدم ،
 إذ أمره بالسجود له ، غير أن في تأويل قوله :

(١) من هذا القسم آية الأعراف قوله تعالى :
 « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا
 خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .
 هذه الآية تحمل سؤال إنكار وتبكيك ،
 موجه إلى إبليس الذي أمره الله بالسجود
 تحية وتكريماً لأدم عليه السلام ، فأبى أن
 يسجد استكباراً وأتفه ، متعللاً في ذلك بأنه
 خير من آدم ، إذ خلقه الله من مادة أفضل
 من مادة خلق آدم ، فقد خلق هو من نار ؛
 أما آدم فقد خلق من الطين .

هذا هو المضمون المقصود من الآية ، وهو
 شيء أجمع عليه العلماء : « القدماء والمحدثون ،
 من غير خلاف من أحد منهم في شيء منه .
 لكنهم اختلفوا في طريقة أخذ ذلك المعنى
 من الآية اختلافاً كبيراً ، فإن ظاهر الآية لا يعطى
 ذلك المعنى بالسهولة التي يمكن أن يستغنى
 معها الناظر الباحث ، أن يبذل في ذلك جهده
 أو يعمل فكره .

ومن هنا يقول الإمام ، غفر الدين
 الرازي : « ظاهر الآية يقتضي أنه تعالى
 طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود ،

(١) للتفسير الكبير ج ٤ ص ١٨٦
 المطبعة الشرفية .

« ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافاً (١) .

« أقوال العلماء في الآية » :

إن الناظر في أقوال العلماء في كلمة « لا » الواردة في آية الأعراف : « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » وما أوردوه في ذلك من مختلف الوجوه والاحتمالات ، يجد أن كثيراً من هؤلاء العلماء - ولا سيما النحويون منهم - قد اتفقت كلمتهم على أن « لا » في « ألا تسجد » زائدة .

ونحن نذكر هنا ما أوردوه من الآراء والأقوال ، وما وجهوا به كلامها ، ثم تتبع ذلك بما نرى أنه الوجه المختار .

« رأى النحاة في الآية » :

يسند « الفخر الرازي » إلى « الكسائي » و « الفراء » و « الزجاج » وكثير غيرهم ، أنهم يقولون : إن « لا » في هذه الآية زائدة ، وكذلك يحكي « ابن جرير » عن بعض نحاة البصرة ، وبعض نحاة الكوفة ، القول بزيادة هذه الكلمة .

فمن النحاة البصريين يقول : إن « لا » في الآية عندهم زائدة ، وأن « ما منعك ألا تسجد » معناه « ما منعك أن تسجد » ، وأن ذلك كما قال الشاعر :

أبي جوده لا البخل واستجبت به

نعم من قبي لا يمنع الجود قائله

قال : وقد فسرته العرب بأن معناه :

« أبي جوده البخل » ، وأنهم جعلوا « لا » زائدة حشوا وصلوا بها الكلام » (٢) .

وهذا يظهره يعني أن « لا » في الآية جاءت كالتثنية في هذا البيت ، وأن نحاة البصرة الذين نقل عنهم « ابن جرير » ذلك ، يرون أن « لا » في الآية زائدة حشو ، لا تحقق فائدة أي فائدة ، وأنها ليست إلا شيئاً قد وصل به الكلام ، كما قالوا في البيت .

وهذا الظاهر قد جاء على شاكلته ما أثبتته « أبو علي الطبرسي » في « مجمع البيان » في تفسير آية الأعراف إذ قال مائمه : « ما » في قوله :

« ما منعك » مرفوع الموضع ، والمضى أي شيء منعك ، و « لا » ملغى في قوله : « ألا تسجد » ، والمضى : « ما منعك أن تسجد » ومثله قوله « سبحانه » : « لتلا يعلم » ومعناه لأن يعلم . وقال الشاعر :

أبي جوده لا البخل واستجبت به

نعم من قبي لا يمنع الجود قائله

قالوا معناه : « أبي جوده البخل » اهـ (٣) .

(١) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٢٤ دار المعارف .

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسي في تفسير آية ١٢ من سورة الأعراف ج ٤ ص ٤٠١ .

(٣) جامع البيان : تفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ دار المعارف .

الكوفة ، أنهم يفترون عن نحلة البصرة ، بأنهم يحملون زيادة « لا » في قوله تعالى : « ألا تسجد » لفائدة الاستيثاق من النبي وتأكيده . وإليك نص عبارته قال :

« وقال بعض نحوي الكوفة نحو القول الذي ذكرته عن البصريين ، في معناه وتأويله غير أنه زعم أن اللمعة في دخول « لا » في قوله : « ألا تسجد » ، أن في أول الكلام جملاً - يعني بذلك قوله : « لم يكن من الساجدين » - فإن العرب ربما أعادوا - في الكلام الذي فيه جحد - الجحد للاستيثاق والتوكيد له . . . ١٠١ (١) » .

فقد صبر هنا عن « لا » بأنها ملغاة ؛ وفيما نقله ابن جرير عن بعض نحاة البصرة ، عبر عنها في الآية بأنها زائدة ، وفي التظهير هناك بالبيت ، صبر عنها بأنها زائدة حشو ، وأنها لوصل الكلام .

فهل وصف الكلمة بأنها حشو وملغاة أو صلة ، يرادف وصفها بأنها زائدة ، ويكون المراد بهذه الأوصاف كلها التعبير عن مطلق الزيادة ؛ سواء أكانت لفائدة أم لم تكن كذلك ، ويكون ذلك اصطلاحاً لا يقصر الحشو والمغنى - كما في اصطلاح آخر - على ما لا فائدة فيه أصلاً ؟ (١)

إن كان الأمر كذلك فقد هان الخطب ، وسلس ولا ، الواقعة في كثير من آيات الكتاب العزيز ، من أن تكون شيئاً لا يعطى فائدة أى فائدة ؟ لأنه ما دام هذه الأوصاف لمطلق الزيادة ، فقد أمكن أن تكون « لا » التي تحيى مزائدة في بعض آيات القرآن الكريم من قبيل الزائدة لفائدة .

ولكن هذا التخرج لا يساعد عليه ما صرح به الطبري ، الذي حكى عن بعض نحاة

(١) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٢٤ دار المعارف .

(٢) هذا الذي نقله ابن جرير عن بعض الكوفيين - في قولهم بزيادة « لا » في مقام الإثبات في مثل آية الأعراف ، وطريقتهم في تحليل هذه الزيادة ، وقولهم : إن العرب قد يعيدون الجحد في الكلام الذي سبق في أوله جحد للاستيثاق والتأكيد - يشبه كثيراً ما جرت به اللغة الفرنسية في المعاصر الحديث من استعمال كلمة « ne » في مواطن خاصة ليس المعنى فيها على النفي ، وإنما هو على الإثبات مع أن الكلمة موضوعة في أصل اللغة لفائدة النفي .

(١) يقول ابن يعيش في شرح المفصل ج ٨ ص ١٢٨ : إن الصلة والحشو عن عبارات الكوفيين ؛ والزائدة والإلغاء من عبارات البصريين .

« لا » في الآية الكريمة فهم يخالفونهم إذ يحطون بزيادة « لا » لفائدة هي الاستيثاق من تحقق الشيء المستفاد من قوله تعالى : « لم يكن من الساجدين » وتأكيده . ومعنى هذا أن ذلك شيء لا يقول به نحلة البصرة ، فإذا كان الأمر كذلك كان رأى أولئك البصريين فيه من البشاعة ما يجب أن يستغفر منه ويبرأ إلى الله من قبعه كل من له عقيدة صحيحة في القرآن الكريم وأن أسلوبه لا يمكن أن يشتمل على شيء يقال فيه : إنه زائد على من القائدة .

ثم إن الاستشهاد بالبيت على أن « لا » في الآية زائدة إنما يكون له وجه من الصحة إذا كانت زيادتها في البيت أمراً مسلماً به مفروفاً منه ، فأما والحال على غير ذلك = ولكن الترجمة الحرفية للجملة هي : لا أحد غير راضٍ بحظه (في الحياة) ، وذلك نقيض المقصود .

(٣) ويقول الفرنسيون عن موليير Molière الممثل الفرنسي المشهور

« Nul ne peut être comparé à Molière dans le genre Comique » ومعناه : لا يوجد من يمكنه أن يضارع موليير في الرواية الهزلية .

ولكن الترجمة الحرفية للجملة هي : لا يوجد من لا يمكنه أن يضارع موليير في ذلك وهو نقيض المقصود .

إن هذا الصنيع يفيد أن الكوفيين إذا كانوا يوافقون البصريين في القول بزيادة = ويجعل القول في ذلك أن هذه الكلمة الموضوعية للثني لا تستعمل غالباً لإفادة هذا الثني إلا مصحوبة بكلمة من كلمات معينة مثل : Pas, point, rien, jamais, الآن منفردة غير مصحوبة بشيء من مثل هذه الكلمات حيث يكون الحكم بالثني . لكن ذلك قد كان جارياً في اللغة في القرن السابع عشر . فكانت كلمة « ne » تستعمل في ذلك العصر وإن كانت منفردة لإفادة الثني .

ثم لم يكن معروفاً في ذلك العصر أن تستعمل هذه الكلمة المنفردة في موطن يكون الحكم فيه بالإثبات .

وقد جدد ذلك في العصر الحديث وأصبحت تستعمل في موطن يكون الحكم فيها ثبوتياً ولكنها على كل حال موطن خاصة ومحدودة :

(١) فن ذلك أن يقال : J'ai peur : *que cela ne vous incommode* : أنا أخشى أن ذلك يضايقك .

لكن الترجمة الحرفية للجملة هي : أنا أخشى أن ذلك لا يضايقك ! وهذا غير المراد بالضرورة .

(٢) وكذلك يقال : *"Aucun n'est content de son sort"* ومعناه لا أحد راضٍ بحظه (في الحياة) =

وجه في اللسان^(١) أن البيت يروى نصب
للبنخل وجره ؛ فن نصب على ضربين :
أحدهما : أن يكون بدلا من « لا » لأن « لا »
موضوعها للبنخل ، فكأنه قال : أي جوده
البنخل ؛ والآخر : أن تكون « لا » زائدة ،
والوجه الأول أعتى البدل أحسن ، لأنه قد
ذكر بعدها « نعم » و « نعم » لا تزداد
فكذلك ينبغي أن تكون « لا » هنا غير
زائدة . قال : والوجه الآخر على الزيادة صحيح .
ومن جره فقال : « لا البنخل » فبإضافة « لا »
إليه ؛ لأن « لا » كما تكون للبنخل فقد تكون
للجود أيضا ، ألا ترى أنه لو قال لك الإنسان :
لا تطعم ولا تأت المسكرم ولا تهر الضيف
فقلت أنت « لا » لكأنك هذه اللفظة هنا
للجود ، فلما كانت « لا » قد تصلح للأمرين
جميعا أضيفت إلى البنخل لما في ذلك من
التخصيص الفاصل بين الصدين . اهـ

هذا - وما هو جدير بالذكر أن المقابلة
في البيت بين « لا » و « نعم » في قوله :
« واستعجلت به نعم » ترجع كثيرا أصالة
« لا » ؛ بل لعلها تحمل هذا الوجه هو المتعين .
على أننا لو صرفنا على ذلك الاحتمال الذي
أراده في البيت أنصار فكرة الزيادة وقلنا
معهم : إن « لا » في البيت زائدة « وزيادتها
هي من غير شك من قبيل الحشو الذي
لا يعطى معنى ولا يفيد شيئا إلا وصل الكلام

فبيات أن ثبت أمر هو في محل الشك بأمر
آخر هو أيضا محل نظر واختلاف .

إن البيت قد رواه أبو عمرو بن العلاء
على غير ذلك الوجه : رواه بكسر لام البنخل
فتكون الكلمة بحرورة بإضافة « لا » إليها ؛
فإن « لا » حيثئذ تصير اسما ، فتكون مضافة
إلى البنخل ومنسوبة إليه ، لأن البنخل شأنه
أن يقول « لا » عندما يسأل شيئا من العطاء ،
فاشتهرت « لا » بأنها « لا » البنخل ؛ لأنها
علامة البنخل ؛ وهذا كما يقال لام الأمر ،
ووار العطف ، وفاء الفصيحة وهكذا .

فالشاعر يصف بمدوحه بالكرم وسعة
الجود ، وأنه لا يبخل بالعطاء حتى على من
يقصده يريد قتله ؛ وإذا فهو يأبى بالضرورة
في مقامات السباحة والسقاء أن يقول « لا »
هذه التي تستعمل في البنخل ومنع العطاء .

ثم إنه على رواية فتح لام البنخل لا يلزم
أن تكون « لا » زائدة وأن يكون البنخل
هو المفعول المباشر لفعل الإياء ، فإنه يجوز
أن تكون « لا » هي المفعول المباشر لذلك
الفعل ، ويكون البنخل بدلا منها . والمعنى :
أي جوده التعلق بكلمة « لا » التي هي البنخل
من حيث إنها علامة له ؛ فكأنها علم عليه .
ويكون المثال : أي جوده البنخل .^(٢)

(١) يراجع تفسير الطبري ؛ وكذا يجمع

البيان للطبري ج ٤ ص ٤٠١

(٢) في مادتي : « نعم » و « لا » .

عليه (الزحشرى) وتبعه فيه جمع من العلماء ، ولا سيما النفسى الذى اقتصر مثله على القول بالزيادة وعلى طريقة توجيهها . قال جبارته : إن « لا » فى « ألا تسجد » صلة ، بدليل قوله : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » ومثلها « لئلا يعلم أهل الكتاب » بمعنى يعلم . ثم قال : « وإن قلت » : ما فائدة زيادتها ؟ « قلت » : توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه ، كأنه قيل « ليتحقق علم أهل الكتاب » « وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك ؟ » (١)

مكنا يقرر الزحشرى فى آية « الأعراف » أن « لا » زائدة فى قوله سبحانه : « ما منعك ألا تسجد » ويقول : إن الدليل على زيادتها هنا أنها لم ترد فى آية « ص » ، وهى قوله تعالى : قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » مع أن المعنى المقصود فى الآيتين واحد ، والفرق الموقوف له الكلام فيما متحد أيضا .

إذا هى فى رأي زائدة فى آية « الأعراف » ، كما هى - فى رأي أيضا - زائدة فى آية « الحديد » : « لئلا يعلم أهل الكتاب » ، فإن قوله تعالى : « لئلا يعلم » هو - عند الزحشرى - بمعنى « ليعلم » .

يقرر الإمام الزحشرى ذلك ثم يتساءل

(١) الكشاف ج ١ - ص ٤٨٠ .

وضبط وزن البيت على البحر المخصوص خفاية ما فصل إليه من ذلك هو أن « لا » قد تزداد فى الشعر ، وأنه قد تكون زيادتها من الحشو الذى لا يفيد معنى ولا يؤكد إثباتا ولا نفيًا ؛ لكن ذلك كله لا يمكن أن يكون له أثر فى موضوع « لا » التى معنا فى آية الأعراف ، فإنها ليست من ذلك فى قليل ولا كثير ، ولا تدل زيادتها فى البيت على أنها زائدة فى الآية بوجه من الوجوه .

خلاصة .

يتلخص مما قدمناه - مما حكاه ابن جرير عن بعض نحاة البصرة وبعض نحاة الكوفة ، وما أورده (العلبرى) فى تفسيره - أن هؤلاء العلماء متفقون على زيادة « لا » فى الآية آية الأعراف .

غير أن منهم من يقتصر على الحكم بالزيادة فلا يبنى لها تعليلًا ولا يبين لها حكمة ؛ بل هو يحملها كالزيادة فى ذلك البيت : « أن جوده لا البخل » على ما يرى فيه ، ولا يبالى بأن الزيادة التى على هذه الشاكلة تكون حشوا لغوا لا معنى له ولا فائدة منه . ومنهم من يحمل هذه الزيادة فى الآية لعل الاستيثاق من حكم النفى وتأكيد .

رأى الإمام الزحشرى :

والآن ننتقل إلى وجه آخر من وجوه التخريج والتعليل لتلك الزيادة ، وهو ما سار

عن فائدة زيادتها في آية و الأعراف ، وكذلك في آية الحديد .

« ويحيب » بأن هذه الفائدة هي تأكيد معنى الفعل الذي دخلت عليه كلمة النفي « لا » وتقويته وتحقيقه ، فكأنه قيل في آية

« الحديد » بسبب زيادة « لا » : ليتحقق علم أهل الكتاب ؛ وفي آية الأعراف كأنه قيل - بسبب تلك الزيادة أيضا - « ما منك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك » ؟

يعنى أن آية الحديد وردت لبيان الحكمة من الوعد الجميل الذي وعد الله به في الآية السابقة المؤمنين الثابتين على الإيمان والتقوى - من أنه سبحانه يمازهم أحسن الجزاء : يضاعف لهم الرحمة ويتفضل عليهم بالنور والهداية والمغفرة وأن هذه الحكمة هي إرادة أن يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، أى أنهم لا يملكون شيئا من أمر هذا الفضل لينصوا به من يشاءون ويمرّوا منه من يشاءون .

ثم إن غاية ما كانت تفيد الآية في بيان حكمة ذلك الوعد : أنها هي إرادة أن يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله ؛ ولكنه يكون مجرد علم لا تأكيد فيه ولا تحقيق لو قيل في الآية : « ليعلم أهل الكتاب » على الإثبات من غير

زيادة « لا » ، لكن زيادة « لا » هذه قد حصلت تأكيداً لذلك العلم وتثبيتاً له وتقوية لمعناه ، وصارت الآية كأنه قيل فيها - بسبب تلك الزيادة - : « ليتحقق ويتأكد علم أهل الكتاب بأنهم لا يقدرُونَ على ذلك » .

وكذلك الحال في آية « الأعراف » : « ما منك ألا تسجد » ، فأنها « عند الزمخشري » - بمعنى : « ما منك أن تسجد » ، غير أنها بدون زيادة « لا » إنما تعيد سؤال إبليس ، سؤال نبيكيت وتوبيخ ، عن المانع الذي منعه من السجود لأدم ، من غير أن يكون في ذلك تقوية ولا تأكيد لفعل السجود ، فلما زيدت « لا » أفادت تقوية ذلك الفعل وتوكيده ، فكأنه قيل بسبب هذه الزيادة - على ما يرى « الزمخشري » - « ما منك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك » ١١ .

هذا كلام « الزمخشري » عمدة أهل التحقيق من العلماء ، ومرجع جمهرة عظيمة من غنوا بتفسير كتاب الله المجيد ، وهو كلام لا ندرى كيف استساغه عقله الكبير ، وكيف رضيت به وأطمأنت به معارفه الواسعة وعلمه الغزيرة وخبرته بمذاهب القول وأصول اللغة وغنون الفصاحة وأساليب البلاغة ١٢ .

لا ندرى كيف أن الكلام المشتغل على عمل مشغول لا يقيد إلا شئت معنى هذا الفعل من غير تقوية ولا تأكيد ، فإذا زيدت عليه

« نظرة في أقوال العلماء في آية الأعراف »

قدمنا الكلام على القول بزيادة « لا » في آية الأعراف ، وعرضا ببيان ما يلزم على هذا القول - على اختلاف وجهات النظر في تطبيقه عند القائلين به - بما لا يصح أن يكون مثله في القرآن الكريم .

وبينا أن السؤال في الآية هو - في الحقيقة - سؤال عن المانع من السجود ، وأن آية أخرى ورد فيها السؤال عن المانع من السجود أيضا ولكن لم ترد فيها كلمة « لا » وهي آية (ص) التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) .

وقد قلنا - ولعبد القول هنا - إن هذا لا يحتم أن تكون « لا » في آية الأعراف زائدة .

إنه لا يحتم هذه الزيادة ، ولا يكون بحال علامة عليها ، ولا يبيح القول بأن « ما منعك ألا تسجد » معناه « ما منعك أن تسجد » .

إنه لا يجوز أن يجازف هكذا - من غير بينة - بالقول بزيادة كلمات في الكتاب العزيز ، ولا سيما إذا كانت هذه الزيادة مما يوجب الاضطراب ، واختلاط الأمر بين السلب والإيجاب ، كالقول بزيادة « لا » في مقام الإثبات .

ومن هنا نجد « ابن جرير » - بعد ما عرض

« لا » - وهي التي ليس لها في أصل وضعها القسوى معنى غير النفي والسلب والإزالة - فإنه يفيد بذلك معنى جديدا ، هو تقوية ذلك الفعل المثبت وتأكيد ثبوته ؟ .

من الذي يمكنه أن يقول ويقبل منه قوله إن لا يعلم ، مؤكد لمعنى يعلم ، أو أن لا تسجد مؤكد معنى « تسجد » ؟ .

إن الإثبات والنفي أمران متنافيان متعارضان ، بل إن النسبة بينهما هي كنسبة المتناقضين ، فكيف يؤكد الثبوت بالنفي مع ورودهما على مورد واحد ؟ .

كيف يقال - في الكلام الذي جله على صورة انتفاء حكم - إن معناه هو ثبوت ذلك الحكم ، بل ثبوته بقوة وتأكد لم يكونا حاصلين له من قبل ؟ .

ثم كيف يمكن إقناع من يعادى القرآن ويحالفه ويدعو إلى مناهضته ومعاربته والوقوف في سبيل دعوته - كيف يمكن إقناعه بصحة قضايا القرآن وسلامة أحكامه إذا قلنا له - على طريقة « الرخشي » - ومن تابعه - إن هذه القضايا قد يكون فيها ما تكون صورته صورة الحكم بالنفي ، لكن معناه - في باطن الأمر - على الإثبات ؟ .

ألا إن هذا الذي ذهب إليه الإمام « الرخشي » لا يسلم له دليل ، ولا ينهض له شاهد من لغة أو عرف ؛ بل إن الشواهد كلها والفئة والعرف على خلافه .

المنع وأراد الداعي ؛ فكأنه قال : (مادعك إلى أن لا تسجد) ؛ لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يستوجب منها وبأل عن الداعي إليها (١) .

وهذا ظاهر في الحكم بأن في الكلام مجازاً مرسلًا بملاقة اللزوم .

وسنعرف مما سيأتي في بيان الوجه المختار أن الآية من التضمنين وليست من قبيل المجاز . والعلامة أبو السعود - بعد ما أورد القول بالزيادة على نحو ما عند الزعخشري - قال : (وقيل الممنوع عن الشيء مصروف إلى خلافه ؛ فالمعنى : ما صرفك إلى أن لا تسجد) (٢) .

وهذا القول يعيل أيضاً كتابته إلى أن في الآية مجازاً مرسلًا علاقته اللزوم .

أما أبو حيان فإنه - بعد ما قسم القول بالزيادة كأفضل غيره - قال ما نصه : (وقال قوم : (لا) في (ألا تسجد) ليست زائدة ، واختلفوا فقيل يقدر محذوف يصح معه المعنى وهو (ما منعك فأحوجك ألا تسجد) - وهذا هو ما سار عليه الطبري ، وقيل يحمل قوله : (ما منعك) معنى يصح معه الثاني ، فقيل معنى

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ ص ١٨٦ المطبعة الشرفية .

(٢) تفسير أبي السعود المطبوع على هامش التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ ص ٣٥٩ .

آراء بعض نحاة البصرة والكوفة ، وهي الآراء التي تدور على اعتبار (لا) في آية الأعراف زائدة ، وبعد ما بين وبحث نظر الفريقين - نجده يصرح برجحان القول بأصالة الكلمة ويقول : إن هذا القول هو الصواب لأنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له ؛ فالقول بأن (لا) في الآية وقعت حشواً لا معنى لها قول فاسد .

وقد ذكر في توجيه أصالة الكلمة أنه يلزم تقدير فعل يصح معه المعنى ويدل عليه المقام وسابق الكلام ، وقال : إنه بذلك يصير حاصل معنى قوله تعالى : (ما منعك ألا تسجد) ، (ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد) (١) .

وكذلك نجد (الفخر الرازي) - بعد ما أورد القول بالزيادة ، وقال : إنه القول المشهور ، وهو قول الكسائي والقراء والراجح والأكثرين - نجده يعقب بقول آخر يرى : أن كلمة (لا) في الآية مفيدة ، وليست لفرا . ثم يقول : وهذا هو الصحيح ؛ لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لنحو لا فائدة فيها مشكل صعب .

وقد عرض الفخر طريقة لتوجيه ذلك القول الصحيح ، قال فيها : (إن الله ذكر

(١) تفسير الطبري ١٢ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ دار المعارف .

والسؤال فيها واضح أيضا أنه ليس عن مجرد المانع من السجود ، وإنما هو عن السبب الباعث على ترك السجود ، فهو في معنى أى شيء حصل لك حتى حثك على ترك السجود مع الساجدين ؛ ولا شك أن السبب الباعث والدافع على ترك الفعل أقوى في التأثير من مجرد المانع من الفعل ، فهما أمران متضاران وإن كانا متقاربين .

(الآية الثالثة) آية الاعراف ثلث معنا :
قوله تعالى : « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » .

فإن فيها سؤالاً صريحا عن المانع ، لكن الفعل (منع) لم يرد إلى المفعول الذي عدى إليه في آية (ص) وهو السجود ، بل عدى إلى علم السجود .

فهل مجرد هذا يكفي للحكم بزيادة (لا) في آية الاعراف إذ قد جاءت بدونها تلك الآية الأخرى ؟ لا . لا . لأنه لا ينبغي أن يرسل القول هكذا صريحا وجريئا ، وأن يحكم بزيادة الكلمة بنسبة موجب ولا ضرورة ، ولا سيما تلك الزيادة القرينية التي توجب اختلاط الأحكام ، والتي تبرز الحكم الثبوتى في صورة الحكم بالنفى .

إن القول الذى يلزم عليه أن صورة النفى تأتى لإثبات المعنى المنفى أو لتأكيد ثبوته هو قول لا ينبغي أن يصار إليه ؛ وليس

(ما منعك) . من أمرك ومن قال لك (ألا تسجد) (١) ؟

وظاهر هذا الرأى الثانى أن المراد به المجاز المرسل بعلاقة اللزوم ، ويحتمل - ولكن على بعد - أن المراد به معنى التضمن .

« الوجه المختار في آية الاعراف » :

إن آية (الاعراف) أتت معنا ، قد اشتملت على سؤال لإبليس سؤال تنكيك وتوبيخ عن سبب تمرده وخصيائه أمرربه وإبائه السجود لآدم عليه السلام بسجود التحية والتكريم . وقد وردت في هذا المقام ثلاث آيات من القرآن الكريم جاءت بأساليب مختلفة :

(الأولى) قوله تعالى : (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (آية ٧٥ من سورة ص) فإن السؤال فيها واضح أنه عن المانع الذى منع إبليس من السجود . وقد اتبع بسؤال آخر فصل فيه - على سبيل التنكيك والتوبيخ - ما عصى أن يكون ذلك المانع ، وهو قوله تعالى : (استكبرت أم كنت من العالين) ، أى هل الذى منعك من السجود هو الكبر والتعالى الكاذب أو هو أنك من العالين حقيقة ؟

(الآية الثانية) قوله تعالى : « قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين » (آية ٣٢ من سورة الحجر) .

(١) تفسير البحر المحيط لابن حبان - ٤

ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

غير أن التضمين يقتضى على المفعول الذى كان للفعل الأول ، للعلم به ودلالة المقام عليه ؟ كما يقتضى التصريح بالمفعول الذى يتطلبه الفعل الآخر بعد أن يطوى هذا الفعل ويحمل الأول الفعل معناه ، ويكون تقدير الكلام حيثئذ : « ما عندك من السجود وما حملك على ألا تسجد » ؟

فالفعل (منع) الذى أمر به معنى حمل أو بحث لم ينسلخ عن معناه الاصلى ، بل صار - يشرابه معنى الفعل الثانى - يدل على المعنيين جميعا .

ومن أجل ذلك يبقى متمدياً إلى مفعوله الاصلى المطوى ، ثم يتعدى إلى مفعول الفعل الآخر الذى هو فى باطن ذلك الفعل الأول بسبب التضمين (١) .

(١) التضمين يكون فى الأفعال والأسماء . وقد اختلف فيه : هل هو قياسي أو سماعي ؟ والظاهر أن اختلاف النظر فيه راجع إلى أنه كثير فى اللغة كثرة خولت لفريق من العلماء أن يقولوا بقياسيته ، لا بل أكثر العلماء على أنه قياسي كما فى الارتشاف لا فى حيان وغيره . وقد اختلف العلماء أيضا فى المعنى الذى يدل عليه اللفظ بالتضمين ؛ فقال بعضهم : (إن المعنى المراد من اللفظ المضمن معنى لفظ آخر هو معنى ذلك اللفظ الآخر ، قد دل عليه بطريق المجاز المرسل ؛ فاللفظ المضمن لا يفيد

هناك ضرورة تتمم القول بزيادة (لا) فى آية الأعراف حتى تأتى هكذا فى تلك الصورة التى تأبأها بلاغة القرآن .

بل إن ههنا مجالا رحبا ، ووجها سديدا سهلا ، يصرف عن القول بتلك الزيادة ، ويعنى من محاولة افتتاحها مأزقا الضيقة الصعبة .

إن الآيتين الأخيرتين من سورة (الحجر) وسورة (ص) تشيران إلى ذلك المجال الرحب وتوجهان لذلك الوجه السديد السهل ، وترشدان إلى در ذلك التعبير الخاص الذى جعلت عليه آية الأعراف ، إنه التضمين الذى هو من أقوى ما امتازت به بلاغة القرآن وأجله وأبرعه .

ذلك التضمين قد جمعت به آية الأعراف ما اشتملت عليه الآيتان الأخريان من المعنى :

جمعت به السؤال عن المانع من السجود ، والسؤال عن الباعث على ترك السجود ، بطريقة يتركها من يعنى بمراعاة الدقة والتعمق فى تفهم آيات القرآنيسة ولا سيما فى مثل هذا المقام .

هذا التضمين إما أن يكون تضمينا محوبا لفعل (منع) يصير به مشربا معنى فعل آخر يفيد (الحمل والبحث) بحيث لا يفقد الفعل الأول معناه ولا عمله ، وبذلك يتعدى إلى مفعوله الخاص الذى كان له قبل التضمين ، ويتعدى أيضا إلى مفعول آخر يناسب معنى الفعل الثانى بسبب التضمين .

المفعول المصريح به مفعولا لاسم الفاعل (١) وتقدير الكلام على ذلك : « ما الذي منعك من السجود حاملا لك على ترك هذا السجود ؟ » وبما قدمناه - من أن الفعل « منع » فيه تضمنين وأنه لم ينلخ بهذا التضمنين من معناه الذي كان له قبل ذلك - يعلم أن مانعه الشيخ والألوسى عن « السكاكي » من أن فعل المنع في الآية مجاز عن الحمل ؛ وكذلك مانعه عن

على حقيقته دالا على معناه الأصلي ثم يفيد معنى اللفظ الآخر بطريق الاستنباح ، أى الدلالة الجانبية ، يفهم فيها المعنى من عرض الكلام وجانبه ، ولا يكون اللفظ حقيقة في ذلك المعنى الجاني ولا مجازا ولا كناية . ويرى السيد أن ذلك جائز وأنه يمكن أن يمثل له بقولك لشخص : آذيتني فسترف إذ هو يدل على التهديد ؛ وقولك : إن زيدا لقائم في دلالة على إنكار المخاطب .

ونحن نقول : إن منه قول الله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن » في دلالة على أن النسب يكون الآباء للأمهات وقوله سبحانه : « إذا جاء نصر الله والفتح » الآية في دلالة على قرب أجل الرسول صلى الله عليه وسلم . (١) إذا كان العلماء مختلفين في التضمنين النحوي من حيث قياسيته فهم متفقون في التضمنين البياني أنه قياسى ، لأنه من قبيل حذف العامل بدليل ، وذلك شيء لاشبهة فيه .

ولما أن يكون تضمننا بيانيا يصاغ فيه من الفعل الثانى اسم فاعل يكون حالا من فاعل للفعل الأول ، مع طى مفعول هذا الفعل الأول كما في التضمنين النحوي ، ثم يكون

= حيثئذ غير هذا المعنى . ولكن المرجح الذى عليه الجمهور الغالب من العلماء أن اللفظ بالتضمنين يقيده معنيين اثنين : المعنى الحقيقي للفظ المضمن ومعنى اللفظ الآخر . غير أنهم اختلفوا مع ذلك : هل يكون اللفظ بافيا على حقيقته مفيدا معناه الأصلي أو يتحول إلى نوع من المجاز أو الكناية ؟ فقال بعضهم إن دلالة على المعنيين حيثئذ تكون بطريق المجاز بملاقة الجزئية والسككية ؛ فإنه كان دالا على معناه الأصلي وحده ، فإذا أريد به مع هذا المعنى معنى آخر كان ذلك من طريق المجاز . وقال آخرون : إنه يدل على كل من المعنيين بطريق الجمع بين الحقيقة والمجاز ، ومن قال بهذا المزمع عبد السلام . والذين يسمعون الجمع بين الحقيقة والمجاز يقولون : إن اللفظ يدل على المعنيين جميعا ولكن من طريق عموم المجاز ، وذلك بأن يراد به - بطريق التجوز - معنى واحد عام ينطبق على كل من المعنيين . وقال بعضهم : إن دلالة على المعنى الثانى بطريق الكناية ، فتكون دلالة على المعنى الأصلي للانتقال منه إلى المعنى الثانى . وقال السيد الجرجاني : إن اللفظ باق =

ترك السجود في العبارة الثانية لا بد أن يكون له داع وسبب ، فهو المستول عنه فيها . وإذا كان هذا كله قد أصبحت توديه - بعد التضمين - جملة واحدة فقد صار لازما أن يكتفى في ذلك بأداة استفهام واحسنة . والله أعلم (آية طه) .

ومن القسم الثاني هذه الآية من سورة (طه) . وهي قوله تعالى : (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تقبلي) . وأقوال العلماء في الآية :

في هذه الآية يسأل سيدنا موسى أعاه هارون عليهما السلام سؤال تأنيب وتغنيف إذ أنه لم يتبعه حين رأى القوم قد ضلوا وانحرفوا بعبادة العجل عن سبيل الإيمان عاب عليه أنه - حين رأى ذلك منهم - لم يتبعه ولم يلحق به بمن بقى على الإيمان من القوم . لكن الآية - في ظاهرها - تعطى أنه يلومه ويعنفه ويسأله عن المانع الذي منعه من عدم اتباعه ؛ وهذا بالضرورة غير مراد ، بل هو تقيض المراد .

وطريق فهم الآية على الوجه المطلوب هو عين الطريق الذي همت به آية الأعراف : (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) ؛ فإن أسلوب الآيتين واحد ، لا يختلف في شيء من حيث أنه قد جمع فيه بين فعل المنع وأداة التثنية على ذلك الوجه الخاص .

ولذلك اختلف العلماء في هذه الآية من

بعض العلماء غيره السكاكي . من أنه يجاز عن الإلجاء والاضطرار ليس بوجيه ؛ فإن المجاز - كما هو معلوم - لا يصح فيه إرادة المعنى الحقيقي للفظ ، بل لا بد أن تكون هناك قرينة تمنع من إرادة هذا المعنى .

وإذا يكون الصواب هو ما أفادته عبارة « الألويس » التي أتى بها عقب ما تقدم ؛ وهي قوله : « ويجوز أن يكون ذلك من باب التضمين » ؛ وذلك على رغم أنه أرسلها سريعة عابرة وجد مختصرة (١) .

هذا - ويمكن أن يقال : إن التضمين الذي معناها في آية الأعراف قد اشتمل على ما يسمى الاحتباك أو ما هو شبيه بالاحتباك ، وهو أن يكون في الكلام عبارتان يحذف من كل منهما ما ترشد إليه الأخرى .

والعبارتان اللتان تضمنتهما آية الأعراف هما : « ما منعك أن تسجد » (وما اضطررك أو ما دعاك ألا تسجد) ؛ وحذف من العبارة الأولى المقبول ، وهو (أن تسجد) ، لأن العبارة الثانية - وهي لتوبيخ على ترك السجود - تدل على ذلك المحذوف الذي سئل في العبارة الأولى عن المانع منه .

وحذف من العبارة الثانية الفعل (دعاك أو اضطررك) ، لأن السؤال عن المانع من السجود في العبارة الأولى يدل على أن

(١) تفسير روح المعاني للألويسي ج ٨ ص ٨٨ المطبعة النثرية .

و (الثاني) : أن يكون المراد ما دناك
إلى أن لا تبين فأقام (منعك) مقام دناك .
التفسير الكبير (٦٥ ص ٦٨) .

وقال (الالوسي) : (ألا تبين) أى تبين ،
على أن (لا) سيف خطيب ، كما في قوله تعالى :
« ما منعك ألا تسجد » . ثم قال : وقال
على بن عيسى : إن (لا) ليست مزيدة ،
والمعنى ما حملك على عصم الاتباع ، فإن المنع
عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله . (روح
المعاني ١٦ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ المنيرية) .
وقال أبو السعود : (ألا تبين) أى أن تبين ،
على أن (لا) مزيدة . ، وقيل المعنى : ما حملك
على ألا تبين ؛ فإن المنع عن الشيء مستلزم
لحمل على مقابله . (٧ ص ٥١ الشرفية)
وقال أبو حيان : (لا) زائدة كهي
في قوله : « ما منعك ألا تسجد » . وقال
على بن عيسى : دخلت (لا) هنا لأن المعنى :
(ما دناك إلى أن لا تبين) وما حملك على
أن لا تبين . (البحر المحيط ٦ ص ٢٧٣)
وظاهر من هذه الأقوال أن من يرى أن
(لا) في الآية يمكن أن تكون أصلية فإنه
يجعل فعل المنع من باب المجاز المرسل بعلاقة
اللزوم : ففعل (منعك) هو بمعنى دناك أو
حملك ؛ فهو مستعمل في اللزوم ، ولكن على غير
طريقة الكناية ، فإنه لا بد في المجاز من قرينة
تمنع إرادة المعنى الحقيقي للفظ ، والكناية
ليست كذلك كما هو معلوم .

سورة طه ، كما . اختلفوا في آية الاعراف .
فهم من يرى أن (لا) زائدة ، ويقتصر
على هذا الوجه (كلل عشرى) .

ومهم من يميز أيضا أن تكون أصلية ؛ على
أن يقدر في الكلام حمل يستقيم به المعنى مع أداة
التنقي ، أو يحمل الفعل : (منع) على معنى آخر
بطريق المجاز ليستقيم الأمر مع ذلك التنقي .
قال (الزحشرى) : (لا) مزيدة ، والمعنى
ما منعك أن تبين في الغضب لله وشدة الرجوع
عن الكفر والمعاصي ؟ وهلا قاتلت من كفر
بمن آمن ؛ ومالك لم يباشر الأمر كما كنت
أباشره أنا لو كنت شاهدا ؛ أو مالك
لم تلتحق ؟ الكشف (٢ ص ٣٣) .

وقال (النسفي) : « قال يا هارون ما منعك
إذ رأيتهم ضلوا ، بعبادة العجل (ألا تبين)
لئلا دناك إلى أن لا تبين ؛ لوجود التعلق بين
المصارف عن فعل الشيء وبين الدنا إلى تركه .
وقيل : (لا) مزيدة ، والمعنى أى شيء منعك
أن تبين حين لم يضلوا قولك وتلتحق في
وتعبرني . أو ما منعك أن تبين في الغضب لله ؟
وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ؛ ومالك
لم يباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت
شاهدا ؟ (٣ ص ٤٩) .

وقال (الفتح الرازي) : أما قوله : « ما
منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تبين » ففيه وجهان :
(الاول) : أن (لا) صلة ، والمراد
ما منعك أن تبين .

هو عن المانع من عدم السجود في الآية الأولى ،
وعن المانع من عدم الاتباع في الآية الثانية ،
على حين أنه من المحال أن يكون الأمر كذلك .
وإذا يكون الحل أن الآية هنا فيها تضمنين
كالذي هناك ، وإن فعل (منع) قد طوى
مفعوله ، لكنه يكون مقدرأ ومقصودأ غير
محذوف متروك كما أن فعلاً آخر قد طوى بعد
أن حل فعل (منع) بمعناه وعسى إلى
مفعوله ، وعلى هذا يكون تقدير الكلام :
(ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن تبين)
وما حلك على (ألا تعمل) أى على ألا تبين ؟
فطوى من العبارة الأولى مفعول (منعك)
وهو (أن تبين) فلم به : إذ أن العبارة
الثانية تدل عليه ؛ فإن السؤال الذي فيها عن
الحامل على عدم الاتباع يعلم منه أنه حين
يسأل عن المانع يكون المراد المانع من
الاتباع نفسه .

كما أنه قد طوى من العبارة الثانية فعل الحل
بعد أن حل بمعناه فعل المنع ؛ فإن العبارة
الأولى تدل عليه ؛ فإنه ما دام أن السؤال
في هذه العبارة هو عن المانع من الفعل الذي
هو الاتباع فقد لزم في العبارة الثانية أن يصرح
فيها بعدم الاتباع أن يكون السؤال فيها عن
الحامل على ذلك ، وبهذا يكون في الكلام
تضمنين ، ويكون فيه أيضاً ما يشبه الاحتكاك ؟

(يتبع) هــبـرـمـرـمـنـm

غير أن هنا ملاحظتين :
(الأولى) أن (النسفي) في آية (الأعراف)
قد تابع (الزمخشري) في القول بزيادة (لا)
مع الاختصار على ذلك الوجه ؛ لكنه هنا
في آية (طه) يميز أيضاً كونها أصلية ، بل
لعل ضميمه في عرض الاحتمالين يفيده أنه
يرجح القول بالأصالة ، وهذا قد يبدو غريباً
من حيث إن الآيتين - كما قلنا - لا تختلفان
في شيء ما من الناحية التي هي محل الكلام .
(الملاحظة الثانية) أن الألوسي الذي قال
هناك في آية الأعراف : إنه يجوز أن تكون
العبارة من باب التضمنين قد سكنت هنا عن أن
يعرض بشيء لهذا التضمنين ، كأن معنى التضمنين
لا يروقه كثيراً في هذه الآية أو في الآيتين
جميعاً على تفاوت في الدرجة والله أعلم .

(الوجه المختار في آية طه) :

إن ما يقال هنا - على أنه الوجه المختار لحل
الإشكال الظاهري في الآية - هو عين ما قيل
في آية الأعراف ؛ فإن الأسلوب في الموطئين
واحد ، لا يختلف بوجه من الوجوه :

(ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) ؛
(ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تبين) .

هاتان هما الآيتان اللتان يدور عليهما الكلام ،
فهل يستطيع أن يدعى مدح أن بينهما فرقا أى
فرق من حيث الجمع بين فعل المنع وأداة النفي ،
ذلك الجمع الذي يقتضى - في ظاهره - أن السؤال

مثل علياً من سيرة عمر بن الخطاب

دكتور محمد محمد المذني

وما ذاك إلا لأن عمر أيقظ رأيه ، وألم هوامه ، وحشد مواهبه كلها في خدمة الدين والأمة ، احتساباً لله وإخلاصاً وصدق نية ، فلم يمد بينه وبين الحق والصالح حجاب يحجب عنه رؤيتهما ، ويسر الله له أن يعيش حياته بين الرسول وأصحابه حراً كريهاً طليق النفس من عقد تعقده ، أو عقد يعقده ، ثم يسر له أن يعيش في منصب الإمامة الكبرى عشر سنين بعد صاحبه أبي بكر رضي الله عنه ، وقد سكنت ثائرة الفتنة التي نشبت بعد وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وقضى عليها أبو بكر القضاء الأخير ، بمواقف حزمه التي حفظها له التاريخ ، ولا سيما في حروب الردة : لقد تولى عمر مركز القيادة الأعظم ، والأمور الداخلية مستقرة ، والعرب كلهم مجتمعوا الكلمة ، ففرغ للإصلاح والفتح والتولية على الأمصار وتكوين الدواوين ، وتوطيد نظام الدولة في كل شأن من الشؤون ، دينياً كان أم دنيوياً ، حتى أصبحت الدولة الإسلامية دولة قائمة يخشى بأسها في العالم ، ودولة رائدة ما يزال التاريخ يحفظ لها في المثالية الحكيمة بمرتبة الصدارة .

ومن الخير لامتنا العربية ، وقد تحدثنا في الفصول السابقة عن وجوه التوافق بين

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه آية في حب العدل ، والمساواة بين الرعية ، وتحري كل ما يقوم عليه صلاح الأمة ، واستقامة أمرها ، واعتدال ولائها وعملها .

وما يشاء ولي للأمر في عصر من العصور ، ولا عامل من المال ، ولا قاض من القضاة ، ولا قائد من القواد ، أن يستهدي في عمله بهدي صالح ، ويستن فيه بسنة واضحة ؛ إلا وجد ذلك في هدي عمر ، وسنة عمر ، اللذين هما من هدي رسول الله ، وسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ولذلك تمر الأحقاب والدهور ، وتوالي النظم والنول في مختلف العصور ، ولا يزال العدل العمري هو المقياس السليم للعدل الإسلامي ، ولما يجب أن يكون عليه العدل البشري .

ولقد كان القرآن الكريم ينزل أحياناً بتصويب رأي عمر فيما كان يمرض من مشكلات تحتاج إلى حلول ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » ، ويقول : « لقد كان فيمن كان قبلكم محدثون - أي ملهون بالصواب - فإن يكن في أمي أحد منهم فصر بن الخطاب » .

في الأعمال ، بحيث تبدو منهم هذه الصلاحية واضحة تراها كل عين ، ويتحدث بها كل لسان ، وإن لم يكونوا رؤساء أو متصدرين ، فهم مخلصون للمصلحة حذبا عليها ، وحبا لها ، وحرصا على أن تسود وترتفع رايثها ، ولا يهمهم أن تكون سيادتها ورفعتها على أيديهم أو على أيدي غيرهم ، فيتجرد لإخلاصهم لها . طمعا لا تطمعا ، وصنما لا تصنما ، فهم في الحقيقة ولايتها أو ولياؤها وإن لم يتولوها بقرار يصدر ، أو رسم يرسم ، فإذا عهد إليهم بأمر ، وكانت لهم فيه رئاسة وصدارة ، لم تفهم رياستهم وصدارتهم أنهم خدام المصلحة ، الذين يقومون بها ولها ، فترام يفتنون في سبيلها ، ويلقون بأنفسهم في تيارها ، لا يعرفهم الناظر إليهم ، المراقب لعملهم ، إلا بأنهم (عاملون) ولا يكاد يلتفت إلى مالهم من رئاسة أو صدارة ، ذلك بأنهم اندمجوا فيما حو لهم ، وفيمن معهم ، فلم يعد أحد يعرف : من الرئيس منهم ومن المرءوسين ؟ ومن القائد فيهم ومن المقودون ؟ وهذا الصنف من الرجال معروف في كل بيئة وفي كل ديوان من دواوين الوزارات والمصالح والمؤسسات ، وليس البحث عنه والوصول إليه بصعيرين على من شاء ، وأمثالهم هم الذين تصلح بهم وعلى أيديهم شئون الأمة ، وتستقيم أحوالها .

أهدافنا وأساليبنا الحكيمة ، وأهداف الإسلام وإصلاحاته ، أن نعرض لبعض الصور التطبيقية لعدل الإسلام كما نراه في سيرة عمر ، ليرى فيها كل منا ما ينبغي أن يتعشقه من مثل عملية ، وأن يأخذ به نفسه حيث كان ، وحيث أقامه الله في عمل من الأعمال ، فإن من أقرب وسائل الإصلاح والاستقامة ، أن تكون المثل العليا رائدة ، وصور الكمال حاضرة شاهدة .

فن ذلك ما روى في كتاب (الإصابة في أخبار الصحابة) من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما لأصحابه ومستشاريه : دلوني على رجل استعمله على أمر قد أمني - أي أجعله عاملا لي على أمر هام من أمور الأمة - قالوا : فلان ، قال : لا حاجة لنا فيه . قالوا : فن تريد ؟ قال : أريد رجلا إذا كان في القوم وليس رئيسهم كان كأنه رئيسهم ، وإذا كان رئيسهم كان كأنه رجل منهم . قالوا : ما نعرف هذه الصفة إلا في (الرييح ابن زياد الحارثي) ، قال صدقتم : فولاه . (٥٠٤ ج ١ من الإصابة) .

إن هذه الكلمات الموجزة توضح أيضا إفصاح عن صفة (العامل) للدولة ، أو (الموظف الكبير) في شأن من شئونها ، فإن هناك رجلا خلقهم الله تعالى مبشرين بصفات خلقية عملية تجعلهم صالحين للصدارة

الذى كان يكتبه بتوليته - فإنه إذا لم يرسم أولاده فكيف يرسم الرعية؟ (ابن الجوزي ص ١٠٤) .

وهذا المعنى الذى لاحظته أمير المؤمنين عمر ، هو مقتبس من أدب النبوة ، فقد حدث مثل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فإن (الأقرع بن حابس) رآه يقبل ابن بنته الحسن رضى الله عنه ، فقال : إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : من لا يرسم لا يرسم . فإذا كان (الأقرع بن حابس) وهو عظيم من سادة العرب - يتفاخر بأنه رجل ميب يترفع عن العطف على أولاده ، فإن رسول الله صلى الله عليه يزهو عن هذا المبدأ ويشير إليه أن هذه قسوة لا يحبها الله ولا يرسم صاحبها ، وإنما يرسم الله من عباده الرحاء . وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلاعب الأطفال ويلطفهم ولا يترفع عن مخالطتهم ، وأنه حمل طفلا وهو يصلى ، وأنهض طفلا من عشرة عمرها وهو يخطب ، وأنه غسل يده وجه أسامة وهو صبي ، وأنه قال : من كان له صبي فليصاحب له ، أى فليكن معه كما يكون الصبي مع الصبي ، ملاطفة له وإناسا .

هذا هو المبدأ السليم الموافق للفطرة والحكمة فى معاملة الأطفال . لا مبدأ (الأقرع بن حابس) وأمثاله .

فصبر رضى الله عنه تأمل وفكر ، ورسم وحده ، ثم سأل واستشار ، فأتته إلى المعرفة والهداية إلى ما يريد ، فنقد .

وإذا رجعنا إلى (الربيع بن زياد) الذى رضى به عمر وولاه ، لم نجد له لسانا متظاهرا بالصلاح والتقوى ، أو متزلفا يدعى ما ليس فيه ، أو متوسلا بذى جاه ونفوذ يقدمه ويثنى عليه ، ولكنه كان رجلا صارما فى الحق ، حريصا على المصلحة ، مستقيا لا يعرف له انحراف ، ولا ركون إلى هوى نفس ، لذلك ولّى هذا الأمر فصلاح له ، وصلاح به .

ومن ذلك ما رواه (ابن الجوزي) وغيره : من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يجلس فى بيته ، وعنده رجل يريد أن يوليه أمرا من أمور الرعية ، فجعل يملى الكاتب نص العهد أى القرار - بتوليته ، فجاء صبي من آل عمر يجلس فى حجره ، فجعل يلاطفه والرجل يتعجب من ذلك ، كما أنه يرى أن أمير المؤمنين لا ينبغي أن يكون على هذه الرقة والاشتغال بأمر صبي فى مجلس كهذا فقال : يا أمير المؤمنين إن لى عشرة من الولد مثله ما دنا أحد منهم منى أقال عمر : فاذنبي إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك : وإنما يرسم الله من عباده الرحاء ثم قال لكاتبه : مزق الكتاب - أى القرار

الخوف هو الذي يدعو إلى أن يضي في أمور الرعية، ويتجرى الحق والعدل، وكان يقول: (والله لو عثرت ذابة في طريق البصرة لرأيت أن الله سائل عنها : لم لم أهد لها الطريق ؟)^١ وسمع بكاء طفل رضيع ذات ليلة وهو يمس في الظلام ، فسأل عن سبب هذا البكاء فأعلموه أن أمه قد فعلته قبل أوان فطامته لكي يفرض له أمير المؤمنين نصيبه ، فإنه كان لا يفرض للرضعاء إلا بعد الفطام ، فخرج محرّجاً شديداً ، وعلم أن الله سائله عن ذلك ، قال : لست أن أمر متادياً ينادى في الناس : أن أمير المؤمنين يفرض للرضعاء عطاء ، ولا ينتظر بهم حتى الفطام ، فلتشبع الأمهات بعد اليوم أطفالها !

إلى هذا الحد كان عمر رقيق القلب ، شديد الخوف من الله في شئون الرعية .

وقد روى الحسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصل ، فقرأ قوله تعالى : « إن عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع ، » فربما لها رجة عادة الناس منها عشرين يوماً ، أى أصيب برجة في صدره من شدة الخوف حتى مرض بسببها ، وجعل الناس يعودونه - أى يزورونه في مرضه - عشرين يوماً .

وعن عبيد بن عمر قال : صلى بنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه صلاة التجر ، فافتتح سورة يوسف فقرأها ، حتى إذا بلغ

وإذ لك عرف عمر هذا الدرس النبوى ووعاه وطبقه على نفسه ، فخطب على ولده ولأطفه ، وزجر الرجل الذى سأله في ذلك وقال له مثل ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم الآخر .

والعبرة التي نريد أن نأنت إليها من ذلك هي أن عمر رضى الله عنه كان صاحب ذوق إدارى ، وبصيرة حكيم ، إلى هذا الحد ، حتى إنه لما فهم عن الرجل قسوته وشده على أولاده ، أدرك أن مثل هذا لا يمكن أن يرسم الرعية ، بل سيكون معها على مثل هذه القسوة ، وأن قسوته عليها لأشد لآله إذا لم يرسم أولاده فكيف يرسم الرعية ؟

وقد يكون عمر معروفاً بالشدة والقوة ، ولكن شدته وقوته كانت في سبيل الحق والمصلحة ، وكان إلى جانب ذلك فيه رقة بالضعيف وكان يقول : (اللهم إني شديد ظلمين لأهل طاعتك) ، فلكثرة مقام ، والرحمة مقام ولذلك كان عمر يحوس خلال الديار ليلا ليعرف أخبار الرعية ويرحم ضعفاء الناس ، وحوادث ذلك في تاريخه كثيرة معروفة ، مع أنه هو صاحب الدرة التي كان يحملها في يده ويخيف بها من حاد عن سواء السبيل في شيء ما .

وبما يدل على ما في طبيعة عمر من الرقة ما عرف به من الخوف من الله ، فكان هذا

خشية الله ، فإن هذه الخشية تصممهم من أن
يزلوا أو يضلوا وتضيء لهم سبيل الرشاد .
ولقد تعلم أن رجالا من أمتنا العزيزة
قد أكرم الله عليهم ، إذ وسد لهم الأمر ،
وعلمهم أمانة الحكم ، وأن منهم من لا يبيت
ليه إلا متديرا متفكرا خائفا من ربه ، حريصا
على أداء أماناته ، تفرور عيناه بالندموع
إذا ذكر نعمة الله عليه . ويسأل نفسه
ماذا فعل في سبيل شكرها ، وماذا هو فاعل ،
وإن بدا أمام الناس ، قسوى الشكيمة ،
شديد المراس ؟

وهذه الخشية هي منبع الشعور بالمسئولية
وبالرقابة الذاتية ، وهما المبدأان اللذان يقوم
عليهما صلاح الأمم ، وقوة الشعوب ، وإن
اشتراكيتهما للرشيعة لتتشددهما وتتأشد في
شأنهما كل فرد من أفراد الأمة ، حتى يحس
بذلك العامل في عمله ، والموظف في وظيفته ،
والعضو المسئول في جماعته ، والاستاذ في
جامعته ، والزارع في زراعته ، وكل راع
فيما استرعاه الله .

محمد محمد الله في

قوله تعالى - عن سيدنا يعقوب عليه السلام -
« وابتضت عيناه من الحزن فهو كظيم »
بكى حتى انقطع ، وفي رواية لما انتهى
إلى قوله تعالى « إنما أشكو بثي وحزني إلى الله »
بكى حتى سمع نسيجه - أي صوت بكائه -
من وراء الصفوف ، (الاعتصام للشاطبي
ص ٣٨٤ ج ١) .

وهذه الرقة والخشية لله تعالى مبعثا قوة
الإيمان ، وهي عصمة المؤمن ؛ فإن الله تعالى
يصف عباده المتذكرين بأوصاف منها قوله
جل شأنه « ويخشون ربهم ويخافون سوء
الحساب » .

وقد حدث بعض الصحابة رضوان الله
عليهم فقال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
(يعني من البكاء) - والأزيز صوت يشبه
غليان القدر .

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي بشره به بقوله « ليخفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر » - يبكي خشية
من ربه ، نحن لعمر ولعمر عمر - ولا سيما
الذين يحملون أمانات الأمة - أن يكونوا من



فتح القلعة

من قبسات الهداية :

في الموازنة بين المبطلين والمحقين للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ... نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون » ١٥ هود .

- ١ - هنا عشر آيات - أولها : ماذا كرنا .
وآخرها : مثل الفريقين - رقم ٢٤ .
- والآيات العشر : فيها موازنة بين الجانبين .
وفيها وقوف بنا عند هذه الموازنة لتري :
كيف تكون جناية الأحمق على نفسه ؟؟
وكيف تكون عدالة الله بين خلقه ...
وكيف تكون العبرة لمن كان بصيراً بعواقبه :
في الدين ... أو في الدنيا .
- ومعلوم لنا أن توجيهات القرآن عامة ،
ولا تقف عند جانب واحد .
- (١) يقول - تعالى - : « من كان يريد
الحياة الدنيا ، وزينتها ، نوف إليهم أعمالهم
فيها ... » ، وهذا في ظاهره وعد من الله لمن
جنى إلى الدنيا مصرفاً فيها ، وعلق بها كل
- آماله ، وأفرغ فيها جهده ، ونجامل الآخرة
فلم يدخر لها عملاً ولا إيماناً ...
- وذلك الوعد الظاهر أن الله - تعالى - يوفيه
حظه بكل ما طمعت إليه نفسه ، وأن الله
لا يبخسه في دنياه شيئاً مما تعلقت به آماله .
ونحن نؤمن بأن الله لا يخلف وعده .
- فهل يصحكون حقيقة أن الكافر ، ومن
في معناه ظافر ، في دنياه بكل أمانيه ؟؟
- ذلك ظاهر لا يستقيم على أصل من الصواب .
فإن الأمر منوط بمشيئة الله ، وميران
حكته ، وليست المسئلة مستلة للعبد ولا بمجاعة
لشهواته .
- وعلى هذا يكون الوعد الكريم في الآية
استدراجاً لأصحاب الأهواء ، ومطالبة لهم

٣ - ولكننا - بعد ذلك - نتذكر أن الله قال : « فَنَجْعَلُ مَثَقَالِ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » .

وفي هذا أن الكافر إذا عمل في دنياه عملاً طيباً ولو قليلاً ينال جزاءه في الآخرة ، وأن عمله محسوب له عند ربه ، حيث يوفي كل فاعل للخير جزاءه ، وإن كان عمله مثقال ذرة .

والجواب المعروف عند العلماء أن جزاءه يكون في الدنيا ، لأن كفره يحبط ثوابه في الآخرة .

ولا يبعد عن الصواب أن نقول : إن الله يجعل للكافرين جميعاً في جهنم عالدين فيها . أبداً ، ولكنه تعالى جعل جهنم طبقات متعددة وجعل أنواع العذاب فيها على درجات مختلفة .

وعدالة الله لا تسوى بين كافر كان يرتكب مع كفره مآثم أخرى ، وكافر كان يحسن عمله مع الناس كثيراً ، فكلاهما خالد في النار - ولا شك - ولكن المسمى لا يستوى مع المحسن ولا يكونان في طبقة واحدة ، والعذاب في إحدى الطبقات يخالف العذاب في غيرها : نوعاً .

وعلى سبيل المثال : أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يناصره ، وينفرد عنه كفار قريش ، ومع ذلك مات كافراً ولم يستجب لدعوة الإسلام تعصياً للجاهلية .

في تنبياتهم ... وكأنه - تعالى - يقول لهم : من جعل همه دنياه ، وحصر آماله في زينتها : أمكن أن نعليه ما نعلقت به آماله ، وألا نبخسه شيئاً مما يكون مرجواً في زعمه ... ولكن : لا يكون له إلا ما قسمنا له فيها ، وليس له في الآخرة إلا النار ، وضاعت جهوده ، وحبطت آماله في الآخرة وهذا توجيه يتلاقى مع قوله - سبحانه - « من كان يريد العاجلة نجعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم نجعلنا له جهنم يصلاًها ، مذموماً ، مدموراً » .

فالعطاء من جانب الله مقدور بتقديره هو ، ومقيداً بإرادته لمن يريد عطاؤه من خلقه .

وبذلك يتبين واضحاً أن نصيب المرء في الدنيا وزينتها ليس بتقديره ، وإن صادف رغبته ، وحسبانه أحياناً .

فلو عهد الفسيح الذي في الآية ينطوي على التهديد الموضح : بأن أولئك الذين يشترون دنياهم بآخرتهم قد اختاروا صفقة غير رابحة .

٣ - وهذا قدر من البيان يكفي لنفي العقل أن يتعقل ، ولصاحب البهيرة أن يتبصر ، ومع ذلك : فقد توافر في الآيات الكثيرة أضعاف هذا التنبيه ، ولا يزال الإنسان في كثير من غفلاته ، وحجة القرآن قائمة علينا بالحق ، وليس لنا على الله حجة بعد .

« أفن كان على بينة من ربه ، ويتلوه شاهدته ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة » : .

وهنا استفهام من جانب الله سبحانه . وهو بالهمزة ، وهل هو للإنكار والنفي . فيكون المعنى : لا يستوى الكافرون المذكورون ، والمؤمنون الذين هم على بينة من ربهم فلا يكون المحدثون بالإيمان في وضع كوضع الذين كفروا بالحق ، وعبدوا دينهم وحدهما ، وشتان بين مشرق ومغرب .

أو تكون الهمزة للاستفهام التقريري ... والمعنى : آمنوا ، وأقروا بأن من كان في تدبئه على حجة صادقة ، وشريعة بينة من عند الله : هو المستجيب لدعوة ربه ، دون أولئك الظالمين لأفئدتهم وكلا الفرضين في الاستفهامين قريب من الآخر .

وغايته أن الإنكار في الأول نفي للساواة بين الجانبين ، لإثبات ضئلي لدرجة المؤمنين ...

وأما الاستفهام التقريري فإنه تأكيد من أوله ، وقصد حادف إلى تركية المؤمنين على سواهم ، بعد الإعراض عن ذكر المعرضين عن دعوة الدين الحق والبيئة التي عليها إيمان المؤمنين هي القرآن - لا شك - وزيادة عن كونه في ذاته حجة بينة من

وأبو لب عمن النبي كذلك ، وكان أشد أعداء إلهه ، ومات كافرا ، وخصما عينا .

فهل يكون أبو طالب في عذابه على درجة واحدة مع أبي لب ؟

أظن العدالة تنجلي في التفريق بينهما ، وإن كان الخلود في النار للجميع .

وهذه العدالة في الآخرة تزيدهم ندما ، وحسرة على ما ضيعوا وما فرطوا ، حتى ترى هذا واصفا يعكبه القرآن عن مساجلاتهم وتأوهاتهم « يا ليتنا نرد ، ولا نمكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين » ، « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . وإنهم لكاذبون » .

والنظر : حينما يتادون أهل الجنة : « أن أفيضوا علينا من الماء ، أو بما رزقكم الله » ، فيكون الجواب : « إن الله حرمهما على الكافرين » .

وحينما يشمت فيهم أهل الجنة ، ويقولون لهم : « ... قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا : نعم » ، يعني هو العذاب الذي كنا نكذب به ثم يسمعون مناديا من جانب الله يؤذن فيهم . « أن لعنة الله على الظالمين » .

٤ - ثم تنقل بنا الآية الثالثة من الآيات المشرقة إلى الطرف الثاني من طرف الموازنة ، فتحدثنا عن المؤمنين بعد الكافرين .

القرآن في تأييده « ومن قبله كتاب موسى ،
إماما ورحمة » وكتاب موسى : هو التوراة . .
وكانت سابقة على القرآن ، وسابقة على الإنجيل
قبل القرآن . . والتوراة كتاب تشريع . .
وكانت حافظة بالأحكام ، والفصص وكانت
إرهاصا متقدما للقرآن . . وعرف أهل
التوراة من معالمها كثيرا من الأنبياء عما يكون
من رسالة النبي الخاتم ، حتى كان الأحبار
يقنّبون بما يعرفونه سلفا عن النبي العربي
الأخمس .

فكانت التوراة مع أسبقيتها في الزمن
مؤيدة للقرآن من قبل ، وتامة له في تصديقه
وهذا معنى « ومن قبله كتاب موسى إماما ،
ورحمة » . . كما تعلم أنت الشيء مقدما ثم تراه
تميضا لشيء كان مؤجلا بعده .

ولذلك عاب الله على اليهود الذين عرفوا
من التوراة جانبها من أمر محمد ورسالته ،
بعد أن عاش منهم من عاش حتى نزل القرآن
فكذبوه وكفروا بما كان في التوراة قديما ،
ومعلوما لهم « فلما جلدكم ما عرفوا كفروا به ،
فلعن الله على الكافرين » .

٧ — وإذا كانت التوراة شاهدة للقرآن
فلماذا لم يذكر مثل ذلك عن الإنجيل ، مع أنه
أشاد بمحمد ، ورسالته ؟

قالوا : إن التوراة معترف بها عند اليهود

عند الله فله شاهد من نفسه يركيه ، ويؤكد
حجيته ، وذلك الشاهد الذاتي هو قوة إيجازه
لمعارضيه ، وإحاطته بما أودع الله فيه من
معلومات شاملة ، لا تناقضها العقول الواعية
ولا يحصها الباطل في قليل ولا كثير فالقرآن
فيه اكتفاء ذاتي ، كما نقول ، وهو الشاهد
لنفسه وقديما كان يسمعه الكافرون من الأنس
أو الجن فتجذبهم روحانيته ويسحرم بيبانه ،
وتستقر في قلوبهم حقيقته فيؤمنون به غير
مترددين ، ويعودون إلى قومهم معجبين
وداعين غلظين له « يا قومنا أجيئوا
داعي الله ، وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ،
ويمحركم من عذاب ألم » .

« — وكذلك للقرآن شاهد آخر من عند
الله . . وهو المعجزات التي أيدها من عند الله
ورسوله محمد . صلى الله عليه وسلم . فنصره
بها على أصدائه ، وأقام له حجة رغم معارضيه ،
حتى ملأ بها الدنيا ، وصار للإسلام علم حقائق
على المشارف بعد أن لم يكن .

وعلى أي حال فالقرآن شاهد بيقينه : في
تمزيقه ، ودفع أعوانه ، وتركيز معاملته
سواء : أكان الشاهد المذكور هو ذاتية القرآن
أم كان المعجزات المقارنة له في تأييد الرسالة
المحمدية .

٦ — ثم يذكر الله تعالى شيئا آخر يتابع

وهو الكفيل بكل ما جاء من عند الله من
تشريع يحتاجه الإنسانية إلى نهاية دنياها .

• • •

٨ — وتنتقل بنا الآيات بعد شيء من
المقارنة : إلى تكرار التهديد ، وتسجيل
الإثم الخطير على الكفار ، وظلمهم لأنفسهم
بالكذب على الله .

ثم تذكر لنا مشهداً من مشاهد في الآخرة
تردعهم عن الإيمان في غيب ، فيقول تعالى :
« أولئك يرضون على ربهم ، ويقول
الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ..
ألا لعنة الله على الظالمين » .

فهنالك عرض للناس جميعاً على ربهم ،
لتوفيبتهم جزاء أعمالهم ، وإن كلا لما ليرمينهم
ربك أعمالهم ، وحينذاك ينقض الشهداء :
من الملائكة ، والأنبياء ، والمؤمنين فيعلنون
شهادتهم على الكفار ، ويقررون محظمتهم
عليهم بالكذب الذي كانوا يفترونه على الله
ربهم ، ثم يقولون : لعنة الله على الظالمين ..
وهذا تذكير لنا بما نخشاه على أنفسنا
من التخلف عن دعوة الله .

ولندخل في حيز وعده الكريم بقوله تعالى :
« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ،
وأخبتوا إلى ربهم .. آمنوا واطمأنوا إلى
دينه وطاعته - أولئك أصحاب الجنة
هم فيها خالدون » .

والنصارى . فالاحتجاج بها قائم على الفريقين
أما الإنجيل فلا يقول به اليهود ، وإنما يقول
به النصارى فقط فالاحتجاج به لا يكون
مأخوذاً به عند اليهود لعدم إجماعهم
مع النصارى على ذلك ونحن - المسلمين - نعترف
بالقرآن وبشهادة التوراة له وبشهادة الإنجيل .
والقرآن بعد ذلك كله : فوق متناول
الشبهات ، وإن رغمت أنوف الكافرين به .

ولا يسبق إلى ذهنك أن القرآن في منزلة
دون منزلة الكتب التي شهدت له من قبل
بل القرآن مصدق لما فيها ، وهو شاهد
بصحتها من عند الله ، وأنها تناولتهما يد
التعريف والتبديل ، وأنه هو المسيطر على
التشريع بعدهما ، ولم يعد الدين إلا إسلاماً
قرآنياً . إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ..
وقد أكد الله لنا أن التوراة نزلت على
موسى ، وأنها كانت هدى وموعظة للمتقين ..
وأكد لنا كذلك أن الإنجيل نزل على
عيسى ، وأنه كان مصدقاً لما بين يديه
من التوراة .

ثم أكد لنا أن القرآن نزل مصدقاً لما بين
يديه من التوراة والإنجيل جميعاً ... بل أكد
لنا أن القرآن نزل بالحق مصدقاً لما بين
يديه من الكتاب ، ومهيئاً عليه ، يعني
مصدقاً لجنس الكتب السماوية كلها ، وقائماً
بالتشريع بعدها .

الجمال للخلق ، ونمام الحسن الوجه ، وفيها
منفعة الحياة إلى غير حدود

فإن يكن الكفار والمنحرفون عن مسالك
الرشد غير مستشرقين بفتح شأنهم ، وحجة
مزلتهم فليتنظروا بأعينهم إلى دعامة العمى ،
والصمم ، وما يشهدونه من نقص عند ذى
العمى والصمم .

ثم لينظروا إلى ذوى البصر والسمع ،
وما لحا من أثر في جهالم ونفع في حياتهم ،
وبهذه المفارقات المحسوسة يدركون بعد
مزلتهم عن منازل المؤمنين .

ويتفهمون من هذا المثل أن حياتهم في
دنياه حساب صور عليهم في أخراهم ، وأن
شقاهم يستقبلهم ، فأين يكون لهم منافع ،
وكيف يكون لهم خلاص ؟

هم الذين استجبوا العمى على الهدى فظلموا
أنفسهم وما ظلمهم الله .

ومع هذه الواجر في القرآن ... ومع
تكرارها من مقام إلى مقام ، فالإنسان
ساذج في نسيانه ، ومن يهتدى الله فهو
المتهدى ؟

عبد اللطيف السبكى

وهذا قيس موجز ، من قيس الهداية
والتبصرة ، تجدد به الذكرى لأنفسنا بما
يكرره القرآن من توجيهاته لنا ، وتوعيته
لعمقنا حتى لا نستسلم للفتنة ، وتدهلنا الدنيا
كما أذهلت المعرضين ، حتى لم تدع لهم سائفة
من الفكر ، ولا هاتما من الخواطر ، نحو
ما يستقبلونه في أخراهم .

وماذا رضوا لأنفسهم يوم يحضرون
الدنيا والآخرة ؟؟

٩ — وبعد تلك المقارنات بين الجانبين ،
وما يتخللها من وعيد للكفار ، ومن وعد
كريم للمؤمنين ، يحتم الله تلك الموازنة بمثل
يصور به شأن الفريقين في صورة نصها .
ولا يتخطاها نظر المرء دون تنبيه إلى بعد
ما بينهما .

وذلك قوله تعالى : « مثل الفريقين كالأعمى
والأهمل .. والبصير والسميع » .

فتلك أوصاف متناقضة : بعضها ذم
ينبئ إلى كل حي من الإنسان والحيوان ؛
وهو العمى ، وعدم السمع - الصمم - فافطر
ما هما من قبح ، وتشويه ، وما لحا من أثر
في حرمان المبطل هما أو بأحدهما .

وبعضها كريم على النفس ، ومشوق إلى
كل حي ، وهو البصر ، والسمع : ففهما

عقيدة المُرشدَة للمهدى بن تومرت

للأستاذ عبد الله كنون

عضو مجمع بحوث الإسلاموية

والدين ، ذا ملكة راسخة وقوة على النظر والجدل بحيث يضاهي كبار الشخصيات العلمية البارزة التي ظهرت في المشرق لعهد من أصحاب المقالات والمدارس في علمي الأصول والكلام فضلا عن تضلعه في الفقه والحديث .

وقد خرج لطلب العلم من بلده سوس سنة ٥٥٠ هـ وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولا شك أنه توقف في مراكن وأخذ بها عن بعض شيوخها ، إن لم يكن قد مر بفاس واشتغل فيها على علمائها العديدين ، ثم دخل الأندلس فحل بها ما بل من علمه ، العلمي وجاز البحر من المربة في مركب إلى المشرق كما يقول ابن القطان ، وهناك تعمق في الطلب وأشبع نهجه من العلم ولقاء المشايخ وكان ممن لقي من كبار العلماء في الإسكندرية أبو بكر الطرطوشي ، وفي بغداد الكيا الهراسي (١) وأبو حامد الفزالي على ما جزم به أكثر المؤرخين وزاد ابن أبي زرع أنه

(١) بكر الكاف وفتح الماء مع تشديد الراء أبو الحسن علي بن محمد الطبري نقل ابن خلكان عن عبد الغافر الفارسي قوله فيه إنه كان ثاني الفزالي بل أصل وأصلح .

طغى الجانب السياسي على الجانب العلمي من ترجمة المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحدين حتى كانت شخصيته العلمية تلوب في شخصيته السياسية ، وبالفعل فإن المؤرخين والكتاب الذين تناولوا ترجمته بالنقد والتحليل لم يبنوا إلا بأعماله السياسية وعمازكه الحربية ، والخطوط التي وضعها لتأسيس الدولة التي قضت على دولة المرابطين ، وفي طلي أنهم لو عونا بالناحية العلمية من حياته وقنبروا جهوده في نشر المعرفة ، ودرسوا إنتاجه الفكري حق الدراسة ، لخرجوا بنتائج رائعة في التعريف بالرجل وتجلية شخصيته وإنصافه من الأحكام المتبصرة التي تسجل عليه من غير ترو ولا تحقير ، وإن كان العلامة ابن خلدون لم يغفل هذه الناحية ، ولذلك جله رأيه في المهدي على جانب من العدل والإنصاف .

على أن السياسة حقا قد طغت على أعمال المهدي بعد انصرافه للدعوة واشتغاله بتدبير أمر أتباعه وأنصاره وتورطه في حرب المقاومة ، ولولا ذلك لآتانا عنه علم غزير وإنتاج كثير ، لأنه كان إماما من أئمة العلم

(وانطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متعجرا من العلم وشهابا واديا من الدين ، وكان لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية النافعة في صدر أهل البدعة وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه افتناء بالسلف في ترك التأويل وإقرار التشابهات كاجل ، فظن أهل المغرب لذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في كافة العقائد وأعلن بأمامتهم وألف للعقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد وكان من رأي القول بمصحة الإمام على رأى الإمامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله : أعز ما يطلب) الخ .

ففي هذه العبارات الموزونة تعبير شخصية الرجل العلمية وتحديد لنوع الدعوة التي جاء يحمل لواءها حتى ذاعت وانتشرت وتنصيص على الجناح الذي ارتكبه في هذه الدعوة ومال به عن رأى أهل السنة من أشاعرة وغيرهم .

أما الشخصية العلمية التي أثبتنا للرجل فقد قلنا كامتا فيها وبأيتنا مزيد تقرير لها وتأكيدها عليها .

لازمه ثلاث سنين بوجع وأقام بسكة مدة ، ودامت رحلته ما يزيد على عشر سنوات . ولنا بصدد التعرض لما يتعلق بعمله السياسي فيما بعد ، وإن كانت الروايات عن نشأته ورحلته لا تفتأ تربط بين أحواله في هذا الطور من حياته وبين ذلك للعمل العظيم .

على أن اهتمامه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجازفته في سبيله هو في نظرنا مما يرجع إلى غيرته الدينية وبقطة ضميره أكثر مما يرجع إلى نزعة سياسية ، كما نبينا عليه في عهد هذا المقام ، فأحرى بنا أن لا نعدل به عن هذا التوجيه ونحن لا نستعرض إلا الجوانب العلوية من ترجمته .

ويشهد ابن خلدون إلى عودة المهدي من رحلته المشرقية وما جناه فيها من الثأر الياقنة وما صار له من شغوف في العلم والمعرفة بالآراء والمذاهب ، وما قام به من دعوة صادقة لتنبه مواطنيه المغاربة إلى الاشتغال بالعلوم العقلية والنظر في أقوال علماء الكلام وخاصة الأشاعرة منهم إذ كان منهم غير رائج في المغرب ولا بلغ إليه صدى المناظرات العظيمة القائمة بين أئمة في بلاد المشرق ، وذلك في فذلك عظيمة القيمة بالنسبة إلى بحثنا هذا وهي قوله :

السلف الصالح من أئمة المسلمين . فالقول بأن المهدي وجد علماء المغرب على حالة من الجود وعدم استخدام العقل وببذ النظر ، كما يقع في كلام بعضهم هو من العلو والمجازفة وإلغاء الكلام على عوائده . فإن هذا المذهب أيضاً قائم على الحجة ونظر العقل وترجيح أنه مقصد الشرع ومراده وأن القول عنه بالتأويل والتوجيه مخالفة لذلك المقصد وعدول عن ذلك المراد .

نعم لما انتشرت المذاهب الفلسفية في المشرق وكثر الجدال بين أهل الملل والتحل غير الإسلامية وبين المسلمين وكان المنكرون من علماء الإسلام على الوثنيين وعباد الأصنام يسخرون من عقولهم ويعيونهم بعبادة آلهة مختلفة مثلهم لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرراً ، فإن هؤلاء جعلوا يهتمون المسلمين بالتجسيم وعبادة إله على مثال المخلوقات ذى وجه ويد وعين ، وتطراً عليه الانفعالات النفسية من الرضى والغضب وما إلى ذلك ولا يخلو من الأغراض الجسمية كالحركة والسكون ، وتدمرت هذه الوسوس إلى عوام المسلمين ولم يستطيعوا التخلص من بوائقها ، فقام أئمة الدين وحفظه العلم من الأشاعرة والماتريدية وبقيّة علماء الخلف السنيين برد هجوم هؤلاء الملاحدة والمنطلعين والدفاع عن حقيقة الدين ويعصته الإسلام

وأما دعوته التي قام بها وروج لها من الأخذ بمذهب الأشعرية في العقائد والاحتجاج عليها بالعلوم النظرية فالأمر فيها يحتاج إلى شيء من البيان والتوضيح . ذلك أن أهل المغرب لعهد المهدي ورجوعه من رحلاته المشرقية ، كانوا إلا قليلاً منهم على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي مع التنزيه للمخلوق عن وجل وذاته الطيبة عن أن تشبه النوات وتنصف بصفات المخلوقين . وذلك هو المذهب الذي عبر عنه الإمام مالك متبوعهم في الفقه والأحكام الشرعية بقوله الذي سأله عن الاستواء المذكور في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » - الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة . وكذا القول في الوجه واليد والعين والزول والجوى والضحك وغيرها مما ورد إطلاقه على الله سبحانه وتعالى في الكتاب أو السنة . فزعمهم يبرونه على ظاهره ولا يزولونه بالذات أو القدرة مثلاً فرأوا من الاهتبات على الشارع الذي عبر بذلك ، ولكنهم يمتقدون التنزيه وعنايته تعالى للحوادث فلا يلزم على الإيمان بظواهر تلك النصوص أى محذور .

هذا هو الموقف الذي كان المغاربة يلتمونه في العقائد إيمان ذلك . وهو كما علت مذهب

على مذهب السلف ونحن لعن ما نقول . فلم يكن المهدي هو أول من تكلم في مذهب الأشعرى أو دعا إلى تأويل النصوص في المغرب بل سبقه بعض أهل العلم لذلك ولا سيما في (سبته وفاس) على ما بيناه في غير هذا البحث ، ولكن هذا المذهب لم ينتشر ويسد على مذهب السلف إلا بعد قيام المهدي بدعوته التي جند لها جنوده وحل الناس عليها حملا بدون رفق ولا هوادة وساعده على ذلك أنه كان قد انتشر في المشرق وأصبح المذهب السائد الذي هزم مذهب أهل الاعتزال على ما كان له من التحكن والسلطان .

وبما هو محتمل أن المهدي قبل رحلته رأى ما تعرض له كتاب (الإحياء للغزالي) من الإحراق والإتلاف في المغرب والاندلس أو على الأقل وعلى الحملة الشعواء التي شنها عليه علماء الاندلس والمغرب والتي تزعمها القاضي ابن حدين قاضى قرطبة وهو أكبر شخصية عليية في ملك المرابطين يومئذ . وكان مما ينكر على ذلك للكتاب مسائل في العقيدة خالف فيها كثيرا من (المسائل) عند أهل السنة ، فكان من وكنه في رحلته التحقق من هذه المسائل والتعرف على الحياة العلية والانتصارات العقيدية في المشرق ، وهذا في نظري مما يرجح لقاء المهدي للغزالي . وهذا أيضا ما غرس في نفس ابن تومرت بنور الثورة على الواقع

ومجادلة أرباب المذاهب الفلسفية والدعوات المناهضة للحق بمثل الطرق التي يستعملونها في العلم على الإسلام والأساليب النظرية التي يهاجمون بها عقائده . وكان مما استحدثه الأشعرى ومن أخذ بطريقته تأويل بعض الصفات والأقوال الموهمة التي لا تستطيع العامة أن تتخلص من اعتقاد لوازمها ، فقالوا في الاستواء على العرش : إنه الاستيلاء والظهور والغلبة أخذا من قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مبرق
كما قالوا في الوجه : إنه الذات ، وفي العين : إنها الرعاية والحفظ ، وفي اليد : إنها القدرة ، وفي النزول : إنه الامتتان إلى غير ذلك مما هو معروف . وقصدم ، أولا وبالذات ، إنما هو المحافظة على عقائد العامة والمسلمين الذين دخلوا في الإسلام حديثا من أهل الملل المجسمة وأشباههم . وهو اجتهد على كل حال أوجبه الضرورة وأملاه الموقف الذي كان عليه أمر الاعتقاد في المشرق الإسلامي .

أما في المغرب فلم تدع لذلك ضرورة ولا وجد موقف عيم الذي كان عليه الحال أيام السلف ، فلم يكن ثم لزوم ولا مجبر لرواج هذه البدعة ولذلك قاومها العلماء المغاربة بنصح وإخلاص .

وقلنا آنفا : إن أهل المغرب الأقليل منهم كانوا

والانصار والتأثير على عقول السذج والعوام لما رأى أنه لا مفر له من محاولة خضوعه ومنازلتهم في ميدان الحرب والقتال .

فالأمر إذن يتصل بحركته السياسية وتمهيد الدولة التي عني بإنشائها لما قوى عزمه على مقاومة المرابطين بالسلاح . فلندع السياسة جانباً ولنعد إلى بساط العلم الذي يعنينا . ولكن لا بد أن نعير إلى أن أخذه بهذا الرأي الشيخي قولاً وعملاً كان متأخراً جداً عن المدة الأولى التي ظهر فيها بدعوته المتمحضة للأمر والتهى والتوحيد ، بدليل أنه في مجادلاته ومناظراته للعلماء بالجلس الذي عقده له أمير المسلمين علي بن يوسف في مراکش وغيره لم يفه بشيء من ذلك ولا حكي عنه أحد ما تنم منه رائحة التشيع أو دعوى المهسوية . ثم إن رسالته في الإمامة التي صرح فيها بهذا الرأي وأكدته بمختلف العبارات هي أيضاً مما يدل على ذلك ، لأنها جاءت مقترنة بالدعوة إلى القتال لنصرة الحق وإظهار السنة مع الإمام المهدي القائم بالحق والتأهر بدين الله ووجوب طاعته واتباعه وعدم مخالفته فيما قل أو جل إلى آخر الالتزامات المشددة التي تقررها الرسالة . وهذا أمر لم يرد في كتبه ورسائله السابقة عليها ، فدل ذلك على أنه أمر محدث أوحى به السياسة واقتضاء الموقف الجديد الذي أدى بآبن تومرت إلى إعلان الحرب على خصومه .

المغربي وجعله يقوم بدعوته المكتسحة لكل عطفات تلك الحقبة التي أحرق بموجبها كتاب النزالي من مذهب السلف في العقائد ومذهب الإمام مالك في الفقه ، وإن كان قد نجح في الانتصار على الأول ولم يتجح في الانتصار على الثاني .

يتى الكلام على النقطة الثالثة من مقالة فيلسوف المؤرخين : وهي المتعلقة بمنحوج صاحبنا إلى مذهب الشيعة الإمامية في القول بصحة الإمام وهو أمر محسوس حقا ، فإن المذهب العقدي الذي التزمه وهو الأشعرية ، والعلماء الذين أخذ عنهم واتصل بهم في رحلته وحياته العلمية وسلوكه في الدعوة من أول ما بدأ ، كل ذلك كان حرياً أن يجافي بينه وبين هذه النظرية ويجعله إلها عليها لا معها ، ولكن قبح الله السياسة ، فهذا الرجل الذي كان همه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما حل وارتحل ، وكان ينكر على الولاة وأول الأمر تعاطيهم وتعاليهم على الناس والذي قامت دعوته على التوحيد الخالص المدعم بالأدلة النظرية والحجج العقلية يتورط في هذه العنصرية ويدعى لنفسه ما لم يسلم لمن هو أكبر منه شأناً وأعظم قدراً ، ثم يزيد فيزعم أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً على حسب ما ورد في الحديث الشريف ، وذلك لتكبر الأتباع

التشيع أو من مذهب الشيعة الإمامية على الأصح ، ويعد لا نجد له أى صلة بهذا المذهب ولا ميل إلى التشيع في قول ولا فعل.. فتشيعه هذا كان سياسيا واستغلالا لقول من أقوال الشيعة يتعلق بالحكم أكثر مما يتعلق بالعقيدة والأحكام ، ولذلك قال ابن خلدون فيه « ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم » وهي كلمة صحيحة إلى أبعد حد .

ويقتضينا التمرس لحياة ابن تومرت العلية أن نلم بذكر مؤلفاته التي وصلت إلينا والتي بشكل أكثرها إملاءات صدرت منه أيام تصديه لتعليم أصحابه وتثيف طلبته الموحدين من عبد المؤمن خليفته الذي لقيه بقرية « ملالة » وهو بصدد الرحلة في طلب العلم فقال له: لقيت علما وشرفا إلى من درته ، وهي ما بين كتب ورسائل صغيرة تؤولف المجموعة الآتية .

(١) أعز ما يطلب ، وقد ذكرناه وجه تسمي المجموعة .

(٢) كتاب الصلاة ، وضمنه أحكام الطهارة بتفصيل واف من الحديث والآثر ، ولذلك أمر المنصور الموحدي بجمع أحاديث في الصلاة على للنحو الذي فعله ابن تومرت في الطهارة .

وهذه الرسالة التي تناولت قصة الإمامة والعصمة والمهدوية هي رسالة مستقلة عن كتاب: أعز ما يطلب .. الذي لاشك أنه كان من أوائل تأليفه . ولذلك فإنه يعد كتابا تعليميا غالبا من الشعوذة كسائر كتبه التي وضعها في مبدأ أمره . وقد نوه فيه بقدر العلم وحث على طلبه وتعرض لمسائل من طرق العلم وأبواب من أصول الفقه ، وبناء على المناظرة التي جرت له بأغماط ، وليس فيه كلام على الإمامة وما يتعلق بها . يقول ابن خلدون في النص المتقدم عنه : « وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأى الإمامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله أعز ما يطلب ، فيه تساهل كبير ، لأنه يعتبر بمجموع تأليفه المبدوء بكتاب أعز ما يطلب والذي من ضمنه رسالة الإمامة هذه كتابا واحدا ، وليس الأمر كذلك ، فإن هذا المجموع كما طبعه (كولد زهير) يحتوي على عدة كتب ورسائل للهدى ، ولا يمكن أن يعد كتابا واحدا ، فن نتيجة التفرق بين هذه المؤلفات اعتدينا إلى أن إعلانه برأيه هذا في الإمام وعصمته كان متأخرا عن مبدأ قيامه وظهور دعوته وتلك نتيجة ليست بقليلة الأهمية .

وبما يجب التنبيه إليه أن القول بوجوب نصب الإمام وعصمته كان هو نصيه من

(١٤) رسالة فيما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن طائفة من أمته لا تزال على الحق .
(١٥) رسالة في فضل التوحيد والاستدلال عليه من طريق النقل .

(١٦) كتاب الطهارة ويتضمن بعض أحكامها من الحديث النبوي ، ويظهر لنا أن الموضوعين الآخرين وما يتلوهما في المجموع إلى ص ٣٦٢ من حديث رفع العلم والأمانة وغير ذلك هو ما عبر عنه في طائفة المجموع باختصار مسلم وإن أومت العناوين المتميزة أنها إطلاعات مستقلة ، وعلى كل حال فهو اختصار موجز على مثال ما فعل ابن أبي جرة فيما بعد عند اختصاره لصحيح البخاري .

(١٧) رسالة في ذم الخمر وعقوبة شاربها .
(١٨) كتاب الجهاد وما ورد فيه من الثواب وهو رسالة متوسطة الحجم .

هذا ما ضمنه مجموع آخر ما يطلب من تأليف المبهدي بن تومرت كتباً ورسائل يتخللها بعض الإطلاعات الصغيرة في التعميد والقسيح والثناء على الله عز وجل مما لا يمكن عدمه من التأليف بالمعنى العملي .

وقد نشر هذا المجموع في الجزائر سنة ١٩٠٣ م بناية المستشرق (كولد زهر) مع مقدمة له بالفرنسية .

(١٩) وما وصلنا أيضاً من تأليف المبهدي كتاب الموطأ المعروف به والمنسوب إليه ،

(٢) رسالة الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل ، أو هي رسالة القياس وفيها رد على المعتزلة في تحكيمهم العقل ، وبذلك يفتق عنه ما نسب إليه من الاعتزال ، وأثبت القياس الشرعي وبها حكنا أن الموحدين لم يكونوا ظاهرية كائنيهم من يتساهل في تحقيق أمرهم .

(٤) رسالة في العموم والخصوص وبعض المباحث الأصولية .

(٥) رسالة في طرق العلم .

(٦) رسالة في تقسيم المعلومات .

(٧) رسالة المحدث (بفتح النال) وهي مباحث من علم الكلام .

(٨) رسالة العبادة والاحتجاج على وجوبها .

(٩) عقيدة التوحيد .

(١٠) عقيدة المرشدة ، وتمتاز الأولى عن

الثانية بأشتمالها على الدلائل العقلية بطريقة الأشاعة وهي أكبر منها .

(١١) رسالة الإمامة وقد ذكرناها وهذه

الرسالة والتي بعدها مما دونه بالعربية والبربرية حسب كتاب (الحلل الموشية) .

(١٢) رسالة القواعد وفيها كليات صالحة في الشريعة ولكنها تشمل على أمور منكرة من التشديد في الدين ووجوب الإيمان بالمبهدي وعصمته .

(١٣) رسالة في بيان طوائف المبطلين من الملحنيين والمجسمين ، وأمرها واضح .

وعدم التفرقة بين العهد الأول من حياته الذي كان فيه منقطعاً للعلم لم يتلبس بشيء من البدع التي أوبقته فيها السياسة ، وبين العهد الثاني الذي هو بخلاف ذلك ، حمل بعض العلماء على إنكار نسبة المرشد إليه لأنها عقيدة سنية خالصة من البدعة التي كان عليها ابن تومرت ، ونسوق القضية بجميع ملاساتها كما وردت في (الطبقات الكبرى) للتاج السبكي .

قال : (وجدت بخط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكادي العلاني رحمه الله . . رأيت بخط شمس الدين الذهبي رحمه الله أنه شاهد بخط سيف الدين أحمد بن المجدد المقدسي ، لما حدث خلعت المقدس ، والفرنج إذ ذاك فيه ، وجسدت مدرسة قريبة من الحرم أظنها الصلاحية والفرنج بها يؤذون المسلمين ويفعلون العظائم ، فقلت : سبحان الله ترى أي شيء كان في هذه المدرسة حتى ابتليت بهذا ؟ حتى رجعت إلى دمشق لحكي لي أن الشيخ عمر الدين بن عساكر كان يقرئ بها المرشدة ، فقلت : بل هي المضلة . انتهى ما نقلته من خط العلاني رحمه الله ونقلته من خطه أيضا . وهذه العقيدة المرشدة جرى قائلها على المنهاج القويم والعقل المستقيم وأصاب فيها نزهة على العظم ، ووقفت على جواب لابن تيمية مثل فيه عنها ، ذكر فيه : أنها تنسب لابن تومرت ، وذلك بعيد من الصحة

وهو كتاب اختصر فيه مواعداً للإمام مالك بحذف سند الحديث وحذف إليه أبواباً متفرقة وأحاديث كثيرة مما لم يخرج الإمام ، وقد طبع في الجزائر أيضاً سنة ١٩٠٧ م ويقع في ٧٢٨ صفحة .

هذه آثار ابن تومرت العلية التي إذا أضيفت إلى مجهوده في نشر المعرفة بالتدريس وتعليم الجماهير من أبناء القبائل المغربية ، أزرت أو كادت بأعماله السياسية وما بذله من مجهود في إنشاء دولة الموحدين . ونحن نرى في هذا البحث من تأليفه عقيدة المرشدة التي لقيت رواجا كبيرا في حياته وبعد مماته وتلقاها أئمة العلم بالقبول وحكوا عليه من خلالها بسلامة العقيدة وصحة المذهب .

ولا شك أنها كانت من أول ما أملى من تأليفه ولقن أصحابه من العقيدة على مذهب الإمام الأشعري لأنها بمثابة المقدمة في هذا الصدد من حيث الاحتصار وعدم الاحتواء على الأدلة العقلية التي لا يدركها العموم كما في عقيدة التوحيد ولأنها جلت عالية من كل شبهة على ما كانت عليه دعوتها أولا قبل أن يدعى المهدوية والإمامة والعصمة ويتجرد للعمل السياسي الذي أقام به بناء الدولة الجديدة ومعنى على دولة خصومه المرابطين .

ومن الغريب أن الاشتباه في أمر المهدي

والجواب عن شكك هذا هو ما أجاب به السبكي عن تشكك العلائ سواء بسواء إلا أن المعروف من مذهب ابن تيمية أنه لا يرضى عن هذه العقيدة سواء كانت لابن تومرت أو لغيره .

وأما الذهبي وابن المجد فلا ينتظر منهما أن يثبنا على المرشدة ولا أن يقولوا فيها غير ما قالاه ، للخلاف بين الحنابلة والأشعرية الذي كان هو عين الخلاف بين أهل المغرب وابن تومرت لما ظهر بمذهبه الجديد . وما أُلذع ما رد به السبكي قول ابن المجد في المرشدة والبلاء الذي أصيبت به المدرسة بسببها فإنه رد يوافق ذلك القول التام .

لكن أعظم ما يستفاد من كلام السبكي وقوله هذه هو أن المرشدة كانت تدرس في مدارس المشرق ويقوم عليها علماء مثل الإمام غفر الدين بن عساكر شيخ الشافعية في وقته بالشام . إن هذا ما يبين قيمة هذه العقيدة وأهميتها ويدل على سيورتها وانتشارها باعتبارها مقدمة صغيرة في هذا العلم وخلاصة مفيدة لمذهب الأشعري رحمه الله . ولا شك أنه قرأها عدد كبير من الطلبة وانتصوا بها وأنه كان عليها إملاءات وشروح للعلماء الذين أقرموها ، فإن شهرتها التي جعلت جملة من أعلام الإسلام يتحدثون عنها ويبدون آراءهم فيها وفي صاحبها كيفما

أو باطل لأن المشهور أن ابن تومرت كان يوافق المعتزلة في أصولهم وهذه مباينة لهم . انتهى ، وأطال العلائ في تعظيم المرشدة والإزراء بشيخنا الذهبي وسيف الدين بن المجد فيها ذكره . فأما دعواه أن ابن تومرت كان معتزليا فلم يصح عندنا ذلك ، والأغلب أنه كان أشعريا صحيح العقيدة أميرا عادلا داعيا إلى طريق الحق . وأما قول سيف الدين المجد أن الذي اتفق إنما هو بسبب إقراء المرشدة ، فمن التعصب للبارد والجهل للفاسد وقد فعلت الإفرنج داخل المسجد الأقصى العثماني فعلا فطر في ذلك؟ نعم ذبانه من الخذلان؟ ونحن نرى أن فسوق هذه العقيدة ، وهي . . . ولما ساقها قال . . . هذا آخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سق .

هذا كلام السبكي المتعلق بالمرشدة مع نقوله المتضاربة حولها مدحا وذما . فأما العلائ فإنه مدحها وأبلغ في ذلك لحده أنه أزدى بالذهبي وابن المجد لعظمهما فيها إلا أنه ارتاب في نسبتها لابن تومرت لأنه كان يوافق المعتزلة في أصولهم وقد رد عليه السبكي في ذلك وقال : إنه كان أشعريا صحيح الاعتقاد .

والمفهوم من كلام العلائ أن شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه كان يشك في نسبتها لابن تومرت فربما لهذه الشائعة عنه من ميله إلى الاعتزال وهي ليس فيها شيء من ذلك .

وسيلة نعمنا الله وإياه (بالأصل ولينا))
بمقد عقيدته الجليلة ،

وكلامه هذا يفيد أنه لم يكن من الطائفة
التي تعتقد المهدى ، وقد بقيت هذه الطائفة
موجودة إلى زمن اليوسى ، وكانت تتمثل
في الشيخ عبد الرحمن اللجائى المتصوف
المعروف دفين الجاية وأتباعه على ما بينه
اليوسى في محاضراته . كما يفيد أنه كان يعلم
ما طرأ على دعوة المهدى من الجنوح عن
السبيل وما يشوب تأليفه العقائدية من
الشبهة باستثناء المرشدة . فهو يتفق مع علماء
المشرق في هذا الأمر وبسلك نفس النهج
الذى سلكوه في قبول آثار المهدى التى
سلبت من الرتبة وترك ما عداها أخذاً بمبدأ
الإسلام المبرهنه في الحديث الشريف بهذه
العبارة الفذة الجامعة (دمع ما يربيك إلى
ما لا يربيك) وهو المبدأ الذى يقضى على
التعصب ويمتدح بالحق إذا ظهر .

ويمكن أن تنقل من هذا الشرح ما كتبه
مؤلفه على قول المرشدة : (جميع الخلائق
مقبورون بقدرته) وهذا نصه (الخلائق
هم العوالم المذكورة وغيرهم بما لا يعلمه إلا الله
تعالى ، وقوله مقبورون بقدرته أى مغلوبون
أذلة لعمرة قدرته ، والقهار المستولى ، والقدره
صفته فهو تعالى قادر بقدره قديمة . وفى كلام
الإمام رد على المعتزلة الذين ينكرون
الصفات (إلخ .

كانت هذه الآراء ، تعطى أنها ملأت فراغا
في هذا المقام وشغلت كثيراً من الناس مدة
غير قصيرة من الزمن .

ويوجد عندنا شرح عليها في كراسة ضمن
مجموع ، اسمه الأنوار الميمنة المؤيدة لمعانى عقد
عقيدة المرشدة لمؤلفه أبى زكريا يحيى بن الشيخ
المدرس أبى حفص عمر بن أبى بكر المشهور
بالتمسقى ثم الهنسى ؛ على ما جله في طالعته ،
وهو مغربى فيما يظهر ، ما يدل على أنها كانت
تدرس في المغرب أيضاً لاسيما وهو قد وضعه
جواباً لسؤال سائل " وهذا ما يقوله في ذلك .

وبعد : كسانا الله وإياك لباس
التقوى ، وزحزحنا بمنه عن نار الشهوات
والهوى ، فإنك سألتنى أن أقيد لك على كلام
الإمام أبى عبد الله محمد المهدى رحمه الله تعالى
في المرشدة ما يحل سماعه ويروق دليكه ،
فأجبتك إلى ذلك مستعينا بآفته ، وعادة لا يهتم
الناس بأى كتاب ويشرحونه إلا إذا كان
متداولاً مقروءاً ولو بين طبقة خاصة وأهل
ناحية معينة .

ويقول : هذا الشارح بأثر العبارة السابقة
ولما اجتمعت على صحة هذه العقيدة لا غير وأنها
مرشدة رشيدة ولم يترك المهدى أحسن منها

(١) يشير هذا الشارح إلى أن هناك من
شرح المرشدة غيره ، فقد جاء في أثناءه عبارة
تقول (نقل بعض من شرح هذا العقيدة . إلخ

يقى أن تشير إلى أن أباسالم العياشي نقل في رحلته خلاصة كلام السبكي في الرد على العلائي على أنه من القوائد التي علقها من الطبقات الكبرى ولم يعقب عليه بكلمة .

ونقول: إن اسم المرشدة مأخوذ على ما نعتقد من قول صاحبها في إفتتاحها: (اعلم أرشدنا الله وإياك) وقد وقفنا على ست نسخ من المرشدة تتماثل فيما بينها إلا واحدة منها هي نسخة مجموع أعز ما يطلب ، وسنبين ما فيها من الخلاف تعليقا :

(الأولى) نسخة الطبقات (الثانية) نسخة أعز ما يطلب (الثالثة) نسخة الحلل الموسية فإن هذا الكتاب أثبت المرشدة من جملة ما أثبتته من كلام المهدي (الرابعة) نسخة كتاب سعادة الدارين للنهائي فإنه أيضا أثبتها معجبا بها (وهذه النسخ الأربع كلها مطبوعة) (الخامسة) نسخة الشرح الذي تحدثنا عنه ، وهي أصح النسخ في نظرنا لأن ألفاظها مفسرة مشروحة فهي بعيدة عن الخطأ والتصحيف (السادسة) نسخة مخطوطة من الحلل الموسية خاصة ، فالجميع ست نسخ اثنتان منها مخطوطتان . قابلناهما جميعا وأخرجنا منها النص الآتي :

اعلم، أرشدنا الله وإياك ، أنه يجب على كل مكلف أن يتعلم أن الله واحد في ملكه ، خلق العلم بأمره: العلوي والسفلي والعرش والكرسي والسموات والأرض وما فيها وما بينهما ،

وقد نقلنا هذه العبارة المينة لكلام ابن تومرت قصداً لتصحيح الخطأ الذي وقع فيه السبكي أثناء ترجمته للمهدي . فإنه بعد ذلك النفاذ المجيد الذي بنى عنه ما رى به من الاعتزال عاد فرماه به هو نفسه في الترجمة التي عقدها له في الطبقات قائلا: (ثم صنف لهم تصانيف في العلم: منها كتاب سماه أعز ما يطلب وفي عقائده على مذهب الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها) .

وهنا نحن أولاء نرى أن المهدي لا يبنى الصفات وأنه يقول: (جميع الخلائق مقبورون بقدرته) ويطلق شارحه على ذلك بقوله: إنه رد على المعتزلة الذين ينكرون الصفات . ويظهر أن السبكي لم يتأمل المرشدة على الرغم من كونه أورد نصها في الطبقات ، ونفى عنه الاعتزال في رده على العلائي، وقال في المرشدة: ليس فيها ما ينكره سني يعني أشعري . فلهذه ذل عن هذا الاتهام الذي ضمته ترجمة المهدي التي هي في نظرنا ترجمة منصفة لوخلت من هذا التناقض " .

(١) وجاء في الشرح أيضا، تعليقا على قول المرشدة ، (ليس عليه حق ولا عليه حكم) ما يلي : (وفي هذا رد على المعتزلة القائلين بمراعاة الصلاح والأصلح ووجوب الرزق) ولم تنقله في الصلب لأن كلام السبكي قاصر على اتهام المهدي ببنى الصفات .

لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق ولا عليه حكم، وكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا بين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا كل ولا بعض ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف كان، كان ولا مكان [١] كون المكان [٢] ودبر الزمان لا يتغير بالزمان ولا يتخصص بالمكان ولا يشغله شأن عن شأن [٣] ولا يلحقه وهم ولا يكفيه عقل ولا يتخيل في الذهن [٤] ولا يتمثل في النفس ولا يتصور في الوم ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، جل عن النظر والتشبيه (٥) وليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

عبد الله كنونه

(١) سقطت (كان) هذه من نسخة الطبقات وسقطت الجملة كلها من نسخة النباهي .
(٢) في نسخة الطبقات والنباهي كون الأكوان .

(٣) ثبتت هذه الجملة في نسخة الطبقات فقط .
(٤) في الطبقات، وأعر ما يطلب: لا يتخصص . وفي النباهي: لا ينحصر . وفي الحلال: لا يتحصل . وأخرنا ما في نسخة السرح لدقتها .

(٥) انفردت النباهية بهذه الجملة وهي في نظرنا مناسبة هنا .

جميع الخلائق مقهرون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه (١) ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك، حتى يقوم لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا، يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، فعال لما يريد قادر على ما يشاء له الملك والفنى (٢) وله العزة والبقاء وله الحكم والبقاء وله الأسماء الحسن (٣) لا دافع لما قضى ولا مانع لما أعطى يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء [٤]

(١) تختلف هنا نسخة أعر ما يطلب فتقول: ليس له قبل ولا بعد إلى قوله ولا كل ولا بعض . ثم تقول : لا يتخصص في الذهن إلى قوله وهو السميع البصير . ثم تعود إلى ما هنا من قوله ليس معه مدبر . وقد اعتمدنا ما في بقية النسخ .

(٢) في كل النسخ والقناء بالمد وهو تصحيف .
(٣) في نسخة السرح : وله الخلد والأسماء الحسن، وشرح عليها . ولكنها زيادة لا توجد في بقية النسخ .

(٤) سقط من نسخة أعر ما يطلب قوله: يفعل ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء وهو ثابت في بقية النسخ .

الإسلام والكرامة الإنسانية

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

إليه على أنه موضوع للأخلاق العملية ، لأنه من هذه الوجهة لا يمكن أن يعتبر وسيلة لآية غاية من غايات الآخرين ؛ بل لآية غاية من غاياته هو . ولكن يجب أن ينظر إليه على أنه غاية في ذاته ، أي على أنه يحتمل على كرامة محترمة ، وقيمة مطلقة نابعة من ذاته نفسها . وعن طريق هاتين الصفتين الرفيعتين ، يلزم كل الكائنات العاقلة باحترام شخصيته ، وهما اللتان تسمحان له بأن يقيس نفسه بكل واحد منهم ، وبأن يعتبر نفسه معهم على قدم المساواة . (نظرية الفضيلة) .

وأيا ما كان ، فإن هذه المشاعر - ولو أنها شخصية محضة - كانت لها نتائج اجتماعية خطيرة الأثر ، لا سيما عندما تنخلص من غواشي العوامل الأخرى ، وأصبحت واضحة لانتسابها أية شائبة أجنبية ، إذ جعلت تتعطف شيئا فشيئا نحو الحرية ونحو العدالة التي تحمق احترام حقوق الجميع على صورة يطبعها القو ، ويميزها الاطراد . وما زالت تسير على هذا النحو حتى نشأ منها النظام الديمقراطي الحديث الذي يبدو أنه هو النظام الوحيد الذي يتفق مع مطالب الكرامة البشرية .

بما لا ريب فيه أنه بقدر ما تتوالى الروايات التقدمية في المدنية ، وقدر ما تشرع المرء بالواجبات التي تفرض عليه وتلح على عاتقه ، كالواجبات الأسرية والاجتماعية والسياسية بأنواعها ، لا يستطيع أن يتخلى عن أن يدرك في الوقت ذاته فكرة رفيعة عن نفسه ودوره في الحياة ، وعن قيمته كفرد منحه السماء لعملة العقل والتفكير بنض النظر عن منزلته الاجتماعية وثروته ومولده .

وبما لا ريب فيه أيضا أن هذا الشعور هو الذي يدفعنا إلى إعلان استحقاقنا للاحترام أمام أنفسنا قبل كل شيء ، ثم إلى المطالبة بالظفر به لدى الآخرين ، ولكن لا بدافع الأنانية ، بل بدافع احترام الإنسانية المثالية في أشخاصنا .

هذه المشاعر العالية كلها كانت مجهولة في القرب إلى عهد قريب ، ولم تنتعش وتقو إلا منذ القرن الثامن عشر الذي أطلق عليه في أوروبا اسم « عصر الأنوار » ويحصل وكانت ، هذه الأحاسيس بتعمقه المؤلف فيقول :

« إن الإنسان هو فوق كل تقدير حين ينظر

عن القرآن في كثير من آياته عناية فائقة بأن يوقظ البشرية ، وأن يفرس في نفوس أفرادها ملا استثناء شعورا واحدا شاملا ، مؤداه أن العزة والكرامة متأصلان في عنصرهم الأساسي وإذا سويته ونفخت فيه من روحي فتعوا له ساجدين ، (آية ٢٩ من سورة الحجر) . ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للبلائكة اعبدوا آدم ، (آية ١١ من سورة الأعراف) . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فحسب الملائكة كلهم أجمعون . (آيتا ٧٢ و٧٣ من سورة ص) . ولقد كرّمنا بني آدم وحطّمنا في البر والبحر وذلّقناهم من الطيّبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، (آية ٧٠ من سورة الإسراء) .

ولم يقتصر الباري جل وعلا - بإزاء هذا الإنسان - على تكريمه وتفضيله للذين أشرنا إليهما آتفا ، بل تفضل عليه بخلق في أحسن صورة ، وسواه أحسن تسوية وكذلك تكرم عليه بأن يخضع له كثيرا من خلقه إخضاعا واقبيا وأن يسخره له تسخيرها حليا ، وأن يجعل بعض عبيداته الباهرة وسائقا لغاياته وأهدافه ، بل لسعادته وهنائه . وأن ينهه إلى ذلك كله ليشره بقيمته ، ويحطّره بمكانته . هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت

ومن ميزات هذا العصر الراهن أن المتأدّة بالديمقراطية تكاد تهم الآذان ، وأن الجميع لا يكفون عن التحكك بها . ولكن هذا من جانب الأكتية الساحقة من الغربيين نظري لحسب ، بل هو رباء وفاق ، لأننا نشاهد أن الاستعمار والفسط في كل ساعة من ساعات النهار والليل يدوسان بأقدامهما الحديدية تلك الديمقراطية المسكينه لارحمتولا إشفاقا ، بل دون أدنى علامة من علائم الإنسانية .

وما يسترعى الانتباه في هذا الصدد ، أن أعنف المقاومين الآن لهذه الإهانات الماثلة في الاستعمار هم المسلمون الذين عندما استيقظوا من سباتهم الذي ألى بهم فيه استعمار قديم ، ونفضوا عن أنفسهم غبار السنين ، لم يجدوا أقل عسر في استكشاف الكرامة الإنسانية عزوجة بكل مبادئ دينهم وتعاليمه . ومن ثم فإن المسلمين لم يكونوا في حاجة إلى التنقيب عن هذه الكرامة وتلك العزة في أصول دينهم ، بل لم يكونوا في حاجة إلى كثرة التأمل فيه لاستخلاصها منه ، إذ أن الوعي الإسلامي قد ومنهما للجميع دمه واحدة ، وفي نور وضاء متلئ . ووقع العزة لرسوله للنؤمنين . (آية ٨ من سورة : المنافقون) .

ولذلك أجمع المسلمون وغير المسلمين من الذين درسوا الإسلام ، على تقرير أنه دين الكرامة والعزة بأكمل هذين المعنيين . ولقد

ودفعهم إلى التنقيب عن أسبابها ، فألفوا - بعد الدراسة الدقيقة - أن في مقدمة هذه الأسباب ذلك الشعور بالكرامة الذي يفرسه الإسلام في نفوس معتقيه ، والذي يمثل في حياتهم الفردية والاجتماعية أهم الأدوار وأجدرها بالعناية والاعتبار . ولم يفت أولئك المؤلفين من الرحالة أن يسجلوا في كتبهم أن هؤلاء المهتدين الجدد إلى الإسلام يدركون ويفقدون صعودهم المتواصل على درجات السلم الاجتماعي ، فمن ذلك تلك المحاضرة الشائقة التي ألقاها الأستاذ الفرنسي « شيليه » في دكار عام ١٩٥٩ والتي يقول فيها ما يلي : « إن الإسلام يمثل - بالنسبة إلى الفرد الذي يتخلص من تأثير القبيلة - تماصكا رفيعا ومستوى من الحياة عاليا ، وثقافة سامية وجوازا مشروعا للرحيل إلى أي مكان ، وللتغفل في أجناس أخر » .

وكذلك الأستاذ « روندو » مدير الدراسات العليا في أفريقيا وآسيا الحديثين يسجل في كتابه « الإسلام وصلو اليوم » ما نصه :

« إن تقبل الأمة الإسلامية للمبتدئ الجديد تلم ، فهي تسمح للشعور برقيه الاجتماعي ، وفوق ذلك ، فإن العامل أو التابع لأي رئيس مسلم ، يتحرر في رحيته من انخفاضه

لكم به الزرع والزيوت والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك آية لقوم يتفكرون » . (آيتا ١٠ و ١١ من سورة النحل) . « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » . (آية ٢٠ من سورة لقن)

وعندما أحس المؤمنون الذين اعتدوا إلى الإسلام بهذه الكرامة التي نبأهم بها القرآن والأحاديث القدسية والنبوية ، كان لها على نفوسهم وقع عظيم الأثر . ومن يريد التحقق من هذا التقدير لدى المسلمين ، وأثره في نفوسهم ، فلينظر مثلا إلى على إفريقيا المركزية ، وليقرأ كتب الرحالة الأوروبيين في أوصافهم لساكن هذه الأصقاع ، فهم يحدثننا عن مقدار ما أحدثه هذا الأثر ، ولا يزال يحدثه من تدفق هذا القسم من البشر على الإسلام جماعات وأقواجا بسبب ما وجدوه في مبادئه من العزة والكرامة والعدالة والمساواة . ولقد وصف جريدة « الموند » الفرنسية هذا التدفق فشرت في ١٦ يناير من سنة ١٩٥٧ ، أن عدد المسلمين في إفريقيا ، قد زاد فيها بين سنتي ١٩٣١ و ١٩٥١ من أربعين مليونا إلى ثمانين مليونا ، وأن الأرقام تزايدت في كل يوم » .

ولقد ثقت هذه الزيادة المطردة أنظار الباحثين الغربيين الذين لا يكفون عن الملاحظة،

أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، (آيات ٤٥ و ٦ من سورة التين) ، ولهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ، (آية ١٧٩ من سورة الأعراف) .

ونحن إذا نظرنا في الأخلاق الحديثة نظرة فاحصة ، ألفينا أنها تشارك القرآن في وجهة نظره هذه ، دون أن تعرف ذلك ، إذ أن كل الذين يستنون إلى الكرامة البشرية كالصوص والفجار والكافرين والجشعين والقساء الذين يمدون على إخوانهم في الإنسانية فيصيبونهم في حياتهم . أو في حرمتهم أو في ثروتهم ، هي تحكم عليهم بالسقوط المعنوي ، وتدينهم بالانفصال عن كل ما يربطه الحالة البشرية ، بالنبل والرحمة .

وما يزيد هذه الفكرة إيضاحاً أننا إذا أردنا أن نتحدث اليوم مع أحد المعاصرين باللغة التي تتفق مع زماننا هذا ، فإنه يجب علينا أن نتحدث معه عن الظفر بالكرامة الإنسانية عن طريق الكفاح ضد الظلمين والاستعمار لنيل الحريتين : الداخلية والخارجية ، وعن طريق العمل المشرف الذي يمدد للإنسان عزتهم التي أسامت إليها البطالة الناشئة عن الاعتماد على الغير ، والتي

البدائي بمجرد اعتناقه الإسلام الذي يعلم المساواة الأساسية بين جميع المؤمنين دون أي امتياز جنسي ، وأن حياته المعنوية تنير ترمها عند ما يدخل في الأمة ، . ومنذ تلك اللحظة يتفطم عن أن يكون وحيداً منعزلاً ، (ص ٤٦ من الجزء الثاني) .

وهكذا يكشف الإسلام للبهدي الجديد كرامته كثر من مهما كانت حالته الاجتماعية متواضعة . ولكن هذا الصعود بالكرامة الإنسانية ، يجعل التعارض مع السقوط وفقدان الكرامة هائلاً حين يترك الصراط المستقيم الذي وضعه الله عليه بكثير من التشريف ، وإذن فعليه وحده أن يحتفظ بتلك المنزلة بواسطة تطبيق الفضيلة وملاحظة القانون الأخلاقي القرآني ، بل القانون الأخلاقي لحسب ، لأن جهود الفكر البشري المبذولة في التنقيب عن الخلقية الفطرية المودعة في الإنسان عن طريق الدين الفطري قد انتهت بالشور على القاعدة الجوهرية للقانون الإلهي كما نستطيع أن ندركه حين نوازن بينه وبين الوحي الإسلامي ، ففي الواقع أننا نشاهد في النصوص الإسلامية آيات وأحاديث حازمة حاسمة ، عند كل من ينحرف عن الطريق السوي ويهوى بسبب عمل الشر . عن منزلته كإنسان ، وهكذا يحمده خليقاً بوصف القرآن : « لقد خلقنا الإنسان في

في هذا الصدد ، وأن تقيس الطريق الذي يجب قطعه قبل الوصول إلى الهدف الأسمى الذي يحقق للأمة الإسلامية كلها تلك العزة المثالية التي نادى بها القرآن في وضوح وجلالة مرات عدة ، وعلى صورة متنوعة .

ونحن إذا رجعنا بأفكارنا إلى حقبة السيادة الأجنبية والطفيلان الداخلي ، وهي حقبة ليست بعيدة عنا كثيرا ، وإن كانت تبدو لنا الآن - لبعثها وسماحتها - منغصة في أعماق عهد قد باد وانقرض ، وأصبح في خبر كان غير مأسوف عليه أبنة . إذا استعدنا إلى أذهانتنا هذه الذكرى ، أحسنا برعدة تلك علينا كياننا كله من هول الحكم الذي كان يصدره الناس علينا من أننا إيمانام لا ندري بما يمر ، بنا وإما أننا مفقودو العزة لا نحس بما يجرح كرامتنا ، ويدين إنسانيتنا .

ولقد سألني رئيس تحرير مجلة « الجيل » مرة بمناسبة أحد أعياد الثورة قائلا :
ما أعظم مكاسب الثورة في رأيك ؟
فأجبت بما يلي :

إن مكاسبنا في رأيي تركز على الأخص في الكرامة والعزة اللتين حصلنا عليهما ، وهما تنقسمان كل المكاسب المادية ، ولولم يكن للثورة إلا أننا أصبحنا مطالبين لاطالين ، ومقصودين لا قاصدين ، وأصبحنا يؤخذ عنا ولا تأخذ عن أحد . لو لم يكن

صار موضوع الفخر والمباهاة لدى « العاطلين بالوراثة » . ولكن ينبغي أن نعلم أنه لا كرامة للبر الذي يعمل دون أن يعرف لماذا يعمل أو بمبارة أوضح : لا كرامة لمن يعمل بلا غاية ولا هدف ، فيكون مثله كمثل الأنعام أو هو أضل سبيلا . وإنما يجب أن يتخذ العمل معنى عاما ، ودلالة محددة أو بالحرى يجب أن يصير العمل لوجه الوطن العزيز المحبوب الذي يتحقق فيه مقر اشتراكية معتدلة كتلك الاشتراكية التي حققناها الآن في مصر بعد أن انتزعنا عناصرها كلها من قانوننا الأخلاقي الإسلامي الذي يدين في قوة عنيفة جميع الذين يصيبون الإنسان في حرته وكرامته أو يعتدون على أي شيء يخصه : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، (آية ١٩٠ من سورة البقرة) .

بيد أننا - مع الأسف الشديد - نشاهد أن إخواننا من الأمة الإسلامية ، لم ينتهوا بعد من التخطع من تلك السيادة البغيضة التي تعمل في نشاط على تحليل أخلاقهم ، وتفكيك روابطهم ، وتحطيم وحدتهم ، وتشتيتهم تحت سيطرتها الاستغلالية المفسدة . ولأرب أننا نحن الذين قد نخافنا من هذه الرواسب المخيطة - بوساطة ثورتنا الراهنة - والله الحمد أولا وأخيرا ، نستطيع وحدها قبل الجميع أن نقدر وزن الكفاح الذي ينبغي القيام به

« يوجد من بين هؤلاء الشبان المسلمين والاقباط الذين يتخرجون في المدارس ، كثير من العقليات الممتازة ذوات الذكاء الرفيع ، وكنت أود أن أهتم بهم قائلاً : اعملوا على تحقيق رد الفعل قبل أن تفوت الفرصة ، ودافعوا عن أنفسكم ضد الغزو المفتت المذيب ، واحترقوا هذه « البضائع » الثرية الرديئة التي يفرقونكم فيها بعد ما تبور وينصرف الناس عنها عندنا (١) . وحاولوا أن تحتفظوا بتقاليدكم ولتتكم الثرية الجديرة بكل إعجاب ، لأن الأمر يتعلق بكرامتكم القومية ... إنكم شريكون (ولأني أظن باحترام هذه الكلمة التي تتضمن ماضياً ذا حضارة فضحت قبل الأوان وعظمة نقية) بيننا أنكم — بعد بضعة أعوام — إذا لم تأخذوا حذرکم ، سيحلون منكم سمارة أفاكين لا تنشغلون إلا بتقييم أثمان الأرض ، وارتفاع أسعار القطن ...

(١) كان بيبرلوتي — بهذه العبارات الخالصة — كأنه يقرأ من وراء حجب النيب ما سيحدث في النصف الثاني من القرن العشرين بإزاء الوجسودية الساترية الملحدة التي أصبح السطحيون المتحللون من المصريين يتعلقون بها بعد أن ماتت ودغنت في مهبها ، وأصبحت خلفة بالية مهلهلة على أقل تقدير .

لثورة غير هذا لكني ، لأنني لازلت أذكر كيف كان وزراءنا يحجون إلى لندن في كل عام ليستجدوا من إنجلترا مقاعد الوزارة ، أو ليستمدوها على الملك للظالم إلى حد أن مستر (لندن) سئل مرة في مجلس العموم : لماذا تحتقرون الوزراء المصريين ؟ فأجاب بقوله :

« ماذا نصنع لو زير خفيّر ذليل إذا رأى إنجليزياً خفض رأسه حتى كاد طربوشه يمس الأرض ؟ فهل نحن إله نمنحه الكرامة ؟ » . وما نحن أولاء — بعد تلك العهود المظلمة — نسترد كرامتنا كاملة ، وهي الشيء الوحيد الذي يميز الإنسان على كل ما عداه من الكائنات الأخرى .

ومن تداعي المعاني في هذا الشأن أن مطالعنا في المؤلفات الأوربية ، تعيد إلى ذكرائنا من حين إلى آخر ما كنا نقرأ في العهود البائدة في حزن مرهق وأسى مرير وتمنّعنا إلى أن نستعيد الآن — بعد التخلف من تلك المآسى المقيتة — في مروح وسرور ما كان يكتبه عنا بعض الذين يحبوننا من أصدقائنا الإسلام الغربيين كالكتاب الروائي الفرنسي (بيبرلوتي) حين كان يتأمل في حالة مصر الخاضعة للسيادة الاستعمارية في أوائل هذا القرن إذ يقول في كتابه : « موت فيليب » ما يلي :

تحققت، إذ قد وضعت السماء مصر - بواسطة هذه الثورة المباركة - على رأس البلاد الإسلامية والعربية . وليست هذه المكافاة بالنسبة إلينا مصدر غرر ومباهاة لاستفيد منها المجد والتشريف ، وإنما هي مسئولية عظيمة وواجب ثقیل يستدعى التنبيه الدائم، والعمل المستمر ، والشعور بمجدية الموقف لا على مر الشهور والسنين، بل على مر الأيام والساعات . ولا ريب أن هذا الشعور بالمسئولية، لا يخلو من لذة رفيعة تستوجب بدایا شكر البارئ على لعمرة هذا الامتياز، ثم تقدير ذلك الزعيم العظيم الذى منته به السماء على أرض الكنانة والأمراء ، فأفقدنا بعون الله وتوفيقه من محالب الاستعمار وعملائه وممارسته ، والذى يقود هذا الوطن العزيز فى طريق التحرر الأعزاء وعلى صراط المؤمنين الذين يتخذون الحق نهجاً لهم والخير غاية لهم .

الكنوز المحرمة

ثم يتحدث عن فلاح مصر فيقول :
« مسكين ذلك الجنس المتين الذى لا يتعب . إنه كان فيما مضى يمتلك نور العالم ، وما هوذا قد هوى فى نوح من النوم المتهاك الذى يمر مهمة الفسرة فى الماضى والمستقبلين فى الحاضر . . . لقد حان الوقت لإيقاظ ذلك للنائم منذ عشرين قرناً ، لنرى ما لا يزال قادراً على إعطائه اليوم ، وأية مفاجأة لا يزال يحتفظ لنا بها بعد هذا النوم .
ومهما يكن من شئ - إذا حدث ذلك الاستيقاظ - فإن هذا النوع البشرى الذى هو الآن فى طريقه إلى الانحدار بسبب الإرهاق ، سيجد لدى هؤلاء المغنيين على الشادوف والحارثين بذلك المحراث المحرق فى القدم ووسائل تكدمسها القهول ، ورصيداً عظيماً من الجمال والاعتزان البدنى ، وطاقت قوية بلاهيمية .
ولقد كانت هذه العبارات الصادرة من قلب نظيف صديق ، كأنها نبوءة لم تلبث أن

« ولقد كرماً بنى آدم وحلثاهم فى البر والبحر ووزعناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً . »

(الآية ٧٠ من سورة الإسراء)

منهج الرازي في تفسيره للأستاذ علي العمري

وهكذا يأخذ في تأييد رأيه .

وكل هذا يدلنا على الروح التي صدر عنها الرازي في تفسيره ، فقد أكثر من الاستطراد وتصريف الأقوال ، والإبصار في الجدل والنقاش .

ومن هنا قال أبو حيان صاحب كتاب (المحيط) في التفسير ، عن كتاب (مفاتيح الغيب) للرازي . قال : (فيه كل شيء) إلا التفسير .

غير أني رأيت القنبر يفرق بين الاستطراد فيما يتصل بمعنى الآية ، أو ألفاظها ، وبين الاستطراد إلى الأخبار التي تعلق بالصاقا بتفسير الآيات ، ولا سند لها من مدلول الآية ، أو من الروايات الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن صحابته الأكرمين .
ونضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ — (قلنا اضربوه ببعضها) : اختلفوا في ذلك البعض الذي ضربوا به القتييل : ما هو ؟ .

وبعد أن ساق خلافهم في أنه اللسان أو لفخذ النبي أو الذنب قال : ولا شك

أول ما يواجه القاري في تفسير القنبر المبالغة فيها يمكن أن يستخرج من القرآن ، بل من آية واحدة ، بل من حرف واحد منه . ما يمكن أن يستخرج من ذلك من آلاف المسائل .

فقد ابتدأ بقوله : (اعلم أنه مر على لسان في بعض الأوقات أن هذه السورة - يريد سورة الفاتحة - الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة ، فاستبعد هذا بعض الحساد ، وقوم من أهل الجبل والفي والعداد) .

ثم أخذ يضرب الأمثلة ، وينتهي إلى قوله : (قلبت بهذا الطريق أن قولنا : وأعوذ بالله . مشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أزيد) .

ويقول : (الباء في : بسم الله . باء الإلصاق ، وهي متعلقة بفعل ، والتقدير باسم الله أشرع في أداء الطاعات ، وهذا المعنى لا يصير ملخصا معلوما إلا بعد الوقوف على أقسام الطاعات ، وهي العبادات الحقة ، والأعمال الصافية ، مع الدلائل والبيانات ، ومع الاجوبة عن التبهات وهذا المجموع ربما زاد على عشرة آلاف مسألة) .

ببطلان ذلك فائدة تقع في دين ، ولا في الجبل به دخول حرق فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه .
وكذلك فعل الفخر الرازي :

٢ - فني ذلك الموضع من تفسير سورة (يوسف) يذكر روايات عن طريقة بيع يوسف وعن عدد الدراهم المذكورة في الآية ، وعن اسم من اشتراه ، وعن اسم امرأة العزيز ، ثم يقول : (واعلم أشيئاً من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن ، ولم يثبت أيضاً في خبر صحيح ، وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شيء من هذه الروايات ، فالأدلة بالعقل أن يحترز من ذكرها) .

٣ - وفي تفسير قوله تعالى : « وجعلت له مالا ممدوداً » من سورة (المدثر) يقول : (ومن المفسرين من قدر المال الممدود . فقال بعضهم : ألف دينار ، وقال آخرون : أربعة آلاف ، وقال آخرون : ألف ألف) ثم قال : (وهذه التحكيمات بما لا ينيل إليها الطبع السليم) .

فهو يزيد من مناصرة هذه الأحبار للطبع السليم ، بعد أن يتبين أنها وردت في كتاب أو في سنة ، وأن يؤكد أن الآية لم تشر إليها من قريب ، ولا من بعيد .

٤ - وفي تفسير قوله تعالى : « ويصنع لكلك بأعيننا » من سورة (هود) يذكر اختلافهم في صفة السيفية ومساحتها ، فنقل :

أن القرآن لا يدل عليه ، فإن ورد خبر صحيح قل ، وإلا وجب السكوت عنه .

وله في ذلك سلف هو المفسر الكبير محمد ابن جرير الطبري ؛ فقد أشار إلى ما قاله الرازي في ذلك الموضع نفسه فقال - أعني الطبري - معقباً على اختلافهم في (البعض) " الذي ضرب به القتيل : (ولا يضر الجبل بأي ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به . مع الإقرار بأن القوم ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها ، فأحيى الله ، وعرف القاتل) .

ويتعرض الطبري لتحديد بعض المفسرين (الثمن) الذي يبيع به سيدنا (يوسف) عند تفسير قوله تعالى : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » ، ثم يقول : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وضع عليه دلالة من كتاب ، ولا خبر من الرسول ، وقد يحتمل أنه كان عشرين ، ويحتمل ذلك أن يكون كان اثنين وعشرين أو أن يكون كان أربعين ، وأقل من ذلك ، وأكثر ، وأي ذلك كان فإنها معدودة غير موزونة ، وليس في العلم

(١) يمنع جمهور فقهاء اللغة استعمال (أل) على كلمة (بعض) ، وقد أجازها بعضهم ، ويحیی استعمال (اليعض) و (الكل) في عبارات المؤلفين كثيراً .

لكنه قدح ذناب فكره فاستخرجها أو رأها في كتاب سبقه، فرضى عنها، وتعلها في كتابه من ذلك - مثلاً - تعليه لجعل عدة أصحاب النار (تسعة عشر) فهو يقول في تفسير سورة (المدثر) : (ذكر أبواب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها .

(أحدهما) : وهو الوجه الذي تقوله أبواب الحكمة : أن سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعلمية هو القوى الحيوانية والطبيعية .

أما القوى الحيوانية فهي الخمسة الظاهرة والخسة الباطنة ، والشهوة والغضب ، وبمجموعها اثنتا عشرة .

وأما القوى الطبيعية فهي : الجاذبية ، والماسكة ، والمضخة ، والدافعة ، والفاذية ، والتامية ، والمولدة ، وهذه سبعة ، فالمجموع تسعة عشر .

فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر (١) لا جرم كان عدد الزبانية هكذا . (وثانيها) : أن أبواب جهنم سبعة ، فسته منها للكفار ، وواحد للفساق ، ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة : ترك الاعتقاد ، وترك الإقرار ، وترك العمل ، فيكون لكل باب من تلك الأبواب ستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر .

(١) تعريف الجزء الأول من العدد المركب إذا أريد تعريضه هو مذهب البصريين ، أما الكوفيون فيعرفون الجزأين .

كان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها حسون ، وطولها في السماء (ارتفاعها) كان ثلاثين ذراعاً ، وأنها كانت من خشب الساج ، ومن قائل : كان طولها ألقاً وماتق ذراع وعرضها ست مائة () ، ثم يقول : (واعلم أن أمثال هذه المباحث لا تجبني ؛ لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها ألبتة . ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً ، وكان الخوض فيها من باب الفضول ، لا سيما مع القطع بأنه ليس منها ما يدل على الجانب الصحيح .

والذي فعله أنه كان في السعة بحيث يتسع للؤمنين من قومه ، ولما يحتاجون إليه ، ولحصول زوجين من كل حيوان ، لأن هذا القدر مذكور في القرآن ، فأما غير ذلك القدر فغير مذكور) .

وبهذا الصنيع الراعي الخزن تجنب الفخر كثيراً من الفضول ، ورسم لمن جاءوا بعده طريقاً قويمًا ينفى اتباعه في التفسير ، وإن كان بعض المفسرين - بعده - ضرب عن كلام الرازي ، وعن كلام ابن جرير صفحا ، وملا تفسيره بما لا ينفع العلم به ، ولا يصور الجهل به ضاراً .

والقصر وإن كان بذلك نزه كتابه عن ترهات وأباطيل لا سند لها ، ولا يستفيد طبع سليم ، دفعه عقله الفلسفي إلى أن يضيف إلى التفسير ألواناً من القرائن كان يحسن به أن يضرب - أيضاً - عن ذكرها صفحا ،

والطهارة ، ولكل واحد من تلك المراتب الثلاثة نوع خاص من الظلمة) .

أليس يقال في هذه التعليلات ما قاله هو فيمن اختلفوا في (بعض البقرة) أوفى (طعام المائدة) أوفى (عدد الدراهم) التي يبيع بها يوسف عليه السلام .

أليست عارية مما يؤيدها من الكتاب الكريم ، أو من الخبر الصحيح ، أو من الطبع السليم ؟

على أن في آية : (المذمر) أمراً كان على الفخر ، وعلى كل من وافقه ، أو كان سلفاً له في هذا أن يراعيه ، وهو أن الآية نفسها هزحت بأن ذلك الممدد مما لا ينبغي أن يبحث له عن علة في قوله تعالى : (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) .

فالآية واضحة وصریحة في أن هذا العدد لا تعليل له ؛ والفخر نفسه ذكر أن أحد سببي الفتنة في هذا العدد أن الكفار يستهزئون ويقولون : لم يكن ، لم لم يكونوا عشرين ؟ وما مقتضى لتخصيص هذا العدد بالوجود ؟

على الصمداني

وأما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ، ولا بسبب ترك القول بل ليس إلا بسبب ترك العمل ، فلا يكون على بابهم إلا زبانية واحدة ، فالمجموع تسعة عشر .

و (ثالثاً) : أن الساعات أربعة (١) وعشرون . خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس ، فبقي منها تسعة عشر غير مشغولة بغير العبادة ، فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر .

ومن ذلك - أيضاً - تعليله لجعل الشعب ثلاثاً في قوله تعالى : (إلى ظل ذي ثلاث شعب) من سورة : (المرسلات) .

فقد قال : (وثالثها . قال قتادة : بل المراد الدخان ، وهو من قوله : (أحاط بهم مرادها : مرادق النار هو الدخان ، ثم إن شعبة من ذلك الدخان على يمينه ، وشعبة أخرى على يساره ، وشعبة ثالثة من فوقه) .

(وأقول : هذا غير مستبعد ، لأن الغضب عن يمينه . والشهوة عن شماله ، والقسوة الشيطانية في دماغه ، ومنيع جميع الآلات الصادرة عن الإنسان في عقائده وفي أعماله ليس إلا هذه الثلاثة ، فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة ثلاثة أنواع من الظلمات) .

(ويمكن أيضاً أن يقال : هنا درجت ثلاثة : وهي الحس ، والخيال ، والوهم وهي مائة للروح عن الاستنارة بأنوار عالم القدس

(١) هكذا النص بتأنيك أربعة . . الخ

إنسانية الحب في أدب الميجر للأستاذ حسن جواد

وفي السماء ، عشقا نابعا من إيمانهم بوحده ،
وإدراكهم لقيمة كل شيء فيه ، وإحساسهم
بجماله ، وتقديرهم لرسالته .

أحبوا الطبيعة نباتا وطيورا وحيوانا ، حتى
(الدودة الصغيرة) التي يرى ميخائيل لقيمة
أنها ليست أقل شأنا من العقبان والفسور ،
وليس بالنديمة في عين الحياة التي لا تعرف
الفروق بين التبر والتراب ، ولا تحرق عوامة
لتغرس مكانها زهرة ، لجوهر الحياة واحد ،
وبذرتها متساوية .

وأحبوا الإنسانية كلها : رجلا وامرأة ،
محبا ومبغضا ، قويا وضعيفا ، خيرا وشريرا ؛
حبا مطلقا لا يعرف الحدود والقوارق ،
متسامحا يتسامى على المصيبات والمداهب .
يقول جبران : « إن المحبة المحدودة تطلب
امتلاك القلوب . أما المحبة المتناهية فلا تطلب
غير ذاتها » .

ويقول : « أحبك يا أخي ساجدا في
جامعك ، وراكما في هيكلك ، ومصليا
في كنيستك ، فأنت رفيتي على طريق الحياة
المسترة وراء النجوم » .

الحب في أسنى صوره ، وأوسع معانيه ،
وأقدس عواطفه ، عنصر هام من عناصر
الحياة عند المهاجرين ، وسمة بارزة من سمات
أدبهم . فقد ارتفعوا به إلى سماء الحب
الإنساني الصوفي « الذي يفيض السلام على
الكون ، ويضرب السعادة في النفوس ، ويخلع
الجمال على الحياة ، ويفتح مغالتي الحقائق »
وينير الطريق إلى الله .

إنه الحب الرحب الشامل الذي لا يقف
عند حب الرجل للمرأة ، ولا يقتصر على
التحاب بين الأفراد ؛ بل يرفرف بأجنحته
الملائكية على البشرية كلها ، وينمى بأضواءه
القدسية الوجود كله .

لقد اعتنقوا الإيمان بوحدة الحياة
والطبيعة والوجود ، فرأوا أن (أصغر
ما في الحياة يتم أكبر ما فيها ، وأن أكبر
ما فيها ينضم أصغر ما فيها ، وبلغوا إلى قلبها ،
فوجدوا الجمال في كل شيء حتى في العيون
المتعامية عن الجمال) .

لذلك أحبوا كل ما فيها ، لأنه بهم ولهم ؛
وعشقوا الوجود ومظاهره في الأرض

إن نفسا لم يشرق الحب فيها
هي نفس لم تدرك ما معناها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي ، وبالحب
قد عرفت الله بل هو نور خالد متجدد :

فالحب نور خالد متجدد
لا ينطوى إلا ليسطع نور
والحبة عنده توقف الثمر ، وتضيء
الكون ، وتنبت الزهر ، وتجعل الكوخ
الحقير كونا منيرا ، والدراب الخادع ماء ، ميرا :
أيقظ شعورك بالحبة إن غفا
لولا شعور الناس كانوا كالدي

أحب فيغنى الكوخ كونا ميرا
وابعض فيمسي القصر بهما مظلا
كره الدجى فاسود إلا شبه
بيت لتضحك منه كيف مجها

لو تمسك اليداء أصبح رملا
زهرا ، وصار سراها الخداع ما
لا تطلبن حبة من جمل

المرة ليس يحب حتى يفهما
فالحبة عنوان العقل ، ومرآة الفهم والمعرفة ،
والجاهل التي لا يحب لأنه لا يفهم ، والحب
عندم يستوى فيه العدو والصديق ،
بل لا يكون حبا حقيقيا إلا إذا وسع المحبين
والمبغضين على سواء ، ولو لم يشمر من
المحبوبين إلا البغض ، كما يقول نعيمه :

قدمت حبي لمبغضيا
لقاء ما قدجنوا عليا

ويقول نعيمه : « ألا وسعوا أبواب
أرواحكم كيلا يظل أحد عارجا - لا تبغضوا
أحدا من الناس ، وإذا لسجتم كساء لإنسان
لخذا أن تنسجوا فيه خيطا واحدا من بغضاتكم -
إنما الأرض كلها تحيا فيكم . وإنما السموات
وكل أجنادها حية فيكم ، فأحبوا الأرض
وكل الراضين من ثديا إن أتم شئتم أن
تحبوا أنفسكم ، وأحبوا السموات وكل
أجنادها إن أتم شئتم أن تكون لكم حياة -
لا تبغضوا الشرير ، وابغضوا الشر - إن
شئتم الخلاص من الألم فليكن أن تحبوا
ذواتكم ، غير أنفسكم إن أحببتم كل ما في
الكون إلا دودة واحدة فإنكم ما برحتم
تكرهون ذواتكم بقدر كرهكم لتلك الدودة ،
وسيقى لكم في كرهكم ينبوع ألم » .

يقول أمين الرحاقي : « إن في تلك الذرا
زهرة من أزهار الحب الدائم العميم ، وفي
الحب الدائم العميم تتلاشى العصبية كلها » .
ويقول ولیم كانسفليس : « ما عمر
الأكون إلا المحبة . والقلب إن لم يسع
الدنيا فهو وعاء صغير ، وإن لم يفهم أنغام
الكائنات فهو أوتار ميتة لا تحركها أغاني
الأرواح المتأخية ؛ فليحدث كل جرح
في قلوبكم جرحا » .

ويرى إيليا أبو ماضي أن الحب نور
يكشف حقيقة النفس . ويهدي الإنسان
إلى الله :

فكان حلى من مبنضيا

يقول رشيد أيوب :

أن عاد حلى بنضا إليها

وإذا عني رأت أعمى فقير

وفي هذا المعنى يقول أبو ماضي :

في طريق باسطا إحدى يديه

أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا

دق قلبي دقة العطف الكثير

أى الجزاء الفيت يبنى إن همى ؟

لضرب حناقت الدنيا لديه

من ذا يكافئ زهرة قواحة ؟

ثم نادى الله كالطفل الصغير

أو من يثيب اللبل المترما ؟

ضع إلهي نظراً في مقلتيه

يا صاح خذ علم الحجة عنها

إن قلباً ملؤه الحب الصحيح

إني وجدت الحب علماً قيميا

دق حتى رق من فرط الشعور

لو لم تفتح هذى، وهذا ما شدا

هو حى ولئن زار الضريح

عاشت مذمة، وعاش مذمما

دق يا قلبي إلى يوم النشور

إنه الحب الإنسانى الكبير في رحابته

• إن من يحب يعطف ويرحم من أحماق

وسموة ، يسع الكون كله ، ويضر البشرية

قلبه ، ويندفع ليضمد جراح الإنسانية ؛

جميعها ، ويرتفع عن الأغراض ، كما يصوره

ومن يحب يبذل بسخاء ، ولو كان البذل من

جبران في (المواقب) :

روحه . من يحب يصبح أكثر من إنسان .

والحب في الناس أشكال ، وأكثرها

بذلك حنف المسيح ، وهكذا حنف الشاعر

كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمر

القروى :

والحب إن قادت الأجسام موكبه

هو الحب حتى ليس في الأرض مجرم

إلى فراش من الأغراض ينتحر

ولا مدمع يجرى عليها ولا دم

هو الحب الذى يشمل المحسن والمسيء ،

فقل للذى لا يعرف الحب قلبه

والصديق والعدو ؛ وينشر جناحه الرحيم

ولم يلف إلا شاكيا يتألم

على البائسين والمحرومين . فكما يقول نسيه :

أيا صاحبي إن السعداء جهم

• إن رأيتم أعمى وكنتم مبصرين فاعلموا أنكم

وما فيه من عز لتطو جهم

عميان مثله ما لم تميروء من بصركم بصرا ،

ويا صاحبي إن التجهم يقتضى

فما دامت طريقته مظلة فطريقكم مظلة ،

من الجهد مالا يقتضيه التبع

لأن طريقته وطريقكم واحدة .

إن الحب نفحة قدسية من نفحات الخالق

تضع في النفوس ، فتدفع الزارع إلى العمل ،
وتسهر الأم على طفلها ، وتلمم الطير بناء
الاعشاش ، كما يقول نذرة حداد :

ما الحب يا صاح سوى نضعة
قدسية بين الورى تطع
يمصده الزارع إن أنصبت
في الموسم الأرض التي يزرع
من أسهر الأم على طفلها
صابرة تشقى ولا تنزعج ؟
من علم الطير على ضعفها
أن تبتقى الاعشاش فوق النعسون ؟
أخى ما حرك هذه النفوس
في الخلق من ناس ومن طير
إلا الذي يجرى كخمر الكعوس
في كل نفس دون أن تدرى
دعوه بالحب ، وكم عاشق
أوصله الحب إلى ما أراد
ذا نعمة من نعم الخلق
لولا كان الخلق بعض الجناد
والحب يرتفع بمستوى الوطنية عندهم ،
حتى يكون الوطن جزءاً من الوجود الشامل ،
وتكون الأرض كلها وطناً . كما يقول جبران :

« الأرض كلها وطني ، والبشرية كلها عائلتي
أحب مسقط رأسي يبعث بحبتي لبلادي ،
وأحب بلادي بقسم من عبقتي للأرض ،
وأحب الأرض بكليتي لأنها مرتع الإنسانية » .

وهكذا نقرأ لجبران :

« تأملت في الطبيعة ملياً ، فوجدت فيها
شيئاً لا أحده ولا نهاية ، شيئاً لا يشتري
بالمال . . . شيئاً لا تمحوه دموع الحريف ،
ولا يميته حزن الشتاء . . . شيئاً لا توجده
بمحيرات سويسرا ، ولا متزهات إيطاليا . . .
وجدت فيها المحبة » .

كما نقرأ له : « الحب كوثر تسكب عرائس
الفجر في الأرواح القوية ، فيجعلها تتعالى
متسجدة أمام كواكب الليل ، وتسبح مترنمة
أمام شمس النهار . الحب معرفة طوية تنير
بصائرنا ، وشعاع يحرق ينبش من أعماق
الذات الحساسة ، وينير جناتها ، تقرأ العالم
موكباً سائراً في مروج خضراء ، والحياة
حلماً جميلاً المحبة هي الحرية الوحيدة في العالم ،
لأنها ترتفع بالنفس إلى مقام سام لا تبلغ إليه
قوانين البشر وتقاليدهم ، ولا تسود عليه
نواميس الطبيعة وأحكامها » .

من حديث الحج في القرآن الكريم للمأستاذ محمد الدسوقي

- ١ - ترد كلمة الحج في المعاجم اللغوية بمعنى القصد للزيارة ، ففي لسان العرب لابن منظور ، الحج : القصد ، ويقال حج إلينا فلان : أي قم ، ورجل محجوج : أي مقصود ، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس : الحاء والجيم أصول أربعة ، فالأول القصد ، وكل قصد حج ، وفي مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، أصل الحج ، القصد للزيارة .
- وأما معنى الحج من الناحية الشرعية فهو وثيق الصلة بمعناه من الناحية اللغوية ؛ إذ هو القصد في أشهر معلومات إلى البيت الحرام للنسك والعبادة فرحاً كانت أو سنة . وقد اقرضه الله على المكلف المستطيع مرة في العمر ، وزعم بعض الفقهاء أنه يجب مرة في كل خمسة أعوام ، والصحيح الأول ؛ لما روى عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس كتب عليكم الحج . فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهدر تطوع .
- ٢ - وقد تحدث القرآن الكريم عن الحج في آيات كثيرة ، بعضها يتعلق بضرعيته ، وبعضها الآخر يتعلق بمناسكه وآدابه ، كما سميت سورة من سور القرآن بسورة (الحج) والكلام عن كل ما يتصل بالحج في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يحتاج إلى بحث مستفيض لا تفي مقالة واحدة به ؛ لذلك آثرت أن أقصر حديثي على آية واحدة جاءت في سورة البقرة وهي :
- « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكراً عليم » ؛ لأن هذه الآية الكريمة اختلعت حولها الآراء وتباينت المذاهب ، وهي مع هذا تشتمل على بعض التوجيهات الربانية التي تحض الإنسان على الطاعة والاستزادة منها ؛ ليظل دائماً عارفاً بربه ، متجهاً إليه برجو رحته ويطلب مغفرته ويخشى عذابه .
- ٣ - الصفا والمروة : علبان للجبلين المعروفين بمكة ، ومعنى كونهما من شعائر الله : أنهما من أعلام مناسكه ومعبده ، قال الرازي : كل شيء جعل علماً من أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله . قال الله تعالى :

بين الصفا والمروة تعظيماً لحذين الصنمين المعبودين ، وكان أهل يثرب لا يدينون إلا هـ المناة هـ بمبوتها ويهلون لها ، ويعتبرون الطواف بين (أساف) ، (ونائلة) لإشراكها هـ ، ولذا تخرجوا في جاهليتهم من الطواف بين الصفا والمروة هـ .

وأخرج الإمام مسلم في رواية يونس عن الزهري عن عروة بن الزبير أن السيدة عائشة رضي الله عنها أخبرته أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا هم وغسان يهلون (المناة) ، فتخرجوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة هـ ، وكان ذلك سنة في آبائهم هـ ، من أحرم (المناة) لم يطف بين الصفا والمروة هـ ، وأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلموا فأزل الله عز وجل في ذلك هـ : إن الصفا والمروة هـ الآية وروى عن الشعبي أن وثناً كان في الجاهلية على الصفا يسمى (أساف) ووثناً على المروة يسمى (نائلة) فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين فلما جاءه الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون : إن الصفا والمروة إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنيين وليس الطواف بهما من الشعائر فأزل الله هـ : إن الصفا والمروة من شعائر الله هـ ، الآية هـ .

هـ — من هذا يتضح أن بعض العرب ، وهم سكان (يثرب) هـ ، كانوا يخرجون من الطواف بين الصفا والمروة في الجاهلية هـ لتعظيمهم

هـ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله هـ ، أي علامة للقربة هـ ، وقال هـ : ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب هـ ، وشعائر الحج والعمرة معالم لركبهما ، وقد سبق تعريف الحج هـ ، أما العمرة فهي : القصد إلى زيارة البيت في أي وقت من العام هـ ، فالفارق بين الحج والعمرة هـ : هو أن الحج موسماً معيناً هـ ، يعتبر موعداً لاعتقاد المؤتمر الإسلامي السنوي بخلاف العمرة فإنها تؤدي في أي وقت من العام هـ ، وهي كالحج في جميع أركانه هـ ، غير أنه لا وقوف فيها برفقه وهي كذلك مثله في جميع السنن والواجبات المتعلقة بهذه الأركان ماعدا ما يتعلق بالوقوف برفة من سنن وواجبات هـ . والجناح بالضم : الإثم والتضييق والمواخذة . وأصل الطواف المشي حول الشيء والمراد السعي بينهما هـ .

هـ — وقبل التمرض لدراسة هذه الآية نتعرف على سبب نزولها ففي هذا توضيح لبيان دلالتها وإزالة بعض الشبهات حولها . من المعروف أن الحج إلى البيت قديم من زمن إبراهيم عليه السلام هـ ، وكان الطواف بين الصفا والمروة من مناسك الحنيفية دين إبراهيم غير أن الوثنية حينما بسطت سلطانها على شبه الجزيرة العربية ، وضع أهل الجاهلية صنماً على الصفا يقال له هـ : أساف هـ ، وآخر على المروة يقال له هـ : نائلة هـ وعدوا الطواف

أولها عليه ، كانت : لا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها أزيلت في الانتصار . الحديث . .

ثم قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما .

٦ - الطواف بين الصفا والمروة إذن من مناسك الحج ، وبهذا جله الإجماع والعمل المتواتر ، وهو عند أبي حنيفة واجب وعند مالك والشافعي وابن حنبل ركن ، والسر في التعبير بنحو الجناح الذي يصدق بالمباح ، الإشارة إلى بيان خطأ المشركين الذين كانوا ينكرون كون الصفا والمروة من الشعائر ، وأن السعي بينهما من مناسك إبراهيم وذلك لا يتناقض الطلب الجازم .

قال الإمام الطبري في تفسيره : « فأما قوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما لجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين الذين تخوف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي ، وبهضم من أجل ما كان من كراهتهم للطواف بهما في الجاهلية على ما روى عن عائشة ، وأي الأمرين كان فليس في قوله تعالى ذكره فلا جناح عليه أن يطوف بهما - الآية دلالة على أنه غني به وضع الحرج عن طواف بهما من أجل أن الطواف بهما

صنفا خاصا بهم واعتقادهم بأن هذا الطواف يعد إشراكا بإلههم (مناة) ، وكان غير أهل (يرمي) يطوفون بين الصفا والمروة ؛ تعظيما للصنمين الذين وحما فوقهما ، فلما أشرق نور الإسلام ، ودخل الناس في دين الله ، كسرت الأصنام ، وطهرت مكة من معالم الوثنية والشرك ، ظهر أن المسلمين من الانتصار وغيرهم تخرجوا من الطواف بين الصفا والمروة ؛ لما علق بهما من ذكريات الوثنية ، فضلا عن أنه لم يرد قرآن ولا سنة بإصطال شعيرة الطواف ، وقد ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة ، وقد توجه المسلمون إلى الرسول وسألوه في ذلك فأمر الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » الآية .

وقد توهم بعض الصحابة أن قوله تعالى : « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » أن الطواف بين الصفا والمروة ليس من أركان الحج ، فقد روى البخاري عن عروة ابن الزبير قال : سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها :

أرأيت قول الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فوالله : ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة . قالت : بشيء قلت : يا ابن أخي إن هذه لو كانت كما

حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة . حتى إذا انصبت قدماء في بطن الوادي سمى ، حتى إذا صعدنا مشى ، حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا) .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً لما في القرآن ومفسراً لآياته ، فإنه لا جدال بعد ذلك في أن الطواف شعيرة من شعائر الحج ، وليس في تلك الآية الكريمة دلالة على تركه .

وهذا الطواف سبعة أشواط ، ويشترط فيه البدء بالصفا، وال انتهاء بالمروة، ويشترط كذلك الموالاة بين الأشواط ، والمشي للقادر عليه ويسن له الطهارة ، والموالاة بينه وبين الطواف بالبيت ، كما يسن فيه أن يصعد على الصفا والمروة ، وأن يهرول أو يسعى على الأقل بين الميئين الأخضرين - وهما عمودان أحدهما تحت منارة على ، والآخر قبالة رباط العباس - وأن يكبر ويهلل ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدعو بما شاء مستقبلاً للكعبة على الصفا والمروة .

٨ - والطواف بين الصفا والمروة مأخوذ

كان غير جائز بحظر الله ذلك ، ثم جعل الطواف بهما رخصة ؛ لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت ثم رخص فيه بقوله : « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » .

فشكل ما يدل عليه التعبير القرآني هو أنه لا إثم على من فعل الطواف ، وهذا القدر مشترك بين الفرض والسنة والمباح ، فلا وجه إذن للاستدلال به على أن الطواف بين الصفا والمروة ليس من أركان الحج .

٧ - أما قول السيدة عائشة رضي الله عنها: (وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما) فإنه لا ينقض دليلاً على سنيته ، بمعنى علم توقف إتمام الحج على أدائه ؛ لأن السنة في لسان الحديث معناها الطريقة التي كان يسير عليها الرسول الكريم ، وهي تشمل الفرض وغيره ، وقد بينت السيدة عائشة نوع السنة بقولها . عقب ذلك مباشرة : « هليس لأحد أن يترك الطواف بينهما » وهذا يدل على أن السيدة عائشة إنما تريد بقولها « سن » معنى « شرع » ولا يمنع مانع لغوي من ذلك .

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » . أبداً بما بدأ الله به . فبدأ بالصفا فركب عليه

كربتها وألّس غربتها وفرج شدتها ، وأنبع لها (زمزم) .

فالساعي بين الصفا والمروة ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه ، وصلاح حاله ، وغفران ذنبه ، وأنه ينتجى إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب ، وأن يثبت عليه إلى عاقبته ، وأن يحسّوه من حاله الذي هو عليه - من الذنوب والمعاصي - إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة ، كما فعل (هاجر) عليها السلام .

٩ - وأما الشطر الأخير من الآية وهو : « ومن أطوع خيراً فإن الله شاكر عليم » . فعناء أى ومن أكثر من الطاعة بالزيادة على الواجب فإن الله يمازىه على الإحسان إحساناً ، وهو العليم بمن يستحق هذا الجزاء .

ولبعض المفسرين والفقهاء آداء فى معنى هذا الشطر من الآية ، فيرى بعضهم أن المقصود بالتطوع هنا ، التطوع بالحج والعمرة بعد آداء الفريضة ، ويرى آخرون أن التطوع مقصود به أن الطواف سنة ، وليس من الأركان ، ولكن مثل هذا التأويل - فيما أرى - ليس سديداً ، فالآية عامة فى التطوع بعمل الخير أيا كان نوعه ، فلماذا تقيدها على معنى معين لا ينهض دليل على قوله؟ على أن فى هذا

من طواف السيدة (هاجر) أم سيدنا إسماعيل عليهما السلام ، فقد روى أنه لما تركت أم إسماعيل ، ومعها ابنها الرضيع فى ذلك المكان الذى لا زرع فيه ولا ماء ، جعلت ترضع إسماعيل وتشرب من ماء كانت تحمله فى السقاء فلما نفذ الماء عطشت ، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتأوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض إليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر : هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فبطلت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، ونظرت : هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم . (هكذا سعى الناس بينهما) . أما السيدة (هاجر) فإنها حين أشرفت فى المرة السابعة على المروة سمعت صوتاً ، فسمعت فإذا هى بالملك عند موضع (زمزم) ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء .

قال ابن كثير : لما ترددت (هاجر) فى هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة ، تطلب الثوث من الله . متذلة عائفة ، مضطربة ، فقيرة إلى الله عز وجل ، كشف الله تعالى

السحر وتشجيع على عمل الخير، وتبعث في الهمة روح النشاط والطلب والكفاح الدائب، وإعمال هذه الكلمة قد يدفع إلى الكفران بالقيم الإنسانية. وتثبيط الهمم الخيرة، فلا يقدم إنسان على إحسان، وتشجيع في المجتمع روح الأثرة والفردية وتكون المنفعة الذاتية هي معيار العلاقات الاجتماعية، والمجتمع الإسلامي بقيمه الخالدة، وفضائله الكريمة لا يعرف أثرة بين أفرادهِ ولا جحوداً لمعروفٍ مهما يكن مقداره.

١٠ - وبعد: فالحج موسم سنوي يلتقي فيه المسلمون على كلمة الله؛ ليشهدوا منافع لهم، وليذكروا اسم الله في أيام معلومات، وهذه آية من كتاب الله تتعلق بشعيرة من شعائر الحج والعمرة عرضتها ودرسناها بقدر ما أتت من توفيق في ذلك، والله أسأل أن يرعى حجاج بيته وزوار حرمه وأن يحصل هذا اللقاء السنوي بين المسلمين خيراً وبركة على العالم الإسلامي والبشرية جمعاء.

الحمد لله

المحرر بمجمع اللغة العربية

الجزء من الآية إشارة إلى فضل الله السابغ، ورحمته التي وسعت كل شيء، وكرمه الذي لا يعد له كرم، فآله تبارك وتعالى فرض علينا الفرائض لمنفعتنا وسعادتنا في الدارين، وهو سبحانه غنى عنا وعن عبادتنا، ونحن الفقراء إليه، غير أن الآية الكريمة تقول بأن الله شاكر لمن تطوع بالخير، فأعظم فضل الله. وما أجل نعمه التي لا تعد ولا تحصى. وما أخلق بالإنسان وهو يرى نعم الله الجزيلة أن يشكر الله في كل حالة، وأن يعبده ويذكره في كل وقت، وأن يؤمن بأن شكر النعم يزيدنا والكفر بها ينقصنا ويزيلها، وأن الإنسان إذا تخلى عنه الله فقد باء بالخسران المبين.

وأجل ما في هذا التعبير من توجيه للخلق الرفيع والأدب القويم والمعاملة الحسنة، هو أن يقدر الإنسان عمل سواء، وأن يسدى إليه الشكر والثناء إذا ما قدم إليه معروف، فهذا يبنى التعاون بين الناس قويا متصلا ويظل المجتمع قاضيا متراجعا؛ والنفس الإنسانية فطرت على حب الثناء وسماح كلمة الشكر والتقدير وهذه الكلمة تفعل فعل



أثر المسلمين في الحضارة الإنسانية

التجارة . القانون التجاري . القانون الدولي

للاستاذ الدكتور محمد مختار القاضي

أحبوا ، وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الإبل إلى بغداد ، وترجم عنهم الخدم الصقالية ، ويدعون أنهم نصارى ، فيؤدون الجزية .

وفي سنة ٣٠٩ هـ حدث اتصال بين الخليفة وبين ملك الطلجا ، وفي العام التالي أسلم هذا الملك وأسلم أهل بلاده (١) . وقد ضمن السامانيون للتجار الأجانب دجها هادئا . . . ومعظم النقود العربية التي اكتشفت في شمال أوروبا ترجع إلى القرن الرابع الهجري ، وأكثر من ثلثها من نقود السامانيين . وكانت بلاد الروس منذ ذلك العصر إلى ما بعد الحروب الصليبية هي الطريق بين شمال أوروبا وبين الشرق (٢) .

وقد نشأ من ازدهار الجاليات الإسلامية في كثير من البلاد التي تطلب عليها غير المسلمين شأن جعل لهم استقلالاً ملحوظاً في شئونهم ،

كان للعرب صلات تجارية في العصر الإسلامي مع الصين والهند وأوروبا وإفريقيا . وكانت الطرق التجارية بين العرب وأوروبا هي طريق جبال البرانس وطريق البحر المتوسط ، وهذان الطريقان كان يسلكهما عرب الأندلس وطريق القوقاز المؤدية إلى شمال أوروبا التي تجتاز روسيا وكان يسلكها عرب المشرق ، وقد فتح الطريق الأخير في القرن الرابع الهجري . ومع ذلك فقد كانت هنالك صلات تجارية سابقة بين الروس والعرب ، وقد وصف ابن خردادبة التجارة الروسية مع العرب بقوله : فأما مسلك تجار الروس ، وهم يجس من الصقالية ؛ فإنهم يحملون الخبز وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومي ، فيعشرهم (٣) صاحب الروم .

وإن ساروا في تيس ، مروا بطبيع مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ، ثم يصرون إلى بحر جرجان ، فيخرجون في أي سواحله

(١) مروج : الذهب ج ٢ ص ١٥ .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : لآدم مير - ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريطة ج ٢ ص ٣٦٧ الطبعة الثالثة .

(٣) يعشرهم أي يأخذ منهم العشر أي الضريبة . وهذا النص ورد في المرجع المذكور ص ١٥٤ .

تعود وجعلت كانت مضرورية سنة ١٠٤٠م ،
وبنو العباس هم أكثر من ذكروا فيها .
وسبب اختلال هذا الطريق كان كثرة الفتن
الداخلية في آسيا والاضطرابات السياسية
في روسيا (١) . ولكن أهم سبب يرجع إليه
التفريط من أهمية هذا الطريق هو أنه بسبب
وجود الحروب الصليبية والمجاهدات التي
صعدت بين المسلمين والصليبيين تحولت تجارة
المسلمين البرية عن الطريق السابق إلى تجارة
بحرية عن طريق البحر المتوسط (٢) .

وإذ تحولت التجارة إلى البحر الأبيض
أصبحت البندقية في القرن الرابع الهجري
تمتد العرب بخشب السفن ، الأمر الذي جعل
الإمبراطور البيزنطي يحتاج لدى الدوق فأمير
الدوق بوقه يبيع الخشب للعرب (٣) .

ولم يكن لأوروبا سلطان على البحر
الأبيض خلال القرن العاشر الميلادي بل كان
بحراً عربياً ، وكان لابد لمن يريد أن يقضى
لنفسه فيه أمراً من أن يخاطب ود العرب كما
فعلت نابلي وغيتسه وأما لقي . ويظهر أن
الملاحة الأوربية نفسها كانت في ذلك العصر

فكان يرأسهم مسلم ، ولا يقبلون حكم غير
المسلمين فيهم ، ولا يتولى حدودهم ولا يقيم
عليهم شهادة إلا المسلمون ، وإن قلوا ، وذلك
مثل بلاد الخزر والسرير واللان وغانة
وكوغة وصيمور (الهند) (٤) .

وكان العرب يرسلون إلى جميع الموانئ
الأوربية المحيطة بهم منتجاتهم الصناعية
والزراعية كالقطن والزعفران والورق
والحرير الغرناطي والجلد القرطبي والتصال
المليطالية ، والتبغ والفراء والتصدير .

وكانت الموانئ الآسيوية : قانس ومالقة
وقرطاجنة وغيرها مراكز لنشاط تجاري
عظيم على عكس ما هي عليه الآن .

وتدل النقود العربية التي كشفت عنها
أعمال الحفر الحديثة على أن العرب وصلوا
إلى أقصى الشمال من أوروبا ، فوصلوا
إلى بحر البلطيق وشواطئ أسوج وفنلندا
والدانيارك وبروسيا .

ويرى الأستاذ (لوبون) أن بعض الحلى
الموجودة في متحف (استكهولم) على أنها من
مصنوعات اسكندنافية إنما هي قد جلبت
من الشرق ، إذ أن كثيراً من هذه الحلى
هو طابع شرق . (٥)

أما الطريق الشرقي البري فالراجح أنه اصطلح
في القرن الحادي عشر الميلادي ، فأحدث

(١) ابن حوقل ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢) حضارة العرب ص ٥٦١ .

(١) ابن حوقل ص ٢٨١ .

(٢) وهذه الطريق البحرية اضطلحت بدورها
بعد أن اكتشف رأس الرجاء الصالح .

(٣) آدم ميتز - ص ٢٢٣ ويقصد بالدوق
دوق البندقية .

بالتأكيد بعض قطعها القانونية من قوانين
المغرب كالشركات وغيرها من مسائل
القانون التجاري الفنية . وإن المستوى الراق
الذي بلغت تلك القوانين في بعض نواحيها
أثر تأثيرا حسنا في تقدم الفكر الأوروبي
حتى في غير ما ذكر (أى في غير المسائل
التجارية) ، وبذلك سجلت تلك القوانين فضلها
الحال .

ويقول الأستاذ ليريبور^(١) (بيجوير)
في مقدمته على شرح القانون الإنجليزي
« إن العادات التي أدخلها التجار الإيطاليون
في كل مكان يتكون معظمها من عناصر
مستمدة من القانون الروماني ، ولو أن منها
عناصر مأخوذة من عادات المغرب
أو الأتراك » .^(٢)

وفي بحث صغير أجراه العالم (جرسوف)
سنة ١٨٩٩ عن الحوالات المالية ، انتهى
فيه إلى أن هذه الحوالات لم يعرفها العالم
القديم . وأن أول من عرفها العرب ، وغنم
أخذتها أوروبا في القرن العاشر الميلادي عن
طريق إسبانيا وإيطاليا . وانتقلت مع هذا
النظام الجديد المصطلحات اللازمة ، له ومى

(١) ص ١٥ .

(٢) الواقع أن معظم هذه العادات
مأخوذة من المغرب ، والقليل منها هو
المأخوذة من القانون الروماني .

على حال يرى لها من الضعف ، ففي سنة ٩٢٥ م
استطاعت مراكب عبيد الله المهدي الفاطمي
أن تغزو جنوب فرنسا ومدينة جنوة . وأن
تفعل مثل هذا بمدينة بيزا بين عامي ١٠١١ -
١٠١٤ م^(١) .

ولما استرد الصليبيون سردينية سنة ١٠٢٢ م
وكرسيك سنة ١٠٩١ م من المسلمين فتح
مضيق مينا والبحر المتوسط لللاحة
الأوروبية ، كما استردت الحرب الصليبية الأولى
معظم الثغور الجنوبية في البحر المتوسط
وربطت أوروبا بشبكة من الطرق التجارية
بينها وبين الشرق .

وسمح مركز إيطاليا المتوسط بين الشرق
 والغرب بأن يكون ثغورها كالبنديفة ورافنا
وريسين وأنكونا وباري وبرنديدي وتارنتو
وكروتون ورجيو وسالرنو وأملفي ونابلي
واستيا وبيزا ولوكا سمح لهذه الثغور بأن
يكون لها تجارة مع فلسطين وبلاد المسلمين^(٢) .
وقد أثرت الشريعة الإسلامية في القوانين
التجارية في أوروبا تأثيرا ملحوظا ، ذلك بأن
نظرة العقد في الشريعة الإسلامية تقوم على
الرضاءية ، بينما كان القانون الروماني شديد
التعقيد . لأنه قانون يقوم على الشكلية ويقول
الأستاذ دوسانتيلانا^(٣) (٤) إن أوروبا اقتبست

(١) نفس المصدر ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٢) ولد ديورانت مجلد ٤ ج ٤ ص ٥٧٤

(٣) The Legacy of Islam P. 310

سواحل بحر الشمال وبحر البلطيق وبين المدن الإيطالية في البحر الأبيض ، الاتحاد المعروف بالهانس La Hanse ، وتقررت عادات ثابتة دونت في محررات شهيرة ، فظهرت قوانين أوليرون Law of Oléron, Le Rôle d'Oléron لتنظيم التجارة البحرية على شواطئ الإمبراطورية في غرب أوروبا ، وقواعد وزبون Leges Wesbumenses في بحر الشمال وبحر البلطيق ، وقنصليات البحر المتوسط Consolato del Mare ، وكانت هذه القواعد أكثرها أهمية ، فهي وحدها التي بحثت في القنائم البحرية أثناء الحرب ، ونحن كانت أصولها الأولى نشأت في رودس من عادات يونانية قديمة ، إلا أنها طبعت لأول مرة في برشلونة سنة ١٤٩٤ م^{١١} .

كانت الحروب الصليبية سببا في تقدم التجارة ، وبسببها أيضاً تقدمت قواعد القانون الدولي ، ولم تكن الفكرة السائدة عند الإغريق ولا عند الرومان لتساعد على ما أحرزه القانون الدولي من تقدم .

أما عن اليونان فقد كانوا يعدون أنفسهم أرقى الشعوب ويعدون من عداهم برابرة ، لا حرمة لهم ولا عهد ، حتى إن (هوميروس) في شعره كان يحل لمصوصة البحر وأسلاب

إما فارسية وإما عربية . وما زالت متداولة إلى اليوم . فكلية أقال Ayal مأخوذة من اللفظ العربي حوالة . ولفظ شيك فارسي كثيراً ما ذكره الفردوسي (١) .

وتقدم دخل على اللغات الأوروبية كثير من المصطلحات التجارية العربية مثل كلمة founts أى فندق فيقال fonds de commerce أى محل تجاري و Magazine أى مخزن وهو المكان . ويعدد الأستاذ (سيدو) كثيراً من الألفاظ الجارية الأوروبية أخذها الأوروبيون من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادي .

وفي محيط القانون الدولي نرى أن الحروب الصليبية . ولو أنها فشلت في غرضها الأصلي ، إلا أنها خدمت أوروبا . فبسببها تمت التجارة وبسببها توصلت روابط الإخاء الديني بين الدول الأوروبية بوضع المسيحيين تحت سلطة دينية عليا واحدة (٢) .

لقد تقدمت بسبب الحروب الصليبية مبادئ القانون الدولي ، وذلك بسبب نشاط التجارة بين الدول المسيحية . فنشأ بين أهم

(١) Grasshoff : Das Wechselrecht der Araber, 1899.

وانظر أيضاً ول ديورانت مجلد ٤ ج ٤ ص ٦٩ .

(٢) على ماهر - في القانون الدولي العام

ص ٦٢ طبعة ١٩٢٤ .

(١) Encyclopaedia Britanica الطبعة

الثانية تحت لفظ Consulate of Sea .

وبتدبيرهم ، وقتلهم إن قاوموا بطش
الامبراطورية ، ومن لم يمت منهم بالسيف
وقع في الرق .

ويقول البارون توبه (١) : إن فصل
العالم الإسلامي في تنمية أو تقدم القانون
الدولي كان عظيما في ناحيتين : ناحية الحرب
وناحية التجارة الدولية .

وأنت لا شك قد قرأت يوما ما عن تعاون
المسلمين مع الصليبيين أثناء الهدنة وإرسالهم
الاطباء لهم ، كالذي فعله (صلاح الدين الأيوبي)
مع (رينشارد) قلب الأسد ومعاهدات الهدنة
ومعاهدات الصلح والمعاهدات التجارية ،
كل أولئك يؤيد بحماسة ما قاله البارون توبه .

محمد مختار القاضى

(١) محاضرات البارون توبه في المعهد
الدولى بلاهاي سنة ١٩٢٦ (مجموعة المعهد

ج ١ ص ٢٩١ .

البر ، وكان (أرسططاليس) يرى أن الخائف
أوجد البرابرة ليكونوا أرقاء ، وبعد من
الاعمال الشريفة محاربهم لسلب ثورتهم
واسترقاقهم (١) .

أما روما فقد منحت على شعوب
امبراطوريتها العظمى بأحكام القانون المدنى
الرومانى ، اعتقادا منها بأن الرومان (أهل
مدينة روما) هم أيضا أرقى الاجناس ،
وأخذت تعامل سكان الإمبراطورية بقانون
الشعوب Jus gentium ، وهو إن كان
يصلح أساسا للقانون الدولى لأنه مستمد من
القواعد المشتركة بين الشعوب ، إلا أن روما
ذاتها ما كانت تعترف لغير سكان
الإمبراطورية بالامتيازات الواردة في هذا
القانون ، فكانت تأمر بمحاربة الشعوب
الخارجية على الإمبراطورية الرومانية

(١) على ماهر - ص ٥٥ .

طبيعة الشعر الجاهلي شعر النساء

للأستاذ كامل التبرسيهي

- ٣ -

ألا هل أتانا على نأيا
بما فضحت قومها غامد
تمنيت مائق فارس
فردكم فارس واحد
فليت لنا بارتباط الحيو
ل ضانا لها حالب قاعد
الضر في ذاته ساخر هازي بالغ غاية
الروعة بهذا التهمك على القوم يتهنسون في
خيلاء لا يرون قوة تكبرهم، فلفافهم فارس
واحد، فيزيم الجمع ويولون الدبر، وبهذا
التقى المرير، وهو أن يكون لغامد بدل خيلها
المرتبطة للحرب معزى وشاء، تروح عليهم
الحلبة فيكون للقبيلة بها لبنا وسننا ..
وألفينا الخنساء فدى فارساً من بني جهم
ثار لها من هاشم بن حرملة، قاتل أخوها
معاوية فتقول:

فدى للفارس الجشعي نفسى
أفديه بمن لى من جهم
أفديه بكل بنى سليم
بظاعنهم وبالأنس المقيم
كما من هاشم أقررت عيني
وكانت لا تلم ولا تميم

الدماثة على شعر النساء أغلب، غير أنها
تفاوتت من واحدة إلى واحدة تفاوت الطباع
رقة وخشونة، والجنوح إلى الرقة في المرأة
أمر معطى، فإن العصبية والتفتيان من
أهلها وبجتمهما لغة واحدة ولكن الفتاة تميل
بطبيعتها إلى الحن في القول يخالف الحن الفتى،
وميلها إلى الترنم ومط اللفظ شيء مدرك
في كل لغة، وفي كل لغة ..

ونحن حين نعرض لشعر النساء، ينبغي
أن نذكر الرثاء، فالخروقة بعيدة عنه، في شعر
الرجال والنساء على السواء، وإنما تكون
شواهدنا في مجالات تطلب عليها القوة حتى
يتبين لنا فرق ما بين شعر وشعر، فنحن
نعرض عن رثاء (جلييلة بنت مرة) لزوجها
كليب، ونعرض عن رثاء السلوك لولدها السليك،
ونعرض عن رثاء الخنساء لأخويها صخر
ومعاوية. فربما كان مرد السهولة في هذه
المراثي وأشابها خصوص الفرض
لا خصوص الجنس.

فإذا ما استعرضنا شعر النساء في التحميس
والإحاجة، ألفينا امرأة من غامد تسخر
من قومها حين هزمهم ربيعة بن مكرم وحده.
فتقول:

وأدعت ما عرفنا من أشعار الامتنان التي
تشبه في موضوعها موضوع شعر الخنساء ،
قول ربيعة بن مقروم يثني على مسعود بن سالم
الذي خلصه من الإيسار :

لما تشككت إلى الآين قلت لها
لا تستريحين ما لم أكن مسعودا
ما لم ألق امرأ جزلا مواهبه

هل القناء رحيب للبائع عمودا
وقد سمعت بقوم يحمدون فلم
أسمع بمثلك لا حلا ولا جوردا

ولا عفافا ولا صبرا لثائبة
وما أحيى عنك الباطل السبدا (١)

لا حلك الحلم موجود عليه ولا
يلقى صلاتك في الأقوام منكودا
انظر إلى هذا التخصيص البارع ، ثم إلى هذا
النمط الطويل المتدفق ، ثم إلى هذا الوشع
الحبرة ثم اقرن هذا إلى كلام الخنساء الذي
دوشته آنفا ، لقرى فرق ما بين الإسماح
والكزازة ، وبين السير المرتب في الطريق
المأخوس ، والظلم بين الحي والحمل والجنادل .

.....
(ب) وشعر المرأة في الهجاء قليل ،

(١) هو الجدة الأعلى للباح والممدوح .
يقول : إن قومنا من آل السيد يطوبون
حقيقتك فلا يجوز عليهم الباطل إذ أما
قصبت ترويه .

نصبت بها في الأحرار قيساً
ففي كل مكرمة كريم
والقاري الكريم يترك التهاوت والركاكة
في هذه الآيات جملة وتفصيلاً ، ومما يقل
التفاد في حقلة الخنساء ، فإن سقم هذه
الآيات لا يعسر لشاعرة تنافس الرجال
ولا ترضى إلا أن تعد في ذواباتهم .

وقد جمعت الخنساء إلى غشاة المعاني
وتفاهتها ارتباك القافية بترديد المجرى (أى
حركة الروي) بين الكسر والضم .

وليت شعري عن الخنساء كيف طابت
نفسها بمدح هذا الفارس الجسمي ، وتفديته
بنفسها وبأحائها ، وبكل قبيلتها ، وقد سبق
لها هجاء بين جشم كاهن أجمعين ، أن خطبها
حريد ابن الصمة ، ومال أخوها معاوية (لعمري)
بينه وبين حريد) أن ينفذ خطبته ،
إذ تقول :-

ولو أصبحت في جشم هديا
لذنت أصبحت في دلس وفقر
قبيلة إذا سمعوا بذعر

تخفى جميعهم في كل جحر
فإذا نحن رجعت إلى شعر الرجال في
التحميس والإهاجة ، ألفينا لاسرى القيس ،
وتأبط شرا ، والثلثم بن عمرو للتونسي ،
وزيادة الحارثي شعرا آخر ينفذ بالقوة
والجلالة .

إذا ادعينا أنه هجاء صرف ، فإذا نحن قسناه
إلى ما جاء للنابغة والحطيئة أنفيناها أقصر نصا
وأخف وقعا ، وأثين صا .

وأشبه ما جاء من هجاء بشعر أم ثواب ،
قول فرعان بن الأعراف في ابنه منازل :

ربيتني حتى إذا آض شيطا
يكاد يساوي غارب الصل غاربه
فلما رأي أبي بصير الشخص انحصا

قريبا وذا الشخص البعيد أقاربه
تفمد حتى ظالمنا ولوى يدي

لوى يده الله الذي هو غالبه
وكان له عندي إذا جامع أو بكى

من الزاد أحلى زادنا وأطايه
وربيتني حتى إذا ما تركته

أحيا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وجمعتهما دهما جلادا كأنها

أشياء نقيض لم تقطع جوانبه
فأخرجني منها سليبا كأنني

حسام يمان فارقتني مضاربه
أن أرا عشت كفا أهلك وأصبحت

بذاك يدي ليت فإنيك مضاربه ؟

والقوة والصعولة في شعر فرعان أبرز ،
وأدعو القاريء الكريم إلى المقارنة بين هذه

القوافي المطلقة في شعر أم ثواب ، وهي
تناسب رنة النياحة ، وبين قوافي فرعان التي

يختتمها بهذه الهاء الساكنة التي نحس معها

مع ضلالة وقصر نفس ، ولقد قرأت في هذا
الباب للخرقي أخت طرفة بن العبد ، هجاء
لعبد عمرو بن بشر إذ وثى بأخيها طرفة
إلى عمرو بن هند فقتله ، قالت :

ألا تكلتك أمك عبد عمرو
أبا لحزيمات وأخيت المملوكا

هم ركلوك للوركين ركلا
ولو سألوك أعطت البروكا

وهذا كما ترى شعر وضع مسف ، يرى
من متانة اللفظ ، ونغارة المعنى ، ولطافة

الحمية . ونظم الحق إذا ادعينا أن شعر
النساء في الهجاء قد جاء كله على هذا النهج ،

فهذه أم ثواب الهزانية ، تقول في حقوق
ابنها ، ولثوم عرسه :

ربيتني وهو مثل الفرخ أعظمه
أم الطعام ، ترى في ريشه زغباً

حتى إذا آض كالفعال شذبه
آباره ونقي عن مته الكربا

أنشأ يمزق أثوابي ويضربني
أبعد شبيبي بيني عندي الإربا

قالت له عرسه يوماً للسمعي :

مهلاً غائب لنا في أمنا أربا
ولو رأيته في نار مسرة

من الجميع زادت فوقها خطبا
فهذا شعر غنى بصورة ، مصبوب في قالب

ينزع إلى الصعولة ، ولكننا نظم الحق أيضا

قصوت عائكة وطب ندى برغم هذه القافية
الموصولة بها ساكنة ، ولا يخلو من ثروة
وحقيق نفس ، جلاء من هذا البحر القصير ،
أما قول لبيد قضيه الرزاة والثقة ، وفيه
القوة والفحولة ، وفيه العتو والكبرياء ،
وفيه نخامة جشاء تزيد جلاله وهيبه .
كما لا نستطيع أن نقيسه إلى الفخر الندى
نقروه لعترة أو لسلامة بن جندل .

كننا إذا ما أتنا صارع فوج
كان الصراخ له قرع الفنايب
وشد كور على وجناء ناجية
وشد مرج على جرداء مرحوب
فهذا من أروع ما يقال في المبادرة ، ونحن
كانت فيها خشونة وقسوة إلا أنها تلك الخشونة
الحبيبة التي يدعوها المقام .

.....
ولقد تعلم أن كثيرا من الشواهر انحرفن
عن الطبيعة النسوية ، ولزج متازع الرجال
في سلوكهم وعواطفهم ، فأضيق ذلك لونا
مذكرا على شعرهم ، وأخص من تذكره
في هذا الباب الخفاء ، فالمرأة السوية يستعيا
الحياء من أن تحف موقفا شرسا من رجل
جله يخطبها مهما يكن رأيها فيه ، والخفاء
قد دعت دريد بن الصمة ، وأوجسته هجاء
والمرأة السوية لا تقاضب أحبا لانه يرى
في زواجها رأيا ، وقد رأى معاوية بن الشريد
كفامة دريد وأراد أن يقف إلى جانبه ،

بالتأوه المكظوم ، لتبين فرق ما بين الرجل
والمرأة في التناول .

(ح) وإذا افتخرت المرأة فخرها بقومها
وما لم من شرف ورياسة وبلاء في الحرب ،
وهيبة في النفوس ، وأيام غر .
وشعرا لجاهليات متفاوت ، وأمن مآقرات
منه قول عائكة بنت عبد المطلب :

سائل بنا في قومنا
وليكيف من شرساعة
قيسا وما جمعوا لنا
في جمع بان شناعة
فيه السور والفتنا
والكبش ملتجع قناعه
بمكافد يعنى الناظرين
ن إذا هو لخوا شعاعه
فيه قلنا مالكا
قمرأ وأسلبه رعايه
ومجدلا غادره

بالقاع تهه حبايه
ومع سلامة هذا الشعر من الضعف واللين ،
فإننا لا نستطيع أن نقرره إلى شعر لبيد
إذ يقول :

إننا إذا التقت الجماع لم يزل
منا لواز عظيمة حشاما
ومعظم يعطى الشهيرة حقا
ومعظم الحقوقها حشاما

دونها خشوة وقساوة ، فإنه عندما قتل أخوها
عبد الله ، جنع أخوه عمرو بن معد يكرب
إلى قبول الهدية من قاتليه ، حياء للصراع ،
فهاج هائج كبشة ، فتحدث إلى قومها بلسان
القتيل ، تبعث حبيتهم ، وتبى عن قبول رأى
عمرو أخيه ، فقالت :

وأرسل عبد الله إذ كان يومه

إلى قوميه ، لا تغفلوا لهم دى
ولا تأخذوا منهم إقالا وأبكرا

وأنزل في بيت بصنة مظلم
ودع عنك عمرا إن عمرا مسلم

وهل بطن عمرو غير شعر لمظلم
فإن أنتم لم تأثروا واتديتمو

فشوا بأذان النعام المسلم
وهذا الروح المذكر كانت ليل الأحيلى .

ففى بحوب الأسواق وتمدح الأمراء وتقص
دار الخلافة ، وتحدث عن حبيها توبة بن

الحير وثرثيه ، وليس هنا شأن من احتفظ
بشيمه النساء وطبيعتن .

وبعد ، فإذا ظفرت بشعر نسوى هادر ،
متسم بالفحولة والقوة ، أخذ بنصيب من

طبيعة الرجال ، فانظر حياة الشاعر لعلها
تنسكب السلوك النسوى للناعم ، وتشبهت

بمنازع الرجولة ، فصدر عنها شعرها
المستحصف . ٢

فأمل السيرة الثانية

ولكن الحنساء لم تطلق هذا الجنوح وراحت
تسفه أعماها وتبين فياله رأيه ، والمرأة
السوية لا تخرج إلى الأسواق لتتشدا لأشعار
وتنال شهادة التفوق على الرجال ، والحنساء
كانت تنهب إلى عكاظ ، وتعرض شعرها
على النابغة ، ويقدمها النابغة على سائر النساء ،
فتأى إلا أن تكون أشعر الرجال والنساء ،
فإذا رأينا في شعر الحنساء شيئا من القوة
وشدة الأسر فلأنها انسلخت عن طبيعتها ،
وانخرطت في سلك آخر فاكسبت بعض
خصائمه .

وليست الحنساء فذة في هذه الناحية ، فهذه
ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب قد

كسبت من أهلها ، وكلهم فرسان شجعان ، بعض
روحهم ، فكانت تخرج معهم في الحروب

حتى أسرها الصلة الجشمى ، وأولدها دريدا
وإخوته ، ولطبيعتها المذكرة ظلت تلح على

دريد في طلب الثأر لأخيه سيد الله حتى
استقرأ خطفان حيا حيا ثم جهلها آخر الأمر

بنزواب بن أسماء بن زيد بن قارب . فقتله
بقناه أمه وريحانة ، وقال لها : هل بلغت

ما في نفسك ؟ قالت : نعم ، تمت بك .
فإذا لم تكن غظلة الرجولة قدمست قلب

هذا المرأة ، حتى زخر بهذا الحقد كله ،
فيأذا عسى أن تضر هذا الموقف الحاد ،
الذى أسلفناه ؟

وما كانت أنحتها كبشة بنت معد يكرب

تولستوى والوحدانية

للأستاذ محمد رجب البيوى

أن الإنسان جاء إلى هذا الوجود ليرتبط بالعلم ويشعر بالعمل ولأن تكون ثمرته تعباً تروح به نفسه ، وسعيًا يبنى به ويرق جفنه ، وشعرت بالشقاء الذى نزل بالناس لما انصرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم التى لم يمنحوها إلا ليعبدوا بها فيما كدر راحتهم وزرع طمأنينتهم .

ونظرت إلى الدين ففرقت حجب التقاليد ووصلت إلى حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله إليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هادياً للعقول كنت بعملك حاثاً للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياءً يهتدى به الضالون كان مثالك فى العمل إماماً يقتدى به المسترشدون ، وبهذا الآن فى خطاب الأستاذ الإمام ما أثار إليه من جهاد تولستوى فى إزاحة حجب التقاليد والوصول إلى حقيقة التوحيد ، لأن الأديب الروسى العظيم قد درس المسيحية دراسة ناقدة ووازن بين ما تراه الكنيسة الرسمية وما وصل إليه شخصياً من دراسة الإنجيل ، فكفر بكثير من المعتقدات ، ونادى بالتوحيد تداً صريحاً لا يقبل التلبيح ، وكان بذلك من حيث لا يعلم

لعل حرية (تولستوى) الفكرية أول سمة تسم بها شخصيته . فقد رزق كثير من الكتاب سلاسة أسلوبه ودروعة إبداعه ، ولكنهم لم يرزقوا هذا الطلوع القوى إلى ارتياد المعرفة ، والولوج باكتناه أمرار الحقائق على وجه يتأى عن الترهات الجدلية ، والباطل المتوارثة فى الصحف الأثرية دون تمحيص ونقد ؟ وقد كانت هذه الحرية الفكرية مثار الإعجاب لدى معاصريه من شق الملل والعقائد والأجناس ، فكثرت أقصاره فى كل مكان يقدس الكرامة الفكرية ويدعو إلى الاستقلال العقلى فى دراسة العقائد والمذاهب ، حتى رأينا عالماً كبيراً كالأستاذ الشيخ محمد عبده يكتب إليه كتاب المعجب المقدر ، ويعلم فى إعجاب وإكبار ما يراه فى حريته حين يقول فى خطابه الشهير إلى المفكر الروسى : أيها الحكيم الجليل .

لم نخط بسيرة شخصك ولكننا لم نحرّم التعارف مع روحك إذ سطع علينا نور من أفكارك وأشرقت فى آفاقنا شمس من آرائك ألقت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التى طهر الناس عليها ، ووفقك إلى الغاية التى هدى البذر إليها فأدركت

فبدأ الكاتب الكبير يسأل نفسه عن وجوده في هذه الحياة ؟ وعن مصيره المحتوم في نهايتها ؟ وقد راعه أن تكون عاتمة الإنسانية على هذا النحو المجهول الفاجع !

وكثير من المفكرين قد أحسوا إحساسه ثم صرفتهم الأيام عن الإيغال في هذا المنحى الدقيق ، فقبلوا الحياة على سننها ولكن تولستوى كان من الحساسية بحيث شأهت الدنيا بعينه ، وأخذ عليه التعمير كل مأخذ ! وقد كتب اعترافاته الشهيرة ليصور حقيقة اضطرابه الخائف في هذه الأزمنة الحالكة وليقول في أسى وحرقة بالغبين .

« هناك خرافة شرقية قديمة عن ساحق أقبل نحوه وحش هائج في أحد السهول لملجأ هذا السائح هرباً من الوحش إلى جب ناضب ، ولكنه وجد في قاع الجب غولاً قد فرفراه ليلتقمه ، ولما رأى السائح النمس أنه لا يستطيع النزول إلى قاعة مخافة أن يلتهمه الغول فقد أمسك بفرع من النبات أنبت من صدع في الحائط وتعلق به ، وأحس بالتعب يذب في يديه شيئاً فشيئاً ، وشعر أنه سوف يسلم نفسه عما قليل لا محالة إلى الهلاك الذي يترقبه من فوقه ومن أسفل منه ، ولكنه لم يزال متعلقاً بالفن ثم ما لبث أن رأى هارين أحدهما أبيض والآخر أسود ، وقد دارا حول ذلك

يعلن حكم الإسلام في المسيح كما جاء به القرآن وأثبتته نبي الإسلام ! ولم يعرف عن تولستوى ، وهو الذي أحترم الحقيقة العلمية مجردة من التعصب المفرض ، أنه في هجومه المفرط على معتقدات الكنيسة في المسيح عليه السلام كان يصدر عن دافع مفرض ؛ بل كان الحق رائده في دروب البحث فإذا التفت بعد هذا الطواف الجاهد مع الإسلام في أكثر حقائقه عن المسيح وعن حقيقة التوحيد فهو التقاء يقابله الملحدون بالباشاشة والترحيب !

لقد نشأ تولستوى نشأة مرفقة ناعمة ، فقد كان سليل إحدى الأسر الكبيرة المرموقة في بلده ، وقد كان كاتباً نابهاً ترون الدنيا بآثاره ، وينال الخطوة الكريمة من صفوة المثقفين في عصره ! وكان الذي يراه في صيته المدوى وأدبه الحافل وأسرته الشهيرة وراثته الجهم يحسبه هادئ البال قرير الجفن بما بلغ من الشهرة والجاه والأدب في عالم يحتف باسمه ويتحدث عنه أديبائه وقراءه حديث الإعجاب والتقدير ، ولكن الرجل الكبير كان غموضاً عن نفسه حين اعتقد في شبابه أنه خلق للقصص التي يلجح موالجه في حلبة الروائيين والقصص ، فإن بذور المفكر المصلح كانت مستترة في البقاع السحيقة من نفسه ، ومرور الأيام يمددها بعناصر البقاء والفن حتى تجاوزت الأغوار إلى السطح في سن الحسین

أو حديث وفقات معطلة يسأله رأيه في الحياة
والفناء والغيب والروح ثم يفىء إلى نفسه
فلا يجد لدى عباقرة الفلسفة ما يطمئن ،
فالنظريات تتعارض ، والآراء تتصادم ولكن
الفلسفة في النهاية تكون «واحدة مفهومة حين
تبتعد عن مشاكل الحياة المباشرة في رأى
تولستوى ولكنها تتعد وتلتوى وتتمنى
حين تفصل إلى الصخرة العاتية التي تحف
ووجه الحياة وهي الموت ؟ فاجنواها إذن ؟
ثم يترك الأديب الفلسفة إلى الدين يزور
الكنائس ، ويناقش الأساقفة ويصكف
على الصلاة والصوم ، ويقرأ الكتاب
المقدس ولكنه يجد ذلك كله يجد أصول
عقيدته كما يقرها أساقفة الكنيسة تتعارض
مع حرية تفكيره فيتهم من أحمائه هتافه
الشهير « اللهم منى إيماننا قويا أملاً به قلبى
وأهدى إليه غيرى » ١

لقد قرأ الإنجيل كثيرا ، ثم تعلم العبرية
ليقرأ في لغة الأصلية ، ولكنه وجد
الأساقفة يفسرون نصوصه كما يشاءون !
ويلزمونه بأفكار وعقائد لا يقول بها
صاحب فكر حر متطلع ١

وهو لا بد مفند هذه الآراء ، وعلم
أصولها الراجعة في أذهان الناس يعتقدون
أولا ثم يفهمون الخيالات العائمة كأنها
حقائق ثابتة تؤيد الاعتقاد الموروث ؟

النفس وأخذا يقرضاته ، وأيقن السامع أن
النفس لن يلبث حتى يقطع فيسقط هو في فم
النول ، وبينما يرى ذلك ويعلم أنه هالك
لا محالة إذ أبصر مشطرات من الشهد على بعض
أوراق النفس ، فأخذ يلحقها بأستانه ، يقول
تولستوى : وهكذا ألتقي أنا بنفس الحياة
ورأى لاوقن أن غول الموت يترقب في وأنه
سوف يمزق كل عمزق ، ولست أستطيع
أن أدرك لماذا وقعت في مثل هذا العذاب
ولقد حاولت أن ألتقي الشهد الذى كان
لى سلوة من قبل ولكنى لم أعد أجده في الشهد
ما يلقى ، وما برح الفأران الأسود والأبيض
ومما الليل والنهار يقرضان النفس الذى
تعلقت به ، ورأيت الغول في وضوح ولم يعد
لشهد طعمه الحلو ، وليس أمام ناظرى
إلا النول الذى لا يهرب منه والفأران ولن
أستطيع أن أدبر عني عن ذلك ، وليس ذلك
حديث خرافة وإنما هو الحق الذى لا ينكر
والذى يظن إليه كل إنسان . (١)

إن عفلا كبيرا يرهقه التفكير في مصيره
لا بد أن يتلس أبواب الهداية في كل ميل
حتى يجد المظلم المهادى لروحه . لقد أقبل
تولستوى على الفلسفة يتبطن مسائلها ويسبر
أغوارها ، ويقتصع كل فيلسوف قديم

(١) تولستوى ص ٧٧٣ لعمود الخفيف

القدس وآمة المصائب أن يقوم بالدعوة إليه المرتفقون باسم المسيح المتمتعون بالجاء والمال والآية ، وهم يحملون على كرسى بولس الرسول ! إن المسيحية في خلاصة رأى تولستوى : ليست كما صورتها الكنيسة مجرد تعاليم سماوية نائية عن العقل ! ولكنها دين يخضع للتفكير المعتدل وكل ما يشذ عن هذا التفكير بعد عن الإنجيل في لباة الأصل ، وإذا كان من المناسب هنا أن ننقل بعض أفكار الرجل في سياقها المبرد فليسمع القراء رأي في بولس الرسول الذي خلع على المسيح ما لم يكن له . بعد تمهيد يسير تقدم به الأدب الخطير حين قال :

إنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمها عليه السلام هو أن يبحث في تلك التفسير والشروح الطويلة السكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا إلى أيلم بولس الذي لم يفهم تعاليم المسيح بل حمله على حمل آخر ثم مزجه بكثير من تقاليد القريسيين ، وتعاليم العهد القديم ، وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم أو رسول الجندال والمتازعات الدينية .

وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية كالختان وغيره فأدخل ميوله هذه على الدين المسيحي فأفسده ، ومن عهد بولس ظهر

لقد عجز الرجل أن يفهم عقيدة التثليث وأعلن ذلك في كتابه الشهير (نقد الدين القائم على النصوص) فكيف يكون الأب والابن وروح القدس إلهًا في عقل تولستوى ثم كيف يصور المسيح البشر الآكل الشارب المتقل إلهًا ؟ وإذا كان كذلك فكيف يصبح قدوة للبشر وهو من جنس إلهي وهم آدميون بشريون ! إن النبي يكون قدوة لإنسان مثله يراه يتعذب ويصبر ويجاهد وبكافح وهو ذو طاقة محدودة من عصب ودم ولحم فينتدى بمثاله ويمتدنى حذوه ولكن كيف ينتدى تولستوى بصور المسيح وكماحاه والمسيح إله وتولستوى بشر ؟ مم ما معنى القداء ؟ كيف يولد الإنسان مخطئًا دون أن يعمل شيئًا يحسب عليه به ذلك الخطأ ؟

ثم يحى عيسى فيصلب لينخلص الإنسان من خطأ لم يرتكبه ؟ ولماذا يتحمل تبعة غيره إن كان هناك خطأ ؟ مم ما هذا المشاء الرباني الذي يدعو إليه الأساقفة كل عام في إصرار وقين ؛ فيأكل التصارى الخبز ويشربون الخمر ليتحول الخبز والخمر معا إلى دم يجرى في جسم المسيح ؟

كيف يعقل هذا ؟ مم ما المراد بتعميد الأطفال وقسمة الناس إلى أشقياء وسعداء ؟ إن ذلك كله في منطق تولستوى لا يعد باطلا ونفاقا لحسب ؛ بل هو فسوق وكفر بالروح

اليهود في المجتمع الإسلامي

للأستاذ محمود محمد شبكه

لا نعرف ديناً يحارب التعصب وبينه وبين يمينه ، ويدعو إلى الساحة ويحبب إليها مثل الدين الإسلامي الخالد ، وإذ لك لتجد في كتاب الله الآيات الواضحة التي ترمم الطريق

المستقيم وتضع المنهج السليم في معاملة غير المسلمين فنقرأ قول الله سبحانه (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤوا منهم وتحسبوا إليهم إن الله

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله في دياركم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما أواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا الله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ، ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه حديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أفي يؤفكون . .

ولعل هذا بعض ما عناه الأستاذ الإمام حين كتب للفيلسوف الكبير مثنياً عليه حين مزق عن الدين حجاب التفاليد ، ووصل به إلى عقيدة التوحيد .

التعود المعروف بنعالم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأصلي الحقيقي فخر صفته الإلهية الكمالية بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحي التي أولها منذ ابتداء العالم وآخرها في عصرنا الحالي والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وإن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهاً دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار موسى والزيور وأعمال الرسل ورسائلهم وتآليف آباء الكنيسة مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله ^(١) ،

هذا رأى تولستوى في ألوهية المسيح ا يلتقي به التفاء صريحاً مع القرآن حين يقول : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح

محمد رجب البوصي

مدرس أول بدر الملائك بالقيوم

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٨٩

للأستاذ محمد أبو زهرة .

للإسلام ، وحقد على أهله فلقد عاش اليهود في ظل العباسيين عيشة كريمة فيها المودة والمحبة والإخلاص وكانوا منتشرين في أنحاء المملكة الإسلامية فقد جاء : في ضمنى الإسلام أن بنيامين أحد الرحالة اليهود الذين رحلوا سنة ١١٦٥ م أى نحو سنة ٥٦٠ هـ ذكر أن عدد اليهود في المملكة الإسلامية عند العرب كانوا نحو ثلاثمائة ألف وكانوا منتشرين على نهر دجلة والفرات وفي جزيرة ابن عمر والموصل وعكبره وواسط وفي بغداد والحلة والكوفة والبصرة ، وفي كثير من بلاد فارس في همران وأصفهان وشيراز ، وكانوا في غزنة وسمرقند ، وكان في فارس بلدتان تسمى كل منهما اليهودية إحداهما بمرجان والأخرى بأصفهان وكان ببغداد إذ ذاك نحو ألف يهودى وكان فيها درب يسمى درب اليهود وكان أغلب المالين في الشام يهودا واشتهر اليهود بحرف خاصة كالصهرقة ودباغة الجلود والصياغة .

وكان في القاهرة سبعة آلاف يهودى وفي الإسكندرية ثلاثة آلاف وفي الوجه البحرى ثلاثة آلاف وفي الوجه القبلى ستائة . . . وقد استمتع ذلك العدد الكبير من اليهود في ذلك الجو الإسلامى بالحرية والكرامة بعيدين عن الإكراه والاضطهاد وقد طأهم

يحب المسلمون إنما يتناكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . .

هذه دعوة صريحة إلى البر وحقن المودة والمعاملة الكريمة مع غير المسلمين ماداموا في سلم وغمام وألفة ، كما أمرنا الله سبحانه وتعالى باللين والرفق في الدعوة إلى الإسلام ومتافئة المخالفين بالحسنى فقال : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . كما أمر الله نبيه الكريم أن يعبر المشرك ويؤمنه إذا طلب الحماية والأمان فقال سبحانه (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) . وتلك سماحة لا تهدم سماحة كما أن طبيعة الإسلام تبدو ظاهرة جليلة في سلوك المسلمين وتصرفاتهم مع اليهود والنصارى في مختلف العصور اتباعاً لما جاء به القرآن الكريم وما سنه الرسول صلوات الله عليه . وسنعرض في هذا المقال صوراً في السماحة وحقن المعاملة مع اليهود في عصر العباسيين والمأمانيين برغم ما عرف عن اليهود من خسة الطبع ودناءة الأصل وما ركز في طباعهم من حب للقتل وإراقة للدم وما شہر عنهم من كيد

الاعيان : (أنه كان يهوديا من أهل بغداد ، خيبت إذا سكر وله حيل ودهاء وفيه ذكاء وفطنة ، حضر إلى مصر أيام كافور الأحمدي فأعجب كافور بذكائه ودرأه فعيّنه في ديوانه الخاص ، ولم تزل منزلته ترتفع وقدره يعظم حتى أمر كافور أصحاب الدواوين ألا يتصرف شيء من المال إلا بتوقيع ابن كلس ، ثم بلغ إعجاب كافور به حدا جعله يقول (لو كان مسلما لوليت له الوزارة) فطعم في الوزارة فأسلم ، ولما مات كافور وجد الوزير ابن الفرات الفرصة المواتية للانتقام من ابن كلس فاعتقله ، غير أنه سارع عتقها حتى وصل إلى المغرب واتصل بيهود كانوا مع المعز وخرج معه إلى مصر ، وولى الوزارة للمعز تاردا وعظمت منزلته عنده وأقبلت عليه الدنيا وانتال عليه الناس ولازموا بأبه ومهد قواعد الدولة وساس أمرها أحسن سياسة ولم يبق لأحد معه كلام .

وتولى الوزارة سنة ٤٣٩هـ للمستنصر بمصر صدقة بن يوسف وكان يهوديا فأسلم وكان معه أبو سعد القسري اليهودي يدير الدولة ويسوس أمورها ، وبعد مقتل القسري أسند الخليفة المستنصر ديوان خاصته إلى أخيه أبي نصر ، وقد ابنه أحد الدواوين الحكومية ولقد كان القسري مكروها لدى المسلمين إذ أنه بنا يقرب أبناء ملته ، ويقدّم كثيرا من المناصب التي في الدولة وقد كانوا يبيدين

المسلمون معاشره حسنة وأخلصوا لهم ؛ بل واتخذوا منهم أصدقاء من اليهود :

أما في أيام القاطمين فقد زاد نفوذهم واتسع سلطانهم ووجدوا من الحكام كل عناية ورعاية ووصلوا في هذا العهد إلى أرق المناصب وأعلاها وملكوا أمور المسلمين ولم يكن ذلك التسامح مقصودا على اليهود وحدهم بل شمل كذلك النصارى فقد ولى العزيز نزار الوزارة عيسى بن نسطورس النصراني وجعل منشأ إبراهيم الفرار اليهودي واليا على الشام فكان واضحاً أن يظهر ابن نسطورس ومنشأ الحباية لليهود والنصارى ويشغلوا كثيرا من المناصب في الدولة بعد إقصاء المسلمين عنها فازداد سخط المسلمين وضجوا بالشكوى وقدموا الاحتجاجات على تلك الحباية التي أظهرها الخليفة للنصارى المسلمين حتى بلغ الأمر بأولئك الساخطين أن صنعوا صورة من الورق على هيئة امرأة وييدها شكاية فيها ، بالذي أعز اليهود بمنشأ والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك إلا كشفت ظلامتي ، وأقصدوا تلك الصورة في طريق العزيز والرقعة ييدها فلما رأها أمر بأخذها فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من الورق علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ من عيسى ثلثمائة ألف دينار ومن اليهود شيئا كثيرا .

أما يعقوب بن كلس فقد جله في وفيات

المسلمون في مختلف العصور ثقتهم وألقوا إليهم بالمقاييد بل واقتنوم على أرواحهم ، ويكنى أن لعلم أن حاكما من حكام الأندلس هو عبد الرحمن الثالث كان طبيبه يهوديا يسمى حمدلي بن شيروط .

نذكر ذلك كله ثم ننظر ما كان من اليهود في فلسطين وما ارتكبوا من مذابح سفكوا فيها الدماء وقتلوا الأبرياء ، وما دلسوا من أرض طاهرة ، وما شردوا من أنفسهم تركب معهم جرما ولم تحترف ذنبا ، ثم نذكر تحميمهم الفرص للقضاء على العروبة والإسلام غير عابئين بما قدمه لهم أسلافنا وأجدادنا من عطف ومودة وإحسان ، وماذا فعل في قوم وصفهم أنبياؤهم في كتبهم المقدسة بأنهم : شعب غليظ القلب صلب الرقبة وبأنهم أبناء الأفاعى وقتلة الأنبياء .

إن المركة بيننا وبينكم يا أبناء صهيون لقريبة وقاصلة وعلى الباغي تدور الدوائر وسوف نلقنكم يا ذئب الله درساً قاسياً لن تنسوه كما قال رئيسنا المقدس : (إن المركة بيننا وبين الصهيونية لم تنته بعد بل ولعلها لم تبدأ بعد فإن لنا ولها غداً قريباً أو بعيداً فصل فيه عارا ونحقق أمنية ولسترد حقوقاً ؟

عهد معاوية بن أبي سفيان وأولاده

المدرس بدار المعلمين بطنطا

عنها ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل يدموا يستفلون مناصبهم في اضطهاد المسلمين وإهانتهم وإذلالهم حتى دفعت هذه الحالة شاعرا من الشعراء المعاصرين يسمى الرضى إلى كتابة هذه الآيات :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
المر فيهم ، والمال عندهم
ومتهم المستعار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم

يهودوا فقد تهود الفلك
هذه صورة واضحة للقاصح المطلق الذي وصل باليهود إلى المناصب الكبيرة النقية في الدولة وأضى عليهم كل حالات التقدير وجعل لهم هذه الخطوة الكاملة في نفوس الخلفاء والرؤساء حتى مكثوا لهم وأطلقوا أيديهم في أمور الدولة يديرون دفتها ، ويتحكمون في المسلمين مع أن الخلفاء الراشدين كانوا يحسنون معاملة أهل الكتاب ولكنهم لا يسمحون باستخدامهم في شئون الدولة ، فقد روى أنه ذكر لعمر بن الخطاب غلام كاتب حافظ من (الحيرة) وكان نصرانيا فقيل له : لو اتخذته كاتباً ؟ فقال عمر : لقد اتخذت ، إذا ، بطانة من دون المؤمنين ، ومع ذلك استخدمهم المسلمون في أعمال الدولة من عهد معاوية بن أبي سفيان وأولاده

فُزْأثر العجرا الإزني على كُتَابِ

الحركة الرومانكية في إنجلترا
للكنز محمد سمير عبد الحميد

- ٦ -

تكتشف آخر الامر عند وصولها إلى بخارى
أن « فرموز » الشاعر ما هو إلا ملك بخارى
نفسه الذي تخفى ليدخل على قلبها البهجة
والسرور قبل زواجها منه .

وبمجموعة القصص تدعى Lalla rookh
وتشمل بجانب « النبي المقتنع » قصة :

- Paradise and the Peri.
- The Fire Worshippers.
- The Light of the Haram.

وكلها قصص عاطفية تصور رقة الشرق
ومحرو أجوائه .

وعلى الرغم من أن مفهوم الشيطان لدى
(توماس مور) قد تأثر بمعتقدات الشرق ،
وكذلك بفكرة الرعب الرومانكي التي
انتشرت بين كتاب الجيل السابق ، فإن تعبيره
الابلسة وشخصية الشيطان كان مبتكرا لأنه
اختلف عن كل ما سبق ، ففي صورة المقتنع
نرى الرذيلة مجسدة والشيطان ممثلا ، أي أن
فكرة الشيطان هو مصدر الشر قد تجسست
في شخصية أنسى وهو هنا ذلك الأفاق الذي

٨ — قصة نبي خراسان المقتنع :

لم يكن حماس المعجبين ببطلونة ثعلبة يفتقر
بمرور الزمن حتى ظهرت في الأفاق عام ١٨١٧
قصيدة : « نبي خراسان المقتنع » .

The Velled prophet of Khorasan

وكانها هو Thomas Moore من أشهر
شعراء الحركة الرومانكية الذين استجابوا
لنداء الشرق فكسبوا شهرة واسعة وغنموا
مالا كثيرا ، وقصة « المقتنع » هذه إحدى
أربع قصص شعرية يربطها بينها إطار
خارجي على لسان حكايات (ألف ليلة وليلة) ،
والقصة الثرية التي تسبق القصيدة تصف لنا
الرحلة التي قامت بها (لالاروك Lalla rookh)
بنت الأمير طور (أورانج زيب) من دلهي إلى
كشمير لتتزوج من الملك الشاب حاكم بخارى
وفي الطريق يسامر الأميرة وحاشيتها شاعر
من كشمير اسمه « فرموز » يقص عليهم
أربع قصص شعرية ، وتقع الأميرة في حب
ذلك الشاعر الشاب الجميل الرقيق ؛ ولكنها

الشیطان أرسل حلة عسكرية فتكت بهو بكل أتباعه على هذه الخلفية التاريخية فسج المؤلف من خياله قصة غرامية بين عاشقين في مستقبل العمر، هما: حازم وزليخة. وهذه الفتاة الشابة الجميلة تفقد رشدها عندما تسمع أن حبيبها حازم قد قتل أثناء المعركة، وتلجأ، لسوء حظها حظها، إلى هذا الدجال تسأله المعونة؛ فيضللها ويعتدي على شرفها ويقنعها أن تنضم إلى المئات من أمثالها اللاتي لقين نفس المصير على أمل أن سيشفع لهن حين ينعم بجنة الخلد بعد الموت. وعلى لجأة يظهر حازم في قصر المقنع وتحاول زليخة بناء على أمر المقنع أن تعرفه بالبقاء معها ويتنكر لدينه الخفيف - كما تحاول النساء الأخريات بشقي الطرق - وهن يتنهن في الجنة الدنيوية التي تذكرنا بجنة الطورين في قصة Thalaba - أن ينضم لأتباع المقنع ويهرجه زليخة، وينعم بكل أنواع اللذات الحسية والجنسية، ولكن عقيدته وإيمانه الراسخ لا يتزعزعان - وبمجرد ظهور جيوش أمير المؤمنين التي جاءت لتطهر البلاد من شر الأفاق ينطوي حازم تحت رايته، وقبل الهزيمة المنكرة التي لحقت بالمقنع ذلك النبي الدجال يدعو من بين من أعوانه إلى حفل كبير يدعوهم قبيل نهايته أن يشربوا نخب مستقبل سعيد في عالم آخر، ويميط القمام عن أبشع وجه وقعت عليه عين إنسان، ويكشف لهم

أوه النبي المقنع، وله كل صفات إبليس التي تدل على أنه حقا عدو الله والبشر فهو حقود ومضلل وذئب وشرير وقاس ومحب للوقبة وبذر الشقاق بين الناس.

ولقد أتبع هذا المفهوم كاتبان آخران هما: R. Maturin في قصته الطويلة Melmoth the Wanderer (1820) وكذلك Byron في مسرحيته التي لم تتم، وعنوانها: The Deformed Transformed (1824) وموضوع قصة «نبي خراسان المقنع» مأخوذ من نبذة من حياة فائز دجال عرف باسم المقنع وجدها المؤلف في موسوعة الكتيب الشرقية المسماة Bibliothèque Orientale التي سبق الإشارة إليها وإلى مؤلفها D'Herbelot عند الكلام عن قصة بكفورد «الرائق»، فنقلنا عن هذا المرجع ظهر هذا الساحر الأفاق في ولاية خراسان في القرن الثامن الميلادي، وادعى كذبا وبهتاناً أن الوحي هبط عليه وكلفه رسالة يؤديها نحو البشر في كافة أرجاء العالم؛ ولذلك سيعمل مكائلاً للقضاء على كل أنواع الظلم والاستبداد والخرافات التي تعانها البشرية - ووعد أتباعه ومن يؤمنون به بجنات النعيم، ورحمة بأبصار مرئية من قوة النور الرباني الذي يشع من جبينه كان ينطى وجهه دائما يحتاج من شاش فضي اللون - وعندما انكشف أمره وتبين أمير المؤمنين الخطر من وجود رسول الشر وعبد

Of your foul race, and without
fear or check,
Luxuriating in hate avenge my
shame,
My deep-felt, long-nurst loathing
of a man's name :
Soon at the head of myriads, blind
and fierce
As hooded falcons, through the
universe
I'll sweep my dark'ning, desolating
way,

weak man my instrument, curst
man my prey..

وبمجرد سماعه بالمرزبة الساقطة التي متى
بها أتباعه يقفز إلى وعاء كبير مملوء بالقار
المخل فيموت تورا ويذوب كل جسمه ؛ فبقى
ذكراء - كما كانت حياته - سوادا في سواد .
أما زليخة فتأني كرامتها إلا أن تثار من
نفسها بسبب ما لحقها من عار وبمجرد أن
يقع نظرها على حازم تضع النقاب الفضي الذي
كان يستعمله المتع فيقتلها حبسها حازم
ولا يدرك خطاه إلا بعد أن تقع جثة هامة
بين ذراعيه .

لقد نجح مور أكبر نجاح في جبلك تلك
القصة ومثيلاتها من قصص في مجموعة
Lalla Rookh بالطابع للشرق فنال الثناء
والإعجاب من قارئيه ومن النقاد الذين شهدوا
له بذلك على صفحات الجرائد والمجلات ويقول
في ذلك يايرون Byron في رسالة خاصة
أرسلها كتبتة :

آخر أعن طبيعة أمره وحقيقته. وفي مرارة الألم
من شدة الصدمة عند ما تيسوا أنهم لم يعبدوا
إلا شيطانا رجيا يتدمون ، ولات ساعة
مندم فقد قضى الأمر والموت منهم قاب
قوسين أو أدنى لأن الخمر كانت قد مزجت
بالسم الزعاف وفي هذه الحالة يستمعون على رغم
أنوفهم إلى ما ينصب عليهم من إهانات ولعنات
متتالية جراء الضلالة وبس المصير . .

Dreadful as it was to see the
ghastly stare,

The stony look of horror and despair,
Which some of these expiring
victims cast

Upon their soul's tormentor to the
last ;

Upon that mocking Friend, whose
veil, no rais'd,

Show'd them, as in Death's agony
they gaz'd,

Not the long promis'd light, the
brow, whose beaming

Was to come forth, all conquering,
all redeeming,

On its own brood.

ولننظر إلى اقتباس آخر يتضح منه كيف
أن هذا الشيطان في صورة إنسان لا يكتفى
بإراقة الدماء معها كثرت ولكن كان مه
دائما أن يفر بالنفوس البرية ويفتك بها
حتى يملأ الدنيا بؤسا وتعاثا - وما هو
في خلوة من نفسه يصرح بهذه المعاني يقول .

Soon shall I plant this foot upon
the neck

وهما قصتان شرقيتان رومانيتيتان ، وقد أخذ مادتهما من مصادر شرقية .

وعلى الرغم من أن مور Moore لم يزد الشرق بنفسه ؛ فإنه كان شغوفا جدا ببلاد الشرق ، وبحياة أهلها الفكرية والأدبية . وكان هذا دافعا له على البحث والتحصيل الباثم الذي مكّنه من إعطاء صور حية وحقيقية عن أهل تلك البلاد وحياتهم . وكان مولعا بإعطاء تفاصيل كثيرة عن كل شيء يذكره في قصصه الشعرية يتعان بعفائد وعادات الشرقيين في شكل تفسيرات ومذكرات ولقد استعان في كتابه Lalla Rookh بما لا يقل عن ثمانين كتابا عن الشرق . وهذا الإخلاص مع الدقة في البحث والاطلاع الواسع حقن ما لمجموعة قصصه الثرية من أمانة في الرأي وحيوية في التعبير ، وأضنى على إنتاجه الأدبي طابعا شرقيا ممتازا .

ولنقرأ ما قاله المؤلف : ت . مور نفسه في هذا الصدد :

"... My own chief work of fiction (Lalla Rookh) is founded on a long and laborious collection of facts. All the customs, the scenery, every flower from which I have drawn an illustration, were inquired into by me with the utmost accuracy and I left no book that I could find on the subject unransaked.

You have caught the colours as if you have been in the rainbow and the tone of the east is perfectly preserved. (1)

والفضل في ذلك يرجع إلى قوة خيال المؤلف وقوة ملاحظته فقد نجح في تصوير المناظر والمعادات والطابع المحلي بشكل يفوق كثيرا بعض المؤلفين الذين زاروا الشرق ذاته ولقد شهد بذلك الرحالة في عصره وبعض المستشرقين . وكان أسطع برهان على ذلك أنها ترجمت إلى الفارسية وكان الشعب يتغنى بها في شوارع أصفهان ولقد ظهر منها ما لا يقل عن عشرين طبعة . وترجمت إلى عدة لغات أوروبية منها : الألمانية والإيطالية والفرنسية ؛ فلا عجب إذ علنا أن المؤلف تقاضى من الناشر مبلغ ثلاثة آلاف جنيه إلمبرى وهو أكبر مبلغ دفعه ناشر لآى مؤلف في ذلك الحين . وفي كل هذا دلالة واضحة على مبلغ تقدير الشعب . واستجابة الشعراء والأدباء لحركة الاستشراق التي ارتطمت منذ البداية بالحركة الرومانتيكية أو حركة التحرر من جمود الأدب الكلاسيكي وبجانب Moor كتب Lalla Rookh قصتين بالشعر هما :

The Epicurean (1827) ;

The Loves of the Angels (1823)

(1) Letters and Journals of Lord Byron (1904)

IV, p. 148. (ed.) R. E. Prothno.

ما يتعلق به استمر حتى ألف أشهر قصصه الشعرية Daon Jaun التي امتدت فصولها من عام ١٨١٩ إلى عام ١٨٢٣ . وكان العنصر الهام في كل هذه القصص هو العنصر الرومانتيكي الخاص بالحب والمغامرة ، مغامرات خياله أحياناً ، ومغامرات الحب الذي لا يعرف حدوداً ، ولقد لاقى كل هذه القصص الشرقية التي عبر فيها ببساطته وإخلاصه عن ذكرياته العزيزة وتجاربه العجيبة في بلاد تختلف عيشة أهلها اختلافاً كلياً عن عيشة التحفظ والرياء والدبلوماسية والأرستقراطية وغير ذلك من القيود التي كان بايرون يضييق بها جميعاً فيلجأ إلى الشرق الهادئ الوديع لينعم ، ولو في أحلام اليقظة ، بنسيم الحرية بعيداً عن حقائق الحياة المرة .

ويمجدد بنا أن تشير هنا إلى المرحلة المدهشة التي كان بايرون يكتب فيها هذه القصص ، وإلى الإقبال المدهش على قرائتها من شعب كان ينتظر هذا النوع من القصص الرومانتيكية التي تجرى حوادثها في بلاد السحر والجمال ، ويكون أبطالها شخصاً جريئاً يعشق الحرية في كل معانيها ويقدر جمال الطبيعة وجمال النساء ويخاطر بحياته للحصول على ما يريد . وجلا غامضاً له مبادئ تبدو غريبة من وجهة نظر الإنجليز الذين يقدسون تعاليم الكنيسة ويطيعون أوامرهما طاعة عبياء بدون تفكير ، ولكن البطل

Hence arises that matter-of-fact adherence to Orientalism from which Sir George Ouseley, Colonel Wilks, Carne and others, have given me credit." (1)

لورد بايرون وتأثره بالشرق :

الشاعر الذي أختتم به هذا البحث هو: لورد بايرون، وهو كما نعلم، من أشهر شعراء الحركة الرومانتيكية في إنجلترا ، إن معرفته بالشرق لم تعتمد على الكتب الكثيرة التي كان مولعاً بقراءتها منذ طفولته لحسب ؛ بل على تجاربه في ربوع تلك البلاد التي كان يشير إليها دائماً كبلاد السحر والجمال. لقد قام برحلة عام ١٨٠٩ وكان شبه جزيرة البلقان في ذلك الوقت ضمن الإمبراطورية العثمانية ، ولذلك التفت ألبانيا وغيرها بآثار الثقافة الإسلامية التي كان يرعاها الأتراك في ذلك الحين، ولقد أثرت مشاهداته في تلك الرحلة على خياله وعكسه وانعكس ذلك الأثر العميق في مؤلفاته الشرقية التي أكسبته الشهرة والمجد فيما بعد .

وأمها قصصه الشعرية المشهورة وأولها :

The Giaour عام ١٨١٣ .

The Bride of Abydos عام ١٨١٣ .

The Corsair عام ١٨١٤ .

The Siege of Corinth عام ١٨١٦ .

واهتمامه بالشرق وشغفه الشديد بكل

(1) J. Russell, The Memoirs of Thomas Moore (1853), VII, 2.

strictly preserved and so picturesquely exhibited." (1)

أما المصادر التي اعتمد عليها في الحصول على المادة والمعلومات عن الشرق وثقافته وعادات أهلها وتراثهم الأدبي والفكري فكان يأخذها من كتب الرحالة والمستشرقين أمثال W. Jones, S. Ockley والقصاص الشرفية المترجمة خصوصاً بمجموعة قصص ألف ليلة وليلة والتقصص الشرقية الإنجليزية وأهمها قصة بكفورد (الرائق) التي سبق الكلام عن تأثيرها في أعمال لورد بايرون.

هذا التقدير وهذا النجاح الباهر الذي لقيه قصص بايرون الشرقية امتد بعد ذلك إلى مؤلفاته الأخرى التي لم تكن تظلم إلى الأخرى من آثار الطباعة الشرقية وجه الحياة الشرق وعاداته.

ولكن من حيث المادة والموضوع والجو العام لا نستطيع الحكم بأنها شرقية في جوهرها فلا يسعنا هنا إلا الإشارة إليها فقط وهذه هي:

Manfred (1817) Cain (1821),
The Deformed Transformed (1824)
والحقيقة أن هذه المؤلفات تحتوي على كثير من الأبلهة وهكرة الصراع بين الشر ومثلا في الشيطان وأعدائه وبين الخير ومثلا في الشخص الذي يكافح ليحمي نفسه من إغراء قوى الشر والظلام.

• • •

(1) Works of Lord Byron, (ed) T Moore (1838) X 9.

البيروني The Byronic Hero يختلف كاية عن هذا النوع من الرجال، فنية كل صفات المؤلف الذي قنعى حياته مكافحا في سبيل الحرية والعدالة، فتراصد الاستعمار والاستبداد والنفاق — ولهذا غضبت عليه الكنيسة وحاربه السياسيون ورجال الأعمال بينما صفق له مهلبلا ومكبرا جيسل الشباب الوثاب فلا يجب أن قصته الأولى The Giaour

طبعت أربع عشرة مرة في ثلاث سنوات وظهرت الطباعات الثمانية الأولى في السنة الأولى. أما قصته The Corsair فبيع منها عشرة آلاف نسخة في أسبوع واحد، وهذا يعطينا فكرة عن تعاطف الشعب الإنجليزي لقراءة قصص تصور الشرق ومعيشة أهله سواء كانت مؤلفة أم مترجمة وسواء كانت ملزمة الحقيقة أم حرة في الخيال.

هذا الإعجاب الشديد لم يكن من جانب جمهور القراء وحدهم، بل أعجب به كثير جداً من الرحالة الذين زاروا مناطق الشرق الأوسط وكذلك النقاد والأدباء — وما هو سيرة (والتر سكوت) الشاعر القصص المشهور يشهد على ذلك بقوله :

"Exquisitely beautiful in themselves, these tales received a new charm from the romantic climes into which they introduced us, and from the Oriental costume so

١٠ - عاتمة :

يقين عما سبق أن التراث العربى فيما يختص بالابلسة وعبادة الشيطان ما هو إلا أحد روافد الاستشراق Orientalism الذى ظهرت آثاره خلال تصور الأدب الإنجليزى منذ البداية حتى نهاية الحركة الرومانتيكية .

وهذا التراث كان يزدهر وتقوى آثاره كلما ازداد الشغف والاهتمام عند الشعب الإنجليزى بوجه عام بحياة الشرق وثقافته ، فالحروب الصليبية والعصور الوسطى وقصص ألف ليلة وليلة فى أوائل القرن الخامس عشر واتساع رقعة إمبراطورية الهند فى أواخر هذا القرن وازدياد التبادل التجارى مع الشرق فى القرن التاسع عشر لى أمثلة حية لفترات وظروف توضح قوة الاهتمام بهذا التراث نتيجة للاتصال والاهتمام المباشر بحياة الشرق وأهله .

ومنذ القسم تالت آثار هذا التراث الشرقى عن طريقين ، أولهما : جاء نتيجة لتأثير مجموعة العقائد الدينية الشرقية (وأهمها الديانة المصرية القديمة والديانة الإيرانية) على التعاليم المسيحية فيما يختص باللاهوت والشياطين والحياة بعد الموت ، وثانيهما : جاء عن طريق الانتقال الثقوى للآثورات والحكايات الشرقية بواسطة الصليبيين والتجار والرحالة . بعد ذلك كانت آثار التراث الشرقى تأتى

عن طرق أخرى ، إما عن طريق مؤلفات إنجليزية تتردد إلى مصادر شرقية فيما يختص بالابلسة والأعمال الخارقة للطبيعة أو عن طريق التأثر المباشر بالأدب الشرقى ذاته :

وعما لاحظناه أثناء بحثنا هذا وجود خيوط الحركة الرومانتيكية التى التقت منذ البداية بخيوط الحركتين الأخرين وهما : حركة الاستشراق وحركة الابلسة وعبادة الشيطان ، وهكذا نشأت هذه العلاقة الثلاثية بين الرومانتيكية Romanticism والاستشراق Orientalism والابلسة Satanism وصارت تبدو واضحة فى مؤلفات ثلاثة من مشاهير الحركة الرومانتيكية وهم : بكفورد ، ومور وبارون William Beckford, Thomas Moore, Byron

والمعامل الرئيسى الذى يضر لنا هذه الظاهرة الهامة هو التميز فى طبيعة ما هو شرقى فى الأدب أى أن المادة المأخوذة من بيئة شرقية تمتاز بصفات الغرابة والخيالية وأنها أجنبية منقولة من أجواء بعيدة ، وهذه الخصائص هى ما يعبرون عنه بهذه الصفات :

strange, fantastic, exotic

وكانت هذه الخصائص بذاتها هى ما يتجاوب بسرعة مع عواطف المولدين لروح الثورة الرومانتيكية الجسدية وخیالهم ومزاجهم وكانت حركة الاستشراق Orientalizing Movement والاهتمام بالكتابة عن

ثانيا : أن قصص ألف ليلة وليلة - وقد كانت حلقة الاتصال - ساعدت على تدعيم العلاقة الثلاثية المتبادلة بين هذه الاتجاهات الثلاثة :

Orientalism - Romanticism-Satanism
ثالثا : أن نجاح المؤلفات الشرقية ساهمت إلى حد كبير في ازدياد شهرة المؤلفين الإنجليز وبالتالي فإن هذه المؤلفات نفسها دعمت مكانة التراث الشرقي في الأدب الإنجليزي .

رابعا : إن القيمة الكبيرة للتراث الشرقي يمكن ملاحظتها حتى عند الكتاب الذين لم يهتموا بحياة الشرق ومعتقداته لأنهم اضطروا أن يجاروا تيار الاستشراق القوي لإرضاء الأغلبية العظمى من جمهور القراء .

خامسا : أن المؤلفات التي اعتمدت على التراث الشرقي كمصدر للبادة والموضوع قد ساهمت على اختلاف أنواعها في زيادة رصيد الأدب الإنجليزي بوجه عام والحركة الرومانتيكية بوجه خاص . (تمت)

دكتور محمد سمير عبد المجيد

الموضوعات والأفكار والتقاليد الشرقية التي بدأت في الأدب الإنجليزي منذ ظهور ترجمة كتاب (ألف ليلة وليلة) في أوائل القرن الثامن عشر قد وصلت أوجها (بعد ظهور الروايات) في قصص اللورد بايرون الشعرية . ولكن الواقع أن المأثورات الشرقية الخاصة بالأبله وعبادة الشيطان أكثر من أى شيء آخر في تراث العرب الأدبي هي التي ساهمت بأكثر فسطح في إنشاء ثروة القصص الخيالية

Stories dealing with the Supernatural التي تنتمي في الظهور في المدة ما بين ١٧٨٥ - ١٨٢٥ وهي الفترة المعروفة بالمصر الرومانتيكي .

وختاما - بعد هذا السرد الطويل لأثار تراث الأدب الشرقي في مؤلفات بعض الكتاب الإنجليز إبان الحركة الرومانتيكية ، نستطيع أن نقرر في إيجاز الحقائق التالية :
أولا: أن تأثير هذا التراث العربي فيما يختص بالأبله والتعاقد مع الشيطان واضح في المؤلفات الهامة لبعض الكتاب الإنجليز البارزين في الفترة المذكورة .



المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

دكتور محمد مجيب الدين الزاوي

- ٥ -

توجة وافية عن حياة الشيخ أنور شاه ،
ولمحات من خصائصه العلمية ومزاياه في
البحوث والتحقيقات التي قام بها في مختلف
الميادين العلمية والأدبية .

وتقتضي منا أمانة البحث أن نلقي ضوءاً
على حياة هذا العالم الإسلامي الكبير ومؤلفاته
ومقالاته قبل أن نتناول بالتفصيل ما جله في
كتابه « مشكلات القرآن » ، من بحوث :

ولد الشيخ محمد أنور شاه الكشميري
سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م بمدينة « دوان »
بكشمير ، وتلقى العلوم الابتدائية في قراءة
القرآن ومبادئ اللغة العربية من والده وبعض
علماء بلدته ، وسافر وهو لم يتجاوز العاشرة
من عمره إلى مدينة (ديوبند) للالتحاق
بمدرسة (دار العلوم) فواصل دراسته
في الحديث والمنطق والفلسفة والهيئة على
أيدى كبار علماء عصره مثل شيخ الهند
مرانا محمود الحسن ، والحدث الكبير
الشيخ محمد إسماعيل المدني .

وترجمه المرحوم وهو في السادسة عشرة
إلى مدينة « دهلي » عاصمة الهند ولم يلبث

نتناول هنا كتاباً جديداً في نوعه هو
الكتاب النادر « مشكلات القرآن » للعالم
الهندي الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ،
المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٢ م . ويتناول
هذا الكتاب بالبحث أهم ناحية من نواحي
تفسير القرآن ، وهي حل وإيضاح مشكلات
القرآن ، إذ يشتمل كتابه هذا ، على مائة
وتسعين آية من القرآن الكريم مأخوذة
من ٤٨ سورة ، ثم فسرهما تفسيراً تحليلياً دقيقاً ،
وألني ضوءاً جديداً على وجوه الإعجاز فيها
بفكره العميق ورأيه السديد . ومن هنا
كانت لهذا الكتاب أهمية في علوم القرآن ،
حيث يعين لونا جديداً من البحث إلى
محراب خدمة القرآن .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب
من سلسلة مطبوعات المجلس العلمي ، بداييل
بمدينة « سورت » بالهند سنة ١٣٥٦ هـ
١٩٣٧ م ، وهو يشتمل على ٢٧٨ صفحة ،
مع مقدمة قيمة كتبها الشيخ محمد يوسف
البنوري ، الأستاذ بجامعة دايل الهندية .
وقد بين في مقدمته المشتملة على ٨٤ صفحة ،

من القرآن والحديث وآثار الصحابة وأقوال العلماء في هذا الشأن .

٢ - « تحفة الإسلام » وجاء هذا الكتاب بمثابة تعليق أو استطراد على كتابه « عقيدة الإسلام » مع إضافة مباحث أخر دقيقة .

٣ - « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » وهو يحتوي على جميع ما ورد من الأخبار المرفوعة والآثار الموقوفة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام .^(١)

٤ - « ضرب الخاتم على حدوث العالم » وهو قصيدة تشتمل نحو (٤٠٠) بيت أي فيها بدلائل حادثة وبراهين فلسفية لإثبات حدوث العالم ووجود الصانع الحكيم المريد المختار .

٥ - « إكفار الملحد في ضروريات الدين » وهو كتاب فريد في باب يبحث فيما عليه مدار الإيمان والكفر وما وقع فيه من الالتباس على قناس والخطب في مسائل إكفار المسلم ، وغيره من الفوائد العلمية .

٦ - « فيض الباري على صحيح البخاري » .^(٢)

(١) وأعيد طبعه حالياً بدمشق مع تحقيق للأستاذ عبد الفتاح أبي غدة .

(٢) طبع بمصر في المطبعة الحجازية في أربعة مجلدات .

أن طار حقيقته في أنحاء البلاد ، بسعة علمه وقوة بَيانه وحدة ذكائه . ثم أسس بنفسه مدرسة عربية في « دلهي » وسماها « المدرسة الامينية » وما زالت حتى الآن تؤدي رسالتها في خدمة العلوم الإسلامية والعربية ولو في نطاق محدود . وبعد بضع سنوات انتقل الشيخ إلى مسقط رأسه « كشمير » وبدأ يحارب البدع والخرافات الشائعة بين المسلمين ويدعوهم إلى اتباع التعاليم القرآنية والإرشادات النبوية الحقة ، وأسس فيها أيضا مدرسة دينية وسماها « الفيض العام » .

ثم عين الشيخ محمد أنور شاه للكشميري أستاذا للتدريس الحديث وعلمه في « دار العلوم » « بدوبند » التي تخرج فيها ، وفي أخريات حياته أثر حياة العزلة والتعبد واتخذ « كجرات » مقرا له وقد توفي رحمه الله سنة ١٢٥٢ ١٩٣٣ م بعد حياة حافلة من الخدمات العلمية والأدبية والدينية . وله ، رحمه الله ، مؤلفات عديدة في مختلف العلوم الإسلامية والآداب العربية ، وكان يجيد التأليف باللغة العربية إلى جانب براعته في اللغتين الفارسية والأوردية . ومن مؤلفاته في اللغة العربية :

١ - « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » وهو كتاب حافل ببيان حياة عيسى عليه السلام ويحتوي على أدلة وافية

ومؤلفاته الآخر في شتى نواحي علم الحديث
بمختلف اللغات . وقال عنه العلامة الشيخ
« شير أحمد العثاني » شارح صحيح مسلم :
« لم تر الميون مثله ولم ير هو مثل نفسه » .
وكان متبحراً في علوم الرواية والنداية ،
وعالماً في علوم القرآن والسنة والفقه والكلام
والبلاغة والأدب والتاريخ .

ومن منظوماته في اللغة العربية : أريجوزة
في ضوابط الفقه الحنفي وأخرى في معارف
الحديث ومنظومة قيمة في مسألة إثبات
وجود الصانع الحكيم ، وقصيدة طويلة
في مدح الرسول ، وله منظومات أخرى
في الحكم والأمثال والمراثي لبعض شيوخه .
وقد استمد ذوقه الشعرى من والده الذي
كان شاعراً مجيداً في الفارسية ثم ارتوى
الشيخ من كتب الشعر العربي ، ولما زار
السيد رشيد رضا دار العلوم بديوبند أثناء
زيارته الهند التقى بالشيخ محمد أنور شاه
وتباحث معه في مختلف المسائل العلمية
والدينية ، وقد أثق الشيخ رشيد على مهارة
المرحوم أنور شاه في علم القرآن والحديث ،
في المقالات التي نشرها في القاهرة بعد عودته
من الهند .

ويكتب الشيخ محمد يوسف البنوري
في مقدمته للكتاب التي سماها « بتيمة البيان
لمشكلات القرآن » في معرض تعريفه به

٧ — « العرف المذنى على جامع الترمذى » .

٨ — « بطل اليمين لنيل التفردين » ،
ويتناول المؤلف فيه مسألة الاختلاف بين
الأئمة في رفع اليمين ، وأتى فيه بأدلة كل
فريق ، ثم بين أن الاختلاف بينهم في الأفضلية
مقط لا في سنته أو حرمة .

٩ — « فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب »
وهو رسالة حاوية لما في هذا الباب من الأدلة
على مسألة قراءة فاتحة خلف الإمام .

١٠ — « كشف السر عن صلاة الوتر »
وهو بحث رائع في حقيقة صلاة الوتر ،
ومذاهب الأئمة فيها مع بيان أدلة كل منها ،
ومنشأ الخلاف فيما بينهم وكشف قوائدهما
ومغزاهما .

وتبلغ مؤلفاته في اللغة العربية وحدها
عشرين مؤلفاً (١) . وكلها بحوث قيمة تدل
على سعة طنه ودقة نظره في مسائل الأئمة
في مختلف المسائل الفقهية ، وأما براعته في علم
الحديث فواضح من شرحه على الصحيحين
(١) ظم الدكتور محمد رضوان الله
الأستاذ بجامعة صيكرة الإسلامية بالهند
بإعداد رسالة عن المزايا العلمية للشيخ
محمد أنور شاه الكشميري وقال بها درجة
الدكتوراه عام ١٩٦٦ ، وهو الآن يعد بحثاً
عن مؤلفات الشيخ الميرى لتقديمه إلى جامعة
الأزهر لنيل درجة (الدكتوراه) .

الامر على الناظر ويظنها متعلقة بالموضع الأقرب وهو بعيد، وإن لم يظفر بشيء تنحل به العقدة في كلام الأعلام كان بطليل النظر ... فإذا منح له سائح استفادته في تذكرته تحت الآية .

فبكذا قد استفاد أوابد من الأبحاث العزيرة النادرة واصطاد شوارد من المشكلات التي أفلت أبوابها على جهاذة القوم حتى اجتمعت (له) ذخيرة وافرة ومادة غزيرة بمدة آيات مشكلة . ولكن كان الشيخ رحمه الله دقيق النظر قوى الحس سريع الانتقال عامض المسلك واسع الباع رحيب العلم يقبى شكل قلما يقبى لثله إلا أفذاذ من الأعلام ، فتوسعت مشكلاته بسعة معلوماته ، ثم مع هذا كان مولعاً بالإيجاز والاختصار .

لم يكن دأبه أن يترسل القلم في الإيضاح والتفصيل ثم كان يترسل قلبه في بسط المادة . وإذا كانت المادة غزيرة والأبحاث مشكلة والعبارة موجزة جداً ، يفتر الناظر إلى إنفاذ الوسع واستفراغ الجهد في جملة جملة لا جرم لا تستأنس الطبائع العامة بأمثال هذه التأليفات في العصر الحاضر ، وتقتصر الأذهان عن شأوها البعيدة . وأضاف يقول مشيراً إلى حاجة هذه المقدمة الإيضاحية : « فلم يكن من دأبه إيضاح الإشكال وتصوير المقال ، بل كان يبدى رأيه جواباً لما كان يحسه هناك

وبيان الكيفية التي تم فيها تأليفه : » ثم إنه اشتدت عنايته في أواخر عمره بالتزويل العزيز وكان يقول : والقرآن المجيد أحق بحل المشكلات من الحديث وإن مشكلات الحديث لا تبلغ مشكلات القرآن فالعناية بها أخرى أن تكون أشد وأقوى .

... وكان من شريف دأبه في شهر رمضان أنه كان يتلو القرآن المجيد بغاية تدبر وإمعان فكان يقضى يومه كله من بعد صلاة الفجر إلى أن تغرب الشمس في تلاوة جزء واحد ، فبكذا كان يحتم القرآن مرة في شهر رمضان . ثم في أثناء تلاوته إذا تلبس على مشكل كان يتوخى ويتفقد أو لا حله من مظانه من أسفار أحيان الأامة من زبر التفاسير أو غيرها ، إن لم يكن له شيء في خزائنه حافظته الجامعة لتفانيس الدرر ، فإن طفر في كلامهم شيء مفيد قيده ببعضه وهو قليل ، أو لخصه في عبارته وهو كثير ، أو أحال على المراجعة إليه برمز الصفحة وهو أكثر ، وإن زاد عليه شيئاً أو تعقبه برأى مصيب ضمه إليه . ولما كان من غزارة المادة وسعة الاطلاع في منزلة قاصية لا يدرك متنهاها ربما أكثر من حوالات الكتب ، وكثيراً ما يلبس الفرض الذي أحيل عليها ، وربما ضاق نطاق المقام بإكثار الحوالات ، فكتب الحسالة بعيدة عن الموضع الذي نيطت به فيشبه

(٢٢) القصص (٢٣) الصنكوت (٢٤) الروم
(٢٥) لقمان (٢٦) الاحزاب (٢٧) يس
(٢٨) الصافات (٢٩) الشورى (٣٠) الزخرف
(٣١) الفتح (٣٢) الحاقة (٣٣) الجن
(٣٤) المزمل (٣٥) القيامة (٣٦) الطارق
(٣٧) الأعلى (٣٨) الكافرون (٣٩) الطلاق
(٤٠) السجدة (٤١) الحجرات (٤٢) ق
(٤٣) الذاريات (٤٤) النجم (٤٥) القمر
(٤٦) الرحمن (٤٧) الحديد (٤٨) القلم (٤٩) .
ومن الغريب أن الشيخ المؤلف قد فر
بعض الآيات باللغة الفارسية ثم أحالها إلى عبارات
كتب التفسير التي يعتمد عليها في توضيح
معاني تلك الآيات وحل مشكلاتها مع أن
معظمها قد فسرهما وحل مشكلاتها باللغة العربية
مباشرة . وإليك نموذج من أسلوبه في تفسير
الآيات وتحليلها .

قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل » . قال في البحر ،
وفي مصحف عبد الله : (رسل) بالتنكير
وبها قرأ ابن عباس وقطان بن عبد الله
ووجهها أنه موضع تبشير لأمم النبي صلى الله
عليه وسلم ، وتطويع يسير لأمته في معنى الحياة
(أي للذين همجوا بسماع خبر موته) ومكان
نسبة بينه وبين البشر في ذلك وهكذا يتصل
في أماكن الاقتضاء بالشئ الاقتضاء به ، ومنه
(١) هذا الترتيب تابع لانتخاب الآيات
الواردة في كتاب المؤلف .

من الإشكال ، فهذا الأمر أصبح منشأ
لإخفاق الطلبة ، بل أمثال العصر عن أن
يستفيدوا من مؤلفاته التي ملئت جواهر
قيمة ولآله عالية ، لكنها في مطاوى البحور
ومعادن الصخور . فكان يتكلم بما يليق
برتبته السامية لا ينزل عنها كثيراً ، وكان
رأيه في الإيجاز والاكتفاء بالمقصود . كما قال
ابن التديم : « النفوس أطال الله بقاءك تشرب
إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى الغرض
المقصود دون التطويل في العبارات » .
وأنتهى مقدمته ، بعد أن أتى على جهود المجلس
العلمي المذكور في إخراج هذه الذخيرة إلى حيز
الوجود . بقوله : « وأمرني بتأليف مقدمة
تلائم هذا المؤلف الجليل بما يحتوي على أشياء
تفيد بصورة في هذا الكتاب وفي هذا الفن ،
وأن أذكر فيها ما وصل إليه على من فوائد
الشيخ ما يليق بهذا الموضوع ... » .

وذكرنا أن كتاب ومشكلات القرآن ،
يحتوي تفسيراً وتحليلاً لمعاني مائة وتسعين آية
من ٤٨ سورة ، وهما تلك السور :

- (١) الفاتحة (٢) البقرة (٣) آل عمران
- (٤) النساء (٥) المائدة (٦) الأنعام
- (٧) الأعراف (٨) الأنفال (٩) التوبة
- (١٠) يونس (١١) هود (١٢) يوسف
- (١٣) النحل (١٤) الكهف (١٥) مريم
- (١٦) الأنبياء (١٧) الحج (١٨) المؤمنون
- (١٩) النور (٢٠) الفرقان (٢١) النمل

وعدد منها ، أى معصية بخلافها عدة من الأمثلة وهذه هى المحاورة فى إلحاق شيء بشيء لا تجسيم كاية مقابلها ، فإن المخالف إذا زعم كاية فالأحسن نقضها لا غير من معارضة ، ثم أنه لا يجوز تنكير رسل إلى اعتبار مفهومه المخالف بأن لا يخلو بعضهم ويكون بالنسبة إلى بعضهم الآخرين ، بل هو حكم على رسل غير معبودين ولا مفهوم له فى أنفسهم ، ودعوى كون جزئى تحت كلى قد تكون لا دليل عليها بخلاف التمثيل فقد لا يجوز إلى تجسيم ، ويكون إلحاقا ، وكلاهما طريقتان من الحججة عند النظر ، والأول : قياس شمول ، وليس مفيدا إلا بضم الصغرى والثانى : قياس علة ، وهو كدعوى الشيء بينة وثبت .

ثم بين المؤلف الفرق بين قوله تعالى فى حق محمد عليه الصلاة والسلام : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وبين قوله تعالى فى حق عيسى عليه السلام : ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف بين لهم الآيات ثم انظر أى يؤفكون .

فقال : ثم يحصل الآية تجوز الموت عليه صلى الله عليه وسلم ووقوعه على من خلا . وعاطب بمثلا فى حق عيسى عليه السلام من المائدة فقال : ما المسيح

و قليل من صنادى الشكور . . . وما آمن معه إلا قليل . إلى غير ذلك .

ذكر هذا الفرق بين التعريف والتكثير فى نحو هذا المساق ، أبو الفتح ، أما التسلية فى التالين فظاهر لأنه لما كان من سنة الله تقليل بسط الهداية فيه تسلية للهداة ، وأما فيما نحن فيه فيجوز إلى صيانة واعتبار مفهوم أى ، خلت من قبله رسل ، وبقي قليل ، كعيسى عليه السلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم واحد منهم ، وبالجملة هو كقولنا خرج من هذه البلدة علماء ، لا نحو جاءنى علماء ، فالمراد رسل من بنى آدم ، لا رسل من بين المرسلين ، ويحتمل أن يريد أنهم كانوا قليلين ، وإن الكرام قليل ، وهذا منهم ، والتسلية كما يكون يكون كثير على شأنه يكون بأن الخيار قليل ، كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة ، فقد ميزه الله بأن جملة منهم ، وهذا يكتفى فى التسوية ثم فى التسلية .

ولو قرر مراد أبى الفتح ، فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ، حيث قيل : ونكر رسل لكفرتهم وشياهم ، (ومن قبلك) متعلق بكذب لكان أوضح ، فكأنه أراد الشياع ولا يجوز إلى اعتبار الكثرة ، وهو أحسن عما فى تلخيص المفتاح ، أى ذوو عدد كثير وذو آيات عظام ، أو أراد أبو الفتح أن المعروف فى رد الكلية الإلحاق بأمثلة وعدة

وقد مضى زمانه عليه السلام ، وإذا دلنا على حياتهما في زمان لفقتا كلا من جزأين وقتلنا وما محمد الآية ما المسيح الآية قد خلت من قبلهما =

واختتم الشيخ كتابه بتفسير بليغ بقوله تعالى : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » فقال : قد كثّر الكلام في وجه التكرار في سورة الكافرين ، ولقد أطال فيه في روح المعاني وبدائع الفوائد ، وكتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، والذي سحّ للقلب الكسوف هو هذا فأحفظه ولا تنسنا - يريد : (لا أعبد) في المستقبل (ما تعبدون) في الحال يعني من جهة العزم والتصميم لا من جهة الإخبار عن الواقع ، وهو عدم الفعل فقط ، فإن هذا أدون من الأول وهو أبلغ وآكد فصار الكلام من جانبه صلى الله عليه وسلم هو الأشد لا يتوهم من خلافه من أجل أنه صدر كلامهم بالاسم ، وقيل : (ولا أقم عابدون ما أعبد) ، وإنما صدر به على حذف قوله :

ولا أقرب فم إن دنت لك نافع

ولا نأيا يسلى ولا أنت تصبر
عما ينتقل فيه من نفي فعل المستكلم إلى نفي فعل المخاطب ، مثلاً فيقسم الاسم أى لا كان هذا ولا هذا على طريقة جمل القصر في حين النفي كما في حديث : (إن هذا الدين متين

ابن مريم إلا رسول الآية . مخاطب في زمانه صلى الله عليه وسلم الموجودين إذ ذاك بما يجوز وقوع الموت على المسيح عليه السلام ومعنيه على من خلا ، فإذا اتحد زمانهما عليهما الصلاة والسلام . ووقع حكم تحقق الموت على من خلا من ذلك الزمان وهو واحد لا أنه بالنسبة إليه عليه السلام زمان كونه على الأرض ، كما أنه كذلك بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه مبنى على فرض موته عليه السلام وأخذه من هذه الآية نحو مصادرة على المطلوب ، وبناء على شيء قبل إثباته وأخذه في الدليل مسلماً من قبل ، وهو من أغلاط الوهم ، ولو كان بناء الآية الثانية على موته عليه السلام قبل ذلك لكان العدول إلى نحو الاستدلال بأكل الطعام وغيره من سمات البشرية في غاية السماجة والركه ، وجعل البديهي نظرياً وإقناع الناس في أمر موته عليه السلام في مفاصلة لا يتخلصون منها أبداً ، كما تقول في رجل قدم مات ، أنه يمكن موته كيف يكون مفصلة ومعملاً ؟ في الآيتين إمكان الموت لمن قبلنا ، ثم لو كان في آية وما محمد إلا رسول ، لوقعه على عيسى كما كنا متنافيين ، فإذا كان زمانهما واحداً جمعنا بينهما وقتلنا : خلا من كان قبل كليهما ، ثم إن الخلو هو من الأيام الحالية وهو باعتبار الزمان ،

عالم الملائكة

للأستاذ أحمد نصار القوصي

الكتاب لا ريب فيه . هدى للتقين . الذين يؤمنون بالغيب ... » وقال : « والمؤمنون كل آمن بالله . وملائكته ، وكتبه ، ورسله » . وعلى هذا فنحن مكلفون بالإيمان بالملائكة ، بنص القرآن ، والحديث الصحيح ، وقد قال الله تعالى : « ومن يكفر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، فقد همل ضللا مبيناً » .

الملائكة جمع ملك : علم من العوالم العلوية الغيبية ، التي لا يصل الإنسان إلى معرفة شيء عنها بإدراكه البشري ، وإنما قصارى ما يعرفه عنها معرفة صحيحة ، هو ما كان عن طريق الخبر الصادق ، من مصدر العقيدة في الشئون الغيبية ، عن الله ورسوله من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية . ونحن - المؤمنون - مطالبون بالتصديق بما أخبرنا الله به ، مما غاب عنا ، ولا ندركه بحواسنا ، قال تعالى : « ألم ذلك

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

حال بحال كقولهم الأول سواء لكن الكلام هناك بحسب الأزمنة ، وما هنا بحسب تعيين المعبود ، ولا دخل فيه للزمان من جانبه صلى الله عليه وسلم وإنما كرر قولهم لتتم القرينة وإلا لم تتم وبقيت ناقصة ، وعندما في النفي المكرر أحكام عامة لفظية ومعنوية لتكرار (لا) في نحو قوله « فلا صدق ولا صل ، والبناء في نحو « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، فصار مجموع الكلام من جانبه صلى الله عليه وسلم مؤسسا بخلاف جانبهم فإنه معاد وإخبار عن الواقع فقط لا عن عزم مؤكد » .

(يتبع)

بجى العربى اللؤلؤى

[٧]

فأوغلوا فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، أى لا فعل هذا فقط ولا هذا فقط ، ويريد من جانب الكافرين : الإخبار عن عدم الفعل في الحال فقط ، لا الإخبار عن العزم في المستقبل ، فإن مستقبلهم لا يدري فصار هذا من جانبهم غير أبلغ ، ثم قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، أى حال في الحال أنى لا أعبد ما عبدتم في الماضي ، يريد أنى في الحال أيضا لا أوافقكم على ما كنتم عليه ، فذكر ما ضيهم لأنه قد تحقق من جانبهم بخلاف جانبه صلى الله عليه وسلم ، فإنه إما حال وإما مستقبل ، وما ضيه كالحال عندهم تحت البحث ، وقوله « ولا أنتم عابدون ما أعبد »

ما يؤمرون . . ولا يعملون إلا ما عليهم الله .
 « قالوا سبحانه ، لا علم لنا إلا ما علمنا . »
 وهم متفاوتون في الدرجات عند الله ، روى
 البخاري : أن رسول الله ، صلى الله عليه
 وسلم ، قال : « جاء جبريل ، فقال : ماتعون
 من شهد بدرأ فيكم ؟ قلت : خيارنا ، قال :
 وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة ، هم خيار
 الملائكة . . ولا يصح أقسام الملائكة ،
 ولا مدة أعمارهم . ولا كيفيات عبادتهم ،
 إلا بأمرهم العليم الخبير : « وما يعلم جنود
 ربك إلا هو . »

والمقربون منهم ، شأنهم الاستغراق
 في معرفة الحق ، جل جلاله ، والتزده عن
 الاشتغال بغيره ، وقد قال الله سبحانه :
 « يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون . » كما
 حكى القرآن عنهم « وإذا قال ربك للملائكة :
 إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل
 فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن
 نسبح بحمدك ، ونقدس لك . . » وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطلت السماء
 وحق لها أن تفتح ، ما فيها موضع قدم إلا
 وفيه ملك ساجد أو راكع . »

وقد أنبأنا الله أن الملائكة يصلون على
 الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ويستغفرون
 للذين آمنوا ، « إن الله وملائكته يصلون
 على النبي . . » هو الذي يصلي عليكم

وحقيقة الملائكة : أنهم أجسام من نور ،
 مبرأة من الكثرة النفسانية ، والظلمة الحيوانية .
 روى الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله ،
 صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خلقت
 الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج
 من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم . » وقد
 فطرهم الله ، وجعلهم ذوى أجنحة ، مثنى ،
 وثلاث ، ورباع . ومن خصائصهم القدرة
 على سرعة الانتقال ، وعلى التشكلات المختلفة ،
 ولكن بالصورة الشريفة ، التي لا تحط من
 قدرهم ، وأصدق دليل على صحة ذلك ، أن
 جبريل ، عليه السلام ، كان يحمي إلى رسول
 الله ، صلى الله عليه وسلم ، في بعض الأحيان في
 صورة (حجة الكلبي) ، والرسول عليه الصلاة
 والسلام يقول إذ يتحدث من كيفيات الوحي :
 « وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني ،
 فأصي ما يقول . . ولكن الصورة التي
 يتشكلون بها لا تحكهم ، ولا يجرى عليهم
 ما يجرى على جنسها ، أي خصائصهم الملكية
 لا تفارقهم بتغير الصورة ، كما هو الحال
 بالنسبة لعالم الجن .

والملائكة بفطرتهم ، لا يأكلون ،
 ولا يشربون ، ولا ينامون ، ولا يتناسلون .
 وهم معصومون من المعصية ومخالفة الله ، كما
 أخبر الله ، عز وجل ، بذلك حيث يقول :
 « لا يصون الله ما أمرهم ، ويفعلون

ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة ،
 ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة ،
 التي كنتم تعدون . نحن أولياؤكم في الحياة
 الدنيا ، وفي الآخرة وقد أرسل الله

جبريل عليه السلام ، لمريم ابنة عمران ،
 أم عيسى ، عليهما السلام : « فأرسلنا إليها
 روحنا ، فتمثل لها بشرا سويا قال إنما
 أنا رسول ربك لأهب لك علما زكيا . .
 كما أوحى الله إلى أم موسى بما أوحى ،
 على ما ذكر في القرآن الكريم ، في قصة موسى
 عليه السلام ، وإنجائه من فرعون ، وقد
 صدقها الله وعده ، في قوله : « إنا رادوه
 إليك ، وجاعلوه من المرسلين » .

وجله في القرآن الكريم ، أن الله جل جلاله ،
 أيد رسوله محمدا ، صلى الله عليه وسلم ،
 بالملائكة في حنين : « فأزل الله سكينة
 على رسوله ، وعلى المؤمنين ، وأزّل جنودا
 لم تروها » وقال تعالى : « إذ يوحى ربك

إلى الملائكة أنى معكم فتبتوا الذين آمنوا » .
 « إذ تستغيثون ربكم ، فاستجاب لكم ،
 أنى نمدكم بألف من الملائكة مردفين » .
 « بل إن تصبروا ، وتتقوا ، وبأتوكم من
 فورهم هذا ، بمددكم ربكم بخمسة آلاف من
 الملائكة ، مومنين » . وروى الإمام مسلم ،
 عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال
 لحسان بن ثابت ، رضى الله عنه :

وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات إلى النور
 « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
 بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون
 للذين آمنوا » .

ومن الملائكة طائفة ، يدبرون الأمر ،
 من السماء إلى الأرض ، وفق ما سبق به القدر
 وجرى به القلم ، ومنهم الموكلون بالرياح
 والسحاب والمطر ، وأمور الناس ، وما يتصل
 بحياتهم ، وأزاقهم ، روى الإمام مسلم
 في صحيحه أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم
 قال : « إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة
 ثم يتصور عليها الملك الذي يخلقها (أى يفظ
 عليها) فيقول : يارب : أذكر أم أنثى ،
 فيجمله الله ذكرا أو أنثى ، ثم يقول يارب :
 أسوى أو غير سوى ، فيجمله الله سويا
 أو غير سوى ، ثم يقول : يارب ، مارزقه ؟
 ما أجله ؟ ما خلقه ؟ ثم يحمله الله شقيا
 أو سعيدا » :

ومنهم الوسائط بين الله ورسله ، يلقونهم
 الوحي برسالات الله إلى الناس ، وبين الله
 والصالحين من عباده ، بالإلهام ، أو الرؤيا
 الصالحة ، أو الرسالات الخاصة : « نزل به
 الروح الأمين ، على قلبك ، فتكون من
 المنذرين ، بلسان عربي مبين » . « ينزل
 الملائكة بالروح من أمره ، على من يشاء
 من عباده » . « إن الذين قالوا ربنا الله ،

فأمر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتصق منكم أحد إلا أمرأتك . لأنه مصيبها ما أصابهم إن موعدم الصبح أليس الصبح قريب . فلما جاء أمرنا ، جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مصومة عند ربك ، وما هي من الظالمين ببيد .

وهم يدخلون بيوت المؤمنين ، ويحوسون خلالها ، ففي الصحيحين أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » . ولا يتعارض لغوى هذا الحديث مع ما جاء في القرآن الكريم : « قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » . لأن هذا لا يكون ، إذا ما ظهر الملائكة للناس ، وعاشوا معهم ، وعالطوهم مع اختلاف الجنس ، أما الملائكة في خفاء من البشر ، فذلك واقع ، ولا جدال فيه .

ومن الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ، « قل يتوفاكم ملك الموت ، الذي وكل بكم » . « إن الذين توفاهم الملائكة ، ظالمى أنفسهم ... » . ومنهم الموكلون بسؤال الأموات في قبورهم ، ومنهم أشياخ إمرافيل عليه السلام ، الذي ينفخ في الصور ، ومنهم خزنة الجنان ، ومنهم الزبانية العلاط الشداد : « وجاءت كل نفس معها سائق وشيد » . « خذوه فقلوه ، ثم الجعيم (البقية على الصفحة التالية)

« إن روح القدس (جبريل عليه السلام) لا يزال يؤيدك ، ما طاشت عن الله ورسوله » .

ومن الملائكة من يقوم على تدوين أعمال العباد في الحياة الدنيا ، حتى تعرض عليهم في آخرهم : « وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تعملون » . « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا .. » . ومنهم من يحفظون الإنس من سطوات الجن ، لأنهم أعداء بنى آدم بالجنس ، وأقوى على إيصال الأذى إليهم بخصائصهم وخفائهم ، ومنهم السياره في الأرض ، ففي الصحيحين أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله ملائكة سياحين في الأرض ، فضلاء من كتاب الناس ، يطوفون في الطرق ، يلتصقون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله ، تنادوا : هلبوا إلى حاجاتكم ، فيحفظونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ...)

ومنهم من يرسله الله ، برحائه لمبادء المؤمنين : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف . شهر تنزل الملائكة والروح فيها . بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر » . كما أن منهم من يرسله لإهلاك الأمم المكذبين بالله ورسوله ، قال تعالى : « قالوا يا لوط ، إنا نرسل ربك ، لن يصلوا إليك .

ابن الهيثم

داشرة معارف عربية
مؤلفه: محمد أبو الخضر نسي

علامتنا ابن الهيثم هو : أبو علي محمد ابن الحسن بن الهيثم ، ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ الموافق ٩٨٠ م . وارتفع شأنه حتى بلغ مرتبة الوزارة في العراق في دولة بني بويه وكان ابن الهيثم يقول : إنه لو كان من أهل مصر ، مقبياً بها ، لجعل طرقاً للرى تعدل بها مياه النيل في سنى الفيضان الزائد ، وفي سنى الفيضان القليل ؛ فيكون من عمله ما يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان ، فبلغ قوله مسامح الحاكم بأمر الله . فاشتاق الحاكم إلى تحقيق ذلك ، وبعث إليه مراسييا من مال ، وأذنه برغبته في الحضور ، فهبط ابن الهيثم مصر وقابل الخليفة ، فأرسله إلى

أسوان لكي يجري فيها أعماله لتعديل الرى ، ولكنه لما وافى النيل عند شلال أسوان ورأى المياه المتدفقة المنحدرة . في شلال أسوان والصخور المضطام الصم على جانبيه ، وجد أمره لا يسير على موافقة مراده ، وتحقق الخطأ فيها وعده به . فانقلب خجلاً منخدلاً ، واعتذر بما قبل الحاكم عذره ، وأبدى الموافقة على بيانه ظاهراً ، ولكنه في طويته وباطنه كان نافذاً عليه قاتر النضب . وهكذا فارق ابن الهيثم ذلك السمو الذي اقتعد مرتبته في العراق بذات يده وأميظ عنه ما كان فيه من عز وسؤدد ، وحافت به آتذ شوائب ، وخيبات بالغة . وقد خشي

(بقية المنصور على الصفحة السابقة)

صلوه ، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فأسلكوه . . وأدخلوا آل فرعون أشد العذاب . . ومنهم خزنة النار : . عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . . .

عباد الله المكرمون ، وجنده المصومون على ما ورد عنهم في النبأ العظيم عن الله ، والخبر الصادق عن رسول الله ، وهو كما يقول الله فيه : وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

أحمد نصر القومى

وبعد : هؤلاء هم الملائكة ، عالم النور ،

كان ابن الهيثم مهلا عذبا لهلاء أوروبا في علم البصريات مثل: كروجر، وكوبرنيكس وباكون وغاليليو، وغيرهم من جله بعدهم. ولقد تحقق أن أبحاث ابن الهيثم في الضوء أوحى إلى من جاء بعده من علماء أوروبا اختراع القطارات. وقد جله في دائرة المعارف البريطانية: أن ابن الهيثم كان أول مكتشف يظهر بعد بطليموس في علم البصريات. أجل؛ فإن علم البصريات وصل إلى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم. فقد أخذ العلامة الفيلسوف الألماني (كبلر) معلوماته في الضوء، ولا سيما فيما يتعلق بالانكسار والضوء في الجو من كتب ابن الهيثم.

لقد وضع ابن الهيثم لبعض مسائل تتعلق بالضوء حلولاً واضحة مطابقة للواقع المعلوم من زمانه. فهو بحق رائد علم الضوء في عصره. وكتابه في (المناظر) وهو من أهم مصنفاته، بسط فيه وشرح موضوعات انكسار الضوء، ونشرح العين، وكيفية تكوين الصور على شبكة العين. وقد أحدث انقلاباً في علم البصريات جعل منه علماً مستقلاً له أصوله وقوانينه. بمعنى فيه نظام علمي قائم على المشاهدة، والتجربة. ولقد كان علماء أوروبا عالة على هذا الكتاب عدة قرون، واستفوا جميع معلوماتهم منه في الضوء، وهو أول من كتب في أقسام العين، وأول من رسمها

الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي كان مريضاً للدعاء بفقر سيب، أو بأضعف سبب من خيال يتخيله. لم يجد ابن الهيثم بداً من إظهار الجنون والخيال فلا يكون كالباحث عن حفته بظلمه بهذه المدحنة التي وقع فيها على غير ما توقع، ولم يزل على ذلك حتى تحقق من وفاة الحاكم سنة ٤١٣ هـ. فأظهر العقل بعد ما أميط عنه ما كان فيه من أذى وضرر وعاد يثق إلى العلوم الصباية كحالها في سيرة الأولى، وخرج من داره، فاستوطن قبة على باب الجامع الأزهر مشغولاً بالتصنيف والنسخ والإفادة، منصرفاً بكلية إلى العلم وإلى البحث عن الحقيقة التي كان غلصاً لها كل الإخلاص كان يفسخ ثمن الكتب ويبيعها ليعيش ويرزق، ففسخ أصول (أقليدس)، (والمجسطي البطليموس) وغيرهما وهكذا عاش إلى وفاته بالقاهرة سنة ٥٤٣ - ١٠٣٨ م

مات ابن الهيثم عن ٦٠ عاماً قضاهَا معتكفاً في خلوته نهاره وليله. نومه غرار كحسب الطائر، قد أشرب في قلبه العلم، وكلف به، فاهو بمنزلة من شيء من أعراض الدنيا وزخارفها. يستعذب الكد بهمة مستمرة غير نازلة، لجلي العالمين ما أوتي من علم متشعب فائض. وكنا نحن المصريين، بزوله في ديارنا وعيشه معنا، وما أنتج من مصنفات نفيسة جليلة إلى يوم وفاته، نفتخر به ونعتز.

الأرصاح الكلية، وكتابا في الفجر والشفق ،
 وكتاب صورة الكسوف ، وكتاب رؤية
 الكواكب ، وكتاب مناظر القمر ،
 وكتاب التنبيه على ما في الرصد من الملط .
 أما في البصريات فقد جمعت أبحاثه في سبعة
 مجلدات، وترجمت إلى اللاتينية، وطُبعت هذه
 الترجمة في مدينة (بازل) من أعمال سويسرا .
 هذا هو ابن الهيثم مفرخة الشرق العربي .
 وفريدة درر علومه . كما هو غر مصر ،
 وجانب من وجود مجدها الخالد . بما قدم
 وأسبغ من آثار باقيات، ومعدنات باهرات ،
 وخدمات جللت أقدارها ، فيما حبر ونشر
 من أنواع المعارف الإنسانية ، وما أسدى
 من أبحاث مبتكرة كان هو أبا عذرتها ،
 ورثتها الأجيال من بعده إلى يومنا هذا
 وما تلاءم

محمد أبو الفخر مصطفى

بوضوح تام ، ووضع أسماء لبعض أقسامها
 أخذها عنه الإفريج وترجموها إلى لغاتهم ،
 كالشكية ، والقرنية ، والسائل المائي ،
 والسائل الزجاجي . وبحسب في قوى تكبير
 العدسات فهد بهذا ؛ السبيل إلى استعمال
 العدسات في إصلاح عيوب العين .

كان تاج العلماء ابن الهيثم عبقرى ، متوقد
 الفريجة ، صبورا وقورا ، خصب الإنتاج .
 أدبت مصنفاته على المائة ، في الرياضيات :
 الحساب والهندسة ، والطبيعة ، والفلك .
 تذكر منها ؛ كتاب (شرح أصول إقليدس)
 في الهندسة والعدد، وكتاب (الجامع في أصول
 الحساب) ، وكتابا في المساحة على جهة
 الأصول ، وكتابا في تربيعة النائرة ،
 وكتاب استخراج ما بين البلدين من البعد
 بجهة الأمور الهندسية وكتاب مساحة الكرة،
 وكتابا في المرايا المحرقة ، وكتاب

العلم

• يرع الله الدين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون

خير . .

من أخلاق الرسول: المكافأة على الجميل

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

لئن كان في البشر قوم يمتازون بكمبر العقل ، وأصاله الفكر ، وبمجاهة الطبع ، وسمو الفطرة وطهارة القلب ، وصفاء النفس ، ومكارم الأخلاق ، وبمحاسن الأفعال ، ومقابلة الإحسان بالإحسان .

ففي الذروة من هؤلاء أنبياء الله ورسوله الكرام ، ولا سيما عاتمهم وصفوتهم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فقد وهب من المكارم والفضائل ، والأخلاق العالية ما لم يؤثر غيره ولا غرو ، فإن من كانت رسالته عامة للناس جميعا عربهم وعجمهم ؛ وأبيضهم وأسودهم ، وتصدى لهذابة الخلق على تباين فطرهم ، وأذواقهم وطبائعهم وبنائهم لا بد أن يكون في خلقه رحابة لمؤلاء جميعا ، ونحن لا نذكر أن بعض هذه الأخلاق أو

الكثير منها قد أوتي به بعض الصفوة من الخلق لكن اجتماعها في شخص واحد ، وعلى حال من الكمال والجلال لم يكن إلا لنبينا محمد ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولنا بحمد أصحابه على كثرتهم ، واختلاف مشاربهم وطبائعهم وأخلاقهم كانوا يمجونه جميعا نادرا ، ويمجدون في بحر العذب الواسع ما يشقى أنفسهم ، ويروى غلظهم ، وفي موقف

من المواقف المشرفة لبعض الصحابة قال أبو سفيان بن حرب - وذلك قبل أن يسلم : ما رأيت أحدا يحب أصحابه كحب أصحاب محمد عمدا .

ولا يمكننا أن نتناول جوارب النبي الخلقية في مقال ، فذلك يحتاج إلى كتاب جزل ، ولكني سأتناول جانباً من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وهو المكافأة على الجميل :

ولا نكاد نعرف أحداً كان أعرف للجميل وأعظم مكافأة عليه مثل ما عرفنا ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف وهو القائل فيما رواه الإمام أبو داود في سننه عنه : (من أسدى إليكم معروفا فكافئوه عليه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له) ، وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله به يوم القيامة ، وما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن صاحبكم خليل الله) ، وإذا ألقنا النظر في سيرته صلى الله عليه وسلم وجدنا مثلاً علياً ، وأدبا في هذا الباب يجب أن يحتذى .

معنا - أن هواكم مع محمد . تعطى طالب بهذه الكلمة فرجع مع من رجع إلى مكة من القرشيين لما بلغهم أن المير قد أفلتت . وذكر لعنه العباس موقفه المشرف في بيعة العقبة الثانية ، واستيثاقه لأمر ابن أخيه فقد حرص على أن يحضر العقبة الثانية وهو على دين قومه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول متكلم فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج لخروجها وأوسها - إن عمدا منا حيث قد علمت ، وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا فيه فهو في عزة من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أتى إلا الانحياز إليكم والحق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعواكموه إليه ، ومافعوه من حاله فأنتم وما تعلمتم من ذلك . وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وعاذلوه بعد الخروج إليكم فن الآن فدعوه ، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده فقالوا : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلم يا رسول الله بهذا لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن ، ودعا إلى الله ، ورجب في الإسلام ، وقال : (أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) فأخذ البراء بن معرور يديه وقال : نعم فوالذي بعثك بالحق لنمنعك عما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فمنعنا والله أبناء الحروب ، وورثناها كابرا عن كابر ، فقام

ففي غزوة بدر الكبرى التي كانت أولى المشاهد في الإسلام ، وألقى نصر الله فيها الحق على الباطل ، والهدى على الضلال لم يفسد النبي - وهو يبعث القوى ويشجع الهمة ، ويثبته العزائم للقتال - وصاحه بأناس خرجوا مكرهين إلى القتال بحكم العصية الجاهلية ، وكانت لهم مواقف مشكورة في منع النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته من أذى قومه ، أو مساح حيدة في رد الظلم والظلمانيان ، فقال لأصحابه يومئذ : (إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغورهم قد أخرجوا مكرهين لا حاجة لهم بقتالنا ، فن لى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لى أبا البخترى ابن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لى العباس بن عبد المطلب هم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكرها) . ولا تحسبن أن الرسول بهذه الرخصة أراد أن يحاى أهله ، وذوى قريبه ، فقد كانت نفسه الشريفة أسى من ذلك وأرفع وإنما هو عرفان منه للجميل ، فقد عرف لبنى هاشم منعمهم له ثلاثة عشر عاما ، وانحيازهم لأجله في الشعب ثلاثة أعوام عجاف ، حق جهدوا وأكلوا ورق الشجر ، مما يؤكد أن خروجهم إلى بدر كان على سبيل الاستكراه إذعانا لحكم العصية الجاهلية آتخذ ، ولذلك لما قال أحد القرشيين لطالب بن أبى طالب : والله لقد عرفنا يا بنى هاشم - وإن خرجتم

ولما جرى "باخته من الرضاع - وهي الأشياء
بنت السيدة حليلة السعدية - في سبابا هو وزن
وتعرفت له ، وتعرف عليها بسط لها رداءه
وقال لها : (إن أحببت أقمت عندي
مكرمة محبة أو متمك ورجعت إلى قومك)
فانتارت أن ترجع إلى قومها ، فأعطاهما
وأرجعهما معزة مكرمة .

وقال أبو الطفيل : رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى
دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه ،
فقلت من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعتني
وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من
الرضاع فوضع له بعض ثوبه ، فقعده عليه ،
ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه
الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من
الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأجلسه بين يديه .

وكان صلى الله عليه وسلم يبحث إلى ثوبه
مولاة أبي لهب - وهي مرضعته قبل قدوم
السيدة السعدية - بصلة وكسوة ، فلما ماتت
سأل : (من بنتي من قرأبتها) ؟ كي يصلهم
فقيل : لا أحد .

وفي سفر الهجرة لما خرج للنبي هو
والصديق من الغار وتوجها ومن معها إلى
المدينة مروا بخيمة أم معبد ، وكانت امرأة
تخرج إلى الرجال وتحدث معهم مع التصون

أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ،
إن بيننا وبين الرجال اليهود - حبالا - يعني
صودا إنا قاطعوها ، قبل حصيت إن فعلنا
ذلك ثم أظفرك الله أن ترجع إلى قومك
وتدعنا ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال : (يل الله الله ، واللهم اللهم ،
أنا منكم وأنت مني ، أحارب من حاربتني
وأسلم من سلمت) ثم قال : (أخرجوا إلى
منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم
بما فيهم) فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا :
تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، فقال
لهم : أنتم على قومكم كملاء ككمالة الحوارين
لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ١١
وذكر لابي البخري أنه كان له ضلع كبير
في قفص الصحيفة الغائمة ، وهي التي كانت
تعاهدت فيها فريش على مقاطعة بني هاشم
وحصرهم في الشعب حتى يسلبوا لهم محمدا
وبتحلوا عنه ، وعلقوها في جوف الكعبة
وهي حنة لا ينساها النبي قط ، ولم يكن
أبو البخري من بني هاشم ولا تربطه بالنبي
قربة قريبة ، وإنما هو السمو الخليل والإنساني
يأبى إلا أن يقابل الجليل بخير منه .

ويبلغ من سمو أدبه صلى الله عليه وسلم في هذا
أنه لما قدم وفد لتجاشي قام النبي صلى الله
عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نحن
نكفيك هذا ، فقال : (إنهم كانوا لأصحابنا
مكرمين وإنني أحب أن أكافئهم) ١١

مليح الوجه ، لم تعب ثجلة - ضخامة البطن -
ولم تزربه صعة - صعر الرأس - قسم وسيم -
في عينيه دمع ، وفي أشفاره وطف ،
وفي صوته حمل - بحة خفيفة - أكحل أزج
أقرن ، في عنقه سطح ، وفي لحيته كشاة ،
إذا صحت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه
البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا تزرو ولا هذر ،
كأن منطلقه خرزات نظم يتحدون ، أبهى
الناس ، وأجمل من بعيد ، وأحسنه من
قريب ، ربه لا تنساه عين من طول ،
ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ،
فهبو أنظر الثلاثة منظرأ ، وأحسنهم قدأ ،
له رفقاء يحفون به . إن قال استمعوا لقوله ،
وإن أمر تبادروا لامره ، فقال زوجها :
هذا والله صاحب قريش الذي تطلب . ونسوقها
الأنفاد هي وابنها إلى المدينة . فتعرف ابنها
على الصديق ، وقال لها : هذا هو الذي كان
مع الميارك - يريد النبي - فسألت الصديق
عنه ، فدلهما عليه فأدلت وحسن إسلامها ،
وقد وهبت لرسول الله شيئا من أقط ومناج
الأعراب ، وعرف لها رسول الله هذه اليد
في الهجرة فكافأها عليها أحسن مكافأة
وكساها ، وأعطاهما عطاء من لا يخشى الفقر ،
وأكرمها وابنها لإكرام من يمازى الإحسان
بالإحسان ويكافئه على الجليل بخير منه ، وهذا
قليل من كثير من مكافآته صلى الله عليه وسلم
على حسن الصنيع ؟

محمد بن أبي شهبه

والعفة ، وكانت تحب قضاء قبتها ، ثم تسقى
وتطعم من يمر بها من المسافرين ، فهي مثل
مشرف للرأة العربية ، ولم تكن قد أسلمت
حينذاك . ولم تكن تعرف النبي صلى الله عليه
وسلم ، ولكنها توسمت فيه البركة والخير ،
ووصفته وصفاً يئم عن الفتنة ، وسعة العقل ،
وبعد النظر فسألها النبي : هل عندها لحم أو
لبن يشتريه منها ؟ قالت : لو كان عندي شيء
ما أعوزكم القرى . وأخبرتكم أن القوم يجدون
مرملون فنظر النبي في جانب خيمتها فقال :
(ما هذه الشاة يا أم معبد ؟) قالت : شاة خلفها
الجلبد عن الغنم ، قال : فهل بها من لبن ؟ قالت :
هي أجهد من ذلك قال : (أتأذنين لي أن أحلبها) ؟
قالت : إن كان بها حلب فاحلبها ، فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فحلبها ، وذكر
اسم الله ، ومسح ذرعها وذكر اسم الله ودعا
بإتائه لها فحلب فيه ثمأ حتى ملأه وأرسله إليها ،
فسقاها وسقى أصحابه ، حتى إذا رويوا شرب
آخرهم وقال : (ساقى القوم آخرهم) ، ثم حلب
فيه ثانياً عوداً على يده ، فنادره عندها ثم ارتحل
هو وأصحابه ، فلما جاء زوجها أبو معبد يسوق
أعزأ هو إلا قال لها : من أين هذا اللبن يا أم
معبد ؟ ولا حولي في البيت والشاة غائب . فقالت :
لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من
حديثه كيت وكيت قال : صفيه لي فوالله إني
لأراه صاحب قريش الذي تطلب . فقالت :
رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة ، حسن الخلق ،

الدميري وحياة الحيوان للأستاذ محمد جواد البتا

- ٢ -

كتاب ، ولكن الدميري لإحساسه باختلاف
منهجه عن سواء لم يشر إلى أنه سيكمل ما بدأه
الجاحظ أو أنه سيستأنس بمنهجه عند تأليف
كتاب ، ذلك أنه أدرك تميزه عن الجاحظ
بالاعتماد على استفراده المتابع لما حوله ،
ومشاهداته الفنية التي استفادها من أسفاره
المديدة ، فضلا عن هضمه لكل معارف زمنه
وسنتابع الآن منهجه كي ندرك الفرق بينه
وبين منهج الجاحظ .

منهج الدميري في حياة الحيوان :

مع أن الدميري حرص منذ البداية أن يدفع
عن كتابه قضية الشمول والاستيعاب حتى
يجبر ما يقع فيه من نقص أو خلل فقد رماه
المحدثون بالتقصير ، وأخذوا عليه أنه أغفل
ذكر بعض المواد ، وأوجز القول في بعضها
مثل مادة « البهة » ومادة « القرعوش » فلم
يزد على أن قال في الأولى : إنها البقرة
الوحشية ، وعن الثانية إنها الفيراد الغليظ (١) .
كما أخذوا عليه النقص الواضح في (البرمائيات)

(١) الدكتور حسين فرج زين الدين في
- مقدمة طبعة التحرير لحياة الحيوان - .

الزاعم أن « الجاحظ » هو الرائد الأول
لتصنيف أول كتاب في التاريخ الطبيعي لا
يكاد يجانب الصواب ، ذلك أن نظرة إلى
كتاب « الحيوان » كافية للتدليل على هذا
الزعم ، وإن كان الكتاب قد اهتم بفقه اللغة
والتحرر ، ومعاني الأسماء أكثر من عنايته
بالتأنيص الوصفية لأنواع الحيوان (١) .
ولقد كان على الشيخ كمال الدين الدميري - وهو
يجمع مواد مؤلفه حياة الحيوان من مصادر
المتعددة ، والتي بلغت على ما ذكر في مقدمة
الكتاب تسعة وتسعين ديوانا من الشعر
العربي ، وستين وخمسة من الكتب العامية
أن لا يغفل كتاب الجاحظ ، بل كثيرا ما
يلجأ إليه ، ويشيد به في مواضع مختلفة من

(١) هكذا لاحظ جايكار - أحد أساتذة
كلية طبى بالهند - ويضيف الدكتور حسين
فرج زين الدين : أن الكتاب يشتمل إلى
جانبا ما ذكره جايكار على تجارب خاصة
أجرها الجاحظ على الحيوانات المختلفة وكان
في كل تجربة يسير على نهج خاص - دائرة
معارف الشعب - مادة حياة الحيوان .

يقول : - والكلام في المقدمة - « هفت عند ذلك : في بيته يؤتى الحكم ، وبإعطاء القوس ياربها يقين الحكم ، وفي الزمان سابق الخيل يرى ، وعند الصباح محمد القوم السرى ، واستخرت الله تعالى ، وهو الحكيم المتان ، في وضع كتاب في هذا الشأن ، وسميته « حياة الحيوان » -

الدميرى ، إذن ، لم يمكن من مهاذلة هذا اللون ، ولا هو ممن يدعون فهمه وحظه كذلك فأسس هذا العلم « للتاريخ الطبيعي » لم تكن قد اتضحت بعد ، وكتاب الجاحظ ، كما أوحنا ، لم يكن يعنى بالنواحي التي نحاها الشيخ الدميرى في كتابه - وإن كان الكتابان قد اتفقا في بعض النواحي مثل بث الأشعار ، ورواية الأخبار ، وقصص الأحداث ، والنص على ما يحرفه العامة والخاصة من الكلمات والاستعمالات . . . تناسى علماء الحيوان المحدثون النظر إلى معارف القرن الثامن الهجرى الذى عاش مع أيامه الدميرى وفيه ألف كتابه (١) أليس في هذه الأسباب مفردة ومجتمعة ، ما يدفع عن الدميرى وصحة النص وإثم الغفلة ، وعلى أية حال يكنى الدميرى أنه غير مسبوق - بنهر كتاب الجاحظ - في هذا الباب وأنه كان رائدا لما كما تردد

التي لم يتناول منها سوى الضفدع والعجور : « ذكر الضفادع » والشفدع : « الضفدع الصغير » ، (١) .

وأعظمهم تغافلوا عن منهج الرجل الذى أوضحه في سبب تأليفه الكتاب حينما قال في المقدمة : « وبعد : فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه ، ولا كلفت القرينة تأليفه ، وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع في بعض الدروس ، التي لا غنى فيها لعطر بعد عروس ذكر « مالك الحزين » و « الذئب المنحوس » ، (٢) ، لحصل في ذلك ما يشبه حرب البسوس ، ومزج الصحيح بالسقيم ، ولم يفرق بين نسر وظليم . إلى أن

(١) الدكتور محمد رشاد الطويل في بحث له بتراث الإنسانية ٧٧٩ - ١٠ المجلد الثالث .

(٢) مالك الحزين : قال الجواهري : لأنه من طير الماء . قال الدميرى : وهذا الطائر لما كان يقعد عند المياه التي انقطعت من الجرى وصارت عذونة سمي مالكا ؛ ولما كان يحزن على ذهابها سمي بالحزين . وهو طائر طويل العنق والرجلين وهو ينشل الأسماك من الماء فيأكلها ، وهي طعامه وهو لا يحسن السباحة ٥٦٤ ح الحيوان ثان ط التحرر .

أما الذئب بكسر الذال وأثناء ذئبه والجمع ذيوخ وأذباغ وذئجه فهو ذكر الضباع الكثير الشعر نفس المصدر ص ٦٤٢ أول .

(١) ينظر عدد رمضان ١٣٨٦ هـ من مجلة الأزهر - مقالنا عن الدميرى .

ملتفتين إلى ناحية طالما أغفلها الذين تعرضوا للكتاب بالدراسة ، تلك هي الناحية الأدبية التي تفرقت بين فصول الكتاب ، وسنعرض صوراً موجزة منها قبل أن ننتقل إلى قضية إحياء الكتاب وبمته والتي من أجلها عقدنا هذا البحث منذ بدايته .

صور أدبية من حياة الحيوان .

أزاح الهمزى السار عن مشاهد وصفية جديدة صورها الشعر العربي عما غفلت عنه بعض الكتب والدواوين الشائعة في العربية . ذلك لأننا نعودنا أن نقرأ فيها شعر النسب والفزل وأهازيج الحنين إلى الديار والأطلال وعقود المديح للحكام والأمراء ، والتفاخر بالأنساب والأحساب وكريم الخصال وأغنيات الطبيعة ، ووصف ما بها من محاسن الخلق ، وآيات الجمال ، ودموع الرثاء ؛ كل هذا نقرؤه ونستظهر بعينه ونغفل عن بعض ولكننا قليلاً ما كنا نقرأ في هذه الدواوين الشائعة أمثال هذه المقطوعات بل والقصائد الكاملة التي ساقها الهمزى بين طيات كتابه في وصف الحيوان وتسجيل شيء من عاداته وطبائعه ، فهو مثلاً يمثل بهذا البيت عند ذكر الباري :

وكم طيب يفوح ولا كسك

وكم طير يطير ولا كبازي

علماً القرب على مائتته الحافلة كما سنبين فيما بعد . وبالرغم من أن الهمزى نقي عن نفسه قضية الأصول والعموم - كما أوضحنا - فقد استطاع أن يضمن كتابه كل المعلومات التي زخر بها عصره عن الحيوان ، ولكي يتحقق له ما أراد لجأ إلى الترتيب المعجمي فبدأ بالهمزة ، مثلاً ، مستوعباً كل ما بدأ بهذا الحرف من الحيوانات والطيور والحشرات . وهكذا فعل مع بقية حروف المعجم الأبجدي ورغم أنه وعدنا منذ البداية أنه عقد هذه الفصول كي يكشف للثمن عن بعض المعلومات التي تتعلق ببعض الحيوانات والطيور التي خفي على الناس أصلها وأنواعها وخصائصها ، إلا أنه استطرد إلى أشياء كثيرة ، خرجت به عن منهجه الذي ارتضاه وحدده في مقدمة كتابه ؛ ولعله أراد أن يقبل كتابه - كما هو شأن الموسوعات العربية العامة - بأشتات مختلفات من القصص والسير والأشعار والأمثال والقنوات والفوائد مما أعطى كتابه قيمة أدبية غير قيمته العلمية التي اشتهر بها في الأوساط الأدبية والعربية على السواء . وما نحن ثلاركون عرض المنهج العلمي وتقدمه للتخصصين^(١) من علماء الحيوان

(١) في - بحث تراث الإنسانية - الذي أشرنا إليه عرض مفصل لهذا المنهج للدكتور الطولي فليرجع إليه من أراد .

إذا لم يكن للبر في دولة امرئ
نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بنى لها غير أنه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها
فقال المأمون : اصطه يا غلام ألف دينار
ثم قال : هي لك في كل سنة ما دام قصرنا
حامرا بأهله .

ويقول الدكتور حسين فرج زين الدين :
والدميرى إذ يستشهد بالشعر المتصل بالمادة
إنما يؤيد العلم بالأدب - ففي مادة (الضب)
يقول : إن بينه (بمعنى الضب) وبين (المقارب)
مودة ولذلك يؤيد في حجره لتلعب المتحرش
به إذا أدخل يده ، ثم أورد قول الشاعر :

وأخضع من ضب إذا جاء حارس
أعد له عند الذبابة عقربا
فهذا البيت من الشعر يحمل ما يؤيد المعنى
العلمي لنظرية التكافل أو التعايش .
أما القول بأنه يورد أبياتا من الشعر
لا تمت إلى الحيوان بصلة ، مثل ما أورد
من قول ابن دريد :

جمعت له كفى بالرمح طاعنا
كما جمع الخلمين في الضب حالب
فإن الدميرى إنما أوردته ليؤيد به معنى
آخر لكلمة (الضب) وهي أنها تمنى أيضا
أن يجمع الحالب خلق الناقة في كفيه عند
حلبها . وهذا من المعلومات المطلوبة . ثم إن

وفيه إشارة واضحة إلى سرعة طيران هذا
الطائر ، وهو يستدل ، على أن الحيوانات
عديمة الفائدة تكون كثيرة النتاج ، بالبيت
الذي يقول :

بناث الطير أكثرها فراحا
وأما الصقر مقللة نزور
وهو يدل على تصور الشعراء لصوت
البلبل وتفريده :

وبلبل الدوح تصيح على
أيكة والشحورود تمنام
ثم هو يدل على أن الاشرار من الناس
في مرتبة الأفاعى والثعابين :

من استنام إلى الاشرار نام وفي
قيصه منهم صل وثعبان
ومن الطرائف الشعرية التي اتخفنا بها
ما كتبه على قصر المأمون أصرا في جانيه
يعبر فيه عن حقه على الترف الذي يمجج به
هذا القصر بينما هو لا يجد ما يقبلج به
من القوت الضروري :

يا قصر جمع فيك الشوم والقوم
مق يعيش في أركانك السجوم
يوم يعيش فيك اليوم من فرحى

أكون أول من يتعبك مرغوم
فإننا علم المأمون بقصته أرسل إليه وسأله
عما فعل فقال : أو ما علم أمير المؤمنين
بما قال الشاعر ؟ قال : وما قال الشاعر ؟ قال :

الدميرى حين يتكلم عن الطاووس يورد وصف شكله الظاهري أى «المورفولوجيا» فى أبيات عذبة حيث يقول الشاعر :
 كأنه فى نقشه عروس
 فى الريش منه ركبت فلوس
 شرقى فى داراته شمس
 فى الرأس منه شجر مفروس
 كأنه بنفسج بيبس
 أو هو زهر حرم بيبس^(١)

ومن الشعر اللاهى ما رواه عن أبى الحسن ابن سكرة الهاشمى فى طليح يعرف بابن برغوث :

بليت ، ولا أقول ، بمن لائق

متى ما قلت من هو يشقوه
 حبيب قد نعى عنى رقادى
 فإن أغضبت أبغضت أبوه
 ولم يكن اختيار الشيخ الدميرى قائما على الذوق الفقهى الذى اشتهر به كعالم من علماء الشافعية ، أو الذوق الصلى الذى ارتضاه منها لكتابه ، وإنما هو ذوق الشاعر الذى قال الشعرون إن يكن لفظا والذى عاض بحوره زماً مؤلفاً عنه ومترفاً منه^(٢) فهو القائل فى الشعر الاخلاقى أو التعليمى معضنا من الكتاب الكريم :

بكلهم الاخلاقى كن متخلفاً
 ليفوح من ثمالك العطر الشذى
 واحدك صدقك إن صدقت صداقه
 وادفع عنوك «بالتى» فاذا الذى .
قضية أحياء الكتاب :

تعرض كتاب حياة الحيوان فى نسخته الكبرى لعدة طبقات مختلفة من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم وهذه الطبقات كلها تنفق فى الرذالة وعدم النظرة العلمية عند التحقيق وسنطلى من النصوص ما يؤيد ذلك بعد أن تبين طبقات الكتاب فى العالم العربى

طبقات الكتاب فى العالم العربى :

كانت أولى الطبقات فى العالم العربى هنا فى القاهرة سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) فى المطبعة الاميرية ببولاق وطبها مقدمة بقلم مراجعها محمد العندوى . ثم أعيد طبعة سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) وقد راجع هذه الطبعة وصححها أحمد الصباغ ، وكلا النسختين مودعتان بدار الكتب والرائق القومية ثم طبعت هذه النسخة الكبيرة بالمطبعة الميمونية فى سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) وقد ذكر المؤرخ هوارث فى سنة ١٩٠٣ أن هذه النسخة الكبرى طبعت بالقاهرة ست مرات ، وتقول دائرة معارف الشعب «عادة حياة الحيوان .. ولا شك

(١) ص ١٦ ح الحيوان ط التحرير .

(٢) فى مقائنا السابقة ذكر جملة مؤلفاته .

مختصراته

تعرض الكتاب في نسخته الكبرى إلى جملة من العلماء والمتخصصين في أنحاء العالم الذين هذبوه واختصروه من ذلك - كما ذكرت دائرة معارف الشعب مختصر تحت عنوان - حاوي الحسان من حياة الحيوان - أقول : ولعلها النسخة الصغرى إذ أن فهارس مكتبة باريس للخطوط العربية - على ما ورد في البائنة ، تذكر أن هذه النسخة الموجزة (١) من تأليف الدميري دون أن تشير إلى أنه مختصر من المختصرات .

وثمة مختصر آخر عنوانه (عين الحياة) من عمل أحد تلامذة الدميري وهو محمد بن أبي بكر عمر بن أبي بكر بن محمد الخزومي الدمايني المالكي ، وقد وضعه بعد خمسة عشر عاما من موت الدميري ٨٢٣ هـ . وقد ذكر أنه استمع إلى أصول الكتاب من فم مؤلفه . وقال : إنه مع الاحتفاظ بالتبويب الأصلي للنواد ، وبالعناوين الواردة تحت كل مادة ،

(١) قال الدميري : لأنه فرغ من مسودة النسخة الكبرى في شهر رجب القدر من سنة ٧٧٣ هـ ومن النسخة المبيضة في شعبان من سنة ٨٠٥ هـ . ومن المعروف أنه توجد نسختان من حياة الحيوان ، كبرى وصغرى ، والكبرى هي التي اهتم بها العالم العربي واعتمد عليها وتواتر طبعها عدة مرات .

في أنها طبعت بعد سنة ١٩٠٢ م أكثر من مرة ، - كنت لا أجد في دار الكتب المصرية ، ولا في المكتبة الأزهرية ولا في المكتبات العامة المبثوثة في القاهرة وضواحيها غير الطبعات المذكورة التي طبعت خلال القرن التاسع عشر ، ويكون غير منصفين إذا وجهنا نقداً أو لوماً إلى مراجعي هذه الطبعات ؛ فلقد كان القرن التاسع عشر معنى بحركة الإحياء العامة متمثلة هذا الإحياء في الطبوع والمراجعة ؛ أما القرن العشرون فطالب بما هو فوق هذا الإحياء ، من التحقيق العلمي ، والمراجعة الدقيقة ، والدراسات العميقة حول النصوص ، وسرى فيما بعد أن الكتاب طبع خلال السنة الماضية (في النصف الأخير من القرن العشرين) طبعة لا تكاد تختلف في جملة الأغلاط مع طبعات القرن التاسع عشر .

الطبعات في غير البلاد العربية

ورد في معجم سر كليس (طبعة ١٩٢٨ م) أن كتاب حياة الحيوان طبع في بلاد فارس سنة ١٢٨٥ هـ مع صور ورسوم جميع الحيوانات الواردة فيه وكذلك صور بعض الآدميين من ذكروا في الكتاب . وتوجد الكتاب كما روى حاجي خليفة في كشف الظنون - إلى الإنجليزية بقلم الكرنيل جاينكار أحد أساتذة كلية بمباي بالهند وطبع في لندن ١٩٠٦ - ١٩٠٨ م .

لأجل أن الكتاب يحتاج إلى التحرير بما به من خرافات . لست أقول بالحذف فذلك ما لا تقتضيه الأمانة العلمية ، وإنما بالتنبيه في الهوامش والمقدمات على ما يتفق مع روح التجريب العلمي وما لا يتفق . ولا خير أبداً على الشيخ الدميري من هذا التحقيق الذي يخضع لنظرة جديدة تفرضها معارف الزمن الذي نحياه . فلقد كان الرجل - رحمه الله - مرآة صادقة لمعارف عصره وما قد انتهى عصره ، فلماذا يفرض علينا ؟ ثم لماذا نعرضه على غيرنا من الأجيال المقبلة ؟ هذه واحدة أما الأخرى ، فإن الكتاب مشحون بالأحاديث الضعيفة ، والموضوعة ، ولو ذهبنا لنستقصي ما جاء منها منقولاً عن كتاب الدعوات وجدد لا يتنا بحث حول الموضوع جديد . ولا جدل أن مثل هذه الأحاديث الموضوعة والاسمار الإسرائيلية محتاجة هي الأخرى إلى نظرة واعية فاحصة تنبه على الضعيف والسقيم والمعتل ، حتى لا يختلط الطيب بنور الطيب ، ويعلم الربيع على ما ينفع الناس .

محمد جاد البنا

فإنه قد حذف من الأصل كل البحوث الفلسفية ، والدينية ، والاقتباسات الشعرية ، والقصص الأدبية ، بحيث أصبح المختصر - على صورة موجزة - في متناول الجميع .

وذكرت الباترة أيضاً - أن (وستنفلد) يقول : إنه يوجد مختصر للكتاب كما توجد منه مخطوطات في برلين وباريس - وإن كان وستنفلد لم يذكر اسم كل مختصر واسم واضعه - وثمة عدة مختصرات يضيئ الوقت عن ذكرها . فالذي بعيننا من ذلك كله أن الكتاب ظل منذ وضعه الدميري إلى اليوم محل عناية من علماء الغرب والشرق الذين أدركوا قيمته العلمية ، وفائدته الأدبية ، فذبوه واختصروه وحققوه ، وأضافوا إليه أحياناً . ولكن بما يؤسف له أن هذه المختصرات والطبعات المهدبة المحققة لم تصل إلى خرائن مكنتاتنا العربية ، فقد قدر للكتاب أن يتفرق مختصراته ومخطوطاته بين مكنتات أوروبا بينما حرمت مصر عهد المؤلف من نسخة محققة حتى اليوم ^(١) .

(١) من الإنصاف أن نذكر بالتحديد مختصراً من وضع لجنة في وزارة الإرشاد القومي يسمى بالختار من حياة الحيوان للدميري ، وجداً لو أضيف إليه مختارات أخرى محققة ومهدبة .

ما يقال عن الإسلام

الإسلام والعرب

لأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

ISLAM AND THE ARABS — BY ROM LANDAU

الإسلامية إلى اسطنبول . وحملت تركيا راية الإسلام ، ولكنها حكمت العرب حكما استعماريًا ، حتى لم يكن يسمح للعرب أن يتولوا مناصب الحكم أو الجيش ، فقصت أظافرهم ولم تبد منهم بادرة الخروج على حكم الأتراك وحزبت الدولة العثمانية على العرب حجابا كثيفا بمنعهم من الاتصال بالتطور الحاصل في أوروبا في أثناء القرون من السادس عشر إلى التاسع عشر ، وهو تطور خطير بعد انقلاها بل ثورة في العلم والصناعة والثقافة . وفي الوقت نفسه اكتفى العرب بتزويد ما كان معروفا عندهم من علوم وفنون ، لم يحدثوا فيها أي تقدم ، على العكس سارت في طريق التأخر والجمود .

ثم إن تركيا نفسها أدت دورها التاريخي ، ودبت الشيخوخة في أوصالها ، حتى أصبح للعرب يسميا بالرجل المريض . وتوجهت أنظار الغربيين إليها تريد الانقضاض عليها ، وتقسيم التركة فيما بينهم ، وبدأ ذلك

ظهور العرب على المسرح العالمي في هذا القرن حدث من أخطر الأحداث التاريخية ، غير ميزان القوى بين الشرق والغرب ، ويشير العرب في الوقت الحاضر بثلاث صفات أساسية : التحدث باللغة العربية ، والتدين بالإسلام ، والاعتقاد على تراث حضاري مشترك . والعرب بهذا التعريف ينتشرون في دول تمتد من المغرب على المحيط الأطلسي إلى الكويت على الخليج الفارسي ، وتضم هذه الدول ما يبلغ المائة مليونًا من السكان ؛ يعيشون على ثروات هائلة من زراعة ومعادن وبترول .

وكان العرب المسلمون فريسة للاستعمار الأجنبي منذ القرن التاسع عشر ، فوكت معظم بلادهم تحت براثن الاستعمار الإنجليزي والفرنسي ، وكانت هذه الدول جميعا قبل ذلك ، ومنذ القرن السادس عشر واقعة تحت حكم الأتراك العثمانيين ، بعد انتصار السلطان سليم على الغوري في مصر ، ونقل الخلافة

٢٢٧ وبحن : « إن مشكلات العالم العربي الحديث إنما يمكن فهمها في ضوء ماضيها التاريخي ، وصلتها بتعقيدات عالمنا الحديث ، ولو أن هذه الحقيقة بديهية تنطبق في جميع الأحوال ، غير أن هذه القاعدة تحتاج إلى تأكيد عند ما ننظر في أمر المشرق الذين ارتبط مصيرهم بمشككتين عظيمتين في عصرنا الحاضر ، وهما : انتقال الشعوب التي كانت ذات يوم مستعمرة إلى السيادة الوطنية ، ثم الصراع بين إيديولوجية الشيوعية والغرب ، ولا يمكن التماس حل في الدول العربية لأي مشكلة من هاتين المشككتين دون الرجوع إلى ماضي العرب نفسه » .

وهذا الكتاب لمؤلفه صاحبه أساساً للقراء العرب بل لبني جنسه ، أراد أن يعصرهم بالمشكلة الراهنة في الشرق الأوسط ، فاضطر إلى عرض تاريخي سريع العرب والإسلام منذ ظهوره حتى اليوم ، فتحدث عن العرب قبل نبوة محمد وعن النبي والقرآن والإسلام ، وعن عصر الخلافة أمي الأمويين والعباسيين ومن الخلافة إلى نهاية المئتين ، ثم أفرد فصلاً خاصاً للحروب الصليبية ، وفصلين عن شمال أفريقيا والاندلس ، وتحدث في خمسة فصول عن الشريعة والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وأنهى الكتاب بالعالم العربي كما هو عليه في الوقت الحاضر .

بغزو نابليون لمصر في ختام القرن الثامن عشر .

ولما كان الاتجاه العالمي المعاصر نحو التحرر والاستقلال ، فلا جرم تسمى الدول العربية إلى تحقيق هذا الهدف ، وبذلك في سبيل ذلك دماء ، وقامت ثورات ، وانهى الصراع الدامي إلى انتصار الثورة العربية ، ولا تزال الحركة دائمة بين المستعمرين وبين العرب حتى الآن .

ومن الطبيعي أن يسمي المفكرون في الغرب إلى بحث هذه الظاهرة التاريخية وتحليل العناصر التي تتكون منها قوة العرب ، ومن جعلها بل على رأسها الدين الإسلامي ، حقاً كان العرب موجودين في الجاهلية قبل الإسلام ، ولكنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، حتى نزل الإسلام في قلب الجزيرة العربية ، ومنها انتشر إلى أرجاء العالم بسرعة سريعة ، فكان الإسلام هو البذرة الحيوية التي فضحت الحياة في العرب فلا غنى للباحث عن حقيقة وضع الدول العربية من الخليج إلى المحيط في الوقت الراهن من أن يرجع إلى تاريخ هذه الدول منذ ظهور الإسلام .

وهذا ما فعله الأستاذ روم لاندوا في كتابه عن الإسلام والعرب ، الصادر سنة ١٩٥٩ ، والذي يقع في زهاء ثلاثمائة صفحة ، ومن أسف أنني لم أطلع على هذا الكتاب إلا الآن بعد صدوره بسبع سنوات . يقول في صفحة

كان المؤلف منصفاً في حكمه على أن انتشار الإسلام لم يكن لغاية اقتصادية ولا بنية الاستعمار ، بل العمل على نشر الدين الجديد وما جاء به من تعاليم تنمّية على رأسها تحرير الفرد من العبودية ، سواء عبودية الأصنام والوثنية ، أم عبودية لغیره من البشر الذين كانوا يسترقونه ، ويبيعونه في الأسواق كاتباع الأغنام .

لجوهر الإسلام أنه لا عبودية لأحد من الناس لأن الله وحده هو المستحق للعبادة . ترك الإسلام للواطنين الحرية الدينية ، ما داموا من أهل الكتاب ، بشرط أن يدفعوا الجزية ، التي كانت تظل كثيراً مما كانوا يدفعونه حين كانوا يخضعون للدولة البيزنطية .

ثم ترك لهم حرية الاختيار بأن يدخلوا ، إن شاءوا ، في الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، ولم يلبث أن دخل الرعايا المسيحيون بسحق إرادتهم في الإسلام هرباً من دفع الجزية ، وحتى يكونوا على قدم المساواة في المواطنة مع رعايقهم ، فضلاً عن اقتناعهم ببساطة تعاليم الدين الخالية من تعقيدات العقيدة المسيحية في التثليث والألغام وغير ذلك .

حرص المؤلف أن يمرض وجهة نظر المسلمين أنفسهم ، دون إبداء رأى فيها ، وهل

حقاً إن كتاباً في هذا الحجم لا يمكن أن يستوفي البحث في هذه الأحداث التي تطلعت على مسرح الزمن أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، ولكن براعة المؤلف ذللت العرض ، بما جعله يستخلص الزبدة واللباب ، ويقع على الأصول دون الفروع ، فهو بجمرة فلم يذهب إلى أن الإسلام دين بساطة وتوحيد مطلق ، وأن الصلاة استسلام لإرادة الله ، وأن الحج قوة موحدة للمسلمين المتناثرين على سطح الأرض من الصين إلى أمريكا ، وأن الزكاة طريقة على الأغنياء تعطي للفقراء ولا يمكن أن تنقح الصفحات إلا لذكر بعضه سطور عن كل موضوع ، وكان من الطبيعي أن تعد موازنة بين الإسلام والمسيحية في أكثر من موضع ، فظراً لأن الدين الجديد حين ظهر في القرن السابع الميلادي انتشر على حساب دول مسيحية كثيرة ، حتى أصبح العالم في الوقت الحاضر موزعاً بين هذين الدينين فيما عدا البوذية والكونفوشيوسية المنتشرتان في الهند والصين واليابان ، وقد انتصر الإسلام حيناً من الدهر ، واستمر بضعة قرون حتى الحروب الصليبية ، عند ما أراد المسيحيون استعادة الأراضي المقدسة ونزلوا بالفعل في فلسطين ، وظل النزاع طوال قرنين انتهى إلى انحسار هذه الموجة الصليبية التي وضع لها صلاح الدين الأيوبي حداً .

يوافق عليها أم لا يوافق، كما أنه عرض وجهة نظر المسيحيين، حتى يكون موضوعيا .

هناك بالطبع نقط التقاء بينهما تتعلق بالإيمان بالله ورسله والخلق والبعث في اليوم الآخر . ولكن ثمة نقط كثيرة للافتراق ، على رأسها المفهوم الخاص بالله وصفاته . ذلك أن روحانية الله أساس الإسلام ، وتتخذ هذه الروحانية في المسيحية صورة الثثيت ، الآب والابن والروح القدس . والإسلام وحى من الله في قرآنه الذى هو كلام الله ، والمسيحية وحى من الله عن طريق الابن عيسى المسيح . المسيحية تقوم على محبة الله .

والإسلام يستند إلى الإيمان بقدرة الله . ومن ثم لا يشعر المسيحي بأن الخشوع لله ضرورى للنجاة والخلاص ، وإنما المطلوب منه اعتقاد بالله ومحبة ليبلغ درجة الاتصال به . على هذا النحو من الموازنات يمتضى المؤلف فى تقرير سائر وجوه الخلاف بين الملتين الكبيرتين ، بهذه النظرة الصائبة النافذة ، مع روح الإنصاف .

كل هذه المقدمات التاريخية تمهيد لتفسير موقف الدول العربية فى الوقت الحاضر ، كيف ظفرت بالاستقلال ، وانتزعت هذا الاستقلال من براثن الاستعمار على الرغم مما كابوا عليه من تخلف شديد . وهذا التحرر دليل كما يقول المؤلف على وجود حيوية

عازقة وصلابة عجيبة ، كما أنه دليل على استمرار بقائهم فى المستقبل .

فمن أين جاءت هذه الحيوية والصلابة ؟ لا شك من العنصر الأساسى الذى منه يتكون العرب وهو الإسلام فى بساطته ودعوته إلى الحق والتقوى وطهارة النفس ، كان ذلك زمان قوة المسلمين فى صدر الإسلام ، وسيكون ذلك ليوم بعد التجديد فى الدين ، والدعوة إلى الاجتهاد ، والملاءمة بين تعاليم الإسلام والأفكار العلمية والفلسفية الجارية ، وهما دعوة بدأت منذ القرن التاسع مع جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده . ومحمد بن عبد الوهاب ، والنسوى .

حقا هذه النهضة ليست على حد سواء فى كل الدول العربية ، إذ من الطبيعي أن تتأثر بالبيئة الخاصة فى كل دولة وبظروفها ، فليست الجزائر مثلا كالعراق ، ولكن الهدف واحد هو السور بعد الاستقلال فى طريق التقدم الاجتماعى ، واضعين أيديهم معا ، فى منظمة واحدة نبشت بعد الحرب العالمية الثانية ، هى جامعة الدول العربية ، التى تنسق بينهم ثقافيا واجتماعيا وسياسيا .

ولم تكد تلوح فى الأفق منذ القرن التاسع عشر نزعة العرب التقدمية والتحررية ، حتى فكر العرب ، وبالذات فرنسا وانجلترا اللتين اقتسمتا الدول العربية فيما بينهما ،

بالتحرر السياسى ، لأن التقدم الاجتماعى يكسب الأمة قوة تستطيع بها أن تقف في وجه الاستعمار . غير أنه اتضح من التجربة التاريخية أن وجود الاستعمار نفسه عبة كثود في سبيل التقدم المنشود . ولذلك انتهى أمر المفكرين إلى أن الأولى حل المشكلة السياسية أولا . وقد اتبعت مصر والجزائر والراق وسوريا ، هذا الأسلوب الثانى ، وتخلصت أولا من سيطرة الاستعمار لتتفرغ بعد ذلك إلى إصلاح أحوالها الداخلية وإحداث التغيير الاجتماعى المنشود . ونجحت بالفعل إلى حد كبير في صنع هذا التغيير ، تبهراً عن الإرادة الحرة للدولة ، حين تحررت باقفل من تدخل الأجنبي وسلطانه . ولكن المؤلف يرى أن العكس هو الصحيح ويلوم في ص (٢٣٩) الدول العربية لإقامتها كل الحبل نحو عدوها الأكبر وهو إسرائيل وعدم التفرغ الكافى لحل مشكلة القضاء على التقاليد البالية والأخذ بالتقدم العلمى والصناعى الحاضر ، أو على التخلف بين أهل الريف والمدن ، أو مشكلة الهوية السحيقة بين جماعة كبار الملاك وبين جمود العمال والفلاحين وما يقع عليهم من فقر وظلم اجتماعى .

وقد غاب عن ذهن المؤلف أن وجود إسرائيل نفسه ، هذا الخطر الدائم المستمر ، هو الذى يعوق إلى حد كبير التفرغ لحل

في إنشاء محور ارتكاز للاستعمار يكون شوكة في ظهر العرب وموئلا يعتمد عليه ، فكانت تلك الشوكة لإسرائيل ، التى دبر أمرها في آخر القرن التاسع عشر ، وأخذت وعدا بوجودها في أثناء الحرب العالمية الأولى مثلاً في وعد (بلفور) المشهور ، واستمرت بالفعل دولة اعترفت بها الدول الكبرى ومنها روسيا السوفيتية سنة ١٩٤٨ .

إن إنشاء دولة إسرائيل في قلب الوطن العربى صرفهم عن التفرغ للمشكلة الثانية التى ينبغي عليهم حلها ، وهى التقدم الاجتماعى وقطع مسافة التخلف الشاسعة بينهم وبين التقدم العالمى الهائل في العلوم والمعارف والصناعات . فهم في شغل شاغل بصدد عدوانها ودفع أطماعها في التوسع ، والدول الاستعمارية تعمل من وراءها وقد انكشف أمر هذه المساعدات العدوانية سنة ١٩٥٦ .

كان أمام العرب مشكلتان : إحداهما سياسية هى مكافحة الاستعمار والتخلص من آثار التبعية ، والأخرى اجتماعية وهى العمل على الرقى وتغيير المجتمع . واختلف المفكرون والمصلحون والساسة أيهما تسبق الأخرى المشكلة السياسية أم الاجتماعية .

وذهب البعض إلى القول بأن التقدم الاجتماعى من تعليم وتغيير في التنظيم البالية وتدريب على الصناعات كل ذلك ينتهى

من الحكم الأجنبي ومن الاضطهاد لا يزالون
باقين أصلاً كحقيقة قومية وثقافية . إن هذا
البقاء وحده يوحى بأنهم يملكون صلابة
وحياة فريدين .

إن هذه المعجزة التي يتحدث عنها المؤلف
من استمرار العرب في البقاء كأمة لها قوميتها
هي هي المعجزة التي ستيسر لهم النصر والتقدم
واستعادة ما كان لهم من دور تاريخي
في الحضارة العالمية . وسيكون ذلك بأسرع
ما يتصور بعد أن انطلق المارد العربي
واستعاد وعيه بنفسه وإيمانه بذاته .

أحمد فؤاد الأهواني

هذه المشكلات ، والعرب لا يمكن أن يغيب
عن بالهم عدوان تلك الدولة على (سينا) طمعا
في الاستيلاء عليها لولا تكاتف العرب جميعا
في رد ذلك العدوان .

وقف المؤلف في كتابه إلى سنة ١٩٥٩ ،
وقد تمسك للتاريخ عن أحداث خطيرة منذ
ذلك الوقت حتى الآن ، لم تكن في حساب
صاحب الكتاب ، فهو يقول في الخاتمة
(ص ٢٧٦) : إنه على الرغم من أن خطوات
التقدم العربي الحاضر أسرع بكثير مما سبق ،
فلا مناص من مرور أجيال متعددة قبل أن
يحقق الشرق الأدنى التوازن المطلوب .
بل إنها لمعجزة أن العرب بعد مئات السنين

« العرب »

| | | | | | |
|-----------|---------|----|-----|-----|------|
| م قوي ، | وم أصل | وم | نسي | إذا | أنسب |
| وم مجدى ، | وم شرق | وم | حنى | إذا | أرهب |
| وم دعى ، | وم ترمى | وم | سنى | إذا | أغضب |

إنشاء جامعة الأزهر

الحاصلين على الشهادة الثانوية الأزهرية .
وتطبيقاً لنصوص قانون تطوير الأزهر تقرر:
عدم إنشاء شعب جديدة، أو أقسام جديدة تتبع
الجامعة إلا بعد الدرس وتوفير الوسائل .
كذلك تقرر دراسة تصحيح أوضاع معهد
الدراسات العربية والإسلامية الذي أنشئ
في الأزهر ، وتحويل الطلاب في شعبتي
الصيدلة وطب الأسنان إلى كلية طب جامعة
الأزهر ، واعتماد ثلاثين ألف جنيه لتجهيزات
كلية الطب ، وبالنسبة لمشاكل هيئات
التدريس تقرر :

النظر في مشكلة الترفيات بوضع الحلول
المعجلة التي تؤدي إلى إضفاء العلماء وغيرهم
وإنجاز مباني الجامعة .
وأصدر سيادته التوجيهات التالية في شأن
سياسة الأزهر :

● المشاكل الموجودة هي من طبيعة
خطة الإنشاء لكن يجب عدم زيادتها بعدم
المواجهة الفورية لها ولا ينبغي - عند المقارنة -
القياس بمشاكل الآخرين .

● لا بد من مداولة اجتماعات عمداء الكليات
فيما بينهم لإيجاد وحدة فكرية بينهم .

● يجب الإعداد لمواجهة العام الدراسي
القادم من الآن على أن تكون كل الكليات
مستعدة في موعد أقصاه شهر مارس .

دأب السيد أمين هويدي وزير الدولة
لشئون الأزهر على عقد اجتماعات مع كبار
المستولين في الأزهر للنهوض برسائله .
وقد تقرر في أحدهذه الاجتماعات الانتقال
إلى مراكز العمل لمعرفة مشاكل المعاهد
الدبية على الطبيعة ، وضم عدد من المعاهد
الحرية إلى الأزهر ، واستكمال وتجهيز المعاهد بما
ينقصها من أدوات في حدود المبرائيات المقررة
لهذا الغرض وقدرها ثمانية ومائة ألف جنيه .
كذلك دراسة موضوع لامركزية الإشراف
على المعاهد والمدارس الأزهرية وبمحة تمهيدا
للنظر في تقسيم الجمهورية إلى عدد من المناطق
حسب كثافة الخدمات بها ، وتناول الاجتماع
بحث مدة الدراسة والمناهج الدراسية في
المعاهد الأزهرية .

كما تقرر قصر القبول في العام الجامعي
القادم في جميع كليات جامعة الأزهر على
الطلاب الحاصلين على الثانوية الأزهرية
بقسميها : العلمي والأدبي ، وإنشاء معهد
الإعداد والتوجيه بعد تخرج هذه الدفعة
سنة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، وضرورة إجراء
امتحان حقيقي للحاصلين على الشهادة الثانوية
العامية بقسميها بدلا من الامتحانات الشكلية
التي كانت تتم تحقيقا للتبادل بينهم وبين

● تفريج أكبر عدد من الحاصلين على الشهادة الثانوية الأزهرية بحيث يكون القبول في جامعة الأزهر مقصوراً عليهم مستقبلاً . وقد اشترك في المؤتمر الذي أقر خطوات التطوير مع سيادة الوزير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون والسادة : كالرئيس أمين الدعوة والفكر الاشتراكي ، والسيد يوسف وزير التربية ، والدكتور النبوي المهندس وزير الصحة ، والدكتور عزت سلامة وزير التعليم العالي ، والدكتور لييب شقير وزير التخطيط ومحمد فايق وزير الإرشاد القومي ، وحسن صبرى الخولى الممثل الشخصى لرئيس الجمهورية ، وكبار المسؤولين في الأزهر .

وأعلن السيد أمين هويدى أنه كان لابد - حرصاً على مستقبل الأزهر - من مراجعة خطة التعليم فيه وتقييم تجربة التطوير التى مر عليها نحو ست سنوات منذ صدور قانون التطوير عام ١٩٦١ لئلى يمكن وضع أفضل النظم لاستمرار تقدم الأزهر ، وكان لابد من مواجهة صريحة للشاكل وبخاصة مشكلات المعاهد الأزهرية التى تعتبر (المنبع) الحقيقى الذى يغذى الجامعة .

وقال : ولذلك تقرر أن نمر بمرحلتين : الأولى : محاولة للعلاج .

والثانية : تقديم الإمكانيات اللازمة للمستقبل ، وانطلاقاً بهذه السياسة تقرر :

● إعلان سياسة القبول فى الجامعة ومناهجها وشروطها فى كتيب خاص يوزع على الطلاب وعلى المتقدمين ، ويتضمن جميع نظم الدراسة وقواعد القبول .

● ربط سياسة التعليم بالأزهر . و قبول الطلاب بالسياسة العامة للدولة .

● توحيد التنسيق بين مكتب التنسيق فى جامعة الأزهر ، ومكتب تنسيق الجامعات الأخرى اعتباراً من العام الدراسى القادم .

وأعد سيادة الوزير تقريراً هاماً عن خطوات المرحلة الجديدة لتطوير جامعة الأزهر ومعاهده .

وكان من نتيجة جهوده المثمرة أن :

● وافقت وزارة التعليم العالى على مبدأ استخدام هيئات التدريس فى الجامعات بتخصصاتهم المختلفة وتحريكهم كوحدة واحدة لخدمة كل الجامعات بما فيها جامعة الأزهر ، وتخصيص عدد من الدرجات بمراتبة الأزهر الجديدة لهيئات التدريس بالكليات الأزهرية .

● تخصيص ٦٠٠ ألف جنيه لاستكمال حاجة كليات الجامعة من المعامل .

● وافقت وزارة التربية على اعتبار طلاب المدارس الابتدائية الأزهرية ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم وعددها نحو ١٠ آلاف مكتب فى قرى الريف طلاباً ملزمين كتلاميذ مدارس الوزارة تماماً . كما وافقت على ضم بعض المدارس الابتدائية الموجودة فى القرى إلى الأزهر لتوسيع قاعدته فى الريف .

● الإبقاء على الصفات المميزة للأزهر في الدراسات الدينية والعربية وتدريب الفوارق بين خريجي معاهده وجامعته وبين خريجي المعاهد والجامعات الأخرى .

● وفي المعاهد الأزهرية طلب دراسة تطوير السلم التعليمي تطويراً شاملاً ابتداء من العام الدراسي القادم وخفض سنوات الدراسة لمدة سنة في كل من المرحلتين الإعدادية والثانوية وتطوير المناهج والكتب مع الاهتمام بالمواد الدينية والعربية والثقافية بما يكفل مطالب الأزهر في المستوى المعقول غير المرتق - من التعليم الديني والثقافي على أن يتم ذلك كله قبل بدء العام الدراسي .

كما تقرر الاهتمام بالتدريب العملي للطلبة وإدخال التدريب المهني بالمعاهد الأزهرية لمواجهة احتياجات الجمهورية العربية والبلاد الإسلامية في الخارج من الفنيين .

● وفي المسائل العامة: تقرر منح الأزهر كل الإمكانات ليظل أكبر جامعة إسلامية وتمكينه من تخرج علماء وخبراء في الثقافتين: الدينية والدنيوية .

وتقرر تنفيذ خطة التطوير الكامل في مدة لا تتجاوز خمسة عشر شهراً، وإعداد لجان مسئولة لتهيئة الإمكانات المطلوبة على اختلاف أنواعها، وسوف يفتح سيادة الوزير البعثة التدريسية لمبعوثي رجال الأزهر إلى البلدان الإسلامية والعربية يوم الثالث من شهر مايو المقبل.

علي قنيط

حل المشكلات الخاصة بالإسكان والمعامل والتجهيزات ، ودرجات هيئات التدريس . وأهم ما اتخذ من قرارات في هذا الشأن :

● تحقيق للتوازن بين الأعداد المقبولة للعام الجامعي الجديد ، والإمكانات المتاحة حالياً . وتقرر قبول ٢٢٢٠ طالباً مستجداً من حملة الثانوية الأزهرية والناجحين في معهد الإعداد والتوجيه مع تخصيص نسبة معينة للطلاب الوافدين .

● وقف أي إنشاءات جديدة في الأقسام إلى أن تستكمل كل منها كافة التجهيزات والتحصينات اللازمة .

● الانتهاء هذا العام من المباني التي شرع فيها وفي مقدمتها مبنى كلية البنات بمدينة نصر لتقلن من المعادى إليه ، وكذلك مبنى كلية الهندسة والورش التابعة لها . والجناح الأخير لكلية الطب بمدينة نصر ، واستكمال المباني الأخرى .

● تسليم مستشفى الدراسة الذي قرر رئيس الجمهورية تخصيصه لكلية الطب بعد تجهيزه .

● نقل كلية المعاملات والإدارة إلى مقرها الجديد ، وشغل مقرها الحالي في الدراسة بإدارة جامعة الأزهر .

● دعم مجالس كليات الأزهر بإضافة عدد من ذوي الخبرة، وإصلاح النظام والجهاز الإداري ومسايرة التطور العلمي في الجامعة والمعاهد للحياة المعاصرة لتقدم جامعة الأزهر نوعاً جديداً من الخريجين غير منزول عن الحياة

فهرس أبجدى عام للمجلد الثامن والثلاثين من مجلة الأزهر

| حرف (ا) | |
|-----------|---|
| ٩٨٥ | ابن الهيثم |
| ٦٦٦ | ابن الياشين وقصة الأرقام العربية |
| ٥٥ | أثر الأزهر في الحركات الشعبية - ٢ - |
| ٢٢٦ | أثر العرب الأدبي على كتاب الحركة |
| ٥٧٤ | الرومانسية في إنجلترا |
| ٢٤١ | أثر الفتوة الإسلامية في الحضارة الإنسانية |
| ٩١٦ | أثر المسلمين في الحضارة الإنسانية |
| ٨١٦ | أثر المسلمين في الحضارة الإسلامية |
| ٩٤٨ | الأخلاق الإسلامية |
| ١١٦ | أدب الكندية |
| ٨٦٤ | الأسرة بين الشريعة والميثاق ... |
| ٢٣٤ | الإسلام والسياسة |
| ٦٤٤ | الإسلام والعرب |
| ٩٩٩ | الإسلام والعقل - كتاب - |
| ٦٢٢ | الإسلام والعلاقات الدولية |
| ٢٤٠ | الإسلام والكرامة الإنسانية |
| ٩٢٧ | الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا |
| ٢٤٤ | كتاب |
| ٥١٦ | الإسلام ونتاج المدنية الحديثة ... |
| ٧٢٧ | الإمام ابن حزم |
| ٢٤٩ | الإمام البخارى محدثا وفقها وكتاب |
| ٥٥٦ | الإمام الأوزاعي بحبه الطفيلان ... |
| ٢٠٩ | الأمل - قصيدة - |
| ٩٢٨ | إنسانية الحب في أدب المهجر ... |
| ٨٨ | أمير الكويت الراحل - قصيدة - |
| ٧٥ | إن وإذا - بحث فني - |
| ١٧٩ | أهل الرأي من الفقهاء |
| ٢٦٤ | أول المسلمين |
| ٢٩٦ | أين المبشرون بالإسلام |
| ٨٢ | إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية |
| ١٨٢ | بتغير الأزمان |
| حرف (ب) | |
| ٥ | بركات الإيمان |
| ٢٥٢ | البطل المسلم - قصيدة - |
| ٤٧ | البهرة (طائفة البهرة) |
| ٥٠٨ | بيان أعضاؤمؤتمر مجمع البحوث في غزة |
| حرف (ت) | |
| ١٦٣، ٦٠ | تأثير ابن خلدون في أسلوبنا المعاصر |
| ٦١٧ | تاريخ الإسلام في العصر الوسيط وكتاب |
| ١٢٠ | تأملات في المجتمع العربي - كتاب - |
| ١١٠ | التأمين - ٨ - |
| ٤٨٠ | تحديد الشهور القمرية |
| ٢٥٧ | تحرير معنى الحرية |
| ٢١٧ | تحريف وتغريب |
| ٣٦٤ | الترتيب الذى استقرت عليه سور القرآن |

(ب)

| | | | |
|-----|---------------------------------|-----|-------------------------------|
| ٢٥٨ | التعليم الإسلامى فى أفريقيا ... | ٢٦ | الحرية الفردية فى الإسلام ... |
| ٨٧٨ | تفسير سورة المدثر (كتاب) ... | ١٧٧ | الحديث قديما وحديثا ... |
| ٢٥٢ | تقرير عن مصادرة مصحف باكستانى | ٢٤٩ | الحضارة القيم ... |
| ٤٨٦ | توصيات الفترة الأولى للثمنر ... | ٨٥٩ | حقوق الإنسان فى الإسلام ... |
| ٥٣٦ | التوبة بعد الأوان صفقة الخاسرين | ١٥٨ | الحقيقة فى مشكلة فلسطين ... |
| ٩٥٨ | تولستوى والروحانية ... | ٢٦٨ | الحلال والحرام ... |
| ٦٥ | تيارات منحرفة فى التفكير الدينى | ٤٠ | حول تدريس الدين الإسلامى |
| ١٤٩ | المعاصر (٩-١٠) | ٢٢٧ | فى المدارس ... |

(ث)

| | | | |
|-----|------------------------------|-----|--------------------------|
| ٦٣٧ | الثورات بين الجسد والروح ... | ٣٠٦ | حول تنفيذ حكم الطاعة ... |
|-----|------------------------------|-----|--------------------------|

(ج)

| | | | |
|-----|-------------------------|-----|----------------------------|
| ٧٠ | الجبال فى القرآن الكريم | ٥٦٥ | حول طبيعة الثمر الجاهل ... |
| ٢٩١ | | ٨٣٧ | |
| ٥٤٧ | | ٩٥٣ | |

(خ)

| | | | |
|----|-------------------|-----|----------------|
| ٢٦ | الجنس الملعون ... | ٧٠١ | خسوف القمر ... |
|----|-------------------|-----|----------------|

(د)

| | | | |
|-----|-------------------------------|-----|------------------------|
| ٢٠٦ | جهاد الواظع ببط بن الجوزى ... | ٥٣٢ | دائرة معارف قرآنية ... |
|-----|-------------------------------|-----|------------------------|

(ح)

| | | | |
|-----|-------------------------------|-----|-------------------------------|
| ٥٥٢ | جوانب البر فى حياة الرسول | ٧٦٠ | دره مظاهر من الجمرأة فى تفسير |
| ٢٦ | الجنس الملعون ... | ٨٨٩ | الكتاب العزيز ... |
| ٢٠٦ | جهاد الواظع ببط بن الجوزى ... | ٨٥١ | دروس من فريضة الحج ... |
| ٥٥٢ | جوانب البر فى حياة الرسول | ١٨ | دعوة الرحمن لكل إنسان ... |
| ٢٦ | الجنس الملعون ... | ٧١٥ | الدميرى وحياة الحيوان ... |
| ٢٠٦ | جهاد الواظع ببط بن الجوزى ... | ٩٩٢ | دين الله دين القوة ... |
| ٥٥٢ | جوانب البر فى حياة الرسول | ١٢٩ | |

(ج)

| (ص) | (ر) |
|--|--|
| ٨٨٥ صفحة من حياة الأفضاني | ١٠٣ روى المؤرخ النفية أبي شامة .. |
| ٦٩١ الصيام عن اللحم وتناج الحيوان | ١ الريس في الشعر المصري |
| (ط) | ٣٢٤ الرجز في اللغة والأدب |
| ٣١ طلائع الثقافة العربية في السودان | ١٣٣ الرسالة الروحية للشباب الجامعي |
| ١٥٢ | ٨ الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن |
| | ١٣٦ الرسول صلى الله عليه وسلم يصف القرآن |
| | ٦٤١ |
| ٩٧ | ٦٧٤ رسول الله هود عليه الصلاة والسلام |
| ٣٥٤ عائد من القليبين | ٤٦٠ روح الإسلام أقوى دعامه لإصلاح |
| ٦٠٩ | المجتمع الحديث |
| ٩٨١ عالم الملائكة | |
| ٢١٠ عبقريات العقائد الإسلامية | |
| ٢٨١ | |
| ٣٦٨ للعرب | |
| ٤٦٩ العفو في الإسلام | |
| ٩٤ عقوبة الجلد | |
| ٩١٥ عقيدة المرشدة للبهدي بن تومرت | |
| ٥٦٩ عباؤنا إبان العدوان الصليبي ... | |
| (ف) | (ز) |
| ٧١١ فتوى الإمام محمد عبده في التأمين | ٤٤ زمن الورد |
| على الحياة | ٧٠٤ زواج المتعة بين الشيعة والسنة ... |
| ١٢٥ الفصحى والعامة في رأى مستشرق | |
| فرنسي | |
| ٥٨٦ فلسطين في شعر المهاجرين | |
| ١٧٢ الفلسفة الصينية | |
| ٢٣٦ في رحاب الخلود | |
| ٩١ في المجتمع الغربي | |
| ٩٠٩ في الموازنة بين المبطلين والمحققين | |
| (س) | (ش) |
| ٨٠٤ السجع والقرآن والبقاعلاني | ١٩٥ شخصية العقوبة في القانون المقارن |
| ٢٣٤ سر (قصيدة) | ٦٨٥ شهر رمضان موسم التوبة الروحية |
| ٥٩٠ سعد بن عباد بين الحقيقة والاسطورة | ٣٧٣ شوقي وشعره الإسلامي - (كتاب) |
| ٥٦١ السنة وما أثير حول مصنفاتها ... | |

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٤١٠ | كلية فضيلة الشيخ نجم الدين الواعظ |
| ... | مندوب العراق |
| ٤١٥ | كلية الدكتور محمد عبد الحميد خان |
| ... | مندوب الهند |
| ٤١٢ | كلية فضيلة الشيخ راشد الفرغان |
| ... | مندوب الكويت |
| ٤١٣ | كلية الأستاذ عبد الكريم ساتيو |
| ... | مندوب اليابان |
| ٣٩٣ | كلية الوفود |
| ٤٠٤ | كليات الوفود ومختارات |
| ٣٢٩ | كل من عند ربنا |

(ل)

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٢٠٣ | لحية شاعر تونقي الإنجليز |
| ٧٥٧ | لقتنا بين الجود والميوعة |
| ٥٠٩ | لقتنا بين العلم والتعلم |
| ٨٦٩ | اللفة بين اللفظ والفكر |
| ١٤٣ | اللغة العربية بين الفصحى والعامية |
| ٣٠١ | ... |
| ٥١٣ | ألوان من الزياء |
| ٧٧٣ | لا وساطة بين الخالق والمخلوقين |

« م »

| | |
|-----|-----------------------------|
| ٣٨٥ | المؤتمر الثالث لمجمع البحوث |
| ... | الإسلامية |

(ق)

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٦٢٧ | قادة فتح المغرب العربي - كتاب |
| ٦٨٨ | قاعة ومضام بقلعة الجبل |
| ٣٧٨ | القرآن مائدة الله لعباده |
| ٥٨١ | القرآن الكريم منجى ومحموم |
| ٤١٨ | القرآن في التربية الإسلامية وبمحات |
| ٤٧٥ | ... |
| ٤٨٧ | قرارات وتوصيات الفترة الثانية |
| ... | لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث |

(ك)

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ٢٠ | كتاب المحيطة الأخرى |
| ٣١١ | كسوف الشمس |
| ٨٥ | كشف الظنون - استدراك - |
| ٣٨٩ | كلية فضيلة الإمام الأكبر في افتتاح |
| ... | المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية |
| ٤٠٠ | كلية السيد حسين الشافعي |
| ... | نائب السيد رئيس الجمهورية |
| ٣٩٥ | كلية الدكتور محمود حب الله |
| ... | الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية |
| ٤٠٤ | كلية سماحة الشيخ تميم الجمر |
| ... | مندوب لبنان |

| | | |
|-----|-----|---|
| ٣١٥ | ١٤٠ | من تصوير القرآن لمجاهد الآخرة |
| ٨٩٧ | ٩٣٤ | منهج الرازي في تفسيره |
| ٧٢١ | ٧٤٨ | موطن الجبال - فلسطين |
| ٨٤٤ | ٦٧٧ | مواكب النصر في رمضان |
| ٩٧٤ | | « ز » |
| ٧٨٩ | | المبالغة في الإنكار الحق تكون قوة في الاعتراف به |
| ٦٢٨ | ٨٥٥ | المقشاة من القرآن - كتاب |
| ٩٠٤ | ٨٢٧ | مثل عليا من سيرة عمر بن الخطاب |
| ٤٢٩ | ٥٢٢ | المجتمع الإنساني في ظل الإسلام |
| ١٢٤ | ٦٥٧ | محمد رسول المحرية (كتاب) |
| ٧٥١ | ٧٨١ | محمد النبي والحاكم - كتاب |
| ٥٠٥ | | مرحبا بوجه الانبياء |
| ٨٨١ | ٧٨ | مرشد المزي - كتاب |
| ٨٧٢ | ٢٨٦ | المسيح في القرآن (كتاب) |
| ٢٦٠ | ٥٢٩ | المصالح المرسلة كما يراها الإمام مالك |
| ١٦٨ | ٨١١ | المعجزات (مقارنة الأديان) |
| ٢٥٥ | | المعجم الفقهي المالكي بالعربية |
| | | والفرنسية - خبر |
| ٥٠٢ | ١٢ | مع الأمين العام في مؤتمره الصحفيين |
| ٤٩٠ | | مع العلماء الوافدين |
| ٦٣٥ | ٧٩٢ | منع إدارة البحوث الإسلامية |
| ١٩٧ | ٥٢٩ | الموسوعة العربية الميسرة |
| ٤٣٨ | ٦٥١ | مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية |
| ٣٢٠ | ٤٨٦ | مكانة الفقه الإسلامي |
| ٧٩٩ | | « د » |
| ٤١٨ | ٣٨١ | من البحوث الإسلامية |
| ٩٨٨ | ٩٦٢ | من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم |
| | ٦٢٧ | من أئمة لدينه المظلوم |
| | | اليهود والمجتمعات الإسلامية |
| | | يوسف عليه السلام (كتاب) |

فات المجلة أن تضع رقم (٤) لحال : من أثر الرومانتيكية ص ٩٦٦ ووضع بدلها رقم (٦)
خطأ فنظفت إليه للنظر .

« إذا حلت الخطيئة في الأرض كان شهداء فأنسكروا كن عاب عنها
ومن غاب عنها فرحها كان كمن شهدا » .

(*If a sin be committed on earth, he who hath witnessed it and condemned it, will he be absolved of its sin ; and he who hath not witnessed it and yet approved of it, will he be made a party thereto*).

. . .

« تأمرن بالمعروف ؛ ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ؛
ولتأطرنه على الحق أطراً ؛ ولتنفرن على الحق قسراً ؛ أو يضربن الله قلوب
بعضكم ببعض ، ثم يلعنكم كما لعن بنى إسرائيل » .

(*Let ye enjoin the good and forbid the evil, prevent the iniquity of the unjust and force him back to the truth, lest hatred of one another be engendered in your hearts and ye be accursed as were the sons of Israel*).



the least misrepresentation or ambiguity they elucidate to him and speak out in his face even the defects he has of his qualities. Sincerity and courage rather than hypocrisy and fear prevail and shape their life-long course. On the contrary, if they are bad intimates of corrupt consciences, never will they care about the good of the community that has been afflicted with them, or mind the close of their indiscretion. Along of such malicious intents as they are always bent on, they hide from him that which is right instead of declaring it to him, screen his shortcomings instead of criticising them, make evil seem fair in his eyes, and even turn him sometimes into an instrument for their illegal enterprises. So, his response to their evil plotting will result in nothing but his deviation from the right path and his bringing disaster on men first then on himself in the last. For evil shall recoil on those that plot evil; thus Allah has said in His Wise Book, and to this history, literature and folklore bear witness.

However, we should not be misled by the superficial impression on shallow minds of the Prophet's saying that it is only those whom Allah protects that are preserved. Experience has been always teaching us that Allah helps those who do their duty, particularly those who do it will. As regards the everprevalent

belief in the immaculateness of prophets, we should never forget that strengthened by Allah as they were, they also had their faults for which He blamed them and conditions in which He threatened them hard, even Muhammad himself, the last prophet and dearest to Him! To trace this point further needs another separate essay. For the present we claim that it is both short-sightedness and thinking tremendously of Allah to lay blame on Him for one's failure without having done one's duty.

A ruler, or in fact any guardian of any sort, should then be prudent and ingenious enough to be able to discriminate between the good and the bad, to know when to disclose and when to hide and how to make his decision on sound lines. He should cause truth to triumph, bring truthful men near unto him and exterminate who call for falsity. On the other hand, his advisers should be intent upon faithfulness to truth, particularly when they are men of high standing whose opinion is sought to be followed. In this way they will be almost as inept to be affected by instigation to wickedness as the prophets, our beau ideal of mankind.

Every guardian and his intimates should then receive the admonition in this Hadith and mend his ways so that intrigue and insurrection are eradicated and the banners of salvation are raised high.

From the Tradition of the prophet :

Two Sorts of Intimates

By

SOLIMAN BARAKAT

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عليه وبطانة تأمره بالشر وتنهيه عليه ، فالأول من عصمه الله .

" No Prophet Allah has ever sent forth or man He has ever made master but has had two sorts of intimates : the one enjoining on him that which is right and urging him on it, and the other enjoining on him that which is evil and urging him on it. It is only those whom Allah has protected that are preserved."

In this Hadith the Prophet, may Allah's blessing and peace be on him, handles a social phenomenon of great weight in the lives of communities, and of undeniable effect on the construction, order and security of societies. Hardly is a man entrusted with a momentous affair when gathering round him becomes the urgent demand and fervent desire of those who pursue boast and empty vaunt, those who look forward to donation, and those who seek the shelter of his broad shoulders, even though from his own authority. Then, it is inevitable that he brings some of these men near unto him; in them he reposes his trust and to them he discloses his heart. Having marked them with such distinction, it spontaneously follows that he prefers

them above others in a multitude of other affairs. In short, they are his intimate retinue; and of a retinue whom he asks for help and with whom he consults what to do in face of currents of events and opinions, neither a prophet nor a commander has been deprived.

After all, over the conduct of these intimates dominate the natural inclinations and whims of flesh and blood. So these men may make good or wicked suite. If they are good and righteous, it will be to their pleasure that he follows the path of right and does all in his power for those over whose lives he commands. To achieve this end, they enlighten him on both that which is sound and that which is defective or unhealthy, and without

impressive example of equality among muslims; he was the best ruler who did not take care of grandeur; he considered ruling people as an assignment or a mandate. He looked after the muslims and visited their houses so as to see their living conditions. He said : Any man who happens to be a ruler on the muslims and does not do justice, God will send him to hell.

Islam, however, calls for justice and equality, and considers that governing has its duties which must be preserved, and that the Governed have their rights which they must obtain.

This was emphasized by the Declaration of Man's Rights issued on December 10th, 1948, and by putting the U.N. Charter on June 26th., 1945.

When Abu Bakr - the First Caliph in Islam - was selected for that post, he said : O, Muslims, I have been chosen as your ruler, and I am not the best amongst you. If I do good, then help me; if not, correct my mistakes.

Omar ben El-Khattab advised his governors to be merciful and kind towards the citizens and to avoid toughness and violence; he said : I select you as governors only to do

justice and equality and to observe prayers, do not be little the muslims and preserve their rights.

It is necessary, therefore, to preserve human rights and dignity. Violence and suppression are contrary to moral and ethical values and to human rights, and he who practises these methods, violates God's orders and wrongs people.

When Islam came into being, it put an end to many of the crimes that prevailed during the pre-Islamic era such as infanticide, eating the dead animals and enslavement. These crimes prevailed in ancient Greece and Rome. Plato, in his Idea, allowed the annihilation of sick people who could not be cured, he allowed the slaying of the weak; Spartans killed their weak children with cold blood.

With the appearance of Islam, all these crimes were attacked and eliminated. This religion called for justice, freedom and equality - before the declaration of Human Rights signed in Lake Success. And if this declaration called for the right of Man in life, freedom, security and well-treatment, Islam was - and still is - the real origin for all these human principles.

do so, had you did what he asked you to, I would reward you later on”.

Thus, we can see, that man by doing good to others, he obeys God's orders, and that his favour and help to others are made for God's sake and to obtain his mercy and blessing. Islam, moreover, calls on Muslims not to confine their good actions to their fellow Muslims, it also urges them to help others.

It is also been said that Prophet Muhammad had said that all creatures are God's family and He loves most those who benefit this family.

Once a controversy occurred between Abu-Dhurr El-Ghaffari and a negro in the presence of Prophet Mohammad, the first was enraged and said : you negro ! Muhammad frowned and was very angry, he said : this is a back lash, a white man is not different from a black man except in his piety and good action. Abu-Dhurr put his cheek on the ground and asked the negro to tread on it.

This respectful treatment, as a matter of fact, which was prevalent centuries ago in the Islamic society, differs greatly from racial discrimination towards the negroes in America and elsewhere practised by the white people who proclaimed

Man's rights and commemorate this declaration of Man's rights annually.

However, if the U. N. Security Council is doing its utmost to preserve peace and stability all over the world, although it succeeded in solving a great deal of international disputes and easing world tensions, but failed to do anything positive in the case of the Vietnam problem and stop this bitter war, Islam has found the best way to settle disputes, in this sense the Glorious Qur'an says : "if two groups of the faithful clashed with one another, try to conciliate them; if one group attacked the other, then fight the attacking group till it accepts God's judgement; if it does so, then make conciliation in accordance with justice, and be fair, for God loveth those who are fair and just. The faithful are brothers, try to conciliate them unto each other".

This, every appeal for putting an end to the Vietnamese war, and mobilizing world opinion against the inconveniences of this war, and giving the Vietnamese people the right for self-determination - fits in with the teachings of Islam. For this religion is the religion of peace.

Hundreds of years before, the U. N. had called for man's rights; Prophet Mohammad set the most

Islam : the Origin of Human rights

By Dr. : Gamal El-Din El-Ramady

The United Nations holds an annual celebration in commemoration of the Human Rights Day. This dates back to the day when a declaration of man's rights was issued which stipulated that all human beings are equal regardless of race, colour or religion. This declaration states the right of every man to culture and education.

All nations in the world welcome this declaration and described as a great victory for humanity, and a continuance of a very long struggle into which all countries sacrificed dearly.

On July 9th., 1776, a declaration was issued in the U. S. A. It stated that all human beings are born equal, and that God gave them fixed and unchangeable rights: the right of living that of freedom and happiness; and that it is the duty of governments concerned to preserve these rights in accordance with the authority given to them by the ruled.

No one can deny of this reality that these are great gains for humanity, yet there is a limitless source

of all these victories which can satisfy all our aspirations namely, Islam. For this religion is the first origin of man's right. It really preserves the rights of mankind; there is no discrimination between Arabs and non-Arabs except in piety and purity for God only interested in our souls and actions not in our bodies and faces. Man's action is his only means to require God's acceptance and forgiveness.

Islam urges its followers to show mercy towards one another to be merciful and fraternal to each other. God, in this respect says: "O, Man, I fell ill and you have not visited me". Man replies: "O my Lord; how this happened and how can I visit You and You are the Lord of the world?" God says: "One of my creatures was ill, you did not visit him. Had you done that, you would have found me there! O man, I asked you food but you offered Me none". Man says: "O Lord of all people how can I feed you and everything is at Your disposal?" Allah says: "Did not you know that one of your fellow citizens asked your help and you refused to

The following is the prayers of Abraham from the Holy Qur'an : "My Lord, make this land secure and turn me and my sons away from serving idols; my Lord, they have led astray many men. Then whoever follows me belongs to me; and whoever rebels against me, surely Thou art All-forgiving, All-Compassionate. Our Lord, I have made some of my seed to dwell in valley where is no sown land by Thy Holy House (Ka'ba); Our Lord, let them, perform the prayer, and make hearts of men yearn towards them, and provide them with fruits; happily they will be thankful. Our Lord, Thou knowest what we keep secret and what we publish; from God nothing whatever is hidden in earth and heaven. Praise be to God, who had given me, though I am old, Ismail and Isaac; surely my Lord hears the petition. My Lord, make me a performer of the prayer, and of my seed. Our Lord, and receive my petition. Our Lord, forgive Thou me and my parents, and the believers, upon the day when the reckoning shall come to pass".

Indeed, it was this man and his son, who rebuilt the first sanctuary on earth, the Ka'ba at Mecca. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayer and it is the stone from which spreads out the eternally vibrant rays of Islam. The faith which Abraham

taught, the faith that all the prophets taught, the faith that Muhammad (may peace be with him) taught; the last prophet of all. The faith of the One God, Allah. There is no other true faith and never can be, for anything else is bound to be false and hypothetical. Islam is fact, if one follows the logical and simple proofs set out in the Qur'an, follows them to their ultimate conclusion, then one comes up against the irrefutable fact that there IS a supreme being, infinite and transcendent, above and beyond all we know. . . yet, in some miraculous way, we can know Him for He is our Creator and the breath of life He blew into us is His divine gift to His creation, Man.

The sacrifice then, at Eid Al-Adha, is very important. For at this time should remember why we are performing this sacred act. The act is not a pagan rite inherited from the past, but an act of deep religious significance; which if we study it sincerely will strengthen our faith. Why do we perform this sacrifice?

What for? Ask yourself these questions and never do anything without knowing fully what you are doing, or else the act becomes empty and foolish. The Qur'an instructs you to learn, not to be ignorant. Therefore then, it is imperative that one knows fully the true significance of this most important day, Eid Al Adha.

by the hand of Allah. At his birth his mother, Usha, had to hide in a cave to escape the soldiers of king Namrod who, because of a certain dream, had ordered the killing of all newborn children who were male. The Quran tells us that when still a youth he had a great spiritual experience and which gave an indication of his future holy life.

One day, while he was walking to his father's house, the day gradually faded, night came and a star appeared. When he saw this star he said : "That is my Lord ". But when it set he said : "I do not love those things that set !". Then he saw the moon appeared and said : "That is my Lord". When this also set he said : "Surely, if my Lord does not guide me I shall go astray and become one of the lost". Then the sun rose and he said : "That is my Lord who is the greatest of all". But this also set and when it did so he said : "O my people, I am free from your idolatry. See, I turn my face to the Creator of heaven and earth". Such perception in one so young is truly unusual.

Later, when he became a man, the Quran tells of another happening in his life. One day Abraham asked his people : "What are these idols you worship ? You are wrong in doing so". They replied : "Our fathers did so, so do we". After this there

came a time when the people left the town and Abraham remained behind, while they were gone he took an axe and went to the temple where the idols stood. There he broke them into pieces and scattered them, all except one large idol into whose hand he put the axe. When the people returned and saw what had happened in their temple they accused Abraham of the deed and questioned him, saying : "Are you the man who did this to our gods?". Abraham answered them : "Surely, the largest of them has done this thing. Ask them, if they are able to speak !". The people were confused and replied : "You know well that they cannot speak". Then Abraham replied : "Do you then, disregarding Allah, worship those things that cannot help or harm you ? Shame on you and your worship of idols". The people could not answer and were furious with him. As punishment they threw him into a furnace, but Allah protected him and he left the fire completely unharmed.

There is much to know about this wonderful man, who is called Khalil Allah, "the friend of the One God". His life was very long and spent in the service of Allah, his name becoming known to all people. When he died at the age of 175, he was buried in the family tomb at Khabrun.

Eid Al-Adha

(The Sacrificial Feast)

By : Raschid Ansari

This is the second major festival which all Muslims celebrate. It takes place on the 10th. Dzul-Hijja, the day on which the pilgrims make their sacrifice in the Valley of Mina. On this day all Muslims, no matter where, sacrifice an animal, preferably a ram or sheep. As may be expected there is great rejoicing on this happy occasion, which starts with the 'Salat El-Eid' (the Eid prayer) and ends 3 days later.

It is at this time that we especially remember the great prophet Abraham, who was the first Muslim to make this particular sacrifice.

Many, many years ago the prophet Abraham was about to make a supreme sacrifice, he was going to sacrifice his son, Ismail, because in a dream he was commanded by Allah to do this. When he told his son of this dream he understood and told his father that he must do what he thought he had to do.

Together they went to a certain place in the Valley of Mina and there prepared a place for sacrifice. When it was ready Ismail laid himself down on the altar and exposed his throat to his father's knife. Abraham stood over his son, knife

in hand, about to give the life of his beloved son. What courage and faith this father and son had, for this was no easy thing to do for either of them, for the one to take the life of his son and for the other to submit himself to his father's wish ; both of them submitting to the will of Allah. Then, just as Abraham's knife was about to descend to his son's throat, he heard the bleating of a ram and suddenly saw the animal with its horns tangled in a bush. " This animal will be sacrificed and not your son", a Divine Voice commanded him. Trembling with relief and happiness Abraham embraced his son, then taking the ram which had miraculously appeared, he obediently made a sacrifice to his Lord who had put him to such a hard and severe test.

Abraham is a fine example for all of us. He shows us that we must submit to the will of Allah, no matter what it may cost, and often this submission is a form of testing for us that we may prove ourselves. In the process strengthening our faith, and character.

Abraham's life from the very beginning was separated from others

of the body as a whole. These groups and classes had little or nothing to do in determining social status of individuals.

(O mankind ! Lo ! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo ! the noblest of you, in the sight of Allah is the best in conduct SXLIX: V. 13) is the clear mandate of the Holy Quran in this respect. Names of individuals and classes were for identification but not for determination of social status. The caliphs, the supreme head of the society, enjoyed no social preference and they were addressed by a common Bedouin as he would address a brother by bare names but not as a monarch and other dignitaries are addressed in these days with high-sounding forms of address like His Holiness, His Majesty or His Excellency. The only difference between a Caliph and a common man was that a Caliph was entrusted with special duties and responsibilities peculiar to that office and he enjoyed social respect only when he faithfully discharged his responsibilities. This sense of brotherhood was so real, so unique and so living that the Caliphs themselves had no sense of social superiority or artificial sense of prestige and dignity of office. When the proud Persian Satorap Harmuzan

was brought to Caliph "Umar" as a prisoner, he found the Caliph, his victor, comfortably sleeping like a humble common man with his head on the bare steps of the mosque of the Holy Prophet. This was the miracle of the kalimah.

No state or society is a Muslim state or society in which this standard of equality and brotherhood is not visibly present. To compare the much vaunted equality, fraternity and liberty of western democracy with the equality and brotherhood of the early Muslim society of Medina would be to compare the ridiculous with the sublime, and hypocrisy and mockery with truth. "Zainub", a daughter of a proud Quraish, a close relation of the Holy Prophet himself was married to "Zaid", a slave. By this the age-old pride and vanity of birth and heritage was completely destroyed. The famous Negro slave "Bilal" by dint of his own personal merits got a distinction which any man on earth would covet. The white guardians of modern conscience and knowledge do not even sit with a Negro free man in the same church to offer prayers to God who is the common Creator of all—the white, the Black, the yellow and the Brown⁽¹⁾.

(1) The creed of Islam..

Faith in the unity of God suggests the law of nature that seeks and creates unity in every diversity. Faith in the kalimah without active faith in the brotherhood of man is in effect negation of the kalimah. In the social order which the kalimah prescribes the status of man is determined not by his descent, inheritance or acquisition of material wealth, possession of political power or by ones vocation and occupation of life but by his personal character and behaviour, that is Gunā and karma. Women not only get a social status but they get a status equal to the status of men. Faith in the unity of God summarily rejects all sense of false and artificial dignity. Caliphs of Islam inspired awe and admiration of the then world not by the grandeur and glamour of a royal court but by their nobility of character. This human aspect of the kalimah, namely, the brotherhood and equality of man was so carefully and zealously nourished that the Holy Prophet Muhammad (peace be on him) did not even tolerate any tendency of his disciples to show any special social preference to him and to the members of his family.

The kalimah revolutionised the social life of the Arabs. They not only broke all artificial distinction between man and man but they com-

posed all their differences, rooted out mutual hatred and jealousy and loved one another not merely as comrades but as real brothers. The Ansars or the helpers of Medina divided up all their belongings equally with the refugees who came to Medina from Mecca as brothers would divide their father's assets equally amongst themselves. Faith in the kalimah made it clear to the early Muslims that a real and active sense of brotherhood and its opposite vanity and pride of personal distinction both originate in the mind and not in any external material circumstances. By a classless society they meant a social life in which there was no class conflict and in this sense the Arab Muslim society was a real classless society.

This classless society was created not through class struggles but by an active faith in the brotherhood of man. There were groups classes-vocational classes, economic classes, family and tribal classes and lots of other classes but the kalimah retained such of the classes and groups as was needed for harmonious development of the social organism but class distinction and class consciousness were effectively removed. These classes and groups were the limbs of the same body functioning harmoniously for the healthy development

Teachings of the "Kalimah"

(There is no god but Allah)

By : *Abul Hashim*



....In this dark context the stern and compassionate Voice of God, "There is no deity but God" was heard. It was stern because it uncompromisingly and definitely commands dissolution of all man-made distinctions between man and man and compassionate because it teaches the sweet relation of man with God and his relation with his fellow men. The Kalimah removes effectively all barriers that divide a brother from a brother and prescribes a social order which makes equality and brotherhood of man a living reality.

Faith in the Oneness of God is senseless if it does not mean faith in the oneness of man.

(We did not create man except as one nation (S. X : V, 19) is the message of the Holy Qur'an. If God has created man as one Nation, man has no right to create arbitrary distinction between man and man. Equality of man which the Kalimah preaches is not, however, mathematical but is social. One cannot be an equal of another in all

respects; some are black and some white, some are tall and some short, some are diligent and some idle, some are intelligent and some stupid and some are gentle and some wild. Quite naturally some by their personal qualities acquire distinctions over others but such distinctions, according to the teachings of the Kalimah, are not permitted to interfere with or to disturb in any manner or degree the social equality of man. An intellectual giant may be an intellectual aristocrat, a fortunate possessor of wealth may be a financial aristocrat, although this aristocracy, in Islam, is very carefully and cautiously circumscribed; and again a "Hercules", a "Rustum" or a "Bhim" may be a physical aristocrat but there is no such thing as social aristocracy in Islam.

God is one and He is the Creator of the Universe. Faith in the unity of the Creator suggests unity and the composite nature of the Universe and faith in the unity and the composite nature of the human species.

(the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not). This is quite clear in Islam's attitude to war and fighting. It stresses peace as an ideal for which Muslims should strive as is indicated in the very name of Islam. However, it has permitted Muslims to fight when their faith and freedom of worship are threatened or when they are actually attacked.

Islam, therefore, lays certain rules which govern both the causes and the conduct of war. According to the strict orders of the Prophet Muhammad, and the wise caliphs to their army personal, it was forbidden to kill women, children, old and weak people, priests and monks. They did not allow their forces to kill animals or cut trees. Some Muslim Jurists have even prohibited killing enemy horses in the battlefield. The Prophet strictly prohibited any kind of mishandling of enemy women. In the point of view of Islam fighting is not a thing to be liked or sought, and peace should be clung to as far as possible. This idea is embodied in many verses of Qur'an.

God says : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ » (Fighting is enjoined upon you, although it is something disliked by you).

Also : « وَإِنْ جِئْتُمُ الْمُسْلِمِينَ فَاجْتَنِبْهُمْ » (But if they lean towards peace, you also lean to it (peace)).

Our knowledge of a certain religion or a certain community should be based on a study of its institution and laws. It is a great pity that some learning scholars of the west have not got the right idea of the term "Jihad" in Islam.

In the Encyclopaedia of Islam, Dr. A. B. Macdonald referring to jihad, says : "The spread of Islam by arms is a religious duty upon Muslims in general." If such scholars had taken the trouble to consult an ordinary dictionary of the Arabic language or to study the teaching of the Holy Qur'an, they could have avoid such misrepresentation. "Jihad" is far from being synonymous with war in the Arabic Language and the conception of the Qur'an.

in the different parts of Arabia and then to the rulers of Persia, Abyssinia, Egypt, etc.

The Qur'an declared the universality of the Islamic faith in many verses. God says: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (And We have not sent you but as mercy to the world). Also, "And We have not sent you but as a bearer of good news and as a warner to all mankind" Again, "O mankind! Surely I am the messenger of God to you all."

Then, the Holy Qur'an has stated that the message of Prophet Muhammad is intended for all nations till the end of the world. The early Muslims believed that they were rendering a great service to other people by guiding them to a faith which secures for whoever adheres to it happiness in this world and the next. Although they were ready to sacrifice their lives to propagate their faith, they tried to do this by preaching and by conveying to the people the message of God in a peaceful way. The use of force to spread Islam is contrary to the very spirit of the Qur'anic principles. As already noted, God says: **لَا إِكْرَهَ فِي الدِّينِ** .

(There is no compulsion in religion). As a result of the universality of Islam, it was carried outside the boundaries of Arabia by different means. All those means,

however, were based on the idea of spreading Islam in a peaceful way. For further evidence in support of this historical fact, one can refer to certain territories in the Far East, and in Central and west Africa. A muslim army never went to these places to spread Islam or to support its propagators there. It is reported that the introduction of Islam into Europe was the work of a Muslim scholar, who was taken prisoner in one of the wars between the Byzantines and the Muslims.

Spreading Islam by force is a thing of which we cannot find any trace either in the Qur'an or in the teachings of the Prophet. A single instance is not recorded in the whole history of the Prophet showing the conversion of an individual to Islam under pressure. Nor do we find any record of an expedition led or sent by him to convert unbelievers. It is in the nature of Islam to face the realities of life, because the true religion should regard man's nature. God says :

فَأَمَّا وَجْهَ الدِّينِ حَنِفًا ، فَعَرَفَ اللَّهُ الَّذِي نَظَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا يَبْدِيلُ خَلْقَ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَدِيمَ وَالسَّكِينِ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

(So set thy purpose for religion as a man by nature upright, the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering

(Sanction is given unto those who fight because they have been wronged...), again: "And (it is) for the poor fugitives who have been driven out from their homes and belongings...".

In one of those Meccan verses, in which "Jihad" is mentioned, God says: «فلا تطع الكافرين وجاهدوهم جهاداً كبيراً».

(So Obey not, the disbelievers, strive (Jihad) against them herewith, a great endeavour). This verse obviously refers to the Qur'an as a means of striving, and not to the sword. In another Meccan verse, God says:

«يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم».

(O prophet! Strive against the disbelievers and the hypocrites, and be stern with them). The word "Jihad" in this verse cannot possibly mean fighting because the prophet never fought against Muslim hypocrites. God also says:

«ومن يجاهد فإنما يجاهد لنفسه».

(And whosoever striveth (Jihad), striveth only for himself). The word "Jihad" is used here to indicate persistence in the face of persecution.

Even in the Medina period, when the Muslims were not persecuted but were strong both politically and militarily, the Qur'an categorically denounces the idea of using force to propagate Islam. In one of the verses of this time the Qur'an clearly states

that the role of Muhammad was only to convey the message of God.

"Obey Allah and obey His messenger, but if ye turn away, then the duty of our messenger is only to convey (the message)".

Many of the Prophet's sayings represent "Jihad" as a desirable struggle in different fields. This conception of "Jihad" was emphasised by the Prophet, when he said to his companions, after returning from a military operation: "Now we have returned from the minor "Jihad" to the major "Jihad". When asked about the major "Jihad" he defined it as thus: "It is striving against temptation". This notion of "Jihad" was also emphasised by him when he told a man who supported his parents, and who was anxious to take part in a war that Muslims fought for self-defence that he was actually engaged in a "Jihad" by striving to support his elderly parents.

Islam was not meant for Arabs alone but for all people of world. This universal faith is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to everybody. Prophet Muhammad and his successors believed in the universality of Islam, and tried to spread it throughout the world. The Prophet put this general call into practice by sending envoys to convey the message of Islam, first to Arab chiefs

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Dhu'l-hijjah
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

March
1967

THE CONCEPT OF 'JIHAD' IN ISLAM

By A. M. Mohiaddin Alwaye



"Jihad" is one of the much misconceived words in Islam. The traditional idea of western people and even of some Muslims about "Jihad" is that of fighting or holy war. This interpretation implies two notions about "Jihad" in Islam. First that it means only fighting. Secondly that it aims at converting non-Muslims to Islam by force. Many of the Muslims who come into contact with western people are aware of these trends of thought in their minds towards this institution. In fact, the term "Jihad" is not correctly interpreted by Muslim Scholars. The Qur'an categorically denounces the idea of using force to propagate Islam. God says : **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** .
(There is no compulsion in religion). Muslim's duty then is to understand

rightly the conception of "Jihad" in Islam and to present it to others in its true lights.

The word "Jihad" was mentioned many times in the Qur'an and in the sayings of Prophet Muhammad. In none of them can it be said to mean mere fighting. In them, as in Arabic lexicography in general, it means "striving" or desirable struggle" in different fields of life. The term "Jihad" is used in verses revealed in "Mecca" before Muslims migrated to Medina where they were powerful enough to defend themselves. It is a historical fact that Muslims were first allowed to fight back, after they had been persecuted and turned out of their home-town by the people of Mecca. God Says :

لَا تَجِدُ أُمَّةَ ظَالِمُونَ بَأْسَهُمْ ظَالِمُونَ

76/1-1967